

مجلة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دورية أكاديمية متخصصة محكمة

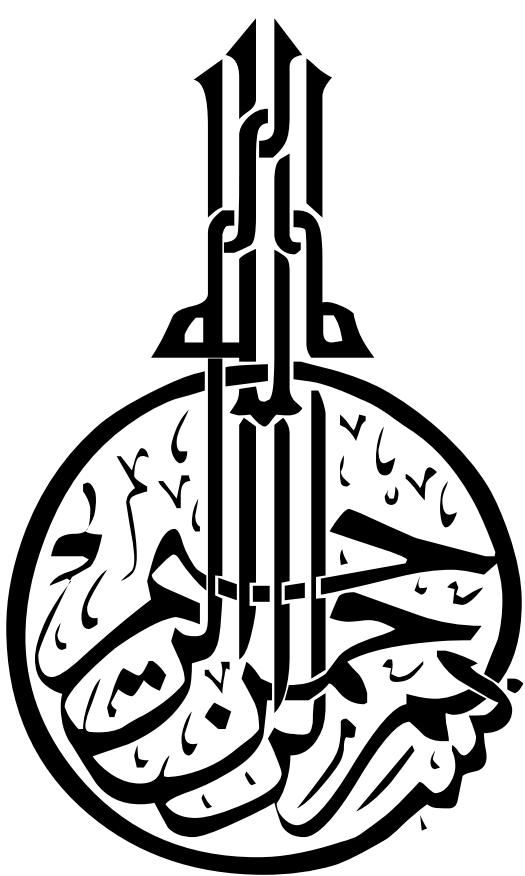
تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية

//*

جمادى الأولى 1442 هـ / ديسمبر 2020 م

المجلد 34 / العدد 03

ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X





جامعة (الأمير عبدون) (الناور للعلوم) (الإسلامية)

إن جميع الآراء الواردة في هذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها
فقط، ولا تعكس رأي المجلة

أ.د/ السعيد دراجي
أ.د/ عبد الناصر بن طناش

مدير المجلة
رئيس تحرير المجلة

أمانة المجلة
السيدة/عائشة بلهادف
الآنسة/ منى علام

هيئة التحرير

أ.د فاتح حليمي

halteh62@yahoo.com

جامعة العلوم الاسلاميةالأمير عبد القادر قسنطينة

أ.د نور الدين سكحال

souknour@yahoo.fr

جامعة العلوم الاسلاميةالأمير عبد القادر قسنطينة

د. ليلى فيلالي

filali.leila@yahoo.fr

جامعة العلوم الاسلاميةالأمير عبد القادر قسنطينة

د. عبد الحفيظ ميلاط

milat.hafid@gmail.com

جامعة العلوم الاسلاميةالأمير عبد القادر قسنطينة

أ.د زهرة بن عبد القادر

zahrabenabdelkader1@gmail.com

جامعة العلوم الاسلاميةالأمير عبد القادر قسنطينة

أ.د الجماعي شاباكي

djemai111@yahoo.fr

جامعة العلوم الاسلاميةالأمير عبد القادر قسنطينة

أ.د زكية متزل غرابة

zakiamenzel@yahoo.com

جامعة العلوم الاسلامية الأمير عبد القادر قسنطينة

أ.د عبد الحق ميحي

abdelhaqmihi@yahoo.fr

جامعة باتنة 1 الحاج خضر

أ.د حاتم باي

hattim.bey@gmail.com

جامعة العلوم الاسلامية الأمير عبد القادر قسنطينة

د كمال الدين قاري

karikamal2018@gmail.com

جامعة البويرة

د. بدر الدين زواقة

borhanedine@gmail.com

جامعة باتنة 1 الحاج خضر

أ.د أحمد معبوط

maabouta@gmail.com

جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر

أ.د موسى معيرش

momaireche@yahoo.fr

جامعة خنشلة

أ.د صالح خديش

salahkhadiche40@gmail.com

جامعة خنشلة

أ.د إبراهيم رحابي

rahmani-brahim@univ-eloued.dz

جامعة الوادي

أ.د مصطفى حيداتو

alshehab@univ-eloued.dz

جامعة الوادي

أ.د. جراح نايف الفضلي

dr.jara7alfa@yahoo.com

جامعة الكويت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

ERTUGRUL BOYNUKALIN

boynukalin@yahoo.com

FACULTY OF THEOLOGY / MARMARA UNIVERSITY

فهرس المحتوى

11 -----	◆ تقديم مدير المجلة
12 -----	◆ كلمة رئيس تحرير المجلة
15 -----	◆ د. آمال جعوب
أثر نسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء وحركته التدوينية في علم القراءات	
46 -----	◆ د. ندين مصطفى علي السليمي
آيةٌ مُبَصَّرَةٌ: قراءة موضوعية بلاغية لسورة الشمس بالتوارثي مع سورة الإسراء	
82 -----	◆ ط. سفيان رضوان صالح وأ.د. محمد خليفاتي
التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية الأندلسبي، دراسة وصفية دلاليّة	
123 -----	◆ د. جلول بلحاج
الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي للمفسرين أجيالَيْن	
158 -----	◆ د. عائشة لروي
التدرج الفقهي للعقوبة البديلة عن السجن (على ضوء القواعد والضوابط الفقهية)	
188 -----	◆ د. ياسين بولحمر
المُزاج بين ضوابط الشرع وتجاوزه الطَّبع	
236 -----	◆ ط. عائشة محروم و أ. د مختار نصيرة
تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته في التواصل في السنة النبوية	
266 -----	◆ د. محمد بن يحيى
ألفاظُ الْأَبُوَةِ وَالْبُنُوَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَدَوْرُ السِّيَاقِ فِي تَوْجِيهِ دَلَالِهَا	
335 -----	◆ د. جمال صالح
ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني.	
361 -----	◆ د. محمد طيب عمور و د. بوعلام قرمال
إثبات جريمة الرنا بالبصمة الوراثية في الفقه الإسلامي	
408 -----	◆ د. لمين لعريط
الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد أحضانه	
(دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي و قانون الأسرة أجيالَيْن)	
452 -----	◆ ط. عبد الصمد رباعي و د. الطيب بوسعد
نظام ملكيّة الأرض في المغرب الأوسط خلال العهد الرياني بين التنظير الفقهي والواقع النّاري - أراضي الإقطاع والظهير السلطاني *أنموذجاً*	

- ١.د. زكية متول غرابة ----- 490 ◆
دور الواقع الإسلامية عبر الانترنت في تقرير القرآن وعلومه من وجهة نظر طبعة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة: دراسة ميدانية
- د. محمد خماد و د. سعيد بن نويبة ----- 535 ◆
فاعلية استراتيجية (فك- زاوج- شارك) في تنمية التفكير الناقد لدى تلاميذ المرحلة الثانوية.
- ط. صباح قيرة و أ.د. ذهبية بورويس ----- 577 ◆
مصادر الاختجاج في معجم العين «للخليل بن أحمد الفراهيدي» وأثر المعنى في الاستدلال بها.
- د. شهرزاد بن يونس ----- 622 ◆
الدرس النحوی عند الشیعی محمد الحضر حسین الجرایری بین التقليد والتجدد نماذج تحلیلیة
- د. نعيمة روابح ----- 661 ◆
التوزيع السیاقي عند أبي علي القالي في أماله في ضوء نظرية فيره
- ط. الحسين مسیف و د. نور الدین بوزناشة ----- 694 ◆
إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنی في ضوء الدرس اللغوي أکدیث - سر صناعة الإعراب أموزجا
- ط. عبد الحق عقون و د. أحمد مرغم ----- 731 ◆
التشابه في أکھصائص وأثره في بناء الأبواب النحوية عند سیبویه
- ط. عز الدين كربوش و أ.د. محمد العید رتیمة ----- 760 ◆
التوجیہ النحوی وأثره في تحديد مواطن الوقف في كتاب (القطع والانتفاع) لأبي جعفر النحاس
- د. لیلی لعویر ----- 791 ◆
المدیح النبوی فی الشعیر النسائی اطعاص
- د. توفیق مساعدیة ----- 815 ◆
الغياب الصوفي في شعر عفیف الدین التلمسانی(٦٩٠ھ)
- د. لیلی خشة ----- 838 ◆
شعریت الفضاء في رواية "حكایة بخار" للروائي السوري حنّا مینه فضاء البحر موزجا

- ◆ ط. سميرة فرطاس و د. ليلي لعویر ----- 871
إشكاليّت تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر النقد الثقافي / النقد أكاديمي
أنموذجاً
- ◆ ط. رابح مناجلي وأ.د. مليكة بن بوزة ----- 907
أدب/ ثقافة الأقلية الأفريقية : الصوت المضطهد ورهاناته الكينونية.
- ◆ د. شافية غليط ----- 933
وضع الصدمة النفسيّة لدى الطالب أكاديمي حسب التوجّه الرمزي
- ◆ ط. عقيلة مقرروس و د. صونيا عبديش ----- 965
المضمون الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي لدى الشباب
أجرازي عبر الفايسبوك _ دراسته ميدانية لعينة من شباب ولاية
جيجل، من جويلية إلى ديسمبر 2019
- ◆ ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خوانى ----- 999
متلألئات الطلب أكاديميين لقيم الانتماء الوطني في المؤسسة التعليمية دراسة
ميدانية على عينة من طلبة جامعت سطيف 2.
- ◆ ط. فارس بوخويديم و د. جميلة معمر ----- 1034
"مستوى تكوين اموارد البشريّة ودوره في تعريف جاهزية مؤسسة
الأرشيف الوطني أجرازي للإيفاء بمتطلبات البيئة الرقميّة"
- ◆ ط. أمال معوشي وأ.د. أحمد صاري ----- 1074
معيّات يهود أجرازي ودورها في إحياء التراث والشعائر الدينية اليهوديّة
(1908-1935)
- ◆ ط. صادق عرباوي و أ.د سليم دريسى ----- 1103
هباته امراة الرومانية و مساعمتها في التطور العمراني للمدينة
(أجرازي الرومانية)
- ◆ د. حكيم وشتاني ----- 1132
الشهر القانوني كادة للإعلام في عالم الأعمال (نطاقه وطريقه)
- ◆ ط. شعيب بوعرورج وأ.د سليم دليو ----- 1170
نظريّة عيوب الرضا وأثرها في تمايز اهستهلك
- ◆ ط. أيوب بن النية وأ.د. يمنة بليمان ----- 1189
تطور قانون التجارة الإلكترونية في أجرازي
- ◆ د. عبد القادر حمر العين ----- 1224
اطرک القانوني للشرکات المؤسسات في شركات امساعمت قيد التأسيس

- ◆ ط. عبد النور بوناح ود. رشيد ساسان ----- 1245
الشروط التقيدية في عقد الترخيص
- ◆ د. حدة بو خالفة ----- 1298
الأمن البشري في القانون الدولي العام
- ◆ د. سمير شوقي ود. سهام بن دعاس ----- 1330
إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية كأساس لتحقيق التنمية المستدامة
- ◆ د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل ----- 1363
الاستثمار في الطاقات المتجددة كبدائل استراتيجية للتوجه نحو الاقتصاد الأخضر دراسة حالة المغرب
- ◆ ط. آمنة الحيوىل ود. مليكة فريمش ----- 1385
أحوكمة أكاديمية من أجل أبودة (جامعة الجزائر أبوزجا)
- ◆ ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم ----- 1413
المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر دراسة محلية -
- ◆ د. محمد دمان دبيح ----- 1445
محضات التنمية لفرضية الركبة
- ◆ د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر ----- 1471
الوقف الإسلامي ودوره في التنمية المحلية المستدامة
- ◆ د. فريدة موهوب ----- 1516
واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية
- ◆ د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي ----- 1550
قياس جماعة البنوك الإسلامية الجزائرية في تطبيق الأنشطة التسويقية الإسلامية من وجهة نظر البائع دراسة عينت من البائع بمدينة المسيلة ◆ E.Loubna Kouira et Pr. Belouahem Riad-----1587
- Cross- perspective Evaluation of The Culture Component of Algerian Secondary School English Textbooks: Critical pedagogy and English as a Lingua Franca.**

كلمة مدير المجلة ومدير الجامعة

أ.د. السعيد دراجي

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلوة والسلام على المصطفى محمد خاتم المرسلين
أما بعد:

تواصل مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية استمراريتها المعرفية والعلمية بخطى ثابتة ورؤى ثاقبة محققة أمال وطموحات الباحثين وأساتذة الطلبة انطلاقاً من واقع البحث العلمي وما توصلت إليه الدراسات المختلفة الحديثة.

ولعله من روح المسؤولية العلمية الحرص والتأكيد على أن هناك ضرورات ترشدنا إلى إعادة ترتيب الأولويات في سلم صناعة وبناء المعرفة حتى تسجم مع واقع المجتمع واهتماماته، ذلك أن استثمار تداعيات الأزمات على اختلافها بما تفرزه من اضطرابات واحتلالات، تدفع بالباحثين لإعادة توجيه بوصلة البحوث العلمية خدمة للمجتمع والفرد والافتتاح على المحيط الاقتصادي والاجتماعي.

إن ما أفرزه وباء كورونا (كوفيد 19) من تداعيات وانعكاسات نفسية واقتصادية صعبة هنا وهناك ، لحري بأن توجه إليه مداد الأقلام والكتابات ، وتحيط به حروف الكلمات على اختلاف مجالات المعرفة وأصنافها ، فراءة وكشفا وتحليلا وإحصاء واقتراحات ، ومعالجة حتى يتحقق البحث العلمي واقعيته ورؤدي رسالته ويتسع أفقه ، ولا يبقى حبيس الأفكار النظرية.

آمل أن تجد كلمة المجلة هذه صدى سريعاً وإنجاشياً لدى الباحثين والدارسين فتؤتي أكلها في كل حين ، بإعادة ترتيب أولويات موضوعات البحوث والمقالات الموجهة للنشر بمجلة جامعة الأمير عبد القادر وفي كل المجالات العلمية خاصة العلوم الإسلامية.

وفي الختام، أتقدم -من خلال العدد الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من مجلة الأمير عبد القادر للسنة الجامعية 2020/2021- بخالص شكري وجميل عرفاني لكل من أسهم وأضاء صدور هذا العدد من خبراء وباحثين وأساتذة وطلبة دكتوراه ، ولفريق التحرير وأمانة المجلة سائلا الله تعالى لهم القبول وحسن الثواب.

كلمة رئيس تحرير المجلة

أ.د عبد الناصر بن طناش

**بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله على ما أنعم وصل اللهم وسلم على
محمد وآلها وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد،**

يصدر المجلد الرابع والثلاثون في عدده الثالث من مجلة جامعة الأمير عبد القادر من السنة الجامعية: 2021/2020 بنفس العبق العلمي الذي طالما دأبت على رسمه موضوعات المجلة، وبالآمال والطموحات ذاتها التي تسعى لتجسيدها جهود فريق الباحثين من أساتذة وخبراء بحثية عالية ويقين ثابت.

وقد أحصى هذا العدد مشاركات لافتة لطلبة الدكتوراه بلغت زهاء نصف ما نشر بالمجلة من موضوعات زكتها وأهلتها الخبرة العلمية ، ولعل في هذه المشاركات ما يعطي مؤشراً إيجابياً ، وانطباعاً حسناً على رغبة هيئة تحرير المجلة في إتاحة فرص النشر للأفلاّم الفتية الناشئة ، ويكشف حرصها على تمكين طلبة الدكتوراه من الإفصاح عن قدراتهم البحثية وهي تنمو شيئاً فشيئاً بين أحضان الخبرة والأستاذية ، والرعاية العلمية.

وفي الختام ، نجدد شكرنا وجميل عرفاناً لكل من أسهم في صدور هذا العدد من أساتذة وباحثين وخبراء وفريق أمانة المجلة ، راجين من المولى تبارك وتعالى أن يجزيهم كريم الجزاء ، وأن يوفقهم للمزيد من التفاعل والإيجابية لتحقيق الريادة والرقي بالمجلة ، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنيطية الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 45-15 تاريخ النشر: 25-03-2021

أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء وحركة التدوين في علم القراءات

**The effect of Tasbee 'Ibn Mujahid on the movements
of reading and reading and the movement of
recording in the science of readings**

د. أمال جعبوب

oum_annace@yahoo.fr

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنيطينة

تاریخ الإرسال: 2019/10/08 تاریخ القبول: 2020/12/22

الملخص:

يعد التسبيع نتاج عملية التدوين والاختيار للقراءات وتمييز الصحيح من الشاذ، إذ رافق نشأة التدوين في هذا العلم منذ بداياته، وظهرت في عقبه ردود ومعارضات عند أهل الأداء والمصنفين، ونتجت عنه اتجاهات في التدوين، مما أثرى الساحة العلمية للقراءات، وحرك عجلة التصنيف، وبرز طريق النص في الرواية، فانتقلت القراءة من مجرد النقل الروائي القائم على السمع والعرض إلى النقل النصي القائم على التعقيد والتنظير، ومن مجرد الرواية الشفاهية إلى مرحلة التشتت في القراءة وتحصص المرويات، وظهر بذلك طريق النص في الرواية رديفاً لطريق الأداء، هذه وغيرها من الظواهر التي بُرِزَت في ساحة علم القراءات في عقب تسبيع ابن مجاهد، ويُعنى هذا البحث بدراسة أهم الآثار العلمية لتسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والتدوين في علم القراءات .

الكلمات المفتاحية: التسبيع؛ ابن مجاهد؛ القراءات؛ التدوين؛ أثر.



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركي القراءة والإقراء ----- د. أمال جعوب

Abstract:

The seven readings (tasbiae) is among the chronicling process and the choosing and selecting for reading and discriminating the correct from the off-beat, as accompanied the creation of chronicling in this science since its beginning, it appeared after its reactions and disagreements at the performance and the classifiers and as result it appeared trends in chronicling which enriched the scientific field (domain) of readings and moved the wheel of categorization and appeared the path of the test in the quenching

The reliance of reciters move out from the elders (cheikhs) from just hearing recitals to the reliance of readings through the contents of books and the documentation of exams; this one and other phenomenon that appeared in the reading science through Ibn moudjahid's seven readings .

This research is cared about the studying of the most important scientific effects of the seven readings in both readings and categorization in the science of reading.

Keywords: The seven readings, categorization, tasbiae, Ibn moudjahid, the choosing.

المقدمة:

تعددت جهود علماء القراءات في جمع القراءات الصحيحة وتدوينها في مصنفات ونظم كثيرة العدد ومتنوعة المضمams، لينتقلوا بالقراءة بعدها من مجرد النقل الروائي القائم على السماع والعرض إلى النقل النصي القائم على التقييد والتنتظير، وساهم في ذلك عدد من العلماء عملاً على ضبط القراءات في متوفها وجمعها من مصادرها الروائية وتبنيتها في مظلماها النصية، وكان لإمام عاصمة العباسين، وشيخ قرائتها أبي بكر بن مجاهد، دورٌ كبيرٌ في تحريك عجلة التأليف في علم القراءات، ويتجلى هذا الأثر من خلال استحواده على



أثر تسبیع ابن مجاهد في حركة القراءة والإقراء ----- د. أمال جعوب

فضل الأولية لكثير من الظواهر العلمية التي جاءت في عقب تسبیعه للقراءات، كحصره للقراءات واعتماده نجاح الاختيار للقراء، والانتقال بالقراءة من مجرد الرواية الشفاهية إلى مرحلة التشتت في القراء وتمحیص المرويّات، وتمیز الصحيح من الشاذ، كما كان لحصر القراءات بالعدد سبعة الأثر الكبير في الدفع بالعلماء وأهل الأداء للتألیف والتدوین في القراءات، وجمعها من طرقها الروایة التي صحت لهم، فعملوا على توثيقها وألفوا كتاباً على أثراها، وظهر بذلك طريق النص في الروایة ردیفاً لطريق الأداء، فما هي الأسباب العلمية التي دفعت ابن مجاهد لاختیار العدد سبعة دون ما سواه؟ وما هي مواقف العلماء من تسبیع ابن مجاهد وكيف كانت ردودهم عليه؟ وإلى أي حد بلغ تأثیر التسبیع على حركة القراءة والتدوین في علم القراءات؟

هذه التساؤلات وغيرها هي ما يحاول البحث الإجابة عليها متبعاً في ذلك المنهج الوصفي، واختارت عرضه وفق الخطة التالية:

خطة البحث:

المبحث الأول: معنى التسبیع وسبب اختيار ابن مجاهد للعدد سبعة وقيمة كتاب السبعة .

المطلب الأول: معنى التسبیع .

المطلب الثاني: القيمة العلمية لكتاب السبعة .

المطلب الثالث: معنى التسبیع وسبب اختيار ابن مجاهد للعدد سبعة .

المبحث الثاني: أثر التسبیع في حركة القراءة والإقراء .

المطلب الأول: ظهور عملية اختيار القراء .

المطلب الثاني: إعمال شروط القراءة الصحيحة .

المطلب الثالث: وسم القراءات الأخرى بالشذوذ .



أثر تسبیع ابن مجاهد في حركة القراءة والإقراء ————— د. أمال جعوب

المبحث الثالث: أثر التسبیع في حركة التدوین في علم القراءات .

المطلب الأول: ردود العلماء على تسبیع ابن مجاهد .

المطلب الثاني: أثر التسبیع في المصنفات في القراءات .

المبحث الأول: معنى التسبیع وسبب اختيار ابن مجاهد للعدد سبعة وقيمة

كتابه السبعة:

المطلب الأول: معنى التسبیع:

لغة: من (سبع) والسبع والسبعة من العدد: معروف سبع نسوة وسبعة رجال، وفي الحديث "أوتيت السبع المثاني" وفي رواية: "سبعا من المثاني" قيل: هي الفاتحة لأنها سبع آيات ... وسُعَقْ فلان القرءان إذا وظف عليه قراءته في سبع ليال، وسُعَقْ الإناء: غسله سبع مرات، وسُعَقْ الشيء تسبیعا جعله: جعلته سبعا¹ .

اصطلاحا: لم أجده في حدود ما بحثت - والله أعلم - تعريفا اصطلاحيا للتسبیع إلا ما شاع في استعمالات علماء القراءات ومصنفيها من إطلاق اللفظ على كل من اختار القراءات السبعة المتواترة التي اختارها ابن مجاهد² سواء في القراءة أو التصنيف، فيقال لمن قرأ بقراءات القراء السبعة "قرأ بالسبع" ولمن صنف في القراءات السبعة "سبع القراءات"³، وهو ما ميز حركة القراءات بعد ابن مجاهد كما سيأتي بيانه .

¹ - لسان العرب 145/8 و 147. وينظر: تاج العروس: 21/175 - 179 .

² - هو: أحمد بن موسى بن العباس أبو بكر بن مجاهد: كبير العلماء بالقراءات في عصره، من أهل بغداد، كان حسن الأدب، رقيق الخلق، فطنًا جواداً، له كتب في القراءات منها كتابه السبعة، توفي سنة: 324هـ . ينظر ترجمته في: غایة النهاية: 1/139 والأعلام: 1/261 .

³ - ومنهم كتابا جامع البيان والتيسير في القراءات السبعة للإمام الداني، والعنوان في القراءات السبعة لأبي طاهر بن حلف النحوي، ونظم حرز الأمان للإمام الشاطبي .



أثر تسبیع ابن مجاهد في حرکتی القراءة والإقراء ----- د. أمال جعوب

ويلزم من نسبة الاختیار لابن مجاهد أنه لا يصح في استعمال علماء القراءات أن يطلق التسبیع ويراد به المعنی اللغوی أي "اختیار سبع قراءات" فیعمد بذلك إلى اختیار سبع قراءات من غير التي اختارها ابن مجاهد کاستبدال قارئ من السبعة باخر من غيرهم بما يوافق العدد سبعة، بل ينحصر التسبیع في اختیار قراءة الأئمة السبعة البدور دون ما سواهم .

وعليه يمكن تحديد مصطلح التسبیع في المعنی التالي: "التسبیع: هو التزام اختیار ابن مجاهد للقراء السبعة المشهورین" .

ومنه يطلق لفظ المسبیع على كل من وافق ابن مجاهد في اختیاره لهؤلاء القراء من أئمته بعده، ومنهم المؤلفون في السبعة كالإمام الدایي في التیسیر وجامع البیان والإمام الشاطیي في الحرز وغيرهم، ولا يلزم من ذلك موافقة ابن مجاهد في اختیار الرواۃ والطرق عنهم، بل المعتبر هو اختیار القراء السبعة المشهورین ولو بروايات وطرق تخالف اختیار ابن مجاهد في كتابه السبعة .

المطلب الثاني: سبب اختیار ابن مجاهد للعدد سبعة:

اختللت أقوال العلماء والباحثین حول اختیار ابن مجاهد للعدد سبعة، فهل كان الأمر مقصودا من ابن مجاهد أم كان محض صدفة، وانقسموا على أثر ذلك إلى فريقین:

الفريق الأول: قال بأن العدد مقصود بذاته، وأن ابن مجاهد قصد اختیار سبع قراء ورد ما بعد السبعة وإن كانت قراءتھم صحيحة مشهورة، وهو قول كثير من الأئمة والعلماء، يقول ابن الجزری: "والذی قاله الأئمة أن ابن مجاهد لم يجعل القراء الذين في كتابه سبعة دون أن لا كانوا أكثر أو أقل إلا تأسیا بعدة المصاحف التي وجهت إلى



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركي القراءة والإقراء ----- د. أمال جعبوب

الأمسكار من عثمان -رضي الله عنه- وتبركا بقوله - ن: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"¹.

ومن قال بهذا الرأي الإمام مكي بن أبي طالب القيسي الذي أحباب في كتابه الإبانة عن سبب جعل القراءات سبعا ولم تكن أكثر أو أقل بقوله: "الجواب أنها جعلت سبعا لعلتين:

إحداها: أن عثمان رضي الله عنه كتب سبعة مصاحف، ووجه بها إلى الأمسكار، فدل عدد القراءات على عدد المصاحف .

والثانية: أنه جعل عددها على عدد الحروف التي نزل بها القرآن، على أنه لو جعل عددها أكثر أو أقل لم يمنع ذلك، لأن عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من أن يحصى².

الفريق الثاني: قال بأن العدد غير مقصود، وإنما قصد ابن مجاهد اختيار القراءات التي توفرت فيها شروط القراءة الصحيحة فلم تجتمع عنده إلا في هذه السبعة، وعلى هذا فإن العدد سبعة كان محض صدفة، ولو اجتمع عند ابن مجاهد أكثر من ذلك لذكرها، لكن ذلك كان مبلغه من العلم، ومن يرى ذلك ابن الجوزي حيث يقول: "وابن مجاهد اجتهد في جمعه، فذكر ما وصله على قدر روایته، فإنه رحمه الله - لم تكن له رحلة واسعة كغيره من كان في عصره"³.

المطلب الثالث: القيمة العلمية لكتاب السبعة:

¹ - منجد المقرئين: 217 .

² - الإبانة: 90 .

³ - منجد المقرئين: 215



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ————— د. أمال جعوب

يعد كتاب السبعة واحداً من مؤلفات ابن مجاهد، ولا نعلم إن كان الكتاب المقدم عليه في مجموع تواليفه أم لا، لكنه يظل أخص كتب ابن مجاهد وأهمها، وعلماً يعرف به فيما إن يقال السبعة حتى يجاذب لابن مجاهد .

قام ابن مجاهد في كتابه هذا باختيار سبعة من الأئمة القراء، جمع اختيارهم في القراءة أصولاً وفرشاً، ودونها في كتابه هذا وسماه السبعة بحسب عددهم، يقول الدكتور شوقي ضيف واصفاً عمل ابن مجاهد: "فاجتهد للأمة وللدين وقراءانه العظيم وبالغ في اجتهاده حتى استصفي سبعة من الأئمة القراء في أمصار خمسة، هي أهم الأمصار التي حملت عنها القراءات في العالم الإسلامي، وهي المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام، واختار من المدينة نافعاً ومن مكة ابن كثير ومن الكوفة عاصماً ومحزنة والكسائي ومن البصرة أبا عمرو بن العلاء ومن الشام عبد الله بن عامر¹" .

أما عن اختياره ثلاثة قراء من الكوفة فقال: "وييدوا أنه رأى لكل قارئ من قراء الكوفة الثلاثة مذهبها متميزاً في القراءة ينفرد به عن زميله حمله عنه جلة القراء في العالم الإسلامي، فرأى أن يستبعديهم جميعاً، وبذلك أصبح القراء المقدمون عليه سبعة²" .

وكان اختياره لهؤلاء الأئمة دون غيرهم، رغم كثرة الأئمة القراء في زمانه، وكذلك كثرة الاختيارات عنهم، مرده هو توفر شروط في القراءة والقارئ على السواء، هذه الشروط التي كانت قد توفّرت بحسب ابن مجاهد في هؤلاء السبعة دون غيرهم، وكان اختياره لهم من بين ذلك الكم الهائل من الأئمة القراء في زمانهم، يعد تقديرها لهم وإعلاء

¹ - مقدمة تحقيق كتاب السبعة: 18 .

² - مقدمة تحقيق كتاب السبعة: 18 .



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ----- د. أمال جعبوب

لشأنهم من بين أقرانهم، ولأنهم حازوا مرتبة عالية جعلتهم يتربون على عرش القراءة والإقراء عند ابن مجاهد¹.

وكتاب السبعة هو أقدم كتاب وصلنا في علم القراءات، فقد قدر الله تعالى له أن يسلم من عوادي الزمن، ويصلنا كاملاً، لنعم من خلاله نجح ابن مجاهد في التأليف وعرض القراءات، فيحوز بذلك على فضل الأوليّة² في كثير من مسائل علم القراءات، كيف لا وكتاب السبعة هو أول كتاب كامل يصلنا في علم القراءات، وهو أيضاً أول كتاب يبين لنا نجح المقدمين في عرض القراءات، وفي تبويبها وأهم المباحث التي يعني بدراستها، كما أنه أول كتاب جمع بين علمي الرواية والدرایة في القراءات، إذ لم يكن يكتفى ابن مجاهد بعرض اختيارات الأئمة القراء، بل عنى كذلك بدراسة هذه الاختيارات والحكم عليها، ورد بعض القراءات مما رأى فيها الضعف³.

كما أن ابن مجاهد هو أول من عنى باختيار الاختيار، فقد قام في كتابه السبعة بالانتقال من مرحلة اختيار الأئمة القراء لقراءاتهم إلى مرحلة الاقتصار على اختيارات أئمة معينين، فسبع بذلك السبعة⁴.

¹ - ينظر: بحث: أسباب اختلاف المصنفين في جمع وتحديد القراءات: أمال جعبوب: 34-35، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، العدد 39، المجلد 30، 2017 م.

² - الأوليّة: "اسم مؤثث منسوب إلى أول": صفة الشيء الذي يحتلّ المكان الأول بقوّته أو قيمته أو خطورته". ينظر: تاج العروس: 36 / 56 - 59، ومعجم اللغة العربية المعاصر: أحمد مختار عمر: 141.

³ - ينظر: مقدمة تحقيق السبعة: 26 .

⁴ - ينظر: الاختيار عند القراء: 90 .



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركة القراءة والإقراء ————— د. أمال جعوب

ورغم أن ما قام به ابن مجاهد لم يلق القبول من جهة الحصر عند جميع علماء المسلمين في عصره وفي عصور لاحقة، إلا أنه حرك عملية التأليف في القراءات إما ردًا على صنيع ابن مجاهد أو تأييده وتمت لما صنعه ابن مجاهد بتسبيعه للقراءات، وعليه فقد كان لابن مجاهد من خلال كتابه السبعة أثر كبير في حركة القراءة والإقراء وكذا حركة التصنيف في علم القراءات وسائله في باقي المباحث هذا الأثر ميرزة بذلك جهد ابن مجاهد في كتابه السبعة، والمكانة التي حظي بها هو وكتابه عند علماء المسلمين .

المبحث الثاني: أثر التسبيع في حركة القراءة والإقراء:

أثر تسبيع ابن مجاهد في حركة القراءة بالأمسار الإسلامية كلها ولم يقتصر على منطقة العراق فقط، موطن ابن مجاهد، بل انتشر تسبيع ابن مجاهد و اختياره في جميع الأقطار واعتمد اختياره في أهم الأمسار العلمية فصار لا يقرأ بما وراء السبعة في أغلبها، كما أنه لم يستطع أحد من العلماء مراجعة ابن مجاهد في تقليم هؤلاء السبعة، إذ ارتكاهم جميع العلماء وأجمعوا عليهم، وصاحب تسبيع ابن مجاهد ظهرور عدة مظاهر رافقت عملية التسبيع أو أتت على أثرها وكان لها كبير الأثر في حركة الإقراء سواء في زمان ابن مجاهد أو في عقبه، كظهور عملية اختيار القراء وانتشارها بين المصنفين والمشايخ، وظهور أركان القراءة الصحيحة والعمل بما في الاختيارات، وتقسيم القراءات على أثرها إلى صحيحة وشاذة:

المطلب الأول: ظهور عملية اختيار القراء: بالرغم من أن ابن مجاهد هو أول من دعى لحفظ الاختيار وإيقاف عملية الاختيار التي كثرت وأدت بدورها إلى تعدد الأئمة القراء وكثرة الرواية عنهم بما لا يحصى عددا، إلا أنه لم يتم بحفظ كل الاختيار بل قام بعملية الانتقاء والتمييز لهذه الاختيارات، وهو عمل لم يسبق له أحد من قبل وإن كان أصل انتقاء القراءة و اختيارها هو نهج الأئمة منذ نزول الوحي، وهذا حتى لا يقال أن



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ----- د. أمال جعوب

ما قام به ابن مجاهد هو بدعة من الأمر، إلا أن الجديـد فيما قام به ابن مجاهـد هو انتقاء أئمة دون غيرـهم، وهو عمل سابق ومتفرد في عصره وأدى بدورـه إلى التأثير بشكلـ كبير في حركـتي القراءـة والإقراء¹.

فقد كان السـابقون من العلمـاء والمصنـفـين يقرـعون ويـقـرـئـون لـكل من قـرـءـوا عـلـيـهـمـ، وـلـمـ يـكـنـ عـلـمـاءـ القرـاءـاتـ قدـ تـوـاضـعـواـ حتـىـ عـصـرـ خـلـفـ بنـ هـشـامـ عـلـىـ أئـمـةـ بـأـعـيـاـهـمـ يـحـمـلـونـ عـنـهـمـ وـحـدـهـمـ القرـآنـ، وـظـلـذـلـكـ إـلـىـ أـنـ ظـهـرـ ابنـ مجـاهـدـ، وـقدـ مـضـىـ كـثـيـرـوـنـ يـحـمـلـونـ عـنـ كـلـ قـارـئـ ثـقـةـ قـرـاءـتـهـ يـعـلـمـوـنـاـ النـاسـ فـيـ زـمـنـهـ، وـمـنـ بـعـدـ ثـمـ إـنـهـمـ قدـ يـخـتـارـوـنـ مـنـ مـجـمـوعـ تـلـكـ القرـاءـاتـ قـرـاءـتـهـ تـنـسـبـ لـهـمـ عـلـىـ نـحـوـ مـاـ فـعـلـ الفـرـاءـ²ـ، وـلـمـ يـسـبـقـ لأـحـدـ مـنـهـمـ أـنـ اـخـتـارـ شـيـخـاـ مـنـ قـرـأـهـ وـرـدـ آـخـرـ، وـلـعـلـ هـذـاـ الـأـمـرـ هـوـ الـذـيـ جـعـلـ أـبـوـ عـبـيدـ الـقـاسـمـ بـنـ سـلـامـ يـصـلـ بـالـقـرـاءـاتـ فـيـ كـتـابـهـ إـلـىـ خـمـسـةـ وـعـشـرـينـ قـارـئـاـ، وـتـوـسـعـ فـيـهـاـ بـعـضـ الـقـرـاءـ فـيـمـاـ بـعـدـ حـتـىـ وـصـلـ بـهاـ إـلـىـ نـحـوـ خـمـسـيـنـ قـرـاءـ³ـ.

فيـكونـ ابنـ مجـاهـدـ باـخـتـيـارـهـ هـؤـلـاءـ أـئـمـةـ الـقـرـاءـ قـدـ"ـ قـاـبـلـ بـيـنـ الـقـرـاءـاتـ الـكـثـيـرـةـ الـتـيـ شـاعـتـ فـيـ الـعـالـمـ إـلـاسـلـامـيـ وـاستـخـلـصـ مـنـهـاـ لـلـنـاسـ قـرـاءـاتـ يـحـمـلـوـنـهـمـ عـلـيـهـاـ حتـىـ لاـ يـتـفـاقـمـ أـمـرـ الـاخـتـيـارـ وـيـلـتـبـسـ الـحـقـ بـالـبـاطـلـ وـتـصـبـحـ قـرـاءـةـ الـقـرـآنـ فـوـضـيـ، لـكـلـ أـنـ يـقـرـأـ حـسـبـ

¹ - ذـكـرـ مـكـيـ فيـ كـتـابـهـ إـلـإـبـانـةـ أـنـهـ قـدـ سـبـقـ ابنـ مجـاهـدـ فـيـ فـكـرـةـ تـحـدـيدـ الـقـرـاءـاتـ الـإـلـامـ أـمـدـ بـنـ جـبـيرـ الـكـوـفـيـ الـأـنـطـاـكـيـ الـذـيـ أـلـفـ كـتـابـ فـيـ قـرـاءـاتـ الـخـمـسـةـ، أـخـذـ مـنـ كـلـ مـصـرـ قـارـئـاـ، ثـمـ مـنـ بـعـدـ أـبـوـ بـكـرـ الدـاجـوـنـيـ أـلـفـ كـتـابـ الشـمـانـيـ وـزـادـ عـلـىـ هـؤـلـاءـ السـبـعـةـ قـرـاءـةـ الـإـلـامـ يـعـقـوبـ الـحـضـرـمـيـ وـهـوـ مـنـ الـقـرـاءـ الـعـشـرـةـ .ـ يـنـظـرـ:ـ إـلـإـبـانـةـ:ـ 90-91ـ .ـ

² - كـانـ لـهـ اـخـتـيـارـ فـيـ الـقـرـاءـةـ أـسـاسـهـ الـلـغـةـ وـالـنـحـوـ .ـ

³ - يـنـظـرـ:ـ مـقـدـمـةـ تـحـقـيقـ السـبـعـةـ:ـ 10-12ـ .ـ



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ----- د. أمال جعوب

معرفته، بدون بصر تام بوجوه القراءات وبدون تمييز بين المتواتر المشهور منها وغير المتواتر¹.

وعليه فقد انتقل ابن مجاهد بالقراءة والإقراء إلى منحى آخر وهو القراءة لأئمة معينين، أو الانتقال من مرحلة الاختيار بمعناه الاصطلاحي إلى مرحلة اختيار اختيارات بعضها وهي قراءة الأئمة السبعة².

المطلب الثاني: إعمال شروط القراءة الصحيحة: إذ لم يكن اختياره لهؤلاء السبعة إلا بعد تمحیص بين القراءات والروايات وتدقیق في حال القراء وكذا دراسة وموازنة بين كثير من الأوجه والروايات، واختياره لهم جاء لكونهم المقدمون عنده ولتوفر شروط اجتمعت عنده في القراءة والقارئ على السواء، فاما شروط القراءة فيقصد بها الشروط الثلاثة المشهورة، وهي التواتر وموافقة رسم المصحف ولو احتمالا، وموافقة اللغة العربية ولو بوجهه، وقد يقول القائل: هل معنى ذلك أن ابن مجاهد هو أول من وضع هذه الشروط؟ أو هل هو أول من أعمل هذه الشروط؟ والجواب عن ذلك أن ابن مجاهد هو أول من وفق في العمل بهذه الشروط وحق أوضح هذه المسألة سأجيب عن كل سؤال على حدة:

الأول: هل ابن مجاهد هو أول من وضع هذه الشروط؟ وقع الخلاف عند الباحثين في ذلك، فيرى الدكتور شوقي ضيف هذا القول³، ويعده من حسنات ابن مجاهد ومن فضائله على الأمة فيقول: "وهدى المؤمنين لابن مجاهد من ابن مقسم العطار

¹ - ينظر: مقدمة تحقيق السبعة: 12 .

² - ينظر الاختيار عند القراء: 90 .

³ - وبه كذلك يقول الدكتور نبيل بن محمد آل إسماعيل، فقال: "أول من تكلم في ضوابط القراءات المقبولة حسب علمي ابن مجاهد". ينظر: علم القراءات نشأته وأطواره ...: 36 .



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركي القراءة والإقراء ----- د. أمال جعبوب

وابن شَبَّوْذ يكون قد وضع أصلين أساسين في قبول القراءات: الأصل الأول أن تكون مطابقة لخط المصحف العثماني، والأصل الثاني أن تكون صحيحة السندي حملها رواة موثقون حتى زمن القارئ، وسنراه (أي ابن مجاهد) في كتابه السبعة يرد بعض القراءات المروية لأنها لا تتوافق العربية، وبذلك يكون قد وضع الأصل الثالث لقبول أي قراءة، وهو موافقتها للعربية ولو بوجه أي وجه¹.

والصحيح أن ابن مجاهد قد ذكر هذه الشروط في مقدمة كتابه السبعة لكنه ليس على أنها شروط أو أركان لا تصح القراءة بغيرها، ولكن ذكرها بجملة في معرض وصفه لأصناف القراء الذين لا تقبل قراءتهم، فقال: "فمنهم من ينسى فيضيع السماع والرواية وتشتبه عليه الحروف لنقص معرفته بالقراءة ومنهم من يعتمد على معرفته بالإعراب ولغات العرب ولا علم له بالقراءات فربما أداه بصره باللغة والتحو إلى أن يقرأ بحرف جائز في العربية ولم يقرأ به قارئ من الماضين"².

وقال كذلك في وصف القراءة الصحيحة: "والقراءة التي عليها الناس في المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هي القراءة التي تلقوها عن أو لهم تلقيا، وقام بها في كل مصر من الأمصار رجل من أخذ عن التابعين أجمعـت الخاصة والعامة على قراءته وسلكوا فيها طريقـه، وتمسـكوا بمذهـبه على ما روـي عن عمر بن الخطـاب وزـيد بن ثـابت...".³

أما الدكتور إبراهيم الدوسري فيرى أن أبا عبيـد القاسم بن سـلام هو أول من

¹ - ينظر: مقدمة تحقيق السبعة: 17 .

² - ينظر: السبعة: 45 - 49 .

³ - السبعة: 49 .



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ————— د. أمال جعوب

صرح بهذه الأركان¹، واعتمد في ذلك على نص نقله ابن الأنباري² عن أبي عبيد في الوقف على كلمة **+ يَتَسَّنَّهُ** بالبقرة [259]، وجاء فيه: "وقال أبو عبيد القاسم بن سلام الأسدى: الاختيار عندي في هذا الباب كله الوقف عليها بالباء بالتعمد لذلك، لأنما إن أدمجت في القراءة مع إثبات الماء كان خروجا من كلام العرب، وإن حذفت في الوصل كان خلاف الكتاب، فإذا صار قارئها إلى السكت عندها على ثبوت الماءات اجتمعت له المعاني الثلاثة، من أن يكون مصيبا في العربية وموافقة للخط وغير خارج من قراءة القراء"³.

وعلى هذا يكون وضع هذه الشروط واعتمادها كضابط كان متزامنا مع بداية التدوين في القراءات، وقد صرخ ابن حرير الطبرى من بعد أبي عبيد بركتين اثنين كما نقله عنه مكي وهما صحة السنيد وموافقة خط المصحف⁴، ثم جاء من بعده ونصوا على الأركان الثلاثة ومنهم ابن خالويه والمهدوى ومكي وأبو شامة وغيرهم⁵.

¹ - ينظر: بحث: المنهاج في الحكم على القراءات: إبراهيم بن سعيد الدوسري: ص: 6، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

² - هو: أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة الأنباري: ولد سنة 271هـ، من أعلم أهل زمانه بالأداب واللغة، قيل كان يحفظ ثلاثة ألف شاهد في القراءان، ولد في الأنبار وتوفي ببغداد، من كتبه شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، وإيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، توفي سنة 328هـ. ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 15 / 275 - 279، ووفيات الأعيان: 1 / 503، والأعلام: 6 / 334.

³ - إيضاح الوقف والابتداء: أبو بكر محمد بن الأنباري: 1 / 311.

⁴ - ينظر: الإبانة: 10 .

⁵ - ينظر: النشر: 9 / 1 وعلم القراءات: نبيل آل إسماعيل: 36 . وقيل إن أول من صرخ بها المفسر الكبير موفق الدين أحمد بن يوسف الكواشى الذى ذكرها فى كتابه التبصرة فى التفسير فقال: " وكل



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ————— د. أمال جعوب

الثاني: هل ابن مجاهد هو أول من أعمل هذه الشروط؟ والجواب عنه، هو أن هذه الشروط الثلاثة قد تأخر وضعها كشروط وكضابط لقبول القراءات مع تأخر التدوين في القراءات، لكن العمل بها كان قديماً منذ نزول الوحي، وما قام به المصنفوون عند اعتمادهم لها كضوابط إنما هو عملية استقراء لما كان عليه نهج السابقين من الصحابة والتابعين والأئمة القراء في اختيارهم للقراءات.

فأما شرط التواتر أو صحة السند، فيرجع تاريخه إلى احتكام الصحابة للنبي ن عند اختلافهم في القراءات، وقد كان ن يوجه الصحابة إلى أن يقرءوا كما علموا، وعلى هذا النهج جمع أبو بكر الصحائف فكان لا يثبت بين اللوحين إلا ما ثبت سماعه عن النبي ن وتلقى عنه، وكان عمر بن الخطاب يقول: "من كان تلقى من رسول الله شيئاً من القراءان فليأتنا به¹" وعليه فالتلقي كان شرطاً معتبراً في القراءان الكريم وقراءاته منذ نزول الوحي.

وأما شرط موافقة المصحف فقد ظهر العمل به مع جمع عثمان بن عفان للمصحف وإجماع الصحابة عليه وحرقه غيره من المصاحف وإلزام الناس بالقراءة والإقراء بما يوافقه.

ما صح سنته، واستقام وجهه في العربية وافق لفظ المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوص عليهما ولو رواه سبعون ألفاً مجتمعين أو متفرقين، فعلى هذا الأصل بين قبول القراءات عن سبعة كانوا، أو عن سبعة آلاف، ومني فقد واحد من هذه الثلاثة المذكورة في القراءة، فاحكم بأنها شاذة". النشر:

..44/1

¹ - المصاحف: ابن أبي داود: 17 .



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ----- د. أمال جعوب

وأما موافقة اللغة العربية، فعلى الرغم من كونه شرطاً تكميلياً، إلا أن من الباحثين من يعده نشأً مع نزول القرآن بلسان عربي مبين¹.

ما سبق خلص إلى أن ابن مجاهد قد أعمل شروط القراءة الصحيحة لدى اختياره للقراء السبعة، وإن لم يكن هو أول من وضعها، لكنه سار على نهج السابقين من حيث العمل بهذه الأركان، ولعل ما يحسب لابن مجاهد مقارنة بغيره من المصنفين قبله هو توفيقه في عملية إعمال شروط القراءة الصحيحة، والتي اشتغل اختياره للأئمة القراء السبعة، فلم ينكر أحد من السابقين أو اللاحقين اجتماع الأركان الثلاثة في القراء السبعة دون من سواهم، إذ أجمع العلماء على تواترها، وهذا الأمر لم يتحقق لغيره من المصنفين قبله، يقول الدكتور شوقي ضيف: "والملهم أن أحداً لم يستطع أن يراجع ابن مجاهد فيما رأى تقادمه على القراء من هؤلاء السبعة، فقد ارتضوهم جميعاً، ومنع ذلك أفهم ارتضوا اجتهاده في تقادمه²".

ولعل هذا الأمر مرده أن ابن مجاهد لم يختار القراء السبعة نافعاً وابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وابن عامر وأبا عمرو إلا بعد اجتهاد طويل ومراجعة متأنية في السنوات الطوال غير مدخل جهداً ولا قوة، متكلفاً للأئمة ما تنوع به العصبة القوية من العمل المرهق العسير، حتى استطاع أن يستخلص للناس تلك القراءات الوثيقة³.

¹ - ينظر ما تقدم في بحث : المنهاج في الحكم على القراءات: 5-6 .

² - مقدمة تحقيق كتاب السبعة: 20 .

³ - مقدمة تحقيق كتاب السبعة: 21 .



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ————— د. أمال جعبوب

فيكتفي ابن مجاهد فخراً "أنه استطاع أن يستخلص للأمة سبع قراءات متواترة لقرآها العظيم من خلال أكdas من الآثار والروايات والقراءات، وكأنما اختارته العناية الإلهية ليحمل أعباء هذه المهمة الخطيرة"¹.

المطلب الثالث: وسم القراءات الأخرى بالشذوذ: لم يكتف ابن مجاهد باختياره للقراءات الصحيحة، بل وصف ما عداها بالشاذة، وهو الأمر الذي لم يسبقه إليه أحد، حتى إنه عُد المؤسس لعلم شواد القراءات، فقد ألف في هذه القراءات كتاباً سماه الشواد، هذا الكتاب الذي يعد الأساس الأول لكتاب المحتسب لابن جيني، إذ بني على ما ذكره ابن مجاهد في كتابه الشواد.

قال ابن جيني: "وأنا بإذن الله بادئ بكتاب أذكر فيه أحوال ما شد عن السبعة، على أنها نحى فيه على كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد رحمه الله، الذي وضعه لذكر الشواد من القراءة"².

وبذلك يكون ابن مجاهد قد وضع تعريفاً جديداً للشذوذ خلاف المعنى الذي كان متعارفاً عليه وهو مخالفتها لرسم المصحف، يقول الدكتور غانم قدورى عن مفهوم الشذوذ لدى ابن مجاهد: "لكن ابن مجاهد حين أَلْفَ كتاب (السبعة في القراءات) وضمنه القراءات الصحيحة المشهورة قد أَوْحَى بمعنى جديدة للقراءة الشاذة وهو أن كل ما عدا القراءات السبعة شاذ".³

وقد أدى عمل ابن مجاهد هذا إلى رد كثير من القراءات المشهورة بين الناس في ذلك الزمن، كيف لا وهو الذي قلص القراءات من ذلك العدد الكبير والمائل الذي

¹ - مقدمة تحقيق كتاب السبعة: 26 .

² - المحتسب: عثمان أبو الفتاح ابن جيني: 35-34/1 .

³ - محاضرات في علوم القراءان: 1/ 146 .



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ————— د. أمال جعوب

لا يحصى، وحصرها في سبعة ورد ما عداها، هذا الأمر الذي لم يقبله كثير من العلماء إن في عصر ابن مجاهد أو في عصور لاحقة وفتح الباب على مصراعيه للرد عليه، بل واتهامه بإهانة الكثير من القراءات الصحيحة في زمانه .

ودافع بعض العلماء والدارسين عن موقف ابن مجاهد، وعدوا صنيعه هذا بمثابة إعادة ترتيب للقراءات من حيث درجة الصحة، فليست كل القراءات على نفس الدرجة من الصحة وعلو السند، بل إن منهم من تأول معنى الشذوذ عند ابن مجاهد وقال بأنه لا يعني رد القراءة وإنما المراد أنها دون القراءات السبع في الشهرة¹، ومن قال هذا الرأي ابن جيني الذي عرف الشذوذ عنده وعند ابن مجاهد والذي لا يعني الضعف فيقول أن القراءات ضربان: "ضرب اجتمع عليه أكثر قراء الأنصار وهو ما أودعه أبو بكر بن مجاهد - رحمه الله - في كتابه الموسوم بقراءات السبعة... وضرب تعدى ذلك فسماه أهل زماننا شاداً أي خارجاً عن قراءة القراء السبعة... إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه"².

وهذا الكلام وإن كان صحيحاً من حيث كون المعتبر هو الشهرة إلا أنه يتعارض مع قول ابن مجاهد في كتابه السبعة الذي يفهم منه رد القراءة بما سوى القراءات السبعة التي أثبتها، وإن كان صادراً عن أحد الأئمة السبعة، فيقول: "فهؤلاء سبعة نفر من أهل

¹ - يقول الدكتور شوقي ضيف: "وهو لا يقصد أنها شادة لا تصح القراءة بها، إنما يقصد أنها تأتي وراء السبعة في عدد من يقررون بها في الأنصار". ينظر: ينظر مقدمة تحقيق السبعة: 20 .

وهذا الكلام خلاف ما ذكره ابن جيني في المحتسب الذي صرخ بعدم صحة الصلاة بها فقال: "إلا أنا وإن لم نقرأ به في التلاوة مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتبع في القراءة كل جائز روایة ودرایة، فإننا نعتقد قوّة هذا المسمى شاداً، وأنه ما أمر الله تعالى بتقبيله وأراد منا العمل بوجهه .." المحتسب: 33/1 .

² - المحتسب: 32 /1 .



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ----- د. أمال جعوب

الحجاز والعراق والشام، خلفوا في القراءة التابعين، وأجمعوا على قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سميت وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار، إلا أن يستحسن رجل لنفسه حرفا شاذًا، فيقرأ به، من الحروف التي رویت عن بعض الأوائل منفردة، فذلك غير داخل في قراءة العوام ولا ينبغي لذى لب أن يتجاوز ما مضت عليه الأئمة والسلف بوجه يراه جائزًا في العربية، أو مما قرأ به قارئ غير مجمع عليه¹.

فقد رد ابن مجاهد رحمه الله تعالى ما انفرد بالقراءة به الأئمة السبعة إن لم يكن مشهورا عند العوام، ذلك أنه قد يرد عن الأئمة السبعة الذين تلقت العامة قراءتهم بالقبول، حروفاً مفردة لم يقبلها العلماء، وهي خارجة عن قراءة العامة التي أقرأ بها الإمام منهم، لذا لا يعد كل ما روی عنهم في درجة واحدة من القبول بل ما كان معروفا بالنقل من الطرق المعتبرة عند أهل الشأن، وعلى هذا فإن الحكم بقبول قراءة السبعة هو فيما اختاروه وأقرعوا به العامة وانتشر دون تلك الأفراد التي لا يخلو منها إمام منهم².

والذي يظهر من كلام ابن مجاهد أن أساسه في اختياره هؤلاء السبعة دون غيرهم من الأئمة القراء هو اشتهر القراءة في الأمصار الخمسة التي بعثت إليها المصاحف وكذا في غيرها من الأمصار، هذا بالإضافة إلى شروط الصحة الثلاثة، ويتجلّى ذلك من خلال قوله: "وأجمعوا على قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سميت وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار"، وقال كذلك في موضع آخر: "والقراءة التي عليها الناس في المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هي القراءة التي تلقواها عن أو

¹ - السبعة: 87.

² - ينظر: بحث: هل أنكر ابن حزير قراءة متواترة أو ردّها: مساعد الطيار: مركز تفسير للدراسات القراءانية: 2003/10/22م، <http://vb.tafsir.net/tafsir991/#.V3Dyi9leSko>



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ----- د. أمال جعوب

لهم تلقيا، وقام بها في كل مصر من الأمصار رجل من أخذ عن التابعين أجمعوا الخاصة والعامة على قراءته وسلكوا فيها طريقه¹.

والتبس معنى العامة عند بعض الباحثين ففهم أن المراد به عامة الناس أو ما اصطلاح عليه بـ "الرأي العام" و "حدس الجماهير"²، بينما المراد بذلك عامة القراء والعلماء المشغليين بالإقراء، يقول مكي بن أبي طالب القيسي في معنى اجتماع العامة عليه: "والعامة عندهم ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة، فذلك عندهم حجة قوية توجب الاختيار، وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين، وربما جعلوا الاختيار ما اتفق عليه نافع وعاصم، فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات وأصحها سندًا وأفصحها في العربية، ويتلوها في الفصاحة خاصة قراءة أبي عمرو والكسائي رحمهم الله".³

¹ . السبعة: 49.

² . ذكر صري الأشوح في كتابه إعجاز القراءات القرءانية ما سماه بعقرية التناغم بين ابن مجاهد واتجاهات الرأي العام فقال: "بعد أن استوعب ابن مجاهد تراث القراءات كاملا... لم يبق أمامه سوى أن يعبر على ضالته المنشودة وهي القراءات التي تجتمع فيها تلك الأركان الثلاثة أكثر من غيرها، وفوجئ ساعتها بأنها القراءات التي التفت حولها الناس حين انفضوا عن غيرها.... من هنا حدث التناغم العقربي بين تفكير ابن مجاهد وبين تفكير العوام الذي نسميه "تجاه الرأي العام"، فابصر ما لم يبصره غيره، فالتناظر القراءات السبعة من الخمسين بصفتها أنها كانت الأكثر شيوعاً وشهرة بين الناس والعوام، وأنها هي التي التفت الناس حولها بفطرتهم التي فطرهم الله عليها، فالمعنى "حدس الجماهير" بـ "درس العلماء" على كلمة سواء كتب لها الخلد". ينظر: إعجاز القراءات القرءانية: صري الأشوح:

. 68-69.

³ . الإبانة: 89.



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركة القراءة والإقراء ————— د. أمال جعوب

ويقول الإمام الداني: "...و يتضمن من الروايات والطرق ما اشتهر وانتشر عند التالين، وصح وثبت عند المتصدرین من الأئمة المتقدمین"¹.

وعليه فإن معنى الشذوذ عند ابن مجاهد لم يكن هو الخروج على رسم المصحف، ولكن قصد به ما وراء القراءات السبعة، أما عن سبب شذوذهم فلم تكن الرواية أو رسم المصحف وإنما عدم اشتهر القراءة في الأمصار كما هو الحال في قراءة الأئمة السبعة والله أعلم.

ومما يدل على ذلك أيضا هو استشهاده بقراءات غير القراء السبعة في كتابه السبعة كقراءة أبي جعفر المدري وشيبة بن ناصح وغيرهما².

المبحث الثالث: أثر التسبيع في حركة التدوين في علم القراءات:

إن اختيار ابن مجاهد للقراء السبعة من مجموعة القراءات المنتشرة في زمنه، هو بمثابة المحرك الذي دفع عجلة التأليف في علم القراءات، ذلك أن ابن مجاهد باختياره للقراء السبعة قد رد غيرهم من الأئمة القراء، وحصر القراءات التي كانت لا تختص عددا ولا تنحصر كثرة بالعدد سبعة، هذا العدد الذي شكل لوحده مثار إشكال لدى عامة الناس وكذا خواصتهم، فانقسم الناس في زمنه ولأزمنة لاحقة إلى فريقين، فريق مؤيد لعمل ابن مجاهد، وفريق معارض له، هذا الانقسام الذي أثر بدوره على طبيعة المؤلفات بعد ابن مجاهد، حيث انقسمت بدورها إلى مؤلفات سارت على تسبيع ابن مجاهد ومؤلفات قصد مؤلفوها مخالفة ابن مجاهد في تسبيعه، فعشروا وثنتوا وخمسوا القراءات .

¹ - مقدمة التيسير: 2 .

² - ينظر مقدمة السبعة: ص: 22، 28، 29 .



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركة القراءة والإقراء ————— د. أمال جعوب

وسأفصل فيما يلي أهم ردود العلماء على تسبيعه، لأبين من خلالها أثر تسبيع ابن مجاهد في حركة التصنيف في علم القراءات .

المطلب الأول: ردود العلماء على تسبيع ابن مجاهد:

اختلت ردود العلماء على تسبيع ابن مجاهد، وانقسموا على إثر ذلك إلى فريقين، فريق رفض للتسبيع، وفريق مؤيد له وسائل على نجحه في التسبيع، لكنهم أجمعوا كلهم على القراء السبعة، واتفقوا على أن اختيار ابن مجاهد لهؤلاء السبعة لا اعتراض عليه، يقول مكي: "وأول من اقتصر على هؤلاء أبو بكر بن مجاهد وتابعه على ذلك من أتى بعده إلى الآن، ولم تترك القراءة بقراءة غيرهم، و اختيار من بعدهم إلى الآن"¹.

وقد أعرض على ابن مجاهد في تسبيعه من عدة جوانب منها:

أ— أن العدد سبعة أشكال على الناس في فهم أن القراءات السبعة هي نفسها الأحرف السبعة: فقد ألقى بعض العلماء اللوم على ابن مجاهد في اختياره سبع قراءات لأن ذلك أشبه على العوام، فظنوا أن الأحرف السبعة المذكورة في الحديث هي قراءة هؤلاء السبعة الذين اختارهم، وفي ذلك يقول الجعري:

أغفل ذوا التسبيع منهم قصده
فرزل به الجم الغفير فجهلا
وناقضه فيه ولو صح لاقتدى
وكم حاذق قال المسبع أحطلا²

ويقول المهدوي: "ولقد فعل مسبع هؤلاء ما لا ينبغي له أن يفعله وأشكال على العامة حتى جهلو ما لا يسعهم جهله وأوهم كل من قل نظره أن هذه هي المذكورة في

¹ - الإبانة : 87 .

² - من قصيده نهج الدّماثة، ويقول الجعري في شرح كلامه: أي أتى ابن مجاهد بأمر مشكل حيث لم يصرح بقصده فغلط أكثر الناس فنسبوا إلى الجهل ". ينظر: خلاصة الأبحاث في شرح نهج القراءات الثلاثة: أبو إسحاق إبراهيم الجعري: 44- 45 .



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ----- د. أمال جعوب

الخبر النبوي لا غير وأكدهم السابقون اللاتي قالوا: وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة¹.

ويقول مكي: "فأما من ظن أن قراءة كل واحد من هؤلاء القراء، كنافع وعاصم وأبى عمرو، أحد الحروف السبعة التي نص النبي ن عليهما، فذلك منه غلط عظيم؛ لأن فيه إبطالاً أن يكون ترك العمل بشيء من الأحرف السبعة، وأن يكون عثمان ما أفاد فائدة بما صنع من حمل الناس على مصحف واحد وحرف واحد²".

ويقول الدكتور شوقي ضيف مدافعاً عن ابن مجاهد: "أما أن بعض العامة سبق إلى أذهانهم أن ابن مجاهد اعتقاده أن قراءات هؤلاء السبعة هي الحروف السبعة الواردة في الحديث فهو ليس مسؤولاً عن خطأ غيره أو وهمه، ولو ظن ذلك لأبطل القراءات الأخرى وهو لم يبطلها³".

ويقول الدكتور أيمن رشدي السويد: "وعذر الإمام ابن مجاهد في ذلك الرواية، إذ أن الذي تيسر له ووصل إليه من القراءات هو ما رواه عن هؤلاء الأئمة السبعة، وأما ظن العوام وجهلهم فلا يؤاخذ به العلماء، وهل يؤاخذ ابن مجاهد بما سيظنه من بعده بعض جهلة العوام؟ وكيف يظن ظانٌ له أدنى مُسْكَناً من عقل أن النبي ن قصد بقوله: "أنزل القراءان على سبعة أحرف" قراءة سبعة رجال بعينهم قبل أن يختلفوا بنحو مائة سنة أو

¹ - منجد المقرئين: 214 .

² - إِبَانَة: 36 .

³ - مقدمة تحقيق السبعة: 20 .

د. أمال جعوب **أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء**

أكثـر، ودون أن يسمـيـهمـنـ، لا شـاكـ أنـ هـذـاـ جـهـلـ عـظـيمـ، وـمـعـتـقـدـ هـذـاـ فيـ غـاـيـةـ الجـهـلـ،
وـسـوـءـ الفـهـمـ، ولا يـرـاعـيـ مـثـلـهـ ولا يـؤـبـهـ لـهـ¹ـ.

المشهورة في زمن ابن مجاهد: فقد كانت القراءات حتى عصره لا تختص كثرة ولا عددًا يقول مكى: "ثم إن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد، كثيراً في الاختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصرُوا من القراءات التي تتوافق المصحف على ما يسهل حفظه، وتنضبط القراءة به²".

وما زاد الأمر إشكالاً أن ابن مجاهد رحمة الله تعالى صرخ في مقدمة كتابه أن اختياره لهؤلاء القراء السبعة، لأنها القراءة التي عليها الناس في الأمصار الخمسة، يقول ابن مجاهد: "وحملة القراءان متفضلون في حمله، ولنقلة الحروف منازل في نقل حروفه، وأنا ذاكر منازلهم، ودار على الأئمة منهم، ومحير عن القراءة التي عليها الناس بالحجاز وال العراق والشام"³.

وردَّ غير واحدٍ من العلماء على ابنِ مجاهد قولهُ هذَا، إذْ أَنَّ كلامَه يوْهِمُ أَنَّهُ لَمْ
يَجْتَمِعُ أَرْكَانُ القراءَةِ الصَّحِيحَةِ إِلَّا فِي هَذِهِ القراءَاتِ السَّبْعَةِ، وَأَنَّهَا القراءَاتُ الَّتِي اجْتَمَعَ
عَلَيْهَا الْعَامُ وَالخَاصُّ فِي الْأَمْصَارِ الْخَمْسَةِ وَفِي غَيْرِهَا، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابنُ الْجَزْرِيُّ: "غَيرُ
أَنَّهُ رَحْمَهُ اللَّهُ ادْعَى مَا لَيْسَ عَنْهُ بِأَنَّهُ فَأَخْطَأَ بِسَبِّ ذَلِكَ النَّاسَ لِأَنَّهُ قَالَ فِي دِبِياجَةِ كِتَابِهِ:
"وَمُخَبِّرٌ عَنِ القراءَاتِ الَّتِي عَلَيْهَا النَّاسُ بِالْحِجَازِ وَالْعَرَاقِ وَالشَّامِ"، وَلَيْسَ كَذَلِكَ بِلِ تَرْكِ

^١ - مقدمة تحقيق التذكرة في القراءات الشمان: أبو الحسن طاهر ابن غلبون: ت: أين رشدي السويد: . 19/1

الإجابة: 86

• 3

السبعة: 45 .



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء —————— د. أمال جعوب

كثيراً ما كان عليه الناس في هذه الأمصار في زمانه كان الخلق إذ ذاك يقرءون بقراءة أبي جعفر وشيبة وابن محبصن والأعرج والأعمش والحسن وأبي الرجاء وعطاء ومسلم بن حنبل ويعقوب وعاصم الجحدري وغيرهم من الأئمة، وقد تقدم ذكر الذين كانوا يقرءون زمن مشيخته بقراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف نحو حسين شيخاً، فكيف يقول: إنه مخبير عن القراءات التي عليها الناس بهذه الأمصار¹.

ويقول مكي: "وقد ذكر الناس في كتبهم أكثر من سبعين من هو أعلى رتبة وأجل قدراً من هؤلاء السبعة"².

ويقول مصححاً ما كان ينبغي لابن مجاهد فعله، فقال: "وهذا باب واسع وإنما الأصل الذي يعتمد عليه في هذا: أن ما صح سنده، واستقام وجهه في العربية، ووافق لفظه خط المصحف فهو من السبعة المنصوص عليها، ولو رواه سبعون ألفاً مفترقين أو مجتمعين فهذا هو الأصل الذي بين عليه من قبول القراءات عن سبعة أو سبعة آلاف فاعرفه وابن عليه"³.

ت- واعتراض كذلك على ابن مجاهد من جهة الأئمة القراء المختارين: فبعض العلماء يرى أن هناك من الأئمة من لم يذكرهم ابن مجاهد كانوا مقدمين على من ذكرهم، وانتشرت قراءتهم بين الناس في زمن ابن مجاهد، فيقول مكي: "ولم ترك القراءة بقراءة غيرهم، و اختيار من أتى بهم إلى الآن، فهذه قراءة يعقوب الحضرمي غير متروكة، وكذلك قراءة عاصم الجحدري، وقراءة أبي جعفر، وشيبة إمامي نافع، وكذلك

¹ - منجد المقرئين: 215-216.

² - الإبانة: 36-37.

³ - الإبانة: 90-91.



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ----- د. أمال جعوب

اختيار أبي حاتم، وأبي عبيد، و اختيار المفضل، و اختيارات لغير هؤلاء الناس، على القراء بذلك في كل الأمصار من الشرق¹.

ويقول ابن الجزري: "بل ترك كثيراً مما كان عليه الناس في هذه الأمصار في زمانه كان الخلق إذ ذاك يقرؤون بقراءة أبي جعفر وشيبة وابن محيصن والأعرج والأعمش والحسن وأبي الرجاء وعطاء ومسلم بن جندب ويعقوب وعاصم الحدرري وغيرهم من الأئمة"².

ومن اعترض على ابن مجاهد كذلك، الإمام أبو علي الأهوازي الذي لم ير إخراج يعقوب الحضرمي من القراء السبعة وجعل الإمام الكسائي مكانه، وكذا الحال بالنسبة لأبي جعفر المد니، وقد رد ابن الجزري على هذا القول بأن السبب في ذلك هو الرواية فقال: "وقد قال أبو علي الأهوازي، وغيره: هو الذي أخرج يعقوب من السبعة وجعل مكانه الكسائي؟ قيل: لأن يعقوب لم يقع إسناده له إلا نازلاً، وأما جعفر فلم تقع له روایته، وإلا فهو قد ذكر لأبي جعفر في كتابه السبعة من المناقب ما لم يذكره لغيره³".
وغير هؤلاء العلماء كثير من ردوا صنيع ابن مجاهد في التسبيع، الأمر الذي دفعهم للتأليف في القراءات التي لم يذكرها ابن مجاهد فزادوا على السبعة وأنقصوا، محاولين بذلك إدراك غيرها من القراءات التي لم يذكرها ابن مجاهد من الزوال، وكذا رد فكرة التسبيع التي سيطرت على العوام، وصار الذي يقرأ بغير السبعة كمن قرأ بما لم يتل.

المطلب الثاني: أثر التسبيع في المصنفات في القراءات:

¹ - الإبانة: 87-89.

² - منجد المقرئين: 216.

³ - منجد المقرئين: 216.



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ----- د. أمال جعوب

لقد أثر تسبيع ابن مجاهد تأثيراً كبيراً في حركة التأليف في القراءات، حيث انبرى العلماء والأئمة القراء في التأليف والتصنيف في القراءات، محاولين بذلك الرد على ابن مجاهد وصنعيه في السبعة، يقول الإمام الرازى واصفاً حال العلماء والمصنفين بعد التسبيع: "فَلِمَا سَعَ — أَيُّ ابْنِ مجَاهِد — الْأَئِمَّةُ الْخَمْسَةُ بِحُمْزَةٍ وَعَلَى وَقْعِ مَا تَقْدِيمُ فِي هَذَا الْفَصْلِ مِن الشَّبَهَةِ مَا بَيْنَ الْعَوَامِ، فَتَوَهُمُ بَعْضُهُمُ أَنَّ الْأَحْرَفَ السَّبْعَةَ مَا اخْتَارَهُ مِنَ الْحُرُوفِ هُؤُلَاءِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ جَمَعُوهُمْ ابْنُ مجَاهِدٍ فِي كِتَابِهِ، فَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْمُؤْلِفِينَ، إِلَى أَنْ رَأَى أُولُوا الْبَصَائِرَ أَنَّ يُزِيدُوا عَلَى الْأَنْفُسِ السَّبْعَةِ مِنَ الْمُخْتَارِينَ لِإِزْالَةِ تِلْكَ الشَّبَهَةِ عَنِ الْقُلُوبِ الْعَوَامِ، وَلَمْ يُزِيدُوا مِنَ الْأَئِمَّةِ السَّبْعَةِ إِلَى الْأَئِمَّةِ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْأَصْلِ لِأَنَّ ذَلِكَ تَحْمِلُهُ لَحْمَزَةٌ وَعَلَى بَعْدِ أَنْ أَلْحَقُهُمَا ابْنُ مجَاهِدٍ وَمِنْ أَلْفِ بَعْدِ الْخَمْسَةِ، فَلِمَا لَمْ يُمْكِنْهُمْ ذَلِكَ وَرَأُوا أَنَّ الْعَوَامَ قَدْ يَنْكِرُونَ مَا جَاوزَ اخْتِيَاراتَ السَّبْعَةِ زَادُوا فِي الْعَدْدِ عَلَى مَا نَجَدُهُ مِنَ الشَّمَانِيَّةِ فَصَاعِدًا¹".

وأنقسم المصنفوون بعد ابن مجاهد إلى فريقين، فريق سار على تسبيع ابن مجاهد وأقره، وفريق خالف ابن مجاهد في التسبيع، فخمسوا وثنتوا وعشرون القراءات، ليتغلل بذلك التدوين في علم القراءات إلى مرحلة جديدة مغايرة لسابقتها، وهي مرحلة ما بعد ابن مجاهد، فإن كان التدوين في القراءات مقتصرًا على جمع اختيارات الأئمة القراء دون حصر ولا تحديد بعدد معين، فقد انتقل التدوين مع ابن مجاهد إلى مرحلة التمحیص والتدقيق في هذه الاختيارات .

وعليه فقد عد ابن مجاهد رائد مرحلة جديدة من المصنفات في علم القراءات، وهي ما يعرف بالمصنفات الحمراء في علم القراءات، في مقابل المصنفات المرسلة، إذ كان التدوين قبل ابن مجاهد يعتمد في منهجه ومادته على جمع القراءات من الطرق والروايات

¹ - منجد المقرئين: 221 .



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ————— د. أمال جعوب

المقروء بما دون التقيد بقيد أو شرط وقد اكتفى أصحابها بمجرد النقل لما وصل إليهم وسلكوا في ذلك سبيل الرواية المحردة، حيث يكتفي المصنف بإيراد ما وقع في روايته من القراءات دون اشتراط الصحة والشهرة أو أي قيد آخر مختلف أو مشابه، وما تجدر ملاحظته أن هذه الكتب اشتملت على جملة من القراءات الصحيحة أيضاً مع اشتمالها على جملة من القراءات الشاذة والباطلة أحياناً¹.

أما ابن مجاهد فانتقل بالتصنيف إلى مرحلة التحرير في الطرق والروايات، فاقتصر على سبعة، وهو ما يعرف بالمصنفات المحررة، وهي الكتب التي يعتمد أصحابها على الأشهر المتلقى بالقبول عند الناس، وأول كتاب ألف في هذا النوع هو كتاب السبعة لابن مجاهد².

كما ظهرت مع ابن مجاهد فكرة العدد، والتي أثرت تأثيراً واضحاً في حركة التصنيف في علم القراءات، وصار لا يخلو مصنف في القراءات إلا وقد تزين بعدد معين من القراء، سواء كانوا خمسة، أو سبعة، أو عشرة، أو غيرها.

وكان لابن مجاهد كذلك تأثير في مادة المصنفين والمدونين في علم القراءات بعده، ذلك أن أغلب الذي سيدوّن في القراءات هو إما شارح ومفصل لسبعة ابن مجاهد أو مستدرك على ابن مجاهد سبعته قال في العدد أو زائد، وهذا إن دل فهو يدل على مدى الأثر الذي خلفه اختيار ابن مجاهد في العام والخاص على سواء، ومدى تغفل اختيار ابن مجاهد في تأليف العلماء والمتخصصين في القراءات بعده، بل لا يكاد يخلو مصنف في القراءات بعد ابن مجاهد إلا وله من كتاب السبعة مأخذ، فاستحق بحق أن يكون نقطة

¹ - ينظر: القراءات وأثرها في التفسير: 1/ 215- 221 - بتصرف .

² - ينظر: القراءات وأثرها في التفسير: 1/ 231 - 233 .



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركة القراءة والإقراء ————— د. أمال جعوب

محورية وفاصلة في حركة التدوين في علم القراءات والتي شهدت في عقبه ازدهاراً كبيراً في مادتها ومناهجها، وهو ما صار يعرف بمرحلة ما بعد ابن مجاهد.¹

الخاتمة:

من أهم النتائج التي يمكن الخلوص لها في نهاية هذا البحث:

1. يطلق التسبيع على اختيار ابن مجاهد من جهة النسبة باعتباره أول المسبعين، وعلى من وافقه وحذا حذوه من المصنفين في اختيارهم للقراء السبعة المشهورين دون الرواة والطرق .
2. أن اختيار ابن مجاهد للعدد سبعة له أسباب علمية كثيرة منها موافقة عدد المصاحف السبعة التي كتبها عثمان بن عفان، وكذا موافقتها لعدد الأحرف السبعة، وأهم سبب لها هو اجتماع شروط القراءة الصحيحة في القراء السبعة، وهو ما اتفق عليه أهل العلم قاطبة من بعده.
3. لقي التسبيع في بداياته معارضات وردود كثيرة من أهل العلم من جهة اختيار العدد سبعة ومن جهة القراء المختارين .
4. أثر تسبيع ابن مجاهد في حركة القراءة والإقراء، فنقل عملية الاختيار من مجرد اختيار الشیوخ للقراءات إلى حفظ الاختيار أو اختيار الاختيارات، فكان أول من حصر القراءات بعدد .
5. يعتبر ابن مجاهد أول من أعمل أركان القراءة الصحيحة، ففرق بين القراءات الصحيحة والشاذة، وأول من أعمل الشهرة والتلقي بالقبول وما عليه عامة الناس في اختيار القراءات .

¹ ينظر: الاستدراكات عند علماء القراءات - دراسة نظرية تطبيقية -: أمال جعوب: 104-106،

رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، 1438هـ/2017م - 1439هـ/2018م .



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركة القراءة والإقراء ----- د. أمال جعوب

6. أثر تسبيع ابن مجاهد في حركة التدوين فكان بمثابة المحرك له، فازدهر التدوين من بعده وانقسم على أثره إلى قسمين مسبع وغير مسبع مستدرك على ابن مجاهد .

7. انتقل التدوين بعد تسبيع ابن مجاهد إلى مرحلة التمحيق والتدقيق في الاختيارات أو ما يعرف بالمصنفات المحررة، بعد أن كان التدوين في القراءات مقتصرًا على جمع اختيارات الأئمة القراء دون حصر ولا تحديد بعدد معين أو ما يعرف بالمصنفات المرسلة .

قائمة المصادر والمراجع:

1. الإبانة عن معاني القراءات: مكي بن أبي طالب القيسي: ت: محي الدين رمضان: ط: 1، دار المؤمن للتراث، بيروت، لبنان، 1399هـ / 1979 م .
2. الاختيار عند القراء: مفهومه مراحله وأثره في القراءات: أمين بن إدريس بن عبد الرحمن بن فلاتة: بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1421هـ.
3. الاستدراكات عند علماء القراءات – دراسة نظرية تطبيقية -: أمال جعوب: رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، 1438هـ/1439هـ/2017م .
4. إعجاز القراءات القرءانية: صيري الأشوح: ط 1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1419هـ/1998 م .
5. الأخلاق: خير الدين الزركلي: ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002 م .
6. إيضاح الوقف والابتداء: أبو بكر محمد بن الأنباري: ت محي الدين محمد رمضان: د ط، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق، 1391هـ/1971 م.



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ----- د. أمال جعوب

7. تاج العروس من جوهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: ت: ضاحي عبد الباقى: ط: 1، دار التراث العربى، الكويت، 1422هـ/2001م .

8. التذكرة في القراءات الشمان: أبو الحسن طاهر ابن غلبون: ت: أيمن رشدي السويد: ط 1، دار الرعاية، جدة، 1412هـ/1991م .

9. التيسير في القراءات السبع: أبو عمرو الداني: ط اسطنبول 1349هـ/1930م، بتصحيح أوتوبرترل.

10. خلاصة الأبحاث في شرح نهج القراءات الثلاثة: أبو إسحاق إبراهيم الجعري: ت: أبو عاصم المراغي إبراهيم بن نجم الدين: ط 1، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 1427هـ/2006م .

11. سير أعلام النبلاء: محمد بن عثمان الذهبي: ت: مجموعة من المحققين: ط 11، مؤسسة الرسالة، 1417هـ/1996م .

12. علم القراءات نشأته وأطواره أثره في العلوم الشرعية: نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل: -ط 1- مكتبة التوبة _ 1421-2000- الرياض .

13. غاية النهاية: ابن الجزري: ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1427هـ/2006م .

14. الفهرست: ابن النديم: ت: رضا تحدد: دط، دس.

15. القراءات وأثرها في التفسير: محمد بن عمر بن سالم بازمول: كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة، 1412هـ-1413هـ.

16. كتاب السبعة في القراءات: ابن مجاهد: ت: شوقي ضيف: دط، دار المعارف، مصر .



أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء ----- د. أمال جعوب

17. محاضرات في علوم القراءان: غانم قدوري الحمد: ط1، دار عمار، عمان، الأردن، 1423هـ/2003م .

18. المحتسب: عثمان أبو الفتح ابن جني: ت: عي النجدي ناصف، عبد الخليل النجار: ط 2، دار سزكين للطباعة والنشر، 1406هـ/1986م.

19. المصاحف: أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني: ت: آثر حفري: ط 1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1355هـ/1936م .

20. معجم اللغة العربية المعاصر: أحمد مختار عمر: ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ/2008م .

21. منجد المقرئين: محمد بن محمد بن الجزرى: ت: عبد الخليم قابة: ط 1، دار البلاغ، 1424هـ/2003م .

22. المنهاج في الحكم على القراءات: إبراهيم بن سعيد الدوسرى: ص: 6، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

23. النشر في القراءات العشر: محمد بن محمد بن الجزرى: ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، بيستان، 1423هـ/2002م .

24. بحث: هل أنكر ابن جرير قراءة متواترة أو ردتها: مساعد الطيار: مراكز تفسير للدراسات القراءانية: 10/22/2003م،

<http://vb.tafsir.net/tafsir991/#.V3Dyi9leSko>.

25. وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلukan: ت: إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت .



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسطنطينية الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 81-46 تاريخ النشر: 25-03-2021

آية مبصرة: قراءة موضوعية بلاغية

لسورة الشمس بالتوازي مع سورة الإسراء

**Visible Sign: Thematic and Rhetorical Reading of
Q 91 in Line with Q 17**

د. ندين مصطفى علي السليمي

nalsulaimi@kau.edu.sa

جامعة الملك عبد العزير - المملكة العربية السعودية

تاريخ القبول: 2021/01/05

تاريخ الإرسال: 2020/03/11

I. الملخص:

الدراسات الموضوعية لسورة الشمس أظهرت تناسق أجزائها، وأن محورها تزكية النفس، لكن التناقض بين الآيات الكونية في أول السورة وخاصة "الشمس" مع قصة ثود في آخرها يحتاج إلى مزيدٍ من التوضيح؛ لذا يهدف البحث إلى فهم العلاقة بين مطلع وختام السورة من خلال تطبيق نظرية التمازن، ثم قراءة السورة بالتوازي مع سورة الإسراء التي تحذر قريشاً من طلب الآيات الحسية ثم تكتفي بها، كما كذبت ثود بالنافقة المبصرة. هذا البحث يوضح التشابه بين نظم وموضوع السورتين، فالشمس آية "مبصرة" والقرآن شفاء ورحمة ويهدى للي هي أقوم، وسيظهر أن التركية والتداصية مفهومان مرتبان بالآيات وإرسالها في الدنيا وتعدد أنواعها، وأن الشمس والإسراء والقرآن كلها آيات للتراكية والتذكير بالمعاد للحساب. مفهوم التركية مرتبط بالتقوى كقيمة قرآنية



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية ————— د. ندين مصطفى علي السليمي
كثيراً تُعبّر عن حياة الضمير والمسؤولية الفردية للأفعال، والتدرسية هي الفجور، وإخفاء
النور عن النفس، وعدم إبصار الحقيقة الواضحة كالشمس.

الكلمات المفتاحية: الشمس؛ ثمود؛ القرآن؛ الموضوعية؛ الإسراء؛

I. ABSTRACT:

Thematic studies on Q91 do not illustrate the consistency between the oaths of the creatures (the sun and its brightness) and Thamud's story. This article analyzes the structure of Q91 based on Ring-theory and shows its main theme: purification. It uses Q17 to explain the correlation between Q91's parts. Reading the surahs together indicates that the signs, the Qur'an, the sun, and al-Isra'a are to purify the soul.

Keywords: Quran; Sun/Shams; thematic; Isra's; ring-theory

1. المقدمة:

سورة الشمس تُعرف في صحيح البخاري (ت 256هـ / 870م) بـ "والشمس وضحاها"، وتسمى "الشمس" في معظم كتب التفسير.¹ وعدد آيات السورة خمس عشرة، وقيل ست عشرة عند المكيين، وهي كلها مكية بالاتفاق، وهي السورة الرابعة والعشرون نزولاً في رواية أحمد البيهقي (ت 458هـ / 1066م)، الخامسة والعشرون في رواية محمد بن الضريس (ت 815هـ / 906م).² وقد درس بعض المفسرين المسلمين

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (الجمهورية التونسية - تونس: دار سخنون للنشر والتوزيع، 13 مجلد، ت. د.)، 12: 30 / 365.

² - جلال الدين السيوطي، الإنقان في علوم القرآن (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان - بيروت: المكتبة العصرية، 1424-2003)، 1: 25-27. وذكر محمد الطاهر ابن عاشور (ت 1393هـ / 1973م) أنها السادسة والعشرون نزولاً (انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12: 30 / 365). وفي ترتيب ثيودور نولدهك Theodor Nöldeke (ت 1930م) هي السادسة عشرة نزولاً.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

القدماء، وكذلك بعض المعاصرین سورۃ الشمّس موضوعیاً، ویبینوا أن محورها الرئيس هو النفس وترکیتها؛ لكن نظرۃ أخرى إلى مقاطع السورة تقود إلى التساؤل حول العلاقة بين القسم بالملحوقات وتسمیة السورة بالشمّس تحديداً، وبين قوم ثمود المذکورین في آخر السورة. ونظراً لازدياد الاهتمام في الحقل القرآنی بالدراسات الموضوعية والأدبية للسور في العالم الغربي والعالم الإسلامي،¹ هذه الورقة تهدف إلى دراسة ارتباط فاتحة السورة المختارۃ بخاتمتها مع اعتبار: 1) سیاق السورة التاريخي وزمن الترول، 2) ارتباط موضوعات سور القرآن، وكون سور سیاقاً لبعضها البعض كوحدة كبيرة واحدة. والغرض من هذه الطريقة في قراءة السور هو تسليط الضوء على هدایات القرآن الكبیری الموجودة في محاورها،² وفي ارتباط بعضها ببعض موضوعیاً وبلاعیاً.

وتکمن إشكالية البحث في إيجاد التناصب بين فاتحة سورۃ الشمّس وقصة ثمود في خاتمتها، ودراسة العلاقة بين أطراف السورة ومحورها. وقد قام العديد من المفسرين والباحثین بالربط بين ترکیة النفس (المحور) وبين قصّة ثمود، لكن قليلون منهم الذين سلطوا الضوء على التناصب بين الشمّس وثمود، كما فعل شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية (ت 751هـ / 1350م)، وبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت

Neal Robinson, *Discovering the Qur'ān: A Contemporary Approach to a Veiled Text*. Washington D.C.: Georgetown University Press, second edition, .(2003), 77

¹ –Raymond Farrin, "Surat al-Baqara: A Structural Analysis," *The Muslim World* 100, no.1, (Jan 2010): 17-32, ProQuest, 17.

² –Michel Cuypers, *The Banquet: A Reading of the Fifth Sura of the Qur'an* (Miami: Convivium, 2009), 32; Michel Cuypers, *The Composition of the Qur'an: Rhetorical Analysis* (trans. Jerry Ryan. New York: Bloomsbury Academic, 2015), 121-130.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية ————— د. ندين مصطفى علي السليمي

885هـ/1480م) وغيرها. وسيتم أولاً: اعتبار سياق السورة نفسه عبر تحليل نظمها بناءً على قواعد البلاغة السامية المعروفة بنظرية التناظر (تركيب الحلقة¹، Ring-Structure)، وهذه النظرية مقترحة من قبل ميشيل كيبرس Michel Cuypers، وطبقها من بعده آخرون.² وهدف النظرية إلى فهم ترتيب آيات السورة، واتصال أجزائها.

ثانياً: عند النظر إلى موضوعات العهد المكي على وجه العموم، يلاحظ أن السور تركز على الدعوة إلى التوحيد وإثبات الوحي والنبوة واليوم الآخر، ويكثر ذكر الآيات

¹ تعتمد نظرية التناظر على تقسيم النص إلى قسمين؛ بحيث أن الموضوعات التي جاءت في القسم الأول، تأتي في القسم الثاني بأساليب مختلفة وألفاظ متعاكسة، فالنص يبدأ وينتهي بالموضوعات نفسها، وتكون قد تربت بشكل إما متوازٍ أو معكوس، وإما بوجود محور أو بدونه، وهذه الطريقة في النظم دارجة في اللغات السامية، مثل: الآرامية، والسيريانية، وغيرها. (انظر: Mary Douglas, "Ancient Rings Worldwide," (In Thinking in Circles: An Essay on Ring Composition, 1-16. New Haven; London: Yale University Press, 2007), p.1-6. Accessed February 18, 2016 للكتابة:

Nadeen Mustafa A Alsulaimi, "Islamic and Western Approaches to the Qur'an: A Rhetorical and Thematic Analysis of Sūrah 4 "The Women" (al-Nisā')," (PhD diss., The Catholic University of America, 2018. Accessed August 27, 2020. ProQuest Religion Database).

² من الذين طبقوا هذه النظرية بإسهام: راي蒙د فارين Raymond Farrin، ونالت نظرية التناظر النقد من قبل نيكلوالي سيناي Nicolai Sinai. انظر:

Nicolai Sinai, "Going Round in Circles," review essay on Michel Cuypers, The Composition of the Qur'an: Rhetorical Analysis, and Raymond Farrin, Structure and Qur'anic Interpretation: A Study of Symmetry and Coherence in Islam's Holy Text, Journal of Qur'anic Studies 19, no. 2 (2017), pp. 106-122.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

الكونية، وقصص الأمم السابقة التي أهلكها الله لتكيرها وعصاها، لذلك ستقرأ سورة الشمس المكية بالتوازي مع سورة مكية أخرى تطرح الموضوعات ذاتها، وبطريقة النظم نفسها، وتذكر قوماً ثمود تحديداً. والمقصود بالقراءة المتوازية هو النظر في التشابه الموضوعي وترتيب النظم بين السورتين، والاستفادة من هذا التشابه في توسيع المعاني، وفهم الحكمة من الترتيب. وبعد التقسي والبحث في السور المكية التي ذكرت قصة ثمود، يظهر أن سورة الإسراء تذكر قوماً ثمود باختصار شديد في سياق يتحدث عن حادث الإسراء، وتعالج السورة طلب قريش الصريح لآيات أخرى لإثبات النبوة غير القرآن، مثل: النبيوْع أو الجنة، أو الإتيان بالله والملائكة قبلتهم، أو رقي الرسول إلى السماء، وغيرها (الآيات 90-93). وقراءة السورتين بالتوازي تعتمد على فكرة تفسير القرآن بالقرآن، وتُبيّن الورقة ارتباط السورتين موضوعياً ونظمياً رغم تباعد زمن التزول، حيث نزلت سورة الشمس في أوائل العهد المكي، ونزلت سورة الإسراء في عهد مكي متأخر قبل الهجرة إلى المدينة.¹ وهذه الورقة مقسمة إلى ثلاثة مباحث:

* موضوع سورة الشمس في التراث الإسلامي وبعض التفاسير الموضوعية.

* التركيب التناضري لسورة الشمس وبيان محورها وتناسق مقاطعها.

* تناسب مجيء قصة ثمود في سورة الشمس وارتباطها بنظم موضوع سورة الإسراء.

ومنهج البحث في هذه المقالة هو المنهج التحليلي والتطبيقي.

2. موضوع سورة الشمس في التراث الإسلامي وبعض التفاسير الموضوعية

¹ - تعدد سورة الإسراء الخمسين في ترتيب التزول (انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 6: 15-6). وعند نولده ترتيبها هو السابع والستون (انظر: Robinson, Discovering the Qur'ān, 7.).



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

تذكّر معظم التفاسير في تفسير سورة الشمس أن الله يُقسم بخلوقاته العظيمة وهي الشمس والقمر والنهار والليل والسماء والأرض ثم النفس، وجواب القسم ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ [الشمس: 9-10]، وأن المخور الأساسي للسورة هو النفس وتركيتها؛ لأن جواب القسم متعلق بمعاني التركية والنماء،¹ وتدور كل المعانٰ حول القسم بالنفس وفجورها وتقواها وفالحها وخبيتها كما سيأتي، وسيقوم المفسرون بفهم ورود قصة ثمود في السورة كمثال لعاقبة الذين لم يركوا النفس بل دسوها، فنالوا الملائكة في الدنيا. والسورة فيها إنذار المشركين المكذبين بالنبوة، ونذيرهم بعاقبة قوم ثمود، وتقديم السورة الأدلة على وحدانية الله وعظمته، وتذكّر حال النفس في الفلاح والخيبة.²

ونورد هنا موضوع السورة كما ذكره بعض المفسرين في التراث الإسلامي وفي العصر الحديث:

- يذكر فخر الدين محمد بن عمر الرازى (ت 606هـ / 1209م) أن مقصود السورة هو "الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي".³
- تتحدث السورة عند أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسى (ت 745هـ / 1344م) عن مخلوقات الله المختلفة، ومن ضمنها النفس التي يجدر بها أن تتفكّر في تلك المخلوقات، ثم ختمت بذكر ثمود المهالكين بالعذاب في الدنيا.¹

¹ - آلتَرْكِيَّةُ: الزِّيَادَةُ مِنَ الْخَيْرِ (انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12: 30 / 371).

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12: 30 / 366.

³ - الرازى، التفسير الكبير (تخریج: عبد الرزاق غالب المهدى. لبنان، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 32 مجلد، 1425-2004)، 16: 31 / 171.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

3- يقول البقاعي أن مقصود السورة هو التأكيد على أن الله هو المتصرف في النفس، وهدايتها وإضلالها ونعمتها وشقاوتها، كما أنه هو المتصرف في الشمس والكون ونظامهما.² ثم يربط البقاعي آخر السورة بأولها حيث يذكر أن إهلاك الله لشmod فيه إنذار من كان ذا بصيرة، وأن الضلال يكون من نصيب من جعل بصيرته مظلمة كالليل، والله لا يخاف من إنزال العقوبة فهو الملك القادر القوي المتصرف في الكون وحده.³ ويربط بين وسط السورة الذي يذكر تركة النفس وبين أولها الذي يذكر آيات الله من الشمس وضحاها والقمر والسماء والأرض عبر جعله هذه المخلوقات رموزاً للتزكية والتديسية، ويجعل الشمس نظيراً للنبوة في نورها ونقائها.⁴

4- يذكر ابن عاشور أن أغراض السورة هي تمجيد أهل مكة بآلا يصيّبهم مثل ما أصاب قوم ثمود المكذبين، وأن هذا التهديد مسبوق بالقسم بمحلوقات الله وحالها، وبالنفس وتقواها وفجورها، وفالحها وخسارتها؛ للإشارة إلى كونه الرب والإله الواحد. ويبدو أن الطاهر يرى أن مقصد السورة هو النفس وأحوالها من الهدایة أو الضلال، فيقول: "وَمَنَاسَةٌ اسْتِحْضَارِ السَّمَاءِ عَقِبَ ذِكْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَاسْتِحْضَارِ الْأَرْضِ

¹- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر الحيط (دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وآخرون، لبنان-بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 8 مجلدات، 1428-2008)، 8: 473.

²- برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدى، لبنان-بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 8 مجلدات، 1427-2006)، 8: 437.

³- المصدر السابق، 8: 444.

⁴- المصدر السابق، 8: 442-441.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

عَقِيبَ ذِكْرِ النَّهَارِ وَاللَّيلِ، وَاضْبَحَهُ، ثُمَّ ذُكْرَتِ النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ لِأَنَّهَا مَظْهَرُ الْهُدَى
وَالضَّلَالِ وَهُوَ الْمَقْصُودُ¹.

5- يجعل عبد الحميد طهماز (ت 1431هـ/2010م) موضوع السورة هو "تركية النفس"، وربط بين النفس الإنسانية وما أودعه الله فيها من الإلهام بمعرفة الخير والشر والتقوى والفحور، وبين الشمس والقمر والليل والنهر والسماء والأرض من حيث كونها جمیعاً دالة على قدرة الله وعظمته، وسي طهماز النفس والخلوقات المذكورة "الأدلة الظاهرة على كمال قدرته تعالى وحكمته".²

6- يقول عبد الحميد الفراهي (ت 1349هـ/1930م) أن عمود السورة هو تحذير قريش وسيدها أبو هب،³ وإنذارهما من عاقبة التكذيب بالرسول ورسالته المتعلقة بوحданية الله والمصير وغيرها، وتخويفهم من التعدي على الله تعالى.⁴

7- يرى أمين أحسن إصلاحي (ت 1418هـ/1997م) أن موضوعي سورتي البلد والشمس مرتبان، فسورة البلد كانت تذكر قريشاً بنعمة الله عليها من الأمن والرحلات والرخاء، وتحذر في الوقت نفسه من قدرة الله عليهم، وبالتالي يكون عمود

¹- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12: 30 / 367.

²- طهماز، التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم (سوريا - دمشق: دار القلم، الطبعة الثانية، 8 مجلدات، 1435-2014)، 8 : 507.

³- عبد الحميد الفراهي ، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان (الهند-اعظم كره يو بي : الدائرة الخميديّة مدرسة إصلاح، الطبعة الأولى، 2008)، 321.

⁴- المصدر السابق، 311.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

سورة الشمس هو تحذير قريش من أن يحل بهم بسبب تكذيبهم وتكبرهم ما حلّ من عذاب بالأقوام السابقة.¹

8- يُشير سعيد حوى (ت 1409هـ/1989م) إلى أن سورة الشمس تشرح الآية في سورة البقرة: ﴿أَوْلِئِكَ عَلَىٰ هُدًىٰ مِّنْ رَّحْمَمْ وَأَوْلِئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5]، فت تكون سورة الشمس موضحة لمعنى الفلاح وتذكره في الآية 9. ويقول حوى أن التقوى والتزكية هما معنى الفلاح، وأن جيءَ قوم ثمود هو لبيان عاقبة التكذيب في الدنيا. ثم يذكر حوى ارتباط السورة بذكر قوم ثمود في سورة الفجر، وارتباط الهداية في سورة البلد بمعنى التزكية في سورة الشمس.² ويجعل حوى هذه السور الثلاث مكملاً لبعضها، فسورة الفجر مُهيأة لعبور طريق الفلاح، في حين أن سورة البلد تعطي للطريق معالمه، ثم تأتي سورة الشمس وترتبط بين طريق الفلاح والتزكية،³ ويربط حوى سورة الشمس كذلك بما بعدها وهي سورة الليل.⁴ والسورة عند حوى تنقسم إلى فقرتين: الآيات (1-5) ثم الآيات (10-15).

¹-Amīn Aḥsan Iṣlāḥī, Taddabur-e-Qur’ān, Sūrah Shams (<http://docvault.tadabbur-i-quran.org/tadabbur-text/volume-9/91/91%20Surah%20Shams.pdf>), 283.

²- حوى، الأساس في التفسير (مصر - القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1985 - 1405)، 11: 6541.

³- المصدر السابق، 11: 6542.

⁴- المصدر السابق، 11: 6545.

⁵- المصدر السابق، 11: 6542.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

والتحليل البلاغي في المبحث التالي سُيُّظَهُرُ تطابق النتيجة مع ما ذكره معظم المفسرين من أن السورة تهدف إلى بيان تقوى وفجور النفس، وأن الفلاح في تزكيتها وأن من دساها فقد خاب.

3. التركيب التناطري لسورة الشمس وبيان محورها وتناسق مقاطعها

الجدول التالي يوضح تحليل تركيب السورة بناءً على تطبيق نظرية التناطر:

(أ)

وَالشَّمْسِ وَضُحَّاهَا ١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ٢
وَالنَّمَارِ إِذَا جَلَّهَا ٣ وَالْئَلَيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ٤
وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ٥ وَالْأَرضُ وَمَا طَحَّاهَا ٦
وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّهَا ٧ فَالْأَمْمَهَا فُجُورُهَا وَتَقْوَهَا ٨

(م) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ١٠

(أ“)

كَدَّبَتْ ثَمُودٌ بِطَغْوَاهَا ١١ إِذْ آتَيْتَ أَشْقَاهَا ١٢
فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَافَّةً اللَّهَ وَسُقْهَا ١٣
فَكَدَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رُؤُهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقُوبَهَا

١٥

جدول 1 : تركيب سورة الشمس بلاغياً وفق نظرية التناطر¹

يظهر في الجدول أعلاه (جدول 1) أن آيات السورة انتظمت بشكل معكوس بحيث أن الجزأين (أ) و (أ“) يتماشيان موضوعياً وبلاعياً، فالجزء (أ) يذكر مخلوقات الله

¹ – Michel Cuypers. A Qur'anic Apocalypse: A Reading of the Thirty-Three Last Surahs of the Qur'an (trans. Jerry Ryan, Lockwood Pr (September 15, 2018), 147.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

تعالى وأحوال كل واحد منها، أما الجزء النظير (أ) فيتحدث عن قصة ثود وتكذيبهم لرسول الله، وعقرهم لناقة (آية من الله) وعقاهم. وبتعبير آخر يمكن القول بأن الجزء الأول يقرر كون الله الخالق للكون والإنسان، وأنه ألم النفس الفجور والتقوى – أي حرية الاختيار والعمل، على عكس تلك المخلوقات، وأن الجزء الثاني يؤكّد أن الله قادر على إنزال العقوبة، وإليه الرجوع والحساب والجزاء. وتتأكد هذه الحقائق في محور السورة (م) الذي يذكر جواب القسم بمخلوقات الله، فيؤكّد المحور أن الفلاح من تزكى، وأن الخيبة لمن دسى النفس أي أخفاها عن اتباع الحق¹ كما فعلت ثود المكذبة، فيكون الإيمان بالله الخالق والله القادر في أطراف السورة مرتبًا بمفهوم العمل الصالح واليوم الآخر اللذين تضمنهما موضوع المحور.

ومعنى التدسيّة (الإخفاء) يربط بين الأجزاء الثلاثة، فالمخلوقات في الجزء (أ) كلها ظاهرة مرئية غير خافية على الإنسان، ثم ناقة الله في الجزء المقابل (أ) أيضًا كانت واضحة للعيان كآية من آيات الله لقوم ثود، أما النفس فصاحبها هو الفاعل في تركيتها وتنميتها، وإظهار تقوتها واتباعها للحق، وهو الفاعل في تدسيتها وإخفائها عن الحق الواضح، وإخفاء الحق عنها. هذا التناقض بين الأجزاء كان من الناحية الموضوعية، أما بلاعياً فالارتباط يظهر عبر مفردات متراوحة أو جذور ومعانٍ متكررة، كالتالي:

1 _ الألفاظ "طحاها"، "سوهاها"، "فسوهاها" تربط الجزأين (أ و أ') من حيث المعنى.

2 _ "الشمس"، "القمر"، "النهار"، "الليل"، "السماء"، "الأرض"، "نفس" كلها آيات الله ومخلوقاته في الجزء (أ)، ويقابلها: "ناقة الله وسقياها" في الجزء (أ').

¹ – يقول ابن عاشور: "معنى: دَسَّاهَا حَالَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ فِعْلِ الْخَيْرِ. وَأَصْلُ فِعْلِ دَسَّى: دَسَّ، إِذَا أَدْخَلَ شَيْئًا تَحْتَ شَيْءٍ فَأَخْفَاهُ" انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12: 30 / 371.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية ————— د. ندين مصطفى علي السليمي

3 _ معانٍ "فحورها" في الجزء (أ) و "دساهما" في وسط السورة يتناسبان مع معنى: "كذبت"، "بطعواها"، "فكذبواهـ" ، "بذنبـهم" في الجزء (أ)، فكلـها أعمالـ غير صالحةـ، وتـدلـ على عدمـ الرغـبةـ في اتـبعـ الحـقـيقـةـ الـظـاهـرـةـ.

4 _ "الأرض" وطـحـوـها يـعـكـسـ في عـقـابـ قـومـ ثـمـودـ: "فـدـمـدـمـ عـلـيـهـمـ رـهـمـ بـذـنـبـهـمـ" ، وبـالتـالـيـ يـكـونـ معـنىـ "وـلـاـ يـخـافـ عـقـبـاـهـاـ" مـرـتـبـطـ بـعـدـ خـوفـ اللهـ تعـالـىـ منـ مـعـاقـبـهـمـ، فـهـوـ القـويـ الـقـادـرـ، وـهـوـ مـنـ يـحـاسـبـهـمـ وـلـاـ يـحـاسـبـهـ أـحـدـ عـلـىـ أـفـعـالـهـ.¹

5 - النفس وقدرها على اختيار التقوى أو الفحور في (أ)، يظهر في ذكر قصة ثمود و اختيارها التكذيب ثم هلاكها في (أ).

4. تناسب مجيء قصة ثمود في السورة وارتباطها بنظم وموضوع سورة الإسراء

معظم التفاسير التي تم الاطلاع عليها في هذا البحث اعتنـت بالربط بين موضوع التركيـةـ والتدـسيـةـ -الـذـيـ هوـ محـورـ السـورـةـ الرـئـيـسـ- وـبـيـنـ تـكـذـيـبـ ثـمـودـ وـطـغـيـانـهاـ ماـ تـسـبـبـ فيـ حـصـولـ العـذـابـ لـهـمـ فـيـ الدـنـيـاـ قـبـلـ الـآخـرـةـ، وـبـعـضـ تـلـكـ التـفـاسـيرـ تـنـاـولـ التـنـاسـبـ بـيـنـ "الـشـمـسـ" وـثـمـودـ كـمـاـ سـيـأـتـيـ. وـهـذـاـ الـمـبـحـثـ سـيـحـاـوـلـ الـإـجـاـبـةـ عـلـىـ الـأـسـئـلـةـ التـالـيـةـ: لمـ قـصـةـ ثـمـودـ فـيـ سـوـرـةـ الشـمـسـ؟ لـمـاـ الشـمـسـ وـثـمـودـ؟ وـالـمـكـانـ الـذـيـ يـجـدـرـ الـبـحـثـ فـيـ أـوـلـاـ عنـ الـأـجـوـيـةـ هوـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ نـفـسـهـ، لأنـ الـقـرـآنـ يـفـسـرـ بـعـضـهـ بـعـضـاـ، وـمـاـ جـاءـ مـجـمـلـاـ فـيـ مـوـاـضـعـ، جـاءـ مـفـصـلـاـ فـيـ مـوـاـضـعـ أـخـرـىـ، خـاصـةـ أـنـ ذـكـرـ قـوـمـ ثـمـودـ هـنـاـ مـخـتـصـرـ يـحـكـيـ رـدـةـ فعلـهـمـ تـحـاهـ الرـسـالـةـ وـجـوـابـ رـسـوـلـهـمـ ثـمـ مـصـبـرـهـمـ.² وـمـجـيءـ الـقـصـةـ باـخـتـصـارـ وـفـيـ عـهـدـ مـبـكـرـ

¹ - مساعد الطيار، تفسير جزء عم (المملكة العربية السعودية - الرياض: دار ابن الجوزي، الطبعة السابعة، 1427)، 160.

² - يُشير نيل روبيسون إلى أن القصة هنا هي إحدى القصص الكاملة التي جاءت في القرآن المكي المبكر جداً.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

فيه إشارة إلى معرفة قريش السابقة بقوم ثود، وما حلّ بهم من عذاب، خاصة وأنّ ثوداً سكنا جزيرة العرب، ومن ناحية أخرى يمكن القول أنّ السورة تربط بين رسالة صالح عليه السلام إلى ثود، ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى قريش. وقبل البحث في العلاقة بين الشمس وثود، تحدّر الإشارة إلى ما جاء في التراث والتفسير في محاولة فهم العلاقة بين اسم السورة "الشمس" والقسم بها وبالملحوظات الأخرى، وبين ذكر قوم ثود بالتحديد.

ابن القيم الجوزية اهتم ببيان سبب بحثيّه قصة ثود بالتحديد وليس عاد أو قوم لوط أو غيرهم، فذكر أنّ قوم ثود ارتكبوا ذنوبًا لا تُقارن بذنوب هؤلاء الأقوام كالتكبر واللواط والبغس، وعذاب ثود أقل شدة من عذاب تلك الأقوام، ويبيّن ابن القيم أنّ ذنب ثود بالإضافة إلى كفرهم هو قتلهم للنّاقة التي حرم الله المساس بها، ثم يتبع موضحاً ذكر ثود دون غيرهم، يقول:

وهو أئمّم ردوا المهدى بعد ما تيقنوه وكانوا مستبصرين به، قد ثلّجت له صدورهم، واستيقظت به أنفسهم، فاختاروا عليه العمى والضلال، كما قال تعالى في وصفهم ﴿وَأَمَّا ثَمُودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ فَأَسْتَحْبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: 17]. وقال: ﴿وَإِنَّا أَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبَصِّرَةً﴾ [الإسراء: 59]. أي موجبة لهم التبصرة واليقين، وإن كان جميع الأمم المهلكة هذا شأنهم. فإن الله لم يهلك أمّة إلا بعد قيام الحجة عليها، لكن خصت ثود من ذلك المهدى وال بصيرة بمزيد ... وقد رأوا البينة عيانًا وصارت لهم بمثابة رؤية الشمس والقمر فردوا المهدى بعد تيقنه وال بصيرة التامة فكان في تخصيصهم بالذكر تحذير لكل من عرف الحق ولم يتبعه وهذا داء أكثر الحالين وهو أعم الأدواء وأغلبها



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

على أهل الأرض.¹ وهنا يجعل ابن القيم الشمس والقمر والنافقة آيات واضحات كالبينة، وثُمود رأوا ذلك بوضوح، لذا تناسب ذكرهم في هذه السورة، ويُلاحظ أيضاً استشهاده بالآية التي تذكر ثُموداً في سورة الإسراء، وجعل ابن القيم رؤية ثُمود الواضحة للنافقة كرؤيتهم للمخلوقات الأخرى كالشمس والقمر.

وجعل البقاعي مجيء قصة ثُمود في السورة مرتبطاً بسورة البلد التي تسبقها في ترتيب المصحف، ومرتبطاً بموضوع التركية للنفس، وكون آية قوم ثُمود واضحة ودالة على يوم القيمة،² فيقول:

ولما كان السياق للترهيب بما دلت عليه سورة البلد وتقديم الفجور هنا، وكان الترهيب أحيث على الزكاء، قال دالاً على خيبة المدسي ليعتبر به من سمع خبره لا سيما إن كان يعرف أثره: كذبت ثُمود أنت فعلهم لضعف أثر تكذيبهم لأن كل سامع له يعرف ظلّمهم فيه لوضوح آيتها وقبح غایتهم، وما لهم بسفول المهم وقباحة الشيم، وخصّهم لأن آيتها مع أنها كانت أوضح الآيات في نفسها هي أدتها على الساعة، وفريش وسائل العرب عارفون بهم لما يرون من آثارهم، ويتناقلون من أخبارهم.³

¹ - يسري السيد محمد، بداع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية (السعوية-الدمام: دار ابن الجوزي، 5 مجلدات، 1414-1993)، 232-231.

² - يزيد البقاعي فيجعل النافقة هي النفس حيث يقول: " وكل نفس هي عند صاحبها كالنافقة قد أوصى الله صاحبها أن يرعى نعمته سبحانه فيها فيزكيها ولا يدسيها، فإن النافقة عبارة عن مطية يقطع عليها السير حسناً أو معنى، وذلك صالح لأن يراد به النفس التي تقطع بها عقبات الأعمال، والسبايا ما يعيش المسقي به، وهو صالح لأن يراد به الذكر والعبادة، فمن لم يرع العمدة ويشكر المنعم فقد عقرها، فاستحق الدمدمة منه، وكما أنه سوئ بينهم في الدمدمة سوئ بين المهددين في النجاة" (انظر: البقاعي، نظم الدرر، 8: 443-444).

³ - المصدر السابق، 8: 442.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية ————— د. ندين مصطفى علي السليمي

وفي معنى قريب مما ذكره البقاعي، يقول ابن عاشور أن جملة ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّئَهَا﴾ [الشمس: 10] هي: "تَوْطِئَةٌ لِجُمْلَةٍ: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودٌ بِطَغْوَيْهَا﴾" [الشمس: 11] فإنَّ مَا أَصَابَ ثَمُودًا كَانَ مِنْ خَيْرِهِمْ لِأَنَّهُمْ دَسَّوا أَنفُسَهُمْ بِالظَّعْوَى. وَقُدْمَ الْفَلَاحُ عَلَى الْخَيْرِ لِمَنْ يَتَّقُوُى، وَأَرْدِفَ بِخَيْرِهِ مَنْ دَسَّ نَفْسَهُ لِتَهْمِيَةِ الْإِتِّقَالِ إِلَى الْمَوْعِظَةِ بِمَا حَصَلَ لِثَمُودَ مِنْ عِقَابٍ عَلَى مَا هُوَ أَثْرُ التَّدْسِيَّةِ".¹ وربط الفراهي كذلك بين سورتي البلد والشمس، فأصحاب المشامة المذكورون في سورة البلد لم يقوموا برعاية النعمة و فعل الخيرات تقديساً لحرمة البيت الحرام، وكذبوا رسولهم، وسيحاولون التعرض له، فيكون هذا هو الطغيان والشقاء، لذلك جاءت سورة الشمس بمثال على الذين هلكوا بسبب طغيائهم.² ويجعل الفراهي السورة كلها مؤكدة للجزاء، ويقسمها إلى قسمين: قسم يذكر الآيات الكونية ويسميها "دلائل الفطرة"، وقسم يتحدث عن تاريخ الأمم السابقة ويسميه "شهادة تاريخية مسلمة".³ ثم يذكر الحكمة من ذكر الشمس والقمر والنهر والليل والسماء والأرض في السورة، ويبين أنها مخلوقات الله الكبيرة الواضحة، ولا يجهلها ويغفل عن عظمتها خالقها إلا من به عمى وصمم، ويستشهد بمواقع قرآنية شبيهة سبق فيها ذكر الكون وآياته للدلالة على التوحيد وأركانه وخصوصاً البعث

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12: 30 / 371.

² - الفراهي، تفسير نظام القرآن، 312.

³ - يذكر الفراهي بأن من عادة القرآن أن يجمع بين شهادة الفطرة وشهادة التاريخ، ويعطي الفراهي أمثلة من القرآن على مواضع سواء كان فيها قسم أم لا ولكنها ذكرت الأمم السابقة، ومن الأمثلة الشبيهة بسورة الشمس: فاتحة سورة الفجر التي جمعت القسم بالفجر والشفع والوتر وليل عشر وبين طغيان فرعون وعاد وثود (انظر: الفراهي، تفسير نظام القرآن، 312-313).



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

والمعاد.¹ ثم يمضي الفراهي قائلاً بأن هذه المخلوقات في سورة الشمس ما هي إلا دلائل على وحدانية الله ورحمته وعدله وعلى قدرته على البعث ومحاسبة العباد.² وأن ذكر الشمس والقمر وغيرها في السورة هو من التقابل والزوجية، وأن ذكر النفس وإلهامها الفجور والتقوى هو لتقرير البعث والجزاء، فالسورة بدأت بعالم "الحس"، ثم "عالم العقل"، ثم قصة ثمود التي تجمع بين آيات الله في العالمين، فالعرب كانت ترى مساكن ثمود التي بادت، ويكون في هذا تذكير للنفس وإلهامها بعدم اتباع الهوى والسير على خطى ثمود المكذبة.³

ويبين إصلاحي أن سورة الشمس تذكر أن الكون مليء بالمخلوقات المختلفة؛ لكنها كلها تعمل في تناغم وانسجام في مسار لا تحيط به، مما يمنع تضادها، وتدمير بعضها البعض، ثم تذكر السورة النفس وكيف أن نظامها لا يختلف عن الكون، فالله ألم النفس الفجور والتقوى، وبين لها كيف تحييا في توازن لا يقودها إلى الشر و فعله، وبالتالي لا يقودها إلى التكبير واللحود (الذين يخرجان النفس عن نظامها)؛ ومن ثم ملاقاها عذاب الله تعالى. لذلك – كما يقول إصلاحي – تذكر السورة قصة قوم ثمود الذين تعرفهم قريش حق المعرفة؛ لتحذر هذه الأخيرة من العاقبة نفسها.⁴

ويعلق مساعد الطيار قائلاً: "هذا مثال لقوم خابوا بتديسيتهم أنفسهم، وهم ثمود ... ، الذين باه لهم الحق وظهر كظهور الشمس المُقسم بما في أول السورة".⁵ ويظهر مما

¹ - المصدر السابق، 314-315.

² - المصدر السابق، 315.

³ - المصدر السابق، 319.

⁴ - إسلاحي، Taddabur-e-Qur'an, Sūrah Shams, 283.

⁵ - الطيار، تفسير جزء عم، 158.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

سبق من أقوال أن العلاقة بين الشمس والخلوقات الأخرى وبين ثمود تظهر عبر فكرتين: الناقة ووضوحاها كآية مثل آية الشمس، وفكرة الملائكة في الدنيا لأن الله أهلك ثموداً لما كذبت وطغت ولم تُترك النفس. ولكن الأمر لا يتعلّق فقط بالدنيا، وبالخلوقات وأحوالها في الدنيا؛ لأنّ النفس لا تعيش فقط حياة واحدة في مفهوم القرآن، بل هناك حياة أخرى للحساب والجزاء، لذلك جاءت الآيات والرسائل للتذكير بتلك الحقائق.

وبالنظر إلى بداية السورة يمكن القول بأن هذه الخلوقات العظيمة هي في حقيقتها آيات الله في الكون، سبقت لتدل على رب الخالق، وهي في الوقت نفسه تنير الطريق إليه عبر التفكير بما فيها من بديع الصنع والانتظام. هذه الخلوقات ألمّها الله مسارها وفطّرها عليه لا تحيد عنه إلا بأمره، إلا النفس ألمّها الله فجورها حتى تختار التقوى وتحمّن، وحتى تستحب المدى لا العمى، ليكون الإيمان والتزكية هما اختيارها وسعيها. هذه الخلوقات والأيات الكونية في سورة الشمس هي قصة الكون، وقصة السنين والحياة، وتعاقب الشمس والقمر والليل والنهار، وارتفاع السماء وصلاح الأرض للحياة، وقصة الفطرة والانتظام الكوني وستنه، وقصة النفس/الإنسان في الحياة حيث وقت الاختيار بين الفجور والتقوى، ثم انتهاء الحياة وحصول المصير. وهنا تكمن فكرة اليوم الآخر والرجوع إلى الله الخالق للحساب، وهو ما تذكره قريش. السورة مكية، وارتباط موضوع مطلعها - الذي يذكر مخلوقات الله وعظمته - مع غيرها من السور المكية واضح، ولكن القرآن هنا يذكّر قريشاً بقوم ثمود في سياق يذكر آيات الله في الكون، والأحوال المقطورة عليها، والتي لا تغير إلا حين يشاء، ويكون التغيير الشامل يوم القيمة لأحوال هذه الخلوقات. في هذا السياق يأتي ذكر قوم ثمود الذين طلبوا الآيات الحسية ثم كذبوا، فناهم الملائكة، لذا هي قصة قوم دسوا أنفسهم بعد جيء الآيات الواضحات؛ فأهلكهم الله في الدنيا.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

ولفهم علاقة قوم ثمود بفاتحة سورة الشمس، يجدر التنبه إلى أن قوم ثمود ذكرروا عشرات المرات في القرآن، وفي سور مكية بالتحديد تتحدث عن هلاك الأمم السابقة، سواء نزلت قبل سورة الشمس أو بعدها، وهذه سور هي: الأعراف (الآيات 73-79)، هود (الآيات 61-68)، إبراهيم (الآية 9)، الحجر (80-84)، الإسراء (الآية 59)، الفرقان (الآية 38)، الشعراة (الآيات 141-159)، النمل (الآيات 45-53)، العنكبوت (الآية 38)، ص (الآية 13)، غافر (الآية 31)، فصلت (الآيات 13، 17-18)، الذاريات (الآية 45-43)، النجم (الآية 51)، القمر (الآيات 23-32)، الحاقة (الآية 4-5)، البروج (الآية 18)، الفجر (الآية 9)، ومع هذا فإن سياقاً واحداً من هذه السياقات يحتوي على مفتاح آخر وأعمق للإجابة، هذا السياق هو سورة "الإسراء"، والتي نزلت تذكر حادث الإسراء إلى المسجد الأقصى، والذي لم يره أحدٌ سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي حدث به قريشاً فكذبوا بالإسراء، كما كانت تكذب بآيات القرآن حين يتلوها عليهم.

4.1 التناضب بين سورتي الشمس والإسراء

الترابط بين سورتي الشمس والإسراء يظهر عند تحليل تركيب سورة الإسراء وموضوعها الرئيس. والجدول التالي يوضح ترتيب آيات سورة الإسراء بشكل معكوس (أ ب م ب ، أ)، مع موضوع كل حلقة فيها:¹

¹ أشار نيل روبنسون إلى أن سورة الإسراء متربطة رغم اختلاف موضوعاتها، وأن فاتحتها وخاتمتها متناسقتان، وكل حلقة في السورة تنتهي بمشهد عن الآخرة عدا الحادة فتنتهي بالحمد، وأن أول وآخر آية منسجمتان كونهما تزييهما الله وشاء. ويسلط روبنسون الضوء على ترابط أجزاء وموضوعات السورة، ويدرك كيف تعالج السورة جدلات قريش مع الرسول الذي تصوره السورة على أنه قريب الشبه بموسى كما كانت قريش في جدالها تشبه أقوال فرعون لموسى، وكيف أن أحد مقاطع السورة



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية ————— د. ندين مصطفى علي السليمي

- أ (الآيات 1-17) الآيات: الإسراء بالرسول، وكتاب موسى وفساد قومه، والقرآن يهدي للي هي أقوم، هلاك القرون بعد نوح
- ب (الآيات 18-39) من كان يريد العاجلة، ومن أراد الآخرة وسعى لها وهو مؤمن، التوحيد
- ج (الآيات 40-48) تصريف الآيات في القرآن للذكر ونفور المشركين واتهامهم للرسول بالسحر
- د (الآيات 49-58) إثبات البعث وعداوة الشيطان والتخويف من العذاب في الدنيا
- م (الآيات 59-60) تكذيب الأولين بالأيات "ثُمُود" وإرسال الآيات للتخويف
- د' (الآيات 61-72) إثبات ولادة الله لعباده ضد الشيطان والتخويف من العذاب في الدنيا
- ج' (الآيات 73-96) تصريف الأمثال والقرآن شفاء ورحمة للمؤمنين وإرسال الرسول من البشر
- ب' (الآيات 97-100) من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلا أولياء لهم، الحشر إلى يوم القيمة
- أ' (الآيات 101-111) تكذيب فرعون بالأيات التسع وهلاكه، ونزول القرآن بالحق وإرسال الرسول مبشرًا ونذيرًا

جدول 2: تركيب سورة الإسراء وفق نظرية التنااظر

وهذا التقسيم (جدول 2) يتماشى مع نظم سورة الشمس التي تذكر الآيات في أطراها (الملائكة وانتظامها في الكون، والنافقة وهلاك أصحابها المكذبين) ثم تبين أن النفس (أو الإنسان) قادرة على الاختيار بين التقوى والفحور:

- أ (الآيات 1-8) آيات الله في الكون وأحوالها في الدنيا التي فطرها عليها وإلهام النفس الفحور والتقوى
- م (الآيات 9-10) تركيبة النفس سبب للفلاح وتدسيتها سبب للخيبة
- أ' (الآيات 11-15) هلاك ثُمُود لأنها كذبت وطغت وعقرت النافقة (الآلية)

يحتوي على "الوصايا العشر" ولكنها هذه المرة جاءت بين آيات تدم الشرك ونسبة البنات لله، وجاءت بما يتناسب مع وضع جزيرة العرب آنذاك. (See: Robinson, Discovering the Qur'an, 191-192).



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

جدول 3: موضوعات سورة الشمس وفق الشكل التنازلي

وبالنظر في الترتيبين السابقين (جدول 2، جدول 3) يظهر انسجام أطراف سورة الإسراء مع أطراف سورة الشمس، فيظهر في الأطراف الأولى موضوع الآيات سواء كونية أو قرآنية أو حادث الإسراء، ثم يظهر في الطرفين الأخيرين (أ / أ') هلاك الأقوام السابقة لتكذيبهم بالآيات. والقاعدة الرابعة في نظرية التنازل تنص على أن الأفكار التي تأتي في طرف نظام ما (حلقة في السورة مثلاً)، وتأتي الأفكار نفسها في وسط نظام آخر؛ فإن الطرفين متماشيان،¹ وبالتالي فإن ذكر ثمود يأتي في طرف سورة الشمس - النظام الأول -، وفي محور سورة الإسراء - النظام الثاني -، مما يدل على تناسق نظم السورتين، ومحور سورة الإسراء هو ما يلي:

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُرِسِّلَ بِالْآيَتِ إِلَّا أَن كَدَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَءَاتَيْنَا ثُمُودَ الْنَّافَةَ مُبَصِّرَةً فَظَلَّمُوا بِهَا وَمَا نُرِسِّلُ بِالْآيَتِ إِلَّا تَخْوِifa وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الْرُّءْءَى آتِيَ أَرِينَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: 59-60]

المحور يتحدث بالتحديد عن إرسال الآيات، ويدرك السياق آية قوم ثمود، ويصفها بأنها ناقة مبصرة، والمحور محاط بحلقتين: تتحدث الأولى عن جدال قريش حول البعث وإعادة الخلق للبعث، وتثبت عداوة الشيطان لبني آدم، ورحمة الله وعذابه وتحذر من حلول العذاب والهلاك في الدنيا بسبب الكفر والتکذیب ودعوه غير الله، أما الحلقة الثانية فتشهد عن قصة آدم وتوعده إبليس لبنيه بالإغراء، وتثبت الحلقة حماية الله لعباده وتحذر من أمن عذابه، وتذكر تكريم الله لبني آدم في الدنيا، ومصير من أُوتي كتابه بيمينه في الآخرة، ومن كان في الدنيا أعمى، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً. ويمكن

¹ -Cuypers, The Banquet, 36.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

ملاحظة التشابه بين الأجزاء المحورية والحلقات المحيطة بالمحور، ففي حين أن المحور (الآيات 59-60) يحذر من الكفر بالآيات ويخوف بالآيات، تتحدث الحلقات المحيطة بالمحور عن رحمة الله وعداته والتحذير من العذاب والهلاك في الدنيا، وعن حماية الله لعباده المؤمنين من الشيطان وسلطانه وإغواهه لبني آدم.

وسورة الإسراء تذكر جدلات قريش حول النبوة والوحى والبعث والتوحيد، وتذكر حادث الإسراء الذي لم تصدقه قريش، وتحدث السورة عن القرآن في أجزاء كثيرة فيها. الطرف الأول (أ) في السورة (الآيات 1-17) والطرف الثاني (أ') في آخر السورة (الآيات 101-111) متناظران. فالطرف الأول يذكر الإسراء بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ورؤيته لآيات، ثم إتيان الكتاب لموسى عليه السلام، وجعله هدى لبني إسرائيل الذين سيفسدون في الأرض مرتين، ثم وعد الله لهم بالعلو، وكون القرآن يهدي للي التي هي أقوم، وتحذر السورة من عدم الإيمان باليوم الآخر، وفي هذا السياق يأتي ذكر آية الليل والنهر وكون آية النهار "مبصّرة" (آلية 12)، وتذكر عدد السنين والحساب، وكتاب الإنسان يوم القيمة، وكونه حسيباً على نفسه، وينتهي الطرف بذكر القرون الحالكة من بعد نوح، وأن الأقوام لا يأتيا العذاب بدون إتيان الرسول. ثم في وسط السورة تأتي ناقفة ثود الموصوفة بـ "مبصّرة" (آلية 59)، ثم الطرف الأخير في السورة يتناقض مع الطرف الأول، فيذكر مجيء موسى بالآيات التسع البينات إلى فرعون، واقامه لموسى بالسحر، وتكذيبه بالآيات التي أنزلها ﴿رب السموات والأرض بصائر﴾ (آلية 102)، ثم هلاك فرعون، وتمكين بني إسرائيل في الأرض، ووعد الآخرة بيعثهم أجمعين، ثم الحديث عن القرآن ونزوله المنجم، وتأكيد النبوة ووحدانية الله تعالى وملكته.

ويتجدر الملاحظة بأن موضوع "الآيات" ورؤيتها أو إرسالها يظهر في المحور (59-60) كفكرة رئيسة، كما يظهر في أطراف السورة (الإسراء كآية خفية، لترىه من آياتنا،



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

القرآن، آيات الليل والنهار، الآيات التسع). يقول نيل روينسون أن حادثة الإسراء لم تأت جميع تفاصيلها في السورة، لكنها بالتأكيد ترتبط بالرؤيا التي جاء ذكرها في المhour، ويعتبر بأن قريشاً طلبت آيات أخرى في السورة، ولم يكتفوا بآيات الليل والنهار، ولكن السورة تبيّن أن الله لن يرسل مزيداً من الآيات ولا آيات أخرى غير القرآن؛ لأن التكذيب حاصل وباق كما فعلت ثود، وكما فعل قوم موسى حين كفروا بالآيات كما جاء في آخر السورة.¹ وبالتالي تبيّن أن موضوع "الآيات" في سورة الإسراء لا ينحصر في آيات القرآن أو آيات الكون الظاهر، لكنه يتحدث أيضاً عن آية خفية هي الإسراء وما فيه من الآيات التي رأها الرسول صلى الله عليه وسلم حقاً، ويشمل أيضاً الآيات التسع إلى فرعون، لكنه كذب بما فأهلكه الله، وهذا التكذيب بالآيات التسع البينات التي أنزلها الله بصائر (الإسراء 101-103) يشبه تكذيب ثود بالآلية (ناقة مبصّرة)، ويشبه تكذيب قريش بالقرآن وبقصة الإسراء، وبالتالي يظهر أن "الآيات" كموضوع رئيس - سواء كانت حسية أو معنوية أو خفية - حيء به في سياق يذكر تكذيب قريش وجدها

¹ - Robinson, Discovering the Qur'ān, 192-193. وتعلق الجليلكا نويفرث على موضوع مجيء الآيات في سورة الإسراء أنه يدل على: أن التكذيب كان دائماً هو ردة الفعل تجاه الآيات، فالناقة المذكورة (الإسراء الآية 59) هي إشارة إلى "قرآن" نزل سابقاً وهو سورة الشمس (الآية 13) وسورة القمر (الآية 28). أو أن مجيء الآيات هو للتوضيح، مثل: الإشارة إلى رؤية الرسول للآيات أو بعضها أو الشجرة الملعونة. ثم تقول أن الآيات محظ الفتنة والاحتبار ليعظمها الإنسان أو يخاف، لكن مجيء الآيات جعل الطغيان يزداد.

(See: Angelika Neuwirth. Scripture, Poetry and the Making of a Community: Reading the Qur'an as a Literary Text (London: Oxford Press, 2014), 235).



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

مع رسولها وطلبه الآيات الحسية،¹ وفي هذا السياق يأتي هلاك الأمم المكذبة كتحذير واضح لقريش من أن يكون مصيرها مشابهًا لمسبق. وموضوع "التكذيب" يأتي كذلك في الطرف الأخير من سورة الشمس مما يجعل السورتين منسجمتين نظماً وموضوعاً رغم اختلاف أطوالهما. وهذا التحذير من إنكار الآيات البصائر في سورة الإسراء يحمل رسالةً إلى النفس في سورة الشمس لترتكبي؛ وتحذر عاقبة التدسيسة والتكذيب بآيات الكون الواضحة.

4.2 الشمس آية مبصّرة

جعل الليل والنهار آيتين، هكذا تقول سورة الإسراء: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصَرَةً لِتَبَتَّغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ الْسِنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَحَلَّنُهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: 12]، الليل والنهار علامتان على الخالق وعلى قدرته، علامتان إحداهما مظلمة والأخرى مضيئة، آية الليل (القمر) تم طمس نورها لتبقى آية النهار (الشمس) مبصّرة.

في سورة الشمس كانت الشمس وضحاها ونورها كغيرها من المخلوقات التي وردت في القسم، ولكن سورة الإسراء تضيف إلى الشمس صفة منح الإبصار، الشمس

¹- عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (قالت قريش للنبي - صلى الله عليه وسلم - ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا ونؤمن بك. قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم. قال فدعا: فأنا جبريل فقال: إن ربك عَزَّ وَجَلَّ - يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبه عذاباً لا أعزبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة. فقال: بل باب التوبة والرحمة. فأنزل الله تعالى: "وَمَا مَنَّا" رواه أحمد في المسند: 1 / 2058؛ وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، كتاب تفسير سورة بي إسرائيل، باب سأَلَ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ تُحَيِّي عَنْهُمُ الْجِبَالُ فَيَرْجِعُوا فِيهَا، حديث رقم 3431، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

آية مبصّرة، آية النهار ليست فقط مضيئة في ذاها، بل هي تضيء لغيرها فَيُبصِّر¹، ويحصل ابتغاء فضل الله في الأرض، ويحصل حساب السنين والأيام. ويمكن الملاحظة أنه في سورة الإسراء كان الظلام ثم النور: ﴿وَجَعَلْنَا لَلَّيلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: 12]، كان القمر ثم الشمس، وضوء الشمس يغلب نور القمر ويطمسه ويمحوه²، فيجيء بالنهار ليضيء الطريق لابتغاء فضل الله، وآية النهار صارت متبوعة بالقمر في سورة الشمس ﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَئَّهَا﴾ [الشمس: 2]، وصار النهار/النور جلياً واضحاً معلوماً كآيته: ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا﴾ [الشمس: 3]، وتغطى الليل وانكسر أمام نور الشمس الساطع، ونور الحقيقة التي لا يغطيها شيء، وهي الحقيقة الأزلية التي فُطر الكون عليها، والهدى الذي قدره الله خلقه، والذي سطعت أنواره في السماء والأرض، والذي أُرسل من السماء إلى الأرض ليمنحها أسباباً للعيش وغايات من الوجود كما تفعل آية النهار حين ثُنِير الدنيا فتنهض من غفوتها، الشمس التي كانت آية من آيات الله، هي إذا آية للهدى، وتدل على هاديتها وفاطرها، وتنجح الإبصار بسبب ضوئها، كالقرآن حين نزول ليمنح البصيرة، المدى/القرآن بصائر في الأرض لمن أبصر وآمن: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا آتَجْتَبَيْهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَيْتُكُمْ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّيْ هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدٌى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 203]، ﴿فَقُدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَمِيَّا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: 104]. لكن هذا النور يتدافع في الأرض مع الظلام وفحور النفس، كما أن ضوء النهار يغشاه الليل في دورة الكون اليومية: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشِيْهَا﴾ [الشمس: 4].

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، 6: 15 / 44.

² - المصدر السابق، 6: 15 / 44.

آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية ————— د. ندين مصطفى علي السليمي

سورة الإسراء لا تصف فقط آية النهار بأنها مبصرة، لقد كانت ناقة ثُمود مبصرة كما جاء في المخور [الإسراء: 59]، يقول محمد بن جرير الطبّري (ت 310هـ / 923م):
يقول تعالى ذكره: وقد سأله آيات يا محمد من قبْل قومك ثُمود، فأتيناهما سأله، وحملنا تلك الآية ناقة مبصرة، جعل الإبصار للناقة. كما تقول للشحة: موضحة، وهذه حجه مبينة. وإنما عنى بالبصرة: المضيئه البينة التي من يراها كانوا أهل بصر بها، أنها

ويقول ابن عاشور أن "مبصرة" متعدّد إلى غيره:

ومعنى مبصرة واضحة الدلالة، فهو اسم فاعل أبصر المتعمدي إلى مفعول، أي جعل غيره مُبصراً وذا بصيرة، فالمعنى: أنها مفيدة البصيرة، أي اليقين، أي تجعل من رآها ذا بصيرة وتفيده أنها آية، ومنه قوله تعالى ﴿فَلِمَا جاءكُمْ آياتِنَا مبصراً قَالُوا هَذَا سحرٌ مُّبِينٌ﴾².

الشمس آيةٌ مبصّرة، ونافّةٌ ثمود آيةٌ مبصّرة، الشّمّس والنّافّة آياتٌ بّيناتٍ
واضحّاتٍ، آياتٌ مرئيّةٌ ودالّةٌ على اللهِ، لكن التكذيب صفة مشتركةٌ بين الأوّلين
وقريش، صفةٌ تؤكّدُها سورة الشّمّس ﴿كَذَّبُتْ ثَمُودٌ بِطَغْوَتِهَا﴾، وتؤكّدُها سورة
الإسراء: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُرْسِلَ إِلَيْهِمْ أَن كَذَّبُوهَا الْأَوَّلُونَ﴾، ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا
يَزِيدُهُمْ إِلَّا طَغْيَانًا كَيْرًا﴾. وهنا يزيدُ داد ارتباط سورة الشّمّس بسورة الإسراء.

¹ - الطبرى، تفسير الطبرى من كتابه جامع البيان عن تأويل آى القرآن (تحقيق وتحذيب: بشار عواد معروف وعصام فارس المرستاني، لبنان- بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 7 مجلدات، 1415-1994)، المكتبة الوقفية 8393 :<http://waqfeya.com/book.php?bid=8393>، 5 : 42.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، 6 : 144 / 15.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

الإشارة إلى ناقة ثود في سورة الإسراء يبدو مرتبطةً بشكل ما بحادث الإسراء، الارتباط بجده في كون الناقة والإسراء آيتين كذبٍ بما أصحاهما، الناقة كانت مبصّرة، وكانت في مجال رؤية قومها، أما حادث الإسراء فلم يره أحد، وكان اختباراً للإيمان والتصديق بما نزل سابقاً من وحيٍ،¹ بمعنى آخر كان حادثاً للتزكية؛ واختباراً للنفس وتقوتها، ولزيادة الإيمان بالغيب، العالم غير المرئي الذي نزل منه القرآن. أبو بكر الصديق رضي الله عنه عرف التشابه بين الإسراء والقرآن حين قال لقريش: "إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحه".² لذا كان التحذير من طلب الآيات الحسية هو من جهة تحذير من وقوع الهاياك؛ لأن هدفهم من طلب الآيات ليس الإيمان والتزكية، بل التكذيب والتدعية والتشكيك في صدق الوحي والنبوة، ومن الجهة الأخرى هو تحذير للنفس من إنكار عالم الغيب الذي دلت عليها الآيات المختلفة.

حادث الإسراء كان فتنة واختباراً للإيمان بالغيب، البراق في حادث الإسراء يذكرنا بالناقة التي خرجت من صخرة، فكانت معجزة خارقة للعادة، لكنها فتنة: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوَنَّا فِتْنَةً لَّهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَرِبْهُم﴾ [القمر: 27]، لفظ "فتنة" كما يقول ابن عاشور: "أي تفتنهم فتنة هي مكابرهم في دلالتها على صدق رسولهم، وتقدّر معنى الكلام: إننا مرسلاً الناقة آية لك وفتنة لهم".³ ولفظ "فتنة" يأتي في محور سورة الإسراء: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْرُّءُءِيَا أَلَّيْ أَرِيَتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: 60]. ولكن قريش تحاول

¹ - أحمد خيري العمري، السيرة مستمرة: تقاطعات وتوازيات المرحلة المكية مع نزول القرآن الكريم (عصير الكتب، الطبعة الأولى، يناير 2018)، 339-353.

² - الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، الأحاديث المشعرة بتسمية أبي بكر صديقاً رضي الله عنه، حديث رقم 4463.

³ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، 11: 27 / 199.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

صرف الرسول عما رأى حقيقةً وعن الوحي، وتعبر السورة عن هذا المعنى بلفظ "ليفتونك": ﴿وَإِنْ كَادُوا لِيَفْتَنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ...﴾ [الإسراء: 73]. الفتنة إذاً تحمل معاني الصرف ومحاولات إلحاقضر والأضطراب في النفس.¹ لذا تأتي سورة الشمس لتؤكد حقيقة الآيات الكونية، وكوئها آيات حسية تدل على الله، وتأتي في المقابل سورة الإسراء لتؤكد الآيات الغيبية كالإسراء ونزول القرآن من عالم الغيب؛ لتعلم النفس حقيقة الوجود ودورها.

قريش كانت تمر في رحلتها إلى الشام بمساكن قوم ثمود،² وكانت قريش تعرف ماذا حل بالقوم، لكنها تطلب الآيات كما فعلت ثمود، إنه الآن طلب الآيات المادية لتكون في غير طبيعتها وفطرعاً ومسارها كما خرجت من الصخرة ناقة. التشابه بين قريش وبين ثمود في أن كليهما طلب آية مادية، وكانت الآية أمراً خارجاً عن فطرة تلك المخلوقات وطبيعتها، قريش تطلب الآيات الحسية (الإسراء: 90-93)، لكن محور السورة يوضح أن الله قادر على إرسال الآيات الحسية المؤيدة لنبيه إلى قريش رغم أنهم سيكذبون بما، ولكنه لا يرسلها حتى لا يجعل العذاب كما حل بشمود المكذبة.

البراق.. الدابة التي نقلت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس على غير عادة حسابات البشر ذلك الوقت، كانت دابة طوت الشهور المعتادة في القيام بالرحلة، من أيام إلى ليلة واحدة. آيتا الليل والنهار _الوارد ذكرهما في سورة الإسراء_ أُستخدمتا لمعرفة عدد السنين والحساب، عدد السنين والحساب المعتاد -الذي تعرفه قريش وتستخدمه في رحلاتها وهي تمر على مساكن ثمود- اختلف في ليلة الإسراء التي كانت للامتحان والفتنة. السنين والحساب ستكون فتنة في قصة الإسراء لأنها ما كانت

¹ - المصدر السابق، 6: 15 / 171.

² - المصدر السابق، 6: 15 / 144.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

كما علموا واعتادوا، وكأنه يُشير بطريقة ضمنية إلى الآيات الكونية (الشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض) التي يعلموها ويروها، وكانوا يستخدمونها لتجارتهم ورحلاتهم، تلك الآيات مخلوقة لدورٍ محدد في الدنيا لا تخرج عنه.

الناقة والإسراء آيات استُخدِمت في سياق التخويف، وسياق إحاطة الله بالناس (قريش)، وفي سياق الحديث عن الرؤيا التي كانت فتنة ، وفي سياق ذم الطغيان (الطغيان ضد الآيات الواضحة): **﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَا كَيْرَا﴾** [الإسراء: 60]، والذي عبرت عنه سورة الشمس بتکذیب ثُمود: **﴿كَذَبَتْ ثَمُودٌ بِطَغْوَهُنَّا﴾** [الشمس: 11]، لقد كذبت قريش في حين صدّق أبو بكر، في ذلك الوقت العصيّب تميز الفجور من التقوى، واتضح التركي في مقابل الدس، وفي مقابل أن يحول الإنسان بين نفسه وبين الخير، فتدخل النفس في الظلمة مرة أخرى بدل إعلان التصديق كإعلان الشمس اعتلاء السماء بدون تحفٌ أو تردد.

التکذیب في حادث الناقة كان تکذیب البصر، أما في الإسراء فالامر مختلف، فقد كان تکذیب السمع، لم يروا الإسراء بأعينهم، ولكنهم كذبوا الخبر. الآيات المختلفة التي جاءت لقريش كانت تناطِب السمع والبصر والرؤا: **﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْأُولاً﴾** [الإسراء: 36]، كانت تتأكد من أن أصحابها وضعوها في الموضع الصحيح، ومن أن أعضاءهم كانت تعمل بالشكل المطلوب، من أنهما في المنظومة الكونية يقومون بأدوارهم كما يفترض هم وبأعضائهم، ومن كونهم فاعلين كما الآيات الكونية فاعلة على الفطرة، ومن كونهم زكوا النفس على الوجه المطلوب.

سورة الإسراء تقرّر كرامة بني آدم وتفضيلهم على سائر المخلوقات، تُخبر عن المعادلة: **﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾** [الإسراء: 72]. لكن أدلة الإبصار التي تؤكدتها وتكررها سورة الإسراء هي آيات القرآن وهداها:



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّلٰحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَيْرًا﴾ [الإسراء: 9].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْءَانِ لِيَدْكُرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: 41].

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُوْرًا وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكْثَرَهُ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رِبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَوْا عَلَىٰ أَدْبُرِهِمْ نُفُورًا تَحْنُّ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجُوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رُجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: 47-45].

﴿وَنَنْزِلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82].

﴿قُلْ لَئِنْ آجَتَمَعَتِ الْإِنْسُونُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضُضُ ظَهِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: 88-89].

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلُ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَقُرْءَانًا فَرَقَنَهُ لِتَقْرَأُهُ عَلَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: 105-106].

إنّه الآن ليس شفاء السمع والبصر والفؤاد من الأمراض العضوية فحسب، إنّه الشفاء من الصمم والعمى والران الذي قد يصيب تلك الحواس، قد يكون في حسابات البشر أن تلك الأمراض العضوية أعطاب وخسارة، ولكن الخسارة الحقيقة هي فقدان البصيرة في تلك الأعضاء التي تعمل بفاعلية، تلك الحواس استخدمت من قبل الإنسان ضد نفسه، ضد تفاعله الإيجابي مع الكون، ضد وظيفته كخلية في الأرض يعمرها،



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

و ضد الأخلاق التي يجدر بها أن تكون في معادلة بناء الأرض والحضارة الإنسانية. الأعضاء الإنسانية لا يجدر بها أن تنحدر في قيمها، أن تكون مادية جدًا، ألا تؤمن إلا بالmaterialيات المحسوسة، ولا ترىحقيقة الغيب، فتطلب ينبوغًا يتفجر أو بيتاً من زخرف، وتتنمي جنة من خليل وعنبر تتفجر فيها الأنمار، أو حتى أن تسقط السماء كسفًا فوق رؤوسهم.. ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلِكَةَ قَبِيلًا﴾ [الإسراء:92]. حينها سيكون حجاب بينهم وبين أن يبلغوا الهدى والإيمان بالغيب والبعث واليوم الآخر، وحينها لا يكون السمع والبصر والرؤاود وسائل للهوى وإدراك الآيات البينات. الناقة آية كانت متعلقة بالبصر، بالرؤية بالعين، لكن حادث الإسراء كان خبراً كخبر السماء، كالقرآن حين يتلى، كالأيات التي كانت بصائر من الله، لتعرف النفس الفرق بين السبيلين، ول يعرف الشفاء الحقيقي من الأعطال المعيبة للنور للتسلل إلى داخل النفس لتبصر.

عندما تخبر الآيات بفضل ثواب للعلم على الهوى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودٌ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحْبَبُوا الْعَيْنَ عَلَى الْهَدَى فَأَخْذَتْهُمْ صُرْعَةُ الْعَذَابِ الْهُونُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: 17]، يكون العلمي حينها عمى البصيرة لا الإبصار، وحينها يكون إرسال الآيات تخويفاً من الشقاء والظلم، ومن توقف الرؤية، ومن الهلاك بطغيان النفس. رسول الله يذكر بناعة الله وسقياها، يجدر من المساس بالآية، باعتراض طريقها، ينذرهم بآيات الرسل، برسالة الله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبَعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:15]، يخوفهم من ظلم النفس، من متنه الفحور ومن الطغيان، لأنك لا تقف في طريق الآية بجد ذاتها، بل في مواجهة خالق الآية، لكن التكذيب والطغو يبعث الأشقي ليقوم بمهمة الظلم، بمحى الآية، بإخفاء الحقيقة: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رُبُّهُمْ بِلَدُنْهُمْ فَسَوَّهَا وَلَا يَخَافُ عُقَبَاهَا﴾ [الشمس: 13-15]، حينها لا



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

يكون للتخيّف بالآيات جدوى، هنا الصيحة والعذاب والدمدة، فلا نصير ولا غالب:

﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى﴾ [النجم: 51].

العمى الحقيقى هو إخفاء نور الحقيقة في النفس، لذا يخلد القرآن قصة الأعمى الذي جاء ليتركى، ويكسر المفهوم المعتمد عن العمى، جاء ليعطي درساً في البصيرة، ويزرع الركون إلى الموى والفحور، وليبين أن التزكية اختيار النفس: ﴿عَبَسَ وَتَوَلََّ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَرَى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنَفَّعُهُ الظَّرْكَى﴾ [عبس: 4-1]. لقد رأى الأعمى نور الآيات في نفسه، ودورها في الوجود، وأن الفلاح في التزكية والمشاركة في النماء الإنساني في الكون. لقد أبصر الأعمى بقلبه، وجعل نور القرآن يجلب ظلمات النفس، كما تُبَدِّد الشمس بنورها ظلام الليل، فيُبصِّر الكون وتقوم الحياة.

القرآن.. الآية المبصّرة المُعينة على الإبصار، والتي رفضت قريش أن تُبصّر من خالها، أو أن تجعلها عدستها المصححة لمفهومها الاجتماعي المادي المترف، ونظمها الأخلاقي القائم على الشرك وغيره، مجتمع مكة كان يتصدر من خلال مفاهيمه الشركية وناديه ومكانته، ولم يقبل بالآيات البينات، كما رفض فرعون من قبلهم الآيات التسع، فرأها فرعون سحراً، وبحدها وهو ظالم لنفسه كما ظلمت ثود نفسها بالعمى. الآيات إلى فرعون كانت بصائر من رب السموات والأرض: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرٌ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يُفْرَغُونُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: 102]. لقد أكدت سورة الإسراء أن القرآن يهدي لمن يهديه لكي هي أقوم، فكان نزوله حقاً وبالحق نزل، وكان منجماً ليقرأه الرسول صلى الله عليه وسلم على مكث، فكان بصائر في صدور الذين أوتوا العلم من قبل، والذين تركوا به من بعد، وما يزيد الظالمين إلا خساراً.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

5. النتائج

قصة ثود في آخر سورة الشمس تأتي الإشارة إليها في وسط سورة الإسراء التي تتحدث عن الآيات كالإسراء والليل والنهار، وعن نزول القرآن بالحق وهدايته الشافية، وكونه رحمة للمؤمنين، وعن نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وكونه بشراً رسولاً. تتشابه قريش مع قوم ثود في أنها طلبتا الآيات الحسية واحتارتا التكذيب، لكن الله يمهل قريشاً ويحذرها عاقبة ثود.

سورة الشمس عند تقسيمها تناول موضوع الإيمان بالله عبر ذكر مخلوقاته وأحوالها في القسم الأول، ثم في القسم الثاني تذكر الإيمان بالله عبر التأكيد على إرسال رسول (رسول الله)، ومجيء الآيات (نافع الله)، وقدرة الله (فدمدم عليهم ربهم)، والحساب (ولا يخاف عقبها). في حين يشير محور السورة إلى دور النفس في الدنيا، ومصيرها في اليوم الآخر، فاللتقوى والفحور والتزكية والتدرسية هي أعمال الإنسان في هذه الدنيا، والفالح والخيبة هي إشارات إلى الجزء في اليوم الآخر. وبهذا تكون فاتحة السورة متماشية مع خاتمتها، ويركّز المحور على منح الله الخالق للإنسان القدرة على اختيار الفلاح أو الخيبة، وكأن المحور يؤكد على أن هذه الميزة للإنسان هي سبب محاسبة الله له وإرساله الرسل والآيات لكي لا تحيد النفس بما يفترض بها أن تكون عليه.

السورة تؤكد وحدانية الله عبر كونه الخالق والقادر، وتحذر الإنسان من الطغيان وعاقبة التكذيب بالآيات الواضحة والرسول صلى الله عليه وسلم. هذه الموضوعات طُرحت بتفصيل أكبر في سورة الإسراء؛ لذا تزعم هذه الورقة أن سورة الشمس تلخص سورة الإسراء، رغم أن سورة الشمس كوحدة قد نزلت كاملة في عهد مكي مبكر، مُبيّنة آيات الله في الكون والنفس وفطرعاً ومصيرها، ثم ذكرتِ القوم الأقرب لقريش لندّركهم بعاقبة التدرسية. الشمس وضحاها آية في الكون لإبصار الكون، وهي تمحو آية



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

الليل "القمر"، المحو لآية الليل مثل التدسيّة، وآية النهار مبصّرة مثل التزكية. وسورة الإسراء نزلت في أواخر الفترة المكّية، ومحورها هو تحذير قريش من طلب الآيات الحسية ثم تكذيبها فيكون مصيرهم الملائكة كما فعلت ثود التي طلبت آية فجاءها ناقة "مبصّرة".

القراءة المتوازية لسورتي الشمس والإسراء توضح التشابه بين نظم سورتين وموضوعهما. محوراً سورتين ينسجمان وكذلك موضوعات أطرافهما حول إرسال الآيات وهلاك المكذبين، تزكية النفس (أو إبصار المدى) تعني الإيمان بالآيات وحالتها، والتزام التقوى عبر التصديق بحقيقة الحساب في الآخرة. والتدسيّة هي التكذيب وطمس إبصار الحقيقة في داخل النفس؛ فيكون ذلك فجورها. الشمس آية كونية لها دورها كآية "مبصّرة"، مانحة للإبصار، و Maher لآية الليل كما القرآن شفاء ورحمة ويهدي للتي هو أقرب. الشمس وغيرها آيات حسية لها نظام لا تحيد عنه إلا يوم القيمة الذي تكذب به قريش، وطلب الآيات المادية ما هو إلا جدال وطغيان للتکذیب بالمدی، لذلك يمكن القول بأن الشمس والإسراء والقرآن آيات لإبصار والتزكية والتقوى، أو بعبير آخر آيات للإيمان بالله واليوم الآخر، والسعى في الدنيا وفقاً لهذه الحقائق.

6. الخاتمة

سورتا الشمس والإسراء تشيران إلى ترابط القرآن ووحدته نظماً وموضوعاً، وتسلطان الضوء على هدایات سور القرآن، هذه الهدایات تعطي رسالة كبرى للنفس الإنسانية أساسها الإيمان بالله خالق ومرسل الآيات المختلفة، والإيمان بانتهاء الدنيا وحصول الحساب على التقوى وعلى الفجور. الانطلاق من هدایات سور قد يساهم في جعل هذه الهدایات فاعلة في حياة المسلم أينما كان، وفي إيجاد نقاط مشتركة مع الأديان الأخرى التي يتفاعل معها المسلم في الواقع، ومن هنا يمكن فهم أثر تدبر القرآن والقراءات الموضوعية للسور، وأثر التفاعل مع الدراسات الغربية الحديثة التي تقرأ القرآن



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

من زاوية جديدة لها إضافتها في الحقل الأكاديمي سواء الغربي أو المسلم، بدون أن يقدح المسلم في ثوابته وعقيدته التي تقول بأن القرآن وحْيٌ محفوظ بحفظ الله تعالى.

7. المراجع

- 1- ابن حنبل، أحمد. مسنـد أـحمدـ بنـ حـنـبـلـ. https://ar.wikisource.org/wiki/مسند_أحمد_بن_حنبل/المجلـ_الأول/مسند_عبد_الله_بن_الـ_عـبـاس. الدخول 15 ديسمبر 2019.
- 2- ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. الجمهورية التونسية- تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 13 مجلـدـ، تـ. دـ.
- 3- أبو حيان الأندلسـيـ، محمد بن يوسف. تفسـيرـ الـبـحـرـ الـخـيـطـ. دراسـةـ وـتـحـقـيقـ: عـادـلـ أـحـمـدـ عـبـدـ الـمـوـجـودـ وـعـلـيـ مـحـمـدـ مـعـوـضـ وـآـخـرـونـ، لـبـانـ-ـبـيـرـوـتـ: دـارـ الـكـتـبـ الـعـلـمـيـ، الطـبـعـةـ الثـانـيـةـ، 8ـ مـجـلـدـاتـ، 1428-2008.
- 4- الـبـقـاعـيـ، بـرهـانـ الدـيـنـ إـبرـاهـيمـ بنـ عـمـرـ. نـظـمـ الدـرـرـ فـيـ تـنـاسـبـ الـآـيـاتـ وـالـسـوـرـ. تـحـقـيقـ: عـابـدـ الرـزـاقـ غـالـبـ الـمـهـدـيـ، لـبـانـ-ـبـيـرـوـتـ: دـارـ الـكـتـبـ الـعـلـمـيـ، الطـبـعـةـ الثـالـثـةـ، 8ـ مـجـلـدـاتـ، 1427-2006.
- 5- حـوـىـ، سـعـيدـ. الـأـسـاسـ فـيـ التـفـسـيرـ. مصرـ. الـقـاهـرـةـ: دـارـ السـلامـ لـلـطـبـاعـةـ وـالـنـشـرـ وـالـتـوزـيعـ، الطـبـعـةـ الـأـوـلـىـ، 11ـ مـجـلـدـ، 1405-1985.
- 6- الـرـازـيـ، فـخرـ الدـيـنـ مـحـمـدـ بنـ عـمـرـ بنـ الـحـسـينـ. التـفـسـيرـ الـكـبـيرـ أوـ مـفـاتـيحـ الـغـيـبـ. تـخـرـيـجـ: عـابـدـ الرـزـاقـ غـالـبـ الـمـهـدـيـ، لـبـانـ، بـيـرـوـتـ: منـشـورـاتـ مـحـمـدـ عـلـيـ بـيـضـونـ، دـارـ الـكـتـبـ الـعـلـمـيـ، الطـبـعـةـ الثـانـيـةـ، 32ـ مـجـلـدـ، 1425-2004.
- 7- السـيـدـ مـحـمـدـ، يـسـرىـ. بـدـائـعـ التـفـسـيرـ الـجـامـعـ لـتـفـسـيرـ الـإـلـمـامـ اـبـنـ قـيـمـ الـجـوـزـيـةـ. السـعـودـيـةـ-ـالـدـمـامـ: دـارـ اـبـنـ الـجـوـزـيـ، 5ـ مـجـلـدـاتـ، 1414-1993.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية —————— د. ندين مصطفى علي السليمي

- 8- السيوطي، جلال الدين . الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان-بيروت: المكتبة العصرية، 4 أجزاء، 1424-2003.
- 9- الطبرى، أبو جعفر ابن حرير. تفسير الطبرى من كتابه جامع البيان عن تأويل آى القرآن. تحقيق وتحذيف: بشار عواد معروف وعصام فارس الحستاني، لبنان- بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 7 مجلدات، 1415-1994، موقع المكتبة الوقفية <http://waqfeya.com/book.php?bid=8393>. الدخول 15 ديسمبر 2019.
- 10- طهناز، عبد الحميد محمود. التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم. سوريا- دمشق: دار القلم، الطبعة الثانية، 8 مجلدات، 1435-2014.
- 11- الطيار، مساعد بن سليمان. تفسير جزء عم. المملكة العربية السعودية- الرياض: دار ابن الجوزي، الطبعة السابعة، 1427.
- 12- الفراهي، الإمام عبد الحميد. تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان. الهند-اعظم كره يو بي: الدائرة الحميديّة مدرسة الإصلاح، الطبعة الأولى، 2008.
- 13- العمري، أحمد خيري. السيرة مستمرة: تقاطعات وتوازيات المرحلة المكية مع نزول القرآن الكريم، عصير الكتب، الطبعة الأولى، يناير 2018.
- 14- الحكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. المستدرك على الصحيحين. <http://www.al-eman.com/i295&p1> على 20% المستدرك 20% على 20% الصحيحين *** 20% . الدخول 15 ديسمبر 2019
- 15- Alsulaimi, Nadeen Mustafa A. "Islamic and Western Approaches to the Qur'ān: A Rhetorical and Thematic Analysis of Sūrah 4 "The Women" (al-Nisā')." PhD diss., The Catholic University of America, 2018. Accessed August 27, 2020. ProQuest Religion Database.



آية مُبصّرة: قراءة موضوعية بلاغية ————— د. ندين مصطفى علي السليمي

16- İslâhi, AmînAhsan. Taddabur-e-Qur'ân.<http://docvault.tadabbur-i-quran.org/tadabbur-text/volume-9/91/91%20Surah%20Shams.pdf>, Accessed February 3, 2019.

17- Cuypers, Michel. *The Banquet: A Reading of the Fifth Sura of the Qur'an*. Miami: Convivium, 2009.

18- _____. *The Composition of the Qur'an: Rhetorical Analysis*. Translated by. Jerry Ryan. New York: Bloomsbury Academic, 2015.

19- _____. *A Qur'anic Apocalypse: A Reading of the Thirty-Three Last Surahs of the Qur'an*. Translated by Jerry Ryan, Lockwood Pr, September 15, 2018.

20- Douglas, Mary. "Ancient Rings Worldwide." In *Thinking in Circles: An Essay on Ring Composition*, 1-16. New Haven; London: Yale University Press, 2007), p.1-6. Accessed February 18, 2016.

21- Farrin, Raymond. "Surat al-Baqara: A Structural Analysis," *The Muslim World* 100, no.1, (Jan 2010): 17-32, ProQuest.

22- Neuwirth, Angelika. *Scripture, Poetry and the Making of a Community: Reading the Qur'an as a Literary Text*. London: Oxford Press, 2014.

23- Robinson, Neal. *Discovering the Qur'ân: A Contemporary Approach to a Veiled Text*. Washington D.C.: Georgetown University Press, second edition, 2003.

24- Sinai, Nicolai. "Going Round in Circles," review essay on Michel Cuypers, *The Composition of the Qur'an: Rhetorical Analysis*, and Raymond Farrin, *Structure and Qur'anic Interpretation: A Study of Symmetry and Coherence in Islam's Holy Text*, *Journal of Qur'anic Studies* 19, no. 2 (2017), pp. 106–122.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطيه الأندلسي، دراست وصفية دلالية

The advance and delay in the interpretation of ibn attia andalusian, descriptive and semantic study

الطالب سفيان رضوان صالح

com. redsofiane2014@gmail

أ. د محمد خليفاتي

mkhelifati84@gmail.com

جامعة الادب

تاریخ الإرسال: 2020/07/01 تاریخ القبول: 2020/12/09

الملخص:

يُعد مبحث التقديم والتأخير، من أهم المباحث البلاغية التي لاقت عناية واهتمامًا بالدراسة قديماً وحديثاً، وأنا في هذا البحث مزجت بين ما كتبه المتأخرون وطبقته على ما كتبه المتقدمون، وقد اخترت مدونة من منطقة طالما وُصفت بأنّها لم تعن كثيراً بالجانب البلاغي، وهذه المدونة هي تفسير ابن عطيه الأندلسي، الذي يُعد من أعمدة التفاسير الأندلسية، ويهدف البحث إلى استخراج مواطن التقديم والتأخير من هذا السفر العظيم، مع ذكر دلالة ذلك عند مؤلفه، ويهدف البحث أيضاً إلى الوقوف على درجة تمكن ابن عطيه من علم البلاغة، وهل درس هذا المبحث من منظور بلاغي أم نحوي؟، وقد سلكت المنهج الوصفي التحليلي؛ لأنّه أوفق بالدراسة، وقد خرجت من خلاها على أنّ ما يُنقل عن التفاسير الأندلسية من عدم الاهتمام بالجوانب البلاغية، صحيح نوعاً ما في بعض الجوانب.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط.سفيان رضوان صالح وأ.د. محمد خليفاني

الكلمات المفتاحية: المحرر الوجيز، ابن عطية، علم المعان، التقديم والتأخير، كتب التفسير.

Abstract: Out of all rhetoric topics the advance and delay have received attention and interest in studying, in the past and in recent times. In this research, I mixed what was written by later scholars and applied it to what was written by the earlier scholars I chose a blog from the region that it has always described as not being very concerned with the rhetorical aspect, This blog is the interpretation of Ibn Atiyah Al-Andalusi Which is one of the most important Andalusian explanation of the Holy Qur'an, This study aims to treat the situations of advance and delay in this great blog with the indication of its meaning The research also aims to stand on the degree to which Ibn Atiyah was able to reach in rhetoric, and if this topic has studied from a rhetorical or grammatical perspective?

I used the descriptive and analytical method because it is more worthy, and I came out through it that what is transmitted from Andalusian explanations- of the Holy Qur'an- as the lack of interest in the rhetorical aspects is correct in some way.

Keywords: almostrar el Wadjiz ، ibn attiya, semantics, the advance and the delay, interpretation books.

1. المقدمة:

لطالما وأنا أقرأ وأبحث في تفسير ابن عطية شدّ انتباхи قلة توسيعه بالجوانب البلاغية، وكان يمر عليها بإيجاز كبير!، وإنّ المتبع لكتب التفسير في المغرب الإسلامي،



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

ليجد أنّ هذا الصنيع هو دأب المفسرين المغاربة والأندلسيين عموماً، الذين لم يعنوا بالبلاغة أو إعجاز القرآن عنابة باللغة، كما هو الشأن في علوم اللغة الأخرى، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنّ هذه العلوم نشأت في المشرق، وتتوفر المشارقة على درسها وشرحها والتأليف فيها، في حين كان المغرب أقل شأننا من المشارقة في هذا الميدان، وهذا ما أكدته ابن خلدون حيث قال: "وبالجملة فالمشارقة على هذا الفن، أي علم البيان¹، أقوم من المغاربة، وبسببه، والله أعلم، أنه كمالٍ في العلوم اللسانية، والصناعات الكمالية توجد في وفور العمran، والمشرق أوفر عمراً من المغرب، كما ذكرناه، أو نقول لعنابة العجم، وهو معظم أهل المشرق، كتفسير الزمخشري، وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله"²، ولكن مع كل هذا النقص! فقد وجدت في تفسير ابن عطية إشارات إلى بعض المباحث البلاغية، المتعلقة بعلم المعانٍ³، وخاصة التغييرات التي تتعرض لها الجملة العربية،

¹ - بعضهم يطلق علم البيان ويريد به علم البلاغة!، كما هو اصطلاح ابن خلدون في كلامه، وبعضهم يطلق هذا المصطلح قاصداً به أحد أقسام البلاغة الثلاثة، الذي يحيي التشبيه والاستعارة والمحاز والكتابية، إذ من المعلوم أنّ البلاغة على ثلاثة أقسام، على ما قرره السكاككي وغيره: علم المعانٍ، وعلم البيان وعلم البديع.

² - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م، ج 2، ص 375.

³ - هو أحد أقسام البلاغة الثلاثة، ويُعرف بأنه: "علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يُطابق مقتضى الحال". جلال الدين القزويني الشافعي، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، 1953م، ج 1، ص 52. والمقصود بأحوال اللفظ هي الأمور تعرض له من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير. والخبر والإنشاء والحدف والذكر والفصل والوصل والإيجاز والإطناب والمساواة، وخروج الكلام عن مقتضى الظاهر إلى غير ذلك من



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

التي يتحملها التعبير عن المعاني المختلفة، والتي رأيت له فيها كلاماً نفيساً يُنسِّع عن علو كعب الرجل واحتهاه!، يحتاج الدارس إلى الوقوف عنده ومعرفة دلالته، وقد اخترت من هذه المباحث، ما تعلق بدلالة التقديم والتأخير؛ ذلك أنه كثير الفوائد، جم الحasan، واسع التصرف، والبحث في مجمله يهدف إلى بيان درجة تمكّن ابن عطية من علم البلاغة، وخصوصاً معرفة أكان مُكثراً من الإشارة إلى مواضع التقديم والتأخير أم لا؟، وكيف تعامل معها؟، الأمر الذي يؤدي بنا إلى استخراج الأغراض البلاغية التي ذُكرت في تفسيره، وهل تعامل معها نحوياً أو بلاغياً؟ وكفرضية لهذا البحث، تبدو نظرة المفسر مختلفة عن نظرة النحو أو البلاغي، إذ غالباً ما يمزج المفسر بين ما درسه النحويون والبلاغيون، إذ يشترط في المفسر أن يكون ذا باع في علم العربية، وبالتالي، سنخرج إلى غلبة جانب منهمما على المفسر!.

وقد جاء هذا المقال في مبحثين، بين مقدمة وخاتمة، فال الأول نظري: ذكرت فيه مكانة التقديم والتأخير في علوم العربية، وكذا التعريف بهما، وإعطاء لحة تاريخية عنهما، سواء أكان ذلك لدى النحوين أم البلاغيين، مع ذكر أنواعهما، والثاني تطبيقي: وقفتُ فيه على مواطن التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية، مع ذكر قوله فيما، ودلالة التقسيم والتأخير في الآية عنده، إلى جانب ذلك، ذكر دلالاتٍ أخرى، قيلت في الآية إن وُجدت، مع اختيارنا للقول الراجح من هذه الأقوال.

2. الجانب النظري: ماهية التقديم والتأخير، واختلاف نظرية العلماء إليه.

1.2 مكانة التقديم والتأخير

الموضوعات. يُنظر: أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر، القاهرة، 1978م، نسخة pdf، ص.31.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

يُعتبر مبحث التقديم والتأخير من أكثر المباحث البلاغية التي نالت اهتمام علماء المعاني¹؛ ذلك الاهتمام الذي تجلّى في رصدهم لصور التقديم والتأخير المتعددة، وما تؤديه كل صورة من قيمة دلالية، أو تأثيرية، مضافة إلى المعنى الأساسي للعبارة، وقد جعل النحاة للكلام رُتبًا، بعضها أسبق من بعض، فرتبة المتدلٍ مثلاً، قبل رتبة الخبر، ورتبة الفاعل قبل رتبة المفعول، ورتبة المفعول الأول، قبل رتبة المفعول الثاني، وهكذا، فإن جئت بالكلام على الأصل لم يكن من باب التقديم والتأخير، وإن وضعت الكلمة في غير مرتبتها، دخلت في باب التقديم والتأخير²، فهذا تصور كلي عن التقديم والتأخير، فماذا عنه في اللغة والإصطلاح؟.

2.2 التقديم والتأخير لغةً

التقديم من قَدْمٍ، مفتوح العين، إذ القاف والدال والميم أصل صحيح، يدل على سبق ورُفع، ثم يفرع منه ما يقاربه³، والقدم، محركة: السابقة في الأمر¹، وأمّا التأخير

¹ - نقول هذا، لأنّ بعض العلماء عدّه من المجاز!، كما نقل ذلك الزركشي حيث يقول: "وقد اختلف في عده من المجاز، فمنهم من عده منه؛ لأنّه تقسيم ما رتبته التأخير، كالمفوع، وتأخير ما رتبته التقديم، كالفاعل، نقل كل واحد منها عن رتبته وحقه، وال الصحيح أنه ليس منه، فإن المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع". بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1376 هـ / 1957 م، ج 3، ص 233.

² - موسى إبراهيم، تأملات قرآنية، دار عمان، الأردن، الطبعة الثانية، 1989 م، نسخة pdf، ص 152.

³ - يُنظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1399 هـ / 1979 م، ج 5، ص 65.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

فُعِّرفه أكثر اللغويين بضده، حيث قال عنه الراغب: "والتأخير مقابل للتقديم، قال تعالى: بما قَدَّمَ وَأَخْرَى"²، فالتقديم والتأخير في اللغة متناقضان، حيث يُعنِي الأول بوضع الشيء أمام غيره، وقد كان خلفه، ويُعنِي الثاني بوضع الشيء خلف غيره، وقد كان أمامه.

3.2 التقديم والتأخير اصطلاحاً

عرّفه الطوفي بقوله: "هو جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها؛ لعارض اِختصاص، أو أهمية أو ضرورة"³، وعرّفه الزركشي بقوله: "هو أحد أساليب البلاغة، فإنّهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم وله في القلوب أحسن موقع وأعدب مذاق"⁴، فيما عرّفه الجرجاني بقوله: "هو باب كثير الفوائد، جم المحسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بدعة، ويفوضي بك إلى لطيفة".⁵.

¹ - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، 1426هـ/2005م، ج 1، ص 1147.

² - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1412هـ، ج 1، ص 69.

³ - سليمان الطوفي، الإكسير في علم التفسير، تحقيق: عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1989م، ص 189.

⁴ - بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص 233.

⁵ - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدين، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1413هـ/1992م، ص 106.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

ومن هذه التعريفات نستخلص: أن التقديم والتأخير، من الظواهر البلاغية التي تقوم على مخالفة أصل الوضع في الجملة العربية!؛ لترسم لنا صورة معبرة تزيد من جمالية المعنى ورونقه، فـ"لا يتقدم الخبر على المبتدأ جزافاً واعتباطاً، بل يعمد اللسان العربي إلى ذلك؛ لتحقيق دلالات لا يتحققها التركيب المنطقي، الذي وضعه النحاة للتراكيب".¹

4.2 نظرة النحوين والبلاغيين إلى التقديم والتأخير

لقد عني المتقدمون بهذا الأسلوب البلاغي منذ زمن مبكر، إذ يُعد سيبويه أول من تكلم فيه!، حيث يقول عنه: "... كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنون، وإن كانوا جميعاً يهتمّون ويُعْنِيُّونَ بهم" ²، وسمّاه ابن جنّي مع أبواب أخرى بـ: "شجاعة العربية" ³، وهذا لما يُولِّه من معانٍ بلاغية، في حين حظي هذا الأسلوب عند الجرجاني وأفاضل فيه بدراسة متميزة! ⁴، ووصلت إلى إحدى وأربعين صفحة، نبه من خلاها إلى مكانته في البلاغة، وعزّا الفضل في جمال الكلام، وحسن تأثيره في المثلقي، إلى

¹ - رُسْلَنْ عباس محمد شirozze، البحث الدلالي في تفسير ابن عطية، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، العراق، ربيع الأول، 1432هـ / 2011م، ص 123.

² - عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ / 1988م، ج 1، ص 34.

³ - يُنظر: أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1371هـ / 1952م، ج 2، ص 360.

⁴ - حيث كان العلماء قبل عبد القاهر الجرجاني، يتحدثون عن التقديم والتأخير حديثاً عاماً، حيث كانت عبارتهم تدور في فلك واحد، وذلك في قوله: "إنما يُقدم الشيء للاهتمام به". يُنظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفناؤها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الرابعة، 1417هـ / 1997م، ص 210.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط.سفيان رضوان صالح وأ.د. محمد خليفياني

جمال نظمه، إذ يقول: "هو باب كثير الفوائد، جم الحasan، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بدعة، ويفضي بك إلى لطيفة"¹، ووصفه ابن الأثير ^{أَنَّهُ}: "باب طويل عريض، يشتمل على أسرار دقيقة"²، وقد تابع الزملکانی الجرجانی في عدّ سبب التقديم والتأخير في الكلام، تبعاً لمعناه في القلب، حيث قال: "التقدم في اللسان تبع للتقديم في الجنان"³، معنٍ هذا أنّ أي تغيير في بنية التركيب؛ يأتي لتحقيق غرض جديد، يتعلق بالبنية الداخلية المرتبطة بالمعنى في ذهن المتكلم، إذ أي تحول في مباني التراكيب، يحدث تغييراً في المعنى⁴.

فهذه نظرة البلاعرين والتحولين إلى التقديم والتأخير، وكما نلاحظ، فلا تختلف نظرهما كثيراً إلى هذا البحث!، فهذا سببويه بمحده في كثير من الموضع يشير إلى الأسرار البلاغية، كاشفأها أهميتها، دون التوسيع فيها، وتبعه في ذلك أكثر النحاة، في حين يقرر عبد القاهر أنّ البلاغة، حاجتها إلى علم النحو ماسة وضرورية، حيث يقول: "الألفاظ مغلقة على معانيها، حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنّه المعيار الذي لا يتبيّن نقاصه كلام ورجحه، حتى

¹ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص106.

² - أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير الكاتب، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ/2000م، ج2، ص35.

³ - كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم ابن الزملکانی، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد مطلوب وخدیجہ الحدیثی، مطبعة العانی، بغداد، الطبعة الأولى، 1964م، ص290.

⁴ - يُنظر: خليل أحمد عمایرہ، في نحو اللغة وتراثها، منهج وتطبیق، عالم المعرفة للنشر والتوزیع، جدة، الطبعة الأولى، 1984م، ص179/89.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم، حتى يرجع إليه¹، مع ملاحظة مهمة وهي: أنّ البالغين يتبعون المعنى في التراكيب المختلفة؛ لرصد أدق الفروق والأغراض البلاغية، عكس النحويين الذين لم يهتموا بها، إذ التقديم عندهم لا يعني سوى العناية والاهتمام، ولا يُبالون من أين كانت تلك العناية، ولم كان الاهتمام؟!².

5.2 أنواع التقديم والتأخير في القرآن الكريم

الناظر في كتب التفسير والبلاغة، يجد نظرة المفسر تختلف عن نظرة البلاغي، فيما تعلق ببحث التقديم والتأخير، فالبالغيون لم يبحثوا هذه الظاهرة إلّا في حدود الجملة والعملية الإسنادية، فما كان خارجاً عن نطاق الجملة، ولا علاقة له بالإسناد، كان اهتمامهم به قليلاً، ولذلك كانت دراستهم لموضوع التقديم والتأخير قاصرة ومحدودة!³، وأمّا علماء الأسلوب القرآني والمفسرون خاصة فتجاوزوا ذلك، وتحديثوا عن التقديم والتأخير في ألفاظ القرآن الكريم، دون الحاجة إلى إسناد، كاشفين في ذلك المعاني البلاغية في الأسلوب القرآني، التي أودعها الله في كتابه العزيز؛ فكانت دراستهم لموضوع التقديم والتأخير في هذا المجال، أكثر عمقاً، وأعزر مادة، وأكثرفائدة للدارسين!⁴، وعلى هذا

¹ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ج 1، ص 28.

² - يُنظر: خالد بن محمد بن إبراهيم العثيم، الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة، دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/1998م، ص 56.

³ - سامي عطا حسن، التقديم والتأخير في النظم القرآنية الكريمة بلاغته ودلاليه، مجلة دراسات، عمان، الأردن، المجلد 37، العدد 2، سنة 1431هـ/2010، ص 430.

⁴ - يُنظر: المرجع السابق، ص 430.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط.سفيان رضوان صالح وأ.د. محمد خليفاني

قسم المحدثون التقديم والتأخير إلى قسمين¹، فإنما تقديم لفظ على عامله، وإنما تقديم لفظ على آخر في غير العامل، فأماماً الأول: تقديم اللفظ على عامله

فمن ذلك، تقديم المفعول به على فعله، وتقديم الحال على فعله، وتقديم الطرف والجار والمحروم على متعلقهما، وتقديم الخبر على عامله²، ونحو ذلك، وهذا التقديم في الغالب يفيد الاختصاص، فقولك: أُنجدت حالداً؟ يُفيد أنك أُنجدت حالداً، ولا يُفيد أنك خصصت حالداً بالنجدة، بل يجوز أنك أُنجدت غيره، أو لم تُنجد أحداً معه، فإذا قلت: "حالداً أُنجدت"؟ أفاد أنك خصصت حالداً بالنجدة، وأنك لم تُنجد أحداً آخر، وقد اهتم النحويون كثيراً بهذا النوع؛ ذلك لأنّ فيه خرقاً للقواعد النحوية!³، التي حرصوا على الحفاظ عليها.

وأمّا الثاني: تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل وهذا لأسباب يقتضيها المقام، وسياق القول، فالتقديم إنما يكون للعناية والإهتمام، بما كانت به عنايتك أكبر، قدمته في الكلام، والعنابة باللفظة لا تكون من

¹ - يُنظر: فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الطبعة الرابعة، 1427هـ/2006م، ص 49-52.

² - فيه خلاف بين البصريين والковيين في عامله، فهو المبتدأ أم الابتداء. يُنظر: أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ-/2003م، ج 1، ص 38-43.

³ - يُنظر: فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص 50.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

حيث إنّها لفظة معينة، بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال؛ ولذا نرى القرآن يقدم لفظة مرة، ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام¹.

بعد أن ذكرت باختصار كبير مكانة التقديم والتأخير في العربية، ثم عرفت بهما، ثم عرجت إلى الإختلاف الحاصل بين نظره النحوي والبلاغي، ختمت هذا البحث بتقسيم التقديم والتأخير إلى قسمين، ومن هذا المنطلق، سأحاول أن أقف على أبرز محطات التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية، الموسوم بالمحرر الوجيز².

3. الجانب التطبيقي: مواضع التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية

للتقديم والتأخير في التركيب والنظم القرآني معانٍ بلاغية سامية، سأقف في هذا الجانب إلى استخراج مواضع التقديم والتأخير عند ابن عطية التي أشار إليها، مع ذكر الدلالة التي يُفضي إليها، إذ قد وجدت ذلك في طائفة من الآيات، التي وقف عندها ابن عطية، حيث أشار إلى دلالة التقديم والتأخير بقسميه، وهذه بعض الأمثلة التي تبين دقة القرآن وبلاعنته، في أسلوبي التقديم والتأخير، التي تفطن لها ابن عطية وأشار إليها، ومنها:

1.3 ما تقدم فيه المعمول على عامله.

¹ يُنظر: فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص 52.

² الوقوف على ترجمة ابن عطية أو تفسيره يستغرق صفحات أو مجلدات!، وحرصاً مني على الإيجاز، أحيل القارئ الكريم إلى كتاب نفيس جداً، أرى بأنّ صاحبه وفي فيه التعريف بابن عطية، وتفسيره، وهذا الكتاب هو "منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم" مؤلفه عبد الوهاب فايد، إذ تكلم فيه صاحبه عن الحياة السياسية في عهد ابن عطية، وعن مكانته العلمية، وشيوخه ومنهجه في التفسير، ومصادر تفسيره اللغوية والفقهية، وما إلى غير ذلك. وهذا الكتاب قامت بطبعه الهيئة العامة لشئون المطبع الأميرية، القاهرة، 1393هـ/1973م، ويقع في حوالي 412 ص.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

هناك عدة أغراض، أو دلالات، يذكرها أهل الاختصاص في الغرض¹ من التقديم والتأخير، أتى ابن عطية على بعضها، فمنها:

أولاً: الاختصاص

جاء ذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتٍ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيْمَمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِالْخَيْثِ إِلَّا أَنْ تُعْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِّ حَمِيدٌ} ²، تَيْمَمُوا حيث يرى ابن عطية: أنَّ في الآية تقدِّيم معمول على عامل، وذلك في قوله: "منه تنفقون" حيث يقول: "وقال الجرجاني في كتاب نظم القرآن: قال فريق من الناس: إنَّ الكلام تم في قوله: "الخيث"، ثم ابتدأ خبرا آخر في وصف الخيث، فقال: "تنفقون منه، وأنتم لا تأخذونه إلا إذا أغمضتم، أي ساهلتم ... وكأنَّ هذا المعنى عتاب للناس وتقرير، والضمير في "منه" عائد على الخيث، قال الجرجاني وقال فريق آخر: بل الكلام متصل إلى قوله فيه... فالضمير في "منه" عائد على ما كسبتم، ويحيى "تنفقون" كأنَّه في موضع نصب على الحال، وهو كقولك: إنما أخرج أجاهدُ في سبيل الله".

يشير ابن عطية في هذه الآية، إلى أنَّ هناك تقديمًا للجار والمجرور على عامله، وقد أشار من أنَّ هذا التقدِّيم، الغرض منه الاختصاص، أي لا تخصِّصوا الخيث بالإتفاق، وقد أشار إلى هذا الغرض بضرب المثال عن أسلوب الاختصاص، وذلك في قوله: "إنما أخرج

¹ - كالاهتمام والاختصاص مثلاً.

² - سورة البقرة، الآية 267.

³ - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المخاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ، ج 1، ص 362.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

أُجاهد في سبيل الله" ، وملوم أن "إِنَّمَا" من طرق القصر¹ ، وقد وافقه الشوكاني في أن التقديم في الآية يفيد الاختصاص، حيث يقول: "وتقديم الظرف في قوله: " منه تنفقون " يفيد التخصيص، أي: لا تخصوا الخبيث بالإنفاق، والجملة في محل نصب على الحال، أي: لا تتصدوا المال الخبيث مخصوصين الإنفاق به، فاقدرين له عليه"².

ثانياً: الإهتمام

1- جاءت دلالة الإهتمام في قوله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّاهُ فَارْهَبُونَ} ³، حيث يرى ابن عطية، أن في الآية تقديم معمول على عامله، وقد أشار إليه بقوله: " وإِيَّاهُ فَارْهَبُونَ الاسم "إِيَّاهُ" والياء ضمير ككاف المخاطب، وقيل "إِيَّاهُ" بجملته هو الاسم، وهو منصوب بإضمار فعل مؤخر، تقديره: " وإِيَّاهُ فَارْهَبُونَ" ، وامتنع أن يتقدّر مقدماً؛ لأنّ الفعل إذا تقدم لم يحسن أن يتصل به إلا ضمير خفيف، فكان يجيء "وارهبون"⁴.

يدرك ابن عطية في هذه الآية أن الضمير المنفصل "إِيَّاهُ" يجب تقديمه على عامله "ارهباً" ، ويرى أن الفعل لو تقدم لفاظ المطلوب، وقد أفاد هذا التقديم الإهتمام⁵ ، وأن

¹- ينظر: جلال الدين القرزوني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج 3، ص 24.

²- محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني اليماني، فتح القيمة الجامع بين في الرواية والدرایة من علم التفسير، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، 1414هـ، ج 1، ص 331-332.

³- سورة البقرة، الآية 40.

⁴- ابن عطية الأندلسي، الحرر الوجيز، ج 1، ص 134.

⁵- حيث جاء في تركيب مشابه لهذا التركيب، التصريح من ابن عطية من غرض التقديم والتأخير، حيث يقول في تفسير قوله تعالى: "إِنَّ أَرْضِي واسعة فَإِيَّاهُ فَاعْبُدُونَ" ما نصه: " فإِيَّاهُ منصوب بفعل



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

الرهبة لا تكون إلا من الله عز وجل، وقد خالف أكثر المفسرين ابن عطية في هذه الآية، حيث ذكروا دلالة أخرى غير التي ذكرها، حيث قالوا: إنَّ الغرض من التقديم والتأخير في الآية هو الاختصاص، ومن هؤلاء الرمخشري، الذي جاء عنه في تفسيره لآلية، ما نصه: "وَإِيَّاِيْ فَارَهُبُون" فلا تنقضوا عهدي... وهو أو كد في إفاده الاختصاص من "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" ^١، ومعلوم عند أرباب الصنعة، أنَّ تقديم المفعول أو كد في إفاده الاختصاص؛ وهذا "لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول، والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط، كأنه قيل إنْ كنتم راهبين شيئاً فارهبوبي" ^٢.

2- من ذلك، ما جاء في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ^٣، حيث يقول: "لُطُقُّ الْمُؤْمِنُ بِهِ إِقْرَارٌ بِالرِّبوبِيَّةِ، وَتَذَلُّلٌ وَتَحْقِيقٌ لِعِبَادَةِ اللَّهِ، إِذْ سَائِرُ النَّاسِ يَعْبُدُونَ سَوَاهِ مِنْ أَصْنَامٍ وَغَيْرِ ذَلِكِ، وَقَدْ مَفْعُولٌ عَلَى الْفَعْلِ إِهْتِمَاماً، وَشَأْنُ الْعَرَبِ تَقْدِيمُ الْأَهْمَمِ" ^٤. يشير ابن عطية في هذه الآية، إلى أنَّ المفعول، وهو الضمير المنفصل "إِيَا" تقدم على فعله، وهو "نَسْتَعِينُ"، وقد صرَحَ رحْمَهُ اللَّهُ أَنَّ الغرض من هذا التقديم، هو الإهتمام، بل عزَّ ذلك بقوله: "إِنَّهُ مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ"، الذي يدلُّ منه على أنَّه أَفْضَلُ مقدار يدلُّ عليه الظاهر، تقديره: فِيَّا يَأْبَى اعْبُدُوا فَاعْبُدُونَ، على الاهتمام أيضًا في التقديم". ابن عطية الأندلسى، المحرر الوجيز، ج 4، ص 324.

^١- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الرمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض الترتيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ، ج 1، ص 131.

^٢- أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1990م، ج 1، ص 95.

^٣- سورة الفاتحة، الآية 4.

^٤- ابن عطية الأندلسى، المحرر الوجيز، ج 1، ص 72.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

وأبلغ من المحافظة على الرتبة، وقد خالف أكثر المفسرين والتحويين ابن عطية في دلالة التقديم في الآية، وذكروا غرضا آخر غير الذي ذكره، فهذا الشوكاني يذكر خلافا في المسألة، حيث يقول: "وتقديمه على الفعل؛ لقصد الإختصاص، وقيل للإهتمام، والصواب أنه لهما، ولا تزاحم بين المقضيَّات، والمعنى: نخصك بالعبادة، ونخصك بالإستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعين به"¹، ونلاحظ أن الشوكاني ذكر دلالة أخرى لتقديم المفعول على فعله، غفل ابن عطية عن ذكرها، ألا وهي: دلالة الإختصاص، إذ عد البلاغيون التقديم والتأخير إحدى طرائق القصر الأربع، وهذا الذي يُعد نقطة التقاء بينهما، والتي تبدو الأنسب في هذا المقام، إذ تقدير الكلام: نخصك بالعبادة وحده دون غيرك، ونخصك بالإستعانة وحده، دون غيرك، وهذا القول رجحه الزمخشري، حيث يقول عن تقديم المفعول على فعله: "...وتقديم المفعول لقصد الإختصاص، كقوله تعالى: "قل أَغْفِرُ اللَّهَ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ" ، "قل أَغْبَرَ اللَّهَ أَبْغَى رِبَا" ، والمعنى نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة"²، ويقول فاضل السامرائي في هذا الشأن: "تقديم اللفظ على عامله، ومن هذا الباب تقديم المفعول به على فعله... وهذا التقديم في الغالب يفيد الإختصاص"³، أي إن كل تقديم لمفعول على فعله، يدخل في هذا الباب. فالكثير المطرد من كلام العرب، أن يأتي لدلالة الإختصاص.

3- ومنه ما جاء في قوله تعالى: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَدْنَا مِنْتَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بِيَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْعُضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُبَيِّنُهُمُ اللَّهُ بِمَا

¹- الشوكاني، فتح القدير، ج 1، ص 27.

²- الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 13.

³- فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص 49.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط.سفيان رضوان صالح وأ.د. محمد خليفاني

كانوا يصنّعونَ¹، حيث يرى ابن عطية أنَّ في الآية تقديمًا وتأخيرًا، حيث يقول: "مِنْ متعلقة بـ "أخذنا" التقدير: وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى مি�ثاقهم"². يرى ابن عطية أنَّ في الآية تقديمًا للجار والمجرور "من الذين" على عامله، وهو الفعل "أخذنا"، إذ يرى أنَّ تقدير الكلام: "أخذنا من الذين قالوا إنا نصارى مياثاقهم"، وقد أغفل ابن عطية في كلامه ذكر دلالة هذا التقديم والتأخير!، وبصفة عامة نقول: إن دلالة تقديم الجار والمجرور على عامله، حسب ما سطّره البلاغيون، تكمن في أمرتين إما الإهتمام، أو الإختصاص، والذي يترجع لنا في الآية: أنَّ تقديم المعمول على العامل، يُفيد الإهتمام، وقد عبر عن هذا الغرض أكثر من واحد، منهم الشوكاني، حيث قال: " قوله: ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا مياثاقهم" الجار والمجرور متعلق بقوله: أخذنا، والتقديم للإهتمام، والتقدير: وأخذنا من الذين قالوا: إنا نصارى مياثاقهم: أي في التوحيد والإيمان. محمد، صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به. قال الأخفش: هو كقولك: أخذت من زيد ثوبه ودرهمه، فربته الذين بعد أخذنا"³، وهي الدلالة التي ذكرها الألوسي⁴.

4- جاء عند ابن عطية في تفسير قوله تعالى: {فَكُلَا أَحَدَنَا بِذَئْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْدَثَهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا

¹ - سورة المائدة، الآية 14.

² - ابن عطية الأندلسي، الحرر الوجيز، ج 2، ص 170.

³ - الشوكاني، الفتح القدير، ج 2، ص 26.

⁴ - يُنظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثان، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ، ج 3، 267.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط.سفيان رضوان صالح وأ.د. محمد خليفاني

كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكُنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ¹، ما نصه: "وَظَلَمُهُمْ أَنفُسُهُمْ كَانُوا بِالْكُفْرِ، وَوَضَعُ الْعِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَقَدِمَ الْمَفْعُولُ عَلَىٰ "يَظْلِمُونَ" لِلَاهْتِمَامِ، وَهَذَا نَحْوُ: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَغَيْرِهِ"²

يشير ابن عطية في هذه الآية إلى أن المعمول "أنفسهم"، وهو مفعول به مقدم، متقدم على العامل "يظلمون"، وقد صرّح ابن عطية من أن دلالة هذا التقديم هي الاهتمام بشأنهم، وأحال في ذلك إلى قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِنُ"، التي ذكر أن دلالة التقديم فيها للاهتمام، وقد انتقد الألوسي من حصر دلالة التقديم في الآية على الاهتمام فقط، ورأى بأن نظرته قاصرة، بل أكثر من هذا فقد ذكر قوله آخرًا في المسألة، وهو أن بعضهم ذهب إلى أن هذا التقديم والتأخير هو بمجرد مراعاة الفاصلة³، والصحيح الذي نراه في المسألة القول: إن دلالة هذا التقديم هو القصر، وهو اختيار الألوسي، الذي يقول: "وتقدم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق، وفيه ضرب تمكّم بهم"⁴، وإليه ذهب ابن عاشور من المؤخرین، حيث يقول: "قدم فيه المفعول للقصر، وقد حصل القصر أولا بمجرد الجمع بين النفي والإثبات، ثم أكد بالتقدير؛ لأن حالم كحال من ينكى غيره".⁵

¹ - سورة العنكبوت، الآية 40.

² - ابن عطية الأندلسي، الحرر الوجيز، ج 4، ص 318.

³ - يُنظر: الألوسي، روح المعاني، ج 5، ص 325.

⁴ - المرجع السابق، ج 1، ص 265.

⁵ - محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة (غ م)، 1984م، ج 1، ص 512.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

فهذا القسم الأول من أقسام تقديم المعمول على عامله، وقد ورد في تفسير ابن عطية في خمسة مواضع، اقتصر فيها على دلالتين فحسب!، وهو الاختصاص، الذي جاء في موضع واحد، لم يصرّح به وإنما ذكره بالمثال، في حين ذكر دلالة الاهتمام في أربعة مواضع، صرّح باثنين منها، وللح إلى واحد منها بالمثال، في حين وقفت على الرابعة بالتتبع والاستقراء، وأمّا القسم الثاني من أقسام التقديم والتأخير، فقد أكثر المفسرون من ذكره، ومنهم ابن عطية، وسأقف عليها فيما هو آتٍ:

2.3 تقديم لفظ على لفظ آخر، غير عامل فيه.

هناك عدة أغراض أو دلالات، يذكرها أهل الاختصاص، في الغرض من التقديم والتأخير، في هذا القسم، ومنها¹:

أولاً: الاهتمام

1- جاء ذكر دلالة الاهتمام في تفسير قوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُثَرَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْتَنَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبُوئِيهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرَثَهُ أَبُواهُ فَلَأُمَّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أُوْ دِينٍ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا حَكِيمًا}²، حيث أشار ابن عطية إلى ذكر سبب تقديم الوصية على الدين، حيث يقول:

وهذه الآية إنما قصد بها تقديم هذين الفعلين على الميراث، ولم يقصد بها ترتيبهما في

¹- كالاهتمام والاختصاص ومناسبة رؤوس الآي والسبق في الوجود وتقديم الأكثر على الأقل وغيرها.

²- سورة النساء، الآية 11.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

أنفسهما؛ ولذلك تقدمت "الوصية" في اللفظ، و"الدين" مقدم على "الوصية" بإجماع، والذي أقول في هذا: إنّه قدّم "الوصية" إذ هي أقل لزوماً من "الدين"، اهتماماً بها ونديها إليها، كما قال تعالى: "لَا يغادر صغيرة ولا كبيرة"¹، وأيضاً قدمّها من جهة أنها مضمونها الوصية، التي هي كاللازم، يكون لكل ميت، إذ قد حضَّ الشرع عليها، وأخر "الدين" لشذوذه، وأنّه قد يكون، ولا يكون، فبدأ بذكر الذي لا بد منه، ثم عطف بالذي قد يقع أحياناً، ويقوى هذا كون العطف بـ "أو"، ولو كان الدين راتباً لكان العطف بـ "الواو"، وقدّمت "الوصية" أيضاً، إذ هي حظ مساكين وضعاف، وأخر "الدين" إذ هو حظ غريم يطلب بقوّة!، وهو صاحب حق له فيه، كما قال عليه السلام: "إِنَّ لصاحب الحق مقالاً"².

نلاحظ أنّ ابن عطية أطال النفس في الآية، على غير عادته!، ووقف فيها على السر الدلالي من وراء تقديم "الوصية" وتأخير "الدين"، مع أنّ "الدين" مقدم على "الوصية" بإجماع الفقهاء، كما ذكر ابن عطية، وقد أرجع دلالة هذا التقديم والتأخير إلى الإهتمام بالوصية، التي غالباً ما يغفل عنها المؤمن، ويكون همّه الأكبر، وشغله الشاغل الدين، فقدمها عليه، للحث عليها وأنّها لا تقل أهمية عن الدين؛ وذلك أنّ نفس الوارث تبخل بها؛ لأنّها تُعطى من غير مقابل، إذ هي كالمشاركة لهم في الإرث، وهذا القول هو اختيار الزمخشري، حيث يقول: "إِنْ قلتَ: لَمْ قُدِّمَتِ الْوِصِيَّةُ عَلَى الدِّينِ، وَالدِّينُ مُقْدَمٌ عَلَيْهَا فِي الشَّرِيعَةِ؟ قُلْتَ: مَا كَانَتِ الْوِصِيَّةُ مُشَبِّهَةً لِلْمِيراثِ، فِي كُوْنِهَا مُأْخُوذَةً مِنْ غَيْرِ عَوْضٍ، كَانَ إِخْرَاجُهَا مِمَّا يُشَقُّ عَلَى الْوَرَثَةِ، وَيَتَعَاظِمُونَهُمْ وَلَا تُطَيِّبُ أَنْفُسُهُمْ بِهَا، فَكَانَ

¹ - سورة الكهف، الآية 49.

² - ابن عطية الأندلسي، الحرر الوجيز، ج 2، ص 17.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

أداؤها مظنة للتغريب!، بخلاف الدين فإنّ نفوسهم مطمئنة إلى أداءه، فلذلك قدمت على الدين بعثاً على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدين، ولذلك جيء بكلمة "أو" للتسوية بينهما في الوجوب¹.

2- من ذلك ما جاء في قوله تعالى: {يَوْمَ يَبْيَضُ وُجُوهٌ وَتَسُودُ وُجُوهٌ فَإِنَّمَا الظَّالِمِينَ اسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} (106) وأماماً {الَّذِينَ ابْيَضْتَ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}²، حيث يقول: "ولما كان صدر هذه الآية إخباراً عن حال لا تخص أحداً معيناً، بدأ بذكر البياض لشرفه، وأنه الحالة المثلث، فلما فهم المعنى، وتعين له "الكافر والمؤمنون"، بدأ بذكر الذين أسودت وجوههم؛ للإهتمام بالتحذير من حالمهم"³.

يدرك ابن عطية في هذه الآية، سبب عدول النص القرآني إلى ذكر الوجوه السوداء، وتقديمها على البيضاء يوم القيمة، إذ يرى أنّ الغرض من تقديم البياض في صدر الآية، هو لما له من الشرف العظيم على السواد⁴، فضلاً على ذلك، فإنّ الإخبار جاء في بايئ الآية لا يخص أحداً معيناً، أمّا الغرض من تقديم السواد على البياض فيما بعد، فهو للإهتمام والتحذير من حال هؤلاء الذين أسودت وجوههم نتيجة أفعالهم السيئة، إضافة إلى ذلك، فالبياض مقدم على السواد إجمالاً، ولا يقصد به في الآية فئة معينة، فلما كان المقام مقام تحذير في أثناء التفصيل، قدم السواد بجاورة تسود وجوه فأما الذين أسودت

¹- الرمخشري، الكشاف، ج 1، ص 484.

²- سورة آل عمران، الآية 106.

³- ابن عطية الأندلسي، الحرر الوجيز، ج 1، ص 487.

⁴- يمكن إدراج شطر الآية الأولى في دلالة التشيريف؛ وقد تجنبنا ذلك حرصاً منا على عدم تشتيت ذهن القارئ، وكذا الاختصار وعدم ملأ البحث بالتفريعات والأبواب!



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

وحوههم، إضافة إلى ذلك البشارة للمؤمنين حيث ابتدأ وختم بحكمهم¹، وذلك لكي يكون "مطلع الكلام ومقطعه شيئاً يسر الطبع، ويشرح الصدر!"².

3- نصّ ابن عطية في قوله تعالى: {وَإِذْ أَبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}³، عن الغرض من التقديم والتأخير، حيث يقول: "وابتلني معناه اختبر، وإبراهيم"، يقال إن تفسيره بالعربية: أب رحيم... وقدم على الفاعل للاهتمام، إذ كون الرب مبتلياً معلوم، فإنما يهتم السامع من ابتلى، وكون ضمير المفعول متصلاً بالفاعل، موجب تقديم المفعول، فإنما بُني الكلام على هذا الاهتمام".⁴

يرى ابن عطية كغيره من المفسرين أنّ الفاعل مؤخر في اللفظ عن المفعول، ويرجع دلالة تقديم المفعول على فاعله إلى الاهتمام بشأن المفعول؛ لكي لا يُتوهم غيره، إذ إنّ المبتلي معلوم، وهو الله عزّ وجلّ، والأقرب في هذه الآية أن نقول إنّ سبب تقديم إبراهيم هو لتشريفه بإضافة اسم الرب إلى اسمه مع مراعاة الإيجاز، وهذا القول هو المختار عند الطاهر بن عاشور، الذي قال في الآية: "وتقديم المفعول وهو لفظ إبراهيم؟"

¹ - يُنظر: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقى محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة (غ) م، 1420هـ/2001م، ج 3، ص 293.

² - المرجع السابق، ج 3، ص 293.

³ - سورة البقرة، الآية 124.

⁴ - ابن عطية الأندلسي، الحمر الوجيز، ج 1، ص 205.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

لأنّ المقصود تشريف إبراهيم بإضافة اسم "رب" إلى اسمه، مع مراعاة الإيجاز؛ فلذلك لم يقل: **وإذ ابتلى الله إبراهيم^١.**
ثانياً: مناسبة رؤوس الآي.

1- جاء في تفسير قوله تعالى: {فَأَقْرَبَ السَّحْرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَّنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمَوْسَى}٢، ذكر سبب تقديم هارون على موسى، حيث يقول ابن عطية: "وقدّم هارون قبل موسى؛ لتسنّي رؤوس آي السور، فنقل معنى السحر، وهذا كقوله عز وجل: "أَرَاجَا مِنْ نَبَاتٍ شَتِّيٍّ، تَأْخُرَ شَتِّيٍّ إِنَّمَا هُوَ لِتَسْتَوِي رُؤُسُ الْآيِّ"٣.

يذهب ابن عطية إلى أنّ الدلالة من تقديم هارون على موسى في اللفظ، تعود إلى المناسبة لرؤوس الآي، حيث إنّ الملاحظ للآيات قبلها أو بعدها، يجعلها كلها تنتهي بألف مقصورة، وبهذا الاعتبار قدّم هارون على موسى في اللفظ، لا غير، ولا شك من أنّ مراعاة رؤوس الآي من السمات البلاغية الجميلة التي اتصف بها القرآن، وهو يقابل القافية في الشعر والسجع في النثر، وقد سعى بعض العلماء هذا النوع بالفاصلة القرآنية، عدواً منهم عن السجع والقافية، كما هو صنيع أبي سنان الخفاجي والرماني٤، لكن

^١- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 702.

²- سورة طه، الآية 70.

³- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج 4، ص 52.

⁴- حيث يقول الخفاجي: "وَمَا الْفَوَاصِلُ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ إِلَّا هُمْ سَعَاهُ فَوَاصِلٌ وَلَمْ يَسْمُوْهَا أَسْجَاعًا!"، وفرقوا فقالوا: إنّ السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه، والفوacial التي تتبع المعنى ولا تكون مقصودة في أنفسها!، وقال على بن عيسى الرماني: إنّ الفوacial بلاغة والسجع عيب!. أبو سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1402هـ/1982م، ص 172.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط.سفيان رضوان صالح وأ.د. محمد خليفاني

الاقتصر عليه فحسب، كما هو صنيع ابن عطية فيه قصوراً؛ ذلك ما جعل بعضهم يرى أنّ دلالة هذا التقديم، ترجع إلى السن، حيث إنّ هارون يكبر موسى بثلاث سنوات¹، ولكن المرجح في الآية عندي، إضافة إلى الدلالتين السابقتين، ولا نقتصر على واحدة منها، أو كليهما فقط، بل أضيف إليهما ما أورده البيضاوي، من أنّ سبب تقديم هارون على موسى، هو لدفع التوهم، حيث يقول: "قدم هارون لكبر سنّه، أو لروي الآية، أو لأنّ فرعون ربّي موسى في صغره، فلو اقتصر على موسى أو قدم ذكره لربّها توهم أنّ المراد فرعون"²، فبدؤوا بـهارون؛ ليزول تمويه فرعون؛ آنه ربّي موسى، فيقول: أنا ربّيته، وهو المختار عند ابن عاشور³.

2- وجاءت هذه الدلالة أيضاً في تفسير قوله تعالى: {وَلَوْلَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِرِاماً وَأَجَلٌ مُسَمٌّ} ⁴، حيث جاء عند ابن عطية التنصيص منه على أنّ في الآية تقديمًا وتأخيراً، حيث يقول: "ثم أعلم عز وجل قبله، أنّ العذاب كان يصير لهم لزاماً، لو لا كلمة سبقت من الله تعالى، في تأخيره عنهم إلى أجل مسمى عنده، فتقدير الكلام: ولو لا كلمة سبقت في التأخير، وأجل مسمى، لكان العذاب لزاماً، كما تقول لكان حتماً أو واجباً واقعاً، لكنه قدم وأخر لتشتبه رؤوس الآي".⁵

¹ - يُنظر: أبو حيان الأندلسي، البحر الحيط، ج 5، ص 140.

² - أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، أنوار التزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ، ج 4، ص 33.

³ - يُنظر: الظاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 9، ص 53.

⁴ - سورة طه، الآية 129.

⁵ - ابن عطية الأندلسي، الحرر الوجيز، ج 4، ص 69.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

يرى ابن عطية أنّ في الآية تقديمًا وتأخيراً، إذ إنّ "أجل مسمى" المتأخرة في اللفظ، حقها التقدم في اللفظ على "كلمة"، إذ التقدير على هذا المعنى يُصبح: "ولولا كلمة سبقت من ربك وأحلّ مسمى يقع عنده الملائكة، لكان إهلاً لذمّة لزاماً"¹، ويرى ابن عطية أنّ سبب عدول النص القرآني عن هذا الترتيب، هو تناسب رؤوس الآي، أي مراعاة للفاصلة، إذ جميع الآيات تنتهي بآل معصورة، وقد كان ابن عطية مقلداً للراجح في ذكر دلالة التقديم والتأخير في الآية!² وهذا الذي قاله ابن عطية والراجح، هو اختيار أبي حيان³، والقرطبي.⁴

ثالثاً: التفضيل والترشيف

1- جاء ذلك في قوله تعالى: {وَادْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}⁵، حيث يقول ابن عطية، عن سبب تقديم المشاة على الركاب: "وفي تقديم "رجالاً" تفضيل للمشاة في الحج، قال ابن عباس: "ما آسى على

¹- يُنظر: الظاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 16، ص 337.

²- حيث جاء عند الرجاج في معانيه، ما نصه: "أجل مسمى، معطوف على "كلمة"، المعنى لو لا كلمة سبقت وأحل مسمى لكان لزاماً، يعني بالأجل المسمى أن الله وعدهم العذاب يوم القيمة". أبو إسحاق الرجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ / 1988م، ج 3، ص 380.

³- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج 7، ص 358.

⁴- أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ / 1964م، ج 11، ص 260.

⁵- سورة الحج، الآية 27.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط.سفيان رضوان صالح وأ.د. محمد خليفاني

شيء فاتني إِلَّا أَنْ أَكُونْ حَجَّتْ مَاشِيَا، فَإِنِّي سَعَتْ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: "يَأَتُونَكُمْ رِجَالٌ" ¹.

ترجع دلالة تقديم المشاة على الركبان عند ابن عطية، في الأفضلية والشرف، الذي يتمتع به الحاج الذي قصد البيت الحرام مشيا على الأقدام، لما يحمله من جهد ومشقة، والأثر الذي نقله عن ابن عباس ما يكشف فضل الحج ماشيا، وقد وافقه القراطي في ذلك من أنّ سبب تقديم المشاة على الركبان يعود للأفضلية، حيث نقل عبارته بقوله: "وَلَمَّا قَالَ تَعَالَى: "رِجَالًا" وَبِدَأْ بَهُمْ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ حَجَّ الْرَّاجِل أَفْضَلُ مِنْ حَجَّ الْرَّاكِب" ²، وذهب بعضهم إلى أنّ تقديم المشاة على الركبان يرجع إلى الجهد والمشقة، التي يتحملها الحاج الماشي في سفره لقصد البيت الحرام ³، وذهب قوم إلى أنّ تقديم المشاة يرجع إلى السبق المكابي، إذ إنَّ الذين يأتون رجالاً الغالب أنَّهم يكونون من المكان القريب، والإتيان على الضامر الغالب أن يكون من المكان بعيد ⁴، لكن المتأمل المتخصص يجد قول ابن عطية قوله مسدداً.

2- جاء في تفسير قوله تعالى: {وَإِذْ أَحَدَنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَحَدَنَا مِنْهُمْ مِثَاقًا غَلِظًا} ⁵، ذكر سبب تقديم محمد، صلى الله عليه وسلم، على باقي الرسل، حيث يقول ابن عطية: "وَقَدْمَ ذُكْرِ مُحَمَّدٍ

¹- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج 4، ص 118.

²- شمس الدين القراطي، الجامع لأحكام القرآن، ج 12، ص 39.

³- حيث يقول الشوكاني: "وَقَدْمَ الرِّجَالِ عَلَى الرَّكَبَانِ فِي الذِّكْرِ لِزِيَادَةِ تَعْبِيهِمْ فِي الْمَشِيِّ". الشوكاني، فتح القدير، ج 3، ص 530.

⁴- الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج 3، ص 249.

⁵- سورة الأحزاب، الآية 7.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

على مرتبته في الزمن، تشريفا خاصا له أيضا، وروي عنه، عليه السلام، أنه قال: "كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث"¹.

يرى ابن عطية أنَّ الغرض من تقديم محمد، صلى الله عليه وسلم، على باقي الرسل، رغم أنَّهم قبله في الزمن والبعثة²، إلى أنَّ ذلك يعود إلى التشريف، وبالтельة التي يتميز بها عن باقي الرسل، وهذا إستنادا إلى حديثه صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم"³، والذي يلاحظ على ابن عطية في هذا التوجيه، أنه أحده من الرجال، الذي قال في معانيه: "فذكره الله في أحد الميثاق قبل نوح، وجاء في التفسير: إني خلقت قبل الأنبياء، وبعثت بعدهم"⁴، فعلى صحة الخبر، قُدم النبي، صلى الله عليه وسلم، على باقي الأنبياء من هذه الحيثية، أي إنه أول من خلق، لكن الحديث حكم الحفاظ بضعفه!⁴، فعلى هذا نقول إنَّ سبب تقديم النبي، صلى الله عليه وسلم، على باقي الأنبياء يعود للتشريف ولتلزلته؛ وذلك إستنادا إلى الحديث الذي رواه مسلم، السابق الذكر.

¹ - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج 4، ص 371.

² - الحديث رواه مسلم من حديث أبي هريرة أنَّ النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيمة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع". مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، رقم الحديث 2278، الطبعة (غ م)، (د ت).

³ - أبو إسحاق الرجال، معاني القرآن وإعرابه، ج 4، ص 216.

⁴ - يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الضعيفة، دار المعرفة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1412هـ / 1992م، ج 2، ص 115.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

3- جاء في تفسير قوله تعالى: {يَا مَرِيمُ اقْتُنِي لِرَبِّكَ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} ¹، ذكر سبب تقديم السجود على الركوع، حيث يقول ابن عطية: "وأختلف المتأولون، لم قدم السجود على الركوع؟، فقال قوم: كان ذلك في شرع زكرياء، وغيره منهم، وقال قوم: الواو لا تعطي رتبة، وإنما المعنى، إفعلي هذا وهذا، وقد علم تقديم الركوع... وهذه الآية قد علم أن السجود بعد الركوع، فكيف جاءت الواو بعكس ذلك؟ فالقول عندي في ذلك، أن مريم أمرت بفصلين ومعلمين من معالم الصلاة، وهما طول القيام والسجود، وخاصة بالذكر لشرفهما في أركان الصلاة، وإذا العبد يقرب في وقت سجوده من الله تعالى: وهذا يختصان بصلاتي مفردة، وإلا فمن يصلي وراء إمام، فليس يقال له أطل قيامك، ثم أمرت بعد الصلاة في الجمعة، فقيل لها: واركعي مع الراكعين، وقصد هنا معلم من معالم الصلاة، لغلا يتذكر لفظ، ولم يرد بالآية السجود والركوع، الذي هو منتظم في ركعة واحدة، والله أعلم" ².

يتعرض ابن عطية في هذه المسألة إلى الغرض البلاغي من تقديم السجود على الركوع، إذ من المعلوم في ديننا أن الركوع أسبق في الوجود من السجود، فذكر قولين في سبب تقديم السجود، الأول: أن ذلك كان في شرع زكرياء، وعليه لا اعتراض على سبب تقديم السجود عن الركوع، ثم ذكر قوله ثانياً، ونصره بالأدلة من أن الغرض من تقديم السجود هو لشرفه، إضافة إلى أن المقام مقام شكر؛ لذلك قدم على الركوع،

¹ - سورة آل عمران، الآية 43.

² - ابن عطية الأندلسي، الحمر الوجيز، ج 1، ص 434.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

وعليه المعمول عند الطاهر بن عاشور، الذي يقول عن سبب التقديم: "وقدّم السجود؛ لأنّه أدخل في الشكر، والمقام هنا مقام شكر"¹.

4- وجاء هذا الغرض أيضاً في قوله تعالى: {وَلَئِنْ قُتْلُتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ حَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} (157) وَلَئِنْ مُتُمْ أَوْ قُتْلُتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ²، حيث يقول ابن عطية: "وقدّم القتل في قوله تعالى: "ولئن قتلتكم"؛ لأنّه ابتداء إبحار، فقدّم الأشرف الأهم، والمعنى: أو متم في سبيل الله، فوقع أجركم على الله، ثم قدّم الموت في قوله تعالى: "ولئن متم أو قتلتكم"؛ لأنّها آية وعظّ بالآخرة والحضر، وآية تزهيد في الدنيا والحياة، والموت المذكور فيها هو موت على الإطلاق في السبيل وفي المترّل وكيف كان، فقدّم لعمومه وأنّه الأغلب في الناس من القتل"³.

يتضح مما تقدم أنّ ابن عطية قد أشار إلى دلالة التقديم والتأخير في الآية، من أنّ الله سبحانه وتعالى قدّم "القتل" على "الموت" في قوله تعالى: "ولئن قتلتكم في سبيل الله أو متم"؛ لأنّ القتل في سبيل الله له شرف عظيم، ومغفرة من الله أكثر من الموت، فجاء مقدم الذكر على الموت، فضلاً على أنّ الله بين من تقدّمه على الموت ماله من منزلة عظيمة ينال بها العبد رضا ربه ومغفرته، أمّا الجزء الأخير⁴ من الآية فجاء الموت فيها مقدماً على القتل، حيث يقول تعالى: "ولئن متم أو قتلتكم لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ" حيث أورد ابن عطية ذلك، ذاكراً أنّ الغرض منه، هو أنّ سياق الآية، الذي جاء فيه الموت مقدماً

¹- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 3، ص 244.

²- سورة آل عمران، الآية 157-158.

³- ابن عطية الأندلسي، الحرر الوجيز، ج 1، ص 532.

⁴- يمكن إدراج شطر الآية الثاني ضمن دلالة تقسيم الأكثر على الأقل، وبخوب ذلك قصد عدم تشتيت ذهن القارئ!، وفي الإشارة إليها هنا غنية عن هناك.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

على القتل، يحمل في طياته الوعظ بالآخرة والخشى، وقدّم الموت لأنّه الأغلب في الناس من القتل، وقد تابعه في ذلك أبو حيان، الذي قال في الآية: "وقدّم القتل هنا؛ لأنّه ابتداء إخبار، فقدّم الأشرف الأهم في تحصيل المغفرة والرحمة، إذ القتل في سبيل الله أعظم ثواباً من الموت في سبيله، قال الراغب: تضمنت هاتان الآيتان إلزاماً، هو جار مجرى قياسين شرطيين اقتضيا الحرص على القتل في سبيل الله تمثيله: إنْ قُتْلْتَمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ مَتْ، حَصَلَتْ لَكُمْ الْمَغْفِرَةُ وَالرَّحْمَةُ، وَهَا خَيْرٌ مَا تَجْمِعُونَ. فإذا الموت والقتل في سبيل الله خير مما تجمعون، ولئن متم أو قتلتם فالخشى لكم حاصل، وإذا كان الموت والقتل لا بد منه والخشى؛ فنتيجة ذلك أنّ القتل والموت للذين يوجبان المغفرة والرحمة خير من القتل والموت للذين لا يوجبانهما"¹.

رابعاً: استشراف النفوس

1- جاء عند ابن عطية في قوله تعالى: {...أَنْ تَضْلِلَ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى...}²، ذكر الدلالة من تقديم قوله: "أن تضل إحداهما"، على "تذكرة إحداهما"، حيث يقول: "ولما كانت النفوس مستشرفة إلى معرفة أسباب الحوادث!، قدّم في هذه العبارة ذكر سبب الأمر المقصود أن يخبر به، وفي ذلك سبق النفوس إلى الإعلام بمرادها، وهذا من أنواع أربع الفصاحة، إذ لو قال رجل لك: أعددت هذه الخشبة أن أدعم بها الحائط، لقال السامع: ولم تدعم حائطاً قائمًا؟ فيجب ذكر السبب فيقال: إذا مال فجأة في كلامهم تقديم السبب أخصر من هذه المحاوره"³.

¹- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج 3، ص 405.

²- سورة البقرة، الآية 282.

³- ابن عطية الأندلسي، البحر الوجيز، ج 1، ص 382.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

في ضوء ما تقدم، يذكر ابن عطية أنَّ الغرض من تقديم السبب على المسبب له!، هو أنَّ النفس البشرية من طبيعتها، أنها تتшوق لمعرفة أسباب حدوث الأشياء؛ لذلك جاء في الآية الكريمة تقديم السبب في قوله: "أَنْ تضلُّ" على المسبب له في قوله: "فَتذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا أَخْرَى"، إذ إن ترتيب الآية يكون كالتالي: فـ"تذَكِّرَ أَحَدُهُمَا أَخْرَى أَنْ تضلُّ" غير أنَّ التقديم هنا من باب الاهتمام والعناية بنفس المتلقى الموجه إليه الخطاب!، والذي فيه دلالة على أنَّ الله عظيم بنفوس عباده، وقد عدَّ ابن عطية هذا الضرب من التقديم والتأخير، من أربع ضروب الفصاحة!، وقد وافق الزمخشري ابنَ عطية في هذا التوجيه، حيث يقول: "لَمَّا كَانَ الضَّلَالُ سَبِيلًا لِلإِذْكَارِ، وَالإِذْكَارُ مَسِيبًا عَنْهُ، وَهُمْ يَتَلَوُنُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبَبِ وَالْمَسِيبِ مُتَرَلِّةً الْآخِرَ لِلتَّبَاسِهِمَا وَاتِّصَالِهِمَا"!، كانت إرادة الضلال المسبب عنه الإذكار إرادة للإذكار، فكما قيل: إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت، ونظيره قوله: أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه، وأعددت السلاح أن يحييء عدو فأدفعه¹.

خامساً: السبب في الوجود

1- جاء في حديث ابن عطية، عن تفسير قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}²، ما نصه: "والبادي من هذا الترتيب، أنَّ السماء خلقت من قبل الأرض، وقد حكاه الطبرى عن قتادة، وليس كذلك؛ لأنَّ الواو لا ترتب المعاني، والذي يبني من مجموع آي القرآن: أنَّ

¹- الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 326.

²- سورة الأنعام، الآية 1.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

الله تعالى خلق الأرض ولم يدحها، ثم استوى إلى السماء فخلقها، ثم دحا الأرض بعد ذلك¹.

يدرك لنا ابن عطية في هذه الآية سبب تقديم ذكر السموات على ذكر الأرض، حيث ذكر عن قوم بأنّ سبب التقديم هو العامل الزمني، أي أنّ السماوات خلقت قبل الأرض؛ فلذلك قدّمتها في اللفظ، وقد نقل هذا القول عن الطبرى، الذى نسبه إلى قتادة، وذهب إليه أكثر المفسرين، كالشوكانى الذى قال فيه: "وجمع السماوات لعدد طبقاتها، وقدمها على الأرض؛ لقدمها في الوجود"²، ولكن ابن عطية لم يرتضى هذا التوجيه، ويرى أنّ الأرض سابقة في الوجود على السماوات، وإنما سبقت السماوات الأرض في أنه دحاه³ أولاً؛ فعلى هذا قدمت السماوات على الأرض من ناحية الدحي لا الوجود، إضافة إلى أنّ الواو في الآية لا تقتضي الترتيب، حتى نقول: إنّ هذه أسبق من تلك، وقد وافقه في ذلك السيوطي⁴، ومن هنا نرى دقة ابن عطية وتحقيقه، وأنّه ليس مجرد ناقل فحسب!

سادساً: تقديم الأكثر

¹ - ابن عطية الأندلسى، المحرر الوجيز، ج 2، 265.

² - الشوكانى، الفتح القدير، ج 2، ص 112.

³ - ومعنى دحاه، بسطها. يُنظر: جلال الدين محمد بن أحمد المخلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، تحقيق: عبد الرحيم المباركفورى، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م، ص 595.

⁴ - يُنظر: المرجع السابق، ص 790.

التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

1- جاء في تفسير قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ وَبَلُوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} ¹، ذكر سبب التقادم والتأخير في الآية، حيث يقول ابن عطية: "وقدّم الشر لأنّ الابتداء به أكثر، ولأنّ العرب من عادّها أن تقدم الأقل والأردى!، فمنه قوله تعالى: "لا يغادر صغيرة ولا كبيرة"، ومنه قوله تعالى: "فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات" فبدأ في تقسيم أمّة محمد بالظلم".²

يُرجع ابن عطية سبب تقديم الشر على الخير في الآية، إلى أنّ من عادة العرب تقسيم الكثرة والرداة!، وتوخر الشيء الفاضل والقليل، وقد استدل على ذلك بهذه الآية، وما ورد في بعض الآيات، كسوره الكهف، وسورة فاطر، حيث وافق أكثر البلاغيين والمفسرين ابن عطية، في الآية الأخيرة، إلى أنّ سبب تقديم الظالم على المقتضى والسابق، إلى الكثرة، حيث يقول الشوكاني: "وجه التقسيم هنا أن المقتضدين بالنسبة إلى أهل المعاصي قليل، والسابقين بالنسبة إلى الفريقين أقل قليل، فقدم الأكثرون على الأقل"³، وأيضاً قيل في تفسير قوله تعالى: " فمنكم كافر ومنكم مؤمن" ، حيث يقول الشوكاني: "وقدم الكافر على المؤمن؛ لأنّه الأغلب عند نزول القرآن"⁴، وقد أورد ابن الأثير هذه الآية وعلّق عليها بقوله: " وإنما قدم الظالم لنفسه للإيذان بكثره، وأنّ معظم الخلق عليه، ثم أتى بعده بالمقتصدين؛ لأنّهم قليل بالإضافة إليه، ثم أتى بالسابقين وهم أقل من القليل أعني من المقتصدين؟ فقدم الأكثرون، وبعده الأوسط، ثم ذكر الأقل آخرا!"⁵.

٣٥ - سورة الأنبياء، الآية ١

²- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج4، ص81.

³- الشوكاني، فتح القدير، ج4، ص402.

٤ - المرجع السابق، ج ٥، ص ٢٨١.

⁵ - ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائِر في أدب الكاتب والشاعر، ج²، ص43.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

2- جاء عند ابن عطية في تفسير قوله تعالى: {الرَّانِيَةُ وَالرَّانِيٍ فَاجْلِدُوَا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدٍ وَلَا تَأْخُذُكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ ثُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيُشَهِدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} ¹، ما نصه: "وقدمت الزانية في اللفظ من حيث كان في ذلك الزمن زنى النساء أفضى!، وكان لأمراء العرب وبغايا الوقت ريات، وكن مجاهرات بذلك، وإذا العار بالنساء الحق إذ موضعهن الحجبة والصيانة!، فقدم ذكرهن تغليظاً واهتمامًا" ².

يعرض ابن عطية في هذه الآية، سبب تقديم الزانية على الزاني، حيث يرجع ذلك إلى أنه ملازم للمرأة أكثر منه إلى الرجل!، وإلى أن لحوقه بالمرأة أقرب منه إلى الرجل!، ويضيف إلى ذلك دلالة الاهتمام والتغليظ عليهن، وقد وافقه البيضاوي في ذلك، حيث يقول: " وإنما قدم الزانية؛ لأن الزنا في الأغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه!؛ وأن مفسدته تتحقق بالإضافة إليها" ³، وهذا ما هو ملاحظ إذ أكثر الزنى واقع برغبتهن وتسللهم في مخالطة الرجال!، وإلا فإن الرجل لا يتجرأ على هذا الفعل الفاحش إلا برضاء المرأة وتسللها!، وهذا نظير ما يقع في السرقة، في قوله تعالى: "والسارق والسارقة قاقطعوا أيديهما" ⁴، حيث قدم الذكر على الأنثى، إذ إن أكثره يقع من الرجال!؛ لأنهم أقدر من النساء على القيام بهذا العمل!؛ لأنّه يحتاج إلى قوة وحركة، وهذا ما لا يوجد عند النساء في الأغلب الأعم!، ومن ذلك ما قيل في تقديم الإناث، في

¹- سورة النور، الآية 2.

²- ابن عطية الأندلسبي، الحرر الوجيز، ج 4، ص 161.

³- البيضاوي، أنوار التريل وأسرار التأويل، ج 4، ص 98.

⁴- سورة المائدة، الآية 38.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

قوله تعالى: "يَهْبَ لِمَن يُشَاءُ إِناثًا وَيَهْبَ لِمَن يُشَاءُ الذِّكْرَ"¹، حيث ذكروا أن سبب تقديمهن راجع لكثرن!، حيث يقول في ذلك البيضاوي: "وَلَعَلَ تَقْدِيمِ الْإِناثِ؛ لِأَنَّهَا أَكْثَرُ لِتَكْثِيرِ النَّسْلِ!"².

وبعد، فهذه هي الموضع التي ذكرها ابن عطية في تفسيره، فيما يتعلق بالتقديم والتأخير، من النوع الثاني الذي تقدم فيه لفظ على لفظ دون أن يكون عاملا فيه، وقد بلغت موضع التقديم والتأخير في هذا القسم ثلاثة عشر موضعًا، وهي مقسمة على النحو الآتي: ثلاثة في دلالة الاهتمام صرّح بها كلها، وأمّا دلالة رؤوس الآي فجاءت في موضعين، صرّح بها في الموضعين مع ذكر مثال في واحدة منها، أمّا دلالة التشيريف فصرّح بها في الأربعة موضعين التي ذكرت، في حين جاءت دلالة استشراف النفوس ودلالة سبق الوجود في موضع واحد لكل منها، مصرّحا بهما، وأمّا دلالة تقديم الأغلب فجاءت في الموضعين مصرّحا بهما، مع تعزيز ذلك بمتالين من القرآن في موضع أحد هما.

4. الخاتمة:

نخلص مما سبق، إلى أن هذه هي طريقة ابن عطية في ذكر الأسرار البلاغية في تفسيره، لم يغفل عنها، خاصة ما تعلق بالتقديم والتأخير، وما تولد عنهم من دلالات!، ما كان لها أن تكون لولا هذا العدول، وفي الوقت نفسه نراه لم يكتُر من تحريجاته تلك!، ومن هنا لا يُعد تفسير ابن عطية من جملة التفاسير التي توسيع كثيرة في فن البلاغة.
- رغم عدم توسيع ابن عطية بالبلاغة كثيراً، وخاصة فيما تعلق ببحث تقديم والتأخير، مقارنة بكتب التفسير المشرقية، كالألوسي والزمخشي، إلى أن كثيرة من جاء

¹ - سورة الشورى، الآية 49.

² - البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 5، ص 84.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

بعده نقل عنه بعض التخريجات البلاعية!، وخاصة علماء المغرب الإسلامي، كالقرطبي وأبي حيان والشاعري، وهذا لمكانة هذا التفسير في هذا القطر، بل تجاوزه إلى المشارقة!؛ مما يدلنا على علو منزلة هذا التفسير في العالم الإسلامي بأكمله، فهذا الشوكاني، وهو من المشارقة، نجد في تفسيره متأثراً كثيراً بآراء ابن عطية، وهذا بشهادة أحد الباحثين، حيث يقول: "لقد تأثر الشوكاني في تفسيره، فتح القدير بمسائل بلاعية عدة، بابن عطية في تفسيره الحرر الوجيز، فكان للمحرر الأثر الواضح في هذا الجانب، كيف والشوكاني يُعرف في كثير من المواطن في تفسيره، إذ يذكر اسم شيخه ابن عطية صراحة، ويتبعه بنقل نصه في تلك المسائل، وتارة لا يصرح¹!".

- نلاحظ أنّ ابن عطية، غالب عليه في هذا الباب ما مشى عليه المتقدمون، حيث إنّهم يذكرون موضع التقديم والتأخير، دون ذكر الدواعي والأسرار والتوضيح فيها، ويكتفون فقط بمصطلحي، "العناية" و "الاهتمام"!، ومنه نستخلص أنّ المفسر قد غابت عليه الدراسة النحوية في هذا البحث، في حين نجد في بعض الموضع ذكراً للتقديم والتأخير، ولكنه لا يذكر الغرض منه!، وهذا كثير جدًا، مثل ما جاء في قوله تعالى: "يوم تشتقق الأرض عنهم سراعاً"، حيث أشار إلى تقديم الجار والمجرور وذكر الخلاف فيمن جوز ومن لم يجوز، وأغفل ذكر فائدة ذلك!.

- ذكر ابن عطية النوعين جميـعاً، ما تقدم للفظ على عامله، وما تقدم لفظ على آخر غير عامل فيه، بل تعدّاه إلى ذكر الدلالة التي يفضي إليها أسلوب التقديم والتأخير.

¹ - محمد علوان، المحرر الوجيز وأثره في الدراسات البلاعية، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم، السودان، سنة 1991م، ص 412.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

- بلغت مواضع التقاديم والتأخير في تفسير ابن عطية بمجموعها ثمانية عشر موضعًا، منها: خمسة مواضع فيما تقدم فيه لفظ على عامله، مع ذكر دلالتين فحسب!، وأمّا ما تقدم فيه لفظ على آخر غير عامل فيه، فبلغت ثلاثة عشر موضعًا.

- أكثر المواقع التي أشار إليها إلى التقاديم والتأخير صرّح بدلائلها، إلّا في ثلاثة منها ذكرها إمّا بالمثال، وإمّا بالإحالات إلى موضع آخر!.

- بلغت مجموع الدلالات التي ذكرها ابن عطية سبع دلالات فحسب!، اثنان فيما تقدم فيه المعمول على العامل، وهو دلالة الاهتمام والاختصاص، وست دلالات فيما تقدم فيه لفظ على آخر غير عامل فيه، وهو: دلالة الاهتمام، مناسبة رؤوس الآي، التفضيل والتشريف، الاستشراف، السبق في الوجود، تقديم الأغلب.

- أكثر المواقع التي أشار إلى التقاديم والتأخير فيها، نقلها عن أبي إسحاق الزجاج دون أن يصرّح بذلك!.

- لم أعثر على كتاب مختص في فن البلاغة، ذكره، أو أحال إليه!، سوى كتاب نظم القرآن للجرجاني، الأمر الذي جعل تفسيره وباقى تفاسير موطنه، بعيدة -نوعاً ما -عن فن البيان والمعانى!، وهذا ما أكدّه ابن حلدون!.

ومنه نخرج بالتوصيات التالية:

- يحيى تفسير ابن عطية بعض المباحث البلاغية، وهي جديرة بالإهتمام والدراسة، قمت بدراسة جانب منها في علم المعانى متعلق بمبحث التقاديم والتأخير، ولكن هناك مباحث أخرى في علم المعانى، كالمحذف والإنشاء وغيرهما، وهي جديرة بأن تبحث، قصد معرفة هل توسيع فيها ابن عطية أم لا؟!، أم أنَّ جميع المباحث البلاغية سار فيها على نسق واحد من عدم التوسيع، وذكر الفوائد البلاغية.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط.سفيان رضوان صالح وأ.د. محمد خليفاني

- إبراز الدور الكبير الذي أدها تفسير ابن عطية، والأثر الذي كان واضحا في التفاسير التي ألفت بعده، سواءً كانت مغربية أم شرقية.
- ومن أبرز التوصيات التي أوصي بها، إحصاء النقولات التي نقلها ابن عطية عن الزجاج ولم يصرّح بها، وهي كثيرة جداً، تحتاج إلى بحث مفصل أيضاً.

5. المراجع

- القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.
- أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبد شلي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ / 1988م.
- أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، المكتب العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ / 2003م.
- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدين، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1413هـ / 1992م.
- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسبي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقى محمد جمیل، دار الفكر، بيروت، الطبعة (غ) م، 1420هـ / 2001م.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفیش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ / 1964م.
- أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير الكاتب، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة (غ) م، 1420هـ / 2000م.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط.سفيان رضوان صالح وأ.د. محمد خليفاني

- أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجاري، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1371هـ/1952م.

- أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1990م.

- أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ.

- أبو سنان الخطاجي الحلبي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1402هـ/1982م.

- أبو القاسم حار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ.

- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المخاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.

- أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر، القاهرة، 1978م، نسخة .pdf

- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1399هـ/1979م.

- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1376هـ/1957م.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

- جلال الدين الفزويي، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم حفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، 1953م.
- جلال الدين محمد بن أحمد المخلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، تحقيق: عبد الرحمن المباركفورى، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م.
- خالد بن محمد بن إبراهيم العثيم، الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة، دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/1998م.
- خليل أحمد عمایرة، في نحو اللغة وتراكيبيها، منهج وتطبيق، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، 1984م.
- الراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1412هـ.
- رُسل عباس محمد شirozah، البحث الدلالي في تفسير ابن عطية، أطروحة ماجستير، جامعة الكوفة، العراق، ربيع الأول 1432هـ/2011م.
- سامي عطا حسن، التقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم بلاغته ودلائله، عمان، الأردن، مجلة دراسات، المجلد 37، العدد 2، سنة 1431هـ/2010.
- سليمان الطوфи، الإكسير في علم التفسير ، تحقيق: عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1409هـ/1989م.
- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسني الألوسي، روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، تحقيق: علي عبد البارى عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.



التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م.
- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الحاجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ/1988م.
- فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الطبعة الرابعة، 1427هـ/2006م.
- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفناها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الرابعة، 1417هـ/1997م.
- كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم ابن الزملکانی، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد مطلوب وخدیجۃ الحدیثی، مطبعة العاین، بغداد، الطبعة الأولى، 1964م.
- محمد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفیروزآبادی، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعیم العرقسوی، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، 1426هـ/2005م.
- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوکانی الیمنی، فتح القدیر، دار ابن کثیر، دمشق، الطبعة الأولى، 1414هـ.
- محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحریر والتنویر، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة (غ م)، 1984م.
- محمد علوان، المحرر الوجيز وأثره في الدراسات البلاغية، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم، السودان، سنة 1991م.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسطنطينية الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 82-122 تاريخ النشر: 23-03-2021

التقديم والتأخير في تفسير ابن عطية ————— ط. سفيان رضوان صالح وأ. د. محمد خليفاني

- محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الضعيفة، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1412هـ / 1992م.

- مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة (غ م)، (د ت).

- موسى إبراهيم، تأملات قرآنية، دار عمان، الأردن، 1989م، نسخة pdf.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسطنطينية الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 123-157 تاريخ النشر: 25-03-2021

الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي للمفسرين أجراءين Teach interpretation in the scientific activity of Algerian interpreters

د. جلول بلحاج

Djelloulogbi46@hotmail.com

جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

تاريخ القبول: 2020/08/03

تاريخ الإرسال: 2019/05/16

الملخص:

شغل تدريس التفسير ولا يزال هاماً واسعاً وأساساً في النشاط المعرفي للمفسرين الجزائريين، إذ إضافة إلى تدريس سائر المواد الشرعية وما يتعلق بها من علوم الآلة، وأيضاً التأليف في التفسير وغيره، بحد الحرص مستمراً على ختم دروس التفسير بالمساجد والمدارس والزوايا والمعاهد وبمحالس السلطان... ووفق مقررات مغربية أو مشرقية، وكثيراً ما لا يتلزم المفسر مقرراً واحداً بعينه. وقد أخذ تدريس التفسير في الاعتبار مستوى الشريحة المستقبلة فكان منه ما هو للطبقة العليا من طلبة العلم، وكان منه أيضاً ما هو موجه لعموم القراء العاديين في الصحف والإذاعات... وهذا المقال يحاول أن يرصد قدرًا كبيراً منها من أيام الشريف التلمساني في القرن الثامن الهجري مع الإشارة إلى بعض الجهود المعاصرة؛ للدلالة على أن هذا النشاط بدأ مبكراً، ولم ينقطع إلى حد الساعة مع تسجيل اختلاف درجات استحقاق مرتبة المفسر، ومستويات أدائه التفسيري.

الكلمات المفتاحية: تدريس، تفسير، الجزائري، المسجد، المدرسة، المقررات.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

Abstract: The teaching of interpretation has been and remains a broad and fundamental margin in the cognitive activity of Algerian interpreters, in addition to teaching all the other legal and related sciences of the machine, as well as the authorship in the interpretation and others, we find constant concern to seal the lessons of interpretation in the mosques, schools, angles, institutes and councils of the Sultan. ..According to Moroccan or oriental decisions, the interpreter often does not adhere to one particular decision. The teaching of the interpretation took into consideration the level of the receiving classes, which was the upper class of science students, and it was also directed to the general public of ordinary readers in newspapers and radio stations ... This article tries to monitor a large number of the days of Sharif Tlemcen in the eighth century AH with reference to some of the efforts of contemporary; to indicate that this activity began early and did not stop to the point with the recording of different degrees of maturity of the interpreter and the levels of interpretation performance.

Keywords: teaching, interpretation, Algeria, mosque, school, courses.

تمهيد:

الأصل في التفسير أنه بدأ شفهيا حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين للناس ما نزل إليهم، مرة جوابا على سؤال يطرح بخصوص آية، ومرة ثانية يأتي ذلك تعليقا على فهم لآية على غير وجهها (إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [قمان: 13]، وأكثر ذلك كان التفسير يأتي ابتداء دون سابق سؤال أو حادثة، وفي مناسبات متكررة كخطبه عليه السلام في الجماعات والأعياد والحروب... وقد كانت أحاديثه القولية كلها، وسيرته



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

العملية تفسيراً كاملاً لأكثر ما يحتاج إلى تفسيره. إذ كان التدوين مقتضراً على نص القرآن، وشيء من الحديث. وفي تفسير قول الله سبحانه وتعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) [الْقَلْمَ: 4]، قالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ: أَدْبُ الْقُرْآنِ، وَقَالَتْ عَائِشَةَ: كَانَ حَلْقَهُ الْقُرْآنِ.¹.

وفي زمان الصحابة الكرام استقر الأمر على ما هو عليه إذ حفظوا ما تعلموه من التفسير وتوسعوا بالاجتهاد فيما لم يسمعوا من التفسير النبوي مباشرة. ولا يوجد شيء مدون عنهم تدويناً تماماً على أنه تفسير غير ما ينسب إلى سيدنا عبد الله بن عباس بعنوان المقياس من تفسير ابن عباس، وهو عمل وصلَ مبكراً إلى الأندلس مروراً بالمغرب، كما سنشير إليه في محله. غير أنه في عهد التابعين تواصل عمل العالمين بالتفسير منهم في درس التفسير، لكن جمعاً منهم أخذ يدون ما اجتمع إليه من التفسير.

وفي النص التالي لحمد بن عبد الكريـم ما يفيد شيئاً من ذلك " تاريخ التفسير شفهياً وكتابياً: فعلى ضوء مصادر التفاسير السالفة البيان يتضح لنا جلياً أن تفسير القرآن الكريم قد تدرج تاريجياً في مراحلتين اثنتين: مرحلة المشافهة، ومرحلة التدوين. فأما المرحلة الأولى: فقد بدأت بتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن شفهياً بمجرد نزوله وبأمر من ربه. وذلك واضح جداً في قوله تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل: 44]. وقوله تعالى (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [النحل: 64]. فبها تين الآيتين وأمثالهما قد أوجب الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم تفسير ما استعصى فهمه على الناس من القرآن، وألزمـه بتبيـن مـبـهم آياتـه التشـريعـية، وإيـضـاح معـانـي الـفـاظـهـ وـجـلهـ، وـتـفـصـيلـ مـعـمـلـهـ، وـحـلـ مشـكـلـهـ. وهذا كـلهـ قدـ كانـ منهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ إـلـىـ الصـاحـبةـ

¹- أثر صحيح انظر شرح السنة للبغوي (المكتب الإسلامي، سوريا، ط: 01، 1982) ج 13



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

شفهيا، فاستقر في صدورهم ورسخ في أذهانهم، وتناقله بعضهم عن بعض بطريق الرواية، ثم تناقله عنهم التابعون بأمانة النقل وتثبت العلم.¹

وقد كان أكثر إنتاج التابعين في التفسير مفقودا، لا يكاد يوجد إلا أقوالا مفرقة ضمن أجزاء التفسير في القرون المولوية كما عند الطبرى (310هـ) بالخصوص، ولكن الدراسات الجامعية الحديثة كشفت عن كثير من الأعمال المستقلة لأصحابها من التابعين، وقد طبع كثير منها. ويعتقد أن ما لم يطبع يمثل كما كبرا أيضا "إن جامعات كثيرة بالعالم الإسلامي، اهتمت ولا تزال بجمع تفاسير كثير من أعلام التابعين وتابعיהם نعلم ببعضها دون الآخر مع الأسف الشديد لغياب التنسيق والتواصل؛ كتفسير كعب الأحبار (32هـ)، وتفسير مسروق (63هـ)، وتفسير أبي مالك الغفارى (90هـ)، وتفسير أبي العالية الرياحى (93هـ)، وتفسير جابر بن زيد (93هـ)، وتفسير سعيد بن المسيب (94هـ)، وتفسير سعيد بن جبير (95هـ)، وتفسير إبراهيم النخعى (96هـ)، وتفسير الصحاك (100هـ)، وتفسير الحسن البصري (100هـ)، وتفسير مجاهد بن جبر (104هـ)، وتفسير عكرمة (105هـ)، وتفسير طاوس بن كيسان (106هـ)، وتفسير ابن سيرين (110هـ)، وتفسير عطاء بن أبي رباح (115هـ)، وتفسير محمد بن كعب القرظى (117هـ)، وتفسير قتادة (118هـ)، وتفسير زيد بن أسلم (136هـ)، وتفسير ابن حريج (150هـ)، وتفسير عطاء الخرسانى (155هـ)، وتفسير مالك بن أنس (179هـ)...".²

¹ - توجيهات القرآن العظيم، محمد بن عبد الكريم (مؤسسة المعالي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م) ج 1/358.

² - جهود الأمة في خدمة تفسير القرآن الكريم، الدكتور أحمد العمراني. ص 595.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

وهذا النص ذكرته للدلالة على وفرة الإنتاج العلمي في التفسير ومنذ وقت مبكر بين يدي العلماء والباحثين والطلبة، وهو ما يشجع على استمرار الدرس والتحصيل. ومع هذا فلم ينقطع التفسير الشفهي بل ظل هو الأصل في الحركة العلمية، والأكثر شيوعا في الأوساط الثقافية لكون الكثرة من العلماء تجيد التفسير بالتدريس، وقد لا تتوفر على دواعي التأليف، وقد لا يصل إلى الأجيال ما تم إنتاجه من التفاسير على اتساع البلدان، وتعاقب الأزمان. بل وإنه وفي بعض الأزمنة وفي كثير من مجالس العلم هجرت كثيرون من مقررات التدريس من التفاسير المشهور، واقتصر على تدريس تفسير واحد مشهور، كالبيضاوي في العصور المتأخرة، وربما سبقه الكشاف...على ما يأتي التمثيل له.

إن الحديث حول ظاهرة الاشتغال بالتفسير سواء تعلق الأمر بالدرس والتحصيل، أو بالتدريس والتعليم، أخذ مبكرا شكل الحلقات الخاصة للطبقة العليا من الطلاب، كما كان يحصل أيضا في المجالس العامة كالمساجد والزوايا في وقت لاحق لجمهور المؤمنين. في نص للمالكى يؤكّد فيه ما كان لعكرمة الإفريقي¹، تلميذ ابن عباس من جهد مستمر في تعليم التفسير ففي بعض المصادر "وكان دروسه في التفسير في جامع عقبة".². ويدل أيضا على قدم نشاط التفسير الشفهي بالمغرب عموما، إذ كانت القิروان قاعدة، ومن قبله ورد ابن عباس وابن عمر في حماعة وهم من يتقنون التفسير. وبالانتقال إلى المفسرين الجزائريين أوراد الحفناوي في تعريف الخلف النص التالي في ترجمة أحمد بن معمر البجائي فقد قال عنه: "وكان رحمه الله له مجلسان في العلم: مجلس في الحديث، ومجلس في التفسير، إلا أن التفسير يقرئه بعد صلاة الجمعة على المنبر؛

¹- رياض النفوس، للمالكى (دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط: 01، 1983م) 146/1.

²- رياض النفوس للمالكى، المصدر السابق. 146/1.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

لكرة الناس وازدحامهم عليه إلى يوم موته.¹. وهذا النص يدل على أن حركة تدريس التفسير لم تزل مستمرة، وأنها كانت موجهة لجمهور المؤمنين أيضاً، وهو واضح في أن درجات العرض كانت تأخذ في الاعتبار المستويات المتوسطة للشريحة الاجتماعية العامة.

01 . حلقات درس التفسير.

وقد استمر تقليد تدريس التفسير بدأية من أحمد المسيلي، إلى سعيد العقابي، وابن زاغو، وابن مرزوق الحفيدي، إلى يحيى الشناوي ثم إلى الشيخ ابن باديس وإبراهيم بيوض... وكثيراً ما صاحبه منح الإجازات وختم مقررات التفسير، وسيأتي أن للعالم ابن زاغو رسالة بعنوان "ختم التفسير".

وذكر القلصادي الأندلسي أنه حلّ تلمسان في رحلته، وقد أشاد بمن فيها من الأعيان العلمية، حيث قال: "وأدركت فيها كثيراً من العلماء والصلحاء والعباد والشهداء، وسوق العلم حينئذ نافقة، وتجارة المتعلمين والمعلمين راجحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة، وإلى الجد والاجتهداد فيه مرتفعة، فأخذت فيها بالاشتغال بالعلم على أكثر الأعيان المشهود لهم بالفصاحة والبيان"²، وأنه من بين هؤلاء الإمام ابن زاغو (845هـ/1441م)، فقد قال عنه "ولازمه في الحضور مع الجمهور في المدرسة اليعقوبية للتفسير".³. وهذا النص يفيدنا أن درس التفسير بالمدرسة المذكورة كان عاماً، يحضره

¹ - تعريف الخلف برجال السلف، لأبي القاسم لخفاوي (مؤسسة الرسالة — لبنان — ط: 02، 1985) ج 2/88.

² - رحلة القلصادي الأندلسي، المصدر نفسه. (الشركة التونسية للتوزيع — تونس — ط: 01، 1978) / 95.

³ - رحلة القلصادي المصدر نفسه. 104.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

كبار الطلبة إضافة إلى جمهور المؤمنين، فقد كانت خدمة التفسير متاحة للجميع في المدارس أيضا.

ومن استفاد منهم القلصادي الأندلسي أيضاً الشيخ محمد بن النجاشي فقد قال بعد أن وصفه بما يستحقه من نعوت الحلال والفضل: "حضرت عليه بعض تفسير الكتاب العزيز".¹ وهو واضح أيضاً في أن درس التفسير كان موجوداً ومستمراً وبشكل واسع. وفي الضوء اللماع عرض لهذا الأمر في شأن القلصادي دائماً، وبشكل موسع "ثم إلى تلمسان سنة أربعين فوجد أبا الفضل المشدّي هناك فرافقه في الاشتغال فلازم الشيخ أحمد بن زاغو - براي وغين معجمتين - وفاسما العقابي - بضم المهملة وسكون القاف ثم موحدة - ومحمد بن مرزوق فدرس عليه في التفسير والحديث والفرائض والنحو وعلى العقابي في التفسير والحديث والفقه والأصولين وعلى ابن زاغو في التفسير..".²

وفيه زيادة على ما في كتاب الرحلة للقلصادي المذكور أن أبا الفضل قاسماً العقابي كان من يشتغل بتدريس التفسير، وأن القلصادي على تقدمه في الطلب كان يحضر مجلسه، وإن لم يبلغنا أن قاسما العقابي ترك في التفسير عملاً مدوناً.

ولو انتقلت إلى من اشتغل بتدريس التفسير لكن مجال القول ذا سعة بداية من سعيد العقابي إلى ابن باديس، ولنعد إلى القلصادي فقد أفاد أن ابن زاغو كان يقيم حلقات في التفسير بالمدرسة اليعقوبية فقد قال: "ولازمته في الحضور مع الجمهور في المدرسة اليعقوبية للتفسير...".³

¹ - الضوء اللماع في أعيان القرن التاسع، لشمس الدين السحاوي (دار الفكر، لبنان، 1978م) ج 143/3.

² - الضوء اللماع، المصدر نفسه، ج 143/3.

³ - رحلة القلصادي المصدر نفسه، ج 104/4.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

وكان ليحيى الشريف ولقاسم العقابي وغير هؤلاء اشتغال¹ بالتدريس تجاوز حلقات المسجد، والمدرسة ليشمل مجالس الأباء، فقد أورد في تعريف الخلف مثلاً عن عبد القادر الراشدي أن له "تفسير عدة آيات وقعت بمجالس صالح باي".²

وهذا كان موجوداً زمان الإمام السنوسي كما في المawahب القدسية، وإن كان السنوسي قد اعتذر عن حضور مجلس السلطان، فقد قال الملالي: "وكان رضي الله تعالى عنه لما شرع في التفسير بعث له السلطان رسولاً طلب منه أن يطلع إليه ويقرأ التفسير بحضوره كما يطلع غيره من المدرسين فامتنع رضي الله تعالى عنه الطلوء إلى السلطان"³، وهو أمر حدث لمحمد بن العباس أيضاً (871هـ/1465م). وكل من الخبرين يدلان على أن قراءة التفسير كانت تقليداً متبعاً في أماكن متعددة من المدرسة إلى المسجد إلى مجالس السلاطين. وإذا انتقلنا إلى العصر الحديث وجدنا الشيخ ابن باديس والشيخ بيوض يشتغل كل منهما بالتفسير بمسجديه ومحاضر من الطلبة وجمهور المؤمنين.

وفي ترجمة يحيى الشاوي (1096هـ/1685م) تجد أيضاً عن بعض تلامذته بالشرق "قرأنا تفسير سورة الفاتحة من البيضاوي مع حاشية العصام".³ ويدو أنه كان تقليداً سائداً وعملاً يستحق الاهتمام والإشادة. كما نجد أيضاً هنا النص هو والذي قبله يقعان خارجاً عن القرن التاسع الهجري" وحضر عند الفقيه المفسر المتوفى التوازلي أبي مروان

¹ - تعريف الخلف المرجع نفسه. ج 2/228.

² - معجم المعرف والشمائل السنوسية، بلحاج جلول (بحث غير منشور مقدم للجائزة الدولية لتراث السنوسي 2008م) 132.

³ - تعريف الخلف المرجع نفسه. ج 2/190.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

عبد المالك البرجوي في التفسير وغيره.¹. غير أكما ينتميان إلى الفترة المحددة لموضوع البحث.

02- عرض من عرروا بتدريس التفسير.

الغرض ه هنا استعراض طائفة من اشتهروا بتدريس التفسير بالمدارس وهو الغالب أو بالمساجد، أو بالزوايا و مجالس السلطان، وأضيف إلى هؤلاء من درسوا مواد التفسير بالجامعات ورئا الثانويات ومعاهد تكوين الأئمة، والصحف والإذاعات، وصفحات الإنترن特. وإن كانت الإضافة هنا تتعلق بحركة التفسير لا باستحقاق درجة المفسر بالمعايير التقليدية، والتي من أهمها القدرة على التأليف العلمي.

وأشير هنا أن التدريس المذكور قد كان صلبه في الجزائر، ووجد من المفسرين الجزائريين من اشتعلوا بتدريس التفسير في المدارس والمساجد والنواحي، والصحف والإذاعات خارج الجزائر، سواء بالشرق أو بالغرب. ومنهم من جمع إلى تدريس التفسير تدريس فنون أخرى كالمشدالي، والتقي الشمسي، ويحيى الشاوي، وعيسى الشعالي...

وأذكر هنا أيضا شخصية قبل القرن التاسع والغرض أن تدريس التفسير قد استمر ومنذ وقت مبكر، شرقا وغربا، وأن مجالس العلماء فيه كانت مشهورة، وأن المسائل التفسيرية كانت سائدة، ويتم تداول الكتب والباحث العالية كما يفيده النصوص الآتية. وأن التفسير كان من اختصاص أعيان العلماء، حيث كانوا يقصدون بالإشكالات التفسيرية الكبرى. كما حدث لأحد أبني الإمام هنا، وللآبلي في النص المشهور في إصلاح الخلل الوارد في كتاب التفسير للفخر الرازبي، وهو نص سأورده في محله، لدلالة على قدرة المفسر الجزائري يومها على متابعة الدرس التفسيري في مختلف أطواره.

¹- تعريف الخلف المرجع نفسه. ج 2/422.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

وأسوق هنا نصا مفاده أن ابن الإمام تحدث عن نفسه أنه وجه إليه سؤال وهو بالشرق حول اقتضاء الجمع بين آيتين على طريق الصنعة المنطقية بحذف الوسط إنتاج ما ليس بمراد. وليس في النص أن ابن الإمام أحباب السائل لكن فيه أنه تعقب جواب من سأله عن ذلك بعد عودته إلى بجاية فقد قال: "وقال: ذكر أبو زيد بن الإمام في مجلسه يوماً، أنه سئل بالشرق عن هاتين الشرطيتين: (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) [الأنفال: 23]، فإنما يستلزمان بحكم الإنتاج" ولو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهم معرضون "وهو محال. ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين، فقال ابن حكم؛ قال **الخوئجي**، والإهمال بإطلاق لفظة (لو) وأن في المتصلة، فهاتان القضيتان على هذا مهملتان، والمهملة في قوة الجزئية، ولا قياس على جزئيتين. فلما اجتمعت ببجاية بأبي علي حسين بن حسين، أخبرته بهذا، وبما أحباب به الرمخشي وغيره، مما يرجع إلى انتفاء أمر تكرار الوسط. فقال لي الجوابان في المعنى سواء، لأن القياس على الجزئيتين إنما امتنع لانتفاء أمر تكرار الوسط. وأخبرت بذلك شيخنا أبي عبد الله الآبلي، فقال إنما يقوم القياس على الوسط، ثم يشترط فيه بعد ذلك أن لا يكون من جزئيتين ولا سالبيتين، إلى ساير ما يشترط. فقلت: ما المانع من كون هذه الشروط تفصيلاً لحمل ما ينبغي عليه الوسط وغيره، وإلا فلا مانع لما قاله ابن حسين. قال الآبلي؛ وأجبت بجواب السلوى، ثم رجعت إلى ما قاله الناس، لوجوب كون مهملات القرآن كافية، لأن الشرطية لا تتنج جزئية. فقلت: هذا فيما يساق منها للحججة مثل (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آللَّهُ إِلَيْهِ لَفَسَدَتَا) [الأنبياء: 22]. أما في مثل هذا فلا. قلت: وكان يلزم السؤال الأول لو لم يكن للمتولي سبب تأخر، حسبما تبين في مسألة: لو لم يطع الله. فلينظر ذلك في اسم شيخنا أبي بكر يحيى بن هذيل رحمه الله.¹. والذي يهم هنا أن قصد العالم المشرقي

¹ - الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر نفسه. ج 1/219.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

المذكور ابن الإمام بالسؤال يشير إلى شهرته بالقدرة على التفسير، وأن توجيهه ابن الإمام السؤال إلى شيخه ببجاية أن الدرس التفسيري لها كان راقيا، إلى الدرجة التي يشير إليها رفع الإشكال، وأيضاً أن تفسير الكشاف كان رائجا، وقد حل محل القبول من العلماء ومدرسي التفسير خصوصا...¹

ومنها يذكر في شخصية النقاوسي (في حدود 740هـ/1367م) فيما وصفه به البلوي في البرنامج المشهور(749هـ/1376م)، من أنه كان ذا إحاطة بعلوم شتى منها علم التفسير، وعبارة البلوي المذكور "... إلى إحاطة بعلم التفسير والحديث".¹ وهو وصف أدلّ به ساعة حضوره مجلسه، وما تنسى له من الوقوف على دروسه فيما ذكر عموماً وخصوصاً في التفسير.

ومن الشخصيات التي اشتهرت بتدريس التفسير خارج الوطن كما يفيده النص الآتي الإمام منصور بن علي بن عبد الله الزواوي ففيه أنه كان يدرس التفسير بالأندلس حيث "قدم الأندلس في عام ثلاثة وخمسين وسبعين وسبعيناً، فلقي رحباً، وعرف قدره، فتقدّم مقرئاً بالمدرسة تحت حرارة نبيّه، وحلّ للناس متكلماً على الفروع الفقهية والتفسير. وتتصدر للفتيا...".² ويقتضي هذا أنه مكث في التدريس زماناً يكفي لإجراء العطاء المذكور والشهرة بين العلماء وأصحاب التراجم بذلك.

ومن المعلوم أن منصوراً الرواوي (بعد 770هـ/1422م)، من تلاميذ الإمام الباهلي (744هـ/1343م) فقد ذكر ابن الخطيب (ق 7هـ/1300م) أن له عليه مشيخة

¹- تاج المفرق في تحليمة علماء المشرق، حالد بن عيسى البلوي (نسخة إلكترونية) / 19.

²- الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر نفسه. ج 1 / 459.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

بقوله: "ومفیدنا المقدم أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي المعروف بالمفسر رحمه الله".¹. والبهالي شخصية معروفة بتأليفه في القراءات والتفسير وعموم علوم القرآن. وفي تعريف الخلف نصوص عن الشري夫 التلمساني نبدأ بما يتعلّق بأبي زيد بن الإمام وأنه كان مجلس في التفسير، وكان من تلامذته وهو ما يفيده النص التالي عن الشري夫 التلمساني أنه "حضر يوما مجلس أبي زيد بن الإمام في تفسير القرآن، فذكر نعيم الجنة فقال له الشري夫 وهو صبي: هل يقرأ فيها العلم؟ قال له: نعم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين. فقال له : لو قلت: لا، قلت لك: لا لذة فيها، فعجب منه الشيخ".².

وأما الشري夫 التلمساني نفسه فقد "فسر القرآن خمساً وعشرين سنة بحضور أكابر الملوك والعلماء والصلحاء وصدور الطلبة، لا يختلف منهم أحدٌ، عالماً بقراءاته وروياته وفنون علومه من بيان وأحكام وناسخ ومنسوخ وغيرها".³. وهذا يعني أن درسه كان راقياً، وأنه قد وقع له تسليم الأقران والأكابر بذلك، وقد أخذ عنه هذا الفن على مدار السنتين من لا يحصون كثرة من الطلبة، وجمهور المؤمنين، خصوصاً وأنه كان "غالباً يقرأ المدونة بعد التفسير حتى مات".⁴، ودرس الفقه كان مقصوداً وأنه الأساس في التعليم يومها.

¹ - الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر نفسه. ج 1 / 459.

² - تعريف الخلف للحفناوي المرجع نفسه. ج 1/113.

³ - تعريف الخلف المرجع نفسه. ج 1/117.

⁴ - تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 1/118.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

وأما عن مقدار ما كان يفسره فقد ذكر أنه: "يقرئ في التفسير نحو ربع حزب كل يوم مع البحث، وإذا طال بحث الطلبة أمرهم بالتقيد في المسألة ثم يفصل بينهم".¹ وهو مقدار لا يطيقه غير الطالب المتخصص على طريقة الشريف في التوسيع، والخوض في الفنون المتعلقة من لغة وبلاغة ومنطق كما كانت صيغة التفسير يومها شرقاً وغرباً، مع الاستشكال ودفعه.

وبخصوص القرن التاسع محل الدراسة فإن البسيلي رحمه الله كان من تعاطى التدريس، وليس بين يدي الآن أنه درس التفسير، ولكنه نص عام يشمل عموم المواد التعليمية المقررة يومها بالمدارس، و"كان مدرساً بالمدرسة الحكيمية (نسبة إلى محمد بن علي اللخمي المعروف بابن حكيم)، وكان يقرئ بدار سقيفته كثيراً".².

وفي إضافة فيها الرصاع "يعتبر البسيلي من فقهاء المذهب المالكي ويعده الباحثون من العلماء وقد اشتغل بالتدريس، فانتصب له بالمدرسة الحكيمية كما كان يقرئ بسقيفته داره، وهذا حسب ما ذكره تلميذه الرصاع: حضرت مجلسه بالمدرسة الحكيمية، وقرأت عليه جمل الخونجي. وكان يقرئ بسقيف داره كثيراً وتقصده الطلبة تسأله عن المسائل المشكلة".³.

ورد في بعض النصوص أن الشعالي كان من قد اشتغل بتدريس التفسير، فهو يذكر ذلك وأنه أجاز به بعض تلامذته المذكورين في النص الآتي، ولا يبعد أن تكون

¹ - تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 1/118.

² - ترجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ (دار الغرب الإسلامي بيروت - ط: 01، 1982) ج 104/1.

³ - تفسير ابن عرفة برواية البسيلي، رسالة ماجستير العالية شعراوي (كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر - 2006) / 80. راجع فهرست الرصاع: 177.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

الإجازة عامة على ما كان معروفاً. وفيه "الحمد لله سمع على الفقيه الأنجب الفاضل أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم السجاسي جميع هذا السفر الأول، وسمع على من الذي يليه إلى سورة سباء، وأجزته أن يرويه عني، وأن يقرأه متثبتاً ومت Hwyرياً، ويقف عن الخوض فيما لم يصل إليه فهمه إلى أن يقف على فهمه، وأنا بريء من التحريف".¹

وفي نص ثان للسجاسي المذكور، وهو أحد تلامذته الذين داوموا حضور درس التفسير عنده، "فالذي ختمته عليه ورويته: الجواهر الحسان...".² وهي نصوص تدل على أن الشعالي كان يدرس التفسير وخصوصاً كتابه الجواهر الحسان، وأنه كان متحفظاً في الإجازة مشترطاً فيها على من يحيى هم.

وفي ترجمة القلصادي أن الإمام قاسماً العقبي (854هـ/1451م) كان من يدرس التفسير إضافة إلى علوم أخرى، وكان العقبي لهذا قد بلغ رتبة الاجتهاد وإن ما يدّعه لنفسه. وفي الضوء اللامع عرض لمن أخذ عنهم القلصادي المذكور بشكل أوسع "ثم إلى تلميذه سنة أربعين... فلازم الشيخ أحمد بن زاغو، وقاسماً العقبي، ومحمد بن مرزوق فدرس عليه في التفسير والحديث والفرائض والنحو وعلى العقباني في التفسير والحديث والفقه والأصولين وعلى ابن زاغو في التفسير..".³

وفيه زيادة على ما في الرحلة من أن أبا الفضل قاسماً العقبي كان من يشتغل بتدريس التفسير، وأن القلصادي على تقدمه في الطلب كان يحضر مجلسه، وإن لم يبلغنا

¹ - الجوائز الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الشعالي (المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - ط: 1982.02) المقدمة، المصدر نفسه. ج 1/ض - ط.

² - الجوائز الحسان المصدر السابق. ج 1/ض - ط.

³ - الضوء الامامي للسخاوي، المصدر نفسه. ج 3/143.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

أن قاسما العقابي ترك في التفسير عملا، غير حواب في الدرر المكتونة عن سؤال في التفسير.

ومن درَّس التفسير أيضا أبو الفضل المغربي، ففي منشور الهدایة عن ولد المشدالی أنه "تصدى لِإفتاء بالمدينة المذكورة زمن الجد عبد الكريم ودرَّس بها، وذكر أنه تصدى للتفسير".¹ ، وفي الضوء اللامع تصريح بهذا وغيره إذ درَّس المشدالی "علوم الشرع التفسير والحديث والفقه على أبيه".² ، لما قدم تلمسان أخذ المشدالی عن بن مرزوق وهو المقصود بلفظ (فعلى الأول) "فعلى الأول في التفسير والحديث والفقه والأصلين".³ ، وأخذ عن أبي الفضل بن الإمام "التفسير والحديث والطب والعلوم القديمة والتصوف".⁴ . كما فيه أيضا أن المشدالی تلَمَّذ على أبي العباس أحمد بن زاغو، فأخذ عنه جملة من الفنون والتي هي: "التفسير والفقه والمعانی والبيان والحساب والفرائض والهندسة والتصوف".⁵ وبدوره بعد أن تأهل للتفسير، انتصب المشدالی المذكور (1459هـ/1459م) لتدریس التفسير في أمر أجملته هنا من الضوء اللامع حيث "انتزع له تدریس التفسير بقبة المنصورية".⁶ ، ويقصد بانتزع له أي من غيره من مفسري أهل مصر.

ومن أشهر مدرسي التفسير وغيره من الفنون المتعلقة به خصوصا الإمام تقى الدين الشُّعْبُنِي، ففي ترجمة إبراهيم بن عبد الرحمن الحنفي إمام السلطان ويعرف بابن

¹ - منشور الهدایة، لعبد الكريم الفکون. / 56.

² - الضوء الامام، المصدر السابق. 4 / 383.

³ - الضوء الامام للسخاوي، المصدر نفسه ج 4 / 383.

⁴ - الضوء الامام، المصدر نفسه. ج 4 / 383.

⁵ - الضوء الامام، المصدر نفسه. ج 4 / 383.

⁶ - الضوء الامام، المصدر نفسه. ج 4 / 388.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

الكُوكُي... أنه "ما أخذ عن الشِّمْنِي التفسير وعلوم الحديث والفقه والأصلين والعربية والمعاني والبيان والمنطق وغيرها بقراءته وقراءة غيره تحقيقاً ودراسة".¹ والنص يفيد الأهلية التامة للشِّمْنِي القسنطيني في تدريس جملة فنون علوم الإسلام، مع وجود غيره من أعيان العلماء، ومنهم السخاوي وما أدرك.

وفي ترجمة محمد بن علي بن علي بن نصیر الشَّمْنِي أبو الفضل الْدَّمْشَقِي القوشي الأصل القاهري الشافعى، أورد السخاوي أنه "أكثر من الأخذ عن الشِّمْنِي في فنون كالتفسير والأصلين والعربية والمعاني".² وتكرر أحد المشايخ عنه، وقد ذكرت في ترجمة الشِّمْنِي جملة من أخذوا عنه فلا أطيل بتكرار ذلك. وأذكر قبل أن أختتم أحمد بن محمد الكتاني الشافعى (895هـ/1490م)... ففي ترجمته أنه "سمع على الشِّمْنِي في حاشيته على المغني بل سمع عليه في التفسير والحديث وغيرهما".³.

وأختتم بهذا النص لما فيه من ذكر مقرر التفسير في التدريس بمصر، أسوة بغيرها إذ كان تفسير البيضاوى قد لقى القبول التام وحل محل الكشاف وغيره أو كاد. والغرض التدليل على قيام التقى الشِّمْنِي بالتدريس خصوصاً مقرر التفسير، السنين الطويلة، وبحضور الطبقات العليا، إضافة إلى الدراسة والرواية والتحقيق التام.

ومحمد بن يوسف السنوسي (895هـ/1490م) من درس التفسير، فأبدع فيه كما ذكر الملاي "فتحده رضي الله تعالى عنه إذا شرع في تفسير آية من كتاب الله تعالى، أو تفسير حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد ما أحاط به علم الباري سبحانه بيدي فيها من بديع التأويلات، وكثرة الاحتمالات ما لا يمكن التعبير

¹ - الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 190.

² - الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 190.

³ - الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 1 / 378.



الاشتغال بتدریس التفسیر في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

عنه، ولا يوجد في كثير من المطولات.¹ بل له في تفسيره وفي تدریس التفسير مقاصد يستقصيها، ويجعل درس التفسير وسليته إليها فقد قال الملاي أيضاً "كان رضي الله تعالى عنه لا يقرئ في علم من العلوم الظاهرة إلا خرج منها إلى علوم الآخرة، لاسيما إذا كان

يقرئ علم التفسير والحديث، وما ذاك إلا لما احتوى عليه باطنـه من خوف الله تعالى، ومراقبته له في كل لحظة، وعدم التفاتـه إلى شيء من زخارف الدنيا حتى كأنه يشاهد الآخرة بين يديـه، فصارت قراءـته للعلوم الظاهرة راجـعة كلـها في الحقيقة علومـا باطنـة".².

كما نجده ختم ذلك التدریس وقد ذكر الملاي أن درس الختم كان مشهودـا، يسعى السلطـان فمن دونـه لحضورـه "وكذا أيضاً لما عزم الشـيخ رضـي الله تعالى عنـه على خـتم تفسـير كتابـ الله الجـيد الذي لا يـأتيـه البـاطـل منـ بينـ يـديـه ولا منـ خـلفـه تـرـيلـ منـ حـكـيمـ حـمـيدـ وقدـ كـانـ وـقـفـ عـلـىـ سـوـرـةـ الإـخـلـاـصـ سـمـعـ بـذـلـكـ وزـيـرـ السـلـطـانـ وـأـرـادـ أـنـ يـخـتمـ تـفـسـيرـ وـكـانـ الشـيـخـ أـرـادـ أـنـ يـخـتمـ سـوـرـةـ الإـخـلـاـصـ فـيـ يـوـمـ وـالـمـعـوذـتـيـنـ فـيـ يـوـمـ الذـيـ بـعـدـ وـسـمـعـ الـوـزـيـرـ بـذـلـكـ فـأـرـادـ أـنـ يـحـضـرـ عـنـدـهـ فـيـ يـوـمـ الثـانـيـ الذـيـ يـقـرـأـ فـيـ الشـيـخـ تـفـسـيرـ المـعـوذـتـيـنـ وـهـيـ نـصـوصـ أـورـدـهـاـ مـنـ قـبـلـ، وـأـعـدـهـاـ هـنـاـ لـتـعـلـقـهـاـ بـخـصـوصـ مـوـضـوـعـ التـدـرـيـسـ".

ومن تصدـىـ لـتـفـسـيرـ وإنـ كانـ لمـ يـتـرـكـ تـأـلـيـفاـ فـيـ ذـلـكـ يـكـونـ قدـ اـطـلـعـ عـلـيهـ الـبـاحـثـونـ، أوـ ذـكـرـهـ أـصـحـابـ التـرـاجـمـ الإـمامـ التـنـسيـ (1494ـ 899ـهـ) فقدـ حـضـرـ درـسـهـ أبوـ جـعـفرـ الـبـلـوـيـ، وـحدـثـ عـنـ نـفـسـهـ قـائـلاـ: "سـعـتـ عـلـىـ شـيـخـنـاـ وـبـرـكـتـنـاـ وـمـوـلـانـاـ الـكـاتـبـ لـمـ فـوـقـهـ جـمـلةـ وـافـرـةـ مـنـ تـفـسـيرـ كـتـابـ اللهـ العـزـيزـ مـنـ سـوـرـةـ الـأـعـرـافـ فـاتـيـ منـهـاـ".

¹ - الموهـبـ الـقـدـسـيـ، الـبـابـ الثـالـثـ، الـمـلاـيـ (مـخـطـوـطـ خـاصـ) لـوـحةـ 77.

² - الموهـبـ الـقـدـسـيـ، الـمـلاـيـ. الـبـابـ الثـالـثـ، الـمـصـدـرـ نـفـسـهـ.

³ - الموهـبـ الـقـدـسـيـ، الـمـلاـيـ. الـبـابـ الثـالـثـ، الـمـصـدـرـ نـفـسـهـ.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

أقْلَهَا بِمَا يَحِبُّ لِذلِكَ مِن التَّحْقِيقِ وَالتَّحْرِيرِ، مَا ذَكَرَهُ الْمُفْسُرُونَ، وَمَا لَمْ يَذْكُرْهُ صَاحِبُ تَفْسِيرٍ؛ بَلْ مِن نَّتْائِجِ فَكْرِهِ الْمُصِيبِ، وَمُتَلَقِّيَّاتِهِ عَنْ مَشَايِخِهِ الْأَعْلَامِ الَّذِينَ وَرَثُوا مَقَامَاهُم بِالْفَرْضِ وَالْتَّعْصِيبِ. وَسَعَتْ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْبَيْوَعِ مِنْ كِتَابِ مُسْلِمٍ بِقِرَاءَةِ ابْنِهِ سَيِّدِي أَبِي الْفَرْجِ فِي أَيَّامِ التَّفْسِيرِ.¹ وَفِيهِ الْوَصْفُ بِالْمُقْدَرَةِ الْمَعْرِفِيَّةِ، وَالْمَلَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْتَّامَّةِ. وَفِي آخِرِ النَّصِّ مَا يَفِيدُ أَنَّ التَّفْسِيرَ كَانَ عَلَى وَفْقِ كِتَابِ مُقرَّرٍ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَهُ يَعْهَدُ بِقِرَاءَتِهِ لِقَارِئٍ مُعِينٍ، وَقَدْ يَسْتَخْلِفُ آخَرُ عِنْدِ الْغِيَابِ، كَمَا كَانَ مَعْرُوفًا.

وهناك شخصية أخرى حضرت التفسير عن التنسى، وكان من تلامذته، وأنه كان له مجالس في التفسير، وله فيه تلميذ فهذا ابن العباس الصغير يقول "لازمت مجلس الفقيه العلم الشهير سيدى التنسى عشرة أعوام، وحضرت إقراءه تفسير...".² وهي مدة تكفي للختم خصوصاً في المدارس وحيث يستمر الدرس في جميع أجزاء النهار ولفترات طويلة في مختلف الفصول، وأكثر من هذا إذا كان محور الدرس كتاباً مقرراً على الطلبة جرت العادة بالسعى إلى ختمه، وهو ما كان يحصل في جملة مقررات الدراسة بما فيها التفسير.

هذا كله في القرن التاسع وعن مدرسي التفسير فيه، وفي فاتحة القرن العاشر تظهر شخصية كبيرة قد ختم تاريخ العلم الشرعي بها، ولم يتكرر بعد ذلك من هو في مستواها، في التمكن من الفنون، والتلمذة على أعيان القرن التاسع. ينتمي ابن مرزوق الكفيف (901هـ/1496م)³ إلى عائلة عريقة في العلم، روایة و درایة، فقد كان يدرس

¹- ثبت أبى جعفر أحمد بن علي (دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط: 01، 1989م) / 319.

²- نيل الابتهاج، للتنبكتي المصدر نفسه / 329. الحفناوي، المرجع نفسه ج 1/ 164.

³- من شيوخ الكفيف في التفسير: " وسمع عليه - أبى ابن عتاب بتونس - مجلس درسه جملة من تفسير القرآن العزيز سماع تفقهه في أحكامه، وفهم معانيه، مع ما أفاده رضي الله عنه مما لم تتحتو عليه



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

التفسير ومن حضر مجلسه البلوي، واقتصر حضوره على ما ذكره في قوله: "حضرت إلقاءه تفسير بعض سورة آل عمران من كتاب الله تعالى على ما يجب في ذلك وله من التحقيق والتحرير."¹. وهو المقدار الذي تحمله الرحلة إذ كان البلوي المذكور حلّ تلمسان آخر القرن التاسع.

وفي فهرس ابن منجور ذكر لطائفة من أخذ عن عبد الواحد الونشريسي (955هـ/1550م) درس التفسير وغيره، منهم الشيخ اللطفي فقد حضر عبد الواحد الونشريسي في التفسير: "كان يلازم دروس ... الونشريسي أبى محمد عبد الواحد في فرعى بن الحاجب والتفسير وغيرهما".².

ومن حضره عثمان بن عبد الواحد اللطفي زيادة على عبد الواحد الونشريسي، شخصية ثانية يفيدها النص التالي: "كان ملزماً لابن هارون بمدرسة العطارين، ولكرسي التفسير وابن الحاجب للونشريسي".³. وليس فيه ذكر ما أخذه عن ابن هارون التلمساني.

ومن حضر عند عبد الواحد الونشريسي التفسير، محمد بن مجبر المساري "وختم عليه أخرى بكرسي الغدة بجامع القرويين، وكثيراً من ثلاثة بذلك الكرسي، وحضر عنده

كتبُ التفسير من أبكار فكره، وأخذه عن شيوخه بعباراته الفصيحة، واستدلاته المحكمة الصحيحة.". وحضر عليه - أبو حفص القلشاني - إلقاءه تفسير طائفة من الكتاب العزيز أو لها قوله تبارك وتعالى (ولقد ذرأنا لجهنم) [الأعراف: 179]، ومتتها قوله سبحانه (ولو اسعهم لتولوا وهم معرضون) [الأنفال: 23]، بما يجب لذلك الإلقاء من بيان المعانى واستنباط الأحكام وإيراد الأسلمة والانفصال عنها وغير ذلك ولم تتفق له منه إجازة.". ثبت أبى جعفر أحمد بن علي: 312.

¹ - ثبت أبى جعفر أحمد بن علي، المصدر نفسه. 248.

² - فهرست لابن منجور (طبعة مغربية، المغرب، 1978) / 36.

³ - فهرس ابن منجور، المصدر نفسه. 62.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

منه كثيراً بغير ذلك الكرسي، كمسجد العقبة الزرقاء المتصل بداره، ومسجد رحمة الزيب وغيرهما. ولازمه في التفسير حتى ختم، وأعاد عليه أخرى إلى أثناء سورة يوسف عليه السلام.¹. وفيه زيادة على ما فصله من أن الونشريسي المذكور كان يدأب على ختم التفسير. وهي ظاهرة إيجابية تدل على اهتمام الجزائريين بالدرس التفسيري حتى خارج الجزائر.

وفي ترجمة محمد بن علي العدي أنه لازم ابن هارون والونشريسي، وفي النص ذكر لتدريس ابن هارون للتفسير، وهو ما كنت تسأله عنه من قبل: "لازم أيضاً دروس المفتين المذكورين في الفقه وغيره، وتفسير الشيخ أبي القاسم بن إبراهيم بالمدرسة الصباحية مدة".² . وفيه أيضاً أن مقرر درس التفسير كان كتاب أبي القاسم بن إبراهيم. وطالع الناظر في القرن العاشر شخصية لم تحظ بالتوسيع في كتب التراجم، لكن ذكر في منشور الهداية أن عمّه قاسماً الفكُون (965هـ/1567م) كان "من فاق عصره في علم المعقول، وكان من تصدى للتفسير زمانَ مشيخة عصره، وناهيك بهم مشيخةً فيهم الشيخُ الوزان، وحضره وأثنى عليه".³ . وقد أخذ قاسم الفكون عن جملة من المشايخ منهم الوزان المذكور ومنهم شخصية عرفت بالتفسير وقرأت على مفسرين من المشرق، إذ كان من "شيخوخة الشيخ مغوش"⁴ ، الذي طبق حفظه الأرض وهو أشهر من

¹ - فهرس ابن منجور، المصدر نفسه. 65..

² - فهرس ابن منجور، المصدر نفسه. 68.

³ - منشور الهداية لعبد الكريم الفكون، المصدر نفسه. ج 42.

⁴ - محمد بن محمد التونسي هاجر إلى الآستانة فالتحق بمعتيقها الأستاذ أبو السعود المفسر، توفي بالقاهرة 947هـ. المؤنس 163.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

أن يذكر، ومن شيوخه أيضاً الشيخ العارف الوزان.¹ وفي ترجمة موسى بن علي بن إسماعيل بن عماد الدين الدمشقي، كما في الكواكب السائرة للغزي، أنه أحد "التفسير عن الشيخ مغوش المغربي، عن سيدي محمد السنوسي البوبي الأصل".²

وإنما سقط هذا الصك للدلالة على أهلية الشيخ مغوش المذكور في التفسير، وذكر مشايخه فيه. وفي بعض النصوص أنه لقى بالشرق مفتاحها الشيخ أبو السعود المفسر المشهور مؤلف إرشاد العقل السليم. وورد في ترجمة الشيخ مغوش "داخل دمشق فاجتمع به أفضليها، وشهدوا له بالعلم، والتحقيق خصوصاً في التفسير، والعربية، والمنطق، والكلام، والعروض، والقراءات، والمعاني، والبيان وقالوا: لم يرد إلى دمشق من يستحضر كلام السعد التفتازاني، والسيد الشريف، ويقرره، وما يرد عليه، وقرأ عليه الشيخ علاء الدين بن عماد الدين الشافعي، في أوائل تفسير القاضي البيضاوي، فأفاد وأجاد إلى الغاية، حتى أذهل العقول".³ والغرض التنويه ببعض التونسيين شيوخ بعض الجزائريين في التفسير.

وذكر عبد الكريم الفكون أن الشيخ أحمد الجزائري، كان من يتعاطى التفسير والفقه ويدعى الأستاذية في السبع، وعبارة الفكون، توحّي بالتعجب وعدم الإقرار للجزائري المذكور بذلك، وقد ترجم لجملة من الأشخاص عقب على دعاويمهم للعلم والفقه بالإنكار، والنقض لتلك الدعاوى. ومهما يكن من أمر الجزائري هذا وعبارة الفكون السابقة فإن التدريس بالمستوى الذي تحتمله الظروف العلمية في زمان الفكون قد وجد واستمر.

¹ - منشور المداية، المصدر نفسه. ج 42.

² - الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، للغزي (دوا الكتب العلمية، لبنان، 1997م) ج 3/163.

³ - فهرس ابن منجور، المصدر نفسه. 79.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

ومن درس التفسير واجتهد في إحياء سنة الطلب في تحصيله، محمد بن عبد الرحمن بن جلال (1583هـ/981م) فعند ابن منجور أنه كان يحضر التفسير على عبد المالك البرجي¹: "حضر عند الفقيه النوازلي أبي مروان عبد المالك البرجي التفسير وغيره".

ومن اشتهر بتفسير القرآن، وعرف بمجلسه فيه الشيخ محمد بن علي أهلول، فقد عرفت مكانته في علوم التفسير والحديث وما شاهدها. وروى الشيخ سعيد قنورة أيضاً أن شيخه "قد وصل في تفسيره إلى سورة الإسراء قبل أن يقتل (1008هـ/1603م)".².

وهي عبارة تدل على قصد الختم في درس التفسير ما لم يحصل للمفسر ظرف قاهر.
وفي منشور الهداية وهو مصدر معاصر للقرن المذكور أن أحمد المقرى كان يدرس التفسير بالعاصمة (1041هـ/1636م): "فنزل بدار الجزائر على فقهائها وعلمائها وتصدى للتدرис بها وقرأ التفسير على ما قيل في أيام إقامته".³. ولم يكن الفكون قد عاين المجلس بل بلغه ذلك عن غيره. وهو أمر غير مستبعد، لكون المقرى من المفسرين وقد ترجمت له وله كتاب إعراب القرآن⁴، وغير ذلك.

وهناك شخصية أخرى شغلت القرن الحادي عشر بكتاباته النقدية، وفتواه بخصوص تحريم الدخان، وما كتبه مما يعتبر عملاً إصلاحياً تعلق بالخطاب الديني، ومقاومة البدع... وإن كان أقل رتبة في الشهرة العلمية من عمه قاسم وهو الشيخ عبد الكريم

¹ - فهرس ابن منجور، المصدر نفسه. 79.

² - تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور أبي القاسم سعد الله (دار البصائر للنشر والتوزيع - الجزائر - ط: 06، 2009م). ج 13/2.

³ - الفكون، منشور الهداية، المصدر نفسه. 223.

⁴ - منشور الهداية، عبد الكريم الفكون، المصدر نفسه. 59.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

الفكون الذي ذكر عن نفسه أنه كان يحضر التفسير عند محمد التواتي، واللاحظ أن ملكة العلوم قد تناقصت لهذه الأزمنة، حتى أصبحت أسماء الفنون لا تعكس محتواها، وهو أمر لاحظه الفكون نفسه فقد قال عن نفسه: "قرأت عليه المرادي سنة إحدى وثلاثين وألف مرارا... وحضرته للتفسير نحو العشرة أحزاب".¹ وفي منشور الهداية وفي مواضع متعددة نقد كبير لأسماء يراها هو بدون مسميات علمية، وادعاء فنون لا طائل تحته.

وتشير كتب الترجم إلى المقدرة العلمية التي تحلى بها الشيخ يحيى الشاوي (1096هـ/1691م)، وما أبداه في المحاكمات من واسع العلم والمعرفة بالتفسير، وعلوم العربية. وأنعرض هنا إلى أنه كان يدرس التفسير بدمشق وبغيرها، كما يفيد بعض ذلك الناص التالي، إذ فيه "وقرأ عليه هو وجماعة من بلدته دمشق وغيرها كالعلامة السيد محمد أمين الحبي والفضل الشيخ أبو الإسعاد بن الشيخ أيوب الخلوي والشيخ عبد الرحمن الجلد والسيد أبو المواهب سبط العرضي الحلبي فقرعوا تفسير سورة الفاتحة من البيضاوي مع حاشية العصام".².

ويفيد سعد الله نقلًا عن ابن ميمون أن أبا الحسن علي عبد الواحد السجلماسي (1057هـ/1652م) كان من يدرس التفسير إضافة إلى ما ذكر من أنه نظم من التفسير البدايات الأولى من سورة البقرة. وقد كان درسه عاما. وربما كان يأخذ حضور العامة في تفسيره، فيبين لهم مقاصد السور والآيات، ويقرب ذلك للناظرين. وقد "روى محمد بن ميمون أن القاضي أبا الحسن علي كان بارعا في تفسير القرآن حتى اشتهر به وتسابق

¹ - منشور الهداية، عبد الكريم الفكون، المصدر نفسه. 59.

² - سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل الحسيني (دار البشائر الحسينية — لبنان — بـ ت) ج/1 252.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

الناس إلى درسه في الجامع الكبير.¹. وقدرها السجلماسي المذكور على التفسير كبيرة، فقد ورد في شأنه أنه " مرّ على الكشاف من أوله إلى آخره ثلاثين مرة منها قراءة ومنها مطالعة."².

كما نقل سعد الله نقا عن ابن ميمون أن الشيخ الفتى مصطفى بن عبد الله البوبي كان يطالع تفسير الشاعري " على سبيل التفقه وأنه أجاد فيه".³. واضح أن هذا كان في متناول عامة الناس نظرة لطبيعة تفسير الجواهر الحسان وخلوه من المباحث التخصصية، ومكانة أصحابه الصوفية خصوصاً إذا كان ذلك بمدرسته أو بالمسجد.

ومن نص ابن زاكور في رحلته أفهم كانوا يدرسون التفسير أبو عبد الله بن خليفة (1094هـ/1689م)، بل يذكر سعد الله استناداً إلى ابن زاكور دائماً أنه كان يختص التفسير: "وذكر ابن زاكور في رحلته أن أبا عبد الله بن خليفة الجزائري قد حتم القرآن الكريم تدريساً".⁴. وهكذا فإن حركة تدريس التفسير كانت متاحة وأنها كانت مستمرة وتبلغ مداها خصوصاً بالخطم، وما يتطلبه من طول المدة.

وفي ترجمة عبد القادر الراشدي شيخ أبي راس الناصري، وشيخ اللغوي الكبير مرتضى الربيدى، وقد أحياز الراشدى هذا الأخير وراسله بالإجازة من قسنطينة، وفي النص المقصود أن عبد القادر الراشدى القسنطينى كان يدرس التفسير، وأنه "كان يعقد مجالس للفتوى والتفسير".⁵، بل إن بعض هذه المجالس كانت بحضوره البالى، ففسر

¹ - سعد الله، المصدر نفسه. ج 2/15-16.

² - خلاصة الأثر، المصدر نفسه. ج 2/226.

³ - سعد الله 2/15-16. نقا عن التحفة المرضية لابن ميمون، المرجع نفسه. 235.

⁴ - سعد الله 2/15-16. نقا عن رحلة ابن زاكور، المصدر نفسه. 31.

⁵ - سعد الله ج 2/14، الحفناوى، المصدر نفسه. ج 2/219.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

الراشدي "عدة آيات وقعت بمحالس صالح باي".¹ وهو تقليد معروف وإن كانت النصوص لا تدلّ على كثرته واستمراره، ربما لكون الآيات عَجَماً، وقد شغلوها بأمور السياسة والعسكر أكثر من الأمور الثقافية؛ استجابة لظروف الفتح وغيره، خصوصاً في القرن الأولى زمن تواجدهم.

ومن نقل أنه درسوا القرآن بالمسجد وجروا على سنة العلماء الجزائريين في ذلك، واستمروا في التدريس والتفسير حتى بلغوا النهاية فيها الشيخ ابن لُلو، فقد نص سعد الله أنه ختم التفسير "القرآن الكريم في الجامع الأعظم بتلمسان".²

وحتى عند دخول المستعمر فضلاً عن الفترة السابقة لذلك الدخول والقدوم المشئوم فقد كانت سيرُ المشايخ لا تكاد تنقطع في تدريس التفسير، للطلبة خصوصاً، ولعموم المؤمنين، فإن الشيخ المشرفي وهو شخصية عاصرت دخول الاستعمار يحدث عن نفسه: "فجاجأنا دخول الإفرنس دمره الله الشغر الجزائري، فلم يتم لنا المراد في قراءة التفسير ومتون الصحاح، فرجعت لغريس".³ . ويقصد بالدخول هنا دخول وهران فقد كانت كما هو معلوم من ترجمته المكان الذي سافر إليه لدراسة العلم الشرعي، وكانت هي الوجهة لجميع طلبة الغرب خصوصاً، لتوفر المشايخ بها.

وبدوره وبعد التأهل لذلك جلس المشرفي يدرس البيضاوي والخلفاجي، وقد اطلعت على شخصية درست عند المشرفي التفسير خصوصاً، وهي شخصية محمد بن

¹ - سعد الله 14/2، الحفناوي، المصدر نفسه. ج 219/2.

² - ياقوتة النسب الوهاجة، للمشرفي العسكري (خطوطة خاص) لوحة: 34.

³ - ديوان نظم، و 111 ظ.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

سعد بن التلمساني، كما يفيده النص التالي من أنه "قرأ عليه شرح البخاري سنة 1245هـ/1830م، وتفسير البيضاوي وحاشية الخفاجي عليه".¹

ولما كان بعض الجزائريين عائلاً علميةً وغيرها قد اختارت أن توقع على رفض وجود الاستعمار بالأقدام، فقد هاجرت شخصيات إلى الشرق ولم يقطع اتصالها بالعلم، فعن أحمد بن محي الدين الإغريسي أنه "حضر في التفسير على أخيه العالمة السيد محمد السعيد".² كما في تعريف الخلف للحفناوي. ومن حضره الإغريسي هذا وفي التفسير دائماً الشيخ قاسم الحلاق³، فقد "حضره في أوائل تفسير البيضاوي".⁴

وكذلك جلس الشيخ الخضر حسين يدرس التفسير، ويبدو أن ذلك كان عقب تخرجه من الزيتونة وحصوله على شهادتها، ففي ترجمته ما يفيد أنه تقدم لذلك، وأن الوالي استدعاه، واستفهمه ليستكشف مقدراته العلمية على ذلك، وأن الخضر حسين بين له المراد، وغير مكان الدرس إلى مكان آخر كما في النص الذي أورده هنا، وأعيد إيراده في مكان آخر للحاجة. وفيه ما نصه على لسان الشيخ الخضر حسين دائماً؛ وذلك أن "علماء جامعة الزيتونة لا يقرؤون تفسير القرآن إلا إذا قرؤوا علوم المقول والمنقول، حتى يدركونها بغاية القرآن". وأشار أنه طلب مني بعضُ الطلبة أن أقرأ لهم تفسير

¹ - العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي - حياته وأثاره -، عبد الحق شرف. (منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف -الجزائر-2011م). 76.

² - تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 2/99.

³ - قاسم بن صالح بن إسماعيل بن بكر الدمشقي الشافعي، الشهير بالحلاق (1284هـ/1867م) فقيه، مفسر، محدث، ناظم، ناشر. ولد بدمشق، ونشأ، وتوفي بها.". معجم المؤلفين 103/8، ترجم مشاهير فضلاء القرن الثالث عشر. 1/32.

⁴ - تعريف الخلف، المرجع السابق. ج 2/99.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

البيضاوي في جامع (حمودة باشا)، فأجبت رغبهم وقرأت منه دروسا، فأرسل إلى القاضي المالكي يدعوني إلى المحكمة، فذهبت إليه فقال لي: بلغني أنك تدرس التفسير. قلت: نعم. فقال لي: على من قرأته؟ قلت: على شيخنا عمر بن الشيخ، وشيخنا محمد النجار. فقال لي: هؤلاء ما قرؤوا التفسير إلا بعد أن صاروا شيوخا كبارا... فقرأت التفسير في مسجد "أبي القاسم الجلبي".¹.

هذا إضافة إلى ما كان يلقى من دروس التفسير وهو بمصر والمشرق العربي، في المساجد والنوادي، وفي مختلف المناسبات، وهي الدروس التي جمعت من بعد في كتابه أسرار التزيل. وقد قال من جمعها أنه سعى إلى تحصيلها من خلال "دروس التفسير التي ألقاها في بعض النوادي والجمعيات الإسلامية، ونشرت في مجلة الهدایة الإسلامية التي كان يصدرها المؤلف في القاهرة".². على فترات زمنية متواصلة رحمه الله رحمة واسعة. وأسوة بشيخه الخضر حسين، بل بجميع مشايخه وكثير من علماء الجزائر خصوصا المفسرين منهم، فقد جلس ابن باديس بالمسجد حيث "قام بتدريس تفسير القرآن بقسطنطينة خمسا وعشرين سنة، فاحتفلت الجزائر بختمه له في الثالث عشر من ربيع الثاني سنة سبع وخمسين وثلاثمائة من المحرقة".³. وهي مدة طويلة تدل على أمور منها: القدرة على الاستمرار في الدرس التفسيري، وأن ابن باديس بعقليته الإصلاحية كان يرى أن القرآن وتفسيره وبالتالي هو محور كل حركة إصلاحية، وأن حادث الختم خصوصا على

¹- أسرار التزيل للحضراء حسين ضمن الأعمال الكاملة ج 11/122.

²- موسوعة الأعمال الكاملة على الرضا الحسيني (دار النوادر - سوريا - ط: 01، 2010) ج .04/1

³- التفسير والمفسرون بغرب إفريقيا الطهون (دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية - ط: 01، 2006) ج 1/223.

الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ————— د. جلول بلحاج

طريقة ابن باديس التي تجمع بين التدريس والتربيّة، والكتابات الصحفية، ومحاولات توجيه الحياة. بمختلف مجالاتها. بمضمون القرآن كان عملاً عزيزاً لم يتكرر إلا بعد الاستقلال – فيما اطلعنا عليه – على يد الشيخ بيوض بصورة متفاوتة الدوافع لكنهما بعد الاستقلال الوطني.

وأنقل في مجال التدريس إلى المفسرين من الإباضية، فقد ساروا وعلى نفس المنوال وهو ما كان معهودا في الوطن الجزائري خصوصا وعموم بلاد الإسلام من المزاجة بين تدريس التفسير والتأليف فيه. وقد وصل إلى أيدي الباحثين بل وعموم المطالعين للتفسير إنتاج وغير خصوصا هذا القرن، كما رأينا عند الشيخ اطفيش والشيخ بيوض... وأذكر هنا الشيخ إبراهيم القراري حفار (1954م)، وهو من أخص تلاميذ اطفيش وقد كان يدرس التفسير بالقرارة؛ حيث "القى دروسا... منها دروس في تفسير القرآن الكريم بمسجد القرارة، حضر منها الشيخ عدون أكثر من درس في تفسير سورة براءة".¹

وحضور العلماء دروس تفسير أقرانهم من الملاحظات التي تلفت بالظاهر، وقد رأينا ذلك عند الشريف التلمساني في مجلس السلطان، وابن مرزوق الحفيظ بتونس، والإبراهيمي في درس ختم القرآن للشيخ ابن باديس، وهذا النص الأخير والذي فيه أن

^١ - معجم أعلام الإباضية، مجموعة مؤلفين (دار الغرب الإسلامي بيروت — لبنان — ط: 02، 2000م) 09/2000. وقد ذكر أصحاب المعجم في ترجمته أنه مكت بمعهد اطفيش خمس سنوات، وقد خصه القطب لنبوغه في غير الوقت العام للطلبة. وله رسالة شروط المفسر وهي رسالة مطولة. وحاشية على الدرر اللوامع في التجويد.

⁷⁶ - معجم أعلام الإباضية، المرجع نفسه. ج 2/26.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

أحد أعيان المذهب الإباضي وهو الشيخ عدون كان يحضر دروسَ الشيخ إبراهيم القراري، وهي في النهاية من تواضع العلماء، ومن تأديب الطلبة في تحصيل العلم. وإن من الذين درسوا التفسير، للعامة والخاصة الشيخ إبراهيم بن إدريسو وهو من تلامذة الشيخ اطفيش، ومدرس للتفسير، " فكان يستغل بالتعليم من أول النهار إلى منتصفه، ومن الظاهر إلى ما بعد العصر بالدروس العامة في التفسير وغيره".¹

وليس في جميع هذه النص أن التفسير كان على وفق مقرر معين من تأليف العلماء المعهود تدريسها بالمعاهد العلمية والمدارس، الجاللين، والبيضاوي أو هو تفسير حر يعمد فيه المدرس إلى مجموعة من التفاسير يختار ما يناسب الدرس، ويتوافق مع مقاصد المفسر.

ومن فسر القرآن تدريسا فأتمه الشيخ إبراهيم بيوض وهو من الإباضية المعاصرین، وكان قد انتمى إلى جمعية العلماء المسلمين، وتبين أفكارا إصلاحية عمل على نشرها من خلال التفسير. وكانت بداية هذا التفسير كما يشير إليه النص التالي: "وفي غرة محرم سنة 1353هـ/1953م بعد أتم تفسير جزء عم، واحتنته يوم 25 ربيع الثاني 1400هـ/12 فيفري 1980م، وأقيم له مهرجان عظيم، شهدته مختلف السلطات الإدارية والسياسية من شتى المستويات، كما حضر حشد كبير من الأئمة والعلماء".²

وأنهى المفسرين الإباضية بشخصية الشيخ بالحاج بن عدون بن عمر قشار 1996م الذي كان يدرس التفسير بالمسجد مدة سنتين طويلة جاء تحديدها في النص التالي: "ولعل أبرز عمل علمي قام به يتمثل في تفسيره للقرآن الكريم في المسجد من سنة

¹ - معجم أعلام الإباضية، المرجع نفسه، ج 2/26.

² - معجم أعلام الإباضية، المرجع نفسه، ج 2/20.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

1956م إلى 1996م، وأقيم له حفل تكريم بمناسبة ختمه يوم 20 جوان 1996م.¹ وهو من تلامذة القطب اطفيش رحمهم الله جميعا.

وهناك لون آخر من ألوان تدريس التفسير وهو إعداد مقرر لطلبة معهد أو جامعة، ويعهد بتدريسه إلى مؤلفه أو إلى مدرس آخر، وقد كان للشيخ قشار بلحاج "تفسير سورة يس إخراج طلبة الشريعة"². ولم أطلع على هذا المقرر لمعرفة طريقة مؤلفه ومصادر التفسير.

ومن علماء صحراء بجنوب الجزائر من كان بيده يدرس التفسير، وهو الشيخ بلعام القبلاوي، وهو وإن لم يترك في التفسير عملاً مستقلاً صغيراً كان أو كبيراً إلا أنه "درس تفسير القرآن الكريم بتفسير فتح البيان لحمد حسن خان، في خمسة أيام من الأسبوع عدا الخميس والجمعة بلغ فيه إلى سورة الواقعة وقت إعداد هذه الترجمة (1997م)³. وقد تحدث هذا الشيخ الجليل رحمة الله عن نفسه بشأن ما كان يدرسه ويختم تدريسه من الفنون فقال عن تدريس التفسير: "وقد فسرنا القرآن فيها من أوله إلى آخره ووقت كتابة هذا البحث وقفنا على سورة العصر ومعتمدنا في التفسير فتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة الحقن صديق حسن خان، وفي أول القرآن أخذنا من تفسير القرآن الجامع لأحكام القرآن ابتدأنا في التفسير من أوائل السبعينيات من القرن العشرين

¹ - معجم أعلام الإباضية، المرجع نفسه. ج 79/2.

² - معجم أعلام الإباضية، المرجع نفسه. ج 79/2.

³ - ترجمة محمد الباي بلعام، إعداد محمد علي الأمين الشنقطي ضمن الرحلة العلية للباي المذكور(مطبعة دار هومة - الجزائر - بدون تاريخ) (384/2).



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

(م).¹ وتاريخ هذا المقال قبل وفاته بستين قليلة؛ علماً أن مقاصد القرآن كتاب كبير الحجم بلغت طبعاته 10 أجزاء من الحجم الكبير.

ومن لا يزالون على قيد الحياة وقد مد الله في أعمارهم الكريمة الشيخ أبو بكر الجزائري، فقد لازم منذ سنين طويلة درس تفسير القرآن إضافة إلى باقي نشاطاته؛ وقد انبى الشیخ لتدریس التفسیر ضمن دروسه في المسجد النبوی التي تذاع بإذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية.² وقد حدث الشیخ الطرهوی في رسالته العلمية فقال: "وقد التقيت به عدة مرات وأخبرني أنه استمر في تدریس التفسیر في المسجد النبوی طيلة خمس وأربعين سنة ختم خلالها القرآن أربع مرات وهو الآن في الختمة الخامسة".³ . وجمع في كتابه أیسر التفاسیر.

ومنهم أيضاً الدكتور التواتي بن التواتي، فقد ذكر في مقدمة تفسيره أن ما أبرزه للطبع أخيراً كان ثمرة تدریس التفسیر لستين طويلاً بالمسجد، فقد قال: "ولا يفوتنی هنا أن أذكر بخیر الشیخ العلامة أحمد قصیبة رحمه الله تعالى إذ أن هذا الرجل الفاضل والعالم الجليل له كل الفضل في توجیهی إلى تفسیر القرآن الكريم، وذلك حين انتدبت للتدریس في مسجد النور بمدينة الأغواط المحروسة فقد قصرت دروسی على الفقه المالکی، وكان الشیخ لتواضعه دائم الحضور، وذات يوم أشار إلىّ بعد أن استضافني في بيته وأكرمنی أکرمه الله من فيضه، ورحمه برحمته. قال لي رحمه الله: لو أنك تفاصل بين الدراسات فجعلت يوماً للتفسیر ويوماً للفقه؛ بذلك تجمع بين الأصل والفرع؛ فكان لهذا التوجیه

¹ - الرحلة العليّة، المرجع نفسه. ج 2/388.

² - التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، المرجع نفسه. ج 1/202.

³ - التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، المرجع نفسه. ج 1/202.



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

الرشيد أثر في نفسي، وأخذت بوصيته فكان نتيجتها هذا العمل الذي احتسبه عند الله تعالى لي تأليفا لي - وله رحمة الله - توجيهها.¹.

ولا يزال تدريس التفسير مستمرا بكثير من مساجد الوطن ومعاهده وجامعاته، وقد اقتصرت على من ذكرت، ولم تستوف عددهم لضيق مساحة المقال، وربما استوفاهم الباحث في غير هذا المثل.

04 - الخاتمة: وأخلص مما عرضه إلى أمور منها:

- أن درس التفسير لم يزل مستمرا بال المغرب الأوسط.

- أن ختم التفسير كان عملا معروفا، وقد أحصت بعض الوثائق حصوله في أمكنة مختلفة وأزمنة أكثر اختلافا.

- أن التدريس كان نشاطا مضافا ومرافقا لتدريس باقي المواد الشرعية.

- أن تدريس التفسير قد تم أحيانا وفق مقررات جزائرية ومغربية وأخرى مشرقية.

- أن تدريس التفسير كان يتم داخل الوطن وخارجـه.

- وأن هذا التدريس كان في المدارس والمساجد ومجالـس السلطان، والمعاهـد العلمـية، والنواـدي الأـدبية، والإـذاعـة... .

المصادر والمراجع:

- محمد بن عبد الكريم الجزائري، *توجيهات القرآن العظيم*، (مؤسسة المعالي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م)

¹ - الدر الشمين للتواتي، المرجع نفسه. ج 1/24



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

- أبو بكر عبد الله المالكي، **رياض النفوس في طبقات علماء القیروان وإفريقيا** (دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط: 01، 1983م).

- أبو القاسم لفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، (مؤسسة الرسالة — لبنان — ط: 02، 1985)

- أبو علي القلصادي المالكي، **رحلة القلصادي الأندلسي**(الشركة التونسية للتوزيع — تونس — ط: 01، 1978)

- شمس الدين السحاوي، **الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع**، (دار الفكر، لبنان، 1978م)

- بلحاج جلول، **معجم المعارف والشمائل السنوسية** (بحث غير منشور مقدم للجائزة الدولية لتراث السنوسي 2008).

- خالد بن عيسى البلوي، **تاج المفرق في تحليمة علماء المشرق** (نسخة إلكترونية)

- لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة** (طبع بيصر — 1974م)

- محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين** (دار الغرب الإسلامي بيروت — ط: 01، 1982)

- العالية شعراوي، **تفسير ابن عرفة برواية البسيلي**، رسالة ماجستير (كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر — 2006 — م)

- عبد الرحمن الشعالي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** (المؤسسة الوطنية للكتاب — الجزائر — ط: 02، 1982)

- محمد بن عمر الملاي، **الواهب القدسية في المناقب السنوسية** (مخطوط خاص).



الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

- ثبت أبي جعفر أحمد بن علي (دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط:01، 1989) - ابن منجور الفاسي، الفهرس (طبعة مغربية، المغرب، 1978م)
- بدر الدين الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة (درا الكتب العلمية، لبنان، 1997م)
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (دار البصائر للنشر والتوزيع - الجزائر - ط:06، 2009م).
- محمد خليل الحسيني، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (دار البشرى الحسينية - لبنان - ب ت)
- محمد أمين بن فضل الله محمد الحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر(دار صادر، لبنان، ب ت).
- العربي بن عبد القادر المشرفي، ياقوطة النسب الوهاجة (مخطوط خاص)
- الدكتور عبد الحق شرف، العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي - حياته وآثاره - (منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف-الجزائر-2011م.)
- علي الرضا الحسيني، موسوعة الأعمال الكاملة للحضر حسين (دار التوادر - سوريا - ط: 01، 2010م)
- محمد رزق الطرهوني، التفسير والمفسرون بغرب إفريقيا - رسالة دكتوراه (دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية - ط:01، 2006م)
- مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، إشراف الأستاذ محمد ناصر (دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان - ط: 02، 2000م)



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسطنطينية الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 123-157 تاريخ النشر: 25-03-2021

الاشتغال بتدريس التفسير في النشاط العلمي ----- د. جلول بلحاج

- محمد علي الأمين الشنقطي، ترجمة محمد الباي بلعام، إعداد ضمن الرحلة العليمة للبای المذکور (مطبعة دار هومة - الجزائر - بدون تاريخ)
- الدكتور التواتي بن التواتي، الدر الشمين في تفسير الكتاب المبين (مطبعة روبي الأغواط - الجزائر - ط: 01، 2011م).



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : 2588-X204

العدد: 34 السنة: 2020 تاريخ النشر: 25-03-2021 الصفحة: 187-158

التخريج الفقهي للعقوبة البديلة عن السجن

(على ضوء القواعد والضوابط الفقهية)

Jurisprudential extraction of alternative punishment for imprisonment in light of the principles and rules of Jurisprudence

د. عائشة لروي

aicha_laroui@yahoo.fr

جامعة أمد دراية - أدرار

تاریخ القبول: 2121/01/24

تاریخ الإرسال: 2019/11/04

الملخص:

إن الشريعة الإسلامية لا تهدف إلى العقاب أساساً، وتسعى إلى الوقاية منه قبل حدوث سببه. وعقوبة السجن في الشريعة الإسلامية عقوبة ثانوية لا يعاقب بها إلا على الجرائم البسيطة، عكس السياسة العقابية الوضعية التي اتخذت منها العقوبة الأساسية، ففشلت في تحقيق الردع الخاص والعام بها، ما أدى إلى ظهور اتجاه ينادي بضرورة إيجاد بدائل للسجن. ولقد تأكّد من خلال هذا البحث، أن التعزيز بباب فسح لتفعيل العقوبة البديلة باعتبار الواقع العملي، الذي جعل السجن عقوبة تعزيرية احتلت الصدارة في كثير من المعاصي والمخالفات. كما تم رصد مجموعة من القواعد والضوابط الفقهية الصالحة للتخرّيج الفقهي لهذه البدائل.

الكلمات المفتاحية: العقوبة؛ البديلة؛ السجن؛ القواعد؛ الفقهية.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

Abstract:

Islamic law is not intended to punish in principle, but seek to prevent it before it happens. The prison sentence in Islamic law is secondary and can only be punished by minor offenses, contrary to the penal policy which has made it a fundamental punishment and failed to obtain private and public deterrence with. This led to the emergence of a trend calling for the need to find alternatives to sanctions for freedom. It was confirmed by this search that disciplinary sanction (Al-Ta'azir) is a broad gateway to activate them, given the practical reality, the prison sentence became a punishment (Ta'aziriya) taking the forefront in many sins and offenses. And that a set of rules and jurisprudential principles have been found appropriate for rooting these alternative sentences.

Keywords: Punishment; Alternative; Prison; Rules; Jurisprudence.

المقدمة:

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا، وأتم علينا نعمه، ورضي لنا الإسلام دينًا. ونصلي ونسلم على سيد المرسلين، سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد تصدت الشريعة الإسلامية لجسم مادة الفساد، ولكل ما من شأنه أن يؤدي إلى الهرج والفتنة والاعتداء، واحتلال توازن أحوال العباد في أنفسهم واحتلال نظام جماعاتهم، ومن ثمة نظام الأمة ككل.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

ورغم تشرعها العقوبات بأنواعها: المقدرة، والتعزيرية، لحفظ نظام الأمة، فإن الشريعة الإسلامية لا تهدف إلى العقاب أساساً، بل هي مت肖فة إلى تقليله، وتسعى إلى الوقاية منه قبل حدوث سببه؛ وذلك بتكثير أسباب دفعه، لأن "الدفع أسهل وأولى من الرفع".

فقد أقرت بعض القواعد والضوابط الفقهية، - وهي من جوامع كلمه ﷺ، والتي من شأنها كبح جماح إيقاع العقوبات، والتقليل منها ما أمكن. من مثل قاعدة: "درء الحدود بالشبهات"، وقاعدة: "أن يخطئ القاضي في العفو، خير من أن يخطئ في العقوبة"، وقاعدة: "الأصل براءة الذمة"..., وغيرها، وهذا كله إصلاحاً لحال الناس، واستصحاباً لمقصد الشريعة العام من التشريع، وهو حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان.¹

بالإضافة إلى ذلك، فإن من مقاصد الشريعة الإسلامية: الحرية، فالشارع متشرف للحرية، ومرحب فيها، وحاث عليها في تصرفات المكلفين القولية منها والفعلية، مع الوقف بها عند حدود الشرع، وإلا استلزم ذلك العقاب.

وانعكس هذا المقصود على العقوبة السالبة للحرية (السجن)؛ إذ هي في الشريعة الإسلامية عقوبة ثانية لا يعاقب بها إلا على الجرائم البسيطة، وإذا غلب على الظن أنها مفيدة.

في حين، نجد السياسة العقابية الوضعية اتخذت من عقوبة السجن العقوبة الأساسية، التي يعاقب بها في كل الجرائم تقريباً، وفشلت في تحقيق الردع الخاص والعام بها؛ نظراً لما نتج عن هذه الوسيلة العقابية من سلبيات على جميع الأصعدة، الاجتماعية

¹ - مقاصد الشريعة الإسلامية، للطاهر بن عاشور: 194/3.

¹ التخريج الفقهي للعقوبة البديلة عن السجن - د. عائشة لروي

منها والاقتصادية، بل وعلى نفسية المحكوم عليه وعائلته، وقبل كل ذلك فقد كرست الجريمة بدل القضاء عليها، الشيء الذي أدى إلى ظهور اتجاه ينادي بإلحاح على ضرورة إيجاد بدائل للعقوبات السالبة للحرية القصيرة المدة، سعياً للتقليل من تلکم السلبيات. فظهرت العديد من العقوبات البديلة، مادية ومعنوية، وتبينت الآراء حولها.

ولقد اتجهت غالبية التشريعات العقابية إلى تبني هذه السياسة العقابية الحديثة، ومنها الدول العربية، وإن كان تبني هذه الأخيرة لفكرة العقوبة البديلة جاء على استحياء، وأدخلتها في سياستها العقابية، بين مؤيد ومعارض. كما أن مشروعيتها لا تزال محل نقاش، وغير واضحة المعالم لدى كثير من فقهاء الإسلام المعاصرين. وقد ارتأيت الخوض في هذا المجال، وذلك بتخريج هذه العقوبات البديلة عن السجن على ضوء بعض القواعد والضوابط الفقهية، تقريرًا للفكرة، وبيانًا لموقعها في التشريع الجنائي الإسلامي. وقد وسّتها بـ:

النحوين الفقهيين للعقوبة البديلة عن السجن (على ضوء القواعد والضوابط الفقهية)

فلئن كانت الشريعة الإسلامية تتشرف لتقليل العقاب والوقاية منه، وتتشوف كذلك للحرية:

- فهل الشريعة الإسلامية تقر العقوبات البديلة عن السجن؟
 - وإن كان كذلك، فما التكييف الشرعي لهذه البديل؟
 - وما القواعد الكلية العامة منها والخاصة، التي تخرج عليها هذه البديل في الشريعة الإسلامية؟

هذا ما يسعى هذا البحث الخوض فيه، تكيفاً للعقوبات البديلة، مع بيان متعلقاتها في الشريعة الإسلامية.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

ويجب التنوية هنا، أنه رغم أهمية الموضوع، لم أقف على دراسة أو بحث أكاديمي،
تناول تخريج هذه العقوبات البديلة عن السجن على ضوء القواعد والضوابط الفقهية.
وسيتم تناول الموضوع، وفق خطة جاءت بعد المقدمة في ثلاثة مطالب، وخاتمة،
كما يلي:

- **المطلب الأول:** مفهوم العقوبة البديلة عن السجن، وتكيفها الفقهى.

- **المطلب الثاني:** تخريج العقوبة البديلة عن السجن، على ضوء الضوابط الفقهية
الخاصة بالتعزير.

- **المطلب الثالث:** تخريج العقوبة البديلة عن السجن على ضوء القواعد الفقهية
العامة.

- **خاتمة:** بأهم النتائج المتوصل إليها.

- **المطلب الأول:** مفهوم العقوبة البديلة، وتكيفها الفقهى.

يهتم هذا المطلب ببيان مفهوم العقوبة البديلة، وتكيفها في الشريعة الإسلامية.
وهذا باعتصار غير مخل، فرضه المقام.

أولاً: **مفهوم العقوبة البديلة:**

الحديث عن العقوبات البديلة، هو حديث عن العقوبات القصيرة المدة، أي ما
تعلق بالجنح والمخالفات، أما الجنایات الخطيرة، فأصحابها غير معنيين بال الخيار البديل.
وهذا بيان مفهومها:

1- **تعريف العقوبة في الفقه الإسلامي:**

العقوبة لغةً:



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

العقوبة والعقاب والمعاقبة: أن تَحْزِي الرَّجُلَ بِمَا فَعَلَ سُوءًا. وعاقبَهُ بِذَنْبِهِ معاقبةً وعقابًا: أَخْذَهُ بِهِ. وَتَعَقَّبُ الرَّجُلَ إِذَا أَخْذَتْهُ بِذَنْبِ كَانَ مِنْهُ¹.

والعقوبة اصطلاحاً:

- عرفها الماوردي، قال: "زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر، وترك ما أمر به"².

- وعرفها عبد القادر عودة، قال: "العقوبة هي الجزاء المقرر لمصلحة الجماعة، على عصيان أمر الشارع"³.

- أما أحمد فتحي بكنسي فقال: "العقوبة هي جزاء وضعه الشارع للردع عن ارتكاب ما نهى عنه، وترك ما أمر به، فهي جزاء مادي مفروض سلفاً يجعل المكلف يحجم عن ارتكاب الجريمة، فإذا ارتكبها زجر بالعقوبة حتى لا يعاود الجريمة مرة أخرى، كما يكون عبرة لغيره. فالعقوبات موانع قبل الفعل زواجر بعده، أي أن العلم بشرعيتها يمنع الإقدام على الفعل، وإيقاعها بعده يمنع من العودة إليه"⁴.

2- تعريف البديل:

لغة: من البدال، وبَدَلُ الشَّيْءِ: غَيْرُه. بَدْلُ الشَّيْءِ وبَدَلُه وبَدِيلُه الخَلَفُ مِنْهُ. واستُنْدَلَ الشَّيْءُ بِغَيْرِهِ وَتَبَدَّلَ بِهِ إِذَا أَخْذَهُ مَكَانَهُ⁵.

¹ - لسان العرب، لابن منظور: 619/1.

² - الأحكام السلطانية، ص: 325.

³ - التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، لعبد القادر عودة: 1/609.

⁴ - العقوبة في الفقه الإسلامي، ص: 13.

⁵ - لسان العرب: 48/11.



التخرج الفقهي للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

3- مفهوم العقوبة البديلة:

العقوبات البديلة في الشريعة الإسلامية، هي: "العقوبات التي تحل محل عقوبة أصلية إذا امتنع تطبيق العقوبة الأصلية لسبب شرعي، ومثالها: الدية إذا درئ القصاص، والتعزير إذا درئ الحد والقصاص.

والعقوبات البديلة هي عقوبات أصلية قبل أن تكون بديلة، وإنما تعتبر بدلاً لما هو أشد منها إذا امتنع تطبيق العقوبة الأشد، فالدية عقوبة أصلية في القتل شبه العمد، ولكنها تعتبر عقوبة بديلة بالنسبة للقصاص، والتعزير عقوبة أصلية في جرائم التعازير ولكن يحكم به بدلاً من القصاص أو الحد إذا امتنع الحد أو القصاص لسبب شرعي¹. وفي الحقيقة لا يختلف تعريف العقوبة البديلة عن العقوبة الأصلية، فكلها جزاء يقرره المشرع ويطبقه القاضي على مرتكب الجريمة.

إلا أن هناك اصطلاح حادث للعقوبة البديلة عرفته السياسات العقابية الوضعية، وانختلف المعاصرون حول تعريفه وبيان حقيقته، لكن أغلبهم ذهب إلى أن العقوبة البديلة هي: عقوبة غير سجنية، بدلاً عن العقوبة السجنية التقليدية القصيرة المدة، وهي بهذا المعنى أقرب للقانون الوضعي منها لمفهومها في الشريعة الإسلامية، كما سبق بيانه.

وأحسن تعريف وقفت عليه لما موضوع البحث بصدده، أن العقوبة البديلة هي: "ما يحل محل السجن في تحقيق المصلحة الشرعية للفرد والجماعة، من عقوبات التعزير"². فهذا التعريف أقرب لمقصود الشرع؛ إذ ربط هذه العقوبات البديلة بالغرض من البديلة، والذي هو الغرض من العقوبات عموماً وهو تحقيق المصلحة الشرعية للفرد

¹- التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي: 632/1.

²- بحث: العقوبات البديلة في الفقه الإسلامي، لإبراهيم محمد قاسم الميمن، ص: 8.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

والجماعـة، وكذا رد هذه العقوبات البديلة إلى أصلها في الشريعة الإسلامية، ألا وهو باب التعزير، كما سيأتي بيانه.

إذا كانت العقوبة البديلة هي ما يحل محل السجن؛ باعتباره العقوبة السالبة للحرية، والتي يبحث لها عن بدائل، وجب بيان حقيقة السجن في الفقه الإسلامي، وذلك كما يلي:

- **السجن** لغةً: من الفعل سَجَنَ: السِّينُ وَالْجِيمُ وَالثُّوْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْحَبْسُ. يُقَالُ سَجَنَتُهُ سَجَنًا. وَالسَّجْنُ: الْمَكَانُ يُسْجَنُ فِيهِ الْإِنْسَانُ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: 33]. كِبْرًا فَتَحَا عَلَى الْمَصْدِرِ، وَكَسْرًا عَلَى الْمَوْضِعِ¹.

أما السجن اصطلاحًا:

فقد عرفه ابن القيم، قال: "إن الحبس الشرعي ليس هو السجن في مكان ضيق، وإنما هو تعويق الشخص، ومنعه من التصرف بنفسه سواء كان في بيت أو مسجد، أو كان بتوكيل نفس الخصم أو وكيله عليه، وملازمه له"².

فلم يفرق ابن القيم بين السجن والحبس كما هو واضح من تعريفه، وهو صنيع الفقهاء وأهل اللغة كذلك، وإن كان الحبس في الفقه أعم من السجن؛ إذ من معانيه: الوقف، كما أنه لم يشترط لتطبيقه وجود مكان معين ومحدد لذلك - كما هو الحال اليوم، وهذا بناء على ما كان عليه السجن والحبس في عهد النبوة.

¹ - معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: 3/137.

² - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ص: 269.



التخريج الفقهي للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

والدليل على أن ملازمة الخصم لخصمه نوع من السجن له، قوله تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمُنْهُ بِقُنْطَارٍ يُؤْدِهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمُنْهُ بِدِيَارٍ لَا يُؤْدِهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا) [آل عمران: 75].

يقول ابن عطية في تفسيره لهذه الآية: "قائماً في هذه الآية معناه: قائماً على رأسه، على الهيئة المعروفة، وتلك نهاية الحقر؛ لأن معنى ذلك أنه في صدر شغل آخر، يريد أن يستقبله، وذهب إلى هذا التأويل جماعة من الفقهاء، وانتزعوا من الآيات جواز السجن؛ لأن الذي يقوم عليه غريمه فهو يمنعه من تصرفاته في غير القضاء، ولا فرق بين المنع من التصرفات وبين السجن".¹

ثانيًا: التكييف الفقهي للعقوبة البديلة.

لما كان الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فإن الحديث عن العقوبات البديلة، والوسائل التي يمكن الاستغناء بها عن السجن في الشريعة الإسلامية، يدخل في نطاق باب التعازير بأنواعها؛ نظراً لكون التعزير باب واسع تظهر من خلاله مرونة الشريعة الإسلامية في باب العقوبات.

وقد كان من بين النقاط التي احتوى عليها برنامج تطوير القانون الجنائي الوضعي، أنه:

- يجب أن يسمح النظام للمحكمة في اختيار التدبير الملائم في كل حالة على حدة، لكي يتفق مع حالة من سيرفض عليه التدبير.²

يقول أحمد فتحي بنسى، معلقاً على ذلك: وهذا "... لا يمنع القاضي الذي يطبق الشريعة الإسلامية من الأخذ بها، فلا خلاف أن من خصائص التعزير أنه غير مقدر

¹ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 458/1.

² - موقف الشريعة من الدفاع الاجتماعي، لأحمد فتحي بنسى، ص: 126.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

وأمره متزوك للإمام بحسب حالة الجرم وبحسب كل جريمة، وهو بحسب المصلحة وعلى قدر الجريمة. ويجهد فيهولي الأمر، ولا حد لأكثره، وقد يزيد الإمام فيه من الحد إذا رأى المصلحة العامة في ذلك¹.

وأضاف بأن التعزير "هو الباب الطبيعي المفتوح الذي تتسلل منه نظرية الدفاع الاجتماعي² بصورتها المعتدلة، أو برنامج الحد الأدنى بعوادئه... ويستطيع القاضي الذي يطبق الشريعة أن يوقع التدابير الاحترازية أو العقوبات التي تقول بها النظرية فيما يعرض عليه من قضايا التعزير، ويكون بذلك في فلك الأحكام الشرعية"³.

فما مفهوم التعزير؟

التعزير لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: عَزَرَ: الْعَيْنُ وَالرَّاءُ وَالرَّاءُ كَلِمَتَانِ: إِحْدَاهُمَا التَّعْظِيمُ وَالنَّصْرُ، وَالْكَلِمَةُ الْأُخْرَى جِنْسٌ مِنَ الضَّرْبِ. فَالْأُولَى النَّصْرُ وَالْتَّوْقِيرُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَتَعْرُرُوهُ وَتُوَقْرُوهُ﴾ [الفتح: 9]. وَالْأَصْلُ الْآخَرُ التَّعْزِيرُ، وَهُوَ الضَّرْبُ دُونَ الْحَدِّ⁴.

وفي لسان العرب: وأصل التعزير: النأدب، ولهذا يسمى الضرب دون الحد تعزيراً، إنما هو أدب⁵.

¹ - موقف الشريعة من الدفاع الاجتماعي، ص: 127.

² - نظرية الدفاع الاجتماعي: "فكرة الدفاع الاجتماعي في تطورها، وفيما انتهت إليه، مرتبطة بتطور فلسفة العقاب والعلوم الاجتماعية، أو ما يسمى بعلوم الإنسان. كما أن ارتباطها وثيق بالفقه القانوني في الجريمة والعقوبة والإجراءات الجنائية".

- موقف الشريعة من الدفاع الاجتماعي، ص: 10.

³ - موقف الشريعة من الدفاع الاجتماعي ، ص: 149.

⁴ - معجم مقاييس اللغة: 311/4.

⁵ - لسان العرب: 562/4.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

التعزير اصطلاحاً:

تعددت التعاريف التي وضعها العلماء للتعزير، وإن اختلفت ألفاظها، فالمعنى واحد. أذكر منها:

- تعريف الماوردي، بأنه: "تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود"¹.

- وتعريف ابن القيم، قال: "اتفق العلماء على أن التعزير مشروع في كل معصية، ليس فيها حد"².

- أما ابن فرحون، فقال: "التعزير تأديب استصلاح، وجزر على ذنوب لم يشرع فيها حدود، ولا كفارات"³.

- وذهب وهبة الرحيلي إلى أن: "التعزيرات: هي العقوبات غير المقدرة شرعاً، وإنما فوض الشرع النظر في نوعها ومقدارها إلى ولي الأمر (الدولة) لمعاقبة الجرم بما يكفي جريته، ويقع عدوانه، ويتحقق الزجر والإصلاح، ويراعي أحوال الشخص والزمان والمكان والتطور، وذلك يختلف باختلاف درجة الرقي وتحضر المجتمعات، ومحذيب الجماعات وأحوال الناس في مختلف الأزمنة والأمكنة"⁴.

ولم يقترب أرباب القواعد الفقهية، صياغة ضوابط فقهية في بيان حقيقة التعزير،

من ذلك:

¹ - الأحكام السلطانية، ص: 344.

² - الطرق الحكمية، ص: 279.

³ - تبصرة الحكماء: 2/288.

⁴ - الفقه الإسلامي وأدلته: 7/5300.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

قول ابن نحيم في كلية فقهية: "كل معصية ليس فيها حدٌ مقدر، وفيها التَّعْزير"¹.

وقول السيوطي: "منْ أَتَى مَعْصِيَةً لَا حَدًّا فِيهَا وَلَا كُفَّارَةً، عُرَّرَ، أَوْ فِيهَا أَحَدُهُمَا، فَلَا"².

والتعزير يقابل الحد الذي هو عقوبة مقدرة حقاً لله تعالى؛ لأن التعزير عار عن التقدير من قبل الشارع، كما سيأتي بيانه. وهو من باب السياسة الشرعية، بل من الفقهاء من اعتبر السياسة الشرعية هي التعزير³.

ويطرح هنا تساؤل، مفاده:

هل السجن عقوبة أصلية في الشريعة الإسلامية، حتى نبحث لها عن بدائل؟

سبق وأن ذكرت في المقدمة أن السجن عقوبة ثانوية في الشريعة الإسلامية، لا يعاقب بها إلا على الجرائم البسيطة، وإذا غلب على الظن أنها مفيدة، أي أنه عقوبة من بين العقوبات التعزيرية، فهو على هذا ليس عقوبة أصلية.

ولكن " حينما نقول عقوبة بديلة عن السجن، هذا باعتبار الواقع التطبيقي والنظامي الذي جعل السجن عقوبة تعزيرية في كثير من المخالفات"⁴.

فالسجن أصبح العقوبة التعزيرية المعمول بها والمطبقة على غالبية الجرائم.

فيكون المراد في هذا البحث: أن التعزير كعقوبة غير مقدرة شرعاً، حول للقاضي حق وضع عقوبات بديلة للسجن، باعتبار الواقع العملي، الذي جعل السجن عقوبة

¹ - الأشباه والنظائر، لابن نحيم، ص: 157.

² - الأشباه والنظائر، للسيوطى، ص: 489.

³ - انظر: حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار): 15/4.

⁴ - الإلزام بالأعمال التطوعية في العقوبة التعزيرية، ص: 38.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

تعزيرية احتلت الصدارة في كثير من المعا�ي والمخالفات، حتى أصبح التعزير يكاد ينحصر فيها.

- المطلب الثاني: تخريج العقوبة البديلة عن السجن، على ضوء الضوابط الفقهية الخاصة بالتعزير.

بعدما تم تحرير الأصل الفقهي الذي تنتهي إليه العقوبة البديلة، ألا وهو التعزير، يمكن الآن تخريجها على ضوء ما قرره الفقهاء من ضوابط فقهية خاصة بالتعزير، وهذا بيان ذلك:

الضابط الفقهي الأول: "التعزير إلى الإمام على قدر عظيم الجرم وصغيره".¹

هذا الضابط أصل في بابه؛ ويهتم ببيان مدى سلطة القاضي في تقدير العقوبة التعزيرية، فإن أهم العقوبات التعزيرية في الشريعة الإسلامية، والتي شهدت التطبيق العملي، كما نص عليها الفقهاء في مصنفاتهم، واستدلوا لها من الكتاب والسنة، وعمل الصحابة والخلفاء الراشدين، والتي للقاضي إيقاع واحدة منها أو أكثر، هي:

- القتل: والأصل أن التعزير للتأديب، فإذا اقتضت المصلحة العامة تقرير عقوبة القتل، أو كان فساد الجرم لا يزول إلا بقتله، عزر بالقتل، وهذا على اختلاف بين الفقهاء.

- المخلد: وهي العقوبة المفضلة في جرائم التعازير الخطيرة.

- الحبس: الحبس في الشريعة على نوعين، حبس محمد المدة، وحبس غير محمد المدة. فالمحدد المدة: يعاقب به على جرائم التعزير العادلة. وأقل مدة لهذا النوع من الحبس يوم واحد، أما حده الأعلى فغير متفق عليه، وهو مقصود البحث.

¹ - الخراج، لأبي يوسف، ص: 167.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

ويشترط في الحبس كما يشترط في غيره من العقوبات أن يؤدي غالباً إلى إصلاح الجاني وتأديبه، فإن غلب على الظن أنه لن يؤدب الجاني أو لن يصلحه امتنع الحكم به ووجب الحكم بعقوبة أخرى.

أما الحبس غير محدد المدة: فيعاقب به المجرمون الخاطرون ومعتادو الإجرام، ومن اعتادوا ارتكاب جرائم القتل والضرب والسرقة، أو تكرر منهم ارتكاب الجرائم الخطيرة، ومن لا تردعهم العقوبات العادية، ويظل المجرم محبوساً حتى تظهر توبته وينصلح حاله فيطلق سراحه، وإلا بقي محبوساً مكفوفاً شره عن الجماعة حتى يموت. وهو ما يفيده الصابط الفقهى القائل إن: " كل من شهد عليه أنه موصوف بالسرقة، فإنه يحبس في السجن حتى يموت، وأما الذي لا يعرف حاله فلا يسجن حتى يسأل عنه، وإن سجن فلا يطال سجنه"¹.

- التغريب والإبعاد، والصلب، والوعظ: فيجوز للقاضي أن يكتفي في عقاب الجاني بوعظه إذا رأى أن في الوعظ ما يكفي لإصلاحه وردعه. وهذه العقوبات لا توقع إلا على من غلب على الظن أنها تصلحه وتزجره وتؤثر فيه.

- المحرر، والتوبیخ: فإذا رأى القاضي أن التوبیخ يكفي لإصلاح الجاني وتأديبه، اكتفى بتوبیخه.

- التهديد: وهذا بشرط أن يرى القاضي أنه منتج وأنه يكفي لإصلاح الجاني وتأديبه.

- التشهير: ويقصد به: الإعلان عن جريمة الحكم عليه. ويكون التشهير في الجرائم التي يعتمد فيها المجرم على ثقة الناس، كشهادة الزور والغش.

¹ - تبصرة الحكام: 2/159.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

- العزل من الوظيفة: وتطبّق على الذين يتولون الوظائف العامة، والحرمان: أي حرمان المحرم من بعض الحقوق المقررة له شرعاً، كالحرمان من تولي الوظائف، ومن أداء الشهادة، وكإسقاط النفقة للنشروز.

بالإضافة إلى الإزالة والغرامة المالية، والمصادر.¹

فهل العقوبات التعزيرية محصورة فيما ذكر، بحيث على القاضي أن لا يتعدّها، وإنما له الحق فقط في الاختيار من بينها بحسب الفعل والفاعل، دون الحق في إنشاء عقوبات تعزيرية أخرى؟ وبالتالي لا مجال للحديث عن عقوبات تعزيرية أخرى اجتهادية بديلة؟

ذهب المالكية² والشافعية³ والحنابلة⁴، وهو الراجح عند الحنفية⁵، إلى أن التعزير عقوبة مفروضة إلى رأي الحكم واجتهاده، فله أن يُقدّر العقوبة التعزيرية في ضوء الملابسات المحيطة بالجنائية، من حيث خطورتها أو بساطتها، وهو ما أفاده الضابط المذكور.

ومنع بعض الحنفية تفويض التعزير، وقالوا بعدم تفويض ذلك للقاضي، لاختلاف حال القضاة، وقد أيدوا هذا الرأي بأن المراد من تفويض التعزير إلى رأي القاضي ليس

¹ - التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي: 1/687-708؛ الموسوعة الفقهية الكويتية: 12/236 وما بعدها.

² - انظر: تبصرة الحكم: 2/290-291.

³ - انظر: نهاية المطلب في دراسة المذهب، للجويني: 17/349.

⁴ - انظر: دقائق أولي النهى لشرح المتمم المعروف بشرح متمم الإرادات، للبهوي الجنبي: 3/503.

⁵ - انظر: بدائع الصنائع، للكاساني: 7/34.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

معناه التفويض لرأيه مطلقاً، بل المقصود القاضي المحتجد. وقد ذكر أن عدم التفويض هو الرأي الضعيف عند الحنفية¹.

فيكاد الفقهاء يجمعون على أن القاضي مفوض إليه الاجتهاد في العقوبة التعزيرية، استناداً إلى النظر المصلحي، المراعي للواقعة والفاعل والمجتمع والزمان والمكان.

يقول ابن فرhone: "العقوبة تكون على فعل محرم أو ترك واجب أو سنة أو فعل مكروه، ومنها ما هو مقدر، ومنها ما هو غير مقدر، وتختلف مقاديرها وأجناسها وصفاتها باختلاف الجرائم وكبرها وصغرها، وبحسب حال المجرم في نفسه، وبحسب حال القائل والمقال فيه والقول"².

غير أن من المعاصرين من رأى خلاف ذلك، فقد ذهب الأستاذ عبد القادر عودة

- رحمه الله - إلى أن العقوبات التعزيرية محددة، ولا يفوض للقاضي الاجتهاد فيها أو الخروج عنها، وهي العقوبات المشار إليها آنفاً؛ حيث قال:

"لا جريمة ولا عقوبة في التعزير بغير نص: ...إن الشريعة الإسلامية نصت على جرائم التعزير وعقوباتها، وعينت الجرائم وحددت العقوبات تحديداً دقيقاً بحيث لا يستطيع القاضي أن يعاقب على فعل لم تحرمه الشريعة، ولا يستطيع أن يعاقب بغير العقوبات المقررة للتعازير، ولا أن يخرج على حدودها"³.

¹ - الموسوعة الفقهية الكويتية: 12/262 وما بعدها، نقلًا عن: مطالع الأنوار على الدر المختار، للسندي: 603/7.

² - تبصرة الحكماء: 2/289.

³ - التشريع الجنائي الإسلامي: 1/148.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

وأضاف: "إن القول بأن للقاضي سلطة تحكمية في جرائم التعزير هو قول لا أساس له، ولا نكون مغالين إذن إذا قلنا: إن أساس هذا القول هو قلة الاطلاع أو سوء الفهم، فالحقيقة التي لا يجادل فيها إلا مكابر أن كل من أُتي حظاً من الاطلاع على نصوص الشريعة، وقدرة على تفهم أساليب الفقهاء واصطلاحاتهم، يعلم حق العلم أن القاضي ليس له سلطة تحكمية ولا غير تحكمية في تعين الجرائم والعقوبات، وأن نصوص الشريعة تكفلت ببيان الجريمة والعقوبة، وأن سلطة القاضي منحصرة في تطبيق النص على الواقعه المعروضة عليه، فإن اطبق وقع على الجاني العقوبة، ولكن الشريعة أعطت القاضي سلطة واسعة في اختيار العقوبة التي يراها ملائمة من بين عقوبات مقررة للجريمة...".¹ إن ما ذهب إليه الأستاذ عبد القادر عودة محل نظر؛ فالحصر في العقوبات الحدية، وليس مقصوداً للشارع في العقوبات التعزيرية، ولا دليل يدل عليه، والآيات والأحاديث التي ذكرت تلك العقوبات، هي دليل على مشروعيتها، لا على حصرها.

ويؤيد هذا، ما ذهب إليه الإمام محمد أبو زهرة، موضحاً ماهية قاعدة: "لا جريمة ولا عقوبة بلا دليل في التعزير"، حيث أكد القاعدة، ووضح أنها قائمة بالنسبة للعقوبات على أمرتين:

- 1- أن العقوبات المقدرة جعلت أساساً لتبني عليها العقوبات غير المقدرة. فالعقوبات التعزيرية لم تترك فرطاً، وإن تركها لتقدير القاضي أو ولي الأمر، مع قيام أسباب القياس لا يعد تركاً.
- 2- أن الشارع الإسلامي عندما ترك العقوبات التعزيرية من غير تقدير، وفوض ذلك للقاضي في أكثر الأحوال ما خرج عن قاعدة: "لا عقوبة من غير نص" في الدور الأخير لها؛ ذلك أن آخر دور لهذه النظرية بالنسبة للعقوبات هو أنها جعلت للعقوبات

¹ - المرجع نفسه: 148/1.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

حداً أقصى، ولم يجعل لها حدًا أدنى، وأطلقت للقاضي حرية التقدير في هذا الحد الواسع، فله أن يرى ولكن ليس له أن يزيد على ما قدره الشارع¹.

هذا بالنسبة للعقوبات، أما الجرائم، "فالأوامر القرآنية والسنة النبوية والنواهي، هي التي تكشف عن المطلوب شرعاً، والمنهي عنه شرعاً، وهي التي تحوي في ثناياها بيان الجريمة، وبذلك يتحقق بلا شك معنى لا جريمة بلا نص، أو ما يومئ إليه النص، وولي الأمر هو الذي يميز بين ما يجري عليه الإثبات، وما لا يجري من أوامر القرآن الكريم ونواهيه، حتى يمكن اعتبار الفعل جريمة قضائية، أو ليس جريمة قضائية"².

وعلى هذا، فالقياس على العقوبات التعزيرية المنصوص عليها، يفتح للقاضي المجال واسعًا لتقدير عقوبات بديلة، وفق الجرم وصاحبه.

على أن الأستاذ عبد القادر عودة، ذكر في موضع آخر من كتابه، ما ينافي رأيه ذاك تماماً؛ حيث قال: "إذا كانت الشريعة قد عرفت عقوبات تعزيرية معينة، فليس معنى ذلك أنها لا تقبل غيرها، بل إن الشريعة تتسع لكل عقوبة تصلح الجاني وتؤدبه، وتحمي الجماعة من الإجرام".³

فظاهر من كلامه هذا، ما لا يدع مجالاً للشك، تراجعه عن رأيه الأول، وإن لم يصرح بذلك.

تحصيلاً لما سبق، فإن للقاضي الحق في تحديد بدائل العقوبة، شريطة أن تكون مضبوطة بضوابط الشرع وقواعد الأساسية، فهو مقيد بالمساحة المسموح بها له في

¹ - الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي (الجريمة)، لأبي زهرة، ص: 140.

² - المرجع نفسه، ص: 144.

³ - التشريع الجنائي الإسلامي: 1/686.



التخريج الفقهي للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

سلطته التقديرية في الواقع التعزيرية؛ وهذا لتحقق بذلك مقاصد الشريعة من التعزير،

والتي هي إجمالاً¹: تأديب الجاني، وإرضاء المحن عليه، وحرق المقتدي بالجناة.

الضابط الفقهي الثاني: "التعزيرات اجتهادية بقدر الفعل والفاعل، ووجه الفعل"².

وهذا الضابط الفقهي يفيد: أن التعزير مختلف بحسب الجنائية في العظم والصغر، وبحسب الجاني في الشر وعدمه، وبحسب الجني عليه في الشرف وعدمه، وبحسب اختلاف الجنائية، ومدى تحمل الماعقب وصبره على يسير العقوبة، ومدى انتزجاره إذا عوقب بأقلها.

يقول ابن فرحون: "التعزير لا يختص بالسوط واليد والحبس، وإنما ذلك موكل إلى اجتهاد الإمام، قال الأستاذ أبو بكر الطرطوشى في أخبار الخلفاء المتقدمين: أنهم كانوا يعاملون الرجل على قدره وقدر جنائته منهم من يضرب، ومنهم من يحبس، ومنهم من يقام واقفاً على قدميه في المحافل، ومنهم من تتزع عمانته، ومنهم من يحل إزاره"³.

ويقول ابن رشد مطبقاً للضابط الفقهي: "قول الرجل للرجل يا كلب يفترق فيه ذو الهيئة من غيره في القائل والمقال له، فأما إذا كانا جمِيعاً من ذوي الهيئة عوقب القائل عقوبة خفيفة لها، ولا يبلغ به السجن، وإذا كانا جمِيعاً من غير ذي الهيئة عوقب القائل أشد من عقوبة الأول يبلغ به فيها السجن، وإذا كان القائل من ذوي الهيئة والمقال له

¹ - انظر تفصيلها في: مقاصد الشريعة الإسلامية، للطاهر بن عاشور: 3/553.

² - قواعد الفقه، للمقربي، ص: 354 (ق: 689).

³ - تبصرة الحكام: 2/290-291.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

من غير ذوي الهيئة عوقب بالتوبيخ ولا يبلغ به الإهانة ولا السجن، وإذا كان القائل من غير ذوي الهيئة والمقول له من ذوي الهيئة عوقب بالضرب...¹.

فالمتساواة في نوع العقوبة التعزيرية غير مطلوبة، ولو اشترطت المساواة فيها، لأن أصبحت عقوبة التعزير حداً، وإنما المطلوب هو المساواة في أثر العقوبة على الجاني، والأثر المرجو للعقوبة هو الزجر والتأديب، وبعض الأشخاص يزحرهم التوبيخ، وبعضهم لا يزحرهم إلا الضرب أو الحبس، وعلى هذا تعتبر المساواة محققة إذا عوقب المشتركون في جريمة واحدة بعقوبات مختلفة تكفي كل منها لردع من وقعت عليه بحسب حاله وظروفه².

وهذا ما ينشده أرباب السياسة العقابية الحديثة، عند مناداتهم بالأحد ببدائل للعقوبة السالبة للحرية قصيرة المدة، فقد اقترح بعضهم لأن ينص القانون على عقوبة كل جريمة بذاتها، بل تعين الجرائم دون تعين عقوبتها، ثم تعين العقوبات التي يستطيع القاضي تطبيقها، ويترك له أن يختار هو لكل جريمة العقوبة الملائمة بعد تقدير ظروف الجريمة وظروف الجاني. وهو عين مسلك الشريعة الإسلامية في جرائم التعزير³.

الضابط الفقهى الثالث: "التعزير مختلف باختلاف الأعصار والأمصار".⁴

هذا الضابط الفقهى يُبين: أن العقوبات التعزيرية تختلف باختلاف الأعصار والأقاليم، واحتلال الأفراد، ويراعى فيها الأثر الاجتماعي والنفسى، وأثر الجريمة ذاتها اجتماعياً.

¹ - البيان والتحصيل: 302/16-303.

² - التشريع الجنائي الإسلامي: 631/1.

³ - المرجع نفسه: 149/1.

⁴ - الفروق، للقرافي: 183/4 (ف: 246).



التخريج الفقهي للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

يقول القرافي: "التعزير يختلف باختلاف الأعصار والأمسار، فرب تعزير في بلاد يكون إكراماً في بلد آخر، كقلع الطيلسان بمصر تعزير وفي الشام إكرام، وكشف الرأس عند الأندلس ليس هوأنا وبالعراق، ومصر هوان"¹.

وبيك الد ا بن القيم فحوى الضابط، بقوله: "لما كانت مفاسد الجرائم متفاوتة غير منضبطة في الشدة والضعف والقلة والكثرة،... جعلت عقوباتها راجعة إلى اجتهد الأئمة وولاة الأمور، بحسب المصلحة في كل زمان ومكان، وبحسب أرباب الجرائم في أنفسهم، فمن سوى بين الناس في ذلك، وبين الأزمنة والأمكنة والأحوال لم يفقه حكم الشرع"².

إن هذا الضابط الفقهي، دليل على كمال الشريعة الإسلامية، وعلى مرؤونتها ومواكبتها للأعصار والأمسار، فقد وسعت التعزيرات، وجعلتها منوطة بالحاكم كما سبق بيانه، يراعي فيها مصلحة الفرد والمجتمع، والزمان والمكان.

- المطلب الثالث: تأصيل العقوبة البديلة على ضوء القواعد الفقهية العامة.
إضافة لما سبق عرضه من ضوابط فقهية خاصة بباب التعزير، والتي تعتبر أصلاً للعقوبة البديلة، فإنه يمكن كذلك تخريج هذه العقوبات البديلة على ضوء بعض القواعد الفقهية الكلية العامة، وهذا بياناً بإيجاز لا إطناب فيه:

القاعدة الفقهية الأولى: "كل ما دعت الحاجة إليه في الشريعة مما فيه منفعة ولم يعارضه محظوظ، فإنه جائز وواجب بحسب حاله"³.

¹ - المصدر نفسه: 4/183.

² - إعلام الموقعين عن رب العالمين: 2/84.

³ - المعيار المعرّب، للونشريسي: 1/87، نقلًا عن: أبي بكر بن العربي في القبس: 1/881.



التخريج الفقهي للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

إن إنشاء عقوبات تعزيرية بديلة، يرى القاضي أنها ملائمة للجنائية، هو أمر جائز فيه منفعة تعود على الأمة، بل هو من الواجب عند الحاجة إليه، و"الحاجة تتول متلة الضرورة: عامة أو خاصة"، وهذا ما دامت تلك العقوبات التعزيرية غير محظورة شرعاً، وموافقة لمقاصد الشريعة من العقاب.

القاعدة الفقهية الثانية: "العبرة بالمقاصد لا بالوسائل، وبالغaiات، لا بطرائقها"¹.

فإذا كانت العقوبة التعزيرية البديلة محققة لمقاصد الشرع من العقوبة، فلا يهم عندها الوسيلة التي توصل بها إلى ذلك، بل المهم هو تحقق المقصد.

يقول ابن القيم في ذلك: "أي طريق استخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بوجبه ومقتضاه. والطرق أسباب ووسائل لا تراد لذواهها، وإنما المراد غايتها التي هي المقاصد"².

فصورة العقوبة لا تعني الشارع لذاهما، وإنما الذي يعنيه غايتها، أي ما يمكن أن تتحقق، فهي مجرد وسيلة، وعلى ذلك فكل عقوبة تتحقق المقصد من التعزير فهي مقبولة شرعاً- كما سبق-، بشرط ألا تخالف أصلًا من أصول الشريعة.

ولما كان من مقاصد العقاب، تحقيق العدل والعدالة في الأرض، دون النظر إلى الوسيلة، وجدنا ابن القيم يقول: "إذا ظهرت أمارات العدل، وأسفر وجنه بأي طريق كان، فثم شرع الله ودينه"³. فهذه القاعدة

¹- الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي (الجريمة)، ص: 99.

²- إعلام الموقعين: 4/284.

³- الطرق الحكمية، ص: 31.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

الشرعية تأكيد واضح على مشروعية العقوبة البديلة في الشريعة الإسلامية، وفق الضوابط والقيود المذكورة.

إذا لم يتحقق المقصد بعقوبة ما، عدل عنها لغيرها؛ لأنها تكون فاقدة عن تحصيل المقصود منها. جاء في التبصرة الفرحونية: "إذا كانت العقوبة التعزير والزجر، فإن علم أن الزجر لا ينفع فلا يفعل التعزير، لكن يسجن الكبير حتى يتحقق توبته ولا يعرض للصغرى"¹.

وهذه المسألة مبنية على قاعدة فقهية أخرى، صاغها المقرى، قال: "كل تصرف قاصر عن تحصيل مقصوده لا يُشرع، ويُبطل إن وقع: كنكاح الحرم... وتعزير من لا يُفيده التعزير زجرًا، بخلاف الحدود...".² مما شرع من باب الوسائل إذا لم يتحقق مقصوده بطل الاحتجاج به.

القاعدة الفقهية الثالثة: "كل عقوبة تؤدي إلى تأديب الجرم، واستصلاحه، وزجر غيره، وحماية الجماعة من شر الجرم والجريمة: هي عقوبة مشروعة".³

وبصيغة أخرى: "كل وسيلة تؤدي إلى إصلاح الجاني، وتأدبيه، وحماية الجماعة من شره، تعتبر عقوبة مشروعة".⁴

فالقاعدة بصيغتها، تنص مباشرة على اعتبار أي عقوبة أو وسيلة توفرت فيها شروط العقوبة، ومقاصدها فهي عقوبة شرعية، أي أن العقوبات في الشريعة الإسلامية

¹ - تبصرة الحكماء: 296/2.

² - قواعد الفقه، ص: 247 (ق: 385).

³ - التشريع الجنائي الإسلامي: 1/686.

⁴ - المرجع نفسه: 1/701.



التخريج الفقهي للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

سواء أكانت حدية أم تعزيرية، فهي عقوبات أصلية؛ فكل ما يتحقق المصلحة الشرعية من العقاب، يعد أصلًا في العقوبة.

كانت هذه بعض القواعد والضوابط الفقهية، المكيفة والمؤصلة للعقوبة البديلة في الشريعة الإسلامية، ويمكن أن يضاف إليها: قواعد المصالح والفساد، بإعمال فقه الموازنات، عند اختيار البديل.

فالشريعة الإسلامية لم تترك للقاضي الاجتهاد في العقوبات التعزيرية بحسب هواه، وتشهيه، بل ضبطت ذلك بأن: "ما تعين سببه ومصلحته وجب عليه فعله ويأثم بتركه، فهو أبداً يتقلل من واجب إلى واجب كما يتقلل المكفر في كفارة الحث من واجب إلى واجب... والإمام يتحتم في حقه ما أدت المصلحة إليه لا أن هاهنا إباحة ألبتة، ولا أنه يحكم في التعازير هواه وإرادته كيف خطر له، وله أن يعرض عما شاء ويقبل منها ما شاء، هذا فسوق وخلاف الإجماع".¹

فلا بد للإمام أو القاضي أن يراعي المصلحة عند تقريره العقوبة التعزيرية البديلة، ولا يتم له ذلك إلا بإعمال فقه الموازنات، هذا الفقه الذي يحتاجه المجتهد المشغل باستبطاط الأحكام، كما يحتاجه الفقيه والمفتى في ضبط فتواه، ولا يستغني عنه الحاكم في إيجاد الحلول للعديد من القضايا التي تتعارض أو تتزاحم فيها المصالح فيما بينها، أو المفاسد فيما بينها، أو المصالح والفساد؛ نظراً لكونه الميزان والمنهج الذي يُبني عليه النظر في القضايا، وإهماله إخلال بروح القضية المبحوث فيها، وتغييب ملائتها؛ ذلك: "أن تقدم الأصلح فالإصلاح، ودرء الأفسد فالآفسد، مركوز في طبائع العباد، نظراً لهم من رب الأرباب".²

¹ - الفروق، للقرافي: 4/182.

² - قواعد الأحكام في إصلاح الأنام (القواعد الكبرى): 1/14.



التخريج الفقهي للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

فهذا النوع من الفقه، دليل على مرونة الفقه الإسلامي، وعلى صلاحية الشريعة الإسلامية لكل الأزمنة والعصور. ومن بين قواعد المصالح والمفاسد، الواجب استحضارها عند الموازنة بين العقوبات التعزيرية، لاختيار الأصلح للجاني، وللمجتمع، قاعدة: "درء المفاسد، أولى من جلب المصالح".

فهذه القاعدة من القواعد المتفرعة عن القاعدة الكبرى: "الضرر يزال"، ذلك أن درء المفسدة ودفعها عبارة عن إزالة الضرر، والضرر لا يزال إلا بالموازنة بين المصالح والمفاسد عند التعارض.

وهي تفيد: أن دفع المفاسد والأضرار، أرجح بالتقديم في الإتيان بها من الجيء بالمصالح أو المنافع، فإذا تعارضت مفسدة ومصلحة، قدم دفع المفسدة غالباً؛ لأن حرص الشرع على منع المنهيات، أقوى من حرصه على تحقيق المأمورات¹.

وتترتب للقاعدة على العقوبات، فإن العز بن عبد السلام يقول: "الغالب تفاوت العقوبات بتفاوت المفاسد"².

وقد يحدث أن تجتمع المفاسد أو المضار، والأصل عندها درؤها ما أمكن، فإذا تعلق درء جميعها، واضطررنا إلى ارتكاب بعض المفاسد أو المضار لتجنب بعضها الآخر، دون تعين أحدهما، مع تفاوتهما في الضرر، فالموازنة بين تلك المضار هي عيار ضبط عملية دفع الأكثر فالأكثر ضرراً منها، فلا يصار إلى الموازنة إلا عند تعلق درء جميع المضار. و"لَيْسَ الْعَاقِلُ مَنْ يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَلَكِنْ هُوَ الَّذِي يَعْرِفُ خَيْرَ الشَّرَّيْنِ"³.

¹- المدخل الفقهي العام، لمصطفى الزرقا: 996/2.

²- القوائد في اختصار المقاصد (أو القواعد الصغرى)، للعز بن عبد السلام، ص: 54.

³- سير أعلام النبلاء، للذهبي: 74/3.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

الخاتمة:

وأسجل فيها أهم النتائج المتوصل إليها، وهي:

1- خلص البحث، إلى أن التعزير بباب فسيح لتفعيل العقوبات البديلة؛ باعتبار الواقع العملي، الذي جعل السجن عقوبة تعزيرية احتلت الصدارة في كثير من المعاشي والمخالفات، حتى أصبح التعزير يكاد ينحصر فيها.

وقد ناهض أرباب القانون الوضعي الحديث من أجل إعمال تدابير عقابية، هي عين مسلك التعزير.

2- تأكيد أن الشريعة الإسلامية تقر العقوبات البديلة، ما دامت مضبوطة بضوابط الشرع وقواعده الأساسية ومقاصده؛ نظراً لطبيعتها المرنة، التي لا تضيق بما يستجد من حالات.

3- أمكن رصد مجموعة من القواعد والضوابط الفقهية، الصالحة لتخريج العقوبات البديلة عليها، تكييفاً لها، كما يمكن إعمال قواعد المفاسد والمصالح في فقه الموازنات، عند اختيار البديل.

4- إن عراقة النظام العقابي الإسلامي، ونجاحه في التقليل من الجريمة، وفي باب التعازير على وجه أخص، كفيل بالهوض بإصلاح السياسة العقابية المعاصرة، فقد تنوّعت الجرائم، وتعدّدت دوافعها، وتفاوتت ظروفها، وضاقت السجون بتلائها، وقدت هيئتها، ما استدعي إيجاد بدائل للعقوبات السالبة للحرية؛ للحد من سلبياتها أو التقليل منها.

هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



التخرج الفقهي للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

1- الأحكام السلطانية، لأبي الحسن الماوردي. تحقيق: أحمد جاد. القاهرة: دار الحديث.

2- الأشباه والنظائر، لزين الدين بن إبراهيم بن نجيم الحنفي، تحقيق وتقديم: محمد مطيع الحافظ. بيروت: دار الفكر المعاصر. دمشق: دار الفكر. الطبعة الرابعة: 1426هـ / 2005م.

3- الأشباه والنظائر في فروع فقه الشافعية، بلال الدين عبد الرحمن السيوطي. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة: الأولى: 1411هـ / 1990م.

4- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى: 1411هـ / 1991م.

5- الإلزام بالأعمال التطوعية في العقوبة التعزيرية، (ملخص البحوث المقدمة لحلقة البحث التي عقدها مركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة في: 1430هـ / 4)، إعداد: لجنة البحوث والنشر بالمركز. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- المملكة العربية السعودية.

6- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لأبي بكر علاء الدين الكاساني. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الثانية: 1406هـ / 1986م.

7- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليق في مسائل المستخرجة، لأبي الوليد ابن رشد القرطبي، تحقيق: مجموعة من الأساتذة. بيروت: دار الغرب الإسلامي. الطبعة الثانية: 1408هـ / 1988م.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

- 8- تبصرة الحكماء في أصول الأقضية ومناهج الحكماء، لبرهان الدين بن فرحون، طبعة قدم لها وراجعها: طه عبد الرؤوف سعد. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية. الطبعة الأولى: 1406هـ/1986م.
- 9- التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة. بيروت: دار الكاتب العربي.
- 10- الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي (الجريمة)، محمد أبي زهرة. دار الفكر العربي.
- 11- حاشية ابن عابدين (رد المختار على الدر المختار)، محمد أمين بن عابدين. بيروت: دار الفكر. الطبعة الثانية: 1412هـ/1992م.
- 12- الخراج، لأبي يوسف يعقوب. بيروت: دار المعرفة. 1399هـ/1979م.
- 13- دقائق أولى النهى لشرح المتن المعروف بمنتهى الإرادات، لمنصور بن يونس البهوي. عالم الكتب. الطبعة الأولى: 1414هـ/1993م.
- 14- الطرق الحكيمية في السياسة الشرعية، لابن قيم الجوزية، تحقيق: نايف الحمد. دار عالم الفوائد.
- 15- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى: 1405هـ/1984م.
- 16- العقوبات البديلة في الفقه الإسلامي (بحث)، لإبراهيم محمد قاسم الميمن.
- 17- العقوبة في الفقه الإسلامي، لأحمد فتحي بنسى. بيروت: دار الشروق. الطبعة الخامسة: 1403هـ/1983م.
- 18- الفروق، لأبي العباس القرافي. ضبطه وصححه: خليل المنصور. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى: 1418هـ/1998م.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

- 19- الفقه الإسلامي وأدله، لوهبة الرحيلي. دمشق: دار الفكر. الطبعة: الرابعة.
- 20- الفوائد في اختصار المقاصد (أو القواعد الصغرى)، للعز بن عبد السلام، تحقيق: إيمان خالد الطباع. بيروت: دار الفكر المعاصر - دمشق: دار الفكر. 1416هـ.
- 21- القبس في شرح موظاً مالك بن أنس، لأبي بكر بن العربي، تحقيق: محمد عبد الله ولد كريم. بيروت: دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى: 1992م.
- 22- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبد السلام. راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية. طبعة: جديدة مضبوطة منقحة: 1414هـ/1991م.
- 23- قواعد الفقه، لأبي عبد الله محمد بن أحمد المقرى، دراسة وتحقيق: محمد الدرداي. الرباط: دار الأمان. طبعة: 2012م.
- 24- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين بن منظور. بيروت: دار صادر. الطبعة الثالثة: 1414هـ.
- 25- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس. تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر. 1399هـ/1979م.
- 26- الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى: 1413هـ/1993م.
- 27- المدخل الفقهى العام، لمصطفى الزرقا. دمشق: دار القلم. الطبعة الأولى: 1418هـ/1998م.



التخريج الفقهى للعقوبة البديلة عن السجن ----- د. عائشة لروي

28- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، لأحمد بن يحيى الونشريسي، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي. بيروت: دار الغرب الإسلامي. الطبعة: 1401هـ/1981م.

29- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر ابن عاشور. الحقق: محمد الحبيب ابن الخطوة. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. 1425هـ/2004م.

30- الموسوعة الفقهية الكويتية. الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. الطبعة: 1427هـ.

31- موقف الشريعة من الدفاع الاجتماعي، لأحمد فتحي بنسى. بيروت: دار الشروق. الطبعة الثالثة: 1404هـ/1984م.

32- نهاية المطلب في دراسة المذهب، لأبي المعالي الجوهري. تحقيق: عبد العظيم الديب. جدة: دار المنهاج. الطبعة الأولى: 1428هـ/2007م.



أُمْرَاجُ بَيْنِ ضَوَّابِطِ الشَّرْعِ وَجَوَازِيْبِ الطَّبَّاعِ

Joking between sharia rules and natural needs

د. ياسين بولهار

yassinboulahmar@gmail.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

تاریخ الإرسال: 2019/10/10 تاریخ القبول: 2020/10/09

الملخص:

تبحث هذه الدراسة موضوع المزاح المشروع في الشريعة الإسلامية، باعتباره طبعاً لا ينفك غالباً عن الإنسان، ومصدراً لتحصيل السعادة وتحقيق الانشراح، وذلك بيان معنى المزاح المشروع، وحكمه في الإسلام، ثم تحلية ضوابط هذا النوع من المزاح التي ينبغي الالتزام بها؛ لثلا يخرج من دائرة المشروع إلى دائرة الممنوع، للخلوص إلى المقاصد المرجوة منه والتي تعود بالنفع على الأفراد والمجتمعات، والقصد من ذلك كله هو إبراز سماحة الإسلام واعتداه في تقويم سلوك العبد، والحرص على نجاح دوره الاجتماعي، دون إلحاق الضرر بالآخرين.

الكلمات المفتاحية: المزاح، الضحك، الضوابط الشرعية، المقاصد،

الدعابة.

Abstract:

This study examines the topic of legitimate joking in Islamic law, as it is an often irreversible nature of the human being, and a source of happiness and achievement of achievement, by explaining the meaning of legitimate joking



الازاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

and its rule in Islam, and then clearly demonstrating the controls of this type of joking that must be adhered to; In order not to leave the circle of the project to the circle of the forbidden, to reach the desired objectives that benefit the individuals and societies, and all this is intended to highlight the tolerance and moderation of Islam in evaluating the slave's behavior, and ensuring the success of his social role, without harming others.

Keywords : joking, laughing, sharia rules, purposes, humour

المقدمة:

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان، وجعله خليفة له في الأرض من أجل غاية عظيمة، وهي: تحقيق العبودية الخالصة له، ولذلك أمره بالمسارعة إلى طاعته، وابتغاء رضوانه، وحذر من معصيته، ومخالفة أوامره، قال جل وعلا: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةَ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ¹** ، وقال تعالى: **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ².**

وحتى يؤدي مهمته على أكمل الوجوه وأحسنتها، فقد سخر الله له ما في هذا الكون جميعاً من ذرته إلى مجرّته، فحثه على عمارته بالتكلّاث فيه، والابتعاد من فضله، قال تعالى: **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلْلًا فَامْشُوا فِي مَا نَاكِبَهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ التُّشُورُ³** . وإنه لتکلیف عظیم، وابتلاء رزین، يتطلب من المؤمن الحذر والاجتهداد، ليغوز يوم يكون الميزان بالحسنات والعمل، قال جل وعلا: **وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ**

¹ - سورة الذاريات، الآية/56.

² - سورة آل عمران، الآية/133.

³ - سورة الملك، الآية/15.



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

د. ياسين بولهمار
ورَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۝ وَسَرَّدُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَيِّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ¹.

ومن طبيعة الإنسان أنه خلق ضعيفاً، يسارع إليه الارهاق والسلل، ويصاب بالفتور والسخور، وحيثما تعمى القلوب وتض محل النبات، ويطرق إليه الجمود والركود، فيبتعد عن الغاية العظمى التي خلق من أجلها. ومن ثم أباح الإسلام كل ما من شأنه التخفيف من حدة الجد والمتابرية التي تراقبه في أعماله وعباداته، وذلك من أجل حمايته من مرض التسويف والتفرط، ودفعه إلى مواصلة السير في الطريق المستقيم نحو الغاية التلبية، فذلك هو البيت القصيد، والمهدف المتونجي. ومن هذه الوسائل المباحة التي تخدم هذا المقصود الشرعي: المزاح المشروع، الذي سيكون محل الدراسة في هذه الورقات بإذن الله سبحانه وتعالى.

إشكالية البحث وتساؤلاتة:

إن الموضوع يثير جملة من التساؤلات، التي تسعى جميعها إلى وضع تصور واضح للمزاح المشروع في الشريعة الإسلامية، وأهمها:

- ما معنى المزاح المشروع؟ وما حكمه في الشريعة الإسلامية؟
- ما هي أبرز الضوابط التي ينبغي توفرها في المزاح المشروع؟
- ما هي أهم المقاصد الشرعية من المزاح المشروع؟

الدراسات السابقة:

لم يدرك البحث منها سوى:

1 - كتاب: "المزاح في الإسلام". للدكتور: حسن عبد الغني أبو غدة، صادر عن إدارة الدعوة والتعليم، سلسلة دعوة الحق، كتاب شهري محكم، السنة: (23)،

¹ - سورة التوبة، الآية/105.



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

د. ياسين بولهمار

العدد: (216)، عام: (1427هـ)، وقد ذكر في ملخص بحثه أن دراسته تضمنت معنى المزاح، والألفاظ ذات الصلة به من حيث المعنى، وتقصّت أقوال العلماء وأدلتهم ومناقشاتهم في أحكام المزاح العامة، وما يتربّى عليه من آثار تجاه الآخرين، كما تطرق إلى بيان المزاح المشروع والمنوع، وكشفت عن تصرفات المازح المتصلة بالنكاح، والطلاق، والرجعة، والعقود والمعاملات المالية، والقضاء، والردة، وما يتربّى على ذلك من حقوق والتزامات وجزاءات، كما ألمّت الدراسة بتعادل المازحين من لدن النبي صلى الله عليه وسلم — وصحابته الكرام — رضي الله عنهم —، إلى من جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم.

والملاحظ على هذه الدراسة؛ اهتمام صاحبها بشكل جيد بالآثار المترتبة عن تصرفات المازح، وبيان أحكامها الفقهية، كما اهتم بتعادل المازحين في عصر التبوّة والصحابة، ثم من جاء بعد عصرهم من السلف الصالح — رضي الله عنهم —.

2- بحث: "المزاح في السنة". للدكتور: محمد عبد الله ولد كريم، دار الوطن للنشر، وهذا البحث اقتصر فيه مؤلفه على جانب المزاح في حياة النبي صلى الله عليه وسلم —، فقسمه إلى ثلاثة مباحث، البحث الأول: مزاحه — عليه الصلاة والسلام — مع أهله، والبحث الثاني: مزاحه مع أبنائه وغيرهم من الصغار، والبحث الثالث: مزاحه مع أصحابه — رضي الله عنهم —. فجعل ما قام به هو تجميع الأحاديث التبوّية من كتب السنة، مع تخريجها والحكم عليها، ثم توزيعها وفق المباحث التي أشرنا إليها قريباً، وهذا ما ذكره في مقدمة بحثه.

3- بحث: "المزاح والضحك وموقف الداعية منها — دراسة تحليلية —".

للدكتور: رمضان محمد علي مبروك مطاريد، جامعة الأزهر، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، قسم الثقافة الإسلامية، الاصدار الأول، العدد: (24)، عام: (2010م)،



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

(ص/ 213 — 261)، افتتح بحثه بالكلام على معنى المزاح، وبيان بعض الألفاظ ذات الصلة به، وبعدها ألمح إلى بعض الضوابط التي تحكم المزاح بنوع من الاختصار، لينتقل بعدها إلى صلب الموضوع، ليبحث في مسألة الضحك، وأسبابه، وأنواعه، ليتنهي به المقام إلى بيان موقف الداعية الموقّع من الضحك.

وقد ركز الباحث في هذه الدراسة على جانب الضحك، وبيان أسبابه، وتجلياته، وأنواعه، وموقف الداعية منه، وكيفية استثماره في أسلوب دعوته.

4 — بحث: "ضوابط المزاح في الشريعة الإسلامية". لأسعد الطيف جاسم الفهداوي. مجلة الجامعة العراقية، العدد: (2/24)، عام: (2010م)، (ص/ 239 — 268)، تكلّم في بحثه عن المراد بالمزاح، والألفاظ ذات الصلة به، ثم ذكر ضوابط المزاح بنوع من الاختصار، لينتقل بعدها إلى بيان مزاح النبي — صلى الله عليه وسلم —، ومزاح أصحابه — رضي الله عنهم —، ومزاح المشاهير من سلف هذه الأمة.

فجاء هذا البحث لبيان الضوابط التي ينبغي الالتزام بها في المزاح المشروع، مع تجليات المقاصد الشرعية المرجوة من ورائه، إلا أنّه ينبغي التنبيه على عدم التعرّض لذكر الألفاظ ذات الصلة بالمزاح، ولا التوسيع في ذكر الأحاديث النبوية، ولا الآثار المرويّة عن الصحابة — رضي الله عنهم — في هذه الورقات، لأنّه قد بحثت بشكل جيد في الدراسات السابقة التي أشرنا إليها.

أسباب اختيار الموضوع:

من أهمّ الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع ما يلي:

— محاولة جمع المادة العلمية الخاصة بالمزاح المشروع في الشريعة الإسلامية، من المصادر المتفرقة في كتب: الفقه، والتفسير، وشرح الحديث، والآداب، والأخلاق، ولللغة؛ لإعطاء صورة صحيحة ومتکاملة عن المزاح المشروع، فالموضوع — في حدّ



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

علمي — لم يستقصَ النَّظر فيه في كتب الفقه والمقاصد، وإنما هي إشارات في بعض المواطن فقط.

— لِمَا كان المزاح من طبائع الإنسان، ولا ينفكُ عنه في الغالب؛ كان من الواجب التَّنبية على الضَّوابط التي تحكمُه، حتَّى لا يخرج المزاح المازح إلى دائرة المحرَّمات، أو يجرُّه إلى الوقوع في بعض الالتزامات الأدبية، أو المالية، أو الأسرية.

— المساهمة في إبراز ساحة الإسلام واعتداه في تقويم سلوكيات المسلم، وحرصه على بناحه في أداء دوره الاجتماعي الفعال دون المساس بمشاعر الآخرين، أو عرقلة سعادتهم، خاصة وقد وُجِدَ من يَتَّهمُ بالإسلام بِأَنَّهُ دين عبُوس وانقباض.

أهداف البحث ومراميه:

المُدْفَعَ المُتَوَلِّ من تناول هذا الموضوع يتمثَّلُ في:

— تظهير الضَّوابط الشرعية للمزاح، وتحسُّن مقاصده، التي تعود بالفائدة على الأفراد والمجتمعات.

— تقصي الأدلة والضوابط في هذه الموضوع، من: القرآن الكريم، وكتب التفسير، وشرح الحديث، والفقه، والأدب، واللغة، والأخلاق.

منهج البحث وإجراءاته:

جرى في هذا البحث على اعتماد: "المنهج الاستقرائي"، وذلك بتقصي المصادر المختلفة في التفسير، وشرح الحديث، والفقه، والأدب، والأخلاق، واللغة، التي حشدَت أدلة حول الموضوع، وخاضت غماره، كما

اعتمدت على: "المنهج التحليلي"، عند البحث عن المقاصد والغايات الكامنة وراء هذا النوع من المزاح.

تصميم البحث وتنظيمه:



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

لإمام بأطراف الموضوع، جاء البحث منظوماً في أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: تعريف المزاح المشروع.

المطلب الثاني: حكم المزاح المشروع ودليله.

المطلب الثالث: ضوابط المزاح المشروع.

المطلب الرابع: المقصود الشرعي من المزاح المشروع.

ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات التي خرج بها البحث.

المطلب الأول: تعريف المزاح المشروع.

الفرع الأول: لغة.

المزاح هو: الدعاية، وهو نقىض الحد، من مَرَحٍ يَمْزَحُ مَرْحًا وَمِزَاحًا بالكسر والضم، ومُراحة، ومُزاحة، والمزاح من الرجال: الخارجون عن طبع النقاء، المتميزون من طبع البعضاء¹. فالمزاح بضم الميم على أنه مصدر للفعل الثلاثي مَرَح، يقال: مَرَح مُراحةً ومُزاحةً، وضيّط أيضاً بالكسر على أنه مصدر للفعل الرباعي مَازَحَ للمشاركة بين اثنين، يقال: مَازَحَهُ مِزَاحًا.²

الفرع الثاني: اصطلاحاً.

¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (دار صادر، بيروت، ط.3، 1414هـ)، مادة "مزح"، (593/2).

² - ينظر: الرازى، مختار الصحاح، (تحقيق: يوسف الشیخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط.5، 1420هـ، 1999م)، مادة "مزح"، (ص/293)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (تحقيق: مجموعة من المحققين، دار المداية، د.ط، د.ت)، مادة "مزح"، (117/7).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

عرف البعض المزاح على أنه: «المباسطة إلى الغير على جهة التلطّف والاستعطاف دون أدلة، حتى يخرج الإيذاء والسخرية»¹.
وعليه؛ يمكن القول بأن المزاح هو: "الملاطفة بالحركات والكلام، والمؤانسة بروح الدعاية مع الأحوان، قصد إدخال الفرح والسرور، ومنابدة دواعي الفتنة والنفور".

وهناك ألفاظ ذات صلة قريبة من المزاح، منها: الهزل، النكتة، الضحك، الانبساط، الالهامض، الملاعبة، الدعاية، الظرفة، الفكاهة، السرّاح، الطرب، البشر، البشاشة، والابتهاج، والسرور، والمملحة، والفرح، وغيرها من الألفاظ التي لا يسمح المقام بالتوسيع في ذكر معانيها.

المطلب الثاني: حكم المزاح المشروع ودليله.

إن المزاح من سلّم من المحرمات، وتوفّرت فيه الضوابط الشرعية — التي سنشير إليها في هذه الورقات —، مندوبٌ إليه²؛ بل هو خلقٌ كريمٌ، ويعتبر صدقة من الصدقات

¹ - الريبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (7/117)، المحددي البركي، قواعد الفقه، (الصدف بشرز، كراتشي، ط1، 1407هـ، 1986م)، (ص480).

² - ينظر: العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأئم، (راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، طبعة جديدة ومطبوعة ومنقحة، 1414هـ، 1991م)، (212/2)، التّوسي، الأذكار، (تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر للطباعة والتّشريع، بيروت، لبنان، طبعة جديدة ومنقحة، 1414هـ، 1994م)، (ص326 - 327)، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1379هـ)، (10 - 526)، الغزي، المراح في المزاح، (تحقيق: باسم عبد الوهاب الجاكي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1418هـ، 1997م)، (ص35)، الموسوعة الفقهية



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

د. ياسين بولهمار

التي يؤجر عليها المؤمن، وقد دلَّ على جوازه قول النبيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وفعله، وما أُثِرَ عن أصحابه - رضي اللهُ عَنْهُمْ - فيما تعلَّموه منه - عليه الصَّلاةُ والسَّلَامُ -، وهذا ما سُنِّجَلَ في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: من السنة النبوية الشريفة.

لقد جاءت العديد من النصوص النبوية التي تدلُّ على أنَّه عليه الصلاة والسلام كان يمازح الناس، ويلاطف مختلف شرائح المجتمع، ومن هذه النصوص:

1 — عن أنس بن مالك — رضي الله عنه —: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَاسْتَهْمَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: إِنَّ حَامِلَوْكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ نَاقَةٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: وَهَلْ تَلِدُ الْإِبْلَ إِلَّا الثُّوقُ»¹.

ال الكويتية، (صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، بدأت عام: 1404هـ، وانتهت عام: 1427هـ)، (273/36).

¹ - أحمد بن حنبل، المسند، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421هـ، 2001م)، مسند أنس بن مالك — رضي الله عنه —، رقم (3817)، (21/323 — 322)، أبو داود، سنن أبي داود، (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، د.ت)، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في المزاح، رقم (4998)، (4/300)، الترمذى، سنن الترمذى، (تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين، شركة ومكتبة مصطفى البالى الحلبي، مصر، ط 2، 1995م)، أبواب: البر والصلة عن رسول الله — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —، باب: ما جاء في المزاح، رقم (357)، (4/1991)، وقال: "هذا حديث حسن غريب". والحديث صحيحه الألبانى. ينظر: الألبانى، صحيح الجامع الصغير وزياقاته، (المكتب الإسلامي)، د.ط، د.ت)، رقم (7128)، (2/1198).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

د. ياسين بولهمار

2 — وعن عائشة — رضي الله عنها — قالت: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بِخَزِيرَةٍ قَدْ طَبَخْتُهَا لَهُ، فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ — وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْيَنِي وَيَبْيَنُهَا — كُلِّي، فَأَبَتْ، فَقُلْتُ: لَتَأْكُلِنَّ أَوْ لِأَطْخَنَ وَجْهَكِ، فَأَبَتْ، فَوَضَعْتُ يَدِي فِي الْخَزِيرَةِ، فَطَلَّتِي وَجْهَهَا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —، فَوَضَعَ يَدِهِ لَهَا، وَقَالَ لَهَا: الْطَّاخِي وَجْهَهَا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَهَا، فَمَرَّ عَمَرٌ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، فَظَنَّ أَنَّهُ سَيَدْخُلُ، فَقَالَ: قُومًا فَاغْسِلَا وُجُوهَكُمَا، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَا زِلتُ أَهَابُ عُمَرَ لِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —¹.

3 — وعن السُّمْبَارِكِ بْنِ فَضَالَةِ عَنِ الْحَسَنِ — رضي الله عنه — قال: «أَتَ عَجُورُ إِلَى النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: يَا أُمَّ فُلَانٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُورٌ، قَالَ: فَوَلَّتْ تَبْكِي، فَقَالَ: أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُورٌ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّا أَنْشَأْنَا هُنَّ إِنْ شَاءَ فَجَعَلْنَا هُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَثْرَابًا».²

¹ - أبو علي الموصلي، مسنده أبي علي، (تحقيق: حسن سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1404هـ، 1984م)، رقم (4476)، (449/7)، وقال محققه: "إسناده حسن"، أبو بكر البزار، كتاب الفوائد أو الغيلانيات، (تحقيق: حلمي كامل أسعد عبد الهادي)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 1417هـ، 1997م)، رقم (121)، (363/7). والحديث صحيحه الألباني. ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، بدأت عام: 1415هـ، 1995م، وانتهت عام: 1422هـ، 2002م)، رقم (3131)، (363/7).

² - الترمذى، الشمائل الحمدية، (دار إحياء التراث العربى، بيروت، د.ط، د.ت)، باب: ما جاء في صفة مراح النبي — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —، رقم (230)، (ص/143 — 144)، أبو الشيخ الأصبهانى، أخلاق النبي وأدابه، (تحقيق: صالح بن محمد الونيان، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط1،



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

د. ياسين بولهmar وجه الاستدلال:

فهذه الأحاديث التّرّيفية؛ فيها دلالة صريحة على مزاح النّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مع أصحابه، وأهل بيته، وحرصه على إدخال السُّرور على أفراد مجتمعه، وخير المدّي هدي محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

الفرع الثاني: من آثار الصحابة.

كان الصحابة - رضي الله عنهم - يمزحون من حين لآخر، وقد أخذوا ذلك من النّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ بل منهم من اشتهر بكثرة الدّعاية، ودعوته إلى التّرويح عن النفس، فمنهم:

1 - **نُعِيمَانُ** بن عمرو بن رفاعة - رضي الله عنه -، قال في ترجمته ابن عبد البر: «شهد بدرًا، وكان من قدماء الصحابة وكبارائهم، وكانت فيه دعابة زائدة، وله أخبار ظريفة في دعاته، ... وكان نعيمان رجلاً مضحكاً مزاحاً»¹.

1998م)، ما روي في كاظمه العيظ وحلمه عليه الصلاة والسلام، رقم (185)، (493)، (1)، (185)، (4)، البيهقي،
البعث والنشر، (تحقيق: عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ط1،
1406هـ، 1986م)، باب: ما جاء في صفة حور العين والعلماني، رقم (346)، (ص217)،
البغوي، معلم الترتيل في تفسير القرآن، (حققه وأخرج أحاديه: محمد عبد القادر التمر وعثمان جمعة
ضميري وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ، 1997م)، (14/8).
والحديث حسنة الألباني. ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (2987)، (1221/6)،
الألباني، مختصر الشمائل الحمدية، (المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، د.ط، د.ت)، رقم (205)،
(ص128).

¹ - ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت،
ط1، 1412هـ، 1992م)، (4)، (1526).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

- 2 — وقال عمر بن الخطاب — رضي الله عنه —: «إِنَّه ليعجِّنِي أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ
فِي أَهْلِهِ مِثْلُ الصَّيْ، ثُمَّ إِذَا بَغَى مِنْهُ، وَجَدَ رَجُلًا».¹
- 3 — وقد سُئلَ عبد الله بن عمر — رضي الله عنه —: «هَلْ كَانَ أَصْحَابُ
رَسُولِ اللهِ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَضْحَكُونَ؟» قَالَ: نَعَمْ، وَالإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ أَعْظَمُ
مِنِ الْجَبَلِ».².

وجه الاستدلال:

دَلَّتْ هَذِهِ الْآتَارُ أَنَّ الصَّحَّابَةَ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ — كَانُوا يَمْزِحُونَ، وَيَرْوِحُونَ
عَنْ أَنفُسِهِمْ بِالدُّعَابَاتِ مِنْ حِينِ إِلَى آخِرِ، فَإِذَا جَدَّ وَقْتُ الْجَدَّ كَانُوا أَبْطَالًا فِي مَوَاطِنِ
الصَّدْقِ، وَفُرَسَانًا يَرْهَبُهُمُ الْعُدُوُّ، فَلَا تَعْرُضَ بَيْنَ هَذَا وَذَاكَ؛ بَلْ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَمْزِحُ
بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ الَّذِي ذَكَرَهُ أَسَيْدُ بْنُ حُضِيرٍ،
فَلَوْ كَانَ المَزَاحُ الَّذِي لَا يَخْرُجُ عَنِ الضَّوَابِطِ الشَّرِعِيَّةِ لَا يَجُوزُ لَوْضَاحَهُ لِرَسُولِ اللهِ —
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ —، إِذَا لَا يَجُوزُ تَأْخِيرُ البَيَانِ عَنْ وَقْتِ الْحَاجَةِ كَمَا هُوَ مُقْرَرٌ فِي عِلْمِ
أَصْوَلِ الْفَقِهِ.

المطلب الثالث: ضوابط المزاح المنشورة.

لِمَّا أَبَاحَتِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ المَزَاحَ؛ أَحْاطَتْهُ بِجَمِيلَةِ ضَوَابِطِ وَالْأَحْكَامِ،
الَّتِي تَحْقِّقُ مَقَاصِدَ الشَّرِيعَةِ وَأَبْعَادَهُ، وَتَحْفَظُ الْمُكَلَّفِينَ مِنَ التَّوْسُّعِ فِيهِ، خَاصَّةً وَأَنَّ
النُّفُوسَ جُبِلتَ عَلَى حُبِّ الْمَزَاحِ، فَكَانَ وَلَا بَدَّ مِنْ تَهْذِيبِهِ، وَأَهْمَّ هَذِهِ الضَّوَابِطِ:

¹ - البغوي، شرح السنة، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط و محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي،
دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ، 1983م)،

(183/13).

² - البغوي، شرح السنة، (318/12).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

الضابط الأول: أن لا يكون استهzaء بالدين الحنيف أو بشعائره.

فمن أهم ضوابط المزاح المباح أن لا يكون فيه استهzaء بالدين الحنيف، أو يحتوي على سخرية بشاعيره، فإن ذلك فعل محظى، وصاحبها على خطأ عظيم، قال تعالى: **وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُنَّ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ** (65) لا تعتذرُوا قد كفرتمْ بعدَ إيمانكمْ إنْ تَعْفُ عنْ طائفةٍ مِنْكُمْ تُعذَّبْ طائفةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ.¹

فقد بين جل وعلا أن الاستهzaء بكتابه وآياته، والسخرية بأنبيائه ورسالته، والخوض في وعده ووعيده، وجعلها موضوعاً للعب واللهو؛ كل ذلك من الكفر الحقيقى، الذى يخرج صاحبة من الله والدين، ويحرى عليه أحكام الممرتد، إلا أن يتوب من هذا الفعل الشنيع، ويجد الدخول في الإسلام.² وذلك: «لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم دينه ورسله، والاستهzaء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة»³.

الضابط الثاني: أن لا يشتمل على تحير إنسان أو استهzaء به أو سخرية

منه.

¹ - سورة التوبة، الآية/65 - 66.

² - ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1416هـ، 1995م)، (273/7)، محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (المؤسسة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1990م)، (457/10).

³ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (تحقيق: عبد الرحمن بن معلا البحتري، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، 2000م)، (ص/342).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

فيَخْرُمُ المزاح إِذَا كَانَ فِيهِ تَحْقِيرًا لِإِنْسَانٍ، أَوْ اسْتَهْزَاءً بِهِ، أَوْ سُخْرِيَّةٍ مِنْ بَعْضِ أَوْ صَافِهِ، فَلَا يَجُوزُ الْخَوْضُ فِي عَرْضِهِ، أَوْ التَّبَلُّ منْ شَخْصِهِ، لِإِضْحَاكِ الْآخْرِينَ وَالتَّرْفِيَّةِ عَنْهُمْ، قَالَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخِرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَسَاءٌ مِنْ نَسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ۝ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابِرُوا بِالْأَلْقَابِ ۝ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ۝ وَمَنْ لَمْ يَتَبَّعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ¹.

فقد نهى رب العزة والجلال في هذه الآية الكريمة عن السخرية من الناس واحتقارهم، وحرم ازدراء الخلق واستصغرهم، وجعل ذلك من جملة الظلم والفسوق، والاعتداء البغي على حقوق الآخرين، فقد يكون المحتقر أعظم أجرًا، وأرفع قدرًا عند الله، وأحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ السَّابِقِ مِنْهُ الْمُحْتَقَرُ لَهُ².

فلا يجوز للمسلم أن يتَّخِذَ من أعراض الناس وأوصافهم؛ مَصْدِرًا للتندر في مجالس القوم ومسامراتِهم، ولا أن يجعل من أخبارهم مادَّةً دَسِّمةً للتبنيَّةِ عن الآخرين والتَّخفيف من كُربَاتِهم، فقد جاءت العديد من التوجيهات النبوية محذرةً من هذا الفعل الفظيع، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَنَاجِشُوا، وَلَا تَنَابِرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُوْنُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْرَانًا، الْمُسْلِمُ أَخْوُ الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ».

¹ - سورة الحجرات، الآية/11.

² - ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1420هـ، 1999م)، (376/7).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشَيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ. بِحَسْبِ امْرَئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمٍ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ¹.

وأيضاً؛ ما جاء عن عائشة أم المؤمنين — رضي الله عنها — قالت: «حَكَيَتُ لِلنَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — رَجُلًا، فَقَالَ: مَا يَسْرُنِي أَنِي حَكَيْتُ رَجُلًا، وَأَنِّي كَذَّا وَكَذَا، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأٌ، وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا، كَانَهَا تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: لَقَدْ مَرَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَرَجْتِ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمُرَحَّ².

وعن عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — عن النبيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كَبِيرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ

¹ - مسلم، صحيح مسلم، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت)، كتاب: البر والصلة والأداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماليه، رقم (2564)، (1986/4).

² - أحمد بن حنبل، المسند، مسنن الصديقة عائشة بنت الصديق — رضي الله عنها —، رقم (4875)، (25560)، (361/42)، أبو داود، سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: في الغيبة، رقم (269/4)، الترمذى، سنن الترمذى، أبواب: صفة القيامة والرفاق والورع عن رسول الله — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —، رقم (2502)، (660/4)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، البيهقي، شعب الانعام، (تحقيق: عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، بالتعاون مع الدار السلفية، الهند، ط 1، 1423هـ، 2003م)، فيما ورد من الأخبار في التشديد على من افترض من عرض أخيه المسلم شيئاً بسب أو غيره، رقم (6295)، (87/9). والحديث صحيحه الألبانى. ينظر: الألبانى، غاية المرام في تحرير أحاديث الحلال والحرام، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1405هـ)، رقم (427)، (ص 243).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبَهُ حَسَنًا، وَعَلَلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبِيرُ بَطَرُ الْحَقَّ، وَغَمْطُ النَّاسِ¹.

الضابط الثالث: تحري الصدق والابتعاد عن الكذب.

وي ينبغي على الممازح أن يتحرج الصدق في كلامه، وينطق بالحق أثناء تقديمه للروايات، فيبتعد عن الكذب والأراجيف، ويتحاشى الدعایات المعرضة، والحكايات الباطلة، فلا يجوز له الكذب من أجل إضحاك الآخرين وإسعادهم، كما هو مشاهد اليوم مع بداية كل شهر أفريل، أو ما يعرف به: "كذبة إبريل"، أو "كذبة أول نيسان".

فعن بَهْرَ بن حَكِيمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَقُولُ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، ثُمَّ يَكْذِبُ لِيُضْحِكَهُمْ، وَيَلِلَّهُ، وَوَيْلٌ لَهُ».³ قال المناوي: «كررة — أي: الدعاء بالويل — إيندانا بشدة هلكته، وذلك لأنَّ الكذب وحده رأس كل مَدْمُومٍ، وجماع كل فضيحة، فإذا انضم إليه استجلاب الضحاح

¹ - بطر الحق: دفعه وإنكاره ترُفعاً وتجهيراً، وغمط الناس: من الفعل غمطه يغمسه، ومعنى: احتقارهم. ينظر: التّوسيّي، المهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط2، 1392هـ)، (90/2).

² - مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبير وبيانه، رقم (147)، (1/93).

³ - أحمد بن حنبل، المسند، حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، رقم (20045)، (33/244)، أبو داود، سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: في التشديد في الكذب، رقم (4990)، (4/297)، الترمذى، سنن الترمذى، أبواب: الرُّهُد عن رسول الله — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —، باب: فيما تكلم بكلمة يُضحك بها الناس، رقم (2315)، (4/557)، و قال: "هذا حديث حسن". والحديث حسن الألبانى. ينظر: الألبانى، صحيح الجامع الصغير وزياذاته، رقم (7136)، (2/1199).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

الذي يحيي القلب، ويجلب النسيان، ويورث الرُّعونة، كان أقبح القبائح، ومن ثم قال الحكماء: إبراد المضحكات على سبيل السخف نهاية القباحة¹.

وذلك أنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يمازح النَّاسَ ويداعبهم، لكنه لا يقول في مزاحه إِلَى الْحَقَّ، ولا ينطق في مداعبته إِلَى الْصَّدْقِ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «قيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ: إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَى حَقًا»².

ومن أمثلة ذلك؛ ما جاء عن السُّمَارَكَ بْنَ فَضَالَةَ عَنِ الْحَسَنِ - رضي الله عنه - قال: «أَتَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: يَا أُمَّ فُلَانٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ، قَالَ: فَوَلَّتْ تَبَكِي، فَقَالَ: أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّا أَنْشَأْنَا هُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَا هُنَّ أَبَكَارًا . عُرُبَا أَتَرَابًا»³.

وممَّا يدخل في الكذب أثناء المزاح، ما يُعرفُ منذ قديم الزَّمان وغابر الأيام بـ "النُّكتَ"، وهي عبارة عن حكايات فُكاهية وَهُمْمَة، وقصص مُضحكَة غير واقعية، لم يكن لها وجود أصلًا، وإنما هي من تَسْجِنُ الْخَيَالَ لَا الْحَقِيقَةِ، تَهْدِي إِلَى السُّخْرِيَّةِ بطائفة مُعَيَّنة، أو الاستهزاء بجماعة من الجماعات، وبصاحبها في غالب الأحوال ما يُشَجِّعُ على قِلَّةِ الْحَيَاةِ، وارتكاب خَوَارِمِ الْمُرْوَعَةِ، مع ملاحظة التَّفَرِيطِ في جانب الأعراض وسُمعتها، والتَّسَاهَلُ الْجَلِيُّ في إِشاعةِ الفاحشةِ وإِذاعتها، بل رَبَّما يَصِلُّ الْأَمْرُ إِلَى اخْتِلَاقِ

¹ - المناوي، فيض القدر شرح الجامع الصَّغير، (المكتبة التجارَّية الكبُرى، مصر، ط1، 1356هـ)، (368/6).

² - سبق تخرِيجه.

³ - سورة الواقعة، الآية/35 — 37.

⁴ - سبق تخرِيجه.



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

القصص المضحكة حول أحكام الدين وشعائره، والخوض في سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - والاستخفاف بأوامره!¹.

الضابط الرابع: أن لا يترتب عليه ترويع وتخويف.

إذا كان المزاح يترتب عليه تخويف للممارح، أو إدخال الملمع على قلبه؛ فهو حرام، وصاحبته آثم على ذلك، فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى - رضي الله عنه - قال: «حدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي مَسِيرٍ، فَتَأَمَّلُ رَجُلٌ مِّنْهُمْ، فَأَنْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا اسْتِيقَظَ الرَّجُلُ فَرَأَهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: مَا يُضْحِكُكُمْ؟ فَقَالُوا: لَأَ، إِنَّا أَنْحَدْنَا نَبْلًا هَذَا فَفَرِّعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا».².

¹ - ومن أمثلة ذلك: ما نقله محمد الأخضر السائحي من طرائف ونكت لها علاقة بالمقدسات، كالصلوة، وتلاوة القرآن، وغيرها. ينظر: محمد الأخضر السائحي، ألوان بلا تلوين، حول طرائف لها علاقة بالمقدسات، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976)، (ص/15 - 26).

² - أحمد بن حنبل، المسند، أحاديث رجال من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، رقم (23064)، (163/38)، أبو داود، سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: من يأخذ الشيء على المزاح، رقم (5004)، (301/4)، البيهقي، الآداب، (اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط، 1، 1408هـ، 1988م)، باب: في المزاح، رقم (330)، (ص/136). والحديث صحيحه الألباني. ينظر: الألباني، غاية المرام في تخرج أحاديث الحلال والحرام، رقم (447)، (ص/257).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

وعن عبد الله بن السائب بن يزيد عن أبيه عن جده، أَنَّه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَقُولُ: «لَا يَأْخُذُنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لَا عِنْدَهُ، وَلَا جَادَّ».¹ يقول العزّ بن عبد السلام: «جَعَلَهُ لَا عِنْدَهُ مَنْ جَهَّهَ أَنَّهُ أَنْجَدَهُ بِنِيَّةً رَدَّهُ، جَادَّا مِنْ جِهَّةِ أَنَّهُ رَوَعَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ بِفَقْدِ مَتَاعِهِ، وَعَلَى الْجُمْلَةِ؛ فَلَا يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أَنْ يَخْطُرَ بِقَلْبِهِ، وَلَا يَجْرِي عَلَى جَوَارِحِهِ، إِلَّا مَا يُوجِبُ صَلَاحًا، أَوْ يَدْرِأُ فَسَادًا، فَإِنْ سَنَحَ لَهُ غَيْرُ ذَلِكَ فَلَيَدْرِأُ مَا اسْتَطَاعَ».²

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — عن النبيّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قال: «لَا يُشَيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسَّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي، لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِغُ فِي يَدِهِ، فَيَقُولُ فِي حُفْرَةِ مِنَ التَّارِ».³

قال ابن حجر: «وفي الحديث التهوي عما يفضي إلى المحذور وإن لم يكن المحذور محققاً، سواء كان ذلك في جد أو هزل».⁴

¹ - أبو داود، سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: من يأخذ الشيء على المزاح، رقم (5003)، (301/4)، الترمذى، سنن الترمذى، أبواب: الفتنة عن رسول الله — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —، باب: ما جاء لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً، رقم (2160)، (4/4)، البيهقي، السنن الكبرى، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.3، 1424هـ، 2003م)، كتاب: الغصب، باب: تحريم الغصب وأخذ أموال الناس بغير حق، رقم (11499)، (6/154). والحديث حسن الألبانى. ينظر: الألبانى، صحيح الجامع الصغير وزیاداته، رقم (7578)، (2/1257).

² - العزّ بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، (212/2).

³ - البخارى، صحيح البخارى، (تحقيق: محمد زهير بن ناصر التانصري، دار طوق التجاة، ط.1، 1422هـ)، كتاب: الفتنة، باب: قول النبيّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — "من حمل علينا السلاح فليس مئنا"، رقم (7072)، (9/49).

⁴ - ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخارى، (13/25).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

د. ياسين بولهmar
وفي روایة مسلم، عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: قال أبو القاسم —
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدْعَهُ،
وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ».¹

قال التَّنْوُريُّ: «وَقُولُهُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — «وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ»؟
مُبَالَغَةٌ فِي إِيْضَاحِ عُمُومِ النَّهْيِ فِي كُلِّ أَحَدٍ، سَوَاءً مَنْ يُتَهَمُ فِيهِ، وَمَنْ لَا يُتَهَمُ، وَسَوَاءً
كَانَ هَذَا هَذِّلًا وَلَعِبًا أَمْ لَا؛ لِأَنَّ تَرْوِيعَ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ، وَلَاَنَّهُ قَدْ يَسْبُقُ السَّلَاحَ
كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى، وَلَعْنُ الْمَلَائِكَةِ لَهُ يَدْلُلُ عَلَى أَنَّهُ حَرَامًّا».²

الضَّابطُ الْخَامِسُ: مِرَاعَاةُ الْمَقَامِ وَالْوَقْتِ الْمَنَاسِبِ.

فلا يستقيم بالمسلم أن يضحك في موطن البكاء، أو يهزل في وسطٍ من طبيعته الجد، فلكل مقام مقال، ولكل زمان أحوال، ولقد جاءت في القرآن الكريم نصوصٌ تعيب ذلك، فقال جل وعلا في شأن المشركين الذين كانوا يضحكون عند سماعهم للقرآن، وكان الأولى بهم أن يبكوا على حالمهم: فَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ . وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ³.

فالله سبحانه يعاتب المشركين في استهزائهم بالقرآن الكريم، وسخريتهم من الحقّ
السُّمْنَرَلِ، الذي ينبغي أن تتأثر منه النفوس، وتخشع له القلوب، وتذرف له العيون، عند
سماعها لأوامره ونواهيه، وحين تدبرها لمقاديره ومعانيه، فالمقام مقام تفكُّر وخشوع
واستِبصار، لا مقام ضحك وتهكم واستهتار، ثم قال: " وأنتم سامدون" ، وهذا استفهم

¹ - مسلم، صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: النهي عن الاشارة بالسلاح إلى مسلم، رقم (2616)، (2020/4).

² - التَّنْوُريُّ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (16/170).

³ - سورة النَّحْم، الآية/59 — 61.



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

توبیخ، أي: غافلون عن عقوباته، معرضون عن آياته، مستكرون عن بیناته، لاهون عن تحذيراته، وهذا من قلة عقولكم، ونقص بصيرتكم، فلو عبدتم الله حق عبادته، وطلبتم رضاه وأقمنتم على طاعته، لما كنتم على هذه الحال، ولما وصلتم إلى هذه الدرجة من العلمي والضلال، التي يأنف منها أولوا الألباب.¹

وقد عاتب سبحانه تعالى جماعة من المنافقين، عن ضحاكم واستهزائهم، لتناحُلُّهم عن رسول الله — عليه الصلاة والسلام — في غزوة تبوك، بعد أن أظهروا أعداراً كاذبة، وحججاً واهية، فقال جل في علاه: فَرَحَ الْمُحَلَّفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُ حَرَّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ. فَلَيُضْحِكُوا قَلِيلًا وَلَيُبَكُّوا كَثِيرًا جَزاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.²

فالمزاح في غير موطنه يُعد نقيصة في جانب صاحبه، والهزل الذي يزاحم أوقات الجد والعمل، يعتبر من علامات التفريط وقلة الأدب، ولذلك فقد مَدَحَ الشاعر المزاح الذي يكون في موضعه، فقال ابن حازم³:

أَهَازِلُ حَيْثُ الْهَزِلُ يَحْسُنُ بِالْفَتَنِ
وَإِنِّي إِذَا جَدَ الرِّجَالُ أَخُو جِدٍ

¹ - ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان، (ص/822)، الزحلبي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ)، (139/27).

² - سورة التوبة، الآية/ 82.

³ - ينظر: الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، (شركة دار الأرقام بن أبي الأرقام، بيروت، ط1، 1420هـ)، المدوح بأن فيه الجد والهزل في موضعهما، (347/1)، ابن أيدمر المستعصمي، التر الفريد وبيت القصيد، (تحقيق: كامل سلمان الحبوري)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1436هـ، 2015م)، رقم (5421)، (39/5).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

وقال أبو تمام^١:

الجَدُّ شِيمَتُهُ وَفِيهِ فُكَاهَةُ طَورًا وَلَا جِدَّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبْ

وقال العجير السلوبي^٢:

إِذَا جَدَ عِنْدَ الْجِدِّ أَرْضَاكَ جِدُّهُ وَدُوَّ بَاطِلٍ إِنْ شِئْتَ أَهْلَكَ بَاطِلَهُ

فمَنْ هَزَّلَ الإِنْسَانَ فِي مَوْطِنِ الْجِدِّ؛ فَقَدْ لَحِقَهُ الْعَارُ وَالضَّرَرُ، وَبَاءَ بِالْخِزْيِ وَسُوءِ

الْمُنْقَلَبِ، قَالَ السُّمْتِي^٣:

وَوَضُعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا مُضِيرٌ كَوَضُعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

الضَّابط السَّادُسُ: عدم الاكثار منه.

فعلى العاقل أن يمزح في توسيط واعتدال، ويقلل من الدعاية قدر الامكان، وهذا

ما يتماشى مع الفطر السوية، والعقول الرضية، لذلك أرشدنا النبي - عليه الصلاة

والسلام - إلى الاقتصاد في هذا المجال، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله

عليه وسلم -: «يا أبا هريرة كُنْ وَرِعًا، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ فَنِعًا، تَكُنْ أَشْكَرَ

^١ - ينظر: أبو إسحاق الحصري، زهرة الآداب وثرة الأدب، (دار الجليل، بيروت، د.ط، د.ت)،

(1/206)، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، (دار صادر، بيروت، ط1، 1417هـ)، (9/374).

أيدمر المستعصمي، الدر الفريد وبيت القصيد، رقم (3490)، (4/68).

^٢ - ينظر: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، (9/374)، ابن أيدمر المستعصمي، الدر الفريد وبيت القصيد، رقم (720)، (2/239).

^٣ - ينظر: ابن الإفليلي، شرح شعر النبي، (دراسة وتحقيق: مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ، 1992م)، (2/1401)، ابن أيدمر المستعصمي، الدر الفريد وبيت القصيد، رقم (16008)، (10/432).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

د. ياسين بولهمار
الناس، وأحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسِنْ حِوَارًا مِنْ جَاْوَرَكَ، تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقْلَ الضَّحْكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحْكِ تُمْيِتُ الْقُلْبَ»¹.

قال مرتضى الزبيدي: «وقد قال الأئمة: الإكثار منه والخروج عن الحد مدخل بالمرءة والوقار، والتزنة عنه بالمرءة، والتقبض مدخل بالسنة، والسيرية النبوية المأمور باتباعها والاقتداء، وخير الأمور أوسطها»².

وقال سعيد بن العاص وهو يقدم موعظة بلغة لابنه: «اقتصر في مزاحك؛ فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرئ عليك السفهاء، وإن التقصير فيه يفض عنك المؤانسين، ويوحش منك المصاحبين...»³.

ولذلك قال أهل العلم: «ومن العلط العظيم أن يتَّخذ المزاح حرفة، يُواطِبُ عليه، ويُفْرِطُ فيه»⁴، وذلك لما يفرضي إليه من آثار وخيمة، وأمراض لا قبل لها، إذ أنه

¹ - أحمد بن حنبل، المسند، مسند أبي هريرة — رضي الله عنه —، (8095)، (458/13)، ابن ماجة، سنن ابن ماجة، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى الباعي الحلبي، د. ط، د. ت)، كتاب: الرُّهْد، باب: الورع والتقوى، رقم (4217)، (4217)، البيهقي، شعب الابيان، في طيب المطعم والملبس واحتباب الحرام واتقاء الشبهات، رقم (5366)، (499/7)، البيهقي، الآداب، باب: كراهية كثرة الضحك، رقم (323)، (ص/134). والحديث حسن الألباني. ينظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيااته، رقم (100)، (1/82).

² - الزبيدي، تاج العروس من جواهر القوسنوس، مادة "مزح"، (7/117).

³ - الماوردي، أدب الدنيا والدين، (دار ومكتبة الحياة، د. ط، 1986م)، (ص/310—311).

⁴ - القاسبي، موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، (تحقيق: مأمون بن محي الدين الحنان، دار الكتب العلمية، د. ط، 1415هـ، 1995م)، (ص/192).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

يورث: «قسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله تعالى والفكر في مهمات الدين، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوفار»¹.

وفي هذا المعنى، يقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «من كثر ضحكته قلت همته، ومن مزاح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به»².

وفي نفس الوادي، يقول عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه -: «اتقوا المزاح، فإنها حمقة تورث ضغينة»³.

وعن عيسى بن عبد العزيز: «أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطاة: إنه من قبيلك عن المزاح، فإنه يذهب المروءة، ويُوغر الصدر»⁴.

وقد قال أبو الفتح البصي في بيان ضابط الاكثر من المزاح، والتقليل منه⁵:

أَفِدْ طَبَعَكَ الْمَكْلُودَ بِالجِلْدِ رَاحَةً
فَلِيَلَا وَعَلَّلْهُ بَشَيْءٍ مِنْ الْمَرْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ الْمَرْحَ فَلَيْكُنْ
بِمِقْدَارٍ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنْ الْمِلْحِ
وَقَالَ أَبُو الْحَسْنِ التَّنْوَخِيٌّ :

¹ - الثوري، الأذكار، (ص/326).

² - أبو حاتم الدارمي، روضة العلاء ونزهة الفضلاء، (تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت)، (ص/80)، الماوردي، أدب الدنيا والدين، (ص/313).

³ - الماوردي، أدب الدنيا والدين، (ص/310).

⁴ - المرزبان، المروءة، (تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 1420هـ، 1999م)، رقم (46)، (ص/50).

⁵ - ينظر: أبو منصور الشعالي، اللطائف والظراف، (دار المناهل، بيروت، د.ط، د.ت)، (ص/151)، أبو إسحاق الحصري، زهر الآداب وثرا الأباب، (1/207).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

د. ياسين بولهمار

الرّفُقُ يُمِنُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدُقُهُ وَكَثْرَةُ الْمَرْزِحِ مِفْتَاحُ الْعَدَاوَاتِ
وَالصَّدْقُ بِرٌّ وَقَوْلُ الرُّورِ صَاحِبُهُ يَوْمُ الْمِعَادِ حَرَىٰ بِالْعُقُوبَاتِ
الضابط السابع: إنزال الناس منازلهم والابتعاد عن السفهاء وما شاكلهم.

وعند المزاح؛ ينبغي إنزال الناس منازلهم، ومراعاة مستوياتهم وأحوالهم، فالناس ليسوا على قلب رجل واحد، فالكبير ليس كالصغير، والذكر غير الأنثى، والعالم يفترق عن العامي، والأب لا يُشبهُ ابنه، كما يتوجّب الابتعاد عن السفيه الأحمق، والوضيع الآخرق، الذي لا يقدر الناس حق قدرهم، ولا يفقهُ في المزاح قيد أئملاً! قال سعيد بن العاص لابنه: «اقتصِدْ في مزاحِكَ؛ فإنَّ الإفراطَ فيه يُذهبُ البهاء، ويُحرِّرُ عليك السفهاء،...».²

وقدِيماً قال الأصمسي³:

إِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمَرْزِحَ فَإِنَّهُ
يُجَرِّي عَلَيْكَ الْطَّفْلَ وَالدَّنَسَ التَّدْلَا
وَيُنْهِبُ مَاءَ الْوَجْهِ بَعْدَ حَيَائِهِ
وَيُورِثُ بَعْدَ العِزِّ صَاحِبَهُ ذُلَّا
وقال ابن هندو¹:

¹ ينظر: ابن أيدمر المستعصمي، الدر الفريد وبيت القصيد، رقم (3596)، (4/98)، ابن الخطيب قاسم، روض الأخيار المنتخب من رباع الأبرار، (دار القلم العربي، حلب، ط1، 1423هـ)، (ص/203—204).

² الماوردي، أدب الدنيا والدين، (ص/310).

³ ينظر: الوشاء، الظرف والظرفاء، (تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الماجني، مصر، ط2، 1371هـ، 1953م)، (ص/13)، الراغب الأصبغاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، النبي عن المزاح والتخييف منه، (1/345)، ابن أيدمر المستعصمي، الدر الفريد وبيت القصيد، رقم (434/7)، (10604).

المزاوج بين ضوابط الشرع وجوازات الطبع ----- د. ياسين بولخمار

لَا تَمْزَحْنَ مَعَ الشَّرِيفِ فَيَعْتَدِي حَقًا عَلَيْكَ وَلَا الدَّنَى فِي جَهَنَّمِ
وَهُوَ مَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ حَبِيبٍ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ يُقَالُ: لَا تُمَازِحُ الشَّرِيفَ

الضابط الثامن: أن لا يكون فيه غيبة لسلام.

وَمَا أَكْثَرُ هَذَا الْمَرْضُ الْخَبِيثُ فِي الْمَزَاحِ، حِيثُ يُزِّيْنُ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ هَذِهِ
الْأَعْرَاضَ وَتَزَيِّنُهَا، وَالنَّيْلُ مِنْ لَحْومِ النَّاسِ وَنَكْشَهِهَا، فَيُضْحِكُ النَّاسَ بِجُلْبِ الْمَعَابِ،
وَيَرُوِّحُ عَنْ نَفْوسِهِمْ بِاصْطِيَادِ الْمَثَالِبِ، وَرَبِّمَا زَادَ فِي كَلْمَاتِهِ وَأَضَافَ، وَأَدْرَجَ وَلَفَقَ
فِي الرَّوَايَاتِ وَالْأُوْصَافِ، حَتَّى يُبَهِّجَ الْمُسْتَمْعِينَ، وَيُسْعِدَ الْمُحْضُورَ الْكَرِيمَ، وَهُوَ فِعْلٌ مُحَرَّمٌ.
وَالنُّصُوصُ الشَّرِيعَةُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ —
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكُمْ
أَحَدًا كَمَا يَكْرُهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَنْجِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ
أَغْتَبْتُهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتْهُ»³.

وعن أنس بن مالك — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم —: «لَمَّا عُرِجَّ بِي مَرَّتْ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وَجُوهُهُمْ وَسَلَمَ — وَقُلْتُ: مَنْ هُؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقْعُونَ وَاصْدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هُؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقْعُونَ

^١ ينظر: ابن أيدمر المستعصمي، الدر الفريد وبيت القصيد، رقم (16916)، (11/189).

² - أبو حاتم الدّارميّ، روضة العقلاء ونرفة الفضلاء، (ص/77).

³ - مسلم، صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والأداب، باب: تحريم الغيبة، رقم (2589)، (2001/4).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

د. ياسين بولهمار
في أعراضهم¹.

الضابط التاسع: أن لا يُفضي إلى زرع الأحقاد وتحريك الضغائن.

وينبغي الحذر من المزاح الذي يحرّك الضغائن ويورث الأحقاد، ويوقن نار الفتنة بين الأهل والأحباب، فينجم عنـه تقاطع وتدابير، وتنافر وتجاهـر على مـر السـنين، قال العـز بن عبد السـلام مـبيـناً المعـيار الشـرعيـ في ذـلـك: «وعـلى الجـملـة؛ فـلا يـنبـغـي لـعـاقـلـ أن يـخـطـرـ بـقـلـبـهـ، وـلـا يـجـريـ عـلـى جـوارـهـ إـلـا ما يـوـجـبـ صـلـاحـاـ، أو يـدـرـأـ فـسـادـاـ، فـإـن سـنـحـ لـهـ غـيـرـ ذـلـكـ فـلـيـدـرـاـ مـا اـسـطـاعـ»².

وقدـيـماـ قدـقـيلـ: «لـكـلـ شـيـءـ بـدـءـ وـبـدـءـ الـعـدـاؤـ الـمـزـاحـ، وـكـانـ يـقـالـ: لـوـ كـانـ الـمـزـاحـ فـحـلـاـ مـا أـلـقـحـ إـلـا الشـرـ»³.
وقدـيـماـ قالـ الشـاعـرـ⁴:

¹ - أحمد بن حنبل، المسند، مسند أنس بن مالك — رضي الله عنه —، رقم (13340)، (53/21)، أبو داود، سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: في الغيبة، رقم (4878)، (269/4)، البيهقي، شعب اليمان، فصل فيما ورد من الأخبار في التشديد على من افترض من عرض أخيه المسلم شيئاً بسب أو غيره، رقم (6290)، (83/9)، البيهقي، الأدب، باب: ترك الغيبة وتتبع عورات المسلمين، رقم (118)، (ص/48). والحديث صحيحه الألباني. ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (533)، (69/2).

² - العـزـ بن عبد السـلامـ، قـوـاعـدـ الـأـحـكـامـ فيـ مـصـالـحـ الـأـنـامـ، (212/2)، وـرـاجـعـ: التـوـويـ، الـأـذـكارـ، (ص/326).

³ - ابن مفلح، الآداب الشرعية والمنج المرعية، (علم الكتب، د.ط، د.ت)، (223/2).

⁴ - يـنـظـرـ: الـخـلـيلـ بـنـ أـحـمدـ، كـتـابـ الـعـيـنـ، (تـحـقـيقـ: مـهـديـ الـمـخـزوـمـيـ وـإـبرـاهـيمـ السـامـرـائـيـ، دـارـ وـمـكـتبـ الـهـلـالـ، دـ.ـطـ، دـ.ـتـ) .(167/3)



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

وَلَا تَمْزَحْ فِإِنَّ الْمَرْزَحَ جَهَلٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ يَدْوُهُ الْمُرْزَاحُ

وقال أبو موسى ابن المعتصم¹:

لَا تَمْزَحْ مَعَ الصَّدِيقِ فَرَبِّمَا
وَدَعَ الْمُرْزَاحَ وَكُنَّ لَهُ مُتَجَبِّنًا
جَلَبَ الْعَدَاؤَةَ مِنْ صَدِيقِ مَازَحٍ

إِنَّ الْمُرْزَاحَ لِكُلِّ شَرٍ فَاتَّحْ

وقال ابن وكيع التيسّي²:

لَا تَمْزَحْ فِإِنَّ مَرَحْتَ فَلَا يَكُنْ مَرْحًا ثُضَافُ بِهِ إِلَى سُوءِ الْأَدَبِ
وَاحْذَرْ مُمَازَحَةً تُعْوِدُ عَدَاؤَةً إِنَّ الْمُرْزَاحَ عَلَى مُقْدَمَةِ الْعَصَبِ

وقال آخر³:

أَكْرِمْ جَلِيلِكَ لَا تُمَازِحْ بِالْأَذَى
كَمْ مِنْ مُرْزَاحَ جَدَّ حَبْلَ قَرِينِهِ

إنَّ الْمُرْزَاحَ ثُرَى بِهِ الْأَضْعَانُ
فَتَجَدَّمَتْ مِنْ أَجْلِهِ الْأَقْرَانُ

المطلب الرابع: المقصد الشرعي من المزاح المشروع.

للمزاح المباح مقاصد عديدة، وغایيات حميدة، تعود بالنفع العميم، والخير العظيم على الممازح والمُمَازَح، مع نفسه وأهله، ومع أفراد مجتمعه، وأبرز هذه الحِكم والممقاصد:

المقصد الأول: العمل على إعادة حيوية النفس وبعث نشاطها، من أجل مواصلة السير في مشاغل الحياة والتغلب على متاعبها، فقد يكلل المرأة عن أداء وظيفتها، فتخوض قواه وتفتقر همتها عمّا أنيط برقبته، فيحتاج إلى ما يعينه على طرد الهزيمة التي حلّت به، والقضاء على الاكتئاب والخوار الذي ألم بجانبه، ولا يكون ذلك إلا بالمزاح المباح،

¹ - ينظر: ابن أبيدر المستعصمي، الدر الفريد وبيت القصيد، رقم (16916)، (189/11).

² - ينظر: ابن أبيدر المستعصمي، الدر الفريد وبيت القصيد، رقم (16915)، (189/11).

³ - ينظر: أبو حاتم الدارمي، روضة العلاء ونرفة الفضلاء، (ص/78).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

وما يخالف وراءه من سعادة وانشراح، يقول الماوردي¹ عند تعداده لأهداف المزاح وغاياته النبيلة: «والحالـةـ الثـانـيـةـ: أـنـ يـنـفـيـ بـالـمـزـاحـ ماـ طـرـأـ عـلـيـهـ مـاـ سـأـمـ، وأـحـدـثـ بـهـ مـنـ هـمـ».

فقد قيل: لا بد للمتصدِّر أن يُنفِّث². وقد قال أبو الفتح البُسْتِي في بيان هذا المقصود:

أَفْدْ طَبَعَكَ الْمَكْدُورَ بِالْجَدِّ رَاحَةً
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ الْمَرْحَ فَلَيْكُنْ
بِمِقْدَارٍ مَا تُعْطِيَ الطَّعَامَ مِنْ الْمِلْحِ

وأصل هذا المقصود، ما جاء عن حنظلة الأسيدي³ — رضي الله عنه — وكان من

كتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال: «لَقِينِي أَبُو بَكْرٌ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَكُونْ عِنْدَ

رَسُولِ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّىٰ كَانَ رَأَيُ عَيْنِ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — عَافَسْنَا³ الْأَزْوَاجَ وَالْأُوْلَادَ

وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٌ: فَوَّ اللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو

بَكْرٌ، حَتَّىٰ دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم —، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم —: وَمَا ذَلِكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ

¹ الماوردي، أدب الدنيا والدين، (ص/311). وقد ذكر الإمام الماوردي المقصد الأول والثاني، وقال: لا ثالث لهما، ولكن لا يسلم له بهذا، بل هناك مقاصد أخرى للمزاح المباح.

² ينظر: أبو منصور الفعالبي، اللطائف والظرائف، (ص/151)، أبو إسحاق الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، (207/1).

³ عافسنا: قال التَّوْيِي⁴: «هو بالفاء والسيّن المهملة، قال الْهَرَوِي⁵ وغيره: معناه حاولنا ذلك، ومارسناه، واشتعلنا به، أي: عالجنا معايشنا وخطوطننا، والضيّعات: جمع ضيّعة، بالضاد المعجمة، وهي معاش الرجل من: مال، أو حرفة، أو صناعة، وروى الخطابي⁶ هذا الحرف عانسنا بالثُّون، قال: معناه لاعبنا، ورواه ابن قتيبة بالشّين المعجمة، قال: معناه عائضنا، والأول هو المعروف، وهو أعم». التَّوْيِي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (66/17).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

نَكُونُ عِنْدَكَ، ثُدَّكْرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّىٰ كَانَ رَأِيُّ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأُوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِيَنَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَلُوْمُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الدُّكْرِ، لَصَافَحْتُكُمُ الْمَلَائِكَةَ عَلَىٰ فُرْشَكُمْ، وَفِي طُرُقَكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»¹.

وقد فقه هذا المقصود العظيم أبو الدرداء — رضي الله عنه — فقال: «إِلَيَّ أَسْتَحِمْ فَؤَادِي بِبَعْضِ الْبَاطِلِ (يعني اللهو المباح); لِيَكُونَ أَنْشَطَ لِي فِي الْحَقِّ»².

يقول ابن تيمية معلقاً على قول أبي الدرداء — رضي الله عنه —: «فَأَمَّا من استعان بالسمبّاح الجميل على الحق فهذا من الأعمال الصالحة»³.

وقال الخليل بن أحمد في بيان دور المزاح المباح في دفع المهموم والأحزان، وشحذ همة الإنسان: «الناس في سجنٍ ما لم يتمازحوا»⁵; بل يعد المزاح من الوسائل المفيدة لتحقيق الحياة السعيدة، فقد: «مزح الشعبي يوماً، فقيل له: يا أبا عمرو أتمزح! قال: إن لم يكن هذا متننا من العَمَّ»⁶.

¹ - مسلم، صحيح مسلم، كتاب: التوبية، باب: فضل دوام الذكر والفكير في أمور الآخرة والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشغال بالدنيا، رقم (2750)، (4/2106).

² - أستجم: يقال: تجُّمُ الفؤاد أي: تريحه، وقيل: تجمعه وتكميل صلاحه ونشاطه. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي)، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، 1399هـ، 1979م، مادة "جمّ" ، (1/301).

³ - الفسوسي، المعرفة والتاريخ، (تحقيق: أكرم ضياء العمري)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1401هـ، 1981م)، (3/199).

⁴ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (28/369).

⁵ - ابن مفلح، الآداب الشرعية والمنج المرعية، (2/222).

⁶ - ابن مفلح، الآداب الشرعية والمنج المرعية، (2/222).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

ومن هذا الباب الذي يخدم مقصد استرجاع القوى المفقودة، والعودة إلى الوثيرة المنشودة؛ تصييد الأشعار اللطيفة، والتقطاط شوارد الحكم المنية، التي فاضت بجواهرها القرائح ذات الدماء الخفيفة، وجادت بطرائفها الألسن النظيفة، فقد جاء عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قوله: «أَجِمُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ، وَاطْلُبُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ؛ فَإِنَّهَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانِ»¹.

المقصد الثاني: تهذيب سلوك الممازح وتقويم سلوكه، واغتنام الفرص لتقديم النصيحة الخالصة له، في شكل التورىة والتلميح، أو بأسلوب الكنایة دون التعرُّض للتصریح، في قالب الم Hazel المليح، وهو في غالب الأحوال يكون في حال انفراد الممازح بالمامازح.

وأصل هذا المقصد؛ ما جاء عن زيد بن أسلم: «أَنَّ خَوَّاتَ بْنَ جُيَّرَ، قَالَ: نَرَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرَّ الظَّهَرَانِ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مِنْ خِيَّابَيِّ، فَإِذَا أَنَا بِنَسْوَةٍ يَتَحَدَّثُنِي، فَأَعْجَبَنِي، فَرَجَعْتُ فَاسْتَخْرَجْتُ عَيْتَنِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا حُلْةً فَلَبِسْتُهَا، وَجَحْتُ فَجَلَسْتُ مَعَهُنَّ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ قَبْيَهِ، فَقَالَ: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا يُحِلُّسُكَ مَعْهُنَّ؟ فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هِبَّتُهُ، وَاخْتَلَطْتُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَمَلٌ لِي شَرَدٌ، فَأَنَا أَبْتَغِي لَهُ قَيْدًا فَمَضَى وَاتَّبَعَهُ، فَأَلْقَى إِلَيَّ رِذَاةً وَدَحَّلَ الْأَرَاكَ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ بَيْاضَ مَتَّهِ في خَضِرَةِ الْأَرَاكِ، فَقَضَى حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ، فَأَقْبَلَ وَالْمَاءُ يَسِيلُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ - أَوْ قَالَ: يَقْطُرُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ - فَقَالَ: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ جَمِيلِكَ؟ ثُمَّ ارْتَحَلْنَا، فَجَعَلَ لَا يَلْحَقُنِي فِي

² - ابن أبي الدنيا، العقل وفضله، (مكتبة القرآن، مصر، د.ط، د.ت)، باب: القلوب تملّـ كما تملّـ للأبدان، رقم (94)، (ص/63)، ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، (تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ، 1994م)، (1/433).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

د. ياسين بولهمار

المسير إلـا قالـ: السـلام عـلـيـك أـبا عـبـدـالـلهـ، مـا فـعـلـ شـرـادـ ذـلـكـ الـجـمـلـ؟ فـلـمـ رـأـيـتـ ذـلـكـ تـعـجـلـتـ إـلـىـ الـمـدـيـةـ، وـاجـتـبـتـ الـمـسـجـدـ وـالـمـحـالـسـةـ إـلـىـ النـبـيـ؟ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، فـلـمـ طـالـ ذـلـكـ تـحـيـنـتـ سـاعـةـ خـلـوـةـ الـمـسـجـدـ، فـأـتـيـتـ الـمـسـجـدـ، فـقـمـتـ أـصـلـيـ، وـخـرـجـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـ بـعـضـ حـجـرـهـ فـحـاءـ، فـصـلـىـ رـكـعـتـينـ خـفـيفـتـينـ، وـطـوـلـتـ رـجـاءـ أـنـ يـذـهـبـ وـيـدـعـنـيـ، فـقـالـ: طـوـلـ أـبـا عـبـدـ اللهـ مـا شـيـعـتـ أـنـ تـطـوـلـ، فـلـسـتـ فـائـمـاـ حـتـىـ تـنـصـرـفـ، فـقـلـتـ فـيـ نـفـسـيـ: وـالـلـهـ لـأـعـتـارـنـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، وـلـأـبـرـئـ صـدـرـهـ، فـلـمـ قـالـ: السـلامـ عـلـيـكـ أـبـا عـبـدـ اللهـ مـا فـعـلـ شـرـادـ ذـلـكـ الـجـمـلـ؟ فـقـلـتـ: وـالـلـهـ بـعـثـكـ بـالـحـقـ مـا شـرـدـ ذـلـكـ الـجـمـلـ مـنـدـ أـسـلـمـ، فـقـالـ: رـحـمـكـ اللهـ ثـلـاثـاـ، ثـمـ لـمـ يـعـدـ لـشـيءـ مـمـاـ كـانـ¹!

ويشهد لهذا المقصود أيضاً ما جاء عن عبد الله بن بُسر المازني² - رضي الله عنه - قال: «بَعْثَتِي أُمِّي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِقُطْفٍ مِنْ عِنْبٍ

¹ - البخاري، التاریخ الكبير، دائرة المعارف العثمانیة، حیدر آباد، الدکن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعید خان، د.ط، د.ت، رقم (736)، (3/216)، (736)، (3)، الطبراني، المعجم الكبير، (تحقيق: حمدي بن عبد الحید السلفي، مكتبة ابن تيمیة، القاهرة، ط2، د.ت)، خوات بن جعیر الأنصاری، رقم (4146)، (203/4)، الغزالی، إحياء علوم الدين، (دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت)، (130/3)، ابن حجر، الاصابة في تمییز الصحابة، (تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معرض، دار الكتب العلمیة، بيروت، ط1، 1415ھـ)، رقم (2303)، (2)، (292/2)، ورجاله ثقات. ينظر: العراقي، المعني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الاحیاء من الأخبار مطبوع بمامش إحياء علوم الدين، (دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1426ھـ، 2005م)، (ص/1021)، الهبشي، مجمع الروايد ومنع الفوائد، (تحقيق: حسام الدين القدسی، مكتبة القدسی، القاهرة، د.ط، 1414ھـ، 1994م)، رقم (16105)، (401/9).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

فَأَكَلَتُ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ أُبَلِّغَهُ إِيَاهُ، فَلَمَّا جِئْتُ بِهِ أَخْدَأْذُنِي وَقَالَ: يَا غُدَرُ»¹.

المقصد الثالث: الدعوة إلى صناعة السعادة وتوليد البسمات، وإشاعة ثقافة الحبّة وإدخال البهجة على قلوب الأفراد والأسر؛ للتتنفس عن كرب المكتوبين، ودفع الأحزان عن المصابين، فالبسمة تحر جرح المكسور، وتبعد الأمل في قلب الحزين وإن تعاظمت عليه الأمور، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يمازح الأهل والولدان، ويضحك مع الناس، ويجهد في التخفيف عن أصحابه ولو بسمته الطاهرة².

وأصل هذا المقصد؛ ما جاء عن جرير بن عبد الله البجلي³ — رضي الله عنه —

قال: «ما حَجَبَنِي³ — صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتِ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي»¹.

¹ - البخاري، التاریخ الكبير، رقم (339/2)، ابن السنی، عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل وعاشرته مع العباد، (تحقيق: کوثر البری، دار القبة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة، بيروت، د.ط، د.ت)، باب: تسمية الرجل بما يشبه عمله، رقم (401)، (ص/356)، النّووي، الأذكار، باب: ذكر الإنسان من يتبعه من ولد أو غلام أو متعلم أو نحوهم باسم قبيح ليؤدبه ويزجره عن القبيح ويرُوض نفسه، رقم (857)، (ص/89). وقال في مصباح الرّجاجة: "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات". البویرصی، مصباح الرّجاجة في زوائد ابن ماجة، (تحقيق: محمد المنتقى الكشنوی، دار العریّة، بيروت، ط2، 1403هـ)، باب أكل الشمار، رقم (7611)، (35/4).

² - ينظر: العینی، عمدة القاري شرح صحيح البخاری، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت)، (98 - 169/22)، (170 - 169/22).

¹ - ما حجبني: ما منعني من دخول داره، أي كان يأذن له كلما استأذن، وليس معناه أنه يدخل دون استئذان، أو الدخول على أزواجه كما حمله بعضهم على إطلاقه! ينظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (7/132).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

ويشهد له أيضاً؛ ما جاء عن عائشة - رضي الله عنها -: «أَنَّ اِمْرَأَةً كَانَتْ بِمَكَّةَ تَدْخُلُ عَلَى نِسَاءٍ قُرْيَشٍ تُضْحِكُهُنَّ، فَلَمَّا هَاجَرْنَا وَوَسَعَ اللَّهُ دَحْلَتِ الْمَدِينَةَ، قَالَتْ عَائِشَةَ: فَدَخَلْتُ عَلَيَّ، فَقُلْتُ لَهَا: فُلَانَةٌ! مَا أَقْدَمَكَ، قَالَتْ: إِلَيْكُنَّ، قَالَتْ: فَأَيْنَ نَزَلْتُ؟ قَالَتْ: عَلَى فُلَانَةٍ، اِمْرَأَةٍ كَانَتْ تُضْحِكُ بِالْمَدِينَةِ، قَالَتْ عَائِشَةَ: وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: فُلَانَةُ الْمُضْحِكَةُ عِنْدَكُمْ! قَالَتْ عَائِشَةَ: نَعَمْ! فَقَالَ: فَعَلَى مَنْ نَزَلَتْ؟ قَالَتْ: عَلَى فُلَانَةِ الْمُضْحِكَةِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنَّ الْأَرْوَاحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا إِنْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا إِنْتَلَفَ».²

المقصد الرابع: تفعيل الذِّكْرَ وتفوِيق الذِّكْرِ، وتعويد المرء على التدقيق في معالجة الخطاب البناء، ويتبَّع ذلك عندما يكون المزاح بأسلوب التَّورِيَّة والتَّلَمِيَّة، والتَّكِيَّة عن المواضيع دون التَّصْرِيف، فعندها تتوقَّظُ الْقُدُّرَاتُ الذهنيَّةُ، وتَتَبَعُقُ قُوَّةُ الْخِيَالِ، فيتَدَرَّج

² - البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: من لا يثبتُ على الخيل، رقم (2035)، (4/65)، مسلم، صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل حرير بن عبد الله - رضي الله عنه -، رقم (2475)، (4/1925).

³ - أبو يعلى الموصلي، مسنَد أبي يعلى، (تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط 1، 1404هـ، 1984م)، مسنَد عائشة - رضي الله عنها -، رقم (4381)، (7/344)، وقال محققه: "إسناده صحيح"، وأخرجه الزبير بن بكار والديلمي، كما ذكر العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، (مكتبة القدسية، القاهرة، د.ط، 1351هـ)، رقم (315)، (1/111). وأصل الحديث في الصَّحَّيْنِ دون ذكر قصة المؤئذنين المضحكين. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: الأرواح جنود مجندة، رقم (3336)، (4/133)، مسلم، صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: الأرواح جنود مجندة، رقم (2638)، (4/2631).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

المُمازح في تشغيل ما أنعم الله عليه من عقلٍ وفَادَ، وهكذا يساهم المزاح في تنمية المواهب، واكتشاف المكاسب، التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها عليه.

وما يشهد لهذا المقصد؛ ما جاء عن المبارك بن فضالة عن الحسن — رضي الله عنه — قال: «أَتَتْ عَجُوزًِ إِلَيَّ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: يَا أُمَّ فُلَانٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ»، قال: فَوَلَّتْ تَبْكِي، فَقَالَ: أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّ أَئْشَاثَنَا هُنَّ إِنْسَاءٌ . فَجَعَلْنَا هُنَّ أَبْكَارًا . عُرُبَا أَثْرَابًا¹».²

ويشهد له — أيضاً — ما جاء في السنة التبيانية، عن أنس بن مالك — رضي الله عنه —: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَاسْتَحْمَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —: إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ نَاقَةٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —: وَهَلْ تَلِدُ الْإِبَلَ إِلَّا التُّوقُ».³

المقصد الخامس: جبر قلوب الضعفاء، ومعالجة هموم البسطاء، كالمرضى وأهل الأعذار، والمهومين والصغار، وكبار السن، والقراء والنساء، واليتامي والأيامى، وما شابهم من ذوي الحاجات، ويشهد لهذا المقصد؛ ما جاء عن أنس بن مالك — رضي الله عنه —: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَاسْتَحْمَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —: إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ نَاقَةٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —: وَهَلْ تَلِدُ الْإِبَلَ إِلَّا التُّوقُ».⁴

¹ سورة الواقعة، الآية/35 — 37.

² سبق تخربيجه.

³ سبق تخربيجه.

⁴ سبق تخربيجه.



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

د. ياسين بولهار

يقول القسطلاني¹ أثناء شرحه لهذا الحديث: «كان الرجل فيه بُلْهٌ، فباسطه — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — من القول، بما عَسَاهُ أَنْ يَكُونْ شَفَاءً لِّبُلْهِ بَعْدَ ذَلِكَ»¹. وأيضاً؛ ما جاء عن أنس بن مالك — رضي الله عنه — قال: «إِنْ كَانَ النَّبِيُّ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَيَخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لِأَنَّهٗ لِي صَغِيرٌ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ»².

والنعيّر: «بضم النون، تصغير النعر بضمها وفتح الغين المعجمة، وهو طائر صغير جمعه نغران»³.

يقول الغزالى⁴: «فَأَكْثَرُ هَذِهِ الْمُطَابِيَاتِ مِنْقُولٌ مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبَّابِيَّنِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — مُعَالِجَةً لِضَعْفِ قُلُوبِهِمْ مِنْ غَيْرِ مِيلٍ إِلَى هَذِلِّ».

المقصد السادس: تليين قلوب الآخرين وتسهيل الوصول إليهم، لطرق أبواب أرواحهم، وتحقيق التعارف المنشود معهم، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى فيما رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِيلَهُ الْقَلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ

¹ - القسطلاني، المawahib اللدنية بالمنج الحمدية، (المكتبة التوفيقية، مصر، د.ط، د.ت)، (2/122).

³ - البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: الانبساط للناس، رقم (6129)، (30/8)، مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الأدب، باب: استحساب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يُحِنِّكَهُ، وجواز تسميته يوم ولادته بعد الله وإبراهيم وسائر أسماء الأنبياء عليهم السلام، رقم (2150)، (2/1692).

³ - التوسي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (14/129).

¹ - الغزالى، إحياء علوم الدين، (3/130)، وراجع في ذلك: ابن حجر الهيثمي، أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، (تحقيق: أحمد بن فريد المزیدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1998م)، (ص/331).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَّمْتَ فَوَكَلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ¹.

فمعى كان الإنسان ليُنَجِّبُ الجانِبَ، دائم البُسْمَة على مُحِيَّاه، تُمْكِنُ من الاقتراب إلى الآخرين، وقُرْبُ عليه البعيد، لأنَّهُ مُعَذَّبُ شُؤُونِهِ، وتُبلِّغُ ما يُسْتَطِيعُ من الخير إليهم، ومنْيَ أعرض عن ذلك، وكان فَظًا غَلِيظًا، انفَضُّوا من حَوْلِهِ، واستغنووا عن فَضْلِهِ؛ لأنَّ «الفَاطِحةَ هِي الشَّرَاسَةُ وَالْحُشُونَةُ فِي السُّعَادَةِ»، وهي القسوة والغلظة، وهو ما من الأخلاق المُنَفِّرة للنَّاسِ، لا يصِبرُون على مُعاشرة صاحبِها، وإن كثُرتَ فضائله، ورُحِيَّتْ فَوَاضِيلُهُ؛ بل يتَفَرَّقُون ويذهبون من حَوْلِهِ، ويترَكُونهُ وشَائِهِ، لا يُبَالُونَ ما يَفْوَتُهُمْ من منافع الإقبال عليه، والتَّحَلُّقُ حَوَالِيهِ، وإذا لفَائِهِمْ هِدَائِكَ، ولم يَلْعُغْ قُلُوبَهُمْ دَعْوَتُكَ².

المقصد السابع: توسيع دائرة الرَّوابط وتوطيد العلاقات، ونشر ثقافة المودة وتحسِيد الأمان بين مختلف الأفراد والعائلات، وفي هذا يقول الماوردي: «فالعادل يَتَوَحَّى بِمِزَاجِهِ إِحْدَى حَالَتَيْنِ لَا ثالَثَ لَهُما: إِحْدَاهُما: إِيْنَاسُ الْمُصَاحِّينَ، وَالثَّالِثُ إِلَى الْمُخَالِطِينَ. وهذا يكون بما أَنْسَ من جَمِيلِ الْقَوْلِ، وَبُسْطٌ مِنْ مُسْتَحْسَنِ الْفِعْلِ»³.

الخاتمة:

وتضمَّنت أهم النَّتائج والتوصيات التي خرجت بها هذه الورقات:
أوَّلًا: نتائج البحث.

¹ - سورة آل عمران، الآية/159.

² - محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (4/163).

³ - الماوردي، أدب الدنيا والدين، (310/ص).



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

نخلص في ختام البحث إلى سرد أهم التّائج المتوصّل إليها:

1 — المزاح المشروع مقيد بمجموعة من الضوابط، منها: الابتعاد عن الاستهزاء بالديين وشعائره، أو الاستهزاء بالعباد والسخرية منهم، والابتعاد عن الكذب أثناء المزاح ولزوم الصدق في ذلك، وأن لا يتربّى على المزاح تخويف ولا ترويع، مع مراعاة الوقت والمقام المناسب، وأن لا يُكثر الإنسان منه، وأن لا يُفضي إلى زرع الأحقاد، وأن لا يكون فيه غيبة لمسلم.

2 — إن المزاح في الشريعة الإسلامية مقيد بالضوابط التي أشرنا إليها آنفًا، فمما يخرج المزاح عن هاذيك الضوابط فقد خرج عن نطاق ما حدد الشرع الحنيف، وصار مزاحًا ممنوعًا.

3 — إن في المزاح المشروع مجموعة من الحكم التي تعود بالنفع على الأفراد والمجتمعات، كتوسيع دائرة الروابط وال العلاقات، وبعث حيوية النفوس وتحفيذ نشاطها، وذلك بتوليد الراحة وصناعة السعادة، وتعويذ العقل على سرعة البديهة والتّدقيق في أساليب الخطاب، مع ما فيه من جبر قلوب الضعفاء، وتقديم النصائح لأهلها في قالب مليح، ووقت مناسب.

4 — إن كتب الفقه والتفسير، وشرح الحديث واللغة، والأدب والأخلاق، قد ضممت أدلة كثيرة في موضوع المزاح المشروع، كما ألمت بالحكمة المبتغاة من وراءه.
ثانيًا: توصيات البحث وآفاقه.

في ختام هذه الورقات أقترح بعضًا من المواضيع المهمة التي أرى ضرورة بحثها، والتّوسيع في التأصيل الشرعي لها:

- مقاصد المزاح المشروع في الشريعة الإسلامية.
- المزاح في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع ----- د. ياسين بولهمار

■ المزاح المشروع وأثره على الأفراد والمجتمعات — دراسة فقهية طبية اجتماعية.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي الأموي القرشي (ت: 281هـ)، العقل وفضله، مكتبة القرآن، مصر، د.ط، د.ت.
- ابن الأثير، أبو السعادات محمد الدين المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزرى (ت: 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمد محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، 1399هـ، 1979م.
- ابن الإفليبي، أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري (ت: 441هـ)، شرح شعر المتني، دراسة وتحقيق: مصطفى علیان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ، 1992م.
- ابن الخطيب قاسم، محي الدين محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي (ت: 940هـ)، روض الأخيار المنتخب من رباع الأبرار، دار القلم العربي، حلب، ط1، 1423هـ.
- ابن السنى، أحمد بن محمد بن إسحاق الدىنورى (ت: 364هـ)، عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربّه عزّ وجلّ وعاشرته مع العباد، تحقيق: كوثير البرنى، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جلد، بيروت، د.ط، د.ت.
- ابن تيمية، أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم الحرانى (ت: 728هـ)، بجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن ابن محمد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1416هـ، 1995م.



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت: 852هـ)، الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت: 852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1379هـ.
- ابن حجر المسمعي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر السعدي الأنصاري (ت: 974هـ)، أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، ومعه: جواهر الدرر في مناقب ابن حجر، تحقيق: أحمد بن فريد المزیدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1998م.
- ابن حمدون، أبو المعالي بقاء الدين محمد بن الحسين بن محمد البغدادي (ت: 562هـ)، التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، ط1، 1417هـ.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمرى القرطبي (ت: 463هـ)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الرهبرى، دار ابن الجوزى، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ، 1994م.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمرى القرطبي (ت: 463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البحاوى، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ، 1992م.



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سالم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م.
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد الفزوي (ت: 273هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ط، د.ت.
- ابن مفلح، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن مفلح بن مفرج المقدسي ثم الصالحي (ت: 863هـ)، الآداب الشرعية والمنج المرعية، عالم الكتب، د.ط، د.ت.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الافريقي (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- أبو الشیخ الأصبهانی، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الأنصاري (ت: 369هـ)، أخلاق النبي وآدابه، تحقيق: صالح بن محمد الونيان، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط1، 1998م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت: 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، د.ت.
- أبو علي الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت: 307هـ)، مسند أبي علي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المؤمن للتراث، دمشق، ط1، 1404هـ، 1984م.



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: 241هـ)، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركى، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ، 2001م.
- الألبانى، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتى الأشقدري (ت: 1420هـ)، غاية المرام في تحرير أحاديث الحلال والحرام، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1405هـ.
- الألبانى، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتى الأشقدري (ت: 1420هـ)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت.
- الألبانى، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتى الأشقدري (ت: 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، بدأت عام: 1415هـ، 1995م، وانتهت عام: 1422هـ، 2002م.
- الألبانى، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتى الأشقدري (ت: 1420هـ)، مختصر الشمائل الحمدية، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، د.ط، د.ت.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر التانسر، دار طوق النّجاۃ، ط1، 1422هـ.



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت: 256هـ)، التأريخ الكبير، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكّن، د.ط، د.ت.
- البركتي، محمد عميم الإحسان الحدّي (ت: 1395هـ)، قواعد الفقه، الصدف بلشرز، كراتشي، ط1، 1407هـ، 1986م.
- البزار، أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم البغدادي الشافعي (ت: 354هـ)، كتاب الفوائد أو الغيلانيات، تحقيق: حلمي كامل أسعد عبد الهادي، قدم له وراجعه وعلق عليه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ، 1997م.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الشافعي (ت: 510هـ)، معلم التتليل في تفسير القرآن أو تفسير البغوي، حقّقه وخرّج أحاديثه: محمد عبد القادر النمر وعثمان جمعة ضميرية وسلیمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ، 1997م.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الشافعي (ت: 510هـ)، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ، 1983م.
- البوصيري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني الشافعي (ت: 840هـ)، مصباح الرّجاجة في زوائد ابن ماجة، تحقيق: محمد المنتقي، الكشناوي، دار العربية، بيروت، ط2، 1403هـ.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروي حرمي الخراساني (ت: 458هـ)، شعب



المزاج بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرّج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتحريجه أحاديثه: مختار أحمد الدّوّي، مكتبة الرُّشد للنشر والتوزيع، الرياض، بالتعاون مع الدار السلفية، المند، ط1، 1423هـ، 2003م.

● البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي **الخسروجردي الخراساني** (ت: 458هـ)، **البعث والتشور**، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ط1، 1406هـ، 1986م.

● البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي **الخسروجردي الخراساني** (ت: 458هـ)، **الآداب**، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المنووه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م.

● البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي **الخسروجردي الخراساني** (ت: 458هـ)، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ، 2003م.

● الترمذى، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت: 279هـ)، **الشمائل الحمدية**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

● الترمذى، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت: 279هـ)، **سنن الترمذى**، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ، 1975م.

● **التعالى**، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت: 429هـ)، **اللطائف والظائف**، دار المناهل، بيروت، د.ط، د.ت.

● **الحصرى**، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن قيم الأنصاري القىروانى (ت: 453هـ)، **زهرة الآداب وثرة الأباب**، دار الجليل، بيروت، د.ط، د.ت.



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

- الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن قيم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الملال، د.ط، د.ت.
- الدارمي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت: 354هـ)، روضة العلاء ونرفة الفضلاء، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- الرازى، أبو عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفى (ت: 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشیخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1420هـ، 1999م.
- الراغب الأصبغاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقام بن أبي الأرقام، بيروت، ط1، 1420هـ.
- الرحليلي، وهبة بن مصطفى (ت: 1436هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشرعية والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.
- السائحي، محمد الأخضر، ألوان بلا تلوين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976هـ.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، أو تفسير السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللوبيحق، قدّم له: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ومحمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، 2000م.



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

- د. ياسين بولهمار
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي (ت: 360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، د.ت.
 - العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحى (ت: 1162هـ)، كشف المخفاء ومزيل الإلbas عمما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مكتبة القدسى، لصاحبها حسام الدين القدسى، القاهرة، د.ط، 1351هـ.
 - العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن (ت: 806هـ)، المغني عن حمل الأسفار في تخریج ما في الإحياء من الأخبار، مطبوع بكماش إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ، 2005م.
 - العرُّ بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي المعروف بسلطان العلماء (ت: 660هـ)، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، طبعة جديدة ومطبوعة ومنقحة، 1414هـ، 1991م.
 - العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي الحنفي (ت: 855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
 - الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: 505هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
 - الغري، أبو البركات محمد بن محمد بن محمد العامري الدمشقي (ت: 984هـ)، المراح في المزاح، تحقيق: باسم عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1418هـ، 1997م.



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

- الفسوسيّ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن حوان الفارسيّ (ت: 277هـ)، المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمريّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1401هـ، 1981م.
- القاسميّ، محمد بن جمال الدين بن محمد بن قاسم الحلاق (ت: 1332هـ)، موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، د.ط، 1415هـ، 1995م.
- القسطلانيّ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر القمي المصريّ (ت: 923هـ)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ط، د.ت.
- الماورديّ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البصري البغدادي (ت: 450هـ)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، د.ط، 1986م.
- محمد رشيد رضا، شمس الدين محمد رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني الحسيني (ت: 1354هـ)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1990م.
- مرتضى الزبيديّ، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، د.ت.
- المرزيان، أبو بكر محمد بن خلف (ت: 309هـ)، المروعة، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ، 1999م.
- المستعصميّ، محمد بن أيدم (ت: 710هـ)، الدر الفريد وبيت القصيد، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1436هـ، 2015م.



المزاح بين ضوابط الشرع وجواذب الطبع

- مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط. د.ت.
- المناوي، زين العابدين محمد المدعو: بعد الرّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (ت: 1031هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارّية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ.
- التّوسي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ)، الأذكار، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، طبعة جديدة منقحة، 1414هـ، 1994م.
- التّوسي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت: 807هـ)، مجمع الزوائد ونبأ الفوائد، تحقيق: حسام الدين القديسي، مكتبة القديسي، القاهرة، د.ط، 1414هـ، 1994م.
- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية الكويتية، بدأت عام: 1404هـ، وانتهت عام: 1427هـ.
- الوشاء، أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق (ت: 325هـ)، الظرف والظرفاء أو الموشى، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1371هـ، 1953م.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د: 4040-1112، ر ت م د إ: 2588-X

الجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 265-236 تاريخ الشر: 25-03-2021

تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته في التواصل في السنة النبوية

**Establishing the child's freedom of expression and
developing his communication skills in the Sunnah**

الطالبة عائشة مروق

mahroukaicha@gmail.com

أ. د . مختار نصيرة

necira03@gmail.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

تاريخ القبول: 2021/01/05

تاريخ الإرسال: 2020/09/24

الملخص:

إن بحث أصول حرية التعبير عند الطفل في مدرسة النبوة هو استمرار لمحاولات الكشف عن جوانب الطفل المعنوية، وتنمية مهارات تواصله الاجتماعي وإبداء رأيه بكل حرية مع الآخرين، باعتبار أن حرية التعبير عند الطفل في السنة النبوية هي أساس بناء شخصيته ولغته. وقد وردت أصول حرية التعبير للطفل في الإسلام ضمنية في نصوص السنة النبوية الشريفة، وجاء هذا البحث خصيصاً لإبراز ممارستها الفعلية في عصره صلى الله عليه وسلم في هديه عليه الصلاة والسلام في التعامل مع الأطفال، وليس مجرد تأصيل نظري.

وقد قسمته إلى ثلاثة مطالب: الأول يتناول ضمانات حرية التعبير للطفل في المجتمع النبوي بعد ولادته، والثاني التدرج في تأصيل حرية التعبير في السنة النبوية لدى



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

ال الطفل في السنة النبوية، ويزّر أهم طرق التواصل معه؛ وأما الثالث فيزّر أهم مهارات حرية التعبير ومهارات التواصل الاجتماعي لطفل المسلم في المجتمع النبوي بعد فترة حضانته وبحث سبل تنميتها، كمهارة الملاحظة ومهارة الاستماع ومهارة التفكير ومهارات الحوار والنقاش والاعتقاد واكتساب العلم وأهم مهارات الممارسة والالتزام.

الكلمات المفتاحية: التعبير—التواصل —مهارات —السنة النبوية.

Abstract:

The study of the origins of the child's freedom of expression in the school of prophethood is a continuation of the attempts to uncover the child's moral aspects, develop his social communication skills and express his opinion freely with others, given that the child's freedom of expression in the Sunnah is the basis for building his personality and language. The principles of freedom of expression for the child in Islam were implicit in the texts of the noble Prophet's Sunnah, and this research was specifically made to highlight their actual practice in his era, may God bless him and grant him peace, in his guidance, blessings and peace be upon him, in dealing with children, and not just a theoretical foundation.

It has been divided into three demands: the first deals with guarantees of freedom of expression for the child in the prophetic society after his birth, and the second is the gradual process of establishing freedom of expression in the Sunnah of the child in the Sunnah of the Prophet, and highlights the most important methods of communication with him. As for the third, it highlights the most important skills of freedom of expression and social communication skills for a Muslim child in the Prophet's society after his incubation period and researching ways to develop them, such as the skill of

تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروم وأ. د. مختار نصيرة

observation, the skill of listening, the skill of thinking, the skills of dialogue, criticism, belief, acquiring knowledge and the most important skills of practice and commitment.

Keywords: Expression- Communication- Skills- the Sunnah...

المقدمة:

إن تربية الطفولة وفق أصول حرية التعبير الإسلامية هي سر صلاح الأمة، وأهم استثمار لها، وأهم استشراف لمستقبلها، وصيانة مبادئها، لأن صلاح الطفولة يعني صلاح مجتمع بأكمله.

وقد وردت أصول حرية التعبير عند الطفل ضمن نصوص السنة النبوية الشريفة، وجاء هذا البحث خصيصاً لإبراز ممارستها الفعلية في عصره صلى الله عليه وسلم في التعامل مع أطفال الأمة، وليس مجرد تأصيل نظري وهو يخالف بحث أساليب السنة النبوية في صناعة التميز والإبداع في التربية والتعليم لدى الطفل والراهق الذي أعده الباحث الياسين بن عمراوي في كون هذا البحث يختص بمسألة جزئية تدعم شكلاً من أشكال الإبداع، ألا وهو إبداع التعبير للطفل دون المراهق حينما يلتزم بالمنهج البوبي، وتحركه ضمادات الحرية في الإسلام.

و جاء هذا العنوان كاستمرار لبحث أكاديمي في حرية التعبير في السنة النبوية في مرحلة الدكتوراه؛ غير أنني لم أتناول هذه الزاوية المهمة.

كما أن هذا النوع من البحوث يندرج ضمن منهج متكمال أصله الإسلام للاهتمام بجميع الجوانب المعنوية للطفل المسلم، سواءً بناءً تفكيره المتعلق بالجانب العقلي أو الوجداني، أو تنمية مهارات التواصل الاجتماعي والتغيير عن آرائه بكل حرية، لحماية بناء الشخصية الإسلامية وفق قيم التواصل والتفاعل الاجتماعي الإسلامي وقيم الحوار



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

والتعارف الإنساني منذ فترة الطفولة، وتحذير الأمة مما يهدد هذا البناء ويحاول هدمه في ظل التيارات الفكرية في واقعنا المعاصر.

وكان إقرار حرية التعبير للطفل في العصر الحديث ضمن الاتفاقيات الدولية واتفاقيات حقوق الإنسان وقوانين البلدان يعني تقدماً واضحاً في حقوق الطوائف الإنسانية الأكثر ضعفاً، والأكثر حاجة للحماية والرعاية وهي شريحة الأطفال¹، وكان ذلك سبباً وراء توسيع انتهاجها في مجال التعليم وتربية الأطفال بداية من دور الحضانة إلى المدارس والجامعات في جميع أرجاء العالم.

وقد كانت هذه الاتفاقيات وراء محاولات عدة لتغيير المناهج التربوية والتعليمية لأجيال بأكملها في العصر الحديث في العالم الإسلامي، وذلك بإبعاد الأصول الإسلامية عن مقرراتنا الدراسية أو بفرض الأصول الغربية للتربية، وفق نظرة قاصرة، اعتبرت هذه الأصول الإسلامية تقليدية، وهادمة للإبداع الفردي والجماعي، وسبباً لتدني التحصيل العلمي في شتى مجالات الحياة؛ رغم أنها كانت في عهد سابق وراء اعتلاء الأمة الريادة بين الأمم.

إذا كان الباحثون الغربيون يعتبرون استيراد نظريات التعليم من البلدان التي تشاركتهم ثقافتهم؛ خسارة لهم، كما يقول أحد الباحثين في التربية الغربية في قوله²: "إن عملية التربية ليست تعاط، وبيع وشراء، وليس بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل؛ إننا في فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم

¹ ينظر: حصة بنت محمد بن فالح. تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربويًا، كتاب الأمة، ع 128، ذو القعدة 1429هـ، س 28، قطر، ص 46.

² ينظر: منير محمد الغضبان . معين التربية الإسلامية، ص 6.



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

الإنجليزية والأوربية إلى بلادنا الأمريكية¹، فكيف يكون حالنا بعد استرادنا هذه النظريات لإعداد مقرراتنا في ظل افتراقنا الثقافي؟ والسؤال المطروح أيضا هو: كيف نسترد معالمنا الإسلامية في تكوين الطفل وتربيته، لينشأ فرداً متشبعاً بقيمه الإسلامية، وواعياً بعصره، وآخذاً بمعطياته وفق حرية تعبير إسلامية؟

وكان أخطر تغيير اجتماعي عصف ببناء الأسرة المسلمة تلك الطريقة المستحدثة في تنشئة أبنائها في العصر الحديث بعد انتهاج برامج غربية ترسخ حرية الطفل في التعبير، وكثير من حرياته العامة دون قيود ولا حدود ولا اعتبارات؛ وخاصة بعد إلحاقه بدور الحضانة أو عمرية في سن مبكرة، تتكلّل بتربية وتعليمه وفق هذه المنهاج بعيداً عن أسرته. فكان تُواجه الكبت والعزلة للطفل بعد انشغال والديه في توفير حاجاته المادية عن توفير الأمان النفسي والتواصل معه والاهتمام بجوانبه المعنوية، كما أن الثورة التكنولوجية أسهمت في استمرار عزلته مدة شبابه أمام الأجهزة الإلكترونية التي صار التواصل بها يشغل معظم أوقاته، ويسبب له في كثير من الأحيان الاكتئاب والقلق ويدفعه أحياناً أخرى إلى الموت من خلال برامج التحدي للألعاب الإلكترونية التي توجه الطفل لإنهاء حياته في عزلة دون رقيب².

وقد كان الإسلام سباقاً للعناية بحرية التعبير للطفل بعد أن أصل القواعد والسبل لدعم تواصله مع الآخرين بكل حرية. مما هو المنهج النبوى لتأصيل حرية التعبير للطفل وضمان تواصله مع الآخرين، وإخراجه من هذه العزلة؟ وما هي معالمه؟ ويقصد بالمنهج النبوى طريق تأصيل حرية التعبير عند الطفل في الإسلام، ويتم ببحث القواعد والأصول والأساليب العملية المتعلقة بها في باب الأخلاق الإسلامية

² - المصدر نفسه، ص 6.

¹ - ينظر: حصة للقصة بقية : التسلية القاتلة، شبكة الجزيرة، تاريخ بشها: 17/2/2020.

تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروم وأ. د. مختار نصيرة وأحكام العقيدة والفقه في العصر النبوي. وأما حرية التعبير فهي أن يكون الإنسان حرًا في تكوين آرائه، وله كل الحق في أن يفكر تفكيراً مستقلاً، دونما تبعية أو خوف من أحد، ويعبر عن آرائه بمختلف وسائل التعبير المتاحة.¹

وقد تم ربط هذه الأصول المقررة في السنة النبوية والكافلة لحرية التعبير عند الطفولة بحقوق معنوية للطفل كانت من أهم تشريعات الإسلام، وارتبطت بشكل غير مباشر بتكوين الأسرة وتسيير شؤونها في ظل حرية التعبير والحوار الأسري.

المطلب الأول: ضمانات حرية التعبير للطفل في المجتمع النبوي بعد ولادته

يعد حب الأطفال فطرة مركوزة في النفوس البشرية، ومطمح آمال كل زوجين، فهم ثمرات القلوب، وقرة الأعين، ومهوى الأفءة²، ووجودهم من أهم مقاصد الزواج، وبهم فقط تتحقق صفاتي الأبوة والأمومة للزوجين، قال تعالى: «زِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَذْنِينَ» (آل عمران 14). وهذه الزينة هي مصدر الخير، ومصدر الشر، والإرادة الإنسانية القوية الحازمة وحدها، الكفيلة بأن يجعلها مصدر الخير، وطريقاً إلى الجنة³. وقد اعتنى النبي صلى الله عليه بنشأة الطفل وتكوين شخصيته، والعناية بمعنياته وتفكيره وتسديد قراره حتى صارت حقوقه المكتسبة في الإسلام؛ واجباً تؤديه الأسرة الكافلة له والمجتمع الإسلامي.

الفرع الأول: أهمية حضانة و كفالة الطفل في تأصيل حرية التعبير: يعتبر توافق

الزوجين على تكوين أسرة وفق قيم الحوار والتفكير التشاركي في تسخير شؤونها أساساً لضمان بيئة سليمة لتنشئة الطفل في جو من حرية التعبير والتواصل مع والديه، ثم

²- ينظر: عبد الغني بسيوني . نظرية الدولة في الإسلام، ص 113.

³- ينظر: محمد طنطاوي . التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 2/47.

¹ - ينظر: محمد أبو زهرة. زهرة التفاسير، 3/1131.

تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروم وأ. د . مختار نصيرة
التواصل في مجتمعه، ولذلك كانت الحضانة والكفالات حقا للطفل وواجبها طبيعيا للأسرة المسلمة، وفي إطارها فقط يعيش الطفل حياة سليمة ومستقرة من الناحية المادية والنفسية والوجدانية والعقلية والاعتقادية، والحضانة في الإسلام هي حفظ الطفل عما يضره، والقيام بمحاصله، وهي مشروع الأسرة في العناية بطفلها منذ ولادته حتى سن تمييزه بإرضاوه والحنو عليه والعناء به ماديا وجسميا، ولها تأثيراتها النفسية والاجتماعية في بناء شخصية الطفل، ويظهر دور الأم في العناية به، وتوفير سبل الراحة والأمان والحنان، ودور الأب في الحنو عليه إضافة إلى النفقة والكسوة له ولوالدته، ولو كان الزوجان في حال انفصال¹.

وأما الكفالة فهي مشروع واسع للأسرة المسلمة في تكوين شخصية الطفل وطريقة تربيته، وتوفير سبل تأهيله ليصير فردا صالحا في المجتمع الإسلامي، وتستمر لسن بلوغ الذكر وزواج الأنثى. وقد شجع النبي صلى الله عليه وسلم على كفالة جميع الأطفال في إطار الأسرة المسلمة ولو كانوا من الأيتام، ليتمتع كل أطفال المسلمين بعنابة أسرية، مما يجنبهم العقد النفسية والإحساس بالنقص والعزلة عن المجتمع، وجعل فضل ذلك عظيما عند الله عز وجل يدخل الجنة بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم، لما روى عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بإصبعيه السبابة والوسبطي»².

الفرع الثاني: اهتمام النبي ﷺ بالجانب المعنوي للطفل في فترة حضانته: اهتم النبي ﷺ بالجانب المعنوي للطفل فكان مصدراً لأمنه وطمأنينته، ومنبع المحبة والعطف للطفل المسلم، وقد حث الآباء والمجتمع الإسلامي للعناية بهذا الجانب، الذي يفوق أهمية

²- ينظر: سيد سابق . فقه السنة، 338/2

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتينا، ح 5005، ص 710.



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

الغداء واللباس بالنسبة للطفل، ووجه سلطة الكبار لتسهيل في تكريمه وتقديره وتشجيعه لتهيئته ودفعه للنجاح في المستقبل، وتوجيهه حال خطقه¹.

وقد اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بعالم الطفل، وكان أمله في جيل أفضل لقوله حين جاءه الملك يستشيره في أن يطبق بأهل مكة الأخشين الجسيرين من حولها بعدما لقيه من أذى من أهلها، فقال صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»²، كما كانت له عناية بتأسيس شخصيته، وتنميته وتركيته وتعليميه بالوسائل التربوية المتنوعة التي تستوعب خصائص الطفل بكل تنوّعها ومحالاتها، سواء ببناء عقيدته أو تربية سلوكه وخلقه وتنمية حسه الاجتماعي والنفسي والعاطفي والتّنوع في وسائل التربية، بالقدوة تارة والموعظة أخرى وبالقصة والعبرة والترويح والتدرّيب على المعاني والسلوك³.

المطلب الثاني: التدرج في تأصيل حرية التعبير لدى الطفل في السنة النبوية

شرع النبي صلى الله عليه وسلم أحكماماً وقيماً لتأصيل حرية التعبير للطفل بالدرج العمري وفق برنامج واسع منذ ولادته ينطلق بالتعريف بنسبة وإعطائه اسماً ثم العناية به والتواصل معه والحنو عليه ومتازحته ثم ملاعيته ومحادثته ومحاورته وتقييته لغويًا للتعبير عن مكنوناته وأفكاره في سن الطفولة ليتم بشكل غير مباشر تعريفه بالإسلام تدريجياً من خلال تعريفه بذاته ونسبه وانفصاله عن عالم أشيائه وتقدير الطفل المسلم

² - حصة بنت محمد بن فاح الصغير. تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربويًا، ص 60-63.

³ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، ح 3231، ص 381.

⁴ - حصة بنت محمد. تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربويًا، ص 19.

تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروم وأ. د. مختار نصيرة
من خلال العناية المادية والمعنوية وتقديره عالمه وقدراته العقلية وعواطفه ومخاطبته ثم
تعريفه بالآخرين بمحالسته الكبار والعلماء بعد مخالطته الأثواب وهذه أهم الأحكام:
الفرع الأول: تقدير الطفل باسمه ونسبه وهيئته: تعريف الطفل بأصله واسمه له دور كبير في بناء شخصيته وتنمية شعور الانتماء والاعتزاز بأصله ودينه؛ ومن ثم زيادة الثقة في نفسه والتعبير عنها بكل تقدير، ولذلك قرر النبي صلى الله عليه وسلم إسناد كل طفل لنسبه الحقيقي والتميز بينه من غير خلط للنسب، وإعطائه اسمًا يقبله الإسلام وينتخر به الطفل في المستقبل.

١ - تحديد اسم الطفل: للاسم أهمية كبيرة في تحديد معلم شخصية الطفل؛ فقد يدفعه للتأسي والاقتداء بمعانيه، وقد قيل "كل امرئ من اسمه نصيب". وقد حدّث النبي صلى الله عليه وسلم الزوجين على اختيار أحسن الأسماء لأطفالهم، بما يدخل السرور والفرح عليهم، ويبعث التفاؤل والخير فيهم، فلا يشعرهم مستقبلا بالخجل، وشجع على تسمية المولود ببعض الأسماء، لما فيها من المعانى الطيبة، وقد روى عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن»^١ وغير القبيح من الأسماء، لما روى عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اسم عاصية وقال: «أنت جميلة»^٢.

2 - تحديد نسب الطفل: دعا النبي صلى الله عليه وسلم لـإلـاحـاق المـولـود بـنسـبـهـ الحـقـيقـيـ،ـ وـالـتـعـرـيفـ بـهـ أـمـامـ النـاسـ،ـ وـنـهـيـ عـنـ الـاـخـتـلاـطـ فـيـ النـسـبـ لـقولـهـ تـعـالـىـ:ـ «ـأـدـعـوـهـُـمـ»ـ

^١ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بابي القاسم..، ح 2132، ص 557.

² آخر جه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، ح 2139، ص 558.

تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروم وأ. د. مختار نصيرة

لِآيَاتِهِمْ》 (الأحزاب.5)، لينشأ الطفل متوازن الشخصية، يعرف نفسه، ويتعتر به، ومن هنا تزداد ثقته في مواجهة مصاعب الحياة بهذا السن. كما فرق في ذلك بين كفالة الآباء الأيتام وعنايتهم بأولادهم. وحضر المسلم من الطعن في نسب الآخرين، لقوله صلى الله عليه وسلم: «أَنْتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفُّرٌ: الْطَّعْنُ فِي النَّسَبِ..»¹. والطعن في النسب هو إدخال العيب عليه من جهة النسب، وهو من فعل الجاهلية.²

3- تدبير الطفل بالعناية بحيثته: اعنى الإسلام بحيثة الصبي عند ولادته، فأوجب على الأسرة العناية بمظاهره، سواء بتنظيفه وتمشيطه وكسوته وإطعامه، ليكون مظهراً لائقاً، ونحوه سليماً، وحذر من بعض الهيئات السيئة التي لا تمت للإسلام بصلة. روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن القرع. قال عبيد الله: قلت، وما القرع؟ فأشار لنا عبيد الله، قال: "إذا حلق الصبي وتركها هنا شعرة وها هنا هناء فأشار لنا عبيد الله إلى ناصيته وجاني رأسه".³

الفرع الثاني: الحنو على الطفل وتقبيله وممازحته والتواصل معه:

١ - الحنو على الطفل: تعتبر اللمسة الحانية من الأم لطفلها، أهم تكفل نفسي وحسي وجداً يضمن نعوه، ويرسم طريق الإحساس بالأمان والحب عنده، وخاصة أثناء إرضاعه، ولها من التركيب النفسي والجسمي في هيئة قدراته منذ مراحله الأولى، وسماع الطفل صوت أمه وهي تعبر عن سعادتها وفرحها أو تقرأ القرآن بصوت جميل من

^١ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، ح 67، ص 30.

² - محمد بن يوسف شمس الدين الكرماني (ت: 786هـ). الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 142/14.

³ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب القزع، ح 5920، ص 702.



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

أسباب سعادته ونموه النفسي والعقلي ونمو ذوقه السمعي، ولذلك نبه النبي صلى الله عليه وسلم على فعل ذلك، فكان صلى الله عليه وسلم يمسح على رأس الأطفال، في مظاهر من مظاهر رحمته بهم. روى جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: "صليتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجتُ معه، فاستقبله ولدانٌ فجعل يمسح خديًّا أحدهم واحدًا واحدًا، قال: وأما أنا فمسح خديًّا فوجدت لِيَدِيهِ بِرًا أو ريحًا، كأنما أخرجهما من جهنمة عطًا".¹

2 - **تقبيل الطفل وممازحته:** تقبيل الوالدان لطفلهما ومعانقته من أسباب إدخال الفرح والسرور عليه وعلى والديه، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحيث على فعل ذلك، فكان يقبل أبناء فاطمة رضي الله عنها، ويشجع المسلمين على معانقة أبنائهم ورحمتهم، لأن ذلك من أسباب رحمة الله عز وجل. روى أبو هريرة رضي الله عنه، قال: "قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله عنه، وعنده الأقرع بن حابس التميمي حالسا. فقال الأقرع رضي الله عنه: إن لي عشرة من الولد، ما قبلت منهم أحدا" فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم».² في هذا الحديث بيان كريم خلق النبي صلى الله عليه وسلم، ورحمته للعيال والضعفاء، واستنكاره على الأقرع، وحثه على فضيلة رحمة الأطفال وتقبيلهم.³ ولم يكن ذلك خاصاً بأحفاده وأبنائه صلى الله عليه وسلم؛ بل كان أيضاً يلاعب أطفال المسلمين وبمازحهم، ويدخل السرور والانبساط على قلوبهم. روى حرير رضي

¹ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ، ح 2329، ص 600.

² - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ح 5997، ص 709.

³ - ينظر: يحيى بن شرف أبو زكريا النووي. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحاج، 15/76.



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

الله عنه حين قال: « ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ، ولا رأني إلا تبسم في وجهي »¹ . وقد يصغر أسماءهم ويقبلهم، ويشار لهم مشكلاً لهم وأحزانهم، ويواسيهما ويعزيهما، روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "إِنَّ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِي بِخَالْطَنَا" ، حتى يقول لأخ لي صغير: « يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النَّفَرِ »² . وهذا الحديث دليل على جواز المزاح والدعابة فيما ليس فيه إثم مع الطفل، وتغيير اسمه، كما يظهر فيه ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من مكانة وخلق، وحسن العشرة مع الصغير والكبير، والانبساط إلى الناس³ ، إضافة إلى الاستماع للطفل والتعرف على معاناته والاطلاع على مشاعره وكشفها والتخفيف عنه، وتبييد مخاوفه وإشعاره بالأمان، لأن عميراً كان في حزن شديد بعد فقدانه لطيره، والسؤال المطروح: كيف لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهتم لأمر طفل بعيد عنه رغم كثرة مسؤولياته وثقلاها، ويستمع لانشغالاته؟ في حين أن كثيراً من الأطفال لا يستطيع أن يحيي والديه عن سؤاله، ناهيك أن يتفرغا والداه لأطفال الآخرين ويستمعا إليهم ويعثرا الأمان في نفوسهم!

إن التواصل مع الطفل لا يعني مجرد محادثته؛ بل هو فن الاستماع إليه، والاستماع بذلك، كمسؤولية أبوية لمعرفة مكنوناته وتبييد مخاوفه وإعادة بعث الأمان والثقة بنفسه.

3- التواصل مع الطفل بمشاركته اللعب: اللعب عملية تربوية لها اعتباراتهما ومقوماتها في تربية أطفال ما قبل المدرسة من سن الثالثة إلى سن السادسة. واللعب له

¹- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من لا يثبت على الخيل، ح 3035، ص 355 وفي كتاب الأدب، باب التبسم والضحكة، ح 6089، ص 718.

²- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، ح 6129، ص 721.

³- عياض بن موسى. إكمال المعلم بفوائد مسلم، 7/26.



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

أدوار متعددة تساهم في النمو السريع لجوانب الطفل الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية¹ ، ولذلك قدر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فكان يدفع صوحبات عائشة رضي الله عنها ليشاركنها اللعب بالدمى، ولا يحبسهن عن اللعب، وتروي عائشة رضي الله عنها قالت: "كنت ألعب بالبنات وكان لي صاحب يلعن معى، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل يتقمعن فيسرهن إلى فيلعن معى"². واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات هن، وبه حزم عياض ونقله عن الجمهور، وأنهم أجازوا بيع لعب للبنات لتدربيهن من صغرهن على أمر بيوكن وأولادهن³.

الفرع الثالث: تقدير الطفل وتعزيز ثقته بنفسه: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل الأطفال الصغار بتقدير عال، فهو يضاحكهم ويمازحهم، ويلاطفهم، ويراعي شعورهم ويسلم عليهم لما روي عن أنس رضي الله عنه قال: أتني علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا ألعب مع الغلام، قال: فسلم علينا ...⁴، وكان يستأذنهم لشرب من هو أسن منهم في المجلس، معتبرا ذلك حقا من حقوقهم: روى سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتني بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ"، فقال للغلام: «أتأند لي أن أعطي هؤلاء»، فقال الغلام: لا

¹ - ينظر: محمود طلبة. المهارات الحركية لطفل الروضة، ص92.

² - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، ح6130، ص721.

³ - محمد شمس الحق العظيم آبادي. عون المعبود شرح سنن أبي دود، 191/13.

⁴ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك، ح2482، ص636.



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

والله، لا أوثر بنصيبي منك أحدا" قال: "فته رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده¹. ويستفاد من هذا الحديث²: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستأذن الصبي لتقديره له، وكان استئذانه لشرب خالد رضي الله عنه مكانه، لفضل السن، وهو من باب تأدبه على تقدير الكبير واحترامه. وكانت مجالسة العلماء والبلغاء والقادة الكبار ذات أهمية كبرى في صياغة شخصية الطفل في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وطريقاً ميسراً لأسمهم في تهيئته لتحمل المسؤولية، فهو يتعلم منهم الشجاعة والبلاغة والحكمة ومهارات الحياة.

واستمر نهج النبي صلى الله عليه وسلم في تقدير أطفال المسلمين المتميزين بالعلم وشدة النهاة في عهد الصحابة رضي الله عنهم، تقديراً للفروقات الفردية عند بعض الأطفال المتميزين، فكان عمر رضي الله عنه يدخل في مجلسه عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وهو طفل. روى عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه، فقال: "م تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟" فقال عمر: "إنه من حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: "ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرٌ اللَّهُ وَالْفَتْحُ﴾". فقال بعضهم: "أمرنا نحمد الله ونستغفره، إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم، فلم يقل شيئاً. فقال لي: "أكذاك تقول يا ابن عباس؟" فقلت: "لا"، قال: "فما تقول؟" قلت: "هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرٌ اللَّهُ وَالْفَتْحُ﴾".

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب إذا أذن له وأحله ولم يبين كم هو، ح 2451، ص 280.

² - علي بن خلف بن بطال. شرح صحيح البخاري، 6/75-76.



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

وذلك علامة أجلك . ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَعْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ . فقال عمر: " ما أعلم منها إلا ما تقول" ¹ ، ومن حسن الأدب، وترك التقديم بين يدي الأسن والأعلم ² .

المطلب الثالث: تنمية مهارات حرية التعبير لدى الطفل في المجتمع النبوى

بات من الثابت والواضح أن الأفكار والمعتقدات سبيل لتوسيع المشاعر التي تملك قدرة كبيرة في توجيه العقل، وجعله متوجه للأفكار التي تنسجم معها أو تُسوغها ³ ، ولذلك كان النمو الوجداني عند الأطفال ذا أهمية بالغة في تنمية مهاراته في التعبير وضمان حرية إبداء رأيه في الإسلام.

الفرع الأول: تنمية مهارات الملاحظة والاستماع والتفكير والنقد والتعبير

والحوار: يميز الطفل تدريجيا المشاعر السلبية عن الإيجابية، بـ ملاحظة ملامح الوجه وأعضاء الجسم وبالمناغاة، ثم يرتقي تدريجيا للتعبير عن مشاعره بالفرح بالابتسامة والألم والخوف بالبكاء قبل الكلام، ثم يرتقي فيكتسب اللغة من أسرته ووسطه تدريجيا، ويصير متحدثا بعد ملاحظات عدة تليها محاولات وأخطاء وتصحيح للأخطاء. ويكون اهتمام الأطفال بالحديث عن المحسوس أكثر أهمية من اهتمامه بالمعنى ⁴ ، وتشمل تنمية مهارات الاستماع والملاحظة والتعبير بالمحاكاة والتقليد، سواء أثناء تحفيظهم القرآن وتكرار كلماته أو السماع للبلاغء أو بقراءة الشعر، أو مهارات الإلقاء، ويشير رصيده اللغوي بطلب العلم وفنونه.

¹ - آخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَعْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، ح 4970، ص 604.

² - ينظر: عياض بن موسى. إكمال المعلم بفوائد مسلم، 3/431.

³ - ينظر: عبد الكريم بكار. تأسيس عقلية الطفل، ص 11.

⁴ - ينظر: عبد الكريم بكار. تأسيس عقلية الطفل، ص 25.



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

وكان الصحابة رضي الله عنهم يحضرون الأطفال بمحالس النبي صلى الله عليه وسلم والمساجد، لتنمية مهارات الملاحظة والاستماع وتنمية قدرات التعبير اللغوي، لأن تبادل الحديث في المحالس له دور كبير ليس فقط في إثراء رصيده اللغوي ليضيف ذلك لمكتسباته اللغوية التي تعلمها من والديه وأصدقائه، بل فيه أيضاً تنمية لتفكيره.

كما حفز النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على تعلم القرآن للطفل لتنميتها لقوله النبي صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»¹، فيتم في البداية استماعهم للقرآن، وحفظه وفهمه، فترسخ القيم الإسلامية في وعيه منذ الصغر، ويترسخ اعتقادها، لما روى عن سعيد بن جبير قال: "إن الذي تدعونه المفصل هو الحكم" ². قال ابن عباس توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت الحكم ³. والمفصل الذي كثرت فضوله من السور وهو من الحجرات إلى آخر القرآن والحكم هو الذي ليس بمنسوخ، وقد حفظه عبد الله بن عباس رضي الله عنه رغم صغره، وفي حفظ القرآن تتشكل للطفل ملكة الحفظ والتفكير وال الحوار والنقد والتعبير وينمو بذلك وجدانه وأخلاقه وتفكيره، ودعماً لهذا النهج طلب النبي صلى الله عليه

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح 5027، ص 611.

² - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن، ح 5035، ص 611.

³ - ينظر: أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني أبو العباس. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، 475/7.

تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق وأ. د. مختار نصيرة

وسلم من أسرى بدر أن يعلم كل واحد منهم عشرة صبيان من الصحابة القراءة والكتابة.¹

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض بعض الألغاز على أصحابه رضي الله عنهم، لتنمية مهاراتهم في التفكير، في حضور أطفال الصحابة رضي الله عنهم، لحديث ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلی الله علیه وسلم: "إِنَّمَا مَنْ يَأْتِيَ شَجَرَةً فَيُنْسَقِطُ وَرْقَهَا كَمَنْ يَأْتِيَ مُسْلِمًا فَيُحَدِّثُنِي مَا هِيَ؟" فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: وقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله، قال: «هي النخلة».²

و كانت فيفائدة مجالسهم الكبار تنمية قيم التواصل الاجتماعي، وقيم التعاون والمشاركة والأحقرة والتراحم والتعاطف والإيثار والكرم وصلة الرحم وإصلاح ذات البين والإحسان إلى الآخرين واحترام الكبير والعطف على الصغير ورعاية اليتيم والعطف على الأرملة ومشاركة المسلمين الأفراح والأحزان فيها رسالة لكل طفل بالاقتداء بوالديه وبمجتمعه، وتجنب السخرية من الآخرين، وتجنب العزلة بعد تقدير مشاركته الاجتماعية، فيكون درسه في الأدب لتعزيز القيم الجماعية الأخلاقية.

الفرع الثاني: تنمية مهارات الاعتقاد واكتساب العلم والأخلاق الفاضلة: تبدأ

تربيـة الطـفـل قـبـل ولـادـتـه حتـى يـصـير شـابـا يـافـعا؛ فيـولـد الـأـطـفـال عـلـى الفـطـرـة، غـيـر أـن لـلـآـباء دورـ فـي تـوـجـهـهـم وـاعـتـقـادـهـم، لـحـدـيـث أـبـي هـرـيـرة رـضـي اللـه عـنـهـ قـالـ الرـسـوـل صـلـي اللـه عـلـيـهـ وـسـلـمـ: «ـمـا مـن مـوـلـود إـلـا يـولـد عـلـى الفـطـرـة، فـأـبـواه يـهـوـدـانـه أـو يـنـصـرانـه أـو

¹ - ينظر: محمد بن سعد. الطبقات الكبرى، 22/2.

² - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الفهم في العلم، ح 71، ص 20.

تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروم وأ. د. مختار نصيرة
يحسانه»¹. وتستمر تربية الطفل بترسيخ قيم المجتمع النبوى، فيسبق الدرس التطبيقي
الدرس النظري أحياناً، ويديى الطفل ملاحظاته ويخصى مفاهيمه، ويقصد نتائجه، وأما
الدرس النبوى في العقيدة والأدب فله جاذبيته وبساطة أسلوبه، بعد اختيار النبي صلى الله
عليه وسلم للوقت والموضع والمكان رغم تجرد مفاهيمه.

1- تعليم العقيدة: يعد درس العقيدة للطفل من أصعب الدروس، لصعوبة استيعابه بعض جزئياتها، ولذلك صاغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدرس بطريقة بسيطة لتعليم عبد الله بن عباس رضي الله عنه درس التوكل على الله، وتفويض أمره إليه والإيمان بالقضاء والقدر بأسلوب سهل يفهمه كل صغير، لحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: "كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأله، وإذا استعن فالست عن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»².

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي، ح 1359، ص 155.

2 - أخرجه الترمذى في الجامع، أبواب صفة القيامة والرقاء والورع، باب، ح 2516، ص 594 وقال: "هذا حديث حسن صحيح" والطبرانى في المعجم الأوسط، ح 5417، 5/316، والبيهقى في شعب الإيمان، ح 192، 1/347، وأبو يعلى في مستنده، ح 2556، 4/430، من طريق الليث بن سعد عن قيس بن الحجاج عن الحنش الصنعاني عن ابن عباس رض وأخرجه البيهقى في الآداب، ح 758، ص 307 والحاكم فى مستدركه، كتاب معرفة الصحابة رض، ح 6304، 5/288 وعلق الذئب: "يعسى بن محمد القرشى ليس بمعتمد" وجاء من طريق أبو شهاب الخياط عن محمد بن عيسى القرشى عن ابن مليكة عن ابن عباس رض، وهذا السند فيه عيسى بن محمد القرشى، وهو مجھول، وليس له متابعة. ينظر: محمد أبو جعفر العقيلي. الضعفاء الكبير، 3/397، والحديث من الطريق الأول هو حسن.

تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق وأ. د. مختار نصيرة

2- التحليل الصدق: يعد الصدق أهم ضابط من ضوابط حرية التعبير عند الطفل المسلم، وهو واجب تطبيقي يمارسه الكبار؛ ففيتمثله الصغار. قال ابن القيم: "وممّا يحثّنا على إلّيّهِ الطّفّل غاية الاحتياج الاعتناء بأمّر خلقه، فإنّه ينشأ على مَا عوده المربّي في صغره، من حرد، وغضّب، وجحاج، وعجلة، وخفة مع هوّاه، وطيش، وحدة وجشع فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك وتصير هذه الأخلاق صفات و هيئات راسخة له".¹

ويتم تأديبه بزرع القيم والآداب العامة المستحسنة من مكارم الأخلاق وآداب اللياقة منذ سن التمييز، ويكون للأسرة والمجتمع دور كبير في تأسيس شخصية الطفل، فالالأسرة في الإسلام هي مركز رعاية قيم الطفل ومراقبتها ومتابعتها وتنميتها، والإشراف على تطبيقها، ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من كل تصرف مشين للوالدين اتجاه طفلهما، أو كل قول سليٍ أو خاطئٍ لهما، لأنهما قد ورث عنهما في كل أعماله وأقواله، فحذرهما صلى الله عليه وسلم من الكذب عليه، كأن تعدد أمه بشيء ثم لا تفي بوعدها له، فتفقد مصداقيتها عنده، وتصير بذلك كاذبة، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قال لصبي: "تعال هاك"، ثم لم يعطه، ف فهي كذبة»². كما أن المجتمع والصحة دور كبير في تطبيق القيم ورعاية الالتزام بها، لقوله

¹ - ابن القيم . تحفة المودود بأحكام المولود ، ص 240.

² - أخرجه أحمد في مسنده، مسنند أبو هريرة ص، ح 9836، 15/520 من طريق ليث قال حدثني عقبيل عن بن شهاب عن أبي هريرة، وقال المنذري: "رواه أحمد وابن أبي الدنيا كلاهما عن الزهرى عن أبي هريرة ولم يسمع منه" ينظر: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط: 1417 هـ، بروت، 3/370. وصححه الألبان، السلسلة الصحيحة،



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

صلى الله عليه وسلم: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالف¹».

3 - تأصيل الآداب الاجتماعية الإسلامية لدى الطفل: قام النبي صلى الله عليه وسلم بتوجيهه دروس لتربيه أطفال المسلمين، وتعليمهم آداباً كثيرة وكان منها درس لتأصيل آداب اللياقة عند الأكل الجماعي، فكان المتعلم في هذا الدرس هو عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه، وهو طفل مازال لا يعرف آداب اللياقة ولا يراعيها أثناء الأكل، فوصف للأئمة درس النبي ﷺ، لحديثه رضي الله عنه حيث قال: "كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تطيش² في الصحفة³، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا غلام، سُمِّ اللَّهُ، وَكُلْ بِيمِينِكَ، وَكُلْ مَا يُلِيكَ»، فما زالت تلك طعمتي بعد⁴. وكان لهذا الدرس تأثيراً بالغاً، حتى أن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه التزم بهذه الآداب طيلة حياته.

4 - تأصيل قيم الرحمة لدى الطفل: كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤصل قيم الرحمة في قلب الصغير، بتوجيهه الكبار والصغار لامثال هذه القيم مع الإنسان والحيوان، فنهى الكبار عن ترك أطفالهم يذبحون الحيوانات، لحديث عبد الله عمر رضي الله عنه، أنه

¹ - أخرجه أبو داود في السنن، أبواب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، ح 4833، والترمذى في الجامع، أبواب الرهد، ح 2378، 589/4، وقال أبو عيسى: "هذا حديث حسن غريب".

² - تطيش: تتحرك ومتند إلى نواحي الصحفة ولا تقصر على موضع واحد. ينظر: يحيى بن شرف النووي. شرح صحيح مسلم، 193/13.

³ - الصحفة: الصحفة دون القصعة وهي ما يتسع ما يشبع خمسة فالقصعة تشبع عشرة . ينظر: المصدر السابق، 193/13.

⁴ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليدين، ح 5376، ص 650.



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

دخل على يحيى بن سعيد، وغلام من بنى يحيى رابط دجاجة برميها، فمشى إليها بن عمر حتى حلها، ثم أقبل بها، وبالغلام معه، فقال: "ازحروا غلامكم على أن يصبر هذا الطير للقتل، فإنني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم أنه من يصبر بحيلة أو غيرها للقتل"¹، وصبر الطائر حياً أو من ذوات الروح يعني حبسه، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن العبث بالحيوان وتعذيبه²، وخاصة إذا كان ذلك من صغير، فتوصل فيه القسوة والجفاء.

الفرع الثالث: تنمية مهارات الممارسة لأحكام الإسلام والالتزام بها: اعتنى

الإسلام بتهيئة الأطفال للتوكيل والمسؤولية، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحمل الطفل بعض المسؤولية، لحديث أنس رضي الله عنه قال: أتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان، قال: فسلم علينا فبعثني إلى حاجة، فأبطةلت على أمي، فلما جئت قالت: "ما حبسك" قلت: "بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة". قالت: "ما حاجته"، قلت: "إنما سر". قالت: "لا تحدثن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً". قال أنس: "والله لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت"³. وقد تحمل أنس رضي الله عنه مسؤولية حفظ سر النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلم يبح به لأحد.

كما اعنى بتهيئة الطفل للعبادة في مهمة ألقاها على والديه وفق خطة محكمة في الصلاة والصوم.

¹— أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبوحة والمحتمة، ح 5514، ص 664.

²— علي بن خلف بن بطال. شرح صحيح البخاري، 5/427-428.

³— أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك، ح 2482، ص 636.

تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروم وأ. د. مختار نصيرة

١- إقامة دورات تدريبية لأداء العبادات: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقيم

دورات تدريبية للشباب في أداء العبادات، لحديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: **أَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ شَبِيهُ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقْمَنَا عَنْهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِيمَةِ الْمُتَقَارِبِينَ، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدْ اشْتَقَنَا، سَأَلْنَا عَنْ مَا تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرَنَا، قَالَ الصَّلَوةُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَى أَهْلِكُمْ، فَاقْرِبُوهُمْ فِيهِمْ، وَعِلْمُهُمْ، وَمَرْوِهِمْ، وَذَكْرُ أَشْيَاءِ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا، وَصَلُوْعًا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي، فَإِذَا حَضَرْتُ الصَّلَاةَ، فَلَيَؤْذِنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلَيُؤْمِكْ أَكْبَرُكُمْ»^١.**

2 - خطة تعليم الطفل الصلاة: وضع الإسلام خطة علمية لكل أسرة مسلمة

لتعليم طفلها الصلاة، لتصير جزءاً من حياته في قوله صلى الله عليه وسلم: «مرروا أولادكم بالصلاحة، وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»²، ولا ينبغي التعسف في التعامل مع قيم الدين والتأسي بالسيرة النبوية، فإذا تخلف الطفل عن آداء الصلاة بعد بلوغه سن العاشرة نقدم على ضربه بقسوة، فيخرج الضرب عن وسائله التربوية إلى الوسيلة القهقرية الانتقامية الخطيرة، معللين ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكره الطفل أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الآذان، باب الآذان للمسافر..، ح 6008، ص 710.

² - أخرجه أبو داود في سنته، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاحة، ح 495، ص 104، وأحمد في مسنده، ح 6776، 6/295 والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة، ح 3234، 2/324 والحاكم في مسندر كه، كتاب الصلاة، ح 708، 1/271 وقال: عمرو بن شعيب ثقة، وجميعهم من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقد حسن الألباني في إرواء الغليل، 1/300. وأخرجه الترمذى في الجامع من طريق عبد الملك بن الربيع بن سرة عن أبيه عن جده، ح 407، ص 124 وقال: "حديث حسن صحيح" وعليه العمل عند بعض أهل العلم.

تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق وأ. د . مختار نصيرة

معتقداً أنها قاسية، ولذلك علينا أن نوفر أجواء الحرية والشخصية المستقلة ونشرعه بالثقة

ونرقيه عن بعد¹ وفق هذه الخطة:

- اصطحاب الصبي إلى المسجد لحضور الصلاة و مجالس العلم، وتوجيهه بأسلوب يغدو في البقاء في المسجد، ويشجعه على ذلك، وهذا قيام تمييز.

- إن استمرار التعود على الذهاب إلى المسجد، فيه تقدير للطفل وبقيامه بالحركات الالزمة يعد ذلك بداية استشعاره بهذه الفريضة، وحبه لها، وخاصة بعد تعريفه بشواجها عند الله عز وجل.

- بعد أن يصير ميّزا في سن السابعة يأمر بآداء الصلاة ولو ركعتين في اليوم، وتكون المداومة على جميع أوقات الصلاة بالتدرج إلى أن يتعود عليها ويتم تببيه لأدائها لوقتها، وتعريفه بخطورة تأخيرها.

- يضرب الطفل ضرباً غير مبرح إذا لم يؤدّها حتى العاشرة، والخطّة إذا طبّقت بدقة لمن يلحّأ والد لضرب ابنه لأنّه يكون قد انضبط في أداء الصلاة وأحب المسجد، وأحب أداءها بعد تقدير فضلها.

3 - تدريب الطفل على عبادة الصوم: كان النبي صلى الله عليه وسلم يشجع الأمهات على تدريب أطفالهن على عبادة الصوم، وكان الصحابة رضي الله عنهم يعودون أبناءهم عليه، لحديث الريبع بنت معاذ بن عفراه قال: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة قال: «من كان أصبح صائماً، فليت ihm صومه ومن كان أصبح مفطراً فليت ihm بقية يومه». فكنا بعد ذلك نصومه

^١ ينظر: حصة بنت محمد فالم. تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربويًا، ص 18.



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

ونصوص صبياننا الصغار منهم إن شاء الله ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام؛ أعطيناها إياه عند الإفطار¹. ويستفاد من الحديث تدريب الصغار على فعل الخير، رجاء نزول الرحمة بصومهم، والأجر بذلك لأوليائهم، لأن الصبيان لا يلزمهم صوم، ولا يخاطبون به حتى يبلغوا².

الفرع الرابع: تنمية مهارات الدعوة للإسلام لدى الطفل: قام بعض صغار الصحابة رضي الله عنهم بنقل كثير من الأحكام، فابن عباس رضي الله عنه نقل كيفية الوضوء لما شاهده من فعله صلى الله عليه وسلم، لحديثه رضي الله عنه أنه بات عند خالته ميمونة، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل، فتوضاً، من شن معلق وضوءاً خفيفاً - قال وصف وضوءه وجعل يخففه ويقلله - قال ابن عباس رضي الله عنه: "فقمت، فصنعت مثل ما صنع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم جئت فقمت عن يساره، فأخلقني، فجعلني عن يمينه، فصلى ثم اضطجع فنام"³ .. ومن فوائد الحديث أنه بعد أن علم النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس رضي الله عنه الوضوء والصلاحة، نقل لهذه الأمة بدقة كفيتهما وهو طفل صغير، وذلك بعد ملاحظته الدقيقة له صلى الله عليه وسلم، والحفظ لتطبيقاته، وهو فعل قام به كثير من الأطفال زمان النبوة، لحديث سمرة بن جندب رضي الله عنه حيث قال: لقد كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

¹ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب من أكل في عاشوراء فليكتف بقية يومه، ح 1136، ص 272.

² - ينظر: عياض بن موسى. إكمال المعلم بفوائد مسلم، 91/4.

³ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب قراءة القراءة القرآن بعد الحديث وغيره، ح 183، ص 32.



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

غلاما، فكنت أحفظ عنه، فما يعنيني من القول إلا أن ه هنا رجالا هم أحسن مني، وقد صليت وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة ماتت في نفسها، فقام عليها رسول صلى الله عليه وسلم في الصلاة وسطها¹، وذلك لأن الإسلام يقدم من يعلم ولو كان صغيرا .

الفرع الخامس: تنمية مهارات القيادة لدى الطفل المسلم: أثر تأصيل حرية التعبير عند الطفل في المجتمع النبوي تحمله المسؤولية في وقت مبكر من العمر، ومن أهم هذه المسؤوليات:

1 - تقديره لإماماة الصلاة: يعتبر الأطفال رجال وقادة الغد، ولا يمكن أن يتحقق ذلك دون تكوينهم في الميدان وتحميلهم المسؤولية في وقت مبكر، ليشتند عضدهم، وتسهل عليهم في المستقبل. ولما كان من شروط الإمامة لمن كان أكثر الناس حفظا لكتابه، عُيّن عمرو بن سلمة رضي الله عنه إماما في الصلاة على قومه، وهو ابن ست سنين، لحديثه قال: "كنا بماء ماء الناس، وكان يمر بنا الركبان، فسألهم ما للناس ما للناس، ما هذا الرجل؟ فيقولون: يزعم أن الله أرسله، أو حى إليه أو أوحى الله بكذا، فكنت أحفظ ذلك الكلام، وكأنما يقر في صدرني، وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح فيقولون اتر كوه وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أي قومي بإسلامهم، فلما قدم، قال: "جئتكم والله من عند النبي صلى الله عليه وسلم حقا"، فقال: "صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم؛ ول يؤذن لكم أكثركم قرآنًا فنظروا فلم

¹ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه،

228، ح 964



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

يكن أحد أكثر قرآنا مني لما كنت ألتلقى من الركبان فقدموني بين أيديهم وأنا بن سنت
أو سبع سنين".¹

2 - السماح له بالمشاركة في الجهاد: يستمر سن الطفولة في القانون العالمي إلى سن الثامنة عشر سنة، وأما في الإسلام فيتوقف في سن الخامسة عشر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم وافق بعض الصحابة رضي الله عنه في طلبهم للجهاد في مثل هذا السن، ورد من دون ذلك في السن، رغم رغبتهما في المشاركة فيه. روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «عرضني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في القتال، وأنا ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزني، وعرضني يوم الخندق، وأنا ابن خمس عشرة سنة، فأجازني».² إن النبي صلى الله عليه وسلم أعد طفولة الإسلام أحسن إعداد للمستقبل لتحمل راية الإسلام بعده صلى الله عليه وسلم، بعد رغبتهما الشديدة في تحمل مسؤوليات الرجال في سن مبكر، وهذا على خلاف ما تقرر في المواثيق الدولية التي تعتبر الطفل ما دون سن الثامن عشر.

الخاتمة: ومن حلال هذا البحث تبين لي ما يلي:

- 1) إن حرية التعبير عند الطفل كانت أسلوب حياة الطفل المسلم ومنهجا تربويا انتهجه النبي ﷺ في معاملة أطفال المسلمين وحث المجتمع النبوى على امتثالها.
- 2) إن أهم ضمانات حرية التعبير للطفل في السنة النبوية كان بتشريع الحضانة والكمالة للطفل في إطار الأسرة المسلمة التي تبني المنهج النبوى في تربية أطفالها.

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب، ح 4302، ص 503.

² - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب بلوغ الصبيان وشهادتهم، ح 2664، ص .309



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

3) إن تقرير أصول حرية التعبير للطفل في السنة النبوية كان بتقرير حقوقه المعنوية بدايةً منذ ولادته .

4) تم تأصيل حرية التعبير للطفل بالتدريج العمري والعقلاني بدايةً بتعريفه بذاته ونسبة وانفصاله عن عالم أشيائه ثم تقدير الطفل المسلم من خلال العناية بهيئته والعناية الجسمانية والمعنوية كالحنون عليه ورحمته وتقبيله ومتازحته وتقدير عالمه بمشاركته اللعب، وتقدير قدراته العقلية وعواطفه ومحاطبته مع مراعاة الفروقات الفردية ثم تعريفه بالأ الآخرين بمحالسته الكبار والعلماء بعد مخالطته للأتراب وتربيته حواسه لتنمية تواصله وتعبيره مع الآخرين .

5) إن تنمية مهارات حرية التعبير والتواصل لدى الطفل المسلم هي أساس شخصية الطفل وأساس كل إبداع ونقد، وتم بالتدريج من خلال تنمية مهارات الطفل في :

6) مهارات الملاحظة والاستماع والتفكير وتنمية مهارات الاعتقاد.

7) مهارات اللغة والتعبير وال الحوار والنقد .

8) مهارات اكتساب العلم والأخلاق الفاضلة.

9) مهارات الممارسة لأحكام الإسلام والالتزام بها بتدريب الطفل على العبادات وطلب العلم وتبلیغه .

10) مهارات القيادة بتحمله المسؤولية تدريجيا حتى يصير شاباً يافعاً.

المصادر والمراجع:

- 1) أحمد بن الحسين أبو بكر البهقي. السنن الكبيرى ، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3: 1424 هـ – 2003 م .

تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروم وأ. د. مختار نصيرة

- 2) أحمد بن محمد أبو عبد الله الشيباني (ت: 241هـ). مسنن الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1: 1421هـ . م 2001-

3) حصة بنت محمد بن فالح. تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأطفال تربوياً، كتاب الأمة، قطر، ع 128، ذو القعدة 1429هـ، س 28.

4) سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود. السنن، ت: صدقي حميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط1: 1425هـ - 2005م.

5) عبد الغني بسيوني . نظرية الدولة في الإسلام، الدار الجامعية، بيروت، دط، م 1986.

6) عبد الكريم بكار. تأسيس عقلية الطفل، دار وجوه، الرياض، ط2: 1433هـ . م 2012-

7) عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل أبو محمد الدارمي. سنن الدارمي، ت: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1: 1407هـ.

8) علي بن خلف بن بطاطا أبو الحسن بن عبد الملك (ت: 449هـ). شرح صحيح البخاري لابن بطاطا، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2: 1423هـ - 2003م.

9) عياض بن موسى أبو الفضل (ت: 544هـ). شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم، ت: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، القاهرة، ط1: 1419هـ - 1998م.

10) محمد أبو زهرة. زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1: 2001م.



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

11) محمد بن أبي بكر ابن القيم. تحفة المودود بأحكام المولود، ت: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة البيان، دمشق، ط1: 1391هـ— 1971م.

12) عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، المنذري. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1417هـ..

13) محمد ناصر الدين أبو عبد الرحمن الألباني .سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1: 1995م.

14) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري. صحيح البخاري ، اعتماء: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار ابن الهيثم، ط1: 1425هـ— 2004م.

15) محمد بن حبان صحيح ابن حبان (ت: 354). ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2: 1414 هـ— 1993م.

16) محمد بن سعد. الطبقات الكبرى، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1: 1968م.

17) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف (ت: 405هـ). المستدرك على الصحيحين، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1411هـ— 1990م.

18) محمد بن عيسى الترمذى. الجامع للسنن، ت: خالد عبد الغنى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1424هـ— 2002م.

19) محمد بن يزيد القزويني أبو عبد الله ابن ماجه(ت275هـ). سنن ابن ماجه ، ت: صدقى حمبل العطار، دار الفكر، بيروت، ط1: 1421هـ— 2001م.



تأصيل حرية التعبير عند الطفل وتنمية مهاراته ————— ط. عائشة محروق و أ. د . مختار نصيرة

(20) محمد طنطاوي . التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، ط1: 1997 .

(21) محمد ناصر الدين الألباني (ت: 1420هـ). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2: 1405 هـ - 1985م.

(22) محمود طلبة. المهارات الحركية لطفل الروضة، دار المسيرة، عمان، ط1: 2009م.

(23) مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم ، دار ابن الهيثم، بيروت، دط: 1422هـ 2001م-

(24) منير محمد الغضبان . في معين التربية الإسلامية، مكتبة المنار، الأردن، ط2: 1402هـ - 1982م.

(25) يحيى بن شرف النووي أبو زكريا. منهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2: 1392هـ - 1972م.

الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَدُورُ السَّيَّاقِ فِي تَوْجِيهِ دَلَالِهَا

The Words of fatherhood and sonship in the Holy Quran and the role of context in the orientation of their connotations

۲۰۱۷ء۔

mohammed-benyahia@univ-eloued.dz

جامعة مكة المكرمة - الودادي

تاریخ القبول: 2020/10/09

تاریخ الإرسال: 2019/12/21

المُلْخَصُ:

أصبحت اللغة العربية المعاصرة تستعمل بعض الألفاظ المتقاربة في دلالتها بالمعنى نفسه، على الرغم من أنها ليست كذلك. ومن تلك الألفاظ: الألفاظ الدالة على الأبوة والبنوة، فقد يستعملون لفظة "أب" ولفظة "والد" بالمعنى نفسه، وكذا "أم" و"والدة"، و"ابن" و"ولد".

و هذا المقال يهدف إلى استقراء السياقات القرآنية التي وردت فيها تلك الألفاظ؛ للوقوف على دلالتها والفرق بينها.

وقد توصل البحث إلى إحصاء الألفاظ الدالة على الأبوة والبنوة في القرآن الكريم، وحاول توجيه دلالتها اعتماداً على السياقات التي وردت فيها، حيث حدد دلالات لفظة "أب" والفرق بينها وبين لفظة "والد"، ودلالات لفظة "أم" والفرق بينها وبين لفظة "والدة"، ودلالات للفظة "ابن / بنت" والفرق بينها وبين لفظة "ولد"، كما حدد دلالات ألفاظ أخرى على علاقة وطيدة بها: "ذرية"، و"حفيد"، و"سبط"، و"عقب".



الكلمات المفتاحية: الأبوة؛ البنوة، دلالة؛ السياق؛ القرآن الكريم.

Abstract:

The contemporary Arabic language became uses some similar words with the same meaning; despite they are not so. This includes the words that indicate the meanings of fatherhood and sonship relations.

This research, tries to explain those differences by extrapolation of their use in the contexts of the Holy Quran.

In the result, the research reached a counting the words that indicate fatherhood and sonship relations, and tried to orienting their connotations depending on the contexts in which they appeared.

Keywords: Fatherhood; Sonship; Connotation; Context; The Holy Quran.

1. المقدمة:

تتقارب كثيرٌ من الألفاظ العربية في دلالتها، ومنها الألفاظ الدالة على الأبوة والبنوة: كالأب والوالد، والأم والوالدة، والابن والولد؛ مما جعل كثيراً من مستعملي اللغة العربية المعاصرين يخلطون بينها، فيستعملونها بمعنى واحد، يُيدّ أن هناك فروقاً بينها. والسؤال الذي يطرح هنا: إذا كانت هناك فروق بين دلالات تلك الألفاظ؟ وما

هي تلك الفروق التي يمكن استخلاصها من تتبع السياقات القرآنية التي وردت فيها؟ ما دام الاستعمال القرآني قد ميّز بينها في السياقات المختلفة، فلا شك في أن هناك فروقاً دلالية بينها. وهذا البحث يسعى إلى رصد تلك الألفاظ الدالة على الأبوة والبنوة من خلال استقرائهما في القرآن الكريم؛ بهدف الوصول إلى تحديد دلالاتها كما استعملها النص القرآني، مستعيناً بما ورد في المعاجم العربية، وكتب التفسير؛ محاولاً



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

استثمار دور السياق بنوعيه: السياق اللغوي، والسياق المقامي (سياق الحال) في توجيهه دلالات تلك الألفاظ.

وقد التأم هذا البحث من مقدمة، وجزأين أساسين: يتناول الأول "السياق ودوره في توجيه دلالة الألفاظ"، حيث يتطرق إلى مفهوم السياق لغة واصطلاحاً، ثم يعرض مفهوم السياق في التراث العربي عند علماء العربية بمختلف اتجاهاتهم (النحاة، والأصوليين، والمفسرين، والبلاغيين)، ثم مفهومه في الدراسات اللسانية الحديثة: الغربية والعربية. كما يُبيّن أهمية المنهج السياسي ودوره في توجيه الدلالة.

أما الثاني، فيعالج "دلالات الفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم"، مبرزاً دور السياق في توجيه تلك الدلالات.

وختِّم البحث بخاتمة تضمنت أهم نتائجه، وذُيل بقائمة المصادر والمراجع المعتمدة في إنجازه.

للسياق دورٌ مهمٌ في توجيهه دلالة الألفاظ؛ ذلك أن الألفاظ كما يقول "عبد القاهر الجرجاني" (ت: 471 هـ): «لم توضع لتعرف معانيها في نفسها، ولكن لأن يُضم بعضها إلى بعض، فيُعرف فيما بينها فوائد»¹. ويؤكّد السيaciون الغربيون على أن الكلمة ليس لها معنى إلا داخل السياق. يقول "ج. فندرiss" مُبرزاً أهمية السياق في تحديد دلالة الكلمة: «الذي يعيّن قيمة الكلمة في كل الحالات التي ناقشناها إنما هو السياق؛ إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تُستعمل فيها في جوٍ يحدد معناها تحديداً مؤقتاً. والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعايير المتنوعة التي يوسعها أن

¹ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحق: محمود محمد شاكر، مكتبة الحاخامي، القاهرة، 1984، ص.539



الْفَاظُ الْأَبُوَّةِ وَالْبُنُوَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

تدلّ عليها»¹. ويقول "جون ليونز": أعطني السياق الذي وضع في الكلمة، وسوف أخبرك بمعناها².

وقبل التطرق إلى دور السياق في توجيه دلالة الألفاظ، وعرض مدى اهتمام العلماء بأهميته في تحديد المعاني، يجدر بنا أن نتطرق بإيجاز إلى مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح.

2. السياق: مفهومه، ودوره في توجيه دلالة الألفاظ:

2. 1. مفهوم السياق لغة واصطلاحاً:

- **السياق** لغة: من الجذر اللغوي (س و ق)، وأصل الكلمة: سوق، وقلب اللام ياءً لأنكسار السين قبلها. قال ابن فارس (ت: 395 هـ): «السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدُو الشيء». يقال: ساقه يسوقه سوقاً³. أي: حثه على السير من

¹ - فدريرس: اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950، ص 231.

² - محمد حمامة عبد الطيف، النحو والدلالة، النحو والدلالة، (مدخل لدراسة المعنى النحوى - الدلالي)، دار الشرق، القاهرة، ط 1، 2000، هامش 1، ص 56.

³ - ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (سوق)، تحق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (د ط)، 1979، ج 3، ص 117.

الالفاظ الابوّة والبُنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

الخلف في ظاهر أو معنى¹. وقال الأزهري (ت: 370 هـ): «تساوقت الإبلُ تساوًقا، إذا تتبَّعت وكذلك تقاوَدت، فهُي مُتقاوِدة ومُتتابَعة»².
وما ورد في المعاجم العربية يتبيّن لنا أنَّ الكلمة "السيّاق" في اللغة تشير إلى معنى التتابع والتَّقاود.

- **السيّاق اصطلاحاً:** ربطٌ تامٌ حسّانٌ بين الدلالة اللغوية لكلمة "السيّاق" التي تدل على التتابع والتسلّق، ودلالتها الاصطلاحية، حيث يقول: «المقصود بالسيّاق (التوالي)، ومن ثمَّ يُنظر إليه من ناحيتين، أو لاهما: توالي العناصر التي يتحقّق بها التركيب والسبك، والسيّاق من هذه الزاوية يُسمى (سيّاق النص). والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوی وكانت ذات علاقة بالاتصال، ومن هذه الناحية يُسمى السيّاق (سيّاق الموقف)».³

ولم يُصلحُ السياق في النظرية السياقية عند اللسانين الغربيين مفهومٍ واسعٍ، يشمل علاقَة العناصر اللغوية في النص ببعضها البعض، كما يشمل أيضًا العوامل والظروف الخارجية المحيطة التي لها تأثير في العملية الكلامية. يقول "ستيفن أوelman S.Ullmann" في تعريف السياق بأنه: «النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، بأوسع معانٍ هذه

^١ - حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر العالمة المصطفوي، طهران، إيران، ط1، ج5، ص330.

² الأزهري، مذيب اللغة، تحق: عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د ط)، (د ت)، مادة (سوق)، ج 9، ص 234. وابن منظور، لسان العرب، تحق: نخبة من الأساتذة، دار المعارف، القاهرة، (د ط)، (د ت)، مادة (سوق)، مج 3، ص 2153 – 2154.

³ تمام حسان، قرينة السياق، بحث قُلُم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم) مطبعة عبر للكتاب، القاهرة، (د ط)، 1413 هـ / 1993، ص 375.



اللُّفَاظُ الْأَبْوَةُ وَالْبُنْوَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

العبارة، إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل -لا الكلمات والجمل الحقيقة السابقة واللاحقة فحسب- بل والقطعة كلها ، والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل - بوجه من الوجوه - كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات. والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تُنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن»¹. فمفهوم السياق في النظرية السياقية يبدأ بالعناصر اللغوية وعلاقتها بعضها ببعض، ويتوسع ليشمل الجانب النثافي، حيث إنه «لا يمكننا مطلقاً الحديث عن معنى الوحدة اللغوية إلا بالاقتران بسياق معين، على أن السياق كما يقترح (Ammer) أقسام: يبدأ سياقاً لغوياً، وهو وإن كان ضروريًا، غير كافٍ، وينتهي سياقاً ثقافياً، وبينهما يقف السياقان العاطفي والمقامي، بما يعكس آلية التوسيع»².

وبعد أن بيننا باقتضاب مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح، سنعرض بإيجاز نظرة العلماء إلى السياق، ونبين بعض ممارساتهم السياقية في التراث العربي والدراسات اللسانية الحديثة: الغربية والعربية.

2.2. السياق في التراث العربي: ظهر اهتمام علماء العربية - مختلف اهتماماتهم

العلمية-بالسياق ودوره في توجيه معاني الألفاظ في وقت مبكر؛ إذ استأنس به النحاة في تعديد القواعد، والأصوليون في استنباط الأحكام الشرعية، والبلاغيون في تأصيل قواعد الكلام وشروط إنتاج الخطاب، والمفسرون في الكشف عن معاني القرآن الكريم، وتأويل مُشكّله.

¹ - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر، مكتبة الشباب، (د ط)، 1986، ص 57.

² - نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 1، 2007، ص 159.

الآفاظُ الْأَبْوَةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ د. محمد بن يحيى

2.2.1.السياق عند النحاة: لم يكن مفهوم السياق غائباً عن أذهان النحاة، وهم يؤصلون قواعد اللغة العربية؛ إذ استندوا على قاعدة ذهبية في صناعتهم حينما قالوا بأن "الإعراب فرع المعنى"¹. لقد كان انتلاقهم من اللغة المستعملة فعلاً، أي الكلام المُمنَجَز. بِيَدِ أَهْمَمْ لَمْ يقتصرُوا عَلَى الْنَّظَرِ فِي بُنْيَةِ النَّصِّ الْلُّغُوِيَّةِ، كَمَا لَوْ كَانَ النَّصُّ شَكْلًا مَنْعِزَلًا عَنِ الْعُوَامِلِ الْخَارِجِيَّةِ الْمُحيَطَةِ بِهِ؛ لِذَلِكَ نَجَدُهُمْ يَتَطَرَّقُونَ إِلَى قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ، وَحَالِ الْمُخَاطَبِ، وَمَقَامِ الْخَطَابِ... .

فقد اعتمد أبو الدرس اللغوي العربي الخليل بن أحمد (ت: 175) في تحليله التراكيب اللغوية على "السياق اللغوي"، غير أنه أولى "إرادة المتكلم" عنابة كبيرة، ومن ذلك توجيهه دلالة المنصوب على المدح في نحو: "الْحَمْدُ لِلّٰهِ أَهْلَ الْحَمْدِ"، حيث نسب إليه سيبويه في "باب ما ينتصب على التعظيم والمدح" قوله: «أَنْ نَصْبَ هَذَا عَلَى أَنَّكَ لَمْ تُرِدْ أَنْ تَحْدُثَ النَّاسَ، وَلَا مَنْ تُخَاطِبَ بِأَمْرٍ جَهَلُوهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَجَعَلْتَهُ شَيْءاً وَتَعْظِيماً»².

و لم يغفل الخليل في تحليله اللغوي العلاقة بين المتكلم والمخاطب، ومن أمثلة ذلك تبيانه أنّ "قدْ فعل" تكون جواباً لمن قال: "لَمّا يَفْعُل؟" ذلك «أن هذا الكلام لقومٍ يتظرون الخبر»³. فلّما كان المخاطب في حاجة إلى تأكيد الجواب، كان على المخاطب أن يراعي حال المخاطب؛ فيستخدم "قد" التي تفيد تأكيد الفعل في الماضي.

^١ ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، (د ط)، 2006، ص210.

² - سبيوه الكتاب، تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الحاجي، القاهرة، ط3، 1988، ج 2، ص 65.

نفسه، ج 4، ص 223 - 3

الآفاظ الْأَبُوَّةُ وَالْأَبُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ د. محمد بن يحيى

وقد أولى سيبويه (ت: 180 هـ) كلاً من "السياق اللغوي" و"سياق الحال" اهتماماً كبيراً، ويوضح ذلك من استعانته "بالسياق اللغوي" كثيراً في بيان العناصر المحدوفة في التركيب. ومن ذلك ما ورد في تحليله قوله تعالى: ﴿بَلْ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة/135]، قال: «أي: بَلْ تَبَعَ مِلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، كَانَهُ قِيلَ لَهُمْ: اتَّبِعُوهَا، حِينَ قِيلَ لَهُمْ: ﴿كُوُنُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾»¹.

إنّ ترتيب العناصر اللغوية داخل التركيب، وما يطرأ عليه من تقديم أحد العنصرين على الآخر لا يسوّغه فقط السياق اللغوي، إنما يرجع ذلك أحياناً إلى "سياق الحال"، والعوامل الخارجية التي تحيط بالحدث اللغوي، فالمتكلّم قد يُريد العناية والاهتمام بما حقّه التأثير، فيقدمه، ومن ذلك تقديم المفعول به على الفاعل.

وقد تنبه سيبويه إلى أثر تلك التغيرات الخارجية في ترتيب عناصر الجملة، حيث يقول في تقديم المفعول به على الفاعل: «كَانُوهُمْ إِنَّمَا يَقْدِمُونَ الَّذِي يَبْيَأُهُمْ لَهُمْ، وَهُمْ بَيْبَانُهُ أَعْنَى، وَإِنْ كَانَا جَمِيعاً يُهْمَانُهُمْ وَيَعْنَيُهُمْ»².

كما اهتم أيضاً بعناصر السياق غير اللغوي، أو "الحال". وقد سمى هذا الضرب من السياق "ما يرى من الحال" أو "ما فيه من الحال". وهو يقصد بذلك "سياق الحال" الذي يعني عن اللفظ. ومن ذلك قولهم: «بَيْعَ الْمَلَاطِي³ لَا عَهْدَ وَلَا عَقْدٌ»، وذلك إن كتَّ في حال مُساوَمَةٍ وحال بَيْعٍ، فنَدَعُ أَبَا يَعْلَمَ؛ استغناًًا لِمَا فيه من الحال⁴.

نفسه، ج 1، ص 257 - 1

- سیبویه الكتاب، ج1، ص34².

3- البيع بغير رجوع.

⁴ - سیبویه الكتاب، ج 1، ص 272.



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

ويؤكّد ابن جنّي (ت: 392 هـ) على أهمية "مشاهدة الحال" في فهم المعنى، وإدراك قصد المتكلّم. فالناسُ يَسْتَوْضُّحُونَ من مشاهدة الأحوال، ولا يكتفون بسماع الكلام، بل إنّهم ليطلبون ممّن يحدّثونه أن يُقبل عليهم بوجهه. قال: «أَوْلَا تعلم أنَّ الإنسان إذا عناه أمرٌ فأراد أن يُخاطب به صاحبه وينعم تصويره له في نفسه استطعْته لِيُقبل عليه؟ فيقول له يا فلانُ أينَ أنت؟ أَرِني وجهك أقبلْ علي أَحْدُثك... أَمَا أنت حاضرٌ يا هناء؟ فإذا أقبلَ عليه، وأصغى إليه، اندفع يُحدّثه أو يأمره أو ينهاه. أو نحو ذلك. فلو كان استماع الأذن معنّياً عن مقابلة العين مجرّئاً عنه لما تكُلّفَ القائلُ ولا كلفَ صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه»¹.

فالاستماع إذن ليس يعني عن المقابلة: «وعلى ذلك قالوا: "رُبَّ إِشَارَةٍ أَبْلَغَ من عِبَارَةٍ" ... وقال لي بعض مشايخنا رحمة الله: أنا لا أحسن أن أُكلّم إنساناً في الظلمة»². وقد تتضمّن النصوص المنقوله إشاراتٍ لغوّيةٍ تُساعد المُتلقّي على استحضار الحال، ومن ذلك قول الشاعر:

«تَقُولُ وَصَكَّتْ وَجْهَهَا يَمِينِهَا، أَبْعَلَيْ هَذَا بِالرَّحْيِ الْمُتَقَاعِسُ؟ *** أَبْعَلَيْ هَذَا بِالرَّحْيِ الْمُتَقَاعِسُ؟»
فلو قال حاكياً عنها: أَبْعَلَيْ هَذَا بِالرَّحْيِ الْمُتَقَاعِسُ من غير أن يذكر صَكَّة الوجه -لأنّها بذلك أثّرها مُتعجّبة مُنكّرة، لكنّه لما حكى الحال فقال: "وَصَكَّتْ وَجْهَهَا" عُلِمَ بذلك قُوّةً إِنكارها وتعاظم الصورة لها. هذا مع أنك سامع لحكایة الحال، غير مُشاهد لها، ولو شاهدتها لَكُنْتَ هَا أَعْرَفَ، ولعظام الحال في نفس تلك المرأة أَيّْنُ، وقد قيل: "لِيَسَ الْمُخْبِرُ كَالْمُعَايِنِ" ولو لم يَنْقُلْ إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة

¹ - ابن جنّي، الخصائص، تحق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983. ج1، ص246

— 247 —

² - نفسه، ج1، ص247



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

بقوله: وَصَكَّتْ وَجْهَهَا، لَمْ نَعْرِفْ بِهِ حَقِيقَةً تَعَاظِمُ الْأَمْرِ لَهَا. وَلِيَسْتَ كُلُّ حَكَايَةٍ ثُرُوِيٌّ لَنَا وَلَا كُلُّ خَبَرٍ يُنَقَّلُ إِلَيْنَا يُشَفِّعُ بِهِ شَرْحُ الْأَحْوَالِ التَّابِعَةِ لَهُ، الْمُقْتَرَنَةُ - كَانَتْ - بِهِ. نَعْمَ وَلَوْ تُقْلَتْ إِلَيْنَا لَمْ تُفِدْ بِسَمَاعِهَا مَا كُنَّا نُفَيِّدُ لَوْ حَضَرْنَا هَا¹.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ مُتَلَقِّي الرِّسَالَةِ الْلُّغُوِيَّةِ لَمْ يَشْهُدْ الْحَدِيثُ الْلُّغُوِيُّ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِمَّا تَضَمَّنَهُ النَّصُّ مِنْ إِشَارَاتٍ لِلْلُّغُوِيَّةِ تُعِينُهُ عَلَى تَمْثِيلِ الْحَالِ، إِلَّا أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ بِإِمْكَانِهِ تَمْثِيلُهَا كَمَّنْ شَهَدَهَا.

وَلَعَلَّ فِي مَا بَيَّنَاهُ مِنْ عَنْيَةِ الْخَلِيلِ وَسَيِّدِهِ وَابْنِ جَنِي بِضَرِبِي السِّيَاقِ: السِّيَاقُ الْلُّغُوِيُّ، وَسِيَاقُ الْحَالِ كَفَائِيٌّ لِلتَّأكِيدِ عَلَى أَنَّ نَحْنَاتَا الْأَوَّلَيْنَ لَمْ يَغْبُ عَنْهُمْ مَفْهُومُ السِّيَاقِ، وَإِنَّ لَمْ يَصُوِّغُوهُ فِي نَظَرِيَّةٍ مُتَكَامِلَةٍ.

2.2.2. السِّيَاقُ عِنْدَ الْأَصْوَلِيِّينِ: يَعُودُ اهْتِمَامُ عُلَمَاءِ الْأَصْوَلِ بِالسِّيَاقِ إِلَى سَعْيِهِمْ

لِفَهْمِ النَّصُوصِ الشَّرِعِيَّةِ؛ مِنْ أَجْلِ اسْتِبْطَاطِ الْأَحْكَامِ. فَقَدْ عَقَدَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ (ت: 204 هـ) فِي كِتَابِهِ "الرِّسَالَةُ" بَابًا سَمَّاهُ "بَابُ الصَّنْفِ الَّذِي يُبَيِّنُ سِيَاقَهُ مَعْنَاهُ"، حِيثُ رَكَّزَ فِيهِ عَلَى دورِ الْقَرِيرَةِ الَّتِي تَمْنَعَ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ لِلْفَظِ، فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَاسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرِيرَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ، إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبَّتِ، إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَيْتِهِمْ شُرُعًا وَيَوْمَ لَا يَسْتَوْنَ لَا تَأْتِيهِمْ، كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾. [الأعراف: 163]. قَالَ: «فَابْتَدَأَ جَلَّ ثَنَوْهُ ذِكْرَ الْأَمْرِ بِعْسَالَتِهِمْ عَنِ الْقَرِيرَةِ الْحَاضِرَةِ الْبَحْرِ، فَلَمَّا قَالَ: ((إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبَّتِ)). الْآيَةُ - دَلَّ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَهْلَ الْقَرِيرَةِ؛ لِأَنَّ الْقَرِيرَةَ لَا تَكُونُ عَادِيَةً وَلَا فَاسِقَةً بِالْعَدْوَانِ فِي السَّبَّتِ وَلَا غَيْرَهُ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ

¹ - نفسه، ج 1، ص 245 - 246.



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون¹. فقد وضع الشافعي أن لفظ "القرية" في الآية الكريمة لا يمكن أن يفهم منه معنى المكان؛ مستنداً في ذلك إلى القراءة العقلية التي تمنع ذلك المعنى، فالقرية لا تُعْدُ ولا تُفْسَدُ، وإنما أهلها هم الذين يعدون ويفسقون؛ فدلل ذلك على أن لفظ "القرية" استعمل بمحاز، وهو محاز مُرسَلٌ علاقته المكانية؛ إذ ذكر المكان وأراد من بالمكان.

كما تطرق إلى دور السياق في تحديد دلالات الألفاظ، ومن ذلك قوله: «إِنَّمَا خَاطَبَ اللَّهُ بِكِتَابِهِ الْعَرَبَ بِلِسَانِهِ، عَلَى مَا تَعْرِفُ مِنْ مَعَانِيهَا، وَكَانَ مَمَّا تَعْرِفُ مِنْ مَعَانِيهَا أَشْيَاءُ لِسَانِهِ. وَأَنْ فِطْرَتُهُ أَنْ يُخَاطِبَ بِالشَّيْءِ مِنْهُ عَامًا ظَاهِرًا يُرَادُ بِهِ الْعَامُ الظَّاهِرُ، وَيُسْتَغْنِي بِأَوْلِ هَذَا مِنْهُ عَنْ آخِرِهِ. وَعَامًا ظَاهِرًا يُرَادُ بِهِ الْعَامُ وَيُدْخِلُهُ الْخَاصُّ، فَيُسْتَدِلُّ عَلَى هَذَا بِبَعْضِ مَا نَحْوَطُ بِهِ فِيهِ. وَعَامًا ظَاهِرًا يُرَادُ بِهِ الْخَاصُّ. وَظَاهِرًا يُعْرَفُ فِي سِيَاقِهِ أَنَّهُ يُرَادُ بِهِ غَيْرُ ظَاهِرِهِ. فَكُلُّ هَذَا مُوجُودٌ عِلْمُهُ فِي أَوْلِ الْكَلَامِ أَوْ وَسْطِهِ أَوْ آخِرِهِ»².

لقد بيّن الشافعي دور السياق في تحديد دلالات الألفاظ، معتمداً على ما يُعرفُ عند النّحاة بقطنة المخاطب؛ فالعرب تعرف أن في لسانها من الألفاظ ما لا يدلُّ على ظاهره، وإنما يُعرف معناه من السياق الذي استُعمل فيه، ومن ذلك: المشترك اللغطي، والمحاز اللغوي، والمحاز العقلي...

وقد رَكَّزَ ابن تيمية (728هـ) على أهمية دور القرائن اللغوية والحالية في تعين معنى اللُّفْظِ، حيث يقول: «لَمَّا رَأَوا بَعْضَ النُّصُوصِ تَدْلُّ عَلَى الصَّفَةِ، جَعَلُوا كُلَّ آيَةٍ

¹ - الشافعي الرسالة، تحق: أحمد محمد شاكر، مكتبة الحلبي، القاهرة، ط 1، 1358هـ/1940م، ص 63 - 62.

² - نفسه، ص 51 - 52.



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

فِيهَا مَا يَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُ يُضافُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى - إِضَافَةَ صِفَةٍ - مِنْ آيَاتِ الصَّفَاتِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَرَأَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾. وَهَذَا يَقْعُدُ فِيهِ طَوَافِفُ مِنَ الْمُشْتَبَّةِ وَالثُّقَافَةِ. وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْغَلَطِ فَإِنَّ الدَّلَالَةَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِحَسَبِ سِيَاقِهِ. وَمَا يُحَفَّ بِهِ مِنَ الْقَرَائِنِ الْلُّفْظِيَّةِ وَالْحَالَيَّةِ﴾.¹

كما اهتم ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ) بقرينة السياق اهتماماً بالغاً؛ إذ عدّها من أعظم القرائن التي تُعين على تلمسِ مراد المتكلّم؛ إذ توجّه إلى تحديد الدلالات، فهي المرشد إلى تبيان المُحمل، وتعيين المُحتمل، وغير ذلك من الدلالات التي يريدها المتكلّم. يقول: «السِّيَاقُ يرشدُ إِلَى تَبْيَانِ الْمُحْمَلِ، وَتَعْيِينِ الْمُحْتَمَلِ، وَالقطعُ بِعَدْمِ احْتِمَالِ غَيْرِ الْمَرَادِ، وَتَخْصِيصِ الْعَامِ، وَتَقييدِ الْمُطْلَقِ، وَتَنوُّعِ الدَّلَالَةِ. وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْقَرَائِنِ الدَّالَّةِ عَلَى مَرَادِ الْمُتَكَلِّمِ، فَمِنْ أَهْمَلِهِ غَلَطُ فِي نَظَرِهِ، وَغَالَطُ فِي مَنَاظِرِهِ. فَانظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدَّخْنَانُ / 49]، كَيْفَ تَجِدُ سِيَاقَهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الذَّلِيلُ الْحَقِيرُ»².

وقد يلجأ ابن القيم في تحديد الدلالات إلى مجموعة من القرائن، أو ما يسميه المحدثون بـ "تضافر القرائن"، ومن ذلك تعينه مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْحِهِ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: 8]، حيث اعتمد على دلالات السياق، والقرينة اللغوية، وكذلك السمة التعبيرية للقرآن الكريم، على اعتبار أن القرآن الكريم يفسّر بعضه ببعضه، أو هو كالكلمة الواحدة. قال: «الصَّحِيحُ أَنَّ الضَّمِيرَ يَرْجِعُ عَلَى الْإِنْسَانِ، أَيْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى رَدِّهِ

¹- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1425 هـ / 2004 م، ج 6، ص 14.

²- ابن القيم، بدائع الفوائد، تحق: علي محمد العمران، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، المملكة العربية السعودية، (د ط)، (د ت)، ج 4، ص 1314.



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

إِلَيْهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تُبْلَى فِيهِ السَّرَّائِرُ، وَمَنْ قَالَ: "إِنَّ الصَّمَدَ يَرْجِعُ عَلَى الْمَاءِ أَيْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى رَجْعِهِ فِي الْإِحْلَيلِ أَوْ فِي الصَّدَرِ أَوْ حَبْسِهِ عَنِ الْخُرُوجِ لَقَادِرٌ" فَقَدْ أَبْعَدَ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَادِرًا عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنَّ السِّيَاقَ يَأْبَاهُ، وَطَرِيقَةُ الْقُرْآنِ - وَهِيَ الْاسْتِدْلَالُ بِالسَّمْبَدَا وَالنَّشَأَةِ الْأُولَى عَلَى الْمَعَادِ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ - وَأَيْضًا فَإِنَّهُ قَيَّدَهُ بِالظَّرْفِ، وَهُوَ «يَوْمٌ تُبْلَى السَّرَّائِرُ» [الطارق: 9] وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ دَعَا الإِنْسَانَ أَنْ يَنْتَهِرَ فِي مَبْدُأ خَلْقِهِ وَرِزْقِهِ، فَإِنْ ذَلِكَ يَدُلُّهُ دَلَالَةً ظَاهِرَةً عَلَى مَعَادِهِ وَرُجُوعِهِ إِلَى رَبِّهِ¹.

2.2.3.السياق عند البلاغيين:

ليس من باب الادعاء أن نقول بأن علماء البلاغة قد كانوا على وعي تام بتأثير العناصر السياقية في معنى التركيب ودلالته، وإن لم يصوغوا آراءهم في إطار نظرية متکاملة المعالم.

وتتجلى فكرة السياق عند البلاغيين في فكرتين أساسيتين: الأولى: فكرة "المقام" وما يجب له من "مقال". والثانية: "مواعنة مقتضى الحال". قال الجاحظ (ت: 255هـ): «وما معنى ليس يشرفُ بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتبعُ بأن يكونَ من معاني العامة، وإنما مدارُ الشرف على الصواب وإحرازِ المنفعة، مع موافقة الحالِ، وما يجبُ لكلِّ مقامٍ من المقال»².

وقد انصب اهتمام البلاغيين في دراستهم للسياق على فكرة "مقتضى الحال"، والعلاقة بين "المقال" و"المقام".

¹- ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1411هـ / 1991م، ج 1، ص 113.

²- الجاحظ، البيان والتبيين، تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، 1998، ج 1، ص 129.



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

يقول التهانوي: «والحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى المتكلّم على وجه مخصوص، أي الداعي إلى أن يُعتبر مع الكلام الذي يُؤدّى به أصل المعنى خصوصية ما هي المسماة بمقتضى الحال، مثلاً كون المخاطب منكراً للحكم حال يقتضى تأكيد الحكم والتأكيد مقتضاها... وعلى هذا النحو قولهم: علِمٌ¹ يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظُ مقتضى الحال، أي يطابق صفة اللفظ مقتضى الحال، وهذا هو المطابق بعبارات القوم حيث يجعلون الحذف والذكر إلى غير ذلك مُعَلَّلاً بالأحوال»². وهذا التعريف لمقتضى الحال في علم المعاني يقتضي أن يكون المتكلّم على عِلْم بأحوال السامع قبل أن يتكلّم؛ حتى يأتي بالكلام على صفة مخصوصة تتطابق مع حال المستمع.

ولمّا نص علماء البلاغة على أن لكلّ مقام مقالاً، فمعنى ذلك أن "المقال" الذي هو المنجز اللغوي، لا بدّ أن يختلف من مقام إلى آخر، بل من خطاب شخص إلى آخر بالنظر إلى حاله التي هو عليها. يقول السكاكي (ت: 626 هـ): «لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متباوّة، فمقام التّشّكّر يُبَاين مقام الشّكّاية، ومقام التّهنة يُبَاين مقام التّعزّة... وكذا مقام الكلام مع الذّكّي يُغاير مقام الكلام مع الغيّ، ولكلّ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر»³. ويتجاوز مفهوم "المقام" عند السكاكي غرض الكلام وموضوعه، وشخصية المخاطب إلى الصياغة اللغوية، من حُسْن التلاؤم بين الألفاظ، واختيار التركيب المناسب لمقتضى الحال، من تأكيد وذكر وحذف، وغيرها. يقول: «ثم

¹- يقصد علم المعاني.

²- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحق: علي درجوج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 1، 1996، ج 1، ص 616 - 617.

³- السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 2، 1987، ص 168.



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

إذا شرعت في الكلام، فلكلّ كلمة مع صاحبها مقام، ولكلّ حدّ ينتهي إليه الكلام مقام... وهو الذي نسميه مقتضى الحال»¹.

وإذا ما نظرنا إلى "المقال" على أنه يمثل "السياق اللغوي"، فإننا نجد أن الشيخ عبد العاهر الجرجاني (ت: 471) يربط فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيب الذي قيلت فيه، حين يقول: «وجملة الأمر أنا لا نوجب "الفصاحة" للفظة مقطوعةً مرفوعةً من الكلام الذي هي فيه، ولكنّا نوجبها لها موصولةً بغيرها، ومعلقاً معناها بمعنى ما يليها. فإذا قلنا في لفظة "اشتعل" من قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا﴾ [مريم/4] إنما في أعلى المرتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولاً بها "الرأس" معرفاً بالألف واللام، ومقروراً إليها "الشيب" منكراً منصوباً»².

وقد كان الجرجاني على وعيٍ تامٍ بمفهوم السياق وخطورته في فهم دلالات القرآن الكريم، ويتجلى ذلك في مزاوجته بين علم النحو وعلم المعاني، فيما بات يعرف بـ"معاني النحو" من خلال صياغته نظرية النظم التي قامت على مفهوم السياق اللغوي، أي: تعلق الألفاظ والثامنها على نسق معين، فاللفظ عنده لا يكتسب دلالته وقيمه إلا من السياق الذي يرد فيه والنظم في نظر الجرجاني «إنما هو تونخي معاني النحو وأحكامه وفروقه ووجوهه، والعمل بقوانيذه وأصوله، وليس معاني التّحو معاني ألفاظ، فيتصور أن يكون لها تفسير»³.

¹ - نفسه، ص 168 - 169.

² - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 402 - 403.

³ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 452.



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

فالنفاد إلى معاني النص لا يتّي بمعروفة دلالات الألفاظ منفصلة عن سياقها الذي ترد فيه: «إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعريف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضم بعضها إلى بعض، فيُعرف فيما بينها فوائد»¹.

إن هذا الوعي لدى البلاغيين بخطورة السياق في فهم معاني النصوص، وإن لم يصوغوا آراءهم في إطار نظرية متكاملة المعالم، هو ما جعل المحدثين ممن كان لهم باع في الاطلاع على الدراسات اللغوية الغربية يُقرّون لهم بالسبق في هذا المجال. قال ثامن حسان: «وحين قال البلاغيون "لكل مقال مقال"، ولكل كلمة مع صاحبها مقام، وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات، لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على السواء، ولم يكن "مالينوفسكي" وهو يصوغ مصطلحه الشهير (سياق الحال Context of Situation) يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها»².

2.2.4. السياق عند المفسّرين: كان علماء التفسير على وعي تام بخطورة السياق

في الوصول إلى دلالات القرآن الكريم. فقد أشار الطبرى (ت: 310 هـ) إلى وجوب مراعاة سياق الكلام في التفسير وعدم صرفه عنه إلا بدليل واضح، حيث يقول: «فغير جائز صرف الكلام عمّا هو في سياقه إلى غيره إلا بمحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر الترتيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حجّة»³.

¹ نفسه، ص 539.

² ثامن حسان، اللغة العربية معناها وبناتها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص 372.

³ الطبرى، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحق: محمد محمود شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1420 هـ / 2000 م، ج 9، ص 389.



اللَّفَاظُ الْأَبْوَةُ وَالْبُنْوَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

وقال الزركشي (ت: 794 هـ) في معرض حديثه عن معرفة غريب القرآن: «وهو معرفة المدلول، وقد صنف فيه جماعة... ومن أحسنها كتاب "المفردات" للراغب. وهو يتصيد المعاني من السياق؛ لأنَّ مدلولات الألفاظ خاصة»¹.

وقد يُبيَّن بأنَّ الاحتكام إلى السياق مما يُعين على فهم المعنى عند الإشكال، وعده من أهم القرائن الدالة على مراد المتكلم، حيث يقول: «...دَلَالَةُ السِّيَاقِ فَإِنَّهَا تُرْشِدُ إِلَى تَبْيَانِ الْمُجْمَلِ وَالْقَطْعِ بَعْدِ احْتِمَالِ غَيْرِ الْمُرْادِ، وَتَخْصِيصِ الْعَامِ، وَتَقييدِ الْمُطْلَقِ، وَتَتَوَعُّ الدَّلَالَةُ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْقَرَائِنِ الدَّلَالَةِ عَلَى مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ، فَمَنْ أَهْمَلَهُ غَلَطَ فِي نَظِيرِهِ وَغَالَطَ فِي مَنَاظِرِهِ وَأَنْظُرَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان/49] كَيْفَ تَجِدُ سِيَاقَهُ يَدْلُلُ عَلَى أَنَّهُ الذَّلِيلُ الْحَقِيرُ!»².

وعلى الرّغم من أنه «كان للسياق أصوله العلمية في بعض كتابات علمائنا القدامي الذين استخدموه في فهم دلالات اللفظ في النص القرآني، لكن مؤلفات التفسير لم تستفد منها بشكل كافٍ في الكثير منها»³. وقد أشار الزركشي إلى ذلك في معرض حديثه عن "معرفة المنسابات بين الآيات"، حيث يتجلّى عنده مفهوم "سياق النص" بوضوح؛ إذ ينبغي النظر في ارتباط آيات القرآن الكريم بعضها ببعض، وأساق معانيها، وانتظام مبنائيها كأنها كلمة واحدة. وذلك التّناسب لا يقف عند علاقة الآية بأخواتها

¹ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص204.

² - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص445.

³ - عادل رشاد غنيم، المنهج السيادي وأثره في تطوير دراسات التفسير، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1434/4/6هـ / 2013/02/16م، ص7.



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

السابقة أو اللاحقة في السورة نفسها، في إطار ما يُعرف بسياق النص، بل إنه يتتجاوزه إلى النظر إلى القرآن الكريم كله على أنه كلمة واحدة¹.

وقد عدَ الزركشي المنهج السياقي أحد مناهج تفسير القرآن، وهي عنده نوعان: الأول: يعتمد على النقل، والثاني: يعتمد على السياق فيما لم يرد فيه نقل².

ونظر المفسرون إلى القرآن الكريم على أنه يُفسّر بعضه ببعض، فما استشكل من المعاني في موضع، أتضح في موضع آخر. يقول السيوطي (ت: 911 هـ): «من أراد تفسير الكتاب العزيز، طلبه أولاً من القرآن، فما أحمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر»³. وهو ما يُعرف عند الحديثين بالمقابلة السياقية، أي مقابلة السياقات بعضها بعض ليُوضح المعنى.

2.3.السياق في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة: تعددت المنهج اللسانية الغربية في دراسة المعنى، ومنها: النظرية الإشارية التي قامت على يد كل من "ريتشاردرز وأوجدن I.A.Richards & C.K.Ogden" في كتابهما الشهير "The Meaning of Meaning" (معنى المعنى)، والنظرية العقلية للفيلسوف "جون لوك John Loke" والنظرية السلوكية لـ"ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield"⁴ الذي لفت الانتباه إلى أهمية الموقف والاستجابة التي تُستدعي لدى السامع في تحديد معنى الصيغة

¹- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 36-37، وص 39.

²- ينظر: نفسه، ص 431.

³- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحق: مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، 1426 هـ / 2006 م، ج 6، ص 2274.

⁴- أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط 5، 1998، ص 54-67.



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

اللغوية، وتناول المتكلم والسامع بالتحليل، فجعل الكلام بدليلا من الاستجابة العضوية لمثير معين¹.

ومن المعلوم أن نظرية "النحو التحويلي التوليدية" التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الماضي على يد "نوم شومسكي Naom Chomsky" لم تحفل -في بدايتها- بالدلالة، فاستبعدت السياق من دائرة اهتمامها؛ إذ كانت تهدف إلى بناء نظرية تفسّر القواعد الكامنة وراء العدد اللامتناهي من الجمل في اللغة الطبيعية. ولم تُدمج الدلالة مع النحو في هذه النظرية إلا مع "كاتز وفودور Katz & Foeder" في بحثهما الموسوم بـ "بناء النظرية الدلالية"².

لم تستطع المناهج اللسانية البنوية إذاً أن تقدم لنا فكرة السياق؛ إذ أخذ عليها اللسانيون الاجتماعيون إغفالها السياق الذي تُستعمل فيه اللغة؛ فقد كانوا يتطلعون إلى منهج يدرس اللغة من خلال بُعد أوسع، ويحاول أن يتبيّن كيف تتفاعل اللغة مع محیطها. ولم يتحقق ذلك إلا على يدي "ج. ر. فيرث J.R.Firth"، حيث أصبحت نظريته في السياق نظرية دلالية متكاملة الجوانب.

وتعُد "نظرية السياق" التي أسسها "ج. ر. فيرث J.R.Firth" في بريطانيا حجر الأساس في "المدرسة اللغوية الاجتماعية"، حيث وسّع فيها نظريته اللسانية معالجة جميع

¹ - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990، ص 243.

² - محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص 33 - 34.



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

الظروف اللغوية لتحديد المعنى، ومن ثم حاول إثبات صدق المقوله بأن "المعنى وظيفة السياق"¹.

مفهوم سياق الحال عند "فيرث": طور "فيرث" مفهوم مصطلح "سياق الحال" "Context of Situation" الذي وضعه الأنثروبولوجي البولندي "برونسلاو مالينوفסקי" ²، واستعمله «باعتباره دالا على عناصر موقف كلامي كامل، كالمتكلم والسامع، أو السامعين، والكلام، وكل ما يحدث في أثناء الكلام من افعالات، واستجابات ومسالك، وكل ما يتصل بالموقف ويؤثر فيه من قريب أو بعيد»³. و«ينظر (فيرث) إلى سياق الحال باعتباره جزءاً من أدوات عالم اللغة، مثله مثل الفصائل النحوية التي يستخدمها... ولهذا اقترح العناصر الآتية:

أ) الملامح الوثيقة بالمشتركين: الأشخاص، والخصائص الذاتية المميزة:

1. الحدث الكلامي للمشتركين.

2. الحدث غير الكلامي للمشتركين.

ب) الأشياء ذات الصلة بالموضوع.

ج) تأثيرات الحدث الكلامي»⁴.

¹ - محمد سالم صالح، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى، <http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=21849>، نشر بتاريخ: 2017/01/05

² - محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار النهضة العربية، بيروت، (د ت)، (د ط)، ص 310.

³ - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 262.

⁴ - بالمر، علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص 77.

الآفاظ الْأَبُوَّةُ وَالْأَبُوَّةُ فِي الْقُرآنِ الْكَرِيمِ د. محمد بن يحيى

وينقسم السياق عند "فيرث" إلى ضررين: الأول: سياق لغوي: ويتمثل في العلاقات الصوتية، والصرفية، والنحوية والدلالية بين الوحدات اللغوية. أما الثاني، فهو سياق الحال: ويمثله العالم الخارج عن اللغة، بما له صلة بالحدث اللغوي، أي: الظروف الاجتماعية، والنفسية، والثقافية... للمتكلمين أو المشتركين في الكلام.¹

وقد وسّع "ستيفن أولمان S. Ullmann" مفهوم السياق ليشمل النص كله، فقال: «إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل - لا الكلمات والجمل الحقيقة السابقة واللاحقة فحسب - بل والقطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل -بوجه من الوجوه- كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات. والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام التي تُنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن»²، وهو ما يطلق عليه "سياق النص".

- أهمية نظرية السياق: يقول "أولمان" مُبرزاً أهميتها: «إن نظرية السياق -إذا طبّقت بحكمة- تمثل حجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن».³

ورد "ف. ر. بالمر F.R. Palmer" على من رفض هذه النظرة بأنه من الصعب رفضها؛ لأنه لا يمكن إنكار حقيقة أن معنى الكلمات والجمل ترتبط بعالم التطبيق، وأن مزية اتجاه "فيرث" أنه شرع في عرض صياغات جزئية للمعنى.⁴

¹ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، 68 وما بعدها.

²- ستيفن أوelman، دور الكلمة في اللغة، ص 57.

٦١ - نفسم، ص^٣

⁴- بالمر، علم الدلالة، ص 80.



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

2.4.السياق في الدراسات اللسانية العربية الحديثة: تولّد اهتمام معظم روّاد

الدّرس اللغوي العربي الحديث بدراسة السياق من تأثيرهم الواضح بنظرية "فيرث" السياقية بشكل مباشر أو غير مباشر، فحاولوا أن يزاوجوا في الدراسة بين المقولات التراثية والنظرية السياقية؛ لأجل تطوير البحث اللغوي العربي الحديث.

ومنهم "ثام حسان" الذي شرح نظرية أستاذة "فيرث"، متبنّياً مقوله إن الفكرة المركزية في علم الدلالة هي "Context of Situation" ، حيث ترجم هذا المصطلح إلى "الماجريات"¹. ولخص تلك النظرية في كتابه "مناهج البحث في اللغة" بقوله: «فالمعنى فيرأى فيرث كُلّ مركب من وظائف لغوية، هي: وظيفة الصيغة. والعناصر المأمة في هذا الكلّ المركب هي: الوظيفة الأصواتية (الصغرى)، ثم الوظائف الكبرى: المعجمية، والصرفية، والنحوية، ووظيفة الماجريات الدلالية بصفة عامة»².

وقد تبنّى "ثام حسان" هذا المنهج وسعى إلى تطبيقه في اللغة العربية، حيث يقول: «...لِتُنشئُ لدراسة الصيغة والوظيفة في اللغة؛ فتحلّ الفكرة المركزية في هذا المنهج هي "الماجريات" ، وهي تدلّ -بأحد معانيها- على مجموع عناصر محيطة بموضوع التحليل، تشمل حتى التكوين الشخصي، والتاريخ الثقافي للشخص، وتتدخل في حسابها الماضي، والحاضر، والمستقبل. وهذا الاستصلاح بالنسبة لعلم اللغة يقصد به دائماً سياق النص، أما السلوك الكلامي العادي، فكلّ وضع -مهما كان- يُعتبر عنصراً من عناصر الماجريات»³.

¹- ثام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص251، وص261.

²- ثام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص269.

³- ثام مناهج البحث في اللغة، ص251 - 252.



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

وبيّن المنهج الذي يتبعه في دراسة المعنى، وهو منهج مركب من علاقات السياق وقواعد اللغة بكل فروعها، والمعجم والدلالة، حيث يقول: «فنحن نُشقق المعنى إلى نسق من الوظائف المكونة له، ونحدّ كلّ وظيفة بأنما استعمال شكل لغوي معين، أو عنصر لغوي معين في سياق. ومعنى هذا أننا ننظر إلى المعنى باعتباره مركباً من علاقات الماجريات والجرماتيفيا (بفروعها)، والمعجم والدلالة»¹. ويؤكّد على أنه لا يمكن تحديد دلالة العناصر اللغوية (الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية) إلا من خلال السياق الذي ترد فيه².

كما نقف على تأثيره بالنظرية السياقية في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"، ويظهر ذلك جلياً في فصله الأخير (الدلالة)، وبخاصة في مفهوم "المقام"³ الذي يشمل عناصر متعددة بما في ذلك «الأشخاص المشاركون في "المقال" إيجاباً أو سلباً، والعلاقات الاجتماعية، والظروف المختلفة في نطاق الزمان والمكان...». هذا هو المقصود بفكرة "المقام"، فهو يضمّ السامع أو السامعين والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة *relevant* في الماضي والحاضر، ثم التراث والفلكلور والعادات والتقاليد والمعتقدات...»⁴. فالمقام يختلف عن "مراجعة مقتضي الحال" عند البلاغيين الذين نظروا إليه على أنه حال ثابتة.

وقدم "محمود السعراواني" في كتابه "علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)" النظرية السياقية بوصفها نظرية تدرس الكلام بوصفه نوعاً من السلوك الاجتماعي ذا علاقة

¹ نفسه، ص 253.

² ينظر: نفسه، ص 255 وما بعدها.

³ ينظر: ثامن حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 336 وما بعدها.

⁴ نفسه، ص 251-352.

الآفاظُ الْأَبْوَةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ د. محمد بن يحيى

بعناصر أخرى غير لغوية^١. وسعى إلى توضيح مفهوم "سياق الحال" عند "فيirth"، فهو يشتمل على جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي، أو الحالة الكلامية، ومن تلك العناصر:

1. شخصية المتكلم والسامع، وتكوينهما الثقافي، وشخصيات الحضور، إن وُجداً.
 2. العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي للمشاركين في الموقف الكلامي، وكل ما يطرأ أثناء الكلام من يشهد الموقف الكلامي من انفعالات وغيرها.
 3. أثر النص الكلامي في المشاركين، كالإقناع والألم أو الإغراء...² كما ركز السّعران على تبيان أهمية النظرية السياقية في تحليل النصوص اللغوية، وما يميّزها عن النظريات اللغوية السابقة لها بقوله: «إن نظرية اللغة التي تقوم على التصور الخاص بـ "سياق الحال" تشمل جميع أنواع الوظائف الكلامية، معنى أنها بهذا التصور تستطيع أن تدرس وتفسّر جميع أنواع الوظائف الكلامية، وليس مقصورة كأكثر النظريات القديمة على إبراز نوع أو أكثر ليس غير من أنواع الوظائف الكلامية».³

وقد بيّن منهج فيرت في التحليل؛ لأجل الوصول إلى معنى النص اللغوي، حيث

يقول: «وهكذا فالأستاذ فيرث يرى أن الوصول إلى معنى أي نص لغوي يستلزم:

1. أن يحلل النص اللغوي على المستويات اللغوية المختلفة (الصوتية والfonولوجية، والmorphologية، والتنظيمية والمعجمية).

¹ - محمود السعرا، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، 313.

نفسه، ص 311 .

³- محمود السعراو، علم اللغة، ص 311-312.



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

2. أن يبيّن "سياق الحال" (الماجريات): شخصية المتكلم، شخصية السامع، وجميع الظروف الخبيطة بالكلام...

3. أن يبيّن نوع الوظيفة الكلامية: ثمنٌ، إغراء...

4. وأخيراً أن يذكر الأثر الذي يتركه الكلام: (ضحك، تصديق، سخرية...)¹.

ولا نغادر هذا المقام دون أن نقف على التوظيف المتميّز للدكتور فاضل صالح السامرائي لقرينة السياق في توجيهه الدلالات في القرآن الكريم. فهو يعتمد في ذلك على انتلاقه من آيات المتشابه اللغطي في القرآن الكريم، موظّفاً نوعي السياق: سياق المقال، وسياق المقام، معتمداً في توجيهه الدلالات على القرائن الفظية والمعنوية؛ فهو يعوّل كثيراً على أثر السياق في توجيهه دلالة اختيار اللفظ القرآني، أو الصيغة الصرفية، أو التركيبية في موضع ما عن غيره. ومن ذلك:

- توجيه دلالة البنية الصرفية: حيث استعان بالسياق في التوجيه الدلالي للبني الصرفية؛ إذ يرى أن السياق هو الذي يتکفل بتحديد المعنِ الوظيفي للأبنية الصرفية، ولا سيما المتشابهة منها؛ لأنها تتسم بالتعدد والاحتمال في حال كونها خارج السياق. ومن ذلك توجيهه لاستعمال الفعل والاسم في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَإِنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام/95]، قال: «فاستعمل الفعل مع الحي، فقال (يُخرج)، واستعمل الاسم مع الميت، فقال (مُخرج)؛ وذلك لأنَّ أبرز صفات الحي الحركة والتجدد، فجاء معه بالصيغة الفعلية الدالة على الحركة والتجدد، ولأنَّ الميت في حالة همود وسكون وثبات، جاء معه بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات»².

¹. نفسه، ص312.

². فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الأردن، ط4، 2006، ص23.



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

- توجيه دلالة العدول التركيبية: قد يعدل القرآن الكريم عن استعمال تركيب إلى تركيب آخر؛ ومن دلالات ذلك العدول "توسيع المعنى"، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَارٍ﴾ [غافر/35]. فمن الوجهة النحوية يمكن أن يقال: (كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار)، لكن التعبير القرآني عدل عن هذا التركيب؛ فأفاد بذلك معنين: الأول: أن الله يطبع على قلب المتكبرين عموما. والثاني: أنه يطبع على كل قلب المتكبر الجبار، وليس على جزء منه¹.

- توجيه دلالة الأدوات النحوية: كما اعتمد على قرينة السياق في توجيه دلالات الأدوات النحوية، من خلال المقارنة بين سياقات الآيات المشابهة في التعبير، ومن ذلك المقارنة بين قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبْدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة/7]، وقوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبْدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة/95] فالكلام في آية "البقرة" على الآخرة ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ والدار الآخرة استقبال؛ فنفي بـ(لن)؛ إذ هو حرف خاص بالاستقبال. وأما الكلام في آية "الجمعة"، فهو عام لا يختص بزمن دون زمان ﴿إِنْ رَأَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلَيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ فهذا أمر مطلق، فنفي بـ(لا) وهو حرف يفيد الاطلاق والعموم². لقد وظف السامرائي خبرته في توجيه دلالات الأدوات النحوية؛ فهو يرى بأن "لا" أقدم حروف النفي في اللغة العربية؛ فهي تدخل على الأسماء كما تدخل على الأفعال، ولما تدخل على الفعل المضارع لا تُقيده بزمن، مخالفًا بذلك النحاة الذين يرون أنها تخلصه للمستقبل³، أما "لن"؛ فإنها نفي للمضارع في المستقبل¹.

¹ فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2000، ص190.

² فاضل السامرائي، التعبير القرآنى، ص201 – 202.

³ فاضل السامرائي، معانى النحو، دار الفكر، عمان،الأردن، ط1، 2000، ج4، ص206.



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

- توجيه دلالة الاختلاف التعبيري بين القصص القرآنية المتشابهة: حيث عقد مقارنات بين مواضع القصص القرآنية المتشابهة؛ في محاولة لتقريب الموضع المشتركة في القصة الواحدة المذكورة في مواضع متفرقة. فقد لاحظ بأن القرآن «لا يذكر القصة على صورة واحدة، بل يذكر في موطن ما يطوي ذكره في موطن آخر، ويفصل في موطن ما يوجزه في موطن آخر، ويقدم في موطن ما يؤخره في موطن آخر. بل تراه أحياناً يغير في التعبيرات ونظم الكلام تغييراً لا يُحِلُّ بالمعنى». كل ذلك يفعله حسب ما يقتضيه السياق وما يتطلبه المقام وذلك في حشد فتى عظيم»². ومن ذلك مقارنته بين قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف والشعراء، حيث هدته تلك المقارنة إلى أن القصة في "الشعراء": تتسم بسمتين بارزتين: التفصيل في سرد الأحداث، وقوة المواجهة والتحدي؛ فجاءت ألفاظها لتحقيق هذين الأمرين. أما في "الأعراف"، فقد بُنيت القصة على الاختصار، وليس فيها قوة المواجهة. فاختلفت التعبيرات المتشابهة في اختيار اللفظ، وفي الصيغة الصرفية، وفي استعمال الأدوات التحوية، بحسب ما يقتضيه السياق في كل سورة من السورتين³.

2.5. **المنهج السياقي ودوره في التفسير:** أكد الباحثون المعاصرلون على ضرورة الاستفادة من المنهج السياقي، واستغلال إجراءاته في تطوير تفسير القرآن الكريم. يقول الباحث "عادل رشاد غنيم": «لا شك أن المنهج السياقي بعديه: البعد اللغوي الداخلي

¹ - نفسه، ج 4، ص 190.

² - فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص 284.

³ - نفسه، ص 325 - ص 336.



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

والبعد المقامي الخارجي، يقدم بين يدي فهم النص الشرعي نسقاً من العناصر التي تقوّي طريقة فهمه وتفسيره والاستنباط منه¹.

وتتجلى أهمية الدراسة السياقية للقرآن الكريم في مجموعة من الأمور، ومنها أنها تُعين على²:

— توجيه المت الشا به، والم شترک اللفظي، وبيان الفروق الدقيقة بين الآيات.

— الترجيح الدلالي بين المعاني الظنية التي تحتملها الآيات.

— بيان سبب التزول وزمن التزول الصحيحين.

— بيان مرجع الضمير، وتقدير المذكوف، وسبب التقدم والتأخير...

2.6. أقسام السياق القرآني³: ينقسم السياق القرآني إلى قسمين: السياق اللغوي،

والسياق غير اللغوي، أو ما يُطلق عليه "سياق الحال" أو "سياق الموقف"، ويسميه بعضهم "السياق الرمزي".

— السياق اللغوي: ويقصد به سياق الآية أو الآيات في السورة، وموقعها بين السابق واللاحق من الآيات، وسياق الجملة في موقعها من الآية. وهو قسمان: الأول: السياق الأصغر: وهو سياق جزئي، وهو الموضع القريب المحيط بالنص المفسّر، كالكلمة في الجملة، أو الجملة في الآية، أو الآية وعلاقتها بالآيات السابقة واللاحقة.

¹ عادل رشاد غنيم، المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير، ص 8.

² ينظر: الخامسة علاوي، السياق وإنتاج المعنى (قراءة تأصيلية نقدية في نظرية السياق القرآني)، مجلة المعيار، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، مج 17، ع 33، ص 350 - 356.

³ ينظر: عادل رشاد غنيم، المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير، ص 17 وما بعدها.



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

الثاني: السياق الأكبر: وهو سياق كلي عام يشمل القرآن الكريم بأكمله؛ ذلك أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، أو هو كالكلمة الواحدة.

- السياق المقامي: وهو ما يدعوه السياقيون (سياق الحال Context of Situation): ويشمل الظروف الخارجية للخطاب وملابساته، بما في ذلك أسباب الترول، وأحوال المخاطب، وغرض المخاطب...

ويؤكـدـ دعاـةـ تـطـبـيقـ المـنهـجـ السـيـاـقـيـ فيـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ عـلـىـ ضـرـورـةـ الـاحـتكـامـ إـلـىـ كـلـ هـذـهـ الأـنـوـاعـ مـنـ السـيـاـقـ فيـ تـفـسـيرـ النـصـ الـقـرـآنـيـ. منهـجـ سـيـاـقـيـ مـتـكـاملـ؛ فالـاقـتصـارـ عـلـىـ السـيـاـقـ الـلـغـوـيـ يـجـعـلـ النـصـ بـنـيةـ لـغـوـيـةـ مـنـفـلـقـةـ عـلـىـ نـفـسـهـاـ لـاـ تـتـجـاـزـ ماـ تـفـيـدـهـ الـأـلـفـاظـ مـنـ دـلـالـاتـ لـغـوـيـةـ. كـمـاـ أـنـ الـاقـتصـارـ عـلـىـ السـيـاـقـ الـخـارـجـيـ يـجـعـلـ الـدـرـاسـاتـ تـحـومـ حـوـلـ النـصـ وـلـاـ تـنـفـذـ إـلـىـ جـوـهـرـ دـلـالـاتـ¹.

3. توجيه دلالات ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم: بعد ما عرضنا الإطار النظري للسياق وأهميته في توجيه الدلالة، سنعالج في هذه المرحلة من البحث دلالات ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم، مستعينين بدلائلها المعجمية، معتمدين على توجيه دلائلها على سياقاتها اللغوية والمقامية.

3.1 دلالات لفظة "أب": تدل لفظة "أب" في اللغة العربية على معنى التربية والرعاية؛ جاء في مقاييس اللغة لابن فارس (ت: 395 هـ) في مادة (أ ب و): «الهمزةُ وألباءُ والواوُ يَدْلُلُ عَلَى التَّرْبِيَةِ وَالْعَنْوَرِ. أَبُوتُ الشَّيْءَ أَبُوهُ أَبُوا: إِذَا غَذَوْتَهُ. وَبِنَذِلَكَ سُمِّيَ الْأَبُ أَبَّا». وقال الخليل بن أحمد: «...وُيُقال: فلانٌ يَأْبُو هـذا الـيـتـيمـ إـبـاؤـةـ، أـيـ: يـعـذـوهـ²».

¹ - نفسه، ص 17.

² - ابن فارس، مقاييس اللغة، تحق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (د ط)، 1979، ج 1، ص 44.

**ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم** ----- د. محمد بن يحيى

كما يغدو الوالدُ ولَدَه¹. وقال المصطفوي في تحقيق كلمة "أب": «والتحقيق: أن الأصل الواحد في هذه المادة: هو التربية في جهة مادية أو معنوية، ويلحاظ هذا المفهوم يوجد للأب مصاديق حقيقة كثيرة، كالوالد، والربّ المتعال والمعلم والنبي، والجده والعم، وغيرهم من أولياء التربية. والاشتقاق منها انتراعي»².

والملاحظ أننا لا نكاد نقف في المعاجم العربية على تعريف دقيق للفظة "أب".

جاء في لسان العرب: «الأب الوالد»³. وفي معجم الدوحة التاريخي للغة العربية «الأب»: الوالدُ وَمَنْ يَقُولُ مَقَامَهُ⁴.

يُؤيدُ أنَّ هناك فرقاً بين دلالة لفظة "أب" ولفظة "والد". قال أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) في الفروق اللغوية: «...وَلَا يُسَمِّي الإِنْسَانُ وَالدَّا إِلَّا إِذَا صَارَ لَهُ وَلَدٌ، وَلَيْسَ هُوَ مِثْلُ الْأَبِ؛ لَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي التَّكْيَةِ: أَبُو فلانٍ وَإِنْ لَمْ يَلِدْ فلاناً، وَلَا يَقُولُونَ فِي هَذَا: وَالدُّ فلان...»⁵.

وقد ردت لفظة "أب" في القرآن الكريم بالإفراد والثنية والجمع، على النحو

الآتي:

اللفظ	عدد السور	عدد الآيات
-------	-----------	------------

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الملال، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج 8، ص 419.

² - حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر العالمة المصطفوي، طهران، إيران، ط 1، مادة (أب)، ج 1، ص 30.

³ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (أب)، مج 1، ص 16.

⁴ - معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، مادة: (ء ب و)، <https://www.dohadictionary.org>

⁵ - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 282.

الآفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

46	15	أب
06	04	أبوان / أبوين
64	32	آباء

(الجدول رقم 1: إحصاء لفظة "أب" في القرآن الكريم).

ومن خلال استقراء السياقات القرآنية التي وردت فيها كلمة "أب" يمكننا أن نقف على الدلالات الآتية:

الوالد البيولوجي: استعملت لفظة "أب" في القرآن الكريم للدلالة على

الوالد البيولوجي الذي انحدر الإنسان من صلبه مباشرةً. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمْرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف/68]. فالآية تتحدث عن دخول أبناء يعقوب عليه السلام مصر، فكلمة "أبوهُمْ" هنا تدل على والدهم البيولوجي الذي انحدروا من صلبه مباشرةً. ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾ [الأحزاب/40]. فالآية نفت أن يكون محمد - صلى الله عليه وسلم - أباً لزيد بن حارثة أو لأي رجل آخر. ولحظة "أب" في هذه الآية تدل على الوجود البيولوجي؛ لأنها جاءت في سياق تحريم التبني. فزيـد بن حارثة، وإن ربـاه - محمد صلى الله عليه وسلم - وتعهـد بالرعاية، فهو ليس ولـده من صلـبه، بحيث تكون له الحقوق نفسـها التي للولد على والـده. فعليـكم أن تنتـهـوا عن قولـ: زـيدـ بنـ محمدـ، وادعـوهـ لأـيهـ حـارـثـةـ. ﴿أَدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب/5].

والملاحظ أن القرآن الكريم استخدم لفظ "الأبوين" في سياق المواريث، ولم يستخدم لفظ "الوالدين". قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النَّصْفُ وَلِأَبُويهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّلْطُنُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَرَثَتْهُ أُبُواهُ فَلِأَمْمَهُ﴾



الْفَاظُ الْأَبُوَّةِ وَالْبُنُوَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

الثُّلُثُ [النساء/11]. فقد استعمل لفظة "أبويه" للدلالة على والدي الها لك اللذين انحدر من صليبيهما؛ تغليبا للأبوة على الأمة؛ لأن الأب يرث أكثر من الأم¹. ومن طريف الأسلوب القرآني أنه لم يرد في نداء الأب "يا أبي"، وكل ما ورد جاء على صيغة "يا أبتي". وجميعها وردت في سياقات التلطّف؛ إذ المنادي في كلها شيخ كبير. ومن ذلك قول يوسف لأبيه يعقوب عليهما السلام: ﴿يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلٍ﴾ [يوسف/100]. ومنه قول إبراهيم لأبيه: ﴿يَا أَبْتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابًا مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [مريم/45]. وكذلك قول ابنه شعيب لأبيها: ﴿يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَ الْأَمِينُ﴾ [القصص/26].

3.1.2. الجد: لم يستعمل القرآن الكريم لفظة "جد" للدلالة على والد الوالد أو والد الوالدة، لا بصيغة الإفراد، ولا بالثنية ولا بالجمع، وإنما استعمل لفظة "أب" للدلالة على الجد² وجد الوالد، في قوله تعالى على لسان يعقوب مخاطبا ابنه يوسف عليهما السلام: ﴿وَيُتْمِ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبْوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ [يوسف/6]. فقد استعمل لفظة "أبويك" للدلالة على جد الأب (إبراهيم) والجد (إسحاق بن إبراهيم). كما ورد على لسان يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف/38]. ذكر جد أبيه (إبراهيم)، وجده (إسحاق) وأباه (يعقوب).

¹ - فاضل السامرائي، لمساب بيانيه، <https://www.youtube.com>، فيديو منشور بتاريخ: 2012/08/19.

² - الدامغاني، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعاناتها، تحق: فاطمة يوسف الخيمي، مكتبة الفارابي، دمشق، ط1، 1998، ص36.



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن بخي

والجُدُّ بمثابة الأب؛ إذ إن له نصيبا من ميراث حفيده في حال عدم وجود الأب. كما أن له حق الولاية على أبناء ابنه اليتامي (عند الأحناف والشافعية)، زيادة على ما للجدّ من عطف وشفقة على أحفاده ما قد يفوق عطف الأب نفسه.

3.1.3 الأجداد مهما علوا: كما استعمل القرآن الكريم لفظة "أب" للدلالة على الذي انحدر الإنسان من نسله، مهما علا. ومنه قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَغْنِتُكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف/27]. فسمى آدم وحواء بأبوي البشر كُلَّهم، وسمى الناس ببني آدم.

وقد وردت الآية في سياق ذكر عصيان إبليس ورفضه الامتثال لأمر الله بالسجود لآدم عليه السلام، وكيده له ولزوجه حتى أخرجهما من الجنة، وتعهده بإغواء أبنائهما. فاستعمال لفظة "أبويكم" يحيط أولاً على أصل الإنسان، كما أن اللفظة تحمل شحنة عاطفية تدفع الإنسان إلى معاداة الشيطان معاداة من عادى أبويه اللذين ربياه وتعهداه؛ فالشيطان لم يكيد لآدم وزوجه فقط، وإنما تعهد بغاية ذريته إلى أن تقوم الساعة: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخْرَمْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَكَنَّ ذُرِيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء/62].

وإطلاق لفظة "آباء" على الأجداد الذين انحدر الإنسان من نسلهم جاري على سنة العرب في كلامها. قال زهير بن أبي سلمى [من الطويل]¹ :

فَمَا كَانَ مِنْ حَيْرٍ أَتُوهُ، فَإِنَّمَا *** تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ، قَبْلُ
وَهَلْ يُبْنِي طَحِيًّا إِلَّا وَشَيْجُهُ *** وَتُعْرَسُ إِلَيْهِ مَنَابِيَّهَا النَّخْلُ؟

¹ - أبو العباس ثعلب، شرح شعر زهير بن أبي سلمى، تحق: فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، ط 3، 2008، ص 95.



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

غير أن الملاحظ أن لفظة "آباء" الدالة على الأجداد في القرآن الكريم أكثر ما تُستعمل في سياق اتباع الخلف للسلف، سواءً أكان ذلك الاتباع في الإيمان والتوحيد أم في الكفر والشرك. وما ورد في سياق الاتباع في الإيمان والتوحيد: قوله تعالى: ﴿إِلَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّا كُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج/78]. وقوله على لسان يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف/38].

وما ورد في سياق الاتباع في الكفر والشرك قوله جل شأنه: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ. قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُلُونَ. أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾ [الشعراء/74-75].

3.1.4. العَمَّ: قد تُطلق لفظة الأب على العمّ أيضاً¹، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُلُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا تَعْبُدُ إِلَهَنَا وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة/133]. فقد أدرج تحت لفظة "آبائك": إبراهيم، وهو جد يعقوب، وإسحاق وهو أبوه، إلا أن الآية الكريمة ذكرت إسماعيل عليه السلام، وهو أخو إسحاق، أي إنه عمّ يعقوب وليس أباً أو جده.

فلم ذكر إسماعيل عليه السلام ضمن آباء يعقوب؟ إننا حينما نتأمل سياق الآيات نجد بأن ذكر إسماعيل عليه السلام حاضر في الآيات السابقة ابتداءً من سؤال إبراهيم - عليه السلام - الله تعالى إن كان عهده يشمل ذريته؟ قال تعالى: ﴿وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَنَّهُمْ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة/124]. فإسماعيل من ذرية إبراهيم عليهمما السلام. ثم ذكر تكليف الله

¹ - الدامغاني، الوجوه والنظائر، ص 36.



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

تعالى إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- بتطهير البيت الحرام: ﴿وَعَاهَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَّرَا بَيْتَنَا لِلطَّائِفَيْنَ وَالْعَاكِفَيْنَ وَالرُّكْعَ السُّجُودُ﴾ [البقرة/125]، ثم ذكر بناءهما البيت الحرام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة/127]، ثم أورد دعوكما: ﴿وَرَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة/128]. ثم أورد وصية إبراهيم ويعقوب -عليهما السلام- لأبنائهم بألا يموتون إلا على ملة الإسلام: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بْنَهُ وَيَعْقُوبُ يَا بْنَيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَنِي لِكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة/132].

لقد نزل القرآن بلسان عربي مبين، والعرب ثقل العُمَّ متلة الأَب، فقد رُوِيَ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما احتجزت قريش عَمَّةَ العباس -رضي الله عنه- قوله: "رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي". والحديث رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: «... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي، رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي، فَإِنَّ عَمَ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَقْعُلَ بِهِ قُرَيْشٌ مَا فَعَلْتُ ثَقِيفٌ بُعْرُوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ»¹. وصِنْوُ الرَّجُلِ: شقيقه. جاء في لسان العرب: «وَالصِّنْوُ: الْأَخُ الشَّتَّيقُ، وَالْعُمُّ، وَالابْنُ، وَالْجَمْعُ أَصْنَاءٌ وَصِنْوَانٌ»².

وقد نلمس في ذكر إسماعيل ضمن آباء يعقوب، وهو عَمَّة إشارة إلى وحدة الدين، فما جاء به إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ عليهم السلام يَنْبع من مصدر واحد. والله أعلم.

وقد اختلف المفسرون في دلالة لفظة "أبيه" في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَحِدُ أَصْنَامًا آلَهَةً﴾ [الأنعام/ 74]. فمنهم من ذهب إلى أن "آزر" هو والد إبراهيم

¹ - ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحق: كمال يوسف الحوت، دار التاج، بيروت، ط1، 1989، رقم الحديث: 36902، ج7، ص402.

² - ابن منظور، لسان العرب، مادة (صنا)، مج4، ص2513.

الآفاظ الْأَبُوَّةُ وَالْأَبُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ د. محمد بن يحيى

عليه السلام - على ظاهر الآية¹، ومنهم من ذهب إلى أنه عمه وليس والده؛ ذلك لأن لفظة الأب تطلق على العم أيضاً، بنص الآية: ﴿فَالْوَالِدُونَ أَعْلَمُ بِأَهْلِهِنَّ وَإِلَهُكُمْ إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ آبَايْكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة/133]، حيث ذكر إسماعيل ضمن آباء يعقوب، وهو عمه. وقد وضح الشيخ الشعراوي المسألة، مبيناً بأن في تحديده لاسمه (آزر) دليلاً على أنه عمه، وليس والده، فلو اكتفى بقوله: "أبيه"، لكان المقصود والده قطعاً. واستشهد أيضاً بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - سالف الذكر لما احتجزت قريش العباس رضي الله عنه²:

3.2 دلالات لفظة "أم": تدل الكلمة "أم" في اللغة العربية على أصل الشيء وعماده³. وقال الخليل: «واعلم أن كلّ شيء يُضم إلية سائر ما يليه، فإن العرب تسمّي ذلك الشيء أمّا»⁴. وقال أيضاً: «والأم هي: الوالدة، والجمع: الأمّهات»⁵.

وقد وردت لفظة "أم" في القرآن الكريم بصيغة الإفراد (أم)، وبصيغة الجمع (أمهات) على النحو الآتي:

اللفظ	عدد السور	عدد الآيات
أم	16	24

^١ ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، ج 7، ص 461. ومحمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، ج 7، ص 311.

² - تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، القاهرة، (د ط)، 1991، مجل 6، ص 3734.

³- ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 1، ص 21. والريبيدي، تاج العروس، تحق: عبد العليم طحاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط 1، 2000، ج 31، ص 232.

⁴ - الخليل بن أحمد، العين، ج 8، ص 426.

٤٣٣- نفسه، ج ٨، ص ٥



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

35	22	أمهات
----	----	-------

(الجدول رقم 2: إحصاء لفظة "أم" في القرآن الكريم).

ومن خلال استقراء السياقات القرآنية التي وردت فيها كلمة "أم"، نقف على الدلالات الآتية:

3.2.1. الأم الوالدة البيولوجية: أي الأنثى التي وضعت الولد. ويدل على ذلك

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا إِلِيْسَانَ بِوَالدِيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّ عَلَىٰ وَهُنِّ وَفَصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان/14]. ففي الآية الكريمة دلالة واضحة على أنّ "الأم" هي التي حملت الإنسان ووضعته وأرضعته. ومنه أيضاً قوله جلّ شأنه في الميراث: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرَثَهُ أَبُوهَا فَلِأُمِّهِ التُّلُّ﴾ [النساء/11]. واضح من السياق أن لفظة "أمّه" تدل على الوالدة التي ولدته؛ لأنها ترث دون الأم المرضعة والأم المربية. والملحوظ أن القرآن الكريم لم يستعمل في الميراث لفظة "والدين"؛ لأن في لفظة الوالدين تغليباً للأمومة على الأبوة؛ ذلك أن الأم هي التي تلد على وجه الحقيقة، أما الأب فيسمى والداً مجازاً، وإنما يستعمل لفظة "الأبوبين" ، فيغلب الأبوة على الأمومة؛ لأن النصيب الأكبر في الميراث يكون للأب¹.

كما استعمل القرآن الكريم لفظة "أم" للدلالة على الوالدة البيولوجية التي وضعت الولد في سياق الظهار: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا الَّلَّاَيِّ وَلَدُنْهُم﴾ [المجادلة/2].

¹ - فاضل السامرائي، لمساب بيانية، فيديو منشور بتاريخ:

.2012/08/19



الْفَاظُ الْأَبُوَّةِ وَالْبُنُوَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

ويتسع مدلول الأم ليشمل الجدات: أمهات الأم وأمهات الأب. قال القرطبي: «فالأم اسم لكل أنتي لها عليك ولادة؛ فيدخل في ذلك الأم دينية، وأمهاتها وجداتها، وأم الأب وجداته وإن علّون». ¹

3.2.2. المرضعة: تعد المرضعة أمّاً لمن أرضعت؛ وهي من الحرمات بنص الآية:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَائِكُمْ وَبَنَائِكُمْ وَأَخْوَاتِكُمْ وَعَمَائِكُمْ وَخَالَاتِكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَائِكُمُ الَّتِي أَرْضَعْنَكُم﴾ [النساء/23]. فقد ذكر تحريم الأم الوالدة في بداية الآية، ولما نصت على تحريم المرضعة بوصفها أمّاً ووضحت بوصف "اللاتي أرضعنكم" فالمرضعة أم في شريعة الله، وهي ليست بوالدة، فلا توارث بينها وبين ابنتها الذي أرضعها.

وعلى اعتبار أن كلمة "أم" في اللغة تدل على أصل الشيء، فكما أن الأم الوالدة أصل للولد ببولوجيا؛ فإن المرضعة أصل له أيضا؛ لأن لها دورا في تكوينه ونموه بإرضاعها إياها.

3.2.3. المربّية: يتسع مفهوم لفظة "أم" في الاستعمال القرآني ليشمل المربية التي تكفلت بتربية الطفل. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبُوهُيهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ. وَرَفَعَ أَبُوهُيهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجْدًا﴾ [يوسف/99-100]. فقد ذكرت الآية "أبويه"، والأبران لفظة تطلق على الأب والأم من باب تعليب الأبوة على الأمة.

وقد اختلف المفسرون في ما إذا كانت أم يوسف عليه السلام التي آواها إليه ورفعها على العرش مع أبيه يعقوب والدته، أم جدته، أم حالته؟ فمنهم من قال إنها أمّ

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006، ج6، ص178.



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن بخي

كانت على قيد الحياة، ومنهم من قال بأن الله أحياها له؛ لتحقيق نبوته في قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ رَأَيْنَاهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف/4]، ومنهم من ذهب إلى أنها حالتها نكحها أبوه بعد وفاة أمّه في نفاسها بأخيه بنيامين¹. وقال بعضهم: أبوه وجده أمّه². وقال الرازى: «أَنَّ الْمُرَادَ أَبُوهُ وَخَالَتُهُ؛ لَأَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ فِي الْفَاسِ بِأَخِيهِ بَنِيَامِينَ، وَقَلَّ أَنْ يَعْرَفَ أَبُوهُ وَخَالَتُهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ أَبْنُ الْوَجَعِ»، ولما ماتت أمّه تزوج أبّوه بخالتة فسمّاها الله تعالى بأحد الأبوين؛ لأن الرابطة تدعى أمّا؛ لقيامتها مقام الأم أو لأن الحالة أمّ كما أن العم أب³. و«روي عن ابن عباس، وكانت ربة يوسف، والرابة تدعى أمّا»⁴. والراجح أنها حالتها؛ فجمهور المفسّرين على أن أمّه قد ماتت في نفاسها بأخيه بنيامين.

3.2.4 زوج النبي صلى الله عليه وسلم "أم المؤمنين": أُنذِلَ اللَّهُ تَعَالَى أَزْوَاجَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

النبي - صلى الله عليه وسلم - مترلة الأمهات للمؤمنين، حيث قال جل شأنه: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أَمَهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب/6]. فزوجات النبي لسنّ أمهات للمؤمنين من طريق النسل، ولا الرّضاعة، ولا التربية، وإنما من باب التشريف، فقد «شرف الله تعالى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بأن جعلهنّ أمهات للمؤمنين، أي: في وجوب التعظيم والمبررة والإجلال، وحرمة التناكح على الرجال»⁵. قال تعالى:

¹ - ينظر: الرازى، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1981، ج18، ص214. والطبرى، جامع البيان، ج16، ص266. والقرطى، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص454. وتفسير الشعراوى، ج12، ص7074.

² - أبو حيان الأندلسى، تفسير البحر المحيط، تحق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج5، ص341.

³ - الرازى، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج18، ص214.

⁴ - أبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص341.

⁵ - القرطى، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص62.

الْفَاظُ الْأَبُوَةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ - د. محمد بن يحيى

وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوهَا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا [الأحزاب/53]. «وقيل لِمَا كَانَ شفقتَهُنَّ عَلَيْهِمْ كُشْفَةُ الْأَمْهَاتِ أَنْتُمْ لِنَ مَرْلَةُ الْأَمْهَاتِ»¹.

3.2.5. أصل الشيء: استعملت لفظة "أم" في القرآن الكريم، للدلالة على أصل الشيء². قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحَكَّمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابَهَاتٌ﴾ [آل عمران/7].

وَمَا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ "أُمُّ الْكِتَابِ" أَنَّ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ سَمِّيَتْ بِـ"أُمُّ الْكِتَابِ"؛ لِأَنَّهَا الْأَصْلُ، أَمَّا الْمُتَشَابِهَاتُ، فَهُنَّ فَرْعَوْنٌ عَنْهَا. قَالَ الرَّمَحْشَرِيُّ: «هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ أَيْ أَصْلُ الْكِتَابِ تُحْمَلُ الْمُتَشَابِهَاتُ عَلَيْهَا وَتُرَدُّ إِلَيْهَا»³. وَقَالَ أَبُو حِيَانُ: «وَمَعْنَى: أُمُّ الْكِتَابِ، مُعَظَّمُ الْكِتَابِ، إِذَا الْمُحْكَمُ فِي آيَاتِ اللَّهِ كَثِيرٌ قَدْ فُصِّلَ»⁴.

وقد سُمِّيَ اللَّهُ تَعَالَى مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ "أُمَّ الْقُرْبَى"، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُتَبَرَّرَ أُمَّ الْقُرْبَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشُورى/٧]. وَمَا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ تَسْمِيَةِ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ بـ"أُمَّ الْقُرْبَى"؛ لِأَنَّ فِيهَا الْكَعْبَةَ، وَكُلُّ النَّاسِ يُؤْمِنُونَهَا، أَوْ لِأَنَّ الْحُجَّاجَ يَأْتُونَهَا مِنْ كُلِّ صُوبٍ كَمَا يَهُبُّ وَيُسْرِعُ الْأَبْنَاءَ وَيَلْوِذُونَ بِأَمْهُمْ^٥.

¹ - نفسه، الصفحة نفسها.

² - الدامغاني، الوجوه والنظائر، ص 35.

³ - الرمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، مكتبة العيikan، الرياض، السعودية، ط1، 1998، ج1، ص528.

¹ وينظر: تفسير الشعراوي، مجلد 2، ص 1277.

⁴ - أبو حيان، البحر المحيط، مجلد 2، ص 397.

⁵ - تفسير الشعراوي، مجلد 15، ص 3788.

الْفَاظُ الْأَبُوَةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ - د. محمد بن يحيى

وقال أيضاً: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَعْثَثَ فِي أُمُّهَا رَسُولًا يَتَلَوَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا» [القصص/59]. وقد فسرت كلمة "أمها" في الآية الكريمة بمعنى العاصمة بالمصطلح الحديث، فالناس يقصدونها من قراهم لقضاء حوائجهم، فكأنها أم يشمل حناتها صغار البلاد من حولها¹.

3.3 دلالة لفظة والد(ة): تدل مادة (و ل د) في اللغة العربية على التسلّل. جاء في مقاييس اللغة: «الواوُ اللامُ والدالُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ دَلِيلُ النَّجْلِ وَالتَّسْلِلِ، ثُمَّ يُقَاسُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ». من ذَلِكَ الولدُ، وَهُوَ لِلْوَاحِدِ وَالْجَمِيعِ، وَيُقَالُ لِلْوَاحِدِ وَلُدُّ أَيْضًا. وَالْوَلِيدَةُ الْأُنْثَى، وَالْجَمْعُ وَلَائِدُ. وَتَوَلَّدُ الشَّيْءُ عَنِ الشَّيْءِ: حَصَلَ عَنْهُ². وَنصُّ الرَّبِيدِي في تاج العروس على أن: «الوالد: الأبُ، والوالدة: الأمُ، وهو الوالدان، أي تغليبا».³

وقد وردت لفظة "والد" في القرآن الكريم بالذكر وتأنيث، وبالإفراد والثنية

والجمع، على النحو الآتي:

اللفظ	عدد السور	عدد الآيات
والدان / والدين	11	20
والد	02	03
والدة	03	03
والدات	01	01

¹- نفسه، مجلد 18، ص 10976.

²- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج6، ص 143.

³- الزبيدي، تاج العروس، تحق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، (د ط)، 1971، ج 9، ص 329.



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

(الجدول رقم 3: إحصاء لفظة "والد(ة)" في القرآن الكريم).

والملاحظ أن استعمال "والـدـين" - بالثنية - جاء أكثر منه بالإفراد والجمع، حيث بلغ نسبة: 74.07% من مجموع الآيات التي ورد فيها اللفظ؛ ذلك أن مسؤولية التربية تقع على عاتقيهما معاً، وكذا البر والإحسان يكون لكتلهمما.

3.3.1. والـدـة: استعمل القرآن الكريم لفظة "والـدـ" بالإفراد والتذكير للدلالة

على الذكر الذي انحدر الإنسان من صلبه مباشرة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد/3].

كما استعمل لفظة "والـدـة" بالإفراد والتأنث للدلالة على الأنثى التي ولدت المولود لبطنها، نحو قوله: ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة/233]. وقوله على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَبِرًا بِوَالِدِتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا شَقِيقًا﴾ [مريم/32].

واستعمل اللفظ مثني "والـدان" للدلالة على الذكر والأنتى اللذين أنجبا الولد.

ومنه قوله: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الـوـالـدـانـ وـالـأـقـرـبـونـ وـلـلنـسـاءـ نـصـيبـ مـمـا تـرـكـ الـوـالـدـانـ وـالـأـقـرـبـونـ مـمـا قـلـ مـنـهـ أـوـ كـثـرـ نـصـيبـ مـفـرـوضـاـ﴾ [النساء/11].

كما استعمل اللفظ جمعاً مؤنثاً للدلالة على النساء اللواتي انحدر الولد من بطنهن، في قوله: ﴿وَالـوـالـدـاتـ يـُرـضـعـنـ أـوـلـادـهـنـ حـوـلـيـنـ كـامـلـيـنـ لـمـنـ أـرـادـ أـنـ يـُتـمـ الرـضـاعـةـ﴾ [البقرة/233]؛ فقد استعمل لفظة "الـوـالـدـاتـ" في سياق الرضاعة، ولم يستعمل لفظة "الأمهات"؛ ذلك أن الوالدة هي المكلفة بإرضاع ولدها، أمّا الأمُّ فليس بالضرورة أن تكون والدة.

كما أن القرآن الكريم لم يستعمل لفظة "الـوـالـدـ"، ولا "الأـبـ" في النفقة على المولود، وإنما استعمل "الـمـوـلـودـ لـهـ". قال تعالى: ﴿وَالـوـالـدـاتـ يـُرـضـعـنـ أـوـلـادـهـنـ حـوـلـيـنـ كـامـلـيـنـ لـمـنـ أـرـادـ أـنـ يـُتـمـ الرـضـاعـةـ وـعـلـىـ الـمـوـلـودـ لـهـ رـزـقـهـنـ وـكـسـوـتـهـنـ بـالـمـعـرـوفـ لـأـ



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم

د. محمد بن يحيى
تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالدَّةُ بُوْلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ [البقرة/233]. يقول الشيخ الشعراوي في تفسير الآية: «ولنتأمل عظمة الأداء القرآني في قوله: "وعلى المولود له" إنه لم يقل: "على الوالد"، وجاء به: "المولود له" ليكفله بالبيعت في الرزق والكسوة؛ لأن مسؤولية الإنفاق على المولود هي مسؤولية الوالد وليس مسؤولية الأم، وهي قد حملت وولدت وأرضعت والولد يُنسب للأب في النهاية... وما دام المولود منسوباً للرجل الأب، فعلى الأب رزقه وكسوته هو، وعليه أيضاً رزق وكسوة أمه التي تُرضعه بالمعروف المتعارف عليه بما لا يسبب إحراجاً وظلماً للأب في كثرة الإنفاق».¹

ولم يستعمل القرآن الكريم في سياق البر والإحسان والدعاء للوالدين لفظة "الأبوين"، وإنما استعمل لفظة "الوالدين". ولولادة الحقيقة إنما تكون من الأم، أما الأب، فهو والد مجازاً لا على الحقيقة، فاستخدام لفظة "الوالدين" في هذا السياق من باب تغليب الأمة على الأبوة، وفي ذلك تكريم للوالدة؛ لأنها هي الأحق بالصحبة². ومنه قوله: ﴿وَإِذْ أَحَدَنَا مِنْافِقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة/83]. وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبَيْنِ بِالسَّمْعُ وَفِي حَقَّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة/180].

3.4 دلالات لفظة ابن / بنت: تدل لفظة "ابن" في اللغة على تولد شيء عن شيء آخر. جاء في مقاييس اللغة: «الباء والنون والواو كلمة واحدة، وهو الشيء يتولد

¹ - تفسير الشعراوي، مجلد 2، ص 1005.

² - فاضل السامرائي، لمساب بيانيه، فيديو منشور بتاريخ: 2012/08/19



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم

د. محمد بن يحيى
عن الشيء، كابن الإنسان وغيره... ثم تفرّغ العرب، فتسمّي أشياء كثيرة بابن كذا¹.
ونص لسان العرب على أن: «الابن: الولد... والأئنة ابنة وبنّت»². وفي تاج العروس:
«والابن بالكسر: (الولد)، سُمي به لكونه بناءً للأب، فإن الأب هو الذي بناه، وجعله
الله بناء في إيجاده»³.

ووسع معجم الدوحة التاريخي للغة العربية دلالة لفظة "ابن" لتشمل سلالة
الرّجل من الذّكور، ولفظة "البنت" لتشمل سلالة الرجل من الإناث⁴.
وقد وردت لفظة "ابن" في القرآن الكريم بالتذكير، وبالتأنيث (ابنة/ بنت)،
وبالإفراد والثنية والجمع، على النحو الآتي:

اللفظ	عدد سور	عدد الآيات
بنون / بنين	31	74
ابن	21	40
أبناء	13	22
بنات	09	17
بنـي	04	06
ابـي	01	01

¹ - ابن فارس مقاييس اللغة، ج 1، ص 303.

² - ابن منظور، لسان العرب، مج 1، ص 362.

³ - الزبيدي، تاج العروس، تحق: مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط 1، 2001، ج 37، ص 224.

⁴ - ينظر: معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، مادة: (ب ن و)،



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم - د. محمد بن يحيى

01	01	ابنة
01	01	ابنٍ

(الجدول رقم 4: إحصاء لفظة "ابن/بنت" في القرآن الكريم).

ومن استقراء السياقات القرآنية التي وردت فيها لفظة "ابن" خلص إلى الدلالات

الآتية:

3.4.1. الولد المنحدر من الصلب: أطلق القرآن الكريم لفظة "ابن" على ولد الإنسان المنحدر من صلبه مباشرة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ كُتُمْ شُهَدَاءِ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ السَّمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ [آل عمران/133]. فلفظة "بنيه" في هذه الآية تدل على أولاد يعقوب -عليه السلام- المنحدرين من صلبه. ونحو قوله: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ الْبَيْتَنِ وَأَيَّدَنَا بِرُوحِ الْقُدْسِ﴾ [آل عمران/87]. فعيسي عليه السلام ولد مريم ولدته لبطنه.

وقد نفى سبحانه وتعالى صفة البنوة عن المُمْتَنِين في آية تحريم التَّبَّنِي بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب/4]. فقد حرّمت الآية الكريمة نسبة الشخص لمُمْتَنِي، وأمرت الآية التي بعدها بنسبيته إلى والده: ﴿إِذْ عُوْهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنَّ لَمْ تَعْلَمُوا أَبَاءَهُمْ فَإِخْرُوْنَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيْكُمْ﴾ [الأحزاب/5]. ولم تستعمل الآية لفظة "أولادكم"؛ لأنهم لا يقولون في المُمْتَنِي: فلان ولد فلان، وإنما يقولون: فلان ابن فلان، ناسين إياه لمُمْتَنِي؛ ذلك أن الولد لا يكون إلا منحدرا من صلب الوالد. وفي ذلك دلالة واضحة على أن المُمْتَنِي ليس في حُكم الولد، ومن ثمة فهو لا يتمتّ بالحقوق الشرعية التي للولد.



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

وقد ورد اللفظ بالإفراد والتأنيث في القرآن الكريم مرّة واحدة، في قوله: ﴿وَمَرِيمٌ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنِّبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم/12].

كما ورد بالتأنيث والثنية مرة واحدة على لسان شعيب عليه السلام في قوله: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتِي هَاتِئِنْ عَلَى أَنْ تَأْجُرِنِي ثَمَانِي حِجَاج﴾ [القصص/27].

3.4.2 نسل الإنسان: أطلق القرآن الكريم لفظة "أبناء" على نسل الإنسان من أولاد وأحفاد، ذكورا وإناثاً. ومن ذلك قوله: ﴿يَابْنِي آدَمَ حُذُّرُوا زِيَّنْتُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف/31]. فالمقصود هنا كل الجنس البشري، وليس أولاد آدم المنحدرين من صلبه. والدلالة مفهومة من السياق؛ ذلك أن الخطاب ليس موجها لأولاد آدم المنحدرين مباشرة من صلبه، وإنما هو موجه لكل الجنس البشري المنحدر من نسله. ومنه أيضا قوله: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء/104]. فبني إسرائيل المخاطبين في الآية ليسوا أولاد يعقوب عليه السلام المنحدرين من صلبه، وإنما هم المنحدرون من نسله من قوم موسى، ومن جاء بعدهم.

3.4.3 البن بالتربيّة: تطلق لفظة "بن" على من ربّي الإنسان، وإن لم يكن ولدَه من صلبه. وقد اختلف المفسرون في ابن نوح -عليه السلام- المذكور في القرآن، هل كان ولدَه من صلبه، أم ابنه بالتربيّة؟ فمنهم من ذهب إلى أنه ولدَه من صلبه، ومن ذلك ما جاء في تفسير الإمام التعلبي: «قال أبو معاوية البجلي: قال رجل لسعيد بن جبير: قال نوح إنّ ابني من أهلي، أكان ابن نوح؟ فسبّح طويلاً، وقال: لا إله إلا الله، يحدث الله محمداً صلّى الله عليه وسلم إنه ابنه وتقول ليس ابنه، كان ابنه، ولكنه كان



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن بخي

مخالفا في النية والعمل والدين، فمن ثم قال تعالى: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، وهذا القول أولى بالصواب وألْيَقُ بظاهر الكتاب»¹.

ومن الذين ذهبوا إلى أنه ليس ابنه، وإنما هو ولد امرأته من زوج آخر على²، والحسن، وابن سيرين، وعبيد بن عمير³. و«قال فَقَادَهُ سَالْتُ الْحَسَنَ عَنْهُ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا كَانَ أَبْنَهُ، قُلْتُ إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ عَنْ نُوحٍ أَكْثَرُهُ قَالَ: ﴿إِنَّ أَبْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ فَقَالَ: لَمْ يَقُلْ مِنِّي، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَكْثَرِهِ كَانَ أَبْنَ امْرَأَهُ مِنْ زَوْجٍ آخَرَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ حَكَى عَنْهُ أَكْثَرُهُ قَالَ: ﴿إِنَّ أَبْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ ﴿وَنَادَى نُوحُ أَبْنَهُ﴾ وَلَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ أَكْثَرُهُ أَبْنَهُ، فَقَالَ الْحَسَنُ: وَمَنْ يَأْخُذُ دِينَهُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؟! إِنَّهُمْ يَكْلُبُونَ»³. لقد اعتمد الحسن على السياق اللغوي للآلية في توجيهه دلالة لفظة "ابني"، فنفي أن يكون ابن نوح -عليه السلام- من صلبه، في قوله: "لَمْ يَقُلْ مِنِّي، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَكْثَرِهِ كَانَ أَبْنَ امْرَأَهُ مِنْ زَوْجٍ آخَرَ".

ولعل هذا الاختلاف راجع إلى أن لفظة "ابن" تُطلق على الولد من الصلب، كما تُطلق على الابن بالتربيـة. جاء في معجم الفروق اللغوية: «...والولد يقتضي الولادة، ولا يقتضيها الابن، والابن يقتضي أبا، والولد يقتضي والدا، ولا يُسمّى الإنسان والدا إلا إذا

¹ - الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحق: أبي محمد بن عاشر، دار إحياء التراث العربي، بيـرـوت، طـ1، 2002، جـ5، صـ172-173. وينظر: أبو حيان، البحر الحيط، جـ5، صـ226.

² - ينظر: أبو حيان، البحر الحيط، جـ5، صـ227.

³ - القرطي، الحامـع لأحكـام القرآن، جـ11، صـ135. والـثـعلـبـيـ، الـكـشـفـ والـبـيـانـ عنـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ، جـ5، صـ172.



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

صار له ولد، وليس هو مثل الأب؛ لأنهم يقولون في التكثيفية: أبو فلان وإن لم يلد فلانا، ولا يقولون في هذا: والد فلان...¹.

والراجح أنه ربيه ولد زوجته من رجل آخر؛ بدليل قوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي أَبْنَيْ مِنْ أَهْلِي﴾ [هود/45]. فأجابه الحق بقوله: ﴿فَقَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَّلَ غَيْرًا صَالِحًا﴾ [هود/46]. والله أعلم.

3.4.4 عابر السبيل: أطلقت لفظة "ابن" مُضافةً إلى "السبيل" في القرآن الكريم، مجازاً للدلالة على المسافر عابر السبيل، نحو قوله تعالى: ﴿وَاتَّى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذُوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة/177].

وقد وردت "ابن السبيل" ثانية (8) مرات في القرآن الكريم بالإفراد، ولم تأت بالشنية ولا بالجمع. وفي ذلك دلالة على أن حال عابر السبيل واحدة، سواء أكان فقيراً أم غنياً، شريفاً أموضيعاً. وما يدل على ذلك أن "ابن السبيل" اقترن في الخطاب القرآني دائماً بسياق الصدقات والإإنفاق والإحسان إليه.

3.5 دلالات لفظة "ولد": تدل مادة (و ل د) في اللغة العربية - كما سبق - على النسل². وقال المصطفوي في تحقيق الكلمة: «والتتحقق: أن الأصل الواحد في هذه المادة: هو خروج شيء عن شيء وتناجه بالتكوين منه، سواء كان في حيوان أو غيره ماديّاً أو معنوياً»³.

¹ - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص282.

² - ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج6، ص 143.

³ - حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة (ولد)، ج13، ص220.

الآفاظ الْأَبُوَّةُ وَالْأَبُوَّةُ فِي الْقُرآنِ الْكَرِيمِ د. محمد بن يحيى

وقد وردت اللفظة في القرآن الكريم بالإفراد والجمع (أولاد / ولدان) على النحو

الآتي:

اللفظ	عدد السور	عدد الآيات
ولد	18	33
أولاد	14	23
ولدان	04	06
وليد	01	01

(الجدول رقم 5: إحصاء لفظة "ولد" في القرآن الكريم).

وباستقراء السياقات القرآنية التي وردت فيها لفظة "ولد" نخلص إلى الدلالات

الآتية:

اللَّدُوْنَ الْمُنْهَدِرُ مِنَ الصُّلْبِ: اسْتَعْمَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لِفَظَةً "الْوَلَدَ" لِلدلالة

على كُلِّ مولود لوالدين، سواء أكانت ذكرًا أم أنثى، ويتبين ذلك من قوله تعالى:
 ﴿يُوصِّيْكُمُ اللَّهُ فِي أُولَادِكُمْ لِلذِّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيْنِ﴾ [النساء/11]. فالآية تبيّن أن لفظة
 "الأولاد" تشمل الذكور والإإناث المنحدرين من صلب الإنسان. «والوَلَدُ» اسم يجمع
 الواحد والكثير والذكر والأنتي». ¹ وقال أبو حيyan في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ
 مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ
 وَصِيَّةٍ يُوصِّيَنَّ بِهَا أَوْ دِيْنِ﴾ [النساء/12]: «ومعنى "كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ" أي: مِنْكُمْ أَيُّها
 الوارثون، أوًّ منْ غَيْرِكُمْ. والوَلَدُ: هُنَّا ظَاهِرُهُ أَنَّهُ مَنْ وَلَدَتْهُ لِبَطْنُهَا ذَكْرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى
 وَاحِدًا كَانَ أَوْ أَكْثَرَ».²

¹- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ولد) مج 6، ص 4914.

²- أبو حيان، البحر الحيط، ج3، ص196.



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم

ولذلك تعجبت مريم عليها السلام حينما بشرت بال المسيح عليه السلام، فقالت:

﴿رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسِسِنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران/47]، ذلك أن الولد لا يكون إلا باتصال جنسي بين ذكر وأنثى.

وقد نزّه الله تعالى شأنه نفسه عن الولد، فقال: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَخَذَ وَلَدًا﴾ [مريم/92]؛ لأن ذلك من شأن المخلوقات، لا الخالق سبحانه وتعالي.

والملاحظ أنه في آيات المواريث لم ترد لفظة "ابن" أو "بنت"؛ مما يبين الفرق بين "الولد" و"الابن" ، فـ«...الولد يقتضي الولادة، ولا يقتضيها ابن، والابن يقتضي أبا، والولد يقتضي والدا...»¹.

وقد استعملت لفظة "ولد" في القرآن الكريم على التشبيه مرتين: على لسان عزيز مصر مرة، وأخرى على لسان امرأة فرعون؛ فقال الأول لأمراته: ﴿أَكْرِمِي مَثَواهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ تَتَخَذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف/21]. أما امرأة فرعون، فقالت: ﴿فَرَأَتِ ابْنَتِهِ عَنْ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ تَتَخَذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص/9]، فالعزيز لم يكن له ولد، وامرأة فرعون لم يكن لها ولد ذكر، فأراد العزيز أن يكون يوسف -عليه السلام- له كالولد في النفع، وكذلك أرادت امرأة فرعون أن يكون لها موسى عليه السلام.

3.5.2. ولد الولد: قد تشمل لفظة "ولد" ولد الولد. قال أبو حيان: «وَالوَلَدُ حَقِيقَةٌ فِي وَلَدِ الصَّلْبِ وَيُسْتَعْمَلُ فِي وَلَدِ الابْنِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَحَاجَزٌ. إِذْ لَوْ كَانَ حَقِيقَةً بِطَرِيقِ الاشتِراكِ أَوِ التَّوَاطُعِ لَشَارَكَ وَلَدُ الصَّلْبِ مَطْلَقاً، وَالْحُكْمُ أَنَّهُ لَا يَرِثُ إِلَّا عِنْدَ عَدَمِ وَلَدِ الصَّلْبِ، أَوْ عِنْدَ وُجُودِ مَنْ لَا يَأْخُذُ جَمِيعَ الْمِيرَاثِ مِنْهُمْ»².

¹ - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص282.

² - أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص189.

--- د. محمد بن يحيى --- **الآفاظُ الْأَبْوَةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ**

3.5.3. ولدان / ولید: وردت لفظة "وليد" في القرآن الكريم مرة واحدة، وهي على وزن "فعيل" بمعنى "مفعول" أي: مولود؛ للدلالة على الصبي حديث الولادة. قال تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلَيْدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينٌ﴾ [الشعراء/18]. فقد استعمل فرعون لفظة: "وليدا". وجاءت اللفظة في سياق من فرعون على موسى عليه السلام؛ ليذكره بأمر تربيته ورعايته يوم أن كان رضيعا ضعيفا لا يقوى على شيء.

كما وردت اللفظة بالجمع "ولدان"؛ في سياق الدلالة على الأطفال الضعفاء الذين لم يبلغوا الحلم: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرِيَّةِ الظَّالِمٌ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء/75].

كما استعمل القرآن الكريم لفظة "ولدان" للدلالة على الخلق الذين يخدمون أهل الجنة، في قوله: ﴿يُطْوِفُ عَلَيْهِمْ وَلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَاسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ [الواقعة/17-18]. و"الولدان" جمع "وليد"، وهو «الغلام حين يُستَوَّصَفَ قبل أن يُخْتَلِمَ»¹.

3.6. دلّالات لفظة "ذرّية"/ "ذرّيات": تدل مادة (ذ ر) في اللغة العربية على الانتشار. قال ابن فارس: «الذال والراء المُشَدّدة أصل واحد يدل على لطافة وانتشار. ومن ذلك النُّر: صغّار النّمل، والواحدة ذَرَّة»². وفي لسان العرب: «وذرَّ اللهُ الخلقَ في الأرض: نشرَهُم»³. وقد نصت المعاجم العربية على أن «الذرّية: اسم يجمع سُلْ

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ولد)، مج6، ص4916.

² - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 2، ص 343.

³- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذرر)، مج3، ص1494.

الآفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم د. محمد بن يحيى

الإِنْسَانُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَأَصْلُهَا الْمَهْمَزُ، لَكُنُّهُمْ حَذَفُوهُ فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ إِلَّا غَيْرُ مَهْمُوزَةٍ؛¹
وَقَبِيلٌ: أَصْلُهَا مِنَ النَّدْرِ بِمَعْنَى التَّفْرِيقِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَرَّهُمْ فِي الْأَرْضِ¹.

وَفِي التَّحْقِيقِ: «وَالذَّرِّيَّةُ مُنْسُوبَةٌ إِلَى الذُّرَّةِ، أَيْ مَا يُذَرُّ وَيُنْشَرُ، وَالْيَاءُ لِلنَّسْبَةِ وَالتَّاءُ² لِلتَّأْنِيثِ باعْتِيَارِ الْكَثْرَةِ وَالْجَمَاعَةِ².

وقد وردت لفظة "ذرية" في القرآن الكريم على النحو الآتي:

اللفظ	عدد السور	عدد الآيات
ذرية	17	28
ذریات	04	04

(الجدول رقم 6: إحصاء لفظة "ذرية" في القرآن الكريم).

ومن خلال تتبعنا للسياقات التي وردت فيها لفظة "ذرية" في القرآن الكريم،
وجدنا أنها قد وُظفت للدلالة على:

3.6.1 نسل الإنسان: وهي الدلالة المعجمية للكلمة التي تحمل معنى الانتشار.

قال تعالى: ﴿وَلِئَكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمَمْنَ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ﴾ [مريم/58]. فلعله "ذرية" هنا تدل على المُنحدرين من نسل الإنسان، من أولاد وأحفاد.

^١- نفسه، مادة (ذرر)، مجلد 3، ص 1495. والزيدي، تاج العروس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، 1972، ج 11، ص 368. وأبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص 282.

²- حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة (ذر)، ج 3، ص 331.



الْفَاظُ الْأَبُوَّةِ وَالْبُنُوَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ تَجْرِي الْمُحْسِنِينَ وَرَكَرِيَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلُّ مِنَ الصَّالِحِينَ》 [الأنعام/84-85]، فذكر الله عزٌّ وجلٌّ عيسى عليه السلام - ضمن ذرية نوح عليه السلام، فقالوا ذلك من ناحية الأم؛ إذ الأم هي العنصر البشري في ولادته¹.

3.6.2. **الأولاد ضعفاء**: وقد وقينا على هذه الدلالة في السياقات التي يكون فيها الأولاد ضعفاء لا يقدرون على شيء. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَيُّوبُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ تَحْيِيلٍ وَأَعْتَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الشَّمَراتِ وَأَصَابَهُ الْكِبْرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضَعَفَاءٌ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة/266]. فقد وردت لفظة "ذرية" في سياق التمثيل الذي ساقه الله عز وجل لعاقبة من ينفق ماله رباء الناس، فهو كالذي آتاه الله جنة فيها من كل الشمار، ولكنه أصابه الكبر فأصبح ضعيفاً عاجزاً، وله أولاد صغار ضعفاء لا يقدرون على شيء، وأصاب هذه الجنة إعصاراً فاحتبرقت. فانظر مقدار الحسرة التي تعتصر قلب هذا الرجل، لا على نفسه فقط، بل على أولاده الضعفاء أكثر، وكذلك يكون حال من ينفق ماله رباء الناس حين يلقى ربّه يوم القيمة².

إن السياق هو الذي استدعي لفظة "ذرية"، فلم يقل الحق تعالى: "أولاداً ضعفاء" وإنما قال "ذرية ضعفاء"؛ فلفظة "ذرية" من مادة (ذ ر ر) التي توحّي بالضعف، ومن ذلك الذرّ: صغار التمل. والذرّة: المقدار الصغير الذي لا يعبأ به. أما لفظة "أولاد" ، فلا توحّي بالضعف، فقد يكون الأولاد أقوياء أغبياء، فتحتفّ حدة الحسرة في نفسه. واللاحظ كذلك أنه وصف الذرية بأنهم "ضعفاء" على وزن "فعلاء" ، ولم يقل "ضعافاً" على وزن "فعال" ؛ فمن سمات التعبير القرآني أنه يستعمل وزن "فعلاء" للدلالة

¹ - ينظر: تفسير الشعراوي، مج6، ص3771 - 3772.

² - ينظر: نفسه، مج2، ص1158 وما بعدها.

الآفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم د. محمد بن يحيى

على الضعف المعنوي، وصيغة "فعال" للدلالة على الضعف المادي¹. وبذلك يكون قد جمع لهم بين ضعفين: الأول دلت عليه لفظة "ذرية" الموحية بالضعف، والثاني دلت عليه الصفة "ضعفاء" التي تدلّ على الضعف المعنوي، وبذلك تتضاعف حسراً ذلك الذي يُنفق ماله رئاء الناس حين يلقى الله يوم القيمة.

ومن ذلك أيضا قوله: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرْيَةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَكِهِمْ أَنْ يَقْتَنِهِمْ﴾ [يونس/83]. استعمل القرآن الكريم في هذا السياق لفظة "ذرية" التي تدل على الضعف، ولم يستعمل لفظة "فتية" -مثلا- التي تدل على القوة والفتوية؛ فسياق الحديث عن استكبار فرعون، في مقابل ضعف قوم موسى، حتى إنه لم يتبعه إلا أولاد ضعاف، مع خوفهم من فرعون، فهم ضعاف ماديا وروحيا؛ ذلك أنهم بعد أن بناهم الله من فرعون؛ فإذا بهم يطلبون من موسى -عليه السلام- أن يجعل لهم إها. قال تعالى: ﴿وَجَاءُوا رَبِّنَا بِنَبِيٍّ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعِلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلَهَةٌ﴾ [الأعراف/138]. ولم يلبثوا طويلا بعد ذهاب موسى -عليه السلام- لمقاتلة ربهم حتى أضلهم السامي، فاتخذوا العجل إلهًا فانخرج لهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ [طه/88].

3.7 دلالة لفظة "حفيد": تدل مادة (حفد) في اللغة على معانٍ الإعانة والخدمة والإسراع والخلفة في العمل. قال ابن فارس: «الحاء والفاء والدال: أصل يدلّ على الخفة في العمل والتجمع. فالخلفة: الأعون؛ لأنّه يجتمع فيهم التجمع والتخفف، وواحدهم حاقد. والسرعة إلى الطاعة حَفْدٌ»⁽²⁾. وجاء في لسان العرب: «حفد: حَفَدْ يَحْفِدُ حَفْدًا حاقد». والمعنى أنّه يُؤمّن بالآخرين في العمل.

^١ - ينظر: فاضل السامرائي، معانٍ الأبنية، دار عمار، عمان،الأردن، ط٢، 2007، ص 146 - .147

²- ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (حفل)، ج2، ص84.



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

وَحَفَدَانَا وَاحْتَفَدَ: خَفَّ فِي الْعَمَلِ وَأَسْرَعَ . وَحَفَدَ يَحْفَدُ حَفْدًا: خَدَمَ^١ . وَقَالَ الْمُصْطَفَوِي فِي تَحْقِيقِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ: «وَالْتَّحْقِيقُ: أَنَّ الْأَصْلَ الْوَاحِدَ فِي هَذِهِ الْمَادَةِ هُوَ إِلَاعَانَةُ بَخْلُوصٍ وَسُرْعَةً»^٢.

وَقَدْ وَرَدَتِ الْفَظْةُ مَرَةً وَاحِدَةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ "حَفَدَةُ" ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحْفَدَةَ﴾ [النَّحْل/72] . وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُفْسِرُونَ فِي مَعْنَاهَا، فَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْحَفَدَةَ هُمْ وَلَدُ الْوَلَدِ^٣ ، وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ الْأَبْنَاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: الْبَنَاتُ؛ لِأَنَّهُنْ يَخْدُمْنَ الْبَيْوتَ أَتْمَّ خَدْمَةً . وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُمْ أَوْلَادُ الرَّوْجَةِ مِنْ غَيْرِ الزَّوْجِ الَّذِي هِيَ فِي عَصْمَتِهِ، وَقَالَ آخَرُونَ: هُمُ الْأَصْهَارُ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: هُمُ الْأَعْوَانُ وَالْخَدَمُ، بَلْ وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ أَنفُسِهِمْ.^٤

وَقَالَ الْمُصْطَفَوِي «وَالْتَّفَسِيرُ بِأَوْلَادِ الْأَوْلَادِ، وَإِنْ كَانَ مِصْدَاقَ الْأَعْوَانِ: غَيْرُ وَجِيهٍ فَإِنَّ كَلِمَةَ الْبَنَاتِ تَشْمِلُهَا فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ . وَأَبْعَدَ مِنْهُ تَفْسِيرَهَا بِالْخَدَمَةِ: فَإِنَّ الْآيَةَ مُصْرَّحةٌ بِكَوْنِ الْحَفَدَةِ مِنَ الْأَزْوَاجِ، وَهِيَ نِعْمَةٌ مُتَحَصَّلَةٌ فِي أَثْرِ الرَّوْجَةِ . وَالْخَدَمَةُ لَا رَبْطٌ لَهَا بِالْأَزْدَوْجَ وَالْأَزْوَاجِ»^٥ . وَذَهَبَ (الْمُصْطَفَوِي) إِلَى أَنَّ الْمَرَادَ هُمُ أَقْارِبُ الزَّوْجِ، قَالَ: «أَيِّ

^١ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (حَفَدَ)، مج 2، ص 922-923.

² - حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة (حَفَدَ)، ج 2، ص 292.

³ - تفسير الشعراوي، مج 3، ص 8078.

⁴ - ينظر: الرمخيري، الكشاف، ج 3، ص 454 . وأبو حيان، البحر المحيط، ج 5، ص 499.

⁵ - حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة (حَفَدَ)، ج 2، ص 292.



الْفَاظُ الْأُبُوَّةِ وَالْبُنُوَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

أعوانا لكم في حياتكم وبعد مماتكم، إعانة مادية ومعنوية، من أقاربها ممن يقرب بالحسب والسبب¹.

ولعل مرد هذا الاختلاف في تفسير اللفظة يرجع إلى كون "حفدة" جمع "حَافِدٌ" (على وزن اسم الفاعل)، وهو الذي يُسرع في الطاعة والخدمة؛ فمن معانى الحَافِدِ: السرعة، والعون والخدمة. جاء في لسان العرب: «حفد: حَفَدَ يَحْفُدُ حَفْدًا وَحَفَدَانًا وَاحْتَفَدَ: حَفَّ في الْعَمَلِ وَأَسْرَعَ». وَحَفَدَ يَحْفُدُ حَفْدًا: حَدَمَ الأَزْهَرِيُّ: الْحَفْدُ فِي الْخِدْمَةِ وَالْعَمَلِ الْحِفْفَةُ؛ وَأَنْشَدَ:

حَفَدَ الْوَلَائِدُ حَوْلَهُنَّ وَأَسْلَمَتْ *** بِأَكْفَهْنَ أَرْمَةُ الْأَجْمَالِ ... وَقَالَ ابْنُ شُمِيلٍ: قَالَ الْحَفَدَةُ الْأَعْوَانُ، فَهُوَ أَثْبَعُ لِكَلَامِ الْعَرَبِ مِمَّنْ قَالَ الأَصْهَارُ؛ قَالَ

فَلَوْ أَنَّ نَفْسِي طَاوَعَتِي، لَأَصْبَحْتُ *** لَهَا حَفَدٌ مِمَّا يُعَدُّ كَثِيرٌ².

ويبدو من سياق الآية أن المراد بالحَفَدَةِ هُم أَوْلَادُ الْأَبْنَاءِ، فقد جاءت اللفظة بعد ذِكْرِ الأزواج، وعُطِّفتُ على "بَنِينَ" ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾. ولعل ما يؤيد ذلك أن من طبيعة الإنسان الرغبة في أن يكون له ولد، فإن رُزقَهُ تاقت نفسه إلى أن يرى ولدَ ولدِه. فإن قيل لم لا تكون كلمة "حَفَدَةً" بمعنى البنات؛ لأنهن يخدمن البيوت أَتَمْ خدمة، وقد عُطِّفت على بَنِينَ؟ قلنا: إن البنات وإن قمن على خدمة آباءهنّ، فإن مصيرهن إلى الزواج، بل إن الأب لَيَفْرَحُ بزواجه، ابنته بدل أن تبقى عزباء في البيت لخدمته. والله أعلم.

¹ - نفسه، مادة (حَفَدَ)، ج 2، ص 293.

² - ابن منظور، لسان العرب، مادة (حَفَدَ)، مع 2، ص 922-923.



الْفَاظُ الْأُبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

3.8. دلالة لفظة "سُبْطٌ": جاء في مقاييس اللغة أن «السين والباء والطاء أصل

يدل على امتداد شيء»¹. وفي تاج العروس: «والسُّبْطُ، بالكسير: ولد الوالد، وفي المُحْكَمِ: ولد الابن والابنة. وفي الحديث: الحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَبِطَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضَيَ عَنْهُمَا². والسُّبْطُ: القبيلة من اليهود، وهم الذين يرجعون إلى أب واحد، سُمي سبطاً ليفرق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق عليهما السلام، ج: أسباط. وقال أبو العباس: سألت ابن الأعرابي: ما معنى السُّبْطِ في كلام العرب؟ قال: السُّبْطُ والسُّبْطَانُ والأَسْبَاطُ: خاصة الأولاد والمصالص منهم. وقال غيره: الأسباط: أولاد الأولاد وقيل: أولاد البنات. قلت: وهذا القول الأخير هو المشهور عند العامة، وبه فرقوا بينها وبين الأحفاد، ولكن كلام الأنتمي صريح في أنه يشمل ولد الابن والابنة، كما صرّح به ابن سيده»³.

ونصّ معجم الفروق اللغوية على أن: «أكثر ما يستعمل السُّبْطُ في ولد البنت، ومنه قيل للحسن والحسين - رضي الله عنهمَا - سبطا رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقد يُقال: للولد سبطٌ إِلَّا أَنَّهُ يُفِيدُ خلاف مَا يُفِيدُهُ؛ لأنَّ قولنا: سبط يُفِيدُ أَنَّهُ يمتد ويطول، وأصل الكلمة من السبوط، وهو الطول والامتداد، ومنه قيل: السّابط لامتداده بين الدارين... والسُّبْطُ شجر سمى بذلك لامتداده وطوله»⁴.

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 3، ص 128.

² - ينظر: الترمذى، الجامع الكبير، تحق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ط 1، 1996، ج 6، ص 118، رقم الحديث: 3775.

³ - الريبىدى، تاج العروس، تحق: عبد العليم الطحاوى، مطبعة حكومة الكويت، (د ط)، 1980، ج 19، ص 329.

⁴ - أبو هلا العسكري، الفروق اللغوية، ص 283.



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

وقال حسن مصطفوي في التحقيق في كلمات القرآن الكريم: «...فظاهر أن السبّطَ بمعنى ولدُ الولد وهو مفرد، وجمعه أسباط وهو بمعنى أولاد الولد».¹ وجاء في معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: «السبّطُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ما كَانَ مَنْزِلَةَ الْقَبْيلَةِ عِنْدِ الْعَرَبِ مِنْ أَبٍ وَاحِدٍ». ويعود أقدم استعمال موثق للكلمة إلى سنة: 64 ق. هـ في قول السموأل:

وَبَقَايَا الْأَسْبَاطِ أَسْبَاطٌ يَعْقُوبَ دَارِسِ التَّوْرَاةِ وَالتَّابُوتِ²

ومن خلال ما ورد في المعاجم نقف على الاختلاف في دلالة لفظة "سبط"، فهي تدل على ولد الابن والبنت جميعاً، ثم خُصّقت بالدلالة على ولد البنت. وتدل أيضاً على القبيلة من بنى إسرائيل الذين يرجعون إلى أب واحد.

وقد وردت كلمة "سبط" في القرآن الكريم خمس (5) مرات، بصيغة الجمع "أسباط"، وكلها تتعلق ببني إسرائيل.

والملاحظ أن اللفظة قد وردت معرفة بـ "ال" في أربع آيات، وجاءت بعد ذكر الأنبياء إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام. ومنها قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ﴾ [البقرة/140]. وجاءت نكرة في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف/160].

ومن سياق الآيات التي وردت فيها كلمة "أسباط"، نجد أنها دلت على القبيلة من بني إسرائيل الذين يعودون إلى أب واحد. قال أبو حيّان: «الأسّباطُ: جمْعُ سَبْطٍ، وهم

¹ - حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج 5، ص 41.

² - معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، مادة: (س ب ط)،



الْفَاظُ الْأَبْوَةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

في بني إسرائيل كالقبائل في بني إسماعيل، وهم ولد يعقوب اثنا عشر، لكل واحدٍ منهم أمةً من الناس¹.

والسؤال المطروح: لم حصل القرآن الكريم بني إسرائيل المنحدرين من أب واحد بل لفظة "أسباط" ولم يسمّهم "قبائل"؟

إنما حينما نتمعن في الآية **﴿هُوَ قَطَعَنَاهُمْ اثْتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْ مُوسَى إِذَا سَسَّقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بَعْصَالَ الْحَجَرَ فَابْجَسَتْ مِنْهُ اثْتَيْ عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلَمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾** [الأعراف/160]. نجد أنها:

- وردت بعد ذكر عصيان بني إسرائيل وعبادتهم العجل.

- بُدئت بلفظة "قطعنهم"، والقطع يدل على أنهم كانوا مجتمعين فقسمهم وفرقهم، فتفرقوا واحتلقو، حتى إنهم حينما استسقى لهم موسى عليه السلام، جعل الله لكل سبط منهم مشرباً خاصاً بهم.

ومن خلال السياق نلمس أن لفظة "أسباط" تدل على كثرة الانتشار والتفرق، فبني إسرائيل تفرقوا وانتشروا في الأرض، ولا يزالون كذلك حتى بعد أن أقاموا دولتهم المزعومة على أرض فلسطين². أما لفظة "قبيلة"، فتدل على الوحدة والاجتماع. قال في مقاييس اللغة: «وقبائل الرأس: شعبه التي تصل بينها الشؤون؛ وسميت بذلك لاقبال كل واحدة منها على الأخرى؛ وبذلك سميت قبائل العرب».³

وما سبق يمكننا أن نقول بأن تحصيص القرآن الكريم لفظة "الأنباط" ببني إسرائيل فيه دلالة على تفرقهم وانتشارهم في الأرض. والله أعلم.

¹ - أبو حيان، البحر الحيط، ج 1، ص 569.

² - ينظر: تفسير الشعراوي، مج 9، ص 4392 وما بعدها.

³ - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 5، ص 53.



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

3.9 دلالة لفظة "العقب": مما تدل عليه مادة (ع ق ب) في المعجم العربية:

تَأْخُرٌ شَيْءٌ وَمُجَيَّبٌ بَعْدِ غَيْرِهِ¹. وَقَالَ الْخَلِيلُ: «الْعَقِبُ: مُؤَخَّرُ الْقَدْمِ... وَعَقِبُ الرَّجُلِ: وَلَدُهُ وَوَلَدُ وَلَدِهِ الْبَاقُونَ مِنْ بَعْدِهِ. وَقَوْلُهُمْ: لَا عَقِبَ لَهُ: أَيْ لَمْ يَقِنْ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ»². وَوُرُدَ فِي الْفَرْوَقِ الْلُّغُوِيَّةِ: «الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَقِبِ وَالْوَلَدِ: أَنَّ عَقِبَ الرَّجُلِ وَلَدُهُ الْذُكُورُ وَالْإِنَاثُ، وَوَلَدُ بَنِيهِ مِنَ الْذُكُورِ وَالْإِنَاثِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يُسَمِّونَ عَقِبًا إِلَّا بَعْدَ وَفَاتَهُ»³.

وَقَدْ وَرَدَتْ لفظة "العقب" فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَرَّةً وَاحِدَةً، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف/28]. وَقَدْ فُسِّرَتْ كَلِمَةً "الْعَقِبَ" فِي الْآيَةِ بِالذُّرْيَّةِ⁴. وَسَبَقَ أَنْ تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ كَلِمَةً "ذُرْيَّةً" تُطَلِّقُ عَلَى الْأَوْلَادِ الْمُنْهَدِرِينَ مِنَ الْصُّلْبِ، كَمَا تُطَلِّقُ عَلَى نَسْلِ الْإِنْسَانِ.

وَلَعَلَ السُّؤَالُ الَّذِي يُطْرَحُ هُنَاهُ: لَمْ اسْتَعْمَلِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لفظة "عَقِبَ"، وَلَمْ يَسْتَعْمِلْ لفظة "ذُرْيَّةً"؟

حِينَما نَعُودُ إِلَى سِيَاقِ الْآيَاتِ، فَإِنَّا نَجُدُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أَعْلَنَ تَوْحِيدَهُ تَعَالَى، وَبِرَاعَتْهُ مَا يَعْدُ أَبُوهُ وَقَوْمُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف/26]، يَبِدَّ أَنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ الَّتِي قَالَهَا لَمْ تَنْقُطِعْ بِعُوتَهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنَّمَا وَرَثَهَا، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي أَوْلَادِهِ وَأَوْلَادِ أَوْلَادِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَكَلِمَةً "ذُرْيَّةً" وَإِنَّمَا كَانَتْ تُطَلِّقُ عَلَى الْأَوْلَادِ الْمُنْهَدِرِينَ مِنَ الْصُّلْبِ، كَمَا تُطَلِّقُ عَلَى نَسْلِ الْإِنْسَانِ، إِلَّا أَنَّهَا

¹ - ينظر: نفسه، ج 4، ص 77.

² - الخليل، كتاب العين، ج 1، ص 178.

³ - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص 283.

⁴ - ينظر: الرحمنشري، الكشاف، ج 5، ص 436. وأبو حيان، البحر المحيط، ج 8، ص 13. وتفصير الشعراوي، مج 22، ص 13884.



الْفَاظُ الْأَبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

لا تدل على أن هؤلاء الأولاد قد بقوا من بعده، فقد يفقد الإنسان أولاده، وحتى أولاده أولاده في حياته. أما كلمة "عقب" فإنها تدل قطعا على أن هؤلاء الأولاد وأولادهم قد عاشوا موحدين الله من بعده عليه السلام. ولعل كلمة "عقب" في الآية تشملنا نحن المسلمين اليوم، فقد قال جل شأنه: ﴿هُمْ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاًكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج/78]. والله أعلم!

4. **الخاتمة:** وفي ختام هذا البحث الذي حاولنا فيه إبراز دور السياق في توجيه دلالات ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم، يمكننا أن نخلص إلى مجموعة من النتائج. ونقسمها قسمين: نتائج عامة، تتعلق بدراسة السياق القرآني، ونتائج خاصة، تتعلق بدلالات الألفاظ المدروسة في المقال:

- النتائج العامة: ونلخصها في الآتي:

- كان لمفهوم السياق حضور لافت في التراث العربي؛ فقد مارسه علماؤنا بمختلف اهتماماتهم العلمية؛ إذ استأنس به النحاة في تعريف القواعد، والأصوليون في استبطاط الأحكام الشرعية، واعتمده البلاغيون في تأصيل قواعد الكلام وشروط إنتاج الخطاب، والمفسرون في محاولة الكشف عن معانٍ القرآن الكريم، وتأويله مشكّله.

- هناك فرق بين مفهوم "المقام" المرتبط بمقتضى الحال في البلاغة العربية، ومفهوم "سياق الحال Context of Situation" في نظرية السياق الغربية؛ إذ إن مفهوم "سياق الحال" أوسع من مفهوم "المقام". والباحث في السياق القرآني مدعو للاستفادة من كليهما.

- للسياق بنوعية: اللغوي، والمقامي (سياق الحال) الدور الأكبر في توجيه دلالة الكلمة، كما أن له دورا مهما في توجيه دلالة البنية الصوتية، والصيغة الصرفية، والبنية الترکيبية في النصوص.

الآفاظ الْأَبُوَّةُ وَالْأَبُوَّةُ فِي الْقُرآنِ الْكَرِيمِ د. محمد بن يحيى

- البحث في السياق القرآني مجال خصب، ومن شأنه الوصول إلى نتائج طيبة في فهم دلالات القرآن الكريم، من خلال دراسة سياقاته اللغوية في مستويات التحليل اللساني: الصوتي، والصرفي، والتركيبي، والمعجمي، وربط كل ذلك بالسياق اللغوي، وبالمقام (سياق الحال).

- إن النص القرآني نصٌّ مُعْجَزٌ تحدّى اللهُ به الجنَّ والإنسَ أن يأتوا بمثله، ولذلك هو باقٌ على افتتاحه على مزيدٍ من الدراسات، ومنها الدراسات السياقية التي من شأنها الكشفُ عن مزيدٍ من الأسرار التي لم يُتَحْ كَشْفُها للسابقين؛ ذلك أن الباحث المعاصر يمتلك من الأدوات المنهجية ومن الحقائق العلمية ما لم يتوفّر للسابقين.

- إن المتبع للدراسات اللسانية المهمة بلغة القرآن الكريم ليلحظ أن "نظريّة السياق القرائي" قد بدأت تتشكل معالّمها نهاية القرن الماضي، وهي تتطور يوماً بعد يوم. غير أنها ندعو الباحثين في هذا المجال إلى ضرورة الانطلاق من التراث في دراسة السياقات القرآنية، مع الاستعانة بالنظريّات اللسانية الحديثة بما يتلاءم وخصوصيّة القرآن الكريم، ونظام اللسان العربي الذي به نزل.

- النتائج الخاصة: من خلال تتبع السياقات القرآنية التي وردت فيها الألفاظ الأبوة والبنوة، يمكننا أن نحصر دلالات تلك الألفاظ في الآتي:

- لفظة "أب": تدل على الوالد البيولوجي الذي انحدر الإنسان من صلبه، وعلى الجدّ مهما علا، كما تُستعمل للدلالة على العم أيضا. في حين لا تطلق لفظة "الوالد" إلا على الذّكر الذي انحدر الإنسان من صلبه.

- لفظة **أُم**: تشمل الأنثى التي وضعت الولد، وجدّاته، والمرضعة التي أرضعته، والمربيّة التي ربّته. كما تطلق، من باب التكريم، على أزواج النبي صلّى الله عليه وسلم،



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

مضافة إلى المؤمنين "أمّهات المؤمنين". ولا تطلق لفظة "الوالدة" إلا على الأشّي التي ولدت المولود لبطنها.

- لفظة "ابن" / "بنت": تدل على الولد المنحدر من الصّلب، وعلى نسل الإنسان من أولاد وأحفاد، ذكورا وإناثاً، كما تطلق على من ربّي الإنسان، أما لفظة "الولد"، فلا تطلق إلا على الولد المنحدر من الصّلب، سواءً أكان ذكراً أم أنثى، وقد تطلق على ولد الولد.

- لفظة "ذرية": تطلق على الأولاد المنحدرين من الصّلب، كما تطلق على نسل الإنسان.

- لفظة "الحفيد": تستعمل للدلالة على ولد الابن، ويقابلها "السبط" وهو ولد البنت. وقد خُصّص الجمّع "أسباط" بالدلالة على بين إسرائيل المنحدرين من أب واحد؛ لانتشارهم وتفرقهم.

- لفظة "العقب": تدلّ على أولاد الإنسان وأولاد أولاده (من الذكور والإثاث) الباقيين من بعده.

5. قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

5. 1. الكتب:

– المصادر العربية القديمة:

- الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد. ت: 370هـ)، *تهدیب اللغة*، تحق: عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ج 9.

- الترمذی (أبو عیسیٰ محمد بن عیسیٰ. ت: 279هـ)، *الجامع الكبير*، تحق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996، ج 6.



اللَّفَاظُ الْأَبْوَةُ وَالْبُنْوَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ————— د. محمد بن يحيى

- **اللهانوي** (محمد علي. ت: نحو: 1158هـ / 1745م)، *كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، تحق: علي درحوج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996، ج.1.
- **ابن تيمية** (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. ت: 728هـ)، *مجموع الفتاوى*، تحق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1425هـ / 2004م، ج.6.
- **ثعلب** (أبو العباس أحمد بن يحيى. ت: 291هـ)، *شرح شعر زهير بن أبي سلمى*، تحق: فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، ط3، 2008.
- **التعلبي** (أبو إسحاق أحمد. ت: 427هـ) *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، تحق: أبي محمد بن عاشرور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002، ج.5.
- **الماحظ** (عمرو بن بحر. ت: 255هـ) *البيان والتبيين*، تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج.1.
- **الجرجاني** (عبد القاهر. ت: 471هـ) *دلائل الإعجاز*، تحق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984.
- **ابن جني** (أبو الفتح عثمان. ت: 392هـ) *الخصائص*، تحق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983، ج.1.
- **أبو حيان الأندلسي** (محمد بن يوسف: ت: 745هـ) *تفسير البحر الخيط*، تحق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج1، وج2، وج3، وج5، وج8.
- **الدامغاني** (أبو عبد الله محمد بن علي: ت: 478هـ) *الوجوه والنظائر للفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها*، تحق: فاطمة يوسف الخيمي، مكتبة الفارابي، دمشق، ط1، 1998.
- **الرازي** (فخر الدين. ت: 604هـ) *التفسير الكبير ومفاتيح الغيب*، دار الفكر،



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

بيروت، ط 1، 1981، ج 18.

- الريبيدي (محمد مرتضى الحسيني: ت: 1205هـ)، *تاج العروس من حواهر القاموس*، تحق: عبد السtar أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، (د ط)، 1971، ج 9.
—، تحق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، (د ط)، 1972، ج 11.

—، تحق: عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، (د ط)، 1980، ج 19.

—، تحق: عبد العليم طحاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط 1، 2000، ج 31.

حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط 1، 2001، ج 37.
— الزركشي (بدر الدين. ت: 794هـ)، *البرهان في علوم القرآن*، تحق: أي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، (د ط)، 2006.

— الرمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر. ت: 538هـ)، *الكشاف عن حقائق غوامض الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأویل*، تحق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط 1، 1998، ج 1، وج 3، وج 5.

— سيبويه (عمرو بن بشر. ت: 180هـ)، *الكتاب*، تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988، ج 1.

— السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين. ت: 911هـ)، *الإتقان في علوم القرآن*، تحق: مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، 1426هـ / 2006م.



اللـفـاظـ الـأـبـوـةـ وـالـبـنـوـةـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ د. محمد بن يحيى

- الشافعي (محمد بن إدريس. ت: 204هـ)، الرسالة، تحق: أحمد محمد شاكر، مكتبه الحلبي، القاهرة، ط1، 1358هـ / 1940م.
- ابن أبي شيبة (أبو بكر عبد الله بن محمد. ت: 235 هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحق: كمال يوسف الحوت، دار التاج، بيروت، ط1، 1989، ج. 7.
- الطبرى (محمد بن حرير. ت: 310 هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحق: محمد محمود شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420 هـ / 2000م.
- العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. ت 395 هـ)، الفروق اللغوية، تحق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، (د ت)، (د ط).
- ابن فارس (أبو الحسين أحمد. ت: 395هـ)، مقاييس اللغة، تحق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (د ط)، 1979.
- الفراهيدي (الخليل بن أحمد. ت: 175 هـ)، كتاب العين، تحق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج. 1.
- القرطبي (محمد ابن أحمد بن أبي بكر. ت: 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006، ج. 6، وج 11، وج 17.
- ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر. ت: 751هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ / 1991م، ج. 1.
، بدائع الفوائد، تحق:
- علي محمد العمران، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، المملكة العربية السعودية، (د ط)، (د ت)، ج. 4.
- ابن منظور (محمد بن مكرم. ت: 711 هـ)، لسان العرب، تحق: نخبة من الأساتذة،



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

دار المعارف، القاهرة، (د ط)، (د ت)، مج 1، مج 2، مج 3، مج 4، مج 6.

المراجع العربية الحديثة والمتروحة:

- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط 5، 1998.

- أوelman (ستيفن) (Stephen Ullman)، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر، مكتبة الشباب، عمان، الأردن، (د ط)، 1986 م.

- بالمر (فرانك روبي) (Frank Robert Palmer)، علم الدلالة إطار جديد، تر: صبرى إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د ط)، 1995.

- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د ط)، 2001.

- قرينة السياق، بحث قدُّم في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم مطبعة عبر للكتاب، القاهرة، (د ط)، 1413 هـ / 1993.

- مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د ط)، 1990.

- جيرو (بيير) (Pierre Giraud)، علم الدلالة، تر: منذر عياشى، دار طلاس، دمشق، ط 1، 1988.

- السامرائي (فاضل)، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الأردن، ط 4، 2006.

- الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 2000.

- معاني الأبنية، دار عمار، عمان، الأردن، ط 2، 2007.



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

——— ، معاني التحوـ،

دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2000، ج.4.

— السعران (محمود)، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار النهضة العربية، بيروت، (د ت)، (د ط).

— الشعراوي (محمد متولي). ت: 1419هـ / 1998م، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، القاهرة، (د ط)، 1991، ج2، وج3، وج6، ج12، وج15، وج22.

— ابن عاشور (محمد الطاهر). ت: 1393هـ / 1973م، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، (د ط)، 1984، ج5، وج7.

— فندريس (جوزيف) (Joseph Vendryes)، اللغة، تر: عبد الحميد الدواхи و محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د ط)، 1950.

— محمد حماسة عبد اللطيف، التحوـ والدلالة (مدخل لدراسة المعنى التحوي — الدلالي)، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000.

— محمد رشيد رضا (ت: 1354هـ / 1935م)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990، ج7.

— المصطفوي (حسن). ت: 1426هـ / 2005م، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر العالمة المصطفوي، طهران، إيران، ط1، (د ت).

— نواري سعودي (أبو زيد)، الدليل النظري في علم الدلالة، دار المدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2007.

1.5.2 المجلـات:



ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم ————— د. محمد بن يحيى

- علاوي (الخامسة)، **السياق وإنما المعنى** (قراءة تأصيلية نقدية في نظرية السياق القرآني)، مجلة المعيار، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، مج 17، ع 33.

5.3. الملتقىات:

- عادل رشاد غنيم، **المنهج السيادي وأثره في تطوير دراسات التفسير**، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1434/4/6 هـ / 2013/02/16 م.

5.4. الواقع الإلكتروني:

- فاضل السامرائي، **مسارات بيانية**، <https://www.youtube.com>، فيديو، منشور بتاريخ: 2012/08/19.

- **معجم الدوحة التاريجي للغة العربية**

<https://www.dohadictionary.org>

- محمد سالم صالح، **أصول النظرية السيادية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى**

<http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=21849>

نشر بتاريخ: 2017/01/05.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسطنطينية الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 360-335 تاريخ النشر: 2021.03.25

ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني the foundations of arkoun reading the quran

د. جمال صالح

djamal4580@gmail.com

جامعة ابن علدون - تيارت

تاريخ القبول: 2020|11|19

تاريخ الإرسال: 2020|02|19

الملخص:

إنّ ما يُعرف اليوم بالقراءات المعاصرة للقرآن الكريم؛ هي تلك المحاولات التي استعانت بالمناهج النقدية الحديثة في تأويل النصوص، المستعارة من الفكر الغربي المعاصر من خلال عملية (إسقاط منهجي)، دون مراعاة خصائص الفكر العربي عموماً، ثم النص القرآني خصوصاً، وتعتبر قراءة محمد أركون واحدة من أهم المشاريع الفكرية التي حاولت أن تصطحب المنجز العلمي في الغرب، لتأسيس رؤية جديدة في تناول النص القرآني، بناء على آخر ما أبْنَزَتِه النظريات النقدية الحديثة، التي أفرزت آليات وأساليب حديثة في فهم النص، غيرت كثير من المفاهيم، كتحويلها سلطة إنتاج المعنى للمتلقي على حساب المؤلف... الخ.

الكلمات المفتاحية: أركون؛ القراءة؛ ركائز؛ النص؛ القرآن؛

ABSTRACT:

What is known today as contemporary readings of the Quran; are those attempts that used the critical modern ways in the interpretation of texts, borrowed from contemporary Western thought through the process of (systematic projection), without taking into account the Arab thought



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ----- د. جمال صالح

characteristics, and the Quranic text in particular. These intellectual projects have tried to take the scientific achievement in the West, to establish a new vision in dealing with the Quranic text, based on the latest achievements of modern critical theories, which produced modern mechanisms and methods in understanding the text, it changed many concepts; like transforming the authority of producing of meaning to the receiver over the author account ...etc

Keywords: arkoun; readings; contemporary; word; the Quran

المقدمة:

شهدت المعرفة في القرن الأخير تحولات عميقة، كان لها الأثر الكبير على العلوم الإنسانية عموماً، فهي بقدر ما وسّعت من مساحة البحث وآلياته، فقد ألزمت العقل العربي بإعادة قراءة تراث هذه الأمة وفق أسس ومناهج جديدة، وامتد هذا الإلزام إلى القرآن الكريم وعلومه، فظهر ما يعرف اليوم بالقراءات القرآنية المعاصرة، التي عنيت بتوظيف المنجز المعرفي المعاصر في قراءة النص القرآني.

وفي هذا الصدد يأتي مشروع محمد أركون كأحد أبرز المشاريع التي تناولت النص القرآني بناء على ذلك.

وتأتي هذه الدراسة لتسلیط الضوء على أهم الأسس النظرية والفكيرية التي بين عليها أركون قراءته للنص القرآني.

فما هي هذه الأسس التي شكلت المنطلقات الحقيقة لدى أركون في تعامله مع القرآن؟ وما أهم مميزاتها؟

وقد قسمت البحث إلى مباحثين، المبحث الأول: ماهية القراءة، ويتضمن ثلاثة

مطالب:



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ----- د. جمال صالح

المطلب الأول: مفهوم القراءة، المطلب الثاني: مفهوم القراءة في سياق الاستعمال الخدائي العربي، المطلب الثالث: سمات القراءة الأركونية. البحث الثاني: أنسنة القراءة الأركونية، ويتضمن مطليين: المطلب الأول: أنسنة النص القرآني، المطلب الثاني: عقلنة النّص القرآني وخاتمة تم فيها رصد أهم التّنائج.

متبعاً في هذا كله المنهج الوصفي ومستعيناً في كثير من الأحيان بالمنهج الاستقرائي من خلال استدعاء بعض النصوص والجزئيات التي يتسم بها المنهج الأركوني في عمومه.

المبحث الأول: ماهية القراءة.

المطلب الأول - مفهوم القراءة

— **تعريف القراءة لغة:** ليس من السهل على الباحث ضبط مفهوم كلمة "القراءة" في المعاجم اللغوية قديمها وحديثها، وبين ما هو متداول اليوم في الدراسات المعاصرة المهمة بتأويل النصوص عموماً، بما في ذلك النص الديني. فقد جاء لفظ القراءة في لسان العرب كأحد المصادر الثلاثة للجذر اللغوي "قرأ".

يقول ابن منظور: «ق ر أ: قرأه يُقْرِءُهُ وَيُقْرَأُهُ، ...، قرءاً وقراءة وقراءاناً، ... فهو مقرءٌ ... وقرأت الشيء قراءاناً، جمعته وضممت بعضه إلى بعض ... ومنه قولهما ما قرأت هذه الناقة سليقطّ، وما قرأت حنيناً قطّ، أي لم يضطّل رحّمها على ولد، وقال: قال أكثر الناس معناه: لم تجتمع حنيناً ... وقرأت الكتاب قراءة وقراءاناً ومنه سمي القراءان... قال ابن الأثير: «تكرر في الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقارئ والقراءان، والأصل في هذه اللفظة الجموع وكل شيء جمعته فقد قرأ الله...»¹

¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تعلق: خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث، ط1، 2008، ج 11،

ص 70.



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ----- د. جمال صالح

وقد جاء في مختار الصحاح "قرأ الشيء قُرءَانًا" بالضم أيضاً جمعه وضمّه، ومنه سمّي القراءان لأنّه يجمع السور ويضمّها...¹

ويريد لفظ القراءة في المعاجم اللغوية المعاصرة: "قرأ يقرأ قراءة وقراءانا فهو قارئ، والمفعول مقوء، قرأ الكتاب ونحوه، تتبع كلماته نظراً، نطق بها أو لا، وقرأ الآية من القرآن تلاها، نطق بها عن نظرٍ أو عن حِفْظٍ² وجاء في معجم اللغة العربية بالقاهرة المعجم الوسيط في مادة "قرأ": "تتبع كلمات النص المكتوب نظراً سواء وقع النطق بها "قراءة جهرية" أو لم يقع "قراءة صامتة"³، هذا على مستوى المعاجم.

كما عَرَفَ مفهوم القراءة تَغْيِيرًا واضحًا حيث انتقل من المعنى البسيط الشائع إلى المعنى النبدي المعقد يقول محمد عدنان سالم "لقد تطور مفهوم القراءة من المعنى البسيط السهل الذي يتمثل في القدرة على التعرف على الحروف والكلمات والنطق بها صحيحة وهذا — الجانب الآلي من القراءة — إلى العملية العقلية المعقّدة التي تشمل الإدراك والتذكر والاستنتاج والربط ثم التحليل والمناقشة"⁴

أما على مستوى الدراسات الأدبية فهو يعني فك شفرة الخبر المكتوب وتأويل

نص أدبي ما⁵

¹ - محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الفكر، الأردن، ط1، 2007، ص241.

² - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2008م، ج 3، 1789.

³ - مجمع اللغة العربي بالقاهرة، المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، ص722.

⁴ - مجمع اللغة العربي بالقاهرة، المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، ص722.

⁵ - ينظر: سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985م، ص 502.



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ----- د. جمال صالح

ويرى عبد المالك مرتاض أن القراءة "تقوم على الذوق الحالص، فيغري المتأخر بإعادة النظر في قراءة المتقدم"¹ وعليه فالقراءة ليست عملية سكونية مغلقة بل هي عملية دينامية فعالة تشهد حرکة وقابلية للتتوالد والتوجه²

ثم إن مفهوم القراءة مقترب بـ "التأويل" فكل قراءة كما قيل تأويل، وكل تأويل قراءة فيصيران متلازمين، أي متكافئين، فيحوز الاستغناء بأحدهما عن الآخر، وقد نستغني بلفظ "التأويل" عن استعمال لفظ "القراءة" مadam لفظ التأويل مقررا في الاستعمال ومتداولا في التراث، كما أن القراءة مفهوم منقول قلق؛ إذ اضطرب فهمه في موطنه كما اضطرب تصنيعه عند نظرية من المعاصرین اضطرابا³

فمصطلح القراءة من المصطلحات التي خضعت للتطور في ظل التقدم الحاصل على مستوى المدارس النقدية الحديثة .

المطلب الثاني: مفهوم مصطلح "القراءة" في سياق الاستعمال الحديث العربي.

إن مصطلح "القراءة" من المصطلحات التي حظيت بحفاوة كبيرة في المؤتمرات الفكرية والندوات العلمية؛ إذ يجده الكثير من الباحثين ويستخدمه العديد من الكتاب، ربما لما يحمله من تحرير فكري وإبداعي، أو لأنّه يحفظ للجميع خصوصياتهم وأرائهم،

¹- عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2003م، ص 77

²- ينظر: مولاي علي بو خاتم، مصطلحات النقد العربي السيميائي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق ط2005م، ص 262.

³- ينظر: طه عبد الرحمن، سؤال المنهج في افق التأسيس لأنموذج فكري جديد، جمع وتقديم رضوان مرحوم، لبنان، المؤسسة العربية للفكر والابداع، ط1، 2015. ص 45



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ----- د. جمال صالح

ويفسح لهم المجال واسعاً ليقولوا ما شاؤا تحت هذه المظلة مظلة "القراءة" التي تقييم نزعات الإيديولوجيا، وعصبية المقدس، خاصة إذا تعلق الأمر بالنص القرآني. بيد أنه ليس من السهل ضبط هذا المصطلح بمفهومه الحدائي، إلا بعد النظر الفاحص في استعمالاته، والتدقيق العميق في إطاراته، إذ تراه يتآرجح بين مجموعة من المفاهيم المختلفة، بل والمتضادة أحياناً؛ وذلك لاختلاف أصحاب القراءات في المنهج والآيديولوجيات، فلكلٍ خلفية علمية معينة، ومسابقات فكرية خاصة تفرض عليه نطاً ما في محاولة وصوله لمعاني النصوص، غير أنها في الغالب الأعم تصب في إناء واحد؛ إذ هي تحريرُ النص القرآني من قدسيته والتعامل معه كأي نصٍّ بشريٍّ، وإخضاعه للنقد المجرد من الضوابط التي أسسها الأوائل باعتباره نصاً ربانياً متعالياً يحمل وحيًّا وإعجازًا.

وربما يرجع ذلك إلى أنَّ النقد الأدبي، والغري خاصَّةً، هو الذي أسس لفكرة حرية القراءة والإبداع ليتقلَّ تطبيقها بعد ذلك على النصوص الدينية عموماً، والنَّص القرآني خصوصاً على أيدي رواد الحداثة العرب، لِذَّا أصبحت القراءة تتَّلَوْنَ وتتَّعدَّ بتنوع أصحاب هذه القراءات.

إنَّ ممارسة فعل "القراءة" في الفكر الحدائي على أي نصٍّ، يشترط بالضرورة تعدد دلالات ذلك النص، بـ "تغير آفاق القراءة مكانياً أو زمانياً وتتصبح القراءة إبداعٌ نصٌّ على نصٍّ"¹

فهذا محمد أركون يجعل عنوان مشاريعه الفكرية، خاصة المتعلقة بالقرآن الكريم "قراءات" حيث وسمها بـ "قراءات في القرآن"² مؤكداً على خصوصية التعدد.

¹ نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، القاهرة، سينا للنشر، ط2، 1994، ص142.

² محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر: صالح هاشم، بيروت دار الطليعة، ط2، 2005، ص5.



ركائز القراءة الأركنونية للنص القرآني ----- د. جمال صالح

فالنصوص أمام القراءة سواء، وعلى النص القرآني كمثله من النصوص أن يستجيب لكل فكرٍ ولكل قراءةٍ مهما كانت؛ لأن "كل قراءة في الواقع المعطى تخلق واقعها، أي تشكل معطى حديداً يسهم في تغيير الواقع ... وكل قراءة في النص تشكل "واقعة مضافة" كما أن كل قراءة في الواقع تسهم في تجديد النصوص والمعنى"¹.

كلام يبوئ كل ذي نحلةٍ وفكيرٍ، بلغ ألم يبلغ شروط وآليات التعامل مع القرآن الكريم أن يقول ماشاء، بدعوى أنه ليس من حق أحدٍ أن يحتكر فهم معاني آيات الترتيل، كما يمكن للقراءة عند الحداثيين أن تتجاوز و تتعدى، بل تلغى النص بالملطلق، فـ "قد تكون أي القراءة — شرحاً للنص أو تفسيراً له، وقد تتعدى التفسير والشرح لكي تكونا تأويلاً، وصرافاً لما يحتمله الكلام من المعانٍ والدلالات؛ ولكن قد تتعدى التفسير والتأويل، فتتجاوز المؤلف ومراده، أو المعنى واحتمالاته لتكون تшиريحاً وتفكيكًا للبني والآليات والمؤسسات التي تسهم في تشكيل الخطاب وإنتاج المعنى"².

وكان المقصود من "القراءة" ليس فهم المعانٍ التي يريد بها صاحب النص بل بتجاوزها والآليات الموصولة إليها لحد التفكك والتراكيب بما يتاسب والقارئ (المتلقي) لأن "القراءة التي تقول ما يريد المؤلف قوله لا مبرر لها أصلًا، لأن الأصل أولى منها ويعني عنها، إلا إذا كانت القراءة تدعى أساساً أنها تقول ما لم يحسن المؤلف قوله وفي هذه الحالة تغنى القراءة عن النص وتصبح أولى منه وهكذا فشمة قراءة تلغى النص"³

¹ - علي حرب، هكذا أقرأ ما بعد التفكك، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005، ص21.

² - المرجع نفسه ص25.

³ - علي حرب، نقد النص، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993، ص20. في هذا الكلام إشارة إلى نظرية ما اصطلح عليه بـ"موت المؤلف" التي دعا إليها الناقد الفرنسي رولان بارت وغيره،



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ————— د. جمال صالح

بهذه الطريقة تصبح القراءة تغييرًا للمعنى وتحويرةً لمقاصد المؤلف وإنتاجًا لمعانٍ أخرى قد تكون منافية لما يريد صاحب النص؛ لتنقطع الصلة تمامًا بين النصّ وقائله، ويكتسر القارئ على المؤلف ويستأثر بتكييف النصّ واستنطاقه وتأنفه كيما شاء.

كل هذا إنما القصد منه التحديد كما يراه رواده؛ والانفلات من عباءة القدماء والاستعانت بالآليات الحداثية الجديدة التي تستلهم من العلوم العديدة في استنطاق النص، لستعدى بذلك ما عليه كتب التراث، ولعل هذا الولع بالجدة والتجديد هو ما أخذ كثيراً من الكتاب أياً ما أخذ في الطعن والتحامل على المقدسات يقول حسن حنفي "نشأ التراث من مركز واحد وهو القرآن والسنة ولا يعني هذان المصدران أي تقديس لهما أو للتراث"¹

فقدسية المصدر إذاً هي الحال للقراءة الصحيحة السليمة الجديدة، وهي "السياج الدوغمائي المغلق"² الذي يجعل من التراث محكوماً بمنطق زائف جامد يحتاج لرؤية تجدیدية تحريرية، يقول طيب تيزيني في إطار رؤيته التجددية "إن هذه المحاولة التجددية وما يتصل بمعجميتها أريد لها أن تبدو تحريراً للموقف الأصوليوي من زيفة المنطقية وفضاضته الأدبيولوجية الجمودية"³.

واشتد عودها مع الطرح النبيوي الذي يقصي سلطة المؤلف في إنتاج الدلالة وهيمنته على النص، وإعطاء القارئ كامل السلطة في عملية التأويل والقراءة وبالتالي إنتاج الدلالة بما لا يدع للمؤلف مجالاً فيها.

¹ - حسن حنفي، التراث والتجديد موقعنا من التراث القديم، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 4، 1992م، ص 154.

² - محمد أركون، المصدر السابق، ص 7.

³ - طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، دمشق، دار الينابيع، ط 1997، ص 29.



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ----- د. جمال صالح

فالقراءة الجديدة هي التي تتبنى منهج الهدم؛ هدم المتعالي والمقدس والمطلق وإطلاق العنوان للقارئ لإعمال فكره بلا قيد ولا ضابط .

ثم إن القراءة التي ينشدُها الحداثيون، والتي ينبغي أن تكون جديدة منفصلة عن كل قراءة سابقة، ينبغي أيضاً أن تفصل في الآليات الموصولة للمعاني والدلالات، على اعتبار أن المحدد للآليات هو طبيعة الأسئلة، وبذلك يقع التمايز بين قراءة وأخرى في الآليات والمالات، وتصبح القراءة فعلاً منتجة.

هذا ما يؤكده صاحب إشكاليات القراءة في "طبيعة الأسئلة تحديد للقراءة آلياتها...وبذلك تكون القراءة منتجة"¹، بخلاف القراءة الإيمانية² فهي قراءة مسجونة منغلقة، لا يمكن أن تُتيح للباحث كشفاً علمياً ولا فهماً سليماً للقرآن، بفعل القيود المسلطة عليه إيمانياً، إذ تُبقيه تحت وطأة الضوابط الصارمة، والحدود المحرّمة التي تَحْجُبُ عن المعانٰي، فلا ينفك قابعاً في سياجه الدوغمائي؛ بل عليه أن يتجرّد من ذلك كله ويتحرّر، ليترمّي في أحضان القراءة المتسكّعة المتشرّدة؛ لأنّها هي وحدها ما يمكنه أن يتحقق القراءة المنتجة، وهي التي يدعو إليها أركون ويلحمل بها إذ يقول "فيما يتعلق بالقرآن

¹ - نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط7، 2005، ص6.

² - قد ذكر أركون هذه القراءة وأفردها كعنصر للدراسة؛ ويقصد بها الدراسات القراءات والتفسيرات التي تتلزم بضوابط التفسير العامة، وتعامل مع النص القرآني باعتباره نصاً مقدساً، يُنظر: محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، بيروت، دار الساقى، ط1، 1999م.



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ————— د. جمال صالح

بشكل خاص، فإِنَّي سأدفع عن طريقة جديدة في القراءة، طريقة مُحرَّرة ... إنَّ القراءة التي أَحَلَّمُ بِهَا هي قراءة حرّة إلى درجة التشرُّد والتسلُّك في كل الاتجاهات...¹ فهذا مبلغ ما وصل أو ي يريد أن يصل إليه أكثر الباحثين في فضاء الحداثة، في تعاملهم مع القرآن الكريم، إنَّها الحرية المتجربة على قداسة النص، المتَّبَعَة ضدَّ كلَّ تفسيرٍ تراثيٍّ يكتُرُتُ للضوابط والحدود.

ويضيف أركون موضحاً أفضى ما يصبو إليه في قراءته المرجوة "إِنَّي أدفع عن هذه القراءة الجديدة ... وأنا أفكُر بالطبع بالحرية الخلاقَة لشخص كابن عربي، ولكن الحرية التي أَبْخَرَ على الحلم بها أكثر انفجاراً أو تفجيراً منه بكثير؛ وذلك لأنَّها تشمل كل الصيغ أو التجارب الانفجارية التي حاول أن يصل إليها كبار الصوفيين والشعراء والمفكرين والفنانين".²

لا يكتفي في قراءته المرجوة بحد انفجار ابن عربي، بل أكثر، وعلى مستويات متعددة تتعدي الانفجار الصوفي إلى الفنون الأخرى أي؛ إلى "قراءة انفجارية جامعة" وواعية ومنتجة وحرة ورافضة لـ "القراءة المهيمنة"³ التي لا تولي للකسوفات والإضاءات العلمية حقها، لفهم القرآن حق الفهم، إذًا "ليس لها أهمية كشفية أو معرفية بقدر ما لها أهمية وثائقية، بمعنى أنه لا يمكن أن نستفيد منها لفهم القرآن وإضاءاته إضاءة علمية من الداخل ... ولا يمكن استخدامها من أجل إغناء معرفتنا بالظاهرة القرآنية"⁴

¹ - المصدر نفسه، 86.

² - المصدر السابق، 86—87.

³ - طيب تيزيني، المرجع السابق، ص12.

⁴ - محمد أركون، المصدر السابق، ص71.



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ----- د. جمال صالح

فالتفاصيل التي غصت بها مكتباتنا من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا لا تكمن أهميتها إلّا في التوثيق؛ لأن عقول هؤلاء المفسرين لا يمكن أن تتحقق الإضافة العلمية المطلوبة، ولا يمكن أن تبلغ الاستنارة التي حظي بها الحداثيون بعد أن مزجوا معارفهم العربية الإسلامية بمعارف وعلوم الغرب، فاكتسبوا الآليات والوسائل العلمية السليمة التي تمكن من الفهم الصحيح للنص الديني "القرآن"؛ فهذا التصور التقديري اللاذع للتراث عموماً والتراث التفسيري خصوصاً ليس جديداً إنما هو من صميم الرؤية الفكرية لأركون ضمن مشروعه الفكري في نقد العقل الإسلامي .

بهذا تكون القراءة الحداثية طامسةً لكل تفسير قلبي، على اعتبار أنها قراءات متزوّية ومنغلقة، بخلاف ما عليه القراءة الحداثية التي ترتكز على مجموعة من المقومات والخصائص؛ فهي حرّة من كل سلطة نصّ أو مؤلف أو قداسة، وهي منتجة؛ ولها أن تستنطق وتقول ما تشاء، وهي أيضاً جديدة في كل مرة لاتشبه أي قراءة، هكذا يمكن أن تتميز القراءة الحداثية عن غيرها من القراءات في نظر روادها

- المطلب الثالث: سمات القراءة الأركونية للنص القرآني:

يعتبر مشروع القراءة الجديدة لدى أركون من بين المشاريع الرائدة في العالم العربي والإسلامي، التي اتخذت من التراث والواقع الإسلامي حجر الأساس لتشكيل مقاربة تاريخية نقدية تسعى لزعزعة النظام المعرفي السائد بوضعه في طاولة التشريح، ومحك النقد العقلي، باعتباره عائقاً حقيقياً لتأسيس الحداثة الفكرية .

ولعل أساس القراءة الاركونية ومدارها هو "النص القرآني" وهذه القراءة التي يتبنّاها أركون جاءت في متنٍ موصوفة بالعديد من النعوت الموضحة لها، منها أنها:



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ————— د. جمال صالح

— قراءة جديدة استكشافية¹: فهي تُخضع كل شيء للمساءلة بغية الوصول إلى اللامفكر فيه، واستكشاف المسكوت عنه، ولا تستبعد من هذه المساءلة "النص القرآني" بل هو أول من يخضع لها عملاً على تعرية التحويرات والتحويلاًات التي مورست حوله، فـ "تراه — أَيْ أَرْ كُون — يتزع إلى مسألة النص القرآني نفسه، والتعامل معه لا بصفته لائحة تعليمات وأوامر ... بل بصفته خطابا"² حيث يرى أن المقاربة التي يقترحها هي مقاربة منهجية استكشافية لأنها تعامل مع النص القرآني من منظور التاريخية يقول أركون "سوف تخضع هذا المقترن الاستكشافي لجميع أشكال التحريرات أو التمحیصات الممكنة ... وهذا يعني أننا سوف نعلق أو نعطل كل الأحكام الالهوية التي تقول بأن الخطاب القرآني يتجاوز التاريخ كليا"³ وهو بهذا يكون متأسياً ومقلداً لمنهجية رواد الحداثة الغربية في القرن التاسع عشر "التي توصلت إلى تهميش العامل الديني والروحي المتعالي حتى طرده نهائياً من ساحة المجتمع واعتباره يمثل أحدى سمات المجتمعات البدائية"⁴ وبناء على ذلك يدعو أركون للقيام بالكثير من المراجعات والتصحيحات على المنهجية القديمة، وتعديل منظورها من أجل إدخال المنهجيات الحديثة والإشكاليات الجديدة التي تفرض نفسها والتي كانت مهملاً سابقاً⁵ —

¹ - محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، مصدر سابق، ص 17..

² - مجموعة من المؤلفين، محمد أركون، المفكر، والباحث، والانسان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 2011م، ص 73.

³ - محمد أركون، المصدر السابق، — ص 73.

⁴ - محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، تر: هاشم صالح، الدار البيضاء، المركز الثقافي، ط 3، 1996م، ص 68.

⁵ - محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف فهم الاسلام اليوم؟، تر: هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، (د، ت، ط)، — ص 53.



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ----- د. جمال صالح

- **قراءة نقدية تفكيكية:** تمثل الأرثوذكسيّة الدينية بالنسبة لأركون حجاباً يحول دون تحديد الفكر بشكل جذري، ورؤيه الأمور بوضوح، ولا يمكن إزاحته إلا عبر المرور بـ"مرحلة تفكيك استكشافية داخلية للتراث لم يسبق لها مثيل"¹ والتعامل مع ظاهرة الوحي بعين الناقد من خلال توظيف أحدث أدوات التحليل والتفسير² ودراساته استناداً على معطيات جديدة³

ولعل من خصائص المنهج التفكيكي الذي يمارسه أركون أنه "يقطع الصلة مع المؤلف ومراده، ومع المعنى واحتمالاته، به يجري التعامل مع الواقع الخطابي وحدها، لا بصفتها إشارات تدل أو علامات تنبئ بل بوصفها مواد يجري العمل عليها لإنتاج معرفة تتعلق بكيفية إنتاج المعرفة والمعنى، ولهذا فإن التفكيك يتجاوز منطق الخطاب إلى ما يسكت عنه ولا يقوله، إلى ما يستبعده ويتناساه، إنه نبش للأصول وتعريبة للأسس وفضح للبداهات، من هنا يشكل التفكيك استراتيجية الذين يريدون التحرر من سلطة النصوص وإمبريالية المعنى أو ديكتاتورية الحقيقة"⁴

كما أن أركون يعتمد المنهجية الانترابولوجية لأنها تقتضي بقراءة الإنسان بكل جوانبه ولأن العلم الانترابولوجي "يمارس عمله كنقد تفكيكي، وعلى صعيد معرفي، لجميع الثقافات البشرية المعروفة".⁵

¹ - محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، مصدر سابق، ص 09.

² - ينظر: علي حرب، نقد النص، مرجع سابق، ص 09-10.

³ - ينظر: محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، مصدر سابق، ص 47.

⁴ - علي حرب، الممنوع والممتنع، نقد الذات المفكرة، الممنوع والممتنع، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1995م، ص 22.

⁵ - محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مصدر سابق، ص 07.



ركائز القراءة الأر��ونية للنص القرآني ————— د. جمال صالحی

— قراءة تجاوزية: تتجاوز كل أنماط القراءات وأنظمة الفكر القروسطي الارثوذكسي، من خلال القطعية المعرفية مع ما سبق من مناهج ومعارف، فالقراءة الإيمانية — على حد تعبير أرکون — تمثل عائقاً وسياجاً حائلاً دون فتح أفق القراءة لسبعين "أولاً كل أنماط القراءات أو مستويات الاستخدام الإيماني للقرآن مسحونة داخل السياج الدوغمائي المغلق¹. ثانياً: أن كبريات التفاسير الإسلامية التي فرضت نفسها كأعمال أساسية ساهمت في التطور التاريخي للتراث الحي تمارس دورها كنصوص تفسيرية أرثوذك司ية (أي مستقيمة صحيحة بجمعها عليها من قبل رجال الدين)² وعليه وجوب اتباع منهج يتجاوز هذا المسلك في التعامل مع النصوص، الذي يتحذ من استراتيجية الرفض سبيلاً له، من خلال ترسانة الإكراهات الفكرية، ويتم هذا التجاوز بتفكيك "البدويات والمسلمات والموضوعات أو المضامين التي تنبع وتوسّس التماسك المغامر ... و المحرر على أساسها"³

فارکون كما يقول عن نفسه أنه "مسكون بمحاجس التعدي والنقل والتباشير لكل التعريفات والتصورات المفهومية ... الموروثة في التراث الإسلامي"⁴

— قراءة مفتوحة: يعتبر النص القرآني أرضاً خصبة، ومجالاً رحباً يستوعب ويتقبل؛ بل ويستدعي تطبيق كل منهج وكل قراءة في نظر أرکون "لأننا نعلم أن مادة

¹ — هذا المصطلح من اختراع أرکون، ويقصد به أن عقلية المؤمنين مسحونة داخل قفص لا تستطيع الخروج منه، وهذا القفص (أو السياج) هو العقيدة الدينية ...، واسم المصطلح باللغة الفرنسية (la *clôture dogmatique*).

² — محمد أرکون، الفكر الأصولي واستحالات التأصيل، مصدر سابق، ص 65.

³ — محمد أرکون، المصدر نفسه، ص 67.

⁴ — محمد أرکون، المصدر نفسه، ص 67.



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ————— د. جمال صالح

البحث (أي القرآن) تتطلب تطبيق كل المناهج عليها وليس فقط المنهجية الفيلولوجية — التاريجخاوية. إنما تتطلب التدخل على كل مستويات إنتاج المعنى وآثار المعنى من أجل توضيح ملابسات هذا النص المؤسس¹ كما يُشترط لقارئ النص القرآني التزود بعده ضحمة من المناهج القدية "وتكون علمي والإحاطة بالأرضية المفهومية الخاصة باللسانيات والسيميائيات الحديثة مع ما يصاحبها من أطر التفكير والنقد الاستدلولوجي²، فهذه" المدونة ذاتها مفتوحة أو منفتحة على الرغم من محدوديتها أو اكتتمالها. أقصد أنها منفتحة على السياقات الأكثر تنوعاً، والتي تنطوي عليها كل قراءة أو تفريضاً، ... مفتوحة على التحسينات النصية التي قد يقدمها النقد الفيلولوجي أو اللغوي — التاريجخي³"

فأركون يرى أن النص القرآني منفتح ويقبل عدة قراءات وليس قراءة واحدة، ولذلك فهو ينتمي إلى الجيل الذي يؤسس لقراءات: "ترى في النص ظاهرة ثقافية تقترب لها مناهج للتفسير والتأويل بالاعتماد على فتوحات العلم الحديث".⁴

— المبحث الثاني: أسس القراءة الأركونية:

تَبْنِي القراءة الأركونية على مجموعة من الأسس التي من خلالها تُكَشَّف معاً المنهج المعتمد في القراءة، حيث تعتبر البنية التي أقام عليها أركون رؤيته الفكرية لمعالجة النص .

¹ — محمد أركون الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، مصدر سابق، ص 46.

² — أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مصدر سابق ص 46..

³ — محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مصدر سابق، ص 115 — 116

⁴ — محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مصدر سابق، ص 115 — 116



ركائز القراءة الأر��ونية للنص القرآني ----- د. جمال صالحی

المطلب الأول: أنسنة النص القرآني: إن المقصود بالأنسنة أو (التأنيس) على حد تعبير طه عبد الرحمن هو "رفع عائق القدسية، ويتمثل هذا العائق في اعتقاد أن القرآن كلام مقدس؛ ... والآلية في إزالة هذا العائق الاعتقادي هي نقل الآيات القرآنية من الوضع الإلهي إلى الوضع البشري"¹

وقد سعى محمد أركون لتجريد القرآن الكريم من قدسيته وأنسنته، ومما ثلته للنص البشري طرائق عده، إليك أهمها:

أولاً— تبني مصطلحات غربية بدل المصطلح الإسلامي الأصيل: إن توظيف المصطلحات الدخيلة الوافدة والمستقاة من قلب الحقول العلمية الأوروبية، وإلغاء المصطلح الإسلامي الأصيل لدى أركون؛ ليس عملاً عفوياً وبرئاً؛ بل هو عملية منظمة ومقصودة ولها مكانها ضمن المشروع الأرکوني بما يسميه المشكلات المفهومية² لـلذـا يدعـو إلى تفكيـك الأنـظـمة الـاـصـطـلاحـية، وـهـدـفـه فـسـخـ العـلـاقـة بـيـنـ المـصـتـلـحـ والمـضـمـونـ الـذـي يـحـمـلـهـ، وـافتـعالـ فـجـوةـ تـبـاعـدـ بـيـنـهـماـ حـتـىـ يـتـمـ فـصـلـ النـصـ القرـآنـ عـنـ مـصـدـرـهـ الـربـانـيـ، أوـ كـمـاـ يـسـمـيـهاـ هوـ (ـالـأـشـكـلـةـ)ـ حـيـثـ يـقـولـ "ـإـنـ هـدـيـ منـ اـخـتـارـ هـذـهـ المـصـتـلـحـاتـ الـجـديـدـةـ هوـ أـشـكـلـةـ كـلـ الـمـفـاهـيمـ وـالـتـصـوـرـاتـ الـمـورـوثـةـ عـنـ الـفـكـرـ إـلـاـسـلـامـيـ"³ـ وـمـنـ أـمـثـلـةـ ذـلـكـ استـعـمـالـهـ مـصـتـلـحـ (ـالـخـطـابـ الـنـبـويـ)ـ بـدـلـ (ـالـخـطـابـ الـإـلـهـيـ)⁴ـ (ـالـمـدوـنةـ)

¹ - طه عبد الرحمن، روح الحداثة، طه عبد الرحمن، روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، الدار البيضاء، المـركـبـ الثقـافيـ العـرـبـيـ، طـ3ـ، 2013ـ، صـ178ـ.

² - محمد أركون، الأنسنة والإسلام، مدخل تاريخي نقدي، مصدر سابق، ص 119.

³ - محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، مصدر سابق، ص 198.

⁴ - محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مصدر سابق، ص 05..



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ----- د. جمال صالحى

النصية المغلقة) بدل (المصحف) و(واقعة القرآن) و(ظاهره الوحى) (الظاهرة القرآنية)¹ بدل القرآن الكريم...إلخ، كما أنه يعتب و يستنكر حق على الخطاب القرآني استعماله لبعض المفردات من قبيل "مؤمنون" "مسلمون" "كافرون" "منافقون" "مشركون" "مهاجرون" "أنصار" ...إلخ² بدعوى أنه يضفي الصبغة اللاهوتية على هذه المصطلحات، وبالتالي توظيفها أيديولوجيا.

ثانياً — التسوية في رتبة الاستشهاد بين الكلام الإلهي والكلام الإنساني:

تستوي متزلة الاستشهاد بالقرآن مع الاستشهاد بالأقوال البشرية لدى رواد القراءة المعاصرة وذلك بحججة أنَّ القرآن خطاب لغوي والنصوص الأخرى كذلك، فلا فرق.

ثالثاً— إهمال صيغ التقديس وعبارات التعظيم في التعامل مع القرآن الكريم:

إنَّ اعتماد هذا الأسلوب في التعامل مع النص القرآني هو محاولة لفصله عن كل ما يربطه بمصدره الإلهي وبعده الغيبي، خلافاً لما عهده جمهور المسلمين في وصفهم لكلام الله بصفات الإجلال والإكبار نحو: (القرآن الكريم) و(المبين) و(الحكيم) و(العزيز)، (الآية الكريمة) مما يؤدي إلى التعامل مع كتاب الله كنص لغوي مثله مثل أي نص بشري.

— رابعاً— الماثلة بين القرآن الكريم والنبي عيسى عليه السلام: ولعل هذه المقارنة والمشاهدة التي يدعو إليها أركون تحمل أغراضاً مبطنة في محاولة أنسنة النص،

¹ — استخدمت هنا مصطلح الظاهرة القرآنية ولم أستخدم مصطلح آخر لماذا؟ لأنَّ كلمة "قرآن" مثقلة بالشحنات والمصامين اللاهوتية . وبالتالي فلا يمكن استخدامها كمصطلح فعال من أجل القيام بمراجعة نقديَّة جذرية لكل التراث الإسلامي، ينظر: محمد أركون الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، مصدر سابق، ص 200.

² — محمد أركون، الأنسنة والإسلام، مدخل تاريخي نقدي، مصدر سابق، ص 120.



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ----- د. جمال صالح

حيث يقول: "فإن الشيء الذي يقابل يسوع المسيح في الإسلام هو القرآن بصفته الكتاب المقدس الذي يحتوي على كلام الله الموحى به، وأماماً يسوع المسيح بصفته تحسيداً لكلمة الله، فإنه يشبه المصحف الذي تحسد فيه كلام الله"¹، وعليه فهذه المماطلة تفرض على المسلمين الذين ينفون عن المسيح الطبيعة الإلهية ويثبتون له الطبيعة النّاسوتية (البشرية)، أن يكونوا منصفين ويثبتو للقرآن الطبيعة البشرية وبذلك ينفون عنه الخصوصية الربانية، وهذا ما يدعوه إليه أركون صراحة ..

— خامساً— التوسل بالنظريات النقدية والفلسفية الحديثة: لم يجد أركون أي حرج في الاستعانة بكل النظريات النقدية الحديثة وتطبيقها على النص القرآني ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، معتبراً مقتضياته البحثية لا تختلف عن مقتضيات غيره من النصوص.²

كما يرى أَنَّا مضطرون لسلوك الطرق والمناهج الراهنة للمعرفة التي افتتحتها علوم الإنسان والمجتمع³ وأنه آن الأوان لكي نجعل المجتمعات العربية والإسلامية تستفيد من طُرُز الفهم الجديدة هذه التي يُتَّجِّحُها لنا الفكر المعاصر"⁴"

— نتائج عملية الأنسنة في قراءة محمد أركون: إنَّ السعي من أجل تحقيق الأنسنة واستبعاد المفهوم التقديسي للوحي "من خلال الربط بين العلم الإلهي والعلم الإنساني، وتحويل الأول إلى الثاني من خلال صياغة مفهوم إنساني للوحي، مفهوم يستبعد الميتافيزيقي وينحاز للتاريخي"⁵، وذلك بغية تحقيق أهداف واضحة يكون فيها

¹ - محمد أركون، القرآن الكريم من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، مصدر سابق، ص 24.

² - محمد أركون الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، مصدر سابق، ص 46.

³ - محمد أركون الفكر الإسلامي قراءة علمية، مصدر سابق، ص 31.

⁴ - محمد أركون المصدر نفسه، ص 68..

⁵ - نقد الخطاب الديني، مرجع سابق، ص 187.



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ————— د. جمال صالح

القرآن نصاً كباقي النصوص متزوع التعالي والقداسة؛ ولعلّ أهم النتائج التي حصلت من خلال ترتيل النص القرآني مراتب النصوص البشرية ما يلي:

— **أولاً: نقض مفهوم الوحي:** إنّ المهمة الأساسية التي أضلع بها أركون ضمن مشروعه التأويلي كانت تهدف أساساً إلى زعزعة مفهوم الوحي المتداول لدى جمهور المسلمين من خلال نقل "قراءة القرآن من إطار الإيمان إلى إطار التاريخ واللغة"¹ مع اختراق وانتهاك الحرمات والممنوعات السائدة أمس واليوم²

وهذه العملية لا يمكن أن تتم إلّا عن طريق أشكال مفهوم الوحي حيث يقوم أركون "أولاً بتفكيك المفهوم التقليدي للوحي، هذا المفهوم المسيطر على البشرية منذ آلاف السنين، وذلك قبل أن ينتقل إلى المرحلة التالية المتمثلة لإعادة تقييم هذا المفهوم المركزي وببلورة فهم آخر جديد له،"³

ثانياً- التشكيك في مصداقية وثبوت النص القرآني: إنّ العمل على أنسنة النص القرآني وتبني المناهج الغربية في التعامل معه أدى ليس فقط إلى الطعن في إطلاقية أحکامه ومضمونه بل حتى في ثبوت لفظه؛ حيث يرى أركون أنّ "انتقال الوحي من القرآن إلى المصحف، وهو أول حدث يثبت التدخل البشري في تغيير الوحي"⁴

¹ - محمد أركون الإسلام والأنسنة، مصدر سابق، ص 181.

² - محمد أركون الفكر الإسلامي قراءة علمية، مصدر سابق، ص 31.

³ - محمد أركون، القرآن الكريم من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، الهامش، مصدر سابق، ص 17.

⁴ - مختار الفجاري نقد العقل الإسلامي عند أركون، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 1، 2005، ص 118.



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ————— د. جمال صالح

كما يشكك أركون في عملية الانتقال من مرحلة الخطاب الشفهي إلى مرحلة المدونة النصية الرسمية (المصحف) فهو لم يتم إلا بعد حصول الكثير من عمليات الحذف والانتخاب والتلاعبات اللغوية التي تحصل دائماً في مثل هذه الحالات، فليس كل الخطاب الشفهي يدوّن وإنما هناك أشياء تفقد أثناء الطريق، نقول ذلك ونحن نعلم أن بعض المخطوطات قد أتلتفت كمصحف ابن مسعود مثلاً، وذلك لأن عملية الجمع تمت في ظروف حامية من الصراع على السلطة والمشروعية¹

— المطلب الثاني: عقلنة النص القرآني: إن المراد بمصطلح العقلنة هو (رفع عائق الغيبة)، ويتمثل هذا العائق في اعتقاد أن القرآن وحي ورد من عالم الغيب² ولا يتأنى هذا إلا بإخضاع الآيات القرآنية لكل وسائل النظر والبحث وفق ما تتيحه المنهجيات النقدية والنظريات الحديثة — وإليك خطة عقلنة³ النص القرآني:

—أولاً— تعظيم سلطة العقل: يرى أركون أن العقل هو المعيار الأول في إنتاج المعرفة، ولا شيء يعلو على ما يقرره العقل، والنـص القرآني كباقي النصوص اللغوية يخضع للمساءلة والمناقشة الفكرية، وهذا ما لم يحصل في الفكر الإسلامي ولذلك نجد أركون ينتقد العقول التي تتحرك ضمن معطى الوحي ويُمجّد العقل المتحرّر من كل سلطة؛ بل له كل السلطة إنّه العقل المنشق الذي يدعو إليه أركون ولا يمكن أن نصل إليه

¹ - محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، مصدر سابق، ص 188

² - طه عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 181.

³ - لا نجاد بجد دارسا للتراث إلا وهو يدعى انه سيتهجج المسلك العقلاني في النظر في التراث مُسْؤِلًّا لنا بأنه لا أحد اعقل منه في تناول التراث حتى صارت العقلانية هو في النقوس تتحذه إلها ينظر: طه عبد الرحمن، سؤال المنهج في افق التأسيس لأنموذج فكري جديد، مرجع سابق. ص 52.



ركائز القراءة الأركنونية للنص القرآني ----- د. جمال صالح

إلا إذا كان "العقل قد تحرر نهائياً من الإكراهات القسرية للتحجُّر الدوغمائي لكي يخدم المعرفة لذاتها وبذاتها"¹)

ثانياً - التوسل بعلم التاريخ ومقارنته الأديان: هذا العلم الذي يكون الاهتمام فيه متمركزاً في المثل الأول حول دراسة وتحليل أنواع متعددة و مختلفة من التجربة الدينية، من حيث أصولها النظرية ومارساتها الواقعية ؛ وذلك عن طريق المقارنة بين الأديان محل الدراسة². للتوصل إلى نتائج معينة، ولقد حاولت القراءة الحديثة المقليدة أن تجلب هذه المناهج "مناهج علوم الأديان، علم مقارنة الأديان، وعلم تاريخ الأديان" إلى حيّز الدراسات القرآنية بعدما كانت نصوص التوراة والإنجيل مجالاً خصباً ومادة حام لتطبيق هذه المناهج، وذلك بغية المماطلة بين القرآن ونصوص العهد القديم في إمكانية التعرض للتحريف، وكذا المشابهة في البنية من جانبها الخرافي والأسطوري، وفي هنا يقول أركون "لا ينبغي بعد الآن أن ندرس الإسلام لوحده معزولاً عن مقارنته بدراسة المسيحية أو اليهودية مثلاً، أو حتى الأديان الأخرى غير أديان الكتاب . لماذا؟ لأن الدراسة المقارنة تضيقه أكثر بكثير. وهكذا تدعوه إلى تطبيق الدراسة المقارنة والانتربولوجية على الظاهرة الدينية الإسلامية"³"

فأركون لا يرى أية خصوصية أو ميزة لنص القرآن الكريم، أو الدين الإسلامي عموماً على بقية الديانات ويخضع لما تخضع له من مقارنة وتحقيق ... دون مراعاة

¹ - محمد أركون الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، مصدر سابق ص 18 ..

² - ابراهيم تركي، علم مقارنة الاديان عند مفكري الاسلام، الاسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2002، ص 12 ..

³ - محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، مصدر سابق، ص 78.



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ————— د. جمال صالح

الفروق سواء على مستوى النصوص أو على مستوى المعتقدات، وهذا مدخل خطير للطعن في أسس الدين الإسلامي.

— إن تمكين العقل وتزيله متزلة يعلو فيها على الكل، ويكون الوحي فيها مجرد تابع لما يميله العقل أدى إلى نتائج وخيمة، هذه أهمها:

أولاً— التشكيك في العقائد والغيبيات: لعل الغلو في العقلنة، وتغليبيها على ما قرره الوحي يؤدي لا محالة إلى التشكيك في العقائد أو إنكار كثير من الغيبيات واعتبارها مجرد أساطير وقصص لا حقيقة لها، أو أنها لا تتجاوز أن تكون مجازات لغوية بلاغية للإيضاح والتبيان ليس إلا، وقد صرخ أركون ^{أله} من دعاة البحوث والدراسات التي تبني الطرح الانقلابي التفكيكي على المقدسات والغيبيات بقوله "إنّي أحلم بجمهور مستعد لتلقي البحوث الأكثر انقلابية وتفكيكا لكل الدلالات والعقائد واليقينيات الراسخة"¹ ولذلك فهو يرى أن هذه العقائد والتصورات التي تدعى أنها الحقيقة المطلقة والإسلام (الصحيح) ما هي إلا مزاعم لا تستند إلى أي أساس علمي في ضوء الدراسات الحديثة، وعليه "ينبغي إعادة تفحص كل مكانة العامل الديني والتقديسي والوحي ودراستها على ضوء النظرية الحديثة للمعرفة"²

ثانياً— وصف القرآن بأنه تص وجداني لا عقلاً: إن الجانب البياني البلاغي والقصصي للنص القرآني يغلب على الجانب البرهاني المنطقي في نظر أركون وعليه فإن العقل المعتمد في هذا النص هو أقرب إلى العقل الخيالي الإبداعي منه إلى العقل الاستدلالي حيث يقول "نلاحظ أن الطابع الإبداعي الرمزي المجازي المتفرّج يطغى في الخطاب

¹ - محمد أركون، المصدر نفسه، ص 20.

² - محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، مصدر سابق، ص 183..



ركائز القراءة الأر��ونية للنص القرآني ————— د. جمال صالحی

القرآن على الطابع المنطقي، العقلياني الاستدلالي البرهاني القائم على الحاجة¹ وهذا كان سبباً فيما بعد لإنتاج العقلانية الإسلامية التي نشأت ضد المعرفة الأسطورية، المحازية الرمزية²

— الخاتمة:

بعد هذه الجولة في فكر محمد أركون من خلال أهم أعماله خاصة المتعلقة برؤيته حول التعامل مع النص القرآني تم التوصل إلى النتائج التالية:

— يعتمد أركون منهجه النقد والتفسير من خلال الالتزام بمبدأ الشك على جميع مادة البحث دون النظر في طبيعة النصوص والتفريق بينها.

— يدعو أركون إلى تجاوز القراءات المسيطرة بالعقل الأرثوذكسي ومبادئه، وتعويضها بالقراءة المترکزة على العقل المفتوح على مختلف المستجدات المعرفية .

— القراءة النقدية التي ينتهجها أركون توظّف كل ما أنتجه الحداثة الغربية من مناهج ومفاهيم .

— استعانة أركون بـ مُعْدَّة منهجهية متنوعة في تعامله مع التراث عموماً، والنّص القرآني خصوصاً .

— إنّ محاولات (أنسنة، وعقلنة، وأرخنة) النّص القرآني التي يسعى إليها أركون، تهدف إلى تحريره من كونه كلاماً إلهياً، حتى يتم إخضاعه لما تخضع له باقي النصوص من أشكال النقد .

¹ - محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، مصدر سابق، ص283.

² - محمد أركون، المصدر نفسه، ص 286.



ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ----- د. جمال صالح

— يتبين أركون مبدأ القطعية التامة مع الموروث التفسيري للنص القرآني، إلّا في حدود ما يخدم القضايا التوثيقية.

المصادر والمراجع:

- 1- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الاسلام اليوم؟، تر: هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، (د، ت، ط).
- 2- محمد أركون، الفكر الاسلامي قراءة علمية، تر: هاشم صالح، الدار البيضاء، المركز الثقافي، ط3، 1996 م.
- 3- محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، بيروت، دار الساقى، ط1، 1999 م
- 4- محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر: صالح هاشم، بيروت دار الطليعة، ط2، 2005 م.
- 5- ابن منظور، لسان العرب، تع: خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث، ط1، 2008 م.
- 6- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الفكر، الأردن، ط1، 2007 م.
- 7- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصر القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2008 م.
- 8- مجتمع اللغة العربي بالقاهرة، المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004 م.
- 9- مجتمع اللغة العربي بالقاهرة، المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004 م.



- ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ----- د. جمال صالح
- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985م
- ينظر: مولاي علي بو خاتم، مصطلحات النقد العربي السيميائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ط2005م.
- عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، تأسيس لنظرية العامة للقراءة الأدبية، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2003م.
- طه عبد الرحمن، سؤال المنهج في افق التأسيس لأنموذج فكري جديد، جمع وتقديم رضوان مرحوم، لبنان، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ط1، 2015.
- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، القاهرة، سينا للنشر، ط2، 1994.
- علي حرب، هكذا أقرأ ما بعد التفكير، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005.
- علي حرب، نقد النص، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993 .
- طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، دمشق، دار الينابيع، ط1997م .
- حسن حنفي، التراث والتجديد موقعنا من التراث القديم، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط4، 1992م .
- نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط7، 2005.
- مجموعة من المؤلفين، محمد أركون، المفكر، والباحث، والانسان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2011م،



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسطنطينية الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 360 تاريخ النشر: 2021.03.25

ركائز القراءة الأركونية للنص القرآني ----- د. جمال صالح

-21- علي حرب، الممنوع والممتنع، نقد الذات المفكرة، الممنوع والممتنع،
بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1995.م.

-22- طه عبد الرحمن، روح الحداثة، طه عبد الرحمن، روح الحداثة المدخل إلى
تأسيس الحداثة الإسلامية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط3، 2013.م.

-23- مختار الفجاري نقد العقل الإسلامي عند أركون، بيروت، دار الطليعة
للطباعة والنشر، ط1، 2005.م.

- 24 - إبراهيم تركي، علم مقارنة الاديان عند مفكري الاسلام، الاسكندرية، دار
الوفاء للدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2002.م.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية في الفقه الإسلامي Proof of the crime of adultery by genetic fingerprint in Islamic jurisprudence

د. محمد طيب عمور

m.taiebamour@univ-chlef.dz

جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف

د. بوعلام فرمال

bbkermal2008@gmail.com

جامعة أكيلال بونعامت - تونس مليانة

ناريع القبول: 2021/01/05

ناريع الإرسال: 2020/06/11

الملخص:

يتناول موضوع الدراسة واحدة من القضايا المهمة في مجال الإثبات الجنائي في الفقه الإسلامي، وهي إثبات جريمة الزنا بقرينة البصمة الوراثية، وذلك بعد أن أصبح الاعتماد على هذه القريئة أمرا شائعا في مجال الإثبات الجنائي في أغلب دول العالم. غير أنه لما كان مسلك إثبات الجرائم في الفقه الإسلامي مختلفا عن ذلك السائد في نظم الإثبات الجنائي الوضعية، وخاصة في جرائم الحدود، ثار الخلاف بين الفقهاء - قديما وحديثا - حول الأدلة المقبولة في إثبات هذا النوع من الجرائم، وينسحب هذا الخلاف حول الحجج الشرعية المقبولة في الإثبات الجنائي إلى الخلاف حول حجية البصمة الوراثية في إثبات جريمة الزنا. وقد استخدمنا في هذا البحث المنج الوصفي في عرض الموضوع، والمنهج المقارن في المقارنة بين الآراء الفقهية والترجيح بينها.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمالي

الكلمات المفتاحية: الإثبات؛ الزنا؛ البصمة الوراثية.

ABSTRACT:

This study deals with one of the important issues in the field of forensic proof in Islamic jurisprudence, which is to prove the crime of adultery with the presumption of genetic fingerprint. This is after reliance on this presumption has become common in the area of criminal proof. However, the way of proving crimes in Islamic jurisprudence is different from that prevailing in positive forensic systems, especially in legal retribution crimes; there has been a dispute between jurists about the accepted evidence in proving this type of crime.

Keywords: Proof; Adultery; Genetic Fingerprint.

المقدمة:

لقد أدى اكتشاف البصمة الوراثية إلى ثورة كبيرة في مجال الإثبات الجنائي، مما دفع أغلب دول العالم إلى إقامة مخابر خاصة بالبصمة الوراثية واعتمادها كدليل إثبات جنائي عالي الدقة، كما أُسستْ عليها مجموعة كبيرة من الأحكام القضائية القاضية بإدانة المتهمين أو براءتهم، ومن الجرائم التي يمكن إثباتها بالاعتماد على قرينة البصمة الوراثية جريمتنا الزنا والاغتصاب.

وإذا كان الفقه الجنائي الإسلامي لا يعارض - من حيث المبدأ - الاعتماد على القرائن الحديثة في الإثبات، ما لم تعارض مقاصداً من مقاصد الشريعة ومبادئها العامة، إلا أن تقسيم الجرائم فيه إلى جرائم الحدود، وجرائم القصاص، وجرائم التعزير، من جهة، وإلى جرائم يغلب فيها حق الله، أو حق العبد، من جهة أخرى، قد أثر على نظام الإثبات المعتمد فيه بين التقيد والإطلاق، ومن هنا اختلف الفقهاء المعاصرلون في إثبات جرائم الحدود - ومنها جريمة الزنا - بالبصمة الوراثية.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ————— د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

ويتخرج الخلاف بين الفقهاء المعاصرین حول هذه المسألة على الخلاف بين الفقهاء القدامی حول طرق الإثبات الشرعیة، بين الرأی القائل بحصر طرق الإثبات في أدلة معینة يتقيّد بها الخصوم فلا يقبل منهم غيرها، ويتقید بها القاضی فلا يحکم إلا بناء عليها، وبعض هذه الطرق محل اتفاق بين الفقهاء على أنها حجج شرعیة يعتمد عليها القاضی في قضائه، ويعول عليها في حکمه، كالشهادة والإقرار واليمین - على خلاف في بعض التفاصیل - وبعضاها الآخر محل خلاف، كعلم القاضی، والقرینة، والكتابة والقسمة، وغيرها؛ بينما ذهب رأی آخر إلى عدم تحديد طرق معینة للإثبات، فطرق القضاء في الشريعة الإسلامية لا تدخل تحت حصر، فكل أمر يتراجع عند القاضی أنه دليل على إثبات الحق هو طريق من طرق الحکم، وعلى القاضی أن يحکم به، وينسحب هذا الخلاف حول الحجج الشرعیة المقبولة إلى الخلاف حول الأخذ بالبصمة الوراثية في إثبات جريمة الزنا والاغتصاب.

الإشكالية: هل يمكن الاعتماد على قرینة البصمة الوراثية في إثبات جريمة الزنا في الفقه الإسلامي؟

المنهج المتبوع: استعنت بالمناهج الآتية في الدراسة:

المنهج الوصفي: في تصویر المسائل المطروحة وعرض الأقوال ونسبتها إلى أصحابها.

المنهج المقارن: في المقارنة بين الآراء الفقهية، والحجج والأدلة المعتمدة، والترجيح بينها.

هدف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن إمكانية اعتماد قرینة البصمة الوراثية في إثبات حدّ الزنا، وذلك في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية في إثبات هذا



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

الحادي، بين مرونة الشريعة الإسلامية ومواكبتها للتطور العلمي من جهة، وبين خصوصية جرائم الحدود التي يكون حق الله فيها حالصاً أو غالباً.

المبحث الأول: التعريف بمقررات البحث:

ستنطوي في هذا المبحث للتعريف بمقررات البحث، فنعرف الإثبات، والزنا، والبصمة الوراثية.

المطلب الأول: تعريف الإثبات:

الفرع الأول: تعريف الإثبات لغة:

الإثبات مصدر ثَبَّتَ الشيءُ يَثْبُتُ بِهُوَنَا دام واستقر فهو ثابت¹، وثبت الأمر صحّ وتأكد، والتثبت بالتحريك الحجة والبينة، وأثبتت حجته أقامها وأوضحتها، وقول ثابت¹ صحيح .

الفرع الثاني: تعريف الإثبات اصطلاحاً:

لم تتعرض كتب الفقه الإسلامي القديمة لتعريف الإثبات، وإنما استعمله الفقهاء بمعناه اللغوي، فهم يطلقونه أحياناً ويريدون به معناه العام وهو إقامة الحجة مطلقاً؛ لأنَّه لا عبرة لأي قول كان ما لم يثبت صاحبه صحته، وقد يطلقون الإثبات ويريدون به معناه الخاص وهو:

التعريف الأول: الإثبات هو "إِقَامَةُ الدَّلِيلِ الشَّرْعِيٍّ أَمَامَ الْقَاضِيِّ فِي مَجْلِسٍ

¹ - ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، ج2 ص19. الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995، ص90.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

قضائي على حق أو واقعة من الواقع¹.

ويلاحظ على هذا التعريف أنه:

- أطلق الحق والواقعة، وكان ينبغي تقييده بما تترتب عليه آثار شرعية، إذ المقصود من الإثبات وصول المدعى على حقه، أو منع التعرض له، فلا بد من أن يكون الإثبات منتجاً².

- ورد في التعريف قوله: "أمام القاضي في مجلس قضائه" وهذا القيد لإخراج الإثبات بما عيشه القاضي خارج مجلس حكمه.

التعريف الثاني: الإثبات هو: "إقامة الدليل أمام القضاء بالطرق التي حدّتها الشريعة على حق أو على واقعة معينة تترتب عيشه آثار"³.

وهذا التعريف هو أفضل التعريفات للإثبات، ويوضح ذلك من بيان محترزاته: قوله: "إقامة الدليل": تقديمها إلى من يراد إقناعه بالأمر.

قوله: "أمام القضاء": هذا قيد أخرج به الدليل المرفوع أمام غير القاضي، ويفهم منه أن الإثبات ينصب على أمر متنازع فيه مرفوع أمام القاضي ليفصل فيه.

قوله: "بالطرق التي حدّتها الشريعة": يفهم من هذا القيد أنه لا يجوز إثبات الحقوق بغير الوسائل التي حدّتها الشريعة بطريق النص أو الإجماع أو الاجتهاد.

قوله: "على حق أو واقعة": هذا القيد يبيّن محل الإثبات، والمراد بالحق كل ما

¹ - الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويتية، طبعة دار السلاسل، الكويت، ط 2، 1983، ج 1، ص 232.

² - عبد القادر إدريس، الإثبات بالقرائن في الفقه الإسلامي، دار الثقافة، الأردن، ط 1، 2010، ص 22.

³ - موسوعة الفقه الإسلامي، وزارة الأوقاف المصرية، (دون معلومات)، ج 2، ص 136.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ————— د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

يثبت للإنسان استيفاؤه، أو هو مصلحة تحميها الشريعة، أو ما ثبت في الشرع لله أو للإنسان على الغير، والواقعة الشرعية مصدر من مصادر الحق، أو السبب المنشئ للحق¹. قوله: "تترتب عليها آثار": هنا هو الهدف من الإثبات، فلا يصح إثبات أمر أو واقعة لا يترتب عليها أثر من الآثار.

ونخلص من هذا إلى أن الإثبات يعني النتيجة التي تتحقق باستعمال وسائل الاستدلال المختلفة، فهو إنتاج للدليل المراد به إثبات الواقعـة التي تُحـرّمـهاـ الشـرـيعـةـ،ـ وإذا قـامـ الدـلـيلـ بـهـذـهـ الـكـيـفـيـةـ أـسـفـرـ عـنـ تـحـقـقـ عـمـلـيـةـ إـثـبـاتـ بـشـأنـ ماـ يـرـادـ إـثـبـاتـهـ،ـ فـإـلـيـثـبـاتـ الجـنـائـيـ يـسـتـلزمـ:

- وجود واقعة مادية تمثل في حدوث جريمة.

- نسبة إثبات هذه الجريمة للمتهم.

- أن يتم إثباتها بالطرق والوسائل التي حددتها الشريعة.

- أن يكون هذا الإثبات أمام الجهات القضائية المختصة.

المطلب الثاني: تعريف الزنا:

الفرع الأول: تعريف الزنا لغة:

يطلق الزنا في اللغة على عدة معانٍ منها²:

¹ انظر: محمد مصطفى الزحيلي، وسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية، مكتبة دار البيان، دمشق، ط 1، 1982، ص 24.

² مرتضى الربيدي محمد بن عبد الرزاق الحسبي، تاج العروس، تحقيق: عبد العزيز مطر، مطبعة حكومة الكويت، 1994، ج 38، ص 225. محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1410 هـ، ص 389. ابن منظور، لسان العرب، ج 14، ص 359.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

- الضيق: تقول زنا الشيء زُنِواً: ضاق، لغة في المَهْمَرِ، وزَنَى عليه تَرْتِينَةً: ضيقَ.
- الصعود: ويطلق لفظ الزنا أحياناً ويراد به الرُّقْيَ على الشيء.
- الفجور: مصدر زَنَى الرَّجُلُ يَزِنُ زِنَى بالقصر، وزناء بالمد، أي فجر، وزنت المرأة تزني زناء فجرت، وهو بالقصر لغة أهل الحجاز، والسبة إليه: زِنَويٌّ، وبالمد لغة أهل "نجد" و "بني تميم"، والسبة إليه: زِنَائِيٌّ.

الفرع الثاني: تعريف الزنا اصطلاحاً:

عرَّف بعض الفقهاء الزنا الموجب للحد بعدة تعريفات، وستقتصر على تعريف واحد من كل مذهب:

أولاً: **تعريف الحنفية:** الزنا الموجب للحد هو: "وَطْءُ مُكْلَفٍ طَائِعٍ مُشْتَهَاهٌ حَالًا أَوْ مَاضِيًّا فِي الْقُبْلِ بِلَا شُبْهَةٍ مِلْكٍ فِي دَارِ الإِسْلَامِ أَوْ تَمْكِينِهِ مِنْ ذَلِكَ أَوْ تَمْكِينَهَا".¹

شرح التعريف²:

- "الوطء": هو إدخال قدر الحشمة من الذكر في القبل أو الدبر.
- "مكلف": أي عاقل بالغ، خرج به من ليس مكلاها كالصغير والجنون فلا حد عليه.

- "طائع": خرج به المكروه فلا حد عليه.

- "في دار الإسلام": فلا حد بالزنا في دار الحرب.

¹ ابن نحيم، البحر الرائق شرح كتر الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، ج5 ص4.

² انظر: ابن نحيم، البحر الرائق، ج5، ص4. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، رد المحتار على الدر المختار شرح تویر الأنصار، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة خاصة، 2003، ج6، ص5-7.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

- "في القبل": خرج به الإيلاج في الدبر فلا حد فيه على قول أبي حنيفة، وعند الصاحبان فيه الحد.

- "مشتهاة حالا": خرج به الصغيرة والميّة والبهيمة.

- "أو ماضيا": أدخل به العجوز فإنما كانت مشتهاة فيما مضى.

- "أو تمكينه من ذلك": كأن استلقى على ظهره فقعدت على ذكره فإنما يجدان.

- "أو تمكينها": زيد هذا القيد للدلالة على أن زنا المرأة يتحقق بتمكين الرجل وإن لم تكن واطئة.

- "بلا شبهة ملك": أي خالية عن ملك اليمين وملك النكاح، فالأولى: كوطء حارية مكاتبها أو عبده، والثانية: كتزوج امرأة بلا شهود.

ثانياً: **تعريف المالكية**: عرف المالكية الزنا بأنه: "وَطْءٌ مُكَفِّرٌ مُسْلِمٌ فَرْجٌ آدَمِيٌّ لَا مِلْكَ لَهُ فِيهِ تَعْمَدًا"¹.

شرح التعريف²

- "وَطْءٌ": الْوَطْءُ تَعْبِيبُ الْحَشَفَةِ أَوْ قَدْرِهَا وَلَوْ بِحَائِلٍ خَفِيفٍ لَا يَمْنَعُ اللَّذَّةَ وَبِعِيرٍ اِتْشَارِ الْوَطْءِ.

- "مكلف مسلم": يشترط في الْوَاطِئِ وَالْمَوْطُوعِ التَّكْلِيفُ وَالإِسْلَامُ، فَلَا يُحَدُّ صَبِّيٌّ وَلَا مَحْنُونٌ وَلَا كَافِرٌ إِذْ وَطَهُُمْ لَا يُسَمَّى زِنًا شَرْعًا.

¹ - الدسوقي محمد بن أحمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تحقيق: محمد عبد الله شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ج4، ص313.

² - انظر: الدسوقي، حاشية الدسوقي، ج4ص313، 314؛ عليش، محمد بن أحمد، منح الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، ط1، 1984، ج9، ص245، 246.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمالي

- "فرح آدمي": قُبْلًا أَوْ دُبْرًا لَا غَيْرٌ فَرَحٌ كَيْنِ فَخِدَنِيْنِ وَلَا فَرَحٌ بَهِيمَةٌ.
- "لا ملك له فيه": أَيْ فِي الْفَرْجِ أَيْ لَا تَسْلُطَ لَه عَلَيْهِ شَرْعًا، فَخَرَجَ النَّكَاحُ الْمُخْتَلَفُ فِيهِ فَلَا يُسَمِّي زِنًا.
- "تعمدًا": خَرَجَ بِهِ الْغَالِطُ وَالْجَاهِلُ وَالنَّاسِي.

ثالثاً: **تعريف الشافعية:** عرف الشافعية الزنا بأنه: "إيلاج الذكر بفرج محرم لعيته

حال عن الشبهة مشتهى"¹.

شرح التعريف²:

- "إيلاج": أي حشنة أو قدرها.
- "الذكر": المتصل الأصلي من الآدمي الواضح، ولو أسل وغير متشير وكان ملفوقا في حرفة، ويخرج به إيلاج ذكر مقطوع.
- "بروج": يشمل قبل أنثى ومثله دبر ذكر أو أنثى.
- "محرم": أي في نفس الأمر.
- "حال عن الشبهة": أي المسقطة للحد.
- "مشتهى": تشتهيه الطبائع بأن كان فرج آدمي حي.

رابعاً: **تعريف الحنابلة:** عرف الحنابلة الزنا بقولهم: "هُوَ فَعْلُ الْفَاحِشَةِ فِي قُبْلٍ أَوْ

¹ - الخطيب الشربيني، محمد بن محمد، معنى الحاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994، ج4، ص 186.

² - المرجع نفسه، ج4 ص186.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمالي

دُبِّر¹.

شرح التعريف²:

- " فعل الفاحشة": تغريب الحشمة أو قدرها في الفرج؛ لأن أحكام الوطء تتعلق بذلك، لا بما دونه، فإن غُيّبت³ بعض الحشمة أو وطع دون الفرج أو جامح الحشمي المشكّل³ بذكره أو جومع في قبله أو أتت المرأة المرأة لم يجب الحد، وسواء كان الفرج قُبلاً، أو دُبراً؛ لأن الدبر فرج مقصود، فتعلق الحد بالإيلاج فيه كالقبل، ولأنه إذا وجب الحد بالوطء في القبل وهو مما يستباح، فلأن يجب الوطء في الدبر الذي لا يستباح بحال أولى.

مناقشة التعريفات وبيان الراجح منها: من خلال هذه التعريفات يتبيّن لنا اتفاق

الفقهاء على أمرتين:

الأول: أن الزنا هو الوطء (الإيلاج).

الثاني: تعمد الوطء وهو ما يسمى بالقصد الجنائي.

- قصر الأحناف الزنا الموجب للحد بالوطء الحرم في القبل، فأخرجوه بذلك الوطء في الدبر من مسمى الزنا، وجعلوا له عقوبة أخرى سواء أكان بين رجل وامرأة،

¹ - البهوي منصور بن يونس بن إدريس، دقائق أولي النهي شرح المتهى، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1996، ج6ص181. الرحبياني، مصطفى السيوطي، مطالب أولي النهي في شرح غاية المتهى، المكتب الإسلامي، دمشق، 1961، ج6، ص172.

² - انظر: ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن محمد، الكافي في فقه الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994، ج4، ص85.

³ - المُخْتَى المشكّل هو الذي له ما للرجال والنساء جمِيعاً فلا يُبيّن من أي الجنسين هو. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص145؛ أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 2008، ج2، ص1229.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمالي

أم كان بين رجلين، أما جمهور الفقهاء، فإنهم قد أطلقوا الزنا على كل وطء في قبل أجنبية، أو دبرها.

- يلاحظ على تعريف الحنابلة أنهم قصرروا الزنا على أنه فعل الفاحشة، وهذا قيد غير دقيق، يشمل ما يوجب الحد وما لا يوجبه، وكان الأولى ذكر قيد الإيلاج لأنّه هو الذي يتحقق به الزنا، وهم لا يخالفون في ذلك.

والذي نراه مناسباً من هذه التعريفات هو تعريف المالكية ولكن بإضافة قيد آخر للتعريف وهو كلمة "شبهة" فيصبح التعريف كالتالي: "الزّنا وَطُءٌ مُكَلَّفٌ مُسْلِمٌ فَرْجٌ آدَمِيٌّ لَا مِلْكٌ لَهُ فِيهِ وَلَا شُبُّهَةَ تَعْمَدُ".

المطلب الثالث: تعريف البصمة الوراثية:

الفروع الأول: تعريف البصمة الوراثية لغة:

مصطلح البصمة الوراثية مرَكَبٌ وصفي من كلمتين: "البصمة" و"الوراثية"، ولذلك سوف أتناول معنى كلّ منها على حدة:

- **تعريف البصمة لغة:** البصمة مشتقة من الْبُصْمٌ وهو: فَوْتُ (فُرْجَة) ما يَبْنَى طَرَفُ الْخَنْصَرِ إِلَى طَرَفِ الْبَيْنَصَرِ، يُقال: ما فارَقْتَكَ شَبِيرًا ولا فِتْرًا ولا عَتَّبًا ولا رَبَّبًا ولا بُصْمًا. (رَجُلٌ أَوْ ثَوْبٌ ذُو بُصْمٍ)، أي: (غَلِظٌ)، يقال: رجلٌ ذُو بُصْمٍ: إذا كان غليظاً، وَثَوْبٌ له بُصْمٌ: إذا كان كثيفاً كثيراً الغزل¹، وبَصَمَ بَصْمًا: إذا ختم بطرف إصبعه، والبَصْمَةُ أثر الختم بالإصبع².

¹ - انظر: الريبيدي، تاج العروس، ج 31 ص 290. ابن منظور، لسان العرب، ج 12، ص 50.

² - انظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 4، 2004، ص 60.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمالي

- **تعريف الوراثة** لغة: الوراثة مصدر وَرَثَ وَرِثَةً وَ وَرَاثَةً بكسر الواو وَ إِرْثًا بكسر المهمزة، يُقال: وَرِثْتُ فُلَانًا مَالًا، أَرِثُه وَرِثَةً وَ وَرَاثَةً إِذَا ماتَ مُورِثًا فصارَ مِيراثُه لك، والوراثُ والوراثةُ والتّراثُ مصادر ما يخلفه الميت لورثته¹، وعلم الوراثة: علم يبحث في انتقال صفات الكائن الحي من جيل إلى آخر، وتفسير الظواهر المتعلقة بطريقة هذا الانتقال².

وقد عرَفت بعض القواميس المعاصرة البصمة الوراثية باعتبارها مركبا إضافياً بها: "تحليل لعِينات أنسجة أو سوائل الجسم؛ للتعرُّف على الأفراد"³.

الفرع الثاني: تعريف البصمة الوراثية اصطلاحا:

اختللت عبارات الباحثين المعاصرين في تعريف البصمة الوراثية، وسنقتصر على بعضها على النحو التالي:

التعريف الأول: لـ جين كريستوف غالوكس: **البصمة الوراثية هي:** "الموية الوراثية الأصلية الثابتة لكل إنسان التي تتعين بطريق التحليل الوراثي، وتسمح بالتعرف على الأفراد يقين شبه تام"⁴.

التعريف الثاني: لـ رمسيس بكنام: **"البصمة الوراثية هي المادة الحاملة للعوامل الوراثية والجينات في الكائنات الحية"**¹.

¹ - الريبيدي، تاج العروس، ج 5، ص 380. ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 199.

² - أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 3، ص 2422. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 1024.

³ - أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 1، ص 214.

⁴ - نقلًا عن: حسني محمود عبد الدايم عبد الصمد، البصمة الوراثية ومدى حاجيتها في الإثبات، دار الفكر الجامعي، مصر، الطبعة الثانية، 2011. ص 92.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ————— د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

مناقشة وتعليق: المتأمل لهذه التعريفات السابقة يجد أنها تدور حول معينين هما:

- انتقال الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء (التحقق من الوالدية) - التتحقق من الشخصية. ومن أفضل التعريفات التي وقفت عليها تعريف المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية: "البصمة الوراثية هي البنية الجينية التفصيلية التي تدل على هوية كل فرد بعينه"².

وتتميز البصمة الوراثية بخصائص متنوعة منها:

أولاً: اختلاف البصمة الوراثية للأفراد: فكل إنسان له شفرة تميزه عن غيره من الأفراد، ولا يمكن أن تتشابه بحال إلا في حالة التوائم المتماثلة، بل إن احتمال تشابه بصمتين وراثيتين هو واحد من أربع وستين ملياراً³.

ثانياً: مصداقية البصمة الوراثية: تعتبر البصمة الوراثية ذات مصداقية عالية في الإثبات إذ تبلغ نسبة مطابقتها لل الواقع 99,99% في حالة الإثبات، و100% في حالة النفي¹.

¹ - د/ رمسيس هنام، البوليس العلمي أو فن التحقيق، منشأة المعارف، الإسكندرية، طبعة 1996، ص 150.

² - المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ندوة علمية حول الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري والعلاج الجيني، المنعقدة بالكويت في الفترة ما بين 15-25 جمادى الثانى 1419هـ. الموافق 15-أكتوبر 1998. أشار إليه: علي محبي الدين القره داغي، "البصمة الوراثية من منظور الفقه الإسلامي"، مجلة الجمع الفقهى الإسلامى، مكة المكرمة، عدد 16، 2003، ص 39.

³ - كارم السيد غنيم، الاستنساخ والإنجاب بين تحرير العلماء وتشريع السماء، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1998، ص 119.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ————— د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

ثالثاً: تنوع مصادر البصمة الوراثية: يمكن استخلاص هذه البصمة من أي مخلفات بشرية سائلة مثل الدم، المني، اللعاب، البول، السائل الأمينوسي (*liquide amniotique*) وهو سائل يحيط بالجنين في الرحم، أو أي أنسجة مثل الجلد، العظم والشعر، خلية من البويضة المخصبة بعد انقسامها — خلية من الجنين²، ولكن لا يمكن استخلاصها من خلايا الدم الحمراء التي لا يوجد بها نواة.

رابعاً: قدرة البصمة الوراثية على مقاومة عوامل التحلل والتلف: يقاوم الحامض النووي عوامل التحليل والتلفن لفترات طويلة، حيث تقاوم عوامل الحرارة والرطوبة³.

خامساً: تظهر البصمة الوراثية على هيئة خطوط عريضة تسهل قراءتها وحفظها في الكمبيوتر لحين الحاجة إليها للمقارنة كما هو الحال في بصمات الأصابع.

المبحث الثاني: حجية البصمة الوراثية في إثبات جريمة الزنا:

يتم كشف الجرائم الجنسية بواسطة البصمة الوراثية للسائل المنوي الذي يرفع عن ملابس المجنى عليه أو الأماكن الحساسة للمجنى عليها أو المجنى عليه ومقارنتها بالبصمة الوراثية للمتهم، وكذلك يمكن إثبات زنا الزوجة بالتأكد أن العينة المأخوذة منها للفاعل تختلف عينة الزوج، أو أن المولود لا يثبت نسبه للوالد.

هذا، وقد اتفق الفقهاء على أن حد الزنا يثبت بطريقين:

¹ - نجم عبد الله عبد الواحد، "البصمة الوراثية وتأثيرها على النسب إثباتاً ونفياً"، أعمال وبحوث الدورة السادسة عشر للمجمع الفقه الإسلامي في مكة المكرمة، الدورة المنعقدة بين 5-10 يناير 2002، الجلد الثالث، ص235.

² - المرجع نفسه، ص231.

³ - منير رياض حنا، الطب الشرعي والوسائل العلمية والبوليسية المستخدمة في الكشف عن الجرائم وتعقب الجناة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط1، 2011، ص201.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

الطريق الأول: شهادة أربعة رجال¹، لقول الله تعالى: ﴿وَاللّٰٰتِي يٰٰتٰنَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّٰٰهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾².

الطريق الثاني: الإقرار: اتفق الفقهاء على ثبوت الزنا بالإقرار³، لأن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزاً والغامدية بإقراريهما⁴.

ثم اختلف الفقهاء في إثبات حدّ الزنا بموجب القرائن ومنها البصمة الوراثية، ويكفي أن نميز بين قولين:

المطلب الأول: المحيزون لإثبات جريمة الزنا بقرينة البصمة الوراثية:

ذهب بعض الباحثين المعاصرین إلى إثبات جريمة الزنا بناء على القرائن القوية ومنها البصمة الوراثية، ومن قال بهذا: فؤاد عبد المنعم أحمد، وأحمد أبو القاسم، وما

¹ - انظر: ابن عبد البر النمرى القرطى، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معرض، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ج 7، ص 485.

² - سورة النساء، الآية 15.

³ - انظر: ابن عبد البر، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ج 7، ص 485. ومع ذلك فقد جرى الخلاف بين الفقهاء في بعض المسائل، كعدد مرات الإقرار، هل يتشرط أن يكون أربع مرات، أم يكتفى فيه بمرة واحدة.

⁴ - انظر: قصة رجم ماعز عند البخاري كتاب الحدود، باب هَلْ يَقُولُ الْإِمَامُ لِلْمُقْرَرِ لَعَلَّكَ لَمَسْتَ أَوْ غَمَرْتَ، حديث رقم: 6824، ج 4، ص 256. ومسلم في كتاب الحدود، باب مَنْ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالرِّنَا. حديث رقم: 16-(1691)، ج 3، ص 1318. وحديث رجم الغامدية رواه مسلم في كتاب الحدود، باب مَنْ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالرِّنَا. حديث رقم: 22-(1695)، ورقم: 23-(1695)، ج 3، ص 1321-1323.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

إلى هذا عمر بن محمد السبيل¹، تخرجاً للبصمة الوراثية على إثبات جريمة الزنا بناء على قرينة الحمل، وهو قول المالكية²، وقول بعض المحتابلة³ منهم ابن القيم⁴، وابن تيمية⁵، وهو قول عثمان البيتي⁶.

الفرع الأول: استعراض أدلة القائلين بإثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية:

استدل أصحاب الرأي الأول القائلون بحجية القرآن - ومنها البصمة الوراثية - في إثبات حد الزنا بالسنة والآثار والإجماع والمعقول:

¹ انظر: فؤاد عبد المنعم أحمد، البصمة الوراثية ودورها في الإثبات الجنائي بين الشريعة والقانون، المكتبة المصرية، الإسكندرية. ص82؛ أحمد أبو القاسم، الدليل الجنائي المادي ودوره في إثبات جرائم الحدود والقصاص، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1993، ج2، ص334؛ عمر بن محمد السبيل، "البصمة الوراثية ومدى مشروعية استخدامها في النسب والجنائية"، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، السنة 13. عدد 15، 2002، ص82-84.

² انظر: عليش، منح الجليل، ج9، ص.955؛ النفراوي، أحمد بن غنيم بن سالم، الفواكه الدوائية على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تحقيق: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ج2، ص337، ج.338.

³ جاء في الشرح الكبير على متن المقنع لابن قدام المقدسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج10، ص208: "وإن حملت امرأة لا زوج لها ولا سيد لم تحدّ بذلك بمجرد لكتها تسأل فإن أدعت أنها أكرهت ووظفت بشبهة أو لم تُعرَف بالزنا لم تحدّ".

⁴ انظر: ابن قيم الجوزية، الطرق الحكيمية في السياسة الشرعية، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2008، ص10؛ ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1423هـ، ج2، ص179.

⁵ انظر: ابن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، السعودية، ط3، 2005، ج20، ص383.

⁶ ابن عبد البر، الاستذكار، ج7، ص486.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمالي

أولاً: أدلةهم من السنة: استدلوا بعدة أحاديث، منها:

1- ما رواه عَلْقَمَةُ بْنُ وَائِلٍ بْنُ حُجْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ امْرَأَةً وَقَعَ عَلَيْهَا رَجُلٌ فِي سَوَادِ الصُّبْحِ، وَهِيَ تَعْمِدُ إِلَى الْمَسْجِدِ يَغْصِبُهَا عَلَى نَفْسِهَا، فَاسْتَعَاتْ بِرَجُلٍ مَرَّ عَلَيْهَا، وَفَرَّ صَاحِبُهَا، ثُمَّ مَرَّ عَلَيْهَا قَوْمٌ ذُو عُدَّةٍ، فَاسْتَعَاتْ بِهِمْ، فَأَدْرَكُوا الَّذِي اسْتَعَاتْ بِهِ، وَسَبَقَهُمُ الْآخَرُ، فَأَتَوْ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ اللَّهُ أَكَّهُ وَقَعَ عَلَيْهَا، وَأَخْبَرَهُ الْقَوْمُ أَنَّهُمْ أَدْرَكُوهُ يَسْتَدِّ، فَقَالَ: إِنَّمَا كُنْتُ أُعْنِي عَلَى صَاحِبِهَا، فَأَدْرَكُونِي هَؤُلَاءِ فَأَخْدُونِي، قَالَتْ: كَذَبَ، هُوَ الَّذِي وَقَعَ عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ: لَا تَرْجُمُوهُ، وَلَا كَانَ الَّذِي فَعَلَتْ بِهَا الْفِعْلَ، فَاعْتَرَفَ فَاجْتَمَعَ ثَلَاثَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهَا، وَالَّذِي أَعْنَاهَا، وَالْمَرْأَةُ، فَقَالَ: «أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ غُفرَ لَكَ، وَقَالَ لِلَّذِي أَعْنَاهَا قَوْلًا حَسَنًا»، فَقَالَ عُمَرُ: ارْجِعْ الَّذِي اعْتَرَفَ بِالزِّنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا إِنَّمَا قَدْ تَابَ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا أَهْلُ يَثْرِبَ لَقُبْلَ مِنْهُمْ».¹

¹- رواه: أبو داود في كتاب المحدود، باب في صاحب الحد يحيى فيقر، حديث رقم: «4379»، ج 4، ص 352. والترمذمي في كتاب المحدود، باب ما جاء في المرأة إذا استكرهت على الزنا، حديث رقم: «1454»، ج 4، ص 56. والطبراني في المعجم الكبير رقم: «18» و«19»، ج 22، ص 16؛ والنمسائي في كتاب الرجم، باب ذكر الاختلاف على يعقوب بن عبد الله بن الأشج فيه، حديث رقم: «7311»، ج 4، ص 313. والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب السرقة، باب من قال يسقط كل حقو لله تعالى بالتلويحة قياساً على آية المحاربة، حديث رقم: «17323»، ج 8، ص 494. وأخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم: «27240». ج 45، ص 213. والحديث صحيحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم: «900»، ج 2، ص 567، 568.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

ووجه الاستدلال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر برجم المغيث من غير بينة ولا إقرار، اعتبارا بالقرائن وشواهد الأحوال، وهذا من أدل الدلائل على اعتبار القرائن والأخذ بشواهد الأحوال في التهم، قال ابن القيم: "فهذا الرجل لَمَّا أُدْرِكَ وَهُوَ يَشَتَّدُ هَرَبَا وَقَالَتِ الْمَرْأَةُ هَذَا هُوَ الَّذِي فَعَلَ بِي، وَقَدْ اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ دَنَّا مَنْهَا وَأَتَى إِلَيْهَا، وَادْعَى أَنَّهُ كَانَ مُغَيِّثًا لَا مُرِيبًا، وَلَمْ يَرَ أَوْلَئِكَ الْجَمَاعَةَ غَيْرَهُ، كَانَ فِي هَذَا أَظْهَرَ الْأَدْلَةَ عَلَى أَنَّهُ صَاحِبُهَا"¹.

2- عن سعيد بن المسيب عن رجلي من الأنصار يُقال له بصرة قال: تزوجت امرأة يكرأ في سترها فدخلت عليها فإذا هي حبلى فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لها الصداق بما استحصل من فرجها وأولده عبد لك فإذا ولدت فاجلدوها»².

ووجه الاستدلال: يدل هذا الحديث على وجوب الحد بالقرينة الظاهرة وهي الحمل، إذ لم يثبت عليها الحد ببينة ولا إقرار، قال ابن القيم: "وَكَضَمْنَتْ وُجُوبَ الْحَدِّ بِالْحَبَلِ وَإِنْ لَمْ تَقُمْ بِيَنَةً وَلَا اعْتِرَافٌ، وَالْحَبَلُ مِنْ أَقْوَى الْبَيِّنَاتِ"³.

¹- إعلام الموقعين، ج 4، ص 348.

²- رواه: أبو داود في كتاب النكاح، باب في الرجل يتزوج المرأة فيجدها حبلى، رقم: «2131»، ج 2، ص 414. والدارقطني في كتاب النكاح، باب المهر، رقم: «3617»، ج 4، ص 369. والحاكم في كتاب النكاح، رقم: «2746»، ج 2، ص 199. والبيهقي في الكبرى: كتاب النكاح، باب لا عدة على الرأي، رقم: «13889»، ج 6، ص 254. وابن حريج المذكور كان مدلسا. انظر: أبو زرعة الرازي، الضعفاء، ج 2، ص 743. وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، حديث رقم: «2131»، ص 164.

³- زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، ط 27، الكويت، 1994، ج 5، ص 105.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمالي

ثانياً: أدلة من الآثار: استدلوا بعدة آثار، منها ما رواه عبد الله ابن عباسٌ رضي الله عنهما قال: قال عمر: «لَقَدْ خَمِشْتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ حَتَّى يَقُولَ قَائِلُ لَا تَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَيَضْلُلُوا بِرَتْكٍ فَرِيضَةٌ أَنْزَلَهَا اللَّهُ، أَلَا وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَئَنَ وَقَدْ أَحْسَنَ إِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَاتُ أَوْ كَانَ الْجَبَلُ أَوْ الْاعْتِرَافُ».¹

ثالثاً: الإجماع: قالوا: إن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما قالا هذا جموع من الصحابة ولم يظهر لهما في عصرهما مخالف، فيكون إجماعاً على مشروعية العمل بالقرائن في إثبات الحدود².

رابعاً: القياس: تقاس البصمة الوراثية على ما ذهب إليه بعض الفقهاء القدماء من إثبات بعض الحدود بالقرائن الدالة على موجتها، ومن ذلك: إثبات حدّ الزنا على الحامل إذا لم تكن ذات زوج ولا سيد، وإثبات حدّ الخمر على من وُجدت منه رائحته أو تقيّاه، وإثبات حدّ السرقة على من وجد المال المسروق عنده³.

الفرع الثاني: مناقشة أدلة القائلين بإثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية:

يناقش ما استدل به المحوزون لإثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية من عدة أوجه:

أولاً: مناقشة استدلالهم بالسنة:

¹ - أخرجه بهذا اللفظ: مسلم في كتاب الحدود، باب رَجْمِ الشَّيْبِ فِي الرَّجَنِ، ج3، ص1317، رقم: 15-(1691). ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب الاعتراف بالزناء، رقم: 6829، ج4، ص257. ورواه مطولا في باب رَجْمِ الْجُبَلِ مِنْ الرَّجَنِ إِذَا أَحْسَنَتْ، رقم: 6830، ج4، ص258.

² - ابن قدامة المقدسي، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب، ط3، الرياض، 1997، ج12، ص.377.

³ - انظر: السبيل، "البصمة الوراثية"، ص.83.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

1- مناقشة استدلالهم بحديث عَلْقَمَةُ بْنُ وَائِلٍ بْنُ حُجْرٍ في قصة المرأة التي وقع عليها رجل في سواد الصبح:

يناقش الاستدلال بهذا الحديث من وجهين:

الوجه الأول: الحديث مضطرب في متنه، فبعض الروايات صرحت أن النبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن رجم الذي اعترف بالزنا لتوبيته، وبعضها صرحت بأنه أمر برجمه، وهذا يورث ضعفاً في الحديث فلا يجوز الاستدلال به على هذا الأمر الخطير، وابن القيم نفسه ذكر أن الحديث مضطرب¹.

الجواب عنه: يحاب عن هذه المناقشة بأن الاضطراب الواقع في الحديث ليس في الأمر برجم الذي أغاثها، وإنما هو في رجم الذي ارتكب جريمة الزنا معها، ومحل استدللنا إنما هو في الأمر برجم الذي أغاثها بناء على القرينة التي هي شواهد الحال².

الوجه الثاني: الحديث بظاهره مشكل، إذ لا يستقيم الأمر برجم من غير إقرار ولا بينة، وقول المرأة لا يصلح بينة، بل هي التي تستحق أن تحدّ حدّ القذف، فعلل المراد بالحديث: فلما قارب أن يأمر به³.

الجواب عنه: إن هذا مثل إقامة الحدّ باللوث الظاهر القوي، فإنه أدركَ وهو يشتَدُّ هارباً، واعترف بأنه كان عند المرأة، وأنه كان معيناً لها، وقالت المرأة هو هذه، فهذا الحديث من أدلّ الدلائل على اعتبار القرائن والأدلة بشواهد الأحوال في التهم¹.

¹- الطرق الحكمية، ص 52.

²- انظر: محمد رأفت عثمان، النظام القضائي في الفقه الإسلامي، دار البيان، دمشق، ط 2، 1994، ص 483.

³- انظر: العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1415هـ، ج 12، ص 28.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

2- مناقشة حديث سعيد بن المسيب¹: يناقش استدلالهم بالحديث بأنه ضعيف، وعلى فرض صحته فهو منسوخ؛ لأنَّه جعل الولد عبداً، ولا أحد من الفقهاء قال به². ثانياً: مناقشة أدلةِهم من الآثار: يناقش استدلالهم بالآثار بأنَّ هذا قول عمر وعلي رضي الله عنهما، وأقوال الصحابة مختلف في حجيتها، فلا يؤخذ بقولهما في إثبات مثل هذا الأمر العظيم الذي يفضي إلى هلاك النفوس، وكون عمر رضي الله عنه قال هذا بجمع من الصحابة ولم ينكر عليه أحد لا يستلزم أن يكون إجماعاً؛ لأنَّ الإنكار في مسائل الاجتهاد غير لازم للمخالف، ولا سيما إذا كان القائل بذلك عمر، وهو بمثابة من المهابة في صدور الصحابة وغيرهم³.

الجواب عنه: القول بأنَّ الصحابة لم يعتضوا مهابة عمر قول لا يلتفت إليه البتة؛ لأنَّه يتهم الصحابة رضي الله عنهم بالنقص والتقصير والجبن عن إنكار المكر، وهم بخلاف ذلك رضي الله عنهم⁴.

ثالثاً: مناقشة استدلالهم بالقياس:

قياس البصمة الوراثية على المسائل التي أعمل فيها الفقهاء القراءن في باب الحدود لا يصح من وجهين:

¹ انظر: إعلام الموقعين، ج 4، ص 348.

² انظر: ابن مفلح، المبدع شرح المقنع، دار عالم الكتب، الرياض، 2003، ج 6، ص 352.

³ انظر: الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن القيم، السعودية، دار ابن عفان، القاهرة، ط 1، 2005، ج 9، ص 47.

⁴ انظر: عبد الناصر أبو البصل، القضاء بالقراءن، مسائل في الفقه المقارن، دار النفائس، الأردن، ط 2، 1997، ص 290.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

الوجه الأول: أن القياس لا يصح في مسائل الحدود؛ لأن الحدود تدرأ بالشبهات، والشبهة موجودة في القياس لاحتماله الخطأ.¹

الجواب عنه: مسألة عدم إثبات الحدود بالقياس مما انفرد به الحنفية، والجمهور أجازوا القياس في الحدود، والأدلة الدالة على حجية القياس عامة لم تخصص بعض الأحكام دون بعض². وأجيب بما ذكره الحنفية من الشبهة في القياس لاحتماله الخطأ، بالنقض بخبر الواحد، وبالشهادة، فإن احتمال الكذب والخطأ فيما وارد؛ لأنهما لا يفيدان القطع³.

الوجه الثاني: أن قياس البصمة الوراثية على المسائل التي أجاز فيها الفقهاء العمل بالقرائن لا يصح؛ لأن من شروط صحة القياس أن يكون الحكم في الأصل متفقاً عليه أو ثابتاً بطريق النص؛ لأنه لو كان مختلفاً فيه احتاج إلى إثباته أولاً⁴.

الجواب عنه: أن حكم الأصل وإن كان مختلفاً فيه في هذه المسألة إلا أنه ثبت بالنص وإجماع الصحابة، وذلك كاف في جعله أصلاً صالحاً للقياس⁵.

¹ - انظر: السرخسي، أبوبكر محمد بن أبي سهل، أصول السرخسي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج2، ص201. الرازى الجصاص أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ، الفصول في الأصول، تحقيق: عجیل جاسم النشمي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط2، 1994، ج4، ص105.

² - انظر: الزركشي، محمد بن بکادر، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ج4، ص47؛ ابن النجار، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الرحيلي وزنزية حماد، مكتبة العبيكان، السعودية، ط2، 1997، ج4، ص27، 28.

³ - انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج20، ص384.

⁴ - انظر: ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج4، ص27، 28. الزركشي، البحر المحيط، ج4، ص78.

⁵ - انظر: بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص155.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

المطلب الثاني: المانعون لإثبات جريمة الزنا بقرينة البصمة الوراثية:

ذهب أغلب الفقهاء المعاصرین إلى عدم جواز إثبات جريمة الزنا بقرينة البصمة الوراثية، ومن قال بهذا: يوسف القرضاوي¹، وهبة الرحيلي²، ونصر فريد واصل³، ومحى الدين القره داغي⁴، ومحمد المدنی بوساق⁵، وسعيد بن مسفر هلالی⁶، وبهأخذ مجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة⁷، وهذا تحریجاً لقرينة البصمة الوراثية على مذهب جمهور الفقهاء المانعين للعمل بالقرائن في إثبات جريمة الزنا، كحمل المرأة الحلية التي لا زوج لها، وهو قول الحنفية⁸ والشافعية¹ والظاهرية²، وهو المذهب عند الحنابلة³.

¹ - يوسف القرضاوي، "الفقه الإسلامي والبصمة الوراثية"، متاح على الموقع الرسمي للشيخ يوسف القرضاوي، شوهد بتاريخ 10 ماي 2020 على الرابط:

www.qaradawi.net/new/component/content/article/220-2014-01-26-18-21-41/2014-01-26-18-26-08/804

² - وهبة الرحيلي، "البصمة الوراثية ودورها في الإثبات"، المجلد الثاني، ص 526.

³ - نصر فريد واصل، "البصمة الوراثية و مجالات الاستفادة منها"، ص 94-96.

⁴ - محى الدين القره داغي، "البصمة الوراثية من منظور الفقه الإسلامي"، مجلة الجمع الفقهي الإسلامي، العدد 16 سنة 2003، ص 59.

⁵ - محمد المدنی بوساق، موقف الشريعة الإسلامية من استخدام البصمة الوراثية في الإثبات الجنائي، ص 93.

⁶ - سعيد بن مسفر هلالی، البصمة الوراثية وعلاقتها الشرعية، ص 445.

⁷ - مجلة الجمع الفقهي الإسلامي، العدد 15، 2002، ص 479.

⁸ - ابن نحيم، البحر الرائق، ج 5، ص 5-7. الزيلعي، تبيان الحقائق شرح كثر الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ط 2، ج 3، ص 166.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ————— د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

الفرع الأول: أدلة المانعين لإثبات جريمة الزنا بقرينة البصمة الوراثية: استدلل

القائلون بأن حدّ الزنا لا يثبت بالبصمة الوراثية بالسنة والآثار والمعقول:

أولاً: أدلةهم من السنة: استدللوا بأحاديث كثيرة منها:

1- عن ابن عباسٍ رضي الله عنه قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ رَاجِحًا أَحَدًا بِعَيْرٍ بَيْنَ لَرَجَمَتُ فُلَانَةَ فَقَدْ ظَهَرَ مِنْهَا الرِّيَةُ فِي مَنْطِقِهَا وَهِيَتِهَا وَمَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهَا»⁴.

وجه الاستدلال: لو كان العمل بالقرائن جائزاً لإثبات جريمة الزنا لأقام النبي صلى الله عليه وسلم الحدّ على هذه المرأة لوجود القرائن الدالة على زناها، فدلّ هذا على

¹- جاء في أنسى المطالب في شرح روض الطالب، الأنباري، زكريا بن محمد بن زكريا، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000 ج 4، ص130: "لَا يَبْتَأِ الْحَدُّ إِلَّا بِيَبْيَنَةٍ أَوْ إِقْرَارٍ وَأَنْوَهَ مَرَّةً".

²- ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد، المخلوي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، 1352هـ، ج 11، ص280، 281.

³- قال ابن قدامة المقدسي، الكافي، ج4، ص89: "وَلَا يَبْتَأِ إِلَّا بِأَحَدِ شَيْئَيْنِ: إِقْرَارٌ أَوْ بَيْنَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْزَّنَا الْمُوْجِبُ لِلْحَدِّ إِلَّا بِمَا".

⁴- رواه: ابن ماجة، كتاب الحدود، باب مَنْ أَظْهَرَ الْفَاحِشَةَ، رقم: «2559». ص2559. الطبراني، المعجم الأوسط، رقم: «8620». ج 8 ص274. قال الكتبي في مصباح الرجاجة، ج 3 ص106: "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات وله شاهد في الصحيحين وغيرهما". وصححه ابن حجر، فتح الباري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، ج 12، ص181. والألباني في تعليقه على سنن ابن ماجة، ص436.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

عدم مشروعية العمل بالقرائن¹، قال الشوكاني: "لَا يَجِدُ الْحَدُودُ بِالْتَّهَمِ... فَلَا يَجِزُّ مِنْهُ إِلَّا مَا أَجَازَهُ الشَّارِعُ كَالْحَدُودِ وَالْقَصَاصِ وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ، بَعْدَ حَصْولِ الْيَقِينِ؛ لِأَنَّ مَجْرِدَ الْحَدَسِ وَالتَّهَمَةِ وَالشُّكُوكِ مَظْنَةٌ لِلْحَطَّأِ وَالْغَلْطِ".²

2- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اَدْرُءُوا الْحُدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنْ وَجَدْتُمْ لِلْمُسْلِمِ مَخْرَجًا فَخَلُوْا سَبِيلَهُ فَإِنَّ الْإِمَامَ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ».³

¹- انظر: صالح بن غانم السدلان، القرائن ودورها في الإثبات في الشريعة الإسلامية، دار بلنسية، الرياض، ط2، 1418هـ، ص53.

²- الشوكاني، نيل الأوطار من أسرار منتقة الأخبار، ج9ص43.

³- روي هذا الحديث موصولاً وموقوفاً، فالموصول رواه الترمذى في كتاب الحدود، باب ما جاءَ في درءِ الحدود، رقم: 1424، ج4، ص33. والبيهقي، الكرى، كتاب الحدود، باب ما جاءَ في درءِ الحدود بالشبهات، رقم: 17057، ج8، ص413. والدارقطنى، كتاب الحدود والديات وغيرها، رقم: 3097، ج4، ص62. وابن أبي شيبة، المصنف، في درءِ الحدود بالشبهات، رقم: 28502، ج5، ص512. والحاكم، المستدرك، كتاب الحدود، رقم: 8163، ج4، ص426. ورواه موقوفاً على عائشة: البيهقي في الكرى، كتاب الحدود، باب ما جاءَ في درءِ الحدود بالشبهات، رقم: 17058، ج8، ص413. والتزمذى في كتاب الحدود، باب ما جاءَ في درءِ الحدود، رقم: 1424، ج4ص33. عبد الرزاق المصنف، كتاب القطة، باب في الكفر بعد الإمام، رقم: 18698، ج10، ص166. قال البيهقي في السنن الكبرى ج8، ص413: "تَفَرَّدَ بِهِ يَزِيدُ بْنُ زِيَادِ الشَّامِيِّ عَنِ الرُّهْبَرِيِّ وَفِيهِ ضَعْفٌ. وَرَوَيَةُ وَكِيعٍ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَرَوَاهُ رِشْدِيُّ بْنُ سَعْدٍ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ الرُّهْبَرِيِّ مَرْفُوعًا وَرِشْدِيُّ بْنُ ضَعِيفٍ". وقال ابن حجر في التلخيص الحبير، ج4، ص161: "وَفِي إِسْنَادِهِ يَزِيدُ بْنُ زِيَادَ الدَّمْشِقِيِّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ". وَضَعْفُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي سَلْسَلَةِ الْأَحَادِيثِ الْمُضَعِّفَةِ وَالْمُوْضَوْعَةِ، حَدِيثُ رَقْمِ: 2197، ج5ص222.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

ووجه الاستدلال: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بدرء الحدود بالشبهات، والشبهة في البصمة الوراثية قائمة، لا في نتيجة البصمة الوراثية ذاتها وإنما فيما يلابسها أو يخالطها من شبهات تتعلق بظروف محیطة بها، من الطبيب والآلة ونحوهما، واحتمال الخطأ وارد¹، وهناك شبهة أخرى: فالبصمة الوراثية وإن كانت دليلاً مادياً لتحديد هوية الشخص والعلاقة بينه وبين آثاره التي خلفها وراءه في مسرح الجريمة، لكن لا يمكننا أن نقطع بأنه هو مرتكب الجريمة لإمكان تواجده صدفة في مكان الجريمة، وهذه شبهة تدراً عنه الحد².

ثانياً: الآثار عن الصحابة:

1- عن النَّذَالِ بْنِ سَبَرَةَ، قَالَ: «يَبْيَنُمَا نَحْنُ بِمَنِي مَعَ عُمَرَ، إِذَا امْرَأٌ صَحْمَةٌ عَلَى حِمَارٍ تَبْكِي، فَدُكَدَ النَّاسُ أَنْ يَقْتُلُوهَا مِنَ الرِّحَامِ، يَقُولُونَ: زَيْتٌ، فَلَمَّا اتَّهَمْتُ إِلَيْهِ عُمَرَ، قَالَ: مَا يُبَكِّيكِ؟ إِنَّ الْمَرْأَةَ رُبَّمَا اسْتُكْرِهَتْ، فَقَالَتْ كُنْتُ امْرَأً ثَقِيلَةَ الرَّأْسِ، وَكَانَ اللَّهُ يَرَوْقُنِي مِنْ صَلَاتِ اللَّيْلِ، فَصَلَيْتُ لَيْلَةً ثُمَّ نَمْتُ، فَوَاللَّهِ مَا أَيْقَظَنِي إِلَّا الرَّجُلُ قَدْ رَكَبَنِي، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ مُقْفِيًّا مَا أَدْرِي مَنْ هُوَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ قُتِلْتُ هَذِهِ خَشِيتُ عَلَى الْأَخْشَيْنِ النَّارَ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ الْأَمْصَارِ: أَنْ لَا تُقْتَلَ نَفْسٌ دُونَهُ»³.

¹- وهبة الرحيلي، "البصمة الوراثية ودورها في الإثبات"، مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون، طبع جامعة الإمارات العربية المتحدة، ج 2، ص 526.

²- انظر: نصر فريد واصل، "البصمة الوراثية ومحالات الاستفادة منها"، مجلة الجمع الفقهى الإسلامى، مكة المكرمة، العدد 17، 2004، ص 96، 97. سعيد بن مسفر هلالى، البصمة الوراثية وعلاقتها الشرعية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 2010، ص 445.

³- رواه: ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الحدود، في درء الحدود بالشبهات، حديث رقم: 361، ج 9، ص 28971.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

2- عن طارق بن شهاب قال: بلغَ عَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً مُتَعَبِّدَةً حَمَلَتْ، فَقَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَرَاهَا فَآمَتْ مِنَ الْلَّيلِ تَصْلِي فَأَتَاهَا غَارٍ مِنَ الْعُوَادِ، فَتَحَشَّمَهَا، فَأَكَتْهُ فَحَدَّثَتْهُ بِذَلِكَ سَوَاءً، فَخَلَّى سَبِيلَهَا»¹.

وجه الاستدلال: تدل هذه الآثار أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يقم الحد على المرأة الخلية التي حملت، وقبل منها دعواها على الإكراه، فدل ذلك على أن الحد لا يثبت بمجرد القرينة ومنها البصمة الوراثية.

ثالثاً: من المعمول: الدليل من المعمول من أوجه:

الوجه الأول: أن الشارع الحكيم مع حصره طرق الإثبات في الشهادة والإقرار فإنه قد عاد عليهما بضوابط وقيود كثيرة تحدّد من إعمالهما إلا في القليل النادر، ومن ذلك إثبات جريمة الزنا فإذا لم تثبت ولو مرة واحدة بالشهادة خلال خمسة عشر قرنا، أما الإقرار فمع التوجيه النبوي بالإعراض عن المقرّ والتعريض له بالرجوع واشتراط تعدده في مجالس القضاء، فقد ترك أيضا الحرية للمقرّ بالرجوع عنه حتى في أثناء التنفيذ، فإذا كان هذا حال طرق الإثبات المقررة شرعاً فكيف يعتد بالقرينة التي ليست من طرق الإثبات في الحدود، ومنها البصمة الوراثية المكتشفة حديثاً².

¹ رواه ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الحدود، في درء الحدود بالشبهات، حديث رقم: 28965، ج 9، ص 359. وعبد الرزاق، المصنف، كتاب الطلاق، بابُ الْبِكْرِ وَالثَّيْبِ سُتُّكْرَهَانِ، حديث رقم: 13664، ج 7، ص 409.

² المرجع نفسه ص 94، 95.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

الوجه الثاني: رغب الشارع في نصوص صحيحة صريحة في الستر عن جرائم الحدود، وتجويز إثباتها بالقرائن يخالف قصد الشارع في سترها، فلا يعتد بها في الإثبات موافقة لقصد الشارع¹.

الوجه الثالث: أن قصد الشارع فيما يتصل بالحدود يميل إلى التقليل من تنفيذ العقوبات المقررة لها لشدةّها؛ لأن المدف عنها يتحقق بمقاومة الدفاع والردع العام، وذلك يتحقق بتأكيد صرامتها وعدم التنازل عنها، فلا تجوز إذن مخالفه قصد الشارع بتكثير طرق إثباتها بالقرائن ومنها البصمة الوراثية².

الفرع الثاني: مناقشة أدلة المانعين لإثبات جريمة الزنا بقرينة البصمة الوراثية:

يناقش المانعون لإثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية من الوجوه التالية:

أولاً: مناقشة استدلالهم بالسنة:

1- مناقشة استدلالهم بحديث ابن عباس رضي الله عنه: يناقش استدلالهم بحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه بأننا لا نسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يُقم عقوبة الزنا على المرأة لعدم جواز العمل بقرينة، بل لأن هذه القريئة التي ظهرت منها ضعيفة غير كافية لإثبات الحدّ، وضعف القرائن يدرأ الحدود؛ لأن الحدود تدرأ بالشبهات³.

¹ - انظر: المرجع نفسه، ص 95.

² - انظر: محمد الدين بوساق، موقف الشريعة الإسلامية من استخدام البصمة الوراثية في الإثبات الجنائي، ضمن كتاب الاستخدام الشرعي والقانوني للوسائل الحديثة في التحقيق الجنائي، الرياض، ط 1، 2008، ص 94.

³ - فهد زامل بن بركة الحوشان، مدى مشروعية استخدام الأجهزة الأمنية لبعض الوسائل التقنية الحديثة في كشف الجريمة، رسالة ماجستير، سنة 2000، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية،



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

- 2- مناقشة استدلالهم بحديث عائشة رضي الله عنها: ينافق استدلالهم بحديث عائشة رضي الله عنها بأن هذا الحديث غير ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وال الصحيح أنه موقف، ولو سلمنا بصحته فليست كل شبهة يدرأ بها الحد، بل ذلك خاص بالشبهة القوية، وليس البصمة الوراثية منها، والخطأ في نتائج البصمة الوراثية وإن كان واردا إلا أنه يمكن تجنبه بجملة من الشروط التي تجعل وقوعه في حكم النادر، منها:
- أن تتحقق الخبرة، والعدالة فيما يقوم بإجراءات تحليل البصمة الوراثية.
 - أن تتوافر في المعامل الموصفات والضوابط المعتبرة عالمياً ومحلياً في هذا المجال.
 - أن تتكرر التجربة في أكثر من معمل، ويتأكد من سلامية المعامل والأجهزة.
 - أن لا يتم التحليل إلا بإذن قضائي، أو تصريح من الجهات المختصة.

الجواب عن هذه المناقشة: الحديث وإن كان ضعيفا إلا أنه ورد من طرق مختلفة تدل على أن له أصلا، بل أجمع العلماء على أن الحدود تدرأ بالشبهات¹.

ثانياً: مناقشة استدلالهم بالأثار:

ينافق استدلالهم بالأثار الواردة عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما بأن عدم إقامة الحد على المرأة ليس فيه دليل على أنه لا حجة في إثبات الحد بالقرائن، بل غاية ما فيه أنهما درءا عنها الحد لقيام قريبة أخرى أقوى تثبت صحة

الرياض، ص89؛ الرحيلي، وسائل الإثبات، ص509؛ عبد الناصر أبو البصل، القضاء بالقرائن، ص387.

¹ - انظر: ابن الهمام، شرح فتح القدير، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ج5، ص237.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمالي

دعواها وهي تقوها وتعيدها، فقد ورد في بعض الروايات أن عمر رضي الله عنه «سأَلَ قَوْمًا فَأَنْوَرُوا خَيْرًا»¹.

ثالثاً: مناقشة استدلالهم بالمعقول: ينافش استدلالهم باحتمال الشبهة في البصمة الوراثية، والحدود تدرأ بالشبهات بأن هذه الاحتمالات وإن كانت ممكنة الواقع إلا أنها نادرة، والحكم يبنى على الكثير الغالب لا على القليل النادر، كما أن الشهادة والإقرار ربما تطرق إليهما الضعف، فقد يكذب الشهود، أو يخطئوا، وقد يكون الإقرار نتيجة إكراه، وهذا متصور وواقع².

المطلب الثالث: الترجيح:

بعد استعراض آراء الفقهاء وأدلتهم وما دار حولها من مناقشات يمكن القول بأن رأي الجمهور القائل بعدم إقامة حد الزنا بقرينة البصمة الوراثية هو الراجح، وذلك بناء على ما يلي:

أولاً: القاعدة الشرعية أن الحدود الشرعية تدرأ بالشبهات: والشبهة موجودة في البصمة الوراثية، وهذه الشبهة تظهر من ناحيتين:

الناحية الأولى: أن البصمة الوراثية وإن كانت نتائجها لا تكاد تخطي في ذاهما، فهي تقرب من اليقين، غير أن الخطأ وارد فيها، وهو راجع إلى الجهد البشري، أو عوامل التلوث، أو نحو ذلك، ولو سلمنا بامتناع ذلك كله فهناك شبهة أخرى:

¹ - رواه: ابن أبي شيبة، المصنف، حديث رقم: «28970»، ج 9 ص 360.

² - من ذلك ما أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب: إِذَا أَصَابَ قَوْمٌ مِنْ رَجُلٍ هُلْ يُعَاقِبُ أَوْ يَغْتَصِبُ مِنْهُمْ كُلُّهُمْ، ح 4 ص 272: "وَقَالَ مُطَرِّفٌ عَنِ الشَّعْبِيِّ فِي رَجُلَيْنِ شَهِدَا عَلَى رَجُلٍ أَنَّهُ سَرَقَ فَقَطَعَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ حَاءَ بِآخِرَ وَقَالَ أَخْطَلَنَا فَأَبْطَلَ شَهَادَتَهُمَا وَأَحْدَى بِدِيرَةِ الْأَوَّلِ، وَقَالَ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكُمَا تَعْمَدُونَمَا لَقَطَعْتُكُمَا".



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

الناحية الثانية: البصمة وإن كانت تدل بيقين على صاحب الأثر إلا أنه لا يمكننا أن نخزم بوقوع الوطء الشرعي الذي يثبت به الحدّ، فوجود المني أو إثبات أن المولود هو ابن لفلان من الناس، لا يلزم منه وقوع الإيلاج الذي يترتب عليه حدّ الزنا، فقد يتزل الرجل أو تحمل المرأة دون إيلاج، وهذه شبهة يدرأ بها الحدّ.

ثانياً: منهج الشارع في مسألة إثبات حدّ الزنا: وردت جرائم الحدود في الإسلام على سبيل الحصر، وتولى الشارع تقدير عقوبتها فلم يترك للإمام مجالاً لتقديرها، ثم حدد لها طرقاً للإثبات تختلف في أكثر صورها عن إثبات الحقوق الأخرى، ومعنى ذلك أن الشارع قد سلك في إثبات الحدود مسلكاً معيناً، فإهمال هذا المسلك إخلال بنظامه.

ثالثاً: تشوف الشارع إلى درء الحدود: يت Shawf الإسلام إلى درء الحدود وخاصة حدّ الزنا، وهذا يظهر من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وما فصله الفقهاء في كتبهم، ويظهر ذلك جلياً في التوافي الآتية:

الناحية الأولى: تشدد الشارع في مسألة إثبات حدّ الزنا: لقد ضيق الإسلام في مسألة إثبات حدّ الزنا، فلم يقبل أقلّ من أربعة رجال، يجب أن يحدّدوا زمان ارتكاب الجريمة ومكافئها، ويجب أن يشهدوا بأنهم رأوا الفعل بوصفه الدقيق كالمروود في المكحلة، فإنْ نقصَ عددُ الشهود عن ذلك جلدوا حدّ القذف، ولا يلتفت القاضي إلى إمكان صدق الشهود أو كذبهم، وإنما يفترض أنهم كاذبون لجرد أن عددهم نقص عن العدد المطلوب شرعاً، بل لو كان الشهود أربعة ثم نكل أحدهم في مجلس القضاء بعد أن شهد ثلاثة الآخرون، حُدّ الشهود الثلاثة حد القذف، وقد أدى هذا التشدد من الناحية العملية إلى تعذر إثبات هذا الحدّ بالشهادة على مرّ التاريخ الإسلامي .¹

¹- قال أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1، 2004، ج 2، ص 279: "وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر الفواحش فإن أفحشها

إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ————— د. محمد طيب عمور و د. بوعلام قرمال

والطريق الثاني الذي يثبت به حد الزنا هو الإقرار، وقد تشدد الفقهاء فيه حتى اشترط بعضهم تكرار الإقرار أربع مرات، مُصرّاً في كل مرة على إقراره، ويفهم من تشدد الشارع في إثبات حد الزنا أن مقصوده ليس إثبات جريمة الزنا فقط، فلو كان ذلك مقصوده فليس هناك أقوى من شهادة ثلاثة رجال عدول ببرؤية الزنا رؤية كاملة لل فعل ثم يشهد الرابع بأنه لم ير الفعل إنما رأى ما يدل عليه من أرجل مرفوعة وغير ذلك، ومع هذا لم يجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أقسى به¹.

إذن هناك مقصود آخر من تشدد الشارع في مسألة إثبات الحدّ هو:

1- إن جريمة الزنا تصدر من صاحبها خفية في ركن مستور لا يعلم به أحد من الناس، ويندر أن يطلع أحد على حقيقة هذه الواقعه كما وقعت، والجرائم التي تكون على هذه الشاكلة إذا لم يكن التحري كاملاً عن حقيقة وقوعها ترمي الناس بالقول بها، فرمي بها البرُّ والفاجرُ، وصارت البيئة يطللها الرفت والفسق، وترتب على ذلك أن يصير عرضة للعقاب البريء والسقيم، والإقرار وتكراره إعلان للجريمة وكشف لها، وفي ذلك إفساد للجو الخلي العام، فلا بد من الردع ولا بد من العقاب الصارم، فخفاء الجريمة وشدة العقاب أوجبا ذلك الاحتياط².

الزنا، وقد نُيَطَ بأربعة من العدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالمروء في المكحلة، وهذا قط لا يتحقق".

١- شهد على المغيرة بن شعبة ثلاثة بالزرن ونكلَ زيادٌ فحدّ عمر الثلاثة وقال لهم: توبوا تُقبلُ شهادتكم فتاب رجلان ولم يتبع أبو بكرة فكان لا يقبل شهادته. الآخر رواه عبد الرزاق في المصنف، كتاب الحدود، باب قوله وَلَا تَقْبِلُوْا لَهُمْ شَهَادَةً أَبْدًا، رقم: «13564»، ج 7، ص 384. وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الحدود، باب في التَّهَادَةِ عَلَى الزَّنِي كَيْفَ هِيَ، رقم: «29297»، ج 9، ص 428. والطبراني في المعجم الكبير، رقم: «7227»، ج 7، ص 311.

² - محمد أبو زهرة، *الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي* - الحرمي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص.58.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

2- إن المقصود من هذا التشدد هو إثبات العلانية الفاضحة التي تشيع الفاحشة في المجتمع، فالشهود الأربع ليسوا مجرد دليل لإثبات الفعل، بل المقصود من ذلك هو ثبوت تحول الفعل إلى الحالة العلنية الفاضحة، فالمسألة ليست مسألة إثبات وتلبس فقط، بل هي مسألة علنية فاضحة ومجاهرة استفزازية تحدد نقاط المجمع وقيمه وأخلاقياته، وحرص المشرع على حماية المجتمع من كل مجاهرة بهذه العلاقة الجنسية يوجب ردعها. بمعاقبة الشهود الذين يقل عددهم عن النصاب المقرر، وذلك لتحذير الشهود من التسرع في الشهادة على الفاحشة إلا إذا كانت العلانية فاضحة وشهادتها أربعة شهود على الأقل، فالأفعال الفاضحة يجب أن تزوي في ركن مستور، حتى يقتلها الظلام.¹

3- إن التوسيع في إثبات مثل هذه الجرائم فيه إشاعة للفاحشة، الأمر الذي ربما يترك في القلوب استهانة بها وتقليلًا من شأنها مما يسهل ارتكابها، خاصة وأنها جرائم تتعلق بالأعراض التي يجب صيانتها وحفظها.

الناحية الثانية: حثّ الشارع على الستر: حثّ الشارع على ستر من وقع في جريمة الزنا، يدل على ذلك هذه النصوص:

1- عن زيد بن أسلم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حلوى الله من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله فإنه من يُدي لمن صفحته نعم عليه كتاب الله»².

¹- توفيق الشاوي ومحمد سليم العوا، الموسوعة العصرية في الفقه الجنائي الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2001، ص241، 242. أبو زهرة، الجريمة، ص59.

²- القاذورة هي الفعل النبيح، والمراد بها في الحديث الفاحشة يعني الزنا، لأن حقها أن تُتقَدَّر؛ فوُصفت بما يوصف به صاحبها. انظر: الرمخشري حajar الله محمود بن عمر، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، 1993. ج3، ص169.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمالي

2- ما جاء في قصة ماعز بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه:
«يَا هَزَّالُ لَوْ سَتَرْتُهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا لَكَ مِمَّا صَنَعْتَ»².

¹- روی هذا الحديث مرسلاً ومسنداً: فالم Merrill رواه مالك في أبواب الحدود في الزنا، باب الإفراز بالزناء، رقم: 3048، ج 5، ص 1205. ورواه عبد الرزاق في كتاب الطلاق، باب الرجم والاحسان، رقم: 13336، ج 7، ص 319. والبيهقي في السنن الصغرى، كتاب الأشربة، باب صفة السوط والضرب، رقم: 3406، ج 3، ص 345. ورواه البيهقي أيضاً في الكبرى، كتاب الأشربة، باب ما جاء في الاستئثار بستر الله، رقم: 17600، ج 8، ص 572. والموصول رواه الحاكم في كتاب التوبة والإبابة، رقم: 7615، ج 4، ص 272. والبيهقي في الكبرى، كتاب الأشربة، باب ما جاء في الاستئثار بستر الله، رقم: 11760، ج 8، ص 572. ورجح الدارقطني في العلل (ج 12، ص 385) إرساله. وقال ابن عبد البر في التمهيد: ج 5، ص 321: "هكذا روى هذا الحديث مرسلاً جماعة الرواة للموطأ ولا أعلميه يستند بهذا اللفظ من وجه من الوجه" وتعقبه ابن حجر في تلخيص الحبير، ج 4، ص 163، بقوله: "ومرأده بذلك من حديث مالك". وصححه ابن الملقن في البدر المنير، ج 8، ص 617، 618. وصححه الحاكم في المستدرك ج 4، ص 272 فقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيفيين ولم يخرجاه".

²- رواه موصولاً: ابن أبي شيبة في كتاب الحدود، رقم: 29257، ج 9، ص 418. وأحمد في المسند، رقم: 21892، ج 36، ص 218. وأبو داود في كتاب الحدود، باب في الستر على أهل الحدود، رقم: 4373، ج 4، ص 351، 352. والنمسائي في كتاب الرجم، باب الستر على الزاني، رقم: 7274، ج 4، ص 305. والطبراني في الكبير، رقم: 531، ج 22، ص 201. والحاكم في مستدركه، رقم: 8080، ج 4، ص 403. والبيهقي في الكبرى، كتاب الحدود، باب من أحجاز أن لا يحضر الإمام المرجومين ولا الشهود، رقم: 16958، ج 8، ص 382. وأرسنه مالك في الموطأ: باب ما جاء في الرجم رقم: 3037، ج 5، ص 1198. وقال الحاكم في المستدرك، ج 4، ص 403: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وافقه الذهبي. وقال ابن عبد الهادي في تنقية التحقيق في أحاديث التعليق، ج 4، ص 535: "هذا الإسناد صالح ... وأبوه نعيم بن هزال مختلف في صحته، فإن



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

3/ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تعافوا الحدود فيما بينكم فما يبلغني من حد فقد وحبت»¹. وجه الدلالة من هذه الآثار: تدل هذه الآثار أن الله تعالى شرط هذه الشروط في الشهادة على الزنا خاصة تغليظاً على المدعى - لأن شهادته قد يتربت عليها قتل وعار دائم - وسترا على العباد، ولهذا اتفق الفقهاء على أن من شروط هذه الشهادة أن تكون بمعاينة فرجها، وأن تكون الشهادة بالتصريح لا بالكتابية؛ لأن في اشتراط العدد بالأربعة يتحقق معنى الستر الذي دعا إليه الشارع، ولأن الشيء كلما كثرت شروطه قلل وجوده، وذلك مقصود الشارع².

فالجريمة إذا ارتكبت في غير إعلان، يجب الاستمرار في سترها، ومنع كشفها، وفي فتح الباب لإقامة الحد فيما استتر من جرائم، وتحرّي طرق إثباتها وإعلانها من الأضرار أكثر مما في إقامة الحد في ذاته، إذ فيه تحسس منهى عنه، وإن هذا بلا ريب تضيق للعقاب وجعله رمزاً مانعاً، بدل أن يكون عاماً جاماً، وحسب أرباب الشهوات

لم ثبت صحبه فأخر هذا الحديث مرسل³. وقال ابن عبد البر في التمهيد، ج 23، ص 125: "وهذا الحديث لا خلاف في إسناده في الموطأ على الإرسال كما ترى، وهو يستند من طرق صحاح".

¹ - رواه: أبو داود في كتاب الحدود بباب العفو عن الحدود ما لم يبلغ السلطان، رقم: «4376»، ج 4، ص 351. والنسائي في السنن، كتاب قطع السارق، باب ما يكون حِرْزاً وما لا يكون، رقم: «7372» و «7373». ج 4، ص 330. والدارقطني في كتاب الحدود والديات وغيره، رقم: «3196»، ج 4، ص 118. والحاكم في كتاب الحدود، رقم: «8156»، ج 4، ص 424. والبيهقي في السنن الصغير، كتاب الحدود، باب ما لا يقطع فيه، رقم: «3316»، ج 3، ص 320. واللقط للنسائي وأبي داود والبيهقي. والحديث صحيح إسناده الحكم في المستدرك، ج 4، ص 424، ووافقه الذهبي في التلخيص، وقال ابن حجر في الفتح ج 12، ص 87: "سنده إلى عمرو بن شعيب صحيح".

² - انظر: ابن القيم، أعلام الموقعين، ج 3، ص 290، 291.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

أن يكون بين أيديهم حد يقام للزنا، يشهده طائفة من المؤمنين، حتى يتوجهوا للزواج ويفروا من عار العقاب إلى أمن البراءة وطريق الاستقامة¹.

الناحية الثالثة: سقوط الحد بالرجوع عن الإقرار: مما يدل على تشوف الشارع لدرء الحدود عن المسلمين إسقاط الحد عن المقر إذا رجع عن إقراره في الحدود الخالصة لله ومنها حد الزنا، سواء وقع ذلك قبل تنفيذ العقوبة أو أثناءها²، يقول النووي تعليقا على حديث ماعز: "أَيُّ لَعْكَ بَكَلْتَ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ، فَنَفِيَ إِسْتِحْبَابُ تَلْقِينِ الْمُقْرِرِ بِحَدِّ الزِّنَا وَالسَّرِّقَةِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ يُقْبَلُ رُحْوَعُهُ عَنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْحُدُودَ مِنْهُ عَلَى الْمُسَاهَلَةِ وَالدَّرَءِ، بِخِلَافِ حُقُوقِ الْأَدَمِيِّينَ".³

على أننا حين نرجع قول المانعين للعمل بالبصمة الوراثية في إثبات جريمة الزنا لا يعني أننا نقول بإلغائها تماماً، بل يمكننا الاستفادة منها في التحقيق في جرائم الاغتصاب والجناية بنشر الرذائل والاستهتار بقيم المجتمع، وقضايا الدعاوى، فيمكن للقاضي أن يعتمد على نتائج البصمة الوراثية في إيقاع العقوبة على المتهم، فالستر الذي يحث عليه الإسلام لا يشمل أرباب الجرائم "وإذا كان الستر مندوباً إليه ينبغي أن تكون الشهادة به خلاف الأولى التي مرجعها إلى كراهة التزويه ... وهذا يجب أن يكون بالنسبة إلى من لم يعتد الزنا ولم يتهمتك به، أما إذا وصل الحال إلى إشاعته والتهمتك به بل بعضهم ربما

¹ - انظر: محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي - العقوبة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 178.

² - انظر: راشد بن فهد آل حفيظ، الرجوع عن الإقرار بما يوجب حد، مجلة العدل، السعودية، السنة الثالثة، عدد 11، رب 1423هـ.

³ - النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1392هـ، ج 11، ص 162.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

افتخر به فيجب كون الشهادة به أولى من تركها؛ لأن مطلوب الشارع إخلاء الأرض من المعاصي والفواحش بالخطابات المفيدة بذلك¹.

الخاتمة: لم تحظ مسألة إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية بالاتفاق حولها وانقسمت آراء الفقهاء بين مؤيد ومعارض، وبعد استعراض آراء الفقهاء وما دار حولها من مناقشات يمكننا القول بعدم الاعتماد على البصمة الوراثية في إثبات جريمة الزنا، وذلك ليس راجعا إلى عدم يقينية البصمة الوراثية وقوتها الإثباتية، وإنما يرجع بالأساس إلى ما يلي:

- منهج الشريعة الإسلامية في التشدد في إثبات هذه الجريمة، حيث شددت طرق إثباتها، حماية للأعراض، فلم تقبل إثباتها بأقل من أربعة شهود يشاهدون الجريمة ويصفونها بطريق غير محتمل للشك، فإذا قل عدد الشهود عن ذلك استوجبوا حد القذف حتى لو تيقن القاضي من صدقهم، والطريق الثاني هو الإقرار، على أن للمقر أن يرجع عن إقراره قبل توقيع الحد عليه فيخلع سبيله.

- يستنتج من تشدد الشارع في إثبات هذه الجريمة أن مقصوده هو إثبات العلانية الفاضحة التي تشيع الفاحشة في المجتمع، وإذا ما ارتكبت الجريمة في غير إعلان، فيجب الاستمرار في سترها، ومنع كشفها، وفي فتح الباب لإقامة الحد فيما استتر من جرائم، وتحرّي طرق إثباتها وإعلانها من الأضرار أكثر مما في إقامة الحد في ذاته.

- ترجيح قول المانعين للعمل بالبصمة الوراثية في إثبات جريمة الزنا لا يعني إلغائها تماما، بل يمكننا الاستفادة منها في التحقيق في جرائم الاغتصاب، وقضايا الدعارة، والظاهرة بنشر الرذائل.

¹ - ابن الهمام، شرح فتح القدير، ج5، ص199.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمات

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

كتب اللغة والمعاجم:

- إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004.

- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 2008.

- مرتضى الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني، تاج العروس، تحقيق: عبد العزيز مطر، مطبعة حكومة الكويت، 1994.

كتب التفسير:

- ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، لبنان.

- الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003.

كتب الحديث النبوي الشريف:

- ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ.

- ابن حجر العسقلاني، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1989.

- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

- ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعان وألسانيد، تحقيق: مصفي بن أحمد العدوي، طبع وزارة الشؤون الإسلامية المغربية، 1971.
- ابن عبد الحادي محمد بن أحمد الخنيلي، تنقية التحقيق في أحاديث التعليق، تحقيق: سامي بن محمد بن جاد الله وعبد العزيز بن ناصر الخنائي، أضواء السلف، الرياض، ط1، 2007.
- ابن ماجة الفزويي، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1.
- الألباني محمد ناصر الدين، ضعيف سنن أبي داود، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1998.
- أبو زرعة الرازى، الضعفاء وأرجوحة أبي زرعة الرازى على سؤالات البرذعى، تحقيق: سعدى الهاشمى، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 1982.
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1995.
- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة، دار المعارف، السعودية، ط1، 1992.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، القاهرة، ط1، 1400هـ.
- البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003.
- الترمذى، محمد بن عيسى، سنن الترمذى، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مصطفى الحلبي، مصر، ط1، 1962.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ————— د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990.
- الدارقطني، علي بن عمر، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، دار طيبة، السعودية، ط1، 1985.
- الدارقطني، علي بن عمر، سنن الدارقطني، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2004.
- الزمخشري جار الله محمود بن عمر، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، 1993.
- الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار من أسرار منتقة الأخبار، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن القيم، السعودية، دار ابن عفان، القاهرة، ط1، 2005.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد الحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الخرمين، القاهرة، 1995.
- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة العلوم والحكم، العراق، ط2، 1983.
- العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ.
- الغزالى، أبو حامد، إحياء علوم الدين، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2004.
- الكنانى، أحمد بن أبي بكر، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوى، دار الكتب العربية، بيروت، 1403هـ.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

- مالك بن أنس، الموطأ، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الإمارات، ط1، 2004.

- مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1991.

- النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسرامي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991.

- النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.

كتب الفقه وأصوله:

- ابن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، السعودية، ط3، 2005.

- ابن النجار، محمد بن أحمد بن عبد العزيز، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيره حماد، مكتبة العبيكان، السعودية، ط2، 1997.

- ابن مفلح، المبدع شرح المقنع، دار عالم الكتب، الرياض، 2003.

- ابن الهمام، شرح فتح القدير، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، المخلوي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، 1352هـ.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

- ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأ بصار، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معرض، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة خاصة، 2003.
- ابن عبد البر النمري القرطي، الاستذكار الجامع لمناهج فقهاء الأمصار، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معرض، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.
- ابن قدامة المقدسي، الشرح الكبير على متن المقنع، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن قدامة المقدسي، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، ط3، 1997.
- ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن محمد، الكافي في فقه الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994.
- ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1423هـ.
- ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2008.
- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1994.
- ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم، البحر الرائق شرح كثر الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2.
- أحمد أبو القاسم، الدليل الجنائي المادي ودوره في إثبات جرائم الحدود والقصاص، المراكز العربي للدراسات الأمنية والتدریب، الرياض، 1993.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

- أحمد فؤاد عبد المنعم، البصمة الوراثية ودورها في الإثبات الجنائي بين الشريعة والقانون، المكتبة المصرية، الإسكندرية.

- الأنصاري، زكريا بن محمد بن زكريا، أنسى المطالب في شرح روض الطالب، تحقيق : محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000.

- بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996.

- بكر بن عبد الله أبو زيد، الحدود والتعزيرات عند ابن القيم، دار العاصمة، السعودية، ط 2، 1415هـ.

- البهوي منصور بن يونس بن إدريس، دقائق أولي النهى شرح المنتهي، عالم الكتب، بيروت، ط 2، 1996.

- توفيق الشاوي ومحمد سليم العوا، الموسوعة العصرية في الفقه الجنائي الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 2001.

- حسني محمود عبد الدايم عبد الصمد، البصمة الوراثية ومدى حاجيتها في الإثبات، دار الفكر الجامعي، مصر، الطبعة الثانية، 2011.

- الخطيب الشربي، شمس الدين محمد بن محمد، معنى الحاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1994.

- الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تحقيق: محمد عبد الله شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996.

- الرازي الجصاص أحمد بن علي، الفصول في الأصول، تحقيق: د/عجيل جاسم النشمي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط 2، 1994.



- إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال
- الرحبياني، مصطفى السيوطي، مطالب أولي النهي في شرح غاية المتنبي، المكتب الإسلامي، دمشق، 1961.
- رسيس بكتاب، البوليس العلمي أو فن التحقيق، منشأة المعارف، الإسكندرية، طبعة 1996.
- الزركشي، محمد بن هنادر، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.
- الزركشي، محمد بن عبد الله، شرح الزركشي على مختصر الخرقى، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
- الزيلعى، فخر الدين عثمان بن علي، تبيان الحقائق شرح كثر الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ط2.
- السرخسي، أبوبكر محمد بن احمد بن أبي سهل، أصول السرخسي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 1993.
- النفراوى، أحمد بن غنيم بن سالم، الفواكه الدوائية على رسالة ابن أبي زيد القيروانى، تحقيق: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.
- فؤاد عبد المنعم أحمد، البصمة الوراثية ودورها في الإثبات الجنائي بين الشريعة والقانون، المكتبة المصرية، الإسكندرية.
- فهد زامل بن بركة الحوشان، مدى مشروعية استخدام الأجهزة الأمنية لبعض الوسائل التقنية الحديثة في كشف الجريمة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، رسالة ماجستير، سنة: 2000.
- كارم السيد غنيم، الاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشريع السماء، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

- محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي - الجريمة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.

- محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي - العقوبة، دار الفكر العربي، القاهرة.

- محمد رأفت عثمان، النظام القضائي في الفقه الإسلامي، دار البيان، دمشق، ط 2، 1994.

- محمد المدي بوساق، موقف الشريعة الإسلامية من استخدام البصمة الوراثية في الإثبات الجنائي، ضمن كتاب الاستخدام الشرعي والقانوني للوسائل الحديثة في التحقيق الجنائي، الرياض، ط 1، 2008.

- محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهامات التعريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1410هـ.

- محمد مصطفى الزحيلي، وسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية، مكتبة دار البيان، دمشق، ط 1، 1982.

- منير رياض حنا، الطب الشرعي والوسائل العلمية والبوليسية المستخدمة في الكشف عن الجرائم وتعقب الجناة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط 1، 2011.

- نصر فريد واصل، نظرية الدعوى والإثبات في الفقه الإسلامي، دار الشروق، ط 1، القاهرة، 2002.

- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية الكويتية، طبعة دار السلاسل، الكويت، ط 2، 1983.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

المجلات والدوريات:

- راشد بن فهد آل حفيظ، "الرجوع عن الإقرار بما يوجب حدّاً"، مجلة العدل، السعودية، العدد 11، السنة الثالثة، رجب 1423هـ.
- سعيد بن مسفر هلالي، البصمة الوراثية وعلاقتها الشرعية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 2010.
- صالح بن غانم السدلان، القرائن ودورها في الإثبات في الشريعة الإسلامية، دار بلنسية، الرياض، ط 2، 1418هـ.
- عبد القادر إدريس، الإثبات بالقرائن في الفقه الإسلامي، دار الثقافة، الأردن، ط 1، 2010.
- عبد الناصر أبو البصل، القضاء بالقرائن، مسائل في الفقه المقارن، دار النفائس، الأردن، ط 2، 1997.
- عليش، محمد بن أحمد، منح الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1984.
- عمر بن محمد السبيل، "البصمة الوراثية ومدى مشروعية استخدامها في النسب والجنائية"، مجلة الجمع الفقهي الإسلامي، السنة 13، عدد 15، 2002.
- مجمع الفقه الإسلامي، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، عدد 15، 2002.
- محى الدين القره داغي، "البصمة الوراثية من منظور الفقه الإسلامي"، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، عدد 16، 2003.



إثبات جريمة الزنا بالبصمة الوراثية ----- د. محمد طيب عمور ود. بوعلام قرمال

- نجم عبد الله عبد الواحد، "البصمة الوراثية وتأثيرها على النسب إثباتاً ونفيًا"، أعمال وبحوث الدورة السادسة عشر للمجمع الفقه الإسلامي في مكة المكرمة، الدورة المنعقدة بين 5-10 يناير 2002، المجلد الثالث.

- نصر فريد واصل، "البصمة الوراثية ومحالات الاستفادة منها"، مجلة الجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، العدد 17، 2004.

- وهبة الرحيلي، البصمة الوراثية ودورها في الإثبات، بحث مقدم لمؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون، طبع جامعة الإمارات العربية المتحدة.

الموقع الإلكترونية:

- القرضاوي، يوسف عبد الله، الفقه الإسلامي والبصمة الوراثية، متاح على الموقع الرسمي للشيخ يوسف القرضاوي، على الرابط:
www.qaradawi.net/new/component/content/article/220-2014-01-26-18-21-41/2014-01-26-18-26-08/804



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة

(دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي وقانون الأسرة الجزائري)

**Sharia and legal controls to Attribution of custody
(A comparative study between Islamic jurisprudence
and Algerian family law)**

د. لمين لعربيط

dr.larituniv18@gmail.com

جامعة بحري فارس - الهمدية

تاریخ القبول: 2021/01/05 تاریخ الإرسال: 2020/05/28

I. الملخص:

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على الضوابط القانونية لإسناد الحضانة، لاسيما في قانون الأسرة الجزائري المعديل والمتمم، بالإضافة إلى بعض النصوص القانونية ذات الصلة، ومقارنتها بالضوابط الشرعية التي وضعتها مذاهب الفقه الإسلامي في هذا الصدد، حيث اعتمدنا في هذه الدراسة على منهج تحليلي مقارن، من خلال استعراض أهم آراء فقهاء الإسلام في هذا الشأن، وموقف المشرع الجزائري منها، وقد خلصنا لبعض الاستنتاجات، التي تؤكد في جملها بأن الحضانة مسألة متعددة في كل زمان، لا تقبل الجمود ولا الوقوف عند حدود المذهب، مما يستلزم إعادة النظر في كل مرّة في مواد القانون المتعلقة بهذه المسألة .

الكلمات المفتاحية: حضانة؛ مصلحة الطفل؛ أسرة؛ فقه إسلامي.

I. ABSTRACT:



الصوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

This article aims to highlight Legal and Shariah controls for Attribution of custody, in particular the Algerian Family Law, in addition to some relevant legal texts, as well as the study of the opinions of Islamic jurisprudence in this regard. In this study we adopted a comparative analytical approach, and we have reached some conclusions, which in general confirm that custody is a renewable issue at all times, does not accept stagnation and does not stand within the limits of a certain jurisprudence, and this necessitates a permanent review of legal articles in this regard.

Keywords: Custody (Hadana); The interest of the child; family; Islamic jurisprudence

المقدمة:

قد يتعرض الطفل للكثير من المشاكل عند حلّ الرابطة الزوجية التي كانت تجمع والديه، لاسيما مشكل النفقة والسكن والمشاكل النفسية والتربوية المتعددة، حيث ينتقل من حياة أساسها المودة والرحمة إلى النقيض تماماً، وذلك في ظل ازدياد حالات الطلاق في الجزائر بوتيرة متتسارعة، والتي غالباً ما يكون ضحيتها الأطفال.

ومن هذا المنطلق، تكتسي مسألة الحضانة أهمية علمية وعملية لا يستهان بها، فلا جدال في أهمية البحث عن الآليات التي تحفظ للأبناء حقوقهم وتケفل رعايتهم منذ ولادتهم حتى البلوغ، وما يضمن رضا عنهم وحضانتهم والإتفاق عليهم، وإدارة شؤونهم المالية وحمايتهم من الضياع، وهنا يدو الطابع الاجتهادي للموضوع، ووصلته الوثيقة بحياة الطفل وما يعيشه من مشاكل وأزمات، كما تبدو أهمية الموضوع في كونه يطرح عدة إشكالات في الواقع العملي، حيث تشير مسألة الحضانة الكثير من الخلافات بين الوالدين عقب وقوع الطلاق، ولعل كثرة مثل هذه القضايا على مستوى القضاء لأبرز دليل على ذلك، وتماشياً مع هذه الأهمية، جاءت أغلب الأحكام المتعلقة بالحضانة مرتبطة دائماً



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

مصلحة المخصوص، سواء من حيث إسنادها أو إسقاطها وكل ما يتعلق بذلك، ويعود تقدير هذه المصلحة للقاضي، ولهذا ومنذ قرون خلت إلى يومنا هذا، حاول فقهاء الشريعة الإسلامية مراعاة مصلحة الطفل المخصوص في هذا الصدد، كما تدخل المشرع الجزائري لتقرير النصوص القانونية الكفيلة بوضع إطار لمارسة الحضانة وذلك في قانون الأسرة الجزائري¹.

وبعد مرور ما يفوق عشر سنوات عن تعديل قانون الأسرة الجزائري، وإدخال تغييرات جديدة في هذه المسألة بموجب الأمر رقم 05-02 المؤرخ في 27 فيفري 2005²، فإننا سندرس ما إذا كانت هذه الأحكام قد حققت الحماية المطلوبة للطفل المخصوص في الواقع، والبحث عن مدى تمكن المشرع من معالجة القصور في هذه النصوص، أم أن الجديد نفسه الذي جاءت به هذه التعديلات قد اعتبره الكثير من النقاد بشكل بعيد عن طموحات الأسرة الجزائرية.

وعليه يأتي هذا المقال للإجابة على إشكالية هامة مفادها: ما هي الضوابط التي وضعها الفقه الإسلامي لإسناد الحضانة وتلك التي وضعها القانون؟ وإلى أي مدى وُفق المشرع الجزائري في إيجاد نوع من التوافق بين الضوابط القانونية التي قررها في هذا الصدد وبين تلك الضوابط الشرعية؟

وسنحاول الإجابة على هذه الإشكالية، بالاعتماد على منهج تحليلي مقارن بين الفقه الإسلامي وقانون الأسرة الجزائري، وذلك من خلال تقسيم هذه الدراسة لثلاث

¹ - القانون رقم 11-84 المؤرخ في 09/07/1984 المتضمن قانون الأسرة، جريدة رسمية، العدد 24 لسنة 1984 .

² - الأمر رقم 05-02 المؤرخ في 27/02/2005 يعدل ويتم القانون رقم 11-84 المؤرخ في 09/07/1984 المتضمن قانون الأسرة جريدة رسمية، العدد 15 لسنة 2005 .



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

مباحث، نتناول في أولها تعريف الحضانة وبيان شروطها، ونبحث في الثاني ترتيب الأشخاص المستحقين لها، ونخصص الثالث لحالات سقوطها .

المبحث الأول/تعريف الحضانة وبيان شروطها

ستتطرق في البداية لتعريف الحضانة فتها وقانوناً، ثم نتعرض بعدها لدراسة أهم شروط ممارسة الحضانة، كما يلي:

المطلب الأول/تعريف الحضانة في الفقه والقانون

أولى الفقه الإسلامي اهتماما بالغا بمسألة الحضانة نظرا لأهميتها، ولذا سنتناول مختلف التعريفات التي جاءت بها أهم المذاهب الفقهية في هذا الصدد، ثم نتطرق للتعرف على الذي جاء في قانون الأسرة الجزائري.

الفرع الأول/تعريف الحضانة في الفقه الإسلامي

نقول حضنت الأم ولدها، إذا ضمته إلى جنبها أو صدرها، وقامت بتربيتها، فتسمى حينئذ حاضنته¹، ويعرفها السيد سابق بأنها "القيام بحفظ الصغير أو الصغيرة أو المعتوه الذي لا يميز ولا يستقل بأمره وتعهده بما يصلحه ووقايته مما يؤذيه أو يضره، وتربيته جسميا ونفسيا وعقليا كي يقوى على النهوض ببقاعات الحياة والاضطلاع بمسؤولياتها ..."².

وقد وردت عدة تعريفات مفصلة للحضانة بتعذر المذاهب الفقهية، لكنها كلها

¹- بدران أبو العينين بدران، الفقه المقارن للأحوال الشخصية بين المذاهب الأربع السنوية والمذهب الجعفري والقانون، الجزء الأول، الرواج والطلاق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1386هـ / 1967 م، ص 543 .

²- السيد سابق، فقه السنة، المجلد الثاني، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1397هـ / 1977 م، ص 338 .



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

متقاربة في معناها، فيعرفها المالكية على أنها "حفظ المولود في مبيته، ومؤنة طعامه، ولباسه، ومضجعه وتنظيف جسمه، وهي من فروض الكفاية"¹.

ويعرفها الشافعية بأنها "القيام بحفظ من لا يميز ولا يستقل بأمره وتربيته بما يصلحه وواقيته عما يؤذيه، فيشمل الطفل والكبير والجنون"².

أما الحنفية فيعرفونها بأنها "تربيه الطفل ورعايته والقيام بجميع أموره في سن معينة من له الحق في الحضانة"³، في حين يعرفها الحنابلة على أنها "حفظ صغير ومحنون ومعتوه وتربيتهم بعمل مصالحهم".⁴.

وعرفها ابن حزم الظاهري بأنها "النظر للصغير أو الصغيرة بالأحوط في دينهما ثم دنياهما، فإذا بلغا من السن والاستغناء، مبلغ الفهم فلا حضانة".⁵.

ويعرفها الشيعة الإمامية والزيدية على أنها "ولاية على الطفل والجنون لفائدة تربيته

¹ - محمد بن يوسف الكافي، إحكام الأحكام على تحفة الحكم (حاشية على منظومة القاضي أبي بكر محمد بن محمد بن عاصم الأندلسي الغرناطي فيما يلزم القضاة من الأحكام في مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه)، ط 3، دار الفكر، دون ذكر مكان النشر، 1393هـ / 1973 م، ص 141 .

² - سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البليقين الشافعى، التدريب في الفقه الشافعى المسمى بـ "تدريب المبتدى ومذيب المتهى"، الجزء الرابع، حققه وعلق عليه أبو يعقوب نشأت بن كمال المصرى، ط 1، دار القبلتين، الرياض، السعودية، 1433هـ / 2012 م، ص 29-30.

³ - محمد أمين ابن عابدين، رد الخطأ على الدر المختار شرح تنوير الأ بصار (حاشية ابن عابدين)، طبعة خاصة، الجزء الخامس، دار عالم الكتب، الرياض 1423هـ / 2003م، (في الهاشم)، ص 252.

⁴ - منصور بن يونس اليهودي الحنبلي، كشاف القناع على متن الإقناع، ط 1، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1402هـ / 1982 م، ص 495.

⁵ - وأشار إلى تعريف ابن حزم: محمد عليوي ناصر، الحضانة بين الشريعة والقانون، ط 1 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1431 هـ / 2010 م، ص 31.



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

وما يتعلّق بها من مصلحة، من حفظه والاهتمام بسريره وكحله ودهنه وتنظيفه وغسل خروقه ونحوه¹.

نستتّج من تعريفات فقهاء الإسلام للحضانة أنهم وإن اختلفوا في الألفاظ التي يستعملونها، إلا أنهم لم يختلفوا حول معناها ومضمونها، والتي تصب عموماً في صالح الحضّون من رعاية معنوية ومادية من كل الأخطار التي قد تهدّد، حتى يبلغ أشدّه ويستطيع الاعتماد على نفسه في تولي أموره.

الفرع الثاني/ تعريف الحضانة في قانون الأسرة الجزائري

حسب قانون الأسرة الجزائري فالحضانة هي رعاية الولد وتعليمه و القيام بتربيته على دين أبيه والسهر على حمايته وحفظه صحةً وخلقاً².

وعليه نلاحظ أن المشرع الجزائري قد وافق ما جاء به الفقه الإسلامي في تعريف الحضانة بشكل عام، مع التركيز على مسألة التعليم والدين والصحة والأخلاق، فجمع فيه كل ما يتعلق بحاجيات الطفل الدينية والصحية والخلقية والتربوية والمادية.

وبالتالي يمكن القول أن تعريف الحضانة في قانون الأسرة الجزائري، يرتكز على عدّة عناصر أساسية، يمكن تلخيصها كما يلي:

أولاً/ تعليم الطفل الحضّون وتربيته على دين أبيه

ويقصد بالتعليم قانوناً التعليم الرسمي، بداية من التعليم الابتدائي إلى غاية بلوغ الطفل السن الذي يحدّه القانون لانتهاء الحضانة، لاسيما وأن التعليم هو إيجاري وجيري، ولذا فإن كل طفل له الحق في أن ينال قدرًا من التعليم حسب استطاعته

¹- أشار إلى تعريف الشيعة الإمامية والزيدية: سير عقي، الحضانة في الفقه الإسلامي، دار المنار للنشر، مصر، 1986م / 1406هـ، ص 11.

²- المادة 62 من قانون الأسرة الجزائري المعديل والمتّم السابق الذكر .



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

وقدراته الذهنية والعقلية واستعداده الفطري والنفسي، أما بالنسبة لتربيه الطفل المخضون على دين أبيه، فإن الدين المقصود هنا هو الإسلام، حيث يجب أن يُربى الطفل على تعاليم الدين الإسلامي.

ثانياً/ السهر على حماية الطفل المخضون

فما دامت الحضانة رعايةً وحماية، فلا بد أن تتخذ هذه الحماية كل أشكالها، إذ لا يجوز أن يكون الطفل عرضة لأي ضرر أو اعتداء سواء كان مادياً أو معنوياً، ولكن هذا لا يعني أن يترك للطفل الحبل على الغارب، وأن لا يؤدّب كلما استدعت الحاجة ذلك، فترك الطفل دون تأديب يؤدّي غالباً إلى نتائج سلبية .

ثالثاً/ حفظ الطفل المخضون من الناحية الصحية والأخلاقية

حيث يجب أن يلقى الطفل العناية الصحية الكاملة، خاصة في السنوات الأولى من حياته، كأن يتلقى التلقيح الصحي اللازم مثلاً، وأن يُعرض على طبيب كلما استدعت الحاجة ذلك وهذا لحمايته من الأمراض التي تؤثر على صحته والتي قد تؤدي به إلى الهلاك ؛ كما يجب حفظ الطفل من الناحية الأخلاقية، ويكون ذلك بتنشئته على حُسن الخلق، وحُسن معاملة الآخرين وذلك بتهذيبه وإعداده لأن يكون فرداً صالحاً في المجتمع، وأن لا يُترك عرضة للشارع ورفقاء السوء من العاصين وال مجرمين.

المطلب الثاني/ شروط إسناد الحضانة

ستتناول في البداية الشروط الواجب توفرها في الحاضن، ثم في المخضون، وذلك كما يلي:

الفرع الأول/ الشروط الواجب توفرها في الحاضن

وضع الفقه الإسلامي عدة شروط لإسناد الحضانة، وذلك مقارنة بالمشروع الجزائري الذي حصر شروط الحضانة في الأهلية، حيث نصّ على أنه: "... ويشترط في



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

الحاضن أن يكون أهلاً للقيام بذلك¹، تاركاً التفصيل في هذه المسألة لما جاء به فقهاء الإسلام في هذا الشأن، وذلك عملاً بأحكام المادة 222 من قانون الأسرة، التي تحيلنا على أحكام الشريعة الإسلامية بخصوص كل ما لم يرد فيه نص قانوني².

حيث يشترط فقهاء الشريعة الإسلامية في الشخص الذي تسند إليه الحضانة ذكره كان أو أنت، أن يكون بالغاً عاقلاً أميناً قادراً³، وذلك كما يلي⁴:

أولاً/ العقل والبلوغ وحسن التدبير

اتفق فقهاء الإسلام على ضرورة أن يكون الحاضن بالغاً، يمكنه تسيير أمره بنفسه والسهر على مصالحه، ويكون البلوغ في الإسلام بالاحتلام وغيرها من علامات البلوغ، وهذا يعني وصول الشخص إلى سن التكليف الشرعي، ومن الفقهاء من حددت بسن الخامسة عشر وهم أدلى بهم في ذلك، أما قبل ذلك فهو من يكون في حاجة إلى من يتولى أمره ويحضرنه، فكيف يتولى أمر غيره⁵، أما في القانون فالعبرة ببلوغ الشخص سن الرشد المحدد قانوناً بـ 19 سنة كاملة⁶.

¹ - الفقرة 02 من المادة 62 من قانون الأسرة الجزائري المعدل والمتمم .

² - تنص المادة 222 من قانون الأسرة الجزائري المعدل والمتمم على أنه "كل ما لم يرد النص عليه في هذا القانون، يرجع فيه إلى أحكام الشريعة الإسلامية".

³ - محمد أمين ابن عابدين، رد المحتار، المرجع السابق، ص 253 .

⁴ - السيد سايبق، المرجع السابق، ص 341 وما بعدها .

⁵ - موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي، المعنى، الجزء الحادي عشر، تحقيق عبد الله بن عبد الحسن التركى وعبد الفتاح محمد الحلو، ط3، دار عالم الكتب، الرياض، 1417 هـ / 1997 م، ص 412 .

⁶ - المادة 40 من الأمر رقم 58-75 المؤرخ في 26/09/1975 المتضمن القانون المدني الجزائري (المعدل والمتمم)، جريدة رسمية، عدد 78، لسنة 1975.



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

كما يشترط أن يكون الحاضن عاقلاً، فقد يكون بالغاً ولكنه لا يتمتع بكمال قواه العقلية فلا يمكن إسناد الحضانة إليه، وعليه فإن المعتوه والمحنون لا يمكنه أن يمارس حق الحضانة، فكل منهما لا يستطيع القيام بتدبير شؤونه بما بالك بتدبير شؤون غيره، ففأقد الشيء لا يعطيه، وحتى بالنسبة للمصاب بالجنون المتقطع فهو يأخذ حُكم المصاب بالجنون المتصل، وذلك خلافاً لإيقاع الضرر بالمحضون فقد يرد جنونه في أي وقت^١.

ويرى الشافعية حواز ممارسة الحضانة لمن قلل جنونه كيوم في ستين متلا^٢، غير أنهم بالنسبة للسفويه فلا يرون أنه أهلاً لحضانة الطفل، بحيث إذا كان الأب غير رشيد انتقلت الحضانة إلى الجد^٣، وكذلك المالكية يرون بأن لا حضانة لسفويه مبذر لثلا يتلف مال الحضون^٤، إذ يشترطون في الحاضن أن يكون بالغاً عاقلاً رشيداً يحسن التصرف في ماله، أما الشخص غير الرشيد في ماله، فلا يملك – عند المالكية – الأهلية التامة لممارسة الحضانة^٥.

وقد أكد القضاء الجزائري على ضرورة سلامة العقل من جميع الأمراض التي يمكن أن تؤثر على مصلحة المحضون، وفي هذا السياق قضى المجلس الأعلى سابقاً (المحكمة

^١ - عبد العزيز عامر، الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية فقها وقضاءً، دار الفكر العربي، القاهرة، 1976، ص 23.

^٢ - سراج الدين البلقيني، تدريب المبتدئ، المراجع السابق، ص 35.

^٣ - المرجع نفسه، ص 36.

^٤ - محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لأبي البركات سيدي أحمد الدردير، مع تقريرات الحقق سيدي الشيخ محمد علیش، الجزء الثاني، دار إحياء الكتب العربية، مصر، بلا تاريخ، ص 529.

^٥ - وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، الجزء السابع، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، 1984، ص 726.



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

العليا حاليا) في أحد قراراته أنه: "الحاضن يشترط فيه من جملة الشروط سلامه العقل ... وأنه من الثابت أمام المجلس أن الزوج صمم على طلاق زوجته لأنها مصابة بمرض عقلي أو عصبي... وأن المجلس لم يُسبِّب قراره في إسناد الحضانة إلى الأم المدعى عليها بأنها حائزة لصحة العقل أو البرء من المرض الذي أصابها حتى تصبح صالحة للقيام [بالحضانة]..."¹.

ثانياً/ القدرة على الحضانة

القدرة هي استطاعة وإمكانية القيام بشؤون الحضنون، وعليه فلا يجوز إسناد الحضانة للشخص العاجز عن القيام بذلك، لعاقة أو مرض أو شغل²، وكذلك المتقدم في السن إلى درجة تجعله يحتاج هو نفسه إلى رعاية الغير، أو للقاطن مع شخص غير سويّ أو يُغضِّن الطفل ولو كان قريباً له، بحيث لا تتوفر للطفل الرعاية الكافية ولا الجو الصالح³، كما يرى سراج الدين البلقيني، أنه لا يجوز إسناد الحضانة حتى لم يكُن قدْرَة على رعاية الحضنون، فهم ينطون حضانة الأعمى، بقدرته على القيام بشؤون الحضنون ولو كان ذلك بمساعدة غيره، حيث يقول الفقيه ابن عابدين عن الأعمى "... وأما حضانته، فإن أمكنه حفظ الحضنون، كان أهلاً للحضانة، وإلا فلا"⁴؛ كما أنه إذا

¹- قرار المجلس الأعلى (المحكمة العليا حاليا)، غرفة الأحوال الشخصية، بتاريخ 25/12/1978 (غير منشور).

²- بدران أبو العينين بدران، المرجع السابق، ص 550.

³- السيد سابق، المرجع السابق، ص 342.

⁴- سراج الدين البلقيني، تدريب المبتدئ، المرجع السابق، ص 31.

⁵- محمد أمين ابن عابدين، رد المحتار، المرجع السابق، ص 253.



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

كانت الحاضنة تخرج كلّ الوقت من المترّل، فهي غير قادرّة على الحضانة، مما يؤودي في النهاية إلى ترك الولد ضائعاً، فلا حضانة لها، لأنّ الولد في حكم الأمانة عندها، ومُضيّع الأمانة لا يُسّ坦ّم¹، ويرى الفقه الإسلامي الحديث أنه إذا كان خروج الحاضنة من المترّل بغرض العمل وكسب لقمة العيش، بشكل لا يحول دون تربية الطفل ورعايته، فلا يمنع ذلك من إسناد الحضانة لها، فالعبرة بقدرها على التربية أو عدم قدرتها² فالمرأة العاملة إن كان عملها يمنعها من تربية الصغير والعناية بأمره، لا تكون أهلاً للحضانة، وإن كان لا يمنعها من ذلك جازت حضانتها³.

وبالرجوع لقانون الأسرة الجزائري، نجد أن المادة 67 من قانون الأسرة الجزائري، تتماشى مع ما قرره الفقه الإسلامي الحديث، إذ أنها تفيد بأنّ خروج المرأة للعمل لا يعد سبباً لمنع الحضانة، غير أنه يجب في جميع الحالات مراعاة مصلحة المضطهون، ونجد هنا أن المشرع أعطى السلطة التقديرية للقاضي في منح أو عدم منح الحضانة، وهذا لأنّ الأمّ إن كانت عاملة فإنها قد تلجأ عند خروجها للعمل بوضع الابن في دور الحضانة، أو تأجير امرأة تسهر على رعاية ولدتها، وهذا يدلّ على عدم قدرتها على ممارسة الحضانة بنفسها، وبالمقابل قد يكون عمل المرأة لساعات قليلة فلا يؤثّر على هذه القدرة ولا على مصلحة المضطهون، بل وقد تعظّم هذه المصلحة، كما لو كانت معلّمة تستغلّ وظيفتها في تعليم طفلها وتدرّيسه.

وقد أصدر القضاء الجزائري الكثير من القرارات في هذه المسألة، يصبّ أغلبها في

¹ - المرجع نفسه، ص 254 .

² - بدران أبو العينين بدران، المرجع السابق، ص 551 .

³ - عطا مهدي فليح، "الحضانة في الفقه الإسلامي"، مجلة كلية التربية الأساسية، العراق، عدد خاص بواقع المؤتمر العلمي التاسع عشر، 2019، ص 517.



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ————— د. لين لعربيط

سياق أن عمل المرأة لا يعد دليلا على عدم القدرة على الحضانة، فقد جاء في أحد قراراته أن "عمل الأم الحاضنة لا يوجب إسقاط حقها في حضانة أولادها، ما لم يتتوفر الدليل الثابت على حرمان المخصوص من حقه في العناية والرعاية"¹.

أما بخصوص العجز عن الحضانة لمرض أو عاهة، فقد جاء في أحد قرارات المحكمة العليا أن "المريض ضعيف القوة لا حضانة له وكذلك الأعمى والأصم والأنحرس والمُمُقدَّد، والحاضنة هنا فاقدة للبصر ومن ثم فلا حضانة لها لعجزها عن القيام بشؤون أبنائها، وقضاء القرار المطعون فيه بإسنادهم حضانة الأولاد إليها ... قد حادوا عن الصواب"².

ثالثاً/ الأمانة والاستقامة

إذ يجب أن يتتوفر في الحاضن الاستقامة والتخلق بالخلق الحسن، فيجب أن يكون الحاضن عدلاً في خلقه وفي سلوكه مع المخصوص، وفي الاهتمام به ورعايته مصالحه وعدم الانشغال عنه، لأن الحاضن الذي يهمل المخصوص أغلب وقته فلا يهتم به ولا يرعاه ويترکه يخالط أصحاب السوء، لا يكون أهلاً لممارسة الحضانة.

ويرى الخنابلة أن الحضانة لا ثبت لفاسق ولا فاسقة³، فهي غير مأمونة على الطفل وغير موثوقة بما في أداء واجب الحضانة، وربما نشأ على طريقتها ومتخلقاً

¹ - قرار المحكمة العليا، غرفة الأحوال الشخصية، بتاريخ 03/07/2004، المجلة القضائية، العدد الأول، لسنة 2002، ص 270.

² - قرار المجلس الأعلى (المحكمة العليا حالياً)، غرفة الأحوال الشخصية، بتاريخ 09/07/1984، المجلة القضائية، العدد 04، لسنة 1989، ص 76.

³ - موفق الدين بن قدامة، المغني، المرجع السابق، ص 412.



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

بأخلاقها¹، وفي مذهب الإمام الشافعي فإن الفاسقة بترك الصلاة لا حضانة لها²، لكن اعتبر أن المراد بالفسق هنا هو الزنا المقتضي لاشتغال الأم عن الولد³. وقد تشدّد القضاء الجزائري في اعتبار الأمانة شرطاً جوهرياً في الحاضن، وتكرس ذلك في العديد من قراراته، إذ قضى بأن الحاضنة التي لا تقيم وزناً للأخلاق ولا تراعي حرمة للشرف، لا تكون أهلاً للحضانة لأنها غير أمينة على الطفل وأدبه وحلقه، إذ ينشأ على طريقتها ومتطلقاً بأخلاقها، فإن تركت حضانة الطفل لها فلا يؤمن عليه⁴.

غير أنه وفي كل الأحوال تبقى مصلحة الحضنون هي الفيصل في الموضوع، وذلك إلى حدٍ جعل المحكمة العليا تقضي في أحد قراراتها بأنه "يمكن إسناد الحضانة للأم المданة بجريمة الزنا متى تحققت مصلحة الحضنون"⁵.

رابعاً / الإسلام

يرى الشافعية والحنابلة وفريق من المالكية، أن الإسلام شرط لممارسة الحضانة،

¹ - السيد سابق، المرجع السابق، ص 342.

² - أشار إلى رأي المذهب الشافعي: محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن الحنفي الحصيفي، الدر المختار، (شرح تنوير الأ بصار وجامع البحار للشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد الغزوي الحنفي التم rejawi، في فروع الفقه الحنفي)، حققه وضبطه عبد المنعم خليل ابراهيم، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423هـ / 2002 م، ص 254 .

³ - محمد أمين ابن عابدين، رد المختار، المرجع السابق، ص 253 .

⁴ - قرار المحكمة العليا، غرفة الأحوال الشخصية، بتاريخ 22/05/1989، الجلة القضائية، العدد 04 لسنة 1991، ص 141 .

⁵ - قرار المحكمة العليا، غرفة الأحوال الشخصية، بتاريخ 15/07/2010، مجلة المحكمة العليا، العدد 02، لسنة 2010، ص 263 .



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

فلا تثبت الحضانة عندهم للمرأة الكافرة بالنسبة للصغير المسلم لأنها ولاية، وبالتالي لا حضانة لكافر على مسلم¹، لقوله تعالى ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِكُفَّارِنَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾²، فهي كولاية الزواج والمال وأنه يخشى على دين الحضون من الحاضنة لحرصها على تنشئته على دينها، وهذا أكبر ضرر يصيب الطفل، فكما جاء في صحيح البخاري "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يُمحسانه...".

إلا أن الحنفية وبعض المالكية لم يشترطوا إسلام المرأة الحاضنة، ولذا فهم يجيزون حضانة المرأة الكافرة³ كتابية كانت أو مجوسيّة⁴، لأن الحضانة لا تتجاوز إرضاع الطفل وخدمته والشفقة عليه⁵، ودليلهم في ذلك حديث رافع بن سنان حيث جاء عنده أنه أسلم وأبّت امرأته أن تسلم، فأفتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: ابني وهي فطيم أو شبهه، وقال رافع: ابني، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: اقعد ناحية، وقال لها: اقعدني ناحية، قال: وأقعد الصبية بينهما ثم قال: ادعواها، فمالت الصبية إلى أمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم اهدنا، فمالت الصبية إلى أبيها فأحذها⁶، غير أن الإمام

¹ سراج الدين البلقيني، تدريب المبتدئ، المرجع السابق، ص 35؛ وانظر أيضاً: موفق الدين بن قدامة، المعنى، المرجع السابق، ص 412 و 413.

² الآية 141 من سورة النساء

³ أحمد بن محمد بن أحمد الدردير، أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، مكتبة أیوب، كانوا - نيجيريا، 1420هـ / 2000 م ص 84.

⁴ محمد بن علي الحصفكي، الدر المختار، المرجع السابق، ص 254 و 255.

⁵ محمد بن يوسف الكافي، إحکام الأحكام، المرجع السابق، ص 143.

⁶ أخرجه أبو داود، وقال الشيخ الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الحاكم والذهبي وابن القطان (محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود، المجلد السادس 1933-2393).



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

الإمام الحصيفي يشترط لجواز حضانة الذهمة ألا يعقل الحاضن ديناً، وقدر ذلك بسبعين سنتين لصحة إسلامه حينئذ¹، ولكن إذا خيف من الحاضنة غير المسلمة أن تسقي الطفل أو تطعمه ما حرم الله على المسلمين فلا حضانة لها²، مع العلم أن الأحناف وإن رأوا جواز حضانة الكافرة للطفل المسلم إلا أكملوا اشتراطوا أن لا تكون مرتدة³، لأنها تُحبس إلّا إذا أسلمت⁴.

وبناءً على الإشارة إلى أنّ المشرع الجزائري لم ينص على هذه المسألة صراحةً، لكنه نصّ بموجب المادة 62 من قانون الأسرة على أن الطفل يُربى على دين أبيه، مما يستفاد منه ضمناً أن الأهم بالنسبة للمشرع الجزائري هو تربية الطفل المحسوب على دين الإسلام، وذلك حتى ولو كانت غير مسلمة، وبالتالي فقد أخذ بما جاء به الحنفية وبعض أقوال المالكية، وقد أكد القضاء الجزائري على هذا الموقف، وسوّى بين الأم المسلمة وغيرها في استحقاق الحضانة⁵، إلا إذا ثبت ردهما عن الدين الإسلامي¹.

كتاب (الطلاق، الصوم، الجهاد)، ط1، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، 1423 هـ / 2002 م، ص .13

¹ - محمد بن علي الحصيفي، الدر المختار، المرجع السابق، ص 255 .

² - أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمراني القرطبي، كتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، المجلد الثاني، ط1، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض-البطحاء، 1398 هـ / 1978 م، ص 626 و 627 .

³ - محمد بن علي الحصيفي، الدر المختار، المرجع السابق، ص 254 .

⁴ - علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الجزء الرابع، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1406 هـ / 1986 م، ص 42 .

⁵ - قرار المجلس الأعلى (المحكمة العليا حالياً)، غرفة الأحوال الشخصية، في 16/04/1979، نشرة القضاة، العدد 02 لسنة 1981، ص 108 .



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

الفرع الثاني/ الشروط الواجب توفرها في المضون

الواقع أنه ليس هناك شروط خاصة بالنسبة للطفل المضون، إلا فيما يتعلق بالسن الذي يجب ألا يكون قد تجاوزها الطفل، فالحضانة إنما قررت لحماية الصغير والذي يختلف بحسب ما إذا كان المضون ذكراً أم أنثى .

أولاً/ شرط السن بالنسبة للمضون الذكر

اختلف الفقهاء في السن الذي يجب ألا يتتجاوزها الذكر حتى يكون محله للحضانة، وفرقوا بين حضانة النساء وحضانة الرجال، فيرى الأحناف أن حضانة النساء للذكر تستمر إلى أن يستغني عن خدمة النساء²، ويبلغ سن التمييز والاستقلال، أي من سبع سنين إلى تسع، فيأكل وحده ويشرب وحده ويلبس وحده ويستنجي وحده³، وليس لذلك مدة معينة تنتهي بانتهائهما؛ ويرى المالكية في الحد الشهر استمرار الحضانة للذكر إلى الاحتلام أي البلوغ⁴، وهو نفس قول ابن حزم الظاهري، وفي رواية لمالك إلى الإثغار وهو قول ضعيف⁵، وعند الحنابلة تستمر الحضانة للأم إلى سن سبع سنين، ولا يفرقون في ذلك بالنسبة للذكر أو الأنثى، ثم يخier الطفل بين أبييه⁶، وهو قريب من رأي الشافعية الذين يجعلون الحضانة للأم إلى سن التمييز، إذ

¹- قرار المحكمة العليا، غرفة الأحوال الشخصية، بتاريخ 10/09/2008، مجلة المحكمة العليا، العدد 02، لسنة 2008، ص 313.

²- محمد بن علي الحصيفي، الدر المختار، المرجع السابق، ص 256 .

³- علاء الدين أبو بكر الكاساني، بدائع الصنائع، المرجع السابق، ص 42 .

⁴- أحمد بن محمد الدردير، أقرب المسالك، المرجع السابق، ص 84 .

⁵- محمد بن يوسف الكافي، إحكام الأحكام، المرجع السابق، ص 142 .

⁶- موفق الدين بن قدامة، المغني، المرجع السابق، ص 415 .



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

العبرة عندهم بالتمييز وليس بسنّه، فقد يكون سبع سنين أو ثمان وقد يتقدم أو يتأخر، ثم تخيير الطفل بين الأم والأب¹ وهذا على خلاف الحنفية الذين يوجبون تسليم الولد إلى أبيه بعد سبع سنين حيث لا خيار للولد عندهم قبل البلوغ مطلقا ذكرا كان أم أنثى²، لأنّه قد صحّ لديهم أنّ الصحابة لم يخierوا³.

أما بالرجوع لقانون الأسرة الجزائري، فنجد أن المادة 65 منه، تنص على أن حضانة الذكر تنتهي ببلوغه 10 سنوات وهو يقترب في ذلك من موقف الحنفية، غير أنها نرى أن الطفل في هذه السنّ يبقى مُحتاجاً للرعاية فلم يكمل تعليمه الابتدائي، وكان الأخرى بالمشروع أن يجعل الحضانة تستمر إلى البلوغ على رأي المذهب المالكي، دون أن يشترط وجود تمديد من الأم - دون غيرها - إلى سن 16 سنة كما جاءت به نفس المادة، والتي اشترطت عدم زواج هذه الأم مرة ثانية، فتحتما سيكون ذلك لصالحة المضون، لأن استمرار الحضانة إلى سن البلوغ يعني بقاء الطفل المضون مدة أطول في السكن المخصص للحضانة، وأعتقد أن تحديد سن 16 سنة قد تم على أساس أنه سن التمييز طبقاً للقانون المدني آنذاك، إلا أن سنّ التمييز قد تمّ تعديلها بعدها لتصبح 13 سنة⁴، ولذا فمن الضروري تحديد المعيار الذي تم الاعتماد عليه لتحديد سن 16 سنة، مما تبدو معه الحاجة إلى إقرار تعديل جديد لقانون الأسرة، بما يتماشى أكثر مع مصلحة المضون.

ثانياً/ شرط السن بالنسبة للمضون الأنثى

¹ سراج الدين البليقيني، تدريب المبتدئ، المرجع السابق، ص 36 و 37 .

² محمد بن علي الحصيفي، الدر المختار، المرجع السابق، ص 256 .

³ محمد أمين ابن عابدين، رد المختار، المرجع السابق، ص 270 .

⁴ المادة 42 من القانون المدني الجزائري المعدل والمنتظم



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

يرى الحنابلة أن حضانة الأنثى تستمر لأمّها حتى سن سبع سنوات، وبعدها يجب تسليمها إلى أبيها¹، على عكس الشافعية الذين رأيناهم يجعلون الحضانة للأم إلى بلوغ سن التمييز، ثم تُخَيِّر البنت بين أبيها²؛ أما الأحناف فيرون أن حضانة النساء للبنت تستمر حتى تحضى³، وهو نفس قول ابن حزم الظاهري، ويرى قولُ عند بعض الحففيَّة حقُّ شتهي، وقدر ذلك بتسعة سنين، وبه يُفتَّى، وبنت إحدى عشر مُشتهاءً اتفاقاً⁴، أما عند المالكية فتستمر حضانة البنت حتى تتزوج ويشترط دخول زوجها لها، حيث ثُرِفَ المحسنة إلى زوجها من بيت الحاضنة لا من بيت أبيها⁵، ويرى الحصيفي أن الأنثى تستمر حضانتها حتى ولو تزوجت إذا كانت لا تصلح للرجال⁶.

أما طبقاً للمادة 65 السابقة الذكر من قانون الأسرة الجزائري، فحضانة البنت تنتهي ببلوغها سن الزواج، وبحد أن المشرع هنا، وإن كان موقفه يقترب من قول المالكية، إلا أنه لم يحدد الحضانة صراحة بالزواج كما فعل المالكية، وهذا ما يؤخذ عليه، لأن سن الزواج محددة قانوناً بـ19 سنة⁷، وهو سن الرشد، وهذا يعني أنه يشترط في البنت المحسنة أن تكون سنها أقل من 19 سنة وإلا فلا تجوز حضانتها، كما أن موقف المشرع الجزائري يثير عدة إشكالات في حالة إذا ما تزوجت قبل هذه السن بناء على

¹ - موفق الدين بن قدامة، المغني، المرجع السابق، ص 418 .

² - سراج الدين البقيني، تدريب المبتدئ، المرجع السابق، ص 36 و 37 .

³ - علاء الدين أبو بكر الكاساني، بدائع الصنائع، المرجع السابق، ص 42 .

⁴ - محمد بن علي الحصيفي، الدر المختار، المرجع السابق، ص 256 .

⁵ - محمد بن يوسف الكافي، إحکام الأحكام، المرجع السابق، ص 142 .

⁶ - محمد بن علي الحصيفي، الدر المختار، المرجع السابق، ص 256 .

⁷ - المادة 07 من قانون الأسرة الجزائري المعديل والمتمم



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

إذن مسبق، فطبقاً لحرفية النص فإن حضانتها تستمر رغم زواجهما، وهذا غير معقول.

المبحث الثاني/ ترتيب الأشخاص المستحقين للحضانة

ستتطرق أولاً لترتيب هؤلاء الأشخاص في الفقه الإسلامي، ثم نتطرق للترتيب الذي جاء به المشرع الجزائري.

المطلب الأول/ ترتيب الأشخاص المستحقين للحضانة في الفقه الإسلامي

المشهور عند المذاهب الفقهية أن الأم هي الأولى بالحضانة وبعدها أمها، ولم يثبت لدى جمهور الفقهاء تقديم الأب على أم الأم، إلا في بعض الأقوال، ومنها أحد الروايات عن الإمام أحمد بن حنبل الذي جاء فيها أن أمّ الأب وأمهاتها مقدمات على أمّ الأم، فعلى هذه الرواية يكون الأب أولى بالتقديم لأنهن يدللين به، فيكون الأب بعد الأم ثم أمهاهاته¹ كما قيل في روايات أخرى عن أصحابه، أنه في حال تركت الأم الحضانة مع استحقاقها لها ففيه وجهان، من بينها أن الحضانة تنتقل للأب لأن أمهاها فرع عليها في الاستحقاق²؛ وعند مذهب الجعفري الحضانة ثبت للأم ثم للأب³.

حيث أنه ونظراً لكون النساء أكثر رفقاً وعاطفةً من الرجال، فقد جعل الفقه الإسلامي لهنّ الأولوية في حق الحضانة وفقاً لترتيب خاص، ثم تنتقل الحضانة للأقرنين من الرجال⁴ العصبة، ثم غير العصبة، وإذا لم يوجد له هؤلاء الأقارب، عين القاضي أي حاضن آخر يكون عدلاً أميناً ثقة.

الفرع الأول/ ترتيب النساء المستحقات للحضانة

¹ - موقف الدين بن قدامة، المغني، المرجع السابق، ص 426 .

² - المرجع نفسه، ص 427 .

³ - بدران أبو العينين بدران، المرجع السابق، ص 549 .

⁴ - المرجع نفسه، ص 546 .



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

لقد اختلف المذاهب الأربعة في هذا الترتيب، ففي المذهب المالكي فإنه بعد الأم وأمهاتها والخالة وأمهات الأب¹ بحد الأخت، ثم العمّة، ثم عمّة الأب، ثم بنت الأخت، ثم بنت الأم².

أما المذهب الحنفي فيرتب القراءات من النساء بعد الأم وأمهاتها وأمهات الأب، بداية بالأخت ثم بنت الأخت ثم الحالـة ثم العمـة ثم حالـة الأمـة، ثم حالـة الأبـة، ثم عمـات الأمـهـاتـ والأباءـ³، وفي بعض الروايات عن الإمام أبي حنيفة فإنـ الحالـةـ أولـىـ بالـحـضـانـةـ منـ بـنـتـ الأـختـ لأـبـ⁴.

وفي مذهب الإمام الشافعي وبعد الأم وأمهاتها ثم أمّ الأم⁵ وأمهاتها ثم أم أبي الأب ثم أم أبي الجد، فإنـناـ بـحدـ الأـختـ وـهيـ مـقـدـمةـ منـ أيـ جـهـةـ كـانـتـ عـلـىـ الـخـالـةـ، ثمـ بـنـتـ الـأـخـ وـالـأـختـ، حيثـ تـقـدـمـ الـأـختـ مـنـ الـأـبـ عـلـىـ الـأـختـ مـنـ الـأـمـ، ثمـ الـعـمـةـ، وـتـقـدـمـ الـخـالـةـ وـالـعـمـةـ مـنـ أـبـ عـلـىـ الـخـالـةـ وـالـعـمـةـ لـلـأـمـ، وـيـخـصـوصـ بـنـاتـ الـخـالـةـ وـالـخـالـ

وبـنـاتـ الـعـمـ وـالـعـمـةـ فـتـشـبـتـ لـهـنـ الـحـضـانـةـ فـذـكـرـ لـاـ يـشـتـهـيـ، وـإـلـاـ فـلاـ حـضـانـةـ لـهـنـ⁶.

¹- المشهور عند المالكية أن تُقدم أمّ الأم على الأب، غير أن بعض الروايات عن الإمام مالك تفيد أن الأباً أولى من أمّ الأم، إلا إذا كان للأب زوجة أجنبية (راجع في ذلك: أبو عمر يوسف بن عبد الله النمرى القرطى، الكافي، المرجع السابق، ص 625).

²- أحمد بن محمد الدردير، أقرب المسالك، المرجع السابق، ص 84.

³- محمد بن علي الحصيفي، الدر المختار، المرجع السابق، ص 255.

⁴- علاء الدين أبو بكر الكاساني، بدائع الصنائع، المرجع السابق، ص 41.

⁵- ويُقدم الشافعية الأباً على أمّ الأم على الصحيح (سراج الدين البلقيسي، تدريب المبتدئ، المرجع السابق، ص 35؛ ويدرك ابن قدامة في كتابه المعنى أن قول الشافعية القديم يرى أن الحالـةـ أـحـقـ مـنـ أمـ الـأـبـ (مـوـفـقـ الدـيـنـ بـنـ قـادـمـةـ، الـمـعـنـيـ، الـمـرـجـعـ السـابـقـ، صـ 422).

⁶- سراج الدين البلقيسي الشافعية، تدريب المبتدئ، المرجع السابق، ص 33 و 34.



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

أما في المذهب الحنفي فالمشهور أنه بعد الأم وأمهاتها ثم أمهات الأب، بحد الأخوات، وتُقدم الأخت لأب على الأخت لأم، ثم الحالة حيث تقدم الحالة لأب على الحالة لأم، ثم العمة، ثم حالات الأب، ثم حالات الأم، وقيل العكس ثم عمّات الأب، ولا حضانة لعمّات الأم، وفي حال التساوي فيما بينهم في الدرجة، فُدِّمَ المستحقٌ منهم بالقرعة¹.

الفرع الثاني / ترتيب الرجال العصبة المستحقين للحضانة

العاصب هو من يستحق التركة كلها عند انفراده أو ما بقي منها بعدأخذ أصحاب الفروض حقوقهم، وإذا كان رجلاً فلا يكون إلا عاصباً بنفسه، وهذا حسب المادة 152 من قانون الأسرة التي نصت على أنه "... كل ذكر ينتمي إلى المالك بواسطة ذكر".

والأقربون من الرجال العصبة عند المالكية هم: الأب، ثم الأخ، ثم الجد لأب وإن عاً، ثم ابن الأخ ثم العم، ثم ابنه، ويقدم القريب المحرم الشقيق ثم لأم ثم لأب².

أما عند الحنفية فهم: الأب ثم الجد ثم الأخ الشقيق، ثم الأخ لأب ثم بنوهم، ثم الأعمام ثم بنوهم، وإن اجتمعوا فأكثرهم ورعاً ثم الأسن³، ولا تُسند الحضانة لابن العم إلا إذا كان الحضان ذكراً، أما إذا كانت أنثى فلا تُسلّم إليه لأنه ليس بمحرم منها، ويجوز له نكاحها فلا يؤقمن عليها⁴.

¹ - موقف الدين بن قدامة، المغنى، المرجع السابق، ص 420 - 424 و 427.

² - أحمد بن محمد الدردير، أقرب المسالك، المرجع السابق، ص 84.

³ - محمد بن علي الحصيفي، الدر المختار، المرجع السابق، ص 255.

⁴ - علاء الدين أبو بكر الكاساني، بدائع الصنائع، المرجع السابق، ص 43؛ وأنظر أيضاً: محمد أمين ابن عابدين، رد المحتار، المرجع السابق، ص 264.



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

وفي المذهب الشافعي بحد الأب ثم الجد للأب وإن علا ثم الأخ الشقيق، ثم الأخ للأب، ثم ابن الأخ للأب، ثم ابن الأخ الشقيق، ثم ابن العم الشقيق، ثم العم للأب، ثم العم للجد، ثم يأتي الورثة غير المحارم كأبناء العم وأبنائهم وأبناء عم الأب، وأبناء عم الجد، وهؤلاء لا تُسلّم لهم مشتهاة حذرا من الخلوة، ولكن تُسلّم إلى ثقة يعينها هو وجاء في بعض أقوال المذهب أنه لا حق لهم في الحضانة باعتبارهم ليسوا من المحارم¹.

أما عند الحنابلة فيُرتب الأب ثم الجد أبو الأب وإن علا، ثم الأخ من الآبوبين، ثم الأخ من الأب، ثم بنوهم وإن نزلوا على ترتيب الميراث، ثم العمومة، ثم بنوهم، ثم عمومة الأب، ثم بنوهم².

الفرع الثالث / ترتيب الرجال غير العصبة المستحقين للحضانة

إذا لم يوجد من يقوم بحضانة الطفل من النساء القربيات أو الأقارب من الرجال العصبة أو لم يكن منهم من هو أهل للقيام بعمارة الحضانة، انتقل هذا الحق إلى أقارب الحضانون من الرجال غير العصبة، وهم في المذهب الحنفي على النحو الآتي: الأخ لأم ثم ابن الأخ لأم ثم العم لأم ثم الحال الشقيق فالحال لأم، فإن تساووا فأصلحهم ثم أورعهم ثم أكبرهم³.

أما عند المالكية فإن الحال والجد لأم لا حضانة له⁴، وفي مذهب الإمام الشافعي فإنه إذا لم يوجد الإرث والحرمية أو لم يوجد الإرث، فالأخ الأصلح عنده أنه لا حضانة

¹ سراج الدين البليغاني، تدريب المبتدئ، المرجع السابق، ص 34 و 35.

² موفق الدين بن قدامة، المغني، المرجع السابق، ص 424.

³ محمد بن علي الحصيفي، الدر المختار، المرجع السابق، ص 255.

⁴ أحمد بن محمد الدردير، أقرب المسالك، المرجع السابق، ص 84.



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

مطلقا¹، حيث يرى أن الحال والعم لأم لا حق له في النسب²، أما الحنابلة فلا حضانة عندهم للرجال من ذوي الأرحام، كالخال، والأخ من الأم، وأبى الأم، وابن الأخت، وذلك إذا وجد أحد من أهل الحضانة سواهم³.

المطلب الثاني/ ترتيب الأشخاص المستحقين للحضانة في قانون الأسرة

الجزائري

كان المشرع الجزائري ينص في المادة 64 من قانون الأسرة قبل تعديليها، على مستحقي الحضانة وذلك وفقاً للترتيب التالي: الأم ثم أمّها ثم الخالة ثم الأب ثم الأقربون درجة مع مراعاة المحسوبون في كل ذلك.

وبعد تعديل هذه المادة، تغير هذا الترتيب وأصبح كالتالي: الأم، ثم الأب، ثم الجدة من جهة الأم، ثم الجدة من جهة الأب، ثم الخالة، ثم العمّة، ثم الأقربون درجة، مع مراعاة مصلحة المحسوبون في كل ذلك، ونلاحظ هنا أن المشرع الجزائري قد غير مراتب المستحقين للحضانة، غير أن الأم تبقى دائمًا هي الأولى بحضانة ولدها، والمحدث هو جعل الأب بعد الأم مباشرةً، كما أنه أضاف العمّة التي جاءت في آخر الترتيب مع الخالة، بعد أن كانت الخالة في المرتبة الثالثة مباشرةً بعد الأم وأمّها، وذلك على اعتبار أن الأصول وإن علو أكثر شفقة على الأبناء من غيرهم، وقد جاء في أحد قرارات المحكمة العليا أنه "... وفي كل الأحوال فإن مصلحة المحسوبون هي الأساس في إسناد الحضانة، وليس

¹ سراج الدين البلقيني، تدريب المبتدئ، المرجع السابق، ص 35.

² المرجع نفسه، ص 39.

³ موفق الدين بن قدامة، المغني، المرجع السابق، ص 425.



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

الترتيب الوارد في المادة 64¹.

وبتقدير المشرع الجزائري للأب على أمّ الأم، نجده قد خالف المشهور عند الجمهور كما سبق وقدمنا، واعتمد على بعض الأقوال في مذهب الإمام بن حنبل، ووافق ذلك ما جاء في المذهب الجعفري، وهو اتجاه حديث للمشرع الجزائري فرضته اعتبارات اجتماعية واقتصادية عديدة، كما يلاحظ أنّ المشرع الجزائري لم يوضح المقصود بعبارة "الأقربون درجة" وهو ما وضحه الفقه الإسلامي على النحو السابق بيانه.

وعليه، نجد أن المشرع الجزائري قام بترتيب المستحقين للحضانة في فئات مسمّاة بعينها، وأخرى لم يسمّيها، كما يلي:

الفرع الأول / ترتيب الفئات المسمّاة في قانون الأسرة الجزائري

حدد المشرع الجزائري في قانون الأسرة 06 فئات مرتبة على الشكل التالي:

أولاً/ الأم ثم الأب

الأم هي والدة الطفل، سواء كانت متزوجة من والد الطفل أو مطلقة، مادامت أهلاً للحضانة وقد جعلت في المرتبة الأولى باعتبارها أشدق وأرق بطفلها من غيرها، ولها من الصبر على التربية ومشاكلها ما ليس لغيرها، لهذا قدمت الأم حمايةً للطفل ورعاياً لمصلحته².

أما الأب فهو والد الطفل، حيث تعود له الحضانة في المرتبة الثانية بعد أمّ الطفل مباشرةً وقبل باقي الأقارب، حيث تسند له الحضانة في حال عدم وجود الأم أو وجدت

¹ - قرار المحكمة العليا، غرفة الأحوال الشخصية، بتاريخ 13/05/2009، مجلة المحكمة العليا، العدد 01، لسنة 2004، ص 297 .

² - السيد سابق، المرجع السابق، ص 339 .



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

ولم تكن أهلاً للحضانة، وحسناً فعل المشرع الجزائري، وذلك على أساس أنّ الوالدين هُم الأقرب لأبنائهم، والأكثر حرضاً على رعاية مصالحهم.

ثانياً/ الجدة لأم ثم الجدة لأب

الجدة لأم هي أم الأم مهما علت، حيث تكون في المرتبة الثالثة، وذلك في حالة عدم وجود الأبوين، أو وجداً ولم يكونا أهلاً للحضانة، فتعود لأم الطفل وهذا بعد الأب مباشرة، لكنها الأقرب للصغير بعد والديه.

أما الجدة لأب فهي أم الأب وإن علت، وهي في المرتبة الرابعة في حالة عدم وجود الوالدين والجدة لأم، أو وجدوا ولم يكونوا أهلاً للحضانة، وقد أسندت الحضانة لأم الأب بعد أم الأم - رغم أن كليهما تعتبر جدة للطفل - لأن قرابة الأم مقدمة على قرابة الأب، وحق الحضانة يعود في الأصل للأم فالمتسقة لها تكون أولى من المتسقة للأب.

ثالثاً / الحالات ثم العمّة

الحالات هنّ أخوات والدة الطفل، وتستند لهنّ الحضانة في المرتبة الخامسة، عند عدم وجود الوالدين والجذات، أو وجدوا ولم يكونوا أهلاً للحضانة، الأصل أن تُقدمّ الحالـة الشقيقة على غيرها من الحالـات، وقد تمّ ترتيب الحالـة في المراتـب الأولى تأثـراً بالذهب المالـكي، وإن كان المالـكي يجعلـونـها بعد الجدة لأم مباشرة .

أما العـمات فهنّ أخوات والـد الطـفل، وتـستـند لهـنـ الحـضـانـة فيـ المرـتبـةـ السـادـسـةـ،ـ فيـ حالـ عدمـ وـجـودـ أيـ فـئـةـ منـ الفـئـاتـ السـابـقـةـ،ـ أوـ فيـ حالـ لمـ يـكـونـواـ أـهـلـاـ لـلـحـضـانـةـ،ـ وـتـقـدـمـ العـمـّـةـ الشـقـيقـةـ عـلـىـ غـيرـهـاـ مـنـ العـمـّـاتـ،ـ وـتـعـتـبـرـ الـحـالـاتـ أـوـلـىـ مـنـ العـمـّـاتـ وإنـ



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

تساوين في القُرب، لأن الحالات يُدلّين بقرابة الأم فلن أشقق¹.

الفرع الثاني / الفئات غير المسمّاة في قانون الأسرة الجزائري

بعد الأم والأب والجدة لأم والجدة لأب والخالة والعمّة، نص المشرع الجزائري على الأقربين درجة ولكنه لم يوضح المقصود بهم، وهو ما يؤدي بنا إلى الرجوع لما جاء به الفقه الإسلامي في هذا الصدد، ولذا فإننا نihil إلى ما سبق بيانه في هذا الخصوص.

فإن لم يوجد من يقوم بحضانة الطفل مما سبق ذكره، وذلك لوجود مانع مادي كعدم قدرتهم على التكفل بالطفل المخصوص أو لم يكونوا أهلاً لذلك، نص المشرع في المادة 64 من قانون الأسرة على أن للقاضي أن يختار من يراه أصلح لرعاية المخصوص، ولو كان من الأقارب الذين ليست لهم حق الحضانة، مع مراعاة مصلحة المخصوص، ونلاحظ هنا غموض نص المادة السالفة الذكر التي أكتفت بالنص على أن القاضي يختار من يراه أصلح لرعاية المخصوص من الأقارب الموجودين فإن لم يوجد له أقارب أصلاً، عين له حاضنة تقوم بتربيته، ويرى البعض أنه دفعاً للفتنة فإنه على القاضي أن يعين حاضناً للمخصوص الذكر وحاضنة للمخصوص الأنثى بشرط توفر عنصر الثقة فيهم لدى القاضي، وأن يتتأكد من قدرتهم على الحضانة وعلى رعاية مصلحة المخصوص، ويرى القضاء ضرورة استعانة القاضي في الحكم بمدى مصلحة المخصوص بمروحة اجتماعية².

وما تحدّر الإشارة إليه، أن المشرع الجزائري قد أغفل مسألة في غاية الأهمية وهي الحالة التي يتعدّد فيها مستحقو الحضانة من نفس الدرجة، وهو الأمر الذي تفطن له

¹ - ممدوح عزمي، *أحكام الحضانة بين الفقه والقانون*، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مصر، 1997، ص 24.

² - قرار المحكمة العليا، غرفة الأحوال الشخصية، بتاريخ 17/05/2006، مجلة المحكمة العليا، العدد 437، لسنة 2007، ص 02.



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

فقهاء الشريعة الإسلامية منذ قرون خلت، كما وضحته ؛ حتى أن اجتهادات المحكمة العليا في هذه المسألة بالذات تكاد تكون منعدمة، غير أنه يمكن القول في هذا الصدد أن الاتجاه العام للقضاء الجزائري هو اختيار الأصلح للطفل المضبوط دائمًا.

المبحث الثالث/ حالات إسقاط حق الحضانة

تناول الفقه الإسلامي حالات إسقاط الحضانة بإسهاب عميق، فالثابت أنّ حق الحضانة لا يثبت بصفة مؤبدة لصاحبها، فإن قام بها الحاضن على النحو السابق بيانه والتزم بشروطه، بقي له هذا الحق إلى أن يبلغ المضبوط السن المحددة للحضانة، وإن أخل بأحد التزاماته أو فقد شرطاً من شروط أهلية الحضانة، وجب إسقاطها ؛ وهذا ما يفرض التحديد الدقيق لحالات الإسقاط، غير أنه بالرجوع لقانون الأسرة الجزائري، نجد قد تطرق لهذه المسألة في مواد معدودة مقتضبة لاسيما المادة 67 - فقرة أولى - حيث نصت على أنه: "تسقط الحضانة باختلال أحد الشروط الواردة في المادة 62 أعلاه".

والإشكال الحاصل أن المادة 62 المذكورة، لا تنص إلا على شرط واحد وهو أن يكون الحاضن أهلاً للقيام بذلك ويمكن القول أنه كان الأجدر بالشرع أن يختار بين أمرين، فإما أن يُفصل في المادة 62 هذه الشروط السالفة ذكرها بدقة وإما أن ينص في المادة 67 على سقوط حق الحاضن في الحضانة عندما لا يكون أهلاً لذلك كأحد حالات السقوط.

ويمكن تفصيل حالات سقوط الحضانة في المطالب التالية:

المطلب الأول/ فقدان أهلية ممارسة الحضانة

يرى المالكية أنه إذا كان سقوط الحضانة لعذر كمرض وغيره من الأعذار، ثم انقطع ذلك العذر، فإن الحضانة تعود لها¹، كما يرى غالبية الفقهاء أنه في حال ردّه

¹ - محمد بن يوسف الكافي، إحكام الأحكام، المرجع السابق، ص 144 .



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

الحضانة يجب إسقاط حضانتها، لأنها بذلك لا تعود أهلاً لممارسة الحضانة باعتبار أن المرتدة تستحق الحبس حتى تتوب وتعود إلى الإسلام، أو تموت في الحبس فلا تناح لها الفرصة لحضانة الطفل فإن تابت وعادت عاد لها حق الحضانة¹.

وبالرجوع لقانون الأسرة الجزائري نجد أن المادة 67 -فقرة أولى- قد نصت على سقوط الحضانة باحتلال أحد الشروط المنصوص عليها في المادة 62 المذكورة أعلاه.

وتطبيقاً لذلك تسقط الحضانة في حال تخلف شروط الحضانة السابق الإشارة إليها، كإصابة الحاضن أثناء الحضانة بأمراض عقلية أو جسدية تجعله عاجزاً عن ممارسة الحضانة وأداء واجباتها، أو ثبوت عدم أمانته واستقامتها، ومن ذلك مثلاً ممارسة أعمال السحر والشعوذة، وكل ما له علاقة بالسلوك المشين، وذلك بعد تحقيق قضائي يثبت الواقعية أو إقرار شخصي من الحاضن.

المطلب الثاني/ الزواج بغير قريب محروم

يذهب عموم الفقه الإسلامي إلى القول بأن زواج المرأة من أجنبي يسقط حقها في الحضانة، إذ يرى الحنفية أن زواجها بغير قريب محروم بعد استحقاق الحضانة يترب عليه سقوط للحضانة باختيارها، ذلك سواء دخل بها أم لا²، ويرى المالكية أنه إذا تزوجت الأم فلا يتزع منها ولدها حتى يدخل بها زوجها³، أما إذا تزوجت الأم بقريب محروم من الطفل مثل عمه، فإن حضانتها لا تسقط بحكم أن هذه القرابة للطفل توفر الجو الرحيم والظروف التي تساعد على رعايته، ف يتم التعاون على كفالته⁴، مما يتحقق له

¹ - السيد سابق، المرجع السابق، ص 343 .

² - محمد أمين ابن عابدين، رد المحتار، المرجع السابق، ص 266 .

³ - أبو عمر يوسف بن عبد الله التمري القرطبي، كتاب الكافي، المرجع السابق، ص 626 .

⁴ - السيد سابق، المرجع السابق، ص 344 .



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

الحماية الالزمة وتتوفر له الاستقرار النفسي والعاطفي؛ وهذا على عكس الجعفرية الذين قالوا بسقوط حضانة المرأة بالزواج مطلقاً، سواء أكان الزوج رحماً أم أجنياً إذا كان الأب موجوداً¹.

وتجدر الإشارة إلى أن المالكية قد ذكروا ست حالات لا تسقط فيها الحضانة رغم زواج الأم بأجني، وهي:²

1. أن يكون الزوج من يستحق الحضانة، وإن لم يكن محراً، كأن يكون الزوج ابن عم للطفل المحضون.

2. أن يعلم من تنتقل إليه الحضانة بتزوجها، ودخول الزوج بها، وأن ذلك مسقط لحضانتها، ثم يسكت لمدة عام³.

3. أن لا يقبل الولد غير أمه أو حاضنته، فإذا تزوجت الحاضنة برجل أجنبى عن المحضون ولم يقبل الولد غيرها، فإنها تبقى على حضانتها، ولا تسقط سواء كان المحضون رضيعاً أو غيره، وقيل: إذا كان رضيعاً فقط.

4. إذا قبل الولد غير أمه وكان رضيعاً، ولكن رفضت أن ترضعه، ورفضت المرضعة أن ترضعه في بيت من قبلها الطفل، فإن الحضانة لا تسقط عن الأم، فترضعه هي أو غيرها في بيتها.

5. إذا لم يكن هناك حاضن للطفل غيرها، أو كان هناك حاضن ولكنه عاجز أو غائب أو غير مأمون.

6. أن يكون الأب عبداً رقيقاً وتكون الأم المتزوجة حرة.

¹ - بدران أبو العينين بدران، المرجع السابق، ص 553 .

² - محمد بن أحمد الدسوقي المالكي، حاشية الدسوقي، المرجع السابق، ص 530 .

³ - سألي لتفصيل هذه المسألة لاحقاً عند التطرق لمسألة عدم المطالبة بالحضانة .



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

والمشهور عند الإمام مالك أنه لا تعود الحضانة حتى ولو زالت هذه الزوجية¹، وهذا على خلاف الحنفية الذين يرون أن الحضانة تعود بالفرقـة البائنة لزوال المانع²، أما الشافعية والحنابلة فيرون عودة الحضانة ولو بالطلاق الرجعي³.

وبالنسبة لهذا المـспектـ، نصـتـ المـادةـ 66ـ منـ قـانـونـ الأـسـرـةـ عـلـىـ أـنـهـ "يـسـقـطـ حـقـ الحـضـانـةـ بـالـتـزـوـجـ بـغـيرـ قـرـيبـ مـحـرمـ..."ـ وـيعـنيـ هـذـاـ أـنـ كـلـ زـوـجـةـ أـسـنـدـتـ لـهـ حـضـانـةـ أـلـاـدـهـاـ مـنـهـ يـسـقـطـ حـقـهـاـ فـيـ هـذـهـ حـضـانـةـ بـمـجـرـدـ عـقـدـ زـواـجـهـاـ -ـ أـنـاءـ قـيـامـ حـقـ حـضـانـةـ -ـ مـعـ شـخـصـ أـجـنـيـ عنـ الـمـخـضـونـ،ـ مـاـ يـفـيدـ بـأـنـ الـمـشـرـعـ قدـ أـخـذـ بـمـاـ جـاءـ بـهـ الـحـنـفـيـةـ فـيـ ذـلـكـ،ـ إـذـاـ قـامـ الـأـبـ أوـ غـيرـهـ مـنـ لـهـ حـقـ حـضـانـةـ الـذـيـنـ وـرـدـ ذـكـرـهـمـ فـيـ الـمـادـةـ 64ـ مـنـ قـانـونـ الـأـسـرـةـ،ـ بـرـفـعـ دـعـوـيـ أـمـامـ الـمـحـكـمـةـ لـطـلـبـ إـسـقـاطـ حـقـ حـضـانـةـ الـأـمـ،ـ فـإـنـ الـمـحـكـمـةـ سـتـسـتـحـيـبـ حـتـمـاـ لـطـلـبـهـمـ هـذـاـ وـتـقـضـيـ بـإـسـقـاطـ حـقـهـاـ فـيـ حـضـانـةـ،ـ وـتـنـحـيـهـاـ إـلـىـ مـقـدـمـ طـلـبـ حـضـانـةـ .ـ

وـبـخـصـوصـ مـدـىـ عـوـدـةـ حـضـانـةـ فـيـ حـالـةـ زـوـالـ زـوـاجـ حـضـانـةـ بـأـجـنـيـ،ـ فـإـنـ الـمـادـةـ 71ـ مـنـ قـانـونـ الـأـسـرـةـ تـنـصـ عـلـىـ أـنـ الـحـقـ فـيـ حـضـانـةـ يـعـودـ إـذـاـ زـالـ سـبـبـ سـقـوطـهـ غـيرـ الـاخـتـيـارـيـ،ـ وـالـأـصـلـ فـيـ الزـوـاجـ أـنـهـ أـمـرـ اـخـتـيـارـيـ،ـ وـبـالـتـالـيـ فـلـاـ يـعـودـ الـحـقـ فـيـ حـضـانـةـ حـتـىـ فـيـ حـالـةـ زـوـالـ هـذـاـ الزـوـاجـ،ـ وـهـذـاـ يـعـنيـ أـنـ الـمـشـرـعـ الـجـزاـئـيـ قدـ أـخـذـ بـرـأـيـ الـمـالـكـيـةـ فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ،ـ وـهـذـاـ مـاـ أـكـدـتـهـ الـمـحـكـمـةـ الـعـلـيـاـ فـيـ أـحـدـ قـرـارـاهـاـ⁴ـ حـيـثـ قـضـيـ بـأـنـهـ "ـلـمـ كـانـ ثـابـتـ

¹ - محمد بن يوسف الكافي، إحكام الأحكام، المرجع السابق، ص 144 .

² - محمد بن علي الحصفكي، الدر المختار، المرجع السابق، ص 256 .

³ - موفق الدين بن قدامة، المغني، المرجع السابق، ص 427 .

⁴ - جاء في قرار سابق للمحكمة العليا ما يناظر هذا الاتجاه، حيث قضى بأنه " لقد طبق قضاة الموضوع صحيح القانون، عندما قضوا بحق المطعون ضدها في الحضانة، بعدما زال سبب سقوطها



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

في قضية الحال، أن الأم أسقطت حضانتها بعد زواجها بأجنبي، فإن المجلس لما قضى بإسناد الحضانة إليها بالرغم من أن زواجها بالأجنبي يعد تصرفًا رضائياً و اختيارياً، يكون قد خالف القانون ...¹.

المطلب الثالث/ التنازل عن الحضانة وعدم المطالبة بها

يرى غالبية الفقه الإسلامي أنه حمايةً للطفل المخصوص، إذا ثبت بأن الطفل يحتاج إلى أمّه ولم يوجد أحد غيرها، فلا بد من إيجار الأم على الحضانة، ولا يجوز لها التنازل عنها، فإذا كان للطفل غير أمّه من النساء ورضيت بإمساكه، حاز للأم التنازل عن الحضانة، حيث يسقط حقها في الحضانة بإسقاطها إياه²، ومن المذاهب التي أجازت التنازل عن الحضانة نجد الحنابلة، وفيه رواية عن مالك، بالإضافة إلى الشيعة الإمامية³، ولا يمكن أن تعود الحضانة لمن تنازلت عنها إذا أرادت استرجاعها مرة أخرى⁴، ويرى بعض المالكية أنه إذا كان ترك الأم طفلها بعذر، فإنه يجوز لها أخذه مرة أخرى، أما إذا تركته رفضاً ومقتاً لم يكن لها بعد ذلك أخذه⁵.

وبالرجوع لقانون الأسرة الجزائري، نجد المادة 66 منه تنص على أنه "يسقط حق

الاختياري باعتبار أنها تزوجت بغير قريب محروم ثم طلقت منه، ورفعت دعوى تطالب فيها استعادة حقها في الحضانة ... " (قرار المحكمة العليا، غرفة الأحوال الشخصية، بتاريخ 27/03/1989، مجلة المحكمة العليا، العدد 03، لسنة 1990، ص 178).

¹- قرار المحكمة العليا، غرفة الأحوال الشخصية، بتاريخ 05/02/1990 (غير منشور) .

²- السيد سابق، المرجع السابق، ص 339 .

³- بلقاسم أعراب، "مسقطات الحق بالحضانة في قانون الأسرة الجزائري والفقه الإسلامي المقارن (دراسة تأصيلية)" ، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية لجامعة باتنة، العدد 01 لسنة 1994، ص 52.

⁴- محمد بن يوسف الكافي، إحکام الأحكام، المرجع السابق، ص 144 .

⁵- أبو عمر يوسف بن عبد الله التمري القرطي، كتاب الكافي، المرجع السابق، ص 626 .



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

الحضانة ... وبالتنازل" ، لكن المشرع لم يوضح الحالات التي يكون فيها هذا التنازل ، مما يعني الاستناد إلى ما فرّره فقهاء الإسلام في هذا الصدد ، إذ ينبغي لإحداث هذا الأثر أن يكون التنازل غير مضرّ بمصلحة المضون ، وأن يأتي هذا التنازل من قبل مستحقى الحضانة من حيث الموضوع والشكل وفقاً لأحكام القانون ، لذلك ، فإن الحضانة حتى وإن كانت حقاً للحاضنة ، فإن التنازل عنها لا يجب أن يكون طبقاً لرغبتها فقط ، بل يتشرط في هذا التنازل أن يكون هناك حاضن آخر تستند له الحضانة ، وتتوافر فيه الشروط المطلوبة مع قبوله لهذه الحضانة ، حيث قضى المجلس الأعلى في أحد قراراته بأنه "من المقرر شرعاً وقانوناً أن تنازل الأم عن حضانة أولادها تقتضي وجود حاضن آخر يقبل منها تنازلاً ولو القدرة على حضانتهم ، فإن لم يوجد ، فإن تنازلاً لا يكون مقبولاً وتعامل معاملة نقىض قصدها ..." ¹.

ويعتبر من قبيل التنازل حالة عدم مطالبة الحاضن بحقه في الحضانة ، وهو ما يسميه الفقه المالكي بسكتوت الحاضن عن الحضانة بعد العلم بانتقال الحضانة إليه ، لمدة عام بدون عذر ، وقد اعتبره من حالات استقطاع الحضانة ، فلو كانت الحضانة متزوجة بأجنبي ، وعلم من له الحضانة بعدها بأنّ زوجها الأجنبي قد دخل بها ، وأنّ ذلك من شأنه أن يُسقط حضانتها وأنه هو الأحق بها ، ثم سكت لمدة عام بلا عذر ، فلا حضانة له ، أما إذا لم يعلم بالدخول ، أو علم وجهل الحكم ، أو سكت دون العام ، أو لمدة عام ولكن بعد ، انتقلت له وسقط حق المدخول ².

وقد أخذ المشرع الجزائري بهذا الرأي في نص المادة 68 من قانون الأسرة والتي

¹ - قرار المحكمة العليا ، غرفة الأحوال الشخصية ، بتاريخ 19/12/1988 ، المجلة القضائية ، عدد 04 ، لسنة 1990 ، ص 70.

² - محمد بن أحمد الدسوقي المالكي ، حاشية الدسوقي ، المرجع السابق ، ص 529-530.



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

جاء فيها: "إذا لم يطلب من له الحق في الحضانة مدة تزيد عن سنة بدون عذر سقط حقه فيها"، ولعلنا نلاحظ سوء صياغة هذه المادة، مما يجعلها تتبرأ بعض اللبس في معناها .

المطلب الرابع/ مُساقنة الجدة أو الحالة الحاضنة مع الأم المتزوجة بأجنبي

المعروف عند الإمام مالك أنه لا حضانة للجدة إذا سكنت مع بنتها الساقطة الحضانة بتزويع أو غيره¹، والحقيقة أن مسألة توفير السكن للحاضنة لم يغفل عنها الفقه الإسلامي، حيث يجمع فقهاء الإسلام على وجوب توفير سكن منفرد للحاضنة²، ويرى القرطي وجوب حق المطلقة في السكن منذ ظهور حملها³، وسئل أبو حفص عمّن لها إمساك الولد وليس لها مسكن مع الولد؟ فقال: على الأب سكناهما جميعاً، وقال نجم الأئمة: المختار أنه عليه السكّن في الحضانة⁴ ويرى الفقيه الحليل ابن عابدين في ذلك، أنّ لزوم توفير الأب للمسكن إنما يظهر لو لم يكن لها مسكن، أما لو كان لها مسكن يمكنها أن تخضن فيه الولد ويسكن تبعاً لها، فلا، لعدم احتياجه إليه⁵.

وبالرجوع لقانون الأسرة الجزائري نجد أنه ينص في المادة 70 من قانون الأسرة الجزائري، على أنه "تسقط حضانة الجدة أو الحالة إذا سكنت بمحضونها مع أم المحضون المتزوجة بغير قريب محرم" ، وهو حكم أخذه المشرع عن المالكية كما سبق وقدمنا، مع الإشارة إلى أنّ إسقاط الحضانة عن إحدى الحاضتنين بمقتضى النص السابق ينبغي أن تتوفر فيه عدة شروط، وهي أن تكون الحاضنة جدّة الطفل من الأم أو خالته وأن تقيم

¹- المرجع نفسه، ص 527.

²- أحمد بن محمد الدردير، أقرب المسالك، المرجع السابق، ص 85 .

³- أبو عمر يوسف بن عبد الله النمرى القرطى، كتاب الكافي، المرجع السابق، ص 627 .

⁴- محمد بن علي الحصفى، الدر المختار، المرجع السابق، ص 255 .

⁵- محمد أمين ابن عابدين، رد المختار، المرجع السابق، ص 262 .



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

الجدة أو الحالة مع أم المخصوص المتزوجة إقامة مستمرة، وأن تكون الأم متزوجة مع غير قريب محروم أي مع أجنبي على الطفل¹.

إذا كان زواج الحاضنة للأجنبي يسقط عنها الحضانة، فإن مساكنة الجدة أو الحالة الحاضنة لأم الطفل المتزوجة بهذا الأجنبي يأخذ نفس الحكم من الناحية المنطقية، وذلك حماية للطفل المخصوص مما قد تسبب فيه مساكنة زوج أمّه الأجنبي وتطبيقاً لهذا النص جاء في أحد قرارات المحكمة العليا أنه "من المقرر شرعاً أنه يشترط في الجدة الحاضنة (أمّ الأم)، أن تكون غير متزوجة، وأن لا تسكن مع ابنتها المتزوجة بأجنبي وأن تكون قادرة على القيام بالخصوص ... وأن قضاة الموضوع بإسنادهم الحضانة إلى الأب يكونوا قد رأعوا شروط الحضانة، وسيبوا قرارهم تسبيباً كافياً ..." .²

وبخصوص سكن الحاضنة، فقد نصت المادة 72 من قانون الأسرة على أنه "في حالة الطلاق، يجب على الأب أن يوفر لممارسة الحضانة سكناً ملائماً للحاضنة، وإن تعذر ذلك فعليه دفع بدل الإيجار.

وتبقى الحاضنة في بيت الزوجية حتى تنفيذ الأب للحكم القضائي المتعلق بالسكن" .

ما يلاحظ على هذا التعديل أنه وإن كان يحمل في طياته مراعاة مصلحة المخصوص، وتخفيه خطر التشرد بحيث يكون له مأوى يوفر له الجو الملائم والدافئ، إلا أنه لم يفلت هو الآخر من بعض النقائص التي اعتبرته، فالعمل بالصياغة الجديدة على إطلاقها، يعني أن

¹ - سعد عبد العزيز، الزواج والطلاق في قانون الأسرة الجزائري، ط.3، دار هومة، الجزائر، 1996، ص 126.

² - قرار المحكمة العليا، غرفة الأحوال الشخصية، بتاريخ 20/06/1988، مجلة المحكمة العليا، العدد 02، لسنة 1991، ص 57.



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

الطليقان يعيقان في نفس السكن إلى غاية تنفيذ الحكم المتعلق بالسكن، مما يعني أن بقاءهما في نفس السكن قد يستمر إلى ما بعد انتهاء العدة، وهو الأمر الذي يؤدي حتما إلى مالا تُحمد عقباه، وفي هذا الصدد قضت المحكمة العليا في أحد قرارها بأنه " للحاضنة الحق في البقاء في مسكن الزوجية متى ثبت للزوج مسكن آخر وهذا نظراً لمصلحة المضطربين ¹..." .

أنصف إلى ذلك سبب بقاء المطلقة في المادة 72 من نفس القانون هو حضانة الأولاد، ولكن المشرع لم يتطرق للحالة التي تكون فيها المطلقة الحاضنة تملك سكنا خاصا بها، وهو ما يؤخذ على المشرع الجزائري.

وتجدر الإشارة في الأخير أنه وتفادياً لمشاكل عدم توفير أب الطفل للنفقة الالزامية، والتي تتمثل قانوناً في الغذاء والكسوة والعلاج والسكن وأجرته، وما يعتبر من الضروريات في العرف والعادة²، سواءً كان ذلك راجعاً لتعنته أو لعجزه فقد قرر المشرع بموجب القانون رقم 15-01³، إنشاء صندوق النفقة، والذي يضمن حصول المطلقة الحاضنة على النفقة الضرورية، غير أنه يؤخذ عليه في هذا الصدد، أنه لم ينص صراحة على السكن اللازم لممارسة الحضانة أو على الأقل أجورته، باعتبار أن النفقة تشمل السكن أيضاً وفقاً لقانون الأسرة الجزائري.

الخاتمة:

¹- قرار المحكمة العليا، غرفة الأحوال الشخصية، بتاريخ 15 جوان 1999، مجلة قضائية، عدد خاص، لسنة 2001، ص 225.

²- المادة 78 من قانون الأسرة الجزائري المعدل والمتمم

³- القانون رقم 15-01 مؤرخ في 04/01/2015، يتعلق بإنشاء صندوق النفقة، جريدة رسمية، العدد الأول، لسنة 2015.



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

تعتبر مسألة إسناد الحضانة من أهم المسائل التي تعرض لها الفقه الإسلامي، والتي حاول المشرع الجزائري أن يستلهم منه الأحكام التي توصلت إليها المذاهب الفقهية المختلفة، حيث تجده أغلب هذه الأحكام تركز على مبدأ مراعاة مصلحة الطفل المضبون، وتعمل على حسن تطبيقه، سواء من حيث شروط إسناد الحضانة أو ترتيب الأشخاص المستحقين لها، أو حتى من حيث تحديد حالات سقوطها، وهدفه في هذا مراعاة المضبوتين، وتخفيض خطر الضياع والتشرد بعد فك الرابطة الروحية بين الأبوين، وهو ما جعله يلجأ لتعديل بعض النصوص المتعلقة بالحضانة لتعزيز تطبيق هذا المبدأ.

غير أنه ورغم الجهد الذي جاء به المشرع الجزائري فيما يتعلق بعديد من نصوص قانون الأسرة والتي منها ما يتعلق بالحضانة، إلا أن هذه النصوص تبقى غير كافية، ولهذا تبدو مطالبة المشرع بالتدخل مرة ثانية عن طريق إجراء تعديل آخر للنصوص المتعلقة بالحضانة، أكثر من ضرورة خاصة بالنظر للنقائص العديدة التي سبق وتطرقنا إليها من خلال هذا البحث، ومن أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة نجد:

1. إنّ الحضانة موضوع يشمل مراعاة مصلحة المضبون وحق الحاضنة وحق الأبا، مما يجب التوفيق بين هذه الحقوق إلى أبعد حد ممكن، فإذا تعارضت فحق المضبون هو الأولى، وهو ما جاءت به أقوال الفقهاء، وأكده المشرع الجزائري.

2. نجد أن المشرع الجزائري قد استلهم كل أحكامه في مسائل الحضانة بما ذهب إليه الفقه الإسلامي، غير أنه لم يركز فيأخذ مواقفه على مذهب فقهي معين، بلأخذ في الحسبان مصلحة الطفل المضبون قبل كل اعتبار.

3. اهتم المشرع بحالات سقوط الحضانة، كحالة فقدان أحد شروط إسنادها، أو زواج الحاضنة بأجنبي أو تنازل الحاضنة عن الحضانة، إلا إذا كان هذا السقوط لا يخدم مصلحة المضبون، ولكنه لم يفصل في شروط إسنادها مكتفيا بعبارة "أن يكون أهلا



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

للقیام بذلك" ، على عكس المذاهب الفقهية التي فصلت في هذه الشروط .

4. قام المشرع بترتيب أصحاب الحق في الحضانة، حيث جعل المشرع الأم أولى بالحضانة وذلك لمعرفتها بأصول التربية ثم أسندها للأب، ثم الجدات والخالات والعمات، ولكنه في الأخير ربط هذا الترتيب بشرط مراعاة مصلحة المضون .

5. إن تحديد المشرع الجزائري لسن 10 سنوات لانتهاء حضانة الذكر، لا يخدم إطلاقا مصلحة الطفل المضون، وإذا كان المشرع الجزائري أجاز تمديد هذا السن إلى 16 سنة، إلا أنه أجاز ذلك بالنسبة للأم فقط دون غيرها .

6. اهتم المشرع بمسألة السكن اللازم لمارسة الحضانة، وذلك على غرار مذاهب الفقه الإسلامي، ولم يكتف بالنص على ذلك في قانون الأسرة الجزائري، وإنما أكد على ذلك بموجب القانون رقم 01-15 السابق الذكر، غير أن هذه النصوص ما تزال تتسم بالنقص والقصور كما رأينا .

7. إن أحکام الحضانة متعددة في كل زمان، لا تقبل الجحود ولا الوقوف عند حدود المذهب؛ ولذا وجب دائما تحديد النظر كل فترة وأخرى في مواد قانون الأسرة المتعلقة بهذه المسألة .

أما بشأن أهم التوصيات والاقتراحات التي نقدمها، فتتمثل فيما يلي:

1. ضرورة أن تخضع مستجدات الحضانة للاجتهادات الكافية في الجامع العلمية والفقهية، والملتقيات والندوات لبحثها بحثا علمياً يتلاءم مع الواقع المعاش، يستمد المشرع الجزائري الأفضل منها بما يحقق مصلحة المضون على ضوء مستجدات العصر وآفاقه .

2. وضع آليات لرقابة مدى التزام الحاضن بمضمون الحضانة وأهدافها، حتى لا تكون مجرد حبر على ورق، كأن يتم تنظيم زيارات دورية لمسكن ممارسة الحضانة من طرف لجنة خاصة تضم مساعدين اجتماعيين ومحترفين نفسانيين وممثل عن قطاع العدالة،



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

وتحrir محاضر في هذا الصدد تسجّل فيها جميع الاختلالات المرصودة، وهي من تحدد استمرار حضانة الأطفال من عدمه.

3. النص على شروط الحضانة كما قال بها فقهاء الشريعة الإسلامية، حيث نقترح أن تكون صياغة الفقرة الثانية من المادة 62 كالتالي: "ويشترط في الحاضن أن يكون أهلاً للقيام بذلك، وأن يكون بالغاً، عاقلاً، رشيداً، قادرًا، أميناً".

4. النص على جعل حضانة الذكر تستمر إلى البلوغ على رأي المذهب المالكي، دون اشتراط وجود تدديد من الأم إلى سن 16 سنة كما جاءت به المادة 65، وبالنسبة للأئمّة جعل حضانتها تستمر حتى تتزوج، ولذا نقترح أن تكون صياغة المادة 65 كالتالي: "تنقضي مدة حضانة الذكر بالبلوغ، والأئمّة بزواجهما أو ببلوغ سن 19 سنة على الأكثـر".

5. النص على الحالة التي يتساوى فيها مستحقو الحضانة في نفس الدرجة، حيث نقترح أن تكون الأولوية لمن هو أصلح للطفل المحسوب، وعليه الأفضل أن تكون صياغة المادة 64 كالتالي "الأم أولى بحضانة ولدها، ثم الأب، ثم الجدة لأم، ثم الجدة لأب، ثم الحالة، ثم العمة، ثم الأقربون درجة كل بحسب درجته، وفي حالة تعدد من هم في نفس الدرجة، تُسند الحضانة لمن هو أصلح للطفل المحسوب".

6. بعرض رفع اللبس المحاصل في المادة 68 نقترح أن تكون صياغة المادة على الشكل التالي: "يسقط الحق في الحضانة، إذا لم يطلبها من له الحق فيها لمدة تزيد عن سنة بدون عذر".

7. النص على تعليق بقاء الحاضنة في مسكن الزوجية بالعدة وليس بتنفيذ الحكم القضائي المتعلق بالسكن، حتى توافق المادة 72 مع المادة 61 من قانون الأسرة، مع ضرورة النص على أن يكون السكن ملائماً للطفل المحسوب، وليس للحاضنة كما ورد



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

في النص الحالي، ولذا نقترح أن تكون صياغة المادة 72 كالتالي: "في حالة الطلاق، تبقى الحاضنة في بيت الزوجية حتى انتهاء عدّها، ويجب على الأب أن يوفر لممارسة الحضانة سكناً ملائماً للطفل المخصوص بعد انتهاء العدة، ما لم تكن الحاضنة تملك سكناً خاصاً بها، وإذا تعذر عليه توفير المسكن فعليه دفع بدل الإيجار".

8. إضافة فقرة ثالثة للمادة 72 تتضمن الحالات التي يسقط فيها حق الحاضنة في السكن، ولذا نقترح أن تكون صياغة هذه الفقرة كالتالي: "يسقط حق الحاضنة في السكن المخصص لممارسة الحضانة، بعد زواجهما أو ثبوت الانحراف في سلوكها، مع مراعاة مصلحة المخصوص".

9. إضافة مادة جديدة في القانون رقم 01-15 المتعلق بإنشاء صندوق النفقة، تتضمن النص صراحة على السكن اللازم لممارسة الحضانة أو على الأقل أجرته، باعتبار أن السكن وأجرته من مشتملات النفقة كما تنص عليه المادة 78 من قانون الأسرة الجزائري.

10. ضرورة وضع حلول للمشاكل المتعلقة بحضانة الأطفال في حالة الزواج المختلط، من خلال إضافة فقرة ثانية للمادة 69 من قانون الأسرة، تنص صراحة على إسناد مسائل الحضانة في حالة الزواج المختلط، بحسب الاتفاقيات الثنائية المبرمة مع الجزائر، وعند عدم وجودها يطبق القانون الأصلح للطفل، بما في ذلك قانون جنسية الطفل وقت رفع الدعوى أو قانون موطنه المعتاد، وهذا كاستثناء على حكم المادة 12 فقرة 02 مدني جزائري المتعلقة بالخلال الزواج، مراعاةً لمبدأ مصلحة الطفل المخصوص، وعليه نقترح أن تكون صياغة هذه الفقرة كالتالي: "في حالة الزواج المختلط، تطبق الاتفاقيات الثنائية المبرمة مع الجزائر في هذا الخصوص، وفي حالة عدم وجودها يكون القانون الأصلح للطفل المخصوص هو الواجب التطبيق في مسألة إسناد الحضانة أو



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

إسقاطها".

المراجع:

أولاً / النصوص القانونية

1. الأمر رقم 58-75 المؤرخ في 26/09/1975 المتضمن القانون المدني (المعدل والتمم)، جريدة رسمية، عدد 78 لسنة 1975.
2. القانون رقم 11-84 المؤرخ في 09/07/1984 المتضمن قانون الأسرة (المعدل والتمم)، جريدة رسمية، العدد 24 لسنة 1984 .
3. الأمر رقم 05-02 المؤرخ في 27/02/2005 يعدل ويتمم القانون رقم 11-84 المؤرخ في 09/07/1984 المتضمن قانون الأسرة، جريدة رسمية، العدد 15 لسنة 2005 .
4. القانون رقم 15-01 المؤرخ في 04/01/2015، المتعلق بإنشاء صندوق النفقة، جريدة رسمية، العدد الأول، لسنة 2015.

ثانياً / المجالات القضائية

1. نشرة القضاة، العدد 02 لسنة 1981
2. المجلة القضائية، العدد 04، لسنة 1989 .
3. مجلة المحكمة العليا، العدد 02، لسنة 1991 .
4. مجلة المحكمة العليا، العدد 03، لسنة 1990 .
5. المجلة القضائية، عدد 04، لسنة 1990 .
6. المجلة القضائية، العدد 04، لسنة 1991 .
7. المجلة قضائية، عدد خاص، لسنة 2001 .
8. المجلة القضائية، العدد الأول، لسنة 2002 .



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

9. مجلة المحكمة العليا، العدد 02، لسنة 2007 .
- 10.مجلة المحكمة العليا، العدد 02، لسنة 2008 .
- 11.مجلة المحكمة العليا، العدد 01، لسنة 2004 .
- 12.مجلة المحكمة العليا، العدد 02، لسنة 2010 .

ثالثا / الكتب

1. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطي، كتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، الجلد الثاني، ط1، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض - البطحاء، 1398هـ / 1978 م .
2. أحمد بن محمد بن أحمد الدردير، أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، مكتبة أبوب، كانو - نيجيريا، 1420هـ / 2000 م .
3. السيد سابق، فقه السنة، الجلد الثاني، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1397هـ / 1977م .
4. بدران أبو العينين بدران، الفقه المقارن للأحوال الشخصية بين المذاهب الأربعة السننية والمذهب الجعفري والقانوني الجزء الأول، الرواج والطلاق، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، 1386هـ / 1967 م .
5. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، الجزء السابع، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، 1984 .
6. موقف الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي، المغني الجزء الحادي عشر، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلول، ط3، دار عالم الكتب الرياض، 1417 هـ / 1997 م .



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

7. محمد أمين ابن عابدين، رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأ بصار (حاشية ابن عابدين)، طبعة خاصة الجزء الخامس، دار عالم الكتب، الرياض، 1423هـ / 2003 م، ص 253 .مدوح عزمي، أحكام الحضانة بين الفقه والقانون، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية - مصر، 1997 .

8. محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لأبي البركات سيدى أحمد الدردير، مع تقريرات الشيخ سيدى الشيخ محمد علیش، الجزء الثاني، دار إحياء الكتب العربية، دون ذكر مكان النشر، بلا تاريخ.

9. محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لأبي البركات سيدى أحمد الدردير، مع تقريرات الشيخ سيدى الشيخ محمد علیش، الجزء الثاني، دار إحياء الكتب العربية، مصر، بلا تاريخ.

10. محمد بن يوسف الكافي، إحكام الأحكام على تحفة الحكم (حاشية على منظومة القاضي أبي بكر محمد بن محمد بن عاصم الأندلسي الغرناطي فيما يلزم القضاة من الأحكام في مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه) ط 3، دار الفكر، دون ذكر مكان النشر، 1393هـ / 1973 م .

11. محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن الحنفي الحصيفي، الدر المختار، (شرح تنوير الأ بصار وجامع البحار للشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد الغزى الحنفي التمرتاشي، في فروع الفقه الحنفي)، حققه وضبطه عبد المنعم خليل ابراهيم، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1423هـ/2002م .

12. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود، المجلد السابع 1933-

1423هـ / 2002 م .كتاب (الطلاق، الصوم، الجهاد)، ط1، غراس للنشر والتوزيع، الكويت،



الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

13. مدوح عزمي، أحكام الحضانة بين الفقه والقانون، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مصر، 1997، ص 24.
14. منصور بن يونس البهوي الحنفي، كشاف القناع على متن الإقناع، ط1، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1402 هـ / 1982 م، ص 495.
15. محمد عليوي ناصر، الحضانة بين الشريعة والقانون، ط1 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1431 هـ / 2010 م، ص 30.
16. سمير عقيبي، الحضانة في الفقه الإسلامي، دار المنار للنشر، مصر، 1406 هـ / 1986 م، ص 11.
17. سعد عبد العزيز، الزواج والطلاق في قانون الأسرة الجزائري، ط3، دار هومة، الجزائر، 1996، ص 126.
18. سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني الشافعى، التدريب في الفقه الشافعى المسمى بـ "تدريب المبتدى وتمذيب المتهى"الجزء الرابع، حققه وعلق عليه أبو يعقوب نشأت بن كمال المصرى، ط1، دار القبلتين، الرياض السعودية، 1433 هـ / 2012 م .
19. عبد العزيز عامر، الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية فقهاً وقضاءً، دار الفكر العربي، القاهرة، 1976.
20. علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الجزء الرابع، ط2 دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1406 هـ / 1986 م

رابعاً / المقالات العلمية



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-2588، ر ت م د إ : 1112-204

العدد: 34 السنة: 2021 الصفحة: 451-408 تاريخ النشر: 25-03-2021

الضوابط الشرعية والقانونية لإسناد الحضانة ----- د. لين لعربيط

1. بلقاسم أعراب، "مسقطات الحق بالحضانة في قانون الأسرة الجزائري والفقه الإسلامي المقارن (دراسة تأصيلية)" ، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية بجامعة باتنة، العدد 01 لسنة 1994.
2. عطا مهدي فليح، "الحضانة في الفقه الإسلامي" ، مجلة كلية التربية الأساسية، العراق، عدد خاص بواقع المؤتمر العلمي التاسع عشر، 2019.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 1112-4040، ر ت م د إ : X204-2588

العدد: 34 السنة: 2020 تاريخ النشر: 25-03-2021 الصفحة: 489-452

نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني بين التنظير الفقهي والواقع التاريخي - أراضي الإقطاع والظهير السلطاني *نموذجاً*
The Land Ownership System in the Central Maghreb during the Zayani Era between Juristic Theorization and Historical Reality - Feudal Lands and the Royal Druze *as a model*-

الطالب عبد الصمد ربيعي

rebiai1991@gmail.com

د. الطيب بوسعد

boussaadtayeb@gmail.com

جامعة علي لونيسى - البليدة 02

تاريخ القبول: 2020/11/23

تاريخ الإرسال: 2020/04/06

الملخص:

تشكل قضايا الأرض في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني إحدى المفاتيح الأساسية لفهم النشاط الزراعي. ويعتبر الإقطاع أحد أهم القضايا الأساسية في نظام ملكية الأرض، ونلاحظ ذلك جلياً من خلال كثافة الفتواتي والتوازل والتراعات التي عرضت على الفقهاء بغرض معالجتها والفصل فيها. وملكية الأرض في المغرب الأوسط شهدت تنوعاً في مسألة التملك والحيازة، وتعدداً في أشكال وطرق الاستغلال. هذا وقد شكلت أراضي الإقطاع والظهير السلطاني دوراً مهماً في استئلاف وتقرير بعض الفئات من السلطة الزيانية، فقد قام معظم سلاطين الدولة بإقطاع الكثير من الأراضي لصالح



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد
القبائل والشخصيات ورجال السلطة من قادة وجند. نهدف من خلال الورقة البحثية
إلى معرفة وضعية نظام ملكية الأراضي في المغرب الأوسط الزياني، مركزين على أراضي
القطاع، ثم مقارنة هذا النوع من الأراضي بين ما هو مقرر في النصوص الفقهية وبين
الواقع التاريخي وسياسة الدولة آنذاك.

الكلمات المفتاحية: الملكية؛ الإقطاع؛ الفقه؛ التوازن؛ المغرب الأوسط.

ABSTRACT:

Land issues in the Maghreb during the Zayani era are one of the primary keys to understanding agricultural activity. Feudalism is one of the most fundamental issues in the land ownership system, and we notice this clearly through the intensity of fatwas, calamities and disputes that were presented to jurists for the purpose of handling and adjudicating them. Land ownership in the Maghreb saw a diversity in the issue of ownership and possession, as well as a variety of forms and methods of exploitation. The lands of feudalism and the royal back have played an important role in the resumption and approximation of some groups of the Zayani authority, as most of the sultans of the state cut off a lot of lands for the benefit of tribes, personalities and men of authority, including leaders and soldiers. We aim through the research paper to know the status of the land ownership system in Zayani Central Morocco, concentrated on feudal lands, and then compare this type of land between what is decided in jurisprudential texts and the historical reality and state policy at the time.

Keywords : Property; feudal ; Fiqh ; Anawazzil; Middle Maghreb



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

المقدمة:

كانت الدولة الريانية [633-962هـ/1235-1554م] من بين الدول والكيانات التي حكمت المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، وقد حاول الريانيون تثبيت أركان دولتهم منذ بداية الأمر بالتحالف مع مختلف القبائل والدول القائمة آنذاك. ومن هنا يبدأ موضوع بحثنا، فالدولة الريانية قامت بمنح الجماعات والقبائل المقربة منهم مختلف الإقطاعات والامتيازات، وذلك رغبة في استثمارهم والتحالف معهم، ومساعدتهم في دحض مؤامرات وخطط المناوئين لهم، وحتى قبل هذا فإن الموحدين قد قاموا بإقطاع مناطق وأراضي شاسعة لصالح قبيلةبني عبد الواد، وذلك جراء الخدمات التي قدمتها هاته القبيلة للدولة الموحدية. فالذي يظهر لنا من خلال هذا أن لمسائل الإقطاع علاقة كبيرة بالسلطة السياسية. وهذا الأمر يمكن أن يكون في بعض الحالات معارضًا لبعض النصوص الفقهية المنظرة لقضايا الإقطاع. لذلك يعتبر الإقطاع أحد أهم المسائل المعقّدة في نظام ملكية الأرضي في المغرب الإسلامي عموماً والمغرب الأوسط خصوصاً. ومن هنا كان موضوع بحثنا الموسوم بـ: "نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط خلال العهد الرياني بين التنظير الفقهي والواقع التاريخي-أراضي الإقطاع والظهير السلطاني *أنموذجاً".

يهدف هذا البحث إلى بيان دور وأهمية كتب الفقه والتوازن في تأطير قضايا الأرض¹، ومن بينها مسائل الإقطاع، فقد شهدت هذه الأخيرة نقاشاً كبيراً بين أهل

¹ من بين الأبحاث والدراسات السابقة التي تناولت مسائل التأطير الشرعي لقضايا نظام ملكية الأرضي في بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط عامة والمغرب الأوسط خاصة، والتي استعنى بها للرجوع إلى مختلف المظان والمصادر الفقهية، خاصة كتاب "كتب الفتوى والتوازن المغاربية":



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

الفقه في مختلف المصادر الفقهية النوازلية، والذي يدل على ذلك كثرة المسائل والقضايا المثارة حول هذا النوع من الأراضي (أراضي الإقطاع والظهير السلطاني). وكما يهدف هذا البحث إلى إجراء مقارنة بين ما هو مقرر في النصوص الفقهية، التي تحصّن قضايا الإقطاع، وبين القرارات والمراسيم الخاصة بالإقطاع الصادرة عن السلطة الزيانية، هذه الأخيرة التي كانت تقوم بمنع شرائح وأطراف معينة مختلف الإقطاعات والامتيازات.

يطرح هذا الموضوع إشكالية عامة يمكن صياغتها كالتالي: - ما مدى دور المصادر الفقهية خاصة كتب النوازل والفتاوی في بيان مختلف الضوابط والأحكام الشرعية الخاصة بمسائل نظام ملكية الأرض، خاصة تلك الفتاوی والنوازل المتعلقة

* بوبة مجاني، *كتب النوازل والأحكام مصدر للتاريخ الاجتماعي في العصر الزياني*، مداخلة منشورة ضمن أعمال الملتقى الدولي الموسوم بـ: "التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية"، جامعة قسنطينة، 23-24 أفريل 2001م، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة متوري - قسنطينة، ط01، درا الهدى، عين مليلة -الجزائر، 2002م.

* العربي الخضر بن معمر محمد، *أشكال ملكيات الأراضي الفلاحية بالمغرب الأوسط على العهد الزياني*، مجلة "قضايا تاريخية"، العدد 10، مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة، المدرسة العليا للأستاذة - بوزريعة، 2018.

* محمد بلحسان، *ملكية الأراضي الزراعية وطرق استثمارها في المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل*، مجلة "كان التاريخية الإلكترونية"، العدد 35، 1438هـ/2017م.

* عيسى كروم، *وضعية الأرض الزراعية وملكيتها في المغرب الأوسط من خلال نوازل المازوي*، مجلة "دراسات وأبحاث"، العدد 01، جامعة زيان عاشور -الجلفة-، 2020م.

* مكي زيان، *الإقطاع الزراعي في بلاد المغرب الإسلامي في فترة ما بعد الموحدين ما بين القرنين 13-15هـ* من خلال كتب النوازل الفقهية كمادة مصدرية، مجلة "العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا"، العدد 01، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2019.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ——— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

بقضايا الإقطاع والظهائر (القرارات والمراسيم) السلطانية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني؟ وتتبع هذه الإشكالية العامة مجموعة من الأسئلة الفرعية، وهي كما يلي: ما هي أنواع الملكيات التي عرفها المغرب الأوسط خلال العصر الزياني؟ وما هي أوجه الاختلاف والاتفاق بين المعطيات والفقهية الخاصة بقضايا الإقطاع وبين سياسة الدولة الزيانية في هذا المجال؟ وبمعنى آخر: هل الإقطاعات التي قدمتها الدولة الزيانية للقادة والجنود والنخب وأصحاب الوظائف، على علاقة توافقية مع النصوص الشرعية أم أنها تختلفها في بعض النقاط؟ وما رأي أهل الفقه والنظر في ذلك؟

وللإجابة عن إشكالية هذا البحث قمنا بتقسيمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث وحاتمة، أما المباحث فهي كالتالي:

المبحث الأول: إشكالية نظام ملكية الأرض في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط.

المبحث الثاني: أصناف الملكيات في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني بين تأصيل الفقهاء والواقع التاريخي.

المبحث الثالث: وضعية أراضي الإقطاع في العهد الزياني بين الأطراف المستفيدة والسلطة السياسية.

أما فيما يخص المنهج المتبع في دراستنا، فقد اتبعنا المنهج التاريخي الإستردادي، حيث قمنا بتتبع السياق التاريخي الذي رافق نظام ملكية الأرض في مراحل الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط. وكما قمنا أيضاً بالاستعارة بالمنهج المقارن، الذي وظفناه في عملية المقارنة بين أراضي الإقطاع وأراضي الظهير السلطاني من جهة، ومن جهة أخرى مقارنة النصوص والفتاوی الفقهية مع ما يحدث في الواقع التاريخي. بالإضافة إلى ذلك فقد استعنا ببعض الآليات المنهجية، كالاستقراء والتحليل والتفسير.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

المبحث الأول: إشكالية نظام ملكية الأرض في المغرب الإسلامي خلال العصر

ال وسيط

يعد نظام ملكية الأراضي في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط إحدى الحلقات الشائكة ضمن سلسلة نظام الملكية العقارية ببلاد المغرب الإسلامي، وذلك لأن هذا النظام المتعلق بالأرض يعتريه الكثير من الغموض والاشكالات الفقهية والتاريخية¹. وعلاوة على ذلك فإن هذا الغموض الذي يمس ملكية الأرض، لا يقتصر فقط على إقليم المغرب الإسلامي، بل يتعداه إلى بلاد المشرق وحتى أوروبا الوسطى، فموضوع ملكية الأرض شغل ثلاثة من المؤرخين والفقهاء وذوي الاختصاص في هذا الموضوع لفترة طويلة، فقد كثرت آراؤهم فيه، خاصة بعد قيام نظام الإقطاع في أوروبا واستحكام مشكلات التملك الزراعي².

يبرز هذا الغموض وعدم الوضوح في مسألة الوضع القانوني للأرض ببلاد المغرب الإسلامي، ابتداءً بعدم الفصل في قضيتها الجوهرية المعروفة والمختلف حولها منذ القدم، ألا وهي مسألة: "هل فتح المغرب صلحاً أو عنوة؟"، فقد نقل الفقيه ابن أبي زيد القิرواني [ت: 386هـ/996م] عن الإمام سحنون [ت: 240هـ/854م] عدم الوقوف

¹ - عمر بنميرة، *التوأزل والمجتمع - مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالغرب الوسيط*، ط 01، مطبعة الأمنية، الرباط، 2012، ص 123.

² - طروب كامل، *إحياء الموات في الفقه الإسلامي والتشريعات العربية الحديثة*، رسالة دكتوراه في الشريعة والقانون، تحت إشراف: أ.د عبد القادر بن حرز الله، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر -باتنة-، 2013/2014م، ص 20. وإبراهيم القادري بوتشيش، *ملكية الأرض في الأندلس خلال عصر إلمارة*، مجلة "الناهل"، العدد 37، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط - المغرب -، شوال 1409هـ/ماي 1989م، ص 167.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

بالكلية على حكم وطريقة فتح بلاد المغرب، بقوله: "كشفت عن أرض إفريقيا، فلم أقف منها على حقيقة من عنوة أو صلح. وسألت عن ذلك علي بن زياد العبسي الطراوبلسي ثم التونسي [ت: 183هـ/799م]، فقال لي: لم يصح فيها عندي شيء. وأما بلاد المصامدة وأرض مراكش، فقال ابن عبد الحليم اتفق أشياخ بلادنا من أهل العلم أنها أسلم عليها أربابها وليس فيها صلح ولا عنوة. وقال عن أبي الأصبع القرشي [ت: 113هـ/729م]: أدر كنا أهل الفقه والورع في بلاد الأندلس يشترون فيها ويبيعون ونحن متبعون لهم، وأنتم تتبعون أسلافكم في مغربكم".¹

ونقل الجزيري في زهرة الآس عن أبي الحسن القابسي [ت: 403هـ/1112م] الاختلاف بين أئمة الفقه المالكي في هاته القضية ضمن شرحه لموطأ الإمام مالك بن أنس [ت: 179هـ/795م] رحمة الله من كتاب الجهاد، بقوله: "اختلف الناس في أرض المغرب هل افتتحت عنوة أو صلحاً أو مختلطة على ثلاثة أقوال: الأولى: الذي يظهر من روایة ابن القاسم عن مالك أنها فتحت بالسيف عنوة، لأنّه جعل في المعادن النظر للإمام، ولو صح ذلك لم يجز لأحد شيء منها كأرض مصر وطنجة لأنّها افتتحت بالسيف، والثانية: قيل صلحاً صالحوا عليها أهلها، فإن كان كذلك جاز بيع بعضهم من بعض. والثالث:

¹ أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي [ت: 914هـ/1509م]، المعيار المغربي والجامع المغربي عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، إشراف: د. محمد حجي، ط01، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط - المغرب -/دار الغرب الإسلامي، بيروت -لبنان-، 1401هـ/1981م، ج09، ص73-74.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

قيل أنها مختلطة هرب بعضهم عن بعض فتركوها، فمن بقي بيده شيء كان له، وهو الصحيح¹.

وأما عن حكم أرض الأندلس فقد نقل الداودي [ت: 402هـ/1011م] في كتابه "الأموال" ما نصه: "وأما أرض الأندلس فقد طعن فيها بعض الناس، وزعم أنها أو أكثرها فتحت عنوة، وأنها لا تخمس، ولا تقسم، غير أن كل قوم وثبوا على طائفة منها بغير إقطاع من الإمام ولم تترك لمن يأتي من المسلمين، فإن كان الأمر على هذا فالواجب على من بيده شيء من ذلك أن يتبرأ منه، فيكون في مصالح المسلمين، وله أن يؤدي كراءه إلى المساكين ويستعملها إذا لم يكن من يجري ذلك على وجهه"².

وجاء عن ابن حزم أيضا [ت: 456هـ/1065م] ضمن رسائله حول أرض الأندلس قوله: "... هذا مع ما لم نزل نسمعه سماع استفاضة توجب العلم الضروري أن الأندلس لم تخمس وتقسم كما فعل رسول الله فيما فتح، ولا استطاعت أنفس المستفتحين، وأقرت جميع المسلمين، كما فعل عمر رضي الله عنه فيما فتح، لكن نفذ الحكم فيها بأنَّ لكل يد ما أخذت، ووقعت فيها غلبة بعد غلبة، ثم دخل البربر والأفارقة فغلبوا على كثير من القرى دون قسمة ...". ويقول أبو سعيد العقابي في كتابه "تحفة

¹ - علي الجزناوي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تج: عبد الوهاب بن المنصور، ط02، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/1991م، ص07.

² - أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المالكي [ت: 402هـ/1011م]، كتاب الأموال، تج: رضا محمد سالم شحادة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان -، ط01، 1429هـ/2008م، ص79-80.

³ - أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري [ت: 456هـ/1065م]، رسائل ابن حزم الأندلسي (رسالة التلخيص لوجه التخلص)، تج: إحسان عباس، ط02، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان -، 1981م، ج03، ص175.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

الناظر": "غير أن أرض مغربنا وخصوصا السهل منها استمرت القرون السالفة والأمم الغابرة على تصرف الأئمة منها لبيت المال وحده على استبدادهم بالخارج دون أن يكون لقائل العمران فيها شبهة ملك يستندون إليها سوى التغلب وإظهار الفساد بحماية بعضهم البعض بطريق التعصب ...".¹

الذي يمكننا فهمه من خلال هذه الفتاوى والأقوال الفقهية هو صعوبة تحديد طريقة فتح بلاد المغرب والأندلس، بين من يقول بأنها فتحت صلحاً أو عنوة أو أنها مختلطة بين الصلحية والعنوية، وبين من يقول هي بيد من أسلم عليها من أربابها (أصحابها)، وهناك اتجاه آخر يميل إلى أن تلك الأرضي كانت تخضع لتصرف ونظر الأئمة والحكام، الذين كانوا يقومون بما يتخميس تلك الأرضي أو حبسها (وقفها) أو إقطاعها. وبذلك يصبح تَعَسُّرُ فهم نظام الملكية العقارية في بلاد المغرب والأندلس عائقاً يعترض سبيل كل من يحاول التعرف على الهياكل الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الزراعي المغربي.²

إذن يتضح لنا أن بلاد المغرب الإسلامي لا يختلف اثنان في غموض وعدم وضوح حكم وطريقة فتح أراضيها، فقد كانت ولا تزال موضع تساؤل من طرف الفقهاء، وذلك لاعتبارات تتعلق بالدرجة الأولى بقضية الفتوح وما ترتب عن ذلك من تصورات

¹ - محمد بن أحمد بن قاسم العقباوي التلمساني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المذاكر، تحقيق: على الشنوفي، Extait du Bulletin d Etudes Orientales de L Institut Francais de Damas Tome XIX 1967

² - الحبيب الجنحاني، نظام ملكية الأرض في المغرب الإسلامي (ق 1-6 هـ / 12-6)، د. ط، عالم

المعرفة، الكويت، 2005، ص 229.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

للتعامل مع معطى تاريخي حديث، وتقاليد وعادات قبائل كانت ولازالت تستغل و تستثمر الأرض التي بنت عليها حضارتها¹.

إن هذا الاختلاف في الإجابة عن مسألة حكم وطريقة فتح بلاد المغرب والأندلس بدقة ووضوح، انجرت عنه عدة قضايا فقهية مُختلفٌ فيها، ففتح بذلك أقوال وسائل متفرعة عن القضية الرئيسية في هذا الموضوع، ويزّد هذا الخلاف تباعاً وبشكل آخر في قضية تداخل أنواع الملكيات وطرق حيازتها وتملكها². ومع ذلك لا يمكننا إغفال المنطلقات والرؤى السياسية والمذهبية والإجتماعية والاقتصادية في دراسة نظام ملكية الأرض³، فهي لا تقل أهمية عن المنطلق الشرعي في دراسة هاته القضية، وذلك لارتباطها ولعلاقتها الواقعية بقضايا ملكية الأرضي، ولامستها كذلك للمنظومة الإجتماعية و مختلف شرائجها آنذاك، خاصة قضايا العادات والتقاليد التي كانت منتشرة بشكل كبير في مجال البوادي والأرياف والقرى المغاربية خلال العصر الوسيط، فالعادات والأعراف كانت لها دور بارز في حل الكثير من التزاعات والخصومات الدائرة حول الأرضي

¹- الحسن الغرايبة، تنظيم ملكية الأرض وبناء المدن بالغرب الأقصى في العصر الوسيط -فاس ومراكش أنموذجاً، مقال منشور ضمن أعمال الندوة الموسومة بـ"التاريخ والقانون -التقاطعات المعرفية والاهتمامات المشتركة- أعمال مهداة إلى الأستاذ الدكتور "محمد اسماعيل"، جامعة مولاي اسماعيل -مكناس- المغرب، 3-4-5 نوفمبر 2009م، ص211.

²- محمد حسن، القبائل والأرياف المغاربية في العصر الوسيط، د.ط، دار الرياح الأربع، تونس، 1986م، ص35.

³- سعيد بن حمادة، الملكية العقارية وقانون الماء في بلاد المغرب والأندلس بين التشريع النظري والتربيل التاريخي -دراسة لأثر الجغرافيا التاريخية في تبيئة القانون-، مقال منشور ضمن أعمال الندوة الموسومة بـ: "التاريخ والقانون -التقاطعات المعرفية والاهتمامات المشتركة-"، أعمال مهداة للأستاذ الدكتور "محمد اسماعيل"، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس -المغرب-، 3-4-5 نوفمبر 2009م، ص155.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

والملكيات¹. وزد على ذلك أيضا فقد كان للحياة الأسرية دور كبير في الكشف عن بعض المعالم والمعطيات الخاصة بموضوع قضايا الأرض، خاصة مسائل الصدقات والهبات ومسائل الإرث وقسمته وتوزيعه بين الورثة، ناهيك عن انتشار ظاهرة حرمان المرأة من حقها في الميراث، وهذه العادة قد أثبتتها العديد من النوازل والفتاوی الفقهية². ومن المعلوم أن حل الأملاك والأرزاق التي كانت موجودة في الأزمنة التاريخية، في معظمها هي عبارة عن أراضي وضيع وبساتين، وبالتالي فإننا نجد العديد من المعطيات الفقهية والتاريخية الخاصة بقضايا الأرض ضمن مختلف الوثائق والعقود والرسوم الخاصة بالبيع أو الشراء أو الصدقة أو الهبة أو الإرث أو التحبيس وغيرها من المعاملات المتعلقة بطرق حيازة ونقل تلك الملكيات³. إذن الذي نخلص إليه من خلال هاته المعطيات والإشارات الخاصة بالقضايا والمعاملات الاجتماعية، أن لها دورا كبيرا في كشف بعض الفجوات والنواقص المحيدة بموضوع نظام ملكية الأرض في بلاد الغرب الإسلامي الوسيطي.

أما عن الجوانب السياسية والاقتصادية ودورها في دراسة نظام الملكية، فيمكن فهمها وإدراكها من خلال السياقات والواقع والأحداث التاريخية المختلفة، والتي كانت

¹ - عبد الحادي البياض، تدبير الزراع بين الفلاحين في بوادي المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط –إسهام في دراسة دور القانون والعرف في تسوية المشاكل الاجتماعية زمن السيول والجفاف،- مقال منشور ضمن أعمال الندوة الموسومة بـ: التاريخ والقانون –النقطات المعرفية والاهتمامات المشتركة، –أعمال مهدأة للأستاذ الدكتور "محمد اسماعيل"، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس – المغرب،-، 3-4-5 نوفمبر 2009م، ص362.

² - أبو زكريا يحيى بن موسى المازري المغلي [ت: 883هـ/1478م]، الدرر المكتونة في نوازل مازونة، تتح: مختار حساني، ط02، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م ، ج04، ص24-25.

³ - فاطمة بلهواري، النص النوازي للغرب الإسلامي أداة لتجديد البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مجلة "عصور الجديدة"، العدد 01، جامعة وهران، 2011، ص143.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

تؤكد قيام السلطات والأجهزة السياسية القائمة في تلك الفترات بالتدخل المباشر في تسيير الأنظمة العقارية عموماً وقضايا ملكيات الأراضي خصوصاً، وذلك بتطبيق مختلف القرارات والمراسيم التي تصب في فائدته بيت المال الذي كان يشكل أحد أهم الموارد المالية والاقتصادية لتلك الدول والكيانات، وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت تقوم بفرض الضرائب والمكوس والوظائف (المغارم) الثقيلة على مُلّاك الأراضي وال فلاحين¹، فشكلت بذلك عيناً على بعض الشرائح والفئات الفقيرة في المجتمع، وفي بعض الأحيان والظروف يتم التعدي والاستحواذ على بعض الملكيات الخاصة، وهذا الفعل تسبب في حدوث الفتنة والثورات، كذلك الفوضى التي حدثت بقرطبة سنة [521هـ/1127م] في عهد الأمير أبي علي بن يوسف بن تاشفين [537هـ/1143م-500هـ/1107م]، وسبب تلك الفوضى هو إصدار بعض الفتاوى التي تتيح للدولة حرية التصرف في الملكيات الخاصة وأراضي الأحباس (الأوقاف) وضمها إلى أملاك الدولة².

ومن هنا اختلفت منطلقات الباحثين في تفسير القضايا المتعلقة بنظام الأرض، فمنهم من انطلق في دراستها من الجانب الشرعي، وذلك لأن النظرة الفقهية لنظام الأرضي وأحكامها يمكن أن تسعد في فهم مشكلة الملكية، سواء أ جاءت هذه النظرة متصلة ببدايات التملك أم تبريراً لما تم من تطورات لاحقة فيما بعد، ولكن بالنسبة

¹ - محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع -أبحاث في تاريخ المغرب الإسلامي من [6-9هـ/12-15م]-، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني -عين الشقق-، الدار البيضاء -المغرب-، 1999م، ص 334-335.

² - أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف باليرزي [ت: 841هـ/1438م]، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمعنى والحكم، تج: محمد الحبيب الميلية، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت -لبنان-، 2002م، ج 05، ص 114.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

للمغرب فإن مثل هذه المحاولة لن تزيد الدارس إلا غموضاً، إذ اختلف الفقهاء في حكم أرض المغرب، وهل هي عشرية، أو خراجية صلحية، أو خراجية عنوية، أو مختلطة، حتى أشكل هذا الأمر على المؤرخ والفقير معاً¹.

المبحث الثاني: أصناف الملكيات في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني بين تصصيل الفقهاء والواقع التاريخي

شهد نظام الملكية في المغرب الأوسط خلال العصر الزياني، مجموعة من أشكال وطرق حيازة وانتقال الملكيات التي كانت سائدة في مختلف المناطق التي كانت تابعة للسلطة الزيانية، ويمكن تقسيم تلك الملكيات بشكل عام إلى ما يلي:

1/- أراضي الملك (الملكيات الخاصة):

يطلق على هذا النوع من الملكيات عدة تسميات قانونية، كالمملوكة الخاصة أو أراضي الملك، وهي تفيد الملك التام، أي (حيازة ذلك الشيء بوجه شرعي) حيث تناح للمالك حرية التصرف في ذلك الملك إما بالبيع أو الشراء أو الصدقة أو التحبيس، ويضاف إلى ذلك أيضاً شرطاً يتمثل في قابلية التحويل بدون تعطيل عن طريق الوراثة². أو بتعريف آخر هي: الأراضي التي يستغلها أصحابها مباشرة، وكان لهم الحق في التصرف فيها حسبما يشاؤون وذلك بيعها أو إهدائها أو تركها للورثة أو استغلالها³.

¹ - عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1424هـ/2003م، ص129.

² - روبار برونشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1988م، ج02، ص185.

³ - ناصر الدين سعیدونی، دراسات في الملكية العقارية، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص41-42.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد
والملكيات الخاصة في أغلبها تكون على شكل أجنة، وبساتين، وعرصات وحوائط،
وضياع.

ومن الأمثلة التي تدل على وجود ملكيات خاصة في المغرب الأوسط خلال العهد
الزياني ما نقله ابن مرزوق الخطيب [ت: 781هـ / 1379م] في كتابه المناقب المروقية،
عن حده أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق [ت: 740هـ / 1338م]، أنه
كان "مشتغلاً بالبادبة بفلاحته وحراثته، فكان إذا تعالي النهار، ركب بغلته، واجتاز
بحاته الذي ورثه عن أبيه بالربض، والذي غرس أكثره بيده، فيشتغل فيه"¹. كما سئل
أبو الفضل العقابي [ت: 854هـ / 1451م] عن رجل اشتهر بالدين والجاه له نصف جنة².
وسئل أبو الفضل العقابي أيضاً عن رجل باع بعض جناته من زوج ابنته ولم يسلم الثمن
ولا عاين شهود الرسم قبض الثمن هل يصح ذلك أم لا؟³

الذي يظهر من خلال هذه الأمثلة، وجود ملكيات فردية في المغرب الأوسط
خلال الفترة الزيانية، إلا أن الذي يبدو أن توفرها في الأغلب كان بيدي البيوتات ذات
الشأن والمكانة، سواء الشخصيات العلمية أو رجال السلطة. ومن النخب العلمية التي
كانت تحوز على ملكيات خاصة، الفقيه أبو التحيم هلال بن يونس الغريبي

¹ أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني [ت: 781هـ / 1379م]، المناقب المروقية، ترجمة: سلوى الزاهري، ط 01، النجاح الجديدة، الدار البيضاء - المغرب -، 1429هـ / 2008م، ص 154-155.

² المازوني، الدرر المكونة، ج 03، ص 69-70.

³ الونشريسي، المعيار، ج 05، ص 101.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

[ق7هـ/11م]، الذي كان يعيش من مستغلات أرض كانت له محرة بظهاير (أي قرارات) من قبل عبد المؤمن بن علي، وكان يصفر أكثرها في الصدقات¹.

- الأراضي الجماعية:

يندرج هذا النوع من الملكيات في إطار جماعة من الناس، وقد يدخل في هذا عدة كيانات، مثل الشراكة أو القرية أو القبيلة أو حتى الدولة باعتبارها كيانا عاما يشتمل على العديد من الجماعات البشرية. هنا وقد عبرت لنا كتب النوازل والفقه على الملكية الجماعية بعدة أوصاف وتسميات، فتارة تعبّر عنها بمصطلح القوم، أو بمصطلح الشراكة والشركة، وتارة أخرى بمصطلح الملك المشاع².

والأرض المشاعة ليست لأحد ويمكن لأي أحد من الناس أن يتولى استغلالها والاستفادة منها، وهي تشمل الفيافي والقفار والمسارح والمحظب وغيرها. والملحوظ على أراضي المغرب الأوسط، شساعتها وقلة الأرض العاملة فيها والتي قلما تزيد عن مسيرة نصف نهار من القرية أو المدينة، وهذا يعني أن أغلب أراضي البلاد في حكم المشاع، وهذا ما جعلها في معظمها أرضاً جرداء³.

المملوكة الجماعية يكون ملاكها جماعة من الناس، فلا يتسرى لأحدthem أن يستأثر بمفرده بالشيء المملوك ولا حتى حصة فيه، وكل شريك يفقد حقه العيني في المال

¹ - أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغربي [ت: 714هـ/1314م]، عنوان الدراسة فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببيجاية، تتح: عادل نويهض، ط02، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص185.

² - عمر بنميرة، النوازل والمجتمع، ص197.

³ - جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3-4هـ/9-10م، ط01، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م، ص18.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

المشترك، ويتحول إلى مجرد حق شخصي في استغلال الشيء محل الحق والحصول على نصيب من الأرباح أو الغلة، الجماعة هي التي تملك وتعامل وتستند إليها الحقوق¹.
بيّنت لنا كتب النوازل والفقه نماذج من المسائل التي طرحت على الفقهاء والتي تخص أوضاع الملكيات الجماعية ونزاعاتها في المغرب الأوسط، وكان من بينها ما سُئل عنه أبو عبد الله محمد بن مرزوق عن: "رجل جنته تحت جنة قوم وكان هذا الرجل يسقي جنته من أرض غيره أرض الجنات التي جنة هذا الرجل تحتها، ثم بعد مدة رجع يخبري الماء جنته في جهة بعض هؤلاء الأقوام ..."². يتبيّن من خلال هذا السؤال أن الملكية الجماعية ليست في الأراضي فقط، بل حتى مسائل السقي تدخل في هذا المجال.
بالإضافة أيضاً إلى قضايا المشاع، فقد أورد المازوني مسألة عرضت على الفقيه أبو سالم ابراهيم بن عبد الله اليزناسي [794هـ/1391م]، وذلك بخصوص رجل توفي وترك ميراثاً، وكان من بينه حظاً شائعاً في أملاك مشتركة بينه وبين قوم آخرين³.

3- أراضي الأحباس:

هي الأراضي التي وقف مردودها لصالح شخص أو مؤسسة عمومية، من جوامع ومدارس وزوايا وأسوار وغيرها، وقد أضحت عملية التحبيس ذات انتشار واسع في العصر الإسلامي المتأخر، وفقاً لتدور الظروف الأمنية العامة التي اقتضت وقف الأرض

¹- حواسين كريمة، الملكية الشائعة في النظام القانوني الجزائري، رسالة ماجستير في القانون، تحت إشراف: د. الغوثي بن ملحة، كلية الحقوق، جامعة الجزائر 01، السنة الجامعية: 2013/2014م، ص 07.

²- المازوني، الدرر المكنونة، ج 03، 148-149.

³- الونشريسي، المعيار، ج 09، 424-425.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

حماية لها من التعدي والغصب¹. وتنقسم الأحباس إلى قسمين: أحباس عامة، أي أن عملية التحبيس تستفيد من مؤسسات عامة المساجد والمدارس والقراء وغيرهم من الشرائح العامة، والقسم الثاني يتمثل في الأحباس الخاصة، أي أن التحبيس يكون على مستوى العائلة مثلاً.

هذا وقد شكلت قضايا الأحباس في الدولة الزيانية أحد الموارد المهمة في بناء المساجد ودور العبادة وحتى المدارس، فمن المأثر التي ذكرت عن السلطان أبي حمو موسى الثاني بناؤه للمدارس، والاحتفال بها والإكثار من الأوقاف عليها، وترتيب الجرایات فيها². ومن النوازل التي أكدت على انتشار ظاهرة التحبيس في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، ما سُئل عنه أبو سالم اليزناسي حول أرض محبسة على مدرسة إلى نظر رجل يكريها بعد النداء عليها والإشادة ايها على العادة في الأحباس³. وكما سُئل أيضاً أبو عبد الله محمد بن مرزوق عن أرض محبسة على أستاذ⁴. إذن هاته الأمثلة توضح لنا جلياً دور الأحباس في العملية التعليمية في المغرب الأوسط الزياني.

ومن صور ونمذج التحبيس العائد مردوده على القراء والمساكين، ما سُئل الفقيه أبو العباس القباب أيضاً عن: "حبس على رجل ثلثي أرض له معروفة، وعلى عقب وعقب عقبه ما تناسلوا، فإن انقرضوا يصير ذلك لقراء المسلمين حبساً لانقراض الدهر،

¹ - محمد حسن، المدينة والبادية بـإفريقيـة في العـهـد الحـفصـيـ، كلية العـلـوم الإـنسـانـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ، جـامـعـةـ تـونـسـ الـأـولـىـ، 1991ـ. السـلـسلـةـ تـارـيـخـ: 04ـ، جـ 02ـ، صـ 355ـ.

² - محمد بن عبد الله التنسـيـ [ت: 899ـهـ/1494ـمـ]ـ، تـارـيـخـ بيـنـ زـيـانـ مـلـوكـ تـلـمـسـانـ، تـحـ: حـمـودـ آـغاـ بـوعـيـادـ، دـ.ـطـ، وزـارـةـ الثـقـافـةـ، تـلـمـسـانـ، الـجـارـ، 2011ـ، صـ 179ـ-180ـ.

³ - الـونـشـريـسيـ، المـصـدـرـ السـابـقـ، جـ 07ـ، صـ 46ـ-49ـ.

⁴ - المـصـدـرـ نـفـسـهـ، جـ 07ـ، صـ 43ـ-44ـ.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

ثم إن المحبس المذكور أراد قسمة المحبس من الأرض المذكورة فهل يجوز ذلك أم لا؟ فإن حوزها الشرع فيما إذا تكون القسمة بالتراضي أم القرعة أم بالتخمير لهما في ذلك؟ فأصحاب مالك الثالث الباقى من الأرض غير محبس قسمة الأرض المذكورة، فتعين له حظه يفعل به ما يشاء وتكون القسمة بالقرعة¹.

كما أرود الونشريسي في المعيار نازلة في الأحباس سئل عنها فقهاء بجاية وتونس وفاس ويقول الونشريسي أن هاته النازلة: "نزلت بأصحابنا العقابانيين: أبو سالم ابراهيم العقاباني وابن أخيه الفقيه الحاج الإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد بن محمد بن محمد العقاباني: "فيما جبس السلطان الواثق بالله أبو عبد الله محمد بن أبي عمران موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن زيان" ونص السؤال: "... وذلك أن حبرا من أحبّار الإسلام، جبس عليه ملك من سادات الملوك، عقارا محتويا على جنات ومحارث وحمام، واستدام المحبس عليه الإغتلال والانتفاع بذلك طول حياته، وترك أولادا من صلبه وحفدهه"².

4- أراضي الإقطاع والظاهر السلطاني:

أولاً: أراضي الإقطاع

- الإقطاع لغة: من الفعل قطع، والقطعة من الشيء: الطائفة منه. واقطع طائفة من الشيء: أخذها. والقطيعة: ما اقطعته منه. وأقطعني إياها: أذن لي في اقطاعها.

¹ - نفسه، ج 07، ص 49.

² - الونشريسي، المعيار، ج 07، ص 248-257.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

واستقطعه إياها: سأله أن يقطعه إياها. وأقطعته قطعة أي طائفة من أرض الخراج.
وأقطعه نهرًا: أي أبا حه له¹.

— الإقطاع اصطلاحاً: يعرفه المالكية بأنه: توسيع الامام من مال الله شيئاً لمن يراه
أهلًا لذلك. وأكثر ما يستعمل في الأرض، وهو أن يخرج منها لمن يراه ما يجوزه إما بأن
يملكه إياه في عمره. وإما بأن يجعل له غلته مدة². ويعرف الإقطاع أيضاً بأنه إعطاء
السلطان رقبة الأرض العائدة لبيت المال أو منافعها فقط للمستحق من بيت المال³.
والإقطاع حسب الفقيهين ابن رشد والطرطوشى يكون في البراري والمعمور إلا مععمر
أرض العنوة التي حكمها أن تكون موقوفة، فإذا أقطع أحداً شيئاً من الأرض المعمورة فلا
كلام في أن المقطوع يستحقه بنفس الإقطاع، وإن أقطعه شيئاً من الموات ليحييه استحقه
بنفس الإقطاع، وإرث يورث عنه، وله بيعه وإعطاؤه إلا أن للإمام أحده بآياته، فإن لم
يفعل أو عجز أقطعه لغيره⁴.

¹ — ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على الأنصاري الإفريقيي
[ت: 711هـ/1311م]، لسان العرب، ط 03، دار صادر، بيروت، 1414هـ/1984م، ج 11،
ص 276، ج 08، ص 280.

² — سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ط 02، دار الفكر، دمشق — سوريا،
1408هـ/1988م، ص 306.

³ — علي حيدر أندلي، أحكام الوقوف، مؤسسة الريان، د. ط-س، لبنان — بيروت —، ص 71.

⁴ — أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي [ت: 803هـ/1058م]: المختصر
الفقهي لابن عرفة، تج: د. حافظ عبد الرحمن محمد خير، ط 01، مؤسسة خلف أحمد الحببور للأعمال
الخيرية، 1435هـ/2014م، ج 08، ص 395-396.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ——— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

- **أنواع الإقطاع:** ينقسم الإقطاع عامة إلى قسمين رئيسين هما، إقطاع التملك، وإقطاع الاستغلال، ومنهم من يضيف إلى القسمين السابقين إقطاع الإرافق¹. ومن المصادر الفقهية التي تعمقت كثيراً في مسائل الإقطاع، كتاب: "الأحكام السلطانية" للماوردي [ت: 450هـ/1059م]، حيث قرر هذا الأخير في مصنفه أن الإقطاع ينقسم إلى قسمين، إقطاع تملك وإقطاع استغلال، وتحت كل قسم من هذه الأقسام مجموعة من الحالات والشروط، وتفصيلها كالتالي:

1- إقطاع التملك: إقطاع التملك تنقسم فيه الأرض المقطعة إلى ثلاثة أقسام: مواد وعامر ومعادن. فأما الموات فهو على قسمين: أحدهما: ما لم ينزل مواتاً على قديم الدهر، فلم تجز فيه عمارة، ولا يثبت عليه ملك، فهذا الذي يجوز للسلطان أن يقطعه من يحييه ومن يعمره. وأما الثاني: من الموات ما كان عامراً فخراب، فصار مواتاً عاطلاً.²

¹ - **إقطاع الإرافق:** هو قيام الإمام أو نائبه بمنح أحد الناس أرضاً للارتفاع بها فقط، مثل أن يعطيه أرضاً في السوق يضع فيها بضاعته يستقل فيها البضائع من الناس لبيعها، وإقطاع الإرافق لا يملكه المقطوع؛ لأنه إقطاع انتفاع فقط والأرض ليست له، لكن ما دام الإقطاع باقياً والرخصة قائمة فهو أحق بهذا المكان من غيره. (محمد بن صالح العثيمين، فتح ذي الحلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ط: 01، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1427هـ/2006م، ج: 04، ص: 271).

² - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي [ت: 450هـ/1401م]، الأحكام السلطانية، تج: أحمد جاد، د.ط، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/2006م، ص: 283.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

وأما العامر فهو على قسمين أيضاً: أحدهما: ما تعين مالكه فلا نظر للسلطان فيه، إلا ما يتعلق بتلك الأرض من حقوق بيت المال إذا كانت في دار الإسلام، سواء كانت مسلمة أو ذمية. والثاني: من العامر ما لم يتعين مالكونه ولم يتميز مستحقوه¹.

2- إقطاع الاستغلال: وهو على قسمين:

أ-العشر: لا يجوز إقطاعه، لأن زكاة الأصناف يعتبر وصف استحقاقها عند دفعها إليهم، وقد يجوز أن لا يكونوا من أهلها وقت استحقاقها؛ لأنها تجب بشروط يجوز أن لا توجد فلا تجب، فإن وجبت وكان مقطوعها وقت الدفع مستحقة كانت حواله عشر قد وجب على ربه من هو من أهله، صح وجاز دفعه إليه، ولا يصير دينا له مستحقا حتى يقبضه، لأن الزكوة لا تملك إلا بالقبض، فإن منع من العشر لم يكن له خصماً فيه، وكان عامل العشر بالطلبة أحق².

ب-الخروج: يختلف حكم إقطاعه باختلاف حال مقطوعه، وهذا له حالات: فإذا ما أن يكون من أهل الصدقات، فلا يجوز أن يقطع مال الخراج؛ لأن الخراج فيء لا يستحقه أهل الصدقة، كما لا يستحق الصدقة أهل الفيء. وإنما أن يكون من أهل المصالح من ليس له رزق مفروض، فلا يصح أن يقطعه على الإطلاق³.

من النوازل والمسائل الخاصة بالإقطاع، حسبما نقله لنا المازوني في الدرر المكتوبة، ما سئل عنه الفقيه أبو عبد الله محمد بن مرزوق عن: "قوم بأيديهم أرض بأوامر السلاطين المتقدمين ومن بعدهم يقتلونها بأنواع الإغتلال من الحرث وغيره إلى عام الجماعة الكبرى الواقعة في عام ستة وسبعين عمد رجل منهم لقطعة فاغترسها بأنواع الشجر ثم

¹- المصدر نفسه، ص 287.

²- نفسه، ص 290.

³- نفسه، ص 291.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

توفي قبل ذلك فبقي ذلك بعد موته إلى أن دثر فعمد وارثه للقطعة فباعوها من رجل فصار المشتري يجترثها وينتفع بها مدة طويلة فقام أرباب الأرض فانتزاعوها منه هل لهم ذلك أم لا؟ فأجاب: الأرض التي للأئمة إنما يعطونها في العادة امتاعاً لا تمليكاً، وهي لجماعة المسلمين، والحق فيها لغير معين، وإنما تعين الانتفاع بتعيين الإمام مع كون الأرض لبيت المال لا يمضي فيها البيع ولو كان على علم الذين تعدى عليهم أو رضي منهم¹. فهذه النازلة تفيد بأن الأرض في العموم للحكام والأئمة، يقومون بإعطائها للناس على وجه الاستغلال لا على وجه التملك المطلق، فهي لعامة المسلمين ولا يجوز بيع شيء منها. أي أن الحق فيها لا يقتصر على أحد معين، بل الحق فيها يشمل جميع الناس.

وكما سئل ابن مرزوق أيضاً عن: "رجل صرف عليه من أشياخ العرب فرداً من زوج وهنالك تحتها أشجار عظيمة فسوى تلك التي تحت العين وغرسها بقلتها مدة تقارب من عشرين سنة ومات وترك أولاده ينتفعون بها بعده ثم صرفها عليهم المتولي بالبلاد واغتالوها بعد صرفه أربعة أعوان الفرض أنها من أرض العونة التي يقطعها الإمام لم أراد فقام رجل يخاصمهم ويدعي أن نصف العين لعمه فإنه كان بيده الفرد الآخر من الزوج والفرض حاضر ساكته لا يغير ولا ينكر فهل تنقطع حجته مع طول المدة ومع صرف المتولي للموضع أم لا؟ فأجاب: أرض العونة لا تورث فهي لمن صرفها عليه المتولي للنظر فيها وإن مات أقطعها لمن رأى من ورثة لأول وغيرهم². أرض العونة في إقطاعها أحكام وضوابط أشار إليها أهل الفقه والدين، فهي أرض يقطعها الإمام لمن شاء من

¹ - المازوني، الدرر المكنونة، ج 04، 55-56، والونشريسي، المعيار، ج 05، ص 98-99.

² - المازوني، المصدر نفسه، ج 04، ص 18.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

الناس، وهي لا تورث، أي لا تدخل في قضايا الميراث، وحسب النازلة السابقة، فإن مات صاحب تلك الأرض أقطعها الإمام ملن رأى من الورثة.

ومن الصور التي نقلتها لنا كتب النوازل عن أرض الخراج ما سئل عنه عبد الرحمن الوعليسي [ت: 786هـ/1384م] حول: "الجنان المغروس في أرض الخراج أعني الأرض الموقوفة هل هو ملك للغارس يبيعه ويرث عنه إذ هو مالكه عما يؤدون له بالعادة إلا السلطان لا يذكر على من يغرس بل يفهم من حال الولاية أفهم يحبون ذلك لعمارة الأرض أو ليملك العارس ذلك لأن ملكه إيه يؤدي إلى ملك الأرض المغروسة وهي موقوفة على ما أفتى به بعض المؤخرين أنها لا تقطع تمليكا ولا تباع ولا تورث فإن قلت بعدم الملك المؤدب. فهل يكون الارتفاع بالجنان المذكور ما دام باقيا بيد غارسه من جهة أولي الأمر إما إقطاعاً للمنفعة أو بإعطاء كراء الأرض كل سنة ولا يبيع ثم إذا تركه؟ هل يجوز لغيره أن يتطلب منفعة السلطان وكذلك إذا نزعه السلطان من يد الغارس وأعطاه لغيره؟ هل يحل للفقراء الانتفاع ولا يكون للأول إلا قيمة ذلك مقلوعاً إذا كانت له قيمة مما المستعير لأرض للغراسة بعدهه أم مدة الإعارة أم لا يحل أو لا يحل أحد ذلك من يد الغارس؟¹". كما سئل الفقيه أبو عبد الله محمد بن مرزوق عن رجل كان يحيث زوجاً من أرض الخراج ويعطي وجتها لعامل السلطان.²

إن الإقطاع مجال متشعب ويشمل عدة أنواع من الأراضي، وأغلبها تكون تابعة لأملاك الدولة، ومن بين تلك الأنواع أراضي المخزن، وهي الأرض التي تملكها السلطة المخزنية، حيث يقوم السلطان بإقطاعها لمن شاء من أحناده، أو للصلحاء أو أشياخ العرب وغيرهم إقطاع إمتاع، وتكرى أرض المخزن قبل الشروع في غراستها من الإمام

¹ - المازوني، الدرر المكنونة، ج 04، ص 15-16.

² - المصدر نفسه، ج 04، ص 28-29.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

أو جماعة المسلمين، وإن تعذر ذلك، بحيث تكون دراسة يقوم سينين باستغلالها ويتصدق بكرائها على الفقراء¹.

وما يضاف إلى أراضي وأملاك الدولة أراضي القانون، وهي الأراضي التي تكون بيد الحائز عليها أو واضح اليد عليها ولم تعلم الطريقة التي صارت بها إليه، فسميت أرض القانون، تقع عليها جميع التصرفات القانونية سواء كانت إدارة أو تصريفاً، أي أنها تباع وتورث، أو أنها الأرض التي يقطنها الحاكم أو المسؤول لبعض الشخصيات نظير خدمتهم للدولة وهي بمثابة رواتب لهم². وقد نقل الونشريسي عن أبي عبد الله محمد بن مرزوق فتوى تبين بأن العادة جرت ببيع الأرض القانونية بالغرب وإرثها³.

ثانياً: أراضي الظهير السلطاني (أراضي الانتفاع)

قبل معرفة معنى هذا النوع من الأراضي، يجدر الإشارة إلى أن الظهير هو عبارة عن قرار أو مرسوم صادر من السلطان، مفاده إعطاء بعض الامتيازات كعقارات أو أراضي أو حتى مساكن، لفائدة شخصيات أو عائلات أو حتى بعض الحاليات القادمة من مناطق مختلفة، ويجب التنبيه إلى أن أرض الظهير هي أرض لا ملك في رقبتها، وإنما فيها الانتفاع خاصة، فلا يجوز بيعها ولا تقسيمها إلا بإذن الإمام، فيكون إقطاع تمليله

¹ - سهام دحاني، المصطلحات الاقتصادية في كتب النوازل - نوازل المازوني نموذجاً، مقال ضمن كتاب جماعي، (المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل)، تحت اشراف د. بوابة مجاني، ط01، بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011م، ص123.

² - شوقي نذير، نوازل استثمار الأراضي الفلاحية واستصلاحها في الغرب الإسلامي من خلال كتاب المعيار للونشريسي (843هـ-914م)، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي السادس للمذهب المالكي، وزارة الشؤون الدينية، ولاية عين الدفلة، 13-14 جمادى الأولى 1431هـ/28-29 أفريل 2010م، ص520.

³ - الونشريسي، المعيار، ج06، ص133-134.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

ولا شفعة فيها، وكلما تعدد الملوك وجب تجديدها لمن هي في يده، ولا ينتفع بها إلا من جددت لها، ويختص بها من كتبته لها لا يدخلها غيرهم ولا ورث، معنى أنها تستعمل وتقطع بوجوب ظهير سلطاني¹.

ومن الأمثلة التي توضح هذا النوع من الأراضي، ما جاء في مخطوط "فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن خطاب" لأبي محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي [ت: 688هـ/1289م]، حيث نقل لنا هذا الأخير ما قام به السلطان الرياني يحيى بن يغمراسن بن زيان [680هـ/1206م-603هـ/1282م] في حق الأندلسيين الوافدين إلى تلمسان، حيث أصدر السلطان ظهيراً أيدى قراراً ينص على منح اللاجئين إلى تلمسان مناطق وأراضي كي يسكنون بها. حيث جاء في بداية الظهير ما نصه: "هذا ظهير عنابة مديدة الظلال وكراهة رحيمة الحال وحماية لما يخشى على عقدها المبرم وعمرها المحكم من الإنحال والاختيال أمر به فلان أيد الله به أمره وأيد عصره لجميع أهل الأندلس بحضوره تلمسان حرسها الله أحالمهم به من رعيه الجميل أكتافاً وبوأهم من اهتمامه الكريم وإنعامه العميم جنات ألفافاً... وأطلع على أغراضهم السديدة في اختيار حضرته السعيدة للسكنى، على سائر البلاد، فلحظ منهم النية واعتبرها وأظهر عليهم مزايا مالهم من هذه... وأذن أيد الله لهم ولمن شاء من أهل تلمسان"². فالذي يظهر لنا جلياً من خلال

¹ - كمال السيد مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المغرب للنشرисي، د.ط، مركز اسكندرية للكتاب، الاسكندرية - مصر، 1996م، ص 62.

² - أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي [ت: 636هـ/1238م]، فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر ابن خطاب، مخطوط بالخزانة الحسينية، الرباط - المغرب، رقم: 4605، ورقة 39-40.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

هذا "الظهير"، أن السلطان الزياني "يحيى بن يغمراسن" قد أبدى اهتماماً كبيراً بتلك الحاليات القادمة من الأندلس، والدليل على ذلك هو علامات وعبارات الفرح والسرور الواضحة على خطابه، فقد اعترض بتلك الوفود واستقبلهم استقبلاً يليق بهم، كما غمرهم بكرمه وحسن ضيافته لهم، وعلاوة على ذلك فقد أغدق عليهم بالمنح والعطاءات الكثيرة، والتي كان من أبرزها تشريفهم بالإسكان في عاصمة الدولة "تلمسان".

ومن الأنواع المهمة التي شهدتها الإقطاع في المغرب الإسلامي عموماً والمغرب الأوسط خصوصاً إقطاع الجندي، والظاهر أنه كان إقطاع تمليلك، فإنه شجع كثيراً من الناس على إحياء الموات حتى يمتلكونها إقطاعاً¹. وقد سُئل أبو العباس أحمد بن قاسم القبّاب الفاسي [ت: 779هـ/1378م]: "عما ييد الجندي من الأرضين. فأجاب: الأرض التي لا مالك لها وأعطها السلطان جندياً فإن أعطاها على القيام بأهل الكفر وحفظ بيضة المسلمين وقتال أهل الفساد والبغى جاز لهأخذ ذلك على طاعة معطي في كل ما أمره به في ذلك قتال من لا يجوز قتاله أو إعانته على جباية الظلم فليس هذا جحلاً"². وهذا يظهر أن الجندي كان لهم نصيب أيضاً من أراضي الإقطاع، ويعود ذلك إلى مختلف الخدمات التي كانت تقدمها تلك الفئة، إما على مستوى التغور عن طريق حمايتها، وإما على مستوى الحروب التي كانت تخوضها الدولة الزيانية آنذاك. إقطاع تلك الفئة كان جزاء لهم على حفظهم الدين والدولة.

الذي يظهر لنا حسبما سبق أن الفرق واضح بين أراضي الإقطاع وأراضي الظهير السلطاني، فأراضي الإقطاع تُمنَح وتعطى لصالح أشخاص أو أبناء أو قادة عسكريين أو شخصيات علمية ودينية، لكن تلك العطايا والمنح لا تكون إلا في إطار تقديم بعض

¹ - عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص 142.

² - المازوني، الدرر المكتونة، ج 04، ص 39-40.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

الخدمات للحصول على ذلك الامتياز المتمثل في الإقطاع، وقد يكون ذلك إما ملكاً، أو استغلالاً. أما أراضي الظاهر السلطاني فهي تتح على سبيل المنفعة لا الملك، فهي بذلك لا تستغل ولا تباع ولا تقسم إلا بإذن سابق من الإمام أو السلطان.

المبحث الثالث: وضعية أراضي الإقطاع في العهد الزيرياني بين الأطراف

المستفيدة والسلطة السياسية

كانت قبيلة بنى عبد الواد في بداية القرن [7هـ/13م] قبل تأسيس الدولة، تنتفع تلول تلمسان على عادة البوادي، وكان بنو عبد الواد آنذاك يقدمون الولاء للموحدين بخلاف بين مرين، وكانت تلك القبيلة تحظى بالحماية والنصرة من قبل خلفاء الدولة الموحدية¹. وولاء قبيلة بنى عبد الواد للموحدين كان حتى قبل هاته الفترة، وذلك حسب ما وضحته لنا مصادر التاريخ الزيرياني، وذلك أنه حينما سيطر عبد المؤمن بن علي على تلمسان وأمصارها وأراد الانتقال إلى إفريقية، بعث بعئاته من المال والذخيرة إلى مغربه، إلا أن المخضب ابن عسكر المريني [ت: 540هـ/1145م] اعترض تلك الغنائم واستولى عليها، ليقوم عبد المؤمن بن علي بعدها بإرسال أبي محمد عبد الحق بن منغداد العبد الوادي، ليستعيد تلك الغنائم، فقام باستعادتها، وبذلك علا شأن هذه القبيلة². فبينظير ما قدمته قبيلة بنى عبد الواد للموحدين من خدمات ومساعدة، تم بمقابل ذلك إقطاعهم وطنًا وأرضًا لتسقرا بها تلك القبيلة.

أما عن الأطراف المستفيدة من الإقطاع في المغرب الإسلامي عموماً والمغرب الأوسط خصوصاً، فهي تنحصر غالباً في قبائل يرجى استئلاف وتقرير شيوخها

¹ - يحيى ابن خلدون أبو زكرياء [ت: 780هـ/1490م]، بغية الرواد في ذكر الملوك من بنى عبد الواد، تج: عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 2007م، ج 01، ص 217.

² - المصدر نفسه، ج 01، ص 211.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

وأفرادها، عن طريق ربط مصالحهم بمصالح الدولة. وأيضا الأشخاص الذين يتمتعون بالنفوذ داخل أجهزة الدولة، كأشياخ الموحدين والخصبدين وشيخ زناتة وأمرائها، وقادة الجناد والموظفين في وزارات الدولة الكبرى والشخصيات المعروفة. ويضاف إليها أيضا بعض الأطراف ذات النفوذ الديني أو الروحي مثل الصوفية والمرابطين والأسلاف.¹

انتهت السلطة الريانية في مسألة الإقطاع سياسة تمثل في تقرير مجموعة من القبائل والشخصيات العلمية، وذلك عن طريق تقديم مختلف الإقطاعات لهم، ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما أقطعه السلطان يغمراسن بن زيان [ت: 681-633هـ/1236-1283م] لأبي إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسسي [ت: 680هـ/1282م] إقطاعات من جملتها "تيرشت" التي أُقطعت بعد انفراض عقبه لابن الإمام، وهما: أبو زيد عبد الرحمن [ت: 743هـ/1342م] وأخوه أبو موسى عيسى [ت: 749هـ/1348م].²

هذا وكما أقطع السلطان أبو الحسن المریني لمجموعة من قبائل المغرب الأوسط، كما جاء عن ابن خلدون: "وانتم السلطان أبو الحسن أمصار المغرب الأوسط وعمله إلى سائر أعماله. وتاخم الموحدين بشغوره وطمس رسم الملك لآل زيان ومعالمه، واستتبع زناته عصبا تحت لوائه من بني عبد الواد وتوجين ومغراوة وأقطعهم ببلاد المغرب سهاماً أدالهم بها من تراثهم من أعمال تلمسان".³

¹ محمد فتحة، التوازن الفقهية والمجتمع، ص 354-355.

² التنسسي، تاريخ بني زيان، ص 126-127.

³ ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد أبو زيد [ت: 808هـ/1406م]، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيا العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تج: خليل شحادة، ط 02، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1988م، ج 07، ص 148.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

بالإضافة إلى ذلك فقد وضح لنا ابن خلدون ذلك من خلال حديثه عن السلاطين الزيانيين خاصة الأوائل منهم الذين قاموا بمنع الإقطاعات لمختلف القبائل العربية، وانبسطت أيدي العرب على الضاحية وأقطعتهم الدولة حتى الأمصار وألقاب الجباية وختص الملك¹. ومن القبائل العربية التي حازت الكثير من الإقطاعات قبيلة زغبة فعلى حد قول ابن خلدون فإن هاته القبيلة تملكت الكثير من الأسماء والإقطاعات في البلاد. بالإضافة أيضاً إلى قبيلة رياح فقد أقطعتهم الدولة ما ولوه من نواحي المدينة وبلاط صنهاجة².

ويضيف ابن خلدون أيضاً حديثه عن القبائل العربية وما قدمته من خدمات لقبيلة زناتة بقوله: "كان عرب المعقل منذ دخول العرب المغاربة إلى صحراء المغرب الأقصى أحلافاً وشيعاً لزناتة، وأكثر انحيازهم إلى بني مرین إلا ذوي عبيد الله منهم لما كانت مجالاتهم لصق مجالات بني عبد الواد ومشاركة لها. ولما استفحـل شأن بني عبد الواد بين يدي ملكـهم زاحموـهم عنها بالمناكـب، وبنـدوا إلـيـهم العـهد واستـخلـصـوا دونـهم المـنبـات من ذـوي منـصـورـهمـ، فـكـانـواـ حـلفـاءـ وـشـيـعـةـ لـيـغمـرـاسـنـ وـلـقـوـمـهـ"³. هذا وقد أقطعت الدولة لعرب المعقل مواطنـ تـلـمسـانـ وـآـخـتـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ قـبـيلـةـ زـغـبـةـ⁴.

كذلك وما يضاف إلى تلك القبائل "أولاد عريف" الذين شكلوا حلـيفـ قـويـاـ لـبـيـنـ عبدـ الوـادـ، فقد قالـ عنـهـمـ ابنـ خـلـدونـ: "وـعـادـ الـأـمـرـ لـبـيـنـ عبدـ الوـادـ عـلـىـ يـدـ أـبـيـ حـمـوـ الأـخـيرـ، فـوـليـ سـلـيـمـانـ عـلـىـ القـلـعـةـ وـعـلـىـ قـوـمـهـ. وـاستـغـلـظـ أـمـرـ الـعـربـ عـلـيـهـ فـاسـتـرـابـ"

¹ - المصدر نفسه، ج 06، ص 103.

² - نفسه، ج 03، ص 58.

³ - نفسه، ج 07، ص 113.

⁴ - نفسه، ج 07، ص 166.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ——— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

سليمان هذا ونذر بالشر منه، فلحق بأولاد عريف، ثم راجع الطاعة فتقبض عليه وأغتاله، وذهب دمه هدرا. ثم غلبه العرب على عامة المغرب الأوسط، وأقطع القلعة وبني يدللن لأولاد عريف استثنافا لهم. ثم أقطعهم بني مادون ثم منداس¹.

أما في الفترات الأخيرة من عمر الدولة الزيانية، والتي بدأ الضعف ينخر في أركانها، جراءً عدّة عوامل سياسية واقتصادية وحتى اجتماعية، فالأخوة والجواهير أثّرت جلياً في هجرة الكثير من سكان الدولة إلى مناطق أخرى، وهذا ما أدى إلى الهيار ديغرافي نتيجة لتلك الأضطرابات والصراعات الداخلية بين مختلف القبائل، وهذا ما أدى بدوره إلى غياب الأمن والاستقرار في كف الدولة الزيانية².

فعلى إثر هذه الظروف التي كانت تمر بها الدولة الزيانية خلال مراحلها الأخيرة، نزل بعض الوافدين على المغرب الأوسط للاستقرار به، وكان من بين المجموعات البشرية التي نزلت على مدن ومناطق الدولة الزيانية، وفود الجالية الأندرسية التي قدمت في عهد الأمير المعتصم بالله أبي العباس أحمد بن أبي حمو موسى [1431-865هـ/1462م]، وأكثر هؤلاء استقروا بتلمسان، وجزائر بني مزغنة وبجاية وندرومة وهنين وغيرها من أمصار الدولة الزيانية³.

يتضح مما سبق أن السلطة الزيانية قامت بتقديم مختلف الامتيازات والإقطاعات، لشريحة وأطراف خاصة، وكانت لا تتعدي القبائل العربية بحكم حجم المؤازرة التي

¹ - ابن خلدون، العبر، ج 07، ص 217.

² - مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، د.ط، منشورات الحضارة، الجزائر، 2007، ج 03، ص 234.

³ - المرجع نفسه، ج 03، ص 233، نقلًا عن محمد بن محمد ابن الأعرج السليماني الحسني الفاسي، زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ، مخطوط بالخزانة الحسينية، الرباط - المغرب -، رقم: 170، ج 06، ورقة: 116.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

قدموها لكيان الدولة الزيانية حتى استطاعت تثبيت أركان دولتها، وقد استطاعت تلك القبائل السيطرة على أجزاء كبيرة من التلول، وكان من أبرزها بنو عامر وسويد وحصين وغيرهم¹. ولا ننس كذلك القبائل البربرية كبني توجين ومغراوة. وما يضاف إلى العنصر العربي أيضاً، القادة والجنود وأصحاب الوظائف العليا في الدولة، وذلك باعتبار أهمية هاته الفئة في استقرار الدولة وتوسيع عمليات الغزو والفتح، وكذلك الشخصيات والنخب العلمية التي قامت السلطة الزيانية بالتقرب إليها ومنحها مختلف الأراضي والأملاك والعقارات.

إلا أنه من بين الملاحظات التي لا يمكننا أن نمر عليها دون تعليلها أو تفسيرها، قضية تملك تلك الإقطاعات لرؤساء المستفيدين تمليكاً مطلقاً، فالنصوص الفقهية قد قررت أنَّ الأرض التي بحوزة ولادة الأمور والآئمة يتم إقطاعها عن طريق الاستغلال لا عن طريق التملك فهي لجماعة المسلمين، والحق فيها لغير معين، وإنما تعين الاتفاص بتعيين الإمام مع كون الأرض ليست المال لا يمضي فيها البيع ولو كان على علم الذين تدعى عليهم أو رضي منهم². إذن يتضح أن هناك بعض التعارض بين ما هو مقرر فقهيا وبين ما كانت تقوم به السلطة الزيانية. ومن النماذج التوازنية التي ثبتت استفادة شيوخ العرب من أراضي ثم تملיקها تمليكاً مطلقاً، ما سئل عنه الفقيه أبو الفضل العقابي بخصوص أرض معروفة لأناس منسوبة إليهم قديماً وحديثاً ينتفعون بها بالحراثة وغيرها ويؤدون خراجها للإمام الخليفة ثم إن الإمام ملكها لرجل من شيوخ العرب لما رأى فيه من المصلحة تمليكاً مطلقاً عاماً³.

¹ - نفسه، ج 01، ص 14.

² - المازوني، الدرر المكتونة، ج 04، ص 55-56.

³ - المازوني، الدرر المكتونة، ج 04، ص 21-22.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

الخاتمة:

يعد نظام ملكية الأرض أحد أهم المسائل العقارية التي تعاني الغموض والتعقيد، ونخص بالذكر قضايا الملكيات واستغلالها. كما نلاحظ جيدا دور وأهمية قضايا الأرض في تأثير العملية الاقتصادية الخاصة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، نظرا لما يحتويه هذا الإقليم من إمكانيات طبيعية هائلة. هذا وكما احتوت مصنفات الفقه والتوازل على الكثير من قضايا الأرض والملكيات، ومن المعروف أن تلك القضايا والمسائل تعالج واقعا حقيقة، وبالتالي يمكننا من خلالها الكشف عن العديد من الحلول التي تساعدننا في سد ثغرات هذا الموضوع الشائك. بالإضافة إلى ذلك أيضا فقد شهد المغرب الأوسط خلال الفترة الزيانية، تنوعا في الملكية، فقد وجدت الملكيات الخاصة والتي كانت أغلبها لجهات ذات نفوذ وجاه، وملكيات جماعية أطرتها القبائل بحكم قضايا الجماعة والشراكة، وأراضي الأحباس، وذلك لأن عملية تحبيس الممتلكات لصالح الأعمال الخيرية من شأنه أن يجسد ظاهرة التكافل الاجتماعي على أرض الواقع.

لقد هيمنت أراضي الإقطاع والظهير السلطاني على المغرب الأوسط خلال حكم الزيانيين، ويعود ذلك إلى كثرة عمليات إعطاء ومنح مختلف الإقطاعات سواء للقبائل المساندة للسلطة الزيانية، أو القادة والجندي وهو ما يعرف بإقطاع الجندي، أو تقريب مختلف الشخصيات وال منتخب العالمة من السلطة عن طريق إغراق مختلف الامتيازات لهم. فقد قام السلاطين الزيانيين بإصدار الكثير من المراسيم والقرارات والتي كانت عبارة عن ما يسمى بـ: (الظهير السلطاني) والذي يفيد بإعطاء ومنح مختلف البيوتات أو الأشخاص أو حتى الحاليات القادمة من خارج البلاد كالأندلسين مثلا، أراضي وسكنات للاستقرار بها.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

في ظل هذا الغموض والإلتباس المحيط بنظام ملكية الأرض في بلاد المغرب الإسلامي عموماً والمغرب الأوسط خصوصاً، نجد أنفسنا مرغمين إلى إفحام مجموعة من العلوم والمعارف الأخرى كالفقه خاصة كتب النوازل والفتاوی، والمصادر القضائية والقانونية خاصة تلك التي تحتوي الأحكام العدلية والعقود والرسوم والوثائق الخاصة بالأملاك العقارية في تلك الفترات، وكذلك علم القانون وعلم الجغرافيا التاريخية، كل ذلك من أجل فهم وتخليل وتفسير ملابسات هاته القضايا. كما يجب أن تُربط هاته القضية بمختلف التقلبات التي مسّت مختلف الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المحيطة بموضوع ملكية الأرض، ولا ننس أيضاً إفحام أحد المفاتيح الهامة في معالجة هاته القضية، ويتعلق هذا بجانب الأعراف والعادات السائدة في تلك المجتمعات، خاصة تلك المجموعات البشرية التي كانت تقطن القرى والبوادي المغاربية. ومن هنا تظهر أهمية الأعراف والعادات، وذلك من خلال مساهمتها في ضبط الحلول والخروج من المشاكل والنزاعات القائمة في مجال الأراضي.

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر المخطوطة:

- أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي [ت: 636هـ/1238م]،
فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر ابن خطاب، مخطوط بالخزانة الحسينية، الرباط -
المغرب -، رقم: 4605. (نسخة مصورة)

2- المصادر المطبوعة:

- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد أبو زيد [ت: 808هـ/1406م]، العبر
وديوان المبتدأ والخبر في أية العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان
الأكبر، تج: خليل شحادة، ط02، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان -، 1988م.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

2. ابن خلدون يحيى أبو زكرياء [ت: 780هـ/1490م]، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحرير عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 2007م.
3. ابن عرفة أبو عبد الله محمد بن محمد الورغمي التونسي المالكي [ت: 803هـ/1401م]، المختصر الفقهي لابن عرفة، تحرير د. حافظ عبد الرحمن محمد خبير، ط 01، مؤسسة خلف أحمد الحبتوor للأعمال الخيرية، 1435هـ/2014م.
4. ابن مرزوق محمد التلمساني أبو عبد الله [ت: 781هـ/1337م]، المناقب المرزوقية، تحرير سلوى الزاهري، ط 01، النجاح الجديدة، الدار البيضاء -المغرب-، 1429هـ/2008م.
5. ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي [ت: 711هـ/1311م]، لسان العرب، ط 03، دار صادر، بيروت، 1414هـ/1993م.
6. البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي [ت: 841هـ/1438م]، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالملفتي والحكام، تحرير محمد الحبيب الهيلة، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت -لبنان-، 2002م.
7. التونسي محمد بن عبد الله [ت: 899هـ/1494م]، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحرير محمود آغا بوعياد، وزارة الثقافة، تلمسان، الجزائر، 2011م.
8. الداودي أبو جعفر أحمد بن نصر المالكي [ت: 402هـ/1011م]، كتاب الأموال، تحرير رضا محمد سالم شحادة، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان-، 1429هـ/2008م.
9. العقباي محمد بن أحمد بن قاسم التلمساني [ت: 871هـ/1467م]، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق: على الشنوفي، Extrait du Bulletin d'Etudes Orientales de L'Institut Français de Damas Tome XIX 1967



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

10. علي الجزيري، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تتح: عبد الوهاب بن المنصور، ط01، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/1991م.

11. الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس [ت: 714هـ/1314م]، عنوان الدراسة فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببحار، تتح: عادل نويهض، ط02، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979م.

12. القرطبي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى الظاهري [ت: 456هـ/1064]، رسائل ابن حزم الأندلسى (رسالة التلخيص لوجوه التخلص)، تتح: إحسان عباس، ط01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، 1981م.

13. المازوني أبو زكريا يحيى بن موسى المغيلي [ت: 883هـ/1478م]، الدرر المكونة في نوازل مازونة، تتح: مختار حساني، ط02، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م.

14. الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، [ت: 450هـ/1058م]، الأحكام السلطانية، تتح: أحمد جاد، د.ط، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/2006م.

15. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى [ت: 914هـ/1509م]، المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، إشراف: د. محمد حجي، ط01، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط - المغرب -/دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان -، 1401هـ/1981م.

- المراجع:



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ——— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

1. جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (3-4هـ/9-10م)، ط01، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.
2. روبار برونشفيك، تاريخ إفريقيا في العهد الخصي من القرن 13 إلى غاية نهاية القرن 15م، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان-، 1988م.
3. سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ط02، دار الفكر، دمشق - سوريا، 1408هـ/1988م.
4. عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس المجري، ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1424هـ/2003م.
5. علي حيدر أفندي، أحكام الوقوف، مؤسسة الريان، د. ط-س، لبنان - بيروت -.
6. عمر بنميزة، النوازل والمجتمع - مساهمة في دراسة تاريخ الbadia بالغرب الوسيط -، ط01، مطبعة الأمانة، الرباط، 2012م.
7. كمال السيد مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المعربي للونشريسي، د. ط، مركز اسكندرية للكتاب، الاسكندرية - مصر -، 1996م.
8. محمد بن صالح العثيمين، فتح ذي الحلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ط01، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1427هـ/2006م.
9. محمد حسن، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، د. ط، دار الرياح الأربع، تونس، 1986م.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

10. مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، د.ط، منشورات الحضارة، الجزائر،

.2007

11. ناصر الدين سعیدونی، دراسات في الملكية العقارية، د.ط، المؤسسة الوطنية
للكتاب، الجزائر، 1986.

4/- الرسائل الجامعية:

1. حواسين كريمة، الملكية الشائعة في النظام القانوني الجزائري، رسالة ماجستير
في القانون، تحت إشراف: د. الغوي بن ملحة، كلية الحقوق، جامعة الجزائر، 01، السنة
الجامعية: 2013/2014.

2. طروب كامل، إحياء الموات في الفقه الإسلامي والتشريعات العربية الحديثة،
رسالة دكتوراه في الشريعة والقانون، تحت إشراف: أ.د عبد القادر بن حرز الله، كلية
العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر -باتنة، السنة
الجامعية: 2013/2014.

3. محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقيا في العهد الحفصي، كلية العلوم الإنسانية
والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، 1991.

4. محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع -أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من
[6-15هـ/12-9]، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني
-عين الشق-، الدار البيضاء -المغرب-، 1999.

5/- المقالات:

1. إبراهيم القادي بوتشيش، ملكية الأرض في الأندلس خلال عصر الإمارة،
مجلة المناهل، العدد 37، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط - المغرب-، شوال
1409هـ/ماي 1989م.



نظام ملكية الأرض في المغرب الأوسط ————— ط. عبد الصمد رباعي ود. الطيب بوسعد

2. الحبيب الجنحاني، نظام ملكية الأرض في المغرب الإسلامي (ق 1-6 هـ / 6-12 م)، مقال ضمن كتاب "المجتمع العربي الإسلامي - الحياة الاجتماعية والإقتصادية -"، د.ط، عالم المعرفة، الكويت، 2005.

3. الحسن الغرائب، تنظيم ملكية الأرض وبناء المدن بالغرب الأقصى في العصر الوسيط - فاس ومراتش أغواذجا، مقال منشور ضمن أعمال الندوة الموسومة بـ: "التاريخ والقانون - التقاطعات المعرفية والاهتمامات المشتركة -"، أعمال مهادة للأستاذ الدكتور "محمد إسماعيل"، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس - المغرب -، 3-4-5 نوفمبر 2009.

4. سعيد بن حمادة، الملكية العقارية وقانون الماء ببلاد المغرب والأندلس بين التشريع النظري والتربيل التاريخي - دراسة لأثر الجغرافيا التاريخية في تبيئة القانون -، مقال منشور ضمن أعمال الندوة الموسومة بـ: "التاريخ والقانون - التقاطعات المعرفية والاهتمامات المشتركة -"، أعمال مهادة للأستاذ مولاي إسماعيل، مكناس - المغرب -، 3-4-5 نوفمبر 2009.

5. سهام دحماني، المصطلحات الاقتصادية في كتب التوازل - نوازل المازوبي غواذجا، مقال منشور ضمن كتاب جماعي موسوم بـ: "المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب التوازل"، تحت اشراف: أ.د بوبة مجاني، ط 01، هباء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011.

6. عبد الحادي البياض، تدبیر التراع بین الفلاحین فی بودی المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط - إسهام في دراسة دور القانون والعرف في تسوية المشاكل الإجتماعية زمن السیول والجفاف -، مقال منشور ضمن أعمال الندوة الموسومة بـ: "التاريخ والقانون - التقاطعات المعرفية والاهتمامات المشتركة -"، أعمال مهادة للأستاذ الدكتور "محمد إسماعيل"، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس - المغرب -، 3-4-5 نوفمبر 2009.

7. فاطمة بلهواري، النص التوازلي للغرب الإسلامي أداة لتجدد البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مجلة عصور الحديدة، العدد 01، جامعة وهران، 2011.

6- المدخلات:

1. شوقي نذير، نوازل استثمار الأراضي الفلاحية واستصلاحها في الغرب الإسلامي من خلال كتاب المعيار للونشريسي [914-843 هـ / 1440-1509 م]، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي السادس للمذهب المالكي، وزارة الشؤون الدينية، ولاية عين الدفلة، 13-14 جمادى الأولى 1431 هـ / 28-29 أفريل 2010.



**دور الواقع الإسلامي عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه
من وجهة نظر طلبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
بقسنطينة : دراسة ميدانية**

**The role of Islamic websites via the Internet in
bringing the Quran and its sciences closer From the
viewpoint of students of the Prince Abdelkader
University of Islamic Sciences in Constantine: a field
study**

أ. د زكيت منزل غرابي

zaki.amenzel@yahoo.com

2021/01/05

تاريخ الإرسال: 2020/07/11

I. الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى معرفة دور الواقع الإسلامية في تقرير القرآن الكريم وعلومه من وجهة نظر طلبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم، طبقت الدراسة على عينة من الطلبة الجامعيين بطريقة حصصية، وتوصلت النتائج إلى أن الواقع الإسلامية قد ساهمت في تقرير القرآن وعلومه على اعتبار سهولة الوصول إلى ما يرغبون فيه، وزودتهم بالجديد، ولأنها تلبي احتياجاتهم المعرفية في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: الواقع الإسلامية؛ الطلبة؛ القرآن؛ دور؛ دراسة ميدانية

I. ABSTRACT:

This study seeks to know the role of Islamic sites in bringing the Holy Qur'an and its sciences closer together from the point of view of students of Prince Abdelkader University of Science. Easy access to what they desire, and provided them



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د زكية متول غرابة

with new, and because it meets their knowledge needs in this area.

Keywords: (not more than 05 words) **Islamic sites; Students; The Quran; Role; a field study.**

1. المقدمة:

تعد الدراسات القرآنية، وعلى الأخص مجال القرآن وعلومه من المجالات المهمة التي خصت بالاهتمام من قبل الباحثين على مختلف تخصصاتهم، وقد قدمت المؤسسات الأكاديمية خدمات كبيرة، وحليلة على هذا المستوى، ولئن بقيت هذه الإسهامات حبيسة الطرح الأكاديمي، وإنشاء تخصصات بشأنها كأقسام خاصة في الجامعات تعنى بالقرآن الكريم ومختلف العلوم المرتبطة به، فإنه على المستوى الإعلامي ونتيجة الثورة التكنولوجية التي عممت مختلف نواحي الحياة عملت بعض الجهات المهمة بهذا المجال في محاولة منها تقرير جميع ما يرتبط بالقرآن وعلومه إلى مختلف شرائح المجتمع فأعدت برامج خاصة بهذا المجال على مستوى القنوات الفضائية، وعلى شاكلتها استثمر بعض المهتمين بالدراسات القرآنية شبكة الأنترنت لتوسيع دائرة التواصل مع مختلف شرائح المجتمع عن طريق إنشاء موقع إسلامية يكون فيه نصيب من الاهتمام بالقرآن وعلومه أو تخصيص موقع هكذا بشكل خاص بمجال القرآن وعلومه لما تتميز به من سهولة الاستخدام والتفاعلية، ويعد طلبة الجامعة من الشرائح التي تستهدفها هذه الواقع لتجعل القرآن وعلومه بين يدي هؤلاء وتقريره منهم، وانطلاقاً من ذلك جاءت هذه الدراسة لتبث في الدور الذي تلعبه الواقع الإسلامية في تقرير القرآن وعلومه من وجهة نظر طلبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

2. المبحث الأول: موضوع الدراسة



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د زكية متول غربة

يتوجب على الباحث في مجال البحث العلمي أن يحدد بشكل جلي جميع الخطوات التي تتناول معطيات الدراسة محل البحث، لأن ذلك سيسعى في الإطار السليم، ويوصله إلى تحقيق الأهداف المرجوة من الدراسة، ويسهل على القارئ فهم المسار الذي يتجه إليه الموضوع وفق المعطيات التي حددها الباحث مسبقا.

1.2 الإشكالية:

لا يختلف اثنان في أننا نعيش عصر الثورة التكنولوجية التي أحدثت تغييرات جذرية في عالم الاتصالات، وال العلاقات على مستويات مختلفة، فقد أتاحت هذه النقلة النوعية في عالم الاتصال فرصة الحصول على المعلومة في أوانها ولحظة حدوثها في عام السياسة، والفن، والثقافة، والأخبار والدين، وغيرها مما لا يخطر على بال، وأصبح الفرد أمام سيل من المعلومات التي قد تتوافق أو تتضارب مع قيمه التي اكتسبها من المجتمع الذي نشأ فيه .

وتعود شبكة الإنترت من أعظم تجليات هذا التطور التكنولوجي، فقد حولت العالم إلى قرية صغيرة، سهلت معها سبل التواصل، وتبادل المعلومة، وساهمت في ظهور العديد من الواقع الإلكترونية التي اهتمت بصنوف المعرفة انطلاقا من فلسفة أصحابها ومعتقداتهم.

وللخصائص التي تمتاز بها شبكة الأنترنت من سرعة وصول المعلومة، وقلة التكلفة والتفاعلية التي تحدث بين طرفين عملية الاتصال، استثمر الغيورون على الدين الإسلامي شبكة الأنترنت لإيصال المضمون الإسلامي، والدفاع عن الإسلام فأنشأوا العديد من الواقع الإسلامية، وتباري القائمون عليها على تقديم المضمون الإسلامي بطرق متعددة، وقد تنوّعت مضامين الواقع الإسلامية بين مهتم بالمضمون الإسلامي ككل، وبين تلك التي احتضنت في مجال من مجالات المعرفة الدينية، ويعتبر مجال القرآن وعلومه واحدا من

دور المواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د زكية متزل غرابه

أهم هذه المضامين الإسلامية التي ملأت فضاء شبكة الانترنت في محاولة لتسهيل فهمه وتقريره للجمهور المستخدم لمثل هذه الواقع، وخدمة للمرجعية الأولى لدى المسلمين.

وتعتبر شريحة الطلبة الجامعيين من بين شرائح المجتمع الأكثر إقبالاً على الواقع الإسلامي، وقد أشارت نتائج إحدى الدراسات الميدانية أن من أهم المضامين التي يقبل عليها هؤلاء على شبكة الانترنت هو القرآن الكريم وتفسيره¹، وأوضحت نتائج دراسة أخرى أن استخدام الشباب للموقع الإسلامي هو بداعٍ تحميل تلاوات القرآن التي تقدمها الخدمات القرآنية².

وما لا شك فيه أن مثل هذا الإقبال على الواقع التي تقدم صنوف المعرفة الدينية في مجال القرآن وعلومه سواء عبر الواقع الإسلامية العامة أو تلك المتخصصة في هذا الشأن من شأنه أن يقرب هذه المضامين ويسهل فهمها والحصول على المبتغى لدى مرعيتها من فقه الطلبة الجامعيين .

تساؤلات الدراسة:

وانطلاقاً مما سبق ومن أجل معرفة دور الواقع الإسلامية كوسيلة إعلامية واتصالية في تقرير القرآن وعلومه لدى طلبة الجامعة، يمكن صياغة إشكالية الدراسة وفق التساؤل المخوي الرئيس: ما دور الواقع الإسلامية عبر الانترنت في تقرير القرآن وعلومه من وجهة نظر طلبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة؟

^١- إسلام عاطف رجب أحمد حجازي، العلاقة بين تعرض الشباب الجامعي للمواقع الإسلامية على الانترنت ومستوى المعرفة لديه بالقضايا المعاصرة: دراسة ميدانية، ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنوفية، 2010، ص.291.



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د زكية متول غربا

وتتفرع عن هذا التساؤل الرئيس مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي:

- ما مدى اهتمام عينة الدراسة بالقرآن وعلومه عبر الواقع الإسلامية؟

- ماهي دوافع الطلبة للتعرض لمضامين القرآن وعلومه في الواقع الإسلامية على

شبكة الانترنت؟

- إلى أي مدى أسمحت تلك الواقع في تقرير القرآن وعلومه إلى الطلبة عينة

الدراسة من وجهة نظرهم؟

- ما هي الحالات التي أسمحت تلك الواقع في تقرير القرآن وعلومه من خلالها

إلى الطلبة عينة الدراسة؟

- هل هناك فروق في تلك النتائج بين الطلبة عينة الدراسة من حيث النوع

والشخص؟

2.2 أهمية الدراسة: تكتسب هذه الدراسة أهميتها من الزوايا الآتية:

- من كونها ترتبط بأقدس كتاب سماوي أنزل وهو القرآن الكريم، وما لا شك

فيه أن القرآن الكريم هو الدستور الذي يتضمن محمل الأحكام التي أقرها، والأداب

والأخلاق التي سنها، وال عبر التي أوردها من خلال قصص الأنبياء، والتي تعتبر جانبا

عملياً مختلف الأسلوب، والمناهج التي اعتمدواها في دعوتهم إلى الله تعالى، وتعارفهم

بسنن الارتفاع والسقوط وبالتالي فإن هذه الدراسة ستحاول إبراز اهتمام عينة الدراسة

بهذا الكتاب المقدس .

-كون هذه الدراسة تتناول بالدراسة الواقع الإسلامية، ولا شك فإن هذه

الأخيرة قد منحت للقرآن الكريم والعلوم المرتبطة به آليات جديدة في إيصال المعلومة

بطريقة لا يمكن توافرها في أي وسيلة اتصالية أخرى من حيث التفاعلية وسرعة وصول



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د. زكية متول غربا

المعلومة، وإمكانية إحداث التأثير المطلوب مباشرة، ومن ثم تتأتى أهمية الدراسة في الوقوف على مدى استفادة القرآن الكريم وعلومه من هذه التقنية الجديدة في عملية التواصل مع المتلقين .

-كون هذه الدراسة تتطرق إلى دور الواقع الإسلامية في تقرير القرآن الكريم وعلومه من وجهة نظر المتلقين ونقصد هنا فئة طلبة جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، حيث إن النتائج التي ستتوصل إليها هذه الدراسة ستمكن القائمين على هذه الواقع من الاستفادة منها في تطوير آليات استثمار الوسائل التي تتوفر عليها شبكة الانترنت في تقرير القرآن الكريم وعلومه بشكل أكثر إيجابية .

3.2 أهداف الدراسة: تتroxى الدراسة التي بين أيدينا تحقيق جملة من الأهداف

وهي:

- الوقوف على مدى اهتمام عينة الدراسة بالقرآن وعلومه على مستوى الواقع الإسلامية .

- التعرف على دوافع لجوء عينة الدراسة إلى الواقع الإسلامية في مجال القرآن وعلومه .

- التعرف على دور الواقع الإسلامية في تقرير القرآن وعلومه على المستويات الآتية (على مستوى القرآن الكريم، على مستوى القرائية أي القراءات والقراء، على مستوى مجال التفسير).

4.2 تحديد المفاهيم: تضمنت الدراسة مجموعة من المفاهيم يمكن ضبطها وفق

الآتي:

1- الدور:



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د زكية متول غربة

أ- لغة: دور، دار الشيء، يدور، دوار ودوارنا ودوار، واستدار، وأدرته أنا ودورته، وأداره غيره دور به، ودرت به، وأدرت، استدرت، ودوره مداورة أو دوار، دار معه¹.

ب-اصطلاحا:

يستخدم مفهوم الدور ليشير إلى مجموعة الواجبات والحقوق أو السلوك المتوقع من الشخص الذي يشغل مركزاً اجتماعياً في موقف معين².

يشير الدور إلى مجموعة القيم والمعايير التي تحدد السلوك المتوقع القيام به من طرف شخص ما، بناء على مكوناته وسمات شخصيته وميزاته الفردية. كما يشير من جهة أخرى إلى الأسلوب أو الطريقة المميزة التي يؤدي بها شخص ما النشاط المتوقع منه القيام به في موقع معين³.

2- الواقع الإسلامية: هي تلك الصفحات التي يتضمنها الموقع الإلكتروني والتي تتناول الموضوعات المختلفة بناء على التصور الإسلامي .

¹- جمال الدين أبي الفضل مجد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، مج 4، ص 295.

²- عاطف عبد الواحد الحاكم إدريس، دور المؤسسات الدعوية الإسلامية في التنمية البشرية: دراسة حالة منظمة الدعوة الإسلامية، ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2015، ص 37.

³- أمينة قيواحي، صراع الدور وتأثيره عمى الأداء الوظيفي، مجلة دراسات في علم اجتماع المنظمات، إصدار علم مخبر علم الاجتماع المنظمات، جامعة الجزائر 2، مج 2، ع 12، 2018، ص 29.



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د زكية متول غرابة

3- علوم القرآن: عرفه أحد المعاصرين بأنه جملة من أنواع المعلومات المضبوطة ضبطا خاصا المتعلقة بالقرآن الكريم من حيث نزوله وقراءته ومكيه ومدينه وأسباب نزوله وما إلى ذلك¹.

4- الطالب: هو ذلك الشخص الذي يمتلك شهادة البكالوريا، وبمحبها يمكن له تلقي التعليم في مؤسسات التعليم العالي في تخصصات معينة بصورة نظامية، يتوج مساره العلمي بحصوله على شهادة جامعية، والطالب الجامعي في دراستنا هو جميع طلبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية والذين يتبعون إلى كلية أصول الدين والآداب واللغات على اختلاف مستوياتهم وتخصصاتهم.

5- الجامعة: هي المكان الذي تتم فيه المناقشة الحرة المفتوحة بين المعلم والمتعلم، وذلك بهدف تقييم الأفكار والمفاهيم المختلفة ، وهي أيضا المكان الذي يتم فيه التفاعل بين أعضاء هيئة التدريس بين مختلف التخصصات وكذلك بين الطلاب المتعلمين في هذه التخصصات².

وتعرف أيضا بأنها تلك المؤسسة التربوية التي تقدم لطلابها الحاصلين على شهادة الثانوية العامة وما يعادلها تعليما نظريا معرفيا ثقافيا يتبنى أساسا إيديولوجية وانسانية يلازمها تدريب منهجي، بهدف إخراجهم إلى الحياة العامة كأفراد منتجين، فضلا عن

¹- عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، القرآن الكريم في الأفلام الوثائقية، بحث مقدم ضمن المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 16-2-2013م، ص 234.

²- فتحية حنك، رضوان بواب، الجامعة والوظيفة الخدمية للمجتمع (الوظيفة الثالثة)، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، جامعة زيان عاشور، الجلفة، مج 11، ع 1، 2020م، ص 171.



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د زكية متول غربا

مساهمتها في معالجة القضايا الحيوية التي تظهر على فترات متفاوتة في المجتمع وتأثير على تفاعلات هؤلاء الطلاب المختلفة¹.

التعريف الإجرائي دور الواقع الإسلامية في تقرير القرآن الكريم وعلومه من وجهة نظر طلبة جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة: وتعني به هنا مدى قدرة الواقع الإسلامية سواء العامة أو تلك التي تكتن بالقرآن وعلومه على تقرير القرآن وعلومه من وجهة نظر طلبة الأمير عبد القادر (كلية الآداب واللغات وأصول الدين) من حيث إمدادهم بمختلف المضامين التي تعنى ب مجالات القرآن وعلومه والتي تضمنها استماره الاستبيان .

5.2 الدراسات السابقة:

ورد في هذه الدراسة مجموعة من الدراسات يمكن عرضها في الآتي:

دراسة بعنوان: **النهوض بالمؤسسات القرآنية عبر الإعلام الجديد**²:

جاءت هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على أهمية الإعلام الجديد ووسائل نهوض هذا النوع من الإعلام بالمؤسسات القرآنية المختلفة وأوجه الاستفادة من الإعلام الجديد .

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات أهمها:

¹- فريدة العلمي، فريدة العلمي، رزية رواجبي، دور الجامعة بين جدلية انتاج المعرفة وتحقيق الأهداف المطلوبة من المجتمع، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، كلية العلوم القانونية والسياسية، جامعة محمد بوضياف، جامعة المسيلة، مج 1، ع 7، سبتمبر 2017، ص 209.

²- نايف ابراهيم كريري، **النهوض بالمؤسسات القرآنية عبر الإعلام الجديد**، بحث مقدم ضمن ضمن المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 16-2-2013 ، ص ص: 150-182.



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د. زكية متول غربا

- يمكن للإعلام أن يخدم المؤسسات القرآنية ويعمل على النهوض بدورها من المحلية إلى العالمية طبقاً للمعطيات التي يوفرها هذا الإعلام
- إيجاد أقسام متخصصة في مجال الإعلام الجديد داخل المؤسسات القرآنية المختلفة.

- توفير الوسائل والإمكانات والتجهيزات الشاملة لمواكبة الإعلام الجديد داخل المؤسسات القرآنية

- إيجاد كوادر بشرية المتخصصة في مجال الإعلام الجديد التي تباشر العمل في هذا الجانب داخل المؤسسات القرآنية.

- افتتاح المؤسسات القرآنية على مختلف الوسائل الإعلامية في الإعلام الجديد .

دراسة حول القرآن وعلومه في الأفلام الوثائقية¹:

تهدف إشكالية هذه الورقة البحثية إلى محاولة توظيف الوسائل الإعلامية ما يعرف (بالأفلام الوثائقية) لصالح القرآن الكريم وعلومه .

وقد توصل البحث إلى مجموعة من التوصيات أهمها:

- عقد ورشة يجتمع فيها من خلالها بعض المتخصصين في الدراسات القرآنية الواقعين لأهمية هذا التوظيف والمدركون لأبعاده مع بعض الفنانين الإعلاميين والمتخرجين للأفلام الوثائقية وذلك لوضع رؤية واضحة حول القضية يتم من خلالها الانطلاق نحو التنفيذ

- أن تقوم أحد الجهات المتخصصة في الدراسات القرآنية ولتكن مركز تفسير بإقامة جائزة للأفلام الوثائقية في القرآن الكريم وعلومه من أهدافها: محاولة توثيق كل ما

¹ - عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، القرآن الكريم في الأفلام الوثائقية، بحث مقدم ضمن ضمن المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، مرجع سابق، ص ص: 225-260 .



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د زكية متول غربة

يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه، وتشجيع الشباب المسلم على توثيق كل ما يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه بقطاهم الخاصة .

- أن تقوم عد من جهات المتخصصة في الدراسات القرآنية بتنفيذ بعض الأفلام والسلسل الوثائقية الخاصة بالقرآن الكريم وعلومه وتكون مناسبة لسياسة الجهة، ثم يتم تسويقه أو بيعه في القنوات الفضائية .

دراسة بعنوان: واقع القراءات القرآنية في موقعي اليوتيوب والفايسبوك¹ :

تقوم إشكالية هذه الدراسة على محاولة تقديم قراءة وصفية لواقع القراءات القرآنية في موقعي اليوتيوب والفايسبوك ومدى الاستفادة منها في تعليم القراءات القرآنية ونشرها وتحفيظها وتقديم نقد وفق أسس علمية وتقنية للتعرف إلى مدى قدرة الموقعين على نشر هذا العلم ثم تقديم رؤية مناسبة تتفق مع روح القراءات القرآنية وواقعها عبر تقديم نماذج تطبيقية يمكن أن تساهم في نشر القراءات وفق رؤية قائمة على منهج السلف رضوان الله عليهم .

نوع الدراسة والمنهج المستخدم: يمكن القول بأن هذه الدراسة تندرج ضمن البحوث الوصفية وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- ضرورة مراعاة الدقة في المادة المعروضة وخاصة إذا تعلق الأمر بكتاب الله تعالى والاهتمام بالتوثيق العلمي .

- يجب عرض المادة العلمية ومقاطع الفيديو المتعلقة بالبرمجيات المختلفة على مختصين قبل نشرها ووضعها على شبكة الانترنت .

¹ - تقي الدين عبد الباسط التميمي، واقع القراءات القرآنية في موقعي اليوتيوب والفايسبوك، بحث مقدم ضمن المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، مرجع سابق، ص ص: 307-358.



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د زكية متول غربة

- تبقى مثل هذه الواقع صالحة لنشر القراءات لا لتعليمها والإتقان فيها وإعطاء الإجازة، فقد اعتاد السلف تعليم القراءات القرآنية في المسجد بأخذ الطالب عن شيخه والسماع منه، ومن ثم إجازته للقراءة والإقراء .

3. المبحث الثاني: الإجراءات المنهجية للدراسة

1.3 نوع الدراسة والمنهج المستخدم:

تصنف هذه الدراسة ضمن البحوث الوصفية وهي "تلك تستهدف تقويم خصائص ظاهرة معينة، أو موقف تغلب عليه صفة التحديد، وتعتمد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالتها، ونصل عن طريق ذلك إلى إصدار تعليمات بشأن الموقف أو الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها"¹، وتبعاً لذلك تم اعتماد منهج المسح الوصفي باعتباره المنهج الأنسب مثل هذه الدراسات ومنهج المسح هو "محاولة منظمة لجمع البيانات وتحليل وتفسير وتقدير الوضع الراهن لموضوع ما في بيئه محددة ووقت معين، أي أن البحث المصحح ينصب على الوقت الراهن، كما أنه يهدف إلى الوصول إلى بيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وعميمها وذلك للاستفادة منها مستقبلاً".²

2.3 أداة جمع البيانات:

تم الاعتماد في جمع البيانات في هذه الدراسة على استماراة الاستبيان ويعرف الاستبيان على أنه "مجموعة من الأسئلة والاستفسارات المتنوعة المرتبطة بعضها بعض في

¹ - سمير محمد حسين، بحوث الإعلام: الأسس والمبادئ، عالم الكتب، القاهرة، 1976م، ص123.

² - فاطمة عوض صابر، ميرفت علي خفاجة، أسس ومبادئ البحث العلمي، مطبعة الإشعاع العلمي، القاهرة، ط1، 2002م



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د زكية متول غربة

شكل يحقق المدف أو الأهداف التي يسعى إليها الباحث، وذلك في موضوع البحث
والمشكلة التي اختارها.¹

وقد شملت الاستماراة بعد إخضاعها للتحكيم لمعرفة الصدق الظاهري على
مجموعة من الأساتذة المختصين حيث تم الأخذ باللاحظات المطلوبة لتكون صالحة
للتطبيق، وقد تضمنت الاستماراة في صورتها النهائية المحاور الآتية:

المحور الأول: تضمن البيانات الأولية لعينة الدراسة متمثلة في متغير الجنس
والشخص .

المحور الثاني: شمل مجموعة الأسئلة التي تحدد اهتمام عينة الدراسة بالقرآن وعلومه
في الواقع الإسلامية

المحور الثالث: تضمن الأسئلة الخاصة بدور الواقع الإسلامية في تقرير القرآن
وعلومه من منظور طلبة الجامعة عينة الدراسة، وقد حددنا هذه الأسئلة في: القرآن،
القراءات، القرآن والتلاوة، علوم التفسير .

3.3 مجال الدراسة:

المجال الجغرافي: أي الإطار المكاني الذي أجريت فيه الدراسة الميدانية، وقد شمل
هذا كلية الآداب واللغات وأصول الدين بجامعة الأمير عبد القادر وهي إحدى الجامعات
الجزائرية التي تقدم بالعلوم الإسلامية وموقعها في قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري.

¹ - عامر القنديجي، "البحث العلمي" واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، ط 1 (دار المسيرة، دم، 2008) ص 165.



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د زكية متول غربة

المجال الزمني: تم إجراء الدراسة خلال سنة 2017م بالضبط في شهر أكتوبر.

المجال البشري: استهدفت الدراسة الميدانية طلبة كلية أصول الدين وطلبة كلية الآداب، وقد أجريت الدراسة على هؤلاء الطلبة دون غيرهم لعلاقتهم بالدراسات الإسلامية من جهة ولسهولة التواصل معهم باعتبار أن الباحثة تعمل في هذه الجامعة .

4.3 مجتمع الدراسة وعيتها:

يطلق مجتمع الدراسة ليعرف على أنه "مجموعة المفردات التي يستهدف الباحث دراستها فهو المجتمع الأكبر أو الكلي الذي يتم تعميم نتائج الدراسة على كل مفرداته"¹.
ويعتبر جميع طلبة كلية أصول الدين والآداب المجتمع الكلي للدراسة الحالية، وما أنه يستحيل إجراء الدراسة على جميع المفردات فقد جلأنا إلى اختيار عينة ممثلة، وهي العينة الحصصية، والعينة الحصصية هي التي "يختار أفرادها على من بين الجماعات أو الفئات ذات الخصائص المعينة بنسبية الحجم العددي لهذه الجماعات وبشروط محددة سابقا"² وانطلاقاً من ذلك تم اختيار 50 مفردة من كلية أصول الدين و50 مفردة من كلية الآداب بما يمجموعه 100 مفردة من كلا الكليتين، ويفصلها من حيث النوع اختيار 25 مفردة من الذكور و25 مفردة من الإناث بالتساوي من كلا الكليتين.

الكلية	ذكور	إناث	المجموع الكلي
كلية أصول الدين	25	25	50

¹ - محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2004م، ص 130.

² - رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي: أساسياته ومارسته العملية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص 315.



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د. زكية متول غربة

50	25	25	كلية الآداب
100	50	50	المجموع

4. المبحث الثالث: رصد نتائج الدراسة الكمية:

1.4 المhor الأول: اهتمام عينة الدراسة بالقرآن وعلومه على مستوى الواقع

الإسلامية:

1- درجة استخدام عينة الدراسة للموقع الإسلامية حسب متغير النوع:

جدول رقم (1) يبين درجة استخدام عينة الدراسة للموقع الإسلامية حسب

متغير النوع

المجموع		ذكور		إناث		نوع	متغير
%	ت	%	ت	%	ت		
درجة استخدام عينة الدراسة للموقع الإسلامية							
دائما	%16	16	%18	9	%14	7	
أحيانا	%64	64	%54	27	%74	37	
نادرا	%20	20	%28	14	%12	6	
مج	%100	100	%100	50	%100	50	

بالنظر في نتائج الجدول أعلاه يلاحظ بأن عينة الدراسة تستخدم الواقع الإسلامية

أحيانا في الترتيب الأول بنسبة 64%， ونادرا في الترتيب الثاني بنسبة 20%， في حين

جاءت نسبة دائما في الترتيب الثالث بنسبة 16%， وتبين هذه النتائج أن . و تؤكد هذه

النتائج أن استخدام عينة الدراسة للموقع الإسلامية هو استخدام عقلاي لا يرقى إلى

مستوى الإدمان الذي يؤثر على بشكل سلبي على علاقة الشباب الجامعي بهذا الوسيط



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د زكية متول غرابة

التكنولوجي، وتشير النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الإناث والذكور في درجة استخدام الجنسين للمواقع الإسلامية.

2- درجة استخدام عينة الدراسة للمواقع الإسلامية حسب متغير التخصص:

جدول رقم (2) يبين درجة استخدام عينة الدراسة للمواقع الإسلامية حسب

متغير التخصص

الأداب		أصول الدين		عينة الدراسة والتخصص درجة استخدام العينة للمواقع الإسلامية
%	نسبة	ت	%	
%8	4	%24	12	دائما
%70	35	%38	29	أحيانا
%22	11	%18	9	نادرا
%100	50	%100	50	مج

تشير النتائج المتوصّل إليها في الجدول رقم (2) أن طلبة كلية الآداب يستخدمون الواقع الإسلامية أحياناً بنسبة 70% مقابل 38% بالنسبة لطلبة كلية أصول الدين ، بينما يستخدمها بصفة نادرة بنسبة 22% مقابل 9% بالنسبة لطلبة كلية أصول الدين . في حين يقر طلبة كلية أصول الدين بصفة دائمة بنسبة 12% مقابل 8% بالنسبة لطلبة كلية الآداب وتأكد هذه النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة بين طلبيتي الكليتين وأن الاستخدام يبقى راجع لنفرغ هؤلاء ورهين احتياجهم للدخول إلى الواقع الإسلامية مثلها مثل أي استخدام للشبكة الأنترنيتية عموما .

3- المضامين التي تهتم بها عينة الدراسة حسب متغير النوع:

جدول رقم (3) توضح المضامين التي تهتم بها عينة الدراسة حسب متغير النوع



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د زكية متول غرابة

المجموع		ذكور		إناث		الدراسة والنوع المضامين التي تقتسم بها عينة الدراسة
		%	النسبة	%	النسبة	
%16 ، 14	34	%29 ، 17	23	%28 ، 10	11	العقيدة
%91 ، 22	55	%80 ، 21	29	%29 ، 24	26	القرآن وعلومه
%25 ، 16	39	%04 ، 18	24	%01 ، 14	15	المتفرقات الإسلامية
%16 ، 14	34	%77 ، 9	13	%62 ، 19	21	الفكر والثقافة
%5 ، 12	30	%78 ، 15	21	%41 ، 8	9	التاريخ الإسلامي
%58 ، 14	35	%52 ، 10	14	%62 ، 19	21	السيرة النبوية
%41 ، 5	13	%76 ، 6	9	%73 ، 3	4	آخرى تذكر
%100	240	%100	133	%100	107	مج

يلاحظ من خلال الجدول رقم (3) بجيء القرآن الكريم وعلومه في الترتيب الأول بنسبة 22، 91%， يليه المتفرقات الإسلامية في الترتيب الثاني بنسبة 16، 25%， يليها السيرة النبوية بنسبة 14، 58% ثم العقيدة والفكر والثقافة بنسبة 14، 16% لكل منهما، ثم التاريخ الإسلامي بنسبة 12، 5%， وبنسبة 5، 41% في الترتيب الأخير بالنسبة ل نوعية أخرى من المضامين، و تؤكد هذه النتائج اهتمام عينة الدراسة بالقرآن الكريم وعلومه مما يؤكّد أهمية الدراسة التي بين أيدينا .

وتفصيلاً فإن الإناث لهن اهتمام بمضمون القرآن وعلومه بنسبة 24، 29% مقابل 21، 80% بالنسبة للإناث، يليه المتفرقات الإسلامية بالنسبة للذكور بنسبة 18، 04% مقابل 14، 01% للإناث، والعقيدة بنسبة 17، 29% بالنسبة للذكور مقابل 10، 28



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د زكية متول غربة

% للإناث، أما السيرة النبوية فجاءت بنسبة 19، 62 % للإناث مقابل 10، 52 بالنسبة

للذكور .

4- المضامين التي تهم بها عينة الدراسة حسب متغير التخصص:

جدول رقم (4)المضامين التي تهم بها عينة الدراسة حسب متغير التخصص:

				عينة الدراسة والتخصص	المضامين التي تهم بها عينة الدراسة
الآداب	أصول الدين	النسبة%	النسبة%		
%69، 7	8	%84، 19	26		العقيدة
%92، 26	28	%61، 20	27		القرآن وعلومه
%53، 11	12	%79، 16	22		المتفرقات الإسلامية
%23، 19	20	%68، 10	14		الفكر والثقافة
%42، 14	15	%45، 11	15		التاريخ الإسلامي
%34، 16	17	%74، 13	18		السيرة النبوية
%84، 3	4	%87، 6	9		آخر تذكر
%100	104	%100	131		مج

توضح النتائج المتوصل إليها أن القرآن الكريم جاء في الترتيب الأول بالنسبة لكليات الآداب بنسبة 26، 92 % مقابل نسبة 20، 61 %، في حين جاءت العقيدة في الترتيب الأول بالنسبة لطلبة كلية أصول الدين بنسبة 19، 69 % مقابل 7، 84 %، وجاء الفكر والثقافة بالنسبة لطلبة كلية الآداب بنسبة 19، 23 % مقابل 10، 68 % بالنسبة لطلبة كلية أصول الدين، وجاءت السيرة النبوية بنسبة 16، 34 لطلبة كلية الآداب مقابل نسبة 16، 42 % لطلبة كلية أصول الدين، وبالنسبة للتاريخ الإسلامي فجاء بنسبة 14، 34



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د زكية متول غربة

بالنسبة لطلبة كلية الآداب مقابل 11، 45 % بالنسبة لطلبة كلية أصول الدين . و على أية حال فنعتقد حسب الاحصائيات أنه لا توجد فروق ذات دلالة بالنسبة لاهتمام عيني كل من طلبة كلية الآداب وأصول الدين .

5- الواقع الإسلامية التي يستفيد منها الطلبة في مجال القرآن وعلومه وتغير النوع

جدول رقم (5) الواقع الإسلامية التي يستفيد منها الطلبة في مجال القرآن

علومه والنوع

المجموع		ذكور		إناث		عينة الدراسة
		% النسبة	ت	% النسبة	ت	
،46 %72	57	%26 ،46	31	%33 ،43	26	الموقع الإسلامية العامة
،13 %93	17	%43 ،13	9	%33 ،13	8	الموقع الإسلامية المتخصصة في القرآن فقط
،39 %34	48	%83 ،32	22	%33 ،43	26	الموقع الإسلامية التي تجمع بين القرآن وعلومه
%0	0	%46 ،7	5	%0	0	آخر تذكر
%100	122	%100	67	%100	60	مج



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د. زكية متول غربة

تبين النتائج الحصول عليها في الجدول أعلاه أن الواقع الإسلامية العامة تمثل إحدى أهم الواقع الإسلامية من حيث استفادة عينة الدراسة بالقرآن الكريم وعلومه بنسبة 46% في حين جاءت الواقع التي تجمع بين القرآن الكريم وعلومه في الترتيب الثاني بنسبة 34%，يليها الواقع المتخصصة في القرآن الكريم وحده في الترتيب الثالث بنسبة 13%，. 93%

وتفصيلاً فإن الذكور يستفيدون في مجال القرآن وعلومه من الواقع الإسلامية العامة بنسبة 46%，مقابل 33% للإناث، وتستفيد الإناث من الواقع التي تجمع بين القرآن وعلومه في ترتيب أول بنسبة 33%，مقابل 32%，لذلك، في حين لا فارق بين الذكور والإناث في استفادتهم من الواقع التي تقتصر فقط بالقرآن الكريم في ترتيب ثالث بنسبة 13%，لذلك مقابل 13%，للإناث .

6- الواقع الإسلامية التي تستفيد منها عينة الدراسة في مجال القرآن وعلومه

حسب متغير التخصص:

جدول رقم (6) الواقع الإسلامية التي تستفيد منها عينة الدراسة في مجال

القرآن وعلومه حسب متغير التخصص:

عينة الدراسة	الموقع التي تستفيد منها عينة الدراسة في مجال القرآن وعلومه			
	الأداب	أصول الدين	النسبة	النسبة
الموقع الإسلامية العامة	31	%80، 38	26	%50، 81
الموقع الإسلامية المتخصصة في القرآن فقط	7	%92، 14	10	%11، 47
الموقع الإسلامية التي تجمع بين القرآن وعلومه	22	%80، 38	26	%36، 06
آخر تذكر	1	%46، 7	5	%1، 63



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د. زكية متول غربة

%100	61	%100	67	مج
------	----	------	----	----

يستفيد طلبة كلية الآداب من الواقع الإسلامية العامة في الترتيب الأول بنسبة 50، 81% مقابل 38، 80% طلبة كلية أصول الدين بنسبة، في حين جاء في الترتيب الأول استفادة طلبة كلية أصول الدين في مجال القرآن وعلومه من الواقع التي تجمع بين القرآن وعلومه مقابل 36، 06%， يليه الواقع التي تقتصر بالقرآن فقط بالنسبة لطلبة أصول الدين بنسبة 14، 92% مقابل 11، 47% بالنسبة لطلبة كلية الآداب .

7-أسماء الواقع التي تستفيد منها عينة الدراسة في مجال القرآن وعلومه ومتغير

النوع:

جدول رقم (7) أسماء الواقع التي تستفيد منها عينة الدراسة في مجال القرآن

علومه ومتغير النوع

المجموع	ذكور		إناث		عينة الدراسة أسماء الواقع التي تستخدمنها عينة الدراسة	
	النسبة	ت	النسبة	ت		
%66، 12	19	%38، 15	12	%72، 9	7	موقع صيد الفوائد
%16	24	%23، 19	15	%38، 26	19	موقع شبكة الألوكة
%32	48	%20، 28	22	%11، 36	26	موقع تفسير القرآن وعلومه
%66، 24	37	%98، 17	14	%05، 18	13	موقع موسوعة علوم القرآن
%33، 7	11	%69، 7	6	%94، 6	5	المبادرة العالمية لتدبر القرآن الكريم
%33، 7	11	%53، 11	9	%77، 2	2	أخرى



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د. زكية متول غربا

%100	150	%100	78	%100	72	مج
------	-----	------	----	------	----	----

تشير نتائج الجدول المبين أعلاه أن موقع تفسير القرآن وعلومه يشكل أحد أهم الواقع الإسلامية التي يستفيد منها المبحوثون في مجال القرآن وعلومه في الترتيب الأول بنسبة 32% يليها موقع موسوعة علوم القرآن بنسبة 24%， ثم موقع شبكة الألوكة بنسبة 16% وموقع صيد الفوائد بنسبة 12%， في حين جاء موقع الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم وموقع أخرى في ترتيب أخير بنسبة 7%， 33%.

وفصيلاً فإن موقع تفسير القرآن وعلومه جاء في الترتيب الأول بالنسبة للإناث بنسبة 36، 3%， مقابل 28، 20% للذكور، يليها في الترتيب الثاني موقع شبكة الألوكة بنسبة 38، 38% بالنسبة للإناث مقابل 19، 23% للذكور، وجاء موقع موسوعة القرآن الكريم في ترتيب ثالث بالنسبة للإناث بنسبة 18%， 05 مقابل 17، 98% للذكور، وبالنسبة لموقع صيد الفوائد فقد جاء بنسبة 15، 38% بالنسبة للذكور مقابل 9، 92%， وجاء موقع الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم نسبة 7، 69% مقابل نسبة 6، 94% للإناث .

8- أسماء الواقع التي تستفيد منها عينة الدراسة في مجال القرآن وعلومه ومتغير التخصص

جدول رقم (8) أسماء الواقع التي تستفيد منها عينة الدراسة في مجال القرآن وعلومه ومتغير التخصص:

الآداب النسبة	الأداب ت	أصول الدين النسبة ت		عينة الدراسة أسماء الواقع التي تستخدمنها عينة الدراسة	
		الأداب النسبة ت	أصول الدين النسبة ت	عينة الدراسة الأداب النسبة ت	الأداب النسبة ت



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د زكية متول غرابه

موقع صيد الفوائد	12	%63 ، 14	7	%85 ، 9
موقع شبكة الألوكة	24	%26 ، 29	10	%08 ، 14
موقع تفسير القرآن وعلومه	19	%17 ، 23	29	%84 ، 40
موقع موسوعة علوم القرآن	12	%63 ، 14	15	%12 ، 21
الم الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم	7	%53 ، 8	4	%63 ، 5
اخرى تذكر	8	%75 ، 9	6	%45 ، 8
مج	82	%100	71	%100

جاء موقع صيد الفوائد في الترتيب الأول بالنسبة لطلبة كلية أصول الدين بنسبة 14% مقابل نسبة 9% بالنسبة لطلبة كلية الآداب، في حين شكل موقع تفسير القرآن وعلومه أهم موقع بالنسبة لطلبة كلية الآداب بنسبة 40% مقابل 23% بالنسبة لطلبة كلية أصول الدين، أما موقع شبكة الألوكة فقد جاء في الترتيب الثاني بالنسبة لطلبة كلية أصول الدين بنسبة 29% مقابل نسبة 17% لطلبة كلية الآداب، وجاء موقع موسوعة القرآن الكريم في الترتيب الثاني بالنسبة لطلبة كلية الآداب بنسبة 21% مقابل 14% بالنسبة لطلبة كلية أصول الدين، وورد موقع الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم في ترتيب متاخر بالنسبة لطلبة كلية أصول الدين بنسبة 5% مقابل نسبة 5% بالنسبة لطلبة كلية الآداب.

9- الوسائل التي تستخدمها عينة الدراسة في الوصول إلى احتياجاتها في مجال علوم القرآن وعلومه ومتغير النوع:

جدول رقم (9) الوسائل التي تستخدمها عينة الدراسة في الوصول إلى احتياجاتها في مجال علوم القرآن وعلومه ومتغير النوع:



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د. زكية متول غربة

المجموع			ذكور		إناث		عينة الدراسة الوسائل التي تستخدمها عينة الدراسة في مجال الحصول على المعرف في القرآن وعلومه
%	ت	النسبة	ت	النسبة	ت		
%87 ،26	61	%22 ،26	32	%61 ،27	29		فيديوهات
%75 ،27	63	%68 ،28	35	%66 ،26	28		كتب
%82 ،19	45	%39 ،16	20	%80 ،23	25		نصوص مكتوبة
%50 ،18	42	%67 ،19	24	%14 ،17	18		اشرطة سمعية
%04 ،7	16	%01 ،9	11	%76 ،4	5		الصور
%100	227	%100	122	%100	105		مج

احتلت الكتب الترتيب الأول من بين الوسائل التي يستخدمها المبحوثون في الوصول إلى ما يحتاجونه في مجال القرآن وعلومه بنسبة 27%، 75 يليها مباشرة الفيديوهات بنسبة 26، 87%， ثم النصوص المكتوبة بنسبة 19، 82% يليها الأشرطة السمعية بنسبة 18، 50% وأخيراً الصور بنسبة 7، 04%.

أما إذا نظرنا إلى متغير النوع فيلاحظ أن الإناث يستخدمن الفيديوهات في الترتيب الأول بنسبة 27، 61% مقابل 26، 22% في الترتيب الثاني، وجاءت الكتب بالنسبة للذكور في الترتيب الأول بنسبة 28، 68% مقابل 26، 66% بالنسبة للإناث حيث وردت في الترتيب الثاني، بينما جاءت النصوص المكتوبة بنسبة 23، 80% بالنسبة



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د. زكية متول غربة

لإناث مقابل 16، 39 % للذكور، وجاءت الأشرطة السمعية في الترتيب الثاني بالنسبة

للذكور بنسبة 19، 67 % مقابل 17، 14 % لإناث .

10- الوسائل التي تستخدمها عينة الدراسة في الوصول إلى احتياجاتها في مجال

علوم القرآن وعلومه ومتغير التخصص:

جدول رقم (10) يبين الوسائل التي تستخدمها عينة الدراسة في الوصول إلى

احتياجاتها في مجال علوم القرآن وعلومه ومتغير التخصص:

الآداب النسبة	الأداب ت	أصول الدين النسبة	أصول الدين ت	عينة الدراسة	
				الوسائل التي تستخدمها عينة الدراسة في مجال الحصول على المعرف في القرآن وعلومه	مج
%33، 33	32	%48، 22	29	فيديوهات	
%95، 23	23	%31	40	كتب	
%66، 16	16	%48، 22	29	نصوص مكتوبة	
%83، 20	20	%05، 17	22	أشرطة سمعية	
%20، 5	5	%97، 6	9	الصور	
%00	0	%00	0	آخرى تذكر	
%100	96	%100	129		

تشير نتائج الجدول حسب متغير التخصص أن طلبة كلية الآداب يستخدمون

الفيديوهات عبر الواقع الإسلامية للحصول على المعلومات المتعلقة بالقرآن وعلومه في

الترتيب الأول بنسبة 32 % مقابل 22، 48 % بالنسبة لطلبة أصول الدين، في حين جاءت

الكتب بالنسبة لطلبة كلية أصول الدين في الترتيب الأول بنسبة 31% مقابل 23



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د. زكية متول غرابه

% بالنسبة لطلبة كلية الآداب كما فضل طلبة الآداب الأشرطة السمعية في ترتيب تال
بنسبة 20% مقابل نسبة 17% لطلبة أصول الدين في حين جاءت الصور بنسب
متقاربة بالنسبة لكلا طلبة الكليتين .

2.4 المخور الثاني: دور استخدام الواقع الإسلامية في تقرير القرآن الكريم وعلومه من وجهة نظر عينة الدراسة:

1- دوافع جلوء عينة الدراسة إلى الواقع الإسلامية في مجال علوم القرآن
وعلومه ومتغير النوع:

جدول رقم (11) يوضح دوافع جلوء عينة الدراسة إلى الواقع الإسلامية في
مجال علوم القرآن وعلومه ومتغير النوع

المجموع		ذكور		إناث		عينة الدراسة دوافع جلوء عينة الدراسة للمواقع الإسلامية في مجال القرآن وعلومه
		النسبة	ت	النسبة	ت	
%04, 27	43	%82, 26	22	%27, 27	21	لأنها تلي احتياجاتي المعرفية في مجال القرآن وعلومه
%44, 31	50	%48, 30	25	%46, 32	25	سهولة الوصول إلى ما ارغب فيه في مجال القرآن وعلومه
%30, 28	45	%04, 28	23	%57, 28	22	تزودني بالجديد في مجال القرآن وعلومه
%06, 10	16	%97, 10	9	%09, 9	7	لأنها تعرض القرآن وعلومه بطريقة متطرفة



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د. زكية متول غربة

%14 , 3	5	%65 , 3	3	%59 , 2	2	أخرى تذكر
%100	159	%100	82	%100	77	مج

تبين النتائج التي رصدها الجدول أعلاه أسباب دوافع لجوئهم إلى الواقع الإسلامية للحصول على المعلومات التي ترتبط بالقرآن وعلومه حيث تعود حسب عينة الدراسة إلى كونها تسهل لهم الوصول إلى ما يرغبون فيه في مجال القرآن وعلومه في الترتيب الأول بنسبة 50%， وهي الميزة التي توفرها الشبكة العنكبوتية للفرد الزائر، وكونها تزودهم بالجديد في مجال القرآن وعلومه في ترتيب تال بنسبة 45%， وهي إلى جانب ذلك تساعدهم على تلبية احتياجاتهم المعرفية في مجال القرآن وعلومه بنسبة 43%.

وبالنظر في متغير النوع فلا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين في دوافع لجوئهم إلى الواقع الإسلامية للحصول على المعلومات فيما يخص القرآن وعلومه .

2-دوافع لجوء عينة الدراسة إلى الواقع الإسلامية في مجال علوم القرآن

علومه ومتغير التخصص:

جدول رقم (12) يوضح دوافع لجوء عينة الدراسة إلى الواقع الإسلامية في

مجال علوم القرآن وعلومه ومتغير التخصص.

الآداب		أصول الدين		عينة الدراسة		دوافع لجوء عينة الدراسة للواقع الإسلامية في مجال القرآن وعلومه
% النسبة	ت	% النسبة	ت			
%76 , 26	19	%96 , 26	24			لأنها تلي احتياجاتي المعرفية في مجال القرآن وعلومه
%39 , 32	23	%33 , 30	27			سهولة الوصول إلى ما أرغب فيه في مجال القرآن وعلومه
%57 , 29	21	%71 , 24	22			تزودني بالجديد في مجال القرآن وعلومه
%85 , 9	7	%11 , 10	9			لأنها تعرض القرآن وعلومه بطريقة متطرفة



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د. زكية متول غربة

%40 ، 1	1	%86 ، 7	7	آخرى تذكر
%100	71	%100	89	مج

جاء دافع اللجوء إلى الواقع الإسلامية للحصول على المعلومات في مجال القرآن وعلومه لدى طلبة كلية أصول الدين وفق الترتيب الآتي: سهولة الوصول إلى ما يرغبون فيه في مجال القرآن وعلومه في الترتيب الأول بنسبة 33 % اتفاقاً مع طلبة كلية الآداب بنسبة 23 % يليها لأنها تلبي احتياجاتهم المعرفية في مجال القرآن وعلومه بنسبة 26 ، على خلاف طلبة كلية الآداب الذين يرون في الترتيب الثاني دافع كونها تزودهم بالجديد في مجال القرآن وعلومه، وكونها تزودهم بالجديد في مجال القرآن وعلومه بنسبة 24 ، 71 % لدى طلبة كلية أصول الدين، بينما يرتبها طلبة كلية الآداب في ترتيب ثالث كونها تلبي احتياجاتهم المعرفية في مجال القرآن وعلومه. وبالنظر في هذا التغير فإن النتائج تؤكد عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في دوافعهم للدخول إلى الواقع الإسلامية للحصول على المعلومات الخاصة بالقرآن وعلومه.

3- درجة مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن وعلومه ومتغير النوع:

جدول رقم (13) يوضح درجة مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن

علومه ومتغير النوع

الجموعات		النسبة	ت	النسبة	ت	عينة الدراسة
مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن وعلومه						
%44	44	%36	18	%52	26	بشكل كبير
%42	42	%44	22	%40	20	متوسط



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د. زكية متول غربة

%14	14	%20	10	%8	4	قليلًا
%0	0	%0	0	%0	0	مطلقًا
%100	100	%100	50	%100	50	مح

توضح النتائج في الجدول أعلاه أن اجمالي عينة الدراسة ترى أن الواقع الإسلامية قد ساهمت بشكل كبير في تقرير القرآن الكريم وعلومه بدرجة كبيرة بنسبة 44% يليها بنسبة متوسطة بنسبة 42%，في حين جاء من قالوا بأنها ساهمت في تقرير القرآن الكريم وعلومه في بنسبة قليلة في ترتيب ثالث بنسبة 14%.

وتفصيلاً فإن الإناث يرين بأن الواقع الإسلامية قد ساهمت بشكل كبير في تقرير القرآن الكريم وعلومه بنسبة 52% مقابل 36%，في حين جاءت بنسبة متوسطة تقدر بـ 44% مقابل 40% للإناث، وقليلًا بنسبة 20% للذكور مقابل 8% بالنسبة للإناث .

4- درجة مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن وعلومه ومتغير التخصص

جدول رقم (14) يوضح درجة مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن وعلومه ومتغير التخصص

الآداب النسبة	الأداب ت	أصول الدين النسبة	الأداب ت	عينة الدراسة		مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن وعلومه
				بسكل كبير	متوسط	
%46	23	%42	21			بسكل كبير
%40	20	%44	22			متوسط
%14	7	%14	7			قليلًا



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د. زكية متول غربة

%0	0	%0	0	مطلقا
%100	50	%100	50	مج

تبين أرقام الجدول الموضح أعلاه أن طلبة كلية الآداب يرون أن الواقع الإسلامية قد ساهمت في تقرير القرآن الكريم وعلومه لهم بنسبة 46% مقابل 2% بالنسبة لطلبة كلية أصول الدين، وشكلت درجة متوسط ترتيباً أولاً بنسبة 44% بالنسبة لطلبة أصول الدين مقابل نسبة 40% بالنسبة لطلبة كلية الآداب، في تساوت درجة قليلاً لكلا طلبة كلية الآداب وأصول الدين بنسبة 14%. وبيّنت النتائج عدم وجود فروق بين طلبة التخصصين في هذا المجال.

5- نواحي مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن وعلومه على مستوى

القرآن الكريم ومتغير النوع:

جدول رقم (15) يوضح نواحي مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن

علومه على مستوى القرآن الكريم ومتغير النوع

المجموع	النسبة%	ت	النسبة%	ت	عينة الدراسة	
					على مستوى القرآن الكريم	المختلفة
%57، 45	67	, 54 %16	39	%33، 37	28	ساعدتني الواقع الإسلامية على تحميل القرآن الكريم بالروايات المختلفة
%72، 19	29	, 16 %66	12	%66، 22	17	مكتتني من حفظ القرآن الكريم عبر الواقع الإسلامية من خلال



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د زكية متول غرابة

تحميل السور التي احتاجها						
%56 ، 11	17	، 11 %11	8	%12	9	وفرت لي الواقع الإسلامية الحصول على القرآن الكريم بالرسم العثماني
%32 ، 16	24	، 15 %27	11	%33 ، 17	13	ساعدتني الواقع الإسلامية في اختبار حفظي للقرآن الكريم
%80 ، 6	10	%77 ، 2	2	%66 ، 10	8	آخرى تذكر
%100	147	%100	72	%100	75	مج

اتفقت غالبية عينة الدراسة على أن النواحي التي ساهمت فيها الواقع الإسلامية في تقرير القرآن الكريم وعلومه على مستوى القرآن الكريم تتمثل في: كونها ساعدتهم على تحويل القرآن الكريم بالروايات المختلفة في الترتيب الأول بنسبة 45%， وكونها مكتنفهم من حفظ القرآن الكريم عبر الواقع الإسلامية من خلال تحميل السور التي يحتاجونها بنسبة 19%， يليها أنها ساعدتهم في اختبار حفظهم للقرآن الكريم بنسبة 16%， وبالنظر في متغير النوع فلا أثر لفروق إحصائية بين الذكور والإإناث في هذا التأثير على مستوى القرآن الكريم .

6- نواحي مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن وعلومه على مستوى القرآن الكريم ومتغير التخصص:

جدول رقم (16) يوضح نواحي مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن وعلومه على مستوى القرآن الكريم ومتغير التخصص

الأداب	أصول الدين	عينة الدراسة
--------	------------	--------------



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د زكية متول غرابة

على مستوى القرآن الكريم			
النسبة	ت	النسبة	ت
%42، 41	29	%35، 49	38
%20	14	%48، 19	15
%42، 11	8	%68، 11	9
%57، 18	13	%28، 14	11
%57، 8	6	%19، 5	4
%100	70	%100	77
مج			

يؤكد طلبة كلية أصول الدين والآداب بأن الواقع الإسلامية قد ساعدتهم على تحميل القرآن الكريم بالروايات المختلفة بنسبة 49، 35% لطلبة كلية أصول الدين مقابل 41، 42% لطلبة كلية الآداب، يليها أنها مكتسبهم من حفظ القرآن الكريم عبر الواقع الإسلامية من خلال تحميل السور التي احتاجها بنسبة 20% لطلبة الآداب مقابل نسبة 19، 48% لطلبة كلية أصول الدين، في حين جاءت أنها ساعدتهم في اختبار حفظهم للقرآن الكريم بنسبة 18، 57% بالنسبة لطلبة كلية الآداب مقابل 14، 28% بالنسبة لطلبة كلية أصول الدين . وبالنظر في متغير التخصص فتوّكـدـ النـتـائـجـ عـدـمـ وـجـودـ فـروـقـ بـيـنـ طـبـيـ الـكـلـيـتـيـنـ فـيـ هـاـ التـأـثـيرـ .

7- نواحي مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن وعلومه على مستوى

القراءة والقراءة ومتغير النوع:



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د. زكية متول غربة

**جدول رقم (17) يوضح نواحي مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن
وعلومه مستوى القرائية والقراء ومتغير النوع**

المجموع		النسبة	ت	النسبة	ت	عينة الدراسة على مستوى القرائية والقراء
%75 ، 14	27	%18	18	%84 ، 10	9	مكتتي الواقع الإسلامية من قراءة القرآن بأكثر من رواية
%41 ، 28	52	%30	30	%50 ، 26	22	مكتتي من التعرف على أشهر القراء في العالم الإسلامي
%03 ، 18	33	%17	17	%27 ، 19	16	زودتني بأحكام التلاوة بالروايات المختلفة
%86 ، 27	51	%27	27	%91 ، 28	24	الاستماع للتلاوة آيات القرآن بأكثر من رواية
%28 ، 9	17	%7	7	%08 ، 12	10	الحصول على كتب القراءات القرآنية
%63 ، 1	3	%1	1	%40 ، 2	2	أخرى تذكر
%100	183	%100	100	%100	83	مج

توضّح نتائج الجدول أعلاه أن عينة الدراسة ترى أن الواقع الإسلامية قد مكتّتهم من التعرّف على أشهر القراء في العالم الإسلامي بنسبة 28 %، يليها أنها مكتّهم من



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د زكية متول غربا

الاستماع لتلاؤ آيات القرآن بأكثر من روایة بنسبة 27، 86 %، يليها أنها زودتكم بأحكام التلاوة بالروايات المختلفة بنسبة 18، 03%， ثم إنها مكتنهم من قراءة القرآن بأكثر من روایة بنسبة 14، 75%.

تفصيلاً فإن الذكور يرون أن الواقع الإسلامية مكتنهم من التعرف على أشهر القراء في العالم الإسلامي في الترتيب الأول مقابل 26، 50% للإناث، ورأى الإناث أن الواقع الإسلامية ساعدتهم في الاستماع لتلاؤ آيات القرآن بأكثر من روایة بنسبة 28، 91% مقابل 27% للذكور. أما على مستوى متغير التخصص فلم تشر النتائج إلى فروق ذات دلالة إحصائية حول تقرير الواقع الإسلامية على مستوى القرائية (القراءات والقراء) لدى الشباب الجامعي.

8- نواحي مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن وعلومه على مستوى القرائية والقراء ومتغير التخصص:

جدول رقم (18) يوضح نواحي مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن وعلومه على مستوى القرائية والقراء ومتغير التخصص

الآداب	أصول الدين			عينة الدراسة	على مستوى القرائية والقراء
	النسبة	ت	النسبة		
%27، 16	14	%40، 13	13	مكتنمي الواقع الإسلامية من قراءة القرآن بأكثر من روایة	مكتنمي الواقع الإسلامية من قراءة القرآن بأكثر من روایة
%41، 24	21	%95، 31	31	مكتنمي من التعرف على أشهر القراء في العالم الإسلامي	مكتنمي من التعرف على أشهر القراء في العالم الإسلامي
%60، 18	16	%52، 17	17	زودتني بأحكام التلاوة بالروايات المختلفة	زودتني بأحكام التلاوة بالروايات المختلفة



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د. زكية متول غربة

%23 ، 30	26	%77 ، 25	25	الاستماع لتلاوة آيات القرآن بأكثر من رواية
%30 ، 9	8	%27 ، 9	9	الحصول على كتب القراءات القرائية
%16 ، 1	1	%06 ، 2	2	أخرى تذكر
%100	86	%100	97	مج

تظهر النتائج الحصول عليها أن طلبة كلية أصول الدين يرون في الترتيب الأول أن الواقع الإسلامية قد ساهمت على مستوى القرائية والقراء في أنها مكتتهم من التعرف على أشهر القراء في العالم الإسلامي، واحتلت الترتيب الثاني لدى طلبة كلية الآداب بنسبة 24، 41% في حين جاءت في الترتيب الأول لدى طلبة كلية الآداب بنسبة 30، 23% في أنها مكتتهم من الاستماع لتلاوة آيات القرآن بأكثر من رواية الذي حل في الترتيب الثاني لدى كلية أصول الدين بنسبة 25، 77%， ويتفق طلبة الكليتين على أنها زودتهم بأحكام التلاوة بالروايات المختلفة في ترتيب ثالث بنسبة 18% لطلبة كلية الآداب مقابل 17، 52% لطلبة كلية أصول الدين. تلتها الحصول على كتب القراءات القرائية في ترتيب متاخر لكلا التخصصين. ولم تشر النتائج إلى وجود فروق بين طلبة التخصص في هذا التأثير على مستوى القرائية والقراء .

9- نواحي مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن وعلومه على مستوى

التفسير ومتغير النوع:

جدول رقم (19) يوضح نواحي مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن

علومه مستوى التفسير ومتغير النوع

عينة الدراسة	ن	النسبة	ن	النسبة	المجموع



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د. زكية متول غرباوة

على مستوى التفاسير						
%52,9	18	%70,11	11	%36,7	7	ساعدتني في الحصول على ترجمات معاني القرآن الكريم باللغات المختلفة
%21,31	59	%72,28	27	,33 %68	32	ساعدتني في الحصول على أكثر من تفسير للآيات القرآنية
%44,35	67	%91,31	30	,38 %94	37	عرفتني بعلماء تفسير القرآن الكريم
%75,22	43	%59,26	25	,18 %94	18	سهلت علي التعرف على أسباب نزول الآيات القرآنية
%05,1	2	%06,1	1	%05,1	1	أخرى تذكر
%100	189	%100	94	%100	95	مج

تفيد النتائج الموضحة في الجدول أعلاه أن اجمالي عينة الدراسة ترى بأن الواقع الإسلامية استطاعت أن تعرفهم بعلماء تفسير القرآن الكريم في الترتيب أول بنسبة 35,44%， يليها مساعدتهم في الحصول على أكثر من تفسير للآيات القرآنية بنسبة 31,21%， في حين جاء في الترتيب الثالث كونها سهلت عليهم التعرف على أسباب نزول الآيات القرآنية 22,75%， وجاء في الترتيب الأخير أنها ساعدتهم في الحصول على ترجمات معاني القرآن الكريم باللغات المختلفة بنسبة 9,52%. و تؤكد هذه النتائج التي



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د. زكية متول غربة

جاءت في أغلبها متقاربة على أهمية الواقع الإسلامية في تقرير مجال التفسير كأحد علوم القرآن لدى الشباب الجامعي .

وإذا نظرنا إلى متغير النوع نجد أن الإناث يرددن أن الواقع الإسلامية مكتئن من التعرف على علماء تفسير القرآن الكريم في الترتيب الأول بنسبة 38، 94 % مقابل 31، 91 % بالنسبة للذكور، بينما جاء أن الواقع الإسلامية قد ساعدت في الحصول على أكثر من تفسير للآيات القرآنية بنسبة 33، 68 % بالنسبة للإناث مقابل نسبة 28، 72 % بالنسبة للذكور، في حين ورد أن الواقع الإسلامية سهلت عليهم التعرف على أسباب نزول الآيات القرآنية بالنسبة للذكور بنسبة 26، 59 % مقابل نسبة 18، 94 %، وكوكذلك ساعدت في الحصول على ترجمات معاني القرآن الكريم باللغات المختلفة بالنسبة للذكور بنسبة مقابل نسبة 11، 70 %.

10- نواحي مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن وعلومه على مستوى

التفسير ومتغير التخصص:

جدول رقم (20) يوضح نواحي مساهمة الواقع الإسلامية في تقرير القرآن

علومه مستوى التفسير ومتغير التخصص

النسبة	الآداب	أصول الدين		عينة الدراسة على مستوى التفاسير
		ت	النسبة	
%97، 10	9	%27، 9	ت	ساعدتني في الحصول على ترجمات معاني القرآن الكريم باللغات المختلفة
%04، 28	23	%11، 37	36	ساعدتني في الحصول على أكثر من تفسير للآيات القرآنية
%14، 34	28	%89، 29	29	عرفتني بعلماء تفسير القرآن الكريم



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د زكية متول غربة

%60 ، 25	21	%68 ، 22	22	سهلت على التعرف على أسباب نزول الآيات القرآنية
%21 ، 1	1	%03 ، 1	1	أخرى تذكر
%100	82	%100	97	مج

بالنظر في نتائج الجدول أعلاه تبين بأن طلبة أصول الدين يرون أن الواقع الإسلامية استطاعت ساعدتهم في الحصول على أكثر من تفسير للآيات القرآنية في ترتيب أول بنسبة 37، 11% مقابل نسبة 28، 04%， في حين جاء تعرف طلبة كلية الآداب بعلماء تفسير القرآن الكريم في ترتيب أول بنسبة 34، 14% مقابل 29، 89% بالنسبة لطلبة أصول الدين، وسهلت التعرف على أسباب نزول الآيات القرآنية بالنسبة لطلبة كلية الآداب بنسبة 25، 60% مقابل 22، 68%， وفي ترتيب تال أن الواقع الإسلامية ساعدت طلبة كلية الآداب في الحصول على ترجمات معاني القرآن الكريم باللغات المختلفة بنسبة 10، 97% مقابل 9، 27% بالنسبة لطلبة كلية أصول الدين .

5. المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات:

1.5 الاستنتاجات:

- أكدت نتائج الدراسة أن طلبة كلية أصول الدين والآداب يستخدمون الواقع الإسلامية أحياناً أمر ينم عن عقلانية الاستخدام، وأن الدخول إلى الشبكة العنكبوتية لا يشكل هاجساً لديهم في البحث عن المعلومات المختلفة وإنما استخدامهم لها مرتبط بالحاجة المعرفية لديهم . و أن عقلانية الاستخدام للمواقع الإسلامية عموماً لا فرق فيها بين جنس الإناث والذكور، ويسري ذلك على مستوى متغير التخصص حيث ثبتت الدراسة أن طلبة كلا التخصصين لا تدخل العالم الافتراضي مثلاً في الواقع الإسلامية بشكل دائم إلا للضرورة المعرفية .



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د زكية متول غرباء

- أشارت الدراسة إلى أن القرآن وعلومه جاء في صدارة المضارعين التي تهتم بها عينة الدراسة في تأكيد منها على قيمة هذا المضمون وارتباطه بالدرجة الأولى بكتاب الله تعالى وأن غالبية عينة الدراسة لا تختلف في قدسيّة هذا المضمون حيث شكل نسبة 22%، وهو ما يدعم القيمة العلمية لهذه الدراسة التي بين أيدينا، وبينت الدراسة من جهة أخرى أن هذا الاهتمام بين الجنسين بالقرآن وعلومه لا اعتبار له إلا بفارق بسيط جداً حيث قدرت نسبة لدى الإناث بـ 24، 29% مقابل 21، 80% للذكور، وأن هذا الفارق يزيد بنسبة يسيرة بالنسبة لمتغير التخصص .

- شكلت الواقع الإسلامية العامة إحدى أهم الواقع التي تستفيد منها عينة الدراسة في مجال علوم القرآن وعلومه وقد يعود تفضيل عينة الدراسة لذلك على اعتبار أن الواقع الإسلامية تمدهم بمختلف المعارف التي يحتاجونها إلى جانب مضمون القرآن وعلومه إليها الواقع التي تجمع بين القرآن وعلومه باعتبارها موقع تلبية احتياجات الزائر من الشباب الجامعي بالمعرف في هذا المجال. وأكدت الدراسة عدم وجود أي فوارق كبيرة بين الإناث والذكور، في حين يؤثر متغير التخصص على مستوى هذا الاهتمام حيث نجداً فروقاً كبيرة بين طلبة كلية الآداب وطلبة كلية أصول الدين في الواقع التي يستخدمونها في الحصول على معلوماتهم فيما يتعلق القرآن وعلومه.

- أكدت الدراسة أن موقع تفسير القرآن وعلومه يشكل واحداً من أهم أسماء الواقع الخاصة بـ مجال القرآن وعلومه التي يدخلها طلبة الكليتين ولا شك أن أفضلية هذا الموقع ترجع إلى جمعه بين القرآن الكريم كمصدر مقدس وبين العلوم المرتبطة به وبالتالي إمكانية الاستفادة منه تكون أفضل وأنفع، وبتفاوت هذا الاختيار بين الإناث والذكور حيث سجلت النسبة بالنسبة للإناث 36، 11% مقابل 28، 20% للذكور، وذات الأمر نجده على مستوى متغير التخصص حيث يتفاوت طلبة الكليتين في اختيارهم للموقع



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د. زكية متول غرابه

فقد شكل موقع تفسير القرآن وعلومه أهم موقع بالنسبة لطلبة كلية الآداب بنسبة 40% مقابل 23% بالنسبة لطلبة كليةأصول الدين.

- أكدت الدراسة أن الكتاب الإلكتروني يشكل وسيطاً مهماً لدى عينة الدراسة في حصولهم على المعلومات فيما يتعلق بالقرآن وعلومه على مستوى الواقع الإسلامي ومرده أن الكتاب عادة ما يكون مصدراً موثوقاً فيما يتضمنه من معلومات على خلاف المصادر الأخرى مع إمكانية تحميله والرجوع إليه كلما سنت الفرصة لذلك، مع أهمية الفيديوهات بالنسبة لعينة الدراسة لتفردها بميزات الصورة والصوت، يتغير هذا الأمر بالنظر إلى متغير النوع حيث لوحظ اهتمام الإناث بالفيديوهات كوسيل مهماً بالنسبة إليهم في الحصول على المعلومات في مجال القرآن وعلومه على خلاف الذكور الذين يبقى الكتاب بالنسبة إليهم مصدر معلوماتهم في هذا المجال، كما يؤثر عامل التخصص في هذا الخيار حيث يأتي لوحظ أن الكتاب يشكل بالنسبة إلى طلبة كلية أصول الدين وسيطاً ذات أولوية مقارنة بطلبة كلية الآداب حيث ورد ذلك بنسبة 31% مقابل 23%.

- أكدت الدراسة أن الواقع الإسلامي قد ساهمت في تقرير القرآن وعلومه على اعتبار سهولة الوصول إلى ما يرغبون فيه، وزودتهم بالجديد، ولأنها تلي احتياجاتهم المعرفية في مجال القرآن وعلومه، ما يؤكّد قيمة الواقع الإسلامي كوسيل افتراضي لا غنى عنه في خدمة الطالب الجامعي في هذا المجال، ولم تسجل النتائج المتوصل إليها فروقاً ذات دلالة بين الذكور والإإناث في هذا المجال، كما لم تسجل عين الدراسة فروقاً تذكر بالنسبة لمتغير التخصص .

- أوضحت الدراسة أن عينة الدراسة ترى بأن الواقع الإسلامي قد ساهمت في تقرير القرآن الكريم وعلومه بشكل كبير بنسبة 44% ما يؤكّد القيمة العلمية للموقع



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د زكية متول غرابة

الإسلامية في تزويد طلبة جامعة الأمير بكل احتياجاتهم المعرفية في مجال القرآن وعلومه، وتنفاوت هذه النسبة بين الإناث والذكور حيث ترى الإناث أن الواقع الإسلامية قربت إليهم القرآن وعلومه بشكل كبير مقارنة مع الذكور، بينما لا يوجد تفاوت كبير بين طلبي كلية الآداب وأصول الدين في هذا التأثير .

- أكدت الدراسة أن الواقع الإسلامية قد ساهمت من وجهة نظر عينة الدراسة في تقرير القرآن وعلومه على مستوى القرآن الكريم في التوحي الآتية: كونها ساعدتهم على تحميل القرآن الكريم بالروايات المختلفة، وكونها مكتنهم من حفظ القرآن الكريم عبر الواقع الإسلامية من خلال تحميل السور التي يحتاجونها، وأنها ساعدتهم في اختبار حفظهم للقرآن الكريم، وهو مؤشر يدل على قدرة الواقع الإسلامية في نقل القرآن الكريم بشكل عملي إلى الشباب الجامعي وسهلت عليهم عناء البحث عن الطرق الكفيلة بالتقرب من القرآن الكريم تحميلا وحفظا وسماعا .

- أوضحت الدراسة أن الواقع الإسلامية قد ساهمت من وجهة نظر عينة الدراسة في تقرير القرآن الكريم وعلومه على مستوى القرائية والقراء، وبدا ذلك في التوحي الآتية: إنها مكتنهم من الاستماع لتلاوة آيات القرآن بأكثر من رواية، وأنها زودتهم بأحكام التلاوة بالروايات المختلفة، ثم إنها مكتنهم من قراءة القرآن بأكثر من رواية ومرد ذلك إلى الوسائل المتعددة التي تستخدمها الواقع الإسلامية في هذا الشأن والتي لا تستطيع توفيرها الوسائل التقليدية في ذات الوقت .

توضح نتائج الجدول أعلاه أن عينة الدراسة ترى أن الواقع الإسلامية قد مكتنهم من التعرف على أشهر القراء في العالم الإسلامي بنسبة 628%， يليها أنها مكتنهم من الاستماع لتلاوة آيات القرآن بأكثر من رواية بنسبة 27%， يليها أنها زودتهم



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه —————— أ. د. زكية متول غربة

بأحكام التلاوة بالروايات المختلفة بنسبة 18%， ثم إنها مكتنهم من قراءة القرآن
بأكثر من رواية بنسبة 14%.

- وأشارت الدراسة أن الواقع الإسلامية استطاعت تقرير القرآن وعلومه على مستوى مجال التفسير حيث مكتنهم من التعرف على علماء تفسير القرآن الكريم، وساهمت في الحصول على أكثر من تفسير للآيات القرآنية، وسهلت عليهم التعرف على أسباب نزول الآيات القرآنية. وبالنظر في متغير النوع فقد أكدت الدراسة على عدم وجود فروق بين ذات دلالة بين الذكور والإناث في هذا المجال، كما لم تشر الدراسة إلى وجود فروق بين تخصص كل من طبة الكليتين .

2.5 التوصيات: توصي الدراسة بالآتي:

- القيام بدراسة تحليلية للمواقع الإسلامية التي تكتم بالقرآن وعلومه .
- استثمار الوسائل الإعلامية مثل الواقع الإسلامية في تقرير القرآن وعلومه على مستوى المقررات الجامعية -إجراء دراسات ميدانية على مستوى أستاذة الجامعات المتخصصين في الإعلام لمعرفة مدى إمكانية تطوير آليات توظيف القرآن وعلومه على مستوى الواقع الإسلامية كي تكون أكثر فعالية في التأثير على الجمهور المتلقى

المراجع:

الكتب بالعربية:

- أبو الفضل مجد بن مكرم ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، مج.4.
- رجاء وحيد دويدي، البحث العلمي: أساسياته وممارسته العملية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د زكية متول غربة

- سعير محمد حسين، بحوث الإعلام: الأسس والمبادئ، عالم الكتب، القاهرة، 1976.

- فاطمة عوض صابر، ميرفت علي خفاجة، أسس ومبادئ البحث العلمي، مطبعة الإشعاع العلمي، القاهرة، ط1، 2002

- عامر القنديليجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، ط1 دار المسيرة، دم، 2008 .

- عبد المنصف حسن علي رشوان، ممارسة الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية الشباب وقضاياهم، د . م . ن، دط، 2006 م .

- محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2004 .

- محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب، القاهرة، ط3، دت .

- محمد منير حجاب، المعجم الإعلامي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004 م .

الرسائل الجامعية:

- سماح فرج عبد الفتاح، صورة الشباب في الدراما العربية التي يقدمها التليفزيون المصري، قسم الصحافة والإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2007 .

- عاطف رجب أحمد حجازي، إسلام، العلاقة بين تعرض الشباب الجامعي للواقع الإسلامية على الانترنت ومستوى المعرفة لديه بالقضايا المعاصرة: دراسة ميدانية، ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنوفية، 2010 .



دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د زكية متول غربة

- عبد الواحد الجاك إدريس، عاطف، دور المؤسسات الدعوية الإسلامية في التنمية البشرية: دراسة حالة منظمة الدعوة الإسلامية، ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2015 .

- مصطفى رفعت حرم عزت، محمد، اعتماد الشباب المصري على الواقع الإسلامية العربية: دراسة مسحية وكيفية، ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2013.

المجالات:

- حنك، فتيحة، بواب، رضوان، الجامعة والوظيفة الخدمية للمجتمع (الوظيفة الثالثة)، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، جامعة زيان عاشور، الجلفة، مج 11، ع 1، 2020م.

- العلمي فريدة، روابحي، رزيقة، دور الجامعة بين جدلية انتاج المعرفة وتحقيق الأهداف المطلوبة من المجتمع، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، كلية العلوم القانونية والسياسية، جامعة محمد بوضياف، جامعة المسيلة، مج 1، ع 7، سبتمبر 2017.

- قيواجي، أمينة، صراع الدور وتأثيره على الأداء الوظيفي، مجلة دراسات في علم اجتماع المنظمات، إصدار علم مخبر علم الاجتماع المنظمات، جامعة الجزائر 2، مج 2، ع 12، 2018م.

المؤتمرات:

- تقى الدين عبد الباسط التميمي، واقع القراءات القرآنية في موقعهاليوتيوب والفايسبوك، بحث مقدم ضمن المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 16-2-2013م .



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د: 4040-1112، ر ت م د إ: X204-2588

العدد: 34 السنة: 2020 الصفحة: 534-490 تاريخ النشر: 25-03-2021

دور الواقع الإسلامية عبر الأنترنت في تقرير القرآن وعلومه ----- أ. د. زكية متول غربة

- عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، القرآن الكريم في الأفلام الوثائقية، بحث مقدم ضمن المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 16-2-2013م.

- نايف ابراهيم كريبي، النهوض بالمؤسسات القرآنية عبر الإعلام الجديد، بحث مقدم ضمن المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 16-2-2013م



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

X ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : 204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 576-535 تاريخ النشر: 25-03-2021

فاعلية استراتيجية (فكـ- زاوجـ- شاركـ) في تنمية التفكير الناقد لدى تلاميذ المرحلة الثانوية

**The effectiveness of the strategy (Think - Pair -Share)
in developing critical thinking among high school
students**

د. محمد خماد

m.khemmad@univ-dbkm.dz

جامعة تمسن مليانة

د. سعيد بن نويوة

es.bennouioua@univ-blida2.dz

جامعة البليدة

تاريخ القبول: 2021/01/24

تاريخ الإرسال: 2020/07/04

I. الملخص:

تهدف الدراسة الحالية إلى الكشف عن فاعلية استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فكـ- زاوجـ- شاركـ) في تنمية التفكير الناقد لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، وتم تحديد خمس مهارات في التفكير الناقد وهي: - معرفة الافتراضات - التفسير - تقويم المناقشات - الاستنباط - الاستنتاج. ولتحقيق هذا المهدف اعتمدت الدراسة على المنهج التجريبي، حيث طبقت على عينة بلغ حجمها (52) تلميذا تم اختيارهم عشوائيا من ثانوية عمر المختار ولاية المسيلة، قسمت بالتساوي إلى مجموعتين تجريبية وضابطة. اعتمدت الدراسة على: مقياس مهارات التفكير الناقد، ودليل المعلم كأدوات لجمع البيانات. أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

التجريبية والضابطة في مهارات التفكير الناقد عدا مهارة الاستنتاج ولصالح المجموعة التجريبية، كما أظهرت النتائج فاعلية استخدام استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) في تنمية التفكير الناقد ككل لدى تلاميذ المجموعة التجريبية.

الكلمات المفتاحية: استراتيجية التعلم، التعليم التعاوني، استراتيجية (فکر- زاوج- شارك)، التفكير الناقد.

I. ABSTRACT:

The current study aims to reveal the effectiveness of using a cooperative learning strategy (Think - Pair -Share) in developing critical thinking among students of the second year of high school. Five skills in critical thinking have been identified, namely: - knowledge of assumptions - interpretation Evaluation of discussions - induction – conclusion. To achieve this goal, the study relied on the experimental approach, as the study was applied to a sample of (52) randomly selected students from Omar Al Mokhtar Secondary School in the state of M'sila, which was divided equally into two experimental and control groups. The study relied on: a scale of critical thinking skills, a teacher's guide as tools for data collection. the results of the study showed The existence of statistically significant differences between the experimental groups and the female officer in critical thinking skills other than the skill of conclusion and for the benefit of the experimental group, The results also showed the effectiveness of using the cooperative learning strategy (Think - Pair -Share) in developing critical thinking as a whole among students of the experimental group.

Keywords :Learning Strategies;Collaborative learning; Strategy (Think – Pair - Share); critical thinking.

المقدمة:



فاعلية استراتيجية (فكرة- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

يعتبر التفكير الناقد أحد أهم أنواع التفكير التي يجب أن تولى اهتماما من قبل القائمين على العملية التعليمية سواء بالنسبة للمعلم أو المنهج حتى يستطيع المتعلم أن يميز بين الصالح والطالع من المعلومات والأفكار التي يتلقاها، وعدم تقبل أي عادات وتقالييد سواء موروثة أو وافدة إلا بعد إعادة النظر فيها وإصدار الأحكام المنطقية عليها. وبعد التفكير الناقد من أهم الأهداف التي يجب أن يسعى التدريس بصفة عامة لمختلف المقررات الدراسية نحو تحقيقه، واستخدام الاستراتيجيات المناسبة التي من شأنها مساعدة الطلاب ليصبحوا مفكرين ناقدين لديهم القدرة على مواجهة المشكلات والمواضف الحياتية المختلفة¹.

والتفكير الناقد يحول عملية اكتساب المعرفة من عملية خاملة إلى نشاط عقلي يؤدي إلى إتقان أفضل للمحتوى المعرفي، فهو يكسب الإنسان تفسيرات صحيحة ومقبولة للمواضيع المطروحة ومراقبة الأفكار مما يجعلها أكثر دقة وصحة مما يساعد في وضع القرارات في حياتهم اليومية، وتبعدهم عن الانقياد العاطفي والتطرف في الرأي². لذا أصبحت تنمية مهارات التفكير الناقد من أهم أهداف المنظومة التربوية الحديثة، ونجد ذلك خاصة في المواد العلمية. فقد أدرج المشروع البريطاني "نافيلد" لتدريس العلوم العامة أن من أهم أهدافه تعويد المتعلمين على استخدام الطريقة العلمية في البحث واستكشاف الحقائق بأنفسهم، وتطوير مهارات التلميذ في استخدام الأدوات المخبرية والمواد البيئية

¹ - العتيبي، نوال. فاعلية استخدام طريقة دورة التعلم في تحصيل الرياضيات وتنمية مهارات التفكير الناقد لدى طالبات الصف الثاني متوسط. رسالة ماجستير غير منشورة. المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى. 2008. ص: 19.

² - أبو جادو، صالح ونوفل، بكر. تعليم التفكير -النظرية والتطبيق- ط1. الأردن: دار المسيرة. 2005. ص: 238.



فاعلية استراتيجية (فكرة- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

البسيطة وتطوير مهاراتهم في الملاحظة والتصنيف. وقد صمم المشروع الأمريكي لتدريس الفيزياء Project Physics Course pps عدة أهداف منها تطوير قدرات التلاميذ في استخدام الطريقة العلمية في التفكير واكتسابهم مهارات التفكير العلمي¹.

وفي إطار المناهج الدراسية تشير النتائج التي أجريت حول تنمية التفكير والتي تم استخلاصها من ملاحظة أساليب التدريس في ألف فصل دراسي في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تم نشرها تحت عنوان "مكان اسمه المدرسة" إلى أن 75% من وقت الفصول الدراسية يقضى في التدريس، وأن 70% تقريباً من هذا الوقت يقضى في أنشطة تدريسية لفظية بواسطة المعلم، وأن أقل من 1% من أنشطة المعلم اللفظية تشجع التلاميذ على أفعال تتجاوز مجرد تذكر المعلومات².

وفي ميدان التعليم نجد أن أسلوب المعاشرة والمناقشة هما أكثر أساليب التدريس اعتماداً في مختلف المراحل التعليمية والمواد الدراسية، وأن معظم الأسئلة التي يستخدمها معلمي العلوم تقع ضمن المستويات العقلية الدنيا (المعرفة- الفهم- التطبيق) وذلك وفقاً لتصنيف بلوم للأهداف التربوية في المجال العقلي³. ففي دراسة لبحري (2007) التي هدفت للوقوف على مدى قدرة التلاميذ على التفكير بشكل نقدي كشفت أن تلاميذ المرحلة الثانوية لا تعوزهم القدرة على التفكير النقدي بشكل كامل، وأنه لا وجود

¹ - نشوان، يعقوب. الجديد في تعليم العلوم. عمان: دار الفرقان. 1989. ص: 36.

² - تغريد، عمران. نحو آفاق جديدة للتدريس. ط.1. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق. 2003. ص: 8-.9.

³ - زيتون، عايش. النظرية البنائية واستراتيجيات تدريس العلوم. الأردن: دار الشروق. 1994. ص: .64.



فاعلية استراتيجية (فكرة- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

لفرق في درجة نمو القدرة على التفكير النقدي تبعاً للتخصص الذي يدرسه التلميذ، أو تبعاً لمتغير الجنس¹.

ومن بين الفلسفات التربوية التي اهتمت بتغيير دور كل من المعلم والمتعلم نجد الفلسفة البنائية التي تؤكد أن الفرد يفسر المعلومات والعالم من حوله بناءً على رؤيته الشخصية، وأن التعلم يتم من خلال الملاحظة والمعالجة والتفسير، ومن ثم يتم المواجهة وتكييف المعلومات الجديدة بناءً على البنية المعرفية لدى الفرد. وقد قدمت النظرية البنائية الكثير من استراتيجيات التعلم منها استراتيجيات التعلم التعاوني². حيث تعد هذه الأخيرة من أبرز الاتجاهات المعاصرة في هذا المجال والتي تهدف إلى تنشيط أفكار التلاميذ من خلال العمل في مجموعات متعاونة، وتنمية روح الفريق بين التلاميذ مختلفي القدرات والاستعدادات، وتساعدهم على الاتساع الجيد للمفاهيم العلمية وتنمية التفكير. فقد أشار فيغوت斯基 Vygotsky أن التعلم يرتبط ويتأثر بالمشاركة في المجموعات القائمة على الحوار، ولكي يتعلم التلاميذ العلوم يجب أن تكون أمامهم فرص المرور إلى الظواهر الطبيعية والأدوات الثقافية للعلوم، وكذلك لابد من وجود فرص للحوار الذي يساعد على بناء الظواهر الطبيعية وبالتالي اكتساب المفاهيم العلمية³.

¹ - بحري، نبيل. محددات القدرة على التفكير النقدي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية. أطروحة دكتوراه غير منشورة. الجزائر: جامعة الجزائر (03). 2007. ص: 4.

² - منسي، محمود عبد الحليم. التعلم — المفهوم النماذج التطبيقات. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية. 2003. ص: 38.

³ - الشوبكشي، هبة جلال السيد محمود. أثر استخدام استراتيجيات التعلم النشط على اكتساب المفاهيم العلمية في مادة العلوم وتنمية الاتجاهات التعاونية لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية. رسالة ماجستير غير منشورة. مصر: جامعة الزقازيق. 2007. ص: 13.



فاعلية استراتيجية (فكرة- زواج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

وهذا ما أكدته عدة دراسات علمية التي تناولت أهمية أسلوب التعلم التعاوني في تنمية التفكير كدراسة عواد (2008) التي هدفت إلى التعرف على فاعلية استخدام أسلوب التعلم التعاوني نموذج (جونسون وجونسون لتعلم معا) في إكساب المفاهيم العلمية وتنمية مهارات التفكير الناقد، وقد توصلت إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة في التطبيق البعدى في مهارات التفكير الناقد ككل، ومكوناته الخمسة لصالح المجموعة التجريبية¹. أما دراسة عرام (2012) فقد أكدت نتائجها على تأثير استخدام استراتيجية K.W.L في إكساب المفاهيم ومهارات التفكير الناقد في العلوم لدى طلاب الصف السابع الأساسي²، مما يدل على فاعلية التعلم التعاوني في إكساب المفاهيم وتنمية التفكير الناقد.

وتتنوع الاستراتيجيات القائمة على التعلم التعاوني مثل: استراتيجية لتعلم معا، استراتيجية الفرق الطلابية وفقاً لمستوى التحصيل الدراسي، واستراتيجية الاستقصاء الجماعي، واستراتيجية (فكرة- زواج- شارك)، هذه الأخيرة تستمد اسمها من خطواتها الثلاث التي تعبّر عن التلاميذ أثناء تعلمهم باستخدام هذه الاستراتيجية، وهي تسير وفق تسلسل منطقي متالي متتابع، وتعتمد هذه الاستراتيجية على عدة مراحل بحيث لا تبدأ

¹ - عواد، وائل عبد الفتاح. فاعلية استخدام أسلوب التعلم التعاوني في إكساب المفاهيم العلمية وتنمية مهارات التفكير الناقد لدى طلاب المرحلة الإعدادية. رسالة ماجستير غير منشورة. مصر: جامعة الرقازيق. 2008. ص: 103.

² - عرام، ميرفت سليمان عبد الله. أثر استخدام استراتيجية (K.W.L) في إكساب المفاهيم ومهارات التفكير الناقد في العلوم لدى طالبات الصف السابع الأساسي. رسالة ماجستير غير منشورة. فلسطين: الجامعة الإسلامية- غزة. 2012. ص: 145.



فاعلية استراتيجية (فكرة - زواج - شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

خطوة إلا بانتهاء الخطوة التي تسبقها، فلا تبدأ الخطوة الثانية (المزاوجة) إلا بانتهاء الخطوة الأولى (التفكير)، ولا تبدأ الخطوة الثالثة (المشاركة) إلا عندما تنتهي الخطوة الثانية (المزاوجة)، أي أن هذه الاستراتيجية تعتمد على المراحلية في تنفيذها، حيث أنها تتكون من ثلاث مراحل. ويدرك جابر (1999) أن هذه الاستراتيجية تعتبر صورة مصغرة للتعلم التعاوني النشط، وقد تم اقتراحها في بداية الأمر من قبل (فرانك ليمان Frank Land, 1981)، ثم طورها هو وأعوانه في جامعة (ماري لاند Mary Land) عام 1985.

وأوضحت الدراسات التي استخدمت استراتيجية التعلم التعاوني (فكرة - زواج - شارك) كاستراتيجية تدريسية مثل دراسة حمادة (2004)²، ودراسة لطف الله (2005)³، ودراسة أبو غالى (2010)⁴ أن لها فاعلية في عدة مجالات منها: اكتساب المفاهيم العلمية، تطوير عمليات العلم، وزيادة التحصيل والاتجاهات المعلمين والمتعلمين نحو العلم، وتنمية

¹ - جابر، عبد الحميد جابر. قراءات في تعليم التفكير والمنهج. القاهرة: دار النهضة المصرية. 1999. ص: 91.

² - حمادة، محمد. فاعلية استراتيجية (فكرة - زواج - شارك) والاستقصاء القائمتين على أسلوب التعلم النشط في نوادي الرياضيات المدرسية في تنمية مهارات التفكير الرياضي واحتزال قلق الرياضيات لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية. مجلة دورية لجامعة حلوان. العدد 11. 2004. ص: 231.

³ - لطف الله، نادية. أثر استخدام استراتيجية (فكرة - زواج - شارك) في التحصيل والتفكير الابتكاري وداعية الإنجاز لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي المعاقين بصريا. كلية التربية. جامعة عين شمس. مصر: مجلة التربية العلمية. المجلد 8. العدد 3.2005. ص: 51.

⁴ - أبو غالى، سليم محمد. أثر توظيف استراتيجية (فكرة - زواج - شارك) على تنمية مهارات التفكير المنطقي في العلوم لدى طلبة الصف الثامن الأساسي. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية. الجامعة الإسلامية. غزة، فلسطين. 2010. ص: 8.



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

مهارات التفكير لدى المتعلمين، وأكّدت جميعها على أهميتها في العملية التربوية التعليمية وعلى تنمية التفكير لدى المتعلمين.

لذا تأتي هذه الدراسة لمعرفة مدى فاعلية استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فکر- زاوج- شارك) في تنمية التفكير مهارات الناقد في مادة العلوم الفيزيائية لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية.

1. الإطار المنهجي:

1.1 إشكالية الدراسة:

سيتم في هذه الدراسة تطبيق استراتيجية التعلم التعاوني (فکر - زاوج - شارك) في تدريس مادة العلوم الفيزيائية لتلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية، باعتبارها من المواد التعليمية المهمة التي لا بد من اكتساب معارفها ومفاهيمها العلمية بشكل جيد، وإيجاد طرق واستراتيجيات تعليمية تسهل على التلميذ اكتساب المفاهيم والمبادئ العلمية بطريقة صحيحة، وتنمي مهاراته العقلية، وتطور قدراته ومؤهلاته الفكرية. وفي هذا الصدد أشار حازم (2002) إلى بعض الصعوبات المرتبطة بتعلم الفيزياء منها: تركيز التلاميذ على الحفظ دون الفهم، وعدم وجود كتب وبرامج بالعربية كافية في مجال الفيزياء، وكذلك إلى طبيعة المادة والكتاب المدرسي وطرق التدريس¹.

ويرى الباحثان أن استراتيجية (فکر- زاوج - شارك) تلائم ظروف وإمكانيات مدارسنا المتاحة، وتتلاءم وأهداف معظم المواد الدراسية العلمية عامة، وأهداف تدريس العلوم الفيزيائية خاصة. كما أنها تأخذ بعين الاعتبار المتعلم كمحور للعملية التعليمية،

¹ - حازم، عيسى. صعوبات تعلم المفاهيم الفيزيائية لدى طلبة الصف العاشر بمحافظات غزة. رسالة ماجستير غير منشورة. فلسطين: الجامعة الإسلامية. غزة. 2002. ص: 52.



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

ويكون المعلم فيها مرشداً وموجهاً له، وهذا ما ترکز عليه المقاربة بالكافاءات التي تبنتها المدرسة الجزائرية.

لذا جاءت هذه الدراسة محاولة الإجابة عن السؤال الجوهرى التالي:

- ما مدى فاعلية استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فکر - زاوج - شارك) في تنمية مهارات التفكير الناقد لدى تلميذ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية؟

2.1 فرضيات الدراسة:

بما أن التفكير الناقد مهارة معقدة ومكونة من عدة مهارات جزئية متمثلة في معرفة الافتراضات، التفسير، تقويم المناقشات، الاستنباط والاستنتاج، وجب طرح عدة فرضيات جزئية وهي:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متواسطي درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في مهارة معرفة الافتراضات.

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متواسطي درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في مهارة التفسير.

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متواسطي درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في مهارة تقويم المناقشات.

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متواسطي درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في مهارة الاستنباط.

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متواسطي درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في مهارة الاستنتاج.



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متواسطي درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في الدرجة الكلية لتفكير الناقد.

3.1 أهمية الدراسة:

يمكن تلخيص أهمية الدراسة الحالية في نقطة هامة وهي أنها تتماشى مع الإصلاحات التربوية الجديدة وتوجه المدرسة الجزائرية من التدريس بالأهداف إلى التدريس بالكتفاءات، والتي تナدي بضرورة امتلاك المتعلم الكفاءات العلمية الأساسية لكل مادة، لذلك نخاول أن نقدم من خلال هذه الدراسة استراتيجية تعلم حديثة تسخير هذه الإصلاحات والتوجهات وتصل بالمتعلم لتحقيق الكفاءات المطلوبة.

4.1 أهداف الدراسة:

- التعرف على كيفية استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فکر- زاوج- شارك) كاستراتيجية تدريس في تنمية مهارات التفكير الناقد في مادة العلوم الفيزيائية لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي.

- الكشف على مجموع المهارات المشكلة لتفكير الناقد.

- القياس الميداني لمهارات التفكير الناقد الخمس لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي.

- الكشف عن مهارات التفكير الناقد الأكثر تأثيراً باستراتيجية التعلم التعاوني

(فکر- زاوج- شارك).

5.1 تحديد مفاهيم الدراسة:

تتضمن الدراسة عدداً من المفاهيم يعرفها الباحثان على النحو التالي:

1.5.1 التعلم التعاوني:

تعرف إجرائياً في هذه الدراسة: بأنها مجموعة من الإجراءات والخطوات التعليمية التعليمية يتم من خلالها تقسيم التلاميذ إلى مجموعات صغيرة تتكون من 5-6 تلميذ غير



فاعلية استراتيجية (فـكـرـ زـاوجـ شـارـكـ) ----- د. محمد خـادـ وـدـ سـعـيدـ بـنـ نـوـيـوـةـ

متـجـانـسـينـ، حيث يـتـعـاـونـ تـلـامـيـذـ الـجـمـوـعـةـ الـواـحـدـةـ فـيـ تـعـلـمـ وـفـهـمـ الـحـقـائـقـ وـالـمـفـاهـيمـ الـعـلـمـيـةـ الـخـاصـةـ بـوـحـدـةـ "ـتـعـيـنـ كـمـيـةـ الـمـادـةـ عـنـ طـرـيقـ قـيـاسـ الـنـاقـلـيـةـ"ـ لـمـادـةـ الـعـلـمـ الـفـيـزـيـائـيـةـ، وـفـيـ الإـجـابـةـ عـنـ الـأـسـئـلـةـ الـمـوـجـهـةـ وـالـقـيـامـ بـأـنـشـطـةـ تـعـلـمـيـةـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ أـهـدـافـ مـشـرـكـةـ، وـيـبـادـلـ أـفـرـادـ الـجـمـوـعـةـ الـأـدـوارـ فـيـ كـلـ حـصـةـ، وـيـتـكـرـرـ دـورـ أـسـتـاذـ مـادـةـ الـعـلـمـ الـفـيـزـيـائـيـةـ عـلـىـ تـوـجـيهـ وـتـعـزيـزـ عـمـلـ الـجـمـوـعـاتـ.

2.5.1 استراتيجية (فـكـرـ زـاوجـ شـارـكـ) (Think – Pair - Share)

:Strategy

هي إحدى استراتيجيات التعلم التعاوني النشط القائمة على أساس النظرية البناءية، والتي تعتمد على حركة وتفاعل ومشاركة التلاميذ في الأنشطة التعليمية التعلمية، وكمدف في هذه الدراسة لتشخيص وتحسين ما لدى تلاميذ السنة الثانية الثانوي شعبة علوم تجريبية من معارف وخبرات سابقة المتعلقة بوحدة "ـتـعـيـنـ كـمـيـةـ الـمـادـةـ عـنـ طـرـيقـ قـيـاسـ الـنـاقـلـيـةـ"ـ لـمـادـةـ الـعـلـمـ الـفـيـزـيـائـيـةـ، وهي استراتيجية تعتمد على المراحلية في تنفيذها من قبل التلميذ، وتتكون من ثلاث مراحل وهي:

أولاً - التفكير: وفيها يطرح أستاذ العلوم الفيزيائية للسنة الثانية الثانوي شعبة علوم تجريبية سؤالاً أو مسألة ما أو مشكلة ما أو ملاحظة ظاهرة فيزيائية معينة مرتبطة بالمفاهيم المتعلقة بالنشاط المقترن ذات صلة بما تم شرحه وتقديمه من معلومات أو مهارات سابقة، ثم يطلب الأستاذ من التلاميذ أن يقضوا زمناً محدوداً يفكرون كل منهم في السؤال بمفرده.

ثانياً - المزاوجة: وفيها يطلب الأستاذ من التلاميذ الانقسام إلى أزواج، بحيث يشارك كل تلميذ أحد زملائه ويحدثه عن إجابته ويقارن كل منهما أفكاره مع الآخر



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

ويتناقشان فيما بينهما ويفكران في الإجابات المطروحة، ثم يحددان الإجابة التي يعتقدان أنها مناسبة، وهذه الخطوة تستغرق عدة لحظات لتبادل الأفكار.

ثالثا - المشاركة: وهي الخطوة الأخيرة وفيها يطلب الأستاذ من كل زوج من التلاميذ أن يشاركاً أفكارهما مع مجموعة أخرى أو الفصل كله، ويمكن إجراء ذلك بصورة دورية، ويمكن هنا للمعلم تسجيل استجابات التلاميذ على السبورة.

3.5.1 طريقة التدريس المعتادة:

تعني بها في هذه الدراسة: الطريقة التي اعتادها أغلب الأساتذة في تدريس مادة العلوم الفيزيائية للسنة الثانية الثانوي شعبة علوم تجريبية، وهي الطريقة التي تعتمد على الإلقاء والمناقشة والقيام ببعض الأنشطة بمشاركة محدودة من التلاميذ، وينحصر دور التلاميذ في الإجابة عن أسئلة الأستاذ والتي غالباً ما تكون في مستوى العمليات العقلية الدنيا.

4.5.1 التفكير الناقد:

تعني به إجرائياً: الدرجة الكلية التي يحصل عليها التلميذ في أدائه على اختبار مهارات التفكير الناقد، ويضم المهارات التالية (معرفة الافتراضات - التفسير - تقويم المناقشات - الاستنباط - الاستنتاج).

2. الطريقة والأدوات:

1.2 منهج الدراسة: تم الاعتماد على المنهج التجريبي، لأن المنهج المناسب للكشف عن العلاقة السببية بين استراتيجية التعلم التعاوني (فکر- زاوج- شارك) والتفكير الناقد، وذلك في ضوء ضبط العوامل المؤثرة في التغيير التابع (التفكير الناقد).

2.2 التصميم التجاري للدراسة: تم اختيار التصميم التجريبي القائم على القياس القبلي والبعدي بوجود المجموعة الضابطة التي درست الوحدة الدراسية المختارة وفق



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

الطريقة المعتادة، بينما المجموعة التجريبية هي التي درست نفس الوحدة الدراسية باستخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فکر- زاوج- شارك)، وهذا بعد التأكيد من تكافؤ المجموعتين.

3.2 مجتمع وعينة الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من جميع التلاميذ المسجلين في السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية بثانويتي (الشيخ عمر المختار، بن ناعنة السعيد) المتواجدة في نفس المدينة عين الحجل - بولاية المسيلة، خلال السنة الدراسية 2018/2019، وقد بلغ عدد التلاميذ فيها 107 تلميذا، وهو ما يمثل مجتمع البحث.

وقد قام الباحث باختيار عشوائي لإحدى الثانويات لتطبيق الدراسة، وذلك لحرص الباحث على أن يكون أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة من نفس المؤسسة التربوية، من أجل عزل المتغير الفيزيقي ونوعية المدرسين وتكوينهم والإمكانيات المتاحة، فوقع الاختيار على ثانوية (الشيخ عمر المختار)، وبنفس الطريقة السابقة (طريقة القرعة) تم اختيار قسم (ع،ت2) كمجموعة تجريبية، وقسم (ع،ت1) كمجموعة ضابطة، وقد تم استبعاد المعدين من كلا القسمين لامتلاكهما خبرات سابقة عن دروس الوحدة التعليمية التي ستطبق في التجربة، والجدول التالي يوضح كيفية توزيع العينة:

القسم	نوع المجموعة	العدد الكلي	العنفين	العدد	النسبة
2 ع ت 2	المجموعة التجريبية	25	02	23	%50
1 ع ت 2	المجموعة الضابطة	26	03	23	%50
المجموع		51	05	46	%100

الجدول 01: يوضح كيفية توزيع أفراد العينة.



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

4.2 أدوات الدراسة:

1 اختبار التفكير الناقد:

- الهدف من الاختبار: يهدف إلى قياس مهارات التفكير الناقد لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية.

- تحديد الأبعاد التي يقيسها الاختبار: لتحديد أبعاد الاختبار تم الاعتماد على اختبار واطسن جليسير (1980)، وقد صمم الاختبار ليزود المفحوص بعض المواقف والمشكلات التي تتطلب استخدام بعض القدرات العقلية المتضمنة في التفكير الناقد، ويتضمن في صورته الأصلية خمسة اختبارات فرعية هي: اختبار الافتراضات (18) فقرة، اختبار التفسير (28) فقرة، اختبار تقويم المناقشات (36) فقرة، اختبار الاستنباط (42) فقرة، اختبار الاستنتاج (31) فقرة.

وفي ضوءه تم تحديد الأبعاد التي يقيسها اختبار التفكير الناقد وهي: مهارة معرفة الافتراضات- مهارة اختبار التفسير- مهارة تقويم المناقشات- مهارة الاستنباط- مهارة الاستنتاج.

أما عن فقرات الاختبار فقد تم الاعتماد على عبارات وفقرات اختبار فاروق عبد السلام سليمان (1982) الذي تم فيه تقيين اختبار واطسن جليسير على البيئة السعودية، واختبار محمد راشد (2005) قام بتقنين اختبار واطسن جليسير على البيئة السعودية، وبعد تعديل العبارات حسب البيئة الجزائرية تحصل الباحث على اختبار يتكون من 20 عبارة بما 68 فقرة.

- تصحيح الاختبار: يتكون الاختبار من (20) عبارة بما (68) فقرة بواقع (04) عبارات و(12) فقرة لكل مهارة، وقد منحت عالمة واحدة لكل إجابة صحيحة،



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

ودرجة الصفر للإجابة الخاطئة، وذلك تتراوح العالمة الكلية للاختبار بين (0-68) درجة.

- صدق الاختبار: تم عرض استماره الاختبار في صورته الأولية على مجموعة من المحكمين (أساتذة جامعيين تخصص علم النفس وعلوم التربية) ولقد اتفق جميعهم على قبول جميع عبارات وفترات الاختبار، مما يعني أن نسبة الاتفاق كانت (100%)، كما تم التأكد من صدقه عن طريق صدق الاتساق الداخلي، حيث تم حساب معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية لكل من مهارات التفكير الناقد كلاً على حدٍ من الدرجة الكلية للاختبار، كما هو موضح في الجدول التالي:

الاستنتاج	الاستنباط	نقاشات المناقشات	التفسير	معرفة الافتراضات	المهارات
*0.37	**0.46	*0.33	**0.49	**0.44	الدرجة الكلية

الجدول 02: يوضح معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية للاختبار والدرجة الكلية للمهارات الخمس.

** تعني دالة عند (0.01) * تعني دالة عند (0.05) درجة الحرية: (df= 35) يتبيّن من خلال الجدول أعلاه أن معاملات الارتباط للمهارات الخمس للتفكير الناقد تتمتّع بمعاملات ارتباط قوية ودالة إحصائية، وهذا يدلّ أن الاختبار يتمتع بمعامل صدق عالي.

- ثبات الاختبار: تم حساب معامل ثبات اختبار التفكير الناقد بطريقة التجزئة النصفية، والجدول التالي يوضح ثباته:

الاختبار	معامل الارتباط	تعديل معامل الثبات
----------	----------------	--------------------



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

0.80	0.67	التفكير الناقد
------	------	----------------

الجدول 03: يوضح معامل ثبات اختبار التفكير الناقد بطريقة التجزئة النصفية.
يتضح من خلال الجدول أن معامل الثبات قوي، وهو ما يعني أن الاختبار يتسم بالثبات.

2.4.2 إعداد دليل الأستاذ:

من خلال مراجعة الأدب النظري المرتبط باستراتيجية التعليم التعاوني (فکر - زاوج - شارك) وكيفية تفيذهما، قام الباحث بإعداد دليل مرشد للأستاذ المطبق يمكن استخدامه أثناء قيامه بتدريس وحدة "تعيين كمية المادة عن طريق قياس الناقلة"، وذلك في ضوء استخدام استراتيجية التعليم التعاوني (فکر - زاوج - شارك)، وقام الباحثان بتنظيم محتوى الوحدة المختارة في (03) محتويات تعليمية موزعة على (08) حصص بحجم ساعي يقدر بـ (12) ساعة حسب التدرج السنوي لمادة العلوم الفيزيائية _ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية _ المعتمد من قبل وزارة التربية الوطنية، ويمكن توضيح كيفية تنظيم محتوى الوحدة التعليمية المختارة للتجريب في الجدول التالي:

الأبعاد	المحتوى المفاهيمي	الدورس	عدد الحصص	المدة الزمنية
01	الحاليل المائية	الحاليل المائية	02 حصص	1سا نظري 2 ساع م
02	النقل الكهربائي للمحاليل الشاردية	النقل الكهربائي للمحاليل الشاردية	05 حصص	1سا نظري 2 ساع م
				1سا نظري 2 ساع م
				1سا نظري
03	معاييره مصل فيزيولوجي	مصل	01 حصه	2 ساع م
الجمـوع				12 سا



فاعلية استراتيجية (فكـر- زاوج- شارك) ----- د. محمد حماد ود. سعيد بن نويبة

المجدول 04: يوضح المحتوى المفاهيمي لوحدة "تعيين كمية المادة عن طريق قياس

"الناقلة"

وقام الباحث بإعداد الدليل وفقاً للخطوات التالية:

- الاطلاع على محتوى دروس وحدة "تعيين كمية المادة عن طريق قياس الناقلة"، من كتاب العلوم الفيزيائية للسنة الثانية الثانوي شعبة علوم تجريبية.
- تحديد محتوى المادة العلمية لوحدة "تعيين كمية المادة عن طريق قياس الناقلة".
- عرض الدليل في صورته الأولية على مجموعة من المحكمين من ذوي الاختصاص (مفتتشي المادة – أساتذة المادة من ذوي الخبرة)، وطلب منهم إبداء الرأي حول هذا الدليل، ومدى مطابقة النماذج التدريسية لاستراتيجية التعلم المعتمدة، وسهولة استخدامها مع تلاميذ السنة الثانية الثانوي.
- أجريت التعديلات المطلوبة على الدليل حسب اقتراحات المحكمين، وفي ضوء آراءهم تم التأكد من صدق الدليل.

5.2 ضبط المتغيرات قبل التجريب: للوصول إلى نتائج سليمة لا بد من تكافؤ

المجموعتين من خلال ضبط المتغيرات التي يمكن أن تتدخل في التأثير على المتغير التابع (التفكير الناقد)، والمجدول رقم (05) و(06) يوضح هذه المتغيرات:

مستوى الدلالة	قيمة T	مستوى دلالة F	قيمة التجانس F	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	المجموعة	المتغير
غير دالة إحصائياً	1.09	0.13	2.37	0.51	.5016	التجريبية	العمر
				0.70	.6916	الضابطة	
غير دالة إحصائياً	1.83	0.686	0.16	2.43	13.18	التجريبية	التحصيل العام
				2.26	12.28	الضابطة	
غير دال إحصائياً	1.07	0.353	0.88	4.06	9.86	التجريبية	التحصيل في المادة
				3.60	8.65	الضابطة	



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خماد ود. سعيد بن نويبة

المجدول 05: يوضح نتائج اختبار T لمتغيرات: السن، التحصيل العام، تحصيل

المادة.

مستوى الدلالة	قيمة T	مستوى دلالة F	قيمة التجانس F	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	المجموعة	المهارة
غير دالة إحصائياً	0.3 7	0.96	0.002	1.07	8.23	التجريبية	معرفة الافتراضات
				1.00	8.13	الضابطة	
غير دالة إحصائياً	1.4 5	0.006	8.09	2.06	7.13	التجريبية	التفسير
				1.19	6.50	الضابطة	
غير دال إحصائياً	1.4 1	0.83	0.04	1.25	6.53	التجريبية	تقويم المناقشات
				1.31	6.06	الضابطة	
غير دال إحصائياً	0.9 -	0.46	0.55	1.42	.207	التجريبية	الاستنباط
				1.47	7.56	الضابطة	
غير دال إحصائياً	0.9 -6	0.58	0.30	1.90	3.90	التجريبية	الاستنتاج
				1.58	4.33	الضابطة	
غير دال إحصائياً	0.5 8	0.09	2.85	3.11	33.00	التجريبية	التفكير الناقد ككل
				2.11	32.60	الضابطة	

المجدول 06: يوضح نتائج اختبار T للفروق بين متosteji المجموعتين في مهارات

التفكير الناقد (القياس القبلي)

6.2 إجراءات الدراسة الأساسية: طبقت الدراسة الأساسية في الفترة الممتدة

بين 03/02/2019 إلى 17/03/2019، أي أنها دامت حوالي 45 يوماً، حيث درست

المجموعة التجريبية الوحيدة المختارة وفق استراتيجية التعلم التعاوني (فکر- زاوج-

شارک)، في حين درست المجموعة الضابطة نفس الوحدة بالطريقة المعتادة.



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

7.2 الأساليب الإحصائية المستعملة: لاختبار صحة فرضيات الدراسة تم

الاعتماد على جملة من الأساليب الإحصائية هي: المتوسط الحسابي، الانحراف المعياري، اختبار النسبة الفائية (التجانس)، اختبار T لعينتين مستقلتين، مربع إيتا، حجم الأنثرا.

3. عرض ومناقشة النتائج:

1.3 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الجزئية الأولى:

تنص الفرضية على: - توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في مهارة معرفة الافتراضات.

تم اختبار هذه الفرضية باستخدام اختبار T لعينتين مستقلتين، والجدول المواري يوضح النتائج:

المجموعات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة التجانس F	مستوى دلالة F	قيمة T	مستوى دلالة	المجموعات
الضابطة	23	8.23	1.19	0.04	0.84	2.21	0.05	دلالة عند
التجريبية	23	8.93	1.25					

الجدول 07: يوضح نتائج اختبار T للفرق بين متوسطي درجات المجموعتين في مهارة معرفة الافتراضات.

- قيمة T المحدولة عند درجة حرية ($df=58$) وعند مستوى دلالة (0.05) تساوي 2.00.

- قيمة T المحدولة عند درجة حرية ($df=58$) وعند مستوى دلالة (0.01) تساوي 2.66.

يتضح من خلال الجدول نتائج الجدول (07) أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية يساوي (8.93) وأنحرافها المعياري يساوي (1.25)، والمتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة يساوي (8.23) وأنحرافها المعياري يساوي (1.19).

فاعلية استراتيجية (فك-زاوج-شارك) د. محمد حماد ود. سعيد بن نويبة

ويتضح كذلك من الجدول السابق أن قيمة اختبار T تساوي (2.21) وهي قيمة دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) ودرجة الحرية ($df=58$)، لأن ($T_{t=2.00} = 2.21$)، وهذا ما يدل على وجود فروق دالة إحصائية بين مجموعة الدراسة في مهارة معرفة الافتراضات في القياس البعدى لصالح المجموعة التجريبية.

تبين أن استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فكرة - زواج - شارك) في تدريس العلوم الفيزيائية يؤثر في مهارة معرفة الافتراضات لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية، وعليه يمكن القول أن الفرضية الأولى تحقت.

وأتفقت نتيجة الفرضية الأولى مع نتيجة دراسة لطف الله (2005)¹، ودراسة الحرارشة (2017)²، وتعارضت مع نتيجة دراسة العتيبي نوال (2008)³.

ويُمكن تفسير تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة في مهارة معرفة الافتراضات إلى أن التدريس باستخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فكـر- زاوج- شارك) يكون على شكل أنشطة وموافق ومشكلات تعلمية تزيد فرص التفكير والتفاعل مع ما يقدمه المعلم محتوى مفاهيمي . ولعل المراحل الثلاث لهذه الاستراتيجية أهميتها التي تظهر في تحور التعلم حول المتعلمين، مما يزيد التفاعل ويعزز فرص التعلم بتحفيز دافعيتهم وانتباهم ورغبتهم في التعلم، ومن ثم الوصول معاً إلى إجابات صحيحة عن التساؤلات والمشكلات المطروحة، وذلك من خلال عرض وشرح الموقف المثير والسماح لهم بمهمة

¹ - لطف الله. مرجع سابق. ص: 100.

² - الحرارة، كوثر عبود. أثر استخدام دورة التفصي الشائبة في اكتساب المفاهيم العلمية وتنمية مهارات التفكير الناقد في مادة العلوم لدى طلبة الصف السادس الأساسي في الأردن. مجلة كلية التربية. جامعة الأزهر. العدد (173 الجزء الأول). 2017. ص: 380.

³ - العتيبي، نوال. مرجع سابق. ص: 145.



فاعلية استراتيجية (فكـر- زاوج- شارك) ----- د. محمد حماد ود. سعيد بن نويبة

للتفكير واستشارة العمليات العقلية لديهم، ومساعدتهم على زيادة توليد الأفكار جديدة بشكل فردي في المرحلة الأولى، وتشجيعهم على التواصل والتفاعل ومناقشة الأفكار مع زميله في المرحلة الثانية، مما يؤدي إلى تنمية مهارات الاتصال لديهم، ومن ثم مشاركتها مع المجموعة التعليمية أو مع تلاميذ القسم، مما يزيد من فرص ترسيخ التعلمات وانسياب الأفكار.

معنـى أن هذه الاستراتيجية تتيح للطلـاب فرصة التـأمل والـتفكير وـمناقـشـة الأـفـكارـ والـتـفـاعـلـ معـ الآـخـرـينـ ماـ يـتـيـعـ لـهـ فـهـ المـشـكـلـةـ المـطـوـحةـ وـاستـكـشـافـ أـبعـادـهـ،ـ وـهـذـاـ ماـ يـسـاعـدـهـمـ عـلـىـ تـعـلـمـ وـضـعـ الـافـرـاضـ وـاقـتراـحـ حلـولـ مؤـقـتـةـ لـلـمـشـكـلـاتـ وـالـمـوـاـقـفـ التـعـلـيمـيـةـ،ـ وـمـنـ ثـمـ اـخـتـيـارـ الـخـلـ الأـنـسـبـ مـنـ بـيـنـ هـذـهـ الـحـلـولـ.

كـذـلـكـ مـحـتـوىـ الـوـحـدةـ الـتـعـلـيمـيـةـ المـقـرـحةـ وـأـنـشـطـتهاـ أـتـاحـ الفـرـصـةـ أـمـامـ الـتـلـامـيـذـ إـلـىـ اـمـتـلـاكـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ فـحـصـ الـوـقـائـعـ وـالـبـيـانـاتـ الـيـتـىـ تـتـضـمـنـهـ الـمـشـكـلـةـ،ـ وـهـوـ مـاـ يـسـاعـدـهـمـ عـلـىـ الـاقـرـابـ مـنـ الـخـلـ،ـ وـثـمـكـهـمـ مـنـ وـضـعـ الـافـرـاضـ وـاـخـتـارـهـاـ،ـ وـاقـتراـحـ حلـولـ مؤـقـتـةـ لـلـمـشـكـلـاتـ،ـ وـمـنـ ثـمـ اـخـتـيـارـ الـخـلـ الأـنـسـبـ مـنـ بـيـنـ هـذـهـ الـحـلـولـ.

وـمـاـ سـاعـدـهـمـ عـلـىـ ذـلـكـ أـيـضاـ هوـ تـمـيزـ تـفـكـيرـ الـتـلـامـيـذـ فيـ هـذـهـ الـمـرـحـلـةـ الـعـمـرـيـةـ حـسـبـ بـيـاجـيـهـ Piagetـ بـالـاـنـتـقـالـ مـنـ التـفـكـيرـ الـوـاقـعـيـ الـمـادـيـ إـلـىـ التـفـكـيرـ الـجـرـدـ،ـ الـذـيـ يـمـكـنـ الـتـلـمـيـذـ فيـ الـمـرـحـلـةـ الـثـانـيـةـ مـنـ الـاـنـتـقـالـ مـنـ مـنـطـقـ الـاـسـتـقـرـاءـ إـلـىـ مـنـطـقـ الـاـسـتـبـاطـ،ـ أـيـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ الـاـنـتـقـالـ مـنـ الـمـفـاهـيمـ الـعـامـةـ إـلـىـ الـمـفـاهـيمـ الـخـاصـةـ،ـ الـأـمـرـ الـذـيـ جـعـلـ الـتـلـامـيـذـ يـتـفـاعـلـونـ بـشـكـلـ جـيدـ مـعـ أـنـشـطـةـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ الـتـعـلـمـ الـتـعـاوـيـنـ (ـفـكـرـ زـاـوجـ شـارـكـ)ـ الـتـيـ تـسـيرـ خـطـواـهـاـ وـمـرـاحـلـهـاـ وـفقـ النـمـطـ الـاسـتـقـرـائـيـ مـنـ التـفـكـيرـ فيـ الـجـزـءـ إـلـىـ الـكـلــ.ـ وـهـذـاـ مـاـ يـتـوـافـقـ مـعـ الـاتـجـاهـاتـ الـحـدـيـثـةـ الـتـيـ تـطـالـبـ نـشـاطـ الـمـعـلـمـيـنـ وـإـمـكـانـيـاتـهـمـ عـلـىـ الـرـبـطـ بـيـنـ الـمـعـلـومـاتـ الـتـيـ يـتـوـصلـونـ إـلـيـهـاـ،ـ وـاستـخـلاـصـ الـتـتـائـجـ مـنـ خـالـلـ وـضـعـهـمـ فيـ مـشـكـلـةـ عـلـمـيـةـ تـدـفعـهـمـ إـلـىـ إـيجـادـ حلـ لهاـ¹.

¹ - أبو علام، رجاء محمود. التعلم أساسه ونظرياته. ط4.الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع. 2004.

. ص: 143



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

ومهارة معرفة الافتراضات تسعى إلى تحقيق حملة من الأهداف التربوية والتعليمية يتمثل أهمها في أن يكون المتعلم قادرا على أن يطور ملاحظاته المختلفة عن المشكلات والقضايا من حوله، وأن يقترح الحلول التجريبية المؤقتة لها. وهذه المهارة ترتبط إلى حد كبير بخبرات المتعلمين وأعمارهم ومستوى ذكائهم مما يؤثر على نوعية الفرضيات التي يقترحونها، لذا لابد من الاختيار الأنسب للفرضيات من جموع الفرضيات المقترحة من قبل التلاميذ في المرحلة الأخيرة من مراحل هذه الاستراتيجية وهي مرحلة (المشاركة) من أجل الوصول الجماعي إلى حل المشكلة.

وقد ذكر الحيلة (2002) أن قدرة الفرد على اختيار الفروض المناسبة من الممكن أن تتحسن نتيجة لاتساع دائرة خبرته وتدريبه على التفكير العلمي، والفرض الجيد يجب أن يكون له علاقة مع موضوع المشكلات ومتتفقا مع الواقع، كما تدل عليه الملاحظة وقبلا للاحتجاز، وأن يصاغ بصورة واضحة تيسر فهمه ووضعه موضع الاختبار¹.

2.3 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثانية:

تنص الفرضية الثانية على: - توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في مهارة التفسير.

تم اختبار هذه الفرضية باستخدام اختبار T لعيتين مستقلتين، والجدول التالي

يوضح النتائج:

المجموعات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة التجانس F	مستوى دلالة F	قيمة T	مستوى الدلالة
الضابطة	23	6.76	1.25	1.97	0.16	2.14	0.05
التجريبية	23	7.56	1.61				

الجدول 08: يوضح نتائج اختبار T للفروق بين متوسطي درجات المجموعتين في

مهارة التفسير

¹ - الحيلة، محمود محمد. طرق التدريس الصفي. عمان.الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع.2002.

ص: 207



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خماد ود. سعيد بن نويبة

- قيمة T المحدولة عند درجة حرية (df=58) وعنده مستوى دلالة (0.05)

تساوي 2.00

- قيمة T المحدولة عند درجة حرية (df=58) وعنده مستوى دلالة (0.01)

تساوي 2.66

يتضح من خلال الجدول نتائج الجدول (08) أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية يساوي (7.56) وأنحرافها المعياري يساوي (1.61)، والمتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة يساوي (6.76) وأنحرافها المعياري يساوي (1.25).

بينما بلغت قيمة اختبار التجانس F (1.97) بمستوى دلالة (0.16)، أي أنها غير دالة عند مستوى الدلالة (0.05) لأن ($0.16 > 0.05$)، مما يعني أن المجموعتين التجريبية والضابطة متجانستين.

يتضح كذلك من خلال نتائج الجدول أعلاه أن قيمة اختبار T تساوي (2.14) وهي قيمة دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) ودرجة الحرية (df=58)، لأن $T_{tC} = 2.14 > T_{tF} = 2.00$ مما يشير إلى وجود فروق دالة إحصائية بين مجموعة الدراسة في مهارة التفسير في القياس البعدى لصالح المجموعة التجريبية.

تبين أن استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فکر- زاوج- شارك) في تدريس العلوم الفيزيائية تؤثر في مهارة التفسير لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية، وعليه يمكن القول أن الفرضية الثانية تحققت.

وتفقنت نتيجة هذه الفرضية مع نتيجة دراسة العتيبي خالد¹ (2007)، ودراسة الحربي وصبرى² (2009)، بينما تعارضت مع نتيجة دراسة العتيبي نوال³ (2008).

¹ - العتيبي، خالد. أثر استخدام بعض أجزاء برنامج الكورت في تنمية مهارات التفكير النقدي وتحسين مستوى التحصيل الدراسي لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمدينة الرياض. أطروحة دكتوراه غير منشورة. المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى. 2007. ص: 5.

² - أبوغالي. مرجع سابق. ص: 78.

³ - العتيبي، نوال. مرجع سابق. ص: 147.



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

وقد يرجع تفوق تلاميذ المجموعة التجريبية على تلاميذ المجموعة الضابطة في مهارة التفسير إلى أن استراتيجية التعلم التعاوني (فکر- زاوج- شارك) وفي أثناء مراحلها المختلفة يوجه الأستاذ اهتمام التلاميذ إلى الانشغال والتفكير و التنظيم العقلي للخبرات السابقة واستكشاف حلول للمشكلة، ويقوم بعد ذلك في المرحلة الأخيرة (المشاركة) بتقديم التفسيرات المناسبة لوضع الخبرات الاستكشافية في وضعها الصحيح، وتعتبر هذه المرحلة (المشاركة) مرحلة موجهة من قبل المعلم، حيث يستخدم طرقا وأساليب متنوعة في تقديم المفاهيم والمهارات منها: التفسير اللغوي والوسائل التعليمية والبرمجيات التعليمية، وفي هذه المرحلة تستمر عملية التنظيم العقلي Organization Mental، ويصبح التلاميذ قادرين على تفسير خبراتهم السابقة.

كما أن الوحدة التعليمية المقترحة وأنشطتها المتنوعة أتاح الفرصة أمام التلاميذ إلى امتلاك القدرة على تحديد المشكلة وأبعادها وصياغتها والتعرف على التفسيرات المنطقية لها واستخلاص النتائج من إجمالي الحقائق والمفاهيم المعلمة. إضافة إلى ذلك فإن إجراءات هذه الاستراتيجية تضمن إعطاء التلاميذ فرصة التفكير وإيجاد تفسيرات لتلك الفرضيات والنبؤات التي يكتبوها، وكذلك تضمن نقاشا وتفاعلًا بين التلاميذ حول الأفكار والفرضيات المتوصّل إليها، كما تضمن مشاركة المفهوم وكتابته على السبورة وإثارة النقاش حوله بشكل جماعي مع المعلم، مما يسهم في طرح أفكار متعددة ومتنوعة للمشكلات المعروضة، ثم العمل على إضافة نقاط جديدة إلى هذه الاستجابات. كما أن التفاعل بين المجموعات أثناء مشاركة الإجابات المتوصّل إليها مع توجيه المعلم للنقاش والتفاعل نحو المهدد المحدد يساهم في تنمية مهارة التفسير.

ويرى جروان (1999) أن مهارة التفسير عملية عقلية غايتها إضفاء معنى على خبراتنا الحياتية أو استخلاص معنى لها، فنحن عندما نقدم تفسيراً لخبرة ما إنما نقوم بشرح

فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارک) د. محمد حماد و د. سعید بن نویویة

المعنى الذي أوحى به إلينا، وعندما نسأل عن كيفية توصلنا لمعنى معين من خبرتنا فإننا نقوم بإعطاء تفصيلات تدعم تفسيرنا لتلك الخبرة.¹

وتمثل عملية التفسير في تفسير البيانات والمعلومات التي جمعها وصنفها التلميذ، وكذلك تفسير البيانات والنتائج التي توصل إليها، وذلك في ضوء المعلومات السابقة التي يمتلكها التلميذ أو الخلفية العامة التي استند إليها، وتحتاج عملية التفسير إلى قدرات عقلية أعلى، فالللميذ يقوم بتفسير الظاهر الذي لديه أو تفسير النظام الذي اعتمد في عملية التصنيف.

3.3 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثالثة:

تنص الفرضية الثالثة على: - توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في مهارة تقويم المناقشات.

تم اختبار هذه الفرضية باستخدام اختبار T لعينتين مستقلتين، والجدول التالي يوضح النتائج المتوصّل إليها.

مستوى الدلالة	قيمة T	مستوى دلالة F	قيمة التجانس F	الاحرف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	المجموعة
عند دالة 0.05	2.12	0.74	0.11	1.40	6.36	23	الضابطة
				1.26	7.10	23	التجريبية

الجدول 09: يوضح نتائج اختبار T للفروق بين متوسطي درجات المجموعتين في مهارة تقويم المناقشات

- قيمة T المجدولة عند درجة حرية ($df=58$) وعند مستوى دلالة (0.05)

تساوي 2.00

- قيمة T المجدولة عند درجة حرية ($df=58$) وعند مستوى دلالة (0.01)

تساوي 2.66

[View Details](#) | [Edit](#) | [Delete](#)

تساوي 2.66

^١ - جروان، فتحي عبد الرحمن. تعلم التفكير (مفاهيم وتطبيقات). ط.3. عمان: دار الفكر. 1999. ص: 208.



فاعلية استراتيجية (فكـر- زاوج- شارك) ----- د. محمد حماد ود. سعيد بن نويبة

يتضح من خلال الجدول نتائج الجدول (09) أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية يساوي (7.10) وأنحرافها المعياري يساوي (1.26)، والمتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة يساوي (6.36) وأنحرافها المعياري يساوي (1.40).

بينما بلغت قيمة اختبار التجانس F (0.11) بمستوى دلالة (0.74)، أي أنها غير دالة عند مستوى الدلالة (0.05) لأن ($0.74 > 0.05$)، مما يعني أن المجموعتين التجريبية والضابطة متحانستين.

يتضح كذلك من خلال نتائج الجدول أعلاه أن قيمة اختبار T تساوي (2.12) وهي قيمة دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) ودرجة الحرية (df=58)، لأن ($T_{tc} = 2.12 > T_{t} = 2.00$)، مما يشير إلى وجود فروق دالة إحصائية بين مجموعة الدراسة في مهارة تقويم المناقشات في القياس البعدى لصالح المجموعة التجريبية. تبين أن استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فكـر- زاوج- شارك) في تدريس العلوم الفيزيائية تؤثر في مهارة تقويم المناقشات لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية، وعليه يمكن القول أن الفرضية الثالثة تحققت.

وأتفقت نتيجة هذه الفرضية مع نتيجة دراسة لطف الله¹ (2005)، ودراسة عواد (2008)²، بينما تعارضت مع نتيجة دراسة العتيبي خالد (2007)³، ونتيجة دراسة العتيبي نوال (2008)⁴.

وقد يفسر تفوق تلاميذ المجموعة التجريبية على تلاميذ المجموعة الضابطة في مهارة تقويم المناقشات إلى أن استراتيجية التعلم التعاوني (فكـر- زاوج- شارك) هي عملية معرفية نشطة تتطلب جهداً عقلياً، إذ تؤكد على الدور النشط للمتعلمين في التعلم، كما تؤكد على المشاركة الفكرية في النشاطات بحيث يحدث تعلم ذو معنى قائماً على الفهم،

¹ - لطف الله. مرجع سابق. ص: 102.

² - عواد. مرجع سابق. ص: 99.

³ - العتيبي، خالد. مرجع سابق. ص: 89.

⁴ - العتيبي، نوال. مرجع سابق. ص: 149.

فاعلية استراتيجية (فکر- زاویه- شارک) د. محمد حماد و د. سعید بن نویوہ

وبذلك تسمح للتلמיד التعلم في جو جماعي مشترك ويصل إلى حلول للمشكلات وتفسيرات مقبولة للمواقف التعليمية، فمهارة حل المشكلات تنمو من خلال التفاعل الاجتماعي. وتقى كد دراسة أبو جلنبو صفاء (2015) إلى أن المناقشات تلعب دوراً في تعليم الطلاب حيث تؤدي إلى توليد تساؤلات وتوضيح المحتوى، وظهور تساؤلات جديدة وحل المشكلة مما يزيد من التحصيل لديهم.¹

فمهارة تقويم المناقشات كمهارة تفكير تدرب التلميذ على الدقة والشمول في الملاحظة العلمية، وتساعد في الوصول إلى معلومات وبيانات دقيقة، كما تساهم في الضبط العلمي للظواهر والمتغيرات والتحكم فيها، من أجل إدراك التغييرات الحاصلة والنتائج المتوصل إليها، وهذا ما ساعدت عليه استراتيجية التعلم التعاوني (فكرة - زوج - شارك) من خلال تطوير تفكير التلميذ المحسوس إلى التفكير المجرد، وذلك أثناء إجراء الأنشطة التعليمية المتنوعة والتعامل مع المواد والأدوات المستخدمة في المخبر أثناء تنفيذ التجارب. وهذا ما أكّدت عليه دراسة عمور (2006) حيث توصلت هذه الدراسة إلى أن التدريس باستخدام التجارب العلمية يقوّي الدافعية للتعلم، ويساعد في الاعتماد على النفس للوصول إلى الحلول المناسبة للمشكلات، بدلاً من انتظار الحلول الجاهزة، وهذا ما يؤثّر إيجابياً على تتميّز المهارات المشكّلة للتفكير الناقد².

كذلك فإن محتوى الوحدة التعليمية المقترحة وأنشطتها المتنوعة أتاح الفرصة أمام التلاميذ إلى امتلاك القدرة على فهم نسق الترابط بين الأسئلة وإيجابها المتصلة بها بشكل مباشر، والتمييز بين هذه الإجابات، لاختيار الإجابة الأكثر دقة بناءً على المفاهيم والمعاني المرتبطة بها. كما يمكن إرجاع تمكنهم من هذه المهارة من خلال قدرتهم في

¹ - أبو جلنبو صفاء. أثر استخدام نموذج ووزر في تنمية المفاهيم ومهارات التفكير الناقد لدى طالبات الصف السادس الأساسي في العلوم العامة. رسالة ماجستير غير منشورة. فلسطين: الجامعة الإسلامية-غزة، 2015. ص: 130.

² - عمور، عمر. أثر ممارسة التجربة العلمية في تتميم بعض قدرات التفكير العلمي. رسالة ماجستير غير منشورة. الجزائر: جامعة الجزائر 2007. 3.2007. ص: 178.



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

مرحلتي (زاوج- شارك) من مراحل الاستراتيجية على إجراء الحوار والمناقشة بينهم وإبداء الرأي وتقديمهم الأدلة والبراهين على صحة ما توصلوا إليه.

وبصورة مجملة يمكن القول أن استراتيجية التعلم التعاوني (فکر- زاوج- شارك) من خلال مراحلها الثلاث لعبت دوراً كبيراً فيما يمارسه التلاميذ من عمليات وأنشطة مختلفة أثناء التعلم، كما أن هناك اعتماداً ذاتياً وجماعياً، ومسؤولية فردية وجماعية بين أفراد المجموعة التعاونية في تعلم المفاهيم الفизيائية وإتقانها، فالتفكير في الحلول الممكنة للمشكلة، ومناقشة الأفكار وتبادلها، وإعطاء الوقت الكافي للتعلم، واستخدام التقويم المستمر والتعزيز، كل هذه العوامل ساعدت في تنمية قدرة تلاميذ المجموعة التجريبية على المناقشات وتقويمها، مقارنة بنظرائهم في المجموعة الضابطة.

4.3 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الرابعة:

تنص الفرضية الرابعة على: - توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في مهارة الاستنباط.

تم اختبار هذه الفرضية باستخدام اختبار T لعينتين مستقلتين، والجدول التالي يوضح النتائج المتوصّل إليها.

المجموعات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة التجانس F	مستوى دلالة F	قيمة T	مستوى دلالة	الضابطة
المجموعة التجريبية	23	8.36	1.42	1.04	0.32	2.18	0.05	دالة عند 0.05

الجدول 10: يوضح نتائج اختبار T للفروق بين متوسطي درجات المجموعتين في مهارة الاستنباط.

- قيمة T المحدولة عند درجة حرية (df=58) وعنده مستوى دلالة (0.05) تساوي 2.00.

- قيمة T المحدولة عند درجة حرية (df=58) وعنده مستوى دلالة (0.01) تساوي 2.66.

فاعلية استراتيجية (فکر- زاویه- شارک) د. محمد حماد و د. سعید بن نویوہ

يتضح من خلال الجدول نتائج الجدول (10) أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية يساوي (8.36) وانحرافها المعياري يساوي (1.42)، والمتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة يساوي (7.63) وانحرافها المعياري يساوي (1.15).

بينما بلغت قيمة اختبار التحانس F (1.04). بمستوى دلالة (0.32)، أي أنها غير دالة عند مستوى الدلالة (0.05) لأن ($0.32 > 0.05$)، مما يعني أن الجموعتين التجريبية والضابطة متحانستين.

يتضح كذلك من خلال نتائج الجدول أعلاه أن قيمة اختبار T تساوي (2.18) وهي قيمة دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) ودرجة الحرية ($df=58$)، لأن $T_{t=2.00} > T_{C=2.18}$ ، مما يشير إلى وجود فروق دالة إحصائية بين مجموعة الدراسة في مهارة الاستنباط في القياس البعدى لصالح المجموعة التجريبية.

تبين أن استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فكرة- زواج- شارك) في تدريس العلوم الفيزيائية يؤثر في مهارة الاستنباط لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية، وعليه يمكن القول أن الفرضية الرابعة تحققت.

وتفقنت نتيجة الفرضية الرابعة مع نتيجة كل من دراسة لطف الله (2005)¹، ودراسة أبو غالي (2010)²، وتعارضت نتيجة هذه الفرضية مع نتيجة دراسة العتيبي خالد (2007)³، ونتيجة دراسة العتيبي نوال (2008)⁴.

وقد يفسر تفوق تلاميذ الجموعة التجريبية على تلاميذ الجموعة الضابطة في مهارة الاستنباط إلى أن استراتيجية (فكـر- زاوج- شارك) تشجع التلاميذ على الحوار والتفاعل، ومناقشة الفرضيات والتنبؤات التفسيرية، وبالتالي تساعدهم على التنظيم العقلي للخبرات التي يتوصّلون إليها، عن طريق ربطها بخبرات سابقة مشابهة. فهذه

¹ - لطف الله. مرجع سابق. ص: 103.

- أبوغالي. مرجع سابق. ص: 143².

³ - العتيبي، خالد. مرجع سابق. ص: 89.

⁴ - العتيبي، نوال. مرجع سابق. ص: 151.



فاعلية استراتيجية (فكـر- زاوج- شارك) ----- د. محمد حماد ود. سعيد بن نويبة

المراحل من الاستراتيجية تساعدهم على ممارسة عمليات التعلم المختلفة كالملاحظة والتفسير والاستنتاج وفرض الفرض، وإتاحة فرص التعلم لهم من خلال توفير جو ديمقراطي للتفاعل النشط بينهم، من خلال العمل في مجموعات تعاونية، الأمر الذي يترتب عليه استخدام العديد من التجارب والنشاطات، والوسائل التعليمية المختلفة التي تساعده في تعلم التلاميذ وبناء المعرفة بأنفسهم، وإدراك المفاهيم وال العلاقات، من خلال ربط المعلومات والآراء الجديدة بما هو موجود لديهم من معارف ومفاهيم سابقة، واستخدام ما هو مألف في التعرف وفهم ما هو غير مألف، بحيث ظهرت المعلومات الجديدة واضحة وذات معنى بالنسبة لهم.

كذلك فإن في مرحلتي (فكـر- زاوج) يستخدم التلاميذ فيها التفسيرات التي تم تطوريها في مواقف تعلمية جديدة، من أجل تطوير مدى فهمهم للمفاهيم والعمليات والمهارات، حيث وجد أنه في بعض الحالات يستمر التلاميذ في احتفاظهم بفهمهم الخاطئ، أو يقتصر فهمهم للمفاهيم في نطاق خبرات المبادلة مع الزميل، وتقتضي مرحلة الأخيرة من الاستراتيجية (المشاركة) وضع التلاميذ في مواقف تعلمية جديدة، وأن يواجهوا مشكلات تتطلب تفسيرات مماثلة لما تم التوصل إليه، من أجل مساعدة التلاميذ على التنظيم العقلي للخبرات المكتسبة، عن طريق ربطها بخبرات سابقة مشابهة، مما يسمح باكتشاف تطبيقات جديدة لما حرى تعلمـه وإضافة خبرات جديدة، وإعطاء أمثلة مشابهة لإثارة مهارات استقصاء أخرى. فالتعلم وفقاً لهذه لاستراتيجية التعلم التعاوني (فكـر- زاوج- شارك) ساعد على ربط الخبرات السابقة الموجودة في البنية المعرفية للمتعلم بالخبرة الجديدة المتعلمة ربطاً ذا معنى. وقد ذكرت شهاب والجندـي (1999) أن النموذج البنائي يعمل على ربط الجوانب المفاهيمـية الخاصة بالنشاطـات العلمـية التي قاموا بتنفيذـها بالجوانـب الإجرـائية، وذلك ساعد على الفـهم الواضح والتـكامل للنشاطـ، وتكـامل المـعرفـة النـظرـية مع المـعرفـة الإـجرـائية، وجعل الطـلـاب أكثر إيجـابـية أثناء عملـية



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

التعلم من مناقشة المعرفة القبلية، واشتراك فعلي في النشاطات العلمية، واحتراق للمعارف، ومعالجة البيانات، مما يسهم في رفع مستوى التحصيل لديهم¹.

5.3 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الخامسة:

تنص الفرضية الخامسة على: - توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متواسطي درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في مهارة الاستنتاج.

تم اختبار هذه الفرضية باستخدام اختبار T لعينتين مستقلتين، والجدول التالي يوضح النتائج المتوصل إليها.

المجموعات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة التتجانس F	مستوى دلالة F	قيمة T	مستوى الدلالة
الضابطة	23	4.23	1.45	0.12	0.72	1.37	غير دالة
	23	4.76	1.54				

الجدول 11: يوضح نتائج اختبار T للفرق بين متواسطي درجات المجموعتين في مهارة الاستنتاج.

- قيمة T المحدولة عند درجة حرية (df=58) وعند مستوى دلالة (0.05) تساوي 2.00

- قيمة T المحدولة عند درجة حرية (df=58) وعند مستوى دلالة (0.01) تساوي 2.66

يتضح من خلال الجدول نتائج الجدول (11) أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية يساوي (4.76) وانحرافها المعياري يساوي (1.54)، والمتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة يساوي (4.23) وانحرافها المعياري يساوي (1.45).

¹ - المطري، غازي بن صلاح. أثر استخدام نموذج التعلم البنائي في تدريس العلوم على التحصيل والاتجاه نحو المادة لدى طلاب الصف الثالث المتوسط. أطروحة دكتوراه في المناهج وطرق تدريس العلوم غير منشورة. المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى. 2007. ص: 204.



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خاد ود. سعيد بن نويبة

بينما بلغت قيمة اختبار التجانس F (0.12) بمستوى دلالة (0.72)، أي أنها غير دالة عند مستوى الدلالة (0.05) لأن ($0.72 > 0.05$)، مما يعني أن المجموعتين التجريبية والضابطة متحانستين.

يتضح كذلك من خلال نتائج الجدول أعلاه أن قيمة اختبار T تساوي (2.14) وهي قيمة غير دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.05) ودرجة الحرية (df=58)، لأن ($T_{tC} = 1.37 < T_{tT} = 2.00$)، مما يشير إلى عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين مجموعة الدراسة في مهارة الاستنتاج في القياس البعدى.

تبين أنه لا يوجد اختلاف في مهارة الاستنتاج لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية باختلاف الاستراتيجية المستخدمة في تدريس العلوم الفيزيائية، وعليه يمكن القول أن الفرضية الرابعة لم تتحقق.

وأتفقنا نتيجة الفرضية الرابعة مع نتيجة كل من دراسة العتيبي نوال¹ التي أرجعت عدم تنمية مهارة الاستنتاج إلى صغر سنهم، وعدم تعودهن على إجراء مثل هذه الاختبارات، وكذلك قصر مدة تجريب الدراسة التي اقتصرت على (ثلاثة أسابيع) لم تؤثر على تنمية تفكير الطالبات، بينما تعارضت مع نتائج دراسة عواد (2008) التي أثبتت فاعلية استخدام أسلوب التعلم التعاوني في تنمية مهارة الاستنتاج لدى طلاب المرحلة الإعدادية².

وقد يعود ذلك لصعوبة اختبار مهارة الاستنتاج وخياراته المشاهدة مما يجعل هنالك صعوبة في تحديد الاختبار الصحيح من قبل التلميذ، خاصة إذا علمنا أن زمن تطبيق الاختبار كاملا هو (35) دقيقة، وتتوافق عملية الترتيب نسبيا مع صعوبة المهارة العقلية. فمهارة الاستنتاج تعد من أصعب مهارات التفكير الناقد فهي: القدرة على التمييز بين درجات احتمال صحة أو خطأ نتيجة ما تبعا لدرجة ارتباطها بواقع معينة تعطي للتلميذ، وهي تعد من أرقى مهارات التفكير العليا.

¹ - العتيبي، نوال. مرجع سابق. ص: 153.

² - عواد. مرجع سابق. ص: 99.



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد حماد ود. سعيد بن نويبة

كما قد يفسر عدم وجود اختلاف في مهارة الاستنتاج بين المجموعتين إلى أنها تتضمن الكثير من العمليات العقلية المعقدة مثل: استخلاص النتائج المنطقية من العلاقات، وفحص الدليل، وتحمين البائع، وهي عمليات ليس من السهل أداؤها من قبل تلاميذ في المرحلة الثانوية، وهي عمليات يصعب ممارستها في الحياة اليومية. وهذا ما كشفت عنه نتائج دراسة بحري (2007) أن مهارة الاستنتاج من أصعب مهارات التفكير الناقد تعلماً واكتساباً لدى الطلبة بسبب ما تتطلبه من عمليات معقدة¹. كما أن النتيجة المتوصل إليها تدل على ضعف في قدرة أفراد العينة في التمييز بين الإجابات المعطاة واحتمال أن تكون الإجابة صحيحة أو خاطئة في ضوء ارتباطها بالواقع التي تنتهي إليه، كما تشير أيضاً إلى وجود ضعف لدى التلاميذ في الحكم بشكل موضوعي على صحة نتائج معينة بناءً على بيانات ومعلومات معطاة مسبقاً، وفي تحليل المواقف والمشكلات للوصول إلى استنتاجات معينة بدرجة متفاوتة من الثقة (صحيح - بيانات ناقصة - خاطئ).

6.3 عرض ومناقشة نتائج الفرضية السادسة:

تنص الفرضية السادسة على: - توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في الدرجة الكلية للتفكير الناقد.

تم اختبار هذه الفرضية باستخدام اختبار T لعيتين مستقلتين، والجدول المواري

يوضح النتائج المتوصل إليها.

مستوى الدلالة	قيمة T	مستوى دلالة F	قيمة التجانس F	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	المجموعة
دالة عند 0.01	5.00	0.99	00	2.64	33.23	23	الضابطة
				2.76	36.73	23	التجريبية

المدول 12: يوضح نتائج اختبار T للفرق بين متوسطي درجات المجموعتين في الدرجة الكلية للتفكير الناقد.

¹ - بحري. مرجع سابق. ص: 6.



فاعليه استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خماد ود. سعيد بن نويبة

- قيمة T المحدولة عند درجة حرية (df=58) وعنده مستوى دلالة (0.05) تساوي 2.00.

- قيمة T المحدولة عند درجة حرية (df=58) وعنده مستوى دلالة (0.01) تساوي 2.66.

يتضح من خلال الجدول نتائج الجدول (12) أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية يساوي (36.73) وأنحرافها المعياري يساوي (2.76)، والمتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة يساوي (33.23) بانحراف معياري (2.64).

بينما بلغت قيمة اختبار التجانس F (00) مستوى دلالة (0.99)، أي أنها غير دالة عند مستوى الدلالة (0.05) لأن ($0.99 > 0.05$)، مما يعني أن المجموعتين التجريبية والضابطة متحانستين.

يتضح كذلك من خلال نتائج الجدول أعلاه أن قيمة اختبار T تساوي (5.00) وهي قيمة دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.01) ودرجة الحرية (df=58)، لأن $T_t = 2.00 > T_c = 5.00$ مما يشير إلى وجود فروق دالة إحصائية بين مجموعة الدراسة في درجة التفكير الناقد ككل في القياس البعدى لصالح المجموعة التجريبية.

ويمكن قياس أثر هذه الاستراتيجية بحساب معامل إيتا لقياس الأثر (Eta Squared- n^2) لمعرفة تأثير المتغير المستقل استراتيجيات التعليم التعاوني (فکر- زاوج- شارك) على المتغير التابع (تنمية مهارات التفكير الناقد)، كما يمكن التعرف على حجم التأثير الذي أدى إلى تنمية مهارات التفكير الناقد من خلال حساب حجم التأثير (Effect Size)، ويتحدد حجم التأثير إذا ما كان كبيراً أو متوسطاً أو صغيراً كالتالي: قيمة (d) = 0.2 حجم التأثير صغير، قيمة (d) = 0.5 حجم التأثير متوسط، قيمة (d) = 0.8 حجم كبير¹، والجدول المولى يوضح النتائج:

حجم التأثير (Es)	قيمة مربع إيتا (n^2)	المتغير التابع	المتغير المستقل
1.56	0.38	معرفة الافتراضات	استراتيجيات التعليم التعاوني

¹ - المطري. مرجع سابق. ص: 181.

فاعلية استراتيجية (فکر- زاویه- شارک) د. محمد حماد و د. سعید بن نویوہ

0.91	0.17	التفسير	(فکر - زاوج - شارک)
1.56	0.38	تقييم المناقشات	
2.63	0.63	الاستنباط	
4.44	0.83	الدرجة الكلية	

الجدول 13: يوضح قيمة مربع إيتا وحجم التأثير لاستراتيجية التعلم التعاوني (فكرة - زواج - شارك) في تنمية مهارات التفكير الناقد لدى أفراد المجموعة التجريبية.

يتضح من خلال الجدول رقم (13) أن حجم التأثير (Es) ذا نسب مرتفعة في المهارات الأربع، وقد بلغ (4.44) في الدرجة الكلية للتفكير الناقد، مما يعني أن استراتيجيات التعلم التعاوني (فكرة- زواج- شارك) لها أثراً كبيراً على تنمية مهارات التفكير الناقد، ولم يتم حساب حجم أثر مهارة الاستنتاج لأننا وجدنا أن الاستراتيجية ليس لها أثر في تنمية هذه المهارة.

تبين أن استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فكرة - زواج - شارك) في تدريس العلوم الفيزيائية تؤثر في تنمية التفكير الناقد لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية، وعليه يمكن القول أن الفرضية السادسة تحققت.

وأتفقت نتيجة الفرضية الرابعة مع نتيجة كل من دراسة لطف الله (2005)¹، ودراسة حمادة (2004)²، ودراسة أبو غالى (2010)³، ودراسة عرام (2012)⁴، بينما تعارضت مع نتائج دراسة العتيقى نوال (2008)⁵.

وقد يرجع تفوق تلاميذ المجموعة التجريبية على تلاميذ المجموعة الضابطة في التفكير الناقد إلى الأسباب التالية:

¹ - لطف الله. مرجع سابق. ص: 103.

- حمادة. مرجع سابق. ص: 243.²

³ - أبو غالى. مرجع سابق. ص: 141.

٤ - عرام. مرجع سابق. ص: 144.

⁵ - العتيبي، نوال. مرجع سابق. ص: 155.



فاعلية استراتيجية (فكـر- زاوج- شارك) ----- د. محمد خـاد وـدـ سعيد بن نوبيـة

- تتضمن الوحدة التعليمية المصاغة وفق استراتيجية التعلم التعاوني (فكـر- زاوج- شارك) أنشطة تعليمية ذات مستوى فكري مرتفع، كما تتضمن هذه الوحدة أنماطاً من الأسئلة متدرجة في الصعوبة تشير عمليات التفكير لدى التلميـذ.
- تقسيم التلاميـذ وفق مستويات أدائهم إلى مجموعات تعاونية غير متـجانسة، شجـعـ التلاميـذـ عـلـىـ التـفـكـيرـ وـإـظـهـارـ قـدـرـاتـ الـعـرـفـيـةـ،ـ مـاـ سـاعـدـ عـلـىـ تـحـسـينـ وـتـطـوـيرـ أـدـاءـ أـثـنـاءـ مـارـسـةـ عـمـلـيـةـ الـتـعـلـمـ بـشـكـلـ جـمـاعـيـ،ـ مـعـ مـرـاعـاـتـ الفـروـقـ الـفـرـديـةـ بـيـنـ التـلـامـيـذـ.
- وـضـوـحـ النـشـاطـاتـ وـخـطـوـاتـ الـعـلـمـ مـنـ خـالـلـ أـورـاقـ عـلـمـ التـلـامـيـذـ خـاصـةـ فـيـ مرـحـلـةـ (ـالـتـفـكـيرـ وـالـمـزاـوـحةـ)ـ سـاعـدـ فـيـ تـنـفـيـذـ النـشـاطـاتـ بـشـكـلـ سـلـيمـ مـنـ خـالـلـ الـعـلـمـ الـفـرـديـ وـالـجـمـاعـيـ،ـ وـمـارـسـةـ الـمـبـاـشـرـةـ لـعـمـلـيـاتـ الـعـلـمـ لـتـحـقـيقـ الـأـهـدـافـ الـمـرـجـوـةـ مـنـ النـشـاطـ،ـ وـبـالـتـالـيـ اـكـسـابـ مـهـارـاتـ التـفـكـيرـ النـاقـدـ.
- تـركـيزـ اـسـتـراتـيـجـيـةـ الـتـعـلـمـ التـعاـونـيـ (ـفـكـرـ زـاـوـجـ شـارـكـ)ـ عـلـىـ توـظـيفـ الـعـرـفـةـ وـرـبـطـهاـ بـالـحـيـاـةـ الـيـوـمـيـةـ لـلـتـلـمـيـذـ،ـ وـالـمـواقـفـ الـحـيـاتـيـةـ الـيـةـ الـتـيـ تـواـجـهـهـ شـجـعـ التـلـامـيـذـ عـلـىـ الـتـعـلـمـ،ـ وـنـمـوـ مـهـارـاتـ التـفـكـيرـ النـاقـدـ لـدـيـهـمـ،ـ وـتـوـظـيفـهـاـ فـيـ تـفـسـيرـ الـظـواـهـرـ الـفـيـزـيـائـيـةـ الـحـيـطـةـ بـهـمـ،ـ وـفـيـ حلـ المشـكـلاتـ الـيـوـمـيـةـ الـتـيـ تـواـجـهـهـمـ.
- التـدـرـيسـ بـالـطـرـيـقـةـ الـتـقـلـيدـيـةـ لـاـ يـؤـدـيـ إـلـىـ تـنـمـيـةـ مـهـارـاتـ التـفـكـيرـ النـاقـدـ لـدـيـ تـلـامـيـذـ الـجـمـوعـةـ الـضـابـطـةـ،ـ وـلـعـلـ السـبـبـ فـيـ ذـلـكـ يـعـودـ إـلـىـ أـنـ الـأـسـتـاذـ فـيـ هـذـهـ الـطـرـيـقـةـ يـكـونـ هوـ مـحـورـ الـعـلـمـيـةـ الـتـعـلـيمـيـةـ الـتـعـلـيمـيـةـ،ـ فـهـوـ الـذـيـ يـشـرـحـ وـيـوـضـعـ وـيـفـسـرـ وـيـسـتـنـتـجـ...ـالـخـ أيـ أـيـ أـنـهـ مـصـدـرـ الـمـعـلـومـاتـ،ـ وـالـتـلـمـيـذـ فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ تـنـحـصـرـ مـهـامـهـ فـيـ تـلـقـيـ الـمـعـلـومـةـ وـتـخـزـينـهـاـ وـالـاحـفـاظـ بـهـاـ وـإـرـجـاعـهـاـ كـمـاـ هـيـ عـنـدـ الـحـاجـةـ،ـ دـوـنـ إـتـاحـةـ الـفـرـصـةـ لـهـ لـتـوـجـيهـ الـأـسـئـلـةـ الـمـشـيـرـةـ لـلـتـفـكـيرـ لـدـيـهـ،ـ وـالـيـتـمـ تـنـصـلـ بـعـضـ الـمـفـاهـيمـ وـالـتـعـمـيمـاتـ الـيـةـ الـتـيـ يـتـضـمـنـهـاـ مـوـضـوـعـ الـدـرـسـ،ـ أـيـ أـنـ دـوـرـهـ سـلـيـيـ.ـ وـمـاـ يـؤـخـذـ عـلـىـ هـذـهـ الـطـرـيـقـةـ أـيـضاـ تـأـكـيدـهـاـ عـلـىـ حـفـظـ وـاسـتـظـهـارـ الـمـعـلـومـاتـ مـاـ يـمـنـعـ الـتـلـامـيـذـ مـنـ مـارـسـةـ أـنـوـاعـ الـتـفـكـيرـ خـاصـةـ مـهـارـاتـ التـفـكـيرـ النـاقـدـ وـتـنـمـيـتـهـاـ لـدـيـهـمـ.

فاعلية استراتيجية (فکر- زاویه- شارک) د. محمد حماد و د. سعید بن نویوہ

وعلية فالتعلم باستخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فكرة - زواج - شارك) عملية معرفية نشطة حيث ترکز على إيجابية المتعلم ونشاطه، فالمعلومات لا تقدم بطريقة مباشرة، بل يوجه المتعلمون للحصول عليها في إطار وظيفي وفق مراحل تشجع على الاعتماد الذاتي وتحفز على العمل الجماعي، وعلى هذا فالدرس المعد وفق استراتيجية التعلم التعاوني (فكرة - زواج - شارك) يتيح للللميد ممارسة معظم مهارات التفكير الناقد أثناء تنفيذ مراحل استراتيجية (فكرة - زواج - شارك) مما يساعد على اكتساب مهارات التفكير الناقد.

الخاتمة:

إن الاعتماد على استراتيجيات التعلم الحديثة في تدريس المواد العلمية في مختلف المراحل التعليمية من شأنه أن يذلل صعوبات تدريس المواد العلمية، ويحسن مستوى تحصيل التلاميذ للمفاهيم العلمية، ويساهم في تنمية تفكيرهم واتجاهاتهم ودافعيتهم نحو التعلم، وتطوير مهارات التواصل بينهم، كما تشجع على التفاعل الاجتماعي الإيجابي بينهم. الأمر الذي جعلنا نتجه في هذه الدراسة إلى تبني إحدى استراتيجيات التدريس الحديثة التي تستمد أصولها ومبادئها من النظرة البنائية للتعلم، وهي استراتيجية (فكر - زواج - شارك) التي تعد إحدى أنواع استراتيجيات التعلم التعاوني، يستخدمها المعلم أثناء تدريس مادة العلوم الفيزيائية للوقوف على مدى أثرها على تنمية مهارات التفكير الناقد لدى تلاميذ المرحلة الثانوية. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فكر - زواج - شارك) في التدريس لها فاعلية في تنمية التفكير الناقد لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، مقارنة بطرق التدريس المعتادة، وذلك بعد تحليل ومناقشة نتائج الدراسة التي توضح تفوق تلاميذ المجموعة التجريبية التي درست باستخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فكر - زواج - شارك) على تلاميذ المجموعة الضابطة التي درست باستخدام الطريقة المعتادة في تنمية مهارات التفكير الناقد المحددة، حيث توصلت نتائج الدراسة إلى أن:

فاعلية استراتيجية (فك-زاوج-شارك) د. محمد حماد ود. سعيد بن نويبة

- استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فكرة - زوج - شارك) في تدريس مادة العلوم الفيزيائية يؤثر إيجاباً في تنمية مهارة معرفة الافتراضات لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية.
 - استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فكرة - زوج - شارك) في تدريس مادة العلوم الفيزيائية يؤثر إيجاباً في تنمية مهارة معرفة الافتراضات لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية.
 - استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فكرة - زوج - شارك) في تدريس مادة العلوم الفيزيائية يؤثر إيجاباً في تنمية مهارة التفسير لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية.
 - استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فكرة - زوج - شارك) في تدريس مادة العلوم الفيزيائية يؤثر إيجاباً في تنمية مهارة تقويم المناقشات لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية.
 - استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فكرة - زوج - شارك) في تدريس مادة العلوم الفيزيائية يؤثر إيجاباً في تنمية مهارة الاستنباط لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية.
 - استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فكرة - زوج - شارك) في تدريس مادة العلوم الفيزيائية يؤثر إيجاباً في تنمية التفكير الناقد ككل لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبة علوم تجريبية.

- التوصيات: في ضوء النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة نوصي بـ:

- تشجيع المدرسين على إتباع استراتيجيات تدريس حديثة، يكون التعلم فيها محوّر العملية التعليمية.
 - تكثيف البرامج والدورات التكوينية لملئي المواد العلمية عامة ومادة العلوم الفيزيائية خاصة على كيفية استخدام استراتيجيات التعلم التعاوني أثناء التدريس.



فاعلية استراتيجية (فكـر- زاوج- شارك) ----- د. محمد حماد ود. سعيد بن نوبيـة

- السعي إلى توفير الأجهزة والمعدات والوسائل المخبرية في كل المؤسسات التعليمية، والتقليل من أعداد التلاميذ في القسم حتى يتسع استخدام مثل هذه الاستراتيجيات.

- إعادة النظر في محتوى المناهج الدراسية بحيث تتضمن بالإضافة إلى المعرفة العلمية موافق تتطلب دراستها استخدام الأسلوب العلمي في التفكير، وتساعد على توظيف العمليات العقلية المختلفة للتوصل إلى المعرفة.

- تضمين دروس مادة العلوم الفيزيائية في المرحلة الثانوية دروسا عملية في تنمية مهارات التفكير الناقد وتدريبهم عليها في حل المشكلات.

● الاقتراحات: استكمالا للدراسة الحالية نقترح إجراء بعض الدراسات ذات العلاقة منها:

- دراسات مماثلة عن أثر استراتيجية التعلم التعاوني في تنمية مهارات التفكير الناقد في مواد علمية أخرى، وفي مراحل تعليمية مختلفة.

- أثر استخدام استراتيجية التعلم التعاوني (فكـر- زاوج- شارك) في اكتساب المفاهيم العلمية في مادة العلوم الفيزيائية لدى تلاميذ المرحلة الثانوية.

- أثر استخدام استراتيجية التعلم التعاوني في تنمية مهارات التفكير المختلفة مثل: التفكير العلمي، التفكير الابتكاري، التفكير الرياضي ...

- إجراء دراسات مقارنة بين فاعلية استخدام استراتيجية التعلم التعاوني وغيرها من استراتيجيات التعلم الحديـة كمهارات التفكير الميتامعرفي في اكتساب المفاهيم العلمية في مادة العلوم الفيزيائية لدى تلاميذ المرحلة الثانوية.

قائمة المراجع:

1. أبو جلبوع صفاء. أثر استخدام غوذج ووذ في تنمية المفاهيم ومهارات التفكير الناقد لدى طالبات الصف السادس الأساسي في العلوم العامة. رسالة ماجستير غير منشورة. فلسطين: الجامعة الإسلامية- غزة. 2015.



فأعليّة استراتيّجية (فكّر- زاوج- شارك) ----- د. محمد حماد ود. سعيد بن نويبة

2. أبو علام، رجاء محمود. التعلم أسسه ونظرياته. ط4. الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع. 2004.
3. أبوجادو، صالح ونوفل، بكر. تعليم التفكير - النظرية والتطبيق - ط1. الأردن: دار المسيرة. 2005.
4. أبوغالي، سليم محمد. أثر توظيف استراتيجية (فكّر- زاوج- شارك) على تنمية مهارات التفكير المنطقي في العلوم لدى طلبة الصف الثامن الأساسي. رسالة ماجستير غير منشورة. فلسطين: الجامعة الإسلامية- غزة. 2010.
5. بحري، نبيل. محددات القدرة على التفكير النقدي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية. أطروحة دكتوراه غير منشورة. الجزائر: جامعة الجزائر (03). 2007.
6. تغريد، عمران. نحو آفاق جديدة للتدرис. ط1. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق. 2003.
7. جابر، عبد الحميد جابر. قراءات في تعليم التفكير والمنهج. القاهرة: دار النهضة المصرية. 1999.
8. جروان، فتحي عبد الرحمن. تعليم التفكير (مفاهيم وتطبيقات). ط3. عمان: دار الفكر. 1999.
9. حازم، عيسى. صعوبات تعلم المفاهيم الفيزيائية لدى طلبة الصف العاشر بمحافظات غزة. رسالة ماجستير غير منشورة. فلسطين: الجامعة الإسلامية- غزة. 2002.
10. الحرارشة، كوثير عبود. أثر استخدام دورة التقسي التنائية في اكتساب المفاهيم العلمية وتنمية مهارات التفكير الناقد في مادة العلوم لدى طلبة الصف السادس الأساسي في الأردن. مجلة كلية التربية. جامعة الأزهر. العدد 173 (الجزء الأول). 2017. ص: 387 - 355.
11. حمادة، محمد. فأعليّة استراتيّجية (فكّر- زاوج- شارك) والاستقصاء القائمتين على أسلوب التعلم النشط في نوادي الرياضيات المدرسية في تنمية مهارات

فاعلية استراتيجية (فکر- زاویه- شارک) د. محمد حماد و د. سعید بن نویوہ

- التفكير الرياضي واحتزاز قلق الرياضيات لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية. مجلة دوريات كلية التربية، العدد 11، 2004، ص: 230-250.

12. الحيلة، محمود محمد. طرق التدريس الصفي. عمان. الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع. 2002.

13. زيتون، عايش. النظرية البنائية واستراتيجيات تدريس العلوم. الأردن: دار الشروق. 1994.

14. الشوبكشي، هبة جلال السيد محمود. أثر استخدام استراتيجيات التعلم النشط على اكتساب المفاهيم العلمية في مادة العلوم وتنمية الاتجاهات التعاونية لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية. رسالة ماجستير غير منشورة. مصر: جامعة الزقازيق. 2007.

15. العتيبي، خالد بن ناهس. أثر استخدام بعض أجزاء برنامج الكورت في تنمية مهارات التفكير الناقد وتحسين مستوى التحصيل الدراسي لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمدينة الرياض. أطروحة دكتوراه غير منشورة. المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى. 2007.

16. العتيبي، نوال. فاعلية استخدام طريقة دورة التعلم في تحصيل الرياضيات وتنمية مهارات التفكير الناقد لدى طالبات الصف الثاني متوسط. رسالة ماجستير غير منشورة. المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى. 2008.

17. عرام، ميرفت سليمان عبد الله. أثر استخدام استراتيجية (L.W.K) في اكتساب المفاهيم ومهارات التفكير الناقد في العلوم لدى طالبات الصف السابع الأساسي. رسالة ماجستير غير منشورة. فلسطين: الجامعة الإسلامية - غزة. 2012.

18. عواد، وائل عبد الفتاح. فاعلية استخدام أسلوب التعلم التعاوني في إكساب المفاهيم العلمية وتنمية مهارات التفكير الناقد لدى طلاب المرحلة الإعدادية. رسالة ماجستير غير منشورة. مصر: جامعة الزقازيق. 2008.

19. لطف الله، نادية. أثر استخدام استراتيجية (فكر- زاوج- شارك) في التحصيل والتفكير الابتكاري ودافعية الانجاز لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي، المعاقين



فاعلية استراتيجية (فکر- زاوج- شارك) ----- د. محمد حماد ود. سعيد بن نويبة

بصرييا. كلية التربية. جامعة عين شمس. مصر: مجلة التربية العلمية. المجلد 8. العدد 3. 2005. ص: 50-105.

20. المطري، غازي بن صلاح. أثر استخدام نموذج التعلم البنائي في تدريس العلوم على التحصيل والاتجاه نحو المادة لدى طلاب الصف الثالث المتوسط. أطروحة دكتوراه في المناهج العلوم غير منشورة. المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى. .2007

21. منسي، محمود عبد الحليم. التعلم- المفهوم النماذج التطبيقات- مصر: مكتبة الأنجلو المصرية. 2003.

22. نشوان، يعقوب. الجديد في تعليم العلوم. عمان: دار الفرقان. 1989.



مجلة جامعةالأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنيطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : 2588-X204

الجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 621-577 تاريخ النشر: 25-03-2021

مصادر الاحتجاج في معجم العين «الخليل بن أحمد الفراهيدی» وأثر المعنى في الاستدلال بها

The sources of protest in the KHALIL BEN AHMED EL-FARHIDI eyne dictionary and the effectof meaning in its inference

الطالب. صباح قيرة

@gmail.comg.sabah2019

أ. د ذهبيت بورويسن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنيطينة

تاریخ الإرسال: 2019/09/05 تاریخ القبول: 2020/11/19

المُلْكُصُ:

يعتمد الاحتجاج عند الخليل بن أحمد الفراهيدی في "كتاب العين" على ما تبث في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كتاب الله تعالى المصدر الأوثق في الاحتجاج بقراءاته المتواترة وحتى الشاذة، كما شمل حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكلام العرب شرعاً ونثراً، وأما منهجه في الاستدلال بما من حيث التنوع والترتيب والتوجيه فقد خضع إلى المعنى واستعمالاته من سياق إلى آخر.

الكلمات المفتاحية:

مصادر - الاحتجاج - الخليل بن أحمد الفراهيدی - كتاب العين - المعنى.

Abstract:

The protest at Al-Khalil Bin Ahmed Al-Farahidi in "Book



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

of the Eyne"depends on what is broadcastin the words of those who are confident in his eloquence. The book of God Almighty included the most reliable source in protesting against his frequent and even abnormal readings, the Prophet of God (r), and the Arabs' words with poetry and prose. But his approach to infer was subjected to meaning and uses from one context to another.

Keywords:

Protest - Hebron Ben Ahmed Al-Farahidi -Book of the Eyne - Meaning.

المقدمة:

إن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، خير مثال يضرب للاستدلال على جهلنا بتاريخ هذه اللغة، فلعل كثيرا من ذوي الاختصاص لا يعرفون سوى أن الخليل من النحاة المتقدمين الكبار، أو أنه صاحب معجم "العين"، أو أنه مبدع علم موازين الشعر، لكنه لم يعرف على حقيقته في مختلف العصور على الرغم من أنّ معاصريه ومن خلفهم قد أفادوا من علمه الشيء الكثير.

لكتنا -من خلال بحثنا في حياته ومؤلفاته- وجدنا بأنه أحد العباءة الذين هم مفخرة الحضارة العربية وأنه مبدع ومبتكر، وكتاب "العين" خير دليل على عبقريته وسعة علمه واطلاعه. فقد استطاع فيه الخليل بن أحمد أن يستقرئ العربية استقراءً أقرب إلى ما يسمى "بالإحصاء" في عصرنا الحاضر، ففيه له أن ينتهي إلى "كتاب العين"، فكان أول معجم في العربية، وهو عمل ضخم مقارنة بالمعجمات الأولى في تاريخ اللغات الإنسانية. وبذلك هيّأ مادة مصنفة لمن جاء بعده من اللغويين الذين صنفو المعجمات.

إلا أن النقطة الأساسية التي ينبغي أن نركز عليها في هذا المقام، والتي تتمثل موضوع بحثنا، هي أن معجم العين للخليل يعدّ مصدراً ضخماً للشواهد اللغوية، لما أضافه أثناء تناوله المواد اللغوية من الاستدلال عليها والاحتجاج لها من القراءات،



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

والحديث النبوي الشريف والشعر، فهو من المصادر الموثوقة التي يمكن العودة إليها تأصيلاً وتخريجاً، وإدراك معاني الألفاظ والوصول إلى دلالاتها المتعددة، بل ووجوه دلالات خاصة اهتدى إليها الخليل بن أحمد عن طريق عنایته بعلم الرواية -رواية الحديث- وعلوم القرآن، فقد أوجد مبتكرات دلالية أفادها من القرآن والحديث -المنبعين الأساسيين في الدين الجديد- بل إن المادة اللغوية التي احتواها الحديث الشريف لا عهد للعرب بها قطّ وهي دلالات خاصة وحقيقة خاصة لمبدأ سياقي خاص ومناسبة كلامية معينة.

لذلك فسيكون موضوع هذا البحث حديث عن مصادر الاحتجاج عند الخليل بن أحمد في كتابه العين وكيف احتجَّ بما على معاني الألفاظ، ثم كيف كان دور المعنى في توجيه هذا الاحتجاج من حيث التنوع والترتيب والتوجيه، باعتماد المنهج الوصفي الذي يعني برصد المادة العلمية ووصفها كما هي في مصادرها الأصلية.

وأما اختيار مصطلح الاحتجاج في الدراسة فلأنه أعمُ وأقوى المصطلحات الأخرى كالاستشهاد والاستدلال وغيرها، لأن الاحتجاج هو الاعتماد على إقامة البراهين من نصوص اللغة، كما أن الاحتجاج يعتمد على العقل أيضاً إضافة إلى الغلبة والبرهان، ومصادر الاحتجاج من قرآن وحديث وكلام العرب من أوّل المصادر، فهي الحجة لجودتها وصحتها في الاستدلال على المعانٍ الأصلية والمستجدة قبل أن تفسد الألسنة بكثرة المولّدين نظماً ونثراً.

1/ نبذة مختصرة عن المصنف:

أ- اسمه نسبة وحياته:



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن قيم الفراهيدي الأزدي من الفراهيد بن مالك بن فهم بن مالك بن نصر بن الأزدي، وقيل هو منسوب إلى فرهود بن شبانة بن مالك بن فهم، والفراهيدي صغار العنم¹ ولد الخليل سنة مائة للهجرة²، في قرية من قرى كمان وانتقل إلى البصرة.³

ب- شيوخه:

يبدو أن باكورة دراسته كانت على يد "علي أبوب السختياني"، تلقى عنه الحديث والفقه، وكان "السختياني" فقيها من فقهاء البصرة ومحدثاً من محدثيها، وكان الحسن البصري يقول: «أبوب سيد شباب أهل البصرة»⁴، لكنه لم يقتصر على الأخذ عن أستاذ واحد، بل أخذ عن عيسى بن عمر الثقفي المقرئ النحوي، وأبي عمرو بن العلاء، وكان هذا الأخير إذ ذاك شيخاً من شيوخ القراءة والعربية، وكانت له حلقة في المسجد الجامع بالبصرة، يجتمع إليه فيها رجال القراءة والأدب واللغة والنحو.⁵

كما أخذ العلم عن آناس آخرين، ومع أخذته من هؤلاء واختلافه إلى حلقاته لم يؤمن بأن العلم الذي وصلوا إليه مما يحسن الوقوف عنده والاقتصار عليه، وإن احتلوا به

¹- ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175م)، كتاب العين، تج: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج 4، ص 125.

²- أبو الفداء الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، تج: عبد الله بن عبد الحسن التركي، مركز البحوث والدراسات، المملكة العربية السعودية، ط 1 (1419هـ-1998م)، ج 13، ص 564.

³- المصدر نفسه، ج 13، ص 565، 56.

⁴- الحافظ، البيان والتبيين، تج: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7 (1418هـ-1998م)، ج 2، ص 154.

⁵- ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تج: محمود الأرناؤوط، إشراف: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، د ط، ج 2، ص 324.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

مراكز الرعامة العلمية، وما أقرب موقفه من موقف يونس بن حبيب بن عبد الله بن أبي إسحاق حين سئل أن يوازن بين علم الناس في عهده وعلمه فقال: «لو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلّا علمه لضحك منه»¹.

وكان الخليل لا يكفي بلون من ألوان المعرفة، وكان يحاول الوقوف على مختلف التيارات الثقافية ويستفيد منها، وكانت البصرة إذ ذاك معهداً علمياً لم يشهد له تاريخ العربية إلى العصر الذي عاش فيه الخليل معهداً أووعي منه للثقافات، ولقد نظر الخليل في الثقافات القديمة، وأخذ منها حاجته.² كما أخذ يلتمس الثقافات الجديدة فنظر في علم الكلام، وكانت مدارسه قد ترعرعت في البصرة إذ ذاك، وكان هو من أصحاب الكلام فعلًا، لأنك تلمح في أقواله ودراساته ظلالاً لمناهج أصحاب الكلام وأساليبهم.³

ونظر في الموسيقى، وكانت له معرفة بها وكثير من المؤرخين يثبتون له ذلك، إذ يقول صاحب إنباه الرواية: «وله علم بالإيقاع، وله كتاب فيه ومعرفته بالنغم ومواعدها أحدثت له علم العروض».⁴

هـ: ثناء العلماء على الخليل:

¹ - محمد ابن سلام الجمحى، طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، (1422هـ-2001م)، ص 31.

² - ينظر: مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط 2، (1406هـ-1986م)، ص 55، 56.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 56.

⁴ - أبو الحسن علي بن يوسف القسطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تج: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، دار الكتب الثقافية - بيروت، ط 1 (1406هـ-1986)، ج 1، ص 378.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

- قال الواحدي: «الإجماع منعقد على أنه لم يكن أحد أعلم بالنحو من

¹ الخليل»¹

- قال ابن النديم: «كان غاية في استخراج ما سئل عن النحو وتصحيح القياس، وهو أول من استخرج العروض، وحصل به أشعار العرب، وكان من الزهاد في الدنيا المنقطعين إلى العلم وكان شاعراً مقلّاً»²

- وقال ياقوت الحموي: «سيد الأدباء في علمه وزهره»³

د- وفاته:

توفي الخليل بالبصرة سنة سبعين ومائة⁴، وعمره أربع وسبعون سنة وقيل: توفي سنة خمس وسبعين ومائة عن خمس وسبعين سنة⁵، وقيل: مات سنة ستين ومائة⁶ والأول والأول هو المشهور.

2/ التعريف بكتاب العين:

معجم العين أو كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي أول معجم عربي يؤلف في اللغة العربية، وصاحبها عالم في اللغة والأصوات والعروض وموسيقى الشعر والنغم، والرياضيات والحساب، وقد اجتمعت كل هذه الاختصاصات وتضافرت لتصبّ في

¹ - ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 2/ ص 334.

² - ينظر: ابن النديم، الفهرست، تج: محمد الشوكي، الجزائر، 2007، ص 200 وما بعدها.

³ - ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب - تج: إحسان عباس ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1، (1424هـ-2003م)، ج 3/ ص 1360.

⁴ - ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص 200.

⁵ - ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 3/ ص 1360.

⁶ - ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مجل 13، ص 565.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

معين واحد هو معين اللغة العربية، فاستطاع أن يأخذ منها و يؤلف معجمه بذلك القدر الكبير من الدقة والعلمية والشمولية.

ففيما يخص ترتيب الحروف : عرف منذ البداية أن اللغة منطوقة قبل أن تكون مكتوبة، لاحظ أن مواد الترتيب مهما كان نوعه: (الفباءي أو أبجدي) والتي هي جوهر وأساس اللغة : هي الأصوات . فنظر إليها بعين علمية لاحظ أن تميز الحرف بالصوت أقوى دلالة، وأكثر وضوحاً وتميزاً من الكتابة.

كما لاحظ من هذه الجهة أن لها مواصفات دقيقة يمكن استغلالها لإعادة الترتيب وفق أسس علمية، فكان له الترتيب الصوتي أو المخرجي للأصوات، يقول الخليل بعد أن ذكر أن حروف العربية تسعه وعشرون حرفا منها ما لها أحياز ومدارج . ثم ذكر تفصيات صوتية منها ما يهمنا في توجيه المعنى: «ولم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها التغيير والنقص والمحذف ولا بالألف لأنها مهمومسة خفية لا صوت لها فترتلت إلى الحيز الثاني فيه العين والراء، فوجدت العين أنصع الحرفين، فابتدائت به ليكون أحسن في التأليف»¹ وبذلك حقق الخليل بكل ما سبق بأن وضع المجائية مرتبًا حروفها ترتيبا علميا دقيقا هو الترتيب الصوتي، فكان على الآتي: ع، ح، هـ، خ، غ - ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت - ظ، ث، ذ - ر، ل، ن - ف، ب، م - و، ألف والياء - الهمزة.

* مادة المعجم:

عندما أتم الخليل ترتيب الحروف على هذا النحو الدقيق انتقل إلى مادة اللغة التي تتكون مادتها من هذه الحروف، قال الخليل: «كلام العرب مبني على أربعة أصناف على

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، كتاب العين، ج 1، ص 47.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

الثاني، والثلاثي، والرابعي، والخمساسي»¹ قال الخليل: «وليس للعرب في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم فاعلم أنها زائدة على البناء، وليس من أصل الكلمة».²

وبهذا يدخل الخليل اعتباراً آخر في تأليف المعجم وهو الاعتبار الكمي لأنواع الأبنية العربية: «ثنائي، ثلاثي، رباعي، خماسي»³ ونظر في هذه الأبنية (قوالب صوتية صرفية) فوجد فيها الصحيح والمعتل وفرق بينهما في كل بناء، فقسم الأبنية على هذا الأساس: «الثنائي الصحيح، الثنائي الصحيح، الثنائي المعتل، الثنائي اللفيف، الرباعي الصحيح، الرباعي المعتل، الخماسي الصحيح، الخماسي المعتل».

إذن فمحور درس الخليل لبناء معجمه هو "المفردة" فقد درسها من حيث هي "وحدة معجمية منتمية إلى نظام — هو المعجم — لا يعتبر فيه ما للمفردة من شكل فقط، أي من حيث أنها ذات بنية صرفية، وتتألف صوتي فحسب، بل نظر إليها بوصفها: "كياناً معدداً" يكونه وجه دلالي مشتمل على بنية صرفية، وتتألف صوتي، ووجه مدلولي تبرزه الدلالة المستفادة منها باعتماد المكونين الدلالي والمدلولي فيها، وهذا المكونان هما اللذان يجعلان من "الوحدة المعجمية" دليلاً لغويًا، وعليه تبني الوحدة المعجمية العربية من حرفين أصليين وثلاثة أحرف أصول وخمسة لا أكثر.

وأخيراً اقترب الخليل من هدفه وبقي عليه أن يخطو الخطوة الأخيرة للوصول إليه، وقد تم له ذلك باهتدائه إلى فكرة التقليل إذ وجد أنه بمقدوره أن يأخذ كل بناء في قوله

¹ - المصدر نفسه، ج 1، ص 48.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 49.

³ - ينظر: العين، ج 1، ص 48.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

على جميع أوجهه الممكنة، فيحصل على وعاء يضم جميع ألفاظ اللغة فلا يفلت منها شيء.

"وكان الخليل يشرح المادة ومقلوباتها في موضع واحد، بعد أن يذكر في صدر حديثه عنها ما استعمل من تصاريفها وما أهل، ثم يبدأ في شرح التصريفات المستعملة تصريفاً بعد آخر."¹

3/ مصادر الاحتجاج في معجم العين ودور المعنى في ذلك:

الاحتجاج من الحجة وهي ما دلّ على صحة دعوى، والحجّة والدليل واحد²، وللاحتجاج غرضان: الأول: لفظي، وذلك لإثبات صحة استعمال لفظة أو تركيب وما يتبع ذلك من قواعد في علوم اللغة والنحو والتصريف، الثاني: معنوي ويتعلق بإثبات معنى الكلمة أو معانيها، وما يتبع ذلك من قواعد بلاغية في علم المعاني والبيان والبديع. وتعد قضية الاحتجاج واحدة من المسائل المهمة في الدراسة اللغوية العربية قد يما وحديها، فقد استقرَّ في الأذهان أن العلماء العرب قدّعوا لغتهم خوفاً عليها من الفساد الذي أصابها بسبب دخول غير العرب إلى الإسلام، فعمد العلماء العرب القدماء إلى استخراج قواعد اللغة في الأصوات والصرف والنحو والمعجم والدلالة من مادة لغوية حرصوا علىأخذها من مصادر لم يصبها هذا الفساد.

وهذا ما صنعه الخليل بن أحمد في معجم العين حين استشهد بالقرآن الكريم وقراءاته المتعددة، كما استشهد بما يزيد على ثلاثة حديث نبوى، وبعد كبير من أقوال الصحابة والفقهاء والعلماء المعاصرین له، كما استشهد بالشعر جاهليه وإسلامييه،

¹ - عبد السميم محمد أحمد، المعاجم العربية - دراسة تحليلية -، دار الكتب الظاهرية، ط، دمشق، 1969، ج 1/ ص 29.

² - ينظر: علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الرشاد، القاهرة، ص 94.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

وبشعر المعاصرين له¹، كما أورد مفردات كثيرة وصفها بأنها لغات لبعض القبائل والمدن والأقطار، كما ضمن معجمه كثيرا من الكلمات المعربة، وأحياناً يؤرخ لهذا التعريب ويستشهد عليه بأبيات بعض الشعراء.²

وتجدر الإشارة إلى أن الخليل ينصُّ في بعض الأحيان على الفصاحة والفصحاء ويصف بعض صيغ الألفاظ بأنها رديئة أو قبيحة، إلَّا أنه في الغالب الأعم ينظر إلى التسوعات اللغوية الكثيرة على أنها تنسب إلى شيء واحد هو اللغة العربية، وهذا ما يبيّنه قوله في مقدمة معجمه: « بدأنا مؤلفنا هذا بالعين وهو أقصى الحروف، ونضمُّ إليه بعده حتى نستوعب كلام العرب الواضح والغريب»³

أ/ الاحتجاج بالقرآن الكريم وقراءاته في كتاب العين:

لقد أجمع علماء اللغة والنحو على اتخاذ القرآن الكريم على رأس مصادر الاحتجاج في جميع علوم اللغة لإثباتات صحة لفظ أو تركيب أو معنى من المعاني، وذلك بوصفه أعلى مراتب البيان والبلاغة في اللغة العربية.

أما القراءة القرآنية من حيث هي أصوات منطقية فتعد نوعاً من النشاط اللغوي الذي تتطبق عليه القوانين اللغوية» إذ إن القراءات في اصطلاح القراء هي: «وجوه مختلفة في الأداء من النواحي الصوتية، أو التصريفية، أو النحوية، واختلاف القراءات على هذا النحو اختلف تنوّع وتغاير لا اختلاف تناقض، لأن التناقض والتضارب يتّرّد عنه

¹ - ينظر مثلاً: ، العين ، ج/3، ص 185، وج/5، ص 90.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج/4، ص 288.

³ - المصدر نفسه ، ج/1، ص 60.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

الكتاب العزيز»¹ قال تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْكَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ أُخْتِلَافًا كَثِيرًا»² قال تعالى: «وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ وَأَعْجَمَيْتُ وَعَرَيْتُ»³.

وقد روي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه»⁴ وختلف العلماء في السبعة إلا أن أكثرهم ذهب إلى أن معناها يتعلق بالاختلاف في الألفاظ المسموعة لا الاختلاف في المعاني.⁵ وإن هذا الاختلاف لا يقوم على اجتهاد شخصي، وإنما وضع لصحة القراءة ضوابط وشروط، إذا توافرت هذه الشروط حكمنا بصحتها وهي⁶

1- صحة سندها 2- موافقتها لرسم المصحف العثماني 3- موافقتها لوجه من

وجوه العربية

¹- ينظر: سيد إبراهيم المار غيني، التحوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1429هـ-2008م، ص 17-18.

²- سورة النساء: الآية: 82.

³- سورة فصلت: الآية: 43.

⁴- أخرجه نور الدين الهيثمي ، في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تج: حسين سليم الدارني ، دار المنهاج ، المملكة العربية السعودية ، ط 1، 2010م، ج 14، ص 522، ح رقم: 11613، (باب: القراءات).
وينظر: محمد بن أحمد القرطي، الجامع لأحكام القرآن، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ط 2، ج 1، ص 41-42.

⁵- ينظر: ابن محٰد، السبعة في القراءات، تج: شوقي ضيف، دار المعارف، ط 2، ص 10، ص 21.

⁶- المصدر نفسه، ص 21.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

وبقيت هذه الضوابط مقاييسًا حتى عصر ابن مجاهد¹ (ت 324هـ)

* وبالنظر إلى الوجه أو الشروط الثالثأخذ العلماء بدراستها وتوجيهها توجيهًا لغوياً حتى ظهرت الكتب المتخصصة في ذلك.

وقد اتسمت القراءة بالنسبة لفائدة في الدراسة إلى أربعة أقسام هي:

1/ قراءة تفيد الدراسة اللغوية (المعجمية) مثل اللهجات وغيرها.

2/ قراءة تفيد الدراسة الصوتية: مثل الحمز والإملاء والإدغام وغيرها.

3/ قراءة تفيد الدراسة الصرفية مثل: الجرّ والمزيد والإعلال والإبدال وغيرها.

4/ قراءة تفيد الدراسة النحوية التركيبية وتشمل نحو الدلالة و نحو الإعراب
كالمفرعات والمنصوبات والمحورات وغيرها.

ومعجم العين للتحليل يفترض أن يفيد من القراءة القرآنية من جانبها المعجمي أو اللهجي فحسب، لكنه أدرك أن معنى المفردات لا يكتمل إلا بملاحظة الوجوه اللغوية الأخرى، وأن فهم المفردة على مستوى واحد من المستويات لا يؤدي إلى اكتمال الدلالة، لذلك وظف كل هذه المستويات للوصول إلى الدلالة الكاملة للمفردة، فكانت عناته بالقراءات القرآنية متفرّدة إذ لاحظت في معجمه أنه حين يستدل بالقراءة يقوم بتوجيه القراءات، كما يذكر الوجوه المختلفة لها، وأحياناً يرجح إحدى هذه القراءات بإثباته بالشاهد من أقوال العرب، وكان أحياناً يورد القراءات دون أي توجيه، كما لم تفتت العناية بالتوجيهات النحوية للقراءات القرآنية، لإدراكه أن المعنى المعجمي لا يكفي وحده لإدراك الدلالة.

¹ - حيث ألف كتاباً في: السبعة في القراءات، اختار فيه أشهر القراء الذين أخذوا قراءتهم عن كبار علماء القراءة من التابعين من توافر فيهم تلك الشروط الثلاثة، وما كان حصر القراءات الصحيحة في السبع أو في العشر إلا أثراً من آثار ابن مجاهد (324هـ).



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

1/ التوجيه المعجمي:

من ذلك ما ذكره في الدلالة المعجمية للفظ: "حَذَرَ" قال: "الْحَذَرُ" مصدر قوله:

حَذِيرَتُ أَحَذَرُ، فَأَنَا حَادِرٌ وَحَذِيرٌ، وَتَقْرَأُ الْآيَةُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعُ حَذِيرُونَ﴾¹ وَمِنْ قَرْأَةٍ "حَذِيرُونَ" فَمَعْنَاهُ إِنَّا لَخَافُ شَرَّهُمْ.²

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي لَفْظَةِ "كَبُرُ": قَالَ: كَبَرَ كُلُّ شَيْءٍ عَظِيمٌ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَلَّذِي تَوَلَّ كَبَرُوا وَمِنْهُمْ لَهُ وَعَذَابٌ عَظِيمٌ﴾³ يَعْنِي عَظَمُ هَذَا الْقَدْفِ، وَمِنْ قَرْأَةٍ "كَبِيرَهُ" يَعْنِي "إِثْمَهُ وَخِطَّاهُ"⁴

وَمِنْ تَوْجِيهِهِ الدَّلَالِيَّةِ مَا ذَكَرَهُ فِي قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَسْجِنُونَ مِنَ الْجَبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾⁵ قَالَ أَيُّ حَادِقِينَ، وَمِنْ قَرْأَهَا "فَارِهِينَ" فَمَعْنَاهُ "أَشْرِينَ بَطَرِينَ".⁶

2/ التوجيه النحووي:

- من ذلك ما ذكره في "رفع خير" ونصبه جواباً لمن قال: ماذا صنعت؟ قال الخليل: «... يقال لمن قال: ماذا صنعت؟ خيرٌ وخيراً، أي الذي صنعتُ هو خير،

¹ - سورة الشعراء، الآية: 56.

² - ينظر: العين، ج 3، ص 199، مادة: "حذر"، وقراءة: "حاذرون" ينظر: السبعة ، ص 471.

³ - سورة النور، الآية: 11.

⁴ - العين، ج 5/ 361 ، مادة: "كير".

⁵ - سورة الشعراء، الآية: 149.

⁶ - ينظر: العين، ج 4/ 46، مادة: "فره" وقراءة: "فارهين" بإثبات الألف قرأ بها عاصم، وابن عامر، ومحزنة، والكسائي، و"فرهين" دون ألف قراءة ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع. ينظر: كتاب السبعة، ص 472.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

والنصب على وجه الفعل، أي النصب على المفعولية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَأُلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾¹ أي الذي ينفقون هو العفو من أموالكم، فإذا فانفقوا، في قراءة من يرفع، والنصب على جهة الفعل»²

3/ التوجيه الصريفي:

من ذلك ما ذكره في لفظة "خطف" في قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ حَطَفَ الْحَطَفَةَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ»³ وكان الحسن يقرأ «إِلَّا من حَطَفَ الْحَطَفَةَ» على تأويل احتطاف احتطافاً، جعل المصدر على بناء خطف يخطف خطفة كما تقول من الاحتطاف احتطافاً»⁴

ومن ذلك ما ذكره في قراءة «يأجوج و Majūj» من قوله تعالى: «حَقٌّ إِذَا فُتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجٌ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ»⁵

¹ - سورة البقرة، الآية: 219.

² - العين، ج 8/ ص 208، مادة: "نفق"، وقراءة النصب أنسنت إلى أهل الحرمين وأهل الكوفة، وقراءة الرفع إلى أبي عمرو، وعيسي بن عمرو، وابن أبي إسحاق. ينظر: السبعة، ص 712.

³ - سورة الصافات، الآية: 10.

⁴ - ينظر: العين، ج 4/ ص 221 ، مادة: خطف، وذكر النحاس أن فيه لغات، قرئ بعضها ولا يراها مخالفة للخط، يقال: إذا أخذ الشيء بسرعة: خطف، وخطف، وخطف وخطف، ينظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط 1، (2008هـ- 1429م)، ج 3/ 279.

⁵ - سورة الأنبياء، الآية: 96.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

قال: «يأجوج وأmajوج» فرأى بالهمز وبغير الهمز، ومن لم يهمز قال: هو مأخوذ من يجّ ومجّ على بناء فاعول¹.

/ التوجيه الصوتي:

من ذلك تخفيف بعض الأفعال المضمة، في قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى إِلَهَكَ الَّذِي
ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾² قال: «قرئ «ظَلَّتْ» عليه» فمن فتح في الأصل فيه "ظَلَّتْ" عليه ولكن اللام حذفت لتقل التضعيف والكسر وبقيت الظاء على فتحها، ومن قرأ "ظَلَّتْ" بالكسر، حول كسرة اللام على الظاء، وقد يجوز في غير المكسور نحو: هَمْتُ بذلك أي هَمَمْتُ، وَأَحَسْتُ تريداً أحسست، وَحَلْتُ في بني فلان بمعنى حلَّتُ، وليس بقياس إنما هي أحرف قليلة معدودة».³

كما أنه يقوم بتوجيهات أخرى للقراءة ويصفها بأنها لغات فيكتفي —أحياناً— بقوله أنها لغة دون أن يصرّح أنها في المعنى نفسه⁴ وقد يكتفي بأنها في المعنى سواء دون الإشارة إلى أنها لغة.⁵ وأحياناً يصرّح باسم اللغة⁶، كما يشير إلى قضية الترادف⁷ والاشتراك⁸

¹ - ينظر: العين، ج/6 ص 198، مادة: "أجج"، وقراءة الهمزة لعاصم والأعرج. ينظر: السبعة، ص 431.

² - سورة طه: الآية: 97.

³ - ينظر: العين، ج/8 ص 149، مادة: "ظل".

⁴ - ينظر: العين، ج/2 ص 57 مادة: "عمد" بفتح العين والميم.

⁵ - ينظر مثلاً: العين، ج/6 ص 66، مادة: "رجز". والعين، ج/6 ص 397 "مادة: رأى".

⁶ - ينظر: العين، ج/8 ص 347، مادة: "أن".

⁷ - ينظر: العين، ج/3 ص 109، مادة: "حسب".



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

والاشتراك¹ ويستدل على ذلك بقراءة من القراءات وبذلك يُعدُّ معجم العين مصدرًا مهمًا من مصادر توجيه القراءات القرآنية وبيانها، إذ احتوى على العديد من القراءات التي تعدُّ مصدرًا مهمًا لبيان اختلاف المعاني والمباني استنادًا إليها، وكذلك لم يكتفي بذكر اختلاف القراءات بل يعلّلها بعقل منطقي ليبين الأوجه التي تجوز فيها القراءة، كما كان يلحاً إلى الاشتغال في بيان وجوه القراءة المختلفة.

ب/ الحديث النبوى الشريف:

من المسلم به أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أفصح من نطق بالضاد، فهو القائل: «أنا أفصح العرب، بيدَ أني من قريش»²

وقد صرّح علماء المسلمين بإجماعهم على فصاحة النبي (صلى الله عليه وسلم) وفضلوا القول في ذلك، من ذلك ما نقل عن الجاحظ قوله: «هو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه، وكثُر عدد معانيه، وحلَّ عن الصنعة، ونَزَّهَ عن التتكلف ... فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التقيير، واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورَغَبَ عن الهجين السُّوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حفَّ بالعصمة، ... وهذا الكلام الذي ألقى الله عليه الحبة، وغشاها بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلادة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد

¹- ينظر: العين، ج 7، ص 10، مادة: "ضلن"، وج 5/ ص 332، مادة: "كَدَبْ".

²- الحديث: أخرجه الحافظ بن حجر العسقلاني، في: تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تج: أبو عاصم بن قطب، مؤسسة قرطبة، ط 1، 1416هـ-1995م، ج 4، ص 11، ح رقم:

.1842



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

الكلام، ومع استغناه عن إعادته، ... لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له

حجّة، ولم يقم له خصم، ولا أفحّمه خطيب...»¹

وقال الرافعي: «ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له (صلى الله عليه وسلم)

إلا توفيقاً من الله وتوفيقاً، إذ ابتعثه للعرب، وهم قوم يقادون من ألسنتهم ولهن المقامات

المشهورة في البيان، ثم هم مختلفون في ذلك على تفاوت ما بين طبقاتهم في اللغات، وعلى

اختلاف مواطنهم ...»² ثم يعود إلى وصف حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم):

«... لا يستكره في بيانه معنى، ولا يندِّ في لسانه لفظ، ولا تغيب عنه لغة، ولا تضرَّب

له عبارة.»³ ولقد استشهد أعلام العربية بالحديث النبوى الشريف في مسائل اللغة منهم

أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد الفراهيدي -موضوع البحث- والكسائي والفراء

والأشعري وأبو عبيدة، وابن قتيبة والمبرد، وابن دريد، وأبو جعفر التحاش، وابن خالويه

والأزهري والفارابي والصاحب بن عباد، والجوهري وابن سيده وابن منظور والفيروز

أبادي.

وبالنظر إلى معاجم هؤلاء دحضٌ لما ادعى أبو حيان الأندلسي في مسألة

الاحتجاج بالحديث النبوى، ومن تابعه في ذلك أمثال أبو الحسن بن الصائع والجالل

السيوطى.⁴

¹ - المحافظ أبو عثمان بن بحر، البيان والتبيين، تج: عبد السلام هارون، ط7، (1418-1998) مكتبة الخطابي، القاهرة، ص 17-18.

² - مصطفى صادق الرافعى، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مكتبة رحاب، الجزائر، ص 283.

³ - المرجع نفسه، ص 286.

⁴ - جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ط1، ص 21-22.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

وبالنسبة لاحتجاج الخليل بالحديث النبوي فقد ذكر السيوطي نصاً صريحاً وضح فيه أن صنيع الخليل لم يكن بدعاً شأنه شأن غيره من اللغويين إذ يقول في المزهر: «... ومذهب شيخي أبي ذر الحشمي وأبي الحسن بن خروف أن الزبيدي أخلَّ بكتاب "العين" كثيراً لحذفه شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب منه ...، ولما علم الإمام "التياني" عمل كتابه «فتح العين» وأتى فيها بما في العين من صحيح اللغة، دون إخلال بشيء من شواهد القرآن والحديث ...»¹

ويمكن أن نقول أنه لا يختلف موقف اللغويين عن موقف النحاة في الاستشهاد بالحديث النبوي، إذ لا يعقل أن يستشهد الخليل مثلاً بالحديث في اللغة، ثم لا يستشهد به في النحو، واللغة والنحو صنوان يخرجان من أصل واحد، وإن كانت شواهد النحاة ليست في غزارة شواهد اللغويين في كثرتها، فهي قليلة بالنسبة إليها وبخاصة عند النحاة القدماء.

وقضية الاختلاف حول جواز الاحتجاج بالحديث النبوي وعدمه لا يتسع المجال هنا لإدراجها بمختلف آرائها، وسأكتفي بإثبات جواز الاستدلال به عند اللغويين وال نحويين على السواء بالدليل التاريخي، وهذا ما يلاحظ على معجم العين الذي استدل فيه بأزيد من خمسين حديثاً، واطمئنان الخليل إلى الحديث النبوي والاستدلال به دون تحرُّج يعود إلى علمه بالرواية، فكان راوية للحديث من الرجال الثقات إذ روى الحديث عن عاصم الأحوال وعن عثمان بن حاضر، وعبد الله بن عباس، وعن العوام بن حوشب وغالب بن غطفان، وأبيوب السجستاني، وقد قال عنه النضر بن شميل: «ما رأيتُ رجلاً أعلم بالسنة بعد ابن عوف من الخليل بن أحمد، وقالوا: كان أهل العربية كلهم أصحاب

¹ - ينظر: جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 1408 هـ - 1987 م، ج 1، ص 88.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

أهواه إلّا أربعة، فلأنهم كانوا أصحاب سنة: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد الفراهيدي ويونس بن حبيب البصري والأصممي»¹ وقد دعّم روایة الحديث بشقاقة لغوية ونحوٍ واسع، فأخذ اللغة والشعر عن أستاديه: عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، وعن جماعة من ثقات الأعراب وعلمائهم، مثل: أبي مهدية، وأبي طفيلة وأبي البداء وإياد بن لقيط، وأبي مالك عمرو بن كركمة، وابن النفيسي²

منهج الخليل في الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف:

1/ لا يكتفي الخليل بشرح المفردة المستدل عليها في الحديث، بل يقوم بشرح الحديث كاملاً، وهذا يدلُّ على سعة اطلاعه وعلمه الغزير بالسنة وخاصة ما تعلق بالغامض والمستغلق من الأحاديث، كما كان يفعل النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في شرح الألفاظ الغريبة المستغلقة لأصحابه وسائليه في مجالس العلم أشهرها مجالس ابن عباس (رضي الله عنه).

¹ ينظر: أبو البركات ابن الأنباري، نزهة الأنباء في طبقات الأدباء، تج: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن – الزرقاء، ط3، 1405هـ – 1985م)، ص 47.

وينظر: أبو زكرياء محي الدين النووي، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1، ص 177-178.

² ينظر: أبو الطيب اللغوي، مراتب التحويين، تج: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط2، (2009-1430)، ص 53-54.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

ومثال شرح الخليل لبعض الأحاديث قوله في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن بيتنا وبينكم عيبة مكفوفة»¹ قال: «يريد صدرًا نقىًّا من الغلّ والعداوة مطويًا على الوفاء»²

- حديث: «اقتلووا ذا الطفيتين»³ يعني الحياة.

- حديث: «... ولا أَخْرُجُ إِلَّا قَائِمًا»⁵ يقول الخليل: «أي لا يموت إلا ثابتاً على الإسلام»⁶

/2 يورد الحديث كاملاً بجميع ألفاظه، إن كان من الطوال فلا يكفي بإيراد الشاهد على معنى المفردة أو معانيها وإنما منه بأن المفردة لا تكمل دلالتها إلّا بورودها

¹ - أخرجه أبو داود في، سننه، تج: شعيب الأرناؤوط، ومحمد كامل قرة بيلي، دار الرسالة العالمية دمشق، طبعة خاصة - 1430هـ-2009م، ج 4، ص 397-396، ح رقم: 2766، باب: (في صلح العدو).

² - ينظر: العين، ج 2/263، مادة: "عيّب".

³ - أخرجه البخاري في صحيحه، دار ابن كثير، بيروت، ط 1، 1423هـ-2002م، ص 812 ح رقم: 3297. باب قوله تعالى: "وبث فيها من كل دابة".

⁴ - ينظر: العين، ج 3، ص 541، مادة: "طفو".

⁵ - أخرجه النسائي في، السنن الكبرى، تج: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط 1، 1421هـ-2001م، ج 1، ص 342، ح رقم: 675. باب: "كيف ينحر للسجود". وأخرجه البخاري، في صحيحه، ص: 127، ح رقم: 3297

⁶ - ينظر: العين، ج 3، ص 444، مادة: "قوم".



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

في سياقها وعلاقتها بالسابق واللواحق والمقام الذي ذكرت فيه، وهذا دليل على وعيه
بأهمية السياق في تحديد الدلالة.¹

ولكنه في بعض الأحيان يورد الأحاديث مجترئة ليعزّز معنى اللفظة المراده فقط.²

/3 يكتفي بالشاهد الواحد من الحديث النبوى على معانى المفردة دون أن يعزّز
ذلك بالقرآن أو الشعر.³

/4 استدلاله بالحديث النبوى على كثير من المعانى المحازية كما في لفظة "القدم"
في قوله (صلى الله عليه وسلم): «إن جهنم لا تسكن حتى يضع الله قدمه فيها»⁴، وأورد
وأورد قول الحسن: «أي حتى يجعل الله الذين قدمهم من شرار خلقه فيها، فهم قدم الله
للنار والمسلمون قدم للجنة»⁵.

/5 الخليل بن أحمد واستعانةً بالحديث النبوى كان يكثر من الاستطرادات النحوية
فيشير إلى كثير من مسائلها مستدلاً بأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهذا
يعود إلى علمه الواسع في النحو واللغة فهما متلازمان.

/6 كما يكثر من ذكر اللهجات واللغات المختلفة مستعيناً في ذلك بالأحاديث،
وكان يستعين بالأحاديث في ابتكار الألفاظ وتطورها الدلالي خاصة مع هذا الدين

¹ - ينظر: العين، ج 1، ص 215، مادة: "جبر" مثلا، وج 3، ص 386، مادة: "فرع" وج 1، ص 175،
مادة: "بيَدٌ"، وج 1، ص 182 مادة: "ترب".

² - ينظر مثلا: العين، ج 1، ص 138، مادة: "سر"، ج 1، ص 199، مادة: "ثلب" وج 1، ص 95،
مادة: "أني".

³ - ينظر مثلا: العين، ج 3، ص 342، مادة: "فنك"، وج 3، ص 343، مادة: "فهر"، وج 2، ص 365،
مادة: "شوذ".

⁴ - أخرجه البخاري بنحوه، في صحيحه، ص: 1224، ح رقم 4850، باب: "وتقول هل من مزيد".

⁵ - ينظر: العين، ج 3، ص 36، مادة: "قدم".



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

الجديد وإرشاد النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المعاني الجديدة والحقيقة لكثير من الألفاظ: كألفاظ الصلاة، والزكاة وألفاظ أخرى كالشغار، والربيب وغيرها.¹

وخلاصة الأمر أن الاحتجاج بالحديث عند الخليل وغيره من اللغوين سار بتوسيع كبير، تقول خديجة الحديشي: «من خلال تتبعي للكتب لاحظت أن كتب اللغة جميعها، المعجم منها وغيره تعتمد اعتماداً كبيراً على الحديث الذي تأتي ألفاظه المحتج بها في الكتب اللغوية في الكثرة بعد ألفاظ آيات الله إن لم تكن أكثر منها وكانت ألفاظه ركناً مهماً من أركان المعجم العربي الشامل»²

ج / الاحتجاج بكلام العرب (الشعر):

هو كل ما جاء عن العرب من شعر ونشر قبل الإسلام وبعده حتى فسدت الألسنة، وقد اعتمد عليه علماء اللغة -نحوُهم ومعجميُّهم- في حين أن الشعر قد حظي بعناية أكثر من النثر، ويقى المعجميون أكثر استشهاداً بالنشر من النحوين، يقول ابن رشيق القمياني: «ما تكلمت به العرب من جيد المنشور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يَحْطُّ من المنشور عشره ولا ضاع من الموزون عشره»³ وعند تبع احتجاج المعجميين بالشعر وغيره يتضح لنا أنه بدأ منذ عصر مبكر، أي في القرن الأول لما أخذ الصحابة بتفسير غريب كلمات القرآن والحديث لجاؤوا إلى

¹ - ينظر: العين، ج 2، ص 340، مادة "شغر"، وج 4، ص 40، مادة "كفل".

² - خديجة الحديشي، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث السبوبي الشريف دار الرشيد، العراق، 1981، ص 38-40.

³ - ابن رشيق القمياني الأزدي، العمدة في محسن الشعر وآدابه ونقده، تج: محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط 5، 1401 هـ - 1981 م)، ص 20.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

الاستدلال على معانٍ هذه الكلمات بشهادة شعرية توضح معانيها وتكشف ما غمض منها.

ثم نجح ابن عباس في تطبيق ذلك، فأخذ في تفسير غريب القرآن مع إيراد شواهد شعرية لكل مادة يفسّرها، ويظهر هذا في إجاباته على مسائل نافع بن الأزرق ونحدة بن عويمير¹

وكان يقول: «الشعر ديوان العرب، فإذا حفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزل للغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه»²

وهكذا كان الاحتجاج اللغوي بالشعر واحداً من الدراسات اللغوية المبكرة، فقد سبق الاحتجاج بال نحو بمدة، وكان يستشهد بالبيت الشعري لبيان المعنى الدلالي للكلمة الغريبة، وكانت هذه هي النواة لظهور المعجم الذي تطور فأخذ يورد البيت الشعري للدلالة على الكلمات ومعانيها، ولبيان ما حدث في تراكيبيها، وفي أبيتها واشتقاقاتها وفي أصواتها وحروفها.

وعلى هذا فالشواهد الشعرية كانت في المعاجم :

- لإثبات دلالة اللفظ علة معناه.
- لتأصيل معنىًّا جديداً لم يعرف إلّا بهذا الشاهد.
- لإثبات وجدود اللفظ في الاستعمال العربي.

تحديد الشاهد الشعري وموقف الخليل من ذلك:

¹ - بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تتح: أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط، ج 1، ص 293.

² - المصدر نفسه، ج 1/294.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

قد بحث علماء اللغة في الشاهد النحوي الذي يصحّ الأخذ به ووضعوا له دائتين: زمانية ومكانية، صوناً لغة من الخلل والفساد الذي قد يرده من الدخيل، وتبعهم في ذلك المعجميون.

فالدائرة الزمانية حدّوها بأقوال الجاهليين والإسلاميين حتى منتصف القرن الثاني، سواء من سكن منهم البادية أو الحاضرة، وأما الشعراء فقد صنفوا أربع طبقات:¹

- طبقة الجاهليين: كزهير وطرفة والأعشى وغيرهم .
- طبقة المحضرمين: وهو الذين شهدوا الجاهلية والإسلام: كأبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولبيذ وحسّان والختناء وكعب بن زهير.
- طبقة الإسلاميين: كأبي الأسود الدؤلي، وجرير والفرزدق.
- طبقة المولدين أو الحديثين: ك بشار بن برد وأبي نواس.

وقد أجمع علماء العربية على أن شعراء الطبقتين الأولىين يحتاج بشعرهم بغير نزاع، أما الطبقة الثالثة فمعظم اللغويين يرون صحة الأخذ بشعرها، أما الطبقة الرابعة فقد رفض اللغويون الاحتجاج بشيء من شعرها فيما عدا الرمخشري الذي أجاز ذلك.² كما يرى "حسين نصار" أن الخليل بن أحمد الفراهيدي كان يحتاج كثيراً بشعراء الطبقتين الأولى والثانية من أمثال شعراء المعلقات: كأوس بن حجر ودريد بن الصمة، وأمية بن الصلت، وعدى بن زيد وغيرهم، وشعراء الطبقة الثالثة أمثال: الأحوص

¹ - ينظر: جلال السيوطي، الاقتراح، ص 70، وينظر: حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، (1988م، 1408هـ)، ج 1، ص 208-209.

² - ينظر: السيوطي، المصدر نفسه، ص 70.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

والأنخطل والفرزدق وجرير وجميل وذي الرمة، ...، ثم نجد من شعراء الطبقة الأخيرة

حفصاً الأموي وبشار ابن برد.¹

فالخليل إذاً يجري على المنهج المعروف بين اللغويين في الاستشهاد بالطبقتين

الأوليتين استشهاداً مطلقاً، بل هو يخالفهم في تعليم الاحتجاج إلى جميع الأفراد المنضوين

تحت هاتين الطبقتين، لأن بعض النحوين يخرج منها شعراء لهم ظروف خاصة فيشهد

مثلاً بأبي داود الأيادي وعدي بن زيد وأمية بن الصلت.²

وأما ما أثبتت للخليل من استشهاده بمحض الأموي، وبشار بن برد فيرى الدكتور

حسين نصار أن هذا لا يرضى عنه أكثر اللغويين ، ويعلّل لما فعله بأنه ينظر إلى المولدين

نظرته إلى العلماء بالعربية الموثوق بهم، ومع ذلك "فيشار بن برد" أوسع أفقاً، وأيضاً

تقدّم عصره، فكان في ميسوره الحكم الصحيح على المعنى العربي وغيره، بالإضافة إلى أن

قواعد الاستشهاد لم تكن قد حددت تماماً.³

ويقول أحد الباحثين: «الخليل استشهد بشعر العباسين أمثال بشار ومحض

الأموي، وبذلك مدّ عصر الاستشهاد ليشمل فصحاء الشعراء العباسين المعروفين

بتمكنهم في اللغة، وهو بهذا خالف جمهور اللغويين الذين حظروا الاستشهاد بشعراء هذا

العصر، ووقفوا عند إبراهيم بن هرمة».⁴

¹ - ينظر: حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ج 1، ص 209.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 209.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 210.

⁴ - رفاه سراج محمود جوهري، الاحتجاج بالشعر في معجم الصحاح للجوهري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، إشراف: عبد الله محمد مسلمي، 1432هـ، ص 45.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

ويوافق شوقي ضيف صنيع الخليل والزمخشي من استشهادهما بشواهد شعراء متأخرین إذ يقول: «ولكي يكون المعجم العربي التاريخي - في رأيي - تاريخياً حقاً ينبغي أن يضم إلى شواهد الشعرية لا شواهد من شعر بشار بن برد وأبي تمام والمتنبي وأبي العلاء فقط، بل أيضاً شواهد من الدواوين الحقيقة لأفذاذ شعراء العربية على مرّ التاريخ، وبذلك يكون هذا المعجم وعاءً جامعاً لتطور معانٍ الكلم في العربية ودلالتها لغويًا وأدبياً وفكرياً من الجاهلية إلى العصر الحديث». ¹

والحق أن كتاب العين وغيره من المعاجم العربية يعدُّ مصدرًا مهمًا من مصادر التوثيق الشعري وكلام العرب لاحتوائه على مادةٍ ضخمة من كلام العرب وأشعارها على مرّ العصور التاريخية كما يمثل مصدرًا مهمًا للتطور اللغوي والدلالي للألفاظ واستعمالاتها على مرّ الزمان.

3. دور المعنى في الاحتجاج عند الخليل:

مصطلح المعنى هو من أكثر المصطلحات التي اختلف في تعريفها، ويرجع ذلك إلى اختلاف اهتمامات الدراسين له، وتعدد ميادين بحوثهم، بالإضافة إلى كثرة المصطلحات المرتبطة به، فهو عند النحاة مختلف عنه عند اللغويين (أصحاب المعاجم)، فقد قصد به النحويون أحياناً المعنى الصرفي وأحياناً أخرى المعنى الدلالي بصفة عامة، وأحياناً يقصدون به المعنى النحوي، أي وظيفة الكلمة في الجملة كالفعالية والمفعولية والإضافة، كما كان إسهام اللغويين العرب في مجال المعنى بوضع معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني ومحاولة ربط بعضها بعض، فيما عرف بالاشتقاق، وكذلك بحث المطابقة بين اللفظ ومعناه من حيث

¹ - شوقي ضيف، صعوبات الاستشهاد الشعري في المعجم العربي التاريخي، مجلة المعجمية، تونس، ع .417، 1990، ص 56.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

مناسبة كل منهما لآخر، وتفسير العلاقة أيضاً بين المعنى واللفظ بأنها عرفية اعتباطية - كما يرى أكثرهم.-

و كثيراً ما يتحدث الباحثون عن أن معنى الكلمة يظل ضبابياً وبه غامض خارج سياق الكلام، بل إن بعضهم نفى أن يكون للكلمة معنى خارج السياق، وإذا كان الرجوع إلى المعجم هو الوسيلة غالباً - للبحث عن معنى الكلمة، بتنوع معانيها، فإن معظم الكلمات لا يمكن الوقوف على معانيها بالرجوع إلى المعجم، وقد اختلف الباحثون في حصر عدد المعانى المحتملة للكلمة، وكان أحمد مختار عمر قد ذكر خمسة أنواع عدّها أهم أنواع الدلالة.¹

1- المعنى الأساسي أو المركزي: وهو العامل الرئيسي للاتصال اللغوي ويشترط للمتكلمين بلغة واحدة أن يكونوا مشتركين في تصوّر هذا المعنى الأساسي الذي يتم من خلاله تصور الأفكار ونقلها، حيث تمتلك الكلمات ملامح معينة تميزها عن غيرها، هذا المعنى هو المعنى المعجمي للكلمة حين تكون منفردة.

2- المعنى الإضافي أو الثانوي: وهو المعنى الذي يزيد عن المعنى الأساسي ولا يكون متصلًا بالثبات، وإنما يتغير حسب أنواع الثقافات والأزمنة والخبرات.

3- المعنى الأسلوبي: إن أي قطعة لغوية تحمل خصائص أسلوبية تتعلق بمستوى اللغة المستعملة، كاللغة الأدبية أو العامية أو المبتذلة وكذلك بنوع البيئة والمستوى الاجتماعي والعصر ككلمة - الزوجة - في العربية من الحرّم والزوجة والمرأة أو المرأة أو

¹- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط3ن 1992 من ص36-40. وإضافة إلى المعنى الأساسي أو المركزي والمعنى الإضافي أو الثانوي، والمعنى الأسلوبي نجد المعنى النفسي والمعنى الإيجائي.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

الدار أو الأهل أو الأخرى، وهي كلمات قد تبدو متطابقة، لكنها في الحقيقة ليست كذلك، وإنما هي معانٍ إضافية، تختلف باختلاف تلك الاعتبارات.

يقول ستيفن أمان: «لقد سبق أن عرّفنا المعنى بأنه علاقة متبادلة بين اللفظ

والدلول ... وعلى هذا يقع التغيير في المعنى كلما وجد أي تغيير في العلاقة الأساسية»¹

ومعنى هذا أن تغيير المعنى يمسُّ اللفظ بصورة أساسية، وأننا حينما نعالج موضوع

تغيير المعنى لا نعالج معنًّا، وإنما في ضوء الألفاظ التي ترتبط بالمعنى المتغيرة وتغير عنها»²

والكشف عن المعنى لا يكون إلا بوضع الألفاظ في سياقات مختلفة، إذ يتصل المعنى بحكم العلاقة بين الألفاظ وما يجاورها.

ولكن قد يبالغ البعض فيلغى أي دور الكلمة في تحديد المعنى، ويعطي السياق³

الدور الأول في ذلك، وفي هذا إلغاء لتفُّرُّ المعنى المعجمي الأصلي للكلمة المفردة

بالدلالة، وتقليل لأهميته الانفرادية، لأن الواقع اللغوي يؤكّد «أن في كل كلمة نواة صلبة من المعنى -نسبياً- ويمكن تكييفها بالنص ضمن حدود معينة»

إذن لا يمكن أن نلغي دور المعنى المعجمي أو الأساسي في إنشاء الدلالة على أن

المستوى الدلالي ينقل الدراسة إلى تناول المعاني الثانية التي تختفي خلف المظاهر الخارجية

للألفاظ، وهذه الدلالة الوضعية العقلية عبر عنها عبد القاهر الجرجاني بـ«المعنى» ومعنى

المعنى» فيقول: «... الكلام على ضربين: ضرب أنت تصلك منه إلى الغرض بدلاله اللفظ

وحده، ... وضرب آخر أنت لا تصلك منه إلى الغرض بدلاله اللفظ وحده، ولكن يدلّك

¹ - ستيفن أمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، ص 56.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 55.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 55.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم بحد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها

إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل»¹

وعليه فإن معاني الكلمات تأتي على النحو الآتي:

1- المعنى الحرفي المعجمي وهو المعنى الأساسي للمفردة.

2- المعنى المجازي: وهو استعمال يدل على معنىًّا جديداً غير المعنى الحرفي لها.

3- المعاني المختلفة للكلمة مثل كلمة "عين"، ويتحدد معناها بالسياق الذي ترد

فيه، وهو ما يطلق عليه "بالاشتراك اللفظي"

4- العلاقات بين المفردات كالترادف والتضاد والاشتمال.

5- المعنى الاجتماعي.

6- المعنى الوجودي.²

إذن فالسياق له أثر بالغ في تعين المعنى المراد من اللفظ، فقد يرد اللفظ الواحد في

أكثر من موضع، وله في كل موضع معنى مختلف عن معناه في الموضع الآخر، والذي

يعين على معرفة معانيه المختلفة في تلك المواقع هو سياق الكلام، فالكشف عن المعنى لا

يكون إلا بوضع الكلام في سياقات مختلفة، إذ يتحصل المعنى بحكم العلاقة بين الألفاظ

وما يجاورها، كما أن دراسة المعنى تتطلب تحليلاً واعيًّا للسياقات والمواقف التي ترد فيها

¹- عبد القادر الحريري، دلائل الإعجاز، تج: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، ص 258.

²- ينظر: بن الدين بخولة، دلالة اللفظ بين المعجم والسياق، مجلة جامعة ابن رشد في هولندا، ع 8، مارس 2013، ص 69.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

الألفاظ حتى ما كان منها غير لغوي، فقد دعت إلى اعتماد المقام¹ أو العناصر المحيطة بالملف الكلامي، مثل طبيعة الكلام والظواهر اللغوية الاجتماعية المحيطة بالنص. إذن فاللُّفْظ يتنازعه مستويان: المستوى المعجمي والمستوى السياقي.² ولقد شكلت العلاقة بين اللُّفْظ والمعنى الحور الأساسي في دراسة الساقيين واللاحقين نظراً لأهمية هذه المسألة عموماً وارتباطها بكثير من العلوم و مجالات المعرفة الإنسانية، وقد كان من إسهام اللغويين العرب في هذا المجال: وضع معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، ودراسة اتصال معاني الألفاظ المتحدة الأصول ومحاولة ربط بعضها بعضٍ فيما عرف باسم الاشتراق الأصغر والاشتقاق الأكبر، وكذلك بحث المطابقة بين اللُّفْظ و معناه من حيث مناسبة كلٍّ منهما للآخر.³

والخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب معجم الألفاظ لم يكتفي بإيراد المعاني المعجمية - على حد تعبير الحدثين - بل تعدى ذلك إلى المعاني السياقية المختلفة، لأنَّه أدرك أنَّ المفردة إذا وضعت في سياقات مختلفة فإنَّها تعطينا معانٍ أخرى، قد تتقاطع مع المعنى الأول، الوضعي وقد لا تتقاطع، وهذا الاختلاف يجده السياق، كما أنه أدرك أنَّ

¹ - المقام: أو سياق الحال وهي الظروف المحيطة بالحدث الكلامي، وهي العصر، ونوع القول وجنسه، واللغة أو اللهجة المستعملة والمتكلِّم أو الكاتب والمستمع أو القارئ والعلاقة بين المرسل إليه من حيث الثقافة والجنس والعمُر والألفة والطبقة الاجتماعية. ينظر: ردة الله بن ردة الطلحى، دلالة السياق، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، ط 1 (1423هـ)، ص 50-51، ص 565.

² - ينظر: فايز الديا، علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق-دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية - ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1973، ص 217.

³ - ينظر: ابن جني، الخصائص، باب: "إمساس الألفاظ أشباه المعاني وباب قوة اللُّفْظ لقوَّة المعنى"، تتح: محمد النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، 1986، ج 2/ 152، ج 3/ 264.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

المعاني المعجمية للكلمات ليست هي كل شيء يمكننا من خلاله إدراك معنى الكلام، فهناك عناصر لغوية وغير لغوية تساهم بشكل كبير في تحديد المعنى.

لذلك اعتمد الخليل في شرح المفردات على طرق مختلفة:

1- الشرح بالتعريف: ومثال ذلك في الثنائي:

أ- عَكَ : العَكَّة : فورة الحر شديدة في القيظ.¹

ب- عَجَ : العَجُّ : رفع الصوت.²

ج- ذَعَ : الدَّعْذَعَة : تحرير الريح الشيء حتى تفرقه وتمزقه.³

د- عَفَ : العَفَّة : الكف عما لا يحل.⁴

ـ معَ : المعْمَقَة : صوت الحريق.⁵

ومثال في الثلاثي:

أ- عَطَلَ : العَطَلَ: فقدان القلادة.⁶

ب- طَلَعَ : المَطْلَعُ: الموضع الذي تطلع عليه الشمس.⁷

ج- رَعَدَ : الرَّعَدُ: اسم ملك يسوق السحاب.⁸

ـ فَدَنَ : الفَدَنَ: الْقَصْرُ المشيد.¹

¹- العين، مادة: "عَكَ" ، ج 1، ص 66.

²- المصدر نفسه ، مادة: "عَجَ" ، ج 1، ص 67.

³- المصدر نفسه، مادة: "ذَعَ" ، ج 1، ص 84.

⁴- المصدر نفسه، مادة: "عَفَ" ، ج 1، ص 92.

⁵- العين، مادة: "معَ" ، ج 1، ص 95.

⁶- المصدر نفسه، مادة: "عَطَلَ" ، ج 2، ص 09.

⁷- المصدر نفسه، مادة: "طَلَعَ" ، ج 2، ص 11.

⁸- المصدر نفسه، مادة: "رَعَدَ" ، ج 2، ص 33.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

ومثال الرابعى:

أ- دمشق : الدمشق: الخفيفة من النون، السريعة.²

ب- جرضم : الجُراضم: الأكول الواسع البطن.³

ج- طرفش : الطُّرفشة: خفض البصر.⁴

أما الخامسى فمثاله:

أ- قفندر : القفندر : الضخم من الإبل.⁵

ب- شمردل : الشمردل: الفتى القوي الجَلَد، وكذلك من الإبل.⁶

وقد استعمل طريقة التعريف -هذه- بكثرة في معجمه، خاصة في باب الثنائي الثالثي، فاستطاع بها أن يوضح كثيراً من المعاني الغامضة وهي أشهر الطرق. ثم يورد الاستدلال عليها من القرآن ومن الشعر أو من الحديث الشريف، وسأشرح طريقة الاستدلال في موضعها بشيء من التوضيح مع الأمثلة.

2- الشرح بالمرادف : وهي طريقة شائعة كثيرة في معجمه وأمثلة ذلك:

أ- شع : شعشتُ الشراب: مزجته.⁷

ب- جف : جفَّ: يبس.⁸

¹- المصدر نفسه، مادة: "فدن"، ج 8، ص 50.

²- المصدر نفسه، مادة: "دمشق"، ج 5، ص 244.

³- العين، مادة "جرضم" ، ج 6، ص 200.

⁴- المصدر نفسه، مادة: "طرفش" ، ج 6، ص 300.

⁵- المصدر نفسه، مادة: "قفندر" ، ج 5، ص 267.

⁶- المصدر نفسه، مادة: "شمردل" ، ج 6، ص 304.

⁷- المصدر نفسه، مادة: "شع" ، ج 1، ص 71.

⁸- العين، مادة: "جف" ، ج 3، ص 30.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

ج- حقر : الحقر: الذلة.¹

د- جدث : الأجداث، القبور.²

هـ- قرفض : القرافصة : اللصوص.³

و- فرزدق : الفرزدق: الرّعيف.⁴

3- الشرح بالغاية: أو بالضد: لأن الأشياء تعرف بأضدادها باستعمال

عبارات من مثل: "نقيض" ضد "خلاف"، على هذا المثال:

أـ- مادة "حق": الحق: نقيض الباطل.⁵

بـ- مادة "حرّ": الحرّ: نقيض العبد.⁶

جـ- مادة "عدل": العدل: نقيض الجور.⁷

دـ- ظهر: الظُّهُر: خلاف البطن.⁸

هــ- شمال: الشمال : خلاف اليمين.⁹

4- الشرح عن طريق الشاهد: لقد زخر معجم العين بشواهد غزيرة توعّت بين

القرآن وقراءاته، وبين الحديث النبوي والشعر وأقوال العرب وأمثالهم، وكان للمعنى دور

¹- المصدر نفسه، مادة: "حقر" ، ج3، ص 43.

²- المصدر نفسه، مادة: "حدث" ، ج6، ص 73.

³- المصدر نفسه، مادة: "قرفص" ، ج5، ص 247.

⁴- المصدر نفسه، مادة: "فرزدق" ، ج5، ص 267.

⁵- المصدر نفسه، ج3، ص06، مادة: "حق".

⁶- المصدر نفسه، ج3، ص24، مادة: "حرّ".

⁷- المصدر نفسه، ج3، ص39، مادة: "عدل".

⁸- العين، ج3، ص37، مادة: "ظهر".

⁹- المصدر نفسه، ج3، ص265، مادة: "شمال".



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

هام في إيراد هذه الشواهد وتوجيهها وترتيبها وتنوعها، إذ إن طبيعة الشاهد ونوعه يقتضيه المعنى الذي هو بصدق شرحه وتبينه، ويمكن وصف هذه المنهجية فيما يأتي اعتماداً على الجزء الأول فقط:

/1 إن الاستعانة بالشاهد على التدليل على صحة الاستعمال وتوجيه المعنى وتوضيحه هي من الوسائل المنهجية التي يجب أن تتوافر في أي عمل علمي، فلا بدّ من الحجة لتنقية الادعاء والتقرير، فلا نكاد نجد معنى من غير دليل ولا شاهد في معجم العين حتى وإن اكتفى بقول من أقوال العرب، كما يقول في شرح كلمة "صعصعة" في مادة «صَعْ» الصعصعة التفريق، ... وذهبت الإبل صعاصع أي نادأً متفرقة في وجوه شقٍ¹ ولا يستشهد له بأي شاهد.

وفي قوله في كلمة "ثُعْثَعَة" هي حكاية كلام الرجل يغلب عليه الثناء والعين فهي لثغة في كلامه² من غير شاهد.

/2 أما عن ترتيب الشواهد، فلا يلتزم الخليل بترتيبها بدءاً بالقرآن ثم الحديث ثم بأقوال العرب، وهذا عائد في أحيان كثيرة إلى المعنى الذي يريد أن يشرحه، فيستدل عليه بالشاهد المناسب سواء بالقرآن أو بالحديث أو بالشعر— فعندما يشرح لفظة "العد" فإنه يأتي بالشاهد من القرآن قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا تَعْذُّ لَهُمْ عَدًا﴾³ لأنه دليل معنى قوله «عددُ الشيءِ عدًا: حسبته وأحصيته»⁴

¹ ينظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 73.

² نفسه، ج 1، ص 84، مادة: "ثُعْثَعَة".

³ سورة مرثي، الآية 84.

⁴ العين، ج 1، ص 79، مادة: "عد".



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

ثم يواصل في سرد المعانى فيقول: «والعَدُّ: مجتمع الماء، ... وهو ما يعدهُ الناس، فالماء عَدُّ، موضع مجتمعه عَدُّ» ويستدل بقوله ذي الرُّمة:
دَعَتْ مَيْةُ الْأَعْدَادِ وَاسْتَبَدَّلَتْ * * خَنَاطِيلَ آجَالٍ فِي الْعَيْنِ خُدَلٍ¹

- كما بدأ الاستدلال بالحديث النبوى فى شرح لفظة "العِدَاد" وهى اهتياج وجع اللديع بقوله (صلى الله عليه وسلم): «ما زالتْ أكُلْهُ خَيْرٌ تَعاوَدُنِي فَهَذَا أَوَانٌ قَطْعٌ أَبْهَرِي»² أي تراجعى ويعاودنى ألم سُمَّها فى أوقات معلومة، ثم يستدل بقول الشاعر ولا ينسبه:

يُلَاقِي مِنْ تَدَكُّرِ آلِ سُلْمَى * * كَمَا يَلْقَى السَّلَيْمُ مِنْ الْعِدَادِ³

- إذن فالمعنى هو الذى يتحكم فى ترتيب الشواهد، فإذا كان الشاهد القرآني يخدم المعنى الأول بدأ به أولاً لأن كلام الله يعلو ولا يعلى عليه، وكذلك بالنسبة لحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم).

لكننا نجد فى مواطن غير قليلة يقدم الشعر على الحديث⁴ ولكنه قد يكتفى بالشاهد الواحد على المعنى الواحد وأكثرها من الشعر، لغزارة المادة الشعرية من جهة، ولخلو هذه الألفاظ من القرآن ومن الحديث وعدم استعمالها.

¹ - البيت لدى الرُّمة، في ديوانه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 1415هـ-1995م، ص 226. وينظر: ابن منظور، لسان العرب دار المعارف، القاهرة، ص 1278، مادة: "خنطل".

² - أخرجه البخاري بنحوه في المغاري: باب مرض (النبي) (صلى الله عليه وسلم) ووفاته، ص 1086، رقم الحديث: 4427.

³ - البيت بلا نسبة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص 2834، مادة: "عدد". وينظر: ابن ناصر الدين الدمشقي، جامع الآثار في السير ومولد المختار، تج: أبو يعقوب كمال، دار الفلاح ، الفيوم - مصر، ط 1 (1431هـ-2010م)، ج 6، ص 386.

⁴ - ينظر: العين، ج 1، ص 105.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

3/ نلاحظ من خلال شواهد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف معانٍ مبتكرة زائدة على المعاني الأولى المستعملة من قبل العرب وهذا- لا شك - يسهم في الشراء اللغوي والتعدد الدلالي كألفاظ العقيدة والشريعة: كالصلوة والزكاة وغيرها. ففي قوله مثلاً في شرح لفظة "الخشوع":

لأنه في الأصل الخشوع الرمي بالبصر إلى الأرض ... والخشوع بمعنى الشرعي الخشوع بالبدن والصوت والبصر لقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِرَحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمَسًا﴾¹ أي سكت ².

وكذلك بالنسبة للفظة "العدة"³. ولفظي "الشفع والوتر".⁴.

4/ كما ينبغي الإشارة إلى ملاحظة مهمة في معجم العين وهو التطور الدلالي للألفاظ، فمن المعلوم أن المعنى القاعدي أو الوضعي الأساسي الأول إنما كان مادياً أو حسياً، وذلك تابع إلى طبيعة البيئة العربية، فالألفاظ مستمدة من بيئتها، ثم ومع الاستعمال يتطور مدلول هذه الألفاظ من عصر إلى عصر، فتحوّل المدلول الحسي إلى مدلول معنوي أو مجازي يختلف باختلاف العصور والبيئة، لذلك نجد الخليل يسرد هذه المعاني متقدلاً من المعنى الأساسي إلى المعنى الثانية، وأمثلة ذلك كثيرة، فهذه الخصيصة مبسوطة في معجمه من الجزء الأول إلى آخر جزء، ونأخذ على سبيل المثال لا الحصر؛ معاني لفظة "الخلع": حيث دلّ بادئ الأمر على أمر حسيّ وهو خلع الرداء والخف

¹- سورة طه: الآية: 108.

²- العين، ج 1، ص 112.

³- المصدر نفسه، ج 1، ص 79.

⁴- المصدر نفسه، ج 1، ص 260.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

والقيد والمرأة وهو الترع، ثم انتقل إلى معنى الولد الذي يتخلّى عنه أبيه مخافة أن يحيى عليه وهو الخليع، ثم انتقل إلى معناه المجازي وهو الدلالة على القلب المخلوع: وهو الذي ينخلع من فزع، والمخلع من الشّعر هو ضرب من البسيط يحذف من أجزائه.¹

وكذلك بالنسبة للفظة: "النخاع"²: وهي في الأصل عرق أبیض مستبطن فقار العنق متصل بالدماغ وهو معنی حسّي، ثم انتقلت دلالته إلى معنى النخامة أو البزقة باعتبار الموضع الذي تخرج منه واستدلاً بحديث رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «لَا تَنْتَخَعُوا الْذِيَّحَةَ...»³ أصبح معناها بلوغ الذبح إلى النخاع، وأصبح ذا دلالة مجازية وهو شدة الشيء إلى آخر النخاع أي شدة الكره أو شدة الحب كما في الحديث: «أنفع الأسماء إلى الله - أي أقتله - من تسمى بملك الملوك .»⁴ والأمثلة كثيرة في هذا الموضع.

5 / لم يكتف الخليل في شرحه للألفاظ بالمعنى الوضعي الأول بل راح يورد الاستعمالات السياقية المختلفة للكلمات، فكلما تغير سياقها تغير معناها، وأمثلة ذلك كثيرة، من ذلك قوله في معاني "القرع" أنها قطع السحاب، ثم غير السياق بزيادة لفظ "الصوف" إلى القرع: والقرع من الصوف: ما تناقض في الربيع ورجل مقزع: ليس على رأسه إلا شعيرات تتطاير في الريح، والمقرع من الخيل، وسهم مقزع: خُفْفٌ

¹ - المصدر نفسه ، ج 1، ص 118، مادة: "خلع".

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 121، 122، مادة: "نخع".

³ - لم أجده تخرّيجه: لأن هناك أحاديث يستدل بها أصحاب المعاجم واللغويون لا توجد في كتب السنن، وقد يكون السبب هو ضعفها.

⁴ - لم أعثر على تخرّيجه.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

ريشه، وكبش أقزع وشاة قزعاء وغيرها، وكان كلما أورد استعمالاً استدلّ عليه بما يناسب معناه.¹

6- كثيراً ما كان يعني بشرح الشواهد القرآنية خاصة وشواهد الحديث النبوي استعانة به على فهم معاني الألفاظ من ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَعْنَتْهُمْ لَهَا حَيْنِعِينَ﴾² أي جماعتهم ولو كانت الأعناق خاصة وكانت خاضعة أو خاضعات ومن قال: هي الأنفاق، والمعنى على الرجال، ردّ نون "خاضعين" على أسمائهم المضمرة، وتقول: جاء القوم رسلاً رسلاً وعُنقاً عُنقاً إذا جاءوا فرقاً³ ويجمع على الأنفاق.

وأيضاً تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّفَعُ وَالْأَنْتَر﴾⁴ قال: الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة وهو وجه من أوجهه تفسيرها، لكثرة الأقوال فيها.

وقوله في تفسير قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «العقل عقلان» : فأما عقل صاحب الدنيا فعقيم وأما عقل صاحب الآخرة فمشمر»⁵ والملك عقيم أي لا ينفع

¹- ينظر: العين، ج 1، ص 132، 133، مادة: "فرع". وينظر على سبيل المثال: ج 1، ص 74، مادة: "عس"، وج 1، ص 262، 263، 264، مادة: "شعب". وغيرها.

²- سورة الشعراء، الآية: 04.

³- العين، ج 1، ص 168، مادة: "عنق".

⁴- سورة الفجر، الآية: 03.

⁵- لم أعثر على تخریجه في كتب السنن، وقد استدل به أصحاب المعاجم فقط. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص 3051، مادة: "عقم".



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

فيه النسب لأن الابن يقتل على الملك أباه، والأب ابنه، والدنيا عقيم أي لا ترد على

صاحبها خيراً»¹

وفي تفسير قول النبي (صلى الله عليه وسلم): «خلع ربة الإسلام من عنقه»²

قال: «إذا ضيع ما أعطى من العهد، وخرج على الناس»³.

وغيرها من الشروحات والتفسيرات والتوضيحات التي أجراها الخليل خدمة للمعاني وإثراء للدلائل، فلا يستغني المفسر ولا المحدث ولا الفقيه ولا اللغوي على هذا المعجم الضخم الذي تعددت فنونه وتشعبت علومه.

الخاتمة:

انطلاقاً مما اطلعتُ عليه في معجم العين، وَمِمَّا لاحظته من التفرد الذي حُصّنَ به توصلت إلى النتائج الآتية:

- 1- إن معجم العين يعدُّ مصدرًا لغويًا وصوتيًا وصرفياً ونحوياً وعروضياً كذلك، كما يعدُّ منهاجًا غير مسبوق في الترتيب والتبويب والشرح والتعليق والاستشهاد، إذ يعدُّ منهجه منهجًا رياضيًا إحصائيًا تعرف به المناهج الحديثة في الإحصاء والترتيب.
- 2- إن اعتماد منهجه "التقليل" يسهم في إثراء اللغة ومعرفة المستعمل والمهمل في اللغة، إذ لا يعدُّ ذلك حشوًا بقدر ما يعدُّ توسيعًا في وضع القاعدة اللغوية ومعانيها خاصة وأنه يذيل ذلك بالشرح والتعليق.

¹- ينظر: العين، ج 1، ص 261.

²- أخرجه الحافظ الترمذى، في الجامع الكبير، تج: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، ص 544، ح رقم: 2863، باب: "ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة".

³- العين، ج 1، ص 119، مادة: "عنق".



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

3- إن "كتاب العين" يعدّ معجماً ضخماً يحوي مادة دسمة مكونة من الألفاظ والمعاني المتعددة، كما أن خير ما يمثل ذلك هو طريقته في الاحتجاج بالقرآن والحديث النبوي والشعر وأقوال العرب، فلم يكن كتاب العين مجرد معجم يذكر فيه دلالات الألفاظ ومعانيها فحسب، بل احتوى على القراءات القرآنية، التي تعدّ مصدرًا مهمًا في بيان اختلاف المبني والمعنى، ولم يكتف بإيرادها فحسب، بل كان يذكر اختلافاتها ويعللها بعقل منطقي ليبين الأوجه التي تجوز بها القراءة ويقوم بتوجيهها وبيانها.

وكذلك يعد هو من السباقين الذين لم يتحرّجوا من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف مع ما وقع من الخلاف في الاعتماد عليه وخاصة على صحة القواعد، مع أنّ القاعدة تحتاج إلى توضيح الدلالة، وهذا يدلّ على ثقته في صحة الأحاديث وسنداتها، وإيمانه بأهمية الحديث النبوي في إثراء المعاني اللغوية المستعملة، وفهم المعاني المستجدة في اللغة مع نزول القرآن وتداول الحديث.

وأما كلام العرب ويمثله الشعر بصفة خاصة فإن كتاب العين للخليل يعدّ مصدرًا مهمًا من مصادر التوثيق الشعري لاحتوائه على مادة ضخمة من كلام العرب وأشعارها على مرّ العصور التاريخية، كما يمثل مصدرًا للتطور اللغوي والدلالي للألفاظ واستعمالاتها على مرّ الزمن من استعانته بالشعر.

4- وما يلاحظ على كتاب العين هو تحكم المعنى في طريقة الاستشهاد عنده، من حيث ترتيبها وتوجيهها وت نوعها. إذ إن طبيعة الشاهد ونوعه يقتضيه المعنى الذي هو بقصد شرحه وتبيينه، فلا يلتزم الخليل بمنهج ترتيب واحد فقد يبدأ بالشعر أو القرآن أو بالحديث، حسب المعنى الذي يريده وأما التنوع فقد زخر كتاب العين بالشواهد على تنوعها لكنه في أحياناً أخرى يكتفي بالشاهد الواحد، وكثيراً ما كان يعمد إلى شرح هذه الشواهد لإثراء للمعنى، ولكنه في أحياناً قليلة لا يشرح ولا يعلل.



مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

5- كما أن الخليل بن أحمد قد أدرك بصفة غير مسبوقة أهمية السياق في تحديد الدلالة، سواء السياق اللغوي أو المقامي، فلم يكتف بالمعانٍ الوضعية للألفاظ، بل راح يورد الاستعمالات السياقية المختلفة، ولاحظ أنه كلما تغير سياقها تغير مدلولها.

وبذلك يُعد «كتاب العين» بحق معجّماً لغويًا ضخماً يحوي مادة سابقة لعصرها في المجال المعجمي والصوتي والصريفي والتركيبي كون الدلالة هي نتاج هذه المستويات وإدراك الخليل لذلك جيداً نلمسه في طريقة شرحه وتعليقه، وإبراد المعانٍ والأساليب والشروط المطلولة لكثير من المسائل اللغوية وبذلك يُعد منظراً ومطبقاً في الآن ذاته، كما يُعد كتاب العين مصدرًا مهمًا للتوثيق والتخيير، فهو من أهم المصادر التي يمكن الرجوع إليها في توجيه القراءات القرآنية والتعليق لها ومعرفة وجوهها المختلفة، كما يمكن العودة إليه في تخريج الأحاديث النبوية وشرح معانيها، وأهم من ذلك أنه استدلَّ في كثير من الموضع بأحاديث لا توجد في كتب السنن فلا نجد لها إلا عند أصحاب المعجم بداية معجم العين، لكن هذه الصنْع لا يقدح في مصداقية الخليل وهو المعروف بورعه وأمانته.

إضافة إلى ذلك فإن كتاب العين يُعد مصدرًا شعريًا ضخماً يحوي أقوال العرب وأشعارها مشهورها وغريبيها عبر مختلف العصور، مما يحفظ للغة أصالتها وقوتها، كما يسهّل على الدراس عملية الشرح والتوثيق.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
 - الحديث النبوي الشريف.
1. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1992.
 2. البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط1، (1423-2002م).



- مصادر الاحتياج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس
3. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تتح: أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط.
 4. أبو البركات ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تتح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن - الزرقا، ط3، (1405هـ - 1985).
 5. بن الدين بخولة، دلالة اللفظ بين العجم والسياق، مجلة جامعة ابن رشد في هولندا، ع8، مارس 2013.
 6. الجاحظ، البيان والتبيين، تتح: عبد السلام هارون، مكتبة الحانجي، القاهرة، ط7 (1418هـ - 1998م).
 7. جعفر النحاس، إعراب القراءان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، (2008-1429هـ).
 8. حلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ط1.
 9. حلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط (1408هـ - 1987).
 10. ابن جني، الخصائص، باب "إمساس الألفاظ أشباه المعاني وباب قوة اللفظ لقوته المعنى، تتح: محمد النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1986.
 11. الحافظ الترمذى، الجامع الكبير، تتح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م.
 12. الحافظ بن حجر العسقلاني، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعى الكبير، تتح: أبو عاصم بن قطب، مؤسسة قرطبة، ط1-1416هـ - 1995م.
 13. الحسن علي بن يوسف القفقاني، إنماء الرواة على أنباء النهاة، تتح: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، دار الكتب الثقافية - بيروت، ط1 (1406هـ - 1986).



- مصادر الاحتجاج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس
14. حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة (1988-1408هـ)، دط.
 15. خديجة الحديسي، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981.
 16. ابن حلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.
 17. الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175م)، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي.
 18. أبو داود، السنن، تح: شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قرة بيلي، دار الرسالة العالمية، دمشق، طبعة خاصة، (1430هـ-2009م).
 19. الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: علي أبو زيد، إشراف: شعيب الأرناؤوط، دط.
 20. ذو الرمة، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1415هـ-1995م).
 21. ردة الله بن ردة الطلحى، دلالة السياق، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، ط1(1423هـ).
 22. ابن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محى الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، (1401هـ - 1981م).
 23. رفاه سراح محمود جوهري، الاحتجاج بالشعر في معجم الصحاح للجوهري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، إشراف: عبد الله محمد مسلمي، 1432هـ.
 24. زكريا محى الدين النووى، تذبيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.



- مصادر الاحتياج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس
25. ستيفن ألمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط.
26. سيدى إبراهيم المار غيني، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أئل مقرأ الإمام نافع، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1428هـ - 2008م.
27. شوقي ضيف، صعوبات الاستشهاد الشعري في المعجم العربي التارينجي، مجلة المعجمية، تونس، ع 56، 1990.
28. أبو الطيب اللغوي، مراتب النحوين، تح: 39-40 أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط 2، (1430-2009).
29. عبد السميع محمد أحمد، المعاجم العربية، دراسة تحليلية، دار الكتب الظاهرية، د ط، دمشق، 1969.
30. عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2.
31. علي بن محمد الشريفي الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الرشاد، القاهرة.
32. ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، إشراف: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، د ط.
33. فايز الديبة، علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1973. دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية.
34. ابن كثير، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد الحسن التركي، مركز البحوث والدراسات، المملكة العربية السعودية، ط 1 (1419هـ-1998م).
35. ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط 2.



مصادر الاحتياج في معجم العين ————— ط. صباح قيرة و أ. د ذهبية بورويس

36. محمد ابن سلام الجمحى، طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، (1422هـ - 2001م).
37. محمد بن أحمد القرطي، الجامع لأحكام القرآن، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ط.2.
38. مصطفى صادق الرافعى، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مكتبة رحاب، الجزائر.
39. ابن منظور ، لسان العرب، دار المعارف القاهرة، دط.
40. مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط.2، (1406هـ - 1986م).
41. ناصر الدين الدمشقي، تح: أبي يعقوب كمال، جامع الآثار في السير ومولد المختار، دار الفلاح، الفيوم، مصر، ط.1، (1431هـ - 2010م).
42. ابن النديم، الفهرست، تح: محمد الشويمي، الجزائر، 2007.
43. النسائي، السنن الكبرى، تح: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط.1، (1421هـ - 2001م).
44. نور الدين الهيثمي، مجمع الروايد ونبع الفوائد، تح: حسين سليم الدارين، المملكة العربية السعودية، ط.1، (2010م).
45. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، (1424هـ - 2003م).



الدرس النحوی عند الشیخ محمد الحضر حسین الجزايري بین التقلید والتجدید نماذج تحلیلیت

The grammar in the view of the Algerian scholar
Sheikh Mohamed El Khodr Hocine between classicism
and modernism Analytical models

د. شهرزاد بن يونس
chahrabentoumi@gmail.com
جامعة الإخوة منتوری قسنطينة 1

تاريخ القبول: 2020/11/16

تاريخ الإرسال: 2020/04/07

I. الملخص:

تقف هذه الورقة البحثية عند تحليل ومناقشة أهم الأفكار اللغوية التي تقدم بها أحد العلماء الجزائريين، وهو الشیخ محمد الحضر حسین الجزايري التونسي، الذي تقدم لنا بمجموعة من المؤلفات في مجال النحو، فهو من اللغويين الذين اهتموا بالعربية اهتماما تعديديا؛ وراحوا يُعنون بالقواعد العامة المستنبطة من كلام العرب، وأضعين أصولها النحوية، وباحثين في تفسيراتها الدلالية. ونظراً لهذه المكانة العلمية التي تبوأها هذه الشخصية في زمانها، فقد اتّخذناها موضوعاً لهذه الدراسة، وهدفنا من ذلك هو بسط النظر في مؤلفات هذا العالم الجليل، خصوصاً تلك التي استمر فيها آراءه النحوية، وهذا بغاية الكشف عن مكانته العلمية و موقفه من دعاة التجديد في النحو؛ لنجيب عن تساؤل جوهريّ مفاده: هل كان هذا العالم الجليل تراثياً بامتياز معادياً لكل دعوات تيسير النحو، أو كان مجدها تقدّم بأفكار مخالفة لما عرفه الدرس النحوی القديم؟ وقد أسفرت



الدرس التحوي عند الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري ----- د. شهرزاد بن يونس الإجابة عن هذا التساؤل إلى نتيجة توصلنا إليها، هي ذات أهمية في البحث اللسانى المعاصر، حيث سجلنا مدى وفاء هذا العالم اللسانى للتراجم اللغوي العربي، كما وقفتنا على أفكاره اللغوية التجديدية التي تقاطعت بعضها مع أفكار اللسانيين المحدثين. **الكلمات المفتاحية:** التحوى، الشيخ محمد الخضر حسين، التجديد، التقليد، التراجم اللغوي.

I. ABSTRACT:

This research seeks to analyze, interpret and debate the thoughts of one of the famous Algerian scholars; Sheikh Mohamed El Khodr Hocine, and his valuable grammatical researches. He is one among the scholars who studied the rules of the Arabic language and were interested to the general rules, which derived from Arabs speech .

They also established their grammatical principles and searched for the progress of semantic terms. As well, they were studying the phonology, pronunciation of the Arabic language beside their glossary and rhetorical interests, trying to give a new lecture to the literary Arabic patrimony.

The importance of this study consists of reading, analyzing the researches of this eminent scholar, that are carried out in the beginning of the 20th century, in which he integrated sometimes his old and new grammatical views with commentary, and in other times, he gave the opponent opinions. By this method, he could obtain interesting results in the modern linguistic research .

In this research, we will try to debate this study by answering the following questions: Was this eminent scholar faithful to the literary Arabic heritage? What are the new



الدرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ----- د. شهرزاد بن يونس

grammatical rules that he presented as an alternative of the ancestor's views?

To what extent did Mohamed El Khodr Hocine succeed in understanding, analyzing and criticizing the grammatical researches?

Keywords : Grammar ; Sheikh Mohamed El Khodr Hocine ;Renewal; Tradition; Grammar Heritage.

1. المقدمة:

لقد عرفت اللّغة العربية في رحلتها الطّويلة عبر الأزمنة اهتماماً واسعاً من طرف الدّارسين المتخصصين في شّتى المجالات؛ إذ تتبعوا خصائصها الصّوتية والصرفية والتّركيبية والدلاليّة، كما توسعوا في حوانبها البينية والبديعية، وبحثوا في تنوّع أساليبها، ولقد ساعد على هذا البيئة العامة التي نشأت فيها العربية في مستوىها الثقافية والاجتماعية والجغرافية.

لقد مثلت هذه الظروف «التّربة الخصبة التي تكّيأت كي ينبع فيها الدرس اللغوي يانعاً مزدهراً، ثم توفرت الدّوافع الخاصة التي كانت خدمة القرآن وصون اللّغة من اللّحن أبرزها جميعاً»¹، مما يسّر نشأة الدرس اللغوي وزاد في تطوره منذ الأعمال المبكرة على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه، وابن دريد، والأزهري، وابن فارس، وبعد القاهر الجرجاني وغيرهم. خصوصاً وأنّ الفساد اللّغوي قد عرف توسيعه على يد الأعاجم الذين دخلوا الإسلام، وأبعدوا العربية عن القواعد الإعرابية ظهرت في ألسنتهم أخطاء تمّسّ أواخر الكلم كظاهرة التّسكيـن، هذا الأخير الذي شاع في فترة الفتوحات الإسلامية. ناهيك عن المساس بقداسة الخطاب القرآني عن طريق تسرّب اللحن إلى تلاوة

¹ - محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللّغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ط1، 1980م، ص 29 من المقدمة.



الدرس التحوي عند الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري —————— د. شهرزاد بن يونس

القرآن، مما أدى إلى تغيير المعنى، وقد حفّز هذا أبا الأسود الدؤلي (ت69هـ) إلى وضع النقط لاستقيم الكلام بعيداً عن اللحن، وقد كان هذا العمل النواة الأولى لنشأة (علم النحو) في البصرة ثم في كلّ البلاد العربية بعد ذلك. ومن العلماء الأوائل الذين كتبوا في علم النحو عيسى بن عمر (ت149هـ) في كتابيه (الجامع) والإكمال) تلاهما بعد ذلك الكتاب لسيبوبيه (ت180هـ) مع العلم أنّ مصطلح النحو لم يظهر بعد حينذاك².

إنه مع هذا النتاج اللغوي الأول بدأ الدراسون يهتمون بالعربية اهتماماً تعديياً، وراحوا يُعنون بالقواعد العامة المستنبطة من كلام العرب، وأضعين أصولها التحوية، وباحثين في تطورات مفرادها الدلالية، ومستقصين لأصولها صفة ونطقاً، ناهيك عن اهتماماتهم المعجمية والبلاغية، ولقد بلغت هذه الجهود أوجّها على يد باحثين حافظوا على العربية وأحسنوا تلقينها للأجيال التي جاءت بعدهم، والتي بدورها أكملت هذه الرسالة المعرفية - كلّ في مجال نبوغه - ظهر لغويون وباحثون لسانيون في العصور القديمة، وكذا الحديثة ممن حاول أن يعيد قراءة التراث العربي قراءة جديدة، أو ممن حاول تبني الآراء التحوية التي ذهب إليها القدماء دفاعاً عنهم وعن مجدهم.

محمد الخضر حسين الجزائري واحد من العلماء المغاربة الذين ظهروا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. مؤلفات حاول من خلالها بسط بعض الآراء التحوية القديمة والحديثة مع التعليق عليها تارة، وتقديم آراء تختلفها من جهة ثانية، وهذا ما سنحاول مناقشته في هذه الدراسة، جيّبين على إشكالية عامة تدور في فلك معرفة الجهود العلمية التي بذلها محمد الخضر في خدمة اللغة العربية، والكشف عن مكاناته وموافقه العلمية من خلال ما قدّمه في مؤلفاته من رؤى نحوية تستحق التسوية، ناهيك عن

² - ينظر: محمد حسين آل ياسين: المرجع السابق، ص 84.



الدرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

محاولتنا معرفة التّيار التّقليدي أو التّجديدي الذي ينتمي إليه هذا العالم، ويمكن تلخيص هذه الإشكالية في الأسئلة الآتية :

- هل كان محمد الخضر حسين الجزائري التونسي من دعاة تجديد النّحو أو كان تراثياً بامتياز يؤمن بالتقليد؟

- إلى أيّ مدى كان الباحث الجليل وفياً ومقلداً للتراث اللّغوي العربي؟ ما موقفه من دعاة التجديد وهل كان مسايراً لهم؟

- ما هي الأحكام النّحوية الجديدة التي قدّمتها بديلاً عن آراء القدماء، وهل كان بذلك مجدداً؟

- إلى أيّ مدى نجح محمد الخضر حسين في فهم التّراث التّحوي وتحليله ونقده؟ وهل كانت أحكامه التّقدمة موفقة في ذلك؟

إنّ هدفنا من هذه الدراسة من خلال الإجابة عن أسئلتها، هو الوقوف على أهمّ الأفكار النّحوية التي بثّها هذا العالم الجليل في مؤلفاته، ومكافحة إسهاماته النّحوية محاولاً تأصيل التّحو نحو القديم برؤية جديدة من خلال وصفه للظاهره اللّغوية، وعبر ابتداع نماذج تحليلية جديدة في الأمثلة المستشهد بها، كما كانت غايتنا أيضاً هي جمع وتصنيف أهمّ أفكاره النّحوية في حقل واحد، بعدما كانت مشتّتة في مؤلفاته المختلفة، حتى نتمكن من معرفة رؤيته التّقدمية لتراثنا التّحوي، وقد اخترنا في ذلك المنهج الوصفي القائم على استقراء وتحليل النماذج الحللية وتدعمها بالمناقشة.

وقد قسمّنا هذه الدراسة إلى محورين رئيسيين؛ شقّ نظريّ قدّمنا من خلاله سيرة ذاتية وعلمية للعلامة قيد الدراسة، بالحديث عن حياته، وأهمّ مؤلفاته، وانتقلنا في الشقّ الثاني إلى الجانب التطبيقي الذي خصّصناه للدرس التّحوي في عينة من مؤلفاته، حيث بدأنا الحديث عن مفهوم التّحو ومناقشة العالمة له، وانتقلنا إلى مسائل أخرى كمعاني



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

الحروف، والحرّكات الإعرابية، ثم عرجنا على ظاهرة التّضمين، فنّيابة الحروف بعضها من بعض، ثم أسلوب التّحذير، لنتّحدّث هنا بباب القياس الذي أفرّدنا له مبحثا خاصّا نظرا لأهميّته في مباحث النّحو من جهة، ونظرا لأنّ العالم الجليل قد خصّه بكتاب منفرد، عكس الظواهر التّحويّة الأخرى.

2. مولده ونشأته وآثاره:

1.2 مولده ونشأته:

يمثّل العالّمة الجليل محمد الخضر حسين الجزائري قامة فكريّة ولغوّية في عصره، فهو واحد من الفقهاء والعلماء الذين تبوّأوا مكانة مرموقة في شمال المغرب العربي وحتى في مشرق، ينتمي إلى عائلة العمري إحدى عائلات قرية طوالقة (طلقة) في واحدة من واحات جنوب الجزائر بمدينة بسكرة، فهي المدينة التي ولد ونشأ فيها، المدينة التي تلقب بالكوفة الصّغرى نظرا لما تتمتع به من حضور علميّ، إذ كانت موطننا للتحضير عبر تميّزها بكثرة علمائها ومساجدها.

ولد محمد الخضر في ليلة الإسراء والمعراج في 26 من رجب 1293هـ - الموافق 16 أغسطس 1876م، سُمي عند مولده: محمد الأخضر بن الحسين بن علي بن عمر، فلما هاجر إلى المشرق حذفت (بن) من اسمه وحُوّرت الأخضر على الخضر، عُرف في مصر بالشيخ الخضر التونسي في بداية اندماجه مع هذا المجتمع، ثم لما خالط المصريين متجمّنساً وموظّفاً أصبح اسمه محمد الخضر حسين³.

تلقى تعليمه الأوّل في قريته حافظاً القرآن بها، فلما بلغ الثانية عشرة انتقل إلى تونس مع والده وأسرته، وهناك التحق بطلب العلم في جامع الزيتونة، حيث تلمذ على

³ - محمد الجوادى: محمد الخضر حسين وفقه السياسة في الإسلام، دار الكلمة للنشر، القاهرة، مصر، ط 1، 2014م، ص 17-18.



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

يد خاله (محمد المكي بن عزوز) الذي كان مدرساً به، كما درس على يد كبار الشيوخ حتى نال شهادة العالمية سنة 1898م، وهو في الثالثة والعشرين من العمر، وبعد تخرّجه عمل معيضاً في جامع الزيتونة.

ارتحل الشّيخ بعدها إلى موطنـه الجزائرـ سنة 1903م، وزارـ العاصـمة وبـعضـ المـدنـ الكـبـرىـ، كما حـضـرـ الدـرـوـسـ الـتـيـ كـانـتـ تـلـقـىـ فـيـ مـعـاهـدـ الـعـلـمـ فـيـهـ، وأـلـقـىـ بـعـضـ الدـرـوـسـ الـدـينـيـةـ وـالـعـلـمـيـةـ هـنـاكـ غـيرـ أـنـهـ لـمـ يـسـتـقـرـ هـاـ⁴.

أنـشـأـ سـنـةـ 1904ـ مـجـلـةـ (الـسـعـادـةـ الـكـبـرـىـ)ـ وـهـيـ مـجـلـةـ عـلـمـيـةـ أـدـبـيـةـ نـصـفـ شـهـرـيـةـ تـكـتمـ بـالـنـشـاطـ الـفـكـرـيـ فـيـ مـيـدانـ الـإـلـاصـحـ الـاجـتـمـاعـيـ، وـقـدـ نـجـحـتـ فـيـ اـسـقـطـابـ الـعـقـولـ بـتـونـسـ، الـتـيـ تـوـلـىـ فـيـهـ وـظـيـفـةـ الـقـضـاءـ فـيـ مـدـيـنـةـ بـتـرـرـ الـتـونـسـيـةـ بـعـدـ تـفـوـقـهـ فـيـ الـتـدـرـيـسـ وـالـصـحـافـةـ، فـقـدـ كـانـ بـمـثـابـةـ الـعـالـمـ الـأـوـلـ لـلـمـدـيـنـةـ، حـيثـ مـارـسـ الـخـطـابـةـ وـالـتـدـرـيـسـ فـيـ جـامـعـهـ الـكـبـيرـ، وـمـاـ تـمـكـنـهـ هـذـاـ إـلـاـ اـمـتـادـ لـمـهـجـهـ الـفـكـرـيـ الـذـيـ أـسـاسـهـ «ـالـدـفـاعـ مـنـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ، وـبـيـانـ مـكـانـتـهـ بـيـنـ الـلـغـاتـ، وـتـمـيـزـ مـظـاهـرـهـ فـيـ كـلـ الـمـسـتـوـيـاتـ الـلـغـوـيـةـ مـرـكـزاـ عـلـىـ أـهـمـيـةـ الـجـانـبـ الـتـحـويـ فـيـ قـوـاعـدـهـ الـنـظـامـيـةـ مـنـ جـهـةـ وـدـرـاستـهـ الـعـلـمـيـةـ مـنـ جـهـةـ ثـانـيـةـ»⁵، وـهـوـ فـيـ هـذـاـ لـاـ يـهـمـلـ الـمـسـتـوـيـاتـ الـدـلـالـيـةـ وـالـاسـتـعـمـالـيـةـ وـالـبـلـاغـيـةـ الـتـيـ اـقـتـنـعـ بـهـاـ بـعـدـ أـنـ أـخـذـهـاـ عـنـ أـسـاتـذـتـهـ، وـمـنـ أـشـهـرـهـمـ أـبـوـ الـحـاجـبـ وـالـعـلـامـ الـفـاضـلـ مـحـمـدـ الطـاـهـرـ بـنـ عـاشـورـ.

هاجر إلى المشرق العربي وبالضبط إلى دمشق سنة 1912، عن طريق البحر ماراً بمالطة والإسكندرية، ثم توقف في القاهرة، حيث ألقى دروساً في الجامع الأزهر ثم ميناء.

⁴ - محمد الجوادي: المرجع السابق، ص 19

⁵ - سعاد معمر شاوش: مقاهم لسانية عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري - قراءة استكشافية لفكرة النحو، مقال منشور بمجلة اللغة والأدب، العدد 29، ص 160.



الدرس التحوي عنـد الشـيخ محمدـ الخـضر حـسـينـ الجـزاـئـري ----- دـ. شـهـرـزـادـ بـنـ يـونـسـ

بورسعيـدـ، وـقـدـ بـقـيـ فـيـ دـمـشـقـ ماـ يـرـبـوـ عـنـ الشـهـرـ لـيـنـتـقـلـ بـعـدـهـ إـلـىـ بـيـرـوـتـ ثـمـ إـسـتـانـبـولـ،ـ حيثـ اـسـتـقـرـ خـالـهـ وـأـسـتـاذـهـ الـمـكـيـ بـنـ عـزـوزـ وـكـانـ قـدـ فـارـقـهـ مـدـدـةـ خـمـسـةـ عـشـرـ 15ـ عـامـاـ،ـ فـبـقـيـ مـعـهـ مـدـدـةـ شـهـرـيـنـ كـامـلـيـنـ،ـ ثـمـ اـنـتـقـلـ إـلـىـ بـرـلـيـنـ بـأـلـمـانـيـاـ وـقـدـ كـانـتـ رـحـلـاتـهـ هـذـهـ غـيـيـةـ بـلـقـاءـ الـعـلـمـاءـ وـالـأـدـبـاءـ الـذـيـنـ أـفـادـ مـنـهـ وـأـفـادـوـ مـنـهـ.

وـعـنـدـ بـقـائـهـ فـيـ دـمـشـقـ مـعـ أـخـوـيـهـ الـعـالـمـيـنـ الـمـكـيـ وـزـيـنـ الـعـابـدـيـنـ عـيـنـ مـحـمـدـ الـخـضرـ حـسـينـ مـدـرـسـاـ بـالـمـدـرـسـةـ السـلـطـانـيـةـ،ـ وـأـلـقـيـ دـرـوـسـاـ فـيـ جـامـعـةـ الـأـمـوـيـنـ،ـ وـهـنـاكـ توـطـدـتـ عـلـاقـهـ بـعـضـ عـلـمـائـهـ مـنـهـمـ:ـ الشـيـخـ الـبـيـطـارـ وـالـشـيـخـ الـقـاسـيـ.

عـادـ بـعـدـهـ إـلـىـ تـوـنـسـ،ـ ثـمـ الـجـزاـئـرـ،ـ ثـمـ دـمـشـقـ الـتـيـ اـسـتـقـرـ بـهـ ثـلـاثـ سـنـوـاتـ (1913-1916)،ـ وـلـاـ سـقطـتـ الشـامـ فـيـ أـيـدـيـ الـفـرـنـسـيـنـ سـنـةـ 1920ـ،ـ هـرـبـ إـلـىـ مـصـرـ خـصـوصـاـ وـأـنـ الـفـرـنـسـيـنـ كـانـوـاـ قـدـ حـكـمـوـاـ عـلـيـهـ غـيـابـيـاـ بـالـسـجـنـ وـالـإـعـدـامـ فـيـ تـوـنـسـ،ـ لـاهـامـهـ بـالـمـشارـكـةـ فـيـ تـحـريـضـ الـمـغـارـبـةـ بـأـلـمـانـيـاـ وـتـرـكـيـاـ عـلـىـ الـثـورـةـ ضـدـ الـفـرـنـسـيـنـ فـيـ شـمـالـ إـفـرـيـقيـاـ.ـ وـقـدـ كـانـ هـذـهـ الرـّحـلـةـ مـلـاـذاـ لـهـ لـتـقـوـيـةـ فـكـرـهـ،ـ وـتـوـسـعـ آفـاقـ دـعـوـتـهـ الـتـيـ اـنـصـبـتـ عـلـىـ الـحـفـاظـ عـلـىـ إـلـاسـلـامـ،ـ وـتـحـسـيـنـ صـورـتـهـ عـنـدـ الشـيـشـاـتـ الـعـرـبـيـةـ الـضـائـعـ،ـ دـاعـيـاـ الـعـلـمـاءـ إـلـىـ تـقـدـيمـ نـصـحـهـمـ لـلـأـمـمـ فـيـمـاـ يـقـولـونـ أـوـ يـفـعـلـونـ،ـ وـحـثـهـمـ عـلـىـ اـحـتـمـالـ مـاـ يـنـالـهـمـ فـيـ سـبـيلـ الـنـصـيـحةـ مـنـ مـكـروـهـ.⁶

كـمـاـ كـانـتـ هـذـهـ الأـسـبـابـ دـافـعـاـ قـوـيـاـ لـلـاستـقـرارـ فـيـ مـصـرـ حـتـىـ وـفـاتـهـ بـعـدـ تـجـنـسـهـ بـجـنـسـيـتهاـ،ـ حـيـثـ عـمـلـ مـصـحـحـاـ بـدارـ الـكـتبـ الـمـصـرـيـةـ بـشـفـاعـةـ أـحـمـدـ تـيمـورـ باـشاـ،ـ الـذـيـ عـرـفـ قـدـرـهـ مـلـدـةـ خـمـسـ سـنـوـاتـ،ـ وـاـنـتـقـلـ إـلـىـ التـقـدـمـ إـلـىـ اـمـتـحـانـ الـعـالـمـيـةـ الـأـزـهـرـيـةـ،ـ فـنـالـهـ

⁶ يـنـظـرـ:ـ مـخـتـارـاتـ مـنـ تـرـاثـ صـاحـبـ الـفـضـيـلـةـ الشـيـخـ مـحـمـدـ الـخـضرـ حـسـينـ،ـ هـدـيـةـ مـجـلـةـ الـأـزـهـرـ الـجـانـيـةـ لـعـدـدـ رـيـبـعـ الـأـوـلـ،ـ 1422ـهـ،ـ صـ 10ـ.



الدرس التحوي عنـد الشـيخ محمد الخـضر حـسـين الجـزاـئـري ----- د. شهرزاد بن يـونـس

بسهولة، و حينها قال عنه أحد الأساتذة المُمتحنين: «هـذا بـحر لا سـاحـل لـه فـكـيف نـقـف معـه في لـحـاجـة؟»⁷.

وهـنا أـصـبـح يـلـقـي الـمـاـضـرـات وـالـدـرـوـس فـي مـسـاجـد مـصـر، كـمـا كـتـب الـمـقـالـات المـتـنـوـعـة وـأـنـشـأ حـيـنـهـا "جـمـعـيـة تـعاـون جـالـيـات إـفـرـيـقيـا الشـمـالـيـة" سـنـة 1924م، وـهـيـ تـكـمـن بـالـمـغـارـبـة مـنـ التـاـحـيـتـين الـاجـتمـاعـيـة وـالـثـقـافـيـة، وـسـنـة 1928م شـارـكـ فـي تـأـسـيـس جـمـعـيـة (الـشـبـابـ الـمـسـلـمـيـنـ)، وـوـضـعـ لـاتـحـثـتـها مـعـ صـدـيقـهـ مـحـبـ الدـينـ الـخـطـيبـ، وـلـمـ رـأـيـ التـفـسـخـ الـأـخـلـاقـيـ يـزـدـادـ اـنـتـشـارـاـ فـي مـصـرـ أـنـشـأـ (جـمـعـيـة الـهـداـيـة إـلـاسـلامـيـة) مـعـ بـعـضـ مـشـاـيخـ الـأـزـهـرـ مـنـهـمـ مـصـطـفـيـ الـمـرـاغـيـ سـنـة 1928م، وـكـانـ مـنـ أـهـدـافـهـ مـحـارـبـةـ الـفـسـادـ وـالـإـلـحادـ، وـالـدـعـوةـ إـلـىـ تـقـيـنـ الـصـلـاتـ بـيـنـ الشـعـوبـ الـعـرـبـيـةـ إـلـاسـلامـيـةـ.

كـمـا اـخـتـيرـ مـحـمـدـ الـخـضرـ حـسـينـ عـضـواـ "مـجـمـعـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ الـمـلـكـيـ" سـنـة 1932م، وـعـضـواـ لـهـيـةـ كـبـارـ الـعـلـمـاءـ سـنـة 1950م، ثـمـ شـيـخـاـ لـلـأـزـهـرـ بـعـدـ ثـورـةـ يـولـيوـ سـنـة 1952، وـهـكـذـا تـبـوـأـ مـكـانـةـ كـبـرـىـ مـعـ أـحـدـ شـيـوخـ الـأـزـهـرـ الـعـظـامـ، وـقـدـ كـانـ قـبـلـ ذـلـكـ أـحـدـ شـيـوخـ الـرـيـتوـنـةـ أـيـضاـ إـلـىـ أـنـ تـوـفـيـ فـيـ الـقـاهـرـةـ فـيـ 28ـ فـبـراـيـرـ 1958م، بـعـدـ أـنـ دـافـعـ عـنـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـالـإـسـلامـ وـالـمـنـطـقـ.

2.2 مؤلفاته:

ترـكـ شـيـخـ الـأـزـهـرـ مـؤـلـفـاتـ كـثـيرـةـ فـيـ الـلـغـةـ وـالـفـكـرـ وـالـرـحـلـةـ وـالـسـيـاسـةـ وـغـيـرـهـاـ نـذـكـرـ مـنـهـاـ: كـتـابـ (وـسـائـلـ إـلـاصـالـ) فـيـ ثـلـاثـةـ أـحـزـاءـ، بـلـاغـةـ الـقـرـآنـ، تـونـسـ وـجـامـعـ الـرـيـتوـنـةـ، حـيـاةـ اـبـنـ خـلـدونـ، درـاسـاتـ فـيـ الـعـرـبـيـةـ وـتـارـيـخـهـاـ، الـقـيـاسـ فـيـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ، أـدـبـ الـرـحـلـاتـ، تـعلـيقـاتـ عـلـىـ كـتـابـ الـمـوـافـقـاتـ لـلـشـاطـيـ، إـضـافـةـ إـلـىـ مـئـاتـ الـمـقـالـاتـ وـالـمـاـضـرـاتـ.⁸

⁷ - محمد الحوّادي، محمد الخضر حسين وفقه السياسة في الإسلام، المرجع السابق، ص 29.

⁸ - ينظر: مختارات من تراث شيخ الأزهر، المرجع السابق.



الدرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

3. الدرس التّحوي عند محمد الخضر حسين الجزائري:

إنّ المتّصفّح لمُؤلفات محمد الخضر حسين الجزائري يراه قد آثر أن يقدّم بعض الصّفحات العلمية في اللّغة العربيّة؛ تدور في ذلك مباحث متّبعة في كتبه، منها الصّرفية ومنها التّاريخيّة التي تبحث في حياة اللّغة، وفضلهما، ومسارّهما للعلوم والمدنية، ونراه مرّات أخرى يقدم بعض الرّؤى في مجال التّحوّل مفصّلاً، وشارحاً، وناقداً، وهذا ما سنحاول توضيّحه في المباحث الموالية.

إنّ انتماء محمد الخضر حسين إلى عضوية الجمع العلمي العربي بدمشق، وكذا جديّته وبُعد نظره في كونه مؤسّساً جاداً في مجمع فؤاد الأول للّغة العربيّة بالقاهرة⁹، جعله من المهتمّين بلغة القرآن الكريم تحليلًا ومناقشة، في المستويات اللّسانيات الصّوتية والصرفية والتّحويّة والدلاليّة، ولنا في هذه الورقة البحثيّة أن نقف عند المستوى التّحويّ فقط، لمناقشة أهمّ المسائل التّحويّة التي عالجها شيخ الأزهر في مؤلّفاته.

1.3 موضوع علم التّحوّل

بدا العالم الجليل محمد الخضر في هذا المبحث ناقداً ضليعاً بمسائل التّحوّل، حيث تقدم بردّ على كتاب "إحياء التّحوّل" لصاحبه "إبراهيم مصطفى"، محاولاً تبيان جوانب الصّواب من جوانب الخطأ، خصوصاً فيما يتّعلّق بضبط مصطلح "الّتحوّل" وتحديد مفهومه.

⁹ — عقد الجمع العلمي العربي بدمشق جلساته الأولى في 30/07/1919، وقد عمل فيه طيلة الفترة التي قضاهَا في سوريا، ثم أصبح مراسلاً للمجمع بعد استقراره في القاهرة. أما بخصوص مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، فقد عُيِّن فيه سنة 1933، حيث ترأّس لجنة اللّهجات، وشارك في لجان: الآداب والفنون، المعجم الوسيط، وله عدّيداً من البحوث المنشورة في مجلّة الجمع.



الدرس التحوي عند الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

اتّجه "إبراهيم مصطفى" في انتقاداته إلى البدء بتحديد موضوع التّحو حيت قال بأنّ التّحاة اتفقوا في تحديد مفهومه بقولهم: «إِنَّهُ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ أَوْ أَخْرُ الكلِمِ إِعْرَابًا وَبِنَاءً»، وأنّ أبحاثهم التّحوية هذه كانت تعتمد على تأصيل شكليّ، لأنّهم يقترون بحوثهم على الجزء الأخير من الكلمة فقط، ثمّ أكدّ بعد ذلك أنّ تعريفهم هذا فيه تضييق شديد لدائرة البحث التّحويّ، وتقصير لماده، وحصر له في جزء يسير مما ينبغي أن يتّناوله¹⁰.

وقد ردّ عليه "محمد الخضر حسين" وخطّأ فكرته ودعاه إلى الاطلاع على المؤلّفات التي شرحت هذا التعريف شرحاً وافياً، مبتعدة عن سياق علم الإعراب إلى مباحث نحوية أخرى، وفي هذا يقول معاقباً: «لا ندرى ماذا صنع المؤلّف عندما وقف على هذا التعريف الذي ساقه لعلم التّحو، هل تجاوزه إلى مطالعة ما كتبه أهل العلم في شرحه؟»¹¹.

لقد عمد محمد الخضر إلى تقديم أدلة لأقوال التّحاة الذين شرحا المقوله السابقة بأنّ التّحو يهتم أيضاً بأحوال غير الكلمات؛ كالجمل التي لا محل لها من الإعراب، أو تلك التي لها محل، وكأحكام جملة الصّلة من حيث العائد، وجملة التّعت والخبر وغيرها. كما أنّ "علم التّحو" يبحث في أحوال الألفاظ من حيث دلالتها على المعانى التّركيبية؛ أي المعانى التي تستفاد من إسناد بعض الكلم إلى بعض، واستشهد في ذلك بأقوال للشاطبي في "شرح الخلاصة"، والسيد الحرجناني في "شرح المفتاح"، مورداً رأياً له

¹⁰ - ينظر: إبراهيم مصطفى: إحياء التّحو، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.ط)، 2014م، ص 17.

¹¹ - محمد الخضر حسين: دراسات في العربية وتاريخها، ضمن سلسلة الأعمال الكاملة، المجلد 10، دار النوادر، سوريا، ط1، 2010، ص 185 .



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

يفرّق فيه بين موضوعات علم النّحو وعلم المعاني فائلاً: «وأَمّا عن المركبات على الإطلاق، فَمَمّا باعتبار هيئتها التركيبية، وتأديتها لمعانٍها الأصلية، فعلم النّحو، وأَمّا باعتبار إفادتها لمعانٍ مغایرة لأصل المعنى، فعلم المعاني»¹².

فعلم النّحو بهذا يرتكز على دراسة البنية التركيبية للجملة من خلال عناصرها؛ لهذا أكّد ابن السّراج (ت316هـ) أنّه علم استخرجـه المتقدّمون بعد استقراء كلام العرب¹³ غايتها فصاحة الألسنة وبُعدـها عن اللّحن، بينما يهتمّ علم المعاني بالمعاني الثانية التي يمكن للمفردة أن تتحقّقـها في سياق ما.

ثمّ نراه يذّعـم فكرـه بما ألمـعـ إليه ابن سيدة اللّغوي الذي اعتمدـ في شرحـه على توسيعـ موضوعـ النـحوـ الذي يتجاوزـ أحـوالـ الإـعـرابـ والـبـنـاءـ، بما ألمـعـ أنه انتـهـاءـ لـسـمـتـ كلامـ العربـ منـ إـعـرابـ وـغـيرـهـ؛ كالـشـيـةـ وـالـجـمـعـ وـالـتـصـغـيرـ وـالـتـكـسـيرـ، وـالـإـضـافـةـ وـالـتـسـبـ وـغـيرـهـ ليـلـتـحـقـ مـتـكـلـمـ الـعـرـبـ بـفـصـحـائـهـ، ليـقـدـمـ وـجـهـةـ نـظـرـهـ أـخـيـراـ مـخـطـئـاـ رـأـيـ إـبرـاهـيمـ مـصـطـفـىـ قـائـلاـ: «لـمـ يـقـصـرـ النـحـاةـ النـحـوـ عـلـىـ أـوـاـخـرـ الـكـلـمـاتـ وـتـعـرـفـ أـحـكـامـهـاـ، بلـ بـحـثـواـ فـيـ أـحـكـامـ تـأـلـيفـ الـكـلـمـ؛ مـنـ نـحـوـ، التـقـدـيمـ وـالتـأـخـيرـ، وـالـذـكـرـ وـالـحـذـفـ، وـاتـصالـ بـعـضـ الـكـلـمـ بـعـضـ، وـانـفـصـالـهـ مـنـهـ، وـلـاـ يـكـادـ بـابـ مـنـ أـبـوـابـ النـحـوـ يـخلـوـ مـنـ الـبـحـثـ فـيـ الـتـرـاكـيـبـ مـنـ هـذـهـ النـاحـيـةـ»¹⁴.

إنـهـ بـمـقـولـتهـ هـذـهـ يـدـافـعـ عـلـىـ وـجـهـةـ نـظـرـ النـحـاةـ الـقـدـمـاءـ الـذـينـ لـمـ يـعـاـيـنـواـ الـكـلـامـ مـنـ وـجـهـةـ نـظـرـ شـكـلـيـةـ مـحـضـةـ، بلـ اهـتـمـواـ بـالـحـانـبـ الدـلـالـيـ بـالـموـازـاـةـ، مـسـتـدـلاـ فـيـ ذـلـكـ بـذـكـرـهـ

¹² - محمد الخضر حسين: المصدر السابق، ص187.

¹³ - ينظر: ابن السّراج، أبو بكر محمد بن سهل النّحوي البغدادي: الأصول في النّحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرّسالة، ط3، (1417-1996)، ج1، ص35.

¹⁴ - محمد الخضر حسين: دراسات في العربية وتاريخها، المصدر السابق، ص190.



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

لأدوات التّماسك التّحوي كالتقديم والتّأخير، والذّكر والمحذف، والاتصال والانفصال (الفصل والوصل)، وهذه القواعد التي ألمح إليها القدماء قد أصبحت موضوعاً رئيساً من موضوعات الاتساق والانسجام في أبحاث لسانيات النّصّ عند المحدثين.

فكّل هذه القواعد هي مدار بحث تفصيليٌّ عند الغربيين منهم رقية حسن، التي استعرضت قواعد التّماسك التّحوي في الإنجلizية المنطوقة والمكتوبة سنة 1968م، وزادت دراستها عمّقاً بمشاركتها في كتاب مع هاليدي حول التّماسك في اللغة الإنجلizية¹⁵. كما أنّ عالم اللغة الهولندي فان ديك Dijk فضل السّيق في ربط التّماسك التّحوي بالسيق في كتابه (النّصّ والسيق) سنة 1977م، ناهيك عن مجهودات أخرى تتقدّم جميعها على أنّ النّصّ نسيج من الكلمات يتراوّط بعضه بعض في كيان متّحد لا يتحقّق إلا بمعظريين اثنين هما: التّماسك النّصيّ (السبك) Cohesion، والانسجام (الاتساق) Coherence، وهو ما أراد الدّفاع عنه محمد الخضر حسين أثناء معارضته لرأي إبراهيم مصطفى الذي تحدّث عن إغفال النّحوين للجانب الدّلالي واهتمامهم ببنية الكلمة فحسب.

تبين لنا من خلال هذا المبحث أنّ محمد الخضر حسين كان موقفه معارضاً للدّعوة التجديديّة بما تقدّموا به من آراء، من أمثال طه حسين، ومصطفى إبراهيم، كما أنّه كان معادياً لتعريفاتهم الاصطلاحية التي قدّموها لعلم التّحوي، وأنّ التعريف التقليدي للتّحوي كان موفقاً من وجهة نظره؛ لأنّه يرتكز على دعامتين هما: الإعراب والبناء، وهذا هو موضوع التّحوي الرّئيس.

2.3 معاني الحروف والحركات الإعرابية

¹⁵ - ينظر: إبراهيم محمود خليل: في اللسانيات و نحو النص، دار المسيرة، عمان -الأردن، ط3،

2015م، ص 223.



الدرس التّحويي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

يستمرّ محمد الخضر في إيراد أقوال إبراهيم مصطفى والرّد عليها حتى وصل إلى الحديث عن معانٍ الحروف والأدوات، فتقدم بوجهة نظر فريدة لم يعتمدتها معاصروه، مؤكّداً أنّ مبحث معانٍ الحروف هو أقرب من حيث الانتماء إلى علم اللّغة منه إلى علم النّحو إذ يقول: «والواقع أنّ البحث عن معانٍ الحروف والأدوات لا يدخل في صلب علم النّحو؛ إذ لم يكن بحثاً عن أحوال اللّفظ من جهة وقوعه في التركيب، بل هو بحث عن المعانٍ التي وضعت لها هذه الكلمة، أعني: الحروف، فهو إلى علم اللغة أقرب منه إلى علم النّحو، ولكن النّحوين لاحظوا أنّ هذه الحروف روابط للتركيب، فتعرّضوا لمعانيها عند البحث عن الحال الذي يعرض لها عند التركيب، كالعمل أو الإعراب أو البناء أو الزّيادة»¹⁶. فهو بمقولته هذه ينتمي وجهة نظر النّحوين القدماء في تبويب وتصنيف المباحث التّحوية، خصوصاً في باب معانٍ الحروف والأدوات، الذي ينصبّ فيه الاهتمام على دلالة هذه الوحدات اللّسانية عند توزيعها في سياقات كلامية متعدّدة، مع وجوب النّظر في توسيعها الدّلالي الذي قد يجعل أدلة تحلّ محلّ أدلة أخرى، كما قد يجعل حرف محلّ حرف آخر إذا شابه في المعنى.

لقد آثر أن يصنّف البحث في معانٍ الحروف والأدوات ضمن حقل المباحث اللّسانية، ولكنه من جهة ثانية يبرّ لنا منهجهة النّحاة الذين وضعوها ضمن حقل النّحو، لأنّها تتصل عندهم بالتركيب، والتركيب يعتمد روابط مادّية ومعنوية لا تتحقق إلاّ بوجود هذه الحروف والأدوات، ومنه فإنّ تصنيفهم هذا — من وجهة نظره — قريب من الصّواب لهذه الأسباب.

فحرف الجرّ (على) مثلاً من الروابط المعنوية التي تتغيّر دلالتها بتغيّر السّيّاق الذي ترد فيه، فهي قد تخرج من معنى الاستعلاء — وهو معناها الأصليّ — إلى معنى الشرط،

¹⁶ — دراسات في العربية وتاريخها، المصدر السابق، ص 194-195



الدرس التحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

وهذا حين يكون ما بعدها شرطاً لما قبلها¹⁷، وتمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَبْعَلُ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَنِ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: 66]، فحرف الحركي في هذا المقام تغيرت دلالته تبعاً للتراكيب الذي ورد فيه، فتحدد على ضوئه المعنى المقصود له.

كما أن العدول في حروف العطف كثيراً ما يحصل في النظم القرآني، خصوصاً عند أداء وظيفتها وهي الربط في الجملة العربية، فلو نأخذ مثلاً حرف (الواو) الذي عده سيبويه للجمع والضمّ مطلقاً¹⁸، أي ضمّ كلمة إلى أخرى أو جملة إلى أخرى، سنجده قد غير مساره الدلالي في بعض السياقات ليدلّ على معنى الفاء، كما في قوله تعالى: ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (1) وَالنَّاשِطَاتِ نَسْطًا (2) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (3) فَالسَّابِقَاتِ سَبِقًا (4) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [النازعات: 1-5].

والسؤال المطروح هنا هو لماذا هذا العدول انتقالاً من الواو إلى الفاء؟ مع العلم أنّ الفاء تفيد الترتيب والتعليق، أي يجعل الشيء في إثر بعض، وهذا ما دلت عليه الآية الكريمة في وصف أصناف الملائكة؛ فطائفة تتزع الأرواح من الأجساد، وطائفة تخرجها، وأخرى تسحب في مضيبيها لتنفيذ ما أمرت به، وهذه الطائفة الأخيرة « هي طائفة توصف بثلاث صفات متتابعة وهي السبّح والسبّق والتّدبير، لذلك عطف بين صفاتها هذه بـ (الفاء)، وعطف بين ذوات هذه الطوائف المختلفة بـ (الواو)»¹⁹، فدللت

¹⁷ - ينظر: محمد نديم فاضل: *التضمين التحوي في القرآن الكريم*، دار الزمان للنشر، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1426هـ-2005م، ط1، ج1، ص60.

¹⁸ - ينظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قبر: الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الماخنخي- القاهرة، ط2، 1988م، ج4، ص216 .

¹⁹ - علي عبد الله علي المختارى: الإعجاز البياني في العدول التحوي السياقي في القرآن الكريم، دار الكتاب الثقافي، إربد -الأردن، 2008م، ص160.



الدرس التحوي عند الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري ----- د. شهرزاد بن يونس

بذلك الفاء على تعاقب هذه الصّفات وتتابعها، بينما اختصّت (الواو) لعطف النّوافات، وهذه الدّقائق اللّغوية لم يستأنس لها الدرس التحوي قديماً، لهذا كانت أفكاره تقوم على التّعميم، دون الاهتمام بالمقارنات الدّلالية لتمايز المعنى بين هذه الحروف من سياق إلى آخر.

ولا يزال محمد الخضر حسين الجزائري مدافعاً ومسانداً لآراء التّحاة القدماء في تصنيفاتهم لموضوعات التّحو عندهما يتصرّ إلى آرائهم في باب التّوكيد، الذي رأه إبراهيم مصطفى خلاً منهجاً في توزيعه بين التّوابع والتنّفي، كما ذكر نُونَي التّوكيد في باب الفعل داعياً إلى جمعها جميعاً تحت باب واحد يسمّى (أساليب التّوكيد في العربية)، بينما يؤكّد محمد الخضر أنّ التّحويين لم يخاطروا في تصنيفهم هذا، ولو عملوا لتوحيد هذا الموضوع في بوتقه واحدة لترعّضوا للتّكرار، وصعب عليهم ذلك تقسيمي معانيها، ولتشتّت الكلام وغابت الفصاحة²⁰.

إنه يؤكّد بهذا إبطال دعوى "مصطفى إبراهيم" بأنّهم حرموا أنفسهم، أو حرموا أتباعهم من الاطّلاع على كثير من أسرار العربية، بينما الحقيقة -من منظور محمد الخضر- أنّهم قد قطعوا أشواطاً في البحث عن فقه الأساليب ودقائق التّصوير، وبلغوا فيها غايات بعيدة، ودليل ذلك دقّتهم التّصنيفية لموضوعات علم التّحو، واجتهادهم في سبيل عدم تعرّضي حدوده، وهذا للفصل بينه وبين علم الصرف من جهة، وعلم اللّغة وفقهها، أو علوم البلاغة من جهة ثانية، إذ يؤكّد أنّ لكلّ واحد من هذه العلوم خصوصياته البحثية التي تميّزه عن غيرها.

ومن أسرار العربية التي اهتمّ بها التّحاة القدماء وعارضها إبراهيم مصطفى موضوع الحركات الإعرابية التي ترجع إلى علل وأسباب، والتي أصبحت تُعرف فيما

²⁰ - ينظر: محمد الخضر حسين: المصدر السابق، ص 195-196



الدرس التحوي عند الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

بعد — "علل التّحوُّ" ، بينما أكَّدَ محمد الخضر حسين أهميَّتها في اللُّغة العربيَّة ، فهي معلمة بارزة من معلم أصول التّحوُّ التي لا يمكن إغفالها ، نظراً لأهميَّتها التعليمية في استنباط القواعد التّحويَّة .

وعلى التّحوُّ قُسِّمت عند القدماء إلى ثلاثة أقسام: التعليمية: وهي التي يتوصَّل بها إلى تعلُّم كلام العرب، ومنها القياسية: التي تعتمد على القياس في استنباط القاعدة، كقولهم لم وجب أن تنصب (إنَّ) الاسم؟ والجواب لأنَّها وأخواتها شابت وضارعت الفعل المتعدي الذي ينصب مفعوله فحملت عليه وعملت عمله، وأما العلة الجدلية فتقوم على منطق المسائلة الذي لا ينتهي حتى يصل إلى الجدل الذي لا طائل منه (21).

يتَّضح مما سبق ذكره، أنَّ علل التّحوُّ عندشيخ الأزهر يمكن النّظر إليها من زاويتين؛ زاوية إيجابية تمثُّل في الـ (التعليمية، والقياسية) فهما مهمان في استقراء كلام العرب، ومعرفة العامل والمعمول، ناهيك عن أهميَّتها في وضع القواعد التّحويَّة التي تساعد المتكلَّمين على الابتعاد عن اللُّحن. أما الزاوية السلبية فتتمثل في الصنف الأخير (العلة الجدلية) القائمة على الجدل الذي يولد بدوره جدلاً لا طائل منه.

نستنتج مما سبق ذكره أنَّ منهجية التّصنيف وتبسيط موضوعات التّحوُّ عند علماء التّحوُّ، منهجمية موقفة من منظور محمد الخضر حسين، وذلك لأنَّها تحكم إلى أسس علمية لا مناص من الجدل فيها، فضلاً عن كون هذه التّقسيمات عند التّحة تشكى على الجانبين الشّكلي والدلالي في عملية التّبوييب، وهذا هو المطلوب في معرفة أصول التّحوُّ من تفريعاته.

3.3 التضمين

²¹ أبو القاسم الزجاجي (ت 337هـ): الإيضاح في علل التّحوُّ، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط 3، 1979م، ص 64-65.



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

التّضمين ركن من أركان المسائل اللّغوية التي اهتمّ بها اللّغويون، وعقدوا لها أبوابا في مصيّفاتها، فهو ضرب من ضروب التّوسيع في اللّغة؛ فقد يؤدّي حرف معنٍ آخر، كما قد تنتقل وظيفة الفعل اللّازم إلى التّعدي، كما قد يأخذ الاسم معنٍ آخر في سياق معين. لهذا فقد كان التّضمين التّحوي من محاور اهتمامات شيخ الأزهر دون التّضمين البياني²²، والتّضمين البديعي اللّذين كانا من اهتمامات البلاغيين والنّقاد، وقد أفرد له بحثاً لغويّاً لآلقاء الإمام محمد الخضر حسين في "جمع اللغة العربية" بالقاهرة، وتم نشره في مجلة (المداية الإسلامية) في الجزء الخامس من المجلد السابع سنة 1353هـ-1934م، وأعيد نشره في هذا الكتاب الذي بين أيدينا (دراسات في العربية وتاريخها).

لقد عدّ محمد الخضر حسين التّضمين من المباحث التّحوية إذ يقول: «لتّضمين غرض هو: الإيجاز، وللتّضمين قرينة هي: تعدية الفعل بالحرف، وهو يتعدّى بنفسه، أو تعديته بنفسه، وهو يتعدّى بالحرف»²²، ثمّ يؤكّد أنّ للتّضمين شرط وهو وجود مناسبة بين الفعلين، فإذا لم توجد بين الفعلين العلاقة المعتبرة في صحة المجاز، كان التّضمين باطلًا.

ويبدو أنّ هذا التّوجه الذي سار عليه هذا العالم الجليل كان مخالفًا تماماً لما عرفه الدّرس البلاغي العربي، الذي يقدم لنا مفهومين للتّضمين البلاغي، أحدهما بياني والآخر بديعي؛ يختص الأول بتضمين لفظ معنٍ آخر، ويختص الثاني بأخذ شاعر من شاعر آخر بيته أو بعض بيته من الشعر²³. كما يضيف الدّارسون إلى هذين التّوعين التّضمين العروضي الذي يعني عندهم (ما لا يتم معناه إلاّ بالذي يليه) من أبيات الشعر.

²² - محمد الخضر حسين: المصدر السابق، ص 212.

²³ - ينظر: أحمد حسن حامد: التّضمين في العربية بحث في البلاغة والتحوّل، دار الشروق، عمّان-الأردن، والدار العربية للعلوم بيروت - لبنان، ط 1، 2001، ص 5.



الدرس التحوي عند الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

لقد آثر هذا العالم الجليل أن ينظر إلى **التضمين** من زاوية نحوية محضة؛ إذ أجرى معنى الفعل اللازم وجعله متضمناً للفعل المتعدي، إذ يستعمل مع إرادة معنى المتضمن، وهكذا يكون الغرض من **التضمين** هو الإيجاز بدل الإطالة، ما دام غرضه هو إعطاء مجموعة معنيين، وهو أقوى من إعطاء معنى واحد. ليكون **التضمين** بذلك هو إشراب معنى فعل لفعل آخر، كما جاء في تعريف **التضمين** بأنه: "إشراب الكلمة معنى كلمة أخرى فتؤدي وظيفتها في التركيب"²⁴؛ فالفعل اللازم قد أشرب معنى الفعل المتعدي، سواء أكان الفعل متعدياً بنفسه أم متعدياً بغيره من الأدوات المساعدة.

وقد ألمع صاحب "دراسات في العربية وتاريخها"، إلى أهمية **التضمين** في الخطاب العربي الفصيح، وكذا في الخطاب العاميّ، غير أنّ توظيفه ليس واحداً فيهما، وهذه الرؤية مبتكرة لديه لم يقل بها معاصره، فال**التضمين** الصحيح عنده إنما يكون صادراً من شأنه العلم بوضع الألفاظ العربية، ومعرفة طرق استعمالها وقد استشهد بقول سعد الدين التفتازاني الذي قدّم مثلاً في هذا الشأن بقوله: «فشمرت عن ساق الجد إلى اقتناء ذخائر العلوم»²⁵، فهذه المقوله تضمنت الفعل (شتّرت) الذي لا يتعدى، ولكن القائل عدّاه لأنّ الفعل (شتّر) ضمن معنى (الميل)، الذي هو سبب التشمير عن ساق الجد. وهذا يدلّ على أنّ الكلام الفصيح قد خرج عن الأصل إلى ضرب من ضروب الاتساع الدلاليّ بغاية مراعاة مقتضيات السياق، ومن ثمّ يتحقق للسائل تعدية الفعل بسبب اكتسابه للدلالة الجديدة، التي ستخرجه من خانة الالتزام نحو التعدي، بينما لا يكون هذا **التضمين** صحيحاً لو صدر الكلام من شخص عاميّ لم يضع كلامه على مراعاة فعل آخر مناسب للفعل الملفوظ من حيث دلالته، وهنا وجوب الحكم عليه بالخطأ.

²⁴ - المرجع نفسه، ص 43.

²⁵ - محمد الخضر حسين: دراسات في العربية وتاريخها، ص 213.



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

وختّم هذا العالم الجليل مبحثه بالتأكيد على أنّ للتّضمين صلة بقواعد الإعراب من جهة تعدّى الفعل بنفسه، أو تعدّى بالحرف، كما أنّ له في المقابل صلة بعلم البيان من جهة التّصرف في معنى الفعل²⁶؛ أي إنابة فعل مكان فعل آخر للوقوف به عند حدّ ما وضع له، وهذه خاصيّة تركيبيّة يمكن إيجادها عند خاصيّة الناس ممّن يتقنون اللسان العربي الفصيح، كما نجدها عند عامتهم ممّن يجهلون قواعد وخصوصيات هذه اللغة.

والذّي يؤكّدُ على المؤلّف هو عدم التّزامه بتوضيّح فكرة "الإيجاز" التي قال بأنّها الغرض الأساسيّ للتّضمين، واكتفى بذكرها في أول مبحثه دون شرح أو تمثيل، وهو العارف بالبلاغة العربية، ويدرك تماماً أن الإيجاز يطلق على أداء المعنى الكبير باللفظ القليل بشرط أن يكون المخاطب عالماً بالمعنى الذي يخبره به المتكلّم بالسليقة. ويبدو أنّ شيخنا قد أهمل مسألة في غاية الأهميّة، وهي العُرف اللغوي الذي يكون رابطاً قوياً بين المتكلّم والمخاطب في فهم حالات التجوز والاتساع التي تحدث في اللغة، بغضّ النظر عن كونها عاميّة أو فصيحة، فالكافية اللغوية المشتركة بينهما هي المكوّن الأساسي الذي سيساعدهما على فهم بعضهما البعض سواءً كان الخطاب موجزاً أم مُعرقاً في الإطاب.

خلاصة ما سبق ذكره، أنّ موضوع التّضمين عند محمد الخضر حسين يتقاطع مع الفكر اللغوي التّراثي، خصوصاً مع ما جاء به صاحب "الخصائص" حول موضوع التّوسيّع في نيابة الحروف بعضها من بعض، لأنّ معانٍ أفعالها المتّصلة بها تقاد تكون متطابقة، وفي هذا يقول ابن حيّ: "اعلم أن الفعل إذا كان معنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بحرف آخر فإنّ العرب قد توسيّع فتوقيع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء بالحرف المعتمد مع ما هو

²⁶ - محمد الخضر حسين: دراسات في العربية وتاريخها، المصدر نفسه، ص 214



الدرس التحوي عند الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

في معناه²⁷؛ ومثل في ذلك بآيات من الذكر الحكيم، كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَتْئُمْ لِبَاسٍ لَهُنَّ﴾ [البقرة: 187]، فال فعل (رفث) فعل يتعدى بحرف الجر: الباء أو مع، فلا يصح قولنا: (رفث المرأة)، ولكن الصواب أن نقول: (رفث بما أو معها). وقد تعدى الفعل في النص القرآني بحرف الجر (إلى) لأنّه أنساب للفعل (رفث) بمعنى الإفضاء؛ وقد جيء بـ (إلى) مع الرفث إيذاناً وإشعاراً أنه معناه. وتوجد أمثلة كثيرة في هذا الباب جعلها ابن جنّي فصلاً من فصول العربية اللطيفة الحسنة، التي يدعو إلى الأنس بما، والفقاهة فيها.

4.3 حول تبسيط قواعد التحو والصرف والرد عليها

شكل موضوع "تيسير التحو" وتحديده وإصلاحه وإحيائه حركة فكرية انطلقت مع بوادر النهضة العربية، وغاية مؤسسي هذه الحركة تحقيق أهداف تعليمية اقترنـتـ بانتشار التعليم وتعـيمـهـ، ولعلـ أولـ المـحدثـينـ الذينـ أـسـسـواـ لهذاـ الـطـرحـ هوـ إـبرـاهـيمـ مـصـطـفـيـ فيـ كتابـهـ "إـحـيـاءـ النـحـوـ"ـ سـنةـ 1937ـمـ، لـكـنـ جـذـورـهاـ تـمـتدـ إـلـىـ الـقـرـنـ الثـانـيـ الـهـجـريـ معـ ظـهـورـ بـعـضـ الـمـخـصـصـاتـ، كـمـقـدـمـةـ فيـ التـحـوـ خـلـفـ الأـحـمرـ (تـ180ـهـ)، وـمـخـصـصـ فيـ التـحـوـ لـلـكـسـائـيـ (تـ189ـهـ)، وـالـجـمـلـ لـلـزـجاجـيـ (تـ337ـهـ)، وـالـأـنـوـذـجـ فيـ التـحـوـ لـلـزـخـشـريـ (تـ538ـهـ)، وـهـذـهـ الـثـورـةـ قدـ اـشـتـدـتـ مـعـ اـبـنـ جـنـيـ القرـطـيـ فيـ كتابـهـ "ـالـرـدـ عـلـىـ النـحـاةـ"ـ حيثـ

دعا فيه إلى إلغاء القياس والعلل التي أدت إلى الغموض وعدم الوصول إلى المعنى، وقد امتدت هذه الحركة حتى وصلت إلى أيام النهضة الفكرية العربية.

²⁷— ابن جنّي، أبو الفتح عثمان: المخصص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ج2، ص 308.



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

يذهب محمد الخضر حسين الجزائري في هذا المبحث إلى الرّد على آراء الحركة التّيسيرية للنّحو التي تبنتها في العصر الحديث اللّجنة التي ألغّها هي الدين بركات، عندما تولّى وزارة المعارف في مصر، وجعل غايتها الأساسية هي النّظر في تبسيط قواعد النّحو والصّرف والبلاغة، واللّجنة مكوّنة من: طه حسين، أحمد أمين، علي الجارم، محمد أبي بكر إبراهيم، وإبراهيم مصطفى، وهذا في مباحث نحوية متعددة منها:

أبواب الإعراب: ترى اللّجنة وجوب الاستغناء عن الإعراب التقديري الذي يشوش على تفكير التّلميذ في فهم القاعدة، كذلك الإعراب المخلّي (مثل: يا سيبويه): مبني على ضم مقدّر منع من ظهوره حركة البناء الأصلي في محل (نصب) وفيه من العناصر المضاعف والجهد المبذول لغير فائدة²⁸.

أكّد محمد الخضر حسين من خلال مقولته السابقة أنّ اهتمام النّحاة بالإعراب التقديري والمخلّي يرجع أساساً إلى أنّ الكلمات التي تعتمد هذين النّمطين من الإعراب تخضع لشرطين أساسيين:

* وقوعها مسندًا إليه، ومن ثمّ فهي من قبيل المرفوعات.

* عدم قبول حروفها الأخيرة لحركة الضّم، جعلهم يقولون أنّ الضّم مقدّر: أي منويٌّ وملحوظ.

وعليه، أبرز أهميّة هذه الأنماط الإعرابية في اللّغة العربيّة، فلا يمكن الاستغناء عنها لأهميّتها في تبيان وظيفة الكلم، ناهيك عن استخدامها في أبواب نحوية أخرى، كالملصّور، والمضاف، والمبني، والجمل ذات المحلّ الإعرابي.

²⁸ - ينظر: محمد الخضر حسين: دراسات في اللّغة العربيّة وتاريخها، المجلد 10، ص 251-252



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

بـ- **الأساليب**: اختارت اللّجنة أسلوب التعجب للدراسة والتقييم، وأنكرت على القدماء توسعهم في إعرابها مما جعله معقداً، واقتصرت إعرابها ببساطة، فمثلاً يقولون في إعراب جملة: (ما أَحْسَنَ): صيغة تعجب، والاسم بعدها المتعجب منه مفتوح²⁹.

لم يقبل "محمد الخضر حسين"، هذا المقترن وشكّل في إعراب اللّجنة، وأقرّ بإهمالها لإعراب صيغة التعجب «إذ أقلّ ما يجب في إعراب الجملة أن يبيّن فيها الموضوع (الفعل) والمحمول (الفاعل)، وإعراب جملة التعجب على الوجه الذي ذكرته اللّجنة لم يبيّن فيه الموضوع، ولا المحمول»³⁰. فهذا -من منظوره- يعدّ إخفاكاً في الوقوف على عناصر الجملة الأساسية التي تبني أساساً عند التّحاة على ثنائية (المسنّد والمسنّد إليه)، وهو ما متلازمان؛ فوجود أحدهما يتطلب بالضرورة وجود الآخر، فوجود الفعل يتطلب وجود الفاعل، وهكذا، وعليه لا يصحّ -من وجهة نظره- عدم الفصل بين (ما وأحسن) عند إعرابها وجعلها كلمة واحدة، ففي قولنا مثلاً: **ما أَحْسَنَ الْقَمَرَ** يكون الإعراب الصحيح كالتالي:

- ما: نكارة تامة تعجبية بمعنى شيء، مبني على السّكون في محلّ رفع مبتدأ.
- **أَحْسَنَ**: فعل مضارى مبني الفتح للتعجب، والفاعل ضمير مستتر.
- **الْقَمَرَ**: مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره. والجملة الفعلية (**أَحْسَنَ**) في محل رفع خبر للمبتدأ (ما).

ومنه فإن التلازم قد تحقق بوجود ركين أساسين في الجملة العربية، وهو المسنّد والمسنّد إليه، يتمثّلان في المبتدأ والخبر. وعليه، لا يمكن الفصل بينهما، وهذا هو الصواب بعيته الذي يؤكّده شيخ الأزهر، والذي دفعه إلى الإيمان برأي القدماء والانتصار إليه.

²⁹ - ينظر: المصدر نفسه، ص 271.

³⁰ - محمد الخضر حسين: دراسات في اللغة العربية وتاريخها، المجلد 10، المصدر السابق، ص 271.



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

تلخيصاً لهذه الأفكار نؤكّد أنّ الحركة التجديدية للنّحو العربيّ التي نادت بها اللّجنة، كانت آراؤها مرفوضة رفضاً قاطعاً من طرف عالمنا الجليل، خصوصاً في موضوعي الإعراب بشقيه (التّقدير، والمحليّ) والأساليب؛ وهذا لأنّ أفكارها قد أفرغت النّحو كعلم قائماً بذاته من أهمّ مضامينه التّأصيلية، فضلاً عن كون هذه اللّجنة قد تجاوزت حدودها العلمية عندما شكّكت في الأهداف التعليمية التي رسّمتها النّحو العربيّ لتكلّمي العربية.

5.3 الإيمان بما يتوقّف تائيهه على السّماع:

وضع محمد الخضر حسين الجزائري معجماً صغيراً (رسالة) في الكلمات المؤثّرة التي قال بها الأنّئمة الأوائل، متحقّقاً فيها مما يجوز فيه التّذكير والتّأنيث، وفي هذا يقول: «فهذه رسالة في الألفاظ المؤثّرة سمعاً، جمعتها مرتبة على حروف المعجم؛ لتكون تذكرة لي ولمن شاء أن يذكّر بها الكتاب والأدباء بعدّي»³¹، معلناً فيه عن الكلمات المؤثّرة وحوباً أو جوازاً بالاتفاق، أو على أحد الأقوال دون أن يقدّم وجهة نظره الخاصة. وتتمثلُ لذلك بقوله: «(المُهدي): ابن سيدة: المُهدي: ضد الضلال، وهو الرّشاد، والدلالة، أنسى، وقد حُكِي فيه التّذكير، وأشار صاحب (القاموس) إلى وجهي التذكير والتّأنيث بقوله: ويدركّ»³².

ولم يتوان المؤلّف في إضافة معلومات أخرى لهذا الموضوع في كتابه الثاني الموسوم (دراسات في اللّغة)، إذ أضاف مبحثاً ختم به كتابه بعنوان "الألفاظ المؤثّرة من طريق السّماع"، الذي ضمّنه تعليقاته وآرائه حول قصيدة في الأسماء المؤثّرة لابن الحاجب

³¹ - محمد الخضر حسين، المصدر نفسه، المجلد 10، ص 273

³² - محمد الخضر حسين: دراسات في اللّغة العربية وتاريخها، المصدر السابق، مج 10، ص 293



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

(ت646هـ)، وقصد بها تلك الأسماء التي عدّها مع غياب تام لعلامة التّأثيث فيها فلنقرأ معاً هذا المقطع الشّعري³³:

أَمَّا الَّذِي لَا بُدَّ مِنْ تَأْنِيهِ
سْتُون شَبَهُ الْعَيْنِ وَالْأَذْنَانِ
وَالْفَنْسُ ثُمَّ الدَّارُ ثُمَّ الدَّلْوُ مِنْ
أَعْدَادِهَا وَالسِّنِّ وَالكَيْفَانِ
وَجَهَنَّمُ ثُمَّ السَّعِيرُ وَعَقْرَبُ
وَالْأَرْضُ ثُمَّ الْأَسْتُ وَالْعَضْدَانِ

يتبيّن لنا هنا أنّ محمد الخضر حسين كان من علماء اللّغة الذين اعتمدوا الجمع والتّصنيف أساساً منهجاً في تبويب الأسماء المؤثّنة، فأثبتت لنا قدرته على الاستقصاء مع تبيان اختلاف علماء اللّغة حولها، ولكنّه في المقابل كان سليماً في هذه، فهو لم يقدّم لنا وجهة نظره حولها، وإلى أيّ الفريقيين كان ينتمي.

6.3 نيابة بعض الحروف عن بعض:

هذا العنوان هو بحث قدّمه الإمام في مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، ونشره في الجزءين السادس والسّابع من المجلد السابع لمجلة الهدایة الإسلامية، إذ يتّجه "محمد الخضر حسين الجزائري" في مبحثه هذا إلى تقصّي أراء بعض اللّغوين التي شابها الخطأ في تسمية الأشياء بسمّيّاتها، منتقداً بعض وجهات النظر ومقدّماً لبدائل لها، فبدأ حديثه عن معانٍ الحروف، حيث إنّ للحرف الواحد عدّة معانٍ بحسب السياق الذي يرد فيه، فقد يدلّ على السّببية أو الظرفية أو الاستعانة، فكان صنيعهم هذا من باب المشترك اللغظي وهو اللّفظ الدال على معنين فأكثر.

ثم يقرّ بأنّ بعض هؤلاء العلماء اللّغوين وعلى رأسهم ابن هاشم، ونجم الدين الرّضي، والسكاككي وغيرهم، قد أدركوا الخلل في هذا التوسيع غير المسبوق لمعانٍ

³³— ينظر: محمد الخضر حسين: دراسات في اللغة، موسوعة الأعمال الكاملة، مج 11، دار النوادر، سوريا، ط1، 2010م، ص 148 وما بعدها.



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري —————— د. شهرزاد بن يونس
الحروف، وأقرّوا بأفضلية أن تكون معانِي الألفاظ المشتركة قليلة؛ فإنْ قلتُها أعمول على
حسن البيان.

يختطىء بعدها صاحب كتاب (دراسات في اللغة) بعض النّحاة الذي قالوا: «إنَّ
حروف الجرِّ ينوب بعضها عن بعض» كأن يقولوا أنَّ (في) تأتي بمعنى (إلى) أو بمعنى
(الباء)، وقال أنَّ هذا الكلام لا يجوز لأنَّه يؤدّي إلى لبس القول لما في إطلاق هذه العبارة
من الفساد، وفي هذا يقول: «تسمعهم يقولون: إنَّ (في) —متلاً— تكون بمعنى (إلى)، أو
تكون بمعنى: (الباء)، فتريد أن تذهب بذلك مذهب القياس، فتقول بدل (سرتُ إلى
البحر) سرتُ في البحر، أو تقول بدل (بعثه بدرهم): (بعثه في درهم). وإذا مشيت على
هذا الوجه من القياس، وقعت في لبس من القول، وأتيت بجمل تنبو عنها الفطرة
العربية»³⁴.

واستشهد لإثبات ذلك بمقولة ابن حني الذي رفض أن يقول النّحاة عبارة «إنَّ
الحروف يستعمل بعضها في مكان بعض»، ونبه لما في إطلاق هذه العبارة من فساد، وأقرَّ
بوجوب القول بأنَّ الحرف يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الحالـة
الدّاعية إليه، والمسوقة له³⁵. فلا يصحّ متلا قوله: سرتُ إلى زيد، وأنت تريـد أن تقول:
سرت معه. كما لا يصحّ قوله: زيد في الفرس، ويريد: عليه. فهذا من شنيع القول
وفاحشه عند ابن حني.

وأرجع محمد الخضر مردّ صحة رأي ابن حني إلى أنَّ الحروف لا تستعمل إلا في
معانيها الشائعة في كلام الفصحاء، وإذا ما تبيّن للمتلقي أنَّ حرفا قد أثار حرفا آخر،

³⁴ — محمد الخضر حسين: دراسات في اللغة، المصدر السابق، ص 30-31.

³⁵ — ينظر: ابن حني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النّجار، المصدر السابق، ج 2،
ص 308 وما بعدها.



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

فهذا من باب التّضمين وهو من المباحث البلاغية التي قال بها علماء اللغة وعلى رأسهم سيبويه، الذين يجعلون للفعل معنى مع الحرف، ومعنى مع غيره، ولا يقيمون الحرف مقام الحرف.

كما أنّ الحرف لا يستعمل مكان آخر —من منظور شيخ الأزهر —إلا على وجه الاستعارة³⁶، وعليه فقد دعا المؤلّفين في العربية أن يقتصروا في بيان معانٍ الحروف على المعانى الحقيقة فقط، فإنّ تجاوزوها إلى المعانى المجازية فعليهم أن يتونّحوا الحذر في ذلك حتى لا يقعوا في الخطأ.

هذا تأكيد من العالم الجليل محمد الخضر حسين —من خلال انتقاده لبعض آراء التّحويين— على أنه يتميّز إلى فئة اللّغوين القائلين بعدم التّوسيع في الحديث عن معانٍ الحروف، لأنّ هذا التّوسيع قد يؤدّي إلى فساد معانٍها الحقيقة التي وضعت لها في الأصل؛ وبعض اللّغوين في تحليلهم لمعانٍ الحروف والتّوسيع فيها، حتّى أفقدوا الحروف دلالتها الحقيقة، وكان حريّ بهم أن يتحرّروا الدّقة في الكشف عن هذه المعانى، لأنّهم أضاعوا بذلك جواهرًا حساناً كان يفترض بهم معرفتها، والتدقيق في مضامينها.

7.3 نقد إعرايين جديدين في صيغة التّحذير:

يعدّ (التحذير) في اللّغة العربية من الصيغ المستعملة بغایة تنبيه المخاطب لأمر مكروه ليحتتبه، ويسمى الأمر المكروه الذي يقع عليه التّحذير (المُحَذَّر منه)، قال عنه ابن مالك (ت 672هـ) في الألفية:

³⁶ ينظر: محمد الخضر حسين: دراسات في اللغة، المصدر السابق، ص 32.



الدرس التحوي عند الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري —————— د. شهرزاد بن يونس

(إِيَّاكَ وَالشَّرُّ) وَتَحْوُهُ نَصَبٌ مُحَذِّرٌ بِمَا اسْتِتَارُهُ وَجَبٌ³⁷

فالتحذير عنده هو «إِلزام المخاطب الاحتراز من مكروره بـ (إِيَّاكَ)، أو ما حرى محراه». وقال ابن هشام (ت 761هـ): «هو تَنْبِيهُ الْمُخَاطَبِ عَلَى أَمْرٍ مَكْرُوِّهٍ لِيَتَجَنَّبَهُ»³⁸. ويأتي أسلوب التحذير على عدة صور؛ منها الإفراط ويكون بذكر المحذر منه دون تكرار أو عطف، مثل: النار، وقد يكون ذكر المحذر منه اسماً ظاهراً مكرراً أو معطوفاً عليه نحو: البرد أو البرد والمطر، أو ذكر المحذر ضميراً منصوباً للمخاطب هو (إِيَّاكَ) وفروعه وغيرها من صور التحذير المشهورة³⁹.

ونظراً لهذه الأهمية التي يحظى بها هذا الأسلوب في اللغة العربية، فقد أولاه شيخنا الخضر أهمية خاصة في مبحثه هذا، عندما توجه لنقد مقال تم نشره في إحدى المجالات وسم: "إعرابان جديدان في صيغة التحذير"، حيث نبه كاتب المقال إلى تقديم تأويل إعرابي جديد يخالف ما تقدم به التحاة الأوائل حول إعراب صيغة التحذير.

فقد اعتبر صاحب المقال أنّ (الواو) الدالّة على المذرّ منه في قوله مثلاً: (إِيَّاكَ والأسد)، زائدة وليس من باب العطف، كما قال القدماء، لأنّه يمكن حذفها، فردّ عليه

³⁷ - ابن مالك الأندلسي، أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله: ألفية بن مالك في التحوي والتصريف المسماة الخلاصة في التحوي، تحقيق: سليمان بن عبد العزيز بن عبد الله العيّوني، مكتبة دار النهاج، الرياض-السعودية، 1438هـ، ص 146.

³⁸ - ابن هشام الأنباري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله: أوضاع المسالك إلى ألفية بن مالك، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ج 1.

³⁹ - ينظر: علي بن عامر علي الشهري: أسلوب التحذير بين الدرس التحوي والواقع اللغوي، مجلة جسور المعرفة، العدد 10، جوان 2017، ص 43.



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

الشّيخ محمد الخضر حسين بقوله: «فلا يصح لأحد أن يدّعى زيادة كلمة في صيغة من صيغ الكلام، إلاّ حيث يعجز الناس عن أن يذكروا لها معنى يلائم الغرض الذي صيغ له الخطاب»⁴⁰، وأكّد في ذلك أنّ التّحويين قد فهموا من صيغة التّحذير أنّ الواو عاطفة، وذكروا في تقدير عامل النّصب وجهاً يلائم العطف، ودليله في ذلك هو أنّ صرف الواو إلى الزّيادة مع إمكان بقائهما عاطفة خروج عن الأصل.

واستدلّ في رأيه بآيات من الذّكر الحكيم لم تجئ فيها الواو زائدة بل عاطفة من ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفَتَحْتَ أَبْوَابَهَا﴾ [الزّمر: 73]. ففي هذه الآية الكريمة حذف جواب إذا، وجاءت الجملة بعده معطوفة على ما قبلها.

نخلص أخيراً إلى القول أنّ عالمنا قد انتصر إلى رأي القدماء في إعراب صيغة التّحذير، رافضاً للرأي الذي دعا إليه أصحاب تيسير التّحوي، وسبب ذلك مردّه إلى نظركم القاصرة في فهم دقائق معانٍ الحروف المتّصلة بالتحذير، ناهيك عن اختصارهم المعيب في إعراب هذه الصيغة.

4. القياس في اللغة العربية:

مثل موضوع "القياس" في اللغة العربية أحد أهم الم الموضوعات التي ناقشها "محمد الخضر حسين"، حيث أفرد لها كتاباً خاصاً، وقد دفعه إلى هذا التأليف وقوفه على دراسة علم العربية ولاحظته لتلك الاختلافات في الأحكام التي كان يصدرها العلماء حول مسائل نحوية يقتصرها بعضهم على السّماع، ويراهما آخرون من مواطن القياس، فدفعه هذا إلى البحث عن أصولها وفي هذا يقول: «فأخذت أوجّه نظري إلى الأصول العالية التي يُراعونها في أحكام السّماع والقياس؛ حتى ظفرت بقواعد وقفت على جانب منها في

⁴⁰ - محمد الخضر حسين: دراسات في اللغة، سلسلة موسوعة الأعمال الكاملة، الجزء 11، ص 116.

الدرس التحوي عند الشيخ محمد الحضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

صريح كلامهم. ولمنت بجانب آخر من طريق النّظر في مجادلاتهم وأساليب استدلالهم»⁴¹.

وقد أشار صاحب الكتاب بعدها إلى أهمية القياس في صيغ الكلم واشتقاقها، وما يعرض لها كالتقديم والتأخير، والاتصال والانفصال، والإعراب والبناء، والحذف والذكر وغيرها، ثم حدد أنواعه التي لا تزيد عن أربعة نلخصها في الآتي⁴²:

أ/ التشابه في الحكم على بعض الكلمات: حيث حمل العرب أنفسهم على إعطاء بعض الكلمات حكماً يشبه حكم كلمات أخرى لوجه يجمع بينها (المشاكلة)، مثال ذلك إعراب الفعل المضارع قياساً على الاسم لمشاهدته له في احتماله معانٍ لا يتبيّن المراد منها إلا بالإعراب، ونصبت (لا) النافية للجنس الاسم ورفعت الخبر قياساً على (إنّ) لمشاهدتها إياها في التوكيد، فإنّ (لا) تأتي لتأكيد النفي، كما تأتي (إنّ) لتأكيد الإثبات.

بـ-قياس معنى على آخر لتحقيق الاشتراك اللّفظي: وفيه يقول محمد حسين الخضر حسين: «أن تعمد إلى اسم وُضع لمعنى يشتمل على وصف يدور معه الاسم وجوداً وعدماً، فتعدي هذا الاسم إلى معنى آخر تتحقق فيه ذلك الوصف، وتجعل هذا المعنى من مدلولات ذلك الاسم لغة»⁴³، فمثلاً كلمة (الخمر) وصفت بهذه التسمية لمخامرة العنبر المعصور للعقل وستره، وعليه فكل معصور يؤدي إلى السُّكُر فهو خمر. وهذا النوع من القياس استند إليه علماء أصول الفقه.

⁴¹ - محمد الخضر حسين: القياس في اللغة العربية، المطبعة السلفية -القاهرة، 1353هـ، (د.ط)، مقدمة الكتاب، ص 4.

⁴² - ينظر: المصدر نفسه، ص 25-27.

⁴³ - القياس في اللغة، المصدر السابق، ص 26.



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

جـ- القياس بغایة استنباط قاعدة عامة: يعتمد هذا النوع من القياس عند علماء النحو، لأنهم يميلون في مقارناتهم بين الكلم إلى إلحاقي لفظ بتأمله في حكم معين، بعد أن ثبت باستقراء كلام العرب، بحيث تُستخلص من هذا الحكم قاعدة عامة، كصيغة التّصغير والنّسب والجمع، وقد سّمّاه الباحث القياس الأصلي.

دـ- قياس التّمثيل: ويقوم على تقديم حكم واحد لكلمتين تختلفان في النوع، ولكنّهما تتشابهان في بعض الوجوه، ومثال ذلك جواز ترخيص المركب المرجي قياساً على الأسماء المنتهية ببناء التأنيث، وكما أجاز طائفة حذف الضمير المحرور العائد من الصلة إلى الموصول حتى تعين حرف الجرّ، قياساً على حذف الضمير العائد من جملة الخبر إلى المبدأ، فتقول: قضيتُ الليلة التي ولدتَ في سرور، أي (ولدتَ فيها).

لقد آثر "محمد الخضر حسين" الاهتمام بالتوّعین الأخيرين (القياس الأصلي، القياس التّمثيل) لأنّه يهتمّ في علم النحو؛ لأنّ الأوّل منهما يساعد على استنباط القاعدة العامة التي يمكن إسقاطها على الكلم بعد استقراء كلام العرب، وأمّا الثاني فيقوم على إعطاء الكلم حكماً مشابهاً لغيرها، رغم اختلافهما في النوع. ولتبين رأي هذا العالم فيما ذهب إليه سالف القول فيهما كالآتي:

1.4 القياس الأصلي:

أكّد الباحث في معرض حديثه عن مسألة القياس الأصلي، أنّ اللّهجات العربية مثلها مثل العربية الفصحى يصحّ القياس عليها وقد استشهد في ذلك برأي ابن جنّى القائل بأنّ اللّغات كلّها حجّة. كما أنه يجب القياس على كلام القرآن الكريم وآياته مما ورد من أحكام لفظية، ما دام يمثل منتهى الإعجاز اللّفظي والمعنوي على السّواء. ثم يتقدّم (محمد الخضر) بحجّة الاستناد إلى الحكم القرآني والسيّر في حطّه، بدل الاستناد إلى التّأویل من خلال الاستشهاد بالشعر العربي ومتّوره، رافضاً سبيلاً من



الدرس التّحويي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

يحيدون عن ظاهر القرآن ويذهبون مذهب التأويل ليوافق آراءهم التّحوية، وهذا مرفوض من وجهة نظره، وفي هذا الباب يقول: «وَكَثِيرًا مَا نَرَى التّحويين مُتَحْبِرِينٍ فِي تَقْرِيرِ الْأَلْفاظِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ، إِذَا اسْتَشَهَدُوا فِي تَقْرِيرِهِ بِبَيْتٍ مُجْهُولٍ، فَرَحُوا بِهِ، وَأَنَا شَدِيدُ التَّعْجِبِ مِنْهُمْ، فَإِنَّمَا إِذَا جَعَلُوا وَرَوْدَ ذَلِكَ الْبَيْتِ الْمُجْهُولِ عَلَى وَقْفِهِ دَلِيلًا عَلَى صَحَّتِهِ، فَلَأَنَّ يَجْعَلُوا وَرَوْدَ الْقُرْآنِ دَلِيلًا عَلَى صَحَّتِهِ كَانَ أَوْلَى»⁴⁴.

وهو في مقولته هذه يدعو إلى الاحتجاج بالقرآن الكريم لأنّه المصدر الأول للغة العربية، رافضا استخلاص الأحكام من كلام العرب، والتحاذد مذهبها خصوصاً ما كان منه شادّاً يحفظ ولا يقاس عليه، ثم إصدار الأحكام على آيات الخطاب القرآني تبعاً لذلك.

واستدلّ في ذلك بأمثلة منها قرار النّحاة بعدم حجاز حذف (أن المصدرية) قياساً على كلام العرب، وقد خطّأ مقولتهم هذه، وأكّد ارتفاع منزلة القرآن في الفصاحة، وأخذه بأحسن طرق البيان عندما حذفت (أن) في إحدى آياته، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم: 24]، داعيا علماء اللغة إلى الابتعاد التعسّف في تحويل الآيات القرآنية مالا تتحمله، وصرفه عن وجده، وتحريفه عن موضعه.

كما دعا الباحث إلى الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف والقياس عليه متبنّياً وجهة نظرّ محمد بن مالك الذي أقرّ بأنّ الأصل روایة الحديث النبوي الشريف على نحو ما سمع، خصوصاً أنّ أهل العلم قد شدّدوا في ضبط ألفاظ التّحريري في نقله⁴⁵، وهذا إذا توفرت في هذه الأحاديث بعض الشروط:

⁴⁴ - محمد الخضر حسين: القياس في اللغة العربية، ص 29

⁴⁵ - ينظر: القياس في اللغة العربية، المصدر نفسه، ص 34.



الدرس التحوي عند الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري ----- د. شهرزاد بن يونس

- ما يُروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحتبه بالحفظ على الألفاظ كما وردت على لسان النبي محمد عليه السلام قوله: (حَمِيَ الْوَطِيسُ) أي اشتد الضرب في الحرب.

- ما يُروى بقصد الاستدلال على أنّ الرّسول عليه وسلم كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم.

- ما يُروى لبيان أقوال كان يتبعها أو أمر بالتبعد بها كألفاظ القنوت والتحيات وكثير من الأدعية التي يدعو بها في أوقات خاصة.

- الأحاديث التي تتعدد طرقها ويتحدد لفظها تصلح للاستشهاد متى كانت تلك الطرق المتعددة متصلة براوٍ يحتاج بعاراته في الأحكام اللغوية.

أمّا بخصوص الاستشهاد بأشعار الجahليّة فهو مقبول كامرئ القيس وزهير بن أبي سلمي، وكذلك الأمر بالنسبة للمحضرمين الذين أدرّكوا الجahلية والإسلام كحسان بن ثابت، ولبيد بن أبي ربيعة، والإسلاميين كالفرزدق وذي الرّمة، واستبعد الاستشهاد بكلام المولدين لأنّهم خرّجوا عن مدار الفصاحة، وقد وقعوا في أغلاط كثيرة لا يستطيع أحد تخرّيجها على وجه مقبول، ثم يبيّن مدى صحة كلامه من خلال أمثلة لأبي تمام والمتّني⁴⁶، وقد مثل لذلك بقول المتّني:

فَإِنْ يَأْكُ بَعْضُ النَّاسِ سَيِّفًا لِ الدُّوْلَةِ

فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولٌ

ثم يعلق على البيت الشّعري قائلاً: (والصّواب في جمع بُوق بُوق أو بُوّاق).

وهذا الجمع من المستجدات المعرفية التي أشار إليها محمد حسين الخضر، ليؤكّد أنه كان مدققاً حسيفاً للمسائل الدقيقة في اللغة، رافضاً بذلك هذا الجمع الشاذ الذي أورده المتّني في البيت الشّعريّ وهو (بُوقاتٌ) الذي لم يسمع عن فصحاء اللغة.

⁴⁶ - محمد الخضر حسين: القياس في اللغة العربية، المصدر السابق، ص36.



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

2.4 قياس التّمثيل:

يرى محمد الخضر أن قياس التّمثيل هو نوع من أنواع القياس الذي يعتمد على إلحاقي نوع من الكلم ب نوع آخر في حكم معين. يقوم هذا النوع من القياس لدى النّحاة على مبدأ المشابه جهة اللّفظ أو جهة المعنى بين الألفاظ؛ ومثال الشّبه من جهة المعنى أن أسماء الأفعال (عليك، مكانك، أمامك)، مشابهة من جهة المعنى للأفعال (ألزم، أثبت، تقدّم)، وعليه فقد أجاز الكوفيون تقسيم محمل أسماء الأفعال عليها قياساً على جواز تقديمها على الأفعال التي قامت مقامها⁴⁷. وأما الشّبه من جهة اللّفظة أن المركب المزجي يشابه المختوم ببناء التّأنيث في أحوال لفظية، منها حذف جزءه الثاني عند التّسب، كما تمحّض تاء التّأنيث.

وهذا يعدّ من المباحث التي تقيد بها المؤلّف في سير أغوار التّراكيب العربية، معلنا بذلك وفائه لآراء القدماء دون مناقشة تذكر، وولائي المستمر لتبني أغلب أفكارهم.

5 . تحليل النّتائج:

توصلت الدراسة إلى النّتائج الآتية:

أولاً: اعتمد محمد الخضر حسين الجزائري المنهجية العلمية التي سار عليها قدماء علماء اللّغة، كالاستنباط، والتّحليل والمناقشة وبسط الأدلة بغية الإقناع، مع توثيق الأمثلة والشواهد -على قلّتها- بموضوعاتها المتصلة بها.

ثانياً: اهتم العالم الجليل بالصطلاح النّحوي محاولاً ضبطه في كثير من تحليلاته، كتحديد مصطلح (النّحو)، وأيضاً في تفرقة بين التّضمين البلاغي والتّضمين العروضي والتّضمين النّحوي، ثم تقديم مصطلحين جديدين هما: التّضمين الصحيح والتّضمين الخطاطي.

⁴⁷ - ينظر: المصدر نفسه، ص 75.



الدرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

ثالثاً: مثل التّضمين عند محمد الخضر حسين أحد الظّواهر اللّغوية ذات الصلة بقواعد الإعراب من جهة تعدّي الفعل بنفسه، أو تعدّي بالحرف، كما أنّ له في المقابل صلة بعلم البيان من جهة التّصرف في معنى الفعل، وهذا من الأفكار الجديدة التي لم يقل بها القدماء، الذين ركّزوا على المستوى التّحوي وأهملوا المستوى البلاغي.

رابعاً: إنّ الحركة التجديدية للنّحو العربي التي نادت بها لجنة تيسير النّحو، كانت آراؤها مرفوضة من طرف شيخ الأزهر، وهذا لأنّ أفكارها قد أفرغت النّحو كعلم قائم بذاته من أهمّ مضامينه التّأصيلية، فضلاً عن كون هذه اللجنة قد تجاوزت حدودها العلمية عندما شكّكت في الأهداف التعليمية التي رسّمتها النّحو العربي لمتكلّمي العربية.

خامساً: أكّد شيخ الأزهر أنّ الحروف لا تنبّ عن بعضها البعض إلاّ على وجه الاستعارة وفي مواقف لغوية قليلة، وعليه فقد دعا المؤلفين في العربية أن يقتصرّوا في بيان معاني الحروف على المعانى الحقيقة فقط، فإنّ تجاوزوها إلى المعانى المجازية فعلّهم أن يتّوّخوا الحذر في ذلك حتى لا يقعوا في الخطأ، كما وقع بعض اللّغوين الذين دعوا إلى التّوسّع في اللّغة.

سادساً: سجّلت الدراسة أنّ عالمنا قد انتصر إلى رأي القدماء في إعراب صيغة التّحذير، رافضاً للرأي الذي دعا إليه أصحاب تيسير النّحو، وسبب ذلك مردّه إلى نظركم القاصرة في فهم دقائق معانى الحروف المتّصلة بصيغة التّحذير، ناهيك عن اختصارهم المعيب في إعراب هذه الصيغة.

سابعاً: مثل موضوع "القياس" في اللّغة العربية أحد أهمّ الموضوعات التي ناقشها "محمد الخضر حسين"، حيث أفرد لها كتاباً خاصّاً، وقد دفعه إلى هذا التّأليف وقوفه على دراسة علوم العربية، ولاحظته لتلك الاختلافات في الأحكام التي كان يصدرها العلماء حول مسائل نحوية يقصّرها بعضهم على السّماع، ويرأها آخرون من مواطن القياس،



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

دفعه هذا إلى البحث عن أصولها، والكشف عن خبایاها، مؤییداً لآراء التّحاة مرّة، ومخالفاً لها مرّات أخرى.

ثامناً: لقد كان محمد الخضر حسين مقلّداً بامتياز، سائراً على خطى علماء النّحو القدماء ومتبنّياً لأفكارهم النّحوية؛ كما كان رافضاً لآراء دعاة التجديد معادياً لكلّ دعوة إلى تيسير التّحو ناهيك عن تجديده؛ ولكنّه في الآن ذاته، حاول أن يقدّم بعض الآراء المترفرفة، التي ميّزته عن القدماء، كما ميّزته عن معاصريه؛ مما يؤكّد غلبة النّظر الاستشرافية لدى هذا الباحث اللّغوّيّ، وعمق تفكيره، وهذا يؤكّد لنا صحة الفرضية التي انطلقت منها في إنجاز هذه الدراسة.

6. الخاتمة:

نستخلص من خلال معالجتنا لأهمّ الأفكار النّحوية التي تقدّم بها محمد الخضر حسين الجزائري التونسي، أنه قد انتصر في أغلب المسائل التي ناقشها في مؤلفاته إلى آراء القدماء، متّخذنا منها أرضية تراثية خصبة لبناء صرح التّحو في عصره، فقد كان متّعصّباً للماضي، رافضاً آراء بعض معاصريه الذين انتقدوا القدماء من اللّغوين من أمثال إبراهيم مصطفى. ولكنّ هذا لم يمنعه من إبراز وجهات نظر حصيفة في مسائل نحوية أخرى، ناقش عبرها آراء القدماء وانتقدتها، كما فعل في موضوع نيابة حروف الجرّ بعضها عن بعض، أو في موضوع تصنيف المسائل النّحوية. كما أنه كان معجّماً بامتياز في رسالته التي جمع فيها الكلمات المؤثّرة مرتبًا إليها على حروف المعجم، وجعلها مادةً لغوية خادمة للأدباء وال المتعلّمين.

وعليه فإنّا نوصي بالالتفات إلى مدوّنات شيخ الأزهر، وحدّنا لو أنّ الدّارسين المعاصرین من الباحثين المتخصصين في حقل اللّسانيات ينكّبون على دراسة أفكاره اللّسانية، التي تعجّ بها كتبه ليستفيد منها الطلبة الجامعيون، خصوصاً وأنّ هذه الشخصية



الدرس التحوي عند الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري ----- د. شهرزاد بن يونس

غير مدرورة، ولم تقدم فيها أبحاث أكاديمية جادة عدا هذه الدراسة المختصرة التي اجتهدنا في تقديمها.

7. المراجع والمصادر

1.7 الكتب

- القرآن الكريم برواية حفص

1 - إبراهيم محمود خليل: في اللسانيات و نحو النّص ، دار المسيرة، عمان - الأردن، ط3، 2015 م.

2 - إبراهيم مصطفى: إحياء النّحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.ط)، 2014 م.

3 - أحمد حسن حامد: التضمين في العربية بحث في البلاغة والنّحو، دار الشروق -عمان-الأردن، والدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2001.

4 - ابن جنّي، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي التّحّار، المكتبة العلمية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ج 2.

5 - النّجاجي، أبو القاسم: الإيضاح في علل التّحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النّفائس -بيروت، ط3، 1979 م.

6 - ابن السّراج، أبو بكر محمد بن سهل التّحوي البغدادي: الأصول في التّحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرّسالة، ط3، (1996-1417)، ج 1، ص 35.

7 - سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخاجي -القاهرة، ط2، (1402هـ-1982م)، ج 4.

8 - علي عبد الله علي الهمتاري: الإعجاز البياني في الدول التّحوي السّيّافي في القرآن الكريم، دار الكتاب الشّفاف، إربد -الأردن، 2008 م.



الدّرس التّحوي عند الشّيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

9 - ابن مالك الأندلسي، أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله: ألفية بن مالك في النحو والتصريف المسمّاة الخلاصة في النحو، تحقيق: سليمان بن عبد العزيز بن عبد الله العيّوني، مكتبة دار المنهاج، الرياض-السعودية، 1438هـ.

10 - محمد الجوادي: محمد الخضر حسين وفقه السياسة في الإسلام، دار الكلمة للنشر، القاهرة-مصر، ط1، 2014م.

11 - محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، ط1، 1980م.

- محمد الخضر حسين الجزائري:

12 - دراسات في اللغة العربية وتاريخها، ضمن سلسلة الأعمال الكاملة، دار النوادر، سورية، المجلد 10، ط1، 2010م.

13 - دراسات في اللغة ضمن سلسلة الأعمال الكاملة، دار النوادر، سورية، المجلد 11، ط1، 2010م.

14 - القياس في اللغة العربية، المطبعة السلفية القاهرة، (د.ط)، 1353هـ.

15 - الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1980.

16 - مختارات من تراث صاحب الفضيلة الشّيخ محمد الخضر حسين، هدية مجلّة الأزهر المجانية لعدد ربيع الأول، 1422هـ.

17 - محمد نديم فاضل: التّضمين التّحوي في القرآن الكريم، دار الزّمان للنشر، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 2005م، ط1، ج. 1.



الدرس التحوي عند الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري ————— د. شهرزاد بن يونس

18- ابن هشام الأنباري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله: أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت -لبنان، ج.1.

2.7 الجلات:

- 1- سعاد معمر شاوش: مفاهيم لسانية عند الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري
— قراءة استكشافية لفكرة النحو، مجلة اللغة والأدب، (د.ت)، العدد 29.
- 2- علي بن عامر علي الشهري: أسلوب التحذير بين الدرس التحوي والواقع اللغوي، مجلة جسور المعرفة، العدد 10، جوان 2017م.



التوزيع السياقي عند أبي علي القالي في أمالته في ضوء نظرية فيرث The contextual distribution in Abu Ali Qali's Amali in light of Firth's theory

د. نعيمت روابح

naima.rouabah@yahoo.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنيطينة

تاريخ القبول: 2020/11/16

تاريخ الإرسال: 2020/01/07

الملخص:

إن أكثر ما شغل اهتمام علماء اللغة موضوع تغيير المعنى، وصور هذا التغيير وأسباب حدوثه، والعوامل التي تتدخل في حياة الألفاظ وموتها.

ولقد ميّزت الدراسة الدلالية بين أنواع عديدة من المعنى، كما اهتمت بالسياق باعتباره أداة إجرائية تلعب دوراً مركزيّاً في تحديد المعنى؛ من خلال تجاوزه الإطار اللغوي المفض إلى السياق الاجتماعي والنفسي والثقافي.

ويأتي موضوع هذه الورقة البحثية للكشف عن العلاقات اللغوية في نصوص "الأمالى" (البنية الداخلية) الناتجة عن التأليف بين الوحدات المعجمية التركيبية، وإثبات دور السياق كمعطى رئيسي في تأويل النصوص والخطابات التي ضمنها القالى كتابه من خلال إسقاط معطيات النظرية السياقية لفيرث.

الكلمات المفتاحية: النظرية السياقية، السياق عند فيرث، أمالى أبي علي القالى،
السياق والمعنى.

Abstract:



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

One of the main things that attracted the attention of linguistics is the change of meaning , its reasons and its chain between use and adolescence . The study of semantics distinguishes between different types of meaning, as well as the context, being it social or psychological and cultural, as a crucial element in determining the first.

This article looks at the linguistic relation in the AMALI texts (internal structure),and the role of context in understanding Alqalis discourse,by using the contextual theory of Firth .

Key words: context theory, context according to firth, Amali Abu Ali Qali, context and meaning .

أولاً/ النّظرية السّيّافية contextual theory في الدرس اللّساني:

إنّ فكرة العناية بالسيّاق (إما مراعاة حال المتكلّم، أو حال المخاطب، أو للموقف الكلامي بكماله)، كانت محلّ عناية اللّغوين، والبلاغيين العرب القدامى، وهي عند المفسّرين والأصوليين على قدر كبير من الأهميّة؛ لكونه أكثر وسيلة مهمّة من وسائل الكشف عن المعنى المراد من النّصوص الشرعيّة وأحكامها. فتناوله الفقهاء في كتب الأصول والأحكام، وعرض له البلاغيون في كتب الإعجاز وبديع القرآن... إلخ.¹

وفكرة السيّاق عند الغربيين، أيضاً، لم تكن جديدة تماماً، إنّما كانت استمراً لجهود الدرس اللّغوي، «ولعلّ من الإنصاف القول بأنّ هؤلاء الغربيين قد صاغوا هذه الفكرة في شكل نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع المعنى، من صوتية، صرفية، نحوية،

¹- ينظر: عبد النّعيم خليل، نظرية السيّاق بين القدماء والمخدين دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2007م.ص111، 163، 195، 236. وردة الله بن ردة بن ضيف الله الطّلحي، دلالة السيّاق، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1418هـ، 1/62-82.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

واجتماعية. ووضعوا لها من المعايير والإجراءات ما يجعلها تقف على قدم المساواة مع بقية النظريات التي تتناول المعنى بالتحليل والتفسير»¹ وهي من المساهمات الحقيقة للغوين الإنجليز في مجال الدراسات اللغوية بعامة، والدرس الدلالي على وجه الخصوص. فقد ارتبطت باللساني البريطاني جون روبرت فيرث R.Firth (ت 1960م)، التي أقامها على عمل وتفكير الأنثروبولوجيين، خاصة على تفكير مالينوفסקי².

تقوم هذه النظرية على النظر إلى المعنى بوصفه وظيفة في سياق، وهذا يصرح فيرث «بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة»³.

وفرق فيرث في نظرته بين خمس وظائف أساسية مكونة للمعنى، وهي:

¹ - ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص 137.

² - ينظر: روبيتر-هـ، موجز تاريخ علم اللغة، تر: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، 1988م، ص 349.

وصلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية حتى نهاية القرن الرابع المجري، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، الجزائر، 2008م، ص 380.

³ - أimen علي عبد اللطيف، عبقرية النثر العربي دراسة لغوية تحليلية في كتاب "الإشارات الإلهية" لأبي حيان التوحيدي، تقديم: مصطفى رجب، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط 1، الاسكندرية، 2008م، ص 184.

⁴ - ينظر: محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتحاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط 1، بنغازي، 2004م، ص 28. ومدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط 1، بنغازي، 2004م، ص 78-82. والمعنى وظلال المعنى" أنظمة الدلالة في العربية"، دار المدار الإسلامي، ط 2، بنغازي، 2007م، ص 117.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

- الوظيفة الأصواتية Phonetic Function

- الوظيفة الصرفية Morphological Function

- الوظيفة المعجمية Lexical Function

- الوظيفة التركيبية Syntactical Function

- الوظيفة الدلالية Semantic Function

وتتحدد كل وظيفة من هذه الوظائف في إطار ما يعرف بمنهج الإبدال Method

of substitution، ولا يظهر معنى العنصر اللغوي على أي مستوى من المستويات المذكورة، إلا بتميزه السيافي من مقابলاته التي يمكن أن تقع موقعه في ذلك السياق، فإذا لم يكن ثمة بديل سيافي ممكن لذلك العنصر اللغوي فلن يكون له معنى.¹

كما وضع فيirth أركاناً ثلاثة يقوم عليها منهجه في دراسة اللغة، هي:

* الركن الأول الذي يقوم عليه تحليل المعنى عند فيirth هو سياق الحال،² أو المقام

مع ملاحظة كل ما يتصل به من عناصر وظروف ومناسبات، كشخصية المتكلم

¹ ينظر: محمد محمد يونس على، مقدمة في علمي الدلالة والاتصال، ص28، 29.

² يسمى أيضاً سياق الموقف situational context، عرفه محمود السعران بقوله: «إن سياق الحال أو الماجري، هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، أو الحال الكلامية». علم اللغة، ص82. وعرفه عبد الرحيم بأنه: «مجموع الظروف التي تحيط بالكلام». فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1974م، ص166. ينظر أيضاً: تمام حسان، اللغة العربية معناها وبنائها، ص337. والطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، 2007م، ص30. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بنغازي، 2004م، ص40.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

والسامع، وثقافتهم، وكل العوامل المرتبطة بالسلوك اللغوي وقت الكلام، وتأثير الكلام على السامعين.

* الركن الثاني هو تحديد بيئة الكلام المدروس، وعدم الخلط بين لغة وأخرى، أو لهجة وأخرى، أو بين مستوى ثقافي وآخر اجتماعي، فيجب أن تكون اللغة مقتصرة على مستوى ثقافي واحد، ومستوى كلامي واحد.

* الركن الثالث وهو تحليل الكلام إلى عناصره ومكوناته الأولى، باستخدام معطيات فروع علم اللغة المختلفة، من صرف، نحو، أصوات، ومعجم، وهذا في اعتبارهم يؤدي إلى كشف جزء من المعنى، ولكن الدلالة الكاملة لا تتضح إلا من خلال السياق أو المقام.¹

وانطلاقاً من هذه الأركان التي رسماها فيرث لنظريته، يمكن القول:

- إن الكلمة المعجمية ذات معنى محايد لا يجاوز الصورة التي يشير إليها بمجموع أصوات الحروف، وهذا المعنى المحايد هو معنى شكلي.
- إن السياق هو الناظم الذي يعطي الكلمة في ارتباطها بما قبلها، وما بعدها معناها المقصود، أي معناها السيافي.

- إن السياق ليس سياقاً واحداً، إنما هو شبكة علاقات بين عدة سياقات جزئية،

تنتج السياق الكلي:

2. السياق اللغوي ². Linguistic context

¹ ينظر: محمد محمد علي يونس، مقدمة في علمي الدلالة والاتصال، ص 184. وعبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والحدثين، ص 278.

² عبر عنه ستيفن أولمان بقوله: «النظم اللغطي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم». دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، ط 12، القاهرة، ص 68.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

- السياق الثقافي ¹. Cultural context

- السياق العاطفي ². Emotional context

- سياق المناسبة (وهو ما يطلق عليه البنويون قاعدة المناسبة، وهو أقرب إلى قول القدماء "لكل مقام مقال" ، فالمقام أو سياق المقام هو المناسبة السياقية التي تقتضي قوله ³ بعينه، دون غيره من الأقوال).

- إنّ المعنى الشكلي والمعنى السيافي لا ينفصلان انتفصالاً قطعياً، بل يحدان معاً مفهوم السياق، بوصفه تعبيراً عن نوعين من العلاقة هما:

1- العلاقة بين العنصر والعناصر اللغوية الأخرى.

2- العلاقة بين النص والموقف الذي يتجلّى فيه.

ومن اللسانين الذين نادوا في دراساتهم للدلالة اللغوية، إلى ربط الكلمات بسياقاتها نجد شايز (Chase)، الذي يقول في هذا السياق: «إن الدلالة الحقيقة للكلمة ما يجب أن توجد ضمن ملاحظة ما يمكن أن يصنعه الإنسان بهذه الكلمة».⁴

¹ - هو السياق الذي يكشف عن المعنى الاجتماعي، فاختلاف البيئات الثقافية في المجتمع يؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة من بيئة إلى أخرى. ينظر: أمين عبد اللطيف، عبقرية النثر العربي، ص185.

² - هو السياق الذي يتولى الكشف عن المعنى الوجاهي الذي يختلف من شخص لآخر. ينظر: المرجع نفسه، ص185.

ويقسم ثامن حسان السياق إلى نوعين: سياق النص (اللغوي)، وسياق الموقف (الحال). ينظر كتابه: اتجاهات لغوية، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2007م، ص156.

³ - طه حابر العلواني، السياق، المفهوم، المنهج، النظرية، مقال، مجلة الإحياء، الرابطة الحمدية للعلماء، الرباط، 2007م، ص50، 51.

⁴ - الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنوية دراسة تحليلية استيمولوجية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2001م، ص203.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

وتأتي علاقة السياق بالمعنى، من كون العديد من الملفوظات لا يمكن تحديد معناها بدقة إلا بمعرفة سياقها الذي وردت فيه، وفي هذا يقول بير جIRO: «إن الغموض الذي يلف العالمة المتعددة الدلالات يزول حين توضع في سياقها». ¹

ولأن اللغة بنت بيتها، فهي أهم مظهر سلوكي، وعقلاني يعكس إنسانية الإنسان في هذا الكون، وما كان ذلك إلا لأن ممارسة الحدث اللساني في الواقع، لا تدعو أن تكون تجسيداً للجانب العملي للقدرات العقلية التي يمتلكها الإنسان، والتي من خلالها يتحقق نزعته الاجتماعية، لأن الإنسان بطبيعة ميّال إلى التواصل مع أفراد مجتمعه، من حيث إنه كائن اجتماعي.²

ولأن الكلمة –كما سبق القول– تحمل دلالة اجتماعية، فالمعاني أيضا هي خلاصة تجارب وخبرات الأفراد، مما يؤكّد على دور السياق. يقول بالمر: «من السهل أن نسخر –كما يفعل بعض الباحثين– من النظريات السيّافية، وأن نستبعدها باعتبارها غير عملية أساساً، لكن من الصعب أن نرى كيف تستبعدها دون إنكار الحقيقة الواضحة القائلة: إن معانِي الكلمات* والجمل مرتبطة بعالم الخبرة». ¹

¹ - على آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر، ط1، الدار البيضاء، 2000م، ص39. نقلًا عن / بير جIRO، السيمياء، سلسلة زدي علم، ط1، 1984م، ص39.

² - ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات– ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000م، ص68.

* إن كلّ كلمة لها معنى وليس لها دلالة، لأن الدلالة من خصائص الجملة، والجملة لا تتوفر إلا بتوفّر تركيب... فإذا كان المعنى يوجد بدون تركيب، فإنه يستحيل أن توجد دلالة بدون تركيب، ومن ثم فإن المكونين التركيبي والدلالي يدخلان في علاقة وطيدة. ينظر: على آيت أوشان، السياق والنص من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، 2000م، ص43.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

ثانياً / مفهوم السياق عند فيرت

لقد أكد فيرت تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة²، وعدّ مهمة البحث اللغوي منحصرة في تقصي معاني عناصر اللغة من كلمات وأصوات وجمل؛ لأن المعنى عند هو "العلاقة بين العناصر اللغوية والسياق الاجتماعي بحيث تتحدد معاني تلك العناصر وفقاً لاستعمالها في المواقف الاجتماعية المختلفة".³

ومعنى الكلمة عند فيرت هو استعمالها في اللغة أو الطريقة التي تستعمل بها، أو الدور الذي تؤديه، ولهذا صرخ فيرت بأن "المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية؛ أي وضعه في سياقات مختلفة".⁴

كما رأى أن المعنى هو مجموع خصائص الكلمة التي لا استقلالية لها ولا معنى ولا ذاتية لدلائلها، فهي ليست بذات معنى مستقل قائم بذاته وأن وجودها ومعناها شيء نسيي، ويمكن ملاحظة كل منهما في سياق غيرهما من الكلمات والمعاني، أو عن طريق التقابل بينهما، وعلى ذلك فإن ما تدل عليه الكلمات ينحصر في وظيفتها التي لا تعرف إلا بمعروفة وظائف غيرها من الكلمات.⁵

¹ - مصطفى حميده، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، القاهرة، 1997م، ص110.

² - ينظر: دور السياق في الترجيح بين الأقوال التفسيرية، مراجعة منهجية، محمد إقبال عروي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، الكويت، 2007م، ص24.

³ - علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط5، القاهرة، 1998م، ص68.

⁴ - دلالة السياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، ص191.

⁵ - ينظر: السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، غنية تومي، مقال بمجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع6، 2010م، ص2.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

إضافة إلى ذلك فقد جعل فيرث السياق إطاراً منهجياً يطبق على الأحداث اللغوية، ولما عدّ مهمة البحث اللغوي هي دراسة دلالية في جلها على عكس ما ذهب إليه "بلومفيلد" بات من المؤكد تحليل السياقات والمواقوف التي ترد فيها الكلمات حتى ما كان منها غير لغوي، وعليه فالكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي تقع فيه بل يتحدد معناها تبعاً لتوزيعها اللغوي، وأشار أيضاً في هذا الصدد، إلى أن حرفية الكلمات المنطوقة في الجملة المفردة لا تنبئ عن دلالة ذلك المنطوق؛ وهذا راجع إلى المواقف المتعددة التي تستخدم فيها، لذا فإن السياق أساسه إدراك الدلالات وتمييز مراميها، واختلاف مقاصدتها حتى لو جاء نصٌّ ما بغاً بسيطة فالمعاني لا تعطيها تلك الكلمات أو الجمل بدقة ما لم تدخل عناصر أخرى غير لغوية، فالسياق هو الذي يوصل إلى كُنه الكلمات، خاصة إذا علمنا حالة المخاطب وثقافته وانتقاءه الاجتماعي، كل هذا يلعب دوراً في استقبال الكلمات للباحث عن معانٍ دون مقاومةٍ تُذكر.¹

لقد حاول فيرث إثبات صحة مقولته "المعنى وظيفة السياق"؛ لأن اللغة تدرس في ضوء الظروف الاجتماعية المحيطة بها كونها من عوامل العادة والعرف والتقاليد، وعندما يتكلم المرء فإنه يصهر كل هذه العوامل في خلق فعلٍ ملفوظٍ، لذا يصرّ فيرث على دراسة اللغة كجزء من المسار الاجتماعي أو كشكل من أشكال الحياة الإنسانية وليس كإشارات اصطلاحية.²

¹ - ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 71. والنظرية البراجماتية اللسانية دراسة المفاهيم والنشأة والمبدىء، محمود عكاشة، مكتبة الآداب، 2013م، القاهرة، ص 78.

² - ينظر: نظرية النظم عند الحرجاني في ضوء النظرية السيافية الحديثة، زينة مدواس، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمرى - تizi وزو - 2001-2002، ص 178.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

و عملياً يقترح فيرث فكرة السياق على المستوى التواصلي وعلى مستوى النصوص الأدبية؛ إذ يدعو إلى تحليل الملفوظ بتنسيق الواقع سياقاً، لأن كل سياق جزء وظيفي في سياق أعلى، ويندرج في السياق الثقافي وهنا تولد معانٍ متميزة ذات دلالة اجتماعية؛ بمعنى آخر فإن السلوكيات الاجتماعية وأفعال الكلام لا يمكن فهمها ما لم تساير داخل ثقافة معينة، والسياقات تتداخل وتتكامل فيما بينها من أجل تكوين معنى معين، ولا يقبل فيرث إهمال أي جزئية فيما يتعلق بالوصول إلى كنه الملفوظات اللغوية أي المستوى التواصلي، أما عندما نرغب في تحليل نص ما سوف تحكمنا ظروف اللغة المكون منها هذا النص، إضافة إلى البيئة التي ولد فيها وطبيعة كل من المنشئ والمتلقي، لذا يمكن القول أن السياق ذو بعدين أساسين هما:

1- **البعد الداخلي**: يتعلّق باللغة وترافقها من حيث وضع الكلمة بين أخواتها والميئـة التي اختلفت فيها الكلمات مع بعضها البعض، ومكان هذه الاختلافات والتركيب من الموضوع الجامـع لها، ويـكمن دوره في تحديد معانـي الكلمات وإزالة اللبس عنها وإبعاد المعانـي الأخرى التي تحـتملـها الكلمة في سياق آخر وإضفاء صـفة الجمال أو الشـاعـرـية أو الفـنـيـة عـلـيـها.¹

2- **البعد الخارجي**: يتعلّق بالظروف والخلفيات المحـيـطةـ بالـنصـ سواءـ منهاـ ما يتصلـ بالـمـخـاطـبـ أوـ المـخـاطـبـ، وكـذـلـكـ الـبيـئةـ الزـمانـيـةـ وـالمـكانـيـةـ النـابـعـ منـهاـ النـصـ، ويـشـمـلـ أـيـضاـ

¹- ينظر: **السياق وأثره في المعنى (دراسة أسلوبية)**، المهدى ابراهيم لغويل، أكاديمية الفكر الحماهيري، 2011م، بنغازي، ص 14، 15.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

حملة من الملابسات والأحوال والظروف القائمة في الإطار الزماني والمكاني لعملية التخاطب.¹

لكن المشكلة هي استحالة حصر القرائن الخارجية لأنها كثيرة ومتشعبه وغير خاضعة لمعايير معين، فعلى مستوى النصوص الأدبية -مثلاً- يتوجب على الباحث أن يحلل النص على المستويات اللغوية المختلفة: الصوتية، الفونولوجية، المورفولوجية والنظمية والمعجمية، ثم ينتقل في المرحلة الثانية إلى تبيان سياق الحال أي يدرس شخصية المتكلم والسامع وعلاقتهما، وجميع الظروف المحيطة بالكلام في ذلك الوقت، ثم يبيّن ما نوع الوظيفة الكلامية: التمني، الإغراء، ... وينهي كلامه بذكر أثر المتكلم (ضحك، تصديق، سخرية، ...).²

يعنى أن تحليل النصوص عند فيرث يقوم على مراحل متداخلة ومتكمالة وهي:

- التحليل اللغوي (الأصوات، الصرف، والتركيب)

- سياق الحال: (كل الظروف والملابسات المحيطة بالموضوع)

- غرض النص: (كيف تلقى السامع النص).

ثالثاً/ الأهمي للقالي³: المحتوى، البناء، الأسلوب.

¹ - ينظر: استيراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بنغازي، 2004م، ص18.

² - ينظر: نظرية النظم عند الجرجاني في ضوء النظرية السياقية الحديثة، زينة مدواس، ص179.

³ - ولد سنة 288هـ في جمادى الآخرة بمناز جرد من ديار بكر، وتوفي بقرطبة في شهر ربيع الآخر، وقيل جمادى الأولى سنة 356هـ، وسمي بالقالي لأنه سافر إلى بغداد مع أهل "قالي قلا" فبقي عليه الاسم. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الرمان، دار صادر، بيروت، 226/1، 227. وياقوت الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 729/2، 1993م. وإسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار



التوزيع السياقي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

الأمالي مجموعة من الدروس، كان يلبيها أبو علي القالي في حلقاته في مسجد الزهراء بقرطبة؛ فيختار في كل درس نصًّا أدبياً، يقف مع طلابه على غريبه وألفاظه، فإن الغامض يطلب شرحه وتفسيره، وإذا الشرح يحتاج شاهداً ودليلًا، والشاهد قد يفضي إلى أبيات أو قصيدة، والقصيدة لها قصة، وتتضمن القصة نوادر من الألفاظ يسأل عنها، وضروباً من الأمثال يستحسن ذكرها.¹

وربما تدعوه الكلمة أو العبارة أو المعنى إلى الاستطراد، فينتقل من الآية القرآنية إلى الحديث النبوي، ومن الحديث إلى الخطبة، ومن الخطبة إلى الشعر وهكذا.

وأحياناً، كان - كشأن كل معلم بارع - يشعر بملل سرى إلى أذهان المتعلّقين حوله، فينشّط أذهانهم برواية نادرة أو قصة مستملحة يستrophicون بها، ويفيدون في الوقت ذاته ما تضمنته من غريب اللغة وبعيد المعنى.

ولا شك في أن الطريقة التعليمية التي صاحبت وضع الأمالي، هي التي جاءت بالكتاب على هذه الصورة، فلم يختلف في كثير عن باقي كتب المجالس والأمالي التي لم

المصنفين، مكتبة الإسلامية والجعفري تبريزى، ط3، طهران، 1397هـ، 1977م، ص 208. وعبد القادر عبد الجليل، معجم الأصول في التراث العربي، دار صفاء للنشر، ط1، عمان، 2006م، 272/1.

وله من الكتب: الأمالي، الممدود والمصور، الإبل ونتاجها وما تصرف عنها، كتاب حلي الإنسان والخيل وشياكلها. كتاب فعلت وأفعلت. كتاب مقاتل الإنسان. كتاب تفسير السبع الطوال (المعلقات). كتاب البارع في اللغة على حروف المعجم. ينظر: يوسف عيد، دفاتر أندلسية في الشعر والنشر والنقد والحضارة والأعلام، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2006 م، ص 552.

¹ - ينظر: محمد مصطفى أبو شوارب، أبو علي القالي ومنهجه في رواية الشعر وتفسيره، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ص 32.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

تطوّق عنقها بمنهج تترسم طريقه لأنها ليست في حقيقة الأمر تأليف حقيقة بالمعنى الدقيق للكلمة، وإنما هي تقيد مضبوط بمحالس تدريسية عالية.¹

وعليه فإن منهج القالي في كتابه يتلخص في نقاط أهمها:²

- يغلب على الأimalي الاستطراد، ونشر المواد وشروحه ثرا يفتقد في أحيان كثيرة إلى التبويب والتنسيق. ولعل مرد ذلك أن القالي أملأه عن حفظٍ وذاكرة.
- اهتم القالي بالرّجز لكثره الغريب فيه ولا عجب فالقالى لغوي، وقد أورد الكثير من أرجحى العرب شواهد على مسائل وقضايا متعددة.
- اهتم القالي بالأمثال العربية، فأورد نصوصا منها وشرح غريتها وذكر مناسبتها.
- تضمن الكتاب نصوصا عده من الحكمه والوصايا بأنواعها وأقوال البلغاء.
- شكّل غريب القرآن والحديث جوانب مهمة من الأimalي.
- تضمن الكتاب نصوصا عده في ميادين معرفية وثقافية متنوعة، وأنبار تاريخية مهمة.

- للأimalي جزء مكمل أطلق عليه القالي «ذيل الأimalي»، وقد أملأه على طريقة الأimalي، ثم اجتمعت لديه مادة أخرى فألحقها به وسمّاها «الـتوادر»، ليصبح اسم النصوص الملحقة كاملة "ذيل الأimalي والنوادر".

- يعد الأimalي والـذيل والنوادر سفاره ثقافية متنوعة، تعكس سعة مخفظ القالي وقدرته على معالجة الموضوعات كلغوي ورواية. وصدق ابن حزم (ت456هـ)* في

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص32.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 31، 32. عبد القادر عبد الجليل، معجم الأصول في التراث العربي، ص272-276



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

قوله: «كتاب أبي علي مُبارٍ لكتاب الكامل الذي جمعه المبرد، ولكن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً، فإن كتاب أبي علي أكثر لغةً وشعرًا».¹ ولأن قيمة الكتاب من قيمة مؤلفه، فإن مكانة أبي علي القالي لا تقل أهمية عن مكانة أماليه، إذ يكفي ما قال فيه أبو عبيد البكري (ت 496هـ) الأندلسي في مقدمة كتابه "التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه": «وأبي علي -رحمه الله- من الحفظ وسعة العلم والبيل، ومن الثقة في الصّبّط والتّقْلِيل بالحمل الذي لا يجهل، وبحيث يقصر عنه من الشّيء الأحفل».²

رابعاً/ دور السياق في تحديد المعنى عند أبي علي القالي:

لقد تبنّى القالي على ظاهرة بلاغية هامة، تعرف عند البلاغيين بظاهرة المعاني الأولية والثانوية، أو "معنى المعنى"،³ والتي مفادها أن الكلمة في النص تحمل المعنى المعجمي، ثم المعنى الذي يُرجى به هذا المعنى المعجمي،

* هو أبو محمد بن علي بن سعيد ابن حزم، له من المؤلفات كتاب بعنوان "فضائل الأندلس وأهلها".

¹ - وليد محمود خالص، المباحث النقدية في أمالى المرتضى، دار الحوار للنشر، ط2، سوريا، 1995 ص 24.

² - أبو عبيد البكري، التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه، دار الجيل، ط2، بيروت، 1987م، (ملحق بكتاب ذيل الأمالي والتواتر)، ص 15.

³ - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1995، 1/207. ويقصد به عند الجرجاني ذلك المعنى الذي تشيره اللفظة عندما تُوظَّف توظيفاً استعاراتياً أو مجازياً وتحيل على معنين: الأول ظاهري غير مقصود (معنى حقيقي) يحيل إلى معنى باطلي مقصود (معنى إيجائي)، وهي الآلية نفسها التي تتوخاها الاستعارة والكتابية والمجاز والتعميل، إلى جانب التورية في الشعرية إذ نحن أردنا توسيعاً. ينظر: البلاغة وتحليل الخطاب، حسين خالفي، دار الفارابي، ط1، بيروت، 2011م، ص 59.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

«إن الوحدة المعجمية الواحدة قد تدخل في أكثر من علاقة مع الوحدات الأخرى، أو خروجها تماماً من دائريها الدلالية الأصلية... وكل ذلك يتربّ عليه أن تحديد دوافع المجال الدلالي، وهو الأمر الإجرائي الأول في هذا النوع من التحليل، تكتنفه – في كثير من الأحيان – صعوبة بالغة».¹

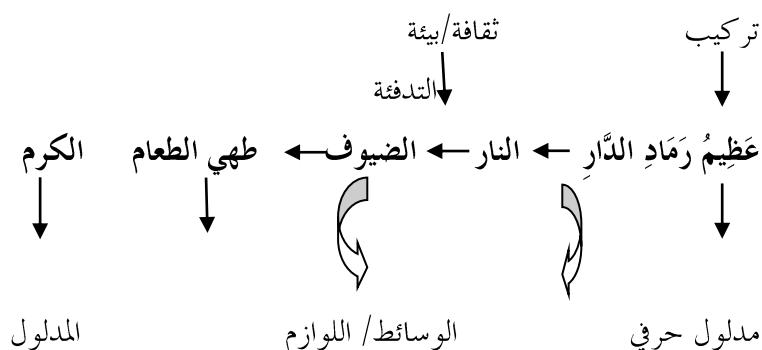
وفي هذا القول الذي تقدّم، إشارة صريحة لدور السياق في تحديد معنى الكلمة،

ومن شواهده في الأمالي:

قال القالى في تفسير بيت كعب بن سعد الغنوى:²

**عَظِيمٌ رَمَادِ الدَّارِ رَحْبٌ فَنَاؤُهُ
إِلَى سَنَدٍ لَمْ تَحْتَجْنَهُ غَيْوبٌ**

وقوله عظيم رماد النار؛ أي جواد بذول للقرى. قال أبو علي: إنما تصف العرب الرجل بعظيم الرماد لأنّه لا يعطم إلا رماد من كان مطعاما للأضياف.³



¹ محى الدين محسب، التحليل الدلالي في الفروق في الدلالة لأبي هلال العسكري، دراسة في البنية الدلالية لمعجم العربية، دار المدى للنشر، 2001م، ص72.

² القالى، الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م، 152/2.

³ القالى، الأمالي، 2. 155/2.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

فالقالي إضافة إلى إدراكه جانب العلاقات اللغوية في البيت، أدرك العلاقات غير اللغوية التي طرحتها السياق الخارجي، واعتمد في ذلك على معرفة أوضاع البيئة العربية البدوية؛ إذ من تقاليدهم إكرام الضيوف بإطعامهم، وطهو الطعام يعني إشعال النار، ... وكثرة الرماد تعني كثرة الطهو، وهذه الأخيرة تعني كثرة الضيوف، وهكذا إلى أن يصل لإدراك المعنى الثاني للعبارة، وهو أن المرثي كريمٌ، وهو المعنى المقصود في الاستعمال الشعري.

ويتقاطع هذا البيت مع قول الخنساء في رثاء أخيها صخر:¹

طَوِيلَ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ كَثِيرُ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَّا

وهي كناية عن صفة الكرم التي عُرف بها صخر.

وجاء في قاموس "محيط المحيط": "الرماد ما يبقى من المواد المحترقة بعد احتراقها، ويقال فلان كثير الرماد كناية عن كونه ماضياً لأنَّه يُكتَر الطبائح وذلك يستلزم كثرة النيران التي تستلزم كثرة الرماد".²

وكان القالي يعي وظيفة السياق في تحديد المعنى، واعتمد في ذلك على سياق المقام في ترجيح دلالة لفظة أو انتقائتها من بقية الدلالات، فلا شك أنه في تحديده معنى لفظة

"أعمدة"، في قصيدة لأبي صفوان الأسدى، منها هذين البيتين:¹

¹ - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الحاشي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ص 288.

والبيت في ديوان الخنساء:

طَوِيلَ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَادًا

ديوان الخنساء، اعنى به وشرحه: حمدو طماس، درا المعرفة، ط2، بيروت، 2004م، ص 30.

² - محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م، مادة (رمد)، ص 350.



التوزيع السياقي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

فَدَاكَ وَقَدْ أَغْتَنِي فِي الصَّبَاحِ
لَهُ كَفْلٌ أَيْدٌ مُشْرِفٌ
بِأَجْرَدِ كَالْسَّيْدِ عَبْلِ الشَّوَّى
وَأَعْمَدَهُ لَا تَشَكِّي الْوَجْهِ
قال: والأعمدة هنها القوائم.²

ويرجع رأي القالي هنا إلى إدراكه العلاقة التي تربط كلمة "أعمدة"؛ التي يمكن أن تدل على أكثر من معنى، وبين ما قبلها وما بعدها من كلمات مثل: أجرد (وصف الفرس)، عبل الشوى (متلئ الأطراف)، كفل (العجز)، الوجى (ألم في باطن الحافر)، فهذه الكلمات مع مجاورتها للكلمة المفسرة "أعمدة" حضرت دلالتها في مجال معين، وهو وصف أعضاء الفرس، فرجح القالي معناها بـ"القوائم" عن باقي الاحتمالات، «فالكلمة إذا وقعت في سياق ما، لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابقٌ، ولما هو لاحقٌ بها، أو لكتلتهما معاً».³

وقوله في شرحه للفظة (الأحد): والأحد هاهنا: الخفيف السريع، والأحد أيضا: الخفيف الذئب، ومنه قيل: قطة حذاء.⁴

فاللفظة تحتمل أكثر من معنى وهي تدخل في باب ما يسمى المشترك اللغطي. جاء في لسان العرب: "الحدُّ: السرعة، وقيل: السعة والخفة. والحدُّ: خفة الذنب واللّحية، والتّعّت منها أحَدُ. وبعيرُ أحَدُ ولحية حَذَاء: خفيفة. قال:

وَشُعْثٌ عَلَى الْأَكْوَارِ حُذٌ لِحَاهُمُ
تَفَادُوا مِنَ الْمَوْتِ الْذَّرِيعِ تَفَادِي¹

¹ - القالي، الأمالي، 242/2.

² - القالي، الأمالي، 251/2.

³ - فردينان دي دوسوسير، دروس في الألسنية العامة، تعریب: صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للطباعة، 1985م، ص 186.

⁴ - القالي، الأمالي، 1/16. ينظر أيضا: الأمالي، 4/2. والأمثال، 43/2. والأمثال، 47/2.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

وأنشد ابن مقبل:

لُقْلَتْ إِحْدَى حِرَاجِ الْجَرِّ^{*} مِنْ أَقْرِ^{*}
وَثَرَوَةٌ مِنْ رِجَالٍ لَوْ رَأَيْتَهُمْ
قال أبو علي: الثروة هنا كثرة العدد، ويروى، وثورة من رجالٍ؛ وهو الذين
يثورون في الحرب.²

وقوله: الرّعامة: الرياسة، ويقال: السلاح، وهي هنا الرياسة. في شرحه لقول

لبيد:³

تَطِيرُ عَدَائِدُ الْأَشْرَاكِ شَفْعًا
وَوَتَرًا وَالزَّعَامَةُ لِلْغَلامِ

فالملاحظ على هذه الشواهد أن الذي يميز الدلالة المعجمية أنها عامّة ومتعددة،
وغير ثابتة، فاللفظة الواحدة صالحة للدخول في سياقات متعددة، وكل سياق ينبعها
دلالة غير الدلالة التي تأخذها من سياق آخر، ولتعدد النصوص والعصور والسياقات
يتعدد المعنى، كما أن الدلالة المعجمية معرضة للتغيير؛ إذ يصيبها التعميم أو التخصيص أو
الانتقال، ... الخ على عكس الدلالة السيافية لأن طبيعتها ديناميكية تنشأ من خلال تفاعل
جملة من الملابسات أو الظروف التي اصطلاح على تسميتها بالسياق أو المقام.

وشرح القالي بيت ابن مقبل القائل فيه:

ذَعَرْتُ بِهِ الْعَيْرَ مُسْتَوْزِيًّا
شَكِيرُ جَحَافِلِهِ^{*} قَدْ كَنْ

¹ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مع 3، مادة (حدذ)، ص 482، 483.

* الجرّ: اسم موضع.

** أقر: اسم جبل.

² - القالي، الأimalي، 1/94.

³ - القالي، الأimalي، 1/95.

*** الجحافل: واحده جحفلة وهي من الخيل والحمير والبغال. عزلة الشفاه من الإنسان.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

مستوزياً: متتصباً مرتفعاً. والشّكير: الشّعر الضعيف ها هنا. وكتن: أي لَزِقَ به

¹أثرُ خُضرة العشب.

وفسّر القالي أيضاً قول الشاعر:

كَانَ رِمَاحَهُمْ وَأَحِدُهَا أَشْطَانَ بَئْرٍ

بقوله: البئر ه هنا الهواء الذي من الحال إلى الحال، والبئن² الوصل.³ وقرأ بعضهم

⁴﴿لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنُكُمْ﴾.

ومن شواهد السياغ اللغوي عند القالي: قوله: ومعنى قوله: اللهم مَحْصُ ذنوينا

أي اكشِفها، وقال آخرون: اطْرَحْها عَنَّا، قال أبو علي: هذه الأقوال كلها في المعنى

⁵واحد، ألا ترى أن التخلص تحرید¹، والتحرید كشف²، والكشف طرح³ لما عليه.

كما فسر أيضاً لفظة "الغسل" في بيت عمرو:

¹- القالي، الأمالي، 2/43.

²- البئن: بفتح الباء: الفراق، والبئن: الوَاصْلُ وهو من الأضداد، وبه فُسّر قوله تعالى ﴿لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنُكُمْ﴾ في قراءة من رفع ابن السيد البطليوسى، المثلث، تحقيق ودراسة: صلاح مهدي على الفرطوسى، 1/353.

³- القالي، الأمالي، 3/134.

⁴- الأنعام / 94. ﴿لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنُكُمْ﴾، وقال الفراء: كان مجاهد(أحمد بن موسى بن العباس التميمي أبو بكر مجاهد، أحد علماء القراءات في عصره من أهل بغداد) يقرأها ﴿لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنُكُمْ﴾ برييد وصلكم، وقرأها حمزة 180هـ-156هـ (بن حبيب بن عمارة بن اسماعيل التميمي الزبيات، أحد القراء السبعة من موالى التميم وإليهم ينسب) على هذا المعنى. ينظر: ابن السكينة، الأضداد، حققه وقدم له ووضع فهارسه: محمد عودة سلامه أبو جري، راجعه: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص 139.

⁵- القالي، الأمالي، 2/275.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

وماءِ بعوماً قليل أنيسه
كأن به من لون عرمضه غسلا

قال: الغسل: كل ما غسل به الرأس، والغسل ه هنا الخطمي.¹

جاء في لسان العرب: "الغسل": بالفتح: المصدر، وبالكسر: ما يُغسل به من
خطميّ وغيره.²

إن المتابع لشرح القالي، يلحظ إصراره على استعمال لفظة "هنا" في تفسيره
للمعنى، ليؤكد على أن الدلالة التي يطرحها للفظ المشروح مرتبطة بالسياق الذي وردت
فيه، هذا الوعي بدور السياق، هو أيضا سبب في إدراكه لما تقوم به العناصر غير اللغوية
في تعين معنى الألفاظ وتحديدده، إذ إن إجلاء المعن على المستويات اللغوية: صوتا وصرفا
ونحوا ودلالة، لا يعطي إلاّ معنى "المقال" أو "المعن الحرفي"، وهو معن فارغ من محتواه
³ الاجتماعي، منعزل عن القرائن ذات الفائدة الكبرى في تحديد المعنى.

ويشير القالي في بعض الأحيان إلى معانٍ مجازية أخرى تتصل بالمعنى الأصلي،
وترتبط به على نحو يشبه الارتباط بين الاشتقاد في الصيغ،⁴ فقال في تفسير بيت حميد
بن ثور الملاхи:

ولقد نظرتُ إلى أغراً مشهَّرٍ
بِكْرٌ تَوَسَّنَ بِالْخَمِيلَةِ عُونَى

¹ - القالي، الأمالي، 249/2.

² - ابن منظور، لسان العرب، مج 11، مادة (غسل)، ص494. وبطرس البستاني، محيط المحيط، مادة
(غسل)، ص659.

³ - ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، مصر،
1979م، ص337-339.

⁴ - ينظر: محمد بدري عبد الجليل، المحاجز وأثره في الدرس اللغوي، دار النهضة العربية، بيروت،
1986م، ص75. ومحمد غاليم، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، دار توبقال للنشر، ط1، الدار
البيضاء، 1987م، ص22.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

عنون جمع عوان، وهي الأرض التي قد أصابها المطر مرة، وهذا مثل، وأصله في النساء. قال الكسائي: العوان التي قد كان لها زوج ومنه قبل حرب عوان.¹ والقالي هنا، يحاول تأصيل معاني بعض الألفاظ وكيفية تطورها من معناها الخاص إلى العام، أو كيف كانت تحمل دلالة عامة ثم تخصصت معانٍ جزئية، وهذا يدخل ضمن ظاهرة التطور الدلالي.²

فمن خاذج تحديد القالي دلالة اللفظ عن طريق تحصيص هذه الدلالة، ما جاء في تفسيره لفظ "شِمْنَه" في بيت طفيلي الغنوبي:

ظَعَائِنُ أَبْرَقْنَ الْخَرِيفَ وَشِمْنَه

قال: شِمْنَه: أبصرنه، والشِّيم: التّظر إلى البرق خاصة.³

ومن دلالات اللغة ما ذكره ابن منظور: "شَامَ السَّحَابُ وَالْبَرْقُ شِيمًا: نظر إليه أين يقصدُ وأين ينظرُ. وقيل: هو التّظرُ إليهما من بعيدٍ، وقد يكون الشِّيمُ التّظرُ إلى النار".⁴

وجاء في تفسيره لفظ "النَّعَم" في بيت المهلل ابن ربيعة:⁵

فَلَا وَأَبِي جَلِيلَةِ مَا أَفَانَا
مِنَ النَّعَمِ الْمُؤْبَلِ مِنْ بَعْرِ

¹ - القالي، الأمالي، 1/171.

² - ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، القاهرة، 1984م، ص152-160. وعبد الكريم محمد حسن، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية، 1997م، ص29-35.

³ - القالي، الأمالي، 2/40.

⁴ - لسان العرب، ابن منظور، مادة (شيم)، مج 12، ص330.

⁵ - المهلل بن ربيعة، ديوانه، شرح وتحقيق: محمد علي أسعد، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 2000م، ص113.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

قال: والنَّعْمُ: الإبل خاصة، فإن اختلط بها الغنم جاز أن يقال نَعْمٌ، ولا يجوز أن
يقال للغنم وحدها نَعْمٌ.¹

وهو ما أكدته صاحب معجم "محيط المحيط" في قوله: "النَّعْمُ وَتُسْكِنُ عينه الإبلُ
والشاه أو خاصٌ بالإبل ... وهو جَمْعٌ لا واحدٌ له من لفظه وأكثر ما يقع على الإبل.
قال أبو عبيد: النَّعْمُ الْجِمَالُ فَقَطْ".²

وقال في تفسير قول كثير:

أَلَا حَيَّا لِيلَى أَجَدَّ رَحِيلِ
وَآذَنَ أَصْحَابِي غَدًا بِقَفْولِ

بقفولٍ برجوعِ، والقافلة الراجعة من سفرٍ، ولا يقال للذين خرجوا من بيوتهم إلى
مكة قافلة.³

جاء في لسان العرب: "قال أبو منصور: سميت القافلة قافلةً تفاؤلاً بِقُفُولها عن
سفرها الذي ابتدأته، قال: وظنّ ابن قتيبة أن عوام الناس يغلطون في تسميتهم التاهضين
في سفرٍ أنشؤوه قافلة، وأنها لا تسمى قافلة إلا منصرفٌ إلى وطنها، وهذا غلطٌ، مازالت
العرب تسمى التاهضين في ابتداء الأسفار قافلة تفاؤلاً بأن يُسِّرَ اللَّهُ لَهَا الْقُفُولُ، وهو
شائعٌ في كلام فصحائهم إلى اليوم".⁴

وفسر لفظة "الرّداء" في قول كثير:

غَمْرَ الرِّداءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا
غَلِقَتْ لِضِحْكَتِهِ رَقَابُ الْمَالِ

¹ - القالي، الأمالي، 2/134.

² - محيط المحيط، بطرس البستاني، مادة (نعم)، ص 904.

³ - القالي، الأمالي، 2/65، 67.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (قفل)، مج 11، ص 360.



التوزيع السياقي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

يريد بالرداء ههنا البدن، والعرب تقول فدّي لك ردائي، وفدي لك ثوبك ي يريدون¹ البدن.

ويفسّر القالي، أحياناً، المحاز بعلاقة الاستعارة، جاء عنه في تفسيره بيت ذي الرمة:

**أنقاءُ سارِيَةٍ حلَّتْ عَزِيلَهَا
من آخر الليل ريحُ غيرٍ حُرجُوج**

العزالي: مخارج مائتها مستعارة من المزادة، لأن العزلاء فم المزادة وهذا مثل.²
وللقالي طرقٌ عدة في شرح المعنى وعرضه، وأكثر ما يميز شرحه للكلمات المفردة،
هو محاولة تحديد المعنى وتحليله؛ إما عن طريق ذكر المرادف، أو أقرب لفظ لمعناه،³ وإما
عن طريق ذكر خصائص اللفظ المفرد المفسّر، من ذلك ما جاء في تفسيره لفظة "الورقاء"
في قول الشاعر:

**إِنِّي رأَيْتُكِ كَالْوَرْقَاءِ يُوْحِشُهَا
قُرْبَ الْأَلْيَفِ وَتَغْشَاهُ إِذَا نَحَرَاهَا**

قال: الورقاء: دُوَيْة تنفر من الذئب وهو حيٌّ وتغشاها إذا رأت به الدم.⁴
وقد علق عليه أبو عبيد البكري صاحب "التنبيه"، بقوله: «لا أعلم أحداً أنسد
هذا البيت إلا أباً علي، والتفسير الذي ذكره خلاف للمعمود في ذكران الحيوان وإناثه،
وكيف يسمى أليفاً من يوحش قربه! وإنما الأليف من يوحش بعده ويؤنس قربه،
والمحفوظ في هذا ما رواه ثعلب عن ابن الأعرابي عن أبي بكر -رحمهم الله- أن الذئاب

¹ - القالي، الأمالي، 295/2.

² - القالي، الأمالي، 151/1.

³ - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص39. وعبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، ص301.

⁴ - القالي، الأمالي، 1/59.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

إذا رأي ذئبا قد عقر وظهر دمه أكبت عليه تقطّعه وتمزقّه، وأنثاه معها تصنع
كصنيعها». ¹

وقد لا يقف القالي في شرحه عند هذه الحدود، فتراه يحاول أن يحدد قيمة هذه
الخصائص والصفات ومدى جودتها. قال في شرحه لقول ابن ميادة:

ثُبَادِ الرِّضَاءِ قَبْلَ الْإِشْرَاقِ بِمَقْنَعَاتِ كَفِعَابِ الْأَوْرَاقِ

قال: المقنع الفم الذي يكون عطف أسنانه إلى داخل الفم، وذلك القوي الذي
يقطع به كل شيء، فإذا كان انصبابها إلى خارج فهو أدق، وذلك ضعيف لا خير فيه. ²

إن هذه الطريقة في شرح الكلمة المفردة تقترب كثيرا من النظرية التحليلية للمعنى
عند اللغويين المعاصرين، ³ والتي تحاول حصر الخصائص التكوينية، أو مجموع الملامح
التي تشكل في تكاملها محتوى الكلمة ومعناها.

والمتفق عليه أن الشرح أو التفسير إنما المدف منه تحديد المعنى وإجلاء الغموض
عنه، لكن القالي في مواضع من التفسير الذي يعرضه، فسر الألفاظ بمرادفات غامضة، غير
واضحة المعنى، فتراه مثلا يفسر لفظة "الحرض" في قول أبي بكر يصف لرجلي إبلًا:

تَرَبَّعَتْ فِي حُرُضٍ وَحَمْضٍ الْحُرُضُ: الْأَسْنَانُ. ⁴

¹ - أبو عبيد البكري، التبيه على أوهام أبي علي القالي في أماله، ص36.

² - القالي، الأمالي، 24/2.

³ - ينظر: عبد الحليل منصور، علم الدلالة أصوله ومتناهيه في التراث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001م، ص92.

وأحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص39.

⁴ - القالي، الأمالي، دار الكتب العلمية، دط، 1/81.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

والرَّبُّ بِالنَّامُوسِ وَالْقُتْرَةِ فِي شِرْحِه لِبَيْتِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ دَرِيدٍ الَّذِي قَرَأَ عَلَى

¹ رؤبة:

فَبَاتَ وَالنَّفْسُ مِنَ الْحِرْصِ الْفَشَقْ
فِي الرَّبِّ لَوْ يَمْضِغُ شَرِيًّا مَا بَصَقَ
أَوْ أَنْ يَقْدِمْ شَرِحاً مِنْهُمَا لِلْفَظَةِ، كَمَا فِي تَفْسِيرِه لِلْفَظَةِ "الْنُّبْثَةُ": بِأَنَّهَا الرَّكِيَّةُ الَّتِي
تَخْرُجُ نَبِيَّهَا، فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:²

مُعَوَّذِينَ الْحَفَرَ حَفَارِيهَا
لَقَدْ حَفَرْتُ نُبْثَةً تُرْوِيهَا
وَ"الدَّرَانِكُ" بِالْطَّنَافِسِ وَاحِدَهَا دَرْنُوكُ،³ فِي شِرْحِه لِحَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ دَرِيدٍ عَنْ
وَصْفِ أَعْرَابِيِّ لِلنِّسَاءِ.

وَ"الْمِرَاطُ" بِالسَّهَامِ الَّتِي قَدْ تَرَكَتْ رِيشَهَا، فِي شِرْحِه لِبَيْتِ أَبِي كَبِيرِ الْمَذْلِيِّ:⁴
إِلَّا عَوَاسِرُ كَالْمِرَاطِ مُعِيَّدَةٌ
بِاللَّيلِ مَوْرِدٌ أَيْمَ مُتَفَضِّلٌ
فَمُثِلُّ هَذِهِ التَّفَاسِيرِ لَا تَقْدِمُ لِلقارئِ مَفْهومًا وَاضْχاً، لِيَقُولَّ مَدْلُولُ الْفَظِّ الْمَرَادُ
تَفْسِيرِهِ بِحَاجَةٍ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ التَّحْدِيدِ.

وَالقالي على الرغم من سعة ثقافته ومقدراته اللغوية، قد حاول أن يعبر عن جملة المدلولات التي يمكن أن يحملها الدال الواحد، وما قدمه من شروح وتفاسير، حتى وإن كانت قليلة، فهذا لا يعد قصورا لأن ألفاظ النص محدودة ومعانيها غير نهائية، يقول بول فاليري: «لا يوجد معنى حقيقي للنص؛ لأن المعنى يتهرّب باستمرار، ويتعالى على كل نقدي سخيف أو غير جدي؛ لأن الحلك الأنساسي لقيمة النص هو أنه متّحرك ليس له معنى»

¹ القالي، الأمالي، 1/37.

² القالي، الأمالي، 1/152.

³ القالي، الأمالي، 1/44.

⁴ القالي، الأمالي، 2/92.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

سابق ثابت، فمعنى النص الأدبي يتجدد مع كل قراءة، ومع كل قارئ بشكل جديد غير متظر. إن للنص دلالات بعد قرائتها¹.

ومن الشواهد الكثيرة التي أظهرت اهتمام القالى بالقرائن غير اللغوية (سياق المقام / الحال) وتوظيفها لغرض الإجلاء عن معانى ودلالات النصوص المشروحة ما ذكره في شرحه لحديث أبي بكر بن دريد رحمه الله، يقول فيه: "بینا رسول الله صلی الله علیه وسلم ذات يوم جالسا مع أصحابه إذ نشأت سحابة، فقالوا: يا رسول الله، هذه سحابة، فقال: "كيف ترون قواعدها"...."².

نلاحظ أن في النص مجموعة من القرائن غير اللغوية (مجلس، اسم إشارة، ...) كلها تساعد على تعيين مدلول الألفاظ الواردة فيه، قال القالى: "قواعدها: أسافلها، واحدتها قاعدة...ورحاتها: وسطها ومعظمها، وكذلك رحى الحرب: وسطها ومعظمها".³.

فتفسيره للفظة (رحى) وربطها بلفظة (الحرب) فيه وصف لطريقة توزيع الجيش في ساحة الحرب إذ شبهه القالى في استدارته بالسحابة.

ولم يغفل القالى الإطارين الزماني والمكاني في الكثير من شروحاته، كما في قوله: "...أنشدنا أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه النحوي يوم الأحد في سوق الثلاثاء على باب الكلواذى..."⁴.

¹ - شريف بشير أحمد، آفاق المصطلح وأعمق المفهوم الأسلوب ثوذجا، مقال، مجلة علامات، ج 16. مج 64، جدة، 2008م، ص 24.

² - القالى، الأimalي، 8/1.

³ - القالى، الأimalي، 8/1.

⁴ - القالى، الأimalي، 30/1.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

ففي قوله: "يوم الأحد في سوق الثلاثاء..." تعين للنص بسياسيه الزمااني والمكاني معا.

وفي قوله أيضا: "حدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن قال سمعت عمي يُحدّث سُرّان أبو العباس ابن عمه - وكان من أهل العلم - قال: سهرت ليلة من لياليَ بالبادىء، وكانت نازلاً عند رجلٍ من بنى الصيادة من أهل القصيم...".¹ إذ تمثل هذه القرائن اللغوية وغير اللغوية الإطار العام الذي تشكّل في ضوئه دلالة النصوص.

لقد وقف القالي في شروحه - كثيراً أمام عدد من العناصر الأساسية في سياق الحال أو المقام، فقد عنى بوصف حال المتكلّم (الشاعر، الناشر)، ومناسبات الأشعار في درسه لعنصر التاريخ، حتى أنه لم يغفل الإطار الزمااني والمكاني لكثير من نصوصه، ولذلك عرف لدى اللغويين مصطلح "القرينة السيافية" إشارة منهم إلى بعض القرائن التي تحف بالنص بحيث تساعده على بيان مجملٍ أو تقييد مطلقٍ، أو كشفٍ مبهمٍ، أو ترجيح معنى على آخر. «فالسياق في بعض الأحيان يكون ظاهراً بارزاً لا يحتاج إلى كثير من النظر والتدارك ليظهر، وأحياناً يحتاج إلى شيء من ذلك، وأحياناً يكون السياق لفظياً وأحياناً يكون مقامياً، وأحياناً يكون السياق سياق نظم أو سياق لفظ مفرد». ²

بعد هذا العرض الموجز، يمكن إجمال أهم النتائج في:

- سعة معارف القالي اللغوية وتتنوع آثاره ودقة تفاصيله في مختلف فنون العربية؛ إذ لم يكن صدئاً لمن سبقوه، فكانت له آراؤه واستدراكاته لكثير من القضايا اللغوية، التي تعتمد على الرواية الصحيحة والحججة والفهم.

¹ - القالي، الأمالي، 1/169، 160.

² - طه جابر العلواني، السياق، المفهوم، المنهج، النظرية، مقال، ص 48، 49.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

- اهتم القالي في شروحه بتناول الروابط المعنوية والموضوعية التي تصل بين الألفاظ، أو ما يعرف عند اللغويين بالترادف، المشترك اللغطي، الحقول الدلالية، ...
- اتضح أيضا أنه يمكن أن يستخلص من شروح القالي معجم لغوي، لأن القالي كان شديد الحرص على ضبط كل مفردة غريبة ضبطا لا يتحمل اللبس، مبينا معناها، منبئها على الأبنية المختلفة فيها، مع الإشارة إلى المشهور من تلك الأبنية، والتي ترد غالبا إلى اختلاف اللغات.
- إن المهد الأسمى من هذه الدراسة، هو تصليل وربط قضايا الدرس اللغوي الحديث في مختلف مستوياته بالدرس اللغوي القديم، الذي يشكل مصدر الكثير من القضايا وأصولها.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أبو عبيد البكري، التبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه، دار الجيل، ط2، بيروت، 1987م، (ملحق بكتاب ذيل الأمالى والنوادر).
- 2- أمين علي عبد اللطيف، عبقرية النثر العربي دراسة لغوية تحليلية في كتاب "الإشارات الإلهية" لأبي حيان التوحيدي، تقليل: مصطفى رجب، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، الاسكندرية، 2008م.
- 3- ابراهيم لغويل، السياق وأثره في المعنى (دراسة أسلوبية)، المهدى أكاديمية الفكر الجماهيري، 2011م، بنغازي.
- 4- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- 5- أبو علي القالي، الأمالى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.
- 6- أبو علي القالي، الأمالى، دار الكتب العلمية، بيروت، دط.
- 6- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، القاهرة، 1998م.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

- 7- التعالي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1974م.
- 8- السيد أحمد الماشي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية صيدا، بيروت.
- 9- بطرس البستاني، محيط الخطيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م.
- 10- زينة مدواس، نظرية النظم عند الجرجاني في ضوء النظرية السيافية الحديثة، مذكرة لليل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمر - تizi وزو - 2001-2002م.
- 11- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، ط12، القاهرة.
- 12- عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001م.
- 13- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استيراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بنغازي، 2004م.
- 14- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر، ط1، الدار البيضاء، 2000م.
- 15- غنية تومي، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مقال بمجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع6، 2010م.
- 16- محمد إقبال عروي، دور السياق في الترجيح بين الأقوال التفسيرية، مراجعة منهجية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، الكويت، 2007م.
- 17- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، 2013م، القاهرة .
- 18- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، القاهرة، 1984م.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

- 19- ابن السكيت، الأضداد، حققه وقدم له ووضع فهارسه: محمد عودة سالمة أبو جري، راجعه: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- 20- ابن السيد البطليوسى، المثلث، تحقيق ودراسة: صلاح مهدي على الفرطوسى.

21- ابن النديم، الفهرست، تحق: ناهد عباس عثمان، دار قطرى ابن الفجاءة، ط1،

م1985

22- ابن خلkan، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت.

- 23- أبو عبيد البكري، سبط الالى شرح أمالى القالى، تحق: عبد العزيز اليميني
<http://www.shamela.ws>

24- أحمد بن محمد المقري التلمصاني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب،
تحق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988 .

25- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية - حقل تعليمية اللغات-
ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000م.

26- إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مكتبة
الإسلامية والجعفرية تبريزی، ط3، طهران، 1397هـ، 1977م.

27- حسين خالفي، البلاغة وتحليل الخطاب، دار الفارابي، ط1، بيروت، 2011م.

28- الطاهر بومزير، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية نظرية رومان
حاكسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، 2007م.

29- الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنوية دراسة تحليلية ابستيمولوجية، دار
القصبة للنشر، الجزائر، 2001م، .



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

- 30- المهلل بن ربيعة، ديوانه، شرح وتحقيق: محمد علي أسعد، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 2000م.
- 31- تمام حسان، احتهادات لغوية، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2007م.
- /، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، مصر، 1979م.
- 32- ديوان الخنساء، اعنى به وشرحه: حمدو طماس، درا المعرفة، ط2، بيروت، 2004م.
- 33- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1418هـ.
- 34- روبيتر-هـ، موجز تاريخ علم اللغة، تر: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، 1988م.
- 35- شريف بشير أحمد، آفاق المصطلح وأعمق المفهوم الأسلوب نموذجاً، مقال، مجلة علامات، ج 64، مج 16، جدة، 2008م.
- 36- صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، 2008م، ص380.
- 37- طه حابر العلواني، السياق، المفهوم، المنهج، النظرية، مقال، مجلة الإحياء، الرابطة الحمدية للعلماء، الرباط، 2007م.
- 38- عبد القادر عبد الجليل، معجم الأصول في التراث العربي، دار صفاء للنشر، ط1، عمان، 2006م.
- 39- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1995م.



التوزيع السيافي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

- عبد الكريم محمد حسن، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية، 1997م.
- عبد التّعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحديثين دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2007م.
- عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بنغازي، 2004م.
- فردinan دي دوسوسيير، دروس في الألسنية العامة، تعریف: صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، 1985م.
- محمد بدري عبد الحليل، المجاز وأثره في الدرس اللغوي، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م.
- محمد غاليم، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 1987م.
- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتحاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بنغازي، 2004م.
- /، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بنغازي، 2004م.
- /، المعنى وظلال المعنى "أنظمة الدلالة في العربية"، دار المدار الإسلامي، ط2، بنغازي، 2007م.
- محمد مصطفى أبو شوارب، أبو علي القالي ومنهجه في رواية الشعر وتفسيره، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.
- محي الدين محسّب، التحليل الدلالي في الفروق في الدلالة لأبي هلال العسكري، دراسة في البنية الدلالية لمعجم العربية، دار المدى للنشر، 2001م.



مجلة جامعةالأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسطنطينية الجزائر

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 693-661 تاريخ النشر: 25-03-2021

التوزيع السياقي عند أبي علي القالي ----- د. نعيمة روابح

- 49- مصطفى حميده، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، القاهرة، 1997م.
- 50- وليد محمود خالص، المباحث النقدية في أمالی المرتضی، دار الحوار للنشر، ط2، سوريا، 1995م.
- 51- ياقوت الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأریب إلى معرفة الأدیب، تحق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1993 م .
- 52- يوسف عيد، دفاتر أندلسية في الشعر والنشر والنقد والحضارة والأعلام، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2006 م .



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - فلسطينية الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 730-694 تاريخ النشر: 25.03.2021

إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي في ضوء الدرس اللغوي أحاديث سر صناعة الإعراب أموزجاً

The substitution of the vowels letters to the Hamza from at Ibn Jinni in the light of the modern linguistic lesson –The case of Sir u sina'at al Irab -(the Secrets of forming desinential inflections)

الطالب أحسين مسيف

mecifelhosseyn@gmail.com

د. نور الدين بوزناشت

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - فلسطينية

تاريخ القبول: 2020/12/22

تاريخ الإرسال: 2020/03/09

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تتبع آراء ابن جنّي حول ظاهرة إبدال المهمزة من حروف العلة في كتابه "سر صناعة الإعراب"، في ضوء ما استجدّ في علم اللغة الحديث، وهي إذ تسعى إلى ذلك فهي تزعم الولوج إلى هذه الظاهرة ومحاولة تفسيرها وإيضاحها وتبيين مُبئّمها، والوقوف أمام أهمّ الآراء التي يتبّعها ابن جنّي في سعيه لتفسير أسباب همز حروف العلة، ومقابلتها بأبرز المشاكل التي طرحها المحدثون، والتي جعلتهم ينصرفون عن توجيهات القدماء، ولا يقبلون تأوييلهم وتفسيرهم.

الكلمات المفتاحية: المهمزة، حروف العلة، الإبدال، ابن جنّي، علم اللغة الحديث.

Abstract:



إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

This study seeks to track the opinions of Ibn Jinni on the substitution's phenomenon of the vowels letters to the Hamza in his book "Sir u sina'at al-Irab", in the light of what has been updated in the modern linguistic. During this process, it tries to explain this phenomenon and clarify it, showing its ambiguities, as well as the identification of the most important views expressed by Ibn Jinni in his attempt to explain the reasons for the vowels letters' substitution to the Hamza before comparing them with the most prominent problematic raised by the modern linguists, which made them turn away from the guidance of the ancient linguists by rejecting their interpretation and explanation.

Keywords:

Al-Hemzah -The Vowels - The Substitution - Ibn Janni - The Modern linguistic

المقدمة:

شهدت الدراسات اللغوية في العصر الحديث تطوراً علمياً هائلاً، اتجهت من خلاله إلى دراسة اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف القائم على تسجيل الواقع في إطار سياقها وطبيعتها، هدفها البحث عن خصائص اللغات كافة، ثم استخلاص قوانينها العامة، وذلك بالنظر الوعي والمعالجة اللغوية الصّرف، والتي يمكن أن تخضع لما تخضع له الظواهر العلمية الأخرى حتى تنتهي إلى قوانين ثابتة، ويعُدّ علم الأصوات - بشقيه العام والوظيفي - أبرز مجالات اللغة تطوراً، إذ صار يخضع في جملته إلى قوانين ثابتة، باتّكائه على المعامل وأجهزة القياس ومراكم البحوث الصوتية، حتى غداً ذا قيمة جليلة بين المستويات الأخرى، وكان هذا التّطور الذي شهدته علم الأصوات بمثابة ثورة على النّزعات التعليمية والأحكام المعيارية، فأعيد النّظر في كثير من الأحكام



إبدال الممزة من حروف العلة عند ابن جنّي ——— ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

التي كانت تبدو ثابتة، وروجعت كثیر من التّنظريات والآراء التي ظلت راسخة قروناً طوالاً، ولعلّ من أبرز الظواهر التي أثیرت في الوسط اللغويّ، والتي أعيد النّظر فيها من خلال التّحليل الصوّيّ الحديث، ظاهرة إبدال الممزة من حروف العلة، والتي تعدّ من الإشكالات بين الدراسات الصوّيّة القدیمة والحديثة، إذ اختلفت التأویلات وتنوعت، حتّى وصلت إلى حدّ تخطئة المتقدّمين ووصفها بالاضطراب وعدم الدقة والوضوح.

وعليه تبلور إشكالية هذه الدراسة: كيف عالج الحدّثون تفسيرات ابن جنّي لقضايا إبدال الممزة من حروف العلة؟ وللإجابة على هذه الإشكالية يضع البحث أمامه فرضيتين اثنتين: هل وُفق القدّماء عموماً وابن جنّي خصوصاً في تخريج ظاهرة همز حروف العلة؟ أم أنّ للمحدثين رأي آخر؟، من هنا تأتي أهمية هذا البحث، والذي يهدف إلى محاولة تفسير ظاهرة همز حروف العلة تفسيراً علمياً، متبعاً في ذلك المنهج الوصفي القائم على سرد الحقائق والظواهر اللّغوية كما هي موجودة في الواقع .

1. قواعد إبدال الممزة من حروف العلة بين القدّماء والمحدثين:

1.1 عند القدّماء:

نالت ظاهرة الممزة حيزاً مهمّاً من التّفكير اللغويّ العربيّ، حيث شغلت اهتمام اللغويين، فعقدوا لها فصولاً مطولة ومباحث متعددة، وأثارت بينهم مشكلات عديدة، "وكان الموضوع الرئيس الذي شغل أذهانهم هو علاقة الممزة بالمصوتات الطّوال، وقد تناولوها لا على أنّها علاقة صامت بمصوت، بل اختلفوا في طبيعة الممزة كحرف صحيح، أو علة، أو شبيه بالعلة، وربطوا بين الممزة وكلّ من الألف والواو والياء ربطة



إبدال الممزة من حروف العلة عند ابن جنّي ——— ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

صوتياً، تتحت عنه هذه القواعد الموضوعة لضبط حالات التبادل بينها، والتي رأوا بعضها واجب الحدوث، وبعضها جائزه، وبعضها شاذ¹.

ويمكن أن نصنّف قواعد إبدال الممزة من حروف العلة عند القدماء، وفق ثلاثة

مستويات:

أ/- ما تبدل فيه الممزة من الألف والواو والياء وجواباً.

ب/- ما تبدل فيه الممزة من الواو والياء جوازاً.

ج/- ما تبدل فيه الممزة من الألف والياء شذوذًا.

أما إبدال الممزة من الألف والواو والياء وجواباً، فيحدث في أربع مسائل:

الأولى: إذا تطرّفت إحداهما بعد ألف زائدة، نحو: كساء، وبناء، وحراء.

الثانية: أن تقع الواو أو الياء عيناً لاسم فاعل أعلّت عين فعله، نحو: قائل وبائع،

الأصل: قاول وبائع.

الثالثة: إبدال حرف المدّ الزائد الثالث همزة إذا جمع على مثل: مفاعل، نحو:

قلادة قلائد، صحيفة صحائف.

الرابعة: إبدال كلّ من الواو والياء همزة، إذا وقع ثانٍ حرفين لينين بينهما ألف

مفاعل، سواء أكان اللّيّنان ياءين، مثل: نياف جمع: نيف، أو واوين، مثل: أوائل جمع

أوّل، أو مختلفين، مثل سيائد جمع سيد وأصله: سيد.

وبتبدل الممزة من الواو والياء جوازاً في ثلاث مسائل:

الأولى: من الواو المضمومة ضمة لازمة غير مشدّدة، نحو: وجوه وأجوه.

¹ - عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط،



إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

الثانية: من الياء المكسورة بين ألف وباء مشددة، نحو: رائي.

الثالثة: من الواو المكسورة المصدر، نحو: شاح وشاح.

وأمّا إبدال المهمزة شذوذًا كان ترتجح همزة لا أصل له، ولا قياس يعده، نحو:
جأن ورجأ¹.

2.1 عند المحدثين:

يرى المحدثون أن إبدال القدماء لحرف المهمزة قد اعتوره خلطٌ كثير، وذلك لعدم وجود علاقة صوتية بين المهمزة من جهة وبين حروف العلة من جهة أخرى مطلقاً، تعين على القول بإمكان حدوث تبادل بينهما، طرداً أو عكساً، سواء أكان إبدالاً واجباً أم جائزًا أم شاذًا، ومقتضى هذا الحكم، فقد أقرّوا بخطأ القدماء في كلّ ما زعموه من دعوى الإبدال في هذا الباب، بسبب عدم وجود العلاقة الصوتية لحدوث الإبدال².

ويرى المحدثون أن الطريقة التي عالج بها علماؤنا القدامي ظواهر الإعوال تحتاج إلى إعادة نظر، ذلك لأنّهم "اهتمّوا باللغة في جانبها المكتوب أكثر من اهتمامهم بالجانب المنطوق، وتعاملوا مع الكلمة على اعتبار أنها من طبيعة بصريّة، أي على اعتبار أنها رسم كتابي، ونسوا أو تناسوا طبيعتها النطقية، مما أفقدها أهمّ خصائصها، وعقد قواعد هيئاتها تعقیداً لا داعي له، ولو أن علماءنا لم يقتصروا في النظر إلى الكلمة على شكلها الكتابي، ونظرموا إليها وإلي حر كاتها نظرة مختلفة، وميزوا بين الرسم الخطّي، وحال النطق

¹ - ينظر: شرح الأشنونى على ألفية ابن مالك، قدم له ووضع هوامشه: حسن حمد، إشراف الدكتور: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998، ج 4، ص 87 وما بعدها، وينظر كذلك: القراءات القرآنية لعبد الصبور شاهين، ص 51 وما بعدها.

² - عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 77



إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

الذي قد تختلف طبيعته عمّا هو مكتوب، وحاولوا التوفيق بين المكتوب والملفوظ في نظامنا اللغوي، لتمكنوا من استنباط قواعد بسيطة تغني عن كلّ هذه المصاعب، وكان من الممكن أن تصير الأقىسة والنظريات التي اعتمدوها في طرح قضايا الإعلال ومعالجتها أبسط وأيسر¹.

وانطلق المحدثون في تفسيرهم من فكرة رئيسة، هي انعدام العلاقة الصوتية بين المهمزة وحروف العلة، فهناك تعارضٌ كاملٌ بين طبيعة المهمزة من جانب، وطبيعة الحركات من جانب آخر، فالهمزة صوت حنجرىًّ انجاريًّا مهموس، وهي بذلك تعدّ من الصّوات، بينما حروف العلة أصوات اطلاقية، تخرج من منطقة الفم بعيدًا عن الحنجرة والحلق واللهاة، وهي أصوات مجهرة، فالمخرجان متبعادان كلّ البعد، وهو السبب الرئيس في امتلاع عملية الإبدال بينهما².

فالطبيعة الإنتاجية لحروف العلة في ضوء علم اللغة الحديث، ناجمة عن تتابع الحركات المختلفة طويلة أو قصيرة، فإذا تتابعت حركة الفتحة والكسرة هكذا:

$$y \frac{a+u}{w}$$
 نتج صوت الياء، وإذا تتابعت حركة الفتحة والضمة هكذا: نتج صوت الواو، أي أنَّ الانزلاق بين الحركتين المختلفتين هو في الحقيقة ما يسمى بالياء أو الواو، وإذا لم يحدث هذا الانزلاق نتيجة الفصل بين الحركتين لم تنتج الواو أو الياء³.

¹ عبد المقصود محمد عبد المقصود، دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2006، ص ص 5، 6

² عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، 1980، ص 172

³ المرجع نفسه، ص 30



إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

وكان مِن عَابٍ عَلَى الْمُتَقَدِّمِينَ تَفْسِيرُهُم لظاهره همز حروف العلة الباحث عبد الصبور شاهين، الذي حاول أن يقدم تفسيرًا جديداً قائماً على أساس النّبر، إذ يرى أنّ أساس الحلّ لن يأتي إلّا عن طريق التّحليل الصّوتيّ للعناصر المركبة، وعن طريق هذا التّحليل نستطيع التّعرّف على ما تبقى من العناصر الصّوتية وما حذف منها، كما نستطيع تحديد وظيفة الهمزة في السياق الصّوتيّ، وهو إذ يقرر ذلك فهو يبني تفسيراته على مجموعة من المبادئ، أهمّها:

1. الأصل والأغلب في الوقف هو السّكون، ومقتضى هذا أنّه لا يوقف على متتحرّك، وبعبارة أخرى لا يوقف على مقطع مفتوح، ولكنّهم لم يطبقوا ذلك منهجيًّا، بل اعتبروا حروف العلة وأشباهها سواكن لا حرّكات، ولكنّ جاز ذلك بالنسبة لأنّه حروف العلة فإنّه لا يجوز بالنسبة لحروف العلة نفسها إلّا ضرورة نحوية أو دلالية.

2. قالوا: لا يبدأ بساكن بل بمتتحرّك، فقد أغفلوا النّصّ على أنّه لا يبدأ بحركة، وهو طبعًّا في اللسان العربيّ لم يتعود خلافه، والسبب في إغفالهم هذه الخاصية النّطقية أنّهم لم يمنحوا الحركة وجوداً مستقلّاً عن السّاكن، بل تصوّروها دائمًا تابعاً له، وبديهيّ أنّهم أخرجوا حروف العلة وأشباهها من جملة الحرّكات، وهي في رأينا تكبّر للحرّكات، أو تركيب لا يستساغ في بداية الكلمة.

3. ومن المسلّم به أنّ العرب يكرهون النّطق بمقاطع مفتوحة متوالياً، ومن ثمّ لجأوا إلى إغفال بعض هذه المقطوع المفتوحة، وهو ما اتّخذ أحياناً صورة "الإسكان"، وأحياناً شكل "الإدغام"¹.

¹ - عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 87، 88، وينظر كذلك: المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربيّ، عبد الصبور شاهين، ص ص



إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

فالمحدثون يرون أنَّ إبدال حروف العلة همزاً، خاضعٌ لجملة من العوامل التي تتصل بخصائص النطق العربي، فالناطق العربي لا يقف على متراكِمٍ، ولا يبدأ بساكنٍ، ويكره النطق بمقاطع مفتوحة متواالية، ومن ثمَّ جأَ إلى إقبال بعض هذه المقاطع المفتوحة، باحتلالِ الهمزة، فاضطراره إلى الهمز إنما وسيلة للهروب من تتابعِ الحركات، أي لتكوين مقطعٍ عربيٍّ سليمٍ، وهو صورة من صور التبر أو المبالغة فيه، فطبعية الهمز عند العربي دليلٌ على وظيفة، قبل أن يكون دليلاً على صوت لغويٍّ، وعليه فالقول بوقوع الإبدال بين الهمزة من جانب، وأصوات المدّ والعلة من جانب آخر، قولٌ لا تؤيده الحقيقة الصوتية، وبعد ما بين الجانبين، وهو أيضاً قولٌ لا ينهض لتفسير مشكلة التغيير الذي تتعرض له الكلمة العربية.¹

2. إبدال الهمزة من حروف العلة عند "ابن جنّي" في كتابه: "سرُّ صناعة الإعراب".

1.2 إبدال الهمزة من الواو والياء:

أ/- إبدال الواو المضمومة أو المكسورة همزة إذا كانت في بداية الكلام: يرى ابن جنّي أنَّ الواو تبدل همزة بدلاً مطرباً إذا انضمت ضمماً لازماً، نحو قوله في وجوه: أجوه، وفي وعد: أعد، وفي وقت: أفتت، ويعلل أبو الفتح سبب إبدال الواو همزة بقوله: "... فإنْ قيلَ ولَمْ الهمزُ في الواو المضمومة؟ قيل: لأنَّ الضمة قد تجري مجرى الواو، وهي واوٌ صغيرة... فلماً كانت الحركة مضارعةً للحرف هذه المضارعة،

173، 174، وينظر أيضاً: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية، نشأة وتطورها، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة منقحة، 2011، ص 151

¹ - عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، ص 173



إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

صارت الواو بمحنة الواوين، فجاز همزها من حيث وجوب همز (واصلة) إذا قلت: (أواصل)، وأصلها في التقدير (وواصل).¹

وعلى هذا المنوال سار الفراء في توجيهه قراءة "إذا الرّسل أفتت"، اجتمع القراء على همزها، وفي قراءة عبد الله: وقت بالواو ... وإنما همرت لأنّ الواو إذا كانت أول حرف وضمت همزٌ... وذلك لأنّ ضمة الواو ثقيلة، كما كان كسر الياء ثقيلاً،² أمّا سيبويه فقد كان يرى بالخيار بين ترك الواو واواً وبين إبدالها همزة، "واعلم أنّ هذه الواو، إذا كانت مضمومة فأنت بالخيار، إن شئت تركتها على حاملها، وإن شئت أبدلت الهمزة مكانها".³

ب/- ما كانت لامه ياءً أو واواً طرفاً بعد ألف زائدة: ومن صور إبدال الهمزة من الواو والياء، ما أورده ابن جنّي "وقالوا أيضًا": قضاء وسقاء وشفاء وكساء وشقاء وعلاء، وكذلك كلّ ما وقعت لامه ياءً أو واواً طرفاً بعد ألف زائدة، وأصل هذا كله: قضاي وشفاوى وكساو وشقاؤ وعلاو، لأنّها من قضيت وسقيت وشفيت وكسوت والشقوة وعلوت، فلما وقعت الياء والواو طرفيين بعد ألف زائدة، ضعفتا لتطرهما ووقعهما بعد الألف الزائدة المشبهة للفتحة في زيادتها"⁴، ويعلل ابن جنّي

¹ ينظر: ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ت: محمد حسن إسماعيل وأحمد شحاته عامر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 2007، ص 106 وص 110

² د. رمضان عبد التواب، مشكلة الهمزة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1996، ص 154

³ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ت: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط 1، 1966، ج 4، ص 331

⁴ ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ص ص 106، 107



إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

مجيء المهمزة بدلاً من الواو والياء في هذه الأمثلة بقوله: "فكما قُلبت الواو والياء ألفاً لتحرّكهما، ووقعهما بعد الفتحة، في نحو: عصا ورحى، كذلك قُلبت ألفاً أيضاً، لتطرّفها وضعفها، وكُون الألف زائدة قبلها في نحو: كساء ورداء، فصار التقدير: قضا، وسقا، وشفا، وكسا، وشقا، وعلا، فلما التقى ساكنان كرّهوا حذف أحدهما، فيعود الممدود مقصوراً، فحرّكوا الألف لالتقائهم فانقلبت همسة، فصارت قضاء وسقاء وشفاء وكساء وعلا¹".

ويذهب أبو الفتح إلى أنّ الموجب في إبدال الواو والياء همسة، هو تطرّفها بعد ألف زائدة، أمّا قوله: عباءة وصلادة وعضاء، فقد كان ينبغي لما لحقتها الهاء آخرأ، وجرى الإعراب عليها، وقويت الياء بعدها عن الطرف ألا يهمز، وألا يجوز فيه الأمان، كما اقتصر في: نهاية وغباوة وشقاؤة وسعادية ورمادية، على التّصحّح دون الإعلال²، ويفسّر ابن جنّي سبب اعتبار الهاء في مثل: غباوة وشقاؤة ورمادية، وعدم اعتبارها في مثل: قناة وقطاء وحصاء، وإن كانت بعدها الهاء بأئمّة إنّما أجرّوا الألف في نحو كساء ورداء مجرّى الفتحة، في أن قلّبوا لها ما بعدها من الياء والواو، كما قلّبوا لفتحة نحو: عصا ورحى، ما دامت الياء والواو طرفين ضعيفين، وإلا فقد كان ينبغي أن تصحّ الياء والواو بعد الألف، لأنّهما إذا وقعتا بعد الحرف السّاكن صحتا، وذلك نحو: ظبي ودلّو، ولكنّهما لما رأوا الألف زائدة كريادة الفتحة، وكانت الفتحة بعض الألف، جوّزوا إعلالهما وقلّبتهما، ما دامتا طرفين ضعيفين، فإذا تحصّنتا وقويتا بوقوع الهاء بعدهما، لم تبلغ الألف من إيجاب قلبهما مبلغ الفتحة الصّريحة، فأمّا قناة وفتاة فإنّ واوهما ويءهما وقعتا بعد

¹ - المرجع نفسه، ص 107

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها



إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

الفتحة المضمة الموجبة للقلب، فلم تبلغ من قوّة الماء معهما أن تُحصّنَ الواوُ والياءُ من إعلال الفتحة المضمة لهما¹.

فابن جنّي يرى أن إبدالَ الواو والياء همزةً يكون إذا وقعتا طرفيَن بعد ألفٍ زائدةٍ، فوقعهما بعد ألفٍ زائدةٍ هو الذي جعلهما طرفيَن ضعيفين، فكان ذلك سبباً في إعلالهما، أمّا إذا وقعت الماءُ بعدهما لم تبلغ المهمزة منهما شيئاً.

ج-/ما كان على وزن "فاعل" من الفعل الأجرف: ومن الأمثلة التي تبدل فيها المهمزة من الواو والياء، قول ابن جنّي: "...وقالوا قائم وبائع، فأبدلوا هما من الواو والياء²، وقال في موضع آخر مبيّناً سبب مجيء المهمزة بدلاً من الواو والياء: " إنما وجب همز عين اسم الفاعل إذا كان على وزن فاعل، نحو: قائم وبائع، لأنَّ العين كانت قد اعترفت فانقلبت في قام وباع ألفاً، فلما جئت إلى اسم الفاعل، وهو على وزن فاعل، صارت قبل عينه ألف فاعل، والعين قد انقلبت ألفاً في الماضي، فالنقت في اسم الفاعل ألفان، وهذه صورتهما: قاًم، فلم يجز حذف إحداهما فيعود إلى لفظ قام، فحرّكت الثانية التي هي عين، كما حرّكت راء ضارب، لأنَّ الألف إذا حرّكت صارت همزة، فصارت قائم وبائع³.

وهذا الذي ذهب إليه أبو الفتح يكاد يكون قاعدة مطردة عند علماء العربية، يقول سيبويه: "اعلم أنَّ فاعلاً منها مهموز العين، وذلك لأنَّهم يكرهون أن يحيي عين

¹- المرجع نفسه، ص 110

²- سر صناعة الإعراب، ابن جنّي، ص 106

³- ابن جنّي، المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، ت: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 244



إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

الأصل مجيء ما لا يعتلّ فعل منه، ولم يصلوا إلى الإسكان مع الألف، وكرهوا الإسكان والمحذف فيه، فيتبّسّ بغيره، فهمزوا هذه الواو والياء إذا كانتا معتلتين وكانتا بعد الألف، وذلك قوله: حائفٌ وبائعٌ¹.

د/ إذا التقت واوان في بداية الكلمة همزُ أولاهما: ومن الأمثلة التي أوردها ابن جنّي، قوله: "إذا التقت واوان في أول الكلمة، لم يكن من همز الأولى بُدُّ، وذلك أنَّ الأولى أصلُها وولٍ..."²، ويفسّر ابن جنّي سبب قلب الواو همزة إلى كراهية التضعيف في بداية الكلمة بقوله: "اعلم أنَّ التضعيف في أول الكلمة عزيز قليل... فلما قلَّ التضعيف في الحروف الصّحاح في أول الكلمة، امتنع في الواو لشقلها، فمن هنا وجِب الهمز³.

وإبدال الواو الأولى همزة في مثل هذه البنى، يطرد في كلام العرب، يقول ابن عصفور: "الواو لا تخلو أن تكون أوّلاً أو غير أوّل، فإن كانت أوّلاً فلا تخلو أن تكون وحدها، أو ينضاف إليها واوٌ آخر، فإن انضافت أخرى أبدلت الأولى همزة هروباً من ثقل الواوين، وذلك نحو قوله في جمع واصل: أوّاصل، أصله: وواصل، وكذلك: أوّل أصله: وول"⁴.

2.2 إبدال الهمزة من الألف:

¹ - سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 348

² - ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ص 110

³ - ابن جنّي، المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، ج 1، ص 332

⁴ - ابن عصفور، المتمع في التصريف، ت: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978، ج 1، ص 332



إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

أ/- **إبدال ألف التائית همزة:** ذكر ابن جنّي أنَّ الألف تبدل همزة، إِمَّا إِبْدالًا مطردًا ، و إِمَّا إِبْدالًا شادًّا مرتَحلاً، فمن الصور التي تبدل فيها الهمزة من الألف إِبْدالًا مطردًا قوله: "وقد اطَّردُ عنْهُمْ قلبَ الْأَلْفِ التَّائِيَّةِ همزةً، وَذَلِكَ نَحْوُ حَمَراءَ وَصَفَراءَ وَصَحَراءَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَالقولُ فِي ذَلِكَ: إِنَّ الْهَمْزَةَ فِي صَحَراءٍ وَبِاَكَاءٍ، إِمَّا هِيَ بَدْلٌ مِنْ الْأَلْفِ التَّائِيَّةِ، كَالَّتِي فِي نَحْوِ حَبْلَى وَسَكْرَى وَبَشْرَى ... إِلَّا أَنَّهَا فِي حَمَراءَ وَصَحَراءَ وَقَعَتِ الْأَلْفُ بَعْدَ قَبْلِهَا زَائِدَةً، فَالْتَّقْوِيُّ هُنَاكَ أَلْفَانُ زَائِدَاتٍ، الْأُولَى مِنْهُمَا الْأَلْفُ الزَّائِدَةُ، وَالثَّانِيَةُ هِيَ الْأَلْفُ التَّائِيَّةُ، فَلَمْ تَخْلُ مِنْ حَذْفٍ إِحْدَاهُمَا أَوْ حَرْكَتِهَا، فَلَمْ يَجِزْ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا الْحَذْفُ، أَمَّا الْأُولَى فَلَوْ حَذَفَتْهَا لَانْفَرَدَتِ الْآخِرَةُ، وَهُمْ قَدْ بَنَوُا الْكَلْمَةَ عَلَى اجْتِمَاعِ أَلْفَيْنِ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَلَوْ حَذَفَتْهَا لَزَالتِ عَلَامَةُ التَّائِيَّةِ الَّتِي وَسَمَّتُ الْكَلْمَةَ بِهَا، وَهَذَا أَفْحَشُ مِنَ الْأُولَى، فَقَدْ بَطَلَ حَذْفُ شَيْءٍ مِنْهُمَا، وَأَمَّا الْحَرْكَةُ فَقَالَ سِيبُوِيُّهُ: إِنَّهُ لَمَّا اجْزَمَ الْحَرْفَانَ حُرَّكَتِ الثَّانِيَةُ مِنْهُمَا، فَانْقَلَبَتِ هُمْزَةً فَصَارَتْ حَمَراءَ وَصَفَراءَ وَصَحَراءَ، كَمَا تَرَى¹.

ويقلّب ابن جنّي الأمثلة التي ذكرها تقليباً عقلياً ليبرهن بأنَّ الهمزة في باب حماء وصحراء وما أشبههما، إِمَّا هي مبدلة من ألف التائית وليس بمزيدة، ويفسّر العلة التي دعت الناطق العربي إلى قلب الهمزة ياءً في الجمع، "ذلك أَنَّكَ إِذَا صَرْتَ إِلَى الْجَمْعِ لَزِمَكَ أَنْ تَقْلِبَ الْأُولَى ياءً لَانْكِسَارِ الرَّاءِ فِي صَحَاريَّ قَبْلِهَا، كَمَا تَنْقِلِبُ الْأَلْفُ صَحَراءَ الْأُولَى ياءً، فَتَصِيرُ فِي التَّقْدِيرِ: صَحَاريَّ ا، وَصَلَافِيَّ ا، وَخَبَارِيَّ ا، فَتَقْعُدُ الْيَاءُ السَّاكِنَةُ قَبْلَ الْأَلْفِ الْآخِرَةِ الرَّاجِعَةِ عَنِ الْهَمْزَةِ، لَزِوْالِ الْأَلْفِ مِنْ قَبْلِهَا، فَتَنْقِلِبُ الْأَلْفُ ياءً،

¹ - ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ص ص 98، 99



إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

لوقوع الياء ساكنة قبلها، وتدمغ الأولى المقلبة عن الألف الزائدة في الياء الآخرة،
المقلبة عن ألف التأنيث فتصير صهاري⁽¹⁾.

ب/- إبدال **الألف همزة ارجالاً وشنوداً**: ومن الصور التي عرض لها ابن جنّي
والتي تبدل فيها الهمزة من الألف ارجالاً وشنوداً: "نحو ما حُكى عن أيوب السّختياني
أنّه قرأ" ... ولا الضّالّين" فهمز الألف، وذلك أنّه كره اجتماع السّاكين: الألف
واللام الأولى، فحرّك الألف لالتقاءهما فانقلب همزة، لأنّ الألف حرفٌ ضعيفٌ
واسع المخرج لا يتحمل الحركة، فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبه إلى أقرب الحروف
منه وهو الهمزة... وحُكى أبو العباس عن أبي عثمان، عن أبي زيد، قال: سمعت عمر
بن عبيد يقرأ: "فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنسٌ ولا جان" فظننته لحن، حتى سمعت
العرب تقول: شابة ودابة"⁽²⁾.

وذهب ابن جنّي إلى أنّ تحقيق الهمز يكاد يتّسع عن العرب، خاصة في الوقف،
يقول: "وَحَكَى سَيِّدُوهُ فِي الْوَقْفِ عَنْهُمْ: هَذِهِ حَبَّلٌ يَرِيدُ حَبَّلًا، وَرَأَيْتَ رَجَلًا يَرِيدُ
رَجَلًا، فَالْهَمْزَةُ فِي رَجَلًا إِنَّمَا هِيَ بَدْلٌ مِنَ الْأَلْفِ الَّتِي هِيَ عَوْضٌ مِنَ التَّنْوِينِ فِي الْوَقْفِ،
وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَحْمَلَ عَلَى أَنَّهَا بَدْلٌ مِنَ التَّنْوِينِ، لِقَرْبِ مَا بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَالْأَلْفِ، وَبَعْدِ مَا
بَيْنَهَا وَبَيْنَ التَّنْوِينِ، وَلَأَنَّ حَبَّلٌ لَا تَنْوِينَ فِيهَا، وَإِنَّمَا الْهَمْزَةُ بَدْلٌ مِنَ الْأَلْفِ الْبَتَّةِ،
فَكَذَلِكَ أَلْفُ "رَأَيْتَ رَجَلًا"⁽³⁾.

3 . ملاحظات الخدّيين على آراء ابن جنّي:

¹ - المرجع نفسه، ص 100

² - ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ص ص 86، 87

³ - المرجع نفسه، ص 88

^١إيدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نورالدين بوزناشة

1.3 إيدال الهمزة من الواو والياء:

أ/ - إبدال الواو المضمومة أو المكسورة همزة إذا كانت في بداية الكلام:
 شاع بين المحدثين أنّ تعليل هذه الظاهرة مردّه إلى قانون المخالفة، فقد ذهب بروكلمان
 إلى القول إنّ العربية تختلف الواو قبل الضمة إلى الهمزة أحياناً، مثل العلم الشخصي:
 وهيب ← أهيب.¹

وإلى الرأي نفسه ذهب الباحث فوزي الشايب، إذ يقرّ أنَّ إيدال الهمزة من الواو في مثل هذه الكلمات غيرُ صحيحٍ، لأنَّ بعد الشدید بين الواو والهمزة في المخرج وفي الصفة، لا يجعل هناك مجالاً للتبادل بينهما، أمّا الهمزُ في هذه الأمثلة فلا يزيد على كونه مخالفةً بين عنصري المزدوج الصّاعد WU، في مثل: وقت ← أفت ... ولقد عدَ السلف همزَ الواوِ المضمومةِ ضمماً لازماً قياساً مطراً، وهذا غيرُ صحيح، والتفسيرُ الصحيحُ الذي نرتضيه لا يزيد على كونه مخالفةً بين عنصري المزدوج الصّاعد "و: WU" بمحذف شبه الحركة، وتحقيق الحركة فتتحقق الهمزة.²

أما الدكتور رمضان عبد التواب، فقد أرجع علة ذلك في كتابيه "مشكلة المهمزة" و"التطور اللغوي"، إلى الخلقة والبالغة في التفاصح، إذ يرى أنّ العربية يشيع فيها "همز ما ليس أصله الهمز، بسبب عقدة الحجازيين في صوت المهمزة، وتوهّمهم في الأمثلة التي يوجد في مكان منها واوً أو ياءً، انتهما ناجحان عن الانزلاق بين الحركتين، بعد سقوط

^١ - كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، د ط، د ت، ص 77

² فوزي الشّايق، *أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة*، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004.



إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

الهمزة في نطقهم، ولذلك يزيدون في هذه الأمثلة همزات غير أصلية فيها، على طريق
الخزلقة والبالغة في التفصّح.¹

ويرى الباحث عبد الصبور شاهين أنّ القدماء والمحديثين اتفقوا على أنّ الواو
المكسورة والواو المضمومة في أول الكلمة تقلب همزة، وأنّ السبب في القلب ثقلُ الواو
مع كلتا الحركتين، فصيريتين أم طويتين، يقول مفسّراً سبب الهمز "ونردّ نحن سبب هذا
الهمز إلى الاتّجاه العام الذي سبق أن ذكرناه، وهو كراهة أن تبدأ الكلمة في العربية
بحركة".² ومن ثمّ جيء بالهمزة في موقع الواو تصحيحاً لبنية المقطع.

وينحو الباحث أحمد سالم منحى عبد الصبور شاهين، فيعتقد أنه وإن كان هناك
اتفاقٌ بين المتقدّمين والمحديثين في حديثهم عن ثقل الواو المضمومة، وأنّ ما يجري عليها
من تطوير خاضع للجواز، إلا أنّ المتقدّمين يرون أنّ ثمة إبدالاً بين الواو والهمزة، والحقيقة
أنّ الإبدال لا يكون إلا بين الحروف التي بينها تقارب، ولا تقارب بين الواو والهمزة، لذا
فإنّي في هذه المسألة أميل إلى ما رأه عبد الصبور شاهين، الذي يرى أنّ الواو المضمومة
إذا استثقلت فإنّها تسقط، وتأتي الهمزة مكانها، تصحيحاً لبنية الكلمة³، لذلك فهو يرى
أنّ جيء الهمزة مكان الواو، ليس مردّه إلى التّعريض المقطعيّ، وهذا الذي حصل
للكلمات مثل: وجوه ← أجوه:

أجوه

.. جوه

وجوه

¹ - رمضان عبد التّواب، مشكلة الهمزة في اللغة العربية، ص 153

² - عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 129

³ - د سالم أحمد بن حمد، المائلة والمحالفة بين ابن جنّي والدراسات الصوتية الحديثة، دار اليازوري،

الأردن، ط 1، 2011، ص 206



إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

Wuguḥ

.uḡuḥ

uḡuḥ

فالصيغة الأولى (الأصل) جاءت فيها الواو المضمومة التي تشكل مع حركتها الحركة المزدوجة (WU)، وهي حركة مستقلة، إذ يلجأ بعض الناطقين بالعربية إلى التخلص من هذا التّقل عن طريق المخالفنة بين عنصري هذه الحركة (الواو والضمة WU)، وذلك بحذف شبه الحركة الواو وبقاء حركتها، وهذا ما تمتّل الصيغة الثانية، ولما كانت الحركة المزدوجة تشكّل المقطع الأول من الكلمة، صار المقطع الأول بعد حذف شبه الحركة (W) يبدأ بحركة، وهذا لا يجوز البتة في اللغة العربية، لذا تلجاً اللغة لسدّ هذا الخلل عن طريق اجتناب الهمزة، ليصحّ الابتداء بالمقطع الصوتيّ الأول، إذ جاءت الهمزة هنا لا على سبيل الإبدال، بل على سبيل التعويض المقطعيّ، أي لتحلّ محلّ صوتٍ حُذِفَ، للمحافظة على البنية الإيقاعية للكلمة التي حذفت منها الواو¹.

ب/- ما كانت لامه ياءً أو واواً طرفاً بعد ألف زائدة: اتجهت الدراسات الحديثة اتجاهًا معايرًا لما أوضحه ابن جنّي، فالباحث عبد الصبور شاهين يفسّر سبب الهمز في هذه الحالة بخاصية الوقف العربي الذي لا يمكن أن يكون على حركة، مثل: كفاء kisaa+u، فحذفت الضمة المولدة للواو بازدواجها مع الفتحة الطويلة، وأغلق المقطع بصوت صامت هو الهمز، التي تستعمل هنا قفلاً مقطعيًا، تحبّباً للوقف على المقطع المفتوح²، فمردّ الهمزة عند الباحث هو تصحيح نهاية الكلمة، لأنّه "إذا كان الأصل في الوقف هو السكون، فإنّ معنى ذلك أنّ العربية تكره الوقف على مقطع

¹ - المرجع نفسه، ص 207

² - عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص 177



إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

مفتوح، ولذلك تتجه إلى إيقافها بوسيلة ما، ومعنى ذلك أيضاً أنّ نحو: كساو وبني وأمثالهما، يتنهى المقطع الأخير من كلّ منها بحركة، هي أحد عنصري الحركة المزدوجة، التي نشأت عنها الواو أو الياء، وهي حالة في الوقف لا تتفق مع طبيعة النطق العربي، فاتَّ الناطق إغفال هذا المقطع المفتوح، بإحلال الهمزة محلّ صوت اللّين، لا على سبيل الإبدال، بل من أجل تصحيح نهاية الكلمة، ولا توجد علاقة صوتية مطلقاً بين الهمزة وبين الياء والواو توجب إبدالاً ما، بل إنّ الأمرَ عند التّحليل يؤكّد أنّ الذي حُذِفَ من أجل الهمز ليس واوًّا ولا ياءً، وإنّما هو ضمة أو كسرة، كساو: Kis'au (والأصل kis'a^à، فالكتابة الصوتية التّحليليّة للحركة اللّينة المزدوجة تبيّن أنّ نهاية الكلمة التي هي الألف المدوّدة والواو، ليست في الحقيقة سوى: فتحة طويلة + ضمة ('à+u)، ينشأ عن النّطق بما متصلين نصف حركة semi-voyelle، هي الواو W، التي هي في الواقع ذات وجودٍ سياقيٍ phonologique، أمّا من النّاحية الصوتية فـلا وجود لها عند التّحليل، لذا انشطر عنصراها عند الهمز، فضاع شطرُ هو الضمة، وبقي شطرُ هو الفتحة الطويلة¹، ويضيف الباحث شاهين أنّ للهمزة في مثل كساو وبناء، وظيفة أخرى – فضلاً عن مهمتها كوسيلة لإغفال المقطع المفتوح – وهي تقوية التّبر، فعلى الرّغم من أنّه نبرٌ طولٌ، إلّا أنّ اختتام المقطع المنبور بصوت نبريٍّ يمنح النّبر قوّة أخرى².

أمّا الباحث سعيد شواهنة فيرى أنّ ما ذهب إليه الصرفيون في مثل: كساو

¹ - عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 81

² - المرجع نفسه، ص ص 86، 87



إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

← كساا ← كساء، و: بناي ← بنا ← بناء، يتنافى مع العرف الصرّفي في العربية، إذ إنّه لا يوجد ألفاً أصلّاً حتّى تنقلب إلى همزة، وقد ذهبوا - يقصد الصرّفيين - إلى أنّ الألف الأولى حاجزٌ غير حصين، ولم يعتدّوا بها، بل تعاملوا معها على أنّها غير موجودة، وتوهّموا وجود فتحة قبلها، فتمّ التعامل مع الفتحة المتوهّمة، ونعتوا الألف بـ“أنّها ساكنة”， وفي هذه الحالة حرّكت الألف فقلبت همزة، فكيف تحركت الحركة؟، فالألف لا يوجد لها صورة كتابية مشابهة لغيرها، مثل الواو والياء المدّيّتين، فلا توجد ألفاً ساكنة وألف متحرّكة¹.

وهو إذ يعيّب على الصرّفيين صنيعهم، فإنه يتبنّى فكرة الدكتور شاهين "أنّ كلّ ما حدث في هذه البنية وما شاكلها، هو وقوع الواو والياء بوصفهما نصفي حركة في نهاية مقطع ساكنين في حالة الوقف وهما ضعيفان، وزاد من ضعفهما سكونهما، إضافة إلى أنّهما سُبقا بحركة طويلة، فأراد الناطق العربي أن يقوّي البنية، ويعلّق القناة الهوائية المكوّنة من الحركة ونصف الحركة"²، ويختلف مع الدكتور شاهين الذي يرى أنّ الواو مكوّنة من ازدواج الضمة مع الفتحة الطويلة، بينما يذهب هو إلى القول بأنّ الصوت الأخير في مثل: كسا هو نصف حركة، وليس مكوّناً من ضمة وفتحة، فأصل البنية كِسوَّ *ka|sa|wa*، فصيغ المصدر منها على وزن فعال، فتمّ تطويل الفتحة القصيرة التي

¹ - سعيد محمد شواهنة، القواعد الصرف صوتية بين القدماء والمحديثين، دار الوراق للنشر، الأردن،

ط 1، 2007، ص 98، 99

² - المرجع نفسه، ص 198

إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نورالدين بوزناشة

قبل الواو فأصبحت في حال الوقف كساو، فالوقف هنا ليس على حركة بل على نصف حركة، سواء أكانت الواو أو الياء^١.

جـ/- ما كان على وزن "فاعل" من الفعل الأجوف: تفسير هذه الظاهرة في

ضوء علم اللغة الحديث أخذ أبعاداً مختلفة، فالدكتور رمضان عبد التواب يرفض أن يكون التفسير الصوتي أساساً لانقلاب الياء والواو همزة، ذلك لأنّ من يدرس علم الأصوات، ويقف على طبيعة التطور الصوتي، وأنّه يتمّ بين الأصوات المتقاربة الخارج أو الصّفات، يدرك على الفور بعد ما بين الهمزة من جهة والياء والواو من جهة أخرى في المخرج والصفة... ولا تفسير عندنا مثل هذا الانقلاب، إلّا ببدأ الحذلقة والبالغة في التّنفّص مراة أخرى².

ويذهب الباحث عبد الصبور شاهين إلى أنّ المشكلة في هذه البنية يمكن من تتابع الحركات، وأنّ تفسيرها يرجع إلى مجرّد التّعويض المُوّقعيّ، ففي مثل: قاول وبائع، هرب الناطق من تتابع ثلاث حركات في الأوّل: *q'awil*: *q'au*-*il*، التي هي في الحقيقة *il-q'au*، وكان نبره لأوّل المقطع الثاني وسيلة للتّخفيف من ثقل تتابع الحركات، وكذلك في المثال الثاني: بابع ← *b'ayi* الذي هو الحقيقة *i-bà*، فهمز المقطع الثاني هرّبًا من التّتابع، إذ يلاحظ أنّ الواو والياء قد حذفتا، وقد حلّت مكانهما، ولا يعدّ هذا من الإبدال في شيء عند الدكتور شاهين، لأنّ الإبدال يكون في نظره بين حروف المترادفة، ولا يوجد

¹ - المرجع نفسه، ص ص 196، 197

²- رمضان عبد التواب، مشكلة الهمزة في اللغة العربية، ص 141



إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

هنا أية قرابة صوتية بين المهمز والألف والواو والياء، ولكن لا مانع من حذف صوت ليقع آخر موقعه، لا على سبيل الإبدال، بل على سبيل التعميض المقطعي¹.

وثمة من يذهب إلى ما هو قريب مما رأه الدكتور عبد الصبور شاهين، فالباحث عبد الله كناعنة يرى أن الأصل عند صياغة اسم الفاعل من قال وباع، أن يقال: قاول *kàwil*، وبائع *bàyi*، إذ تشكلت في كلّ منها حركة مزدوجة هي (*wi*) في قاول (*yí*) في بائع (*bàyi*)، وقد استقللت العربية هاتين الحركتين، ولحات في سبيل التخلص منهما إلى حذف شبه الحركة (*w*) و(*y*)، فصارت الكلمتان (*kàil*) و(*bài*)، حيث نلحظ التقاء الفتحة والكسرة فيهما، وهذا وضع مرفوض في اللغة العربية، ولهذا فقد اضطررت اللغة في سبيل التخلص من هذا الوضع غير المقبول إلى احتلال المهمزة بين الحركتين، فصارتا:

قائل *kàil*، وبائع *bài*.²

ولقد مثل الباحث أحمد سالم لما جرى لاسم الفاعل من هذين الفعلين، قاول وبائع، بالكتابة الصوتية الآتية:

قائل	قا..ل	/أـ	قاول
Kàwil	kà..il	kà'il	
بائع	با..ع	/بـ	ـبائع
bà'i	bà..i	bà'i	

(3) (2) (1)

¹ عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 88

² عبد الله محمد كناعنة، أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية، دراسة لغوية، مطبعة كنعان، الأردن، ط 1، 1997، ص 162



إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

فالصيغة الصوتية هي الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه اسم الفاعل من الفعل قال *kàla*، وباع *bà'a*، إذ يلاحظ أنه قد تشكّل في هذه الصيغة الحركة المزدوجة (*Wi*) في (أ) و(*yi*) في (ب)، وهو حركتان مستقلتان، تترع اللغة إلى التخلص منها، مما أدى إلى حذف شبه الحركة (*w*) و(*y*) من كليهما، وهذا ما تمتله الصيغة الثانية، وبهذا الحذف حدث خلل في البنية الإيقاعية لاسم الفاعل، كما يلاحظ أنه قد التقت حركتان، وهذا الوضع مرفوض في اللغة العربية، ولكي يتم التخلص من هذا احتجبت اللغة المهمزة، وبحياء هذه المهمزة أدى إلى عدم التقاء الحركتين، ثم المحافظة على إيقاع اسم الفاعل.¹

أمّا الباحث فوزي الشايب فيرى أنّ عين الأجوف في الماضي ساقطة، وأنّ وزن قال وباع، هو فال *fàla*، وعند صياغة اسم الفاعل منه تبقى العين ساقطة، إذ يصاغ اسم الفاعل من هذين الفعلين، بحيث يكون بعد فائه فتحة طويلة (à)، تليها كسرة قصيرة (i) التي هي كسرة العين الساقطة، والذي أدى إلى تشكّل المهمزة هو تحقيق الكسرة، فالالأصل إذن في قائم وبائع، هو: قاوم *kàwim*، وبائع *bàyi*، وهنا وقعت أشباه الحركات الواو (*w*) والياء (*y*) بين حركتين فسقطتا، فتتابعت حركتان *kaim* و*bài*، وهذا لا يجوز البتة، مما أدى إلى تحقيق الكسرة، وبتحقيقها تخلّفت المهمزة، فكان الناتج (قائم *kà'im*، وبائع *bà'i*).²

وممّا سبق يتضح لنا أنّ المحدثين قد ذهبا إلى أنّ صنيع المتقدّمين في قلب الواو والياء إلى الألف، ثم قلب الألف همسة في مثل هذه الأمثلة، فيه شيء من العنت، لأنّ

¹ - أحمد سالم، المماثلة والمخالفة بين ابن جنّي والدراسات الصوتية الحديثة، ص 217

² - فوزي حسن شايب، تأملات في بعض ظواهر الحذف الصّرفي، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية العاشرة، الرسالة 62، 1989، ص ص 69، 70



إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي ——— ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

الألف حركة طويلة، ولا تسبق بفتحة أخرى، إضافة إلى أنّهم لم يعتدُوا بهذه الألف وتعاملوا مع الفتحة المتوجهة قبلها، فالذى حدث في هذه البني، وما جاء على شاكلتها، محاولة الناطق التخلص من التّتابع بين نصف الحركة والحركة، ونصف الحركة صامت ضعيف، فأرادوا تقوية البنية بصامت نبوي قوي، وهو المهمز، وعليه فإنّ النسيج المقطعي للبني السابقة على التّحوّل الآتي: قاول *wil|yaa|qaa*، فهناك تقارب أو سلسلة تقاريبية مكونة من الحركة الطويلة، علاوة على أنّ نصف الحركة وقعت في بداية مقطع وهي ضعيفة، وببداية المقطع يحتاج إلى صوت قويّ ونشاط عضوي، فعمد الناطق العربي إلى البحث عن صوت قويّ فأتى بالهمزة لأنّها صوت قويّ نبوي¹.

د/- إذا ثقت واوan في بداية الكلمة همزٌ أولاًهما: أرجعت الدراسات

الصّوتية الحديثة سبب همز الواو في مثل هذه البني إلى قانون المحالفـة، فيعتقد الدكتور رمضان عبد التّواب أنّ تفسير سبب هذا المهمز ليس إلّا أثراً من آثار قانون المحالفـة، والسبب في المحالفـة من الناحية الصوتية، هو أنّ التماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النّطق بهما في الكلمة، ولتسهيل هذا المجهود العضلي يقلب أحد الصوتين صوتاً آخر، من تلك الأصوات التي تتطلب مجهوداً عضلياً²، وينقل الباحث عن "برجستراسر" أنّ العلة في التّخالف نفسية مخضـة، فإنّا نرى الناس كثيراً ما يخطئون في النّطق، ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه، وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها بعض، لأنّ النفس يوجد فيها قبل نطق الكلمة تصوّرات الحركات الـلـازمة على تربيـها، ويصعب عليها

¹- سعيد محمد شواهنة، القواعد الصرف صوتية بين القدماء والمحدثين، ص ص 100، 101

²- رمضان عبد التّواب، التّطور اللغويّ مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1997، ص 64



إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي ——— ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

إعادة تصوّر بعينه بعد حصوله بمدّة قصيرة، ومن هنا ينشأ الخطأ، إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرّر وتتتابع فيها حروف متتشابهة¹.

أمّا الباحث فوزي الشّايب فيذهب إلى أنّ تعلييل السّلُف إبدال الواو همزة غيرٌ صحيح، فالإبدال بين الأصوات لا يتمّ إلّا إذا كان بينهما تقارب في المخرج، وما دام الأمر كذلك فإنه لا يجوز أن نقول بأن الواو أبدلت منها الهمزة في مثل: ووّاق ← أواّق ونظائرها، ذلك أنه لا يوجد أيّ قرب بين الواو والهمزة من حيث المخرج، ولا من حيث الصّفات، فالهمزة وقفه حنجرية مهمّوسة، والواو صوت انطلاقي شبه حركة شفوي، أقصى حنكي مجھور، فهما من حيث المخارج والصفات متباعدان، ومن ثمّ لا يمكن البتة أن يبدل أحدهما من الآخر، فالهمزة ليست سوى تحقيق لحركة الواو المخوفة:

ووّاق ← أواّق، wawàkin → awàkin → àwàkin

فبعد سقوط الأولى من الواوين، وإبقاء حركتها نشأ مقطع من نوع (ح ص) وهذا لا يجوز البتة في العربية، فحقّقت الحركة فصارت همزة، لأنّ المقطع في العربية لا يبدأ إلّا بصامت².

وقد أرجع الدكتور شاهين وجوب قلب أولى الواوين همزة إلى التّمودج النّطقي الذي جرى عليه اللسان العربيّ، من عدم البدء بحركة، فكلمة "ووّلى" تبدأ بحركات يصعب نطقها، فجري النّطق العربيّ على نير مقطعها الأول، تفادياً للنطق بحركة في بدء الكلمة، فصارت كتابتها:

Ouu|laa < wuu|laa < wuw|laa

¹ - المرجع نفسه، ص 65

² - أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشّايب، ص 340



إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

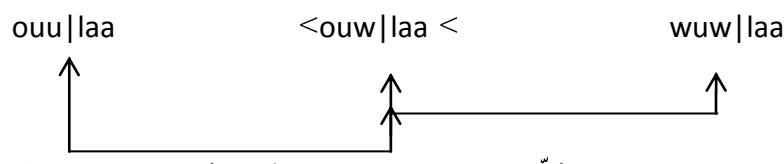
وقد كان همز المقطع هنا، تخلّصاً من هذا التّجانس التّقليل الذي توهمه الصّرفيون واوين، بسبب خلطهم بين الرّمز الكتائبيّ ومدلوله الصّوتيّ¹.

ويختلف الباحث سعيد شواهنة مع الدكتور شاهين، ويرى أنّ في رأيه بعض الخلط، ذلك أنّ الواو الثانية في صيغة (وولي) لم تكن حركة من جنس الواو كما ادعى، بل هي نصف حركة ساكنة، والصيغة على (فعلى) وليس على وزن (فولي) كما يذكر، فقد مرّت الصيغة بالمراحل التالية:

وولي ouu|laa < أولى wuw|laa أولى ouw|laa

معنّى أنّه بعد قلب نصف الحركة الأولى إلى همزة، ثمّ قلب نصف الحركة الثانية

إلى ضمة قصيرة، كرّرت مع الضمة القصيرة السابقة عليها ضمة طويلة، هكذا:



ويرى الباحث أنّ للقلب في مثل هذه الأمثلة أسباب كثيرة، تحكمها طبيعة الصّوت المتغيّر، والنّسيج المقطعيّ للبنيّ اللغويّة والموقعيّة، علاوة على أنّ المدّ الرّئيسي من القلب هو تحقيق السهولة في النّطق².

و يضيف الباحث أحمد سالم تفسيراً لهذه البنية من خلال الكتابة الصوتية الآتية:

أواصل	.. اصل	وواصل
Wawàsil	awàsil	äwàsil

¹ - المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربيّ، عبد الصبور شاهين، ص 179

² - ينظر: سعيد شواهنة، القواعد الصرف صوتية، ص 201 وما بعدها



إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

(3)

(2)

(1)

فيiri أنَّ الصيغة الأولى قد بدأت بقطعين صوتين متتابعين، وبتعمير آخر بدأت بحركتين مزدوجتين متتابعتين هما (wa) و(wà)، ويبدأ كهما المقطع الصوتيُّ الأول والثاني، وتتابع هاتين الحركتين المزدوجتين ثقيل، وهذا يؤدّي إلى نزوع العربية إلى التخلص من هذا الثقل، فتخلّصت منه عن طريق حذف شبه الحركة (w)، التي يبدأ بها المقطع الأول، وبهذا أصبح المقطع مبتدأً بحركة، وهذا ما تمثله الصيغة الثانية، وكما هو معلوم في اللغة العربية، لا يبدأ بحركة، بل يجب أن يبدأ بصامت، وللتخلص من هذا الوضع، عمدت اللغة العربية إلى اجتناب المهمزة، حتى يبدأ المقطع بصامت، ويكون صحيحاً مقبولاً، وبهذا تكون المهمزة قد حلّت مكان الصوت المخنوّف للحفاظ على البنية المقطعيّة للكلمة، وهذا ما تمثله الصيغة الثالثة¹.

2.3 إبدال المهمزة من الألف:

أ/- إبدال ألف التأنيث همسة: ذهبت الدراسات الحديثة إلى أنَّ الألف الممدودة ما هي إلّا تطور للألف المقصورة، نظراً لكرامة العربي أن تنتهي الكلمة في نطقه بقطع مفتوح، فهو يُؤثِّر إيقاعَه بالهمزة، فموقف العربي واحد بالنسبة إلى ما انتهى بألف مقصورة، ففي مثل: حمرا وصحراء، تصبح الصورة المفضّلة عنده: حمراء وصحراء، وفي مثل:كساو، وبني، تصبح: كسأء وبناء، ولا فرق في الحالين إلّا أنَّ حمرا وصحراء نهايتهما فتحة طويلة، وكساو وبنياً نهايتهما صوت لين مزدوج².

¹- أحمد سالم، المماثلة والمخالفة بين ابن جنّي والدراسات الصوتية الحديثة، ص 204

²- عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 84



إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي ——— ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

هذا وقد اعترض المحدثون على تفسيرات ابن جنّي، ورأوا أنّ حجّجه في إبدال الألف همزة ليست مقنعة لأمر مهمٍ هو أنّ قلب الألف غير مقبول صوتيًا، إذ الهمزة صوتٌ مختلفٌ بخصائصه الصوتية عن الحركة الطويلة، والقول بقلب أحدّها عن الآخر وقفٌ عند وصف سطحيٍ للظاهرة، ثم إنّ القول باجتماع ألفين غير مقبول من الناحية الصوتية، لأنّ الألف حركةٌ وليس صوتاً صامتاً، يمكن أن يتلقى بغیره ساكناً، ولذلك استحال أن تدغم الألف في نفسها أو في غيرها، لأنّ الإدغام من خصائص الأصوات الصامتة لا الحركات، أمّا التفسير الصوتي المقبول هو أنّ هذه الأسماء كانت تنتهي بهمزة للثانية، فأصل صحراء: صحراء، وحذفت الهمزة استثناءً، وعُوض عنها بمطلع الفتحة فصارت: صحراً، غير أنّ هذه الحركة الطويلة زيداً في مدّها حتى صار المقطع بحاجة إلى أن يقفل، فاقفل بحبس الهواء، وهو ما يسمع همزة: صحراء → صحراً ← صحراء¹.

ب/- إبدال الألف همزة ارتجالاً وشذوذًا: ناقش الدكتور شاهين آراء ابن جنّي، ورأى أنّ وصفه للهمز في هذه الحالة بأنه مرتجلٌ هو في الحقيقة إشارة إلى وظيفة، لأنّ العربي الذي ارتجله إنما اختار له موقعًا معيناً، خصوصاً لضرورة صوتية معينة، فأمثلة همز الألف في مثل: **الضالين** "فسرها ابن جنّي بأنّ الألف تحرّكت بحركة الساكن قبلها فهمزت، وفسرها "فليش" بالهروب من المقطع المديد لكرامة النطق. بمصوّت طويلاً في مقطع مقلل، وفسرها نحن بما سبق أن قررناه من أنّ التبر في لسان قبائل الباادية يأخذ

¹ - أبو أوس إبراهيم الشّمسان، إبدال إلى الهمزة وأحرف العلة في ضوء كتاب سرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، حلقات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحلولية الثانية والعشرون، الرسالة 186، 2002، ص



إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

صورة التّوتُر، على حين يأخذ صورة الطّول في لسان غيرهم من الحضريين، وقد اتّخذ التّوتُر صورة الهمزة نظراً لشدّة ضغط النّاطق على المقطع، رغم أنه لا مادة الكلمة ولا أئمّة صيغة من صيغها الاشتقاقية تحتوي همزة، الأمر الذي يؤكّد أنّ رمز الهمزة هنا عالمة نبر لا أكثر¹.

ويذهب كثيرون من الباحثين إلى أنّ الذي أتى به ابن جنّي من تحليل هذه الصّور، إنما هو نتاج النّظر في المكتوب لا المنطوق، وهو ما يتوافق في ذلك والرؤى التقليدية العامة، تلك الرؤى التي تنظر في المكتوب بوصفه اللغة، وعليه راح تحليلها للغة يتّجه لأن يكون تحليلاً للكتابة²، فالكتابة الصوتية الحديثة تظهر الأمر على خلاف ما جاء به ابن جنّي، فكلمة "جان" صارت: جأن، وبالتمثيل الصوتي: jaan → ja^an فوظيفة الهمز في هذه الكلمة تمثّلت في نقل الكلمة من مقطع واحد مدید مغلق – والذي تسعى اللغة دائماً للتخلص منه – إلى مقطعين: "جـ" سـ حـ، "أـنـ" سـ حـ سـ.

أمّا في كلمة "الضالين"، فكان التّحول على ذات النّحو: → da^aaliin، فكلمة "ضالين" تتكون من مقطعين طويلين معلقين هما: ضال "daal" ولين "liin":

سـ حـ سـ | سـ حـ حـ سـ ، daa|liin

¹ - عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 128

² - محمد أحمد سامي أبو عيد، الهمز في محتسب ابن جنّي: دراسة صوتية معاصرة، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الثاني، السنة الخامسة، ديسمبر 2014، ص 90



إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

وعليه مال الناطق اللغوي للتخلص من توالي هذين المقطعين المغلقين، تجزيء الكلمة إلى ثلاثة مقاطع في "ضألين"، هما مقطع قصير مفتوح ومقطع قصير مغلق، ومقطع طويل مغلق على التّحو الآتي:

ض: س ح

أَل: س ح س

لِين: س ح ح س

وكذلك حدث للأمثلة من قبيل "رجلًا" و "حبلًا"، تكشف عنه الكتابة الصوتية

الآتية:

aa → a' ، rajulaa → rajula'

فقد حدث تقصير الحركة الطويلة "aa" لتكون حركة قصيرة فتحة "a'"، وحدث تعويض التّقصير أو الاختزال بإضافة المهمزة، ليقفل المقطع الأخير في الكلمة بمقطع قصير مغلق بدلاً من المقطع المفتوح:

Laa → la' س ح ح ← س ح س¹.

فالوقف على المهمزة هو انقطاع للنفس، ويبدو أن بعض المتحدثين يبالغ في إظهار الألف ومدها، وهي تكون مع الصوت السابق عليها مقطعاً مفتوحاً، فإذا كان هذا المقطع منبورةً كان بحاجة إلى أن يقفل، ويكون قفله بالحبس الذي يظهر على شكل المهمزة، وهذا ما يحدث في ألفاظ أخرى، وهي الأسماء الممدودة المنتهية بـمهمزة منقلبة عن واو أو ياء، مثل: بناء وسماء، فالواو والياء حذفتا، فلما حذفتا مطلت الألف تعويضاً عن

¹ - ينظر: محمد أحمد سامي أبو عيد، المهمز في محتسب ابن جنّي: دراسة صوتية معاصرة، ص 91 وما

بعدها



إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

الخدوف، فأقبل المقطع بحبس الهواء، وهو ما يسمع همزة، وقد يقال إنَّ الألف قد أذهبت في مثل "حِبْلًا" ونحوها، والجواب أنَّ المقطع الطويل المقلَّل في نهاية الكلمة حُول إلى مقطع قصير مقلَّل بتقصير الحركة الطويلة¹ :

حُبْ لَ .. ء ← حُبْ لَ . ء

4. ملاحظات على آراء المحدثين:

يرى المحدثون أنَّ المتقدمين عموماً وابن جنّي خصوصاً قد عالجوا حروف العلة علاجاً تقليدياً تعوزه الدقة والوضوح، إذ خلطوا في علاجها بين الرمز المصوّت والمصوّت، الأمر الذي قاد إلى جمع من المشكلات في التحليل، والوصول إلى نتائج حقيقية، وانصرفوا في جلٌ مناقشاتهم إلى شيء من وظائفها الصّرفية والتّحويّة، متّناسين قيمتها الصوتية التي من شأنها أن تفصّح عن حقائقها ووظائفها في البنية اللغوية².

والذي ينظر في حجج المحدثين يجد اتفاقاً بين الباحثين، إذ يكادون يجمعون على أنَّ القول بإبدال حروف العلة همزة قولٌ فيه تجاوز، وهو تفسير غير صحيح كما حكم بذلك الباحث فوزي شايب، وذلك لعلة ظاهرة هي انعدام القرابة الصوتية بين الهمزة وحروف العلة تحدث بمحاجتها عملية الإبدال.

إنَّ القول بعدم وجود قرابة صوتية بين الهمزة وحروف العلة فيه نظر، ذلك أنَّ العربي لم يهمز الحرف المعتل اعتبراطياً من غير علة، فهو قد ألف همز ما لا يهمز، وهذه

¹ - أبو أوس إبراهيم الشّمسان، الإبدال إلى الهمزة وأحرف العلة في ضوء كتاب سر صناعة الإعراب لابن جنّي، ص 32

² - كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر، د ط، 1998، ص 6



إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي ——— ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

الألفة لا بدّ أنّ لها دواعٍ، ثمّ لمّا جاؤ إلى الهمز في هذه المواطن دون غيرها من الصوات التي تعدّ قريبة من حروف العلة من حيث العلاقة الصوتية؟.

إنّ المشكلة تحتمل أحد أمرين: الأول: أن يقال إنّ العلاقة بين الهمزة والواو والياء والألف موجودة في ذهن العربيّ، الذي كان إذا سهّل الهمزة المضمومة جعلها واوا في مثل: مومن، وإذا سهّل المكسورة جعلها ياءً في مثل: بير، فحين أراد التخلص من الواو والياء والألف جعلها همزة.

الثانية: أن يقال إنّ هذه الكلمات كانت في الأصل مهموزة، فالأمثلة مثل: سماء وبناء وما تصرف عنهما وما أشبههما كان مهموزاً في الأصل، أي: سمّاً يسمؤ، بزنة نصر ينصر، وبناً يبني، بزنة ضرب يضرب، ولكرة الاستعمال سُهّلت الهمزة وأخفيت حتى اضمحّلت، وحلّ محلّها إشباع حركة الحرف الذي قبلها، كما فعل بالمهمور الآخر في اللهجات العامية، كقولنا في بدأ وبيداً: بدَّ وبيَدَ...

أما صحراء وبابه، فيمكن أن تكون الهمزة قد زيدت فيه أصلاً، أي أن يكون العرب حين تحولوا عن التاء في المؤنث عند الوقف إلى الهاء، فقالوا: فاطمة مثلاً، تحولوا في ألفاظ أخرى إلى الهمزة، إذ هي من الحلق كالهاء، ثمّ أشبعت الفتحة قبلها فصارت ألفاً، إلا أنّ الهمزة في بعض الألفاظ أضفت واستغنى عنها بالإشباع الذي دخل الحركة قبلها فكان المقصور، وبقيت على حالها في ألفاظ أخرى فكان الممدود، ويكون مثل كلامي سلمى ← وحمراء، قد تدرج هكذا: سلمة ← سلماً ← سلمى ← وحمرة ← حمراء¹.

¹ - حسام سعيد التعيمي، الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جنّي، دار الرشيد للنشر، العراق،

361، ص 1980



إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

وأماماً من أنكر من المحدثين أن تكون المهمزة في نحو: كسأء وبناء وحرماء، بدلاً من ياء أو واو أو ألف، وذهب إلى أنّ الذي حدث إنّما هو إغفال لقطع مفتوح، بإحلال المهمزة محلّ صوت اللين لا على سبيل الإبدال بل من أجل تصحيح نهاية الكلمة (إشارة إلى آراء الباحث شاهين) ففيه نظر، إذ هو يوافق العلماء العرب في أنّ أصل بناء وكسأء وحرماء، هو بناي وكساو وحرمى، فلو سلّمنا بكلّ تعليلاً فإنه لا يعدو ما قاله القدامي من إبدالٍ، على أنه أصرّ على رفض فكرة الإبدال، ولا يغيّر الأمر أن نقول إنّ المهمزة في كسأء وظيفة، وليس حرفاً في موضع حرفاً، إذ واقع الحال يشهد بأنّها حرفة في موضع حرفة، وأنّها لا تختلف في الصوت عن المهمزة الأصل، في نحو: إنشاء، التي لا خلاف في أصالتها، فقد حلّ هذا الصوت محلّ الواو أو الياء أو الألف، وأن يحلّ الصوت محلّ الصوت لا يخاطئ من يطلق عليه لفظ الإبدال.¹.

وأماماً همز عين الفاعل من الأجواف في مثل: قائم وبائع، فقد ناقش الباحث النعيمي تعليلات المحدثين، خاصة آراء الباحث شاهين، الذي يعلّل المهز في هذه الحالة بمحرّد التّعويض الموقعيّ الذي تقتضيه وظيفة الصوت في الدلالة أو غيرها، وذلك بحذف صوت ليقع آخر موقعه، لا على سبيل الإبدال لأنّ الإبدال بكافة معانيه يتطلّب قرابة صوتية هي هنا معدومة²، فيرى الباحث النعيمي أنّ القرابة الصوتية موجودة بين المهمزة والواو والياء والألف، وهي قرابة صوتية ذهنية، فقد ألف العربي التّحول من المهمزة إلى الألف أو الواو أو الياء، وألفَ العربيّ الذي يحقق المهمزة سماع صوت الواو والياء والألف في الموضع الذي يهمزه كما هو، كما ألفَ الذي يسهل سماع المهمزة في مواضعهن،

¹ - ينظر: حسام سعيد النعيمي، الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جنّي، ص ص 358، 359

² - عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 88

إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نورالدين بوزناشة

فتكون نوع من العلاقة الذهنية عند العربي بين المهمزة وهذه الأصوات، سواء أكان ممّ يهمنز أم ممّ يسهل، فلما تكوّنت عنده صورة لفظية مكرروحة هي الواو المكسورة أو الياء المكسورة، كان أمامه أن يأتي مكافها بحرف صامت، لأنّ الألف هنا يؤدّي إلى الحذف والاحتلال الصيغة، وكان الصامت المرتبط في ذهنه بالواو والياء في حلول بعضها بعضاً هو المهمزة، فانتقل إليها ... أو يُحتمل أن يكون الأجوف في الأصل مهموزاً، ويكون الأصل في قال يقول: قال يقُول، بزنة نصر ينصر، وبائع يبيع: بأع بيع، بزنة ضرب يضرب، وهكذا ما تصرف منها، ومنه: قائل وبائع، ثم سهلّت المهمزة في الفعل حتى جعلت بين فقيرٍ من الألف إذا كانت مفتوحة، ومن الواو إذا كانت مضمومة، ومن الياء إذا كانت مكسورة، ثم خلصت بكثرة الاستعمال إلى الحركات المشبعة للألف والواو والياء، وبقيت في اسم الفاعل، مثل قائل وبائع، وإن سهلّت فيما بعد في اللهجات فقيل: قايل وبائع¹.

¹ - حسام سعيد التعميمي، الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جنّي، ص 363



إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي — ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة وبنائي، بالتنوين، لم يوجد المقطع المفتوح أيضًا⁽¹⁾، ويتساءل الباحث، لماذا لم تقلب كلّ من الواو والياء همزة في مثل: غايٍ ورایٍ وطاوٍ وراوٍ، مع تحقق ما قال فيهما، لو افترضنا حالة الوقف؟، ولماذا لم يحدث ذلك في مثل التّراخي والتّفافي والتّسامي، مع وقوع الياء طرفاً، وجود المقطع المفتوح في حال الوقف أيضًا؟.

ومن الأدلة التي اعتمدتها الباحث في الحكم على اضطراب تفسيرات الدكتور شاهين، آنه - وفق مقياسه - لا يجد تفسيراً لاختلاف حالات التشية والجمع المتعددة، من وجوببقاء المهمزة في مثل: قراء، وقلبها واواً في مثل: صحراء، وترجح أحدهما في مثل: كساء وبناء وعلباء، ولو سلّمنا له بأنّه يعّلل للألفاظ المفردة فإنه قد علل لنجو: حمراء، بأنّها نبرت لإغفال المقطع، وكان يمكن أن يقفل بطريق آخر، مثل: حباء، فيقال: حمراً مثلاً، فلم اختصّ كلّ بطريق؟، على آنه قد تبع بروكلمان في أنّ عالمة التأنيث تطورت على النحو التالي: a- ah - at - ة، ومعنى ذلك أنّ العربيّ كان ينطق بها: حمرت - ثمّ حمرة - ثمّ حمرى - ثمّ حمراء، وهذا التّطور لا دليل عليه، ومع ذلك فهو تصوّرنا صحته لأمكن أن يقفل المقطع فيقال: حمرت أو حمرة، بالرجوع إلى أصل سابق، وبهذا يتبيّن عدم دقة رأيه المذكور⁽²⁾.

هذا، ويخالف الباحث عبد الغفار حامد هلال المحدثين، في عدّهم الواو والياء غير المدّيتين حركتين "فإنّ التقسيم المقطعي يؤكّد اعتبارهما صوتين ساكينين، مثل: يقع ويذر، وزن و وعد، فكلّ من الكلمات السابقة مكون من ثلاثة مقاطع، كلّ منها مكون من صوت ساكن + لين قصير، وفي مثل: وجوه، لا يمكن الاعتراف بأنّ الواو مجرّد حركة،

¹ - عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية، نشأة وتطورها، ص 163

² - المرجع نفسه، ص 163



إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي ——— ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

لأنه إذا كانت كذلك، فقد قُبِّلت الضمة (u) على هذا الفرض همزة في "أجوه"، ومن أين أتتْ ضمة الهمزة بعد القلب المذكور¹.

الخاتمة:

جماع القول من كلّ ما مضى، أنّ إبدال الهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي، يُعدّ من الإشكالات التي طرحتها علم اللغة الحديث، وحاول إعادة صياغتها وعلاجها علاجاً يتسم بالدقّة وال موضوعية، ورغم أنّ كثيراً من الباحثين الحديثين قد اعترضوا على كيفية معالجة القدماء ظواهر إبدال الهمزة، ورأوا أنّهم قد خلطوا بين قيمة الصوت ووظيفته، إلّا أنّهم قد وقعوا في كثيرٍ من الأخطاء جعلت أحکامهم في اضطراب وخلطٍ، فالقول بامتناع العلاقة الصوتية بين حروف العلة والهمزة قولٌ يحتاج إلى إعادة نظر، فالعربيُّ أَلْفَ همز ما لا يهمز، وهذه الأنفة تحتاج إلى تفسيرٍ ومراجعة، وليس إلى القول بانعدامها، أضف إلى ذلك تباينهم في الآراء والأحكام، واختلافهم حول زاوية التأويل، واختلافهم حول طبيعة حروف العلة جعلت أحکامهم ومناقশاتهم مبنية للخلل، ثم إنّ رفض الحديثين أن يكون الذي وقع بين حروف العلة والهمزة إبدالاً، وتعليقهم ذلك بالتعويض المقطعيّ إما بالحذف أو القلب المكانيّ، كل ذلك لا يخرج عن دائرة الإبدال الصوتية بمفهومه العام، وهو صورة من صوره.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية، عبد الله محمد كناعنة، دراسة لغوية، مطبعة كنعان، الأردن، ط 1، 1997.

¹ - المرجع نفسه، 164



إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي ——— ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

2. أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004.
3. التّطور اللّغويّ مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1997.
4. دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، د ط، 1998.
5. الدراسات الصوتية واللّهجية عند ابن جنّي، حسام سعيد التّعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980.
6. دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية، عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2006.
7. سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، ت: محمد حسن إسماعيل وأحمد شحاته عامر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 2007.
8. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، قدم له ووضع هوامشه: حسن حمد، إشراف الدكتور: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
9. فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة: رمضان عبد التّواب، د ط، د ت.
10. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، د ت.
11. القواعد الصرف صوتية بين القدماء والمحدثين، سعيد محمد شواهنة، دار الوراق للنشر، الأردن، ط1، 2007.
12. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط1، 1966.



إبدال المهمزة من حروف العلة عند ابن جنّي ——— ط. الحسين مسيف ود. نور الدين بوزناشة

13. اللهجات العربية، عبد الغفار حامد هلال، نشأة وتطورها، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة منقحة، 2011

14. مشكلة المهمزة العربية، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1996.

15. المماثلة والمخالفة بين ابن جنّي والدراسات الصوتية الحديثة، د سالم أحمد بنى حمد، دار اليازوري، الأردن، ط 1، 2011.

16. الممتع في التصريف، ابن عصفور، ت: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978.

17. المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، ابن جنّي، ت: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

18. المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، 1980.

ثانياً: المجلّات

1. الإبدال إلى المهمزة وأحروف العلة في ضوء كتاب سرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، أبو أوس إبراهيم الشّمسان، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الثانية والعشرون، الرسالة 186، 2002.

2. تأملات في بعض ظواهر الحذف الصّرفي، فوزي حسن شايب، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية العاشرة، الرسالة 62، 1989.

3. المهمز في محتسب ابن جنّي: دراسة صوتية معاصرة، محمد أحمد سامي أبو عيد، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الثاني، السنة الخامسة، ديسمبر 2014.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : 2588-X204

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 759-731 تاريخ النشر: 25-03-2021

التشابه في أخصائص وأثره في بناء الأبواب النحوية عند سبويه

Characteristics similarity and its role in building grammar topics by Sibawayh

الطالب. عبد الحكيم عقون

abdelhak19arif@yahoo.fr

د. أمد مرغم

bouzid1925@yahoo.fr

جامعة محمد طين دباغين سطيف 2

تاريخ القبول: 2020/11/23

تاريخ الإرسال: 2020/03/12

I. الملخص:

لا يخفى على المطلع في كتاب سبويه ت 180 هـ ما يصادفه من مقارنات بين المسائل والتركيب، التي يعقدها في جميع أبواب النحو دون استثناء، بحيث لم يخل باب من الإشارة إلى وجه أو أكثر من أوجه التشابه بينه وبين غيره من الأبواب، وكان ذلك أسلوباً مطرداً لدى سبويه في سبيل الوصول إلى بناء المفهوم النحوي ثم تنمية هذا المفهوم شيئاً فشيئاً حتى يتميز عن غيره مما يشبهه بواسطة الشروحات الدقيقة التي يظهرها العرض المتكامل لأوجه الشبه والافتراق.

وستتطرق في هذا البحث إلى إبراز هذه الآلية الفذة التي كانت تستعمل في تعليم اللغة العربية كأسلوب متميز لدى كبار النحاة العرب، ونرى صورتها المشرقة وأثرها على ذهن متعلم اللغة والمصنف لأبوابه ومسائلها.

الكلمات المفتاحية: المشابهة، الخصائص، النحو، الأبواب، القاعدة،

Abstract:



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

It is obvious for readers of El- Kitab (180 H) that the latter is based on comparisons between issues and structures in all grammar topics. Every topic deals with one, or even more, similarity with other topics which forms the Sibawayh's method aiming at building the grammatical concept. This concept will be gradually developed in order to be different from others by mentioning the peculiar differences shown in similarity points and differences aspects. When we study this announcement, we find that it is based on predication similarity; the second part needs the first one in both verbal and nominal sentences

Keywords: similarity, characteristics, grammar, topics, rule

1. المقدمة:

لقد أكتسبت البحوث اللغوية في العصر الأول وهو عصر النشأة أهمية بالغة لدى علماء الإسلام، فظهر من بينهم المتخصص في علم اللغة عموماً واستطاعت العربية أن تظفر بألقى من تصدّى لتحصيلها وضبطها من أفواه المتكلمين بها، ووضع الضوابط والقواعد والمعايير، التي تُنير سبيل المتابعة فيما يعقب من أجيال، سواء كانوا من أصحاب اللسان العربي أم من غيرهم.

وفي خلال ذلك كان على الدارسين للعربية اختراع مجموعة مساندة من العلوم التي ساعدتهم في تنظيم أفكارهم وتحميم وتصنيف أبواب العربية ووضع المؤلفات بطريقة منهجية وكان من أوائل ما استعمل علم الجغرافيا اللغوية والإحصاء للوصول إلى تصنيف دقيق لمراقب الكلام العربي.

ومن الآيات التي استعملها سيبويه والعلماء في عصره وبقليل آلية الملاحظة لإيجاد تشابهات وعلاقة وترتبطات بين الأبواب النحوية والصرفية التي كانوا يهتدون إلى تبويتها، وأثر ذلك إيجاباً على متعلم اللغة، لأنه كان علماً معتمداً على التفكير



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

والاستنباط والمالاحظة والمقارنة، لا على التقين كما هو الحال اليوم، ولعلنا في تتبع طريقة تناول هذه الآلية نكتشف المستوى العلمي العالي الذي كان عليه تعليم اللغة في العصور الأولى، ثم نتأمل في كيفية توظيف هذه الآلية لإيجاد الباحث اللغوي المعاصر الذي يخترع علمه بما لديه من معلومات ومعطيات دون انتظار من ينوب عنه في استكشاف لغته.

2. معنى التشابه وأهداف منه

نقصد في هذه الورقة بلفظ التشابه: ما يعقده سيبويه من روابط يستنتجها بين بابين أو أكثر من أبواب النحو العربي، ليبين بواسطة هذا التشابه أن الأحكام قد تتفق في بعض الجزئيات وتختلف في بعضها، وأن الكلام العربي له نسق يسري عليه وأن اللغة لا تلبس على الإنسان فإذا تشاكيت الخواص تشاكيت الأحكام النحوية، وإذا اختلفت الخواص اختلفت الأحكام النحوية.

ولذلك فالتشابه كإجراء في منهج الدراسة وجذنه من أوسع مزايا كتاب سيبويه، بل وكتب المتكلمين في النحو من القدماء من أمثال الفراء في معانٍ القرآن، وابن جيني في الخصائص، وأبي علي الفارسي في التعليقة على شرح كتاب سيبويه، وأبي عيسى الرمانى في شرح كتاب سيبويه، وعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وغيرهم، أما كتب النحو المتأخرة فإنما لما كانت مختصرة فقد حذفت هذه الخاصية من متن النحو العربي، وركبت على الأفكار النحوية مجردة منها ومثال ذلك ما نجده في شرح ابن عقيل على الألفية وقطر الندى لابن هشام¹، والنحو الواقي لعباس حسن.

¹ لم تخل تماماً كتب النحو المتأخرة من هذه الخاصية فقد استعنوا بها في بعض الأحيان ولكن ليس بالقوة التي عهدت لدى أوائل النحاة، ونجد من أمثلة ذلك عند ابن هشام في شرح شذور الذهب يقول: "ليست الواو هنا واو الجماعة، وإنما هي لام الكلمة التي في قوله: زيد يغفو، وليس التنوين



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

ولا ريب أن الحديث عن الكلام العربي مربوطا بعضه بعض يكون أكثر حيوية واستدلالا للقاعدة التحوية، وأكثر إثباتا لما في هذه اللغة من المزايا الكثيرة في نظامها، وهو أسلوب يرسم صورة متكاملة للنظرية التحوية العربية، مقرونة بفقه اللغة وأسرار العرب في كلامها، كما يفتح أمام الذهن آفاقا رحبة للتعميل المناسب لكل وجه من كلام العرب.

ولقد قيل عن سيبويه وكتابه الكثير مما يميزه عن غيره في عرض أبواب النحو.
قال الزبيدي الأندلسي يحيث من أراد الكتابة في النحو أن يعني بكتاب سيبويه:
"ينبغي له أن يتصفح كتاب عمرو بن عثمان المعروف بسيبوه، فينظر إلى مبادئ كتابه،
وعنوانات أبوابه، ويرى لطائف معانيه، ودقائق حجاجه".¹ ولم يزل العلماء ينبهون على
ما في هذا الكتاب من دقائق تحتاج إلى إظهار واستخراج.

1.2 من أهداف التشابه

ومن أهم ما يهدف إليه سيبويه في استعمال تقنية البحث عن المتشابهات بين الأبواب التحوية والصرفية هو: التقريب على المتعلم في التعليم، وذلك بإيجاد ما يشبه المسألة من الوجه المراد تعليمه، أو بيان أحکامها، ثم يذكر ذلك الوجه لكونه تنطبق عليه الأحكام نفسها، وتستنتج منه القواعد عينها، فيجد المتكلم نفسه قد فهم المسألة وتوضحت بين عينيه، وفتحت طريقة في عقله وبابا من القياس العلمي، بحيث يمكنه إعادة

هنا نون الرفع، وإنما هي مضمر عائد على المطلقات، مثلها في "المطلقاتُ يَتَرَبَّصُنَّ"، والفعل مبني لاتصاله بـنون النسوة، وزن يعفون على هذا "يَفْعُلُنَّ"، كما أنك إذا قلت: "النسوةُ يَخْرُجْنَ أو يَكْتَبْنَ"، كان ذلك وزنه". ينظر: ابن هشام ت 761هـ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 1986م، ص 62.

¹ - نقلًا عن: خديجة الحديشي، كتاب سيبويه وشروحه، ص 45.



التشابه في الخصائص وأثره ----- أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

استعمال ذلك القياس في مواضع متعددة، وهذا قد أشار إليه الفراء في كتابه معاني القرآن حين قال: "نصب "حذر" على غير وقوع من الفعل عليه، لم تُرد "يَجْعَلُونَهَا حَذْرًا"، إنما هو كقولك: "أَعْطَيْتُكَ حَوْفًا وَفَرْقًا"، فأنت لا تعطيه الحوف، وإنما تعطيه من أجل الحوف، فنصبه على التفسير ليس بالفعل، كقوله جل وعز: (يَدْعُونَنَا رَغْبًا وَرَهْبًا) (الأنباء:90)، وكقوله: (أَدْعُوكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) (الأعراف:55)، والمعرفة والنكرة تفسران في هذا الموضع، وليس نصبه على طرح "من"، وهو مما قد يستدل به المبتدئ للتعليم¹.

فهذا الفراء يشير صراحة بأن من أهداف المشابهة تيسير عملية التعليم وتقريرها لذهن المبتدئ، حتى يتدرج في معارج المعرفة ويقطع أشواطها فيكتسب تلك الملاحة العلمية ويصير بدوره يمتلك طريقة تشبيه المسائل بعضها بعض.

2.2 التعبيرات التي استعملها سيبويه في الدلالة على المشابهة

حينما تكلم سيبويه عن المشابهة استعمل ألفاظاً مختلفة تدل في مجملها على فكرة التشابه بين الأفكار والأبواب النحوية، منها لفظ الشبه، والمثل، والنحو، وكاف التشبيه، ولفظ المترلة، وغيرها مما لا يمكن إحصاؤه في هذا البحث ولكن نكتفي بالتمثيل لبعض تلك الصيغ.

¹ - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ت 207 هـ، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار، وأحمد يوسف نحاتي، عالم الكتب، ط 3، 1403 هـ - 1983 م، 17/1. ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى: (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتَ) (البقرة: 19)، وقد أشار الحمقان تعليقاً على قول الفراء إلى نقطة مهمة، وهي أنه قد يقرب المفعول لأجله للمبتدئ بما يصلح فيه تقدير "من"، وهذا يؤكّد أن القدماء على اختلاف مدارسهم، يستعملون فكرة التشابه في الخصائص لنقرّب الأفكار العلمية إلى أذهان المتعلمين.



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

استخدام لفظ المترلة

يستخدم سيبويه لفظ المترلة كثيراً في الكتاب ولم تكن تخلو منه صفحة من صفحاته، للدلالة على المشابهة بين شيئين، فهو يقول: "إِنْ قَلْتُ: رَأَيْتُ فَأَرَدْتُ رُؤْيَا العَيْنِ، وَوَجَدْتُ فَأَرَدْتُ وِجْدَانَ الْضَّالَّةِ فَهُوَ بِمَتَرْلَةِ ضَرَبَتُ".¹

ويقول: "صُبِّرَ فَعُلُّ الْمَفْعُولُ وَالْفَاعِلُ حِيثُ انتَهَى فَعْلُهُمَا بِمَتَرْلَةِ الْفَعْلِ الَّذِي لَا يَتَعَدَّ فَاعْلَمُهُ وَلَا مَفْعُولَهُ".²

"وَاعْلَمُ أَنَّ الْمَفْعُولَ الَّذِي لَمْ يَتَعَدَّ إِلَيْهِ فَعْلُ فَاعِلٍ فِي التَّعْدِي وَالْإِقْتَصَارِ بِمَتَرْلَةِ إِذَا تَعَدَّ إِلَيْهِ فَعْلُ الْفَاعِلِ".³

ويقول في التقديم والتأخير في معمولي كان التكرتين: "والتقديم والتأخير في هذا بمتترلته في المعرفة، وما ذكرت لك من الفعل".⁴

استخدام كاف التشبيه

ويستخدم في الدلالة على المشابهة كاف التشبيه، يقول في المشابهة بين الفاعل والنائب عن الفاعل: "الْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ فِي هَذَا سَوَاءٌ، يَرْتَفِعُ الْمَفْعُولُ كَمَا يَرْتَفِعُ الْفَاعِلُ".⁵

¹ - سيبويه، الكتاب، 1/96.

² - سيبويه، الكتاب، 1/101.

³ - سيبويه، الكتاب، 1/99.

⁴ - سيبويه، الكتاب، 1/117.

⁵ - سيبويه، الكتاب، 1/86.



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم وأ. عبد الحق عقون

ويقول في التقديم والتأخير بين مفهومات ظنت: " وإن شئت قلت: كَانَ أَخْنَاكَ عَبْدُ اللَّهِ، كَمَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فِي: ضَرَبَ، لَأَنَّهُ فَعَلَ مِثْلَهُ، وَحَالُ التقديم والتأخير فيه كحاله في: ضَرَبَ" ¹.

ويقول في باب كان وأخواتها: " ولا يجوز فيه الاقتصر على الفاعل كما لم يجز في: ظَنَتْ الاقتصر على المفعول الأول، لأن حالك في الاحتياج إلى الآخر هنا كحالك في الاحتياج إليه ثَمَّة" ².

استخدام لفظ "النحو"

يقول في باب كان وأخواتها: " وذلك قوله: كَانَ وَيَكُونُ، وَصَارَ وَمَا دَامَ، وَلَيْسَ، وَمَا كَانَ نَحْوَهُنَّ، مِنَ الْفَعْلِ مَا لَا يَسْتَغْنِيُ عَنِ الْخَبَرِ" ³.

هذه بعض الأمثلة المحسورة التي تبين تعدد مصطلحات المشاكلة عند سيبويه، ولكنها تؤدي الغرض نفسه، وهو إظهار التناقض في الكلام العربي من خلال إيجاد ما يربط بينها من أوجه أو تختلف فيه.

3. تطبيقات التشابه في الخصائص

1.3 المشاكلة في الإسناد وتواجده

المشاكلة بين المبتدأ والفاعل

يعقد في باب المسند والمسند إليه مشاكلة بين الفاعل والمبتدأ في فكرة الإسناد، والاحتياج إلى ما بعده في تمام معناه، وذلك لأن المبتدأ يفتقر إلى الخبر، وكذلك الفاعل يفتقر إلى الفعل في تمام معناه، يقول: "هذا باب المسند والمسند إليه، وهما مَا لَا يَسْتَغْنِي

¹ - سيبويه، الكتاب، 1/105.

² - سيبويه، الكتاب، 1/104.

³ - سيبويه، الكتاب، 1/104.



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدأً، فمن ذلك: الاسمُ المبتدأ والمبنيُ عليه، وهو قولك: عبدُ اللهُ أَحُوكَ، وَهَذَا أَحُوكَ.

ومثل ذلك: يَذْهَبُ عَبْدُ اللهِ، فَلَا بَدَّ لِل فعلِ مِن الاسمِ، كَمَا لَمْ يَكُنْ لِلَّاسِمِ الْأُولِيِّ بَدُّ مِنَ الْآخِرِ فِي الْابْتِدَاء¹. فَهُوَ يَقْرَنُ بَيْنَ الْمُتَمَاثِلَيْنِ مَا أَمْكَنَهُ ذَلِكُ، خَاصَّةً إِذَا كَانَ الْمَفْهُومُ الَّذِي يَتَفَقَّانِ فِيهِ جَوَهِرِيَا مِثْلَ مَفْهُومِ الْإِسْنَادِ.

ويتعدى التشابه في فكرة الإسناد المبتدأ والفاعل، ليشمل ما زِيدَ عَلَى جَمِيلِيهِمَا مِنْ نَوَاسِخَ أَوْ مَفَاعِيلَ، فَلَا يَتَكَلَّمُ سَبِيبُوهُ فِي بَابِ إِلَّا وَيَرْبَطُهُ بِمَا بَعْدِهِ، وَكَذَلِكَ يَرْبَطُ أَجْزَاءَ الْبَابِ الْوَاحِدِ فِيمَا بَيْنَهَا، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكُ وَهُمْ لَا يَضْعُونَ الْبَابَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا بَعْدَمَا يَرَوُنَ مَا بَيْنَ أَفْرَادِهِ الَّتِي تَكُونُ مِنْ تَشَابِهِ، وَهَذَا مَكْتُوبٌ مِنْ وَضْعِ الْأَبْوَابِ النَّحْوِيَّةِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلْاحِظُ فِيهِ مَا بَيْنَهَا مِنْ مَضَارِعَةِ فِي بَعْضِ الْخَصَائِصِ أَوْ فِي كَثِيرِ مِنْهَا.

وَمِنْ ذَلِكَ رِبْطُهُ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ وَبَيْنَ مَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ نَوَاسِخٍ فِي فَكْرَةِ الْإِسْنَادِ فَيَقُولُ: "وَمَا يَكُونُ بِعْتَلَةِ الْابْتِدَاءِ قَوْلُكَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ مُنْطَلِقاً، وَلَيْتَ زَيْدًا مُنْطَلِقاً"، لَأَنَّ هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى مَا بَعْدِهِ كَاحْتِياجِ الْمُبْتَدَأِ إِلَى مَا بَعْدِهِ². فَفَكْرَةُ الْإِسْنَادِ لَهَا حُضُورُهَا فِي مَا زَادَ عَلَى الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، وَكَذَا فِيمَا زَادَ عَلَى الْفَعْلِ وَالْفَاعِلِ.

المشاكلة بين الفاعل والمفعول

يعقد سببيوه مشاكلاً بين المفعول به وبين الفاعل، وذلك متى كان المفعول به مرفوعاً، ويُرفع المفعول به حينما يُحذف الفاعلُ الحقيقِيُّ، ويُبقى الفعلُ متفرغاً للمفعول ولا فاعل له، فحيثئذ يكون المفعول مرفوعاً في اللّفظِ، مفعولاً في المعنى، فهو من جهة

¹ - سببيوه، الكتاب، 67/1.

² - سببيوه، الكتاب، 67/1.



التشابه في الخصائص وأثره ————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

اللّفظ يضارع الفاعل في الحركة التي هي الرفع، وفي ذلك يقول سيبويه: "الفاعل والمفعول في هذا سواء¹، يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل لأنك لم تشغل الفعل بغيره، وفرّغته له، كما فعلت ذلك بالفاعل". فأما الفاعل الذي لا يتعدّه فعله فقولك: ذهب زيد وجلس عمرو. والمفعول الذي لم يتعدّه فعله ولم يتعدّ إليه فعل فاعلٍ فقولك: ضرب زيد ويضرب عمرو²".

ونستطيع أن نقارن في جدول توضيحي بين الصيغ التي تتشابه فيما بينها في اللّفظ، وإن اختلفت فيما بينها في المعنى.

ذهب	زيد	جلس	عمرو
ضرب	زيد	يُضرب	عمرو

ولو تتبعنا المسألة لوجدناها تتشابه مع الفعل المتعدد إلى مفعولين، مثل قوله: "كسي عبد الله الثوب، وأعطي عبد الله المال، رفت عبد الله ههنا كما رفعته في ضرب، حين قلت: ضرب عبد الله، وشغلت به كسي وأعطي كما شغلت به ضرب، وانتصب الثوب والمال لأنهما مفعولان تعدى إليهما فعل مفعول هو بمثابة الفاعل".³

اللّفظ مختلف بين الرفع والنصب	ضربت زيداً
والمعنى واحد وهو المفعولية	ضرب زيد
اللّفظ فيهما مختلف بين الرفع والنصب	كسوت زيداً ثوباً
والمعنى واحد وهو المفعولية	كسي زيد ثوباً

التشابه في التقديم والتأخير

¹ - يقصد: حركة الرفع التي يستوي فيها الفاعل والمفعول الذي حذف فاعله.

² - سيبويه، الكتاب، 87/1.

³ - سيبويه، الكتاب، 99/1.



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

إن الأمر يمتد إلى المشاكلة في العمل، ولو مع التقديم والتأخير لأن فكرة العمل واحدة في كلتا الجملتين

يقول: "فإِنْ قَدَّمْتَ الْمَفْعُولَ وَأَخْرَجْتَ الْفَاعِلَ حَرَى الْلَّفْظِ كَمَا جَرَى فِي الْأُولِيِّ
وَذَلِكَ قَوْلُكَ: ضَرَبَ زَيْدًا عَبْدَ اللَّهِ؛ لَأَنَّكَ أَرْدَتَ بِهِ مُؤَخِّرًا مَا أَرْدَتَ بِهِ مُقْدَمًا، وَلَمْ تَرْدِ
أَنْ تَشْغُلَ الْفَعْلَ بِأَوَّلِهِ، وَإِنْ كَانَ مُؤَخِّرًا فِي الْلَّفْظِ، فَمِنْ ثَمَّ كَانَ حَدًّا لِالْلَّفْظِ أَنْ
يَكُونَ الْفَاعِلُ مُقْدَمًا، وَهُوَ عَرَبِيٌّ حَيْدُّ كَثِيرٍ، كَأَنَّهُمْ إِنْحَمَّا يُقْدِمُونَ الَّذِي يَيْأَاهُ أَهْمُّهُ لَهُمْ
وَهُمْ بِبَيَانِهِ أَعْنَى، وَإِنْ كَانَا جَمِيعًا يُهْمَانُهُمْ وَيَعْنَيَانُهُمْ".²

اللفظ مختلف والمعنى واحد، وهو يشبه العلاقة بين:	ضَرَبَ عَبْدَ اللَّهِ زَيْدًا
لفظي: جَلَسَ وَقَعَدَ، من جهة المعنى الإفرادي.	ضَرَبَ زَيْدًا عَبْدَ اللَّهِ

ويستمر التشابه في التقديم والتأخير مع الفعل والفاعل والمفعول، إذا تعدى الفعل إلى أكثر من مفعول واحد، فإنه يأخذ الحكم نفسه "إِنْ شَئْتَ قَدَّمْتَ وَأَخْرَجْتَ فَقُلْتَ:
كُسِّيَ الثَّوْبَ زَيْدُ، وَأُعْطَيَ الْمَالَ عَبْدُ اللَّهِ، كَمَا قُلْتَ: ضَرَبَ زَيْدًا عَبْدَ اللَّهِ، فَأَمْرَهُ فِي هَذَا
كَأْمَرُ الْفَاعِلِ". فهو يشابه بين الفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول، وبين المفعول
المقدم والمؤخر.

ضَرَبَ زَيْدًا عَبْدَ اللَّهِ	ضَرَبَ عَبْدَ اللَّهِ زَيْدًا
كُسِّيَ الثَّوْبَ زَيْدُ	كُسِّيَ زَيْدُ الثَّوْبَ
أُعْطَيَ الْمَالَ عَبْدُ اللَّهِ	أُعْطَيَ عَبْدُ اللَّهِ الْمَالَ

¹ - يشير بذلك إلى فكرة الأصل والفرع في ترتيب الكلام العربي فيما يتعلق بالفعل والفاعل والمفعول، وأن التقديم رغم أنه ليس بالأصل ولكنه مستعمل عند العرب كثيراً وهو جيد ومستقيم حسن.

² - سيبويه، الكتاب، 1/88.



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

ويقول في التشابه في التقديم والتأخير بين الفعل الناسخ والفعل التام: " وإن شئت قلت: كَانَ أَخْحَاكَ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَدِمْتَ وَأَخْرَجْتَ، كَمَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فِي (ضَرَبَ)، لَا هُنْ فَعَلُوا مِثْلُهُ، وَحَالُ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِيهِ كَحَالِهِ فِي (ضَرَبَ)، إِلَّا أَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ¹ فِيهِ لَشَيْءٍ وَاحِدٌ".²

وتستمر المشابهة في الخصائص التي يأخذها الفعل الناسخ من الفعل التام فتجده يستعمل أحياناً المشابهة بين كان التامة والفعل التام حينما يأتي مكتفياً بفاعله كاكتفاء الفعل التام بفاعله، وذلك قوله: " قَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ، أَيْ: قَدْ خُلِقَ عَبْدُ اللَّهِ، وَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ، أَيْ: قَدْ وَقَعَ الْأَمْرُ، وَقَدْ دَامَ فُلَانٌ أَيْ قَدْ تَبَّتَ، كَمَا تَقُولُ: رَأَيْتُ فَتَرِيدُ رُؤْيَاَ الْعَيْنِ، وَكَمَا تَقُولُ: أَنَا وَجَدْتُهُ تَرِيدُ: وَجَدَانَ الضَّالَّةِ، وَكَمَا تَكُونُ أَمْسَى وَأَصْبَحَ مَرَّةً بِمُتَرَلَّةٍ كَانَ وَمَرَّةً بِمُتَرَلَّةٍ اسْتَيْقَظُوا وَنَامُوا".³

ويشابه بين حالة التقديم والتأخير مع دخول الناسخ على الجملة التي فيها معرفة ونكرة وهي جملة اسمية، في عدم التباس معناها وجواز التصرف بالتقديم مثلما يجوز مع الفعل (ضرَبَ)، يقول: " وَهُمَا فِي كَانَ بِمُتَرَلَّهُمَا فِي الْإِبْتِدَاءِ إِذَا قَلَتَ: عَبْدُ اللَّهِ مُنْطَلِقٌ،

¹ - يعقد سيبويه شبهها بين اسم كان فيجعله فاعلاً، ويجعل خبر كان مفعولاً، في مقابلة الفاعل والمفعول مع الفعل التام مثل ضرب، ويوافقه السيرافي شارح الكتاب على هذا. ينظر: أبو سعيد السيرافي ت 368هـ، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 266/2، 1990م.

² - سيبويه، الكتاب، 105/1.

³ - سيبويه، الكتاب، 106/1.



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

تَبْتَدِئُ بِالْأَعْرَفِ ثُمَّ تَذَكِّرُ الْخَبَرُ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: كَانَ زَيْدٌ حَلِيمًا، وَكَانَ حَلِيمًا زَيْدٌ، لَا
عَلَيْكَ أَقْدَمْتَ أَمْ أَحْرَتَ، إِلَّا أَنَّهُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي قَوْلُكَ: ضَرَبَ زَيْدًا عَبْدَ اللَّهِ.¹

التشابه في لزومِ

يذكر سيبويه في فكرة لزوم الفعل، أن الفعل المتعدّي الذي يستوفي ما يتعدى إليه يصير له كافة أحكام الفعل اللازم، لأن الفعل المتعدّي إذا استوفى ما تعدّى إليه فكانه صار لازماً، بحكم أنه لا يستطيع أن يعمل بعد ذلك في مفعول، وهو بسبب هذا الامتناع من محاوزة التعدي يكون مشابهاً للفعل اللازم.

يقول: "واعلم أن هذه الأفعال إذا انتهت إلى ما ذكرت لك من المفعولين، فلم يكن بعد ذلك متعدّي، تعدّت إلى جميع ما يتعدى إليه الفعل الذي لا يتعدّى الفاعل...".² ولو رسمنا الأمثلة لكان كالتالي:

هذا فعل لازم فتعدى مباشرة إلى المصدر، ويصير كل فعل يستوفي مفعولاته بمترله الذي لم يتعد أصلاً لأنه شابه في عدم القدرة على التعدي فوق ذلك.	ذهبَ زيدُ	ذهبَ زيدُ
هذا فعل متعدّي لواحد يتعدى إلى المصدر عند استيفائه مفعوله.	ضرَبَ عَبْدَ اللَّهِ زَيْدًا	ضرَبَ عَبْدَ اللَّهِ زَيْدًا
هذا فعل متعدّي لمفعولين يتعدى إلى المصدر عند استيفائه مفعوليه، وحينها يشابه اللازم في التعدي للمصدر.	ظَنَّ عَمْرُو زَيْدًا صَالِحًا	ظَنَّ عَمْرُو زَيْدًا صَالِحًا

¹ - سيبويه، الكتاب، 1/107.

² - سيبويه، الكتاب، ص98.



التشابه في الخصائص وأثره ————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

إعْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ زَيْدًا عَمْرًا صَالِحًا	إِعْلَمًا	هذا فعل متعددي لثلاثة مفعولين يتعدى إلى المصدر عند استيفائه مفعوليها، وحينها يشابه اللازم في التعدي للمصدر.
---	-----------	---

فمثلاً اكتفى الفعل اللازم بفاعله ولم يستطع التعدي إلى مفعول أصلاً، كان الفعل المتعددي مشابهاً له من جهة عدم استطاعة تعديته فوق ما يحتاجه من مفاعيل.

ويتبع هذا الشبه شبه الأفعال المبنية للمفعول، فلها نفس الحكم من جهة التعدية واللزوم كالذى يأخذ الفعل المبني للمجهول، فمثلاً تقول: ضربَ زيدٌ ضرباً، فإنك تقول أيضاً: كسيَ عبدُ الله الثوبَ كسوأً، وأعطيَ عبدُ الله المالَ إعطاءً.

ومثل ذلك الفعل المتعددي إلى ثلاثة مفعولين إذا كان مبنياً إلى المجهول، فإنه يشابه الفعل المتعددي إلى ثلاثة مفعولين وهو مبني للمعلوم إذا قلت: ^١نبتُ زيداً أباً فلانٍ تبيئاً.

ضرباً	ضُربَ زَيْدُ
كسواً	وَكَسَيَ عَبْدُ اللهِ الثُّوْبَ
إعطاءً	وَأُعْطِيَ عَبْدُ اللهِ الْمَالَ
تبيئاً	نَبَتُ زَيْدًا أَبَا فُلَانٍ

2.3 الجمع بين المشابهات في اللفظ

تشابه ألقاب الإعراب والبناء

يحاول سيبويه التقرير بين ألفاظ الإعراب والبناء، مع ذكر سبب التفريق بينهما، وعدم جعلهما شيئاً واحداً رغم ما بينهما من تشابه، لأن الذي يفرق بينهما لا يزال

¹ - سيبويه، الكتاب، 101/1.



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

قائما في حقهما، فالإعراب والحركة فيه جلبها العامل، وهو الذي يغيرها إذا تغير، والحركة في البناء ثابتة لأن العامل لا يؤثر فيها، وليس هو الذي جلبها. فالإعراب له ألقاب وهي: الرفع والنصب والجر والجزم، والبناء له ألقاب وهي: الفتح والضم والكسر والوقف، ولكنها تجتمع وتشابه في اللفظ فتصير أربعة، لأن النصب والفتح في اللفظ ضرب واحد، والكسر والجر فيه لفظ واحد، وكذلك الرفع والضم، والجزم والوقف¹.
فهنا نجد المشاهدة في اللفظ، والمفارقة في السبب المحدث له، ففي حين نجد ألقاب الإعراب تحدث بسبب العامل الذي يسبقها، ويؤثر فيها، فإن ألقاب البناء حديثة لا بسبب العامل، ولذلك فهي ثابتة ولا تغير وإن تغير العامل الداخلي عليها. فمن هذه الجهة فرق بينهما في الألقاب إلى ثمانية دون الالكتفاء بالأربعة فحسب.

تشابه حركات الإعراب في الفعل والاسم

وإذا نظرنا إلى حركات الإعراب في الفعل المضارع الذي اتصلت به ألف اثنين أو واو جماعة أو ياء المؤنثة المخاطبة، فنجد أنه ينصب ويجزم بحذف النون، وتكون هناك موافقة بين الإعرابيين، فنقول: (لم يفعلوا، ولن يفعلوا، ولم يفعلوا ولن يفعلوا، ولم تفعلوا ولن تفعلوا)، كل ذلك بحذف النون.

كذلك الاسم إذا كان مثنى أو مجموعاً جمع مذكر سالما، فإننا نجد بينه وبين الفعل المضارع المسند إلى ألف اثنين أو واو الجماعة أو ياء المؤنثة المخاطبة شبهًا في الإعراب، وذلك أن حركة النصب والجر في الأسماء هي الياء والنون، في التثنية وجمع المذكر، وهي الكسرة في جمع المؤنث السالم، فنقول: (رأيتُ المسلمينَ والمسلمينَ والمسلماتِ، ومَررتُ بالمسلمينَ والمسلمينَ والمسلماتِ). كل ذلك بعلامة واحدة في

¹ - سيبويه، الكتاب، 55/1



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

النصب والجر. "فوافق النصب الجزم في الحذف، كما وافق النصب الجر في الأسماء؛ لأنّ
الجزم في الأفعال نظير الجر في الأسماء".¹

المشاكلة بين حركة نونات الشبيهة والجمع

نجد سيبويه يعقد شبهها بين نونات الشبيهة والجمع في الفعل المضارع والاسم²، ففي
قولنا: **المسلميْن** وال**المسلمانِ**، **وَيَفعُلَانِ** و**تَفعُلَانِ**، نجد شبهها بين التوينين في أنّ كليهما
مكسورٌ، لأنّهما يدلان على المثنى في الاسم والفعل، وكذلك كلمة (**يَفعُلُونَ** و**تَفعُلُونَ**،
وَالمسلِمُونَ و**المسلِمِينَ**)، نجد التنوين مفتوحة، لأنّما في كليهما للدلالة على الجمع، وينطبق
الأمر على نون جماعة النسوة في (**يَفعُلُنَ** و**تَفعُلُنَ** و**فَعَلُنَ**)، فكلّها نونات مفتوحة لأنّها
نونات جمع، مثلها في جمع المذكر أو جمع المؤنث، مثلها في الفعل والاسم.

أما بالنسبة لنون (**تفعيلن**) فإنه يعقد بينها وبين نون (**مسلمين**) في كون كليهما
مفتوحة، مشاكلاً في اشتراكهما في حركة ما قبلهما، لأنّ ما قبل نون (**مسلمين**) هو نفسه
بمجموع الحركات والسكنات الذي قبل نون (**تفعيلن**)، وهو كسر ما قبلها.

3.3 الجمع بين المشاكلات في الأولية

يعقد سيبويه شبهها ومضارعه في الأولية والأصل، حينما يتحدث عن الاسم
المتمكن والاسم غير المتمكن، فكلّ ما خرج عن الأصل فهو أثقلُ، وكلّ ما كان على
الأصل فهو أخفُ، ويلزم من الخروج عن الأصل ما لا يلزم مع البقاء على الأصل،
يقول: "فالمبتداً أولٌ كما كان الواحد أول العدد، والنكرةُ قبل المعرفة".³

¹ - سيبويه، الكتاب، 62/1.

² - سيبويه، الكتاب، 61-60/1.

³ - سيبويه، الكتاب، 68/1.



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

ويقول: "واعلم أن الاسم أول أحواله الابتداء، وإنما يدخل الناصب والرافع سوى الابتداء والجار على المبتدأ، ألا ترى أن ما كان مبتدأ قد تدخل عليه هذه الأشياء حتى يكون غير مبتدأ، ولا تصل إلى الابتداء ما دام مع ما ذكرت لك إلا أن تدعه...".¹

ويقول قبل ذلك: "واعلم أن النكارة أخف عليهم من المعرفة، وهي أشد تمكناً، لأن النكارة أول، ثم يدخل عليها ما تُعرف به، فمن ثم أكثر الكلام ينصرف في النكارة".² وهنا نجد كلام سيبويه يفسّر بعضه ببعضًا، لأنّه يربط بين الأصل والخلفة، وبين الأوليّة والخلفة، فما كان أولاً فهو الأخف، وما كان أصلاً فهو كذلك أخف، وما كان أصلاً هو المنصرف، وما كان ثانياً وفرعاً هو الذي يعتريه منع الصرف لما في ذلك من التّقل إذا بقي منصرفًا.³

ويقول: "واعلم أن الواحد أشد تمكناً من الجمع، لأنّ الواحد أول، ومن ثم لم يصرفوا من الجمع ما جاء على مثال ليس يكون للواحد نحو: مساجد ومفاتيح".⁴ فهو يبين أن ما خالف الإفراد أثقل في اللسان العربي من المفرد لأن المفرد هو الأصل، والأصل هو الأخف، وما خرج عن الأصل فهو أثقل، ولذلك يكون أقرب إلى المنع من الصرف لما في ذلك من زيادة ثقل تعترىه.

¹ - سيبويه، الكتاب، 68/1.

² - سيبويه، الكتاب، 65/1.

³ - ينظر: أبو الحجاج الأعلم الشنتمري ت476هـ، النكت في تفسير كتاب سيبويه وتبين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه، تحقيق: رشيد بلحبيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1999م-1420هـ.

⁴ - سيبويه، الكتاب، 65/1.



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

ويقول: "واعلم أن المذكّر أخفٌ عليهم من المؤتّث، لأن المذكّر أوّل، وهو أشدّ تمكّناً، وإنما يخرج التأنيثُ من التذكيرِ، ألا ترى أنَّ (الشيءَ) يقعُ على كلّ ما أخْبِرَ عنه، من قبلِ أنْ يُعلَمَ أذْكَرُ هُوَ أوْ أُنْثَى، و(الشيءَ) ذَكَرٌ".¹

فههنا نجد سيبويه يجمع بين هذه الأشياء من جهة اللفظ والتقليل، ومن جهة الأصل والفرع، ومن جهة الأولية والسبق، لأنها تجتمع في هذه الميزات وهي ملحوظة في جميع اللسان العربي، وكان من حسن التعليم الإشارة إلى هذه الخصائص في مقدمة الكتاب حتى يكون قارئ الكتاب على بيّنةٍ من أمره فيما يلي المقدمة من أبواب الكلام العربي، وحتى يمكنَ المؤلِّفَ نفسهُ من الإحالة عليها إذا ما احتاج إلى التذكير بها فيما يلي من أبواب صلب الكتاب.

4.3 المشابهةُ بين الناسخ وغير الناسخ

المشاكلةُ بين الناسخ وغير الناسخ

يذكر في باب الأفعال الناسخة الناصبة حينما تُستعملُ وتُلْعَنُ، وهي ظننتُ وأخْوَانَهَا، أنتَها: "إذا جاءت مُستعملةً فهي بمثابة رأيُتُ، وضرَبَتُ، وأعْطَيْتُ، في الإعمالِ، والبناءِ على الأولِ، في الخبرِ والاستفهامِ وفي كلِّ شيءٍ".²
وتقول في الإعمال فيهما: "أظُنْ عَمْرًا مُنْطَلِقاً وبَكْرًا أَظْنَهُ خَارِجاً، كما قلت: ضَرَبَتُ زَيْدًا وَعَمْرًا كَلْمَتَهُ، وإن شئت رفعتَ على الرفع في هذا".³

¹ - سيبويه، الكتاب، 1/66.

² - سيبويه، الكتاب، 1/191.

³ - يقصد أنه يجوز لك أن ترفع في الفعل الناسخ فتقول: "أظُنْ عَمْرًا مُنْطَلِقاً وبَكْرًا أَظْنَهُ خَارِجاً، كما يجوز الرفع في ضَرَبَ فتقول: ضَرَبَتُ زَيْدًا وَعَمْرًا كَلْمَتَهُ".



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

فهو هنا يجعل الإعمال بين الفعل الناسخ وسائر الأفعال لهما الحكم نفسه، خاصة إذا تقدم الناسخ أو الفعل، فهما واجبا الإعمال إذا تقدما¹، ويجوز في الناسخ الإعمال والإهمال كما يجوز في سائر الأفعال.

ومن باب المشاكحة أيضا ما يعده بـ(تقول) وـ(تطنن) في الاستفهام خصوصا، من شبيه جزئيٍّ، ولم يجعلوها مثل: يظنُّ وأظنُّ، في الاستفهام، لأنه لا يكاد يُستفهم المخاطبُ عن ظنِّ غيره، ولا يستفهم هو إلا عن ظنه، فإنما جعلت كـ(تطنن)، كما أن (ما) كـ(لَيْسَ) في لغة أهل الحجاز ما دامت في معناها، فإذا تغيرت عن ذلك، أو قُدِّمَ الخبرُ رجعت إلى القياسِ، وصارت اللغات فيها كلغةٍ تميِّز، ولم تجعل قلتُ كـ(ظنتُ لأنما إنما أصلها عندهم أن يكون ما بعدها محكيَا، فلم تدخل في باب (ظنت) بأكثر من هذا، كما أن (ما) لم تقو قوة (لَيْسَ) ولم تقع في كل مواضعها، لأن أصلها عندهم أن يكون ما بعدها مبتدأً ... وذلك قوله: (مَتَى تَقُولُ زَيْدًا مُنْطَلِقًا)، وـ(أَتَقُولُ عَمْرًا ذَاهِبًا)، وـ(أَكُلَّ يَوْمَ تَقُولُ عَمْرًا مُنْطَلِقًا) ... فإن قلت: (أَلَّا أَنْتَ تَقُولُ: زَيْدًا مُنْطَلِقًا)، رَفَعَتَ لَأَنَّه فُصِّلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حِرْفِ الْإِسْتِفَهَامِ ... فصارت بمثابة أحوالها وصارت على الأصل".²

إن هذا النص على طوله يرسِي قاعدة كبيرة في التشابه بين الأشياء في العربية، ويبين أن التشابه لا يلغى الحدود الفاصلة بين الأبواب، ولكنه مسُور بسور الأخذ من خصائص المشاكحة في حالات معينة، ثم إذا لم تتوفر شروط الشبه فإن المسائل ترجع إلى أصولها الأولى التي وضعت عليها في بداية الأمر. وهذا يحيلنا إلى عدم إطلاق القول بالتشابه بين لفظتين أو تركيبتين إلا عندما ندرك مع التشابه الاختلاف والتَّمِيز، وندرك

¹ - علي بن عيسى الرماني ت 384هـ، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: محمد إبراهيم يوسف شيبة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، 1415هـ، 1/353.

² - سيبويه، الكتاب، 194/1.



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

أسباب التشابه وأسباب الاختلاف، حينها نكتسب تلك الملة اللغوية القادرة على التفريق بأسباب موضوعية واضحة، والجمع لأسباب كذلك ظاهرة بين طرف المشاكلة.

مشابهة الناسخ بالناسخ

يعقد سبب المشاكلة في باب النسخ بين الأفعال الناسخة سواء كانت رافعة وناسبة، أو كانت ناسبة فقط، فتجده يجعل (حسب) مثل (كان)، والسبب: أنهما يدخلان على جملة واحدة، وهي التي تكونت من مبتدأ وخبره المبني عليه، فهما مستويان في عدم إمكان الاستغناء عن أحد الطرفين في الجملة، فلا يستغنيان عما كان مبتدأ ولا عما كان خبرا، لأنه لا يمكن الاقتصر على الاسم الذي بعدهما كما لا يمكن الاقتصر عليه لما كان مبتدأ.

يقول في باب كان وأنواعها: "ولا يجوز فيه الاقتصر على الفاعل¹، كما لم يجز في (ظننت) الاقتصر على المفعول الأول؛ لأن حالك في الاحتياج إلى الآخر ه هنا كحالك في الاحتياج إليه ثمة".²

ويقول في شرح الحالة النفسية وأثنا مشابهة في الإخبار عن المبتدأ بالخبر في باب الناسخ كان وأنواعها وظن وأنواعها: "تقول: كان عبد الله أخاك، فإنما أردت أن تخبر عن الأخوة، وأدخلت (كان) لتجعل ذلك فيما مضى، وذكرت الأول كما ذكرت المفعول الأول في (ظننت)".³.

¹ - يقصد سبب المشاكلة هنا المبتدأ، فهو يعقد بينهما مشابهة فيجعل من المبتدأ فاعلا، ومن الخبر المنصوب به (كان) مفعولا.

² - سبب المشاكلة، الكتاب، 104/1.

³ - سبب المشاكلة، الكتاب، 105/1.



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

إننا نجد جمعاً بين الأصل وفروعه، وبين الفروع المتباينة عن هذا الأصل الواحد، مما ينطبق على المبتدأ والخبر من الحالات النفسية وهم مجردان ينطبق عليهما وهم مقتربان بالتواسع على اختلاف عملهما، لأن الناسخ لم يأت بمعنى جديد، وإنما المعنى كامن في المبتدأ والخبر قبل دخول الناسخ عليهما، فوظيفة الناسخ لا تتعدي كونه يحدد وقتاً لحصول المعنى بين المبتدأ والخبر وهذا ما نجده في (كان وأخواتها)، أو يفيد شكاً أو يقيينا في حصول هذا المعنى وهذا عمل (ظنٌّ وأخواتها).

مشاهدةُ الضمير للضمير

يذكر سيبويه الضمائر ويحاول جعلها في نسق واحد في لغة العرب، فيبرهن أن الأحكام التي تتعلق بضمائر التكلم تنسحب في تعلقها بضمائر الغيبة والخطاب، مما جاز في قسم منها فإنه يجوز في القسمين الآخرين إذا اتحدت العلة، فقاعدة عدم فصل الضمير ما وجد السبيل إلى الوصل تنطبق على أنواع الضمائر الثلاثة، ويرهن سيبويه على ذلك بالأمثلة من كلام العرب الفصحاء، إلى أن يقول: "واعلم أنه قبيح أن تقول: رأيتُ فيها إِيَّاكَ، ورأيتُ الْيَوْمَ إِيَّاهُ، من قِبَلِ أَنْكَ قد تحد الإضمار الذي هو سوى (إِيَا)، وهو (الكاف)، التي في: (رأيتك فيها)، و(الباء) التي في: (رأيته اليوم)، فلما قدروا على هذا الإضمار بعد الفعل، ولم ينقض معنى ما أرادوا لو تكلموا بـ(إِيَاكَ)، استغنو بمذا عن (إِيَاكَ) و(إِيَّاهُ)"¹.

ومن سنة العرب في كلامها أن تستغني باللفظ آخر يكون متبادراً إلى الذهن،² ولكن العرب تختار في كلامها طريقة مغايرة، فتجدها تستغني في باب المفردات كما تستغني في باب التراكيب، فـ"لا يجوز أن تقول: (ضرَبْتُني)، ولا (ضرَبْتُ إِيَّايَ)،

¹ - سيبويه، الكتاب، تحقيق: محمد كاظم البكاء، 4/26.

² - عبد الخالق عضيمة، فهارس كتاب سيبويه، ص 72.



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

لا يجوز واحد منهما، لأنهم قد استغنو عن ذلك بـ (ضرَبْتُ نَفْسِي)، و(إِيَّاهِ ضَرَبَتْ)¹.

ومن المشابهة في هذا الباب أيضا الاستغناء بشيء عن شيء، فقد استعملت العرب هذه السنة في المفردات مثل استعمالها في التراكيب، مثل استغنانهم عن مضي الفعل (يَذْرُ وَيَدْعُ) ب الماضي الفعل (يَتَرُكُ).

فنجد سبيوبيه يتبه على هذه الميزة في الكلام متى وجد العرب استعملتها، ويتشابه بين الاستغناء في المفردات والاستغناء في التراكيب النحوية.

فيقول: "واعلم أنه قبيح أن تقول: رأيتُ فيها إِيَّاكَ، ورأيتَ اليوم إِيَّاهُ، من قبل أنك قد تجد الإضمار الذي هو سوى (إِيَّاهَا)، وهو الكاف، التي في: (رأيتك فيها) والمهاء التي في (رأيته اليوم)، فلما قدروا على هذا الإضمار بعد الفعل، ولم ينقض معنى ما أرادوا لو تكلموا بـ(إِيَّاكَ)، استغنو بهذا عن (إِيَّاكَ وَإِيَّاهَا)، ولو حاز هذا لجاز: (ضرب زيد إِيَّاكَ)، و(إن فيها إِيَّاكَ)، ولكنهم لما وجدوا: (إنك فيها، وضربه زيد)، ولم ينقض معنى ما أرادوا لو قالوا: (إن فيها إِيَّاكَ، وضرب زيد إِيَّاكَ)، استغنو به عن (إِيَّاهَا).²

فالتشابهة هنا صالحة في أن ضمير الغائب وضمير المخاطب من باب واحد في أنه لا يترك المتصل في واحد منهما ويلجأ إلى استعمال المنفصل بدله، إلا إذا منع من ذلك مانع قوي.

4. المشابهة في أبواب الصرف

يمكننا أن نجد بسهولة وفي أي باب من أبواب الصرف العمل بفكرة التشابه بين الأبواب الصرفية وشرح بعضها بعض، وإلحاد بعضها بعض في خصائصها.

¹ - سبيوبيه، الكتاب، تحقيق: محمد كاظم البكاء، 4/32.

² - سبيوبيه، الكتاب، 4/26.



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

ففي مشابهة التصغير لباب التكسير يقول: "واعلم أن تصغير ما كان على أربعة أحرف، إنما يجيء على حال مُكَسَّرٍ للجمع في التحرّك والسكن، ويكون ثالثه حرف اللين كما أتاك إذا كسرته للجمع كان ثالثه حرف اللين، إلا أن ثالث الجمع أَلْفٌ وثالث التصغير ياءً، وأول التصغير مضموّن وأول الجمع مفتوح".¹

فهو يستنتج أن التكسير والتصغير من باب واحد في أهم الخصائص وإن اختلفا في بعض الجزئيات، وأن الخطأ في أحدهما يصححه الصواب في الآخر، فمهما جهلنا أحدهما فإننا نقيس على الآخر فنصححه، ويقول معللاً لهذا التشابه: "وإنما حملهم على هذا أنهم لا يحقرّون ما جاوز ثلاثة أحرف إلا على زنته وحاله لو كسروه للجمع، إلا أن نظير حرف اللين الثالث الذي في الجمع الياء في التصغير، وأول التصغير مضموّن وأول الجمع مفتوح ... فالتصغير والجمع من باب واحد".²

ويقول: "وأما أسطوانة فتحقيرها أُسيطِينَةً، لقولهم: أَسَاطِينُ كما قلت: سَرَاحِينُ، حيث قالوا: سَرَاحِينُ. فلما كسرّوا هذا الاسم بحذف الزيادة وثبات النون حقرّته عليه".³

ويقول في تحقير ما حدث فيه إعلال بالبدل أو القلب حينما يرد إلى أصله في التصغير لأنّه يرد في التكسير إلى أصله: "فمن ذلك: مِيزَانٌ وَمِيقَاتٌ وَمِيَعَادٌ، تقول: مُؤَيِّنٌ، وَمُؤَيِّدٌ وَمُؤَيِّقَةٌ، وإنما أبدلوها الياء لاستقفالهم هذه الواو بعد الكسرة، فلما

¹ - سيبويه، الكتاب، 5/110.

² - سيبويه، الكتاب، 5/111.

³ - سيبويه، الكتاب، 5/121.



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

ذهب ما يستقلون رُدَّ الحرفُ إلَى أصله، وكذلك فعلوا حين كسروها للجمع، قالوا:
مَوَازِينٌ، وَمَوَاعِيدٌ، وَمَوَاقِيتٌ¹.

وإذا كانت الكلمة واوية العين أو يائتها، ومنقلبة ألفا، فإن تصغيرها كذلك يأخذ شبه تكسيرها، وترد العين إلى أصلها الذي انقلبت عنه، ففي تصغير (باب) تقول (بُوَيْبُ)، كما تقول (أَبْوَابُ)، وتصغير (تَابٌ) (تُسْبِبُ) كما قلت: (أَتَيَابُ) و(أَتَيَبُ)².
ومن المشاهدة أيضاً ما ذكره في باب المدود والمقصور³، وهو ما كانت آخره ألفاً مبدلة من واو أو ياء، وقبلها حرف مفتوح، فلا يدخله رفع ولا نصب ولا جر، "لأن نظائرها من غير المعتل إنما تقع أواخرهن بعد حرف مفتوح، وذلك نحو معطى، ومشترى، وأشباه ذلك؛ لأن مُعْطَى (مُفْعَلٌ)، وهو مثل (مُخْرَجٌ)، فالباء بمتصلة الجيم، والراء بمتصلة الطاء، فنظائر ذا تدل على أنه منقوص، وكذلك مُشْتُرَى، إنما هو (مُفْتَعَلٌ)، وهو مثل: مُعْتَرَكٌ، فالراء بمتصلة الراء، والباء بمتصلة الكاف، ومثل هذا مَغْرَى وَمَلْهَى، إنما هما (مُفْعَلٌ)، وإنما هما بمتصلة مَخْرَجٍ، فإنما هي واو وقعت بعد مفتوح كما أن الجيم وقعت بعد مفتوح، وهما لامان، وأنت تستدل بما على نصانه"⁴.

فهذه من أجيال صور التشابه بحيث وصل الشبه إلى حد التقابل بين حرف من المعتل وحرف من الصحيح، وبين حركة من المعتل والتي هي الفتحة قبل لام الكلمة،

¹ - سيبويه، الكتاب، 155/5.

² - ينظر: سيبويه، الكتاب، 160/5.

³ - يسميه سيبويه: المنقوص، لنقص الحركات فيه، ولم يعالج المنقوص الذي آخره ياء مثل القاضي والحامى، لأنه جعل المنقوص مثل الصحيح من حيث الحركات التي لا تظهر في الرفع والجر للثقل وتظهر في النصب حيث لا تنقل.

⁴ - سيبويه، الكتاب، 242/5.



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

والحركة من الصحيح التي هي الفتحة أيضا قبل آخر الكلمة، وكذا امتد الشبه إلى الشبه في الوزن، ونلاحظ هنا أهمية التجريد في الوزن عند عقد وجوه الشبه المراد استخراجها، وكيف تكون بهذا التجريد القواعد صالحة لأن تطرد بين ما يكون في ظاهر الأمر مختلفا، ولكنه في الحقيقة يتفق مع غيره في أغلب الأوجه.

فسيبوه لا ينظر في أوجه الشبه لتمام المطابقة، ولكن يستعمل المشابهة في بعض أشكالها الأساسية دون النظر في الجزئيات والتفاصيل التي لا يؤثر الخلاف فيها على جوهر الاتفاق في الخصائص.

5. من خصائص فكرة التشابة:

إن التشابة في الخصائص يعني عن تكرار الكلام في الأبواب المشابهة، والاكتفاء بالتذكير بوجه الشبه، ثم إحالة تفصيل الأمثلة والأوجه على السابق أو اللاحق، كما كان ذلك في التشابة بين وصف المعرفة والتكرة.

كما أن الحديث عن التشابة في الخصائص مرتبط بفقه التعليل ومعرفة نقاط الاشتراك والاختلاف، والعلة الجامعة أو المفرقة بين بايين أو أكثر من أبواب النحو. ولا يمكن حصر أوجه التشابة بين شيئاً إلا بدراسة مستفيضة لكل واحد منها على حدته، ثم الجمع بينهما فيما يتلقان فيه، والتفرق بينهما فيما يفترقان فيه، والبحث عن علل ذلك وأسبابه.

البحث في أوجه التشابة يؤدي إلى اكتشاف الدستور الجامع بين المختلافات، مثلما يقول عبد القاهر: "واعلم أن معك دستورا لك فيه إن تأملت، غنى عن كل سواه، وهو أنه لا يجوز أن يكون لنظم الكلام وترتيب أجزائه في الاستفهام معن لا يكون له ذلك



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

المعنى في الخبر. وذلك أن الاستفهام استخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك".¹

فاكتشاف القواعد والمفاهيم الكلية وما يتفرع عنها من جزئيات تحتاج فيه إلى مثل تلك المقارنات بين الأبواب، وهي تدل على ثراء هذا النوع من البحث في تعريفنا بخصائص الكلام العربي.

والتشابه في الخصائص يساعد الدرس على اكتشاف الروابط الظاهرة بين مواضيع دراسة الكلام العربي، وكذلك يساعد في كشف الروابط والعلاقات في وجهها الصحيح، وهذا ما جعل سيبويه يرتب كتابه الترتيب الذي جاء عليه، ثم خالفه النحاة المتأخرن حين اختصروا الأبواب النحوية، فمحذفوا منها أفضل ما فيها وهو الرابط بين الأبواب وتركوها مضمورة ولم يفصحوا عنها إلا في القليل النادر.² وقد أشار ابن خلدون إلى أن اختصار العلوم والاقتصار فيها على المهمات لا يسلم من ترك بعض الخلل لمن يريده أن يكتفي بالاختصارات في العلوم.³

ويلاحظ أن سيبويه يربط أوجه الشبه في عنوانه بين الأبواب التي تجمعها خصائص مشتركة، فـيُعنِّونَ لها بـعُوَانٍ كَبِيرٍ مَجْمَلٍ، ثم يفصل العنوان في أبواب ويشرحها بالطريقة التي تبين ترابطها على ما ذكره في عنوان الباب المجمل، وهذا قد فعله فيما سمي

¹ - عبد القاهر الجرجاني ت 471هـ، *دلائل الإعجاز*، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الحاجي، القاهرة، ط 3، 1413هـ-1992م، ص 140.

² - هذا العمل كان لا بد منه نظرا لما شهدته العلوم من تحول عبر الأزمنة المختلفة، فكل زمان يختار علماؤه ما يرون له لائقا بأهلهم وببيتهم.

³ - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، *المقدمة*، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 2، 2006، 1148/3.



التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

باب الفاعل، وهو في الحقيقة أوسع بكثير من باب الفاعل، ولكن الاغترار بأول الكلمة في عنوان الباب، هو الذي قد يؤدي إلى اعتبار هذه التسمية، أما عن السيرافي شارح الكتاب فقد أدرك المعنى الصحيح لذلك، فقال: "اعلم أن هذا الباب مشتمل على تراجم أبواب تحيى مفصلة بعده بابا بابا...".¹

إن البحث عن التشابه فيه زيادة في قوة التفكير العلمي، لأن من يُلزم نفسه بإنجاد شبه في المسائل العلمية والبحث عن روابط بينها وبيان درجة تلك الروابط، ليس كمن يترك عقله غُفلًا عن هذا الجانب من البحث، لأن فتح باب التأمل والتفكير في المسائل العلمية من هذا الجانب، يسير بطالب العلم إلى مراحل متقدمة، في اكتشاف النظام الخفيّ الذي يحكم صرحاً أي علم من العلوم، ويدرك الروابط الكامنة بين مسائله.

والبحث في التشابه في الخصائص متعلق بالبحث في العلل والأحكام النحوية المبنية عليها، وأنه من السبل الموصولة إلى أصح العلل وأقواها، وأشدتها تأثيراً في الحكم، مما يفضي إلى فهم الشبيه.

كما يفتح لنا البحث في التشابه الباب على مصراعيه للنظر عن قرب فيما يسمى بأسرار العربية، وكيف يتم بناؤها، وتصنيفها، وتحليلها، وما هي الطبقات التي تكونها، من الحسن، إلى الاستقامة، إلى القبح، وصولاً إلى اللحن الذي يخرجنا عن حدّ اللغة، فإذا تكونت الملكة في التشابهات عرف بهذه الملكة ما يكون قريباً من روح اللغة وما يكون بعيداً عنها، ولو لم يسمع من الكلام العربي ما يرهن له على ذلك.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث لا يسعنا إلا أن نقف وقفة إكبار أمام احتراز هذه الآليات المبتكرة في تعليم اللغة العربية، وتقديمها مقرونة بأهم خصائصها المشتركة الجامدة

¹ - السيرافي، شرح كتاب سيبويه، 1/58.



التتشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

والملفقة، فإنه لم يخل تعليم العربية من وجہ مشاکحة بین الأبواب النحویة الظاهر منها والخفی، وكأننا بالملکة النحویة في ذاك الوقت المبکر كانت لا ترى البحث النحوی مكتمل الجواب إلا بعد الوصول إلى عقد مثل تلك المقارنات. وکأن المناظرات النحویة والجلسات العلمیة لا تعدد إلا لطرح التساؤلات واحتیار قوّة اكتشافها لدى السائل والجیب، حينها تظهر براعته في الفكر النحوی، وفي فقه الكلام العربي. ويعیننا أيضاً ما تحمله من قوّة الحجّة في صدق إثبات وجودها أو إنكار أن توجّد، لأنّه لا يصلح القول بالتشابه ما لم تتوفر له أركان المشاکحة، وبيان مقدارها، وبيان أوجه الاختلاف فيها.

ولذلك فالكتاب لسيبویه يعتبر میراثاً للصورة العلمیة التي كانت سائدة في تعليم علم العربية في أبهى عصورها، ويکنّنا أن نجرب تطبيق هذه الآلیة في قاعات التدریس في المدارس والجامعات ونرى ما مدى تأثیرها في إدراك المسائل النحویة والصرفیة، ونستعمل في كل مستوى القدر اللائق به، حتى إذا وصلنا إلى الدراسات الجامعیة العليا جعلنا منها مجالس متخصصة للعصف الذهنی لاكتشاف أوجه الشبه والافتراق بين مسالیتین أو بایین، إلى أن تصير تقليداً علمیاً متطروراً يلی حاجیات الباحث في اكتساب القدرة على اكتشاف الحلول لما يعترضه من قضایا علمیة وفکریة.

المراجع والمصادر

- 1) أبو الحاج الأعلم الشتمني ت476هـ، النکت في تفسیر كتاب سیبویه وتبیین الخفی من لفظه وشرح أبياته وغیریه، تحقیق: رشید بلحیب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1420هـ-1999م.
- 2) أبو العباس محمد بن زید المبرد ت285هـ، المقتضب، تحقیق: عبد الحال عُضیمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط2، 1399هـ-1979م.



التшибية في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

- 3) أبو الفتح عثمان ابن جي ت329هـ، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط5، 2010م.
- 4) أبو بشر عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه ت180هـ، **الكتاب**، تحقيق: محمد كاظم البكاء، دار الكتاب الجامعي، الإمارات، ط1، 1435هـ-2015م.
- 5) أبو بكر عبد القاهر الجرجاني 471هـ، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1413هـ-1992م.
- 6) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ت207هـ، **معاني القرآن**، تحقيق: محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، ط3، 1403هـ-1983م.
- 7) أبو سعيد السيرافي ت368هـ، **شرح كتاب سيبويه**، تحقيق: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- 8) جمال الدين بن هشام ت761هـ، **شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1986م.
- 9) خالد عبد الكريم جمعة، **شواهد الشعر في كتاب سيبويه**، الدار الشرقية، مصر، ط2، 1409هـ-1989م.
- 10) خديجة الحديبي، **أبنية الصرف في كتاب سيبويه**، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1385هـ-1965م.
- 11) خديجة الحديبي، **الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه**، مطبوعات جامعة الكويت، دط، 1394هـ-1974م.
- 12) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 2006م.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسطنطينة الجزائر

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 759-731 تاريخ النشر: 25-03-2021

التشابه في الخصائص وأثره —————— أ. أحمد مرغم و أ. عبد الحق عقون

- 13) عبد الرحمن بودراغ، **مركبة سيبويه في الشفافة العربية**، مطبعة المداية، طوان المملكة المغربية، ط 1، 1438هـ-2017م.
- 14) علي بن عيسى الرماني ت 384هـ، **شرح كتاب سيبويه**، تحقيق: محمد إبراهيم يوسف شيبة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، 1415هـ.
- 15) محمد عبد الخالق عضيمة، **فهارس كتاب سيبويه ودراسة له**، ط 1، 1395هـ-1975م.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 1112-4040، ر ت م د إ : 2588-X

العدد: 34 السنة: 2020 الصفحة: 790-760 تاريخ النشر: 25-03-2021

التجيیب النحوی وآثره فی تحدید مواطن الوقف فی كتاب (القطع والتناف)
لأبی جعفر النحاس

**Grammar guidance and its impact in determining the
endowments in The book of (cutting and
reassignment) of Abu Ja'far al-Nahas**

الطالب. عزالدين كربوش

azeddinekerbouche@gmail.com

أ. د. محمد العيد رتيمت

mohamedlaid.retima@univ-alger2.dz

جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر²

تاریخ القبول: 2020/11/16

تاریخ الإرسال: 2020/03/30

الملخص:

تعد الدراسات القرآنية أحد أهم المجالات اللغوية وأبرزها، وقد بلغت هذه الدراسات غاية في الرقي سواء جانبها النظري أو التطبيقي، واستثمرت العلوم الأخرى خدمة لها، كعلم النحو والبلاغة والأصوات... .

وقد حاولنا من خلال هذا البحث أن نيرز جانبًا من هذه العلاقات بين العلوم والفنون المختلفة؛ يتمثل في دور الإعراب وتأثيره في تحديد مواطن الوقف وبيان أنواعه، فقد اهتم علماء اللغة بعلم الوقف، وبذلوا جهودًا يشهد لها في بيان ما يحسن الوقف عليه في القرآن الكريم وما ينبغي اجتنابه.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ——— ط. عز الدين كربوش و أ. محمد العيد رتيمة

وكتاب القطع والائتلاف لأبي جعفر النحاس أحد الأمثلة لما قدمه أهل اللغة في هذا الباب، وهدفنا من هذا البحث إبراز قيمة هذا الكتاب بين مؤلفات هذا العلم، ومنهجه في التوصل بالمسائل النحوية للوصول إلى المعانٍ، ثم تحديد مواطن الوقف ونوعه. ورأينا تقسيم هذا البحث إلى قسمين: نظري وتطبيقي، أدرجنا في القسم الأول تعريفات نظرية تتعلق بموضوع البحث، أما القسم التطبيقي فاتجهنا فيه مباشرة إلى تحليل النماذج المختارة من الكتاب.

وقد ختمنا البحث بنتائج توصلنا إليها من خلال البحث والاستقراء، وهي مدرجة في موضعها.

الكلمات المفتاحية: التوجيه النحوي، الوقف ،الابداء، الإعراب والمعنى، أنواع الوقف.

Abstract:

Quranic studies are one of the most important and most prominent linguistic fields, and these studies have reached a very sophisticated, both theoretical and applied side, and invested other sciences to serve it, such as grammar, rhetoric and sounds ...

We have tried through this research to highlight some of these relations between science and various arts; is the role of express and its impact in determining the pause and indicate the types. Linguists have paid attention to pause science, and made efforts attested to indicate what improves standing in the Koran and what It should be avoided.

The book of cutting and reassignment of Abu Ja'far al-Nahas is one example of what the people of the language have provided in this section. We considered the division of this research into two sections: theoretical and practical, we



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ——— ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

included in the first section theoretical definitions related to the subject of research, while the applied section went directly to the analysis of selected models of the book.

We conclude the research with our findings through research and extrapolation, which are included in their positions

Keywords: grammar guidance, pause and initiation, parsing and meaning, types of pause.

المقدمة:

إن من تمام ترتيل القرآن الكريم وتدارس آياته أن يحسن القارئ الوقف والابتداء، وذلك للعلاقة الوطيدة بين طريقة قطع الكلام واستئنافه والمعنى، فسواء الوقف أو سوء الابتداء ينجر عنه نقص في المعنى المراد أو فساده؛ قال ابن عباس - رضي الله عنهم - في قوله تعالى: ﴿وَرَأَلْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمول/4): "بينه تبيينا"¹. والبيان عند النحاس يقوم على: "تفصيل الحروف، والوقوف على ما تم، والابتداء بما يحسن الابتداء به"²، ورغبة في تلافي هذا اللحن وصيانته لكتاب الله عز وجل من فساد معانيه اهتم العلماء بعلم الوقف والابتداء، وألفوا فيه كتاباً مفيدة، فمسألة تحديد مواطن الوقف ونوعه مسألة اجتهادية

¹ - ابن أبي حاتم الرازى: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، 1427هـ / 1997م، ج 10، ص 3380.

² - أبو جعفر النحاس: القطع والائتلاف، تحقيق: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى، دار عالم الكتب، الرياض - المملكة العربية السعودية، 1413هـ / 1996م، ج 1، ص 1.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ——— ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

ترتبط بالبحث عن تمام المعنى أو عدمه، يقول بعض الباحثين: "ليس في القرآن وقف واجب ولا حرام؛ وإنما يرجع في ذلك إلى استقامة المعنى واللغة"¹.

والمتفحص لكتب الوقف والإبتداء يظهر له جلياً أن أصحاب هذه الكتب كانوا يقرنون أحکامهم بتعليلات أكثر ما تتصل هذه التعليلات بقواعد الحو، وهذا ما لفت انتباها وأحالنا على قضية العلاقة بين الإعراب والمعنى، فإن العلماء لطالما دعوا الراغبين في علوم القرآن إلى التسلح بعلوم اللغة والتتمكن من الإعراب، فما علاقة التوجيه النحوي للآيات بتحديد مواطن الوقف في كتاب القطع والإئتناف؟ وما مدى تأثير الخلاف النحوي في أنواع الوقف في هذا الكتاب؟

1: مفاهيم عامة:

قبل أن نرى علاقة التوجيه النحوي للآيات بتحديد مواطن الوقف في كتاب القطع والإئتناف، فلا بد أن نقف على بعض الجوانب النظرية التي لا ينبغي تجاوزها في هذا البحث؛ كتعريف التوجيه النحوي وتعريف الوقف.

1.1-تعريف التوجيه النحوي: أما التوجيه في الاصطلاح فيعرفه عبد العلي المسؤول بقوله: "التوجيه عند المقرئين يقصد به تبيين وجه قراءة ما والإفصاح عنه، باعتماد أحد الأدلة الإجمالية للعربية من نقل وإجماع وقياس واستصحاب حال وغيرها"²، وقد استعمل العلماء بعض الألفاظ مرادفة لهذا المصطلح كالتعليق والتخرير.

¹- إسلام نصر السيد سعد الأزهري: متن إتحاف القراء وضوابط علم الوقف والإبتداء، دار الكتب المصرية، الطبعة الثالثة، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، 1435هـ/2013م، ص17.

²- عبد العلي المسؤول: معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلّق بها، دار السلام، الطبعة الأولى، دار السلام، القاهرة- مصر، 1428هـ/2007م، ص155.

التجييه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف — ط. عزالدين كريوش و أ.د. محمد العيد ريمة
والاحتجاج¹، فكلمة الاحتجاج مشتقة من الحجة، كما جاء في تذيب اللغة عن الليث
أنه قال: "الحجـة الوجه الذي يكون به الظـفر عند الخـصـومة، وـجـمعـها حـجـجـ"² ويقول
الجرجاني في التعريفات: "الحجـة ما دلـ به على صـحة الدـعـوى"³، ويقول المهدوي في
تعريف الاحتجاج: "علم يقصد منه تبيين وجوه وعلل القراءات والإيضاح عنها
وـالانتصار لها"⁴.

فهذا العلم الذي يجعله بعض المحققين قسماً من علم القراءات غرضه الذب عن القرآن الكريم والقراءات الصحيحة، وتحليل وجوهها النحوية والصرفية والصوتية اعتماداً على الأدلة والبراهين مما صح من كلام العرب، وكان ظهور هذا العلم مبكراً مع ظهور القراءات القرآنية، وكذلك دعت إليه الحاجة الملحة عند بروز بعض المتحاملين على القرآن، وتحطيم القراءات المتصلة السند.

والتجيئ النحوي للقرآن الكريم والقراءات القرآنية قسم من علم الاحتجاج،
يهتم بالقضايا النحوية على وجه الاختصاص، وقد ظهر التوجيئ النحوي مخليطاً بعلوم
أخرى خاصة تفسير القرآن في كتب معان القرآن كمعان القرآن للكسائي ومعانى

¹ - ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

² أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الحليم النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة- مصر، دت، ج 3، ص 390.

³ - الشريف الحرجاني: التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، دط، دار الفضيلة، القاهرة- مصر، دت، ص73.

⁴ - أحمد بن عمار المهدوي: شرح الهدایة، تحقيق: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، دط، مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، دت، ج1، ص17.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ——— ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

القرآن للفراء وغيرها من الكتب التي كانت حافلة بالتوجيه النحوي وإعراب القرآن

وإعراب القراءات، ثم استقل هذا العلم بمصنفات مستقلة عرفت بكتب إعراب القرآن.

2.1- تعريف الوقف: الوقف لغة: الحبس والكف عن الفعل والقول، أما في الاصطلاح فعرف الوقف عند علماء القراءات بأنه: قطع الصوت على الكلمة زماناً

يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله.¹

وعرفة الداني بقوله: "هو فن جليل يعرف به كيفية أداء القراءة بالوقف على الموضع التي نص عليها القراء لإتمام المعنى، والابتداء بموضع محددة لا تختل فيها المعانى".²

ومن المصطلحات المرادفة للوقف السكت والقطع، ومن العلماء من فرق بينها: فاستعمل القطع لقطع القراءة تماماً، والسكت لقطع الصوت زماناً ما دون زمن الوقف عادة من غير تنفس.³

2- أقسام الوقف وأهمية دراسته.

1.2- أقسام الوقف: تبأنت آراء العلماء في تقسيم الوقف وبيان أنواعه، إلا أن

أشهر التقسيمات المتداولة بين أهل هذا العلم أن الوقف أربعة أنواع، وهو ما ذهب إليه

¹- أبو الخير شمس الدين بن الجزري: النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضياع، دار الكتب العلمية، دط، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، دت، ج 1، ص 240.

²- أبو عمرو الداني: المكثفي في علم الوقف والابتداء، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، دط، دار الصحابة للتراث، طنطا- مصر، 1427هـ/2006م، ص 48.

³- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ----- ط. عز الدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

الداني وابن الجزرى في كتابه النشر¹، جاء في كتاب مباحث في علوم القرآن: "المشهور أنه ينقسم إلى أربعة أقسام: تام مختار، وكاف جائز، وحسن مفهوم، وقبح متروك"². الوقف التام: هو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده؛ لعدم تعلق الكلمة الموقوف عليها بما بعدها لفظاً أو معنى، وذلك عند تمام القصص وانقضائهن، وأكثر ما يكون موجوداً في الفواصل ورؤوس الآي.

الوقف الكاف: هو الذي يحسن الوقف عليه أيضاً والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ.

الوقف الحسن: هو الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً.

الوقف القبيح: هو الوقف على ما لا يتم الكلام به ولا يعرف المراد منه، وأقرب منه الوقوف على ما يوهم وصفاً لا يليق بذات الله العلياء³.

2.2-أقسام الوقف عند النحاس: يعد بعض المحققين ابن النحاس أحد العلماء الذين كان لهم مذهب خاص في تحديد أنواع الوقف وتسميتها؛ حيث قسم الوقف إلى قسمين رئيسين، هما التمام وغير التمام، ويندرج تحت القسم الثاني ثلاثة أقسام فرعية: التام والصالح والممنوع، ولا يعدو أن يكون هذا الخلاف اختلافاً في الاصطلاح.

¹- ينظر: ابن الجزرى: النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 225

²- مناعقطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، دط، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، دت، ص 175.

³- ينظر: أحمد محمود عبد السميم حفيان: أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1422هـ/ 2001م، ص 219. وكتاب أبي عمرو الداني: المكتنى في الوقف والابتداء، ص 18.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ----- ط. عز الدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

قال النحاس: "وهذا الكتاب نذكر فيه التمام في القرآن العظيم وما كان الوقف عليه كافياً أو صالحاً، وما يحسن الابتداء به وما يجتنب من ذلك"¹.

3.2- أهمية دراسة الوقف: لم يخف على المسلمين منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا فضل تعلم الوقف والابتداء وإتقانه، فقد تناقل العلماء آثاراً عن النبي الكريم والصحابة والتابعين تؤكد على منزلة هذا العلم بين العلوم، أشهرها قول عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- : "لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدها يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد -صلى الله عليه وسلم- فتتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن"²، ويدعو النحاس إلى الاهتمام به و بيان حاجة الناس إليه فيقول: "وهو علم يحتاج إليه جميع المسلمين لأنهم لا بد لهم من قراءة القرآن ليقرؤوه على اللغة التي أنزل الله عز وجل كتابه بها".³.

فحسن الوقف والابتداء ثماره واضحة لا تحتاج إلى كثير حجاج، يقول السيد رزق الطويل: "إذ أن دراسته على جانب كبير من الأهمية لصلتها الوثيقة بإبراز المعنى الذي يحتممه السياق، كما يكون مفسداً للمعنى ومغيراً له إذا وقف القارئ وقفًا غير صحيح".⁴.

¹- أبو جعفر النحاس: القطع والائتلاف، ج 1، ص 1.

²- ينظر: أحمد بن عبد الكريم الأشوعي: منار المدى في الوقف والابتداء، مطبعة البابلي، الطبعة الثانية، مطبعة البابلي، القاهرة- مصر، 1393هـ/ 1973م، ص 5.

³- أبو جعفر النحاس: القطع والائتلاف، ج 1، ص 1.

⁴- السيد رزق الطويل: في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق، المكتبة الفيصلية، مكة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1405هـ/ 1985م، ص 159.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ----- ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

والجاهل بأحكام الوقف والابتداء لا يؤمن أن يوقع السامع في اللبس وأن يفسد المعن، يقول مناع القطان: "المعرفة الوقف والابتداء أهمية كبيرة في كيفية أداء القرآن حفاظاً على سلامة معان الآيات. وبعداً عن اللبس والوقوع في الخطأ" ¹.

3- علاقة الإعراب بالمعنى:

لقد دار سجال طويل بين أهل اللغة حول علاقة الإعراب بالمعنى بين مثبت وناف، وينذهب من الأقدمين إلى نفي ذلك محمد بن المستير الذي علل اختلاف الحركات بالتحجيف على اللسان والتتوسع في اختيار الأيسر في النطق، وقد رد عليه العلماء فيما ذهب إليه وفندوا حججه²، ومن الحديثين من ذهبوا لهذا المذهب إبراهيم أنيس في كتابه من أسرار العربية³.

إن الرجوع إلى مفهوم الإعراب اللغوي والاصطلاحي يؤكّد لنا صلته الوثيقة بالمعنى، فالإعراب في اللغة هو البيان والإفصاح والإيضاح، قال الأزهري: "الإعراب والتعريب معناهما واحد، وهو الإبانة؛ يقال: أعرّب عن لسانه وعرّب أي أبان وأفصح"⁴، ويؤكّد ابن منظور على هذا المعنى فيقول: "ولذلك سمى الإعراب إعراباً لتبيينه

¹- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص 175.

²- ينظر: أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، الطبعة الثالثة، دار النفائس، بيروت - لبنان، 1399هـ / 1979م، ص 70، 71.

³- ولمزيد تفصيل في هذا الموضوع ينظر: أحمد سليمان ياقوت: ظاهرة الإعراب في اللغة العربية وتطبيقاتها في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، دط، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية - مصر، 1994م، ص 75.

⁴- أبو منصور الأزهري: تذيب اللغة، ج 2، ص 361.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ----- ط. عز الدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

وإياضاه¹، ولا يبتعد النحاة في تعريفهم الاصطلاحى للنحو عن ربطه ببيان المعانى وإياضاحها فالنحو عند الرمخشري هو: "اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظاً أو تقديرًا"²، ويوضح الزجاجي هذا المعنى بقوله: "إن الأسماء لما كانت تعثورها المعانى، ف تكون فاعلة ومفعولة، مضافة ومضافا إليها، ولم تكن في صورها وأبياتها أدلة على هذه المعانى بل كانت مشتركة، جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعانى"³.

فالإعراب وسيلة من وسائل بيان المعنى وإياضاحه، ويراد به الإفصاح عما يقصد إليه المتكلم، ومظهر من مظاهر الدقة في البيان، وبالإعراب يتم التمييز بين الجمل المختلفة في الدلالة، ويتاح لمستعمل اللغة مجال التقليم والتأخير في أمن تام من اللبس وغموض المعنى، فالكلمة تحمل معها مركزها في الجملة بعلامتها الإعرابية، فالإعراب الذي تميزت به اللغة العربية هو الفارق بين المعانى المتكاففة في اللفظ؛ إذ به يتم التفريق بين المعانى بالحركات وغيرها، يقول عبد الكريم الرعيعي: "ويرجع الفضل في مرونة الجملة العربية وتنوعها إلى ميزة الإعراب التي تكفلت بإياضاح المعنى مهما تقلبت المفردات في الجملة وكيفما وقع التصرف فيها"⁴.

ويؤكد الزيدي على أهمية الإعراب في بيان المعنى عند حدثه عن ظاهرة اللحن فيقول: "حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان فدخل الناس فيه أفواجا، وأقبلوا إليه

¹ - جمال الدين بن منظور: لسان العرب، دار صادر، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت - لبنان، 1414هـ، ج 1، ص 588.

² - محمود بن عمر الرمخشري: الأنماذج في النحو، تحقيق: سامي بن حمد المنصور، لسان العرب، الطبعة الأولى، لسان العرب، 1420هـ / 1999م، ص 16.

³ - أبو القاسم الزجاجي: الإياضاح في علل النحو، ص 69.

⁴ - أحمد سليمان ياقوت: ظاهرة الإعراب في العربية وتطبيقاتها في القرآن الكريم، ص 77.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ----- ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

إقبالاً، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة واللغات المختلفة، فغشى الفساد في اللغة العربية،

واستبان منه في الإعراب الذي هو حلها والموضع لمعانيها¹.

وحين أدرك العلماء هذه العلاقة بين الإعراب والمعنى أكدوا على عدم إهمال أي

جانب منها يقول طاهر حمودة: "إن التحليل الصحيح للنصوص لا بد أن يجعل الاعتبار

الأول فيه للمعنى، ويكون الاعتبار الثاني للأصول والقواعد النحوية النظرية التي وضعها

القدماء"²، ويقول إبراهيم مصطفى: "وجب أن ندرس علامات الإعراب على أنها دوال

على معانٍ، وأن نبحث في ثنايا الكلام بما تشير إليه كل علامة منها"³.

4- التعريف بكتاب (القطع والاتفاق):

يعد أبو جعفر التحساس⁴ أحد العلماء البارزين والمشهود لهم بالاهتمام بالدراسات

القرآنية، وإثراء هذا المجال بمؤلفات قيمة، فصاحب الكتاب هو صاحب المعانٍ والإعراب

والناسخ والمنسوخ، وكل كتاب من هذه الكتب له قيمته العلمية بين أهل ذلك الفن،

فقد لقيت كتبه صدى واسعاً وقولاً واستحساناً من عصره إلى يومنا هذا، وذلك خير

¹- أبو بكر الزبيدي: طبقات النحوين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرف، الطبعة الثانية، دار المعرف، بيروت-لبنان، دت، ص 11.

²- طاهر حمودة: أسس الإعراب ومشكلاته، الدار الجامعية، دط، الدار الجامعية، الإسكندرية- مصر، دت، ص 94.

³- إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة- مصر، 1418هـ/1992م، ص 49.

⁴- أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحوي المصري المعروف بالحساس صاحب معانٍ القرآن وإعراب القرآن وشرح المعلقات، توفي 327هـ تنظر ترجمته في كتاب: صلاح الدين بن خليل أبيك الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1420هـ/2000م، ج 7، ص 237.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ----- ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة
دليل على مكانة الرجل العلمية، وما تحمله كتبه من زاد فكري ومعرفي لم تغُّ عنه كثرة المؤلفات.

لم يكن النحاس أول من ألف في الوقف والابتداء أو ما أطلق عليه مصطلح (القطع والاستئناف)¹، إلا أن ذلك لم يمنع كتابه من تحقيق الإضافة وجلب الأنظار إليه، وذلك سر الإبداع والتميز الذي صاحب مؤلفات النحاس، فهذا الكتاب ابتدأه صاحبه بمقيدة ذكر فيها مسائل تتعلق بالقرآن والقراءة كفضل القرآن الكريم وأهله وصفة قراءة النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم تناول سور القرآن كاملة، يحشد فيها الأقوال بأسانيدها ويوجه دلائلها، ولأهمية هذا الكتاب فقد اعتمد عليه كثير من ألف بعده ومن بينهم الداني في كتابه "الاكتفاء في الوقف والابتداء"².

وما يهمنا من هذا الكتاب هو تبع المسائل التحوية في توجيه الآيات وعلاقة ذلك بتحديد مواطن الوقف وتحديد أنواعه، يقول الجنبي معلقاً على منهج الكتاب: "استخدم قوانين النحو وأصوله لتفسير ظاهرة (الوقف والابتداء) تفسيراً نحوياً، وكتابه ليس في قواعد النحو ومسائله التفصيلية، لكنه كتاب يعلل تلك الظاهرة تعليلاً نحوياً"³.

5- خاتمة تطبيقية من الكتاب:

1.5- الموضع الأول: الوقف على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا﴾ (البقرة/1).

¹- الاستئناف والاستئناف في اللغة والاصطلاح: الابتداء. ينظر: عبد العلي المسؤول: معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلّق بها، ص 25.

²- ينظر: أبو عمرو الداني: المكتفي في الوقف والابتداء، ص 14.

³- أحمد نصيف الجنبي: أهمية كتاب القطع والاستئناف وأثره، مجلة المورد، دار الحرية للطباعة، بغداد- العراق، المجلد الثامن، العدد الثاني، 1399هـ / 1979م، ص 52.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ——— ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

حدث خلاف كبير بين العلماء في معنى هذه الآية وإعراها، وكان لهذا الخلاف أثر في الوقف عليها ونوعه، وإذا رجعنا إلى تفسير أبي حاتم الرازي نجد أنه يذكر في توجيه الآية أقوالاً متباعدة بين من قال أن معناها: أنا الله أعلم، ومن قال: أنها اسم من أسماء الله، ومن قال: أنها مشتقة من أسماء الله، ومن قال: أنها اسم من أسماء القرآن¹، حيث يذكر النحاس أربعة أقوال في الوقف على رأس هذه الآية.

القول الأول: أن الوقف تام، ونسب هذا القول إلى الأخفش الأوسط وأبي عبيدة والكسائي²، وقد أنكر النحاس هذا القول ورده، لأن مبناه على عدد الألف واللام والميم حروف هجاء.

قال الأخفش: "إِن شئت قلت: ﴿الَّم﴾ حروف منفصل بعضها من بعض لأنه ليس فيها حرف عطف، وهي أيضاً منفصلة مما بعدها".³

وقال أبو عبيدة: "﴿الَّم﴾ سكت الالف واللام والميم لأنها هجاء، ولا يدخل في حروف الهجاء إعراب، قال أبو النجم العجلي⁴: أقبلت من عند زياد كالحرف *** أحمر رجلي بخط مختلف. كأنما تكتبان لام ألف".

¹ - محمد الرازي فخر الدين: التفسير الكبير: دار الفكر، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1401هـ / 1981م، ج 2، ص 6.

² - أبو جعفر النحاس: القطع والانتفاف، ج 1، ص 30.

³ - أبو الحسن سعيد بن مساعدة الأخفش الأوسط : معان القرآن، تحقيق: هدى محمود قراءة، مكتبة الحناجي، الطبعة الأولى، مكتبة الحناجي، القاهرة - مصر، 1411هـ / 1990م، ج 1، ص 23.

⁴ - الفضل بن قدامة بن عبيد الله، من قبيلة عجل أحد أكبر وأشهر قبائل بكر بن وائل، عرف منها العديد من الشعراء والرجاز، شهد على جودة شعره الفرزدق وأكرمه سليمان بن عبد الملك، توفي على الأرجح سنة 130هـ.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ----- ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

فجزمه لأنه هجاء، ومعنى: **﴿الْمِ﴾** افتتاح مبتدأ كلام، شعار للسورة².

القول الثاني: أن الوقف على الآية كاف.

وهو يشترك مع القول الأول في الحكم على هذه اللفظة أنها حروف هجاء، وعلة القول بأن الوقف كاف وليس بتام لأن لها اتصال بما بعدها في المعنى³، فالوقف عليها يفهم المعنى، وقد نسب هذا القول إلى أبي حاتم⁴.

القول الثالث: أن الوقف ليس بتام ولا كاف.

وهو قول الفراء الذي يذهب إلى القول بأن الألف واللام والميم اجتزاء من حروف المعجم، المعنى: حروف المعجم يا محمد ذلك الكتاب، وقد خطأه النحاس في هذا القول⁵.

¹- البيت من بحر الرجز، ينظر: أبي التحيم العجلي الفضل بن قدامة: الديوان، تحقيق: عبد الواحد جمران، مطبوعات مجتمع اللغة العربية بدمشق، دط، مطبوعات مجتمع اللغة العربية بدمشق، دمشق- سوريا، 1427هـ/2006م، ص268.

²- أبو عبيدة عمر بن المثنى: مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الحاجي، دط، مكتبة الحاجي، القاهرة- مصر، دت، ج 1، ص28.

³- أبو جعفر النحاس: القطع والائتلاف، ج 1، ص30.

⁴- أبو حاتم السجستاني صاحب مؤلفات قيمة في الدراسات القرآنية والوقف والابتداء، إلا أن هذه المؤلفات لم تصل إلينا، وإنما نقلت إلينا أقواله الكتب التي جاءت من بعده، توفي سنة: 255هـ، تنظر ترجمته في كتاب أبي البركات الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الطبعة الثالثة، مكتبة المنار، الرقة- الأردن، 1405هـ/1985م، ص145.

⁵- أبو جعفر النحاس: القطع والائتلاف، ج 1، ص31.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ——— ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

وتأخذ الآية نفس الحكم على قول عكرمة الذي يقول بأن في الآية قسم وهو لا يتم إلا بما بعده، قال الرازى: "حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا ابن عليه عن خالد الحذاء عن عكرمة: ﴿أَلِم﴾ قسم"¹.

والفرق بين هذا القول والقولين الآخرين بالتمام في توجيه الآية وتقدير المذوف بين القول بالنصب على تقدير فعل مذوف: اقرأ ألم، قال الداين: "﴿أَلِم﴾ حيث وقع تام إذا جعل اسمًا للسورة، والتقدير: اقرأ ﴿أَلِم﴾²، أو القول بالرفع على تقدير هذا أو هو ﴿أَلِم﴾، قال محمد حسن عثمان: "﴿أَلِم﴾ كلمة أريد لفظها دون معناها فهي في محل رفع على أنها خبر لمبدأ مذوف التقدير: هذه ﴿أَلِم﴾، أو هو مبتدأ خبره ما بعده، ويجوز أن يكون محله النصب على أنه مفعول به لفعل مذوف، التقدير: اقرأ"³.

إذا كانت الحروف المقطعة في أوائل السور يراد بها الإعجاز؛ فهي حروف لم تدرك معانيها تحدى الله-عز وجل- بها المكابرين، ولذلك نقدم القول الأول بأن الوقف عليها تام.

2.5- الموضع الثاني: الوقف على لفظة "الكتاب" في الآية: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة/2).

القول الأول: أن الوقف عليها وقف تام⁴.

وللآية على هذا القول توجيهات:

¹- محمد فخر الدين الرازى: التفسير الكبير، ج.2، ص.7.

²- أبو عمرو الداين: المكتفى في الوقف والابداء، ص.32.

³- محمد حسن عثمان: إعراب القرآن الكريم وبيان معانيه، دار الرسالة، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م، ص.36.

⁴- أبو جعفر النحاس: القطع والائتلاف، ج.1، ص.33.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ----- ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

- التقدير الأول: ذلك الكتاب: مبتدأ وخبر¹.

جاء في إعراب الآية: "﴿الْكِتَابُ﴾ خبر ذلك وهو أولى من جعله بدلاً من اسم الاشارة؛ لأنّه قصد به الإخبار بأنّه الكتاب المقدس المستحق لهذا الاسم تدعيمًا للتحدي"²، وذكر مكي بن أبي طالب القيسبي هذا الوجه فقال: "﴿الْكِتَابُ﴾ بدل من ذا أو عطف بيان أو خبر ﴿ذَلِك﴾".³

- التقدير الثاني: هذا ذلك الكتاب الذي كتّم ترجمونه، وهو قول المبرد، قال المبرد في تعليقه على سؤال نافع ابن الأزرق لابن عباس - رضي الله عنهمَا - عن الآية:

- ﴿إِلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ قال: "فمعناه: هذا الكتاب الذي كتّم تتوقعونه".⁴

- التقدير الثالث: هذه الحروف ذلك الكتاب، وهو قول الفراء في المعاني: "فاما أحد الوجهين من ذلك فعلى معنى: هذه الحروف يا أَحْمَدَ ذَلِكَ الْكِتَابُ الذي وعْدْتَكَ أَوْحِيهِ إِلَيْكَ".⁵

¹ - المصدر نفسه، ج 1، الصفحة نفسها.

² - محى الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار الإمامية ودار ابن كثير، الطبعة السابعة، دار الإمامية ودار ابن كثير، بيروت - لبنان، 1420هـ / 1999م، ج 1، ص 38.

³ - مكي بن أبي طالب القيسبي: مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1405هـ / 1984م، ص 74.

⁴ - ينظر: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، دط، منشورات وزارة الشؤون

الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، دت، ج 3، ص 166.

⁵ - أبو زكرياء محمد بن زياد الفراء: معانٍ القرآن، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1403هـ / 1983م، ج 1، ص 10.



التجيئ النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ——— ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

و جاء في إعرابها: **﴿ذلِك﴾** اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ أو يكون في محل رفع خبراً لمبتدأ محدود بتقدير: هذا ذلك، اللام للبعد والكاف للخطاب.¹.

القول الثاني: الوقف كاف.

و توجيه الآية على هذا القول: أن **﴿الْكِتَاب﴾** نعت لـ **﴿ذلِك﴾**، والخبر إما أن يكون²:

- **﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾** ، وهو قول الأخفش.
- أو **﴿هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ﴾**.

قال صاحب الإعراب المفصل: "الكتاب صفة أو بدل من ذلك مرفوع بالضمة".³.

وقال محى الدين الدرويش: **﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾** لا نافية للجنس، وريب اسمها المبني على الفتح، والجار والمحرور متعلقان بمحذوف خبرها، والجملة خبر لذلك، أو حال من الكتاب، **﴿هُدَىٰ﴾** خبر ثالث لذلك⁴.

أما العكيري فيقول: "إما أن يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره ولا ريب حال، ويجوز أن يكون الكتاب عطف بيان ولا ريب فيه الخبر".¹

¹ - بحث عبد الواحد صالح: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، دار الفكر، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1413هـ / 1993م، ج 1، ص 12.

² - أبو جعفر النحاس: القطع والائتلاف، ج 1، ص 33.

³ - بحث عبد الواحد صالح: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، ج 1، ص 12.

⁴ - محى الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج 1، ص 38.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ——— ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

لعل القول الثاني بأن الوقف على لفظ (**الكتاب**) كاف هو ما نرتاح إليه وذلك لتعلق ما بعده به؛ كونه صفة له أو حال.

3.5 - الموضع الثالث: الوقف على لفظة **لَا رَيْبَ فِيهِ** في الآية: **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** (البقرة/2)، بين التمام وعدمه.

القول الأول: الوقف على **لَا رَيْبَ** تام، والمعنى: ذلك الكتاب حق، وخبر لا مخدوف، والجملة **فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** مستأنفة، وهذا القول نسبة النحاس إلى نافع وأيده فيه².

قال العكري: "الوجه الثاني أن يكون لا ريب آخر الكلام وخبره مخدوف للعلم به، ثم تستأنف فتقول: فيه هدى، فيكون هدى مبتدأ وفيه الخبر"³.

القول الثاني: الوقف غير تام لتعلقها بما بعدها؛ ويكون الإعراب: **لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى** المبتدأ، و**لِّلْمُتَّقِينَ** الخبر، والمعنى: هو هدى للمتقين⁴.

قال العكري: "وأما هدى فالفه منقلبة عن ياء لقولك: هديت والمدى، وفي موضعه وجهان: إما مبتدأ أو فاعل على ما ذكرنا، وإما أن يكون خبر مبتدأ مخدوف: أي هو هدى"⁵.

هنا لا نفاضل بين القولين كون كل منهما له توجيهه النحوي ودلالته الواضحة.

¹ - أبو البقاء العكري: *التبیان فی إعراب القرآن*، تحقيق: سعد کرم الفقی، دار اليقین، الطبعة الأولى، دار اليقین، المنصورة- مصر، 1422هـ / 2001م، ج 1، ص 16.

² - أبو جعفر النحاس: *القطع والاشتاف*، ج 1، ص 33.

³ - أبو البقاء العكري: *التبیان فی إعراب القرآن*، ج 1، ص 17.

⁴ - أبو جعفر النحاس: *القطع والاشتاف*، ج 1، ص 33.

⁵ - أبو البقاء العكري: *التبیان فی إعراب القرآن*، ج 1، ص 17.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ----- ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

4.5- الموضع الرابع: الوقف على لفظ **يُنْفِقُونَ** في الآية: **﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقَنَا هُمْ يُنْفِقُونَ﴾** (البقرة/3).

القول الأول: الوقف منوع لأن **﴿الَّذِينَ﴾** معطوف على **﴿الَّذِينَ﴾** الأول أو على **﴿الْمُتَّقِينَ﴾** أو على المضمر¹.

يقول محى الدين الدرويش: "﴿وَالَّذِينَ﴾ الواو حرف عطف، واسم الموصول معطوف على الموصول الأول مندرج معه في سلك المتقين".²

القول الثاني: الوقف جائز و**﴿الَّذِينَ﴾** مبتدأ جملة استئنافية، والخبر: **﴿أَلَّا هُنَّ عَلَى هُدًى مِّنْ رَبِّهِمْ وَأَلَّا هُمْ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**.³

قال العكري: "﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾... ويجوز أن يكون في موضع رفع على إضمار "هم" أو مبتدأ وخبره أولئك على هدى".⁴

والقولان مبنيان على الخلاف في كون الواو عاطفة أو استئنافية وكلاهما يحمله السياق.

5.5- الموضع الخامس: موضع الوقف في الآية: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** (البقرة/6).

القول الأول: الوقف على **﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾** تام و**﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾** خبر إن.⁵

¹- أبو جعفر النحاس: القطع والائتلاف، ج 1، ص 33.

²- محى الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج 1، ص 39.

³- أبو جعفر النحاس: القطع والائتلاف، ج 1، ص 33.

⁴- أبو البقاء العكري: التبيان في إعراب القرآن، ج 1، ص 18.

⁵- أبو جعفر النحاس: القطع والائتلاف، ج 1، ص 35.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ——— ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

قال الزجاج: "ويجوز أن يكون ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خير إن، كأنه قيل: إن الذين
كفروا لا يؤمنون سواء عليهم أذنركم أم لم تذرهم"¹.

القول الثاني: الوقف يكون على ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ وهو خير إن، ويكون الوقف
كافياً².

قال العكبري: "﴿أَنذَرْتُهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ جملة في موضع الفاعل سدت مسد
الخبر، والتقدير: يستوي عندهم الإنذار وتركه، وهو كلام محمول على المعنى، ويجوز أن
تكون هذه الجملة في موضع مبتدأ سواء خبر مقدم، والجملة على القولين خير إن"³.

القول الثالث: الوقف على ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾، ويكون الابتداء بهم: ﴿لَا
يُؤْمِنُونَ﴾، ويكون هم في محل رفع بالابتداء، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الخبر⁴.

ولم نجد لهذا القول الثالث أثراً في ما من كتب إعراب القرآن، وقد رجح
النحاس الوقف على ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنه أتم للمعنى وأكمل، ويكون الوقف كافياً غير
تام⁵، ولعل أقرب الأقوال إلى دلالة سياق الآية القول الثاني؛ فيكون الوقف على لفظ (لَا
(لَا يُؤْمِنُونَ) كافياً.

6.5 - الموضع السادس: الوقف على لفظ: ﴿سَمِعُهُمْ﴾ في الآية: ﴿خَتَمَ اللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلَىٰ سَمِعِهِمْ وَ عَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشاوةٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة/7).

¹ - أبو إسحاق الزجاج: إعراب القرآن وبيانه، ج 1، ص 79.

² - أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن، ج 1، ص 21.

³ - أبو جعفر النحاس: القطع والاتساف، ج 1، ص 35.

⁴ - أبو جعفر النحاس: القطع والاتساف، ج 1، ص 35.

⁵ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ----- ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

القول الأول: ذكر النحاس قول الأخفش بتمام الوقف على: **﴿سَمِعُهُمْ﴾**، وكذلك الوقوف على: **﴿قُلُوبِهِمْ﴾¹**، حيث يقول في المعاني: "أما قوله: **﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمِعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشاوةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** فإن الختم لا يقع على الأ بصار وإنما قال: ختم على قلوبهم وعلى سمعهم ، ثم قال: وعلى أبصارهم غشاوة مستأنفا"²، وخالفه النحاس في تمام الوقف على **﴿قُلُوبِهِمْ﴾** إذا قدرنا أن السمع معطوف عليه، ولا يكون التمام إلا إذا قدرنا أن الختم على القلوب فقط، وعلل النحاس إعادة حرف الجر **﴿عَلَى﴾** إذا قلنا بالاعطف بالمباغة في الوعيد أو كون القلوب جماعا والسمع مفردا أو قيام الحرف مكان الفعل: **﴿خَتَمَ﴾³**.

القول الثاني: الوقف على **﴿سَمِعُهُمْ﴾** وقف كاف بتقدير ما بعده على رواية ل العاصم بن نصب **﴿غِشاوة﴾**، فالتقدير عند الكسائي: وجعل على أبصارهم غشاوة⁴.

قال الزجاج: "والرفع في **﴿غِشاوة﴾** هو الباب وعليه مذهب القراء، والنصب جائز في النحو على أن المعنى: وجعل على أبصارهم غشاوة⁵.

وهنا نميل للقول الثاني بأن الوقف على **﴿سَمِعُهُمْ﴾** وقف كاف.

7.5 - **الموضع السابع:** موضع الوقف في الآية: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدُعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾** (البقرة/8,9).

¹ - المصدر نفسه، ج 1، ص 36.

² - أبو الحسن سعيد بن مساعدة الأخفش الأوسط: معانى القرآن، ج 1، ص 36.

³ - أبو جعفر النحاس: القطع والائتفاف، ج 1، ص 36.

⁴ - المصدر نفسه. الصفحة نفسها..

⁵ - أبو إسحاق الزجاج: معانى القرآن وإعرابه، ج 1، ص 84.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ——— ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

القول الأول: الوقف على: **﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾** وقف كاف، على تقدير الجملة التي
بعدة **﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** جملة مستأنفة.¹

القول الثاني: الوقف الكافي يكون على: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** وذلك بتقدير جملة:
﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ في محل نصب حال².

والتجيئين ذكرهما صاحب إعراب القرآن وبيانه قال: "﴿يُخَادِعُونَ﴾ فعل
مضارع مرفوع بشivot النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعل، والجملة الفعلية
مستأنفة، كأنه قيل: لم يتظاهرون بالإيمان؟ فقيل: يخدعون. ويحتمل أن تكون حالية من
الضمير المستكן في: يقول، أي مخادعين الله والذين عامنوا".³

ونقدم هنا القول الأول بالوقف على لفظ **(وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ)** وقعا كافيا.

الموضع الثامن: الوقف على: **﴿رَبَّكُمْ﴾** في الآية: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ**
الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشَكُّونَ﴾ (البقرة/21).

القول الأول: الوقف غير كاف ولا تام⁴، وذلك مبني على القول بأن:
﴿الَّذِي﴾ نعت لربكم، فالوقف حسن لتعلق ما بعده به لفظاً ومعنى.

جاء في إعرابها: "**﴿الَّذِي﴾**" اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة
من ربكم⁵، وكذلك في كتاب إعراب القرآن وبيانه للدرويش: "**﴿الَّذِي﴾**" اسم
موصول نعت لربكم¹.

¹- أبو جعفر النحاس: القطع والاتساف: ج 1، ص 37.

²- المصدر نفسه: ج 1، ص 37.

³- محى الدين الدرويش: إعراب القرآن وبيانه، ج 1، ص 46.

⁴- أبو جعفر النحاس: القطع والاتساف، ج 1، ص 42.

⁵- محى الدين الدرويش: إعراب القرآن وبيانه، ج 1، ص 64.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ——— ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

فالوقف على: **﴿رَبَّكُمْ﴾** على هذا التخريج وقف حسن، فلا يفصل النعت عن منعوه.

القول الثاني: الوقف تام على تقدير ما بعده جملة استثنافية، **﴿الَّذِي﴾** في محل رفع بالابتداء، والخبر: **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾**.²

قال صاحب الدر المصنون: **﴿الَّذِي﴾** فيه ثلاثة أوجه، أظهرها نصبه على النعت لربكم، الثاني: نصبه على القطع، الثالث: رفعه على القطع أيضاً.³

ونقدم هنا القول الأول بأن القف على **﴿رَبَّكُمْ﴾** غير تام ولا كاف لتعلق ما بعده به لفظاً و معنى.

9.5 - الموضع التاسع: الوقف على **﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾** في الآية: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقُوكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّسَعُونَ﴾** (البقرة/21).

القول الأول: الوقف ليس بتام ولا كاف وذلك إذا قدرنا: **﴿الَّذِينَ﴾** مبتدأ.⁴

القول الثاني: الوقف كاف إذا قدرنا: **﴿الَّذِينَ﴾** بمعنى هو، أو أعني، أو قدرناه نعتاً.⁵

ولم نجد في ما بين أيدينا من كتب إعراب القرآن الكريم غير إعراب واحد لـ **﴿الَّذِينَ﴾** في محل نصب على أنه معطوف على الضمير المتصل (كم) في **﴿خَلَقَكُمْ﴾**.¹

¹ - محمد حسن عثمان: إعراب القرآن وبيانه، ج 1، ص 68.

² - أبو جعفر النحاس: القطع والاشتاف، ج 1، ص 42.

³ - أحمد بن يوسف السمين الحلبي: الدر المصنون في علوم الكتاب المكتوب، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دط، دار القلم، دمشق - سوريا، دت، ج 1، ص 191.

⁴ - أبو جعفر النحاس: القطع والاشتاف، ج 1، ص 43.

⁵ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ——— ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

القول الثالث: الوقف تام إذا قدرنا: **﴿الَّذِي﴾** منصوب بـ: **﴿تَسْقُونَ﴾**² ، قال العكري: "﴿الَّذِي جَعَلَ﴾" هو في موضع نصب بتقون³.
إذا كان إعراب الآية أن **﴿الَّذِينَ﴾** معطوف على الضمير(**كم**) فإن القول أن الوقف على **﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾** كاف.

10.5 - الموضع العاشر: الوقف على **﴿تَسْقُونَ﴾** في الآية: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُونَ﴾** (البقرة/21).

القول الأول: الوقف على: **﴿تَسْقُونَ﴾** غير تام ولا كاف.

- إذا قدرنا **﴿الَّذِي﴾** الثاني منصوب بـ **﴿تَسْقُونَ﴾**⁴.
وهو التخريج نفسه الذي اتكأ عليه النحاس في بيان نوع الوقف السابق.
- إذا قدرنا **﴿الَّذِي﴾** الثاني خبر **﴿الَّذِي﴾** الأول، أو نعتا لربكم، أو نعتا لـ **﴿الَّذِي﴾** الأول⁵.

يقول صاحب كتاب إعراب القرآن وبيانه: "﴿الَّذِي﴾" اسم موصول في محل نصب صفة ثانية لـ **﴿رَبُّكُمْ﴾**¹.

¹ - ينظر: المتخب الممداني: الكتاب الفريد في إعراب القرآن الجيد إعراب معان قراءات، تحقيق: محمد نظام الدين فتيج، دار الزمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، 1427هـ / 2006م، ج 1، ص 183، ومحاجت عبد الواحد صالح: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، ج 1، ص 28.

² - أبو جعفر النحاس: القطع والائتلاف، ج 1، ص 43.

³ - أبو البقاء العكري: التبيان في إعراب القرآن، ج 1، ص 35.

⁴ - أبو جعفر النحاس: القطع والائتلاف، ج 1، ص 43.

⁵ - المصدر نفسه: الصفحة نفسها.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ——— ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد ر蒂مة

وقال صاحب مشكل إعراب القرآن: "﴿الَّذِي﴾" في موضع نصب نعت لربكم أو للذي، أو مفعول لتنقون، أو على إضمار أعني، أو في موضع رفع على إضمار مبتدأ أو على الابتداء ويضم المخبر².

فيفذكر مكي بن طالب القيسي في إعراب ﴿الَّذِي﴾ توجيهات خمسة:

- نعت لـ﴿رَبَّكُمْ﴾.

- نعت لـ﴿الَّذِي﴾ الأول: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾.

- مفعول به للفعل: ﴿تَنْقُونَ﴾.

- منصوب على إضمار فعل: أعني.

- في موضع رفع على إضمار مبتدأ.

- في موضع رفع بالابتداء والخبر مضمر.

القول الثاني: الوقف كاف على تقدير:

- ﴿الَّذِي﴾ الثاني في موضع رفع على إضمار مبتدأ.

- ﴿الَّذِي﴾ الثاني في موضع نصب، يعني: أعني³.

وهذين التوجيهين ذكرهما صاحب مشكل إعراب القرآن في توجيه الآية، وقد

ذكرنا ذلك في القول الأول.

القول الثالث: الوقف تام على تقدير: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ مبتدأ¹.

وبحبره ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.⁴

¹ - محبي الدين الدرويش: إعراب القرآن وبياته، ج 1، ص 64.

² - مكي بن طالب القيسي: مشكل إعراب القرآن، ج 1، ص 83.

³ - أبو جعفر النحاس: القطع والاشتاف، ج 1، ص 43.

⁴ - المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

التجييه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف — ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

وتقدير **﴿الَّذِي﴾** مبتدأ ذكره أيضاً صاحب مشكل إعراب القرآن، وإن اختلف مع النحاس في القول بإضمار الخبر^١، وافق النحاس صاحب كتاب الفريد في إعراب القرآن الحميد في القول بأن **﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾** هو الخبر ضمن التوجيهات الأخرى فقال: "﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم﴾" الموصول مع صلته إما في محل نصب بـ **﴿تَقُون﴾** أو بإضمار أعين، ولكل أن تجعله وصفاً مكرراً، كالذي خلقكم، أو بدلاً من **﴿رَبَّكُم﴾**، أو في محل الرفع بالابتداء، وخبره: **﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾** أو هو **﴿الَّذِي﴾**^٢. والقول أن الوقف على **﴿تَقُون﴾** وقف تمام، وما بعده جملة استئنافية.

- الخاتمة:

كان أملنا أن نستوفي جميع المواقع التي حوتها سورة البقرة، إلا أن كثراً منها جعلتنا نقتصر على عشرة مواطنٍ كان التوجيه النحوي فيها محدداً لموطن الوقف أو نوعه، أملنا أن تكون هذه النماذج كافية لتوضيح ما ذكرناه من علاقة للإعراب بالمعنى الذي يحدد موطن الوقف ونوعه.

وقد خلصنا في نهاية هذا البحث إلى النتائج الآتية:

- كان متكرر النحاس في تحديد موطن الوقف وبيان نوعه البحث في معن الآية.
 - إعراب الآية ومعناها متلازمان فإذا تغير الإعراب أو اختلف فيه تغير المعنى، وكذلك الاختلاف في تفسير الآية ومعناها يؤثر في توجيه الآية.
 - لم يستثمر النحاس اختلاف القراءات القرآنية في توجيه الآيات نحوياً ولا الوصول إلى دلالتها.

¹- مكي بن أبي طالب القيسي: مشكل إعراب القرآن، ج 1، ص 83.

² المختب الهمذاني: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد إعراب معان قراءات، ج 1، ص 185.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ----- ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة
- أنواع الوقف مبنية على عنصري الجملة للفظ والمعنى.
- التأكيد على علاقة الإعراب بالمعنى.
- التأكيد على أهمية التمكن من علم الوقف والابتداء خاصة من تعرض لقراءة القرآن الكريم.

7 . قائمة المراجع:

7.1- الكتب:

- 1) إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة - مصر، 1418هـ / 1992م.
- 2) ابن أبي حاتم الرازى: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، 1427هـ / 1997م.
- 3) ابن الجوزي: النشر في القراءات العشر.
- 4) أبو البركات الأنباري: نزهة الأباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الطبعة الثالثة، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، 1405هـ / 1985م.
- 5) أبو البقاء العكّري: التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: سعد كريم الفقي، دار اليقين، الطبعة الأولى، دار اليقين، المنصورة - مصر، 1422هـ / 2001م.
- 6) أبو الحسن سعيد بن مساعدة الأخفش الأوسط : معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود فراعة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، 1411هـ / 1990م.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ----- ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

7) أبو الحسن شمس الدين بن الجزرى: النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، دط، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، دت.

8) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: عبد الحميد هنداوى، منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، دط، منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض- المملكة العربية السعودية، دت.

9) أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، الطبعة الثالثة، دار النفائس، بيروت- لبنان، 1399هـ / 1979م.

10) أبو النجم العجلي الفضل بن قدامة: الديوان، تحقيق: عبد الواحد جمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق- سوريا، 1427هـ / 2006م.

11) أبو بكر الزبيدي: طبقات النحوين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، دار المعارف، بيروت- لبنان، دت.

12) أبو جعفر النحاس: القطع والائتلاف، تحقيق: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1413هـ / 1996م.

13) أبو زكريا محمد بن زياد الفراء: معاني القرآن، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1403هـ / 1983م.

14) أبو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الحاجي، دط، مكتبة الحاجي، القاهرة- مصر، دت.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ----- ط. عز الدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

15) أبو عمرو الداني: المكتفى في علم الوقف والابتداء، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، دط، دار الصحابة للتراث، طنطا - مصر، 1427هـ / 2006م.

16) أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الحليم النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة - مصر، دت.

17) أحمد بن عمار المهدوي: شرح المداية، تحقيق: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، دط، مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، دت.

18) أحمد بن يوسف السمين الحلبي: الدر المصنون في علوم الكتاب المكون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دط، دار القلم، دمشق - سوريا، دت.

19) أحمد سليمان ياقوت: ظاهرة الإعراب في اللغة العربية وتطبيقاتها في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، دط، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية - مصر، 1994م.

20) أحمد محمود عبد السميح حفيان: أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1422هـ / 2001م.

21) أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني: منار المدى في الوقف والابتداء، مطبعة البابلي، الطبعة الثانية، مطبعة البابلي، القاهرة - مصر، 1393هـ / 1973م.

22) إسلام نصر السيد سعد الأزهري: متن إتحاف القراء وضوابط علم الوقف والابتداء، دار الكتب المصرية، الطبعة الثالثة، دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، 1435هـ / 2013م.

23) بحث عبد الواحد صالح: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، دار الفكر، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1413هـ / 1993م.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ----- ط. عزالدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

24) جمال الدين بن منظور: لسان العرب، دار صادر، الطبعة الثالثة، دار صادر،
بيروت- لبنان، 1414هـ.

25) السيد رزق الطويل: في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق، المكتبة
الفيصلية، مكة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1405هـ / 1985م.

26) الشريف الجرجاني: التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة،
دط، دار الفضيلة، القاهرة- مصر، دت.

27) صلاح الدين بن خليل أبيك الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد
الأرناووط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث
العربي، بيروت- لبنان، 1420هـ / 2000م.

28) طاهر حمودة: أسس الإعراب ومشكلاته، الدار الجامعية، دط، الدار
الجامعية، الإسكندرية- مصر، دت.

29) عبد العلي المسؤول: معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلّق به،
دار السلام، الطبعة الأولى، دار السلام، القاهرة- مصر، 1428هـ / 2007م.

30) المنتخب المذهاني: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد إعراب معان
قراءات، تحقيق: محمد نظام الدين فتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دار
الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، 1427هـ / 2006م.

31) محمد الرازي فخر الدين: التفسير الكبير: دار الفكر، الطبعة الأولى، دار
الفكر، بيروت- لبنان، 1401هـ / 1981م.

32) محمد حسن عثمان: إعراب القرآن الكريم وبيان معانيه، دار الرسالة،
القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، 1423هـ / 2002م.



التوجيه النحوي وأثره في تحديد مواطن الوقف ----- ط. عز الدين كربوش و أ.د. محمد العيد رتيمة

33) محمود بن عمر الرمخشري: الأنموذج في النحو، تحقيق: سامي بن حمد المنصور، لسان العرب، الطبعة الأولى، لسان العرب، 1420هـ / 1999م.

34) محى الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار اليمامة ودار ابن كثير، الطبعة السابعة، دار اليمامة ودار ابن كثير، بيروت - لبنان، 1420هـ / 1999م.

35) مكي بن أبي طالب القيسي: مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الصمامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1405هـ / 1984م.

36) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، دط، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، دت.

7. ٢- المجلات:

أحمد نصيف الجنابي: أهمية كتاب القطع والاتتناف وأثره، مجلة المورد، دار الحرية للطباعة، بغداد - العراق، المجلد الثامن، العدد الثاني، 1399هـ / 1979م.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

العدد: 34 السنة: 2020 تاريخ النشر: 25-03-2021 الصفحة: 814-791

المديح النبوي في الشعر النسائي المعاصر Prophetic Praise by Contemporary female poets

د. ليلى لعویر

Laouir02@yahoo.fr

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

تاريخ القبول: 2021/01/24

تاريخ الإرسال: 2020/01/19

الملخص:

يعتبر المديح النبوي من أهم موضوعات الشعر العربي، فمنذ بزوغ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، نظم الشعراء المسلمين ولا يزالون قصائد كثيرة حبا في النبي — صلى الله عليه وسلم — وتعظيمها لشخصه وإقراراً برسالته المفعمة بالخير بوصفه في الخيال العربي والإسلامي والإنساني نموذجاً قيمياً متعالياً عما هو سائد في الخلق والعلم والتواضع والرحمة.

ولم يكن مدح النبي — صلى الله عليه وسلم — مقتضاً على الرجال دون غيرهم، فقد مدحته شاعرات كثيرات وأمتد المدح إلى عصرنا، ومن ثمّ تحاول هذه المقالة الانفتاح على موضوع المديح النبوي في الشعر النسائي المعاصر والتعرّيف به وتتبع مساره والوقوف على موضوعاته وتجلياته المشتركة المضمنة بين الشاعرات، من خلال استقراء لنماذج من شعرهنّ، نبين فيه كيفية تعاملهن مع فن المديح النبوي، ومتلائمه في شعرهن وأبعاد هذا المدح وخصوصيته شكلاً ومضموناً.

الكلمات المفتاحية: المديح، المديح النبوي، الشعر النسوي المعاصر، المديح

النبوي في الشعر النسائي المعاصر



المديح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ----- د.ليلى لعویر

Abstract:

Prophetic praise is a main theme of Arab poetry Since the emergence of Islam, Muslims poets have never ceased to compose poems praisinf the Prophet-peace and blessing be upon him- expressing their love and respect towards him, recognizing his message of goodness, describing him through the imagination of the Arabs, the Muslims, and the whole humanity as a supreme model of values in terms of morality, knowledge, modesty and mercy.

Prophetic praise has not been reserved to masculine poets as many female poets have been praising the prophet till now. This paper is an attempt to uncover prophetic praise by Contemporary female poets, tracking its development, deciphering its themes and identifying their common points among female poets through a sample of their poems. The examined samples would show the way they deal with prophetic praise in terms of dimensions, features, form and content.

Keywords: Praise; Prophetic Praise. Contemporary female poets; prophetic praise by Contemporary female poet

يمثل الرسول — صلی الله علیه وسلم — في المخيال الجماعي الإسلامي والإنساني عموماً، النموذج الأعلى والإنسان الكامل الذي استطاع أن يمنح البشرية قواعد وجود مستقل، عما هو سائد وعديم وسلبي ولا إنساني، حين نبه العقل البشري للتدبیر في عالم الأكوان ومنح الوجود طاقة إيمانية مختلفة رسمت معاً معاً عالم الوجود الحر في الزمن الغافى، هذا الوجود الذي يبدأ من إيمان المرء بالرسالة الخالدة الداعية إلى توحيد الله عز وجلّ وحسن تعمير الأرض وتتمثل الأخلاق الفاضلة والشمائل الحميدة التي توحى بالتقدير البصير لوظيفتنا على وجه الأرض، وهو أمر تشتراك فيه كل الشعوب الإسلامية ولكنها تختلف



المديح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ----- د.ليلى لعویر

في طريقة الاحتفاء بـنـا النـي العـظـيم إما بـتـمـثـل أخـلـاقـه العـالـيـة أو بـتـقـنـي آثارـه العـمـلـيـة أو بـنـشـر أخـلـاقـه وفضـائلـه بـيـن الإـنـسـانـيـة .

ولعل أبرز ما ميـز أخـلـاقـ الرـسـول صـلـى الله عـلـيه وـسـلـمـ هو الرـحـمة قـالـ تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾¹ وقد وصف نفسه صـلـى الله عـلـيه وـسـلـمـ بـأـنـه "نـبـي التـوـبـة وـبـنـي الرـحـمة"² وسـجـلـ القرآن الـكـرـيم ما عـلـيـه من دـمـاثـةـ الـخـلـقـ وـلـيـنـ الـجـانـبـ: ﴿وَإِلَكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾³ مـا جـمـعـ النـاسـ عـلـى مـحـبـتـه وـالـاـلـتـفـافـ حـوـلـه وـدـعـاهـمـ لـتـغـنـيـ بـمـاـثـهـ وـمـدـحـهـ مـنـذـ بـدـايـاتـ الـصـرـاعـ بـيـنـ دـعـوـةـ الـإـسـلـامـ وـالـمـشـرـكـيـنـ سـوـاءـ فـيـ الدـورـ الـمـكـيـ أوـ الـمـدـيـ منـ الدـعـوـةـ⁴.

ولـما كـانـ الشـعـرـ دـيـوـانـ الـعـرـبـ وـحـافـظـ مـآـثـرـهـ وـأـغـرـاضـهـ فـقـدـ، دـأـبـ الشـعـراءـ مـنـذـ الـوـهـلـةـ الـأـوـلـىـ لـلـدـعـوـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الـجـيـدةـ، عـلـىـ مـدـحـ الرـسـولـ، صـلـىـ اللهـ عـلـيهـ وـسـلـمـ تـعـبـيرـاـ عـنـ عـوـاطـفـهـمـ الـجـيـاشـةـ، وـدـفـاعـاـ عـنـ رـسـالـتـهـ الـخـالـدـةـ فـيـ ظـلـ صـرـاعـ الـقـيـمـ، وـتـأـكـيدـاـ عـلـىـ فـرـادـتـهـ كـسـمـوـذـجـ فـيـ تـارـيـخـ الـبـشـرـيـةـ، وـيـعـدـ هـذـاـ المـدـيـحـ هـوـ الـبـذـرـةـ الـأـوـلـىـ لـفـنـ الـمـدـائـحـ الـنـبـوـيـةـ⁵

¹ - سورة الأنبياء الآية 107

² - جلال الدين السيوطي، جامع الأحاديث، تحقيق: عباس أحمد صقر، أحمد عبد الجواب، دار الفكر، إشراف مكتب البحث والدراسات في دار الفكر، 1414هـ-1994م، ج 2 ص 195.

³ - سورة القلم الآية 4

⁴ - للتوسيع انظر محمود علي المكي: المدائح النبوية، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر لوحمان ط 1، سنة 1991، ص 17

⁵ - المدح لغة: نقىض الحسـاءـ وـحـسـنـ النـتـاءـ يـقـالـ مـدـحـتـهـ مـدـحـةـ وـاحـدـةـ وـمـدـحـهـ وـمـدـحـهـ مدـحـاـ وـمـدـحـةـ وـالـصـحـيـحـ أـنـ المـدـحـ المـصـدرـ وـالـمـدـحـةـ اـسـمـ وـالـجـمـعـ مـدـحـ وـهـوـ المـدـيـحـ وـالـجـمـعـ مـدـائـحـ، وـنـظـيرـهـ حـدـيـثـ وـأـحـادـيـثـ. قالـ أـبـوـ ذـئـبـ الـهـذـلـيـ: لوـ كـانـ مـدـحـهـ حـيـاـ منـشـراـ أـحـدـاـ أـحـيـاـ أـبـاـكـنـ يـاـ لـلـيـلـيـ الـأـمـادـيـحـ". انـظـرـ: ابنـ منـظـورـ تـ711هــ: لـسانـ الـعـرـبـ، دـارـ صـادـرـ بـرـوـتـ، لـبـانـ طـ3ـ، سـنـةـ 1414هــ 1993



المديح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ----- د.ليلى لعویر

ج2ص589 و منها " مدح مدحه و امتدحه ، و فلان مدوح و ممتحن و مدح ، يمدح به كل لسان و مادحه ، و مادحوا ، والعرب تتمنّى بالسخاء ، و يتمدّح إلى الناس يطلب مدحهم " انظر: أبو القاسم الزمخشري ت538: أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ص 1 سنة 1419-1998، ج 2 ص 199 و منها أيضاً: المدح يعني الوصف بالجميل، يقابله الذمّ والمدح من قولهم: اندحت الأرض إذا اتسعت، فكانَ معنى مدحه، و سعت شكره، والمديح والمدحة بالكسر، والأمدودة بالضم ما يمدح به الشعر، وتمدّح الرجل إذا تكفل أن يمدح وفرض نفسه وأثنى عليها" انظر: الريديي ت1205هـ: تاج العروس، دار الهداية، د ت ط، ج 7، ص 111 و لعلنا نلحظ هنا أنّ لفظ المدح جاء عكس الم賈ء وارتبط بدلالة عده منها الوصف الجميل، الاتساع، الثناء على النفس وفرض الشعر عليها.

أما اصطلاحاً فهو غرض شعرى جوهره الثناء والتنيّيه بمناقب المدوح وقد عرّفه عمر فروخ: بأنه "فن من فنون الشعر كان الجاهليون يمدحون بالمكان التي يفتخرن بها" انظر: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملائين، بيروت، ط 4، 1341هـ-1941، ج 1، ص 83 وأشار شوقي ضيف إلى أن المدح في الجاهلية كان على ضربين الأول: مديح للشكرا والإعجاب ويغلب على أهل البدية مثلما هو عند أمرئ القيس وزهير بن أبي سلمى والثاني مديحًا للتكتسب يغلب على أهل الحضر كما هو الشأن عند النابغة والأعشى¹ انظر: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط 24، ص 210-211 وعرفه زكي مبارك: بأنه فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهو لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع، فهو لا يصدر إلا عن القلوب المفعمة بالصدق والإخلاص، وهو عبارة عن قصائد مدحية منظومة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم أو هو الشعر الذي يتناول بالإشادة عقامة النبي الكريم الخلقة والخلقية وذكر معجزاته والتنيّيه بعزوته والإفصاح عن حبه والشوق إليه والإكثار من الصلاة عليه، وقد اختلف مؤرخوا الأدب في نشأته فمنهم من ربطه بالدعوة الإسلامية ومنهم من قال بأنه فن مستحدث لم يظهر إلا في القرن السابع للهجرة مع شرف الدين البوصيري، وسلك التعبير عن إحلال النبي صلى الله عليه وسلم طريقين اثنين هما المديح والمولديات وهناك من أضاف البديعيات "للتوسيع انظر — زكي مبارك: المدائح النبوية: دار الحجّة البيضاء، ص وانظر أيضاً طاهر أحمد مكي: مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، عين للدراسات الإنسانية الاجتماعية مصر، ط 1 سنة 1994 ص 324 وما بعدها.



المديح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ----- د.ليلى لعویر

الذى قدر له بعد قرون أن يستقل بذاته ويصبح من أكثر موضوعات الشعر حضا وشيوعا وقبولا وكان من أوائل مادحيه، حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير الملقب بصاحب البردة "رغم أنّ الرسول — صلّى الله عليه وسلم كان عازفا عن مدح الشعرا وموجها كل هـ إلى صرف الشعرا نحو تأكيد أسس الدين الجديد ونشر الرسالة والتمكين لها في أرجاء الأرض"¹.

لم يكن مدح النبي صلّى الله عليه وسلم مقتضرا على الرجال دون النساء، فقد خصته بعض الشاعر في عصره بالذكر فذهبن يمتدحنه ويرثينه ويشندن بفضله وكرمه وأخلاقه، وكنّ أمثلة تحتدى، في فن القول وقوه البيان وفصاحة اللسان، فهذه الشيماء بنت الحارث السعدية — أخت النبي من الرضاعة تمدحه وهي ترقسه بقوتها

يارب ابق لنا محمدا حتى أراه يافعا وأمردا

واكتب أعاديه معا والحسـدا ثم أراه سيدا مسوـدا

واعطه عزا يدوم أبدا²

وهذه عمتها عاتكة بنت عبد المطلب تبكيه مادحة خلقه ودينه حين هاجر من مكة إلى المدينة قائلة:

أعيـني جودي بالدموع السواخم على المصطفى كالبدر من آل هاشم

على المرتضى والبر والعدل والنوى وللدين والدنيا مقيم العـالم³

¹ - سامي محمد العابي: الإسلام والشعر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 66 سنة 1983، ص 132.

² - أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى 852، تحقيق: عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة 1415، ج 8، ص 206.

³ - محمد أحمد درنيقة: معجم أعلام شعرا المديح النبوى، تحقيق: ياسين الأيوبي، دار مكتبة الملال



المدح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ----- د.ليلى لعویر

وتقول في رثائه:

سحا على خير البرية أَحْمَد

يَا عَيْنَ جُودِيْ ما بَقِيتْ بَعْرَة

فابك على نور البلاد محمد

يَا عَيْنَ فَاحْتَفَلِي وَسَحِّيْ وَامْسَحِّي

الحقيقة ذا الرشاد المرشد¹

فَابَكَ الْمَبَارَكُ وَالْمَوْفَقُ وَالْتَّقِيُّ حَامِي

لقد كان رثاء عاتكة للرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الأبيات عميقاً، إذ
بقدر ما حملت الأبيات من معانٍ الحرقـة والأسى إلا أنها ربطت الرثاء بالمدح، وهذا
لعظمة محمد صلى الله عليه وسلم وخصوصيته كتبـي يصلـ الحقيقة بالزمن الأبدي وإلى
هـذا أشار الدكتور زكي مبارك حين قال: "إن أكثر المدائـن النبوـية قـيل بعد وفـاة الرسـول
ومـا يـقال بعد الوفـاة يـسمـى رـثـاء إـلا في رـسـول اللـه يـسمـى مدـحاـ، كـأـنـمـا لـاحـظـوا أـنـ رسول
الـلـه موـصـول بـالـحـيـاة، وـأـنـمـا يـخـاطـبـونـ الـأـحـيـاء"² ولـعـلـنا نـلـحـظـ هـذـا أـيـضاـ في
رـثـاء عـمـتهـ صـفـيـةـ بـنـتـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ:
موـجـةـ خـطاـبـاـ لـفـاطـمـةـ بـنـتـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ:

أـفـاطـمـ فـابـكـيـ وـلـاـ تـسـأـمـيـ

بـصـبـكـيـ ماـ طـلـعـ الـكـوـكـبـ

هـوـ الـمـاجـدـ السـيـدـ الطـيـبـ

هـوـ الـمـرـءـ يـكـيـ بـحـقـ الـبـكـاـ

وـأـنـ الـبـرـيـةـ لـاـ تـنـكـبـ

فـأـوـحـشـتـ الـأـرـضـ مـنـ فـقـدـهـ

إـلـاـ الجـوـىـ الدـاخـلـ الـمـصـلـبـ

فـمـالـيـ بـعـدـكـ حـتـىـ الـمـاتـ

ط 1 دت ط، ص 196.

¹ - أبو محمد عبد المحسن السلمان: مجموعة القصائد الرهديات مطبع الخالد للأوفسيت، الرياض ط 1،

سنة 1409هـ ج 2، ص 395.

² - زكي مبارك: المدائـن النبوـيةـ: دارـ المـحـجـةـ الـبـيـضاءـ، ص 18



المدح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ----- د.ليلى لعویر

لبيك الرسول وحقت له شهود المدينة والغيب¹

ولم يتوقف المدح عند أهل قرابته بل لقد مدحته أيضاً أم السعد الحميري المعروفة بسعدونة² وتننت لثم نعله عليه الصلاة والسلام لكثرة حبها له ووجدها به تقول:

للش نعل المصطفى من سبيل	سألتم التمثال إذ لم أجد
جنة الفردوس أنسى مقيل	لعلني أحظى بتقبيله في
أسقى بأكواب من السلسيل	في ظل طوي ساكناً آمناً
يسكن ما جاش به من غليل	وأمسح القلب به علىه
يهواه أهل الحب في كل جيل ³	فطالما استشفى بأطلال من

لقد كان مسار النساء في مدح الرسول صلى الله عليه ممتد اعلى قلّته، إذ صحيح أنهن لم يبلغن شأو الشعرا الرجال في كثرة مدحه حيث ظل اسمه ألقا على ألسنتهم أبرزته العصور المتالية التي صدررت محمد بن سعيد البوصيري المتوفي سنة 697 شاعراً مميزاً "أفاض في مدائنه حتى استغرقت الشطر الأكبر من ديوانه متاثراً خطأ كعب وحسان، وكان بهذه الوفرة من القصائد التي تأتي الهمزية والبردة في مقدمتها، قد خطّ الطريق لاحقاً أمام شعراً المدائح النبوية الذين جاؤوا بعده فنجد صفي الدين الحلبي المتوفي سنة

¹ - أبو محمد عبد المحسن السلمان: مجموعة القصائد الزهدية، ج 2 ص 296.

² - هي أم السعد بنت عاصم بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن يحيى ابن ابراهيم بن خلصة الحميري الكتامي المعروفة بسعدونة كانت راوية وشاعرة وأديبة روت عن أبيها وجدتها وأخيها وتوفيت سنة 640 هـ للتوسيع انظر: الذيل والتكميلة لكتابي المصول والصلة لـ: أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي المتوفي سنة 703 هـ

³ - أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندرس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت — لبنان، ط1 سنة 1997 ج 4 ص 166



المدح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ----- د.ليلى لعویر

750 للهجرة ينظم في مدح الرسول ص البديعية على غرار بردية البوصيري يسمى بها **الكافية البديعية في المدائح النبوية** ونرى بعد البديعين يتبارى في نظم بديعيات على شاكلة بديعيته يمدحون بها الرسول ص، منها بديعية ابن حابر الأندلسى المتوفى سنة 780 للهجرة التي سماها: "الحلة السيرا في مدح خير الورى وبديعية ابن حجة الحموي المتوفى سنة 837 وسوهاها كبديعية عائشة الباعونية الدمشقية¹ المتوفاة سنة 922 للهجرة وسمتها: الفتح المبين في مدح الأمين".²

وهنا يجدر القول أن عائشة الباعونية بديعيتها هذه سجلت تفوقها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم حيث فاقت معانيها — على ما يقول النقاد — بديعية صفي الدين الخلـي وابن حـجة وسـائر أـهـلـ الـبـدـيـعـ وـذـوـيـ الـعـرـفـانـ³ وكانت الواحـدةـ في نـسـاءـ عـصـرـهاـ من زـاحـمـتـ الرـجـالـ فيـ مدـحـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـتـفـوـقـتـ عـلـيـهـمـ يـقـولـ عـنـهـاـ

¹ هي الشيخة أم عبد الوهاب عائشة بنت جمال الدين يوسف بن أحمد بن ناصر الباعونية الدمشقية نسبت إلى قرية باعون من منطقة عجلون في الأردن ولدت في الصالحة وهي أحد أحياء مدينة دمشق وتوفيت فيها سنة 922هـ 1516م وهي شاعرة فقيهة وزاهدة كانت من علماء جيلها عاشت في أواخر العصر المملوكي برزت في مجالات المعرفة كالفقه والسيرة والحديث النبوى واشتهرت بديعيتها التي تميزت بها عن سائر النساء للتتوسع انظر: نجم الدين محمد بن محمد الغزى: الكواكب السائرة بآيـانـ المـائـةـ الـعاـشرـةـ، تـحـقـيقـ خـلـيلـ مـنـصـورـ دـارـ الـكـتبـ الـعـلـمـيـةـ، بـيـرـوـتـ — لـبنـانـ طـ1418ـهـ 1997ـمـ جـ 288ـ وـانـظـرـ أـيـضـاـ خـيرـ الدـينـ بنـ فـارـسـ الزـرـكـلـيـ: الأـعـلامـ، دـارـ الـعـلـمـ، طـ بـيـرـوـتـ، لـبنـانـ، المـلاـيـنـ، طـ15ـسـنةـ 2002ـمـ جـ 3ـ، صـ 241ـ

² انظر: محمد عادل الهاشمي: أثر الإسلام في سورية مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء ط 1 سنة 1986، ص 51-52

³ للتوسيع انظر: زينب العاملـيـ: الدرـ المـثـورـ فيـ طـبـقـاتـ رـبـاتـ الـخـلـورـ، المـطـبـعـةـ الـكـبـرـىـ الـأـمـيرـيـةـ، مـصـرـ طـ 4ـ، سـنةـ 1321ـهـ 293ـ



المديح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ----- د.ليلى لعویر

أحمد حسن الزيات: "يشير عاطفة الإعجاب في المرء أن يرى في هذا العصر المظلم امرأة كالباعونية تبارز الرجال في العلم والأدب ولا يعيها أن تتكلف بالسجع، وتتكلف البديع، وتغوى باللفظ وتقصر إلهامها على المدائح النبوية، فإن المرء صنيع بيته والشعر الحق مرآة صاحبه وصورة قلبه"¹.

واصل الشعراء مدح النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصر النهضة الحديثة بروائع الشعر تجلت في مطولة محمود سامي البارودي المسماة "كشف الغمة في مدح سيد الأمة" و "نفح البردة" وذكرى المولد لأحمد شوقي وامتدت إلى أشعار عمر أبو ريشة وخليل مردم وأنور العطار وغيرهم كثُر، لكن المدح النسوى للنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بتلك القوة التي عرفت عند الشعراء الرجال، وإن وجدت فهي قليلة أو مغمورة تحتاج إلى تقضي وبحث وذلك راجع في اعتقادى لانصراف الباحثين عن تتبع إبداعات النساء في المديح النبوى كموضوع وانغلاق المجتمع الاسلامي وعدم تشجيعه للإبداع النسوى في ظل شيوع فهم خاطئ على مستوى الضمير الجماعي، لفاعالية المرأة في فعل الحياة وفعل الكتابة. ولعلي لاحظت هذا وأنا أحارُّ أن أحد بين الكتب النقدية الحديثة والمعاصرة من تمثل بأسماء شعرية عالجت هذا الموضوع أو خاضت فيه باستفاضة.

إنّ الشعر العربي المعاصر عموماً وعبر العقود التي تلت نكبة فلسطين سنة 1948، يكاد يخلو من المدائح النبوية التي قصرّها أصحابها على المديح وحده بفعل الانحراف في تيار الحداثة، وتفاعل أكثر الشعراء والشاعرات مع موضوعات الذات والوطن والحرية وأسئلة الوجود، ويمكن أن نتمثل لذلك بشاعرات كـ: فدوى طوقان وملك عبد العزيز وغيرهن من عشن أرق السؤال ووجع الاغتراب في ارتياح المجهول، نتاج تأثرهن بالثقافة

¹ - محى الدين العزى: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، 1418هـ-1997م، ج 1 ص 291.



المديح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ----- د.ليلى لعویر

الغربيّة وافتتاحهن على القراءات الفلسفية التي كانت تمثّل هاجساً مستمراً أمام تطلعهن لما هو أبعد في فهم معنى الحياة ومعنى الموت الذي كانت تسميه نازك الملائكة " مأساة الحياة الكبرى" والتي قادتها إلى فكرة العدم في مرحلة الشباب¹ ، فلا كارثة على حد قوله أقصى من الموت، وهذا قبل أن تراجع. بعد غربتها الروحية الشاقة إلى عد الحياة زائفه لا جدوى منها وانخراطها في الجنوي الإيماني الذي بدا في تمجيد الله عز وجل² ودخولها في وجد صوفي تخلّى معه أيضاً مدح النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدها الموسومة بـ زنابق صوفية للرسول والي" كسبت بها الرهان في مسار تحديد القصيدة النبوية حيث تجاوزت النطاق الكلاسيكي لشعر المديح النبوى³ عبر التشكيل بالصورة الرمزية والإيقاع المفتوح على شعر التفعيلة تخلّى عبر خيط مرسّل بين الشاعرة وبين طائر اسمه أحمد الذي هو معادل موضوعي للنبي صلى الله عليه وسلم الوجه المتلائى بنور الله الممتد في اللامىاه تقول:

وجه حبيبي أكبر من لامىاه البحر من مدار

وجه حبيبي زنابق، أكؤس مياه

وجه حبيبي واللامىاهات عالم واحد

ليس يشطر أو يجزأ

يا بحر، قل لي: أين ينتهي ذلك الوجه

¹ - للتوضّع انظر: محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي منشورات اتحاد الكتاب العرب، سنة 1999، ص 111

² - انظر ديوانها للصلة والثورة ص 120 نقلًا عن المرجع نفسه ص 63

³ - أحمد الطريق أحمد: محمد — صلى الله عليه وسلم من الحقيقة النبوية إلى الصورة الشعرية— منشورات المشكاة، ط 1، سنة 2007 ص 31



المدح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ----- د.ليلى لعویر

قل أين أنت تبدأ

وجه بخار أضيع فيها

و ينطفئ ضوء كل مرفاً ومقلتاه

أين ترى تنتهي وأي نقطة تبدأ البراءة

وما حدود الألوان فيها

وكيف يمتص البحر منها ليله

كيف يستعيير الضحى ضيابه؟

وجه حببي، يابر كة الصحو والوضاءة

وجه حببي كسره الموج واقتناه

أشعة، زورقا شراعا

يححسن أفقا ملونا، يرتدي سماه...¹

ويتوقف الاسترسال الشعري في الرسم بالكلمات لذلك الوجه للألاء، حيث تسفر الشاعرة عن وجه حببها محمد صلى الله عليه وسلم الذي جسده طائرًا خلعت عليه كل نعوت الجمال والسحر والسكنية والجلال وألبسته من خيالها لبوس الطعم والروائح والألوان² تقول:

وجاءني طائر جميل

وحد قربى

وامتص قلبي

صبّ على لففي السكينة

¹- نقلًا عن المرجع السابق ص 32-33

²- المرجع نفسه 34.



المديح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ————— د.ليلى لعویر

ورشّ هدبى

براءة، رقة، ليونة

وقلت: ياطائرى، يازبر جد

من أين أقبلت

أيّ نجم أعطاك لونه

يا نkehة البرتقال

ياعطر ياسمينة

وما اسمك الحلو؟

قال أحمد ...¹.

وعلى الرغم من التفاتة نازك الملائكة عبر زنابقها النبوية، إلا أن شعر المديح النبوى لم يبرز في الشعر العربى المعاصر بقوه فى اعتقادى إلا مع شعراء وشاعرات الصحوة الإسلامية أو المرتبطة بخيط روحي بمعانى الدين الإسلامي كعاتكة الخزرجي ووفاء وجدى وسمية العتيلي ونبيلة الخطيب وعلية الجعار وسعاد الناصر وآمنة المربيى وغيرهن كثرا.... واللواتي عاد نموذج النبي في أشعارهن رمزا للخلاص والرحمة والنور في ظل ما تعانيه الأمة بعد النكبة والارتفاع من مأسى ومحن ومصائب، صدرته النموذج الأمثل في خروجها والإنسان من التيه المادى والمعنوى على المستوى النفسي والاجتماعي والحضاري، واستحضاره صلى الله عليه وسلم بال الحديث عن شخصه وأخلاقه وصفاته، وهو باب افتح على مصراعيه وجرى به الخيال إلى أبعد مدى.

لقد كان مدح النبي صلى الله عليه وسلم في خطوطه العريضة يدور في شعرهن حول عدة موضوعات ارتبطت بـ

¹ - المرجع السابق ص 34.



المديح النبوي في الشعر النسائي المعاصر ----- د.ليلي لعویر

- 1- التعبير عن عواطف الحب والشوق والثناء عليه والإشادة بأخلاقه وسجاياه.
- 2- الحديث عن هديه والتودّد إليه، حبا فيه طلباً للقرب من الله.
- 3- تعظيم أمر الرسول ص ووضعه في المرتبة العليا بالنسبة لبقية الأنبياء والرسل.
- 4- التوسل بالرسول شفاعة في الآخرة أو تطلعًا إلى مأمول في الدنيا يكون فاتحة الحياة الروحية المطمئنة التي تخلق معها النفس في عوالم الصفاء والشفافية وقد تنتهي بصاحبها إلى التصوف تماماً كما هو الحال عند الشاعرة المغربية آمنة المريني.
- 5- الحديث عن سيرته ومولده وبعض معجزاته
- 6- ربط المديح النبوي بقضايا الأمة إذ سرعان ما ينتقل المدح إلى الشكوى إليه مما وصل إليه حال الأمة وأكثر الشكوى ما ارتبط بقضية فلسطين وما اعتبرها من تدليس الغاصبين لمسراه.

تقول وفاء وجدي في قصيدة ها بعنوان في نور محمد: (ديوان رسائل محبة إلى الله)

إنَّ الْحَبِيبَ مُحَمَّداً جَمِيعَ الْمُهْدِيِّ فِي رَاحْتِيهِ
الْدِينُ وَالْدُّنْيَا لَنَا وَشَفَاعَةُ وَضِيَاءِ
قَلْبِي غَرِيبٌ يَا حَبِيبٌ فَلَا تَدْعُ قَلْبِي يَتَوَهُ
وَمَا لِهِ غَيْرُ الشَّفِيعِ شَوَاطِئُ وَسَماءُ
عَزَّ الشَّفَاعَةِ مَقْصِدِي وَمَحْبِبِي لِمُحَمَّدٍ
أَرْجُو بَهَا الرَّحْمَانَ فِي يَوْمِ يَعْزِّ لِقاءً¹
إِنَّا نَلْهَظُ عَلَى مَسْتَوِيِّ هَذِهِ الْأَيَّاتِ، أَنَّ مَدْحَ الشَّاعِرَةِ هُوَ فِي أَصْلِهِ إِفْضَاءُ مَحْبَةِ
لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاعْتِرَافُ بِرِسَالَتِهِ وَتَعْلُقُهُ بِهِ وَاحْتِمَاءُ بِهِ كِدْيَهُ مِنْ غَرْبَةِ الْقَلْبِ
الَّذِي لَا يَمْحُو تَبَيَّهُ إِلَّا التَّوْسُّلُ بِهِ، حَبَا فِيهِ وَطَلَبَا لِشَفَاعَةِ تَقْرِهِمَا إِلَى اللَّهِ زَلْفِي يَوْمَ يَعْزِّ
اللِّقاءِ، ذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ حِينَ تَسْتَذَكِرُ هَدِيَّ الْإِسْلَامِ وَتَرْبَطُهُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَإِنَّهَا تَشَفُّ وَتَسْمُو وَتَرْتَقِي .

ولعل الشاعرة وفاء وجدي تلتقي مع علية الجumar على محبة النبي صلى الله عليه

¹- ديوان رسائل محبة إلى الله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، سنة 1986، ص16.



المدح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ----- د.ليلى لعویر

وسلم وطلب شفاعته في قصيدة بعنوان **شفاعة الحبيب**، وتعداها إلى القول بأن الله عز وجل قد أكرم الإنسانية حين أرسل محمداً رساله التوحيد، وجعله داعية للحق والهدى فهو نور أطل على الوجود فأسقط ظلمته، ورحمة وبحر أخلاق تبددت معه كل معانى الشر، فانحلى ليل الكفر وأسفر صبح محمد الموصول بنور الله عز وجل حمله كتاب الله المتلو في كل حين تقول:

الله أكرمنا وأرسل أهمنا نور أهل على الوجود ورحمة عزت به الدنيا وأسفر صبحها بالذكر جاء وبالكتاب ولم يزل والمؤمنون على الطريق رب الوجود تبارك أسماؤه	للحق والتوحيد يدعوا والمدى بحر من الأخلاق فيض من ندى والليل عنها من ضياء تبددا في العالمين مرتلا ومرددا تابعوا كل بطء قد تأثر واقتدى من نوره أهدى الوجود محمد ¹
---	---

وتقول أيضاً:

يا سيدى يا سيدى صدقت فيما قلت والكل فىنا يقتدى بلغتنا خير الكلام أنقذنا من الظلم إلى والوحى فيما تنطق في قوله العذب الندى ²	يا قائدى يا مرشدى وكل ما فعلته بهدىك المحمدى من روضة الذكر الحكيم سنى الدين القويم أصواته تتائق
--	--

¹ - ديوان: على اعتاب الرضا، آمون للطباعة والنشر، مصر، ط١، سنة 1993، ص 13

² - المصدر السابق ص 17



المديح النبوي في الشعر النسائي المعاصر ----- د.ليلي لعویر

وتضييف:

يا رحمة فاضت على الأكوان بالحق والتوحيد والإيمان

محمد يا نعمة الرحمن أنتَ عليك الله في القرآن

في حكمَة المؤكَد يا سيدِي¹

وفي إطار إيماني عالي تختفي عليه الجumar بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث تفرد حادثة الإسراء والمعراج بقصيدة بعنوان سبحان من أسرى وتعمد إلى توصيفها على ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بوصفها تحولا هاما، ومنعطفا إيمانياً مميزاً في مسيرته لتنتهي بالقول أن لا أحد شرف بهذا المقام سواه تقول:

سبحان من أسرى بخاتم الأنبياء

للمسجد الأقصى في ليلة الإسراء

قد جاء بالبراق يطوي حدود المكان

ويقطع الأفاق في غيبة من زمان

وسيد المرسلين صلى بهم أجمعين

وكلهم أنبياء في ليلة الإسراء

فأشهد وقل يا زمان ما نالها إنسان

إلا شفيع البرايا وسيد الأكوان²

لقد عاشت الشاعرت أجياء الحب النبوي الذي ترجم مدحا بطرائق مختلفة، وامتد إلى حد الهيام الذي يسلب صاحبه عقله وقلبه، فيسلتل الرق ويستمتع به وهو في حضرة النبي الذي أسرت محبه الأكوان أيضا، لرحمته ورفقه ونوره تقول نبيلة الخطيب

¹ - المصدر نفسه ص 18.

² - المصدر نفسه ص 19.



المديح النبوي في الشعر النسائي المعاصر ----- د.ليلي لعویر

في قصيدتها من أين أبدأ:

نغم

على شفتيك

رقا..

فأضاء ليل العمر

برقا

سحر الكلام به تخلّى

رفت معاني القول

ورقا

لما خطرت

انثال نور

ولقد نطقت

وجه المليح

وقد تخلّى

طارت له الأرواح خفقا

خفق القلوب

له وحبيب

كالرعد

حين انشق شوقا

يا آية في الكون خلقها

يا آية في الناس



المديح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ----- د.ليلى لعویر

خُلقا

يا رحمة

ما زلت فيها

فاضت على الثقلين رفقا¹

ولا تتوانى الشاعرة الأردنية سمية العتيلى في إظهار محبتها للنبي صلى الله عليه وسلم، وعمق سعادتها بذكره وسيرته أيضاً، فهو النور الذي يضيء كلما اشتد الظلام، كما أن سيرته التي تستلهم هديها من القرآن الكريم هي نبع محبة وخير ورحمة لكل الخالق والأنام تقول في قصيدتها: ما خاب يوماً:

هبت نسائمك العليلة يتتشي
منا الفؤاد وتذهب الأحزان

ما كنت أدرى أن حبك ينطوي
بين الحنايا كله أشجان

هذا الحبيب المصطفى رمز لنا
نور يضيء وذكره أحزان

صلوا عليه وسلموا أهل التقى
إن الصلاة على النبي أمان

منه الحديث وسنة من هديه
للدين وهو محبة وبيان

تحيا به كل الخالق والألى
والحكم فيها نبعه القرآن

ما خاب يوماً من تأسى واقتدى
نهج الرسول فإنه البرهان²

وقبل أن تنهي قصيدتها تأخذ العهد على نفسها وعلى أهلها، بأن يظلوا مستمسكين بعرى الإيمان وهدي النبي بوصفه الطريق الموصى إلى تحرير القدس تقول:

¹ - ديوان من أين أبدأ، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، سنة 2013 ص 5-7

² - نقاً عن: عدنان فارس حسونه، الاتجاه الإسلامي في الأردن وزارة الثقافة، عمان، الأردن ط 1، سنة 2004 ص 246.



المديح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ----- د.ليلى لعویر

عهدا علينا أن نظل على المدى
فالمقدس تصرخ أين هم جند الفدا
مسراك أَحمد بالفؤاد وفي النهاي
سحقاً لكفر قد يُدنس أرضنا

قوما هداة تشهد الأزمان
يجمون بيتا داسه الطغيان
دوما به نعلو ولا ننهان
مادام قلب بالهدى يزدان¹

غير أن آمنة المريني — وهي أكثر الشاعرات استغرافاً في مدح النبي وذكر ما ثرث
وأخلاقه — تجعل من ذكر سيرة النبي ومولده في قصيدة سبيل الهدى من ديوانها ورود
من زناتة، مطية لتهذيب النفس وتقديب البشر في إشارة إلى ما أحدثه مولده من تغيير
شلل الإنسان والأكون ووالجان، وأليسهم لبوس الفرح والغبطه بميلاده كبني. تقول:

أوحى إلى سره من محكم الأزل
فكأن أبهر من شمس بذى غسق
هللت بشائره باليمن فانباحت
يوم تباهت به الأملال وازدحمت

أن كن نبي الهدى من صفوه البشر
وكان أعطر من مسك ومن زهر
آكام مكة من أنواره الزهر
والحق في عرس والبغى في نكس

جنائن الخلد من أبرارها الطهر
والنور زلزل إفك النار والحجر
كأنما لم تحر يوما ولم تزر
والأرض من ألق البشري مكبرة

لو كان السنى المغنى عن خبر
وتساءل الشرك في ريب يئرقه من ذاك
لتمضي في ذكر صفاته وأخلاقه وتضحياته في سبيل نشر دعوة الحق بقوتها

هذا النبي وأولوا العلم تعرفه
هذا الأمين الذي استصفاه حالقه
قد مثل الحسن في حلق وفي شيم
مولاي يا أيها المبعوث مرحمة

ما توادر في الألواح والزبر
هدى وتذكرة للكافر الأشر
والحسن من جوهر المختار لم يعر
للناس في ظلمات الجهل والمضر

¹ - المصدر نفسه الصفحة نفسها.



المدح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ————— د.ليلى لعویر

أشرقت والخلق فوضى لا خلاص
لهم كالبهم هاملة في مرتع قدر
والشرك أفقه داج جد معتكر¹

ولعل قصيدة مولدية والتي تبلغ حوالي 74بيتاً في ديوانها ومنها تتفجر الأنهار تعتبر بمثابة بردة العصر الحديث التي بلغ فيها مدح النبي درجة عالية من صفاء الود امترج فيها حديث عن مآسي المسلمين وأوجاعهم وفرقتهم واختلافهم الذي لا يمحوه إلا نور محمد ص تقول:

يا سيدى يارسول الله معدرة من
عاشق لك صب القلب حيران
ماذا عسانى أبى اليوم من شجنى
وكل خطب بنى الاسلام أشجانى
وصدع النفس من غم ومن نكد
وهدى من هو له أزرى وأركانى
ما للمصاب سوى طيف يخاطبه
هل يرأب الصدع من أهلي وخلاني
وهل ترانا نلم الشمل ثانية
في ظل حب ومعروف وقرآن

يترعننا بمنفحة من سنا وحي وإيمان
وهل ترى نورك الميمون
يأنجذب داء عدا من كف إخوان²

إن ارتباط الشعر النسوي المعاصر بمدح النبي صلى الله عليه وسلم، يعتبر ظاهرة صحية، تنبئ عن وعي أنثوي بقيمة النبي — صلى الله عليه وسلم — في حياتنا، كنموذج كامل تستدرك البشرية من خلال استحضاره كل قيم الحب والرحمة والجمال، الذي يزيد في الارتفاع بالشعور الإنساني، ويوجه خطاب الحبة توجيهاً راقياً يتتجاوز معطيات الراهن الشعري الذي يتمادى في تبني ثقافة الاتهاك وكسر النموذج بتشويهه

¹ - ديوان ورود من زناتة، دار السليمي الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، الدر البيضاء، ط 1 سنة 1997، ص 20-21.

² - المصدر نفسه، ص 29 - 30



المديح النبوي في الشعر النسائي المعاصر — د.ليلي لعوير

أو أسطرته، وما مجمل النصوص الشعرية التي تم توظيفها سوى ملمح من ملامح هذا الارقاء الذي ينطلق من رؤية إسلامية، ترى في نموذج النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي هو صورة للنور والرحمة والخلاص وملاذ الأمة في خروجها من التيه، فهو يتربع متربعاً صوفياً حر كيا يتجاوز السكونية إلى تمثيل قيمه، لا سيما وأن الحقيقة الحمدية تتجلّى في السيادية والنورانية والرحمة والخيرية التي ربطتها الشاعرات بنصوصهن، منفتحات فيها على مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – بصيغ مطلقة تُؤكّد كماله، فهو سيد الخلاقين وختار الأنبياء وأية الكون حلقاً وخلقها والنور المتجلي، وغيرها من الصيغ والمعانى التي تضفي عليه نوعاً من الكمال والجمال الرباني الذي يتحلى فيه ويمتد في البشرية. كما أن محبة النبي – صلى الله عليه وسلم – والشغف به يتّحد أبعاداً روحانية وجداً نية صوفية، ترخي بضالها على النفس والمجتمع وال الإنسانية و تتجاوز فيه الحسي إلى ما هو معنوي، يرتقي في تخلياته بالمشاعر الإنسانية وينفتح على استشعار هموم الأمة وقضاياها الجوهيرية.

والحق ان فارئ هذه الاشعار ودارسها، لا يسعه إلا ان يلحظ جموعة من الفيم
الفنية التي عمدت الشاعرات إلى إرائهـا، وهو خلق عالم شعري نظيف يتونـحـى اللغة
الشعرية نظيفة، تنهـلـ من حقل الدين والعاطفة والطبيعة فترتـبـ المعانـي بـدـلـالـاتـ (النور،
الرحـمةـ، النـفـحةـ، الطـهـرـ، القرآنـ، الصـلاـةـ، الحقـ، التـوـحـيدـ، الشـوـقـ، العـشـقـ، بـحـرـ، صـبـحـ،
شـواـطـئـ، مـسـاءـ) وغـيرـهاـ منـ الـأـلـفـاظـ الـتـيـ تـتـلاـحـمـ فـيـماـ بـيـنـهـاـ، فـتـبـينـ كـثـيرـاـ منـ الصـورـ
الـشـعـرـيةـ فيـ صـورـةـ بـلـاغـيـةـ تـتـكـئـ عـلـىـ الـبـلـاغـةـ الـقـلـيـدـيـةـ الـقـدـيـمـةـ كـالـتـشـبـيـهـ وـالـاسـتـعـارـةـ
وـالـكـنـيـاتـ وـالـمـحـسـنـاتـ الـبـدـيـعـيـةـ، وـمـتـدـ إـلـىـ اـسـتـخـدـامـ الرـمـوزـ فـيـ صـورـهاـ الـحـدـيـثـةـ (هـوـ الدـوـاءـ
لـمـاـ فـيـ الـرـوـحـ مـنـ عـلـلـ، الـقـدـسـ تـصـرـخـ، طـارـتـ لـهـ الـأـرـوـاحـ خـفـقاـ، أـضـاءـ لـلـيلـ الـعـمـرـ، لـمـاـ
اخـرـطـتـ اـنـثـالـ نـورـ) وـغـيرـهاـ منـ الصـورـ الـتـيـ تـحـتـاجـ وـحـدهـاـ إـلـىـ دـرـاسـةـ، وـالـتـفـحـ أـفـقاـ
تـفـاؤـلـياـ يـتـشـحـ بـوـشـاحـ الـنـورـ الـحـمـدـيـ الـذـيـ يـزـيدـ الـنـفـسـ الـبـشـرـيـةـ فـيـ صـورـكـماـ الـأـنـثـوـيـةـ، اـمـتـلـاءـ



المدح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ————— د.ليلى لعویر

وإحساسا عميقا بقيمة وجودها في الحياة، لاسيما وأنها تستند في معظم القصائد على القصيدة العمودية، وتتكئ على البحور الطويلة كبحر الرمل والبسيط لما حققه من دلالات شعورية تتوافق مع الانفعال الذي تشيره التجربة الشعرية النسوية خاصة. لا سيما وأنّ الوزن يكتسب صفاته وخصائصه من داخل التجربة الشعرية التي تحاول أن تستوعب الحالة الشعورية للذات الشاعرة وهي تخلق في عالم الإبداع.

وإذا كنا قد توقفنا فيما تقدم عند مفهوم المدح و بدايته ومتلاطمه، في الشعر النسائي بامتداداته التاريخية المتقطعة ورکرنا على المعاصر منه، فإننا نلتقي في أن غرض الثناء في أشعارهن يلبس معناه إذا ارتبط بالأنسي فإذا تعداد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أصبح مدحا، وأن الحضور النسائي في مدح النبي صلى الله علي وسلم لم ينتعش إلا مع أدب الصحوة والأدب الإسلامي، برغم بعض المدائح التي ارتبطت ببعض النساء في عصور مختلفة وكانت عالمة، تماما كما هو الحال مع قريبات النبي — صلى الله عليه وسلم — وعائشة الباعونية ونائزك الملائكة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم يمثل الطاقة الصامدة التي تمد الناس بالخير، وتلفهم بالراحة وتدھشم بالجمال الذي يشع نورا ونقاء وتفاؤلا، وهم يعايشون سيرته وأخلاقه فيملؤنها بالحياة مدحا وحبًا وإجلالا، متكتفين على كون معنوي ولعوي مشرق أطّرته بوضوح لفظة نور التي تتكرر كثيرا في أشعارهن، والتي تتماهي مع مشكاة النبوة ومع النور المطلق — الله — عز وجل لتصنع وجودها المستمر في النص الشعري النسائي معبداً الطريقة المظلم للذى يبحث في عتمات النصوص عن خيط نجاة تتضح معه الرؤية والرؤيا.

والحق أن هذا الموضوع على جلّته — التي ترتبط بالشعر النسائي عموماً والمعاصر بوجه خاص — شائك وينفتح على مسارات كثيرة لا يمكن أن يسعها هذا المقام ولذا نرجحها للدراسة تقرأ فيها الأبعاد والخلفيات.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د: 4040-1112، ر ت م د إ: X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 814-791 تاريخ النشر: 25-03-2021

المديح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ----- د.ليلى لعویر

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد الطريق أحمد: محمد — صلى الله عليه وسلم من الحقيقة النبوية إلى الصورة الشعرية— منشورات المشكاة، ط1، سنة 2007.
2. أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت — لبنان، ط1، 1997 ج.4.
3. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1341هـ— 1941، ج.1.
4. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط24. طاهر أحمد مكي: مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، عين للدراسات الإنسانية الاجتماعية مصر، ط 1 سنة 1994 .
5. حلال الدين السيوطي، جامع الأحاديث، تحقيق: عباس أحمد صقر، أحمد عبد الجود، دار الفكر، إشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر، 1414هـ— 1994م، ج.2.
6. خير الدين بن فارس الزركلي: الأعلام، دار العلم، ط بيروت، لبنان، الملايين، ط 15 سنة 2002م ج.3.
7. ديوان رسائل محبة إلى الله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، سنة 1986.
8. ديوان من أين أبدأ، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، سنة 2013.
9. ديوان ورود من زناتة، دار السليمي الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، الدر البيضاء، ط1 سنة 1997.
10. ديوان: على اعتاب الرضا، آمون للطباعة والنشر، مصر، ط1، سنة 1993.



المديح النبوى في الشعر النسائى المعاصر ----- د.ليلى لعویر

11. زكي مبارك: المدائج النبوية: دار الحجة البيضاء.
12. زينب العاملی: الدر المنشور في طبقات رباث الخدور، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ط 4، سنة 1321هـ.
13. سامي محمد العانی: الإسلام والشعر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 66 سنة.
14. أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي المتوفى سنة 703هـ.
15. عدنان فارس حسونه، الاتجاه الإسلامي في الأردن وزارة الثقافة، عمان، الأردن ط 1، سنة 2004 .
16. أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني المتوفي 852، تحقيق: عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، سنة 1415، ج 8.
17. أبو القاسم الزمخشري ت 538: أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان سنة 1419—1998، ج 2. الزبيدي ت 1205هـ: تاج العروس، دار المداية، د 1 ط 7.
18. محمد أحمد درنيقة: معجم أعلام شعراء المديح النبوى، تحقيق: ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال ط 1 د 1 ط .
19. محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي منشورات اتحاد الكتاب العرب، سنة 1999.
20. محمد عادل الهاشمي: أثر الإسلام في سورية مكتبة المنار، الأردن، الزرقا ط 1 سنة 1986.
21. أبو محمد عبد الحسن السلمان: مجموعة القصائد الرهديات مطبع الحال



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د: 4040-1112، ر ت م د إ: X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 814-791 تاريخ النشر: 25-03-2021

المديح النبوي في الشعر النسائي المعاصر ----- د.ليلي لعویر

لالأوفسيت، الرياض ط1، سنة 1409هـ ج.2.

22. أبو محمد عبد الحسن السلمان: مجموعة القصائد الرهديات، ج 2.

23. محمود علي المكي: المدائح النبوية، مكتبة لبنان/ الشركة المصرية العالمية للنشر
لوجдан ط1، سنة 1991.

24. محى الدين الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان ط1 سنة 1418هـ—1997م، ج 1 .
25. ابن منظورت 711هـ: لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان ط3، سنة 1414هـ—
ج 2 1993



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني (ت 690 هـ)
Sufi absence in the poetry of Afif Al-Din Tlemceni
(d. 690 AH)

د. توفيق مساعديت

messadia.toufik@umc.edu.dz

جامعة الإخوة منتورى قسنطينة 1

تاريخ القبول:

2020/07/21 تاريخ الإرسال:

I. الملخص:

لا تروم هذه الدراسة تقديم تعريف للتصوف ولا تقسي نشأته وتطوره ولا توضيح نظرياته ومدارسه، بقدر ما ينصب اهتمامها على محاولة الوقوف على بعد الغياب ومتظهراته الروحية في تجربة عفيف الدين التلمساني. وتحاول أن توضح - في حدود ما اتيح لها من إمكانات تأويلية - دلالاته العرفانية.

الكلمات المفتاحية: عفيف الدين التلمساني؛ الغياب؛ التجربة؛ الصوفية؛ الشعر.

I. ABSTRACT:

This study does not intend to provide a definition of Sufism, nor investigate its origins and development, nor clarify its theories and schools, as it focuses on trying to stand after the absence and its spiritual manifestations in the experience of Afif Al-Din Tlemceni. It tries to clarify - within the limits of its interpretative potential - its indicative connotations.

Keywords : Afif Al-Din Tlemceni; Absence; Experience; Sufism; Poem.

المقدمة:



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

تنطوي التجربة الصوفية على عالم فريد من الرؤى النورانية الشفافة، كما تشير إلى نمط من الفكر والسلوك يتميز بخصوصيته الشديدة عن باقي الأنشطة الأخرى، وإذا كانت الحياة الصوفية تعكس أعمق وجهات النظر تجاه الوجود الديني، فإنها تمثل أيضاً أعلى مظاهر التقوى الدينية، المبعثة من صدق العلاقة الرابطة بين الإنسان وحاليه¹.

هذا، وقد توسيع الصوفية في أشكال التعبير عن هذه التجربة حتى شكلوا نسقاً مختلفاً المكونات والظواهر النصية، من شعر وقصص وأدعية وأخبار، تنظمها مجموعة من القوانين التي تحكم العلاقات والتفاعلات فيما بينها لبلوغ هدف معين، ألا وهو التعبير عن تجربتهم الاتصالية بالله، وهي تجربة عاطفية معرفية، كما أنها تجربة في الكتابة والإبداع².

والناظر في الشعر الصوفي بوصفه نسقاً من أنساق الكتابة الصوفية يجد أنه يعبر - كما تحدده التجربة الصوفية - إما عن حالة الغياب، أو عن حالة الحضور، أو هو تعبير عن تعاقبهما معاً، سواءً أكان ذلك في قصيدة واحدة، أو في ديوان كامل³، والمتأمل في تجربة عفيف الدين التلمساني^{*} الصوفية - المعبر عنها شعرياً - يجد أنها لا تخرج عن هذه

¹ - آمنة بلعلى: الحركية التواصلية في الخطاب الصوفي. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 2001. ص 20. وما بعدها.

² - المرجع نفسه. ص 20.

³ - مختار حبار: شعر أبي مدين التلمساني الرؤيا والتشكيل. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 2002. ص 170

* عفيف الدين التلمساني هو أبو الريبع عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن ياسين العابدي، المعروف بعفيف الدين التلمساني الملقب بعفيف الدين، والمعروف عند القدماء بالعفيف التلمساني، ولد بتلمسان سنة (610 هـ/1213 م) ثم انتقل إلى القاهرة، حيث أنجب ابنه محمد شمس الدين الشاعر المعروف بالشاب الظريف، واستمر العفيف في تنقلاته وخلواته الصوفية عبر العديد



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

المنظومة العرفانية. وهذه الدراسة تحاول أن تبين أبعاد الغياب في عرفانيه عفيف الدين؛ وأن توضح - في حدود ما اتيح لها من إمكانات تأويلية - دلالاته الصوفية.

1. الغياب عن الذات الإلهية.

إذا كانت التجربة الصوفية تعبر عن ارتقاء الذات البشرية في مدارج روحية رغبة منها في الاتصال بالذات الإلهية، فمن الإجحاف أن نستثنى تجربة عفيف الدين التلمساني، على اعتباره من الممثلين للذهنية الصوفية المادفة من خلال سلوكيها الروحي لأن تخرج من عالم الوهم والحجب النفسية لتعود لعالم الحقيقة؛ عالم العلم الإلهي الذي تحلت فيه الحضرة القدسية للممكبات وهي لا تزال في هيئة الدر. وبده هذه "القصة قديم ذري منذ كانت الأكونان الموجودة ذرات متفرقة غير مجموعة المادة، ومنذ كان بنو آدم ذرية روحية لم تلبس الأجسام الترابية"¹.

وقد ورد في الحديث أن الله مسح ظهر آدم، وأخرج ذريته منه كهيئه الدر، وأشهدهم بالربوبية فأقرروا بذلك²، وكان ذلك يبطن نعمان** "فكان ذرة رسول الله هي الجحية في الأرض، والعلم والمهدى فيها معجونان فبعث بالعلم والمهدى موروثان له

من أقاليم المشرق إلى أن استقر به المقام في دمشق، وفيها شغل منصب مستوى الخزينة بها إلى أن توفي سنة (690 هـ/1291 م)، تاركا ديوانا شعريا إلى جانب مصنفات في علوم مختلفة. ينظر: الربعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشعر الجزائري. كلية الآداب واللغات. جامعة متنوري. قسنطينة. ج.1. 2002. ص 173.

¹ - أسعد أحمد على: معرفة الله والمكررون السنحاري. دار الرائد العربي . بيروت. لبنان. 1972. ص 349.
² - عبد القادر أحمد عطاء: التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس. دار الجليل. بيروت. 1987. ص 357.

- عبد القادر أحمد عطاء: التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس. ص 357.
** - واد بين مكة والطائف



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

وموهوبان"¹، وكانت قلوب الصوفية أقرب مناسبة فأخذت من المعرفة حظاً واسعاً "لما تزكت نفوسهم انخلت فيها صور الأشياء على هيئتها وماهيتها، فبانت الدنيا بقبحها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها"².

إن الميثاق الذي أقرت به الأرواح في بطن نعمان ما فنت ننساه، وه فهو
التلمساني يتذكره عاكساً مشهد التحلي الحادث فيه في قوله:

روحى وظلت بها في أرفع الدرج	فحى داراً بعمان بها نعمت
سلكتُ فيها طريقاً غير ذي عوج	فسيرتِي بهم المثلَى وشِرعتُهم
سمعي به صمم من عذلكَ السَّبِح	ولائِمٌ لامني فيهم فقلتُ له:
كمثالٌ من جلت في قلبه حرق	ما كلٌ من جلت في قلبه حرق

إذا كان المكان "هو الإطار الذي تقع في الأحداث"⁴، فإن لجوء التلمساني إليه كان لرغبة ملاحقة الحدث، وتصبح الحكاية التي يحكيها عن ذلك المكان وما حوطه من أحداث، إن هي إلا تعبير منه عن رغبته في العودة إلى تلك الربوع بزمامها الأزلي، فالآرواح التي أنعم الله عليها في عالم القدس لا تنفك قلقة جزعه بعد الهبوط إلى عالم الكون الفساد، "ولذلك فهي مأخوذة بأشواقها إلى ما رأته وسمعته من بارئها يوم الأظلة، وهي مستغرقة في مجاهداتها على طريق الرحلة إليه تعالى تتقيه وتستقيم على صراطه

¹ - أسعد أحمد على: المتجمب العاني وعرفانه . دار الرائد العربي. بيروت. 1968. ص 495.

² - المرجع نفسه. ص 495.

³ - عفيف الدين التلمساني: الديوان. تحقيق: العربي دحو. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1994. ص 326.

⁴ - حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 2001. ص 52.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

المستقيم، وترجو رؤيته قبل الموت، لطمئن إلى مصيرها الآجل في الآخرة، وتكون سعيدة فيمن أسعدهم الله بنعمته المعرفة الأولى¹، فأمل التلمساني من هذه الرحلة هو تزكية نفسه؛ لتعودة إلى الصفاء والطهارة التي نعمت بها روحه في عالم الظلمة، وما يعكس رغبة هذه قوله:

أحبابَ قَلْبِي هَلْ لَنَا عُوْدَةٌ
فِي جَمِيعِ الشَّمْلِ وَتَدْنُو الدِّيَارُ
وَيَعْدُ الْبَعْدُ وَنَلْقَى اللَّقاَ
وَيَعْدِي سَرَّ الْمُسَامِي جَهَارٌ²

وإذا كانت رغبة التلمساني هي تزكية نفسه وتطهيرها من حظوظها البشرية التي تخيل بيته وبين قابليته للتجلّي النوراني، فإنّ الهاجس الذي يؤرق ذاته هو خوفه من أن يدركه الموت الطبيعي قبل أن ترتفع حجّبه البشرية، "إذا ارتفع الحجاب بالموت (الاضطراري) بقيت النفس ملوثة بكدرارات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية، فمنها (أي النفوس) ما تراكم عليها الخبث والصدأ، فصارت كالمرأة التي قد فسد بطول تراكم الخبث بجوبها ولا تقبل الإصلاح والتتصيل، وهؤلاء هم المحجوبون عند ربهم"³، يعبر التلمساني عن هذا بقوله:

مِنْ أَلْمِ الْحُجْبِ إِلَيْكَ الْفِرَارُ
يَا سَالِيٍ فِيهِ لِذِيذِ الْقَرَارُ
نَادِيَتُ دَمْعِي فَأَتَى جَارِيَا
وَالشَّوْقُ يَدْعُوهُ الْبَدَارُ
وَالرُّوحُ مِنْ هَذَا وَهَذَا تَسْعَارٌ⁴

¹- أسعد أحمد علي: المتحبب العانٍ وعرفانه. ص 491.

²- عفيف الدين التلمساني: الديوان. ص 117.

³- أبو حامد الغزالى: معراج القدس. منشور الكترونى فى مكتبة المصطفى الالكترونية ص 132.

ينظر : www.al-mostafa.com

⁴- عفيف الدين التلمساني: الديوان. ص 117.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

فالتلمساني يبرز مراهنة ذاته للعودة إلى موطنها بارادتها وهمتها قبل أن يدركها الموت وتعود بدون مراهنة، "عودة اضطرارية كما تعود كل نفس بحجاب غفلتها"¹. أما الموت المرغوب فيه عنده وعند باقي الصوفية، فـ"عبارة عن انقطاع اللطيفة المسماة بالروح الإلهي عن الانشغال بالملاذ البدنية، لإقبالها على القرب من الجناب المقدس"²، أما إن لم تستطع الذات التخلص من ماديتها بإماماته جانب الهوى والحس فيها، فإنما تبقى في دائرة الغياب ضالة لطريق الحق .³

وقد صور التلمساني كغيره من شعراء الصوفية حقيقة غياب ذاته عن الذات الإلهية من خلال مقطوعاته وقصائده التي تعكس حالة الانفصال بين الذاتين الحبة والمحبوبة، وفي الآن نفسه تعبّر عن رغبته الملحة وحنينه المستمر لتحقيق الحضور المأمول، وفي هذا الشأن يقول:

أبداً لوصلكم تهنّ ضلوعي	وبطيب ذِكْرِكم يَزِيدُ ولوعي
متَّعْتُ الحاضري ببعض حمالَكُم	فسرى الغرامُ جمِيعه بجمعي
قد كان يؤنسني النام بطيفِكُم	حتّى مَنْعَتمْ بعد ذاك هُجُوعي
يا مَنْ أَعَزَّهُمُ الهوى وأذلنِي	رفقاً بذلِّي في الهوى وحضورِي
من غيرِكم لكم رجعتُ أحْتَسي	لا كانَ عنكم ما حَيَّتُ رُجُوعي ⁴

¹ - مختار حبار: الشعر الصوفي في الجزائر في العهد العثماني. رسالة دكتوراه دولة. جامعة عين شمس. مصر. 1991.. ص 43.

² - عبد الرزاق القشانى: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإعلام. تحقيق: عاصم إبراهيم الکيالي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط.1. 2004. ص 438

³ - مختار حبار: الشعر الصوفي في الجزائر في العهد العثماني. ص 74.

⁴ - عفيف الدين التلمساني: الديوان. ص 342.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

حنين التلمساني المستمر لأحواء الحضور وللحظات الوصال مع الحق يقر حقيقة أن " الإنسان جوهرى الروح عرضي الجسد، أنشئ جسده من عالم الكون والفساد، وبرزت روحه في عالم الأمر قبل أن يجعل الجسد مستودعا لها"¹.

وإذا كان هذا الاستياد قد أبعد ذات التلمساني عن العالم الذي عرفت فيه ربهما، إلا أنها رغم بعدها - وهي في عالم الأشباح والأجساد - بقيت على عهدهما، متذكرة لعلمة المعرفة الأولى تذكر الأوفىاء، وما قاله التلمساني تعبيراً عن هذه الحال في شکواه لآلام الفراق ما تشهد به هذه الأبيات:

معُ في قُرْبِ ساحَّتِكَ مذَالَهُ	يا ديار الأحبابِ لازالتِ الأد
أَسْرَعَ مَا كَانَ كَاخْيَالَ زَوَالَهُ	أَيُّ عَيْشٍ مَضَى لَنَا فِيكَ مَا
لَيْتَنَا فِي الْمَنَامِ نَلَقَى مَثَالَهُ	وَلَنَا فِيكَ طَبِيبُ أَوْقَاتِ أَنْسٍ
مَا صَبَّ—وَتَيْ عَلَيْكُمْ ضَلَالَهُ	يَا أَهْلَ الْحِمَى وَحَقَّ لِيَالِي الْوَصْلِ
لَيْسَ تَخْبُو وَأَدْمُعُ هَطَالَهُ ²	لَيْ مُذْغِبِتُمْ عَنِ الْعَيْنِ نَارٌ

إذا كانت معاناة التلمساني متولدة من فراقه لديار الحبيب، فإن هذا الفراق لم يجد من ملاذ لقهره إلا دموعه التي بات يذرفها حسرة منه على زمن العيش الهنيء بالقرب من الحق، الذي كانت لحظاته في زوالها أسرع من زوال الخيال، وفي كل هذا هو يتمتنى تكرار أنس تلك الأوقات حتى في منامه وعالم أحلامه، لأن وضع غيابه ألهب أشواقه لجو

اللقاء والمعرفة مرة ثانية، ومن أشعاره المعبر فيها عن حال غيابه قوله أيضاً:

وَوَرَاءَ هَاتِيكَ السُّتُورُ الْمَحَجَّبُ	لَا تَهْتَدِي لِجَمَالِهِ الْأَفْهَامُ
لِلْكَوْنِ رَنَحَهُ جَوَّيْ وَغَرَامُ	لَوْ لَاحَ أَدْنَى بَارِقَ مِنْ حُسْنِهِ

¹ - أسعد أحمد علي: المنتجب العان وعرفانه. ص 508.

² - عفيف الدين التلمساني: الديوان. ص 183-184.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

يا عُربَ تَجَدِّدِ ما مضى من عيشنا
أَتَرَى تَعُودُ لَنَا بِهِ الْأَيَّامُ
رُدُّوا الْكَرَى إِنْ كَانَ عَزًّا وَصَلِّكُمْ
فَعُسَى تَمَثَّلُهُ لِي الْأَحْلَامَ¹

إذا كان التلمساني في هذه الأبيات يقر حقيقة احتجاب الذات الإلهية عنه كما هو باد في عباراته: (وراء هاتيك ستور الحجب)، (ما مضى من عيشنا)، (أترى تعود لنا به الأيام)....، فهذا الإقرار في عرف العرفانية الصوفية يرد في حقيقته إلى انشغال الذات بجانبها المادي على حساب أصلها الروحي، فالحقيقة الإلهية التي غاب عنها التلمساني متضحة معلومة " فهي لم تغب ولم تطفن، ولكن غابت عنها القلوب والأبصار المتقلبة"²، وكثيرة هي فصائله ومقطوعته المعبرة عن شوقيه واشتياقه لذات الحق المبعد عنها.

أما سمة البكائية الطاغية على نصوصه فترجع إلى معاناته المتولدة من إحساسه "بأن وجوده مؤسس على الانفصام والاعتراض عن أصوله البدائية التي هي الألوهية (أصل الروح)، والطبيعة الترابية (أصل الجسد)".

ولعل هذه القصيدة التي تأخذ منها هذه الأبيات تعبر عن هذه القضية وتعكسها يقول التلمساني:

أَحَنَّ إِلَى الْمَسْرُلِ وَالرُّبُوعِ
وَأَضْمَنْ كَتَمَ أَشْوَاقِي وَوَجْدِي
وَبِا ظَبَّ الْصَّرَمِ أَخَذْتَ قَلِّي
سَكَنْتَ بِمَهْجِتِي وَالْجَارِ يَرْعَى
وَأَنْتَمْ بَيْنَ أَحْشَاءِ الضُّلُوعِ
فَيُظْهِرُهَا جُلَّاسِي دُمُّوعِي
فَلَيْكَ لَوْ أَضْفَتَ لَهُ جَمِيعِي
فَمَا لَكَ لَا تَرِقُّ عَلَى خَضُوعِي¹

¹- المصدر السابق. ص 190.

²- أسعد أحمد علي: المتنجب العان وعرفانه. ص 501.

³- منصف عبد الحق: الكتابة والتجربة الصوفية. منشورات عكاظ. الرباط. 1988. ص 10.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

حنين التلمساني للمترن والرابع يعد في العرفانية الصوفية معادلاً موضوعياً لحنين الروح لأصلها الإلهي، وهي حقيقة متواجدة بين أحشائه وضlosureه، وبالرغم من كتمانه لهذه الحقيقة وتسترها عليهما، إلا أن دموعه أظهرت جلاسة حنينه لأصله الذي انفصّ عنه، وما نزعته البكائية في شعره إلا تعبير منه عن رغبة الروح في التحرر من سجن الجسد، لتعود إلى فيضها المقدس.

وقد جاءت أشعار التلمساني في بعدها الغيابي تعبيراً منه على قضية الكيان الصوفي اللامتحانس في فعل الكينونة الذي ينazuه "عنصر يمت بصلة إلى عالم الأرواح، وعنصر آخر يمت بصلة إلى عالم الأشباه، فالحقيقة أنه لا ينبع من الاتحانس إلا الأنين والحنين الذي يؤرق موضع الروح² و يجعلها دائماً وأبداً في تأهب لساعة الخلاص.

وإذا كان بعد الغياب يعبر عن قضية واحدة عند التلمساني هو رغبة روحه في التخلص من سجنها الجسدي، فإننا نجد قد صاغها بأساليب مختلفة، أبرزها جنوحه إلى المماثلة بين الحب الإلهي والحب الإنساني لتمثيل المكونات ولتحانس التجربتين، وفي ذلك شكل التلمساني من العاذل والرقيب الحانب المادي لصورة الجسد الذي يشكل حاجزاً أمام تحرر الذات الصوفية وعودتها إلى موطنها الروحي، كما في قوله:

يا عاذلي أنا منْ سَمِعْتُ حدِيثه	فَعسَاكَ تَحْنُوْ أَوْ لَعَلَكَ تَرْفُقُ	أَيْسُوْ مُنِيْ الْعُدَالُ مِنْهُ تَصِيرًا
وَحِيَاتِه فَلِيْ أَرْقُ وَأَشْفَقُ	لَا أَنْتَنِي لَا أَنْتَهَى لَا أَفْرُقُ	إِنْ عَنَّفُوا أَوْ سَوَّفُوا أَوْ خَوَفُوا
كَالْعَقْدِ فِي جَيْدِ الْمَلِيْحَةِ يَعْلَقُ	أَبْدَا أَرِيدُ مَعَ الْوَصَالِ تَلَهُمَا	مَا أَبْغُضُ الْعُدَالَ إِلَّا أَنْنِي
خَوْفًا عَلَيْكَ إِلَيْهِمْ أَتَلَقُ		

¹ - عفيف الدين التلمساني: الديوان. ص 140.

² - مختار حبار: الشعر الصوفي في الجزائر في العهد العثماني. ص 82.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

أنا خشى الرقيب لعرفها يَسْتَنْشِقُ^١
عُرْجَ كَذَا عَنْ طَيْبِهِنَّ فَإِنِّي
لعلنا نلحظ كيف أن التلمساني وفق في جعل صورة الرقيب والعاذل معاً
موضوعياً لجانبه المادي، فكما يفعل العاذل في صد المحبوب عن وصال حبيته في الحب
الإنساني، نجد أن الجسد المرموز له بالعاذل والرقيب يمنع الروح في اتصالها بيارتها، وكان
التلمساني في هذا المشهد الحواري العتاي يطرح تساؤلاً وجودياً: "كيف يجوز لهذا
الجوهر الإنساني أو الأمانة الإلهية، أن تظل الطريق عند اتصالها بالبدن"^٢، ناسية في ذلك
لعهدها القديم.

وبحسب قصائد التلمساني في هذا بعد وان تعددت رؤاها، لا تخرج عن أنها
تحسّد مشهداً صوفياً تبدو فيه الذات غائبة عن الذات الإلهية.

2. الغياب عن الحقيقة الحمدية.

حاول التلمساني من خلال تجربته الصوفية السير في مدارج السلوك رغبة منه في
الاقتراب من الذات الإلهية، لتس له المعرفة عن قرب كما حصل له في دور المعرفة الأولى،
وقد عكس لنا - كما مر معنا - معاناته في مقابل رغبة الحضور، وهي الحال التي جعلته
يقف أمام الحضرة الحمدية وقفه المسترشد المستمد من أنوارها الروحانية سبل الاتصال
بالحق، على اعتبار أن من "تجلت له أنوار الحضرة الحمدية يكون خليقاً به أن تتجلّى له
أنوار الحضرة الإلهية؛ لأن النور الحمدي من نور الحق؛ بل كلّمة الله التي تستمد منها
الكلمات أي البشر وجودها وهداتها".^٣.

^١ - عفيف الدين التلمساني: الديوان. ص 348-349.

^٢ - مختار حبار: الشعر الصوفي في الجزائر في العهد العثماني. ص 85.

^٣ - المرجع السابق. ص 87.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

ما يعني أن رغبة حضوره مع الحقيقة الحمدية لا تكاد تختلف عن رغبة الحضور مع الذات الإلهية، أما الفرق بينهما فيتعدد في كون أن الذات الإلهية " هي الوجود المطلق الذي لا تعين فيه، على حين أن الحقيقة الحمدية هي الذات مع التعين الأول، الذي فاضت منه بعد ذلك بقية التعيينات، سواء ما كان منها في عالم الأرواح أم من عالم الأجسام"¹، وهذا المفهوم تعد واسطة بين الخلق والحق.

ونظرة التلمساني للحقيقة الحمدية تتجاذبها زوايا نظر، فهو تارة في مقطوعات أبياته يتحدث عن مقام محمد عليه السلام الذي امتاز به عن بقية الخلق عامة كما في قوله:

اسْمَعْ مَقَاماً رَسُولَ اللَّهِ يَعْطِيهِ
أَقْطَابُ أُمَّتِهِ سَكَانَ نَادِيهِ²

وتارة أخرى يتحدث عنها بلسان القطب المعنوي الذي هو الحقيقة التي وجدت منذ الأزل، وهي في وجودها سابقة على وجود آدم وكل الأنبياء وكانت منبعاً فياضاً بالوجود والعلم³، كما في قوله:

إِذَا نَظَرْتَ رَأَيْتَ مِنْ عَشَاقِهِ
أَهْمًا سَكَارِيَّ مِنْ شَرَابٍ مَعِينِهِ
مِنْ خَمْرٍ عُصِّرَتْ لَهُمْ مِنْهُمْ
كَمَا عُصِّرَتْ لَآدَمَ فِي بَقِيَّةِ طِينِهِ⁴

فالحقيقة الحمدية عنده تمثل العقل الأول والمبدأ الكوني، وهو "أكمل مجلئ خلقي ظهر فيه الحق، وهو مبدأ الخلق والنور الذي خلقه الله قبل كل شيء، وخلق منه كل شيء، والعقل الإلهي الذي يخلو الحق فيه لنفسه في حالة الأحادية المطلقة".¹

¹ - محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي. دار المعارف. القاهرة. ط.2. 1985. ص 352.

² - عفيف الدين التلمساني: الديوان. ص 255.

³ - محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي. ص 352-353.

⁴ - عفيف الدين التلمساني: الديوان. ص 246.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

وإقرار التلمساني بهذه الحقيقة يبرز لنا تأثره بمقولة الإسلاميين في نظرية النبوة " وتفضي هذه النظرية يقدم نور سيدنا محمد (ص)، وجعله مصدر الخلق جمِيعاً، فمنه صدرت الموجودات، ومن نوره ظهرت أنوار النبوات، وما سائر الأنبياء إلا صور من ذلك النور الأزلِي"².

وإذا كان الحالج أول القائلين بنظرية قدم النور المحمدي، إلا أن نظريته هذه تطورت على أيدي الصوفية في العصور التالية له، حاملة أسماء مختلفة³، كالقطب أو الإنسان الكامل، أما دلالتها فلا تخرج على معنيين:

أحدهما هو أن القطب "عبارة على الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان"⁴، وهو من الكائنات بمثابة المهيمن عليها المكلف بحفظها ورعايتها، إلى أن يقْبضه الله فيخلقه واحد من الأولياء الذي دونه مرتبة، والقطب عبارة عن إنسان امتاز بما لم يمتاز به غيره من صفات الكمال والعلم⁵.

أما المعنى الآخر، فهو أن يكون القطب قطبًا للأقطاب و"ليس وراء مرتبته إلا النبوة العامة، وهو رأس الصدقين"⁶، وهو الذي لم يتلق القطبية من أحد لكنه واحد منذ القدم، لم يتقدم عليه قطب ولم يلحق به آخر، وهذا المعنى لا يدل إلا على حقيقة واحدة

¹ - محى الدين بن عربي: فصوص الحكم. تحقيق: أبو العلاء عفيفي. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. 319. ص 2009.

² - عبد الحكيم حسان: التصوف في الشعر العربي. مكتبة الآداب. القاهرة. ط. 2. 2003. ص 372.

³ - المرجع نفسه. ص 373.

⁴ - عبد الرزاق القشاني: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام. ص 366.

⁵ - محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي. ص 353.

⁶ - عبد الرزاق القشاني: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام. ص 366.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

وهي الحقيقة الحمدية¹، فالقطب أو الإنسان الكامل على حد تعبير الجيلي هو "الذي تدور حوله أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وأنه واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين"². وهو ما ذهب إليه التلمساني حين قال:

عيونُ الحيا جُودي لِتُرَبَّةِ يَثْرَبِ
بِدَمْعٍ هَنُونٍ وَدُقْهُ مُتَصوَّبٍ
إِلَيْهِ انتَهَى دُونَ الْمُحِيطِ كُوكَبٌ³

وقوله أيضاً:

تَدُورُ عَلَى بَعْدِ مِنَ الْمَرْكَزِ الَّذِي
بِهِ أَنْتُمْ إِذْ كَانَ شَخْصُكُمُ الْقَطْبُ⁴
فَالْقَطْبِيَّةُ عِنْدَ التَّلْمَسَانِيِّ - كَمَا تَعْبُرُ عَنِ الْأَيَّاتِ - إِنَّمَا يَرَادُ بِهَا الرُّوحُ الْحَمْدِيُّ أَوْ
الْحَقِيقَةُ الْحَمْدِيَّةُ، الَّتِي تَتَسَامِيُّ عَنْ تَدْرِجِ الْإِنْسَانِ فِي رَتْبِ الصَّوْفِيَّةِ وَدَرَجَاتِهِ مِنْ
أَوْتَادٍ وَأَبَدَالٍ، لِتَعْبُرُ الْحَقِيقَةَ الْأَزْلِيَّةَ الْفَيَاضَةَ بِالْوُجُودِ وَالْعِلْمِ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ أَوْ وَلِيٍّ ظَهَرَ فِي
أَيِّ زَمَانٍ، وَبِذَلِكَ فَهُوَ قَدِيمٌ بِبَاطِنِ الْقَطْبِيَّةِ وَحَدِيثٌ بِظَاهِرِ النَّبِيَّةِ الْحَمْدِيَّةِ⁵.

والإقرار بقدم النور الحميدي تراوح في أقوال التلمساني الشعرية بين قول صريح وإشارة تلميح، فهو في نظره ملأ الكون بحسنه، ويرى أيضاً أن الوجود ما كان له ليكون لولا سريان حسنـه فيه؛ لأنـه يمثل بحسب قوله فيض الحق في هذا الوجود المطلق، كما في قوله:

¹ - محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي. ص 354.

² - المرجع نفسه. ص 355.

³ - عفيف الدين التلمساني: الديوان. ص 63.

⁴ - المصدر نفسه . ص 40.

⁵ - محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي. ص 357.



الغيب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

أَفَاضَتْهُ أَنوارُ الْعِلُومِ عَلَى الْوَرَى
إِفَاضَةٌ وَهُبٌ خَارِجٌ عَنْ تَكْسُبٍ¹

هذه الإفاضة جعلت من نوره مصدر كل الأنوار لصفاء محله ونقائه "ولما كان ذلك النور يسري في الوجود، فقد احتفل به كل موجود، وهلل له عند ظهوره في المصطفى عليه السلام كل كائن، وانجذب إليه الكون بأجمعه"²، وقد عبر التلمساني على تلك الحقيقة الحمدية التي تجلت في محمد النبي بعدما كانت حقيقة في عالم الغيب حين قال:

يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ الْمَصَدَّقُ
وَعَنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَلَهِيْ يَنْبَطِقُ:
أَطِيعُوا الْمُهَدَّى، وَأَهْدُوا إِلَى
طَاعَةِ النَّدَى وَلَا تَفَرُّو فِيهِ وَلَا تَنْفَرُو فِيهِ
وَلِي خَلَقَ عَنْهُ الْكِتَابُ مُنْزَلٌ
فِي الْقَوْلِ مِنْهُ وَالْفَعْلِ تَخْلُقُوا
نَطَقْتُ بِهِ عَنْ رُوحِي غَيْبٌ مَقْدُسٌ
وَقَدْ كَنْتُ قَبْلَ الْغَيْبِ فِيهِ مُمْكَنًا³

وإذا كان التلمساني في حديثه عن الحقيقة الحمدية يمجد جانب القديم فيها كحقيقة وجدت منذ الأزل، فهو من جهة أخرى نجد في حديثه عنها يمجد جانب الحديث فيها باحتفاله بمولد الخلاص وتمجيده لشريعته كما في قوله:

فَذَلِكَ دَاعِيُ اللَّهِ بِالْمَنْهَاجِ الَّذِي
بِهِ صُورَةُ التَّكَمِيلِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ
شَرِيعَةُ حَقٌّ حَقٌّ كُلُّ شَرِيعَةٍ
مَشَارِأً إِلَيْهِ صُورَةُ مَنْ حَمَانَاهَا⁴

¹ - عفيف الدين التلمساني: الديوان. ص 63.

² - مختار حبار: الشعر الصوفي في الجزائر في العهد العثماني. ص 91.

³ - عفيف الدين التلمساني: الديوان. ص 151.

⁴ - المصدر السابق. ص 64.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

وفي مقابل هذه الاحتفالية في جزء من أشعاره، نجد في أجزاء أخرى يعكس غيابه عن الحقيقة الحمدية، وما تعكسه من ماسي انصاله عن الحق وما قاله:

دَعْنِي وَذُكْرَكَ كَلْمَا	جَنَّ الظَّلَامُ وَأَعْتَمَى
فَلَعِلَّ ذِكْرَكَ أَنْ أَرَى	فِيهِ لَوْصِلَكَ سُلَمَا
وَلَعِلَّ لَمَعَةَ بارق	تَبَدُّو عَلَى ذاكَ الْحَمَى
أَوْ هَلَةً مِنْ مائِهِ	أَطْفَئُ هَا حَرَّ الظَّما
يَا سَاقِي العِيسَى إِتِي	لِلسَّيِّرِ سَارَتْ أَعْظَمَا
عَلَلْ بِذِكْرِهِ المطَيِّ	وَكُنْ هَا مُتَرَّمَا
أَوْ مَا تَرَى رِيحَ الشَّمَاءِ	بِنَشَرِهِ مُتَبَسِّما
يَلْقَائَكَ فَيَأْهَى وَلَوْ	كَلْمَتَهُ لِتَكَلَّمَا ¹

إذا كانت هذه المقطوعة تعبر عن مفارقة التلمساني لأنوار الحقيقة الحمدية، فهي من جانب آخر تقر بأنه لم يتأس من أمل الحضور؛ لأنـه كلـما اعـتمـى الظلـام تـذـكر ذـكـراـهـاـ، رـاجـياـ أـنـ تـبـرقـ وـتـلـمـعـ أـنـوارـهـ كـمـاـ حدـثـ فيـ إـشـرـاقـهـاـ عـلـىـ رـبـوـعـ تـلـكـ الـحمـىـ، وـمـاـ زـادـ مـنـ رـجـائـهـ لـلـوـصـالـ مـاـ عـبـرـ عـنـ حـرـ ظـمـئـهـ الـذـيـ لاـ تـرـوـيـهـ إـلـاـ هـلـةـ مـنـ مـائـهـ، وـالـامـتـرـاجـ الـحـاـصـلـ بـيـنـ مـعـانـاهـ الـغـيـابـ وـرـجـاءـ الـحـضـورـ أـفـضـىـ بـهـ إـلـىـ شـدـ رـحـالـهـ لـلـسـفـرـ.

ولـئـنـ كـانـ سـفـرـهـ مـاـ هـوـ إـلـاـ "ـمـعـادـلاـ مـوـضـوعـيـاـ لـرـحـلـةـ الذـاتـ الـمـغـرـبـةـ عـبـرـ قـفـارـ الجـسـدـ وـغـواـشـيـ الـبـدـنـ كـيـمـاـ تـرـفـعـ حـجـابـهـ وـتـفـارـقـهـ، مـحاـوـلـةـ بـهـمـتـهـ الـصـوـفـيـةـ أـنـ تـسـتـعـيـضـ غـيـابـهاـ بـهـ، بـحـضـورـهـاـ الـرـوـحـيـ بـوـاسـطـةـ النـورـ الـحـمـدـيـ الـذـيـ شـدـتـ إـلـيـهـ رـحـالـ الذـاتـ عـبـرـ الجـسـدـ"²، وـمـاـ فـيـ سـعـيـهـ وـرـاءـ هـذـاـ النـورـ إـلـاـ لـأـدـرـاكـهـ بـأـنـ النـورـ الـحـمـدـيـ مـتـصـلـ إـلـاـرـادـةـ

¹ - المصدر نفسه. ص 209.

² - مختار حبار: الشعر الصوفي في الجزائر في العهد العثماني. ص 94.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

بإرادة الحق بلا واسطة¹، مما يعني أن تحليات أنواره على الذات السالكة هي من تحليات أنوار الحق.

3. الغياب عن حقيقة الولي.

إن المتبع للتجربة الصوفية عند التلمساني بالبحث والدراسة يجدها لا تكاد تنفرد عن باقي التجارب الاشراقية الأخرى، فإلى جانب ما ذكرنا من اعتقاده بقدم وأزلية الحقيقة الحمدية، باعتبار أن كل مفارق لها يعد مفارقًا للحضور، نجد أنه يؤمن بانتقال سر ذلك النور وسر تلك الحقيقة إلى الأولياء، مما يعني أنه مفارقة نور الولي هو بشكل من الأشكال مفارقة للحضور.

إلا أن القول بأن مفارق النبي أو الولي يعد مفارقًا للحضور لا يجعلنا ننجح للمائة بين المترلتين؛ لأنهما في الحقيقة يجتمعان في قضيائهما ويفترقان في أخرى، وقبل أن نميط اللثام عن هذه القضية يجدر بنا إعطاء صورة واضحة عن دلالة الولي والولاية في حقل العرفانية الصوفية.

إذا ما انطلقنا من الخلفية القائلة بأنه لا يشترط وجود علاقة ضرورية وحتمية بين اللفظ ومدلوله، إنما توجد العديد من الحقول الدلالية التي تتتنوع المعانى وفقاً لها، بين التعريف المعجمي، والمعنى الأسلوبى، والدلالة الاصطلاحية الموجبة²، فإننا نجد هذه الخلفية تتأثر ضمنها جميع ألفاظ الصوفية دون استثناء.

¹ - عبد القادر أحمد عطاء: التصوف الإسلامي بين الأصلية والاقتباس. ص 378.

² - أحمد سليمان ياقوت: الدرس الدلالي في خصائص ابن حني. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. 1989. ص 05.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

وإذا حتنا إلى الولاية فإننا بمنتها لفظة تدور حول الولي، والولي لغة هو "المحب والصديق والنصير، وولي الشيء، وعليه ولاية، وولاية وتولاه: اخذه ولها"¹.

أما اصطلاحا فقد حددها القشيري في رسالته حين تحدث عن معنى الولي فقال: "له معنian أحدهما: فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الحق سبحانه رعايته، والثاني: فعيل، مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله تعالى وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان".²

ويضيف القشيري بأن كلاً الوصفين واجب لولاية الولي، فيجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء، ودوماً حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء، وإذا كان شرط النبي أن يكون معصوماً فشرط الولي أن يكون محفوظاً.³

ودون تقسي تاريجي لحقيقة هذا المفهوم في عند الصوفية نقف على رأى الشيخ ابن عربي، الذي جعل من الولاية الدائرة الكبرى التي يتولى الله فيها من يشاء من عباده المتفاوتين في مراتبهم ودرجاتهم، وتتنوع أسرارهم وتحليات الله عليهم، وقد ضمن ابن عربي في هذه الدائرة الرسل والأنبياء والأقطاب وكثير من الأصناف والمراتب والدرجات⁴، إلا أن هذا الرأي أثار مشكلة كبيرة في الفكر الإسلامي قد يمه وحديثه؛ حينما فهم من كلامه أنه ساوي بين النبي والولي، أو في أنه فضل الولي عن النبي، بأن

¹ - ابن منظور جمال الدين: لسان العرب. دار صادر. بيروت. ط.1. 1997. المجلد 6. ص 490-493.

² - عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية. تحقيق: هاني الحاج. المكتبة التوفيقية. 2007. ص 365.

³ - المصدر السابق. ص 365.

⁴ - يوسف محمد طه زيدان: الطريق الصوفي وفروع القدرية. مصر. دار الجليل. بيروت. ط.1. 1991. ص 123.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

جعل النبوة والرسالة جزءا من الولاية حين قال: "والولاية فوقها جميعا، لكونها عبارة عن الفناء في ذات الله من غير اعتبار الخلق، فهي أشرف المقامات لكونها تتقدم عليهما؛ لأنها ما لم تحصل أولاً لم تكن النبوة ولا الرسالة"¹.

وإن كان قوله هذا أولاً على غير محمول دلالته، وفهم وعلى غير قصدده. فقد رد ابن عربي على القائلين بأنه يفضل الولي على النبي بقوله: "إذا سمعت أحدا من أهل الله يقول، أو ينقل إليك عنه أنه قال: الولاية أعلى من النبوة، فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه، أو يقول: إن الولي فوق النبي والرسول، فإنه يعني ذلك في شخص واحد وهو الرسول (ص)، من حيث هو ولی أتم من حيث هونبي رسول، لا أن الولي التابع له أعلى منه، فإن التابع لا يدرك المتبع أبدا فيما هو تابع له فيه"²، وهذا ينفي ابن عربي الادعاء المأذوذ عليه في فهم نصوصه، والذي جعله محل اهتمام بتفضيله للأوليات على الأنبياء؛ لأنه وضح مقصوده من مفاضلاته يجعلها في شخص النبي، لأن ولايته أفضل من رسالته.

ولعل الدلالة التامة لهذه اللقطة يحددها قول داود القيصري حين قال: "أعلم أن الولاية مأذوذة من الولي وهو القُربُ، ولذلك يسمى الحبيب ولِيَا...، وهي عامة وخاصة، العامة حاصلة لكل من آمن بالله وعمل صالحا، والخاصة هي الفناء في الله ذاتها وصفة وفعلا، وهي عطائية وكسبية، فالعطائية تحصل بالانجذاب إلى الحضرة الرحمانية قبل المواجهة، والكسبية ما يحصل بالانجذاب إليها بعد المواجهة".³

¹ - محمد عبد الحميد محمد: النبوة بين فخر الدين الرازي وابن عربي. دار الوفاء لدنيا الطباعة ونشر. الإسكندرية. 2004. ص 370.

² - المرجع نفسه. ص 357.

³ - يوسف محمد طه زيدان: الطريق الصوفي وفروع القادرية. مصر. ص 123-124.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

وتحقق العبد بهذا يكون بواسطة الفتح الوهي من بحر النبوة وخاتم الأولياء الذي يرثه بدوره من منع الفيض الروحي المثل في الحقيقة الحمدية أو النور الحمدي الذي يسري في سرائر أهل الباطن¹، لكن هذا الإرث الوهي الذي يناله أصحاب الاجتباء بواسطة بحر النبوة لا يعني تخلיהם عن مجاهدتهم النفسية التي تعمل على إزاحة حجب الحسن.

وعلى سبيل التمثال تعد الطريقة التيجانية في نظر صاحبها ومربييه طريقة حمدية؛ لأن صاحبها استمد السر من الحقيقة الحمدية ويبقى على المربيدين -في نظر التيجانية- أن يتزموا الأدب في الطريقة؛ لأن الولي التيجاني وارث للحقيقة الحمدية، فمن صحبه أو صحب من صحبه اقتبس منه بحسن الصحبة معارفه وأنواره، ومن تخلى عن الاتباع بقي لحظوظه البشرية فقد حقوقه التورانية².

وإذا أمننا اللثام عن هذه الرؤيا في تجربة التلمساني فإننا نجد لا يخرج عن نهج أسلافه في سلوكهم الروحي، فالتلمساني عبر من خلال أشعاره عن تجربة صوفية متكاملة الأبعاد، متناسقة الأجزاء محاولة منه للتقارب من الذات الإلهية، ولنلاحظ في أشعاره أنه لم يكتف بالتعبير عن بعد غيابه بالوضعين السالف ذكرهما؛ بل نجد يعكس في شعره كذلك بعد غيابه عن وليه.

ويظهر التلمساني في قصائد المدح والتسلل بوليه الاعتراف بمعاناته من الآم الغياب وقصاؤها، مبديا في توسله مناشدته في تخلصه من حالات الفرق التي تتخطى فيها ذاته كما في قوله:

ناشدتُكَ اللَّهُ فِي نَفْسِي غَدَتْ فَرْقاً
بَيْنَ الْجَوْهِيِّ وَالْأَسْوَى وَالْبَثِّ وَالْأَسْفِ

¹ - مختار حبار: الشعر الصوفي في الجزائر في العهد العثماني. ص 100.

² - المرجع نفسه. ص 102.



الغيب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

وْمُهْجَةٌ رَفِيْقَ التَّكْلِيفِ خَالِقَهَا
عَنْهَا لَشَدَّةِ مَا تَلَقَى مِنَ الْكَلْفِ¹

ما يعني أن التلمساني يرسم في قصائد المدح التوسلية بوليه ذاتين، إحداها يسموها بملامحها إلى أن تصبح حقيقة نورانية، تسبح في ملوك الحق للحق والتي عبر عنها بذات الولي، والثانية تعبير عن الذات المتعلقة بحقيقة الولي النورانية تعلق ولاء ومحبة، والممثلة في ذات المتسلل المادح²، وبين ذات الولي وذات الصوفي بحد انفصalam يتسع كلما اتسعت حظوظ الذات الصوفية، ويضيف كلما توافرت حقوقها³، ولذلك كان المدح والتسلل بالولي هو سبيلها في تحررها من ماديتها لترتقي إلى عالم الروح، يقول التلمساني:

لَعَدَرْتُ عَذَالِي عَلَى وَجْدِي
فَعَلَامُ أُخْفِي فِيهِ مَا عَنِّي
بَنَوَاطِرُ مُلِئَتُ مِنَ السُّهَدِ
نَشَاقِهِ فِي الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ
وَعَلَيَّ أَنْ أَرْضِي بِمَا تُبَدِّي
وَلَئِنْ أَرَقْ دَمِي هَوَاكِ فِي
شُوقِي وَيَا حَظِّي وَيَا سَعْدِي⁴

إن كمال الصورة التي يسردها التلمساني في تشخيصه لصورة وليه المتكاملة سواء في أفعالها أو صفاتها، ما هي إلا تعبير منه على انعكاس كمالات الذات الحمدية فيه بصفاتها وأفعالها، وإن كانت الحقيقة الحمدية في كمالها انعكاس لكمال الصفات الإلهية،

¹- عفيف الدين التلمساني: الديوان. ص 346.

²- مختار حبار: الشعر الصوفي في الجزائر في العهد العثماني. ص 105-106.

³- المرجع السابق. ص 107.

⁴- عفيف الدين التلمساني: الديوان. ص 289.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

فهو إذاً يعبر عن آثار كمال التجليات الإلهية في وليه¹ ، والتلمساني يصرح بهذه الحقيقة ولا يضمّرها لإيمانه بها في معتقدها الصوفي، فدلائل تلك الحقيقة بادية في وليه؛ لأن كل الكون كما يقول يعشّقه فلما أُخْفِي هذه الحقيقة.

وفي مقابل رسم التلمساني لخصال وليه -المتحققة بمرتبة الولاية- في بداية هذه القصيدة نجده يرسم في آخرها نقائض المريد، وكأن التلمساني يعبر عن غيابه من خلال نسجه لصورتين متقابلتين إحداهما للمحبوب والأخرى للمحب، فالأولى سماها إلى درجة كمال الأفعال وجمال الصفات، أما الثانية فتبعد فيها صورة المحب ومقارقة لصورة المحبوب متعلقة ومتطلعة بكل شوق إليها؛ بل أكثر من ذلك، نجد التلمساني يرسم لذاته صورتين متقابلتين مقابل صورة وليه إذ يقول:

أَقْلُبْ طَرِيفِي لَا أَمَامًا وَلَا خَلْفًا
فَهَا أَنَا وَاقِفٌ بَيْنَ يَأْسِي وَرَجَاءِي
فَصَيْحٌ إِذَا آتَيْتُ لِلْحُبِّ حَضْرَةَ
إِنْ غَابَ لَمْ يَنْطُقْ لِسَانِي وَلَا حَرْفًا
فَكُلُّ طَرِيقٍ لِي إِلَيْكَ مُبْلِغٌ²
وَرِدْتُ وَلَكِنْ أَطْلَبُ الْمُوْرَدَ الْأَصْفَى
فَهُوَ فِي حَالِ غَيَابِهِ يَائِسٌ صَامِتٌ لَا يَنْطُقُ حَرْفًا، أَمَا إِذَا أَنْسَ بَوَادِرَ الْحَضُورِ فَهُوَ
فَصَيْحٌ مُعْبَرٌ لِحْجَةِ اقْتِرَابِ لَحْظَةِ الْوَصَالِ، ثُمَّ يَقْرَئُ بَأْنَ الْطَرُقَ الْمُوَصَّلَةَ وَمُبْلَغَةَ إِلَى الْحَقِّ
مُتَعَدِّدَةٌ إِلَّا أَنَّهُ اخْتَارَ مِنْهَا الْمُوْرَدَ الْأَصْفَى.

الخاتمة:

هكذا، ووفق ما تقدم، يمكننا أن نقول بأن الغياب الذي عبر عنه التلمساني في هذه القصائد مجتمعة هو في الحقيقة غياب عن الآخر ؛ والآخر - في الأغلب الأعم- لا

¹ - مختار حبار: الشعر الصوفي في الجزائر في العهد العثماني. ص 107-108.

² - عفيف الدين التلمساني: الديوان. ص 344.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

يعدو أن يكون غيابا عن الذات الإلهية، أو أن يكون غيابا عن الحقيقة الحمدية، أو أن يكون غيابا عن حقيقة الولي.

قائمة المصادر والمراجع

1. أحمد سليمان ياقوت: الدرس الدلالي في خصائص ابن جني. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. 1989.
2. أسعد أحمد على: معرفة الله والمكررون السنحاري. دار الرائد العربي . بيروت. لبنان. 1972.
3. أسعد أحمد على: المتجب العاني وعرفانه . دار الرائد العربي. بيروت. 1968.
4. آمنة بلعلى: الحركيّة التواصليّة في الخطاب الصوفي. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 2001.
5. أبو حامد الغزالي: معارج القدس. منشور الكتروني في مكتبة المصطفى الإلكتروني: www.al-mostafa.com
6. حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 2001.
7. الربعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشعر الجزائري. كلية الآداب واللغات. جامعة منتوري. قسنطينة. ج.1. 2002.
8. عبد الحكيم حسان: التصوف في الشعر العربي. مكتبة الآداب. القاهرة. ط.2. 2003.
9. عبد الرزاق القشاني: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام. تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط.1. 2004.



الغياب الصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني ----- د. توفيق مساعدية

10. عبد القادر أحمد عطاء: التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس. دار الجيل. بيروت. 1987.
11. عفيف الدين التلمساني: الديوان. تحقيق: العربي دحو. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1994.
12. عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية. تحقيق: هاني الحاج. المكتبة التوفيقية. 2007.
13. محمد عبد الحميد محمد: النبوة بين فخر الدين الرازي وابن عربي. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. الإسكندرية. 2004.
14. محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي. دار المعارف. القاهرة. ط. 1985.
15. محى الدين بن عربي: فصوص الحكم. تحقيق: أبو العلاء عفيفي. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. 2009.
16. مختار حبار: شعر أبي مدين التلمساني الرؤيا والتشكيل. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 2002.
17. مختار حبار: الشعر الصوفي في الجزائر في العهد العثماني. رسالة دكتوراه. جامعة عين شمس. مصر. 1991.
18. منصف عبد الحق: الكتابة والتجربة الصوفية. منشورات عكااظ. الرباط. 1988.
19. ابن منظور جمال الدين: لسان العرب. دار صادر. بيروت. ط. 1. 1997.
20. يوسف محمد طه زيدان: الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر. دار الجيل. بيروت. ط. 1. 1991.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : 2588-X

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 870-838 تاريخ النشر: 25-03-2021

شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه فضاء البحر نموذجاً

**Poetics of Space in the novel "A Sailor's Tale" by the
Syrian novelist Hanna Minh Sea space as a model**

د. لبني عشة

khecha_loubna@yahoo.fr

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

تاريخ القبول: 2020/11/19

تاريخ الإرسال: 2019/12/19

الملخص:

يعدّ موضوع الشعرية، موضوعاً قدماً - لامتداده في عمق التاريخ إلى أرسطو وكتابه فنّ الشعر - وموضوعاً حديثاً لما حظيت به الشعرية من اهتمام كبير من قبل النقاد المعاصرين.

وارتبطت دراسة شعرية النصوص السردية، بدراسة شعرية اللغة وشعرية المحكي، كما اهتمت بشعرية الوصف، دون أن تُحمل شعرية الفضاء بشقيه الزمن والمكان، وذلك لأنّ كل عمل يقوم به فاعل يجري في الزمن، يقع في المكان، والحدث لا يُقدم سوى مصحوباً بجميع إحداثياته الزمنية والمكانية، وباتخادهما معاً يعطينا الشكل الساحر للفضاء، وتحاول هذه الدراسة الكشف عن شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه.

ويستعين هذا المقال لمعالجة الموضوع، بما توصلت إليه أبحاث من أرسوا قواعد الشعرية وحدّدوا مفاهيمها



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحّار" للروائي السوري حنا مينه ----- د. لبني خشة

الكلمات المفتاحية: فضاء، بحر، شعرية، رواية، حنا مينه.

Abstract:

The theme of poetic is considered as an ancient, one for its extension in the deep history to “Aristotle” and his “book of the art of poetry”; also as a modern topic for having a large interest by the contemporary critics.

The study of poetic in the narrative texts, has been linked to the study of the poetic language, and the poetic spoken, as such it was interested in the poetic description, without neglecting the poetic space, and its two parts: time and place; because of every work that does happens in the time, occurs in the place, as the action is presented only with its coordinates of time and place, their union gives us the magical form of the space

This study tries to reveal the poetic space in the novel of the “sailor’s tale” for the novelist Hanna Minah, and uses the research of the ones who lay down the rules of poetic and define its concepts

Keywords: space, sea, poetic, novel, Hanna Minah.

المقدمة:

يقدم النص السردي للباحث مادة جلية في تجانسها وشفافيتها، وطابعها الكلمي العام، تتراهى فيها شروط النص من اللحظة التي يلتقط فيها القارئ خيوط السرد، فيبدأ في نسجها مع تقدم أحداث القصة دون انقطاع مُبْسِطٌ، أو توقف متعسفٌ، فلا يغيب عنه أولوية الكل على الأجزاء، ولا مرحلية المواقف والعناصر المكونة للنص، إن النص



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه —————— د. لبني خشة

السردي يهب نفسه للمتلقى في توافق مدهش، يدعوه لاحتوائه مرة واحدة، حتى يوشك على امتلاكه، واحتزان أبرز معالمه، مما يجعله مادة أثيرة في الدراسات الحديثة، وميدانا جليا للقراءة لإبراز شعرية مكوناته.

وقد تعددت الدراسات النقدية الحديثة، التي مثلت فيها الشعرية قطب الرحى، لكن وكما يقول (دي سوسيير): "وجهة النظر تخلق الموضوع"، ونظرا للطبيعة الزئبقية لهذا المصطلح واختلاف تعريفه، باختلاف الأمم التي احتضنته، فمن الواجد الوقوف على مفاهيمه ومصطلحاته كي نحاول تفسيره والوصول إلى كنهه، فما هي الشعرية؟ وما هي خصائصها؟ وكيف نقف عند حدود النص أو نغوص في عمقه كي نحدد مدى جماليته وشعريته؟

1- مفهوم الشعرية:

إن المتتبع لهذا المصطلح يجد أن له بُعدا عند العرب، كما يلاحظ اتفاقا في معنى الجذر اللغوي، ففي مقاييس اللغة: «أن للشين والعين والراء، أصلان معروفان يدل أحدهما على الثبات، والآخر على عِلْم (...)، شعرتُ بالشيء إذا علمته وفطنت له»¹، وشعر فلان: «قال الشعر (...) وما شعرت به: ما فطنت له وما علمته»².

ولم يتعد لسان العرب عن هذه المعانٍ، إذ نجد: «شَعَرَ بمعنى علم، وليت شعري، أي ليت علمي، والشعر منظوم القول غالب عليه شرفه بالوزن والقافية، وقال الأزهري: الشعر القرىض بعلامات لا يجاوزها، والجمع أشعار، وقائله شاعر، لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره، أي يعلم، وسمى الشاعر لفظنته»³، ومن خلال هذه المعانٍ التي وردت في بعض

¹- ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (شعر)، ج3، ص: 209

²- الرمخشري: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (شعر)، ص: 331

³- ابن منظور: لسان العرب، مادة (شعر)، المجلد 4، ج26، ص: 2273



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

المعاجم العربية، تستتتج أن الأصل اللغوي للشعرية (شعر) يدل على معنيين: أحد هما مادي، وهذا المعن لا نقصده بالدراسة، أمّا المعن الآخر فهو معنوي مجرد، يدل في الغالب على العلم والفطنة، أمّا دلالته على الثبات، فهذا لأنّ الشعر كما ذكر الأزهري، في لسان العرب محدّد بعلامات لا يجاوزها.

لكنّ «الشعرية ليست تاريخ الشعر (...) ولا تاريخ الشعراء (...) ولن يستفنّ
الشعر، لأنّ فن الشعر يقبل القسمة على أحاجيس وأغراض (...) وهي ليست الشعر ولا
نظرية الشعر، إنّ الشعرية في ذاتها هي ما يجعل الشعر شعر، وما يسبغ على حيز الشعر
صفة الشعر، ولعلّها جوهره المطلق»¹، لذلك هي «محاولة وضع نظرية عامة و مجردة
ومحايدة للأدب، بوصفه فنا لفظيا، إنّما تستتبع القوانين التي يتوجه الخطاب الأدبي
بموجبها وجهة أدبية، فهي إذن تشخيص القوانين الأدبية في أيّ خطاب لغويّ، بعض
النظر عن اختلاف اللغات»²، لذلك فهدف الشعرية هو تزويد النقد بمعايير وقوانين
تضبط الخطاب الأدبيّ، وتحله مميّزا عن بقية أنواع الخطاب، كما أنّها تستخدم اللغة
لتفسير ما هو لغويّ.

أمّا الشعرية الغربية الحديثة، فقد وصفت شعرية (جون كوهن Jean Cohen)*،
بأنّها قريبة من الشعرية العربية، خاصة القديمة منها، وذلك لاقتصرارها على مجال الشعر
فقط، يقول (جون كوهن Jean Cohen): «الشعرية علم موضوعه الشعر»³، لكنّه مع

¹ - مرشد الزبيدي: اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق، اتحاد الكتاب العربي، دمشق سوريا، ط1، 1999، ص: 104.

² - حسن ناظم: مفاهيم الشعرية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994ص: 09.

* جون كوهن: ولد سنة 1919 توفي سنة 1994 يعرف بكتابه بنية اللغة الشعرية.

³ - جون كوهن: النظرية الشعرية، ترجمة أحمد دويس، دار غريب، القاهرة، ط4، 2000، ص: 29.



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

ذلك يورد نظرة غيره للشعرية التي تشمل أنواعاً أخرى من الفن، يقول: «ثم أصبحت الكلمة الفن تطلق على كل موضوع يعالج بطريقة فنية راقية (...)، وكتب (بول فاليري Paul Valéry) : نحن نقول عن مشهد طبيعي أنه شعري، ونقول ذلك أيضاً عن بعض مواقف الحياة»¹، ولعل الملمح الأساسي الذي تقوم عليه شعرية (جون كوهن) هو مبدأ الانزياح اللغوي، «والانزياح اللغوي يعني وجود تقليد شعري يحدده العرف العام، ويقتضي الشعر أن يكون اخرافاً وانزياحاً عن هذا التقليد الشعري، لذلك تبحث الشعرية عند جون كوهن، في تميّز الأسلوب»².

فالشعر يقوم بالدرجة الأولى على مخالفته المأثور، ومن هنا فالشعرية هي؛ اخراج عن القواعد المعيارية المعهود بها في اللغة، فتكسب هذه اللغة سمات غير عادية، تساهم في اكتساب الشعر روحًا تختلف عن النثر «فاللغة الشعرية، تحطم البنية القائمة على التقابل، والتي تعمل داخلها الدلالة اللغوية، إنها تطلق سراح المعنى من الصلات الداخلية التي تربطه بنقيضه، وهي الصلات التي يتشكل منها مستوى اللغة والتي تحسّد الشعرية في الخطاب»³، فالشعرية في المرحلة الكلاسيكية التي مرّ بها الشعر كانت منحصرة فيه، ثم اتسعت فيما بعد لتشمل كلّ أصناف الإبداع من جهة، والإبداع الفني ككلّ من جهة أخرى.

* بول فاليري: ولد سنة 1871 توفي سنة 1945.

¹ جون كوهن: النظرية الشعرية، نفسه، ص: 29

² مرشد الربيدى: اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق، نفسه، ص: 100

³ جون كوهن: نفسه، ص: 369



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

وقد اقترن مصطلح الشعرية بالناقد الغربي «تودوروف Todorov»^{*}، وهو في طليعة النقاد الذين اهتموا بشكل خاص بالتنظير والتأصيل لها في النقد الحديث، منذ الستينات وحتى الوقت الحاضر، إذ لا نجد مؤلفاً من مؤلفاته، إلا وقد وظّف مصطلح الشعرية فيه، كما هو الشأن في كتابه المترجم إلى العربية والموسوم بالشعرية، وفي كتابه شعرية الترجمة¹، وتتسع الشعرية عند (تودوروف) لتشمل كلاً من الشعر والثر، هذين النمطين الذين يجمعهما رابط الأدب، يقول (تودوروف): «ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية، فما نستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي (...). فإنَّ هذا العلم(الشعرية) لا يُعنِي بالأدب الحقيقي، بل بالأدب الممكن، وبعبارة أخرى، يُعنِي بتلك الخصائص المجردة التي تصنُّعُ فرادة الحدث الأدبي، أي الأدبية»²، فالشعرية في نظره لا تقتصر بالأدب بقدر ما تقتصر بتلك الخصائص التي تميّزه عن كافة أنواع الإبداع الأخرى، كما أنَّ هذه الخصائص هي التي تضبط قيام كلّ عمل أدبي، ومن ثمة تكتسبه صفة الأدبية، وهذا يرى منذر عياشي «أنَّ أدبية الخطاب الأدبي هي نقىض للنفعية التي يتميّز بها الكلام اليومي، لما فيه من قوة إيحائية مكثفة تسكن النصّ وتمتدّ على أطرافه»³.

* تودوروف: ولد سنة 1939 وتوفي سنة 2017.

¹ - يوسف وغليسى: الشعرية والسرديات، قراءة اصطلاحية في الحدود والمفاهيم، منشورات مخبر السرد، ط1، 2007، ص: 18.

² - ترطفان تودوروف: الشعرية، ترجمة شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة، دار توبقال، ط2، 1990، ص: 23.

³ - بشير تاوريريت: رحىق الشعرية الحدائقة، مطبعة مزوار، دط، دت، ص: 46.



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

وإذا جئنا إلى شعرية (جاكوبسن Jacobson)* وجدنا أنها تختلف عن سابقيه، كونه أحد أعلام اللسانيات، ولهذا فرؤيته للشعرية متأثرة بالمبادئ اللسانية، وهو ينطلق في تحديد موضوع الشعرية من سؤاله الشهير: «إن موضوع الشعرية هو قبل كل شيء، أي البحث في الميزات والخصائص التي يختص بها الخطاب الأدبي وتكتسبه جمالية، فكأن الشعرية هي دراسة للخصائص الأدبية التي يختص بها خطاب لغوي ما، أو هي بتعبير (جاكوبسن) «الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية في سياق الرسالة اللفظية عموماً، أي الوظيفة اللغوية التي تغدو رسالة ما - بواسطتها - أثرا فنيا»².

وفي العقود الأخيرة نجد أنّ بحوث الشعرية، قد عرفت نمواً متزايداً ، ترتب على طبيعة التحولات في نظرية اللغة من ناحية، وعلى تضافر الأفكار الجمالية المبنية من التجربة الخصبة للمذاهب الأدبية والمناهج البحثية من ناحية أخرى، وبهذا يبدو سياق الحديث عن الشعرية موصولاً لا يكاد ينقطع، كما أنّ مقولاتها تظل الرصيد الذي يذخره علم النص لشرح خصوصية الأدب، «والشعرية علم عام، موضوعه الأدبية، يروم القيام عملاً للأدب، غايته استنباط الخصائص النوعية والقوانين الداخلية للخطاب الأدبي في شموليته الجنسية والكمية»³ ، وما سبق نقول أنّ الشعرية هي «بحث في أدبية الخطاب، وذلك لا يحيلنا لدراسة الخطاب الأدبي في حد ذاته، وإنما تكريس الجهد لاستنطاق

* رومان جاكوبسن: ولد سنة 1896 توفي سنة 1982

¹ - رومان جاكوبسن: قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبarak حنون، دار توبيقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص: 24

² - يوسف وغليسى: نفسه: ص: 18-20

³ - نفسه، ص: 28



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

خصائص الخطاب الأدبي، بوصفه تجيّلاً لبنية عامة، لا شكل لها في هذا الخطاب إلاّ ممكناً من ممكناها، ولهذا لا تبحث الشعرية في هذا الممكّن فحسب، وإنّما في الممكّنات الأخرى كلّها»¹، وقد خرج الخطاب الأدبيّ، من حيز النص الإبداعيّ الذي تسيطر عليه حالات الإلحاد - كما في الشعر - ليدخل إلى فكرة المشروع متعدد الجوانب، الذي يتم هندسته والتعامل مع كل تفاصيله بدقة وترتيب شديد الوطأة، ولعلّ الرواية أحد هذه النماذج التي تختتم بالتفاصيل، لذلك فالرواية «هي الفن الأثير لدى كثير من الكتاب (...) إلاّ أن كتاب القرن العشرين جعلوا منها فناً في غاية التركيب والثراء، يتطلّب شحذ قدرات القارئ على التلقّي والربط بين الأجزاء»²، لذلك كانت الرواية بناء عضوياً مركباً، لا حياة لجزء منه من دون الكل، ولا اكتمالاً للكل من دون الأجزاء، وهذا الرأي يحيّلنا إلى قول (ميشيل بوتور): «أن الرواية لا تكون شعرية بالمقاطع بل بمجموعها، ونحن نعلم أنّ هذه المقاطع التي تعتبرها لأول وهلة شعرية، عند كبار روائيين مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بغيرها من المقاطع السردية»³، هذه الأخيرة التي تقوم على التحفيز^{*}، وهيمنة^{*} عناصر دون أخرى.

2- الرواية والروائي:

¹ - رومان جاكبسن: نفسه، ص: 19

² - فاطمة موسى: في الرواية العربية المعاصرة، المكتبة الأنجلو المصرية، دط، 1972، ص: 01

³ - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص: الشركة المصرية للنشر لونجمان، ط1، ص: 375

* الحافر (Motive): هو أصغر وحدة في الحبكة، وهو ما يمكن أن نفهم منه معنى التعبير.

* الهيئة أو العنصر المهيمن: هو عنصر بؤري (Focal) يتحكم ويحدد ويعبر ويضمن تلاحم البنية.



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

تعدّ الرواية التي بين أيدينا "حكاية بحار" واحدة من روایات السوري حنا مينه^{*}، والروائي من الرواد الذين كتبوا رواياتهم عن البحر في ثلاثة "حكاية بحار، الدّقل، المِرأَة البعيد" وكان البحر في رواياته عنصراً مهيمناً ومصدراً لإلهامه، حتى أنّ معظم أعماله «مبلة بحث موجة الصالب»¹، أُنجز حنا مينه، ثلاثة البحر ما بين 1981-1983م، وسعى من خلالها إلى رسم ملامح المجتمع السوري في منتصف الثلثينيات إلى بداية السبعينيات.

ورواية حكاية بحار، تحكى قصة البخار سعيد حزّوم، الذي كان يقلّد والده "صالح"، رمز الماضي الجيد، كان "سعيد" رمزاً للبخار العاشق للبحر، ورمزاً للصمود الشعبي، انتهت مسيرته بمسافة، وقد اتّکأَ حنا مينه، على البحر وبئته، لرسم أبطاله رسماً دقيقاً، تغنى فيها بفضاء البحر وغناؤه، وصور البحارة وصمودهم، وتحليهم للبحر، وأنوائه وعواصفه وجبروته، جسدّ كيف كان البحر يهزمهم مرة، ويتصرون عليه مرات، دون أن يستبدلوا حبّهم له بحب آخر، رمز الوفاء والصمود والعشق الأبدية للبحر، فإذا كانت غاية الشعرية استنباط الخصائص النوعية، والقوانين الداخلية للخطاب الأدبيّ، الذي يعكس أثراً فنياً، فما الذي سيخبرنا به البحر؟ وأيّ خصائص ستحملها الأمواج؟

3 – الفضاء في الرواية:

* حنا مينه: روائي سوري ولد سنة 9 مارس 1924، باللاذقية، توفي سنة 21 أوت 2018، ساهم في تأسيس رابطة الكتاب السوريين واتحاد الكتاب العرب. ويُعد حنا مينه، أحد كبار كتاب الرواية العربية، وتتميز رواياته بالواقعية، ألف نحو 40 رواية اجتماعية.

¹ – حنا مينه: الرواية والرواي، دمشق، دار البعض، وزارة الثقافة، مختارات، ص: 6



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

ترتبط دراسة الشعرية بدراسة الفضاء، وذلك لأن كل فعل يقوم به فاعل يجري في الزمن يقع كذلك في المكان، بل إن مقولات الفعل والفاعل والزمن، لا يمكنها أن تتحرّك إلا في فضاء يستوعبها ويؤطرها «فالحدث (...) لا يُقدم سوى مصحوباً بجميع إحداثياته الرمكانيّة، وتفسير ذلك أن كل قصة تقضي نقطة انطلاق في الزمن، ونقطة إدماج في المكان»¹، لذلك «يشتمل الفضاء الحكائي على العناصر المكانية والزمنية التي تجري فيها القصة»²، وباتخادهما يعطيها الشكل الساحر للفضاء، والفضاء من أهم مكونات النص الروائي، وسي بالفضاء لأنّه «أعمّ من المكان، فهو يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي»³، ولأنّ الفضاء ازدواجية بين المكان والزمن، ويطول الحديث باتخادهما معا، لذلك ستتحدث أولا عن شعرية المكان "البحر"، بعده وسط الأحداث ومحور الرواية، «ذلك لأنّ السرد دون حيز لا يمكن أن تتم له هذه المواصفة»⁴ والفضاء الروائي أكثر اتساعا وشمولا من المكان «فهو أمكنة الرواية كلها إضافة إلى علاقتها بالحوادث ومنظورات الشخصيات، وهو ينشأ من خلال وجهات نظر متعددة، لذلك فإنه يعيش على مستويات عدّة من طرف الرواية، بوصفه كائناً مشخصاً وتخيلياً أساسياً، فالفضاء الروائي امتداد للقوى الفاعلة، دلالاته من دلالاتها، وдинاميته من

¹ - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي: الفضاء، الزمن، الشخصية، بيروت، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط 1، 1990 ص: 83

² - نفسه: ص: 83

³ - حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي المركز الثقافي العربي بيروت، 1991، ط 3، ص: 62

⁴ - عبد الملك مرتابض: نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة المعارف، الكويت، 1998، ص: 154



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

ديناميتها، وبذلك يتوقف عليه الفعل الروائي نفسه¹، وهذا يعني أنّ للفضاء في العمل الروائي معانٍ ينبغي اكتشافها، فالفضاء هو مكان حرفيات الأحداث، وحيث تقلّل الأشخاص، وحلبة لصراعهم مع الزمن، وإنّ لكل مكان بعده ودلالته، التي من أجلها يغوص الرواية في أعماقه، فيُعنصر مراكزه، ويركّز عناصره، كما يعطي للرواية معناً وذوقاً، فهو المكوّن الأساسي والعنصر البنائي الجوهرى في العملية السردية.

أ- المكان" البحـر":

للأماكن خصوصية من حيث هي أماكن أو ما تحمله من ذكرى لذلك «يوحى لفظ "المكان" إلى بعد الجغرافي، أو إلى الحيز المحدد، والذي يشكل ديكوراً، أو إطاراً للأفعال والأحداث»²، فهو يحمل بين طياته الحدث مؤثراً ومحظداً، «ومكان بكلّ أبعاده التاريخية، والطقسوية (...) يبقى هو الفضاء الذي عليه، وعليه فقط تتحرّك عملية الإبداع، لترسم لنفسها ذلك الحيز من الوجود ضمن الدائرة الإبداعية، فما من وجود لمبدع يبدع في الـمكان، فالمكان رمز دال ورمزيته تكمن في مؤشريته، والإيحاءات المتواقة مع محりات الأحداث أو النص بشكل عام، ولا عجب إذا قلنا، إنّ المكان قد يُعبّر بمجرد ذكره عمّا يعجز النص الأدبي للإبانة عنه، أو التعبير عن دلالاته»³، لا يستقيم السرد، ولا يتجلّي مفهومه، إلاّ بتوافر عنصر المكان، لأنّ كلّ بداية ونهاية تقع في مكان ما، فلا إبداع في غياب المكان، ولا يمكن الاستغناء عن هذا العامل في النص الأدبي،

¹- كمال أبو ديب: في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت، لبنان، 1987، ص: 18

²- سعيد يقطين: قال الرواية، تحليل الخطاب الروائي؛ الروائي، الرمن، السرد، التغيير، المركز الثقافي العربي، ط3، 1997، ص: 240

³- ذويي خثير الزبير: مماليحيا النص السردي؛ مقاربة سيميائية لرواية الفراشات والغيلان، رابطة أهل القلم، سطيف، الجزائر، ط1، ص: 22



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحّار" للروائي السوري حنا مينة ----- د. لبني خشة

بنهاية الروائي منه، لأنّه يشكل سلسلة من الأحداث، تحرّكها شخصيات من زمن معين، فهو ذروة العمل الروائي وعمود الزمان.

وقد اشتغلت رواية "حكاية بحّار" على فضاءات مكانية عديدة، لكن الفضاء المكان الغالب والمهيمن هو البحر، وأنّ دراسة المكان لا تفصل عن العناصر الأخرى الحكائية، كالشخصيات، والزمن إلى جانب المكان محرك محوري للأحداث، وخصائص هذا الفضاء المكاني "البحر" بالنسبة للبحّار "سعيد" «حياته، تبتدئ منه وتنتهي إليه (...)¹ فهو عالمه ودنياه ومرتع صباه»¹، وهو الذي يؤثّر في وظائفه النفسية، فالإنسان يحاول دوماً رؤية المفاهيم والعلاقة التي تربطه بها، مثلما فسرّها (بوري لوتمان Yuri Lotman): «الإنسان يريد دائماً تقرّيب المفاهيم، ويتعمّق فيها، وأقربها هي المعلومات الفضائية»²، ويمكن فصل الوجود الحقيقي، ودور الشخصية الداخليّة للفضاء في النّص الروائي بطرح عدّة أسئلة:

- أين تجري أحداث الرواية؟
- كيف يقدّم لنا الروائي صورة الفضاء؟
- لماذا اختار هذا المكان؟

واحتوى الفضاء في رواية "حكاية بحّار" حيّزاً كبيراً، واتخذت الرواية من البحر مكاناً تدور حوله الأحداث الروائية، والذي كان له أثراً كبيراً على الشخصيات، والفضاء أمكنته تتوالد وتتفرّع حسب الأحداث، والشخصيات، والحدث عن البحر

¹ - حنا مينة: حكاية بحّار، دار الأدب، بيروت، لبنان، ط1، شباط (فبراير) 1981، ص: 19

² - أسماء شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص: 160



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ----- د. لبني خشة

حديث عن مكان مفتوح، ذو مساحات هائلة توحى بالجهول، هذا المكان قد يكشف عن الصراع الدائم بين الأمكانية الأخرى كعناصر فنية، وبين الإنسان الموجود فيها. والبحر كمكان مفتوح، يقوم بدور حيوي على مستوى الفهم، والتفسير، والقراءة النقدية، كما يجسد أحلام أبطاله، ويجسد هومهم وطموحاتهم، وقد دخل البحر كمكان في تواليات التغيير والتحول الاجتماعي، والثقافي وعدّ مصدرًا أساسياً، من مصادر عمل الروائي، حين يتم الانسجام، والتفاعل الجميل بين الإنسان والمكان، لذلك فإنّ هذا الانسجام يؤسس وجданاً وشعوراً، ويشعل فتيلًا من الحب، والتعاضد بينهما يقول سعيد حزّوم: «أنا ابن البحر، بين أحضانه أحسّ كائني بين أحضان أبي، أعرف أنه يحبني، وأعرف أنه يريدي، وأعرف أيضاً أنه يلاعبني»¹، والبحر فضاء مكاني غامض، وممتع في آن واحد، ومصدر للرزق وسدّ العوز، تعامل معه الإنسان فأخذ من خيراته، واستخدمه وسيلة تجارة عبر الزّمن، والحديث عن البحر يعني الحديث عن الحنين والانتظار، والحديث عن الكوارث، والعواصف المدمرة، والحديث عن الخوف والفراق، حديث حلو ومرّ.

والبحر بوصفه مكان، يقدم نعمة الحياة، ويفتح أبواب العالم ونوافذه ليعرف الإنسان ما يجهله، فهو مكان عنيد جبار كريم، هو الذي يوسط موائد الضيافة، لكنه البحر غير الصادق في عواطفه ووجدانه أحياناً، فهو بقدر ما هو كريم وسخيّ، غدر وحوانّ.

وقد أحبّ الإنسان البحر على ما فيه من تناقض، وتحول هذا الحب إلى نسيج من العلاقات الوجدانية الوثيقة بينهما، ويرفض كلاهما التخلّي عن الآخر، غير أنّ المعاناة البشرية تمقت هذا البعد والعذاب يقول سعيد: «هذا حبيبي، الأزرق الرحيب، منه الخير

¹ - حنا مينه: حكاية بحار: دار الأدب، بيروت، لبنان، ط1، شباط(فبراير) 1981، ص 143-144



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ----- د. لبني خشة

والعطاء، والنعمة والبركة»¹، ويقول أيضاً: «شكراً للبحر، هذا الصديق الطيب»²، ويقول في معرض آخر: «البحر سيد الوجود، إنه أخي ولن يغدر بي (...) إذا مت فادفني في البحر»³

فالمكان «هو الفسحة التي تحتضن عمليات التفاعل بين الأنماط والعالم»⁴ فحكاية بحار، لا تسرد بُعداً ضروريَاً بين البحار والبحر، لكنّها تسرد البعد الوجداني، فالبحر عند سعيد لا يقف عند حدود البحر والمرفأ، بل يتعدّاه إلى أبعد من ذلك فالبحر هو الملجأ والوطن، وصدر الأم الحنون الذي يسقط عنده، بكلّ ثقله وهُممته، فيرمي روحه وحزنه بلا مبالغة، ليجد الاهتمام والدفء والحنان في حضنه. وقد عَبَر سعيد، في أكثر من موضع -بل حتى منذ الصفحات الأولى في الرواية- عن عشقه للبحر وشوقه له دوماً، بكلمات تحسّد قوة الترابط الوجداني، بينه وبين هذا الفضاء الرحب يقول سعيد: «البحر (...) ومن لا يحب البحر»، ويقول أيضاً: إنني منذور للبحر (...), وفائي للبحر وجيري له وحده (...) أهرب من البحر إلى البحر (...), غير أني وهبته ما تبقى من عمر (...), هو هواي الأبقى (...). وكلّ ما يأتي من البحر يصنع سعادة البحار (...) ذاك الأزرق الواسع ذي المرافع العجرية البعيدة»⁵، فـ

¹ - نفسه: ص: 20

² - نفسه: ص: 60

³ - نفسه: ص: 274

⁴ - خالد حسين حسين: شعرية المكان في الرواية الجديدة، الخطاب الروائي لإدوارد الخراط، الرياض مؤسسة اليمامة، ط1، 2000، ص: 60

⁵ - حنا مينه: حكاية بحار: نفسه، ص-ص: 37-38-42-43-44-56



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

«المكان لا يعتبر عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتحذ أشكالاً، ويتضمن معانٍ عديدة، بل أنه قد يكون في بعض الأحيان هو المهدف من وجود العمل كله»¹

ويعدّ البحر في روايات حنا مينه، مفتاحاً من مفاتيح استراتيجية الخطاب الروائيّ، كما يعدّ استراتيجية قراءة بالنسبة للخطاب النقديّ، ويشكّل محوراً من المحاور الرئيسية، التي تدور حولها قراءات الشعرية، وعنصراً مهيمناً في اصطلاح (جاكسون)، وحافظاً إيجابياً يجمع بين الرغبة والتواصل والمشاركة في اصطلاح (تودوروف)، والمكان الروائي هو المكان المتخيل، والفضاء يحتاج إلى أمكنة عديدة، ذات أبنية نابضة بالحركة والفعل، ويكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، ودلالة خاصة، فهو لا يعدّ مكاناً فيها فحسب، وليس عنصراً من عناصر الرواية فقط، وإنما هو المكان الذي تجري فيه الأحداث وتتحرّك فيه الشخصيات.

والمكان يعني بدء تدوين التاريخ الإنساني، ويعني الارتباط الجندي بفعل الكينونة، لأداء الطقوس اليومية للعيش وللوجود، ولفهم الحقائق الصغيرة لبناء الروح، للتراكيب المعقّدة والخفية، لصياغة المشروع الإنساني ضمن الأفعال المبهمة.

إنّ السمة الإبداعية في رواية حكاية بحار، تجعلها أكثر تميّزاً بين الروايات البحريّة، فقد انفلتت صور الراوي عن المعهود، حتى لُقب بروائي البحر بامتياز، وذلك يرجع إلى اللغة التي تميّزت بها الرواية، والتركيز الملحوظ على العلاقة الوجدانية بين البحار والبحر، والتي تكون في الغالب الأعم علاقة نفعية، لكن المشاعر الفيّاضة عند سعيد، تحطّت النفعية إلى الوجدانية، فالبحر بالنسبة إليه ليس الأزرق الرحيب فقط، بل الأزرق الحبيب لأنّه كما يقول سعيد: «هناك فرق بين من يلهو في البحر، ومن يعشق البحر»²، فاللغة

¹ - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي: الفضاء، الزمن، الشخصية، نفسه، ص: 39

² - حنا مينه: حكاية بحار، نفسه، ص: 18



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

الشعرية الاستثنائية، التي استعملها في ذكر البحر، وذكر مشاعره نحوه، تسعى «إلى إحداث عملية تشويش مقصودة في قاموس اللغة، حين تُسند صفات لأشياء غير معهودة، تربك القرائن بين المسند والمسند إليه، وكذلك إسناد وظائف للألفاظ تعجز معانيها عن أدائها»¹، فيما بين اللهو والعشق حكاية وفاء لا يعرفها إلا من عايش إحساسا مختلفا صادقا، وكلم البحر وخبر صمته، يقول سعيد: «للبحر رؤية فيها حب وفيها إعجاب، بهذا العالم المائي الذي ينطوي على أسراره الخاصة، وبسبب من ذلك يبدو جليلا مهيبا ساحرا إلى حد بعيد»².

وللبحر عند سعيد، طقوس خاصة بأجواء الليل الساجي والبحر الحادئ، عبر عنها في أكثر من موضع يقول: «أن تضيء شمعة، أن تنير مصباحا، أن تشعل النار في العراء، ووسط الليل الساجي، فإنك تخلق حولك دائرة بهاء خاص (...) وتبعث في ذاتك مشاعر مغايرة لما ينبعث في مثل هذا الموقف (...) إنّها تعطي تصادا لوجه الليل، يجعل الضوء أكثر تميزا، والظلماء أحفل بالمبهم، والفضاء أشدّ وقعا في نفسك»³، ويترجم سعيد اللوحة الفنية التي أمامه حول فضاء البحر يقول: «كان البحر يتوضأ بالقمر، محتفظا بمسحة رصاصية على وجه الماء، وأعراض الأمواج الزردية تتلاألأ في تدرجها على الشاطئ، وحركة الانزياح في مدّ وجزر خفيفين على الرمل تختلف هديرا وانيا، رتيبة، كأغنية تترية عاطفية»⁴، فإحساس كهذا يعطي سعيد شغفا ويدخله في غبطة وفرح وقد

¹ - عبد الله حمادي: الشعرية العربية بين الإتباع والابداع، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط 1، 2001، ص: 184.

² - حنا مينه: حكاية بحار، نفسه، ص: 96

³ - حنا مينه: حكاية بحار، نفسه: ص: 99-100

⁴ - حنا مينه: حكاية بحار، نفسه: ص: 101



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحّار" للروائي السوري حتّى مينه ————— د. لبني خشة

«أحسّ سعيد بامتياز خاص، ويرهون خاص، لأنّه وحده من بين الجميع في جلسته هذه أمام الصحراء المائية، يستشعر قدسيّة النجوى التي تقوم بينه وبين البحر»¹، نحوى لا يعرفها إلاّ عاشق، نحوى تدخله في خصائص تبعده عن صفاته البشرية، لذلك فإنّ «للشعرية خصيصة علاقتية، إلاّ أنها تحسيد في النّص لشبكة من العلاقات، التي تنمو في سياق آخر دون أن يكون شعرياً، لكنه في السياق الذي تنشأ فيه هذه العلاقات في حركته المتواشجة مع مكونات أخرى، لها السمة الأساسية ذاتها، يتحول إلى فاعلية خلق للشعرية ومؤشراً على وجودها»².

فالتركيز الذي تقصدّه الروائي منذ العنوان "حكاية بحّار" يترجم هذه العلاقة الوثيقة بين البحر والبحر، ويترجم الوظيفة الشّعرية لفضاء البحر والبحّار، حين تدور الرواية حول محور واحد هو البحر، وتتركّز الرّسالة "البحر" بكلّ رموزها الإيحائية على ذاتها، فيصبح الفضاء الرئيس والمotor الذي تشير إليه نظرات الإعجاب والشوق.

وعندما ننظر في رواية "حكاية بحّار" نجد أنّ الروائي زاوج بين الصورة المرجعية في الواقع المادي والصورة الذهنية، وأعطى البحر تلك العلاقة الأكثر تموجاً وتلوّناً وشعرية، وكان المكان ملاداً يلتجأ إليه الإنسان لعلّه يحصل منه على ما فقد، ولا يتم الاحتضان إلاّ بالبحر فهو الوسيلة المثلثي «لأن المكان الفسيح هو صديق الوجود»³

والبحر فضاء جغرافي مفتوح مميز، يعدّ المكان الأحب للمبدعين، وملهمهم الأكبر، ولا نعجب من استيلائه على خيالهم الإبداعي، نتيجة عشقهم الشّديد له، ولزرقه الممتدة إلى ما لا نهاية، فالبحر كعالمٍ فسيح وفضاء مكاني خاص، يتمظهر بطرق

¹ - نفسه: ص: 102

² - كمال أبو ديب: في الشعرية: نفسه، ص: 14

³ - أسماء شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، نفسه، ص: 18



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة
شي في العمل السردي، فهو يؤطر الأحداث والشخصيات، ويحدد هوياتها
وخصوصياتها.

وللبحر ارتباط كبير بالنفوس، لففة القلوب إليه عظيمة، من هنا لم يكن غريباً
حين يكون حاضراً في الإبداع ضمن لوحات ايمائية، له وظيفة دلالية رمزية خالصة، وقد
رافقته المياه بسرّها ولغزها وخيرها وشرّها، وصفائها وغضبها، ومع تطور مسار
الأحداث في كل مرة يكتشف البحر، عرف البحر بتناقضاته وثرواته، لكنه ظل أمامه
ضعيفاً.

ونجد أنّ البحر في الرواية قد اتّخذ دلالات عدّة؛ فالبحر هو: العشق والجمال
والحياة، وهو الخوف والموت، وهو المروب والحنين والأمل، وسنقف عند كل ثيمة من
هذه الثيمات لنكشف عن خصوصية هذا الفضاء الرحب.

● أول معاني البحر:

البحر فضاء واسع، خالد بسحره وجاذبيته يقول سعيد: «من يتزلّ البحر عليه أن
يكون للبحر، ألا يخشى الغرق»¹، وهو الحياة والحركة، يتطلّب الشجاعة والقوّة، ومن
يخوض غماره يجب ألا يخشاه، إن خصوصيّة هذا الفضاء أبعد عمقاً، وأكثر شاعرية عند
سعيد، فالبحر هو ملاذ المهموم، ومرتع العاشق والولهان، بما فيه من دفء، وبما فيه من
صخب وغضب وعنفوان، وبما فيه من ميزات، هو الماء الصامت بتدافع أمواجه
ورتابة غنائهما، يقول الروائي عن سعيد: «كان يصغي إلى أقوالهم عن البحر بفرح
طفولي، كأنّما يتحدّثون عن شيء يخصّه جداً، ويجبه جداً»²، كان سعيد، يحب البحر

¹ - حنا مينه: حكاية بحار، نفسه: ص: 302

² - نفسه: ص: 24



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

بصمت، وينظر إليه بصمت، ويناجيه بصمت يقول: «أن تحب؛ يعني ألا تتكلّم»¹، إن حكاية بحار، لا يمكن إلا أن تكون حكاية عشق للبحر، ولجمال البحر، والحياة التي يعيشها البحر في روح سعيد، فهو يتحدث عنه كما يتحدث ملك عن مملكته، أين يشعر بعظمة شخصه، ورفة مكانه، فهو ملك البحر وفارسه، وفي كل مرة يتحدث البطل عن البحر، يترجم مدى ارتباطه الوثيق بهذا الفضاء، فهو البحر الذي قضى حياته يجول في أماواحه، وهو الذي صارع الخطر وتکبّد مشقته، سوى أنه عشق البحر وجماله، ويمكننا إجمال المعنى الأول للبحر في العشق والجمال والحرية والحياة، ذلك لأنّ البحر رمز الحياة والميلاد، إنه الجمال والسحر الذي يلفّ الحكايا التي تلهج بعشقة، ومناجاته، فكان دائم الارتباط بلفظ الاتساع، يقول سعيد: «هذا حبي الأزرق الرحيب»²، وهو «تجسيد ميلاد نحو ما هو رائع»³، فهو واسع ممتدّ بقدر ما نشعر إزاءه بضآلّة أحجامنا، لكن في مقابل تجسيده لميلاد نحو كل ما هو رائع، يحمل دلالة مناقضة للحياة مناقضة للأمان.

• ثالث معاني البحر:

بقدر اتساع البحر وجماله، ودلالة الحياة به والخصب، فهو غدّار يسلب الأرواح، يملك سلطة قسرية يتحدى بها البشر، ويتنصر عليهم، وفي هذا دليل على ضعف الإنسان في مواجهة جبروته، وقوسته، إضافة إلى ذلك يحمل البحر ثنائية الحياة والموت وهمما متلازمتان دوماً، يقول سعيد: «إنني أستسلم للبحر أعطيه نفسي (...) ليجعلني بحّاراً من بحّارته، فارساً من فرسانه»⁴، فعندما يتّخذ البحر صفة السلبية، يكون سبباً للموت، وفي

¹ - نفسه: ص: 21

² - حنا مينه: حكاية بحار، نفسه، ص: 14

³ - أسماء شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، نفسه: ص: 176

⁴ - حنا مينه: حكاية بحار، نفسه، ص: 349



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

هذا تعبير عن انكسار وتلاشي الحلم وإناء الحياة، ويجسد ذلك قول الرواوي على لسان أحد المصطافين: «البحر غدار (...) البحر عدو»¹، لكن البحار هو المغامر والمقامر بحياته، بين غضب الطبيعة وجبروت الموج، وبين السفر إلى الجھول المفتوح، فسعيد كان فارس البحر، الذي احتفظ ولا يزال يحمل بين جوانحه أشواق البحر، حتى تعبت الأشواق والمشاعر والبحار، لكن "لم يتعب البحر لأن البحر يُحيي قانونه ويجدد شبابه، لذلك يمكننا حصر المعنى الثاني للبحر في الخوف والموت.

• ثالث معانٍ للبحر:

إنّ البحر الذي حمل دلالة الحياة ينضوي على ما يقابلها وهي الموت، والبحر الذي ينضوي على إرادة الفرد وصراعه ينضوي على انكساره وهروبه، وحنينه إلى صراع جديد بعد زمن يمضي مع عواصفه، فالبحر وحده نحن إليه، وهو وحده يسمع أنيتنا ونحوانا وشكوانا، إنه ملاذ الإنسان، وهو الصديق الوفي نهرب إليه من كل هموم الدنيا، يقول سعيد: «أهرب من البحر إلى البحر، (...) ستسحرها من البحر أشياء أخرى، سترى أنّ هذا المدى المترامي يخزن ذاته في ذاته، يحتفظ بسره وسر الآخرين (...) يشنّ، يخرّ (...) يعني وفي العاصفة يزأر، يتكلّم في كل فصل على طريقته الخاصة، والناس يمرّون به ولا يفهمون عليه ولو فهموه لعشقوه»²، فحب سعيد للبحر واعتباره مليجاً يهرب كلما احتاج إليه، وينحنّ إليه كلما طال اشتياقه، ويستفاق إليه وهو أمامه، جعل من الروائي يقول عنه: «لكن حبه له مختلف يستمدّ عنفه من عنف النوع، ورقته، من رقة الموجة المتكسرة على الشاطئ (...) إنّها لغة أخرى والسعيد من حل لغزها»³،

¹ - نفسه، ص: 394

² - نفسه، ص: 36

³ - حنا مينه: حكاية بحار، نفسه: ص: 38



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحّار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

لذلك كان البحر في الرواية، بمثابة الباعث والمحفز للحياة والمتجدد بحركة أمواجه الديووبية، إلهه بالنسبة إلى سعيد، العشق بزرقه الآخذة، باتساعه وامتداده، بعواصفه وأنوائه، بكمده وصفاته، وحنوه على الذّات، بسطوطه وجبروته، فالبحر قيمة مميزة تتفاوت الرؤى على جنباتها وتتبادر الدلالات ويظلّ كونا غير مستقر، ولا موضوعا في خانة دلالية واحدة، وسيقى عالماً تشظى منه الدلالات على اختلاف التجارب الذهنية، فكان المعنى الثالث من معاني البحر جمعاً بين هروب وحنين وألم وأمل.

فقد صاغ الروائي المكان، بشفافية رائعة ومدهشة ومفصلة فيه أدق التفاصيل، استعرضه بسماته وخصائصه الحقيقة والتخيلة، فهو ليس كمكان هندي، وإنما كمكان طبيعي ساحر وأخاذ، تتحرّك ضمنه وفي فضائه شخصيات شبه أسطورية بأحلامها وصراعها وإرادتها وعشقاها وانكساراتها، استعرض حنا مينه، حياة البحر والبحّار، واستعرض موجودات البحر، رسم صوراً ساحرة للأمواج والعواصف، والأنواء وصور حياة البحّار، يقول سعيد: «شرط البحّار أن يعيش حياة غير عادية، يجرب كثيراً، رهيبة هي حياة البحّار (...) رهيبة وآسرة تعطى البحّار مزاجاً خاصاً، يجعله من الشجعان والأشقياء وتبثّ في الحياة»¹.

كما استخدم الروائي الأسطورة، ليذكرنا بالعالم الأسطوري البحري، وما يتضمّنه من حكايات عن عروس البحر، جمع بين الأسطورة والواقعية والبحرية والرومانسية، وأحالنا إلى حكايات ألف ليلة وليلة، وغمارات السندباد، في اكتشاف الطبيعة البحرية وتفسيرها، وكشف لنا بجلاء ووضوح صور الشّخصية الإنسانية، وتفرّدها بالغمارة والحرية، فالحياة الخطرة فوق بحر هائج مضطرب العواصف والأمواج،

¹ - حنا مينه: حكاية بحّار، نفسه: ص: 35



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه —————— د. لبني خشة

كثير الأنواع، جعلت رجل البحر سيد مصيره، ولاعه فقط للبحر المتقلب الذي لا يكفر عن الحركة، وعشقه فقط للبحر على الرغم من مزاجه المتقلب.

وقد أعطى الكاتب صورة جميلة للبحر، وكل صورة تحمل دلالة معينة: «فالبحر أمامه قد غدا منبسطاً رحيباً ترفُّ عليه آخر ظلال النور، هذا عالمه، هذه دنياه ومرتع صبااه»¹، ولم يكتف الروائي برسم صورة المكان "البحر" وإضفاء اللمسة السحرية عليه، وذكر أوصافه وأمواجه الرقيقة المتكسرة على الشاطئ، وهي تغنى أغانيتها الرتيبة العذبة منذ سنين دون ملل، بل أضاف إلى سحر المكان، لمسة أخرى لتكتمل طقوس عشق البحر، وهو الزمن.

ب- الزّمن:

وإذا كان المكان، مادة قصصية ثرية، «فالزّمن عمدة القصة وعصب نظمه (...) فالمكوّن السّردي عماده الزّمن في حين أنّ المكوّن الوصفي عماده المكان»²، فـ «الزّمن» كان وما يزال يشير الكثير من الاهتمام»³، لذلك قد يكون من العبث إذا نحن حاولنا دراسة أي عمل أدبي دون التطرق إلى جهة الزمن فيه (...)، فجهة الزمن هي المحرك الحقيقي للعمل الإبداعي»⁴، فالدراسات النقدية المعاصرة، لم تعد تنظر للزّمن في الإبداعات القصصية بوصفه مجرّد خلفية جامدة لا بدّ منها لأجل سيرورة الحدث، أو مجرّد

¹ — نفسه، ص: 19

² — عبد الوهاب الرقيق: في السرد: دراسات تطبيقية، دار محمد علي الخامس تونس، ط1، 1998، ص: 26

³ — سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي؛ "الزّمن، السرد، التّبئير"، المركز الثقافي العربي، ط3، 1997، ص: 61

⁴ — ذويبي خثير الزبير: سيميولوجية النص السردي: نفسه، ص: 22



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

عنصر داخل عملية التهيئة والإعداد، في القصة أو الرواية، بل صار الزّمن يُنظر إليه على أنه جزء ضروري، وحيوي من أجزاء البنية الأساسية للعمل القصصي، لا يقل أهمية عن سائر الأجزاء حتى قيل أنّ هذا الزّمن «يوشك أن يصبح بطل القصة»¹، ويعدّ الزّمن في رواية حكاية بحار مزاجة بين جمالية المكان وطقوسه، فكلّما ذكر البطل المكان جعل له خصوصية في الزّمن، تزيد من شعرية الفضاء، وتختلف خصوصية البحر ثمارا عنه ليلاً فلليل بماء مختلف.

• اللّيل:

إن وظيفة الزّمن هي تحديد بداية الحركة وبداية السكون، وقد ركّز الروائي على لحظات بعينها هي اللحظات التي يتوحّد فيها البطل مع المكان البحر، والزّمن اللّيل، بما في اللّيل من دلالة السكينة والوحدة والوحشة، فالليل زمان الحالم يبلّد فيه الألم وبيث شکواه للقمر، والليل زمن العشاق، الذي تترجم فيه آهاتهم، والليل سكينة الروح ومناجاة الموجوع، يقول الروائي: «يصرخ سعيد صوت "آه" (...) في ساعات الليل الطويل، وفي ضوء القمر الغامر والدنيا تحته ماء، ومن فوقه زرقة مرصّعة بالنجوم، ومن حوليه سكينة ومن الجهات الأربع فضاء لا يحدّه»²، فيؤطر الروائي حوّ المكان والزّمن، في جوّ مفعم بالأنين والصّمت والتأوهات، لتنكشف أمام البحر وفي سكينة اللّيل آهات سعيد، التي تنبعث محرقة، متذكّراً عهده بشبابه ومجامراته البحريّة.

إن العناصر الزّمنية والمكانية، التي في كلّ مرة يرتکز عليها السرد توحّي بواقعية الأحداث، والشخصيات وحتى الحزن والألم، فلا تكون شعرية الفضاء حدّيثاً عن المكان فقط، لكن التشكيل الزّمني يلعب دوره في نثر سحره، يقول الروائي: «الليل مضاء

¹ - نفسه: ص: 23

² - حنا مينه: حكاية بحار، نفسه، ص: 89



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ----- د. لبني خشة

بالقمر، والفضاء مُنور، والنجوم مصابيح مشعة ومتناشرة، والزبد ينفرش رغاءً أبيضاً مخرّماً على الرمل، وخرير الموج موسيقى ناعمة، وسكينة الليل المحملىة تبعث على الشوّة والخذر، كان كل شيء بحّياً آسراً، إلى درجة أنه تمنّى ألا ينقضي الوقت ولا تنفس الكائنات من حوله روعة تلك الليلة التي غمره ضياء قمرها واحتواه جمالها¹، فحمل الليل ثنائية السكينة والوحدة بكل تفاصيلهما.

إن التشكيل الرمزي الذي حدد السارد في هذه النغمة، جعل من ثنائية المكان والزمان يتزاوجان ويلاقحان في أحواء يلفّها العبير ويهدهدها سكون الليل، فشعرية الفضاء "البحر" لا تتأتّى منفردة ولكنّها تترّج مع سيمفونية الزمن، التي أضفت عليها لوناً خاصاً، وقد اختار السارد لذلك ألفاظاً منتقاة بدقة متناهية "ليلة صيفية، سكينة الليل، ضياء القمر، والنجوم المشعة" زادت من شعرية المكان بهاءً، وبالتالي شعرية الفضاء الذي أصبح شاطئاً حاماً، تتناثر فيه الأماني وتسبّح الأرواح عبر ستائر الليل المحمليّة.

لذلك كان «مبدأ الامتداد الذي يعتمد على القوة الإيجابية للكلمة مرفوضاً هنا، فالكلمات لا تترّج فيما بينها وإنّما تتلامس مثل العناصر التي تتكون منها اللوحة الزخرفية»²، فالسارد هنا لم يستعمل الكلمة المنفردة لإبراز شعرية الفضاء، ولا المكان في معزل عن الزمن، ولا الزمن في معزل عن المكان، لكنّه أثّر للمكان بالرّ زمن، ولوّن الزّمن بجماليات المكان، فاستعمل شعرية المسمايات الإيحائية المختلفة المصهرة مع مشاعر البطل، وحّبه للمكان "البحر"، والزمن "الليل" لتتلامس وتتحدّ في لوحة جمالية رائعة، ولا يتوقف السارد عند ذكر الزّمن "الليل"، لكنّه يمزج بين الماضي والحاضر بين "الأزمنة

¹ - نفسه: ص: 14-15

² - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، نفسه، ص: 75



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

الّتحوية" ، بين الماضي المفرح وما سي الحاضر، دون أن يهمل هندسة السرد، في ذكر البحر في كلّ مرّة على لسان البطل، أو لسان أفكاره، " فهو البحار الذي طوّع البحر لكنّه لم يعد بحّاراً، مضى زمن البحر، ترك المهنة، ومعها مسرّات قلبه (...) فإذا عاد إلى البحر عاوده عشقه له، وتقعّص من جديد صورة البحار الذي كان، ثم إنّ « هذا الخلق الزمني هو مدار الأمر بين هيكلة الزمن النشطة»¹ ، بين مأسى الحاضر ومسرات الماضي التي ما فتئ يتذكّرها، كيف كان البحار الذي لا شيء يفرح قلبه سوى البحر، فالملاوجة بين مأسى الزمن الحاضر، ومسرات الزّمن الماضي باستعمال الأفعال الماضية والمضارعة، خلق حركيّة وديناميكيّة في الحديث، مما زاد من جمالية التشكيل الزمني، فسعيد، ترك فضاءه الرحب وروحه بين الأمواج، وكلّما عاد إليه عاودته روحه، فدلالة البحر بالنسبة إلى سعيد، لا تقف عند حدود المكان والزّمن، بل هو عنده الروح التي فارقت جسده يوم فارقه، والمتّنفس الذي لولاه يشعر بموته المتّنقل بين أخبيه المدافن.

ولا يتوان السارد عن ذكر الزّمن، فيتخيّر لحظات معينة سواء الليل، أو لحظات الغروب، لما لهذه الأوقات بالذات من دلالة غاية في الروعة، تناسب المكان "البحر" وتتوحد معه في التوليفة الشعرية للفضاء يقول: «فيما الشمس تغرب، ووشاح الليل يهبط رويداً رويداً على الأرض (...) كان وحده يدخن، وكان حياً يقطا، يمور صدره بأحساس بمحاجة، كصيّاد انتهى من نسيخ خيمته، وكان البحر أمامه قد غدا منبسطاً رحباً ترتفُّ عليه آخر ظلال النور»² ، فأكثر اللحظات عشقاً عند سعيد، هي لحظات

¹ - بول ريكور: الزمان والسرد، التصوير في السرد القصصي، ترجمة: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ج 2، ط 1، 2006 ص: 142

² - حنا مينه: حكاية بحار، نفسه، ص: 19



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

الغروب، وسكون الليل، أين يشعر بطعم الحياة بين بريق الغروب وغطاء الليل، وبين سكون البحر وترانيم المشاعر.

وبقدر عشق سعيد للبحر، يشعر بحب البحر له أيضا، ويرى فيه حضنا دافنا يحتويه، يقول السارد: «ركض مندفعا كقذيفة، وكسهم اندفق في الماء وغاص في البحر الذي تلقاه بذراعين مفتوحين، وغمراه كلّه فتطاير الرذاذ، وغاص الجسم، وذهب كسمكة فيه مستشعرا نداوة ونشيشا، وحضنا دافنا يحتويه»¹، فالمشاعر التي يُكتئها سعيد للبحر، لم تقيّد إلى حد الكتابة أو الكلام، فهي رحيبة رحابة البحر، منبسطة انبساط صفحاته الممتدة إلى الأفق.

فالبحر بخصوصيته التي تعني الخطر عند الجميع، مغايرة عند سعيد فهو الحضن الدافع الذي يحتويه والشوق الذي ماتت فيه الكلمات على شفتيه، كما قال السارد: «أن تحب يعني لا تتكلم»²، فشعرية الفضاء كسرت حدود المتوقع في الكتابة، والترميز، وفنون القول، واحتقرت حدود الصمت حيث يجتمع المكان البحر، والزمن الليل أو الغروب، والشوق العارم عند سعيد، فالصمت كلام معبر في حد ذاته عمّا لا تجده الكلمات، لذلك كان البحر عند سعيد هو الحب الأزلي الذي لا يقارن، ولا يضاهيه أي حب آخر، له خصوصية في الحب لا تشبه أي خصوصية، وله طقوس لا تشبه طقوس شوق آخر، يقول: «متعة السهر على البحر متعة ذات طقوس، في الليل وعلى الشاطئ يخلو السمر على وهج النار»³، ولتوليفة المكان والزمن، أثر عميق في وعي الروائي والبطل، إذ يتفاعل معه معايشة وتذكرا وتخيلا، ولا يتعامل مع الفضاء كحيز، بل

¹ - حنا مينه: حكاية بحار، نفسه: ص: 25

² - نفسه: ص: 21

³ - نفسه: ص: 30



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

يصفه ككائن حي لأنّ هدفه لا أن يصف الفضاء ذاته بجماليات مكانه وسحر ز منه فقط، بل أن يصف الإنسان داخل هذا الفضاء وبعد الوداع الذي يمثله له بما ينطوي عليه من سر عميق وأن يرى «حركة الموج الرقراق في صعوده وهبوطه، ويتسنم إلى أنه ذي الموسيقى الخاصة الرتيبة الحبيبة إلى نفسه»¹.

2- النهار:

أما نهار البحر، فيرى فيه سعيد بعده آخر، حين يحدّق في السماء، انقلب سعيد على ظهره وحدّق في السماء «عالية هي السماء شمس ساطعة فضاء لا متناه، وزرقة موشحة بآثار بياض وابسامه عريضة، ماسية، متوجّحة، تتسع للكون وتغمره بكلّ ما فيه من الرّمل إلى الجبل، الشّمس تغمر كل شيء، تتألّأ على البحر مرايا، والرّمل أسر»²، لما كان الليل البهيم عند سعيد رمز للسُّكينة، فالنهار رمز للحركة الدّؤوبة، والألوان المتراحمية التي ترسم لوناً للحياة يقول السارد: «ظلّ سعيد مستلقياً على الشاطئ، يتقلب على الرمل يحدّق في الفضاء، يتفرّس فيما حوله يراقب الشمس الكسول في السماء، راغباً في أن تهبط إليه، أو ترخي شعورها فيتعلق بخصلة منها ويرتفع إليها، حيث يصبح حرماً صغيراً يدور حولها»³، فالنهار عند سعيد، حلم يرغب أن يتعلّق بخصال الشمس التي تحمله للسموّ وترفعه إلى الأعلى، «فتح عينيه على وسعها في الشمس، الرّمل الحار، والرقدة المريحة وسماء عالية، ورائحة البحر القريب وذكرى الصباح»⁴

¹ - نفسه: ص: 81

² - نفسه: ص: 06

³ - نفسه: ص: 09

⁴ - حنا مينه: حكاية بحار، نفسه: ص: 46



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

تبادلت الأزمنة الأدوار ففي الوقت الذي كان فيها الليل مجالاً للحلم والحكاية، صار مجالاً للتأمل، وأما النهار فصار هو المجال الربح للحلم وللحكاية الأسطورية، يقول سعيد: «في البحر سكة برأس آدمي، يقال لها عروس البحر، وعروس البحر لا تُرى في الأعماق، يُقال إنها تتبع السفن في ضوء القمر»¹، فالنهار حرب دائمة للبحار مع البحر وأنوائه وعواصفه: «يمر بال العاصفة يعرف طعم الموت ويعانقه، يُتقن التعامل مع الريح، والموج يصبح خبيراً بقوانين البحر ومقاييسه، (...)» يصبح ابنها حبيباً للجة، في قلب العاصفة وتحت المطر يجلي خشبة المركب والريح تصفع الوجه، تكاد تقتلع الشعر والحبال تنقطع، ويصبح المركب دمية في يد النوع، في مثل هذا الجوّ تصبح النجاة مسألة صدفة فقط»²، إن تفاصيل هذه اللغة تجعلنا نقول: «إن الزمن يعيينا في السرد خصوصاً للعلاقة التي يقيمهَا بين نظام ترتيب الأحداث ولحظة اكتشافها»³، فإلى جانب تحديد الرقعة أو المكان فقد حصر الزمان في فترة الليل والنهار، الليل الحبيب الحال، والنهار الصارخ بعنفوان البحر.

ويرى أدونيس، أنّ سرّ الشعرية هو: «أن تظلّ دائماً كلاماً ضدّ كلام، لكن تقدر أن تسمّي العالم والأشياء أسماء جديدة، أن تراها في ضوء جديد (...)» فتجاور الكلمة نفسها منفلترة إلى حدود حروفها، وحيث الشيء يأخذ صورة جديدة ومعنى آخر»⁴، فالبحر هو العمود الفقري لهذه الرواية، هو العنصر المهيمن، هو حافر السرد والأحداث،

¹ - نفسه: ص: 12

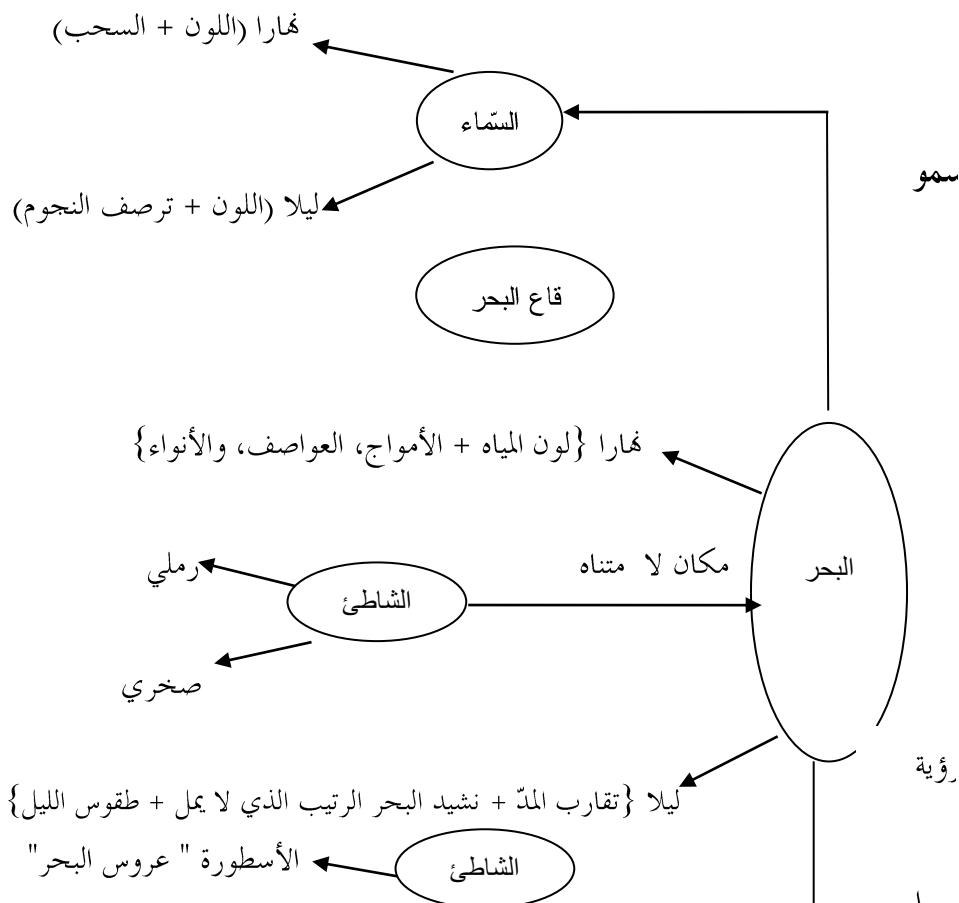
² - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، نفسه، ص: 426

³ - في الرواية العربية المعاصرة: مرجع سابق، ص: 18

⁴ - أدونيس: الثابت والتحول، بحث في الاتباع والابتداع عند العرب، دار العودة، بيروت ط 4، 1983، ص: 54



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ----- د. لبني خشة
كما يعُد مركزاً لكُلّ ما حوله وإذا أمعنا النظر، نجد أنّ الروائي قام ببناء أشكال معمارية
بواسطة الكلمات للمكان، متواصلة من العمق بامتداد أفقي رائع نحو الشاطئ، ومن
السطح إلى أعلى نحو السماء، ومن السطح "البحر" إلى أسفل بصورة متناسقة نحو عمق
البحر، وضمن هذه الامتدادات الأفقية والعمودية وضع اتساع المكان، وأعطى أحمل
الدلالات، والمخطط الآتي يوضح الصورة الجمالية لشعرية الفضاء وعلاقات الأمكنة فيما
بينها.





شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ----- د. لبني خشة

الحياة الموجدة، كل ما في البر



نتائج الدراسة:

انفردت رواية حكاية بحار، بخصوصية تمثلت في الانتقاء المميز للألفاظ التي أثرت موضوع الشعرية فانعكس الأثر الفيّ من خلال:

- تميّز شكل الخطاب، الذي أثّر في تفعيل الأحداث وأثر في حركتها.
- استعمل الروائي البحر كعنصر محفّز في الرواية عكس رغبة وتوacialاً ومشاركة عدة أحاسيس اختلّجت البطل فكان محفزاً جمالياً جمع بين الواقع والتخيل.
- كما استعمله كعنصر مهمّ من تحكّم وحدّد وغير سير عناصر السرد وجعل بنية النص متلاحمة.

- كان البحر مفتاحاً من مفاتيح استراتيجية الرواية، وذلك بالتركيز على العلاقة الوجدانية بين البحار والبحر، فاستعمل الروائي لغة شعرية لإحداث عملية تشويش مقصودة في القاموس اللغويّ الروائيّ، فكان للبحر خصوصية لا تشبه خصوصية الحب، كما كان له شوقاً لا يشبه الشوق، وبين هذا وذاك تفاعلت الأحداث في الفضاء.

- كشف المكان "البحر" عن الصراع الدائم بينه وبين الإنسان، فكان خيراً ونعمّة حملتها الأمواج للساطع، وكان شرّاً ونقطة عصفت بها قساوة النوء وأخطاره.

- كان الزمن عصراً مهما لا يقلّ أهميّة عن المكان فأحدث خلالاً عكسَ شعرية وحركية الرواية، فالليل الذي كان يرمي للسكينة صار للتأمل، والنهر الذي كان يرمي للحركة صار للحلم، يحمل البطل أن يحمله للسمو والرفة.

- ويقى البحث في الشعرية، محاولة للعنور على بنية مفهومية هاربة دائماً وأبداً، كما ستبقى مجالاً خصباً لتصورات ونظريات وحلقة إبداع لا تنتهي.

قائمة المصادر والمراجع:



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينة ----- د. لبني خشة

المصدر:

1- حنا مينة: حكاية بحار، دار الأدب، بيروت، لبنان، ط1، شباط (فبراير) 1981

- المراجع:

2- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف القاهرة، مصر، المجلد 4، ط 2005

3- ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، اتحاد الكتاب العرب، 2002، ط د

4- الرمخشي: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، لبنان. ط 1979.

5- أدونيس: الثابت والتحول، بحث في الاتباع والابداع عند العرب، دار العودة، بيروت، لبنان، ط 4، 1983

6- أسماء شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، لبنان، ط 1، 2001

7- بشير تاوريريت: رحيق الشعرية الحداثية في كتابات النقاد المخترفين والشعراء والنقاد المعاصرین، مطبعة مزوار، الجزائر، ط 2006.

8- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي؛ الفضاء، الزمان، الشخصية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1990

9- حسن ناظم: مفاهيم الشعرية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1994

10- حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 3، 1991



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه —————— د. لبني خشة

11- حنا مينه: الرواية والراوي، مختارات، دار البعث، عن وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 2004.

12- خالد حسين حسين: شعرية المكان في الرواية الجديدة، الخطاب الروائي لإدوارد الخراط، مؤسسة اليمامة، الرياض، السعودية، ط1، 2000

13- ذويي خثير الزبير: سيميولوجية النص السردي؛ مقاربة سيميائية لرواية الفراشات والغيلان، رابطة أهل القلم، سطيف، الجزائر، ط1، 2006

14- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي؛ "الزمان، السردد، التأثير"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1997.

15- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية للنشر لونجمان، مصر، ط1، 1996.

16- عبد الله حمادي: الشعرية العربية بين الإتباع والابداع، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2001

17- عبد الملك مرتضى: نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة المعارف، الكويت، 1998

18- عبد الوهاب الرقيق: في السرد: دراسات تطبيقية، دار محمد علي الخامس، تونس، ط1، 1998

19- فاطمة موسى: في الرواية العربية المعاصرة، المكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1972

20- كمال أبو ديب: في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1987

21- مرشد الزبيدي: اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999



شعرية الفضاء في رواية "حكاية بحار" للروائي السوري حنا مينه ————— د. لبني خشة

- 22- ياسين النصير: إشكالية المكان في النص الأدبي، دراسات نقدية، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، ط1، 1986

- 23- يوسف وغليسي: الشعريات والسرديات، قراءة اصطلاحية في الحدود والماهيم، منشورات مختبر السرد، الجزائر، 2007.

الكتب المترجمة:

- 24- بول ريكور: الزمان والسرد، التصوير في السرد القصصي، ترجمة فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة ج 2، ط1، 2006

- 25- جون كوهن: النظرية الشعرية، ترجمة أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، مصر، ط4، 2000

- 26- ترطفان تودوروف: الشعرية، ترجمة شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة، دار توبيقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1990،

- 27- رومان جاكبسن: قضايا الشعرية، ترجمة محمد عبد الوالي ومبarak حنون، دار توبيقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر النقد الثقافي / النقد الحضاري أموزجا

The Problematic Of the Term's Overlapping in Contemporary The Arabic Criticism: Cultural criticism / Civilization Criticism As a Model

الطالبة سميرة فراتاس

fartas.samira1@gmail.com

د. ليلى لعوير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

تاریخ الإرسال: 2019/03/08 تاریخ القبول: 2020/11/16

الملخص:

تعجّ الساحة النقدية في المرحلة ما بعد الحديثة بفوضى اصطلاحية عارمة، فمن وحي التعدد والتدخل والاختلاف تولد إشكالية اصطلاحية لا يحسد الخطاب الندي العربي المعاصر عليها، وبالتمعّن في الأوساط الأدبية والنقدية اليوم نجد حضوراً بارزاً لمصطلحين متداخلين فيما بينهما هما: النقد الثقافي والنقد الحضاري، مصطلحان يعبران عن مفهومين يعالجان قضيّاً الأمة ورهانها ويحاولان إيجاد حلول للتأخر الذي تعانيه المجتمعات العربية سعياً إلى التقدّم الحضاري، ومن خلال هذه الدراسة سنقف على مفهوم كلّ منهما محاولين معرفة مواطن التداخل بين المصطلحين وأسبابه ونتائجها في النقد العربي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: مصطلح، نقد، نقد عربي، نقد ثقافي، نقد حضاري.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعوين

Abstract :

In the postmodern stage, the monetary arena is full of anarchic chaos. It is inspired by the multiplicity, overlap and differences that generate a problematic terminology that is not envied by the contemporary Arab critical discourse. In the literary and monetary circles today, we find a prominent presence of two interlocking terms: Cultural criticism and Civilizational criticism, The two concepts dealing with the issues of the nation and their insults and trying to find solutions to the delay experienced by Arab societies in the pursuit of cultural progress, and through this study will stand on the concept of each trying to know the overlap between the terms and causes and consequences in the Contemporary Arab criticism

Keywords: Term, Criticism, Arabic criticism, Cultural criticism, Civilizational criticism

المقدمة:

يعد المصطلح الناطق الرّسمي باسم العلم الذي يعبر عنه، وبطاقة التعريف الخاصة به، فهو يحمل عباء المعرفة التي تختزل في إطاره، ولذلك لا بد أن يكون له وزن، ولا بد أن يتسم بالدقّة، لذلك تحرص مختلف العلوم على تحديد مصطلحاتها تحديداً دقيقاً. والعلوم الإنسانية بدورها تسعى جاهدة إلى انتقاء أنساب المصطلحات لجاهة مشاكل المصطلح، خاصة وأنّ مواضيع العلوم الإنسانية متداخلة، كما أنها تشتهر في الأصول المرجعية ذاتها، إضافة إلى أنّ اتساع المعرف زاد من حدة المشكلة، ويعود النقد الأدبي من الحالات التي تملك القدرة على التعامل مع جميع المعرف بهدفه تقويمها وتقييمها، ما أدى إلى تفاقم إشكالية العملية الاصطلاحية خاصة في الفكر العربي المعاصر.

وفي ظل الأزمة التي تعانيها المجتمعات العربية، عرفت الأوساط الأكاديمية أصناف عديدة



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

من النّقد استمدّت مصطلحاتها من المجال المعرفي الذي تدرسه، فمثلاً هناك النّقد الاجتماعي، النّقد النفسي، النّقد التاريخي، النّقد الأدبي... وكلّ هذه النّقد لها أرضية تقوم عليها، ولها مجال تدرسه ومنهج تعتمد عليه، وأمام الأزمات الثقافية والاقتصادية والحضارية التي ألمّت بالعالم توسيّع نطاق النّقد وامتدّ من الخاص إلى العام، وظهرت أنواع جديدة من النّقد تتسم بالشمولية في معالجة مواضيعها: النّقد الثقافي، النّقد الحضاري، النّقد المعرفي، النّقد المدي... إلخ، وتقوم هذه النّقد على نقد الواقع وتحليل الظواهر الاجتماعية، واستخراج الأنماط المضمرة التي تمرر أفكاراً مغايرة عبر الأدب، وكذا الاهتمام بكلّ الجوانب الحياتية للإنسان من معتقدات وعادات وتقالييد وفنون... حتى إنّها تعيد الاعتبار للمهمّش والمنبوذ والمروض والمقصي لدى المؤسسة التّنبوخية. فما هو النقد الثقافي؟ وما هو النقد الحضاري؟ وأين يكمن التداخل بين المصطلحين؟ وما هي أسباب التداخل؟

قبل البدء في معالجة المصطلحين النّقديين تجدر الإشارة إلى إنّ "الجاحظ" (ت555هـ) يعدّ أول من تطرق إلى قضيّة المصطلح ودعا في "البيان والتبيين" إلى ضرورة حرص صاحب كل علم على عدم الخروج عن إطار الألفاظ الخاصة بالعلم الذي يدين به. بل ويعدّ من السّباقين الذين أشاروا إلى قضيّة المصطلح وطرق الاصطلاح يقول: «ولأنّ كبار المتكلّمين ورؤساء النّظارين، كانوا فوق أكبر الخطباء، وأبلغ من كثير من البلغاء، وهم تخّيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم استقروا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وقد اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك خلف، وقدوة لكلّ تابع»¹، ومن خلال قراءتنا للجاحظ في هذا الباب لاحظنا أنه أطلق

¹- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الحاخامي، ط7، القاهرة، 1998،

ص139.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

على عملية الاصطلاح "صناعة الكلام"، هذا لأنّ الجاحظ كان يدرك أنّ عملية انتقاء المصطلح المناسب ضرورية وأنّ «مفاتيح العلوم مصطلحاتها ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما به يميز كل واحد عما سواه. وليس من مسلك يتوصل به الإنسان إلى مناطق العلم غير ألفاظه حتى لكونها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليس مدلولاته إلاّ محاور العلم ذاته ومضامين قدره من يقين المعارف وحقيقة الأفعال»¹

وفي تناولنا لموضوع المصطلح لا بدّ أن نشير إلى أنّ الأزمة التي تعانيها في تحديد المصطلحات يعود سببها بدرجة كبيرة إلى كون «الذوّاير الغربية لم تدخر جهداً في توليد المصطلحات تلو المصطلحات في حركة علمية لا تعرف التّريث، وهذه الحركة أرهقت الجهد العلمي العربي المتذبذب حيناً والمتريث حيناً آخر»² مما أدى إلى خلط اصطلاحي وتداخل في المسميات التي تعبر عن مفهوم واحد.

أولاً: مفهوم المصطلح:

يعرّفه الشريف البرجاري (ت 816هـ) في معجمه "التعريفات" قائلاً: «الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه، وإخراج اللّفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما. وقيل في الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللّفظ إزاء المعنى، وقيل الاصطلاح، إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد،

¹ - عبد السلام المسدي قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص 11.

² - محمد سالم سعد الله، أنسنة النّص: مسارات معرفية معاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2000، ص 55، 56.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين¹ إذن عملية الاصطلاح تشرط اتفاق جماعة لغوية وإلاً كانت دون معنى، والمرجاني هنا يقر بأنَّ كون المصطلح خاص بمجتمع دون آخر لا يعدُ إشكالية، وهذا يعود إلى آية اختلاف الألسنة التي خص الله تعالى خلقه بما.

إنَّ الاصطلاح ليس عملية اعتباطية، بل هو «اتفاق قائم على معايير، إن أي محاولة للتَّصنيف في أقسام ينبغي أن تكون قائمة على وجوه شبه أو خلاف في كلٍّ ما يدخل في القسم المفترض وتَميِّز عما عداه، ولهذا لجأ أهل الاصطلاح إلى التعريف لكي يجدوا به المَعْرُوف بحيث يكون جامعاً مانعاً²» والتعريف يزيد في تسهيل العملية الاصطلاحية لأنَّه يتميَّز بالشمول، ولا يخلو من الدقة، وينشد الوضوح ويهدف إلى إزالة اللبس بين الألفاظ المتداخلة، ليكون بذلك مساعداً قوياً لأهل الاختصاص.

كما يعرِّف المصطلح بأنه عبارة عن «كلمة أو مجموعة من الكلمات تتجاوز دلالتها اللغوية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية وتسميتها في إطار معين، تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجهما ممارسة ما في لحظات معينة»³، وهنا إشارة إلى المصطلح المتخصص، فكل حقل علمي أو معرفي يمتلك مصطلحاته الخاصة التي لا يمكن تصنيفها إلَّا في إطاره. وهذا التعريف يصبُّ في سياق المفهوم الذي قدمه "عبد القادر

¹ - الشريف المرجاني، معجم التعريفات، ت: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدر، بيروت، 1990، ص 27.

² - محسن حسن عبد العزيز، المصطلح العلمي العربي المبادئ والآليات، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ع 66، 2005، ص 62.

³ - أحمد بوسمن، مدخل إلى علم المصطلح، المصطلح ونقد النقد العربي الحديث، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 60، 1989، ص 84.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعوين

الفاسي الفهري" للمصطلح وذلك في قوله: «المصطلح لغة خاصة ومعجم لقطاع معين يسهم في تشيد بنائه ورواجه أهل هذا القطاع المعرفي المعين، لذلك يستغلن فهمه واستعماله على من ليس له دراية به، لعدم استعماله أو الحاجة إليه، إلا أن هذه اللغة الخاصة تتصل باللغة العامة المشتركة، وغير منفصلة منها، ولا تكاد تخرج عن الأصول التي تحكم فيها، فالمصطلح وإن استقل نسبياً عن اللغة العامة إلا أنه يغترف منها وينسحب عليها، وألفاظه تكشف عن البعد الفكري والمعرفي لتلك اللغة»¹، وليس بعيداً عن فكرة التخصص، يعرّف المصطلح «بأنه كلمة لها في اللغة المتخصصة معنى محدداً وصيغة محددة وعندما يظهر في اللغة العادية يشعر المرء أن هذه الكلمة تنتمي إلى مجال محدد»² لكن فكرة التخصص تكاد تكون مستحيلة كون العلوم الإنسانية مشتركة المواضيع، ويكمel بعضها بعضاً، فإذا كان بإمكاننا معرفة المجال الذي ينتمي إليه المصطلح فإنه من الصعب تحديد انتماء الموضوع إلى مصطلح ما بسبب التداخل.

وبالرغم من كثرة التعريفات المقدمة للمصطلح إلا أن المتخصصين في علم المصطلح يتّفقون على أن أفضل تعريف أروي للمصطلح هو التعريف الآتي: «الكلمة الاصطلاحية، أو العبارة الاصطلاحية، مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها أو بالأحرى استخدامها وحدّد في وضوح، هو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة وله ما يقابلها في اللغات الأخرى، ويرد دائمًا في سياق النّظام الخاص. بمصطلحات فرع محدد فيتحقق بذلك وضوحاً ضروري»³ غير أن الواقع

¹ - مهدي صالح سلطان الشمرى، في المصطلح ولغة العلم، ط1، جامعة بغداد، كلية الآداب، ص75.

² - محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، د ط، دت، ص111.

³ - المرجع نفسه، ص12.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

مختلف فأغلب المصطلحات في مرحلتنا هذه تتسم بالغموض، ومعظمها يفتقد إلى مقابل في اللغات الأخرى، ليس عجزاً ولكن بسبب غياب الإجماع، الأمر الذي أدى إلى تعدد المصطلحات التي تحمل الدلالة ذاتها.

ولضمان صناعة اصطلاحية ذات جودة عالية، حرص المتخصصون في الميدان على ضرورة مراعاة البعد الزمني في وضع المصطلح العربي مقابل لنظيره الأجنبي (الترجمة)، فنرى "عبد القادر الفاسي الفهري" يحدّر من استخدام المقابلات العربية الواردة في التراث العربي القديم، لأنّ هذا يساهم في خلق غربة في المصطلح العربي بالنظر إلى المدلول الذي يشير إليه المصطلح الغربي، وذلك يعود إلى إسقاطات ظرفية أو ذاتية يقوم بها المترجم، وينتهي إلى إيجاد مناسبات غير قائمة يقول: «تحبينا - بقدر الإمكاني - استعمال المصطلح المتوفّر القديم للتعبير عن المصطلح الداخلي، لأنّ توظيف المصطلح القديم لنقل مفاهيم جديدة قد يفسد تمثيل المفهوم الجديد والمحلي على السواء، ولا يمكن إعادة توظيف المصطلح القديم وتخصيصه إذا كان موظفاً، لأنّ هذا يؤدي إلى مشترك لفظي غير مرغوب فيه بالإضافة إلى سوء الفهم»¹ ويدو الفهري حذراً في هذه القضية لأنّ البيئة مختلفة، والزمان مختلف، والسمّيات القديمة وضعت لأنشئاء بعينها، وعليه فإنّها لا تتناسب ونظيرتها الحديثة وإن تشابهتا أو اجتمعت بينهما مواصفات عديدة فالفارق واقعة لا محالة.

وفي خضم الفوضى التي تشهدها الساحة النقدية في هذه المرحلة، واستجابة للدعوات التي أطلقها المفكرون والنقاد العرب الذين سئموا النقد السائد في المؤسسات الرسمية. عرفت الأوّساط الفكرية غزواً غير مسبوق لأنواع جديدة من النقد، لم تألفه

¹ - الفاسي الفهري، المصطلح اللساني، ص 145، نقلًا عن مجلة عالم الفكر، مج، 20، ع 3، وزارة الاعلام الكويت، 1989، ص 15.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعوين العقول العربية إلّا بعد تشرع الأزمة الثقافية والحضارية التي ألمّت بالأمة العربية، ومع ظهور نقد غير مؤسسي، ظهرت مصطلحات متعددة متداخلة فيما بينها، ولعل ذلك يعود لكونها وليدة الترجمة أحياناً، ولكونها تعبر عن مفاهيم متقاربة أحياناً أخرى، وفيما يلي سنتف على مصطلحين متداخلين محاولين سير أغوارهما ومعرفة الأسباب الباعثة على هذا التداخل.

ثانياً: مفهوم النقد الشفافي:

يغزو مصطلح النقد الثقافي عالم النقد العربي المعاصر، حيث نجد له حضوراً قوياً في مختلف المحافل الفكرية والأدبية للتعبير عن الخطاب النبدي في المرحلة ما بعد الحداثية، ويعدّ النقد الثقافي «نشاط فكري يتجسس إنشاء لغويًا يتتسّب إلى الثقافة culture التي تتحدّد بدورها طبيعته ووظيفته وحدوده، كما تحدّد هويته (...) التي تميّزه عن غيره من ألوان النقد الأخرى، فهو نقد ثقافي cultural criticism إنه موصوف (نقد) تتحدّد هويته بصفة (ثقافي) المستمدّة من الثقافة القومية غالباً بتجلياتها المادية وغير المادية، أو المعنية»¹

ويعود ظهور النقد الثقافي في أروبا، حسب تقدير بعض الباحثين إلى القرن الثامن عشر. غير أنّ بعض التغييرات الحديثة، لاسيما مع مجيء القرن العشرين، أخذت تكسبه سمات محددة على المستويين المعرفي والمنهجي لتفصله من ثمّ عن غيره من ألوان النقد وبالقدر الذي استدعي الإشارة إليه، مع بداية التسعينيات من القرن الماضي، بوصفه لوناً

¹ - عبد النبي اصطفيف، ما النقد الثقافي؟ ولماذا؟! مجلة فصول، مج، 3/25، ع 99، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ربيع 2017، ص 15.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

مستقلاً من ألوان البحث¹ يفتح مجالاً جديداً للإبداع النبوي الحالي من المدح والإطراء الذي سنته المؤسسات الرسمية.

غير أنّ «المؤرخين يعيدون بدايات الممارسة الحقيقة للدرس الثقافي في الغرب إلى أوائل الستينات الميلادية، على أنّ تعريف مفهوم الثقافة كان أصعب ما واجهته هذه الدراسات وقد دخلت المفردة والمفهوم المعجم الانكليزي في حقبة الثورة الصناعية، وتارجح مفهوم الثقافة تبعاً للعلاقة التي تربطه بفكر معين، فإذا كان انتماًءه إلى علم الأنثروبولوجيا فإنه مختلف عمّا إذا انتما إلى الفكر البنيوي أو ما بعد البنيوي، والثقافة لا تستعصي على التعريف وحسب، وإنما تجعل التعريف ذاته انعكاساً مؤسساً (...) للبنية الثقافية ذاتها، وهذا شأن الثقافة بوصفها مؤسسة تخصصية تفرز آليات تجعل من ديمومة الثقافة الخاصة أمراً حتمياً، ليس مستغرباً»²، ولعلّ المفهوم الذي قدّمه إدوارد تايلور Edward Tylor الكتاب الذي سهل الممارسات الثقافية للخطاب، بحصرها في مجالات معينة، يقول «تايلور»: «الثقافة هي المركب الذي يضم المعرفة والاعتقاد والفن والأخلاق والقانون والأزياء وكل الملوكات الأخرى والعادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع»³ ولعله التعريف الأكثر شمولية والأكثر إلاماً بموضوع الثقافة.

والثقافة كما صرّح «ريموند وليامز» Raymond Williams تعدّ من أكثر الكلمات تعقيداً يقول في كتابه «الكلمات المفاتيح»: «هذه الكلمة من اثنين أو ثلاثة كلمات هي الأعقد في اللغة الانجليزية. يرجع ذلك جزئياً إلى تطورها في التاريخ الشائك

¹ - ينظر، ميجان الرويلي سعد البارزاعي، دليل الناقد الأدبي، ص306.

² - ميجان الرويلي سعد البارزاعي، دليل الناقد الأدبي ص140.

³ - طوني بنيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ص 232.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

في عدّة لغات أوروبية لكن السبب الرئيسي هو أنها أصبحت تستعمل لمفاهيم هامة في مجالات ثقافية عديدة وفي نظم تفكير مختلفة بل حتى متضاربة»¹.

وقد كان للدراسات الثقافية الدور الفعال في إرساء دعائم النقد الثقافي فقد سعت "الدراسات الثقافية" cultural studies "منذ بداية السبعينيات إلى استجواب منظومة القيم والأعراف السائدة في الثقافة الغربية ، وقد توصلت بعد البحث العميق في إشكاليات الفكر الغربي إلى أن الثقافة تأسس في سيرورتها على قانون الاستبعاد والاستقطاب ، لذا فإن فهم فقه هذا القانون يستوجب تفعيلاً ملكرة النشاط العقلي لكي يتسعى للناقد الثقافي كشف ممارسات الأنساق الثقافية ونقدها"² بعيداً عن أبواب المدح التي عهدهما الممارسات الثقافية داخل المؤسسات المركزية.

يعّرف "آرثر آيزابرغر" Arthur Asa Berger النقد الثقافي بقوله: «هو نشاط، وليس مجالاً معرفياً خاصاً، بحد ذاته. فنقاد الثقافة، يطبقون المفاهيم والنظريات على الفنون الراقية والثقافة الشعبية، ومهمة النقد الثقافي مهمة، متداخلة، متراقبة، متباينة، متداولة، متعددة. كما أن نقاد الثقافة، يأتون من مجالات مختلفة، ويستخدمون مفاهيم وأفكار متنوعة. وبعمد دور النقد الثقافي أن يشمل: نظرية الأدب، وعلم الجمال، والنقد، والتفسير الفلسفى، وتحليل الوسائل، والنقد الثقافي الشعبي وبعمد دوره أيضاً، تفسير نظريات مجالات: علم العلامات، ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية، والنظرية الاجتماعية والأثنربولوجية ودراسات الاتصال، والبحث في وسائل الإعلام، والوسائل

¹ - ريموند ولیامز، الكلمات المفاتيح، معجم ثقافي ومجتمعي، تر: نعیمان عثمان، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2005، ص116.

² - يوسف علیمات، النسق الثقافي، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، ص.2.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

الأخرى التي تميز المجتمع والثقافة المعاصرة وغير المعاصرة»¹ ولعل النقد الثقافي - من هذا المنطلق - خطاب نقدی متداوّز، على وعي بآفاق التحول الاجتماعي، سمح له مصادره الواسعة بعد جسور المعرفة، بين عناصر الثقافة وبين الخطاب النقدی، وكذا خلق حوار فعال بين مختلف أشكال المعرفة.

وقد عرّفه "عبد الله محمد الغذامي" بالاعتماد على مطاراتات "ليتش" Vincent Leitch B. بقوله: «والنقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد فروع اللغة وحقول (الألسنية) معنى بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسسي وما هو سواء بسواء. من حيث دور كل منهما في حساب المستهلك الثقافي الجماعي»² وكما ييلو فإن "الغذامي" حصر تعريفه في زاوية واحدة تنطلق من اللسانيات، وهذا غير مقبول نظراً للطابع الموسوعي الذي يتميز به النقد الثقافي.

ويرى "مصطفى الضبع" بأن «النقد الثقافي يتميز بطبعه التكميلي، بحيث لا يرفض الأشكال النقدية الأخرى، وفي الوقت نفسه يرفض هيمنتها منفردة،... كما يتميز بصفة (الاكتشاف)، أي اكتشاف جماليات جديدة سواء في النصوص الأدبية أو في الواقع بوصفه نصاً أشمل»³ لأن مهمة النقد الثقافي تكمن في رفع الحجب عن الأنساق الثقافية

¹ - آرثر إيزابرغر، النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2003، ص30، 31.

² - عبد الله محمد الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2000 ص 83، 84.

³ - مصطفى الضبع، مصطفى الضبع، أسئلة النقد الثقافي، مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم، المنيا 23-26 ديسمبر 2003.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

الممررة في الخطابات الأدبية، والتي حالت جمالية اللغة دون كشفها، فالناقد الثقافي يفك الشيفرات مما يدل على قدرته على النفاذ إلى ما يختفي وراء النصوص والخطابات، خاصة وأنه يتميز بالдинامية والفاعلية، وذلك ما يؤكده "عبد القادر الرباعي" من خلال قوله: «إنَّ النقد الثقافي يرصد حراك الإنسان وفاعليته في إبداعاته وإنجازاته بتحطيطات ذكية، ود الواقعية، وموافق فكرية، ونوازع شعورية متنوعة ومعقدة تصدر عنها وتتقاس بها جميع اهتمامات الإنسان وعلاقاته وإنجازاته: مادية كانت أم معنوية»¹ وهو ما تقتضيه طبيعة مرحلة ما بعد الحداثة، حيث تبني النقد الثقافي «دور مساعدة العلوم المتقدمة إلى المقل الاجتماعي وعلوم الإنسان، واستجواب ممارسات النقد الأدبي التقليدية وممارسات النظرية الجمالية ولعب فيها دوراً حاسماً»² مما أتاح للقارئ الانفتاح على عوالم جديدة، لطالما منع الولوج إليها وحتى التفكير في مناقشة قضيائها قبل ظهور النقد الثقافي، حيث تجاوز الشوابت والمقدسات، ولعل هذا ما جعله «من أبرز الاتجاهات النقدية المؤثرة في قراءة الخطابات الأدبية والثقافية في مرحلة ما بعد البنوية»³ هذه الأخيرة التي أعادت الاعتبار للثقافة الشعبية، والثقافات الدنيا، والقصصي والمهمش، ووضعته جنباً إلى جنب مع المركز المتعالي.

هكذا نتبين أنَّ النقد الثقافي استفاد من مختلف المناهج التي عرفتها الساحة النقدية، وذلك بفضل تحول النقد العربي من دراسة الجمالي إلى دراسة الثقافي، فمعلوم أن «لا شيء أزوج للفكر النظري من الثبات إزاء المتغيرات الكبرى التي تحيط تغييراً مماثلاً في

¹ عبد القادر الرباعي، تحولات النقد الثقافي، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص 15.

² حفناوي بعلي، النقد الثقافي المقارن في الخطاب الأردني الفلسطيني، ط1، عالم الكتب الحديث، عمان 2008، ص 201.

³ يوسف عليمات، النسق الثقافي، ص 165.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

القناعات»¹ ففي البداية كان من الصعب تغيير بعض القناعات على مستوى الخطاب الأدبي والنقدية، لكن سرعان ما التحق النقاد بركب النقد الثقافي وذلك بعد نجاحهم في تجاوز بعض المعايير النقدية التي عفا عنها الزمن، واستبدالها بمعايير جديدة تتماشى ومتطلبات المرحلة التي نعيشها، تسمح بمساءلة الصوص والخطابات مسألة واعية وتقدم آراء جريئة من شأنها المساهمة في تغيير المجتمع تغييراً إيجابياً «وقد كشف النقد الثقافي زيف الكثير من الفرضيات المسبقة وهشاشة أساسها، ومسلماًها غير المقودة، فأصبحنا أشدّ وعيَا بدور الثقافة، أي النظام الدلالي في تكوين معرفتنا، بل حتى الكيفية التي بها تتشكل أحاسيسنا وعواطفنا، إنّ سبل فهمنا الصوص ونشاطنا التفسيري، بل وتقيمينا للحس الذوقي والعاطفي أثناء الفهم والتفسير، بل سبل تحدها وتحدها سياقات المؤسسة الثقافية، والتاريخ وال العلاقات بما في ذلك الأفكار»² ويعود ذلك إلى إحاطة الثقافة بكل جوانب الحياة.

وهكذا خرج النقد عن المألوف واتجه إلى اهتمامات جديدة، حيث تردد على الفكر التقليدي السائد الذي تميّز باحترام التخصص والدقّة في معالجة الظواهر الأدبية، ودعا الجيل الجديد من النقاد إلى ضرورة الإمام بكل المناهج واعتماد الكلية كمنطلق جديد يقوم على أساسه كل فكر نceği. فخرج النقد عن الإطار النخبوi ودخل في إطار الهامش وكانت تلك من مقتضيات تلك الفترة التي ظهر فيها هذا النوع الجديد من

¹ محمد جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، الكتابة العربية في عالم متغير واقعها سياقها وبناها الشعورية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2005

ص7.

² حفناوي بعلی، النقد الثقافي المقارن في الخطاب الأردن الفلسطینی، عالم الكتب الحديث، ط1، عمان، 2008، ص201.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعوين

النقد والذي اتفق الدارسون على أن ظهوره كان متزامنا مع ظهور ما يسمى بالدراسات الثقافية، بل ويؤكدون أن هذه الدراسات مهدت لظهوره وعبدت الطريق أمام المنظرين في مجال الدرس الثقافي.

وتجدر الإشارة إلى إن النقد الثقافي «لا يدور حول الفن والأدب، فحسب، وإنما حول دور الثقافة في نظام الأشياء بين الجوانب الجمالية، والأنثربولوجية بوصفه دوراً ينسامي في أهميته ليس لما يكشفه من الجوانب السياسية والاجتماعية فحسب، بل لأنه يشكل الأنظمة والأنساق، والقيم والرموز، ويصوغ وعيها بما، وهنا تتبدي علاقته الأنثربولوجية الرمزية المقارنة التي كانت في بداياتها تعنى بما هو بدائي وغرائي ثم انكمش هذا الدور التقليدي وتم بناء نموذج جديد يسمح بمقاربة أوضاع خصوصية ومحددة غذت الكثير من الخطابات الرمزية حوا الأصالة والحداثة¹، وقد كانت الأنثربولوجيا من بين أهم البحوث التي أسهمت في تحول مسار الحركة النقدية من شقّها الأدبي إلى شقّها الثقافي.

وإذا كان العداء منصوباً بين كل من المناهج السياقية والمناهج النسقية، فإن النقد الثقافي استطاع أن يزاوج بينهما مشكلاً بذلك تخصصاً نقدياً مستقلّاً بذاته، إذ أحد «يسير باتجاه رسم ملامح مستقلة لنفسه، بعد أن كان يقع في دائرة الأبحاث الفكرية، في مقابلة (النقد الأدبي)، حيث يتوجه النقد الأدبي - كما يفترض - إلى مسألة النص بعيداً عن الخارج. وهكذا يسير النقد الثقافي باتجاه الخارج، مستفيداً من العلوم الإنسانية، مع تأكيده المعلن على أنه يقرأ النص من الداخل كخطوة أولى، لكن لا بدّ من توظيف الخارج لتنوير النص. وهنا تقع الإشكالية، أي إلى أي حدّ يمكن للناقد أن يتوسّع نحو

¹ - بشري فالح، بويطيقا الثقافة، نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،

.33 ص 2012

إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر — ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعوين
الخارج»¹ وإنما إن النقد الثقافي يساعل الثقافة فإنه بإمكاننا القول أن الناقد بإمكانه التوسيع
خارج النص وفق ما تسمح به الثقافة من انتشار معرفي.

وقد "كتب أدورنو Theodor W. Adorno مقالته "النقد الثقافي والمجتمع" عام 1949 عندما كان مقيناً في أمريكا. وما يعنيه أدورنو بمصطلح "النقد الثقافي" يحمل محل التناول التقليدي للأدب الذي هاجمه. ولم يكن أدورنو، على عكس لوفتال، مستعداً ليستبدل بهذا التناول للأدب مجرد تناول يعتمد سوسيولوجياً مادية. فقد رأى هذا "النقد المتعالي" خاصةً في افتراضه مدخلًا موضوعياً للمجتمع - إشكاليًا تماماً مثل "النقد الحايث" الذي هو من سمات النقد الثقافي. وهكذا صاغ أدورنو مقالته بحيث تكشف التوتر داخل كل من هذين النوعين من النقد كما تكشف التوتر القائم بينهما². وتعدّ المقالة التي كتبها أدورنو والتي جاءت بعنوان "النقد الثقافي والمجتمع" بمثابة الأكسجين الذي يتغذى عليه هذا النقد، حيث أشار "ميجان الرويلي" و"سعد البازعي" إلى أنه ففي مفتاح مقالته يشير "أدورنو" إلى توجه النقد الثقافي إلى نقد الحضارة الغربية، ثم يؤكّد تناقض هذا النقد لأن الناقد جزءٌ مما ينتقد (الناقد الثقافي غير راض عن الحضارة التي يدين لها بعدم ارتياده، إنه يتحدث كما لو كان يتميّز إلى طبيعة لم يصبها الدنس)، أو إلى مرحلة تاريخية أرقى، مع أنه يتميّز إلى الجوهر الذي يتخيل نفسه متتجاوزاً له³ لكنَّ انتفاء الناقد

^١- عز الدين المناصرة، ادوارد سعيد والنقد الثقافي، مجلة فصول للنقد، ع 64، الهيئة المصرية العامة للكتاب، صيف 2004، ص 127.

² - أندرو إدجار، أدورنو ومدرسة فرانكفورت المبكرة، موسوعة كمبريج للنقد، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 919، مح 9، ص184.

³ - ميغان الرويلي، سعد البازعى، دليل الناقد الأدبي، ص 307.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

إلى الحضارة التي يقوم بنقدها لا يوقعه في التناقض في اعتقادنا لأنّه بقصد محاولة تقييم هذه الحضارة، قصد محاولة تقويمها وليس هدف تجاوزها نحو الامتعول.

وبعد أعوام قليلة من نشره لتلك المقالة و«في منتصف الخمسينات من القرن العشرين نشر "يودور أدورنو" كتاباً بعنوان "نظارات"، وكان ذلك أول الكتب الأربع التي نشرها عن موضوع "النقد الثقافي والمجتمع"، وكانت هذه العبارة هي العنوان الفرعي للكتاب وكذلك عنوان المقالة التمهيدية التي تعرض برناجه»¹. وقد لوحظ أن "أدورنو" غالباً ما يربط الآثار الأدبية في علاقتها بالمجتمع خاصة بالنسبة للدور التبويقي الذي يمكن لهذا الأثر القيام به، حيث «يفسّر ما كتبه عن النقد الثقافي الرعم بأنّ العمل الأدبي يتضمن معرفة في ضوء إمكانية قيام العمل الأدبي بالإفصاح عن الوساطة الاجتماعية وكشفها»² فقد كان العمل بمثابة نقد اجتماعي سلط أدورنو الضوء من حلاله على الثقافة كواقع يمكن تفسيره.

وإذا كان ظهور النقد الثقافي في سنوات السبعينيات، وكان تطوره في أوّله في السبعينيات فإنّ البداية الحقيقة والممارسة الفعلية له كانت في الثمانينيات، تحديداً مع ظهور مجلة متخصصة في المجال الثقافي والتي حملت عنوان "النقد الثقافي"، وكانت تصدر عن جامعة "مينيسوتا" في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد شكلت هذه المجلة «الأرضية العريضة للتفسير الثقافي والتي تحدد حالياً بالتقاء الدراسات الأدبية والفلسفية

¹ - ريتشارد وولين، مقولات النقد الثقافي: مدرسة فرانكفورث، الوجودية، ما بعد البنوية، تر: محمد عناني، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2016، ص11.

² - أندره إدجار، أدورنو ومدرسة فرانكفورث المبكرة، ص184.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

والأنثربولوجية والاجتماعية»¹. وقد اعتبر القائمون على تحرير تلك المجلة (من مثل فريديريك جيمسون وهيدن هوايت، بول بوفى ونعمون تشومسكي وادوارد سعيد، تيري إيجلتون ورمعوند ويليامز ، والرائدتين في مجال النسائيات أليس حاردين وجاياتري سيفاك) أن «الهدف من النقد الثقافي يكمن في التعبير عنه بأقصى قدر من الشمولية على أنه دراسة القيم والمؤسسات والممارسات والخطابات الموروثة في إطار أصولها وتكوينها وأثارها السياسية والاجتماعية والحملية»².

وبعد أدورنو ظهرت كتابات شتى في ميدان النقد الثقافي لكن أبرزها كان «كتاب "يورغن هابرمان" المعون بـ "الحافظون الجدد: النقد الثقافي والخطاب التاريجي" ولكن هابرمان لم يخرج عن الإطار الذي وضعه أدورنو في مقالته "النقد الثقافي والمجتمع"، كما تعد الدراسة التي قدمها الناقد الأمريكي "هيدن وايت" والمعونة بـ "بلاغيات الخطاب: مقالات في النقد الثقافي" من أهم الدراسات التي يعتدّ بها في هذا المجال" فقد أشار وايت إلى أن الخطابات الموظفة في العلوم الإنسانية تقوم على بلاغيات لا تختلف كثيراً عما يعتمد عليه الأدب واضح أنه اعتبر تحليله لذلك التداخل الخطابي نوعاً من النقد الثقافي»³ لكن كل تلك الأعمال كانت تفتقد للترابط المنهجي بين الموضوع والمصطلح -كما أكد ميجان الرويلي وسعد البازعي- غير «أن العمل الأكثر اتصالاً بالموضوع من الناحية المنهجية والاصطلاحية جاء في جزأين عنوان الأول منهما: كلاسيكيات النقد الثقافي 1990، وفي مقدمة ذلك الجزء يشير المحرر إلى أن النقد الثقافي

¹ - فسينت ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، تر: محمد يحيى، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص410.

² - فسينت ليتش، المرجع السابق، ص.41

³ - ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص307.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ----- ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

في بريطانيا، الذي يعود إلى القرن الثامن عشر، تطور مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ليتصل بالنشاط الاستعماري للإمبراطورية البريطانية: «لقد أدعى [أي النقد الثقافي] لنفسه مسؤولية تشكيل ثقافة قومية عامة على نحو شكل نقطة إحالة مرجعية للتنافس الاستعماري حوالي 1900 وما بعدها»¹، وهذا ما يعكس ثقافة التعالي التي تميز المجتمعات الأوروبية، وهنا يبرز الطابع السياسي الذي يتميز به خطاب النقد الثقافي، وهذا ليس بالأمر الغريب فهذا الخطاب ينتمي إلى ما بعد الحداثة، و«المابعد حدائي» لا يقدر أن يكون إلا سياسياً»² على حد تعبير الناقدة «ليندا هتشيون»، وإذا سلمنا بهذه المقوله فإننا سندخل الأدب السياسي في إطار الخطاب القدسي الثقافي، هذا الأدب الذي يتميز بقدرته على حمل الغث والسمين من الأفكار التي تتبع عن مختلف الأحزاب والتيارات المعادية لأنظمة السياسية الحاكمة.

ويعد «ليتش» أول من صاغ نظرية النقد الثقافي وذلك من خلال كتابه «ما بعد البنية: النظرية الأدبية والنقد الثقافي»، حيث ركز فيه على الأدب في علاقته بالنقد الثقافي يقول: (إنّ الأدب بالنسبة للنقد الثقافي «مصطلح وظائي متغير»)، كما أنه (تشكيل اجتماع-تاريخي)³، ويعود ليتش سنة 2003 إلى هذا الإيضاح: أن «النظرية» في سياقها المعاصر تحيل إلى كيان من النصوص، قديمة وحديثة، معنية بالشعرية، [التعليق على النص]، ونمادجه الثقافية، ويقترح أن نضيف إلى هذه القائمة: السيمائيات ووسائل

¹ - المرجع نفسه، ص 307.

² - ليندا هتشيون، سياسة ما بعد الحداثة، تر: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، سبتمبر 2009، ص 13.

³ - محمد جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، ص 19

إشكالية تداخل المصطلح في القد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر
الاتصال والخطاب، والشفرات الخاصة بالعنصر والطبقة والجنوسة، وبالثقافة المرئية
والشعبية»^١.

وانطلاقاً مما قدّمه "ليتش" نستطيع أن نتبين خصائص النقد الثقافي، لكن من الضروري أن نشير إلى إنّ "ليتش" يهتم بالنقد الثقافي في إطار ما بعد البنوية وكذا ضمن طروحات النقد الجديد فقط، ويمكن إيجاز تلك الخصائص فيما يلي²:

- لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسسي للنص الجمالي، بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب حساب المؤسسة.
- من سفن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل المعرفية من مثل تأويل النصوص ودراسة الخلافية التاريخية، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسسي.

- تركيز الجوهرى على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوصي، كما هي لدى بارت، وديريدا، وفووكو خاصة مقوله "ديريدا" أن لا شيء خارج النص، وهي مقوله يصفها "ليتش" بأنها بمثابة البروتوكول للنقد الثقافى المابعد بنوي، ومعها مفاتيح التshireح النصوصي كما عند بارت، وحفريات فوكو.

وتحدر الإشارة إلى إنّ إمام النقد الثقافي ب مختلف الاتجاهات والمناهج كان المدف من ورائه «الوصول إلى أكبر قدر ممكن من التعمق في التحليل، ومحاولة ربط هذه الأفكار بمشكلات التغيير الاجتماعي والتثقافي في العالم المعاصر وقضاياها مع الأخذ في الاعتبار، في كثير من الأحيان، متطلبات المستقبل وفي الوقت نفسه عدم إغفال البعد التاريخي فيما يعرف باسم (جيناليوجيا الثقافة) Genaealogy of culture كما تمثل

¹ - محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الشفافي، ص 20.

² - عبد الله محمد الغدامي، النقد الثقافي، ص 32.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ----- ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

في تفكير نيتشه ثم في أعمال ميشيل فوكو ومن بعدهما بعض مفكري ما بعد الحداثة من أمثال جان بودريار وفرانسوا ليوتار...¹ ومن سار على دربهم، حيث اهتموا بمناقشة القضايا الاجتماعية الحساسة، التي أثرت على المجتمعات العالمية والتي كان الخوض فيها منوعاً: كالاهتمام بعادات الشعوب البدائية، والأمراض الحديثة، وقضايا المرأة، محاولين بذلك خلق عالم مختلف عن العالم القديم الذي أنهكته الحروب والصراعات الطائفية.

لكن بالرغم من الطابع الشمولي الذي يعدّ خاصية أساسية تميّز النقد الثقافي إلى أنّ أدورنو «يشير إلى تناقض داخل مفهوم "الناقد الثقافي"»، فالشخص الذي يبدو ناقداً للثقافة، هو أيضاً، كما يكشف هذا التفسير التاريخي ومفهوم الوساطة، نتاج لتلك الثقافة، قد يفهم، التناقض على أنه ذلك التناقض بين العمل الفني ذاته الذي يقيمه الناقد وبين المجال الثقافي العام الذي يمدّ الناقد بالمعايير القيمية. إذا أخذنا في الاعتبار التشريع الذي يتسم به المجتمع المعاصر (والذي به تعيد الأفكار جميراً إنتاج العقلانية الاقتصادية)، فالناقد، بافتراضه نسقاً موضوعياً يمكنه من الحكم على أعمال بعينها بمعايير يفترض بسذاجة أنها عامة وكونية، فإنه يضع تلك الأعمال داخل النظام الاقتصادي تماماً كما يفعل عالم الاجتماع الثقافي (أو المدافع عن الواقعية السوفيتية)². ولا يتعلّق الأمر بالمفهوم فقط بل يتعدّاه إلى المصطلح، ولا يتحدّث عن أي مجتمع وإنما يخصّ المجتمع الألماني، ومعلوم أنّ ألمانيا هي الحاضن الأول لهذا النقد في رحاب مدرسة فرانكفورت، كما أنّ المنهج الغالب والمتبّع هناك هو منهج الاقتصاد السياسي «فعلى سبيل المثال نرى

¹ - مجموعة من المؤلفين، التحليل الثقافي، تر: فاروق أحمد مصطفى وآخرون، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009، ص.8.

² - إندره إدغار، أدورنو ومدرسة فرانكفورت المبكرة، تر: عزة مازن، موسوعة في النقد، ع.9، ص.184، 185.

إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلي لعوين
أنّ أدورنو يجد أنّ مصطلح "النقد الثقافي" نفسه يتضمن إشكالية أساسية. ويرجع ارتياه
فيه إلى خصائص السياق الألماني حيث نجد في الصورة الألمانية لهذا المصطلح
أصداء لقيم الموظفين المهنيين، أو قيم "الإنسان غير السياسي" الذي وصفه
توماس مان (Man) في المقال الذي نشره عام 1916¹ والذي كان يهدف إلى إعادة
إنسانية الإنسان الذي أفقدته إياها الصناعات التقنية الحديثة.

وهنا نستطيع أن نتبين أنّ المصطلح يعني من عدم الدقة حتّى في بيئته المنتجة وليس فقط في الساحة العربية التي تلقتها، وكون الناقد جزء من الثقافة التي ينقدّها فإنه بقصد ممارسة ما يعرف بالنقض الحضاري في الوقت ذاته، لأنّ الناقد ليس بقصد نقد الأنساق المهيمنة على الخطابات فقط، بل بقصد نقد التطورات والأحداث التي تشهدّها المجتمعات أيضاً.

ثالثاً: النقد الحضاري:

النقد الحضاري هو مصطلح ظهر أول مرة مع الناقد الفلسطيني "هشام شرابي" في كتاب له بالعنوان نفسه، والذي رصد من خلاله آراء مختلف المثقفين والمفكّرين الذين حملوا على عاتقهم هموم الوطن العربي، كما قام بتحليل واستقراء أفكار النقاد الذين مارسوا النقد الحضاري حسب رأيه من أمثال: محمد عابد الجابري، هشام جعيط وغيرهم، أي أنه النقد الذي يحاول الإجابة عن السؤال الذي شكل هاجساً عند المفكّرين العرب خاصة مع تفاقم الأزمات العربية؛ لماذا تأخر العرب وتقدم غيرهم؟ وإذا جاء المصطلح مع "هشام شرابي" فذلك لا يعني أنه الوحيد الذي مارس النقد على مستوى الحضارة، فالنقد الحضاري «هو نشاط عقلاني يهتم بتحليل التغيرات والتحولات التي تطرأ على مفاهيم الخطاب وقضاياها وأحداثها وإشكالياتها، ويستعيد

¹- ريتشارد وولين، مقولات في النقد الثقافي، ص 11.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

خلاصات الفكر الإنساني لإعادة فهم الحدث في الخطاب من منظور حضاري¹ فالحضارة إذن هي المعيار الذي ينبغي أن يخضع له التحليل حتى يتسع للباحث النجاح في عملية القراءة وكذا إعادة مناقشة القضايا بطرق مختلفة عن سابقاتها.

وبالرغم من أنّ الأفكار التي قدّمتها المفكّرون كانت تهدف إلى تحسين الظروف الاجتماعية والسياسية في المجتمعات العربية إلا «إن النقد الحضاري لا يستطيع بحد ذاته تحقيق أي شيء على صعيد الممارسة المباشرة لكنه يسلط الضوء على الواقع وتاريخه ويكشف عن حقيقته الظاهرة والخلفية ويخطط أساليب ومتطلبات تجاوزه راسماً الخريطة الفكرية التي تضيء سبل الفكر والممارسة معاً. بهذا فإن النقد الحضاري يشكل الشرط الأساسي لعملية التغيير الاجتماعي وهو الخطوة الأولى لأية حركة اجتماعية جدية ترمي إلى استئصال الأبوية من مجتمعنا وإلى السير به نحو مستقبل آخر يقرره أبناءه المتسلطون عليه أو القلة المنتفعه به»². والأبوية هنا مصطلح يرمز إلى الأفكار البدائية والبدع والخرافات والعادات البالية التي تفرض سلطتها على المجتمع وتقف في طريق نوّه، وليس إلى سلطة الأب داخل الأسرة، إنّه يرمز إلى ضرورة التمرّد على كل ما من شأنه أن يعيد الفكر إلى الخلف، إنّ «النقد الحضاري هو نقد الأفكار الثابتة التي تعيق حركة الفكر والتاريخ، ولم تفسح المجال أمام حركة العقل لكتابه تاريخ جديد ومتائق للتفكير، فالآفكار المتشائمة تعوق دائماً حركة التقدم والارتقاء الحضاريين؛ لأنّها تعمل ضدّ المستقبل،

¹- عبد الفتاح أحمد يوسف، النقد الحضاري للخطاب، تحولات السؤال النبدي من المقتضى اللغوي إلى الرهان الحضاري، ابن النسيم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروايد الثقافية، بيروت، ط1، 2017، ص 33.

²- هشام شرابي، النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة، دط، دت، بيروت، ص 11.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

وتتضمن عدم الاعتراف بالنقلات والتحولات الحضارية، وتسعى في ممارستها إلى إيقاف حركة التاريخ عند مرحلة فكرية معينة، ثم العمل على إعادة إنتاجها في العصور التالية؛ وذلك بالاعتماد على خطاب فكري، ومساندة من المؤسسة الثقافية والإيديولوجيات السائدة»¹.

ويرى "هشام شرابي" أنّ «مهمة النقد الحضاري تتعدّى نقد الفكر المجرّد ونظرياته وقدّف إلى كسر الدائرة المفرغة التي عاشهما المجتمع العربي في المائة سنة الأخيرة، تناقضًا مستمراً بين القول والعمل وحالة ميتة من العجز والشلل»². ونعتقد أنه واعتماداً على ما جاء في "النقد الحضاري" لهشام شرابي" استطاع الباحث "أحمد بوقري" أن يبيّن هدف النقد الحضاري والذي يتمثّل حسب رأيه في «بلورة مفاهيم وصيغ فكرية تخلخل الخطاب السائد الذي يحجب الواقع ويحوّه حقيقته ويقيم بوجهه خطاباً مضاداً يكشف حقيقته ويحدد طرق ووسائل تغييره»³ وهنا تكمن أهميته الكبيرة في الخطاب الناطق العربي، والتي «تتمثل في إنفاذ السؤال الناطق من جميع ثناياه التي اشتغل عليها، ويضعنا أمام غنى الوعي المتعالي في الكشف عن تحولات الفكر في الخطاب، والكشف عن أسباب التقدم والتراجع، عن قدرة الخطاب الناطق على تجاوز الفكر الأحادي؛ لأنّ نقد يخضع تجربة المفهوم في الخطاب الإبداعي للوعي الإنساني؛ وذلك لتجديد المعنى القبلي للمفهوم، فيغدو لكل مفهوم مفاجأته في تشكيل المعنى، يغيّر شكل العالم من قدمه إلى

¹ - عبد الفتاح أحمد يوسف، النقد الحضاري للخطاب، ص 54، 55.

² - هشام شرابي، النقد الحضاري، ص 93.

³ - أحمد بوقري، السيف والتدى : ممارسات في النقد الحضاري، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الدمام 78.2010.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

تحضره وارتقاءه»¹ ومنه يتضح أنّ النقد الحضاري يسعى إلى التغيير بالدرجة الأولى، وينطلق في عملية التغيير من الخطاب السائد فيعيد قراءته، ويعيد تشكيله وبناءه، بالأحرى يقوم بتفكيكه ويعيد كتابته بالشكل الذي يتماشى مع متطلبات عصره. واعتماداً على المفهوم الذي قدّمه "شراي" يمكننا أن نكتشف وجود هذا النمط من النقد عند "مالك بن نبي" حيث مارس النقد الحضاري بكلّ مقاييسه، وكان العنوان الرئيسي لكلّ مؤلفاته والتي تتجاوز العشرين "مشكلات الحضارة" وكانت في مجلتها - وبغض النظر عن عناوينها الثانوية - لا تخرج عن إطار التعطش إلى الحضارة، وذلك لأنّه كان حريصاً على مستقبل الأمة العربية، وكان "مالك بن نبي" على وعيٍ تام بالأزمة العربية التي مسّت كلّ الحالات، ورغبة منه في تحسين الأوضاع قام بتحليل الواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ووقف على الظواهر الإيجابية والسلبية وتناول الأشياء في كنهاها لا في مظاهرها وقدّم مجموعة من الحلول التي رأى فيها الخير العميم، حيث جعل من الإنسان والترباب والوقت شروطاً أساسية للالتحاق بالركب الحضاري، وتفاعل كثيراً في تغيير المجتمع العربي نحو الأحسن، فترك رصيداً معرفياً يشكل منهاجاً قوياً يستطيع كلّ غيور على الأمة الإسلامية أن يسير وفقه آمناً لأنّه يقوم على الفكرة الدينية الحالصة بعيدة عن التيارات والأحزاب التي تدعو إلى التشدد وتفسر الدين الإسلامي تفسيراً سلبياً.

وقد كتب مالك بن نبي في بداية كتابه "شروط التّهضمة" أغنية رمزية وهي عبارة عن كلمات تدعى إلى التفاؤل والعمل الجاد قصد تكوين مجتمع متحضر يقول مثلاً:

- ابنر يا أخني الزارع، من أجل أن تذهب بذورك بعيداً عن حقلك، في الخطوط التي تتناءى عنك... في عمق المستقبل.

¹ - عبد الفتاح أحمد يوسف، النقد الحضاري للخطاب، ص36.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سيرة فرطاس ود. ليلي لعویر

● ها هي بعض الأصوات تهتف. الأصوات التي أيقضتها خطواتك في المدينة، وأنت منقلب في كفاحك الصباغي. وهؤلاء الذين استيقظوا بدورهم، سيلتهم شلهم معك بعد حين.

● غنّ يا أخي الزارع. لكي تهدى بصوتك هذه الخطوات التي جاءت في عتمة الفجر، نحو الخط الذي يأتي من بعيد.

● وليدوّ غناوak البهيج. كما دوّى من قبل غناء الأنبياء، في فجر آخر، في الساعات التي ولدت فيها الحضارات¹. وهذه الأغنية الرّمزية في الواقع هي نداء إلى كلّ فرد عربي بالعمل الصالح والجاد من أجل تحقيق نتائج تعود على الأمة بالخير.

وقد وضع "مالك بن نبي" خططاً من حلال مشروعه ويتمثل في: ناتج حضاري=إنسان+تراب+وقت²، هذه الثلاثية هي جوهر فكر مالك بن نبي الذي حاول من خلاله بناء حضارة جديدة، وهي الشروط الأساسية التي قرّها "مالك بن نبي" لقيام حضارة ما فهي تقتصر على "الإنسان" "التراب" و "الوقت" وفي هذا السياق يعرف الحضارة بقوله: «الحضارة هي مجموعة الشروط المعنوية والمادية التي تتيح مجتمع معين أن يقدم لكلّ فرد من أفراده، في كلّ طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه»³ فالفرد الذي يعيش خارج إطار الحضارة يعتبر وجوده هامشياً.

¹- مالك بن نبي، شروط النّهضة، تر: عمر مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ص 17

²- مالك بن نبي، شروط النّهضة، ص 41.

³- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، إشراف: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق، ط 1، 1991.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعوين

ويرى "مالك بن نبي" بضرورة تكوين أفراد مختصين في السير بالركب الحضاري نحو الأمام يقول: "يجب أن نصنع أولاً أن نصنع رجالاً يمشون في التاريخ، مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبيرى"¹ ولعل التعليم هو أول ما يمكن الاعتماد عليه في ذلك لأن ضمان تعليم حسن للأفراد كفيل بصنع الحضارة التي يحلم بتحقيقها كل فرد في المجتمع العربي.

من خلال الاطلاع على الممارسة النقدية الحضارية عند "مالك بن نبي" نتبين أن هذا «النقد للحضارة ليس دعوة لرفضها، فالحضارة لا يمكن رفضها حتى لو رغبنا في ذلك، إنما الشيء الوحيد الضروري والممكن هو أن نختم الأسطورة التي تحيط بها. فإن تحطيم هذه الأسطورة يزيد من أنسنة هذا العالم وهي مهمة تتسمى بطبيعتها إلى الثقافة»² فلا بدّ من استعادة الثقة بالنفس التي فقدتها المجتمعات العربية، وذلك من أجل القضاء على فكرة أن الآخر أفضل، وأنه يمثل القوة والغلبة ونحن مثل الضعف، إن البناء الحضاري ينطلق من استعادة ذاتنا ومواجهة الآخر بكل ثقة.

وفي خضم التطور الذي تشهده الحضارة لا بدّ أن نشير إلى أن «التقدم الحضاري يتطلب إعادة النظر في المنجز المعرفي للحضارة؛ ليس لأنّ حقائق وأفكاراً كثيرة قد اكتشفت على مر الأيام، ولكن لظهور وجهات نظر عديدة ومتعددة تلوح في أفق البحث العلمي من حين لآخر...قادرة على إعادة تأمل العالم وفهمه في سياق معرفي مختلف»³ يتميّز بالتمرّد والمغايرة، ولعل التركيز على المنجز المعرفي للحضارة ينبع من كون المعرفة

¹ - المرجع نفسه، ص 75.

² - علي عزّت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، تر: محمد عدس، ط 1، مؤسسة العلم الحديث، 1414 هـ، 1994 م. ص 133.

³ - عبد الفتاح أحمد يوسف، النقد الحضاري للخطاب ص 21.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

هي القوة التي تبني عليها كلّ حضارة، فالحضارة لها متطلبات كثيرة يمكن احتزامها في ما حققته المعرفة من تطور.

ويرى "ميجان الرويلي" و"سعد البازعي" أنّ ما دعا إليه "هشام شرابي" من نقد حضاري، وما دعا إليه ناقد مثل شكري عياد من نقد حضاري أيضاً، وما قدّمه ناقد مثل عبد الوهاب المسيري في مجال التّحبيز كلّ ذلك يندرج في إطار النّقد الثقافي¹. من هذا المنطلق يبدو أنّ النقد الحضاري هو نفسه النقد الثقافي على الأقل بالنسبة إلى ميجان الرويلي وسعد البازعي، لكننا نعلم أنّ الثقافة تتميّز بالثبات بينما الحضارة متغيرة متطرفة وعليه فإنّ النقد الثقافي يعالج الثوابت أما النقد الحضاري فيحرص على مواكبة التغيير الحضاري.

هناك قواسم مشتركة كثيرة بين المصطلحين، فمثلاً إذا «كان النقد الثقافي يهدف إلى الكشف عن الأنماط الثقافية في الخطاب، فإنّ النقد الحضاري يناقش أسباب التقدم والتراجع الحضاري في الخطاب؛ وذلك من خلال البحث في ماهية موضوعات الخطاب وطبيعتها، وأسباب حضورها على نحو ما في الخطاب، ومن ثمّ إفساح المجال أمام الاعتبارات التاريخية والمادية والجمالية، لدراسة موضوعات الخطاب»² إنّ كل من النقد الثقافي والحضاري يعالجان نفس القضايا ولكنّ الطرق والوسائل تختلف.

وإذا كان النقد الثقافي يدعو إلى القضاء على الأيديولوجيات فإنّ «النقد الحضاري يؤذن بخسوف الأيديولوجيات وإشراق فكر حضاري جديد، فالأدب ليس تراكماً من الاندفاعات الإبداعية الملتزمة والقوانين الشكلية فحسب، بل هو أيضاً نسيج من علاقات المفاضلة بين الوعي والواقع، بين حيز المفهوم بمرجعياته الأيديولوجية (الخبرة

¹- ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص309.

²- عبد الفتاح أحمد يوسف، النقد الحضاري للخطاب ص23.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعوين

الثقافية او المعرفية او الجمالية للمفهوم) و مجال الخطاب باستعاراته الحضارية وافتتاحه على مرجعيات متعددة¹ وهذه نقطة أخرى يشترك فيها النقد الثقافي والنقد الحضاري حلى حد سواء.

ويبرز التداخل أكثر في مهمة أخرى يشتراكان فيها، وهي التعامل مع الأنساق داخل الخطاب، حيث «يمتلك النقد الحضاري مهارة غزو الخطاب ونقد مفاهيمه وأنساقه بما لها من قدرة على تزييف الوعي، ومن ثمة يتتحول الخطاب النقدي من مجرد خطاب يهتم بأدبية الخطاب، وبلامخته، ولسانياته.. إلى قوة فكرية تسعى إلى تحرير الإنسان من سيطرة الأنساق الثقافية وحرّاسها من أهل الحلّ والعقد، وكشف زيفها وعدم صلاحيتها لكلّ العصور»² وهذه المهمة التي أوكلت للنقد الحضاري هي مهمة أساسية للنقد الثقافي أيضاً.

لقد سبق وأشارنا إلى الطابع الشمولي الذي يتسم به النقد الثقافي، وهو الطابع الذي لا يمكن عدم ملاحظته في النقد الحضاري، حيث بعد هذا الأخير ملم بدراسة سلوكيات الإنسان داخل المجتمع ومهتم بدراسة الصلة بين الإنسان وحضارته، أي بين الحضارة وصانع الحضارة، وعليه يمكن التأكيد بأنّ النقد الحضاري «لا يقتصر على وصف قضايا الخطاب و دراستها فحسب، بل ينظر إلى الحضارة بوصفها جزء لا يتجزأ من الوعي الإنساني؛ ومن ثمة يبحث عن أوجه الشبه والاختلاف بين مظاهر الثقافة الخارجية، ووعي الإنسان بهذه المظاهر وطرائق تعبيره عنها في خطابه الإبداعي»³ وكل

¹ - عبد الفتاح أحمد يوسف، نفسه، ص 34.

² - عبد الفتاح أحمد يوسف، النقد الحضاري للخطاب، ص 35.

³ - عبد الفتاح أحمد يوسف، نفسه، ص 20.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

هذا هو نتيجة تفاعل بين الفكر الإنساني والممارسة النقدية في إطار الثقافة، واستثمار الجهود النقدية لتحقيق التغيير الاجتماعي.

ومن أجل الوصول إلى كنه التداخل الموجود بين المصطلحين، ارتأينا أن نقدم مفاهيم كل من الثقافة الحضارة والوقف على التداخل بينها لأن كلّ مصطلح يستمد ميزاته من الحال الذي يدرسه، فهل التداخل بين النقد الثقافي والنقد الحضاري مستمد من التداخل الموجود بين الثقافة والحضارة؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه فيما يلي.

- مفهوم الثقافة:

حظي مصطلح "ثقافة" باهتمام يكاد يكون مفرطاً من قبل المفكرين والعلماء لأنّه يعدّ في حد ذاته إشكالية أقضت فكرهم، فهي كلمة في غاية التعقيد، وقد يُبيّن "رايموند ولیامز" مدى انزعاجه من الاستعمالات العديدة لهذه الكلمة قائلاً: "لا أعرف كم مرة تمنّيت لو أُتيت لم أسمع بهذه الكلمة اللعنة"

لغة: ثقف الشيء ثقفاً وثقوفة، حذقة، وثقف وثقف وثقف حاذق فهم

... ويقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم.¹

-اصطلاحاً: الكلمة «"ثقافة culture» من ناحية الأصل اللغوي مرتبطة بكلمة

"عبادة وهي باللاتينية "cultus" وهم ذو أصل مشترك في الكلمة الهندوأوروبية² . وقد انتقلت هذه اللفظة من الفرنسية إلى الألمانية بمعناها هذا في أواخر القرن الثامن عشر بشكل culture ثم kulture . وأخذ هذا المعنى يتطور عند الفلاسفة وعلماء الاجتماع والمؤرخين، ويبتعد عن دلالات الإنماء أو التحسين الفردي، ويتحول إلى

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة "ثقف"، منشورات محمد علي بيضون، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 492.

² علي عزّت بيحوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ص 94.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

أحوال الأقوام بمجموعها « وغدت هذه اللفظة تطلق على مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات »¹ وهذا هو أصل المعنى الاصطلاحي الذي تحتوي عليه كلمة *culture* اليوم عند علماء الاجتماع والأنثربولوجيا.

والتعريف الذي قدمه تايلور عن الثقافة -الذي أشرنا إليه في البداية- يعد النموذج، بل والمنبع الذي استقى منه معظم العلماء كل المفاهيم التي قدّموها حول الثقافة، فكل المفاهيم لا تخرج عن إطاره ومهمما حاولت الخروج عنه فإنّها تلجم إلينه في النهاية، ويعرفها "مالك بن نبي": « فالثقافة هي تلك الكتلة نفسها، بما تتضمنه من عادات متجانسة وعقريات متقاربة، وتقالييد متكاملة وأذواق متناسبة. وعواطف متشابكة. وبعبارة جامعة: هي كل ما يعطي الحضارة سماتها الخاصة. ويحدد قطبيها: من عقلية ابن خلدون. وروحانية الغزالي. أو عقلية ديكارت. وروحانية جان دارك. هذا هو معنى الثقافة في التاريخ»²

-مفهوم الحضارة:

لغة: الحضارة: الحضور نقىض المغيب والغيبة، حضر يحضر حضورا وحضارة، والحضر نقىض خلاف البدو.

والحضارة: الإقامة في الحضر، وكان الأصمسي يقول: الحضارة بالفتح.³
أما في اللغة الفرنسية « ظهرت كلمة "Civilization" بالفرنسية سنة 1734، وأصلها واضح : فهي تنحدر مباشرة من صفة *Civilisé* (متحضر) في القرن السابع

¹ - حسن اسماعيل، الدلالات الحضارية في لغة المقدمة عند ابن خلدون، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2007، ص 37.

² - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة ص 77.

³ - لسان العرب، مادة "حضر" ص 609.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

عشر»¹ كلمة حضارة civilisation فمتصلة بكلمة civis وطن أم مواطن »² وأقدم تعريف لها هو تعريف العلامة عبد الرحمن بن خلدون (ت 808 هـ) فهو يرى: «أن الناس حين تخطوا في كسبهم للمعاش ما هو ضروري وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفاه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتائق فيها وتوسيعة البيوت واحتاط المدن والأماكن للتحضر. ثم تزيد حالة الرفاه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التائق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالاة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها والانتهاء في الصنائع في الخروج من القوة إلى غايتها فيتخلدون القصور والمنازل ويُحررون فيها المياه ويعالون في صرحها ويبالغون في تنجيدها وينختلفون من استجادة ما يتخلدونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون. وهؤلاء هم الحاضر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان»³.

ويعرفها حسن إسماعيل بقوله: «الحضارة هي حياة المجتمع المتمثلة في نظمه ومؤسساته وفي مكاسبه وإنجازاته، وفي القيم والمعاني التي تنطوي هذه الحياة عليها. ولهذه الحياة شروط لا تقوم إلا بها، ومن أهمّها: الاستقرار والتعاون والكتابة وبناء المدن، والدولة بما تمثله من جهاز للحكم»⁴

¹ - رولان بريتون - جغرافيا الحضارات - تعریف خليل احمد خليل - منشورات عويدات، بيروت باريس - الطبعة الأولى 1993.

² - علي عزّت بيحوفيتش، الإسلام بين الشوق والغرب، ص 94.

³ - عبد الرحمن بن خلدون - المقدمة - دار الجيل، بيروت - دون تاريخ - ص 132

⁴ - حسن إسماعيل الدلالات الحضارية في لغة المقدمة عند ابن خلدون، ص 37.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ----- ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

أمّا عارف نصر محمد فيعرّفها قائلاً: «هي الحضور والشهادة بجميع معانيها التي ينبع عنها نموذج إنساني يستبطن قيم التوحيد، والربوبية، وينطلق منها كبعد غني يتعلق بروحانية خالق هذا الكون ووضاع نوميسه، وستنه المتحكم في تسييره، ومن ثم فإن دور الإنسان، ورسالته هي تحقيق الخلافة عن خالق هذا الكون في تعمير أرضه، وتزجية[تسيير] معاش الناس فيها، وتحقيق قائم التمكين عليها»¹.

أمّا العلّامة "البشير الإبراهيمي" فهو يرى أنّ «الحضارة هي في الحقيقة تراث إنساني تسلّمه أمّة إلى أمّة، وتأخذه أمّة عن أمّة فتزيد فيه أو تنقص منه بحسب ما يتّهياً لها من وسائل وما يؤثّر فيها من عوامل ...»²، ولعلّ هذا التعريف هو الأكثر ملاءمة لمفهوم الحضارة التي يتخذها النقد الحضاري موضوعاً حيوياً للدراسة.

ومن الملاحظ أنه قد اختلف الباحثون الغربيون الذاهبون لهذا المذهب في تسمية هذا وذاك من الصنفين المذكورين بـ (culture) و(civilisation) فمنهم من أطلق الأولى على جموع المظاهر العقلية، والثانية على المظاهر المادية، ومنهم من عكس هذه التسمية.³ على غرار "تايلور" في كتابه الثقافة البدائية.

وكثيراً ما لعبت الترجمة لعبتها في جعل المصطلحين مصطلحاً واحداً، حيث «برز استخدام اللفظ العربي "حضارة" مقابل اللفظ الانكليزي "culture" في كتابات علم الاجتماع والأثنروبولوجيا العرب وترجماتهم للمؤلفات الأوروبية في هذين الحقولين، ومن

¹ - عارف نصر محمد، الحضارة الثقافة المدنية، ط1، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1414هـ، 1994م، مج1، ص59.

² - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ج1، ص374.

³ - حسن إسماعيل، الدلالات الحضارية في لغة المقدمة عند ابن خلدون، ص39.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

ثم فقد شاع الحديث عن مفهوم الحضارة والمقصود به الـ "culture" في المدلول الأوروبي، فنجد مثلاً الذين ترجموا كتابات كلايد كلو كهولن، ورالف لنتون ولويس مورغان وجوردن تشايلد... إلخ استعملوا في ترجماتهم لفظ حضارة كترجمة لـ "culture" ويلاحظ هؤلاء المترجمون عندما يتعرضون للفظ الأوروبي "culture" يطلقون عليه لفظ الأوروبي مدنية»¹ ولعل ذلك يبرر التعبير عن النقد الحضاري بمصطلح النقد المدني أحياناً.

وليس بعيداً عن الترجمة دائماً بحد "إحسان محمد الحسن" مترجم معجم علم الاجتماع لدينا متسلل يعرب مادة "Culture" تحت عبارة "الحضارة". وهكذا تزاحت العبارتان "الحضارة" و"المدنية" في الكتابات العربية المعاصرة للدلالة على معنى واحد أو على معانٍ متداخلة. فيقول "جميل صليباً" مثلاً في معجمه الفلسفي: «الحضارة بمعنىً ما مرادفة للثقافة. إلا أن هذين اللفظين لا يدلان عند العلماء على معنى واحد، فبعضهم يطلق لفظ الثقافة على تنمية العقل والذوق، وبعضهم يطلق لفظ الثقافة على مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات. وكذلك لفظ الحضارة، فإن بعضهم يطلقه (...) على حالة من الرقي والتقدم في حياة المجتمع بكاملها. وإذا كان بعض العلماء يطلق لفظ الثقافة على المظاهر المادية، ولفظ الحضارة على المظاهر العقلية والأدبية، فإن بعضهم الآخر يذهب إلى عكس ذلك ...»² ولكن بالرغم من ترجمة مصطلح civilisation الغربي إلى "ثقافة" العربي إلا أن الفروق تبقى قائمة، ويقى المصطلح غير دقيق، إضافة إلى أنه يمتد إلى كل المعرف التي تتصل بهذا المصطلح.

¹ - المرجع نفسه، ص 37.

² - جميل صليباً - المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية - دار الكتاب اللبناني - مادة «الحضارة».



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

وقد أطلق "ألفرد فيبر" Alfred Weber مصطلح "Civilization" على "نموج" فروع المعرفة وتقدير سبل السيطرة على القوى الطبيعية، ذلك التقديم المتماسك الذي له نظام منتظم ينتقل من شعب إلى آخر، ويفرق بين هذه الظاهرة والظاهرة التي يصنفها تحت اسم "Culture" التي "لا تسير في خط واضح المعالم كما تسير عملية المدينة"¹ ونظراً للخلط الكبير بين المصطلحين عقد "علي عزّت بيحوفيتش" مقارنة بين كلٍّ من "الثقافة" و "الحضارة" كاشفاً عن مواطن التشابه والاختلاف بينهما مبيناً أن² :

- الحضارة تعلم أمّا الثقافة فتنور، تحتاج الأولى إلى تعلم أمّا الثانية فتحتاج إلى تأمل.

- الثقافة تبدأ بالتمهيد السماوي بما اشتهر عليه من دين، وفن وأخلاق وفلسفة، وتظل الثقافة تعنى بعلاقة الإنسان بتلك السماء التي هبط منها، فكل شيء في إطار الثقافة إما تأكيد أو رفض أو شك أو تأمل في ذكريات ذلك الأصل السماوي للإنسان، وتميّز الثقافة بهذا اللغز، وتستمر هكذا خلال الزّمن في نضال مستمر لحلّ هذا اللغز.

- حامل الثقافة هو الإنسان، وحامل الحضارة هو المجتمع، ومعنى الثقافة القوة الذاتية التي تكتسب بالتشيئة أمّا الحضارة فهي قوة على الطبيعة عن طريق العلم . فالعلم والتكنولوجيا والمدن والدول كلها تنتمي إلى الحضارة، وسائل الحضارة في الفكر واللغة والكتابة وكل من الثقافة والحضارة ينتمي أحدهما للأخر . كما ينتمي عالم السماء إلى العالم الدنيوي، أحدهما "دراما" الآخر "طوبيا"

¹ - دين肯 متشرل - معجم علم الاجتماع - ترجمة ومراجعة : إحسان محمد الحسن - دار الطليعة، بيروت - الطبعة الأولى 1980 - مادة Civilization

² - ينظر، علي عزّت بيحوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ص 94-98.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ----- ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

- «إن الروح الميلينية والذكاء الروماني» هو الفارق بين الثقافة والحضارة. من خلال هذا يتبيّن أنّ الثقافة مختصة بالروحانيات والمعتقدات والأديان، أمّا الحضارة فهي مختصة بالماديات «فالدين ينتمي إلى الحياة والفن والثقافة، أمّا الإلحاد فينتمي إلى التنظيم والعلم والحضارة».¹.

وعليه كان للتداخل بين مصطلحي "ثقافة" و"حضارة" قد لعب دوراً كبيراً في التداخل بين النقد الثقافي والنقد الحضاري، خاصة وأنّ العلاقة بين الماديات والروحانيات تعدّ علاقة تكاملية. وهذا ما يفسّر سر إلحاح "مالك بن نبي" على الفكرة الدينية، وتركيزه على الانطلاق منها في تكوين الحضارة، لأنّ الإيمان هو الذي يحفّز على بناء الحضارة حسبي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الترجمة أسهمت بشكل كبير في زيادة نسبة التداخل فإنّ كانت الثقافة تعني الحضارة عند معظم الباحثين فإنه لا محالة نجد النقد الثقافي بمعنى النقد الحضاري أيضاً.

ورغم التداخل الموجود بين النقد الثقافي والنقد الحضاري إلا أننا نجد بعض الفروق الطفيفة والتي تتلخص في طبيعة الموضوع المدروس ضمنهما، فضمن النقد الحضاري تتسم "الحضارة" بخاصية التحول، أمّا الأنماط الثقافية فتتسم بالثبات والديمومة² ضمن النقد الثقافي، بالإضافة إلى أنّ "النقد الحضاري لا يتعامل مع الخطاب بوصفه تمثيلاً للعالم فحسب، بل بوصفه وعيًا حضاريًا، أو نقداً لممارسات غير حضارية".³ يعتبرها النقد الثقافي عادية لأنّه يعيد الاعتبار للهامشي والمفوض والشعري ويخلق له مكاناً في الثقافة، هذا الهامشي يعدّ غير حضاري ضمن النقد الحضاري وهذا

¹ - المرجع نفسه، ص 111.

² - عبد الفتاح أحمد يوسف، النقد الحضاري للخطاب، ص 23.

³ - المرجع نفسه، ص 23.



إشكالية تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر ————— ط. سميرة فرطاس ود. ليلى لعویر

يعدّ فرقاً جوهرياً نستطيع عن طريقه التمييز بينهما، ونخلص إلى نتيجة مفادها: إنَّ النقد الحضاري يتتمي إلى المؤسسة الرسمية ويحرص على احترام مبادئها ضمن ممارسته للعملية النقدية، بعكس النقد الثقافي الذي يتمُّرُّد عليها ويرفض الرضوخ لمبادئها.

الخاتمة:

يعد التداخل بين المصطلحات النمط الأكثر شيوعاً في مجال صناعة المصطلح وإشكالياته، لأنَّ التداخل بطبيعته يبعث على التعدد الذي يخلق فوضى خاصة في مجال العلوم الإنسانية، وبعد مناقشتنا للتداخل بين النقد الثقافي والنقد الحضاري، توصلنا إلى نتيجة مفادها أنَّ أسباب التداخل هي: كون القضايا التي يناقشانها متقاربة، كما أنَّ الطابع الشمولي ميزة لكليهما، إضافة إلى أنهما يشتراكان في المهمة والمهدف الذي ينشدانه، إنَّهما يتميزان بقراءة كثما الواقع الذي يقع في الخطاب، هذا من جهة، من جهة أخرى كان لعدم التفرقة بين الثقافة والحضارة في كل المجتمعات دوراً كبيراً في هذا التداخل. لكن رغم التداخل الكبير بينهما إلَّا أنها لا يمكن أن تختزل أحدهما في الآخر، وإن توجّب علينا ذلك فإننا سنقع في إشكالية مصطلحية أخرى، إنَّ جهل الفرق الجوهرى بين المصطلحين كان سبب خلط النقاد والمفكرين بينهما، في حين لو فهم الباحثون أنَّ الحضارة متغيرة والأنساق الثقافية ثابتة، لما خلطوا بين المفهومين ولما أفضى الخلط إلى التداخل، وعليه فإنه لا بدّ من التّمّعن الجيد ولا بدّ من تحرى الدقة ليس عند صناع المصطلح فقط بل عند مستعمليه أيضاً، لأنَّ الاستعمال العشوائي هو السبب الرئيسي لكل إشكاليات المصطلح.



أدب/نقاوت الأقليات الأفريقية: الصوت المضطهد ورهاناته الكبئون
**African minor culture/literature: The oppressed voice
and The bets of identities**

الطالب رابع مناجلي

rabeh24menadjeli@gmail.com

المشرف أ.د. مليكة بن بوزة

Bmalika13@yahoo.com

جامعة: أبو الفاس سعد الله - الجزائر 02

تاریخ القبول: 2020/11/16 تاریخ الإرسال: 2020/01/14

الملخص:

يعد "التمثيل" ظاهرة، أسّست لنفسها عن طريق ركيزة التخيّل وسعت لبناء نفسها غالباً غياباً لا حضوراً، ظاهرة ساهمت في خلق ثنائية الأنّا والآخر، أين كان الآخر ملوّثاً، غير أصليّ وحاملاً لكلّ ما هو سلبيّ، فخلق بذلك "مركز" و"هامش" ساهم في تقسيم البشر والمجتمعات إلى دونيّ وفوقيّ، كان الاستعمار ومنطلقاته ورواده سبباً مباشرًا فيه.

إنّ ولوّج الرجل الأبيض قد استثار المقاومة التي تفجرت في العالم المضطهد المستعمّر فتوّجت بالحركة العظيمة لفككبة الاستعمار عبر تراب وتحوّل العالم الثالث والتي رافقها - في أماكن متباينة كالهند والجزائر وأندونيسيا...- قدر عظيم من المقاومة الثقافية المتمثلة في استخدام المستعمرين للغة المستعمّر وإنتاجهم أدباً مغايراً بها، في محاولة خلق صيغ جديدة تناهى عن التموضع ضمن الثنائيات الضدية التي أفرزها رحم



أدب/ ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابح مناجلي و أ.د. مليكة بن بوزة

"المركز"، لكن بعد كل مقاومة" وعندها ينتهي الكفاح، خصوصاً إذا نتج عنه نصر، فقد الهويات قوّها وتماسكها"، خاصة أنه لا يمكن تلافي ثقل اللغة، كما لا يمكن تلافي أن الهمامش يستوعب تأثيرات ثقافية أهم، ومن هنا يمكننا أن نطرح تساؤلاً: هل سيعاني الأدب الأفريقي من سلبيات الذاتية للأخر/ الغربي تجاه إبداعه الأدبي/ الثقافي كما كان الشأن في الشرق العربي؟ وهل محاولة رسم مفهوم للأدب الأفريقي هي في حقيقتها تخليات لأنساق وأفكار مسبقة؟ وهل تمرّر أدب الأقليات ضمن خارطة الأدب أعاد تعريف المركز والهامش؟.

هذا ما تروم هذه المقاربة الإجابة عنه انطلاقاً من نظرية ثقافية لما بعد الكولونيالية، في محاولة لرصد الظواهر الثقافية المستجدة على الأدب، بهدف الإلام بإشكاليات جديدة في التخييل والمغامرة، من منظور مقارنة الدراسات الثقافية، كناظرة نحو الشمولي والكلي، وفي إعادة الاعتبار إلى الظاهرة/ الحادث على ضوء تراكمات ما بعد الكولونيالية للأداب والهويات الجديدة. تلك التي أخذت تبحث بها عن مكان تحت شمس المقارنة.

الكلمات المفتاحية: الكولونيالية، أدب الأقليات، الدراسات الثقافية، الأنما والآخر، المركز والهامش.

Abstract:

"Representation" is a phenomenon, that was established through the basis of the conceived and hence sought to build itself mostly in absence rather than presence. Indeed, it is a phenomenon that has contributed to the creation of both: ego and the other, where the latter was contaminated, unoriginal and pejorative. The creation of a "center" and a "margin" that contributed to the division of human beings and societies into a superior and an inferior, was directly caused by colonialism,



أدب/ ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابح مناجلي و أ.د مليكة بن بوزة

its aspirations and its tributaries. The White Man's obsession has provoked resistance that erupted in the oppressed and colonized world, culminating in the great movement of the decolonization struggle of the Third World, which accompanied it in different places like India, Algeria and Indonesia. In an attempt to create new formulas that avoid being located within the antidons that the "center" womb produced, but after every resistance" and when the struggle ends, especially if it results in victory, identities lose their strength and cohesion, especially as it does not lie in avoiding the weight of language. It is also not possible to avoid the fact that the margin absorbs more important cultural influences, we can therefore wonder whether African literature will suffer from the subjective disadvantages of the other/the West toward its literary/cultural creativity as in the Arab Mashreq? Or Is the attempt to draw up a concept of African literature really a manifestation of previous ideas and legacies? In other words; Is minority literature centered within the literature map redefined the center and margin ? This culturally post-colonial approach fundamentally attempts to observe new cultural phenomena of literature, with the aim of understanding new problems of both: imagination and adventure, from a comparative cultural studies perspective as well. Moreover, it seeks at looking at the totalitarian and the whole, endeavoring to reconsider the phenomenon/incident in light of the accumulation of post-colonialism for new literature and identities.

Keywords: Colonialism, minority literature, cultural studies, ego and the other, Center and margin.

أدب/ثقافة الأقليات الأفريقية ط. رابح مناجلي وأ.د. مليكة بن بوزة

١- المقدمة: أفيقيا إبان الاستعمار:

عاشت القارة الأفريقية منذ القرن الخامس عشر مشاكلاً وحروباً عديدة، عندما فكر البرتغاليون في الوصول إلى جزر الهند الشرقية، عن طريق رأس الرجاء الصالح تحت غطاء التبشير المسيحي، الهدف إلى إيقاف المد الإسلامي المتدفع إلى أفريقيا، دارت حروب دامية وسياسات عدوانية قرابة قرن على طول شواطئ القارة، أدت إلى إغراق سفن الحجيج في عرض البحر لفرض الهيمنة العسكرية.

ولم تتوقف هذه الحروب عند هذا الحد فحسب؛ فقد شهدت أفريقيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر حروبا استفزافية، من قبل القوى الأوروبية الصاعدة – فرنسا وإنجلترا – والتي زحفت هي الأخرى إلى القارة الأفريقية، وشطرتها إلى مجموعات استعمارية مارست فيها سياستها الوحشية، من صيد للرقبي، وترحيلهم عبر المحيط إلى أوروبا وأمريكا، وبيعهم في سوق النخاسة، كما دأب المستعمرون على دسّ المدارس الغربية في أحشاء القارة في نهاية القرن العشرين، وفرض لغته بهدف القضاء على اللغات واللهجات المحلية، لطمس معالم شخصية المستعمّر، وتفكيرك وإذابة عناصر ورموز كيانه الهوياتي، وجلد مقومات الذات الروحية الجماعية الأصلية، كالدين والأعراف والعادات والتقاليد. ولم تقتصر سياسات الاستعمار على تقنين جائز مفروض على حاضر مستعمراته فحسب بل يتجاوز هذا التقنين الم sis اللحظة الراهنة، ويمتد إلى فرض سيطرته على مستقبل المستعمرات، بالعمل على إحداث اتصال غير محمودة عوّاقبه بين هذه المستعمرات وبين السلطة الاستعمارية، فتغدو البلدان المستعمرة تابعة للاستعمار وإن رحل عنها؛ ذلك أن الأقدام السوداء في حقيقة الأمر لم تغادر بمجرد استقلال المستعمرات؛ وإنما هي قاعدة لاشعوريا في أوساط مستعمراتها السابقة، عبر آليات متقدمة كرستها وعملت على ترسيخها بإحكام. كما يعمل



أدب/ ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابح مناجلي و أ.د. مليكة بن بوزة

الاستعمار على طمس ماضي البلدان المستعمرة، بإحداث قطيعة كلية مع تراثها؛ فقد استهدفت حروب الأوروبيين في أفريقيا تغيير الخارطة الدينية، والاستحواذ على أكبر قدر ممكن من العبيد والأيدي العاملة، وعلى الأراضي والموارد الاقتصادية الشمية، لحرمان إنسان هذه القارة من ثرواته، كما اتجهت إلى تغيير الخارطة الثقافية، وتشويه الثقافة المحلية، وتكميم الأفواه، وبخس إنسان حتى حقه في حرية التعبير، فخنقت صوته ومنعته من أن يعلو ويعتالي ويعبر عن ذاته/ذواته، فكانت أفكاره موعدة ممهورة من أن تطفو وتحلق في سماء يمثل من خلالها ثقافته، ومعتقداته، وموروثاته ليصنع استمراريتها لخلفه والأجيال اللاحقة لهذا البلد المستعمر.

2- الأدب الأفريقي بعيون غربية:

ويُمثل "جوزيف كونراد" وجهة النظر الغربية عن العالم الثالث، فإن كل ما يستطيع أن يراه هو عالم خاضع كلياً للغرب الأطلسي، عالم لا تكون فيه أي معارضة للغرب؛ فقد أبرزت كتاباته شخصية تجذرت فيها النظرة المركزية الغربية الواهية إزاء كل ما هو غير غربي، حتى أعمته عن رؤية تواریخ وتطورات وثقافات أخرى، يقول: "نحن الغربيون سنقرر من هو المواطن الأصلي الجيد، ومن هو السيء، لأن الأصليين جميعهم لا يملكون وجوداً كافياً إلا بفضل إعترافنا بهم، فنحن خلقناهم وعلمناهم أن ينطقوا ويفكرروا وحين يتمرسون فإنهم ببساطة يؤكدون سلامتنا رأينا بأنهم أطفال أغبياء استغفلهم بعض أسيادهم الغربيين..."¹. وكان هنا تحت شعار إيمانهم بمبدأ التقاء النازي "الوحданية"؛ إذ ترى المجتمعات الغربية بأنّ الإنسان غير الغربي دخيل ينبغي محاربته واقتلاع جذوره وتراه عنصراً دخيلاً ملوثاً لصفو النوع الأوروبي، وعليه وجوب إقصاؤه

¹ - إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبوديب، دار الآداب للنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الثالثة، سنة 2004، الصفحة: 63.

أدب/ثقافة الأقليات الأفريقية ط. راجح مناجلي وأ.د. مليكة بن بوزة

اقتلاع جذوره والتخلص من وجوده، فكان من الطبيعي أن يتحرك الإنسان المقهور في البقاء المستعمرة قاطبة لإنقاذ كينونته والذود عنها، فكان أن دافعوا عن "المجننة" (hybridity) بوصفها استراتيجية مشروعة تحميهم، وتحتوي أطراهم الفكرية والأنطولوجية، وتعني المجننة ابتكار أشكال واستراتيجيات ثقافية جديدة في ظل الاحتكاك المفروض بالاستعمار، حيث يحصل بين المستعمر المستعمر نوع من التجاذب يطلق عليه هومي بابا مصطلح "الفضاء الثالث للتعبير"، هذا الفضاء يقع بين البيتين، ولكنّ هذا لا يحدث إلا على حساب الأصلي الصامت الذي يقع موقع الثابت، الذي لا كلمة له يمثله الغربي نيابة عنه.

إن الإمبريالية هي التي تعمق كل هذه الانفصامات والجواجز، والسرديات هي التي تعكس التناقضات واحتدام التراعات بين القوميات والثقافات، وتعمق الهوة بين الغربي والشرقي والأبيض والأسود، وهي تقسيمات عنصرية لا أساس لها من الصحة فأصل الإنسان هو كونه إنساناً فقط، إلى الإنسانية ينتمي، وفيها يحيا ويعيش، حتى يضمحل ويلاشي، بغض النظر عن كل الاعتبارات الأخرى؛ التي لم توضع إلا لاعتبارات سياسية حضة، يقول **إدوارد سعيد**: "لقد عززت الإمبريالية خليط الثقافات والمويات على مستوى كوني، غير أن أسوأ هبائهما وأكثرها أنها حملت الناس على الاعتقاد بأنهم: غربيون، شرقيون، بيض، سود...".¹

ظهرت في أفريقيا حركات مناهضة للحكم الاستعماري حتى في مراحله الأولى؛ حيث تكتلت النخبة المثقفة -التي تلقت تعليماً أوروبياً- في بعض المستعمرات في شكل جماعات، حملت على عاتقها مهمة المطالبة بالحكم الذاتي، منذ أوائل القرن العشرين.

¹ إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، المرجع السابق، الصفحة: 26.



أدب/ ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابح مناجلي و أ.د. مليكة بن بوزة

ييد أن صيحات المطالبة بالاستقلال لم تصبح حركة جماهيرية قوية، إلا بعد الحرب العالمية الثانية؛ نتيجة تنامي وتضخم الشعور بالوطنية في ظل الظروف القاهرة التي كانت المستعمرات الأفريقية تحيا تحت وطأها، أضاف إلى ذلك تصاعد موجة الحقد والكراهية التي ترسخت فيوعي ولواعي المستعمر(فتح الميم) إزاء كل أشكال واستراتيجيات الاستعمار، فتعززت جهود النخبة المثقفة بجهود الشعب لتأسيس مقاومة وطنية مارست نشاطها عموماً في ثلاثة صور: القيام بإضرابات أو مسيرات منظمة، المقاومة المسلحة؛ التي تولاها ثوار وزعماء وطنيون، سواء أكانت هذه المقاومة محلية أم وطنية، المقاومة الفكرية؛ أو المقاومة بالقلم والفكر واللسان التي تبناها مثقفو المستعمرات، وقد اتخذت عدة أشكال، ومهما يكن من أمر فإن هدف هذه المقاومات جميعاً هو نيل الحرية، والانعتاق من الاستبداد، والجحور، والطغيان، والتبعية، والحفظ على الهوية من التلاشي والذوبان نتيجة الضغوط المفروضة على شعوب المستعمرات من طرف الوافد الغربي .

وعلى صعيد المقاومة الثقافية، ظهرت في البلدان المستعمرة حركة توجهت صوب فكفة الاستعمار في العالم الثالث – والتي رافقها في أماكن متباينة كالهند والجزائر وأندونيسيا- وهي بضرورة هذه المقاومة الثقافية، كاستخدام المستعمررين للغة المستعمر، وإنتاجهم أدباً مغايراً بهذه اللغة؛ إذ يحاربونه بلغته التي لا يفقه سواها، غير أن الكثير من البلدان التي استقلت عانت فيما بعد من حروب أهلية، وكان لكثير من هذه المشكلات جذور استعمارية قديمة وحديثة في مجالات سياسية، واقتصادية، وثقافية.

لقد ظهر بعد الحرب العالمية الثانية أدب ونقد جديدين، "منذ المرحلة العظيمة لفكفة الاستعمار وللمرة الأولى، يصبح الأفارقة والآسيويون خالقون لأدابهم وتاريخهم الخاص بعدما كانوا دائماً موضوعاً لعلم الإنسان الغربي، وللسريديات

أدب/ثقافة الأقليات الأفريقية ط. رابح مناجلي و أ.د مليكة بن بوزة

الغربية، والنظريات التاريخية والتكميلات اللغوية الغربية، والدليل السليم على شتى أنواع الأفكار حول الشعوب غير الأوروبية والأقل تطورا والتي ظلت جواهرها ثابتة رغم التاريخ¹. فكان من الطبيعي أن ترتبط مرحلة التحرر الوطني في أفريقيا، بتأكيد الثقافة الوطنية وترسيخها والإعلاء من شأنها، في مواجهة محاولة طمس وتشويه الهوية المراقبة للسيطرة الاستعمارية، التي لا تعرف بالمسار التاريخي للشعب المستعمر، بإيقاف تطور قواه الإنتاجية في حين أن ثقافته التي تعكس واقعه المادي والفكري، هي ثرة تاريخية بقدر ما هي عامل يحدد مسار هذا التاريخ².

ومن هنا يمكننا أن نطرح تساؤلاً: هل سيعانى الأدب الأفريقي من سلبيات التبعية للأخر/ الغربي تجاه إبداعه الأدبي/ الثقافي كما كان الشأن في المشرق العربي؟ أم سيتمكن المهمشون من استرجاع مكانة أدبهم، ومواكبة فضاء الإبداع العالمي بما يرسلونه من نصوص ثقافية، خاصة ونحن في عصر مجانية المعلومة عبر الشبكة العنكبوتية والسرعة الفائقة في انتشارها عبر المعمورة؟

في كتابه "نقد ثقافي أم حداثة سلفية؟" يحاول الناقد المغربي "سعيد علوش" أنيحددموقع الأدب الأفريقي في خارطة النقد ما بعد الحداثي، ويحلل ثنائية الأدب الأفريقي/أدب الأقليات، لاسيما بعد تحرّر أغلب دول أفريقيا، ومعايشتها لمرحلة ما بعد الاستعمار، ويرى الناقد نفسه أنه ليس من العجيب أن يبرز الصراع السياسي خلفية فكرية في العديد من مقاربات المثقفين الأفارقة، وهم يقتفيون أثر أسطورة الأدي في عالمهم، أم يحاولون تصحيحها للعالم الغربي، الذي لا ينظر لها إلا نظرة امتطاط واحتقار

¹ إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية: المرجع السابق، الصفحة: 11.

² - رضوى عاشور: التابع ينهض (الرواية في غرب إفريقيا)، دار الشروق، الطبعة الأولى، السنة: 2016، الصفحة: 07.



أدب/ ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابح مناجلي و أ.د. مليكة بن بوزة

ودونية، ولا عجب في ذلك؛ إذ يعتبر الغربي نفسه سيد المركبة الواهية على الدوام... ويعتبر ما هو دخيل عنه هامشا لا يعتد به على الإطلاق، ويصنف الآداب البدائية في خانة الأنثروبولوجيا الثقافية، إذ لم تكن الأنثوغرافية القبلية إلا ضمن شعب الآداب العالمية وهو الأمر الذي أدركه الكاتب النيجيري "سوينكا" أستاذ الأدب المقارن، في مؤلفه المعروف **"الأسطورة والأدب والعالم الأفريقي"**، في محاضراته عن الأدب الأفريقي التي ألقاها في "جامعة كمبريدج" أوائل السبعينيات؛ ذلك أن طروحته وآراءه في هذا المجال أدرجت في مقياس الأنثروبولوجيا الاجتماعية، لأن قسم الأدب الإنجليزي لم يكن مقتنعا بكينونة الأدب الأفريقي، فقد تم تصنيف الثقافة الأفريقية بطريقة لا تخالو من نظرة عنصرية تنظر لهذا الأدب - فيما هو جزء من الثقافة الأفريقية - نظرة دونية، فقد امتدت العنصرية أبيض/أسود حتى إلى مظاهر وتحليات الثقافة، بأماراة التروع المسيس في حقيقة الأمر غير بريء من استمرار محاولة السياسة الاستبدامية في طمس كينونة الإنسان الأسود، وخلق صوته ووأد بذاته أفكاره، وقد أدرك "سوينكا" تماما هذا النظام التصنيفي، ويدرك أن العديد من الجامعات الأفريقية وجدت صعوبة في إيجاد مكان للأدب الأفريقي، حيث أنها أنشئت على نمط الجامعات الأوروبية ويعمل بها أساتذة تم تدريبيهم في أوروبا.

لعلّ من أهم الانتقادات التي وجهت لـ "سوينكا" فيما يتعلق بتهميش الأدب الأفريقي، يرتبط بالترعة الأنثروبولوجية الشائعة في أغلب الدراسات الأوروبية عن أفريقيا وهو تقريرا نفس التوجه الذي سارت عليه الدراسات التي جرت حول لغات السكان الأصليين لأمريكا وثقافاتهم. وهذه خطوة مهمة في الاهتمام بالإبداع الأفريقي



أدب/ ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابح مناجلي و أ.د. مليكة بن بوزة
عامة، ولكن ما يؤخذ عليه هو أنه ركّز على الأنثروبولوجيا الاجتماعية على حساب
الأدب.

ومهما يكن من ملاحظات سلبية، إلا أن الإيجابي يوجد مكانه لهذه الثقافة
ضمن خططه الاستكشافية أو التعليمية، لوضعية منطقية كانت أم فلسفة جمالية، لأن
النظرة الدونية والهامشية كانتا على الدوام مصاحبتي للمركزية الغربية.

فالناقد الثقافي لا يكتفي بالإدلاء بـ ملاحظاته السلبية إزاء ماضي وحاضر ومستقبل
واقع المستعمرات، بل يجب أن يساهم في تشيد بناء مضاد ومقاومة إيجابي للهويات في
 إطار التعدد والاختلافات المتاحة والممكنة (الكتابة المضادة). ومن هنا يظهر أن
 الدراسات الثقافية شبه عاجزة عن ملاحقة مجموعة من الظواهر والأحداث، لأن النقد
 الثقافي يتنقل من الظاهرة الأدبية إلى الحادثة الثقافية في المناهج الغربية، التي أوجدت
 صراعات حادة بين ثقافة (بيضاء، سوداء، صفراء). مع أن كل الثقافات تصب في
 كليات إنسانية، تظل نخبوية رافضة أو متوجسة خيفة من سلطاتها الخفية التي تفتح وعيها
 شيئاً لمركزية جديدة غير معروفة بها.

وبعد الجهود التي قدمها كل من "نبوجي واثيونجو" و"تشيدى آموتا"، فقد
 انتقلت هذه الدراسات من مرحلة المعارضة والعداء للتآثيرات والتقاليد والمناهج
 الأوروبية، إلى دراسات ذات مركز أفريقي، يتم فيها دراسة تأثير أوروبا على الأدب
 الأفريقي إلى جانب تآثيرات أخرى ربما كانت أكثر أهمية، مثل استمرارية تراث اللغة
 الدارجة والتراث الشفهي¹. فتصاعد الوعي بضرورة تشكيم المركزيات الأوروبية
 الاستبدادية، التي تقصي كل ما هو خارج عنها وتعدّه هاماً، كان فاعلاً أساسياً في

¹ - سعيد علوش: نقد ثقافي أم حادثة سلفية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى،
 سنة: 2007، الصفحة: 185-186.

أدب/ ثقافة الأقليات الأفريقية ط. رابح مناجلي وأ.د. مليكة بن بوزة

هذا التحول الاستراتيجي الوعي بالاحتفاء بالهامش ضد المركز، في إطار تشكيل رؤية ثقافية معارضة لشموخ ونرجسية تلك المركبات، التي سيطرت وأقصت ما سواها ردحا من الزمن.

يحاول أحد الأوغنديين أن يرسم مفهوما للأدب الأفريقي، حيث أكد أنه:
توجد العديد من الثقافات الأفريقية التي تشكل أنواعا مختلفة من الآداب ذات مجموعات
متنوعة من الأساليب والمعاني والقيم... وكل من يريد تفسير أدب أفريقيا السوداء عليه
أن يجادل أصحاب الآراء القطعية الذين يصرؤون على تفرد التقاليد والأعراف أو المجهود
الأدبي ويعيدون الأديب بفلسفة خاصة أو موقف خاص. وعليه كان الحكم على
الأدب الأفريقي بأنه أدب أولا ثم كان التأكيد على أفريقيته ثانيا. ويؤكد ذلك الروائي
النيجيري "شنينا أتشيبي": لا يمكن أن نحشر الأدب الأفريقي في تعريف صغير محكم،
لأنه في منظوره مجموعة من الوحدات المحكمة التي تشكل المجموع الكلي للآداب
القومية والعرقية في أفريقيا¹.

فالأدب الأفريقي حسب هذا التصور هو أدب قبل كل شيء، أدب بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ خاصة لهذا الكيان المفرد أولاً، ومن ثمة تبقى مضامين ومواضيع وقضايا هذا الأدب الذي ينطوي على قدر من الحساسية، موضوعاً خاصاً يرتبط بإبستيمولوجية هذا الأدب ذاته، والتوجه الإيديولوجي لكتابه، باعتباره كلاً يحتوي كلاً آخر؛ إذ أن الأدب الأفريقي وحدة كاملة تشكل مجموعة من الوحدات القومية والعرقية والثقافية والإنسانية والتاريخية... الأفريقية. ويظهر مفهوم الأدب الأفريقي عند "نادين غورديير" ككتابة إفريقية بيضاء بقولها: "إن الأدب الأفريقي هو أدب كتبه -بأية لغة

¹ - علي شلش: الأدب الأفريقي، مجلة عالم المعرفة (المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب) الكويت، السنة: مارس 1993، الصفحة: 16.



أدب/ ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابح مناجلي و أ.د. مليكة بن بوزة

كانت - الأفريقيون ذاقهم أو أي مجموعة أخرى بغض النظر عن لون بشرتهم، ولكنهم يشترون معهم في أن تجربة أفريقيا دون غيرها من مناطق العالم، قد شكلتهم عقلياً وروحياً، ولكن يكون الكاتب أفريقيا يتعمّن عليه أن ينظر إلى العالم من أفريقيا وليس أن ينظر إلى أفريقيا من العالم. فهو لاء الأدباء الأفريقيون يقتربون وعيماً، يكون مركزه أفريقيا ودراسته للأدب تبدأ بأفريقيا، وتعامل الآداب الأخرى طبقاً لعلاقتها بهذا المركز الأفريقي، هذا النموذج للأدب المقارن يتناقض تناقضاً واضحاً مع النماذج القديمة ذات المركز الأوروبي التي رفضت مقارنة أدابها بالنصوص غير الأوروبية، بسبب ما ادعته من وجود اختلافات، لا يسهل تحطيمها بالإضافة إلى عدم وجود مكانة واضحة لهذه الآداب على خارطة الآداب الغربية المعترف بها¹.

والأدب الأفريقي حسب هذا التوجه لا يخضع لاعتبارات اللون والانتساب واللغة، بل جوهر تحديد أفريقيا هذا الأدب من عدمها هو روحه والقضايا التي يحملها، والأهم في كل هذا أن تكون أفريقيا "المركز" بؤرة هذا الأدب وشغله الشاغل. هنا التوجه إن كان يذكر بشيء، فهو يجعل حتماً إلى دستور المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن، التي تعتبر الآداب الأوروبية أداباً موجبة وآداب المستعمرات أداباً سالبة، وتقصي من دائرة اهتمامها الدراسات التي تكتم مقارنة هذه الآداب مع أدابها، لأنها آداب هامشية".

3- الكولونيالية وما بعد الكولونيالية:

تعرف جماعة "بيل أشيكروفت" ما بعد الكولونيالية على أنها الحال الذي يبحث في آثار الاستعمار على الثقافات والمجتمعات، وأن هذا المصطلح يستعمل

¹ - سوزان باسنيت: الأدب المقارن (مقدمة نقدية)، تر: أميرة حسن نوير، القاهرة، طبعة سنة 1999، الصفحة: 83.

أدب/ثقافة الأقليات الأفريقية ط. رابح مناجلي وأ.د. مليكة بن بوزة

"ليشمل كل ثقافة تأثرت بالعملية الإمبريالية منذ اللحظة الكولونيالية حتى يومنا هذا، ويرجع هذا الاستخدام إلى استمرار هذا الانشغال طوال العملية التاريخية التي بدأت بالعدوان الإمبريالي الأوروبي".¹

يتحدد مفهوم ما بعد الكولونيالية حسب هذه الجماعة، بوصفها مجالاً يأخذ بعين الاعتبار التنقيب والبحث في كل الثقافات التي تعرضت للعملية الإمبريالية، وتأثرت بها بشكل أو باخر منذ اللحظة الأولى، ويستمر هذا التأثير ويمتد حتى إلى الفترات الزمنية اللاحقة لتاريخ تحرر هذه الشعوب، على أن هذا التعريف لا يخلو من القصور، ويتجلى وجه القصور فيه في ربط أصحاب هذا التعريف العملية الإمبريالية بأوروبا فقط، إذ نسوا - أو تناسوا - وجود بلدان استعمارية أخرى ساهمت في العملية الإمبريالية، فليس الاستعمار إذا حكرا على أوروبا فقط، وهي النقطة نفسها التي تفطن لها الباحث الجزائري في هذا الحال "وحيد بن بوعزيز" وأدركتها في كتابه "جدل الشفافة" إذ يقول في هذا الصدد: "يتجلّى لنا هذا الطابع البيداغوجي في هذه الترعة الاختزالية Réductionnisme داخل القول؛ أولاً نجد هناك قصوراً مفرطاً حينما حاول مؤلفو هذا الكتاب ربط الاستعمار فقط بما هو أوروبي، متناسين في ذلك بلدان أخرى، ساهمت في العملية الاستعمارية، يمكن مقاربتها بمقولات نقدية تنسوية نوعاً ما، مستمدة من حقل هذه الدراسات"². وتفّرك ذلك الناقدة "آنيا لومبا" بأن الخطاب الاستعماري ليس مجرد مصطلح جديد وهمي للاستعمار، إنه يدل بالأحرى على طريقة

¹ - بيل أشيكروفت: الرد بالكتابة (النظرية والتطبيق في أداب المستعمرات القديمة)، تر: شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، السنة: مارس 2006، الصفحة 16.

² - وحيد بن بوعزير: جدل الثقافة مقالات في الآخرية والكولونيالية والديكولونيالية، دار ميم للنشر، الجزائر، الطبعة الأولى، السنة 2018، الصفحة: 15.



أدب/ ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابح مناجلي و أ.د. مليكة بن بوزة

جديدة في التفكير تشتراك فيها عمليات ثقافية فكرية، واقتصادية سياسية معاً في إدانة وتعريه الاستعمار¹.

ترمي هذه الاستراتيجية إلى خلق فضاءات أخرى جديدة للدراسات الكولونيالية، تهدف إلى فضح سياسات الإقصاء والقمع والاضطهاد الاستعماري، وذلك عن طريق تحري العلاقات القائمة بين المعرفة والسلطة وكافة المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية، وفي هذا المقام تبادر إلى الذهن الاستراتيجيات الفوκوكية (الحفريات) التي بين صاحبها عبرها كيف أن السلطة تحاول الاستحواذ على المعرفة لكي تتحقق لها الهيمنة. ويؤكد "سعيد علوش" أنّ الأدب المسمى بالأدب ما بعد الكولونيالي، أسهم في إيجاد تراكمات معرفية وأدبية وثقافية، تعيد الاعتبار للشفوي، والنسووي والأقليات، بفضل الانتقال من مراحل التلقي السلبي إلى الإيجابي، الذي يمنح دوراً للهويات الأخرى المغایرة والطاغية إلى الاختلاف البناء، لقد أوجدت هذه المغایرة في الأدب العام والمقارن صداتها المعبر عن استجابات متفاوتة الخطورة، تراوح بين مقوله "أهل مكّة أدرى بشعابها"، وبين نظرة الآخر، كضرورة معرفية ضمن مرايا متحاورة ومتحاورة ثقافياً وحضارياً، بحثاً عن كليات إنسانية كهدف نهائي للمغامرة الثقافية، ذلك أن تأكيد الذات الأوروبيّة أو الأفريقيّة اتسم في الحالتين بالعدوانية في كثير من الأحيان، ومثال ذلك أن بعض الطروحات ذهبت إلى أنّ الأفريقيين فقط هم المنطعون بدراسة الأدب الأفريقي دون غيرهم، ولو تم دراسة النصوص المكتوبة خارج ثقافتهم، كما ذهبت إلى ذلك الباحثة "سوزان باستنيت" في مؤلفها "الأدب المقارن"².

¹ - آنيا لومبا: (في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية)، تر: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، الطبعة الأولى، السنة: 2007، الصفحة: 64.

² - سوزان باستنيت: الأدب المقارن، المرجع السابق، صفحة: 85-86.



أدب/ ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابح مناجلي و أ.د. مليكة بن بوزة

لقد انتهى عصر الأعمال العظيمة وأمهات الأعمال، وعلى الباحثين والمفكرين وكذا النقاد والدارسون مواجهة الكم الهائل للإنتاجات التقنية، وملحقة صورها المراوحة بين الحسي الإيمائي والسمعي والبصري، نظراً لتدخل وسائل التعبير المختلفة في الصناعة الثقافية التي امتدت إلى كل الفضاءات والأعمارات والفنانات والجنسيات لتوجد لها مكاناً في المؤسسات والمجتمعات المدنية، ضمن عولمة ثقافية معلبة، تدعى نشر المعرفة، وإن كان ما يسيطر عليها في العمق هو مجتمعات الإعدام والقولبة والإخضاع لسوق شعرية إمبريالية لها مرجعيات إيديولوجية تأتي في قالب مماحقة لما يطلق عليه مصطلح "الهامش".

إن كل هذه الظروف استوجبت ظهور نظرية ما بعد كولونيالية، لرصد الظواهر المستجدة على الأدب، بهدف الإمام بإشكاليات جديدة في التخييل والمعاصرة، من منظور مقارنة الدراسات الثقافية، كنظرة نحو الشمولي والكلي، وفي إعادة الاعتبار للظاهرة/الحادثة في ضوء تراكمات ما بعد الكولونيالية للأداب والموبيات الجديدة، تلك التي أخذت تبحث بها عن مكان تحت عباءة المقارنة...

إن ظهور مصطلح "ما بعد الكولونيالية" على صعيد المسرح النقيدي يعد ربما أهم حدث في الأدب المقارن في القرن العشرين، ونلاحظ أنه حالما تقبلنا المصطلح، فإننا نجد أن الوحدات الجغرافية تغير مواقعها، وتظهر اعتبارات جديدة، ولو تأملنا ملياً لوجدنا أن الصراع الطويل لأدباء أمريكا الشمالية والجنوبية في القرنين الثامن والتاسع عشر، كان بغية خلق آدابهم الخاصة بهم، وقياساً على ذلك يمكن أن تصبح قضية ماهية "الأدب الخالص بالمرء ذاته" قابلة للمناقشة.

أدب ما بعد الكولونيالية: 4



أدب/ ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابح مناجلي و أ.د. مليكة بن بوزة

إن النظرية الأدبية لما بعد الاستعمار قد بدأت جهاد الحاضر من أجل الخروج من الماضي، وبناء مستقبل يرفع من شأن هذه الدول التي طال صمتها كثيرا تحت وطأة الإمبريالية الغربية، فكل الأعمال التي اُنفتحت واهتمت بثقافات ما بعد الاستعمار، تمثل نقلة مهمة للشعوب المستعمرة، وإن عالم ما بعد الاستعمار هو عالم يتحول فيه اللقاء الثقافي المدمر إلى قبول لوجود الاختلافات، على أساس المساواة، ولقد بدأ واضعوا النظريات الأدبية ومؤرخو الثقافة في إدراك أن التفاعلات الثقافية هي نقطة نهاية ممكنة في تاريخ يبدو لا نهاية من الانتصار والتدمير، ولعل نظرية ما بعد الاستعمار تستمدّ قوّتها من مرجعيتها المقارنة، ومن النظرة المختلطة والشمولية إلى العالم الحديث التي تنطوي عليها.

والملاحظ أن فكرة ما بعد الاستعمار تختلف اختلافا كبيرا عن مناهضة الاستعمار، حيث أن ردود الفعل للاستعمار كانت تفصّح عن نفسها بطرائق شتى، ولكنها كانت دائما تفترض فكرة التضاد الثنائي، وتتمثل نقطة الاختلاف التي تقدمها دراسات ما بعد الاستعمار في أنه على الرّغم من أنها تتحدى هيمنة الثقافات الاستعمارية، إلا أنها تدرك تعددية الاحتكاك بين المستعمرات والخاضعين لهم، ومن أهم التطورات التي أدّت إلى تعميق مفهوم نظرية ما بعد الاستعمار، جموع الآداب التي ظهرت منذ الخمسينيات من هذا القرن في المجتمعات المختلطة عرقيا، والتي تتصرف بثنائية أو تعددية لغوية.

ويضيف "سعيد علوش" أن الإمبراطوريات الفرنانكوفونية والأنجلوфонية ملائق للآداب المركزية في المرواش الأفريقية والآسيوية، كما أوجدت الآسبانوفونية في أمريكا اللاتينية امتدادات غير هينة، تخوض حروبها فوق سهام واقعية سحرية لمواجهة

أدب/ثقافة الأقليات الأفريقية ط. رابح مناجلي وأ.د. مليكة بن بوزة

الإمبراطوريات وهي تصنع خريطتها الثقافية للعالم على مقاسها، بل وتدخل لحماية امتداداتها في الثقافات الوطنية لتكييفها وتجذبها.

وإذا كان هذا الوجه الخفي لعملة ثقافة ما بعد الاستعمار، فإن الوجه المكشوف يعيد الاعتبار إلى الآداب الأخرى التي اختارت لغة من لغات الإمبراطورية الثقافية للتعبير عن (زنجيتها، ومغاربيتها، قبائليتها، لاتينيتها)، وهذا نوع من أنواع المقاومة الثقافية/الأدبية المتمثلة في استخدام المستعمر للغة المستعمر والدفاع عن تراثه وكينونته بلغة عدوه، ولا شك أنه عندما تفرض ثقافة ما مركزيتها على الهويات الثقافية الأخرى، يحدث نوعاً من السجال والتناقض الذي يستغل على أساس قدرة كل ثقافة مركبة على تطوير أو استبعاد الثقافة الفرعية، عاملة على تذويبها في فلك الثقافة الكونية والتي تدعى أنها من خلالها تتجاوز كل الطبقية والقوميات والطوائف، ولكن بحد أن الثقافة الفرعية التي تتوقع داخل الذات بوصفها ثقافة هامشية، تفرز نوعاً من الكراهية والعداوة ضد الثقافة المهيمنة التي تحاول أن تقصيها وأن تذيبها، وأن خطاب الكراهية كان هاجساً تاريجياً ارتبط بظروف اجتماعية وتاريخية تدافع من خلاله كل جماعة عن وجودها، عن طريق تشكيل مدونات تستدعي في ذاكرها أجواء ومناسبات كثيرة تنتج خطاب كراهية خاصة بها.

ولعل أزمة العزلة الثقافية للشعوب القديمة فضلاً عن محدودية الكتابة التي كانت آلة تواصل، تفعل فعلها مع الشفافية في إنتاج الثقافة المركزية، التي تهمش ثقافة الآخر أو الخطاب المضاد لها، في حاجة سلطوية تنتظم من خلالها مراكز القوة الثقافية في تدجين



أدب/ ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابح مناجلي و أ.د. مليكة بن بوزة

و تكميش الثقافة والأفراد التي لا تدور في فلكها الثقافي فهو: في الأصل تكميش للأفراد والطبقات التي حاولت عبر التاريخ فرض وجودها عن طريق الثقافة والكتابة¹.

يعتبر أدب ما بعد الاستعمار المقارن، رحلة لاستكشاف الذات، نحو إدراك المسؤولية والشعور بالذنب والاشتراك في الجرم، والتواطؤ في عملية خلق متاهة عالم الأدب الحديث ولم تعد رحلات البحث الأوروبيه تنطلق من مركزياتهم، لأن المراكز والஹامش قد أعيد تعریفها. فهذا هو الحال بالنسبة "للرواية الإنجليزية التي كان سيقدر لها أن تتهاوى وتض محل إلى الأبد في درك من ضيق الأفق الإقليمي، بيد أنها أعيدت إلى الحياة مرّة أخرى بواسطة الروائيين الذين يستخدمون الانجليزية في كتاباتهم، والذين لم تطا أقدامهم أرض بريطانيا"². يعلق "سعید علوش" على هذه الفكرة من خلال السؤال الآتي: فهل حقاً وجدت بريطانيا في آسيا من يرفد أدتها وثقافتها منذ تسلط الأضواء على "سلمان رشدي" وغيره لتأخذ اللائحة في الانفتاح بأرصدة المتجلزين والمترنسين الجدد، وقوداً للدراسات الثقافية؟

فهل كانت كتابة "فرانز فانون" (عن الجلد الأسود والقناع الأبيض) إثارة للتجربة (السوداء/ البيضاء)، (الإيجابية/السلبية) لما بعد الاستعمار بدل السقوط في عداد الثقوب السوداء؟

ستظلّ إذن: الثقوب السوداء موضوع النقد الثقافي لمدة طويلة، لما تثيره من نقاشات تتعدّى هذا النقد الحضاري، الذي اتخذ قناع محاور الشر/الخير في الحروب الإيديولوجية القاعدة والخارقة لها، لتجد النظرية الثقافية لـ: ما بعد، صعوبة في الإلمام

¹ - محمد خليف حضر الحيان: السلطة والهامش، دار حامد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، السنة 2016، الصفحة: 71.

² - سوزان باستيت: الأدب المقارن، المرجع السابق، الصفحة: 102.



أدب/ ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابح مناجلي و أ.د. مليكة بن بوزة

بموضوعها (الأنتروبولوجي / الإثنى / المتداخل الاختصاصات)، فقد جربت كل (مكر/ حيل) من أجل الخروج من (التيه المقارن).

إنتحانسية الإمبريالية الثقافية قد أسهمت في زوال الاختلاف بوسائل شتى (تدميرية إصلاحية)، (عنف/مصالحة) وأشكال سمعية بصرية وشفوية، وجدت فيها الدرamas والرقصات والمهرجانات الكرنفالية في أمريكا اللاتينية والموسيقى الشعبية، مثلاً: - الكناوية في المغرب والجزائر وبعض دول الساحل الأفريقي - صداتها لإثارة معتقدات وحكايات جعلت من جامع القناوي في المغرب معلماً دولياً في نظر السياحة العالمية، حيث تبنته اليونسكو للاعتراف بثقافة بدوية فلاحية لتكرار لفظ ممسوخ ثقافي، تبرز فيه الطبقة العامة كردة فعل على الثقاقة التصنيعية.

وما لا شك فيه أن الأدب الشفهي يحتل مساحة كبيرة على خريطة التعبير الأدبي في أفريقيا، وهو الأدب الذي لا يعرف مؤلفاً محدداً، وتتناقله الألسن عبر الأجيال وفي أماكن مختلفة، وهو كما عده البعض ركيزة للأدب الحديث المكتوب، الحال هنا أشبه بالتواتر الذي عرفه الأدب الإغريقي في كونه ركيزة للأدب الروماني، وبدورهما ركيزة للأدب الأوروبي الحديث، ولا شك أنه من أهم المؤثرات في الأدب المكتوب - خاصة الشعر - الذي نجد له سبقاً ومكانة بارزة في الآداب العالمية - المكتوبة منها وغير المكتوبة على السواء -، هذا الشعر تواتر وفق النمط المدون باللغة الأصلية، أو لغة السيد، أو النمط الفولكلوري غير معروف المؤلف، والذي لا يستطيع تحديد بداياته يدور حول المذايح التي تشمل الآلهة والبشر، والحيوان، والنبات، وأغاني الصيد، وشعر الرقى، والتعاويذ، وشعر الحرب والقتال أما النمط الأخير الشعبي معروف المؤلف، أيضاً يصعب علينا تحديد بداياته، لكن من السهل العثور على الشعراء بين القبائل والجماعات. فالشاعر لسان قومه يعبر عن قيمه وثقافته ويلوك ملاحمه البطولية، بل



أدب/ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابح مناجلي و أ.د. مليكة بن بوزة

أصبح في عهد السيطرة الاستعمارية مناضلاً وطنياً يستخدم شعره في تذكرة نار النضال من أجل التحرر¹.

وعلى الرغم من أن الثقافة الشعبية تقدم نفسها كثقافة جماهيرية نوستalgية الشوابت الماضوية، فهي تعبر عن أزمة مأساوية، تضع ملاحظتها في موقع الفرحة، التي لا تحمل مهاماً تحريرية ولا طوباوية، لأنها لا تعلن عن تكتيكات ولا استراتيجيات للاستيلاء على السلطة رغم ما تحمله من كم هائل من التدمير وشكاوي الإبادة والحظ العاثر، الذي يجده في الفولكلور والثقافة الجماهيرية متفسراً يضعها في متحف شبيه بالمتاحف، الذي يصوغ الروح الجمعية. من ثم كان للفولكلور دوره في إدماج جزئي للريفيين في أمريكا اللاتينية، وللمواسم والزوایا وظائف التجمعات والتحكم في لعبها وتجذبها في المغرب، مما يجعل من احتفالات المواسم والفوكلور بنوكاً لتخزين الأصالات بشكل آمن، وهي بدائل أخرى لهيكل السلطة... وإذا كان الفولكلور يعين حفظ الذاكرة الجمعية، في مواجهة تدمير وسائل الاتصال الجماهيرية فيمكن القول إن البرازيل تعتبره بدلاً حاسماً للثقافة الرأسمالية، وهو رأي طوباوي لاحتفالات "سامبا ساو باولو"، ... كما طورت البيرو الموسيقى الأندينية جاعلة من الفولكلور جزءاً من مجموعة ظروف تاريخية، حتى وأن الأرجنتين يجدونه مشحوناً بترعة رجعية، لكن هذا الفولكلور يظل البديل الطوباوي لمواجهة الجوانب المفسدة في مشروع التحديث البرازيلي لتنقل قوة الثقافة المحلية ما بين دول أمريكا اللاتينية، إلى التجسد في معرض دائم لفولكلورها في ساو باولو سنة 1984، كأفضل معرض في العالم لإبراز الجمالية

¹ - محمد محمود: الأدب الأفريقي، دار محمد للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، السنة 2008، الصفحة: 07.

أدب/ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابح مناجلي و أ.د. مليكة بن بوزة
وانطباع تشابه منتجات مناطق مختلفة تحول الشعبي إلى أحادي بديلا عن تعدده، عبر
انتقائية الاحتلال.

ومن ثم ييدو أن "ثيودور أدورنو" و"ماكس هوركايمر" عندما ييديان رأيهما في صناعة الثقافة، لا يخفياهما في عامل إخضاع الثقافة للسوق الرأسمالية، كإخضاع لكامل أشكال الثقافة إلى مجرد منتجات نمطية، تقلل من قدرة المستهلك على التفكير بشكل نقي، أو اكتساب خبرات التجاوز، حيث تغيب أصالة الحقيقى، لصالح الاستنساخ في دناءة الانحدار الثقافى، الذى يجعل من هذا الانحدار رأيا سلبيا يستعصي معه اختراق الثقافة الحقيقية. ومع ذلك تظل ثقافة الفولكلور إمكانية لإعطاء الثقافات الشعبية تماسكها الأنطولوجي المعلم للذاكرة الشعبية، والقائم على دمج إجباري لها في المدونة الكتابية التي يقوم الإعلام السمعي - البصري بالتقاط طرقها العديدة والمتناقضة، ودمجها في التذكرة والتوثيق والتفسير داخل تنميّات مسبقة، ما دامت غير منفصلة عن علاقات قوى استبصارها، لاعتبارها رؤية معطاة، بل وسيلة وأداة في يد السلطة، التي ترى فيها تعبيرا عن برنامجهما الإدماجي الولائي للصراعات، التي توجد لها خرائط ليلية للفرض والاستيعاب، مادام الحقل الشفوي والشعبي ليسا حقلين مرئيين بما فيه الكفاية، وما دامت فكرة الجمهور والثقافة الجماهيرية ابتداع يميني للقرن التاسع عشر، وإن كان اليسار قد استفاد منها أكثر من مدعيعها، الذين أظهروا غطرسة إمبريالية، وخرافا ماركسيا في الشعبي على علامات الثقافة، وقدرة على البقاء بحدى القدرة على تخزين المعلومات وكذلك قدرتها على الامتثال التكتيكي والمواوغة التداولية كشياطين سعيدة... .

وهكذا نجد من يدعونا إلى "بابا عيشور"، بدل "البابا نويل"، وإلى المزيد من المواسم الكرنفالية بدلاً عن العمل السياسي، أو بتحويله إلى ثقافة سياسية من جمعيات



أدب/ ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابع مناجلي و أ.د. مليكة بن بوزة

السهول والهضاب والجبال، ومن مزروقة إلى طانطان ومواسم الأولياء والصالحين جلباً للبركة، ... إحقاقاً لتضخم ذاته¹. "ذلك أن بوادر التضخم الذاتي والمثالي لأهمية الثقافي ودور المثقف، بعيداً أو حتى بدليلاً عن العمل السياسي، وهي حالة مرضية لا حاجة لتشخيصها ولا للوقوف والتفصيل في الأضرار التي تترجم عنها ضرورة في حال انتشارها"².

وكموذج لأنعكاس هذه التوجهات نوقشت رسائل جامعية حول "العيطة" و"القناوة" كبلاغة للجسد واللون الموسيقي، حيث يكشف الاهتمام القناوي مثلاً: عن نزعة نحو التحرر الكلي من ممالك الكتابة والرمز، للتعامل مع جمهورية العلامات في شجب غريزي للغة، يتبع المكر مع الخطاب الرسمي الذي يجعل أداته للترويج السياحي في مقابل الترويج المعيشي للقناوة (معلم، فنان، ...). ويظهر أن إقرار حق معرفة مستقلة، تشحذ الحساسيات الشعبية للاختلاف، وتدعيم القدرة على تحمل ما لا يقبل المقايسة في الخطابات القناوية الفقيرة رمزاً والغنية موسيقياً وإيقاعياً وكإثارة للاستجابة الحسية إلى لغة الجسد والجذبة، الموحيان بأصالة النمط الجنسي كثقافة مضادة في الظاهر، لكنها توحى بأزمة مشروعية، وأزمة مجتمع يبحث عن تواصل يعاني من التشويش على أسطورة تحرره كما يعاني من عماء استئناف تأمله، نظراً لطبيعة احتفاء القناوة بانفصامه الذاتي المتروع المركبة، حق وهو يضم خصائصه الشكلية، ويبالغ في طائق استهلاكه لماضيه المأساوي، تذكيراً بموجع الإقصاء الطبقي، عبر القرون الذي زكي الأخلاق الفاصامية، التي تجعل من القناوة ثورية بل مجرد طريقة إعلام على سطح

¹ - سعيد علوش: نقد ثقافي أم حادثة سلفية، المرجع السابق، الصفحة: 193-194.

² - عبد الصمد بلخير: في الثقافة والثقافة الشعبية، مجلة أنوار، السنة: جانفي 1987، الصفحة:



أدب/ ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابح مناجلي و أ.د. مليكة بن بوزة

الفرجة، فرجة تقرّرها الجهات الرسمية، لا يهمها في شيء، صراع أو نزاع أو آلام البطولة القناوية كبطولة مهزومين عبر التاريخ، يفتقدون لغة القول، ويعوّضونها بحركات الجسد الراقص حد الجنون والإغماء، لا تمراً على الحالات الكثيفة للغة، ولكن تمادياً منهم في أمية تسلك دروب تيه ميتافيزيقي، تستعيده المهرجانات القناوية كضرب من الاحتفاء بالميتافيزيقا التنويرية، التي تقيم لها ورشات بأشكال تتوجّي الحفاظ على مخزون ألبسة وأقنعة وحركات بخلوانية في مساحات تستحبّ لف्रط شعور عابر، يفارحر بالشبيه الأفرو-أمريكي والأمريكي معالاة في توظيف سمة القناوي كمتخيل شعبي، تتوجّل نقلاته في الروائي والتشكيلي والسمعي البصري، الذي يجد في ثقافة الهاوش متسعه الممكن، جمعاً وتوثيقاً لمخيال طقوسي، يدخل في شبه حوار مع وسائل تعبر مركبة تفترض استبعاد الرؤية السطحية بالانحراف في فولكلورية تحيل على تاريخ سحيق لثقافة سوداء، وجدت فضاءها في القرى النائية وبعض المدن الساحلية التي افتتحت على إيقاع محروم من اللغة، لا يميّز بين الذات وبقية النوات الأخرى في تشكيل بلاغة جسد قناوي، يوهم بتزعة مضادة للتمرّكز اللفظي وحضارة المكتوب تلك التي جعلت من "الريبرتوار" *repertoire* القناوي وسيلة تدوين للأغانى الموزعة على الحالات والمقطوع، يطلق عليها ملوك أو أرواح امتلاكية.

كما يتمّ وصف الآلات الموسيقية القناوية كآلات أسطورية، تبرز فكرة الشتات نقىضاً متشعّباً ينسب إلى جوهر عرقى، يتوجّي التركيز على الموسيقى والأداء في الثقافة السوداء نتيجة لاضطهادها، وهو ما يبرر وحشية رقصاتها ذات الحضور الروحاني التملكي والاستعراضي الذي يبرز من خلاله الراقص القناوي قدراته التعبيرية الحسدية، في تشكيل يوحى بجغرافية وتاريخ يساهم في إنتاج أنماط معرفية، حيث يشغّل الجسد كما لو كان يخلق النص في زمن تلفظه، لكنّي لا يحتفظ منه بغير هيكل ضروري، لبناء

أدب/ثقافة الأقليات الأفريقية ط. رابح مناجلي وأ.د. مليكة بن بوزة

وضعية الجسد الراقص الصادق المؤهل الواقعي، الأكثر حرية، حتى وأن هذا الاستجداد بالجسد لا يحرره، رغم الاعتقاد في طقوسه الليلية و محلات أولاد البايمبارا، وهم يرسمون دوائر كوريجرافية إشارية تستعيد الهوية المفتقدة، لتسديد دين عاطفي للأسلاف بالحنين إلى جنورهم، تحت وقع جسد يحيل على دراميات أفريقية للأتم (البوبو) وبوركينا فاسو في تقليد لرقصات وأناشيد ذات أحداث تنكر بالمفقودين وعاداتهم وإيماءاتهم، مضحكة كانت أو مشينة، كما لو كانت تتعرض وتحتج على ماض لا يريد أن يموت . من ثمة كانت الجذبة سفر طقوس، يحيى الزمن في الأفعال والحركات الجسدية، التي تبدأ بالهزل وتنتهي بالإغماء، طلباً لنوع من النطهير¹ .

كما أنها تقام لإشباع بعض الحاجات الروحية والعاطفية للمؤدين، أو لتعزيز الروابط الاجتماعية، أو لبعض أغراض التربية المجتمعية والأخلاقية، أو كدليل على الاحترام والطاعة، أو دليل على انتفاء الفرد، أو كمؤشر لبداية بعض الأحداث المعلقة بتمجيد المارين القدامي.

5 - الخاتمة:

عطفاً على ما سبق، فلقد اعتبرت هذه الطقوس - بجميع أنواعها - أحد سمات كل المجتمعات الإنسانية سواء في الماضي أو الحاضر، فلا تقتصر الطقوس والمراسيم على الأنواع المختلفة من طقوس العبادة، أو الأسرار المقدسة في بعض الأديان أو الطوائف فقط، ولكنها تمتد أيضاً لتشمل طقوس العبور في بعض المجتمعات وطقوس الكفار، وطقوس التطهير، لذا يجب إعادة النظر في مسار رحلتها الطويلة عبر الصحراء، سعيأ لإيجاد خصوصيتها التي يمكن العمل على إثراها وتعزيز وجودها. فقبول وجود هذا

¹ سعيد علوش: نقد ثقافي أم حداة سلفية، المرجع السابق، الصفحة: 198-199.



أدب/ ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابح مناجلي و أ.د. مليكة بن بوزة

النوع ينطوي على اعتراف بالثقافة الأفريقية، وظاهرة الرق التي حدثت في الماضي مع جميع ما تحيط به من أمور تعتبر من المحرمات التي لا يمكن الخوض فيها.

قائمة المراجع:

- إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب للنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الثالثة، سنة 2004.
- رضوى عاشور: التابع ينهض (الرواية في غرب إفريقيا)، دار الشروق، الطبعة الأولى، السنة: 2016.
- سعيد علوش: نقد ثقافي أم حداة سلحفاة، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، سنة: 2007.
- سوزان باسنيت: الأدب المقارن (مقدمة نقدية)، تر: أميرة حسن نويرة، القاهرة، طبعة سنة 1999.
- بيل أشيكروفت: الرد بالكتابة (النظرية والتطبيق في أداب المستعمرات القديمة)، تر: شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، السنة: مارس 2006.
- وحيد بن بوعزير: جدل الثقافة مقالات في الآخرية والكولونيالية، دار ميم للنشر، الجزائر، الطبعة الأولى، السنة 2018.
- آنيا لومبا: (في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية)، تر: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، الطبعة الأولى، السنة: 2007.
- محمد خليف خضر الحيان: السلطة والماهش، دار حامد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، السنة 2016.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -
ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

العدد: 34 السنة: 2020 تاريخ الشر: 932-25-03-2021

- أدب/ثقافة الأقليات الأفريقية ————— ط. رابع مناجلي و أ.د مليكة بن بوزة
- محمد محمود: الأدب الأفريقي، دار مجد للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، السنة 2008.
- علي شلش: الأدب الإفريقي، مجلة عالم المعرفة (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) الكويت، السنة: مارس 1993.
- عبد الصمد بلكبير: في الثقافة والثقافة الشعبية، مجلة أنوار، السنة: جانفي 1987.



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي حسب التوجه الزمني Mental health status of the student according to time orientation

د. شافية عليط

chafgh3@gmail.com

عبد الحميد مهري- قسنطينة 2

تاریخ القبول: 2020/11/24

تاریخ الإرسال: 2020/06/28

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي حسب التوجه الزمني، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدمت الباحثة المنهج الوصفي لملاءمتها لها، والاستمارية كأداة رئيسية لجمع المعلومات. على عينة قوامها (27) طالب (ة)، حيث توصلت الدراسة إلى إن مستوى واقع مشكلة الصحة النفسية لدى الطلبة جاء مرتفعاً وكذا توجههم نحو الماضي ونحو الحاضر ونحو المستقبل جاء مرتفعاً أيضاً، كما توصلت الدراسة إلى إن نظرة الطلبة للصحة النفسية عبر التوجه الزمني متعلق بعلاقتهم بالأسرة وبمستوى النضج، ودور كل من الماضي والمستقبل في خلق التكيف والتواافق.

الكلمات المفتاحية: الصحة النفسية؛ الطالب الجامعي؛ التوجه الزمني.

ABSTRACT:

the study aimed to identify the mental health status of the university student according to the time orientation, and to achieve the goals of the study, the researcher used the



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

descriptive approach to suit it, and the form as a main tool for collecting information. on a sample of (27) students, the study found that the level of the reality of the mental health problem among students came high, as well as their orientation towards the past and towards the present and towards the future came also high. the study also reached students' view of mental health through the temporal orientation related to their relationship in the family, at the level of maturity, and the role of both the past and the future in creating adaptation and compatibility

Keywords:

Mental health university student ; time orientation

المقدمة:

إن الجامعة مؤسسة علمية أكاديمية مهنية اجتماعية ثقافية، تعمل على توفير فرص كبيرة ومتعددة لبناء شخصية الطالب المتكاملة، ففيها يستكمل الطالب نموه وهو يتفاعل مع أساتذته وزملائه والمنهج الدراسي، ومع المحيط الداخلي والخارجي، وإذا نظرنا إلى المرحلة العمرية للطلبة الملتحقين بالدراسة في الجامعات نرى أنها تكون في بداية بلوغ الطالب لسن الرشد اي عندما يبدأ تكوينه النفسي والفسيولوجي الذي يجعله يشعر بأنه انسان مكتمل الرشد ومهيأ للتصرف بصورة مستقلة عما يمليه عليه الآخرون، وهذا يجعله يتصرف بالاعتماد على نفسه في مختلف المواقف الحياتية التي تواجهه ويحاول إن يحل معضلاتها من خلال وضع الحلول التي يراها مناسبة لهذا الغرض، وهو بالتالي مطلب من مطالب الصحة النفسية التي من خلالها يكون هذا السلوك أو التصرف الذي يقوم به في الموقف الذي هو فيه تصرفًا سوياً وناضجاً ومتماشياً والوضع الذي يعيش فيه أو الأهداف المحمولة التي توصل إليها، وهذا ضماناً للوصول إلى نتائج إيجابية تعود بالفائدة على صحة الطالب وعلى صحة المجتمع ومنه يتحقق ما يسمى بالتوافق والتكييف والشعور



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

بالراحة، لذا جاءت هذه الدراسة لمعرفة الصحة النفسية عبر التوجّه الرّزمي للطالب الجامعي، لأنّ هذه الأُخيرة من الأمور المهمة التي يستطيع الطالب الجامعي إن يوفق بينه وبين البيئة الجامعية الجديدة التي أصبح يعيش فيها فهي تساعدّه على العيش بسلام والتكيّف ومواجهة التحدّيات والأزمات التي تواجهه حتّى يكون قادرًا على التكيّف مع تلك البيئة بصورة عادّية، وكذا فهي مبدأ تنظيمي، تقوم بتوجيه التفاعلات وتنسيقها وتوجيهها بين الأفراد والجماعات، وتقوم بتفصيل الأشياء الطبيعية المتاحة في هذا العالم الذي بات يتسم بالتغيّير، فالزمن يساعدنا على فهم من حولنا، وتنظيمه واستخدام الدلالات الحضارية للزمن التي تمثل معانٍ قوية، تعمل على تحفيز السلوكيات ادراكاً من الأفراد.

مشكلة الدراسة: تعتبر الجامعة إحدى الخطط الهامة التي يمر بها الطالب في حياته بعد كل من البيت والمؤسسات التعليمية الأولى، فهدفها الحافظة على تراث وأصالة وثقافة المجتمع، والسعى إلى الرقي والتقدّم والتتطور و تزويد الطالب معرفياً وعلمياً وإعداده خلقياً واجتماعياً وروحياً وصحيّاً ونفسياً بمختلف الإمكانيات والهيئات المتاحة ، فمن خلالها يكون الطالب مضطراً إلى التكيّف والتواافق مع الوضع الجديد، وبالتالي يبذل كل ما لديه من قدرة على الثبات والصبر حيال ما يعترضه من ضغوطات و العمل على التصدّي لها، لأنّ الحياة الجامعية متّشعبة فهي تختّم عليه إن يكون أكثر حيوية وإقبالاً على الحياة كما يجعله أقدر على المثابرة والإبداع والعطاء ويكون لديه القدرة على فهم نفسه ويدرك دوافعه، سلوكياته، و حاجاته ويفهم أيضاً الآخرين من حوله، وإن تمكن من ذلك فإنه يكون متمتع بما يسمى بالصحة النفسية، لأنّ هذه الأُخيرة تعدّ واحدة من الأمور التي يحاول كل شخص في هذا العالم الكبير التمتع بها نظراً لأهميتها في بناء الشخصية المتكاملة واعداد الإنسان الصحيح نفسياً وعقلياً في أي قطاع من قطاعات المجتمع وأياً كان دوره



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

الاجتماعي فهو يقبل على تحمل المسؤولية الاجتماعية ويعطى للمجتمع بقدر ما يأخذ أو أكثر مستغلاً طاقاته وأمكاناته إلى أقصى حد ممكن، ولأن الطالب الجامعي بطبيعته يعتبر كتلة دينامية يسعى من خلالها لتحصيل العلم وتحقيق ذاته وأهدافه، فقد تواجهه مواقف حياتية تتطلب منه تكيفه في الحاضر وتوجهه نحو المستقبل ومن هنا تلخص المشكلة التي تعالجها الدراسة الحالية من خلال الأسئلة التالية:

- ما مستوى وضع الصحة النفسية عبر الأبعاد الزمنية: الماضي والحاضر
والمستقبل من وجهة نظر الطالب الجامعي؟

والتي تدرج في التساؤلات الفرعية التالية:

- ما واقع وضع الصحة النفسية للطالب الجامعي في الماضي من وجهة نظر هم؟

- ما واقع وضع الصحة النفسية للطالب الجامعي في الحاضر من وجهة نظر هم؟

- ما واقع وضع الصحة النفسية للطالب الجامعي في المستقبل من وجهة نظر هم؟

- كيف ينظر الطالب الجامعي للصحة النفسية من خلال التوجه الرمزي؟

- أهمية الدراسة:

- تأتي أهمية هذه الدراسة في كون الصحة النفسية مهمة في حياة الناس عامة والشباب خاصة وأنهم في مرحلة بناء شخصياتهم ومستقبلهم وهي مرحلة انتقالية ذات اثر فعال في فهم الجيل الواعد، لأنها على مستوى سلامة صحتهم النفسية والجسمية يتوقف تحقيق التكيف والتوفيق وبالتالي تحقيق مدى التقدم والازدهار في المجتمع وهذا ما يبرز أهمية التمتع بصحة نفسية لكونها ضرورة لابد من تتحققها في جوانب حياة الأفراد، لأنها مؤشر على التنبؤ بالمستقبل الصحي العام وبالتالي فهذه الدراسة رؤية استكشافية صحية واجتماعية للكوادر المستقبلية باعتبار التمتع بالتوفيق النفسي وتحقيق الطالب لتكيفه مع نفسه ومع مجتمعه وفق منظور زمني سليم يعد من محددات الصحة النفسية.



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

- أهداف الدراسة:

- معرفة مستوى وضع الصحة النفسية عبر الأبعاد الزمنية
- التوصل إلى وضع الصحة النفسية في الماضي من وجهة نظر الطالب الجامعي.
- التوصل إلى وضع الصحة النفسية في الحاضر من وجهة نظر الطالب الجامعي
- التوصل إلى وضع الصحة النفسية في المستقبل من وجهة نظر الطالب الجامعي
- التوصل إلى مفهوم الصحة النفسية من خلال التوجه الرمزي.

- التعريف الاصطلاحي لمفاهيم الدراسة:

وضع الصحة النفسية: يقصد به في الدراسة الحالية الصحة النفسية للطلبة كما وردت في النموذج الكلي التكاملـي لويتمـر وسوـبيـنـي (1992) والتي تؤكـد عـلـى إنـ الفـردـ الذي يـتـمـتـعـ بـالـسـلامـةـ النـفـسـيـةـ يـنـدـمـجـ مـعـ مـهـمـاتـ الـحـيـاـةـ وـقـوـاـهـاـ المـؤـثـرـةـ وـتـفـاعـلـهـاـ فـيـ الـأـبعـادـ الـرـوـحـانـيـةـ الـمـتـمـثـلـةـ بـالـحـيـاـةـ الـنـفـسـيـةـ الـدـاخـلـيـةـ الـمـطـمـئـنـةـ،ـ وـالـتـوـحـدـ فـيـ الـكـوـنـ الـذـيـ خـلـقـهـ اللهـ وـالـأـمـلـ وـوـجـودـ الـأـهـدـافـ ذاتـ الـمعـنـىـ لـلـحـيـاـةـ،ـ وـبـعـدـ تـنـظـيمـ الـذـاتـ وـالـتـحـكـمـ فـيـهـاـ وـالـشـعـورـ بـقـيـمـهـاـ،ـ وـالـمـعـقـدـاتـ الـوـاقـعـيـةـ،ـ وـالـعـفـوـيـةـ وـالـتـلـقـائـيـةـ وـالـاستـجـابـةـ الـوـجـدـانـيـةـ وـالـاسـتـشـارـةـ الـفـكـرـيـةـ وـحـلـ الـمـشـكـلـاتـ،ـ وـالـإـبـدـاعـ وـرـوحـ الـمـرحـ وـالـلـيـاـقـةـ الـبـدنـيـةـ،ـ وـبـعـدـ الـعـمـلـ الـذـيـ يـشـمـلـ كـلـ ماـ يـفـعـلـهـ الـفـردـ لـلـحـفـاظـ عـلـىـ حـيـاتـهـ وـحـيـاـةـ الـآـخـرـينـ.ـ وـبـعـدـ الـعـلـاقـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ الـمـتـمـثـلـ بـالـقـدرـةـ عـلـىـ إـقـامـةـ الصـدـاقـاتـ وـالـدـعـمـ الـاجـتمـاعـيـ،ـ وـبـعـدـ قـوـىـ الـحـيـاـةـ الـمـؤـثـرـةـ الـمـتـمـثـلـ بـالـأـسـرـيـةـ وـالـعـقـيـدـةـ الـدـيـنـيـةـ وـالـمـجـتمـعـ بـمـخـتـلـفـ مـؤـسـسـاتـهـ بـمـاـ فـيـهـاـ الـحـكـوـمـةـ وـوـسـائـلـ الـإـعـلـامـ وـالـدـوـلـةـ،ـ وـيـقـاسـ وـضـعـ الصـحـةـ الـنـفـسـيـةـ بـالـدـرـجـةـ الـتـيـ يـحـصـلـ عـلـيـهـاـ الـجـيـبـ عـلـىـ الـأـدـاءـ الـتـيـ وـضـعـتـ وـفـقـاـ لـهـذـاـ النـمـوذـجـ.



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

- التوجه الرمزي: طريقة الإنسان في معايشة هذه الأزمنة أسلوبه في التوجه نحوها، الذي يعبر عنه بسلوكه وموافقه الحياتية.¹.

2. الصحة النفسية

2. 1. تعريف الصحة النفسية: حسب منظمة الصحة فهي حالة من العافية الجسمية والعقلية والاجتماعية، وليس مجرد غياب الإعاقة أو المرض.

- هي قدرة أعلى اشیاع المتواافق والمتوازن للطاقة الذاتية".²

- هي توافق الأفراد مع أنفسهم ومع العالم بشكل عام وبالحد الأقصى من الفعالية والرضا والبهجة والسلوك الاجتماعي المقبول والقدرة على مواجهة الحياة وتقبلها.³

ومن خلال ما تم التطرق إليه نستنتج إن المفهوم الاجرائي للصحة النفسية هي أعمق من كونها غياب العجز أو المرض النفسي فقط بل تبعدها إلى أمور أخرى تتمحور حول قدرة الفرد على التوافق النفسي والاجتماعي والتكيف مع مختلف مقتضيات الحياة والتمتع بقدر من الازان الانفعالي، وشعور الفرد بالراحة النفسية والسعادة والرضا والقدرة على العمل والإنتاج.

2. 2. أهمية الصحة النفسية: والتي تتعكس على كل من الفرد والمجتمع وهذا كما يلي:

¹- Carr, Meredich Ann. 1985. The Effects of Aging and Depression on Time Perspective in Woman, Coloration University, Internet, 1985, U UND.p78

²- مصطفى حجازي: الصحة النفسية، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، 2004، ص26

³- الدهري، صالح حسن، آخرون، الشخصية والصحة النفسية، دار الكהתי للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005، ص202.



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

- فهم الذات فالفرد الذي يتمتع بالصحة النفسية هو الفرد المتتوافق مع ذاته، فهو يعرف ذاته ويعرف حاجاتها.

- التوافق يعني ذلك التوافق الشخصي بالرضا عن النفس وفهم نفسه والآخرين من حوله .

- الصحة النفسية يجعل حياة الفرد خالية من التوتر والاضطراب والصراعات المستمرة مما يجعله يشعر بالسعادة مع نفسه اتجاه الشدائد والأزمات وتحتل شخصيته متکاملة.

- الصحة النفسية تجعل الفرد قوياً مما يجعله يؤدي وظائفه بشكل متکامل ومتناقض.

- الصحة النفسية تجعل الأفراد قادرين على التحكم بعواطفهم يتصرفون بسلوكيات سوية ويتبعون عن السلوكيات الخاطئة .

- إن المهدى النهايى للصحة النفسية هو إيجاد أكبر عدد من الأفراد الأسواء.¹

- الصحة النفسية تؤدي إلى زيادة الإنتاج وكفايتها، الجودة والإتقان مع قلة المشكلات والحوادث وبالتالي زيادة الدخل القومي .

- الصحة النفسية تؤدي إلى تماستك المجتمع، تكوين علاقات مع الآخرين والعمل بروح الفريق لتحقيق الإزهار والتطور.

- الصحة النفسية تؤدي إلى احتفاء الظواهر المرضية في وجود الصحة النفسية تکاد

تختفي معها الظواهر السلوكية المرضية كإدمان المخدرات والخمور والسرقة والقتل إلخ¹.

¹ الحالدى، عطاء الله فؤاد، دلال سعد الدين. الصحة النفسية وعلاقتها بالتكيف والتوازن. ط2. دار صناعة للنشر والتوزيع. عمان، الأردن، 2009، ص، 34.



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

2.3. مستويات الصحة النفسية: بما إن الصحة النفسية حالة غير ثابتة تتغير من فرد إلى آخر ومن وقت إلى آخر لدى نفس الفرد، ومن مجتمع إلى آخر، فإن ذلك يعني أنها تتوزع على درجات ومستويات مختلفة وهذا كما يلي:

- **المستوى الرأقي (العادي)**: وتشمل أصحاب الأنماط القوية والسلوك السوي والتكيف الجيد إنهم الأفراد الذين يفهمون ذواهم، ويحققونها، وتبلغ نسبة هؤلاء 5.2% تقريباً (يقعون على أقصى الطرف الإيجابي في البعد والمنحنى الاعتدالي).

- **المستوى فوق المتوسط**: وهو أقل من المستوى السابق وسلوكياته جيد وطبيعي حيث تشكل نسبتهم 13.5% من المنحنى الاعتدالي.

- **مستوى العادي (ال الطبيعي والمتوسط)**: وهو في موقع متوسط بين الصحة المرتفعة والمنخفضة يتميزون بأن لديهم جوانب قدرة وجوانب ضعف، يظهر أحدهما أحياناً وتبلغ نسبتهم في المجتمع حوالي 68%.

- **المستوى أقل من المتوسط**: هنا المستوى أدنى من السابقين من حيث مستوى صحتهم النفسية وأكثر ميلاً للضبط وسوء التكيف، فاشلون في فهم ذواهم وتحقيقها، يقع في هذا المستوى الأشكال الانحرافية النفسية والاضطرابات السلوكية غير الحادة نسبة هؤلاء حوالي 5.13%.

¹ - عبد الحميد محمد الشاذلي، الصحة النفسية سيكلولوجية الشخصية، المكتب العلمي الإسكندرية، 1999، ص.31.



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

المستوى المنخفض: درجتهم في الصحة النفسية قليلة جداً درجة من الاضطرابات والشذوذ النفسي، فهم يمتلكون خطراً على أنفسهم وعلى الآخرين ويتطلبون العزل في مؤسسات خاصة تبلغ نسبتهم حوالي 5.2%.¹.

2. 4. ابعاد الصحة النفسية: اتفق العديد من العلماء إن ابعاد الصحة النفسية

هي:

- التكيف بأشكاله المختلفة: النفسي، البيولوجي، الاجتماعي، الزواجي، الأسري، المدرسي، المهني .

- الشعور بالسعادة مع الآخرين: ويكون بحب الآخرين والثقة بهم واحترامهم وتكوين علاقات اجتماعية مرضية، والسعادة الأسرية والاستقلال الاجتماعي وتحمل المسؤولية، وأمكاناته الذاتية.

- فهم الذات وتحقيقها: عن طريق تناسب وتجانس مستوى الطموح مع قدرات الفرد والعمل على استثمارها وتحقيقها.

- مواجهة مطالب الحياة وأزماتها: فكلما كانت عتبة الإحباط عالية كان ذلك دليلاً على درجة عالية من الصحة النفسية

- النجاح في العمل: نجاح الفرد في عمله ورضاه عنه دليل توافر الصحة النفسية، ومن مظاهر ذلك رضا الفرد عن عمله ونجاحه فيه، ويركز علماء النفس المهني والصناعي على هذا الجانب من خلال الاهتمام بعمليتي الاختيار والتوجيه المهنيين اللذين يهدفان لوضع الرجل المناسب في المكان المناسب .

¹ - محمد قاسم عبد الله، مدخل إلى الصحة النفسية، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة 1، 2001 ص 28..



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

- الإقبال على الحياة والمشاركة المناسبة في حياة المجتمع وتقديمه: من خلال المشاركة في العمل والاستمتاع بالجمال والتعاون مع أفراد المجتمع، فمن علامات اعتدال الصحة النفسية أو اضطرابها الإحجام عن الحياة والتشاؤم واليأس.¹.

3. التوجه الزمني

3. 1. مفهوم التوجه الزمني: إن مسألة الزمن تعد من أعقد المواقف التي فكر فيها العقل الإنساني، لهذا نالت اهتمام الفلاسفة والمفكرون والعلماء قدماً وحديثاً، واختلفت الآراء حوله باختلاف المراجع الفكرية والفلسفية عبر الحقب الزمانية حيث تناوله بالدراسة كل من الفلاسفة والفيزيائيون والتجريبيون، والرياضيون مما نتج عنه تباين في تحديد دلالات المصطلح إلا أنه لا يبتعد كثيراً عن المعنى المعجمي له، فمن الناحية اللغوية فهو يعني ساعات الليل والنهار أو مقدار حركة الفلك حيث عرفه ابن منظور بقوله: "الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره، والجمع أزمن، وأzman، وأزمنة، وأزمن الشيء طال عليه الزمن، وأزمن بالمكان أقام به زمان".² في حين تجلى التعريف الاصطلاحي المتداول في ميدان علم النفس والموظف من قبل الاخصائيين والذي استعمل لأول مرة من قبل لوين (Lewin 1942 & 1951) بأنه جموع وجهات نظر الفرد في ما حول مستقبله وعن ماضيه النفسي، أما مفهوم التوجه أو منظور الزمن فهو مرتبط بحياة الفرد وتطلعاته وأهدافه المستقبلية والتي يسعى لتحقيقها عن طريق إمكاناته ودوافعه، وأول من وظف هذا المفهوم (أيل، 1912) وقد استعمل في اللغة الألمانية مصطلح "Zeitperspective" للدلالة على الأحداث أو الأهداف التي يتصورها الفرد مستقبلاً.

¹ - عبد الله، قاسم محمد. مدخل إلى الصحة النفسية. ط2. دار الفكر ناشرون، 2008، ص.23.

² - ابن منظور أبو الفضال جمال الدين محمد، لسان العرب، دار الجليل ودار اسان العرب بيروت. 1988، ص



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

غير إن المصطلح عرف نسيان من قبل المهتمين لمدة طويلة ولم يحظى بالدراسة، غير أنه عاود في فترة السبعينيات للظهور من خلال الاهتمام بالظواهر والسلوكيات والمواصفات خاصة في مجال الأبحاث النفسية والاجتماعية والتربوية وبالتالي وظف هذا المصطلح (منظور الزمن) لأول مرة سنة 1939 من قبل لورانس فرانك (Frank Lawrence) وبعد ثلث سنوات أدرج كيرت ليفين (Lewin Kurt) هذا المفهوم في نظريته، حيث عرفه بأنه "حمل آراء الفرد عن ماضيه ومستقبله النفسيين في لحظة معينة"، وحسبه فالسلوك الفعلي مرتبط بالتوقعات الحالية للأهداف المستقبلية وليس المدف نفسه.¹

- وهو أيضا تشكيلا للمواقع الزمنية الخاصة بالأشياء والأهداف التي يغلب عليها طابع الزمن وتشغل بصورة مجردة الحياة الذهنية للأفراد في إطار وحدة موقفية محددة²، فالتوجهات الزمنية هي تفضيل الفرد أو استعداده للظهور والتواجد في واحدة من المناطق أو الأفق الزمنية فنقول إن الفرد متوجه نحو الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وهذا انطلاقا من القيمة أو الأهمية النسبية التي سيمنحها للأحداث الواقعة في هذا الأفق أو الآخر.

- وحسب جنifer فهو عبارة عن آراء الفرد تجاه مستقبله، مستفيدا من خبرات الماضي التي اكتسبها من خلال تفاعلاته.

¹ -Radka Havalickova, Isabella Pavelkova. Perspective orientation and time dimension in student motivation. Journal of Education, Culture and Society, 2013, p178,

² -Nuttin.J..motivation et perspective d'avenir, Belgique, presses universitaires de louvain1980 ,p88 .,



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

- في حين حدد كل من زيمباردو وبويد منظور الزمن على أنه العملية اللاوعية غالبا، التي تعزى من خلالها التدفق المستمر للتجارب الشخصية والاجتماعية إلى فنات زمانية، تساعد على إعطاء الترتيب، التماسك، والمعنى لتلك الأحداث¹.

وبهذا فالتوجهات الزمانية تشير إلى التوجه نحو الماضي والمستقبل أساساً الذين يمكنهما إن يتعايشان مع بعضهما البعض من غير إن يتناقضا، أي أحدهما لا يلغى وجود الآخر حتماً يصبح الماضي مستقبل والمستقبل ماضٍ وهكذا.

3. 2. النظريات المفسرة للتوجه الزمني

- **نظريّة السمات:** ترى إن الحاضر هو الأهم للشخصية وأن الكائنات البشرية ليست سجينة صراعات الطفولة وخبراتها، فالحاضر هو الذي يوجه نشاطات الماضي². كما يرى جوردن البريث إن الماضي ليس مهما إلا إذا تضمن تأثير الحاضر.

- **نظريّة المجال:** لصاحبها "كورت ليفين": "يرى "ليفين" إن السلوك الراهن لا يمكن إن يتأثر بالماضي أو الحاضر، وذلك وفق لمبدأ التزامن، فإن توجهات الشخص ومشاعره وافكاره عن الماضي والحاضر قد يكون لها تأثير ملحوظ في سلوكه، فقد تكون آمال المستقبل أكثر أهمية عند الشخص من مصاعب الحاضر، لذلك يجب تمثيل الماضي النفسي والمستقبل.

¹- Maciej, Stolarski & Nicolas, Fieulaine& Wassel, van Beek. Time perspective Theory; Review, Research and Application Essays in Honor of Philip G. Zimbardo, Springer International Publishing Switzerland 2015 p6

²- العبيدي عفراء إبراهيم زاخرون، التلكلؤ الأكاديمي وعلاقته بجودة الحياة المدركة عند طلبة الجامعة، ع35، ج 2. 2013، ص129...



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

- **النظريّة الفردية:** لصاحبها ادلر "تؤكد على أهمية المستقبل، لأن الإنسان تحرّكه توقعاته للمستقبل أكثر مما تحرّكه خبرات ماضيه، وان اهداف الحياة هي السبب الذاتي للأحداث السيكولوجية. نظريته تسير وفق مبدأ الغائية، حيث الأسباب والغرائز لا يمكن إن تستخدم مبادئ للتفسير وإنما الهدف النهائي هو وحده الذي يستطيع تفسير سلوك الإنسان¹

- **النظريّة الوجودية:** رائدها فكتور فراكلان الشخص الأصيل هو الذي يقبل حاضره وماضيه، ويكون توجّهه الأساسي نحو المستقبل بكل ما يرتبط به من مجهول أو عدم يقين، ما يقوده إلى خبرة القلق الذي يتقبله كونه ضرورة ملزمة للحياة المؤثرة وتمكنه من الشجاعة لهذا القبول، أما الشخص غير الأصيل الذي يخشى المستقبل المجهول، وينكمش في خوفه وينظر إلى نفسه وفق ماضيه أو حاضره مع المشاعر الناتجة من الذنب والاسف.²

- **النظريّة المعرفية:** يرى المعرفيون إن الصحة النفسية تعتمد على الأقل جزئياً على الطريقة التي يفكرون بها الأفراد يقيمون الحوادث في البيئة، كما يرون إن زيادة الاحساس بالفاعلية الذاتية يسهم في تعزيز الصحة النفسية الجسمية عند الأفراد.

- **نظريّة الحاجات:** حسب "موراي" إن الشخصية لا تفهم إلا من خلال مجال زمني تطوري إذ يرى إن الماضي ذو أهمية كبيرة، والحاضر مهم جداً في مستقبل الشخصية

¹ - أهول وافدراري، نظريات الشخصية، تر، فرج أحمد فرج زاخرون/دار الفكر العربي، القاهرة، 1978، ص 163

² - القيسي صالح احمد، الصحة النفسية، ط 1، دار النور للنشر، لبنان، 2000، ص 56.



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

وذلك إن الشخصية دائمة التغير فهي عالم غير ثابت ويصعب تحديده.¹ بمعنى يركز على

أهمية ماضي الإنسان والمحنوى الحاضر الذي يجري فيه السلوك.²

3.3. اضطرابات التوجه الزمني: تظهر العديد من الاضطرابات من خلال

احتلال تقديرات الأفراد لمنظورهم الزمني وكذا عن انحراف في بناء مفهوم الزمن الواقعي الذي يحس به الفرد ولأسباب غير ذاتية عموما مصدرها اجتماعي ثقافي أو ذاتي نفسي، كما يمكن أن يمس قدرة الفرد في توظيف توجهه الزمني، وذلك بتشتيت انتباذه حول الماضي أو الحاضر أو المستقبل أو عدم التفاته إلى بعض منهم، عندما يتطلب مساره في الحياة ذلك. حيث يشير (Bonneville 2000) إلى أنه توجد ثلاث أنواع من اضطرابات منظور الزمن (اضطرابات الماضي، اضطرابات الحاضر، اضطرابات المستقبل) والتي نوجزها في:

- اضطرابات التوجه نحو الماضي: يتمثل في مواجهة التناقض بين سير خط الزمن غير الذاتي (العرضي) وتغيراته الواقعية مع زمنه الذاتي الذي يبقى في سجل ماضي نتيجة سيطرة التوجه الزمني الماضي، أي يتوجه نحو ذكريات يستحضرها باستمرار شعوريا، ويتجسد ذلك خاصة في كل أنواع الاكتئاب والسوداوية.

- اضطرابات التوجه نحو المستقبل: تمثل رفض الفرد بوعي أو دون وعي منه لماض أو حاضر ليس له معنى أو دلالة ضمن أهداف وطموحات مستقبلية. فيتوقف التفكير التسبيقي الخاص بالخطيط ومراحل التنفيذ لمشاريع وأهداف مستقبلية، غالباً إن

¹ داود العبيدي، مرجع سابق، 213.

² هول ولنزي، مرجع سابق. ص، 369.



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

كانت هناك طموحات مستقبلية فهي ذات توجه عقائدي، كما هو الحال في بعض العتقدات الدينية.

- اضطرابات التوجه نحو سجل الحاضر: وفي إطار اضطرابات التوجه نحو سجل الحاضر يمكننا إدراج اضطرابات المعنى الخاص بالوقت الحاضر "الآن"، الذي يدل على مجموعة نشاطات الفرد اليومية التي تشمل اللحظة الحالية التي يتم القيام خلالها بالعمل اللازم تنفيذه ودون انتظار يسمح بتقييم الموقف الآني.¹

4. الدراسة الميدانية

- **منهجية الدراسة:** بما إن الدراسة قامت بالكشف عن واقع الوضع النفسي المتمثل بالصحة النفسية عبر التوجه الزمني للطلبة فإن المنهج المتبع في انجازها هو المنهج الوصفي.

- **عينة الدراسة:** قدر بـ 27 طالب مستوى الدكتوراه لـ، م، د تم اختيارهم عن طريق المسح الشامل لجميع طلبة الدكتوراه.

- **أداة الدراسة:** استماراة الصحة النفسية اين تم بنائها استنادا على ما جاد به التراث الادبي حول الموضوع وبشكل خاص على نموذج ويتمرو وسويني، حيث تكونت الأداة من 50 عبارة اين تم توزيعها على ثلاث محاور تحض ابعد التوجه الزمني (الماضي، الحاضر، المستقبل) اين تم تسليمها باليد اين تم تقدير الاستمارات من خلال مقابلة المبحوثين، ومن ثم تم توزيعها، لحين الانتهاء من الإجابة تم جمع الاستمارات .

¹ - حار الله، سليمان. منظور الزمن وعلاقته بالجلد في مواجهة الأحداث الصادمة. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سطيف 2، الجزائر. 2013



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

- الخصائص السيكومترية: فمن خلالها ستنطرق إلى صدق الأداة اين تم توزيعها على ثمانية أساتذة من اهل الاختصاص اين تم العمل بلاحظات خمس أساتذة في حين ثلاثة منهم لم يقدموا أي ملاحظة حول الاستبيان مما تم استبعادها، حيث طلب إليهم تحديد درجة ملائمة الفقرات الواردة في الاستبانة وتمويلتها لقياس الصحة النفسية لدى الطلبة عبر الأبعاد الزمنية، وانتمائتها للأداة، ووضوحها وسلامتها اللغوية. واقتراح فقرات يروها ضرورية وحذف الفقرات غير الضرورية، وبعد إعادة الاستبانة تم إجراء التعديلات المقترحة التي اتفق عليها بنسبة (80 %) من الحكمين في توصياتهم، وفي ضوء التعديلات خرجت الاستبانة بعد التحكيم بصورتها النهائية وتكونت من (47 فقرة). كما تم حساب الثبات بطريقة الاتساق الداخلي، وفق معادلة الفاکرونباخ، وبلغ معامل الاتساق 0,87 واعتبر مقبولاً لأغراض الدراسة الحالية، وقد تم تصميم الاستجابة على الاستبانة وفق تدريج ليكارث الثاني ومن ثم تفسير النتائج وفق المتوسط المرجح.

- نتائج الدراسة:

الإجابة على السؤال الأول: ما مستوى وضع الصحة النفسية عبر الأبعاد الزمنية الماضي والحاضر والمستقبل من وجهة نظر الطالب الجامعي؟ حيث جاءت الإجابات كالتالي:

البعد	المتوسط الحسابي	الانحراف	الوضعية النفسية
الماضي	4,103	66,13	متوسط
الحاضر	8,107	72,12	مرتفع
المستقبل	47,107	29,12	مرتفع

جدول 1: مستوى وضع الصحة النفسية عبر الأبعاد الزمنية



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

نلاحظ إن مستوى وضع الصحة النفسية في الماضي يقع ضمن المستوى المتوسط، أي المععدل حيث بلغ متوسطه الحسابي 103,4، ثم ليشه كل من الوضع في الحاضر والمستقبل في المركز الثاني والثالث وهذا بمتوسط حسابي 107,8 و 107,47، فإنهما يقعان ضمن المستوى المرتفع، مع ظهور نزعة تصاعدية متسلقة عبر الأزمنة باتجاه التحسن، غير إن الاختلاف في المتوسطات الحسابية بين التوجه نحو الحاضر قليل، ولا يعطيه صفة الشيوع المطلق على التوجه الرئيسي نحو المستقبل.

الإجابة على السؤال الثاني: ما واقع وضع الصحة النفسية للطالب الجامعي في

الماضي من وجهة نظر هم؟

جدول 2

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لاستجابات أفراد العينة حول الصحة النفسية في الماضي.

المستوى	الترتيب	الانحراف
مرتفع	1	0,50
مرتفع	2	0,54
مرتفع	3	0,55
مرتفع	4	0,61
مرتفع	5	0,59
مرتفع	6	0,69
مرتفع	7	0,62
مرتفع	8	0,67



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

مرتفع	8	0,67
مرتفع	10	0,64
مرتفع	11	0,68
مرتفع	12	0,62
مرتفع	13	0,70
مرتفع	14	0,71
مرتفع	15	0,67
مرتفع	16	0,63
مرتفع	17	0,70
مرتفع	18	0,69
مرتفع	19	0,73
مرتفع	20	0,62
مرتفع	21	0,78
متوسطة	22	0,73
متوسطة	23	0,71
متوسطة	24	0,77
متوسطة	25	0,61
متوسطة	25	0,61
متوسطة	27	0,64
متوسطة	28	0,72
متوسطة	29	0,71



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

متوسطة	29	0,71
متوسطة	31	0,70
متوسطة	32	0,76
متوسطة	32	0,77
متوسطة	34	0,74
متوسطة	35	0,70
متوسطة	36	0,72
متوسطة	37	0,66
متوسطة	38	0,65
متوسطة	39	0,73
متوسطة	40	0,62
متوسطة	41	0,70
متوسطة	42	0,79
متوسطة	43	0,76
متوسطة	44	0,74
متوسطة	45	0,63
متوسطة	46	0,77
متوسطة	47	0,71
مرتفع		0,38

المصدر: الباحثة



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

يتبيّن من الجدول (2) إن المتوسط الحسابي لواقع وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي في الماضي من وجهة نظرهم بلغ (55,2) وبانحراف معياري (0,38) وهو يقع ضمن درجة المعيار المرتفع. وقد تراوحت المتوسطات الحسابية بين (2,71) في حدّها الأعلى وكانت لفقرة (الإيمان بأن الله تعالى مع عبده وهي بدرجة مرتفعة، وبين (1,70) في حدّها الأدنى وكانت لفقرة: (القدرة على التحكم بضغوط الحياة) وهي بدرجة متوسط وهذا كما جاءت مرتبة في الجدول.

الإجابة على السؤال الثالث: ما واقع وضع الصحة النفسية للطالب الجامعي في

الحاضر من وجهة نظر هم؟

المستوى	الترتيب	الانحراف	المتوسط	العبارة
مرتفعة	1	0,53	2,70	الإيمان بـان الله قريب من عباده
مرتفعة	2	0,56	2,56	اتقن بسمعة طيبة
مرتفعة	3	0,63	2,62	أقوم بواجباتي على أكمل تجاه اسرتي
مرتفعة	4	0,66	2,46	أقوم بسلوكيات تعزز قيمتي بنظري
مرتفعة	5	0,63	2,52	التكيف مع ظروف اسرتي
مرتفعة	6	0,52	2,54	احظي بقبول الآخرين لي
مرتفعة	7	0,55	2,55	اتقن بشقة نفس عالية
مرتفعة	8	0,55	2,61	أتأمل كثيرا فيما خلق الله
مرتفعة	8	0,57	2,60	أشعر بظروف الآخرين
مرتفعة	10	0,59	2,57	أقوم بسلوكيات تعزز قيمتي في نظر الآخرين
مرتفعة	11	0,58	2,56	تبادل العلاقة مع الآخرين على أساس



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

				الحبة.
مرتفعة	12	0,59	2,48	التكيف مع ظروف أسرية
مرتفعة	13	0,62	2,67	اعتبر الدراسة مرحلة أساسية في حياتي
مرتفعة	14	0,66	2,57	الدراسة تظهر كفاعتي
مرتفعة	15	0,62	2,56	اسعى إلى النجاح على حساب الفشل
مرتفعة	16	0,63	2,52	استفيد من التجارب السابقة
مرتفعة	17	0,57	2,53	اتفاعل مع الآخرين بكل عفوية
مرتفعة	18	0,64	2,53	التعاطف مع الآخرين
مرتفعة	19	0,59	2,57	أحظى بدعم معنوي من اهلي
مرتفعة	20	0,61	2,51	الدعم المتبادل مع الآخرين
مرتفعة	21	0,60	2,50	استثمر وقتي مع عائلتي
مرتفعة	22	0,62	2,48	اتصف بالبهجة والسرور
مرتفعة	23	0,8	2,43	سلوكياً نابعة من طبيعتي
مرتفعة	24	0,66	2,45	عقلانية التصرف بين الواقع والمأمول
مرتفعة	25	0,60	2,42	أواظب على أداء الشعائر الدينية
مرتفعة	25	0,46	2,46	لدي القدرة على معرفة هدفي في الحياة
مرتفعة	27	0,59	2,44	اتحلى بالتفكير المنطقي في الأمور
مرتفعة	28	0,64	2,47	أشعر بظروف الآخرين
مرتفعة	29	0,62	2,43	أشعر بكفاءتي الذاتية
مرتفعة	29	0,62	2,40	لدي القدرة على تحدي الصعاب
مرتفعة	31	0,64	2,41	اتحلى بالصبر والثبات



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

مرتفعة	31	0,64	2,45	اسعى للتفاؤل في المستقبل
مرتفعة	33	0,66	2,44	لا أثر بحالتي السلبية الماضية
مرتفعة	34	0,61	2,42	اسهر على التقويم الذاتي لكل ممارسي
مرتفعة	35	0,2	2,40	احرص على أداء السلوكيات المطلوبة
مرتفع	36	0,61	2,39	لدي القدرة على التمييز بين الأمور العقلانية واللاعقلانية
مرتفعة	37	0,52	2,37	القدرة على ضبط الرغبات الذاتية
مرتفعة	38	0,53	2,38	تعرف حياتي نحو وتطور مستمر
مرتفعة	39	0,60	2,34	مراجعة سلوكي يحقق الراحة النفسية
مرتفعة	40	0,71	2,38	استثمر وقتي مع عائلتي
مرتفعة	41	0,79	2,33	طموحاتي تدفعني للدراسة
مرتفعة	42	0,61	2,37	القدرة على أداء متطلبات الحياة
مرتفعة	43	0,53	2,33	اعبر عن انفعالي بطريقة مقبولة
متوسطة	44	0,72	2,31	الامن والسلام يفيض من داخلي
متوسطة	45	0,55	2,30	لدي القدرة على تحقيق طموحاتي الواقعية
متوسطة	46	0,65	2,21	لدي القدرة على التحكم بالانفعال والسلوك
متوسطة	47	0,62	2,14	لدي القدرة على التحكم بضغوط الحياة
النتيجة العامة				النتيجة العامة

جدول 3: المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لإجابات أفراد العينة حول واقع

الصحة النفسية في الحاضر



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

يتبيّن من الجدول (3) إن المتوسط الحسابي لواقع وضع الصحة النفسية لدى الطلبة في الحاضر من وجهة نظرهم بلغ (2,40) وانحراف معياري (0,58)، وهو يقع ضمن درجة المعيار المرتفع. وقد تراوحت المتوسطات الحسابية بين (2,70) (في حدّها الأعلى وكانت لفقرة (إيمان بأن الله تعالى قريب من عباده (وهي بدرجة مرتفعة، وبين (2,14) (في حدّها الأدنى وكانت لفقرة: "القدرة على التحكم بضغوط الحياة" وبدرجة متوسطة).

- الإجابة على السؤال الرابع: ما واقع وضع الصحة النفسية للطالب الجامعي في المستقبل من وجهة نظر هم؟

المستوى	الترتيب	الانحراف	المتوسط	العبارة
مرتفعة	1	0,12	2,79	الإيمان بأن الله قريب من عباده
مرتفعة	2	0,28	2,62	أتمتع بسمعة طيبة
مرتفعة	3	0,64	2,70	أتأمل كثيرا فيما خلق الله
مرتفعة	4	0,50	2,71	أقوم بسلوكيات تعزز قيمتي بنظري
مرتفعة	5	0,54	2,72	أتمتع بشقة نفس عالية
مرتفعة	6	0,62	2,47	أقوم بواجباتي على أكمل وجه تجاه أسرتي
مرتفعة	7	0,55	2,68	أقوم بسلوكيات تعزز قيمتي في نظر الآخرين
مرتفعة	8	0,58	2,68	أواظُب على أداء الشعائر الدينية
مرتفعة	8	0,51	2,65	أسعى إلى النجاح على حساب الفشل
مرتفعة	10	0,62	2,65	تبادل العلاقة مع الآخرين على أساس الخبرة
مرتفعة	11	0,58	2,66	الدراسة مجال للتعرف على الآخرين
مرتفعة	12	0,50	2,65	أتمتع بعلاقات صداقة جيدة



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

مرتفعة	13	0,52	2,63	أحظى بقبول الآخرين لي
مرتفعة	14	0,52	2,66	الدراسة تظهر كفاعي
مرتفعة	15	0,54	2,64	أتصف بالبهجة والسرور
مرتفعة	16	0,60	2,68	التكيف مع ظروف أسرتي
مرتفعة	17	0,54	2,63	أشتهر وقي مع عائلتي
مرتفعة	18	0,60	2,64	عقلانية التصرف بين الواقع والمأمول
مرتفعة	19	0,65	2,63	التعاطف مع الآخرين
مرتفعة	20	0,66	2,60	اعتبر الدراسة مرحلة أساسية في حياتي
مرتفعة	21	0,69	2,50	لدي القدرة على معرفة هدفي في الحياة
مرتفعة	22	0,62	2,54	أشعر بكافعية الذاتية
مرتفعة	23	0,64	2,56	أستفيد من التجارب السابقة
مرتفعة	24	0,66	2,57	أشعر بظروف الآخرين
مرتفعة	25	0,62	2,54	أحظى بدعم معنوي من اهلي
مرتفعة	26	0,60	2,58	أحرص على أداء السلوكيات المطلوبة
مرتفعة	26	0,60	2,55	أتحلى بالصبر والثبات
مرتفعة	26	0,60	2,60	لدي القدرة على التمييز بين الأمور العقلانية واللاعقلانية
مرتفعة	29	0,64	2,58	تعرف حياتي نحو وتطور مستمر
مرتفعة	30	0,51	2,53	أتفاعل مع الآخرين بكل عفوية
مرتفعة	31	0,66	2,52	مراجعة سلوكي يحقق الراحة النفسية
مرتفعة	32	0,60	2,55	أتحلى بالتفكير المنطقي في الأمور



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

مرتفعة	33	0,63	2,55	لا أتأثر بحالتي السلبية الماضية
مرتفعة	34	0,67	2,50	الدعم المتبادل مع الآخرين
مرتفعة	35	0,65	2,51	قدرتي على أداء متطلبات الحياة
مرتفع	36	0,50	2,60	طموحاتي تدفعني للدراسة
مرتفعة	37	0,63	2,54	أشهر على التقويم الذاتي لكل ممارستي
مرتفعة	38	0,67	2,57	لدي القدرة على تحدي الصعاب
مرتفعة	39	0,64	2,54	سلوكياً نابعة من طبيعتي
مرتفعة	40	0,67	2,46	القدرة على ضبط الرغبات الذاتية
مرتفعة	41	0,73	2,44	أسعى للتفاؤل في المستقبل
مرتفعة	42	0,70	2,49	أشتهر وقتي مع عائلتي
مرتفعة	43	0,72	2,33	لدي القدرة على تحقيق طموحاتي الواقعية
مرتفعة	44	0,60	2,41	أعبر عن انفعالاتي بطريقة مقبولة
مرتفعة	45	0,63	2,42	لدي القدرة على التحكم بالانفعال والسلوك
متوسطة	46	0,72	2,31	الأمن والسلام يفيض من داخلي
متوسطة	47	0,70	2,30	لدي القدرة على التحكم بضغوط الحياة
مرتفعة	0,59	2,45		النتيجة العامة

جدول 4: المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لإجابات أفراد العينة حول واقع الصحة النفسية في المستقبل.

ويتبين من الجدول (4) إن المتوسط الحسابي لواقع وضع الصحة النفسية لدى الطلبة في المستقبل من وجهة نظرهم بلغ (2,45) وانحراف معياري (0,59) (وهو يقع ضمن درجة المعيار المرتفع. وقد تراوحت المتosteatas الحسابية بين (2,79) (في حدتها



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

الأعلى وكانت لفقرة (الإيمان بأن الله تعالى مع عبده) و بدرجة مرتفعة ، وبين (2,30) (في حدها الأدنى وكانت لفقرة : (التحكم بضغوط الحياة) و بدرجة متوسطة .

- الإجابة على السؤال الخامس: كيف ينظر الطالب الجامعي للصحة النفسية

من خلال التوجه الرازي؟

الإجابة	التكرار	النسبة	الترتيب
- النظر إلى زمن المستقبل يمكن أن يساعد الطلبة الحصول على تقديرات دراسية مرتفعة	26	96,29	1
- التوجه الرازي ليس ولد الحاضر أو ولد الفرد في حد ذاته بل يرجع إلى الأسرة بالدرجة الأولى والى مؤسسات التنشئة الاجتماعية	26	96,29	1
- بالرغم من أهمية المرحلة ونضج الطالب الجامعي إلا أنه يبقى متعلقاً بالأسرة التي يتتمي إليها حتى يشعر بالراحة النفسية	25	92,59	3
- الأسرة ومؤسسات التنشئة الاجتماعية أهم دافع للمرور عبر الأزمات بأمان	23	25,18	4
- الماضي هو من يوجه أنظارنا نحو التطلع إلى طموحات المستقبل	22	81,48	5
- الماضي، الحاضر المستقبل تساهem في نجاحات الطالب الدراسية أو المهنية (التكيف)	21	77,77	6
- يستطيع الفرد تكيف أبعاد الزمن وفقاً للمواقف التي يواجهها لكن تحتاج إلى جهود وحالة صحية سوية	21	77,77	6



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

8	74,09	20	- الصحة النفسية هي اننا نتذكر الماضي، نواجه الحاضر، نمضي نحو المستقبل
9	70,37	19	- التوجه الزمني والماضي في المستقبل بتواافق دليل على سلامة الفرد
10	66,66	18	- التقيد والتمسك بالزمن يؤدي إلى نتائج عكسية
11	62,96	17	- التنقل عبر الأزمنة يكون نسي، فالبعض يرى الماضي السلي دافع للعمل أكثر، في حين البعض الآخر يراه مثبط ويستحيل تحقيق النتائج الإيجابية
12	59,25	16	- الماضي الإيجابي حنين وتأمل وبالتالي يكون دافعا نحو المستقبل
13	51,81	14	- النظر إلى كل من الحاضر الحنمي والحاضر الإيجابي فال الأول يؤدي إلى تقليل فرص المثابرة والإرادة، في حين الحاضر الإيجابي يكون قاعدة قوية للنجاحات والطموحات
14	44,44	12	- النظر إلى المستقبل دون افراط ودون تفريط، التركيز الشديد على المستقبل دون عقلانية يمكن الإصابة بالخيالية والدخول في حالة مرضية من كآبة وتعاسة، في حين العيش دون النظر إلى المستقبل كأن الفرد يعيش دون أمل، ودون هدف أو توجه وبالتالي دون حياة.
15	40,74	11	- هناك فروقات فردية في كيفية التعامل مع الزمن، والتي تتعلق كثيرا بنمط الشخصية



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

جدول 5: نظرة الطلبة للصحة النفسية حسب التوجه الزمني

من خلال النتائج المبينة في الجدول نلاحظ هنالك اجماع لإجابات أفراد العينة على العبارة التي جاءت في المرتبة الأولى بان النظر إلى المستقبل يعتبر بمثابة دافعا قويا للنجاح والمتابرة ونفس الدور التي تقوم به الاسرة وكذا مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تحدث دائما على إن الفرد السليم هو من يدرك الزمن جيدا وهو من ينظر اليه نظرة واقعية، لأن الاسرة الجزائرية بصفة خاصة ما زالت تعرف بتلاحم افرادها فمهما بلغوا سن المراهقة أو سن الرشد ومهما كانت مكانتهم الاجتماعية يكونون دائما في علاقة وطيدة بالعائلة وكذا اغلب قراراهم تكون ذات علاقة بما اكتسبوه من اسرهم، كما يعملون على نيل رضا اسرهم خاصة الاولى، وبالتالي تزيد من ارتياحهم في الحياة، لتليه إجابات أخرى لا تقل هي الأخرى أهمية عن الإجابات الأولى والمتمثلة في دور كل من الماضي والحاضر والمستقبل في كيفية التأثير على حياتهم وبالتالي على توافقهم وتكيفهم .

5. مناقشة النتائج:

أشارت النتائج التي تم التوصل اليها من خلال هذه الدراسة إلى إن وضع الصحة النفسية لطلبة الدكتوراه في علم النفس، كما يدركونه هم جاء بمتوسط مرتفع في كل ابعاده غير إن الاختلاف في المتوسطات الحسابية بين التوجه نحو الحاضر قليلا، ولا يعطيه صفة الشيوع المطلق على التوجه الزمني نحو المستقبل. كما بينت النتائج أيضا إن نظرة طالب الدكتوراه حول الصحة النفسية عبر التوجه الزمني جاء هو الآخر مرتفع في كل من النظرة للماضي أو النظرة للحاضر أو النظرة للمستقبل، ومن خلال تدعيم إجابات أفراد العينة حول التوجه الزمني للصحة النفسية من خلال السؤال الخامس حيث كانت النتائج ثرية ، فالنظرة إلى المستقبل تعتبر بمثابة دافعا قويا للنجاح والمتابرة ونفس الدور التي تقوم به الاسرة وكذا مؤسسات التنشئة الاجتماعية حيث مهما بلغ الأفراد من درجات



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

اجتماعية معينة فهي الموجه والناهي والامر، لأن الفرد السليم هو من يدرك الزمن جيدا وهو من ينظر اليه نظرة واقعية، كما تلعب الاسرة الدور الأهم في مساعدة الطالب على تحقيق الصحة النفسية فهي المرجع في اغلب قراراتهم ، وبالتالي تزيد من ارتياحهم في حياتهم، كما تلعب أيضا الحالة النمائية لأفراد العينة حيث أصبحوا أكثر واقعية لضمهم في مختلف جوانب النمو كما إن الوضع النفسي يزداد تحسنا أيضا .

ـ كما تم استنتاج إن الأبعاد الزمنية جاءت بشكل منسق، وهذا دليل على ما يشعرون به لوجود الراحة بأنهم سيحصلون على الأمان والاستقرار والاطمئنان في الحياة، لأنهم في طور الدراسات العليا وان الشهادة الجامعية ستفتح لهم باب المستقبل للعمل والحياة الاجتماعية وتكونن أسرهم الخاصة بهم، وبالتالي إن الصحة النفسية تتحسن عبر سنوات الدراسة الجامعية.

ـ كما تعمل الفروقات الفردية من عوامل اجتماعية، وسيكولوجية، وهي عادة متراقبة على نحو وثيق فالرغبات تنمو بسبب حاجة غير مشبعة وهنا تبين سعة الصحة النفسية لكل فرد، لأنها لا تتطور ما لم يصبح مدركين بإشباع الحاجات المتوسطة.

ـ الأبعاد السيكولوجية هي التي تفسر الكيفية التي يسير بها الفرد الرمن.

ـ الصحة النفسية عبر التوجه الزمني هي عملية نفسية اجتماعية وثقافية تساعد في التوافق مع الأبعاد الزمنية والتزامن مع الآخرين.

6. الخاتمة

من خلال ما تم التوصل اليه نستنتج إن التوجه الزمني سمة نفسية ابعادها الماضي والحاضر والمستقبل في وحدة متكاملة، هدفه تعرف الفرد على منظوره الزمني الذي يجعله أكثر دراية باحتياجاته النفسية وقيمه الشخصية، إذ يأتي تحقيق التوازن والإيجابية في ضوء الاستعمال الجيد للماضي، والعثور على الطرق الصحية للاستمتاع بالحاضر، ورسم



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

الخطط لتحسين ذاته وحياته المستقبلية، فحسب بياجي الرمن مقاييس حياته، وهو قانون ننظم داخل اسواره، وفي ثنایا خلاليه الفكر والمجتمع، وان الحياة النفسية للإنسان تكمن جميعها في تلك المواقف المختلفة التي يتخذها المرء من ماضيه وحاضره ومستقبله، متوضعا في الزمان والمكان ويجيأ فيها وينمو مشكلاً بنية نفسية واجتماعية في غاية من الأهمية، لأنها تشكل كمعطى ذاتي نفسي داخلي تتفاعل النفس البشرية بإيقاعه، وتعامل مع معانيه، كما تستخرج أيضاً إن معنى الصحة النفسية المعبّر عنها في هذه الدراسة على أنها الحالة التي يكون فيها الطالب متواافقاً نفسياً ويشعر بالسعادة مع نفسه وزملائه ومع الآخرين، ويكون قادرًا على تحقيق ذاته واستغلال إمكاناته، وقدراً على مواجهة مطالبه المستقبلية، انطلاقاً من أرضية تمثل الماضي، والصحة النفسية هي فقط القادر على تحقيق توافق نفسي كعملية دينامية مستمرة تتناول السلوك والبيئة بالتغيير والتعديل حتى يحدث التوازن والموافقة، حيث عبر عنها الفيلسوف أوغسطين هناك حاضر للأشياء الماضية، وحاضر للأشياء الحاضرة وحاضر للأشياء المستقبلية، وبالتالي فالصحة النفسية تكيف مستمر وليس حالة ثابتة، وهي هدف دائم وضروري في نمو الشخصية السوية، كما أنها حالة إيجابية تشمل كافة المكونات المعرفية، والسلوكية، والانفعالية المتکاملة، والنامية في عملية التكيف الهدفـةـ وفي نهاية هذا العمل تم التوصل إلى جملة من الاقتراحات التالية:

- ضرورة الاهتمام بالترابط المنطقي بين التوجهات الرمزية الثلاثة .
- تعزيز العلاقات الإنسانية بين الطلبة والجامعة قصد الرفع من مستويات الصحة النفسية.
- إجراء دراسات مماثلة على عينات كبيرة من الطلبة في مستويات جامعية أخرى، ومع شرائح أخرى من المجتمع.



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

- إجراء دراسات حول العلاقة بين الصحة النفسية وعلاقتها باضطرابات التوجه الظاهري.
- القيام بدراسات حول الصحة النفسية وعلاقتها بمتغيرات أخرى لما لها من أهمية في حياة الطالب أو الأفراد بصفة عامة.

المراجع:

- ابن منظور أبو الفضال جمال الدين محمد، لسان العرب، دار الجليل ودار اسان العرب بيروت. 1988، ص 199.
- أبو العمران، إبرهام أحمد، مستوى الصحة النفسية للعاملين بمهنة التمريض في المستشفيات الحكومية بمحافظات غزة وعلاقتها بمستوى أدائهم. رسالة ماجستير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة. 2008، ص 4.
- جار الله، سليمان. منظور الزمن وعلاقته بالجلد في مواجهة الأحداث الصادمة. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سطيف 2، الجزائر. 2013.
- عبد الحميد محمد الشاذلي، الصحة النفسية سيكولوجية الشخصية، المكتب العلمي الإسكندرية، 1999، ص 31.
- عبد الله، قاسم محمد. مدخل إلى الصحة النفسية. ط 2. دار الفكر ناشرون، 2008، ص 23.
- العبيدي عفراء إبراهيم زاخرون، التلاؤ الأكاديمي وعلاقته بجودة الحياة المدركة عند طلبة الجامعة، ع 35، ج 2. 2013، ص 129.
- الدهاري، صالح حسن، وآخرون، الشخصية والصحة النفسية، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005، ص 202.



وضع الصحة النفسية لدى الطالب الجامعي ----- د. شافية غليط

- القيسي صالح احمد، الصحة النفسية، ط1، دار النور للنشر، لبنان، 2000، ص.56.
- محمد قاسم عبد الله، مدخل إلى الصحة النفسية، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة 1، 2001، ص.28.
- مصطفى حجازي: الصحة النفسية، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، 2004، ص26

- هول وافدزري، نظريات الشخصية، تر، فرج احمد فرج وآخرون/دار الفكر العربي، القاهرة. 1978، ص، 16

_ Carr, Meredich Ann. 1985. The Effects of Aging and Depression on Time Perspective in Woman, Coloration University, Internet,1985,U UND.p78

_ Maciej, Stolarski & Nicolas, Fieulaine& Wassel, van Beek.Time perspective Theory; Review, Research and Application Essays in Honor of Philip G. Zimbardo, Springer International Publishing Switzerland2015 p6

_ Nuttin.J.,motivation et perspective d'avenir, Belgique, presses universitaires de louvain1980 ,p88 ,

_ Radka Havalickova, Isabella Pavelkova. Perspective orientation and time dimension in student motivation. Journal of Education, Culture and Society nr, 2013, p178,



**المضامين الساخرة وتأثيرها في تربية الوعي السياسي لدى الشباب
الجزائري عبر الفايسبوك _ دراسة ميدانية لعينة من شباب ولاية جيجل،
من جويلية إلى ديسمبر 2019م-**

**The satirical implications and its impact on
developing political awareness among Algerian youth
via Facebook A field study of a sample of the Jijel
youth from July to December 2019.**

الطالبة. عقيلة مقروسن
megrous.aqila@univ-alger3.dz
جامعة الجزائر 03
د- صونية عبديش
abdiche_s@yahoo.fr
جامعة الجزائر 3

تاریخ القبول: 2021/01/05 تاریخ الإرسال: 2020/04/12

الملخص:

دراستنا هي دراسة ميدانية على عينة من 100 شخص في ولاية جيجل، بعنوان: المضامين الساخرة وتأثيرها على تنمية الوعي السياسي لدى الشباب الجزائري عبر الفايسبوك. تم الاعتماد فيها على المنهج الوصفي، وأداة الاستمار لجمع المعلومات، تهدف إلى التعرف على مدى اهتمام الشباب الجزائري بالمضامين الساخرة عبر



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

الفايسبوك، وتقييم الوضع السياسي لديهم من خلال التعرض لها، وذلك بقياس مستواهم المعرفي والقيمي والسلوكي، خلال فترة الحراك 22 فبراير 2019.

الكلمات المفتاحية: الفايسبوك، الوعي السياسي، الشباب، المضامين الساخرة،

حراك 22 فبراير.

Abstract:

Our work is a field study that is applied on a sample of 100 people in the Jijel province. It is entitled: The satirical implications and its impact on developing political awareness among Algerian youth via Facebook. In order to collect information, the present study is depended on the descriptive method and a questionnaire administered to the sample. It aims at identifying to what extent the Algerian youth are interested in the satirical content via Facebook, and assessing their political situation through their exposure to those satirical content and that by measuring their level of knowledge, values and their behavior during the period of mobility 22 February 2019.

Keywords: Facebook; political awareness; youth; satirical content; Harak February 22nd;

المقدمة:

إن التطور الذي شهدته قطاع الإعلام والاتصال على المستوى التكنولوجي يعد ثورة غير مسبوقة في مجال تكنولوجيا الإعلام والمعلومات، ولما نقول التطور التكنولوجي فلابد من التعريج على التطور الذي قابله في البناء الاجتماعي. ذلك أن تطور وسائل الإعلام والاتصال لا يمكن فصله عن السياق الاجتماعي الذي وجدت فيه، بدء من ظهور



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

أول وسيلة اتصال تقليدية إلى غاية ما نشهده اليوم من وسائل تفاعلية حديثة، ومن هذه الوسائل بحد الواقع الإلكتروني المختلفة التي ساعدت الجمهور على متابعة الأحداث والمشاركة في التأثير فيها، إضافة إلى شبكات التواصل الاجتماعي، هذه الأخيرة بجانبها الاجتماعي، وجنبها التكنولوجي الموصول بالإنترنت. وعليه فإن الأثر يأتي من الاستخدام وليس من التكنولوجيا مثلما أقرت بذلك الكثير من الدراسات. وإذا ما أردنا الحديث عن دور موقع التواصل الاجتماعي ومنها الفايسبوك في تنمية الوعي السياسي لدى كل فئات المجتمع ومنها الشباب، فسوف بحد هناك أكثر من رأي، فئة ترى بأنه من أهم المصادر التي يعتمد عليها الشباب في الحصول على المعلومات والتزود بمختلف القيم والسلوكيات الموجهة للأفراد لبناء وعيهم ومساعدتهم على فهم ما يدور حولهم، فيما يرى البعض الآخر بأن الفايسبوك ورغم الحرية التي يتميز بها الأفراد في التعبير عن آرائهم وما يتمتعون به من خدمات إلا أنه مكان غير آمن في كثير من الأحيان، حيث بحد بأن الحكومات ومراكز قرار نافدة تستغله وتستخدمه بما يخدم مصالحها ويهدد مصالح المواطنين في توجيه وفرض سيطرتها على هذه التكنولوجيا وصناعة وعي زائف لدى مستخدميه. وفي دراستنا هذه فإن "الوعي السياسي للشباب الجزائري من خلال الأسلوب الساخرة" يتمثل في الجانب الاجتماعي في حين أن "موقع الفايسبوك" يمثل الجانب التكنولوجي والإنترنت. ومن بين هذه الدراسات المهمة ذكر: دراسة بعنوان: (وسائل الإعلام الجديدة ودورها في تشكيل الوعي السياسي لدى المجتمع المدني



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

الجزائري)¹. دراسة بعنوان: (دور موقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الوعي السياسي)²، ودراسات أخرى لا يسع المقام لذكرها ومقارنتها.

يعد الفايسبوك أحد أهم هذه الواقع من حيث عدد المستخدمين عبر العالم، والجزائر خاصة من طرف الشباب، حيث أصبح يستخدم من طففهم في كل المجالات، ولعل هذه الأهمية تستشفها في عدد الدراسات والبحوث العلمية التي أجريت حول هذا الواقع وعلاقتها بالكثير من الظواهر والسلوكيات لدى مستخدميه، فتأثيراته وأدواره ممتدة في العملية الاتصالية نتيجة لما أحدثته في عناصر العملية الاتصالية تقدماً وتأثيراً وعلى مستوى مستخدميه، ونظراً لهذه الأهمية نجد بأن القائمين على مراكز القرار كما حكموا القبضة على وسائل الإعلام الجماهيرية التقليدية الثقيلة لن يفوّتم فعل ذلك مع هذه الواقع ولو بالطريقة التي تتلاعّم مع خصائصها. حيث أنه في الكثير من الأحداث كان الفايسبوك أحد أهم مصادر الحصول على الأخبار والمعلومات بالنسبة لرواده أو حتى بالنسبة للوسائل الإعلامية الثقيلة كالفضائيات، خاصة مع أحداث ما "سمى بالربيع العربي". حيث لعب دوراً بارزاً سواء كان بالإيجاب أو السلب، وهذه الأهمية أيضاً نلحظها في الجزائر مع ظهور أحداث 22 فيفري، التي عرفتها الجزائر تزامناً وفتررة الانتخابات الرئاسية الجزائرية لشهر أفريل 2019م، حين خرج الجزائريون للشارع بالملاليين يعبرون عن رفضهم ترشح الرئيس عبد العزيز بوتفليقة لولاية خامسة، لعب

¹ - لامية صابر: وسائل الإعلام الجديدة ودورها في تشكيل الوعي السياسي لدى المجتمع المدني الجزائري، دراسة استطلاعية - أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 3، 2017-2018.

² - رافت مهند عبد الرزاق: دور موقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الوعي السياسي، دراسة ميدانية لحالة الشعب في العراق على عينة من طلبة جامعات كل من الموصل والأنبار وتكريت، بجامعة البتراء الأردنية، مقدمة لنيل درجة الماجستير في الإعلام، 2013م.



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش الفايسبوك دوراً كبيراً فيها، كمصدر للمعلومات، وظهرت معها العديد من المضامين الساخرة التي تنتقد وتسخر من النظام ورموزه بالاستعانة بمختلف أشكالها. إن البحث في موضوع الفكاهة أو السخرية هو بحث معقد ومتشعب لصلته بعلوم كثيرة وتدخله مع مواضيع عديدة، وفن السخرية ليس مرتبطاً فقط بالتعبير بالكلمات، بل يمكن أن ينحده في الرقص والموسيقى والفنون التشكيلية. أما على الصعيد الإعلامي فقد ارتبط انتشار السخرية، في جانبها السياسي بعقد التسعينيات من القرن العشرين مع ظهور "برامج الترفيه السياسي" في الولايات المتحدة الأمريكية. حيث سعت هذه البرامج لتناول القضايا السياسية وإلقاء الضوء عليها وانتقادها، وبالتالي فإن السخرية لا تعد بالظاهرة الجديدة غير أنها تشهد زخماً كبيراً في الوقت الحالي. حيث أدى نجاح البرامج الأمريكية الساخرة إلى ظهور برامج مماثلة في بعض الدول العربية، في المرحلة التالية على ثورات الربيع العربي، ويمكن حصر أنواعها في ثلاثة أساليب هي: برامج التوك شو الساخرة، والصحافة الساخرة، بالإضافة إلى ما يعرف بـ"الإنترنت" والذي هو صلب موضوعنا، وهو مصطلح يستخدم لوصف موضوع ساحر ينتشر بسرعة كبيرة بين مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي. وعادة ما يكون الـ"ميم" عبارة عن صورة واحدة يكتب الناس عليها تعليقات، ويحتوي مضمون التعليق، أو الصورة، أو الاثنين معاً على رسالة ساخرة من الموضوع محل التعليق.

وتحدر الإشارة هنا إلى أن من بين أهم الدراسات التي اعتمدنا على نتائجها بشكل أساسي في دراستنا، نجد الدراسة الميدانية للطالبة سلطانة بشيري على عينة قوامها 64 مفردة من طلبة الإعلام والاتصال بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة 2016م، بعنوان: (الوعي السياسي للشباب الجزائري من خلال المضامين الساخرة عبر الفايسبوك)، حيث أقرت نتائج الدراسة بأن هناك نسبة متابعة لا بأس من قبل الشباب الجزائري عينة



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

الدراسة لهذه المضامين الساخرة عبر الفايسبوك، فهي وسيلة يرتكبون بها عن أنفسهم، كما أنها تكسبهم معلومات سياسية جديدة وتحفزهم على المشاركة السياسية، لكنها لا تغير بصفة مباشرة في طبيعة تفكيرهم السياسي، وعليه تؤكد النتائج القيمة الكبيرة لهذه المضامين في تنمية الوعي السياسي للشباب الجزائري، وقد استفدنا من هذه الدراسة في صياغة بعض الأسئلة، وتأكيد الكثير من النتائج.

1. 1 مشكلة الدراسة.

وبناء على ما سبق ذكره أردنا تسليط الضوء على هذا الموضوع ولو من زاوية الجمهور المتلقى من الشباب باعتبارهم من بين أبرز المتفاعلين معها، وطرح مجموعة من التساؤلات حول ما إذا كانت هذه المضامين الساخرة تساعد على تنمية أو تريف الوعي السياسي لدى الشباب الجزائري عينة الدراسة، خاصة وأن المضمون الناقد يمكن أن يقدم في شكل مقنع، قد يكون بمثابة أدبيولوجي يصنع في المخابر لتجسيده الرأي العام خاصة وإن مصدر هذه الأشكال من المضامين الساخرة مجهمل مثل الإشاعة. وباعتبارنا من زوار هذا الموقع منذ فترة لا بأس بها، فقد لاحظنا ازدياد منسوب المضامين الساخرة بشكل ملفت، وعلى اختلاف أنواعها.

وعليه فإن اشكاليتنا تمحور حول التساؤل الرئيس التالي: ما هو تأثير المضامين الساخرة في تنمية الوعي السياسي لدى مستخدمي الفايسبوك من شباب ولاية جيجل في الفترة المترافقنة مع الحراك الشعبي الجزائري 22 فيفري 2019 م؟

وقصد الإجابة على هذه الإشكالية تم تجزئتها لمجموعة من التساؤلات الفرعية

وتتمثل في:

- ما مدى اهتمام الشباب الجزائري عينة الدراسة بالمضامين السياسية الساخرة

عبر الفايسبوك؟



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

- ما هو تقييم الشباب الجزائري عينة الدراسة لتأثير المضامين الساخرة على الفايسبوك في تنمية الوعي السياسي ؟

1- أهمية الدراسة: تشكل متغيرات الدراسة موضوع جدير بالبحث خاصة في

هذه الفترة، إذ يشكل ربط متغيري المضامين الساخرة كشكل من أشكال التعبير أهمية كبيرة عند ربطها بمتغير الوعي السياسي لما له من دور في تحريك عجلة التنمية، بالإضافة لربطه بمتغير الشباب الجزائري لما لهذه الفتنة من دور مهم في هذه الفترة، فهو قوة وثروة الأمة المهدورة، وهذا الموضوع ليس بالجديد، إنما المتغير فيه هو تغيير الأبعاد الزمكانية للدراسة المتمثل في إجرائه على عينة من شباب ولاية جيجل، وأيضاً الفترة الرمانية المتمثلة في الحراك الذي تشهده الجزائر في مرحلة مهمة من تاريخها. بداية من 22 فيفري عندما خرج الشعب الجزائري بالملاليين للشوارع مطالبًا بحقوقه السياسية ولم يكن يكتفي كعادته بالمطالب الاجتماعية. والتي كانت شرارتها المطالبة بعدول الرئيس المنتهية ولايته عبد العزيز بوتفليقة عن فكرة الترشح للمرة الخامسة، وإن كان الترشح هو السبب المباشر للأسباب الحقيقة المتمثلة في المطالبة بالعديد من المطالب السياسية. ومع تacent السلطة كان سقف المطالب يرتفع والشعارات تتتنوع، وبالطبع فإن التعبير عن هذه المطالب يتطلب وجود الكثير من الأساليب للتعبير عنها، ومن هذه الأساليب نجد أسلوب الفكاهة أو السخرية - أو ما يعرف بـ ميم الانترنت - من رموز النظام القائم.

وتم اختيار الفايسبوك بالذات لما لهذا الأخير من دور كبير في الحراك خاصة في بداياته، حين كان طوق التعنيف الإعلامي مفروضاً على الحراك من طرف مؤسسات الإعلام الشقيقة من إذاعة وتلفزيون سواء كانت عمومية أو خاصة، حتى أصبح من مطالب الحراك حضور الصحافة في شعار - وين راها الصحافة!، معنى أين الصحافة! - وبالتالي فمن الأكيد سيكون الفايسبوك أهم وسيلة لدراسة مثل هكذا مواضيع، حيث



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

أصبح وسيلة المواطن الجزائري أو الشباب لإيصال صوته والدليل على أهميته هو قطع الانترنت أمام مستخدميه في العديد من المرات خاصة وقت المسيرات الشعبية.

3- أهداف الدراسة:

- تسليط الضوء على بعض المفاهيم التي لها علاقة بمتغيرات الدراسة، كمفهوم

الوعي السياسي، الشباب، الفايسبوك، المضامين الساخرة، الحراك الشعبي 22 فيفري.

والتركيز على المضامين الساخرة ودورها في نشر الوعي السياسي أو تزييفه.

- التعرف على مدى اهتمام الشباب الجزائري عينة الدراسة بالمضامين السياسية الساخرة عبر الفايسبوك.

- السعي لتقدير الوعي السياسي لدى مستخدمي الفايسبوك من الشباب

الجزائري عينة الدراسة من خلال مضمون الأساليب الساخرة. وذلك بقياس الأبعاد

الثلاثة للوعي السياسي المتمثل في البعد: المعرفي، القيمي، والسلوكي المتمثل في المشاركة السياسية.

4- منهج وأداة الدراسة: تم الاعتماد على المنهج الوصفي، وأداة الاستمار

لجمع المعلومات.

مجتمع البحث وعينته: يتمثل مجتمع البحث في شباب ولاية جيجل ما بين 15

و35 سنة، وهو السن الذي تراوحت بينه جل التعريفات التي تناولت فئة الشباب بمدينة

جيجل، الذين يستخدمون موقع الفايسبوك، ويتعارضون للمضامين الساخرة عبره. أما

العينة ونظرا لاستحالة تطبيق المسح الشامل ل المجتمع البحث كله والإمكانيات المادية

الحدودة، وطبيعة الدراسة، وقلة التفاعل فيما يخص موضوع سياسي حساس حسبيهم،

وطبيعة البنية الفكرية للشباب في المنطقة، فقد اضطررنا إلى دراسة مجتمع أصغر على عينة

حصصية تم اختيارها بطريقة قصدية على 100 مفردة، من شباب بلدية الميلية وأولاد



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

يحيى، كما حرصنا على أن يكون ضمن أفرادها ذكورا وإناثا. واحتياجاتها كان عمديا بتوزيع الاستثمار بطريقة شخصية مع الشرح وتسجيل ردات الفعل لديهم وحتى الدخول في نقاشات مطولة معهم، وعن أسباب اختيارنا للعينة فجاء لكوننا من شباب وسكان المنطقة مما سهل علينا عملية التوزيع والتفاعل، إضافة للاحظنا بأن هناك زيادة في استخدام الموقع من قبل شباب المنطقة. وقد حرصنا على أحد العينة بالتساوي لكلا البلديتين عينا الدراسة، حيث توجهنا إلى مراكز تجمع الشباب كالمقاهي، والملحقات الصحية، وال المجالس الشعبية، والمؤسسات التربوية كالثانوية.. وذلك لضمان التمثيلية في العينة المختارة. وقد استغرقت عملية ملء الاستثمارة أسبوعين.

5- حدود الدراسة:

الحدود المكانية: وقد اخترنا لهذا الغرض ولاية جيجل واقتفيانا ببلديتين من بلدات الولاية، بمختلف مدحنا وأريافها منها: بلدية الميلية كنموذج عن بلدية حضرية، وببلدية أولاد يحيى كنموذج عن بلدية ريفية. وذلك قصد التعرف على تأثير متغيرات الدراسة كالسن، الجنس، المستوى التعليمي ومكان السكن على مفردات العينة المختارة.

الحدود الزمانية: يتحدد المجال الزمني لهذه الدراسة من جويلية إلى ديسمبر 2019.

الحدود البشرية: يتمثل مجتمع الدراسة في شباب ولاية جيجل كلها، وتم اختيار شباب كل من بلدات الميلية وببلدية أولاد يحيى، على عينة قوامها 100 مفردة موزعة على 50 مفردة لكل بلدية. وذلك لضمان التمثيل وذلك بطريقة قصدية.

6- مفاهيم الدراسة:

تعريف الفيس بوك: ليس هناك شك في أن الجمهور قد استسلم لفكرة وسائل التواصل الاجتماعي، وربما أكثر من اللازم بقليل. ويعد موقع الفايسبوك من أكثر هذه



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

الموقع انتشارا، حيث يرتاده حوالي ملياري مستخدم حول العالم شهريا¹. وتحتل الشبكة من حيث الشهرة والإقبال المركز الثالث بعد موقعي غوغل ومايكروسوفت². ويقصد بالفايسبوك هو الموقف الاجتماعي الأكثر استخداما لدى الشباب الجزائري ومنهم فئة شباب ولاية جيجل في: بلديتي أولاد يحي خدروش، وبلدية الميلية.

مفهوم الوعي السياسي: يعني الوعي في اللغة بأنه: الفهم وسلامة الإدراك. أما اصطلاحا فيعرف على انه الإدراك الصحيح لمجريات الواقع السياسي ولما يحصل فيه من أحداث وتطورات، وبعبارة أخرى هو المعرفة الدقيقة لغايات القوى المؤثرة في العالم الحيط بنا ومعرفة الأهداف المستترة وراء مواقفها وتحركاتها ومشاريعها. وبالرغم من بساطة هذا التعريف إلا أن صعوبة تحقيقه تظهر من الشروط المفروضة فيه: هي الإدراك ينبغي أن يكون صحيحا، أي ليس نابغا من أوهام أو ألاعيب، وأن تكون المعرفة للغايات والأهداف المستترة وليس للظواهر، ومتعلقة بالقوى المؤثرة وليس القوى المتغلقة³.

التعريف الإجرائي: توجد صعوبة في تحديد مفهوم محمد للوعي السياسي لأنه مفهوم معقد وغامض متأثرًا بتوجهات ومصالح أيديولوجية وتيارات فلسفية متعددة وهذا يشكل صعوبة في قياسه، وعليه سنسعى لتقدير الوعي السياسي من خلال المضامين الساخرة لدى الشباب الجزائري الجيجلية عينة الدراسة من خلال أبعاد الثلاث حتى

¹ - قمحية حسان أحمد: *الفيسبوك تحت المجهر*، الطبعة 1، دار النجدة للنشر والتوزيع، مصر، 2017،

ص ص 24-25

² - عبد الكافي إسماعيل: *شبكات التواصل والإنترنت والتأثير على الأمن القومي والاجتماعي*، الطبعة 1، المكتب العربي للمعارف، مصر، 2016، ص 26

³ - حمادة عمار: *الوعي والتحليل السياسي*، د- ط، دار المادي، لبنان، 2005م، ص 29-30



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

نستطيع قياسه. وتمثل في البعد المعرفي وهي ما لدى الشباب من معلومات يستقيها من هذه المضامين الساخرة، والبعد الوجداني المتمثل في القيم السياسية سواء كانت قيم سياسية ايجابية أو سلبية، والبعد السلوكى المتمثل أساساً في المشاركة السياسية.

تعريف الشباب: يعني القوة والحداثة، نقىض الشيب والهرم¹. أما اصطلاحاً

حسب "فؤاد البهبي" فيقصد بالشباب بأنها: مرحلة المراهقة التي تنتد إلى البلوغ حتى تصل بالفرد إلى اكتمال النضج في سن الرشد، وذلك عندما يبلغ العمر الزمني حوالي 21 سنة، فهي مرحلة الإعداد للرشد². ويقصد بفئة الشباب في هذه الدراسة بأنهم الشباب الجزائري ما بين سن 15 و 35 سنة لكلا الجنسين ذكور وإناثاً، القاطنين بولاية جيجل، وقد اخترنا بلديتين هما: بلدية الميلية، بلدية أولاد يحي.

تعريف السخرية: إن السخرية هي العنصر الذي يحتوي على توليفة درامية من النقد، الهجاء، التلميح، التهكم، والدعابة، وذلك بهدف التعريض بشخص ما، أو مبدأ ما، أو فكرة، أو أي شيء لتعريفه بإلقاء الأضواء على التغرات والسلبيات وأوجه القصور فيه³. وأي منتج ساخر سواء كان أدبياً أو فنياً، ويحتوي على الخصائص: النقد والتهكم

¹ - بو علي نصیر: *التلفزيون الفضائي وأثره على الشباب في الجزائر*، د- ط، دار الهندي، الجزائر، د- ت. ص 14.

² - زينب عبد الحفيظ فرغلي: *الاتجاهات الملتبسة للشباب*، دار الفكر العربي، مصر، 2002، ص ص 17-16.

³ - غريي ماريـة رـيـة: *التشـكـيل الأـسـلوـي لـظـاهـرـة السـخـرـيـة عند البـشـير الإـبرـاهـيـمي عـيون البـصـائر* أـنـوـذـجاـ، مجلـة العـلـوم الإنسـانـيـة، مجلـد أـ، عـدـد 41، جـوان 2014. صـص 155-154.



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش والضمينة. يزيد استخدامها في الأوقات التي تعمم فيها حالة السخط أو عدم الرضا عن الأوضاع السياسية والاجتماعية القائمة، مع تزايد انشغال المواطنين بال المجال العام¹. إن المقصود بالمحتويات الساخرة أو "ميم الانترنت" في هذه الدراسة تلك المضامين التي تستخدم للتعبير عن رأي الشباب الجزائري عينة الدراسة والمتمثلة في: فن الكاريكاتير، المقال الصحفي السياسي الساخر، الشعر الساخر، والقصص والروايات الساخرة، الصور والفيديوهات المقلدة والمفبركة الساخرة والنكات السياسية. التي زاد منسوب انتشارها تزامنا مع حراك الجزائريين في 22 فيفري 2019م، عبر صفحات الفايسبوك وتناقلها رواده فيما بينهم، سواء ابتدعها أو نقلها أو شاركها أو علق عليها بالسلب أو الإيجاب في صفحات أخرى، والتي تمس النظام السياسي أو شخصياته السياسية من كل التيارات، وحتى الشخصيات الفاعلة في الحراك. وحتى تلك التي كان الشعب هدفها... إلخ. بهدف السخرية منهم والحط من قيمتهم وتوجيهه انتقادات لاذعة وصلت حد التخوين.

حراك 22 فيفري: تباينت مسميات ما تشهده الجزائري من أحداث منذ الثاني والعشرين فبراير 2019، أحداث تعددت مسمياتها كثورة الابتسامة، الثورة البيضاء، ثورة الشعب، الحراك، غير أن تعدد المسميات يقابلها أحادية المطلب الذي تمثل مطلع الحراك رفض ترشح الرئيس المنتهية ولايته الدستورية إلى عهدة رئاسية خامسة، ليتطور الخطاب

¹ - الحفناوي هالة: البرامج الساخرة، مجلة اتجاهات الأحداث، العدد 21، 2017م، ص ص 50-



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

الاحتاجي لاحقا إلى المطالبة بتغيير النظام القائم عبر تنحية ومحاكمة رموزه الذين
أساهم الحراكين بالعصابة¹.

2. الجانب التطبيقي.

المحور الأول: البيانات الشخصية.

جدول رقم 1: يوضح توزيع عينة الدراسة طبقاً لمتغيرات الجنس.

%	النكرار	الجنس
61	61	ذكر
39	39	أنثى
100	100	الجموع

نلاحظ من الجدول رقم 1: بأن عدد أفراد عينة الدراسة حسب متغير الجنس كانت غير متساوية لعدة أسباب، حيث قدرت نسبة الذكور بـ 61%. فيما قدر نسبة الإناث بـ 39% من إجمالي عدد أفراد العينة المقدرة بـ 100 مفردة.

عدد الذكور كان أكبر مقارنة بالإإناث نظراً لصعوبة توزيع الاستمارة على الإناث لامتناعهم تارة، وعدم متابعتهم للمضامين السياسية تارة، وعدم التعاون معنا تارة أخرى، وتحفظهن وأيضاً نقص عددهن في التجمعات التي قصدناها، بالإضافة لطبيعة المكان المقصود بالدراسة.

جدول رقم 2 : يوضح توزيع عينة الدراسة تبعاً لمتغيرات السن.

%	النكرار	السن
---	---------	------

¹ - مصباح عامر: الحراك الشعبي في الجزائر، د- ط، دار الكتاب الحديث، مصر، 2020،

ص 269.



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

27	27	من 15 إلى 21
44	44	من 22 إلى 30
29	29	من 31 إلى 35
100	100	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول (2) الخاص بتوزيع مفردات العينة حسب متغير السن بفئاته الثلاث أن: النسبة الأكبر كانت من نصيب الفئة العمرية الثانية من 22-30 بنسبة 44%， ثم ثالياً الفئة الثالثة من 31-35 بنسبة 29%， أما ثالثاً فنجد الفئة العمرية الأولى بنسبة 27% 15-21.

جدول رقم 3 : يوضح توزيع عينة الدراسة طبقاً لمتغيرات المستوى التعليمي.

%	ت	المستوى
01	01	ابتدائي
10	10	متوسط
34	34	ثانوي
55	55	جامعي
100	100	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول رقم (3) الخاص بالمستوى التعليمي أن هناك أربعة فئات، حيث حازت فئة الطلبة الجامعين على حصة الأسد بـ 55%， وحلت ثالياً فئة الثانوي بـ 34%， ثم فئة المتوسط ثالثاً بـ 10%. وأخيراً فئة المستوى الابتدائي بنسبة 1% والمقدرة بمفردة واحدة.



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

جدول رقم 4: يوضح توزيع عينة الدراسة طبقاً لمتغير مكان السكن.

السكن	ت	%
الحضر	50	50
الريف	50	50
المجموع	100	100

نلاحظ من الجدول رقم (4) الخاص بمتغير مكان السكن بأن عدد مفردات العينة المقدرة بـ 100 مفردة قد قسمت مناصفة بـ 50% بين كل من سكان الريف والحضر.

المحور الثاني: اهتمام الشباب الجزائري عينة الدراسة بالمضامين الساخرة عبر شبكة الفايسبوك.

الجدول رقم 5: يبين مدى متابعة العينة للمنشورات أو المضامين السياسية

النسبة %	النكرار	دافع مشاركة المضامين الساخرة.
.7056	72	المنشور الذي يعجبك.
.362	3	المنشور الذي يعجب أشخاص آخرين.
.4024	31	المنشور الذي يكون فيه تفاعل كبير.
.449	12	المنشور الذي تضعه شخصية سياسية مشهورة
.087	9	الأخرى.
%100	127	المجموع.

الساخرة.



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

نلاحظ من خلال الجدول رقم (5) الخاص بدافع مشاركة الشباب للمضامين الساخرة أو التفاعل معها: قد جاء دافع "المنشور الذي يعجبني" أولاً بـ 56.70%， ثم حل ثانياً "المنشور الذي يكون فيه تفاعل كبير" بـ 24.40%， يليه ثالثاً "المنشور الذي تضعه شخصية سياسية مشهور" بـ 69.44%， ثم رابعاً خيار "دافع أخرى" بنسبة 7.08% وخامساً "المنشور الذي يعجب أشخاص آخرين" بنسبة 2.36%.

تبين النتائج بأن من أهم دافع التعرض أو مشاركة أو التفاعل مع المضامين الساخرة أو ميم الانترنت من قبل العينة: حيث حاز دافع إثبات الذات أولاً من خلال التعبير عن رأيها مباشرة بحصة الأسد من خلال عبارة "المنشور الذي يعجبني"، ثم المنشور الذي يعزز الانتفاء للمجتمع الافتراضي ذي التفاعل الكبير وذلك لحاولة خلق الألفة مع رواد هذه المضامين عبر الفايسبوك، من خلال دافع "المنشور الذي يكون فيه تفاعل كبير" ، فيما نجد أن نسبة التفاعل مع "المضامين الساخرة التي تضعها شخصية سياسية ضعيف لأنعدام الفرد القدوة في المجتمع ولطابع التخوين الذي يشمل كل فرد يعبر عن رأيه في أحداث الحراك. وهذا ما يتوافق مع إحدى الدراسات الميدانية التي تناولت ظاهرة الميم السياسي الساخر، حيث نجد بأن أهداف المتဂين للميم تتمثل "في التعبير عن الذات" ، و "تعزيز الانتفاء لهذا المجتمع الافتراضي" الذي يتداول هذا النوع من السخرية، ويشعرون بأنهم لعبوا دوراً في انتقاد عدم الرشادة في السياسات العامة، مثل: نظام التأمين الصحي بأمريكا ويجتذب ميم ملايين المتابعين، لذلك فإن القائمين عليه يشعرون وكأنهم يساهمون في وضع أجندة النقاش العام.

الجدول رقم (6): يبين أكثر أجناس السخرية متابعة أو اعتماداً أو تشاركاً لنقد الأوضاع الاجتماعية والسياسية في الفترة المترافقنة مع حراك الجزائريين منذ (22 فيفري 2019) في الفايسبوك.



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

أجناس السخرية	النكرار	%
الرسم الكاريكاتوري.	39	.8017
صور مفبركة ساخرة.	43	.6319
مقاطع فيديو ساخرة.	37	.8916
قصص ساخرة.	11	.025
شعر ساخر.	13	.935
مقالات ساخرة.	27	.3212
النكت.	48	.9121
أخرى.	1	.450
المجموع	219	%100

من خلال توزيع أجناس السخرية على مفردات عينة الدراسة نلاحظ بأن خيار "النكت" جاء في المركز الأول بنسبة 21.91%， وحل ثانياً خيار "صور مفبركة ساخرة" بـ 19.63%， ثم الرسم "الكاريكاتوري" بـ 17.80%， فيما حل خيار "مقاطع فيديو مفبركة ساخرة" بـ 16.89%， رابعاً، بينما حل خامساً "مقالات ساخرة" بـ 12.32%， تلتها سادساً "شعر ساخر" بـ 5.93%， تلتها خيار "قصص ساخرة" بـ 5.02%.

وب قبل أن نقدم قراءة حول هذه النتائج يجدر بنا الإشارة إلى أن هذا النوع من المضامين الساخرة "ميم الانترنت" كما سبق الإشارة إليه، انتشر وبشدة عبر موقع التواصل الاجتماعي، بل أصبح أحد أهم مكونات ثقافة الانترنت، خاصة في ظل انتشار ثقافة "الرسائل البصرية" وانتشارها أكثر من النصوص المكتوبة، ومن خلال النتائج المتوصل إليها نجد الأهمية الكبيرة التي توليهما مفردات العينة "للنكتة" كنوع مميز من الأساليب الساخرة وموروث شعبي له تاريخه عند الجزائريين، أما عن النسبة الكبيرة التي



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

احتلتها أيضاً "الصورة" سواء الثابتة أو المتحركة فله ميرراته الكثيرة باعتبار أن العصر هو عصر صناعة وسيطرة الصورة، وذلك لما تتمتع به من خصائص فلا يمكن التفكير دون صورة، والاهتمام بالصورة ليست وليدة اليوم إلا أنها زادت بشكل كبير (محمد جاسم ولي، 2017، د- ص). وللصورة لغة عالمية يفهمها كل البشر. وتحتفل مستويات إدراكيها حسب ثقافة الفرد ووعيه فالمثقف يحاول الوصول إلى المعنى الكامن وراء الصورة وليس الاكتفاء بالمتعة البصرية، وبتجدر الإشارة هنا إلى أن الصورة أصبحت مع تكنولوجيات الإعلام الحديثة تخضع للعديد من التعديلات لتتلاءم مع زوايا طرح تخدم غرض مرسلها، وبذلك فهي تتلاعب بالعقل وتفصل متابعيها عن الواقع.¹

أما المقالات الساخرة، فراجع لطبيعة هذا النوع الذي يتطلب قدر عالي من الثقافة، ولكن رغم ذلك نجد هناك نسبة معتبرة من متابعيه، وذلك كون نسبة كبيرة من عينة الشباب تملك مستوى تعليمي محترم، فأغلبيتهم من الطلبة الجامعيين. ويرجع انتشار هذا النوع من المحتويات الساخرة وبهذا الشكل المركب كان نتيجة لانتشار الثقافة التجميعية التي تمكن رواد شبكات التواصل الاجتماعي من تجميع وسائل عدة في منشور واحد وبصيغ مختلفة ومتباينة أحياناً.

جدول رقم (7): أثر متغيرات الدراسة على رأي العينة في زيادة منسوب التعليقات الساخرة والكلمة السياسية.

المجموع		لا		نعم		إيجابية
%	المجموع	%	ت	%	ت	المتغيرات

¹ - الشميري فهد عبد الرحمن: التربية الإعلامية كيف تعامل مع الإعلام، د- ط، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، 2010، ص 81 .82



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ----- ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبدالبيش

							متغير الجنس
ذكر							متغير السن
							أنتى
100	100	100	28	100	72		المجموع
27	27	25	7	27.77	20	من 15 إلى 21	متغير السن
45	45	53.57	15	41.66	30	من 22 إلى 30	
28	28	21.42	6	30.55	22	من 31 إلى 35	
100	100	100	28	100	72		المجموع
1	1	00	0	1.38	1	ابتدائي	متغير المستوى التعليمي
11	11	7.14	2	12.5	9	متوسط	
34	34	28.57	8	36.11	26	ثانوي	
54	54	64.28	18	50	36	جامعي	
100	100	100	28	100	72		المجموع
50	50	53.57	15	48.61	35	حضر	متغير السكن
50	50	46.42	13	51.38	37	ريف	
100	100	100	28	100	72		المجموع



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

يتبيّن من خلال الجدول رقم (7) الذي يظهر أثر متغيرات الدراسة على رأي الشباب الجزائري في زيادة منسوب التعليقات الساخرة، حيث تظهر بيانات الجدول حسب متغير الجنس بأن نسبة الذكور الذين أكدوا على زيادة منسوب التعليقات الساخرة في فترة الحراك حازت على أكبر المعلومات (نعم) بـ 61% مقارنة بنسبة الذكور الذين أجابوا بـ (لا) بـ 60%. أما بالنسبة للإناث فإن نسبة اللاتي أجبن (نعم) فقدرها بـ 38.88% بينما قدرت نسبة من أجبن بـ (لا) بـ 39.28%.

الجدول رقم (8): يبيّن رأي العينة في ضرورة معاقبة الأفراد بسبب المضامين الساخرة على الفايسبوك أو اعتبار ذلك حرية تعبير.

ما موقفك من المضامين الساخرة عبر الفايسبوك (هل أنت مع؟)	التكرار	%
معاقبة القانون للأفراد بسبب المضامين الساخرة على الفايسبوك واعتبرها بتهمة القذف.	35	35
أم تعتبرها حرية تعبير.	65	65
الجموع	100	%100

نلاحظ من خلال الجدول رقم (8) بأن رأي الشباب في المضامين الساخرة ما إذا كانت حرية تعبير أم معاقبة القانون للفايسبوكيين الذين يتوجون أو يشاركون المضامين الساخرة، فجاءت النتائج متباعدة بين من يعتبرها حرية شخصية وبين من يرى ضرورة معاقبة فاعلها. حيث جاءت النسبة الأكبر من نصيب من اعتبروا المتفاعلين معها



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش "حرية تعبير" بنسبة 65%， فيما رأت ما نسبته 35% أنه يجب "معاقبة القانون بسبب المضامين الساخرة" في المرتبة الثانية.

تحليل النتائج حسب مفردات العينة:

إن الأغلبية (65%) من مفردات عينتنا تقر بأن التعاطي مع المحتويات السياسية الساخرة على اختلاف أنواعها يعتبر "حرية تعبير" ويمكن أن نوجز بعض تبريراتهم فيما يلي: حيث يقررون بأنما شكل من أشكال حرية التعبير عن الرأي التي تساعد على تنمية الثقافة والوعي السياسي، فهي تعتبر وسيلة للتعبير عن حقوقهم خاصة في فترة الحراك، باعتبار أن الفايسبوك هو المكان البديل والوحيد الذي يمنحهم الحرية في التعبير عمّا يريدون ومثلاً يريدون، بسبب القمع الذي تمارسه السلطة ووسائل الإعلام على الناس في الواقع، فكانت البديل عن الوسائل التقليدية المضللة التي لا تنقل الحقيقة. كما أن هناك شريحة عريضة منهم اعتبرت هذه المضامين وسيلة لحاربة الفساد الذي نخر جسد الاقتصاد الوطني. كما أن هناك من اعتبروها وسيلة لتبادل الأفكار والاتجاهات والمشاعر والمواقف وتوجيه النقاش عن طريق الحوار والتفاعلية والمشاركة سواء كان ذلك بالسلب أو الإيجاب عبر موقع التواصل الاجتماعي. إلى غيرها من المبررات التي لا يسع المقام لذكرها.

أما نسبة (35%) من أقرروا بأنهم مع "معاقبة القانون للأفراد" بسبب المضامين الساخرة على الفايسبوك يرجعون ذلك لجملة من الأسباب تمثل في: أنهم مع العقاب القانوني لأن التعاطي مع المحتويات الساخرة ليست حرية تعبير بل تجاوز وتعدي على مكارم وإنسانية الأفراد، فحرية التعبير لا يجب أن تتعارض مع حرية الآخرين والإضرار بهم بسبب الكلام اللا أخلاقي والتطاول على أعراض الناس أمام العامة، وأيضاً لتنظيف الفايسبوك من المنشورات التافهة التي تسيء للذوق العام. أما اجتماعياً فاعتبروا بأن ذلك

المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبداليش ليس من قيم وعادات وثقافة المجتمع أن يختصر بعضهم البعض. أما ديننا فهي ليست من أخلاق الإسلام في شيء فالإسلام لا يدعوا للرذيلة، وبالتالي فقد انحصرت اغلب تبريراتهم في الجانب القانوني، الأخلاقي، الديني، الاجتماعي، الثقافي وعادات وقيم المجتمع.

المجدول رقم 9: يبين فيما إذا كانت المضامين الساخرة وسيلة في يد المعارضة أو السلطة أو الشعب حسب رأي العينة:

النسبة	التكرار	المصادر الساخرة وسيلة في يد وسيلة في يد المعارضة
21.70	28	وسيلة في يد السلطة
11.62	15	وسيلة في يد الشعب
66.66	86	المجموع
%100	129	

نلاحظ أن الأغلبية ترى بأن هذه المضامين "وسيلة في يد الشعب" بـ 66.66%، ثم "وسيلة في يد المعارضة" بـ 21.70%， ثم "وسيلة في يد السلطة" بـ 11.62%. وبالتالي فالخطاب الساخر في الفايسبوك يمكن أن يستخدم كسلطة مضادة سواء كوسيلة في يد الشعب أو المعارضة التقليدية المتعارف عليها: فالفايسبوك فضاء يسمح بمارسة المقاومة للسلطة عبر وسائل مختلفة وبطرق خفية ومعونة. والمقاومة نشاط ديناميكي مواز للمقاومة الظاهرة والنشطة في الواقع الفعلي داعمة لها. غير أن المقاومة في هذا السياق تميز باستعمال السخرية والضحك من السلطة المهيمنة غير أنه يجب أخذ مسافة نقدية بين المقاومة كمفهوم ومارسة لمعرفة إمكانيات وحدود الفعل المقاوم على



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ———— . ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

الفضاء الافتراضي. حيث نجد بأن هناك مقاربتان أو تصوران للتأثير وهي أن المقاومة نتاج للسلطة؛ حيث يتفق الأكاديميين على أن المقاومة أو المعارضة هي شرط من شروط وجود السلطة. يرى جون برانيغان أن: (السلطة تحتاج لسلطة أخرى تحاول تقويضها أو مقاومتها، وإلا فإنها ستفقد فرصة لترير ذاتها، وللظهور كسلطة). فالمعارضة جزء من السلطة تخلق نوعاً معيناً من المعارضة. وبالتالي تكون في علاقة معها، بحيث يمكن أن تحتوي السلطة الفعل المعارض بمختلف الوسائل وتؤكد سلطتها وشرعيتها.

كما أن فعل السخرية يبقى نوعاً من هذه المعارضة ويكون أثره محدوداً. يقول

داستن غريفن: (رغم خوف السلطات السياسية منذ قدم الزمان إلى العصر الحاضر، لم يثبت بطريقة مقنعة أن للسخرية القدرة على التشجيع على الفعل أو على تغيير مواقف قرائها)¹، فحسب هذا التصور يمكن للسخرية أن تستهدف الأشخاص وتحرج السياسيين لكنها لم تكن ابداً السبب المباشر في قيام ثورة أو إزالة نظام حكم. فعلى مر التاريخ كانت السلطة قادرة على احتواء وامتصاص أثر الفعل الساخر بشتى الوسائل العقابية والاغرائية. بالطبع هناك مأخذ على هذا الموقف يأخذنا نحو المقاربة الثانية التي تقر بوجود أثر تراكمي ويعيد المدى للفعل الساخر، حيث يفترض "سكوت" وجود خطابين متلازمين في المجتمع: خطاب ظاهر مهيمن يمارس علينا ويدعم النخبة والسلطة المهيمنة، وخطاب خفي خاضع يبقى خفياً عن أعين السلطة المهيمنة ومارس في أماكن مغلقة وآمنة.

يناقش داستن غريفن بلاغة السخرية من منظور جديد ويحدد دورها في المساعدة على الاكتشاف والاستقرار والعرض واللعب. لمعرفة المزيد يمكن العودة :

¹— Griffin Dustin (1994). **Satire a critical reintroduction.** By the university press of Kentucky



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

يوفِّر الفايسبوك مجالاً إضافياً ونسبةً آمنةً لممارسة النوع الثاني من الخطاب. بشُتُّ الطرق منها النكحة ورفض التعاون مع السلطة وعدم الإخلاص في العمل والاحتجاج والنقد الغير صريح أو الذي يستهدف أهدافاً في النظام تعتبر نسبياً سهلة الاستهداف. حيث يبقى الأثر محدود على المدى القصير ولكن تراكم أفعال المقاومة لمدة طويلة وعدم استجابة النظام ولو جزئياً لمطالب العدالة الاجتماعية والمساواة، يظهر أثره فجأةً وبدون سابق إنذار مثلاً حدث في تونس الأمر الذي أدى لسقوط الرئيس بن علي.¹

الجدول رقم 10: يبيّن الشخصيات أو النظام المستهدف من المضامين الساخرة التي تتفاعل معها عينة الدراسة.

النسبة	النكرار	تستهدف المضامين الساخرة
24.02	37	شخصيات سياسية.
18.18	28	الشعب الجزائري.
24.02	37	نظام الحكم الجزائري أو سياسة معينة.
33.76	52	شخصيات سياسية + نظام الحكم.
%100	154	المجموع

نلاحظ من الجدول رقم (10) بخصوص الشخصيات المستهدفة من قبل عينة الدراسة بالمضامين الساخرة بحدٍّ لأنّ حصة الأسد كانت من نصيب خيار "شخصيات سياسية+ النظام السياسي" بـ 33.76%， فيما تقاسم المرتبة الثانية كل من خيار

¹ - مفضل محمد: *السخرية في الثقافة الرقمية*، الطبعة 2، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، د- ب، د- ت، ص ص 121-123.



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

"شخصيات سياسية" و"نظام أو سياسة معينة" بـ 24.02% لكل خيار منها. فيما حل خيار "الشعب الجزائري" المرتبة الثالثة بـ 18.18%.

الجدول رقم (11): يبين الهدف من التعرض للمضامين الساخرة والنكتة السياسية حسب رأي العينة.

الهدف من التعرض للمضامين الساخرة والنكتة السياسية	تكرار	%
الإمتاع ونشر البسمة.	34	31.19
النقد ونشر الوعي السياسي.	75	68.80
المجموع	109	100

نلاحظ من خلال نتائج الجدول (11) الذي يخص الهدف من التعرض للمضامين الساخرة والنكتة السياسية لدى أغلبية مفردات العينة كان يهدف "النقد ونشر الوعي السياسي" بنسبة 68.80%， فيما حل ثانياً خيار من أجل "الإمتاع ونشر البسمة" بنسبة 31.19%. وهذا يوضح أهمية هذه المضامين الساخرة كوسيلة من وسائل حرية التعبير الذي كفلته مختلف القوانين لدى الشباب في تنمية أو تزيف الوعي السياسي.

أي أن أغلبية العينة اتخذت هذه المضامين الساخرة للنقد والإصلاح والتقويم والمشاركة وذلك كأسلوب من أساليب التعبير عن رفضها للأوضاع الاجتماعية والسياسية التي تمر بها البلد محلياً وإقليمياً ودولياً. وتميز السخرية الرقمية من الناحية الشكلية والجمالية عن باقي أشكال السخرية الأخرى حيث أنها تستفيد من كل الإمكانيات الالكترونية المتاحة، مما أضاف لها قوة تعبيرية وتأثيرية، حيث تعتبر ما بين الوسائلية شرطاً أساسياً لإنتاج الآخر الساخر. حيث يبقى الترابط بين مختلف الوسائل هو المفعول الأساسي لبلاغة السخرية التي تعتمد على تجميع ذكي وهادف للصور



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

والنصوص واستعمال تقنيات الكترونية لصناعة المنشورات الساخرة، وقدف حسب وسيلة السحرية المستعملة إلى تحليل ونقد الوضع الاجتماعي والسياسي والتعبير عن مقاومة للهيمنة ونقد للذات والقيم الثقافية، وإلى إشراك المتلقى في النقد سواء عبر استفزازه أو بكسب تعاطفه أو دفعه للتفكير في الواقع من منظور جديد ومتعدد.

كما تساهم في توسيع مجال الاستهداف والنقد، حيث أصبح ممكناً السخرية بحرية أكبر وتراجعت بعض الحدود واحتفت أخرى، كما استفادت السخرية في انتقاء واختيار مادة ومحفوظ المنشور من مختلف الواقع على الانترنت، وخصوصاً اليوتوب، وخلق روابط وعلاقات ترفع من مستوى الوعي والأبحار لدى المتلقى، بحيث أن توفير المعلومة ووسائل استحضارها بالصورة والصوت والفيديو والنص ألغت المنشور الساخر ورفعت من مستوى تمثيله للواقع. كما نجد بأن هذه المنشورات الساخرة ساهمت في استعمال وتقبل الناس للنقد عبر السخرية، وأصبح الضحك ممارسة ايجابية، وأصبح تقبل النقد الساحر نسبياً ومرتبطاً بالمستوى الفني للسخرية. كما تميزت بعض المنشورات الساخرة بانتقادها الذات والثقافة وجعلتنا نضحك من عيوبنا ونكشف حدود ثقافتنا وذواتنا، ويعتبر هذا الالتفات نحو الذات أرقى أنواع الوعي.¹

الخور الثالث: تقييم الوعي السياسي لدى الشباب الجزائري من خلال المضامين الساخرة عبر الفايسبوك.

المدول رقم (12): يوضح تقييم الشباب عينة الدراسة للمضامين الساخرة أو ميم الانترنت عبر الفايسبوك.

¹ - محمد مفضل: المرجع السابق، ص ص 167-168.



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ———— . ط. عقيلة مقروس ود. صونية عبديش

المجموع		معارض بشدة		معارض		محايد		موافق بشدة		موافق		العبارات / المدى
%		%		%		%		%		%		
100	100	13	13	39	39	27	27	3	3	18	18	من نشرها من محدودي الثقافة السياسية
100	100	00	00	12	12	22	22	9	9	57	57	زادت في تلاحم الشعب الجزائري.
100	100	16	16	41	41	17	17	9	9	17	17	أدت إلى غلو القيم السياسية السلبية لديك.
100	100	00	00	9	9	24	24	13	13	54	54	لها هدف اديولوجي



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

100	100	2	2	10	10	14	14	14	14	60	60	ساعدتك في زيادة معرفتك بالأحداث
100	100	14	14	33	33	20	20	6	6	27	27	أثرت على أفكارك وتوجهاتك السياسية
100	100	9	9	13	13	21	21	13	13	44	44	زادت من رغبتك في المشاركة السياسية

من خلال قراءة النتائج الإحصائية الواردة في الجدول رقم (12) نصل إلى ما

يلي:

من نشر هذه المضامين السياسية الساخرة هم من محدودي الثقافة السياسية:

يشير توزيع التكرارات إلى أن الاتجاه العام يميل نحو المعارضة والحياد. مثلاً في المعارضه والمعارضه بشدة بـ 52%. ثم الحياد بـ 27%. أما الموافقة والموافقة بشدة فلم تحر سوى على مجموع 21%. وبالتالي فالاتجاه كان سلبياً يميل نحو الحياد.

أي أن النسبة الأكبر من مفردات العينة تقر بمعارضة عبارة أن من نشر هذه المحتويات الساخرة هم من محدودي الثقافة السياسية. وهو ما يتواافق مع نتائج الدراسة الميدانية السابقة التي تناولت الميم السياسي الساخر. حيث أنه يتم إنتاج وتداول الميم من



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

خلال منفذى الفكرة، وأولئك الذين يقومون بتحويلها إلى اللغة المحلية، فضلاً عن ملايين المشاركون الذين يقومون بتحويلها إلى اللغة المحلية، وعن الملايين الذين يقومون بتداوله، ويحتاج إنتاج الميم الإمام بمهارات تكنولوجية معينة لذلك غالباً ما يكون المنتجون لهذه الصورة الساخرة من ذوي خلفيات تعليمية عالية، ويقعون غالباً في الفئة العمرية ما بين 18 - 29 سنة، وأغلبهم من الذكور.

أما دراسة "جامعة أوهابيو"، فترى بأن الأفراد ذوي المعرفة السياسية الضئيلة يذهبون إلى اختيار البرامج الساخرة عن برامج الأخبار الحادة وتؤثر في العملية السياسية، نظراً لقدرهم على فهم الرؤية البسيطة التي تقدمها هذه البرامج وهذه في حالة التعرض للبرامج السياسية الساخرة.

زادت المضامين الساخرة في تلاميذ الشعب الجزائري: يشير توزيع التكرارات إلى أن أغلب الإجابات ترتكز عند الدرجة (4) وبدرجة أقل (3) أي بين الموافقة والحياد. حيث تمثل الموافقة والموافقة بشدة بـ 66%， ثم الحياد بـ 22%， أما بالنسبة للمعارضة والمعارضة بشدة فلم تحر سوى على 12%. فالاتجاه ايجابي يميل نحو الحياد.

أدت إلى نحو القيم السياسية السلبية لديك: الحجر على حرية التعبير، اللاعدل، البيروقراطية: تركرت أغلب الإجابات في خيار معارض ومعارض بشدة بـ 55%. أما الحياد الموافقة فحصلت مناصفة 17% لكلاهما. أي أن الاتجاه العام نحو العبارة كان سلبياً بـ 57%. أي أن النسبة الأكبر تقر بأنها معارضة للعبارة .

للمضامين الساخرة هدف اديولوجي فهي ليست بعيدة عن الصراعات التي تعيشها المجتمعات: تركرت أغلب الإجابات عند الدرجة (4)، (3) أي 54% للموافقة و 24% للحياء، وبجمع نسبة الموافقة والموافقة بشدة بـ 67%. وبالتالي فإن الاتجاه العام نحو العبارة كان ايجابياً. أي أن النسبة الأكبر تقر بأن لها هدف اديولوجي بـ 67%.



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

ساعدتك في زيادة معرفتك بالأحداث السياسية الجارية: تتركز أغلب إجابات المفردات ب 74% (للموافقة وللموافقة بشدة). و 14% على الحياد. أي أن 74% تصر بأنها زادت من معرفتهم السياسية، أي أن الاتجاه إيجابي.

أثرت المضامين الساخرة عبر الفايسبوك على أفكارك وتوجهاتك السياسية: نجد بأن اتجاه إجابات العينة متضاربة. حيث تتركز أغلب الإجابات عند (معارض وموافق) بـ 33% و 27%. فنسبة معارض ومعارض بشدة 47%， مقارنة بالموافقة والموافقة بشدة بـ 33%. والحياد بـ 21%. أي أن الأغلبية معارضة للعبارة وتعتبر أن هذه المضامين غير مؤثرة على أفكارهم وتوجهاتهم السياسية بـ 47%. أي أن الاتجاه سلبي.

زادت المضامين الساخرة من رغبتك في المشاركة السياسية سواء بالنشر أو التفاعل أو في الواقع: إن أغلب إجابات المفردات تتركز عند الدرجة (4، 3) بـ 44% للموافقة و 21% للحياد. حيث أن (الموافقة، الموافقة بشدة) قدرت بـ 57%， ثم الحياد بـ 21%. والأغلبية تعتبر أنها زادت من رغبتها في المشاركة السياسية بـ 57%. وبالتالي فحدود تأثير السخرية لا يزال يثير الجدل، سواء تعلق الأمر بنمطيها السياسي أو الاجتماعي غير المحسوم، في بينما يراها البعض مجرد أداة للترفيه حول القضايا السياسية والاجتماعية، وأن تأثيرها لا يتعدى التعبير عن الإعجاب Like بأعداد كبيرة على الفيس بوك، من دون أن يكون لذلك انعكاس على الواقع العملي، فإن هناك رأي معاير يذهب إلى أن السخرية لديها القدرة على التأثير على توجهات المواطنين في المجال العام، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشر. وقد تركز الجدل بين الاتجاهين حول دور السخرية كمصدر للمعلومات، وقدرتها على التأثير على شعبية السياسيين، بالإضافة إلى دورها في تشكيل الوعي المجتمعي.



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

3- الخاتمة (النتائج العامة للبحث)

وفي الأخير ومن خلال تحليلنا لنتائج دراستنا الميدانية توصلنا إلى الكثير من النتائج التي تؤكد على أهمية المضامين الساخرة بمختلف أنواعها لدى مفردات العينة، حسب درجة الأهمية بين من يستخدمها لمعرفة الأحداث الجارية خاصة في فترة الحراك، وبين من يكتسب منها بعض قيمه السياسية سواء بالسلب أو الإيجاب وبين من يشاركها أو تدفعه لإبداء سلوك معين وبين هذه الأبعاد الثلاث تبانت النسب إلا أنها تؤكد على أهميتها كنوع مهم من أنواع التعبير عن الرأي حيث: نلاحظ من خلال بعض النتائج المتوصّل إليها: فيما يخص دافع مشاركة الشباب عينة الدراسة لهذه المضامين أو التفاعل معها. جاء دافع "المنشور الذي يعجبني" أولاً، ثم "المنشور الذي يكون فيه تفاعل كبير"، يليه "المنشور الذي تضعه شخصية سياسية مشهور". أما فيما يخص توزيع أجناس السخرية فكانت على التوالي: خيار النكت، ثم صور مفبركة ساخرة، ثم الرسم الكاريكاتوري، ثم مقاطع فيديو مفبركة ساخرة، ثم مقالات ساخرة، تلاها شعر ساخر، فخيار قصص ساخرة...

فيما يرى 65% أن تبادل المضامين الساخرة "حرية تعبير"، والنسبة الباقية مع "معاقبة القانون" للمتفاعلين معها. كما النسبة الكبيرة ترى بأن هذه المضامين "وسيلة في يد الشعب" ثم "وسيلة في يد المعارضة"، ثم "وسيلة في يد السلطة". أما بخصوص الفئة المستهدفة منها فنجد بأن حصة الأسد كانت من نصيب خيار "شخصيات سياسية+ النظام السياسي" فيما تقاسم المرتبة الثانية "شخصيات سياسية" و"نظام أو سياسة معينة". وثالثاً "الشعب الجزائري". أما فيما يخص المدف من التعرض لهذه المضامين فجاء "النقد ونشر الوعي السياسي" أولاً ثم "الإمتاع ونشر البسمة".



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ——— ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

أما فيما يخص تقييم الشباب لمختلف العبارات التي تقيس نسبة ودرجات الوعي السياسي بين الأبعاد الثلاث (العرفي، القيمي الوجداني، السلوكي) فكانت بعض النتائج كالتالي: حيث أقر 63% بأن هذه "الأساليب تساهم في تنمية الوعي السياسي لدى الشباب" مقابل 24% التزمت الحياد. كما أن الاتجاه نحو عبارة "ساعدتك على زيادة معرفتك بالأحداث السياسية الجارية" كان ايجابيا بنسبة 74% والحياد 14%. فيما كان الاتجاه نحو عبارة "أدت إلى نمو القيم السياسية السلبية" لديك سلبياً بـ 57% (المعارضة). وأيضاً "زادت المضامين الساخرة في رغبتك في المشاركة السياسية" بـ 57% والحياد بـ 21%.

وبالتالي فإن من الضرورة التعمق في دراسة هذا النوع من المضامين الساخرة أو ما يعرف بعim الانترنت قصد الإحاطة بمختلف زوايا هذا النوع من أساليب التعبير عن الرأي، لمزيد من الفهم والعمق لمعرفة اتجاهات ومختلف القيم التي تحمل بها سلوكيات مرتدية لهذا الموقع أو وسائل إعلام الكترونية أخرى أو وسائل إعلام تقليدية. سواء من ناحية المتلقى أو المرسل والمتنج أو الوسيلة أو الرسالة.

4- قائمة المراجع.

4-1 قائمة الكتب:

- الشميري فهد عبد الرحمن: التربية الإعلامية كيف تعامل مع الإعلام، د- ط، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، 2010
- بوعلي نصیر: التلفزيون الفضائي وأثره على الشباب في الجزائر، د- ط، دار الهادي، الجزائر، د- ت.
- حمادة عمار: الوعي والتحليل السياسي، د- ط، دار الهادي، لبنان، 2005م.



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ———— . ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

- عبد الكافي إسماعيل: شبكات التواصل والانترنت والتأثير على الأمن القومي والاجتماعي، الطبعة 1، المكتب العربي للمعارف، مصر، 2016.
- قمحية حسان أحمد: الفيسبوك تحت المجهر، الطبعة 1، دار النخبة للنشر والتوزيع، مصر، 2017.
- مصباح عامر : الحراك الشعبي في الجزائر، د- ط، دار الكتاب الحديث، مصر ، 2020.
- مفضل محمد: السخرية في الثقافة الرقمية، الطبعة 2، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، د- ب، د- ت.

2-4 قائمة المجلات:

- الحفناوي هالة: البرامج الساخرة، مجلة اتجاهات الأحداث، العدد 21، 2017.
- بوجلال عبد الله: إشكالية تحديد مفهوم الوعي الاجتماعي، الجلة الجزائرية للاتصال، العدد 4 خريف 1990 م.
- غري مارية ريم: التشكيل الأسلوبي لظاهرة السخرية عند البشير الإبراهيمي عيون البصائر أنموذجا، مجلة العلوم الإنسانية، مجلد أ، عدد 41، جوان 2014.

قائمة الرسائل والمذكرات

- سلطانة بشيري: الوعي السياسي للشباب الجزائري من خلال المضامين الساخرة عبر الفايسبوك- دراسة ميدانية لعينة من طلبة ماستر إعلام واتصال- جامعة محمد بوظياف – المسيلة، 2016.



المضامين الساخرة وتأثيرها في تنمية الوعي السياسي ———— . ط. عقيلة مقرروس ود. صونية عبديش

- رأفت مهند عبد الرزاق: دور موقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الوعي السياسي، دراسة ميدانية لحالة الشعب في العراق على عينة من طلبة جامعات كل من الموصل والأنبار وتكريت، بجامعة البتراء الأردنية، مقدمة لنيل درجة الماجستير في الإعلام، 2013م.

- لامية صابر: وسائل الإعلام الجديدة ودورها في تشكيل الوعي السياسي لدى المجتمع المدني الجزائري، دراسة استطلاعية - أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 3، 2017-2018.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المحلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 999-1033 تاريخ النشر: 25-03-2021

**تمثالت الطلبة أكاديميين لقيم الانتماء الوطني في المؤسسة التعليمية
دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة سطيف 2**

**University students' representations of the values of
national belonging in Educational institution: Field
study on a sample of students of The University**

ط. ناديا مهداوي

nadia.pearl2016@gmail.com

أ. د. امداد عماد الدين خوانى

imad.khouani@gmail.com

جامعة سطيف 2

تاریخ الإرسال: 2020/05/03 تاریخ القبول: 2020/12/22

I. الملخص:

تناول الدراسة أهمية المؤسسات التعليمية الجزائرية ودور المدرسة في تنمية قيم الانتماء الوطني لدى المتعلمين بناء على تمثالتهم، بناء على مبادئ وأبعاد التربية على المواطنة ومواصفات المواطن الصالح في مسيرة المتعلم عبر تطور وتنمية شخصيته، فقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي من خلال تصميم أداة الاستبيان التي تضمنت 38 عبارة، وزعت على عينة بحثية تمثلت في 169 طالبا جامعيا مسجلا في قسم السنة أولى علوم اجتماعية بجامعة سطيف 2.

وعليه نتائج الدراسة: 1-أن القيم السوسيو-تاريخية مرتفعة جدا، وتعبر عن الانتماءات الوطنية للمتعلمين، 2- أن درجة المواقف السياسية المعبرة عن الانتماءات



تمثلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ——— ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي
الوطنية للطلبة متوسطة، لا تتحقق مرامي وأهداف وبرامج فلسفة المنظومة التربوية، في
إعداد المواطن الصالح.

الكلمات المفتاحية: التمثلات؛ القيم الوطنية؛ الانتماء الوطني؛ المواطنة؛ المتعلمين.

Abstract:

This article investigates the importance of the Algerian educational institutions and the role of the school in developing the values of the national affiliation of learners based on their representations. The researcher used the descriptive-analytical method By design of the questionnaire tool which included 38 phrases, distributed to a research sample of 169 university students registered in the Department of Social Sciences, University of Setif2, first year. The results concluded that socio-historical values are very high and reflect the national affiliations of university students, while the degree of political attitudes expressing the intensity of national affiliations is average, insufficient compared to the objectives of the programs of the educational system in preparing a good citizen.

Keywords: representations, values of national belonging (values of the national affiliation), learners.

1. المقدمة:

تتجلى الوظيفة الأساسية لأي مؤسسة تربوية في أي مجتمع من المجتمعات على تشكيل البنية المرجوة من أهداف هذا المجتمع، ودعم استقراره والحفاظ على قيمه، ويعكس ذلك في تركيز قاعدة المناهج الدراسية تحت تنمية وتفعيل قيم المواطنة وتأصيلها في شخصيات المتعلمين، ومقاربات تربوية لابد من شأنها أن تحول إلى ممارسات فعلية مع الانتقال إلى المراحل التعليمية اللاحقة، وفي ارتباطها وتناسقها مع المجتمع وخصوصياته، ومواجهة المشكلات الناجمة عن العولمة، وتطور وسائل تكنولوجيات



تمثالت الطلبة الجامعيين لقيم الانتفاء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي
الإعلام والاتصال، وما تحمله من أفكار قومية عالمية تذوب فيها الكيانات والهويات مع
تعدد أشكال الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية الدولية المهيمنة، القائمة على القيم
المادية.

إن تنمية قيم المواطن و ما يرتبط بها من مظاهر الانتفاء والولاء والتمسك
بمكونات الهوية الوطنية وكذا التحلّي بالمسؤولية الاجتماعية لدى الأفراد فهي عملية
متداخلة ومرتبطة بأنمط عديدة للتنشئة الاجتماعية التي تقوم بها مؤسسات تربوية رسمية
أو غير رسمية (الأسرة، المدرسة، المسجد، وسائل الإعلام، دور الشباب.... إلخ)،
وذلك على اعتبار أن التنشئة الاجتماعية من العمليات الأساسية في حياة الإنسان، فمن
خلالها تبلور شخصية الفرد. ويصبح قادرا على التفاعل مع المحيط الاجتماعي الذي
يعيش فيه منضبطا بضوابطه وبشكل ايجابي وفعال .

في إطار هذا التحدي، تعمل المدرسة كمؤسسة تربوية تعليمية رسمية محورية
بالنسبة للنظام الاجتماعي والسياسي على التدقّيق في تعقيد المقاربات التربوية في المناهج
التعليمية ووسائلها، حيث من شأن المتعلم فيها اكتسابها وإدراكها، ليكون من خلالها
مسارا تربويا تكينيا تبلور نتائجه بمستوى وعي المتعلمين كمخرجات تربوية تعليمية
يظهر مستوى الوعي الوطني بها في الطور التعليمي الجامعي، ليصبح فردا منتجا وفعالا في
المجتمع، ومواطنا له دوره الاجتماعي وتحليه مسؤوليته الاجتماعية والوطنية، فتغير معايير
القيم الاجتماعية، ليكون من خلالها تمثالت معينة و مختلفة إذا ما ارتبطت بالواقع.

وبالنظر إلى التحولات والآحداث الأخيرة التي يمر بها المجتمع الجزائري وما تمر به
البلدان العربية المجاورة والعربية عامة على المستوى الاقتصادي السياسي وحتى
الاجتماعي والثقافي المصاحب للتوجه الثقافي والفكري المتحرر كان لابد تعزيز ودعم من



تمثالت الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ——— ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي
قيم المواطنة والهوية الجزائرية في نفوس أبنائها سواء على مستوى المراحل التعليمية
القاعدية أو الجامعية.

وبناء على ذلك تأتي هذه الدراسة للكشف عن دور المؤسسات التعليمية في
ترسيخ قيم المواطنة من خلال تمثالت المتعلمين لمفهوم المواطنة، وكذا دور البرامج
والمقررات المدرسية المقدمة في مراحل تعليمية مرتبطة ومتواصلة من حيث أهدافها
الوطنية وتربيتها الاجتماعية، في تعزيز تنمية الشعور بالانتماء الوطني.

وعليه يمكن طرح التساؤل الرئيسي الآتي:

كيف تساهم المؤسسة التعليمية الجزائرية بنشر قيم المواطنة والانتماء لدى الطلبة
الجامعيين؟

وللإجابة على هذا الأخير قمنا بصياغة الفرضيات التالية:

الفرضية العامة:

تساهم المدرسة الجزائرية (المؤسسة التعليمية) في نشر قيم الانتماء الوطني وتعزيز
الوعي السياسي لدى الطلبة الجامعيين.

الفرضيات الفرعية:

- للطلبة الجامعيين قيم سوسيو-تاريخية وطنية اكتسبوها من المدرسة تعبر عن
انتماءاتهم.

- للطلبة الجامعيين مواقف سياسية وطنية اكتسبوها من المدرسة تعبر عن
انتماءاتهم.

2- أهمية الدراسة: يعتبر موضوع المواطنة ذا أهمية كبيرة بالنسبة لحياة الفرد في
علاقته بالمجتمع الذي ينتمي إليه، كما يعتبر من المفاهيم الرائجة في مختلف الحالات



تمثيلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي
السياسية خاصة والقانونية والاجتماعية، وما يرتبط بها من ملامح تطور الحياة الحضرية
والمدنية، وديمقراطية الأفراد وكذا المشكلات الاجتماعية والفردانية فيها خاصة التربية.
ولأنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقيم الفرد المعاصر، فإن الموضوع يكتسب نصيبيه من
الدستور واهتمامه البالغ في المنشورات الوزارية؛ خاصة وزارة التربية التي تعيد من زوايا
اجتماعية وثقافية وسياسية حفظ النظام العام أو إعادة إنتاج القيم الوطنية في الأجيال
الناشئة، كل ذلك في خطابها العميق، والمركز بمصطلحات ومفردات الحرية، والمساواة
والحقوق، وتكرис مجموعة من الأفكار لدى المتعلمين غرس حب النظام والأحقرة
والتعاون، وما يرتبط بها من مفاهيم مثل الانتماء والولاء والمواطن الصالح، الحق
والواجب والعدل، ومن هنا تظهر أهمية دراسة مفهوم المواطنة في علاقتها بالتعلم
نفسه(وادرأكه للذات الوطنية ووجوده فيها)، وفي أرقى مستويات التفكير والتحليل لديه
في مستوى التعليم العالي، أين تصبح تلك القيم مدركات وموافق فعلية، كما تمكن
أهمية الموضوع في الكشف عن مستوىوعي الطالبة الجامعيين بطبيعة أبعاد المواطنة
وقيمهما الكامنة في شخصياتكم من جهة، ومستوى دور المدرسة في إيصال رسالتها
التربيوية، وتحقيق أهدافها في التربية على المواطنة؛ من حيث أنها عملية وأهداف متصلة
ومتوصلة في ذات المتعلمين، وفي علاقتهم بالمجتمع من جهة أخرى وارتباطهم
وشعورهم بها .

لمعالجة هذه الإشكالية تم إتاحة المنهج الوصفي والتحليلي، وتقسيم الموضوع إلى
محورين يتناول الأول الإطار المفاهيمي للدراسة، تتضمن الاحاطة ببناء المتغيرات البحثية .
وتتضمن مفهوم التمثلات من الناحية السوسنولوجية، ثم مفهوم المواطن والمفاهيم المرتبطة
به مثل الانتماء والهوية .. التي يعبر عنها الفرد ويحملها كقيم مواطنية او وطنية يعبر عنها
بتصورات او مواقف معينة ..



مقالات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ——— ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي

3- تحديد مفاهيم الدراسة:

1.3- مفهوم التمثالت: يعرف ابن منظور التمثال: "من مثل الشيء أي تصوره حتى كأنه ينظر إليه، وامثله أي تصوره، وتمثل الشيء بالشيء يعني التشبه به"¹.

ويقابل مصطلح التمثالت في اللغة الفرنسية LES REPRÉSENTATIONS ويقصد بها مثول الصور الذهنية بصورها المختلفة في عالم الوعي، أو حلول بعضها محل البعض الآخر، فهي عملية تسترجع فيها حيرة سابقة"².

إن التمثيل يتعلق بفعل فكري يقدمه مبحوث أو شخص تجاه موضوع ما، هذا الأخير قد يكون حدى مادي، نفسي أو اجتماعي أو ظاهرة طبيعية أو فكرة أو نظرية...، وقد يكون أيضاً حقيقة أو خيال أو أسطورة³.

فمفهوم التمثيل يشير إلى ظاهرتين نفسيتين "محتوى التأثير الذهني والسيرورة المعرفية الخصوصية المتعلقة بهذا التأثير. فاما محـتوى "مسجد" او محـتوى "صـور" او محـتوى "رمـزي"، وقد جـعل pierons التـمثـل مرـادـفاً لـلصـورـة وهذا ما أوضـحـه Mosxovici، الذي أـحلـ على ضـرـورةـ أن تـدرـسـ التـمـثـلاتـ الـاجـتمـاعـيةـ بـرـبـطـ عـنـاصـرـهاـ العـاطـفـيةـ وـالـذـهـنـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ وـدـجـمـهاـ إـلـىـ مـلـكـةـ الإـدـرـاكـ وـالـعـرـفـةـ، اللـغـةـ وـالـاتـصـالـ معـ الأـخـذـ بـعـينـ الـاعـتـارـ الـعـلـاقـاتـ وـالـحـقـيقـةـ الـمـادـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ وـالـمـاثـالـيـةـ. إنـ خـصـوصـيـةـ درـاسـةـ التـمـثـلاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ عـبـارـةـ عنـ تـحـلـيلـ مـسـارـاتـ الـانـتمـاءـ وـالـمـشـارـكـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ أوـ الثـقـافـيـةـ"

¹- بن منظور: لسان العرب، دار صادر، المجلد 13، بيروت

²- جلال الدين سعيد: قاموس المصطلحات الاجتماعية، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1999، ص.454.

³- Jadel et Denise, les représentations sociales, PUF, Paris, 1989, p32



تمثلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي
للشخص، فالتمثل يظهر كقالب للموضوع مقترباً مباشراً يستدلّ ركائز لغوية وسلوكيّة
ومادية مختلفة¹.

التمثلات الاجتماعية إجرائياً: هي تصورات ذهنية تحتوي على خلفية معرفية،
مكونة من مجموعة أفكار ومعارف يحوزها الطالب الجامعي وتعكسها موافق سلوكيّة
 حول أبعاد وقيم وطنية، يمكن من خلالها معرفة دور المدرسة الجزائرية في تنمية قيم
الانتماء الوطني لدى المتعلمين.

3-مفهوم المواطن: في اللغة العربية منسوبة إلى الوطن، وهو المتردّ الذي يقيم
فيه الإنسان، ويقال الوطن محل الإنسان "

أما اصطلاحاً: فتم تعريف المواطن في الموسوعة العربية العالمية بأنّها "اصطلاح
يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن"²
والمواطنة "هي التزامات متبادلة بين الأشخاص والدولة، فالشخص يحصل على
حقوقه المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، نتيجة انتمائه لجتمع معين وعليه في
الوقت ذاته واجبات يتحتم عليه أداؤها"³.

وجاء في موسوعة علم الاجتماع: "المواطنة مجموعة من الحقوق التي يحوزها
الفرد ومجموعة من الواجبات التي يتلزم بها، بل أوضحت أن مصطلح المواطن يشير في
العصر الحديث إلى المؤسسات والهيئات التي تنظم هذه الحقوق في دولة الرفاهية".¹

¹- فقير محمد راسم: القيم الوطنية والمواطنة بين المرجعيات السياسية والتمثلات الشבאبية، شهادة
دكتوراه غير منشورة، تخصص علم الاجتماع، جامعة تلمسان 2015/2016، ص 97.

²- الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، الرياض، 1996، ص 311

³- ميشال مان: موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة: عادل الهواري، سعد مصلوح، مكتبة الفلاح،
الكويت، 1984، ص 110.



مقالات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ——— ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي

وهناك مصطلح الوطنية: أين تم تعريفها في الموسوعة العربية العالمية: "بأنها تعبر يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه الذي يشمل الانتفاء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ والتاريخ في خدمة الوطن"²

وعليه تعبر الوطنية في موضوع الدراسة وفي علاقتها بموضوع المواطنة بأنها الشعور بالإخلاص، والتبعة المرفقة والمعكسة في جانب التزام الفرد (الموطن) بأداء الحقوق ضمن مؤسسات وهيأكل الدولة والمجتمع، في فعاليات أو تظاهرات أو حتى في مجال الحياة اليومية....

3.3- مفهوم الانتفاء: يشير مفهوم الانتفاء إلى الانتماء لكيان ما، يكون الفرد مندجاً فيه باعتباره عضواً مقبولاً له شرف الانتماء إليه، فيشعر بالأمان فيه، قد يكون هذا الكيان مجموعة بشرية، طبقة أو وطن وهذا يعني تداخل الولاء مع الانتفاء الذي يعبر الفرد من خلاله عن مشاعره تجاه الكيان³.

4.3- الهوية الوطنية: عرف المؤتمر العالمي لوزراء الثقافة بمكسيكو سنة 1981 الهوية الوطنية على إنما جميع الصفات المادية والروحية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً⁴.

¹- جورдан مارشال: موسوعة علم الاجتماع _المواطنة _ ترجمة محمد محي الدين وآخرون، ج 2، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2001، ص 11_14.

²- بوفلحة غيات: إشكالية المواطنة في المدرسة الجزائرية، مخبر البحث في علم النفس وعلوم التربية، جامعة وهران دار القدس العربي، 2012، ص 148.

³- علي نجيب عواد: التربية على المواطنة والانتفاء وثقافة الحوار،¹ فعاليات الندوة ١ العلمية تعزيز قيم المواطنة ودورها في مكافحة الإرهاب، المركز الدولي لل استراتيجية والاعلام، جامعة نايف 2015، ص 05.

⁴- حامد بن نعمان: الهوية الوطنية حقائق ومحالطات، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر ص 29.



مقالات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ——— ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي

4- الدراسات السابقة: تم إجراء العديد من الدراسات حول موضوع القيم الوطنية وعلاقتها بالمؤسسات التعليمية أو مستوى تمثيل القيم المواطنة لدى المتعلمين، ذلك لما لأهمية المؤسسات التعليمية والتربية الوطنية من دور كبير في التأثير على شخصيات الناشئة وتعزيزها لقيم الانتماء الوطني. وسنحاول في هذا الإطار ذكر بعض منها فقط ليس على سبيل المحصر وإنما من باب ارتباطها بأهمية الدراسة فقط.

1.4- دراسة عمران علي¹: تهدف إلى معرفة درجة تمثيل طلبة الأقصى لقيم المواطنة وعلاقتها بمتغيرات الجنس، السنة الدراسية والكلية، والحالة الوطنية (مواطن أو لاجئ)، ولتحقيق ذلك تم تطوير استبيانة مكونة من 30 فقرة تقيس درجة تمثيل الطلبة لقيم المواطنة، وطبقها على عينة مكونة من 760 طالباً، وقد توصلت الدراسة إلى أن درجة تمثيل طلبة جامعة الأقصى لقيم المواطنة كانت مرتفعة وفي جميع أبعادها، حيث جاء بعد الولاء في المرتبة الأولى ثم بعد الانتماء وحل بعد الديمقراطية بالمرتبة الثالثة.

4.2- دراسة راضية بوزيان²: بحثت في الخطاب والمصامين والتصورات التي تحملها الكتب المدرسية والتي يتم استهداف نقلها إلى التلاميذ، وبالتالي طبيعة قيم المواطنة التي تحملها كتب المواد الاجتماعية للسنة التاسعة أساسى، وهل هناك تفاوت في نسب هاته القيم؟، وتوصلت نتائج الدراسة أن أهم المصامين تعلقت بقيم "الحقوق" كأساس للمواطنة على كتاب التربية المدنية، ثم قيم الديمقراطية، المسؤولية والسلم

¹- عمران علي عليان: درجة تمثيل طلبة الأقصى لقيم المواطنة في ظل العولمة، عدد 2، 2014، ص 1 - 34.

²- راضية بوزيان (2009). المواطنة والمؤسسة التعليمية في الجزائر، دراسة سوسيولوجية تحليلية لكتب المواد الاجتماعية نموذجا، مجلة إضافات، ع 06، .



تمثيلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي
الاجتماعي، ثم الحفاظ على المصالح العامة التي تعتبر إحدى دعائم المسؤولية الاجتماعية
للمواطن الصالح.

وتوصلت نتائج الدراسة أن قيم المواطنة عرضت على شكل ثنائيات في كتاب التربية المدنية في إطار الترابط العلاجي (الحق، الواجب)، (الدولة الجزائرية، الديمقراطية)، (الوحدة، الوطن) كما توصلت النتائج أن هناك غياب تام لتحديد المصطلحات والمفاهيم الدالة على معانٍ (الحق، الواجب، الديمقراطية، العولمة....الخ) أو أنها متناقضة أحياناً.

3.4- دراسة: بسام محمد¹: تهدف إلى التعرف على واقع الدور الذي تلعبه كليات التربية في تنمية قيم المواطنة لدى الطلبة المعلمين، وكذلك الوقوف على الفروق بين استجابات الطلبة باختلاف متغير الجامعة التي يتبعون إليها، وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، واعتمد على الاستبيان الذي قدمه الباحث وطبقه على عينة (500 طالباً) في كل من الجامعة الإسلامية وجامعة الأقصى بغزة تحديداً. وكانت أبرز نتائج الدراسة كما يلي: إن المتطلبات الحسابية لعبارات تنمية قيم المواطنة للكليات التربية منحصرة بين القليل والمرتفعة جداً. توجد فروقات إحصائية بين متطلبات جامعة الأقصى ومتطلبات الجامعة الإسلامية إذ أن لكلية الأقصى الدور الكبير في تنمية قيم المواطنة.

وما سبق يتبيّن أن الدراسة العلمية لتمثيلات المتعلمين لقيم الانتماء الوطني جاءت كدراسة استطلاعية جزئية لأطروحة رئيسية، وتم الاستيفاء بها في الدراسات الإحاطة بالموضوع على اعتبار أن موضوع بسام محمد يمكن الاستعانة بطريقة الدراسة والمنهج في

¹- بسام محمد أبو حشيش: دور كليات التربية في تنمية قيم المواطنة لدى الطلبة المعلمين بمحافظة غزة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد، 14، ع 01، 2010، ص 215-279.



مقابلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي
دراسة مهمة المؤسسات التعليمية لما تقدمه من قيم وطنية في منهاجها أو توجهاتها
الإيديولوجية أو الاجتماعية.

في حين ارتكزت دراسة راضية بوزيان على تحليل المحتويات المدرسية التي يشكل
مصدرها (الكتاب المدرسي) أهم الوسائل التربوية لإرساء أهم القيم التربوية والوطنية
لتبلغ أهداف وغايات المنظومة التربوية، في حين تعتبر دراسة علي عمران تمثل طلبة
الأقصى لقيم المواطنة موضوعاً مشابهاً ومطابقاً للإجراءات والمنهج على اختلاف
المتغيرات التي أسست عليها الدرستين العلميتين.

5- دراسة: جوهاري سمير وزهوانی عمر¹: دور جامعة تيارت في تنمية قيم
المواطنة لدى طلبتها. (دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية) وانطلاقاً من
طبيعة الجامعة بشكل عام وكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل خاص، كمؤسسة
علمية وتربيوية وتعلمية |تعلمية وتنموية، فإن الأنظار دائماً تتوجه إليها في إعداد
الإطارات البشرية المؤهلة والتعرف على دور المقررات الدراسية في تنمية قيم المواطنة
لدى طلبة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، وكذا
التعرف على دور أداء الأستاذ الجامعي في تنمية قيم المواطنة لدى الطلبة وكذلك دور
الأنشطة الطلابية في تنمية قيم المواطنة . وتكونت عينة هذه الدراسة من (110) طالباً
وطالبة من يدرسون في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بمختلف مسارتها التكوينية
بجامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية الطبقية تبعاً لمتغير
الجنس والمسار التكويني، باعتماد المنهج الوصفي واستخدام آداة الاستبيان في جمع
البيانات والمعلومات حول الظاهرة، أما نتائجها فقد كانت على النحو التالي: ضعف دور

¹- جوهاري سمير، وزهوانی عمر: دور جامعة تيارت في تنمية قيم المواطنة لدى طلبتها. (دراسة
ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية



تمثالت الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خوايى
المناخ الجامعي في تنمية قيم المواطنة إلى الصورة السلبية التي يحملها الطالب الجامعي على
المناخ السائد في الجامعة الجزائرية، من فوضى والاحتجاجات والإضرابات التي تشهدها
بعض الجامعات أثرت على هدوء واستقرار المناخ الجامعي. يبقى الأستاذ الجامعي بوصفه
شريكًا استراتيجياً في العملية التعليمية/التعلمية وعنصرًا أساسياً في أي مشروع تعليمي
تولى تعليمية المواطنة وتنفيذ المقارب والاستراتيجيات الموضوعة لها في البرامج الجامعية
خصوصاً في بعض المقاييس التدريسية، ويكون صاحب الدور الحاسم في تحصيل المعارف
وتحصين التعلمات المرتبطة بها وأن يسهم في غرس روح الولاء والانتماء والاعتزاز بالهوية
الوطنية، مرشدًا وموجهاً للطالب في كيفية اكتساب مبدأ العمل والتعاون الجماعي
والشعور بالمسؤولية المشتركة، والحفاظ على أمن وسلامة المحيط الجامعي والوطن، إلى
جانب أن دور المقررات الدراسية تقتصر بإكساب الطلبة الهوية الوطنية والارتباط بالوطن،
كما تبني قدرة الطلاب على التمسك بحقوقه.

5- في التأصيل لمفهوم المواطنة: تشكلت المواطنة كمفهوم في الفضاء الغربي في
رحم ذات طابع مزدوج: حركة أفكار تنظيرية تنشد الاستقلالية في أبعادها المختلفة،
حركة اجتماعية وسياسية حملت على عاتقها تحويل هذه الأفكار الجديدة إلى أفق التحقق
في الواقع الاجتماعي والحضاري¹، ولفظة المواطنة CITIZENSHIP للدلالة على المصطلح
الغربي. وقد تشكل مفهوم المواطنة في البدايات عند أفلاطون حين تحدث عن (الدولة
(في علاقتها (بالمواطن)، فقد عرف أفلاطون المواطن بأنه الذي يكون مدينياً بواجباته
الأولى لوطنه، وأنه الذي يخضع لقوانين دولته، ولا يخرج عنها، وعن معاملة المواطن

¹- أحمد كرومی: الحداثة، المواطنة والحقن الفقهي: عناصر من أجل مقاربة إشكالية، مجلة دفاتر
إنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، دع، وهران، الجزائر، 2012، ص



مقالات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي
داخل المدينة فلا بد أن تكون بالوعد والوعيد، حيث يقول: "إن كان هدفنا هو نضج
المدينة بأسرها والصالح العام فعلينا أن نحضر حراسنا وحرماتنا بالوعد أو نرغمهما بالوعيد،
كما نفعل مع غيرهم من المواطنين، على أن يؤدوا على خير وجه ممكن ما يصلاحون له
من الوظائف، وعندما تزدهر الدولة بأسرها لتكون نظاماً محكماً، ترك لكل طبقة أن
تتمتع بالسعادة على قدر ما تؤهلها لذلك الطبيعة، أما الدولة فقد جاء تصوره بناء على
السياسي الذي يعرف ما هو خير لها، ويتبين ما يلزم لخلق دولة صالحة"¹.

أما المواطن في الإسلام فتتعلق من تعاليم الدين الإسلامية ومبادئه وفكرة المواطن
المسلم، فقد أكد الإسلام سواء عن طريق النصوص القرآنية أو عن طريق الممارسة الفعلية
المتمثلة بنهج الرسول محمد عليه الصلاة والسلام على أساس المساواة وحقوق الإنسان،
والحديث عن المواطن في الإسلام يراعي تتبع مسار تطور تاريخ الفكر السياسي الإسلامي،
فقد جسد الإسلام مبدأ المساواة بين الناس جميعاً من منظور إنساني عام، وتدل العديد
من النصوص والأحاديث النبوية بذلك كقوله تعالى²: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ
ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ يَتَعَارَفُونَ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَئْتَاقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَيْرٌ" (سورة الحجرات: الآية 13).

كما ارتكز الإسلام على قيم إنسانية عظيمة مثل العدل والإنصاف، والتي تعد في
نفس الوقت من الشروط الأساسية لتحقيق مبدأ المواطن، لقوله تعالى³: "... وَإِذَا
حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعُدْلِ..." (سورة النساء: الآية 58)، كما يضمن

¹ - محمد جمال الكيلاني: معجم المصطلحات الأفلاطونية، المواطن مفهومها ودلالتها، دار الوفاء لدنيا
الطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2010، الإسكندرية، ص 45، ص 46.

² - سورة الحجرات: الآية 13

³ - سورة النساء: الآية 58



تمثلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي
الإنسان كرامة بني البشر بصرف النظر عن اللون أو العرق أو العقيدة، وفي حق المشاركة
السياسية للناس جمعياً. "تاريخ الدولة الإسلامية وحضارتها الممتدة يشهد على مدى
تطبيق الالتزام بالمبادئ السالفة، وصحيفة المدينة مثال واضح في تطبيق ذلك، حيث دلت
على أن تطبيق الدولة في الإسلام تقوم على تعاقد عام بين مواطنيها، مع احتفاظهم
بعقائدهم الدينية¹.

وانطلقت فكرة المواطنة مع إعلان حقوق الإنسان 1789 كوثيقة إعلان ميلاد
المواطن الحديث، ومضمونها (حرية، مساواة، ملكية) وذلك ضد مساوى النظام القديم في
فرنسا، وتقريراً للنظام الجديد ومطالبة هذا الأخير بحقوق الفرد². أما المواطنة كمصطلح
فقد ظهر بحلول الجمهورية الرابعة، حين زاد عدد المواطنين ازدياداً بالغاً مع تلقيهن الحقوق
السياسية للفئات الاجتماعية عام 1945³.

وتتجلى صفات المواطنة عموماً بـ تكون قائمة بالسلوك الحضاري والمقصود به
مقاييس أخلاقية، فالمواطنة أخلاق وأما حقوق الإنسان فهي سياسية، وفي اعتبار منظري
الإيديولوجية الليبرالية تمثل المواطنة بكل المقاييس أركان المجتمع المفتوح في مقابل مجتمع
الطغيان، والسلط المغلق على حد رأي كارل بوبر، والمسافة بين المجتمع المغلق والمجتمع
المفتوح جداً قصيرة⁴، وظهر كذلك مفهوم المواطنة الأوروبية كمفهوم مركب وجديد
بترسانة من القيم المستجدة من قبل اللاعنصرية وحوار الأديان وصيانة البيئة وقبول وضع

¹ طريف السيد عيسى: المواطنة من منظور إسلامي، 10/06/2010، ص 06: <http://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/m-m.pdf>

² روبيير بيلو: المواطن والدولة ترجمة: خاد رضا، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط 2، 1977، ص 29.

³ المرجع نفسه، ص 42



تمثيلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ——— ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خوايى
اللحوء، والتنمية والدفاع المشترك، وبالتالي أدخلت تعديلات على رابطة المواطنة وبالتالي
على الدولة والمجتمع¹.

أما في معجم مصطلحات حقوق الإنسان تم تعريف المواطنة على أنها الدور
الإيجابي للفرد بصفته مواطنا، وأكد الفيلسوف روسو معلناً أن المفهوم يعتمد على
دعامتين أساسيتين: المشاركة الإيجابية من جانب الفرد في عملية الحكم، والمساواة
ال الكاملة بين أعضاء المجتمع الواحد كلهم².

ومن خلال هذا المفهوم تتحدد المواطنة طابعاً اجتماعياً أين تبني العلاقة بين الفرد
المواطن والدولة بحكمها جماعة تنظيمية، لكل منها دوره في الحافظة على الخصوص للبناء
الكلي والتبعية النفسية والاجتماعية له، واحتواء الثاني سيطرة وانتماء وحماية بموجب
ونسقية هذا التنظيم الكلي، فكلما كان المواطن أكثر إيجابية كان انتماءه أكثر حماية
وفعالية .

وتعتبر المواطنة من الضرورات الحيوية والجوهرية في قيام المجتمع المدني، ولا يمكن
النهوض بالمجتمع الديمقراطي بمعزل عن المواطنة وتنميتها في الثقافة السياسية على مبادئ

¹ - مصطفى محمد القباج: مداريات المواطنة المعاصرة نحو مفهوم جديد للمواطنة، ندوة (الدولة
ومواطنوها المسؤوليات الجديدة وإعادة توزيع الأدوار)، وقائع الدورة التاسعة لأيام قرطاج الدولية
2005، وزارة الثقافة والحافظة على تراث المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكم، ص
41.

² - إسماعيل عبد الفتاح وآخرون: معجم مصطلحات حقوق الإنسان، مركز الإسكندرية للكتاب
الإزرطية، 2006، ص 339.



مقابلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ——— ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي
وقيم جديدة، وتحسين الفجوة بين الفئات والشراائح الاجتماعية، وتحقيق المواطنة المتساوية
والكاملة¹.

6- أبعاد المواطنة²: يرى سليمان غيث أن قيم المواطنة تنقسم إلى أربعة أبعاد هي: البعد الاجتماعي، البعد السياسي، البعد العلمي والبعد البيئي، ويوضحها كما يلي:
6-1-البعد الاجتماعي: هذا البعد يتضمن عادات وقيم المجتمع الحافظ، والذي يساعد على التعامل مع الدولة، التي تستمد شرعيتها وقوانينها منه، ويلخص هذا البعد على أن هناك قيم يتعامل معها الفرد مع الآخرين، منها: تقبل الآخرين، حب الناس، التعاون، التعايش مع الخلاف، الانفتاح، حب الوطن، التسامح، الإيثار، الصراحة والإنصاف، الجرأة في قول الحق، التنافس، المساواة بين الناس....

6.2-البعد السياسي: وبعد هذا البعد من أهم الأبعاد والقيم الأكثر حساسية لكل المجتمعات التي تبني الديمقراطية والمواطنة، وقيم هذا البعد هي: احترام الديمقراطية، احترام القانون، احترام النظام السياسي، الإحساس بالصالح العام، احترام الممتلكات العامة، احترام المناسبات الوطنية، احترام المناسبات الدينية...

3.6-البعد العلمي: ويهدف هذا البعد بقيمه بالنهوض بالمجتمع من بؤرة التخلف إلى التطور، وتتجلى قيمة هذا البعد في الانفتاح على أفاق جديدة، تقدير العلم، تقدير العلماء في الميادين المختلفة، تعزيز السلام العلمي...

¹- الغري ناجي، دور مؤسسات المجتمع المدني في التنشئة السياسية، مجلة الحوار المتمدن، ع، 26، 38. 2009 ص.

²- سليمان غيث: الديمقراطية والسياسة، جامعة حلوان، القاهرة، 1995، ص 12.



مقالات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي

4- **البعد البيئي:** ويهدف هذا البعد إلى الحافظة على جمال الخيط حيث يساعد هذا الأخير على ممارسة المواطن بشكل مريح، ومن بين قيمه هي الحافظة على البيئة، إعمار الأرض والمساهمة في تحميل البيئة .

7- **التربية على المواطنة:** في مواجهة الانقلابات والتحولات المختلفة على مستوى البنية الاجتماعية التي بات يغلب عليها الطابع الشكلي أكثر منه قيميا، قائما على التحليل بالمسؤولية الاجتماعية من طرف المواطنين ومشاركتهم الفعالة بقيم الولاء والانتماء في مشاركة بناء الدولة والحافظة على استقرارها وكليتها، فكان لزاما من طرف الفاعلين على النظام السياسي والاجتماعي في توادي الأطراف مختلف الأطراف الفاعلة في المجتمع بالإصلاحات الوطنية، مع إنشاء ثقافات المجتمع المدني، والاحاطة بمختلف الاشكاليات المطروحة في مواجهة هذه التغيرات بإنشاء مواطن أكثر تربية ووعيا بواجباته الوطنية في مقابل حقوقه المدنية، وكذا كيفية احترام سيادة الدولة ومؤسساتها . فكل هذه القضايا وتحولاتها في الحالات الكبرى لتنظيمات الاقتصاد والامن والتعليم والاعلام والتكنولوجيات السريعة التي تعتبر محورا لاحتواها وسيطرتها قد اسندت الى عملية التربية ومؤسساتها الكبرى، ذلك ان هذه العملية من شأنها تسيير الاهداف الوطنية والاجتماعية الكبرى وترسيخ قيم ومقومات المجتمع المتكامل ببنياته، في إطار كسب رهانات المستقبل بأجيال تعي وتجسد مبادئ الديمقراطية والسيادة والوطنية، من خلال برامج التربية الوطنية او التربية المدنية او التربية الاجتماعية.

وتعرف الموسوعة العالمية للتربية: "التربية المدنية أو التربية على المواطنة: بأنها ذلك الجزء من المنهج الذي يجعل الفرد يتفاعل مع أعضاء مجتمعه على المستويين المحلي والوطني، ومن أهدافها الظاهرة الولاء للأمة، والتعرف على تاريخ ونظام مؤسسات



تمثلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي
السياسية، وجود الاتجاه الايجابي نحو السلطات السياسية والانصياع لأنظمة، والأعراف
الاجتماعية، والإيمان بقيم المجتمع الأساسية¹.

وإن كانت المدرسة تعتبر المؤسسة النظامية التي أوكل لها المجتمع مهمة القيام بوظيفة التربية الرسمية وعملياتها، والتي تتضمن إكساب الفرد القيم والاتجاهات المرغوب فيها اجتماعيا، فلا شك أن عملية إكساب القيم الوطنية من أولويات مهامها، وفي إنشائها المواطن المنشود، وفي تخصص مجموعة من المواد والمقررات التعليمية القائمة على ذلك بهدف تنمية الشعور بالانتماء الوطني، والتعریف بهوية المتعلم لتعزز قيمة الولاء لديه، وتكون اتجاهات مطلوبة نحو مختلف المؤسسات والتنظيمات الوطنية (الحضارية والثقافية والاقتصادية والتاريخية والسياسية). وعليه فقد أكدت ابحاث ودراسات حول الموضوع (وأوصت عدة دراسات Keating 2009, Oplatka 2009, Dahlin 2010, Gaudelli et Heilman 2004) في هذا المجال إلى تضمين المناهج الدراسية القيم مع المهارات (Skills) ومن أهمها القيم التي من شأنها بث روح الإخلاص، الولاء للوطن والحرص على أمنه، ويجب ألا تكون تربية المواطن تقتصر فقط على منهج يدرس بشكل تقليدي يكون فيه هم الأستاذ الأول الانتهاء من المنهج دون التركيز على المهدى العلمي من هذا المقياس، بل يجب غرس الوطنية في نفوس الطلبة، ويجب أن يتم بشكل تلقائي من خلال تضمين المنهج موضوعات من شأنها تعزيز الحس والمشاعر الوطنية².

¹ -The international encyclopedia of education 1985: 725

² - زياد بركات، أبو علي ليلي: مظاهر المواطنة المجتمعية في المقررات الدراسية في العلوم الاجتماعية من وجهة نظر المعلمين، ورقة بحث علمية مقدمة إلى المؤتمر العلمي الرابع لجامعة جرش الأهلية، بعنوان التربية والمجتمع: الحاضر والمستقبل، الذي أُنعقد بتاريخ 31.29.2011، فلسطين.



تمثيلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ. د. أحمد عماد الدين خواي
وتكرس المدرسة أيضاً مجموعة من العناصر التربوية لتحقيق أهدافها الرامية فيما
تعلق بالمواطنة، من خلال توصيل رسالة الخطاب الرسمي الوزاري في الكتاب أو المنهاج
الملزمي كأولى العناصر التي يوصل ويترجم خطابها "المعلم" والذي يعمل في توجيه القيم
وشرحها ومحاولة تطبيقها داخل الصحف، ومحاولة تحويلها من مجرد رسائل إلى سلوكيات
ملمومة وظاهرة، وحسب طبيعة المهمة الموكلة إليه فلا بد أن يعمل على زرع الشعور
بالمسؤولية والإنصاف، وتحمل المسؤولية فيتناول معتقدات سليمة، ولديه مخزون ثقافي
واجتماعي فاعل في توطيد الأمن الفكري. ويمكن للمعلم أن يحمل مخزوناً وثقافة
اجتماعية مخالفة للقيم والرسائل التي يهدفها المنهاج من شأنها تكوين اتجاهات وقيم وطنية
سلبية أو مختلفة عن قيم الانتماء المتعلقة بالانتساب الحقيقى للدين والوطن والحدود
الجغرافية التي تعزز في نفوس المتعلم بسلوكيات ومظاهر الولاء..

أما المواد العلمية المعنية بقيم المواطنة فهي المواد الاجتماعية، إذ أن المدرسة ترتبط
ارتباطاً وثيقاً ببنية النظام السياسي وتتشكل بها، فالمدرسة الجزائرية تعمل على تصير فكرة
التعادل السياسي والديمقراطية وإبراز الحقوق والواجبات مع مختلف المستويات التعليمية.

8- إجراءات الدراسة الميدانية:

1.8- **منهج الدراسة:** تقوم هذه الدراسة على المنهج الوصفي، حيث تناول
تشخيص واقع المنظومة القيمية داخل المؤسسات التعليمية في الجزائر، المتعلقة بقيم
الانتماء الوطني طيلة فترة التمدرس للطلبة المبحوثين، ومستواها ومدى مسايرتها لفلسفه
وخطط وبرامج وأهداف المنظومة التربوية.

2.8- **مجتمع وعينة الدراسة:** تمثل مجتمع الدراسة في طيبة كلية العلوم الاجتماعية
بجامعة محمد لين دباغين، على اعتبار أنها تعد أكثر استقطاباً للطلبة من مختلف
التخصصات العلمية مع التنوع الثقافي والإيديولوجي التي تتحلى بوادره في شخصيات



تمثيلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خوايى
الطلبة المختلفة على اختلاف أعمارهم وأجناسهم. حيث يحتوي قسم العلوم الاجتماعية
لوحده على ما يقارب 1689 طالباً مقسمين إلى أربع مجموعات.
ولأن القوائم لهذه الشعبة غير ثابتة إحصائياً، وأنه لا يمكن تغطية مجتمع البحث
لإجراء الدراسة كاملاً فقد تم الاستناد على عينة دراسة بنسبة 10% من مجموع العينة،
لتعبر عن عينة عشوائية منتظمة، ولتعدن الوصول إلى الطلبة حسب ترتيبهم في القوائم
الإدارية، فقد تمت مراقبة الأفواج حسب الحصص التطبيقية ومنه إجراء الدراسة مع
الطلبة حسب الترصد أو الصدفة لأن الطلبة أما يزاولون الدراسة إلزاماً وإما غائبون وإما
مسجلين في القوائم راسبون أو أنهم منقطعون. ولاستيفاء حجم العينة النهائية (10%)
بعدد مساوي 169 طالباً وطالبة موزعين على ثمانية أفواج في كل مجموعة بالتقريب.
ويضم كل فوج حوالي 40 إلى 50 طالباً.

أما الحدود الرمزية فقد تمت في فترة عشرون يوماً من السادس الأول للسنة
الجامعية 2017/2018 أين تم تطبيق أداة الدراسة.

8- الأدلة المنهجية للدراسة الميدانية:

لبلوغ أهداف الدراسة والإجابة عن تساؤلاتها، تم اعتماد استبيان لقيم الانتماء
الوطني بعد الرجوع لأدبيات الموضوع والمحاور التعليمية للمناهج الدراسية لكافة
المستويات التعليمية، من الابتدائي إلى التعليم المتوسط إلى مرحلة التعليم الثانوي، أين
استنجدت هاته القيم كعنوانين أو معلم أو كفاءات تعليمية يرجى ترسيرها لدى
المتعلمين.

تضمن الاستبيان محور البيانات العامة من: السن، لغة الشناعة (لغة التواصل في
الأسرة)، وسؤال خاص بترتيب المواد الاجتماعية حسب احتوائها لقيم وطبية بالنسبة
للطلبة (اجتماعيات، تربية إسلامية، لغة عربية، لغة فرنسية، تربية مدنية).



تمثيلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ——— ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خوايى
المحور الثاني تعلق الفرضية البحثية: القيم السوسيو تاريخية المعبرة عن الانتماءات الوطنية للطلبة الجامعيين. وتضمن 17 قيمة عند طرح العبارات، حيث بنيت كل منها على أساس الرموز الوطنية أو الكفايات التعليمية في المناهج الدراسية طيلة فترات التمدرس.

المحور الثالث تعلق بالفرضية الثانية: المواقف السياسية المعبرة عن الانتماءات الوطنية للطلبة الجامعيين. وتضمن 19 عبارة أو مصطلح، تم تفريغ 15 منها، وتمت بالاستعانة بالعبارات الأربع للتحليل واعتماد النتائج وذلك لغرض الطرح منها.

9- المعالجة الإحصائية:

تم استخدام التكرارات والنسب المئوية، والمتosteات الحسابية لتقدير مستوى كل قيمة من القيم الوطنية بالنسبة للمحورين اللذين بنيت عليهما الدراسة.

الفئات العمرية	النكرار	النسبة %
أقل 20 سنة	104	61.53
سنوات 20-25	56	33.14
أكثر من 25 سنة	09	5.33
المجموع	169	%100

جدول رقم (1) يوضح خصائص الطلبة حسب الفئات العمرية.

بالنسبة لخصائص العينة فقد وضحت على أن أغلبية الطلبة المسجلين في قسم السنة الأولى علوم اجتماعية تحت السن العشرون، (104 طالبا، بنسبة 61.53%) وهي السن الطبيعية لالتحاق المتعلمين بالتعليم الجامعي، في حين أن النسبة المعتبرة للطلبة في الفئات الأكثر من السن الطبيعية فهي متوسطة (56 طالبا، بنسبة 33.14%)، وهو ما يدل



تمثيلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خوايى على أن هناك استقطاب كبير لمراکز التعليم الجامعي في الجزائر لمختلف الفئات الاجتماعية على اختلاف أجناسهم وأعمارهم، وهو ما يدل على عناية اجتماعية سياسية في جانبها التربوي والتکويني. وهو ما يظهر في الجدول رقم (1) أدناه الذي يوضح خصائص الطلبة حسب الفئات العمرية.

أما بالنسبة لمتغير لغة التواصل للمتعلمين في الأسرة، فقد كانت النتائج موضحة في الجدول (2) أدناه، ونتائجها موضحة على ان: أن أغلبية الطلبة يتحدثون اللغة العربية في أثناء تواصلهم الأسري والاجتماعي (طلاباً يتواصلون اللغة العربية 120، تحددها نسبة 71%)، فالرغم من تصريح البعض من الطلبة أن مكان الإقامة الذي يعيشون فيه يؤثر على مستوى درجة التواصل الاجتماعي خاصة من الطلبة الذين ينتسبون إلى أماكن أصلية وأنهم لم يعودوا على مناطق إقامة مختلفة اجتماعياً وثقافياً وعرقياً، فبعض الطلبة يصرحون بأن هناك قلة تجاوب في التواصل الاجتماعي خاصة ضمن جماعات الرفاق في الإقامات الجامعية أين تكون اللغة عائقاً للتفاعل، وهو أمر يؤدي مراراً إلى نشوب نزاعات طفيفة بين الطلبة أو بين الأساتذة والطلبة المتعلمين في مراحل سابقة من التعليم، في حالات يكون المعلم أو الأستاذ دخيلاً عن المجتمعات الناطقة باللغة الأمازيغية "حسب أراء الطلبة أنما سوء فهم للتواصل الخاص بين المتعلمين، ما يؤدي إلى تحرير للأستاذ أو المتعلم.

النسبة %	التكرار	لغة التواصل
71	120	لغة عربية
29	49	لغة أمازيغية



مقالات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني --- ط. نادية مهداوي وأ. د. أحمد عماد الدين خواي

%100	169	المجموع
------	-----	---------

جدول (2) يوضح خصائص الطلبة حسب لغة التواصل في الأسرة.

- عرض ومناقشة نتائج الدراسة الميدانية:

- عرض ومناقشة نتائج الفرضية الأولى: "للطلبة الجامعيين قيم سوسيو-

تاريخية وطنية اكتسبوها من المدرسة تعبر عن انتماءاتهم".

لا		نعم		القيمة الوطنية
%	ت	%	ت	
%15.32	09	%94.68	160	رمزية النشيد الوطني
%6.51	11	%93.49	158	علم الوطن
%07.11	12	%89.92	157	مقام الشهيد
%3.55	06	%96.45	163	الجنسية الجزائرية
%14.80	25	%85.20	144	حب الوطن من الإيمان
%24.27	41	%75.73	128	قيمة الأعياد الوطنية
%30.77	52	%69.23	117	تاريخ شهداء الثورة التحريرية
%49.70	84	%50.30	85	الكافية العلمية للتاريخ المدرس
%30.70	13	%92.30	156	رسمية وحدة اللغة العربية
%02.37	04	%97.63	165	قمة التنوع الثقافي في الجزائر
%59.17	100	%40.82	69	الإمازغية لغة أصلية رسمية



مقالات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني --- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي

%50.30	85	%49.70	84	الاحتفال ببنابر
%35.50	60	%64.50	109	الاهتمام بالمعارض والندوات الوطنية
%12.42	21	%87.58	148	مواكبة الإعلام العالمي تطور
%12.43	21	%87.57	148	موقع التواصل تحدد الوحدة
%23.66		%78.34		المتوسط

جدول رقم (3) يوضح مستوى القيم الوطنية السوسيوتاريجية المعبرة عن انتماءات الطلبة الجامعيين.

التحليل والمناقشة: تظهر نتائج الجدول بوضوح أن مستوى القيم الوطنية السوسيو- تاريجية عند الطلبة الجامعيين مرتفعة، إلا انه يبقى بعيداً عن تلك المستويات المرجوة لمنظومة التربية الوطنية التي ترتكز فلسفتها على بناء المواطن الصالح المتمتع بالانتماء والموالاة للوطن الأم، هذا هو التمثيل الذي يبنيه معظم المتعلمين خاصة في المراحل النهائية من التعليم الرسمي المقنن، لأنه في نهاية هذه المرحلة يصطدم المتعلم بموافق تعكس ما كونته وشكلت لديه المنظومة التعليمية لديه من معارف وخبرات وقيم مثالية طيلة أهم سنوات من حياته وفي فترات حساسة.

أما إذا تمعنا في كل قيمة من القيم الوطنية فإننا نلاحظ أن "قيمة قوة التنوع الثقافي للوطن الجزائري" قد تصدرت مقدمة القيم الوطنية التي تؤكد عليها المنظومة التربوية بمستوى عال، وهذا فعلاً يعود إلى أن هذه القيمة تتكرر في كافة المستويات التعليمية من مرحلة التعليم الابتدائي إلى مرحلة التعليم المتوسط وفي سنوات تعليمية متتالية، إذ انماطة القيمة تصدرت عناوين المحاور وأخذت نصيبها من عناوين الدروس والتشكلات التربوية في الكثير من الأهداف والمشاريع التربوية بما فيها من الصور والقرارات التعليمية، وأسئلة



تمثيلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي
الفهم والتمارين الموجهة. تليها قيم أخرى، بمستويات مرتفعة أيضاً ومتقاربة هي قيم الجنسية الجزائرية أين يفتخر الطلبة بذلك في تعبيراتهم وحركاتهم عند قراءة العبارة المطروحة في الاستبيان رمزية النشيد الوطني ثم العلم الوطني، ثم اللغة العربية باعتبارها إحدى أهم القوميات وثوابت الهوية الوطنية. كما استند الطلبة بعبارة التأكيد على أن حب الوطن من الإيمان في التعليل والتأكيد لما سبق من تعبيراتهم عن انتماءاتهم للوطن ومبررين قيمة الأعياد الوطنية لكل منهم مع الاهتمام بالمعارض والندوات الوطنية، أما لشغف واهتمام وطني أو لثقافة عامة.

في حين حققت بعض القيم مستويات ضعيفة أو متوسطة من حيث درجة الاهتمام بها "اللغة الامازيغية" وتمثلها لدى الطلبة بأنها لغة رسمية أصلية للوطن، إلا أن النتائج تظهر عكس ذلك لأن اغلب الطلبة يعتبرونها لغة ميتة بالرغم من أصليتها وأسبقيتها عن اللغة العربية فلا يمكن تعليمها لعدم الاستفادة والكافية العلمية والتنموية منها، وكما تظهر النتائج أن الطلبة المؤيدون والمعتبرون والمعبرون عن انتمائهم للغة الامازيغية هم ذوي الأصول أو الناطقين بالأمازيغية فقط، في حين أكدت قيمة الاحتفال ببنابر أهميته، أن هناك احترام لقيمة التنوع الثقافي نوعاً ما، حيث يؤيد معظم الطلبة فكرة وتقدير الاحتفال ببنابر نتيجة الاحتكاك بمختلف الطibus الجزائرية .

كما يتفق الطلبة مناصفة أن التطور الحديث في عالم الاتصالات والإعلام أنه يحقق ويساهم في التنمية والتطور الاجتماعي وأنه في نفس الوقت يساهم في نشر الفتنة ويهدم الوحدة الوطنية بنشر الدعايات والاستعمال المسيء لحرمة وطبيعة وبنية الوحدة الجزائرية . عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثانية: "للطلبة الجامعيين موافق سياسية اكتسبوها من المدرسة تعبّر عن انتماءاتهم".



مقالات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني --- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي

لا		نعم		القيمة الوطنية
%	ت	%	ت	
%66.86	133	%33.14	56	الموطنون سواسية أمام القانون
%55.03	93	%44.97	76	مقاطعة الانتخاب إخلال بالواجب الوطني
%33.72	57	%66.28	112	الجزائر دولة لا ديمقراطية
%17.16	29	%82.84	140	لا توجد حرية تعبير عن موافق من النظام
%17.16	29	%85.20	140	للمواطن الحرية في التعبير عن الأوضاع الاجتماعية
%40.24	68	%59.76	101	عدم الانتخاب حق للتعبير عن موافق من النظام
%23.67	40	%76.33	129	المواطن الصالح هو من يشارك في الحركات الجمعوية
%26.32	45	%73.38	124	نظافة والحفاظ على الممتلكات العامة واجب وطني
%40.24	68	%59.76	101	قانون الضرائب يخدم الصالح العام
%21.90	37	%78.10	132	مجانية التعليم افتخار وطني
%28.40	48	%55.02	121	مجانية وحق التمتع بعنایة صحية ملائمة
%44.97	76	%50.03	93	العدل والمساواة في المؤسسات الخدماتية
%49.70	84	%50.30	85	الطلبة الذين يتسبّبون إلى جمعيات خيرية صالحون
%17.16	29	%82.84	140	أبقى في وطني إذا وقعت مشكلات وحروب



تمثلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ——— ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي

المتوسط الحسابي	%64.13	%35.50
-----------------	--------	--------

جدول رقم (4) يوضح مستوى قيم المواقف السياسية معبرة عن انتماءات الطلبة الجامعيين.

تظهر نتائج الجدول أن للطلبة مواقف سياسية سلبية تجاه أهم القيم السياسية التي فرضتها المدرسة طيلة سنوات الدراسة إذ أكمل في سنوات الأخيرة من التمدرس أو التعليم الرسمي النظامي أصبحوا يميزون ويحملون قيمة بعض الأسس التي لابد أن تقوم عليها المسئولية الاجتماعية والوطنية. وبالنظر لطبيعة الطرح للبنود والعبارات التي تحمل قيمها سياسية معبرة عن قيم الطلبة وانتماءاتهم الوطنية فإننا نلاحظ أن المستوى العام للقيم السياسية متوسط نوعاً ما، وبالتالي في نتائج الجدول فنلاحظ للوطن قيمة كبيرة لدى المتدرسين بالرغم من مشاكله وبالرغم من تذبذب بعض القيم المهمة التي تعتبر إحدى المقومات الرئيسية للدولة تطبق القانون وتعتبر الديمقراطية إحدى أهم مبادئها الاجتماعية والسياسية، فالطلبة أكدوا بنسبة كبيرة عن أراءهم في البقاء في الوطن وعدم اللجوء إلى أوطان أخرى عند قيام صراعات داخلية أو حروب، كما تكون قيمة حق المواطن وحريته في التعبير عن أوضاعه الاجتماعية مرتفعة، تزامناً مع قيمة التعليم المجاني والافتخار به بالرغم من أن المؤسسات التعليمية في تعبيرات الطلبة وموافقيهم التي تؤكد أنها النتائج أن هذه القيمة متوسطة تماماً بعدم وجود فرص عدل ومساواة في المؤسسات التعليمية على اعتبار أنها مفتوحة قانونياً أمام الجميع. وكذلك حق التمتع بجانب صحي ملائم، تليها قيمة التعبير عن المواقف السياسية البعثة في ازدواجية الانتخاب بين الحق والواجب إذ أن الطلبة يؤكدون أن عدم الانتخاب طريقتهم وحق طبيعي في حرية التعبير عن طبيعة النظام، وأنه ليس إخلال بالواجب الوطني (الخانة الثانية من الجدول)، وإن للتعددية السياسية قيمة وطنية من طرف الطلبة بالرغم من عدم وجود حرية في التعبير عن المواقف



تمثلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي
السياسية مباشرة وتصريحاً، وتلي قيمة القانون في طرح حسب طرح العبارات أن "قانون
الضرائب المفروضة على المواطنين في الإصلاحات الحكومية الأخيرة حسب تصريحات
الوزارة أن هذه القوانين نسبية في فعاليتها وخدمتها للصالح العام، في مقابل أن الطلبة
بالتقريب النسيبي يرون بأنها تضر بمصلحة المواطن العادي والبسيط بالنظر إلى طبيعة
الأوضاع الاجتماعية وهو ما تؤكده القيمة والت نتيجة السلبية أن العدل والمساواة بالنسبة
للقانون الجزائري عكس طرح القيمة "كل المواطنين سواسية أمام القانون ". في حين أن
المواقف المتعلقة بالقيم المدنية في إطارها السياسي بالنسبة للطلبة فان، المشاركة في
الحركات الجمعوية سلوك وطني صالح وهو ما تظهره نتيجة الجدول المرتفعة. أما بالنسبة
للنظافة، سواء بالنسبة في الممتلكات العمومية، أو في المدينة التي يقطن بها الطالب، فهي
وأن لم تكن لها علاقة بالمسؤولية الوطنية فلابد من واجب المحافظة الشخصية والجماعية
والمدنية لكافة التراب الوطني وهي نتيجة متضاربة بين موقف الطلاب بين الوجوب
الوطني والمسؤولية الاجتماعية.

وبخصوص المتوسط الحسابي للفرضية المطروحة فان المواقف السياسية لدى الطلبة
الجامعيين المبحوثين متوسطة، ليست كافية بالقدر الذي تتبعيه وترمي إليه المنظومة
التربوية الحساسة التي تكفل القدر الكبير من ميزانية الدولة في إعداد المواطن الصالح،
عكس نتائج متوسطات الفرضية الأولى أين يمكن انتماء الطلبة في الافتخار بمحرد رموز
الدولة من منشئات ومباني أو ألوان ورؤوية أعلام الوطن الجزائري فقط لأن طبيعة تشكل
صورة ذهنية ما، ليست موازية لفعل الاجتماعي الذي يظهر في المواقف الرئيسية والهامنة
التي تبين وتوضح مستوى ولاء وانتماء المواطن أو الفرد الصالح ضمن مجتمعه مثل
الانتخابات، والاكتفاء بالقدر الكافي من حقوق رئيسية رسمية مثل، حق التعليم وحق



تمثيلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي
التداوي والتکفل بالجوانب الصحية الملائمة للمواطن والحق في العيش المناسب تحت دولة
كبيرة متنوعة ثقافيا واجتماعيا وماديا، أين تتتصدر مخازن ثرواتها أوائل القوائم الدولية .
نتائج الدراسة: بالنسبة للمتوسط الحسابي العام، فإن نتائج الدراسة جاءت لتبرز
انه بالرغم من أن القيم الوطنية جاءت متوسطة ولكن تبقى مجهودات المنظومة التربوية في
خدمة المجتمع بإعداد وتنشئة الأجيال تنشئة صالحة، وهو ما تبررهأغلبية الطلبة في البقاء
في الوطن عند الصراعات والحروب، وبالنسبة لطبقة قيد الخروج إلى الحياة اليومية وفي
ظل المشكلات الاجتماعية فان الطلبة في تعليقاهم يرون بان "اللجوء السياسي" بالرغم
من مشروعيتها الدولية والسياسية والقانونية فهو جبن من طرف جهات لا تقدر ولا
تبلي قيمًا مثالىة تبرر انتفاء او ولاء المواطن العادي لوطنه، تماما مثل ظاهرة "الحرقة" في
إطار تحليل العبارة المتداولة على بعض موقع التواصل الاجتماعي "نروح ياكليني الحوت
وميكليش هم هذى بلاد" فالطلبة يستنكرون هذه الظاهرة، وانه ليس من شيم
الوطنية والمواطنة أن يهرب المواطن الصالح من وطنه بدل العمل والاستصلاح ومحاربة
الفساد فيه، خاصة من طبقة مثقفة. وفي طرح عبارة كلمة "الجزائر" بكل الطلبة
المبحوثين عبروا عنها بأنها "الأم" التي يعني التمثيل بها ومقاربة مكانتها ابن تكمن مقاربة
مستوى القيم التي يحملها الطلبة في أدق تعبيراتها وموافقتها اجتماعيا وتاريخيا وسياسيا،
وهو مستوى بدرجة كبيرة من الانتماء.

مقارنة نتائج الدراسة بنتائج الدراسات السابقة: وفي مناقشة نتائج الدراسة مقارنة
بدراسة راضية بوزيان نلاحظ أن أهم ما توصلت إليه نتائجها فيما يخص عدم استيفاء
المناهج الدراسية للمصطلحات الدالة والمعبرة عن قيم المواطنة وشرح كل منها، وفي
مقاربة لدراسة العلمية الحالية لأهم ما جاء في الكتب الدراسية مختلفة وطرحها بالتناقض
بهدف تمثيل تلك القيم لدى الطلبة فان الطلبة على قدرة من التمييز والتحليل



مقالات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي

للمصطلحات الدالة والعبارات المتناقضة لما جاء في الاستبيان. أما بخصوص دراسة كل من سام محمد وعمران علي فإننا نلاحظ انه حقيقة تختلف درجات تمثل قيم المواطنة بالفعل حسب متغيرات الانتماء والسن والإقامة مثلا، فالنسبة لطبيعة الخطابات التي يتلقاها الطلبة في كليات معينة وفق فلسفتها تختلف من جامعة لأخرى وحسب الانتماء الجغرافي مثلا، لأن الإقامة تلعب دوراً مهماً فالطلبة اللاجئون بفعل عوامل تختلف درجات شعورهم بالانتماء للوطن أو الأرض، مثله مثل متغير اللغة أو فعل اعتبار أن الدراسة الحالية حسب هذا المتغير كشفت أن الطلبة المقيمين في المناطق القبائلية أو الولايات الناطقة بالأمازيغية تختلف درجات شعورهم بمستوى الانتماء والعكس يناله، مثل الاحتفال بياليير فدرجة الشعور بالانتماء والاحتفال به خاص بمنطقة دون أخرى وله مكانة لفتيات اجتماعية دون غيرها يؤثر عليها حجم السكان واللغة أيضاً والانتساب الفعلي للمنطقة.

- الخاتمة:

إن محاولة المنظومة التربوية الجزائرية في ترصيص الثوابت المشتركة لتأكيد الهوية الوطنية من شأنه التفعيل القوي لبناء وتشكيل المواقف وتشكيل الرمزيات الأمثل لأكبر قوة من الناشئة، الذي يحفظ في إطاره ويحمي قوة التحديات الكبرى التي تواجهها المجتمعات العربية في إطار ما يسمى بالمواطنة العالمية التي تذوب ضمنها الخصوصيات الثقافية، وبالرغم من ضعف نقاحة الكتاب المدرسي كأهم الوسائل التربوية التي تعتبر أهم وأكبر مخزون علمي، إلا أن هذه الوسيلة لا تزال فعالة في تحسين مستوى المناهج التربوية مع مختلف الأساليب والمضامين في إرساء رسالة الخطاب التربوي الأمثل الذي يعزز المجتمع الجزائري بمختلف مقوماته وعلى اختلاف قواه الاجتماعية، في حين أنه لا يمكن الإجابة عن تساؤلات أهم القيم الوطنية التي تعبّر عن انتماءات الطلبة إلا إذا أجبوا المتعلّم عن



مقالات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي
السؤال الذاتي له، من هو كمواطن يتسمى إلى مجتمع جزائري، أو بالتعريف الكامل
لخصائص الدولة والمجتمع الجزائري؟ ومعرفة القضايا الحامة التي يعانيها ويعيشها المجتمع في
المراوحة بين الخطاب الذي يحمله هذا المتعلم من تصور فعلي وموافق تعبير عن انتماء
الوطني ديمقراطياً واحتراماً لخصوصيات غيره مع الإيمان الفعلي بها..

وعليه ثبت صحة النتائج بحسب ما توصلت إليه دراسة روبرت وويتش (1992) Robert Woyach بعنوان: "الثقافة في تربية المواطنة"، بحثت الدراسة مفهوم المواطنة
ومفهوم القيادة والروابط بينهما. وكيفية تعديل دور القيادة في حل المشكلات المتعلقة
بالمواطنة، وخلق الدوافع لدى الناشئة ، وأوصت الدراسة بأن تقوم مدارس التعليم العام
بالدور الرئيس في تنمية القيادة والمواطنة¹ .

وعليه يمكن طرح توصيات الدراسة بناء على النتائج الحصولة كالتالي:
ضرورة توعية أهمية الاستاذ او المري في سلك التعليم والقائمون على العملية
التربوية التعليمية أثناء التكوين الخاص بأهمية الرسالة المنوطة بهم وكيفية تسخيرها ودعمها
في حفظ الولاء والاستقرار الوطني بتنمية القيم الابيجابية بأساليب وطرق إيجابية.
إشراك المتعلمين منذ الصغر وتوعيتهم وتنمية روح المسؤولية الاجتماعية في إطار
المراحل التعليمية ووفق قدراتهم العقلية.

حفظ العلاقة بين المتعلمين والمنهاج المدرسيين وكذلك تنمية روح التعاون
والاحترام والولاء بين المتعلمين والطلبة حفظاً للنظام الصفي والمدرسي في سبيل المشاريع
التربوية والوضعيات المستهدفة مقاربة بالمجتمع ثم تعزيز معنى كلمة الوطن والاخلاص له،
وتثمين الاعمال وتوجهات الطلبة وموافقتهم ووفق مستوياتهم التعليمية وتأهيلهم معرفياً،

¹ - جوهاري سمير، وزهواي عمر: مرجع سابق



تمثيلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي
وسلوكها في إطار التوعية والتعریف بالمشكلات الوطنية الراهنة وتميز الحقائق والغالطات
بناء على الخلفيات التاريخية والثقافية للوطن والدولة.
تكثيف ميزانيات وبرامج المنظومة التربوية دورياً أو فصلياً كريارة المتاحف والآثار
التاريخية وتوحيد الجماعات المختلفة في إطار الوحدة الوطنية تطبيقياً وميدانياً إلى جانب
المقررات النظرية.

إشراك المؤسسة التعليمية منذ المراحل التعليمية الأولى والتنسيق بين الروضة
والمدرسة والثانويات إلى الجامعة من خلال ربط المناهج التعليمية وكذا إشراك هاته
المؤسسات مع باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى كالمسجد والاسرة ودور
الكشافة التي من شأنها تأثير و تعمل على تربية مواطنة لتكوين شخصيات وطنيات وأفراد
وطنيين متتساوين من حيث الأهداف والمسؤوليات ووعاون بالواجبات في مقابل المطالبة
بالحقوق المدنية . وقدرون على الحوار البناء المنهج لاحترام الحريات وغيره الوعي
بالاختلاف الثقافي والعرقي .. خاتمة:

يجب أن تتضمن أهم النتائج و توصيات البحث وآفاقه، وتقديم اقتراحات ذات
الصلة بموضوع البحث.

المراجع:

- سورة الحجرات.

- سورة النساء.

القواميس:

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، المجلد 13، بيروت، 1968.

(2) إسماعيل عبد الفتاح وآخرون: معجم مصطلحات حقوق الإنسان، مركز
الإسكندرية للكتاب الإزرتية، 2006.



مقالات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ——— ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي

(3) جلال الدين سعيد، قاموس المصطلحات الاجتماعية، دار عالم الكتب،
الرياض، ط1، 1999.

(4) حوردان مارشال: موسوعة علم الاجتماع _المواطنة _ ترجمة محمد محى
الدين واحرون، ج2، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2001.

(5) محمد جمال الكيلاني: معجم المصطلحات الأفلاطونية، المواطن مفهومها
ودلائلها، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010، الإسكندرية

(6) الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة اعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، الرياض،
. 1996.

(7) ميشال مان: موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة: عادل الهواري، سعد
مصلوح، مكتبة الفلاح، الكويت، 1984.

المحالات:

(8) احمد كرومی: الحداثة، المواطن والحقول الفقهی: عناصر من أجل مقاربة
إشكالية، مجلة دفاتر إنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،
دع، وهران، الجزائر،

(9) بسام محمد أبو حشيش، "دور كليات التربية في تنمية قيم المواطن لدى
الطلبة المعلمين بمحافظة غزة"، مجلة جامعة الأقصى، المجلد، 14، ع 01، 2010.

(10) جوهاري سمير، وزهواي عمر، دور جامعة تيارات في تنمية قيم المواطن
لدى طلبتها. (دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

(11) راضية بوزيان، "الموطن و المؤسسة التعليمية في الجزائر، دراسة سوسيولوجية
تحليلية لكتب المواد الاجتماعية نموذجاً"، مجلة إضافات، ع 06، 2009.



مقالات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ——— ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي

(12) عمران علي علیان، "درجة تمثل طلبة الأقصى لقيم المواطنة في ظل العولمة"،
عدد 2، 2014.

(13) الغزي ناجي، "دور مؤسسات المجتمع المدني في التنشئة السياسية"، مجلة
الحوار المتمدن، ع 26، 2009.

الكتب:

(14) أحمد بن نعман: الهوية الوطنية حقائق ومحالطات، دار الأمة، برج الكيفان،
الجزائر.

(15) بوفلحة غيات: إشكالية المواطنة في المدرسة الجزائرية، مخبر البحث في علم
النفس وعلوم التربية، جامعة وهران دار القدس العربي، 2012 .

(16) روبير بيلو، المواطن والدولة ترجمة، هاد رضا، منشورات عويدات، بيروت،
باريس، ط 2، 1977.

(17) سليمان غيث: الديمقراطية والسياسة، جامعة حلوان، القاهرة، 1995 .

المقتنيات:

(18) مصطفى محمد القباج، مداريات المواطنة المعاصرة نحو مفهوم جديد
للمواطنة، ندوة (الدولة ومواطنوها المسؤوليات الجديدة وإعادة توزيع الأدوار)، وقائع
الدورة التاسعة لأيام قرطاج الدولية، وزارة الثقافة والمحافظة على تراث المجتمع التونسي
للغات والأدب والفنون، بيت الحكم، 2005 .

(19) علي نجيب عواد، "التربية على المواطنة والانتماء وثقافة الحوار"، 'فعاليات
الندوة العلمية تعزيز قيم المواطنة ودورها في مكافحة الإرهاب، المركز الدولي
للاستراتيجية والإعلام، جامعة نايف .



تمثيلات الطلبة الجامعيين لقيم الانتماء الوطني ----- ط. نادية مهداوي وأ.د. أحمد عماد الدين خواي

(20) زياد برّكات، أبو علي ليلى: مظاهر المواطنة المجتمعية في المقررات الدراسية في العلوم الاجتماعية من وجهة نظر المعلمين، ورقة بحث علمية مقدمة إلى المؤتمر العلمي الرابع لجامعة جرش الأهلية، بعنوان التربية والمجتمع: الحاضر والمستقبل، الذي أُنعقد بتاريخ 31.29.2011، فلسطين.

الرسائل والأطروحات:

(21) فقير محمد راسم: القيم الوطنية والمواطنة بين المراجعات السياسية والتمثلات الشبانية، شهادة دكتوراه غير منشورة، تخصص علم الاجتماع، جامعة تلمسان 2015/2016.

(22) طريف السيد عيسى: المواطن من منظور إسلامي، 10/06/2010، ص 06
<http://www.ashraqalarabi.org.uk/markaz/m-m.pdf>

(23) Jadel et Denise, les représentations sociales, PUF, Paris, 1989, p32

(24) The international encyclopedia of education 1985



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -
ر ت م د : 1112-4040، ر ت م د إ : X204-2588

العدد: 34 السنة: 2020 الصفحة: 1073-1034 تاريخ الشر : 25-02-2021

"مستوى تكوين امكانيات البشرية ودوره في تعزيز جاهزية مؤسسة الأرشيف الوطني الجزائري للإيفاء بمتطلبات البيئة الرقمية"

**"The human resources training level and its role in
enhancing the readiness of the Algerian National
Archives institution to meet the requirements of the
digital environment"**

الطالب. فارس بوعويدم

faresboukhouidem@gmail.com

د. همبلة معم

madj25@gmail.com

جامعة عبد الحميد مهربي - قسنطينة 2

تاریخ الإرسال: 2020/02/27 تاریخ القبول: 2021/02/14

الملخص:

يعتبر المورد البشري في عصرنا هذا أحد أبرز ركائز التنمية والتقدم في كافة المجالات، مما جعل الدول والمؤسسات تسعى إلى الاستثمار في رأس مالها البشري وتطوير وتنمية مهاراتها عن طريق أساليب التكوين، بغية تعزيز مناعتها تجاه التطورات الحالية وتحقيق التفوق والنجاح في مواكبتها، لذلك هدفت هذه الدراسة إلى توضيح العلاقة بين مستوى ونوعية التكوين وأثره على جاهزية وقدرة مؤسسة الأرشيف الوطني في التعامل مع متغيرات المحيط المؤسساتي، خاصة ما تعلق بتحديات البيئة الرقمية.



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

وقد اشتملت هذه الدراسة على جانب نظري وآخر ميداني، في حين تم الاعتماد على المنهج الوصفي لوصف الظاهرة المدروسة، بالإضافة إلى الاستبيان كأدلة أساسية في جمع البيانات، وخلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها عدم رضا الموارد البشرية على تكوينهم الأكاديمي خاصية في شقه التطبيقي وضعف التكوين في الوسط المهني، وكذا اعتماد الموارد البشرية على مجهوداتهم الذاتية في تطوير قدراتهم ومهاراتهم، وفي الأخير فقد اقترحت الدراسة ضرورة الاهتمام بتكوين الموارد البشرية في كافة مراحل مساراتهم المهني لضمان تكيفهم مع المستجدات المختلفة.

الكلمات المفتاحية: الموارد البشرية، التكوين، البيئة الرقمية، الجاهزية، مؤسسة الأرشيف الوطني، الجزائر، دراسة ميدانية.

Abstract:

The human resource in our time is one of the most prominent pillars of development and progress in all fields, which made countries and institutions seek to invest in their human capital and develop and upgrade their skills through training methods. the study aimed to clarify the relationship between the level and quality of training and its impact on the readiness and ability of the National Archives Foundation in dealing with institutional environment variables, especially those related to the challenges of the digital environment.

the descriptive approach was used to describe the studied phenomenon. The study concluded to a number of results, the most important of which are the Human resource dissatisfaction with their academic training, especially in its applied aspect and weak training in the professional field, as well as the dependence of human resources on their own efforts in developing their capabilities and skills.



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

Finally, the study suggested the necessity of paying attention to training human resources in all stages of their career path to ensure their adaptation to the various developments.

Keywords: Human resources, training, digital environment, readiness, National Archives, Algeria, field study.

المقدمة:

تعيش المؤسسات العمومية في الجزائر في حالة الطوارئ بفعل التطور التكنولوجي المتتسارع في مختلف المجالات، وتبني الدولة مشروع الحكومة الإلكترونية والذي بدوره حتم على كافة القطاعات والمؤسسات الاندماج السريع في هذه المنظومة الجديدة ومواكبتها، من خلال تطوير امكانياتها المادية والبشرية والادارية وجعلها في مستوى التحديات التكنولوجية، ولكن يبقى النجاح في الوصول إلى هذا الهدف مرتبطة ب مدى وجود موارد بشرية قادرة على رفع التحدي، والانتقال السريع بمؤسساتهم إلى محيط التحول الرقمي من خلال مهاراتهم وكفاءاتهم المكتسبة خلال مسارهم التكويني، سواء الأكاديمي أو المهني المتخصص بالإضافة إلى التكوين في الوسط الوظيفي والتكوين الذاتي المستمر، فكلما استجاب التكوين لمتطلبات الواقع والتحديات كلما أدى ذلك إلى نجاح المؤسسات في تحقيق أهدافها، لذلك أراد الباحث من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على مدى استجابة تكوين الموارد البشرية عينة الدراسة. مؤسسة الأرشيف الوطني لتحديات البيئة الرقمية، حيث تضمنت الدراسة بالإضافة إلى الإطار العام للدراسة جانب نظري ومفاهيمي حول التكوين والموارد البشرية والبيئة الرقمية، وجانباً تطبيقياً أراد الباحث من خلاله معرفة بعض البيانات الشخصية ورأي المستجوبين حول مستوى أساليب التكوين المختلفة لديهم، من تكوين أكاديمي ومهني وذاتي.

1- الإطار العام للدراسة:



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويبد ود. جليلة معمر

1-1- إشكالية الدراسة:

تعتبر الموارد البشرية أهم أدوات المؤسسات في تطوير قدراتها وتعزيز جاهزيتها لمواجهة التحديات المختلفة ومواكبة التطورات المتسرعة، وذلك بتسلحها بمختلف المهارات، واكتساب المؤهلات والكفاءات المتعددة بشكل دائم، من خلال التكوين بمختلف مراحله وأنواعه، فمن التكوين الجامعي الأكاديمي إلى التكوين في الوسط الوظيفي وصولاً إلى التكوين الذاتي المستمر، لذلك فهو أحد أهم روافد استمرارية المؤسسات وتطورها، ولعل أبرز تحديات الساعة بالنسبة للمؤسسات في العالم بشكل عام وفي الجزائر بشكل خاص، هي استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال والاستفادة من مختلف مزاياها، بل وأصبحت تبنيها في مختلف المؤسسات حتمية لا مفر منها، بالاعتماد على رأس مالها البشري بالدرجة الأولى ومهاراته المكتسبة عن طريق تكوينه الأكاديمي والمهني بالإضافة إلى مجدهاته الذاتية.

ومن بين المؤسسات الجزائرية التي تقع في صلب المستجدات الرقمية وتسعى بدورها إلى اللحاق بركب التحول الرقمي في مؤسسات الدولة هي مؤسسة الأرشيف الوطني الجزائري، التي تهدف إلى مسيرة مشروع رقمنة الإدارة في الجزائر، في ظل رؤية الجزائر الإلكترونية 2013، وهي أيضاً ستعتمد على مؤهلات مواردها البشرية بشكل أساسي كما سبق ذكره، وهذه الأخيرة لن تكون جاهزة لتحقيق أهداف مؤسسة الأرشيف الوطني ما لم تكن متسلحة بتكوين عالي ومتعدد الجوانب خاصة التكنولوجية منها، أما في حالة ضعف التكوين فقد تواجه الأهداف سالفة الذكر الفشل وعدم النجاح، ومنه واطلاقاً مما سبق إلى أي مدى يساهم مستوى تكوين الموارد البشرية في تعزيز جاهزية واستعداد مؤسسة الأرشيف الوطني للمستجدات الرقمية؟

2-1- تساؤلات الدراسة:



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويبد ود. جليلة معمر

محاولة من الباحث الإمام بالعالم الموضوعية لجوهر الإشكالية تم طرح عدة

تساؤلات فرعية صيغت على النحو الآتي:

- ما هو التكوين وما هي أنواعه وأهميته؟

- ما هو مستوى تكوين الموارد البشرية الأكاديمي بمؤسسة الأرشيف الوطني في

ظل التحول الرقمي؟

- ما مدى استجابة التكوين الأكاديمي للموارد البشرية بمؤسسة الأرشيف الوطني

لمتطلبات التحول الرقمي؟

- ما هو مستوى التكوين في الوسط المهني أو الوظيفي للموارد البشرية بمؤسسة

الأرشيف الوطني الجزائري؟

- ما مدى اعتماد الموارد البشرية بمؤسسة الأرشيف الوطني في تطوير مهاراتهم

التكنولوجية على التكوين الذاتي المستمر؟

- ما مدى اعتماد الموارد البشرية في تطوير قدراتهم على الوسائل التكنولوجية

والانترنت في تطوير مهاراتهم المختلفة؟

1-3- أهداف الدراسة:

لا يمكن تصوّر أي دراسة من دون أهداف لذلك حدد الباحث جملة من

الأهداف هي كالتالي:

- التعرف على أهمية التكوين في تعزيز جاهزية مؤسسة الأرشيف الوطني

لمتطلبات البيئة الرقمية.

- التعرف على دور التدريب التطبيقي والميداني في اكتساب مختلف المهارات.

- التعرف على مستوى التكوين الأكاديمي بمؤسسة الأرشيف الوطني ومدى

استجابته لمتطلبات التحول الرقمي.



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويبد ود. جليلة معمر

- التعرف على مستوى التكوين في الوسط الوظيفي أو المهني بمؤسسة الأرشيف الوطني.

- التعرف على مدى اعتماد الموارد البشرية على التكوين الذاتي المستمر في تطوير قدراته.

- تشجيع المؤسسات على تطوير مهارات مواردها البشرية عن طريق التكوين.

4-1- أهمية الدراسة:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من كونها تتناول موضوعا حيويا وحساسا في منظومة المؤسسات، ألا وهو دور التكوين بمختلف أنواعه ومصادره في تعزيز قدرة واستعداد مؤسسة الأرشيف الوطني في التأقلم مع المستجدات والأحداث، خاصة تحديات البيئة الرقمية التي فرضها مشروع الحكومة الإلكترونية في الجزائر، وضرورة الاعتماد على التكوين وتطوير أساليبه بغية الاستجابة لمتطلبات الاندماج في المحيط الرقمي بكفاءة.

5- مصطلحات الدراسة:

- **التكوين:** نقل مجموعة من المعارف والمهارات بغية تمكن المتعلم من القيام بهما بكفاءة.

- **الانتقال الرقمي:** هي استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال في كافة المجالات والمستويات الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية.

- **الجاهزية:** هي الاستعداد الكافي لمواجهة التحديات والمستجدات والأحداث مهما كان نوعها وعادة ما ترتبط بالأهداف المراد تحقيقها من خلالها، أما في سياق الجاهزية للتعامل مع البيئة الرقمية فهي القدرة على استخدام تكنولوجيا المعلومات



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

والاتصال ويتم قياسها من خلال نطاق ونوعية البنية التحتية التكنولوجية ومهارات الموارد البشرية بالإضافة إلى اللوائح والتشريعات.

الموارد البشرية: هي مجموعة الأفراد المساهمة في إدارة المؤسسات وتحقيق أهدافها المسطرة.

مؤسسة الأرشيف الوطني: هي مؤسسة حكومية ذات طابع علمي وثقافي تعنى بتحجيم وحفظ وإتاحة التراث الوثائقى الوطنى، وقيادة السياسة العامة للأرشيف في الدولة.

2- الإطار النظري والمفاهيمي للدراسة:

سيحاول الباحث في هذا الجزء التطرق باختصار لأبرز المفاهيم المرتبطة بموضوع الدراسة، كمفهوم التكوين وأهميته والموارد البشرية في ظل البيئة الرقمية

2-1- مفاهيم أساسية حول التكوين:

أ- مفهوم التكوين والتدريب:

هو تزويد الأفراد بمجموعة من الخبرات والمهارات التي تجعله، قادرا على القيام بأعماله، فهو تطور منطقي لخبرات ومهارات الأفراد لصبحوا فاعلين خلا مراحل حياتهم الوظيفية المتعددة، وبالتالي هو تأهيل للفرد والجماعة للقدرة على القيام بمهام معينة ويختلف حسب الاستعمال وال الحاجة¹.

أما التدريب فهو مجموعة من الأساليب والوسائل والتقنيات التي تم التخطيط لها مسبقا، والتي تهدف إلى تزويد الأفراد بمختلف المهارات والقدرات وتغير سلوكياتهم

¹- شواو، عبد الباسط. تكوين الأرشيفيين بالجامعة الجزائرية بين النظري والواقع: تجربة تخصص تقنيات أرشيفية في نظام ل م د بجامعة قسنطينة 2. دكتوراه ل م د: جامعة قسنطينة 2، 2014.



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

للرفع من كفاءتهم في أداء وظائفهم الحالية والمستقبلية، وبالتالي تحقيق أهداف المؤسسة أو المنظمة¹.

بـ- أهمية التكوين: يعتبر التكوين أحد أبرز روافد تنمية المهارات والمعارف لدى الأفراد، لیستعوا القيام بالمهام والأدوار المنوطة بهم في مجتمعهم أو مؤسساتهم بهم وبالتالي يكونوا ذات فائدة وهذا ما يضمن لهم مصدر دخل وقيمة في المجتمع، وبالنسبة للمؤسسات فهو عامل أساسی في تحقيق أهدافها وتعزيز تنافسيتها في محیطها.

2- الموارد البشرية بالمؤسسات الأرشيفية في ظل البيئة الرقمية:

أـ- تعريف الموارد البشرية:

تعرف الموارد البشرية على أنها مجموعة الأفراد والجماعات التي تكون المؤسسة في وقت معين ويختلف هؤلاء الأفراد في تكوينهم وخبرتهم، وسلوكيهم، واتجاهاتهم وطموحاتهم، كما يختلفون في وظائفهم ومستوياتهم الإدارية والوظيفية².

بـ- أهمية الموارد البشرية:

تمثل الموارد البشرية أهمية استراتيجية كبير لنجاح أي مؤسسة، فلا يمكن أن يتحقق الاستخدام الأمثل للموارد الأخرى إذا كانت المؤسسة تفتقر إلى الأفراد ذوي المهارات والمؤهلين والقادرين على أداء الوظائف المطلوبة منهم.

حيث يوضح جيفرى فيفر (Jeffrey Pfeiffer) أن أهمية الموارد البشرية وكيفية إدارتها "تزاد يوماً بعد يوم، لأن المنطلقات الأخرى للتنافس بدأت تفقد ميزتها من يوم

¹ – Sikiou, Lakhder. *Gestion des ressources humaines*. Paris : éd D'organisation, 1986. P.396.

² – حمداوي، وسيلة. تربية الموارد البشرية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2004. ص 25.



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر لآخر، فأسس النجاح كالتكنولوجيا المستخدمة في الإنتاج، وحصة الشركة من السوق، ودرجة الحماية التي قد توفرها الدولة أو الاعتماد على مصادر التمويل المحلية الأقل تكلفة، لم يعد لها نفس التأثير الذي كانت تتمتع به في الماضي¹.

ج- الموارد البشرية في المؤسسات الأرشيفية:

1- الموارد البشرية التي تمارس الوظائف المختصة في مجال الارشيف: وتضم الأرشيفيين والمكتبيين وأخصائي المعلومات بمختلف مجالاتهم ورتبهم.

2- الموارد البشرية التي تمارس وظائف مساندة: وتضم شعبتي الإعلام الآلي والصيانة والمحبر بمختلف رتبهم وتخصصاتهم.

3- الموارد البشرية الإدارية: وتضم الموارد البشرية في وظائف الإدارة والمالية والمحاسبة وبقى التخصصات ذات العلاقة.

د- مفهوم البيئة الرقمية:

هي نوع خاص من البيئات التي تكون محكمة كلية بالهيكل الاجتماعي للتقنيات الرقمية في الاعتبارات الوراثية (الجينية) والشكلية والأساسية. أي أنها تشير ليس إلى وجود وتطور هذه التقنيات بذاتها ولكن لتداخلها وتكاملها في البناء الاقتصادي والحضاري والسياسي والطبيقي للكيانات الاجتماعية².

ـ تحديات الموارد البشرية في ظل البيئة الرقمية³:

¹- مدحت محمد أبو النصر. إدارة وتنمية الموارد البشرية: الاتجاهات المعاصرة، القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2007. ص 34.

²- شواو، عبد الباسط. المرجع السابق. ص 145.

³- الشريف، أشرف عبد الحسن. الأرشيف الإلكتروني في الشركات والمؤسسات العامة: التأصيل النظري والتطبيق العملي. القاهرة: دار



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

أولاً: الحجم:

مع استخدام تكنولوجيا الحاسوب والمعلومات في الإدارات الحكومية ومع بدأ استغلال شبكات الانترنت في إتمام العديد من الصفقات، والأعمال التجارية أصبحنا أمام كميات هائلة من المعلومات الرقمية التي تحتاج من الأرشيفيين مزيداً من البحث والدراسة لوضع المعايير الالزامية للتعامل معها، باعتبارها وثائق رسمية تحتاج إلى حفظها والرجوع إليها.

ثانياً: التنوع:

إن تعدد الأشكال التي تمثل السجلات الرقمية قد أوجد نوعاً من التعقيد في التعامل معها، وهذا ما وجده الأرشيف الأمريكي، الذي وجد نفسه من بداية التسعينيات أمام أشكال متنوعة من المعلومات الخاصة مع أتمتة العمل الإداري، وظهور شبكات المعلومات والبيئة الافتراضية التي تحافظ بعدد هائل من السجلات الرقمية، وهذا ما يتطلب من الموارد البشرية بالمؤسسات الأرشيفية بذل مزيداً من الجهد لوضع المعايير والإجراءات لأرشفة مثل هذه الأنواع من الوثائق.

ثالثاً: حفظ سياق الوثيقة الرقمية:

أي البيانات أو البيانات الوصفية Metadata، حيث لا يمكن للمستفيد أن يفهم ويفسر الوثائق الرقمية، إلا إذا كان على علم بالظروف والبيئة التي أدت إلى وجود الوثيقة الرقمية، فعلى العاملين بالمؤسسات الأرشيفية أن يحدد الإدارات التي أنتجتها، وموضوع الوثيقة ووظيفتها والغرض من إنشائها، وما علاقتها بالوثائق الأخرى.

رابعاً: التقادم التكنولوجي:



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويبد ود. جليلة معمر

وهناك ثلاث أنواع من التقادم التكنولوجي وهي: تقادم الأجهزة، تقادم البرمجيات، وتقادم وسائل التخزين، ويكمّن التحدّي هنا في أن تكنولوجيا المعلومات والاتصال تتغيّر باستمرار، مما يخلق بيئة غير مستقرة تحدّد مواصلة العمل بالأجهزة والبرمجيات لفترات زمنية طويلة، وهو الأمر الذي يستدعي ضمان إمكانية استخدام البيانات المخزنة والوصول إليها كلما دعت إليها الحاجة، وفي أي شكل من الأشكال الرقمية، من حلال ما يسمى بالبيئة التكنولوجية.

و- مهارات الموارد البشرية بالمؤسسات الارشيفية في ظل البيئة الرقمية:

هناك القليل من الأشخاص في الوقت الحالي الذين يملكون مجموعة من المهارات المطلوبة للعمل في البيئة الرقمية، وفيما يلي أهم المهارات التي يحتاجها الموارد البشرية في العصر الرقمي:

- الإلمام بالمهارات الأرشيفية بالنسبة للمختصين في الأرشيف: وتشمل معرفة مبادئ إنشاء الوثائق وفهرستها، تجميع أرصفتها، الترتيب، التكسير، الحفظ والإتاحة.
- القدرة على التعامل مع مختلف التطبيقات التكنولوجية: من تجهيزات، برمجيات، قواعد المعطيات تكنولوجيا المعلومات والاتصال.
- فهم الرهانات القانونية، التقنية والتنظيمية لإدارة المعلومات خصوصا في البيئة الرقمية؛ طوال دورة حياة الوثيقة الإلكترونية مهما كان الوسيط الحامل لها.
- القدرة على فهم السياق التقني والثقافي والاجتماعي بحيث تكون فيه المعلومات جزء لا يتجزأ من المجتمع الرقمي¹.

¹ – Soyez, Sébastien. Défis et mutations : nouvelles compétences indispensables dans la formation archivistique belge. La formation en sciences de l'information, 2015, vol 61, N.1-2, p 126.



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويبد ود. جليلة معمر

- فهم الدور المفاححي الواجب القيام به كأخصائي معلومات في إدارة وتسخير الوثائق الرقمية، بحيث يجب أن يتتوفر على الأدوات التي تمكّنه من إثبات دورة وأهميته في المنظمات.

- المهارات المرتبطة بأنظمة الإدارة.¹

3-الجانب الميداني للدراسة:

1-3- مجالات الدراسة:

أ- المجال الموضوعي:

تتمحور هذه الدراسة حول موضوع مستوى التكوين لدى الموارد البشرية وأثره على جاهزية مؤسسة الأرشيف الوطني الجزائري للتحديات الرقمية.

ب-الجال الزمني:

امتدت هذه الدراسة على مدار خمسة أشهر من شهر جويلية إلى شهر ديسمبر 2019.

ت- المجال البشري:

شملت هذه الدراسة جميع الموارد البشرية المختصة في الإعلام الآلي والأرشيف والمكتبات العاملين بمؤسسة الأرشيف الوطني الجزائري وعدهم 59.

ث- المجال المكاني للدراسة:

اقتصر المجال المكاني للدراسة على مركز الأرشيف الوطني الجزائري ويعرف من خلال المرسوم رقم 11/87 الصادر في 06 جانفي 1987: بأنه "مؤسسة عمومية ذات

¹ – National Archives of Australia. Digital archiving in the 21st century. Canberra: National Archives of Australia. 2006.p17.



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر
طابع إداري وصيغة علمية وثقافية تتمتع بالشخصية المعنية والاستقلال المالي والإداري
وتسمى مركز المحفوظات الوطنية¹.

3-2-منهج الدراسة:

يعتمد اختيار منهج الدراسة على عدة عوامل أبرزها طبيعة الأهداف المسطرة، بالإضافة إلى طبيعة مجتمع وعينة الدراسة، لذلك استخدم الباحث المنهج الوصفي خلال تجميع الحقائق والمعلومات ووصفها حول متغير الدراسة الأساسي والعناصر المرتبطة به وهي مستوى التكوين وعلاقته بجاهزية مؤسسة الأرشيف الوطني للتحول الرقمي.

3-3-أساليب تجميع البيانات:

اعتمد الباحث في جمع بيانات الدراسة على اداتين رئيسيتين هما الاستبانة والمقابلة وفي ما يلي استعراض لهذه الأدوات:

3-3-1 استمارة الاستبانة: إن الاستمارة هي وسيلة للدخول في اتصال بالمخبرين بواسطة طرح الأسئلة عليهم واحد واحد بنفس الطريقة، بهدف استخلاص اتجاهات وسلوكيات مجموعة كبيرة من الأفراد²، وقد حاول الباحث من خلال هذه الدراسة تصميم أداة استبانة تستوعب كافة المتغيرات ذات العلاقة بموضوع الدراسة وتترجم الإشكالية المتبناة عن طريق صياغة عبارات يعطي من خلالها المستحوب رأيه حولها من خلال وضع علامة (X) على الإجابة المختارة، حيث قسم الباحث الاستمارة إلى 04 محاور متضمنة في مجملها 31 سؤالاً، تناول أولها البيانات الشخصية للموارد البشرية، وثانيهما متعلق بمستوى التكوين الأكاديمي للمسحوبين، أما المحور الثالث فقد

¹- المرسوم رقم 11/87 الصادر في 06 جانفي 1987. المتعلق بإنشاء مركز للمحفوظات الوطنية.

²- أنحرس، موريس. منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية. الجزائر: دار القصبة للنشر، 2004. ص.204.



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

استهدف مستوى التكوين في الوسط المهني أو الوظيفي، بينما تعلق المحور الرابع بعده اعتماد الموارد البشرية على التكوين الذاتي المستمر .

أما فيما يخص صحة أدلة الاستبيان فقد تم إرسالها إلى عدد من الأساتذة المختصين في مجال الأرشيف بغية تحكيمه وتصويب أخطاء أسئلتها، من حيث البنية والصياغة وهم الأستاذة: شواو عبد الباسط من جامعة قسنطينة 2 والأستاذ قرعج زكرياء من جامعة باتنة والأستاذ صيد كمال من جامعة بسكرة، والأستاذ سعدي سليمان من جامعة قسنطينة هذا ما مكنا من تصحيح بعض الأخطاء ودمج عدد من الأسئلة مع بعضها البعض بالإضافة إلى حذف عدد منها ليبقى 13 سؤال من بين 18 سؤال، أما ثبات أدلة الاستبيان من خلال مقاييس الفا كرونباخ فقد كانت بنسبة 72% أي بنسبة جيدة.

ولتحقيق أهداف الدراسة وتحليل البيانات التي تم جمعها تم استخدام العديد من الأساليب الإحصائية باستخدام الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS، حيث تم ترميز وإدخال البيانات إلى الحاسوب الآلي ولتحديد طول خلايا مقاييس ليكارت الخمسي تم حساب المدى ($5-1=4$) ثم تقسيمه على عدد الخلايا مقاييس للحصول على طول الخلية الصحيح أي ($0.80 = 5/4$) وبعد ذلك إضافة هذه القيمة إلى أقل قيمة في المقاييس وهي واحد وهذا لتحديد الحد الأعلى للخلايا وهكذا حصلنا على النتائج الممثلة في الجدول التالي:

جدول (01): قيم مقاييس ليكارت الخمسي.

المتوسط الحسابي	التعليق في الاستبيان	التقرير في التعليق على النتائج
5-4.2	أوافق بشدة	كبيرة جدا
4.19-3.4	أوافق	كبيرة
3.39-2.6	متوسطة	متوسطة



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

ضعيفة	لا أوافق	2.59-1.8
ضعيفة جدا	لا أوافق بشدة	1.79-1

3-2- المقابلة: قام الباحث بإجراء مجموعة من المقابلات مع رؤساء الأقسام بمؤسسة الأرشيف الوطني، بالإضافة لمجموعة من العاملين بشكل عشوائي لتوضيح بعض المواضيع الخاصة بهم بشكل مباشر.

3- مجتمع وعينة الدراسة:

- مجتمع الدراسة هو كل الموارد البشرية لمؤسسة الأرشيف الوطني الجزائري وعدهم 165 موظف من بينهم 133 مرسمين 32 مؤقتين، وانطلاقاً من طبيعة أهداف الدراسة والبيانات المراد جمعها من خلال أدوات جمع المعلومات فقد كانت عينة الدراسة هي عينة قصدية تشمل كافة الموارد البشرية ذات العلاقة المباشرة بإدارة وتسير الوثائق الإلكترونية والأرشيف الإلكتروني والعمل الأرشيفي بشكل عام وعدهم 59 أي بنسبة 35.75% بينما يمثل باقي الموارد البشرية 64.25%، منهم 7 موظفين متخصصين في الإعلام الآلي و 52 موظف متخصص في الأرشيف والمكتبات.

3- تحليل بيانات محاور الاستبيان:

3-1- تحليل بيانات محور البيانات الشخصية

3-1-1- المستوى التعليمي: إن المدف من التعرف على مستوى الموارد البشرية من الناحية العلمية والمعرفية؛ هو أن هذا العامل بإمكانه أن يعكس مدى قدرتها على التجاوب مع مختلف المستجدات التكنولوجية، فكلما زاد عدد المستجوبين من ذوي المستوى العلمي العالي، كلما كانت اجابتهم دقيقة، وكلما زاد استيعابهم وتجاوزهم مع الأسئلة المطروحة. ولكن يبقى هذا الطرح نسي، لأن الشهادة أحياناً قد لا تعكس بشكل حقيقي مستوى الأفراد وكفاءاتهم ومهاراتهم، وعلى العموم قد يعتبر هذا العامل



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر صحيح إلى حد ما، وعليه، فقد كانت نتائج إجابات الباحثين على هذا العنصر كما هو موضح في الجدول الموالي:

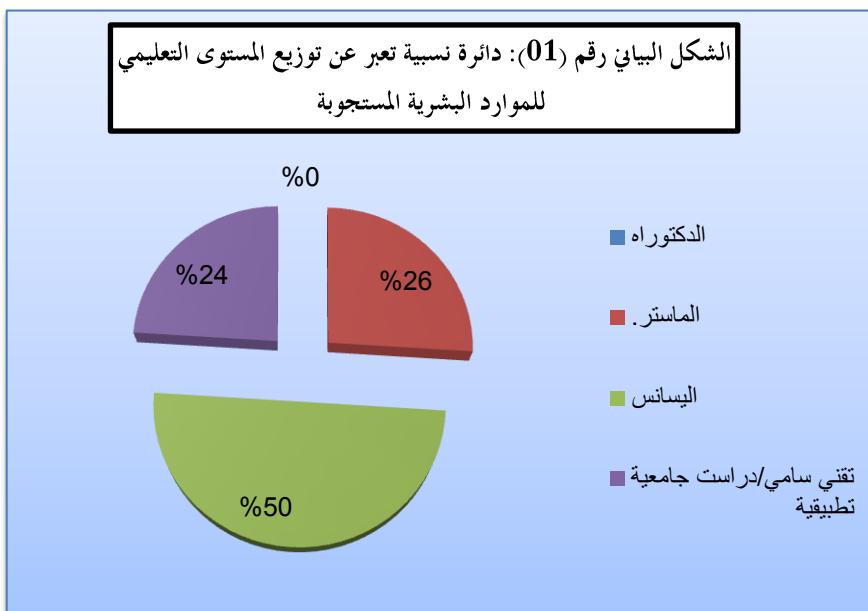
جدول (02): المستوى التعليمي لأفراد العينة		
النسبة المئوية	النكرارات	المستوى التعليمي
%00	00	دكتوراه
%26	13	ماستر
%50	25	ليسانس
%24	12	تقني سامي/الدراسات الجامعية التطبيقية
%100	50	المجموع

يلاحظ من خلال نتائج الجدول، أن أكبر نسبة من الموارد البشرية تحوز على مستوى ليبانس، وذلك بنسبة 50%， بينما يمتلك 26% مستوى ماستر، فيما 24% المتبقية متخصصون على شهادة تقني سامي أو شهادة الدراسات الجامعية التطبيقية. ومنه، تدل النتائج السابقة الذكر على أن أغلب الموارد البشرية يحوزون على مستوى جامعي عالي خاصة مستوى الليسانس، ويعود ذلك إلى أن أغلبهم حديثي التخرج والتوظيف نظراً لتقاعده عدد لا يأس به من كوادر القطاع، الأمر الذي توجب سد الفراغ الذي تركوه. فحسب المعلومات المستقاة من المقابلة مع رئيس قسم الإدارية، فإن جزء كبير من التقاعدية لم يكونوا متخصصين على شهادات عليا نظراً للظروف العامة التي كانت سائدة في الجزائر. هذا ويعود السبب في غياب شهادات كالدكتوراه إلى توجه أغلب هذه الكفاءات إلى التدريس في الجامعة نظراً لتباطؤ المعايير بين مؤسسة الأرشيف الوطني والمؤسسات الجامعية، وهذا قد يعتبر عامل سلبي في التخطيط لعملية التحول الرقمي لأنه



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

يحرّم المؤسسة من كفاءات أقدر من غيرها على قيادة مسار التحول الرقمي، باعتبارها أكثر متابعة لمستجدات مجال الأرشيف وتكنولوجيا المعلومات والاتصال. ولكن على العموم، يمكن لمستوى الموارد البشرية بمؤسسة الأرشيف الوطني أن يساعد على التأقلم مع التطورات، وبالتالي، فأغلبية المستجوبين قادرين على التجاوب مع أسئلة الدراسة بكفاءة، يوضح الشكل البياني (02) توزيع المستوى التعليمي للموارد البشرية المستجوبة:



3-1-5-2- الرتبة الوظيفية: يمكن الاستفادة من عنصر الرتبة الوظيفية للموارد

البشرية في معرفة مدى تنوع وثراء مؤسسة الأرشيف الوطني بدرجات ودرجات مواردها البشرية الوظيفية والذي من شأنه أن يبرز مستواهم العلمي وخبرتهم المهنية، وهو ما قد يساعد على فهم جيد لأسئلة محاور استبيان الدراسة ومختلف المقابلات المترجمة، وأيضاً قد يوحي بمدى قدرتهم على التأقلم مع التطورات الحاصلة، وفيما يلي نتائج إجابات المبحوثين على هذا السؤال في الجدول (03):



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويبد ود. جليلة معمر

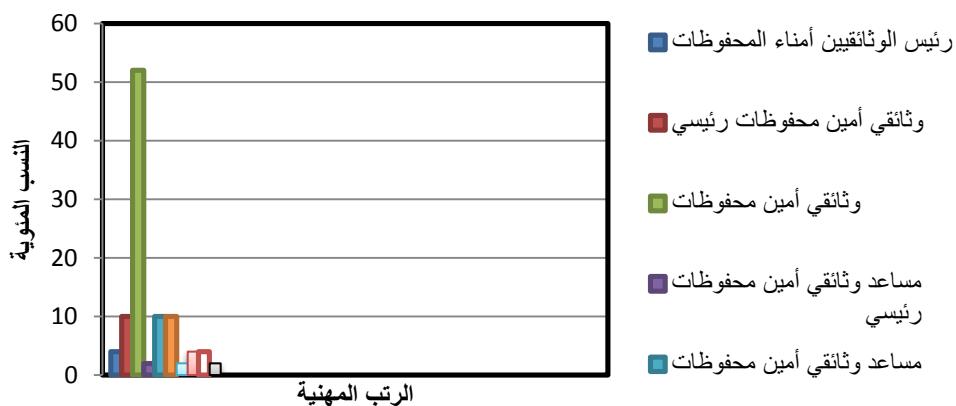
المجدول رقم (03): يمثل توزيع عينة الدراسة حسب الرتب الوظيفية		
%04	2	- رئيس الوثائقين أمناء المحفوظات
%10	5	- وثائقي أمين محفوظات رئيسي
%52	26	- وثائقي أمين محفوظات
0%2	1	- مساعد وثائقي أمين محفوظات رئيسي
%10	5	- مساعد وثائقي أمين محفوظات
%10	5	- محافظ المكتبات والوثائق والمحفوظات
0%2	1	- مكتبي وثائقي أمين محفوظات
0%4	2	- مساعد مكتبي وثائقي أمين محفوظات
0%4	2	- مهندس دولة في الإعلام الآلي
0%2	1	- تقني سامي في الإعلام الآلي
%100	50	المجموع

من خلال بيانات المجدول أعلاه، يظهر أن أكبر نسبة من الموارد البشرية تحوز على رتبة وثائقي أمين محفوظات بنسبة 52%， ويعود ذلك إلى السبب الذي تم ذكره في متغير المؤهل العلمي وهو أن أغلب الموارد البشرية حديثي العهد بالتوظيف بالمؤسسة، بينما تلتها باقي النسب بصفة متقاربة، حيث يمتلك 10% منهم رتبة وثائقي أمين محفوظات رئيسي وهذا يعكس خبرة جيدة، وبنفس النسبة تحوز فئة مهمة على رتبة محافظين بالمكتبات والوثائق، كما جاءت رتبة رئيس وثائقين أمناء المحفوظات التي تعتبر أعلى رتبة موجودة في المؤسسة بنسبة 04%， بالإضافة إلى مهندسين في الإعلام الآلي بنسبة 04% وتقني سامي واحد بنسبة 02%， والملاحظ من خلال النتائج السابقة هو قلة عناصر الخبرة في تركيبة الموارد البشرية بمؤسسة الأرشيف الوطني، ويعود السبب إلى



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويديم ود. جليلة معمر

الشكل البياني رقم (02): يعبر عن الرتب المهنية لعينة الدراسة المستجوبة



خروج عدد كبير من الموظفين الى التقاعد كما سبق ذكره، وهو ما أكدته رئيس قسم الإدارية من خلال المقابلة التي تم اجراؤها معه، كما يلاحظ نقص فادح في الموارد المتخصصة في مجال الإعلام الآلي وتكنولوجيا المعلومات والإتصال، وهذا من شأنه أن يشكل عائق أمام مسار الإنتقال الرقمي المنشود. وعلى العموم، فيعتقد الباحث أن الرتب الموجودة من ناحية النوع أو الكيف غير كافية بالمقارنة مع حجم مؤسسة الأرشيف الوطني وحجم المهام المنوط بها. وفيما يلي الشكل البياني رقم (04) الذي يعبر عن الرتب المهنية لعينة الدراسة:

3-1-5-3- الخبرة المهنية :

استكمالا لاستعراض العناصر السابقة المتعلقة بالموارد البشرية، سيتم التطرق في هذا المتغير إلى قسم نشاط عينة الدراسة، وذلك لمعرفة أكثر أقسام مؤسسة الأرشيف الوطني نشاطا، ومدى توازن توزيع الموارد البشرية بين أقسامها، وتقدير مدى قدرة كل

مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويديم ود. جليلة معمري
قسم على القيام بالمهام خاصة في البيئة الرقمية. وعليه، فقد كانت إجابات المستجوبين
كما هو مبين في الجدول

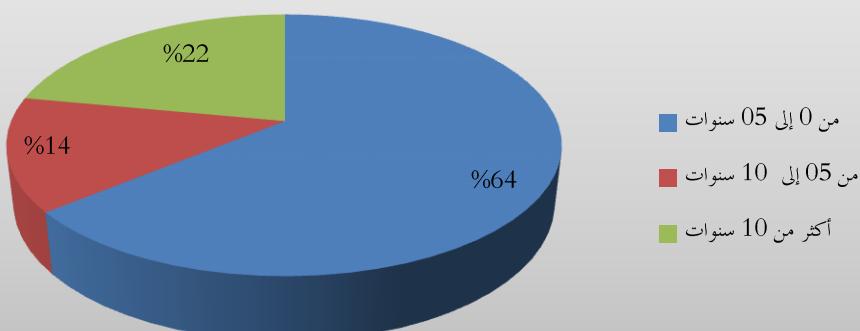
جدول (40): سنوات خبرة الموارد البشرية المستجوبة.		
النسبة المئوية	التكرارات	سنوات الخبرة المهنية
%64	32	من 0 إلى 5 سنوات
%14	07	من 6 إلى 10 سنوات
%22	11	أكثر من 10 سنوات
%100	50	المجموع

انطلاقاً من بيانات الجدول (04)، يلاحظ أنَّ أغلب المستجوبين بنسبة 64% يمتلكون سنوات خبرة أقل من خمس سنوات، بينما يحوز 22% منهم على خبرة مهنية من 5 إلى 10 سنوات، في حين يمتلك 14% منهم سنوات خبرة تفوق 10 سنوات، ويعود السبب في عدم امتلاك أغلب المستجوبين لخبرة تفوق الخمس سنوات، هو تقاعده جزء مهم من الموارد البشرية حديثاً وتم استخراجهم بموظفيه جدد، حيث تعرضت مؤسسة الأرشيف الوطني إلى نزيف في الإطارات، ما تسبب في خلل في الطاقم البشري، وفي قدرة المؤسسة على الإحاطة بكلفة المهام الموكلة إليها. لذلك، كان على المسؤولين الاستشراف لهذا الوضع ووضع آليات تتيح استفادة الموظفين الجدد من خبرات من سبقهم لستطيعوا القيام بالمهام بأكثر كفاءة، لذلك، فسياسة التوظيف في مؤسسة الأرشيف الوطنية ربما افقرت للتحطيط، أو ربما واجهتها عراقيل مصدرها حسب رئيس الإدارة والوسائل سياسة التقشف التي تتبعها الدولة خاصة في السنوات الأخيرة. وأيضاً لعدم اعتبار قطاع الأرشيف كأولوية بالنسبة لسياسة الحكومة في التوظيف، وفيما يلي دائرة نسبية تعبر عن نتائج سنوات خبرة الموارد البشرية:



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

الشكل رقم (03): دائرة يعبر عن سنوات خبرة الموارد البشرية المستجوبة



3-4-1-5-3- قسم نشاط الموارد البشرية:

استكمالا لاستعراض العناصر السابقة المتعلقة بالموارد البشرية سنحاول التطرق في هذا المتغير إلى قسم نشاط عينة الدراسة، وذلك لمعرفة أكثر أقسام مؤسسة الأرشيف الوطني نشاطاً ومدى توازن توزيع الموارد البشرية بين أقسامها، وتقييم مدى قدرة كل قسم على القيام بمهام خاصة في البيئة الرقمية، وعليه فقد كانت إجابات المستجوبين كما هو مبين في الجدول رقم (05) :

جدول (05): توزيع الموارد البشرية المستجوبة حسب قسم نشاطها.

قسم نشاط الموارد البشرية	النكرارات	النسبة المئوية
- قسم الحفظ والمعالجة	33	66
- قسم المصالح التقنية	03	06
- قسم التسليم والتوجيه	07	14
- قسم الإعلام الآلي	06	12



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويبد ود. جليلة معمر

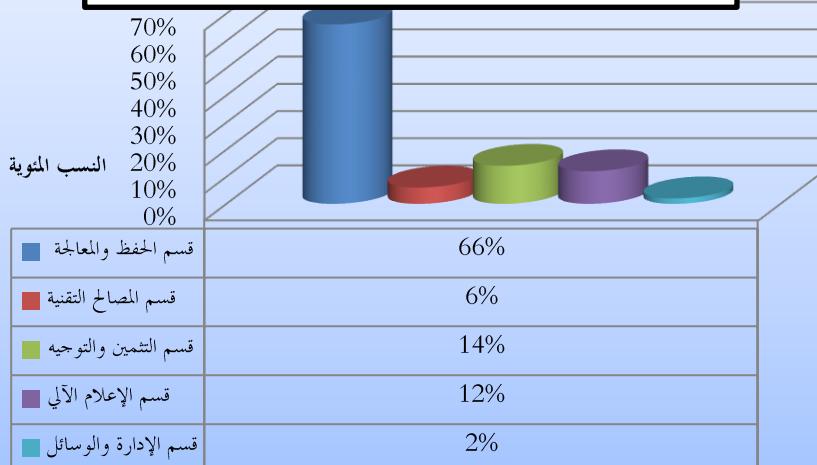
02	01	- قسم الإدارة والوسائل
100	50	المجموع

بعد الاطلاع على نتائج الحدول (05)، يتضح أن أغلب المستجوبين يزاولون نشاطهم بقسم الحفظ والمعالجة وذلك بنسبة 66%， بينما ينشط 14% منهم في قسم التثمين والتوجيه، في حين ينشط في قسم الإعلام الآلي 12% أما 06% من المستجوبين ينشط في قسم المصالح التقنية وينشط 02% منهم في قسم الإدارة والوسائل. يعود السبب في وجود أغلب الموارد البشرية في قسم الحفظ والمعالجة، ترکز أغلب العمليات الفنية على الأرشيف في هذا القسم، إضافة إلى الكم الهائل من الأرشيف المستهدف معالجته، خاصة في جانبه الورقي، والذي لم يكتمل بعد كما أن قلة عدد الموظفين الذين هم عينة الدراسة في الأقسام الأخرى خاصة قسم الإعلام الآلي، يعتبر خلل كبيرا في تنظيم مؤسسة الأرشيف الوطني في ظل موجة الانتقال الرقمي في المؤسسات الجزائرية، حيث أصبحت أقسام تكنولوجيا المعلومات والاتصال تؤدي دورا أساسيا في تطوير البنية التكنولوجية للمؤسسات وقيادة مسار تحولها لذلك فعدد موظفي قسم الإعلام الآلي غير كافي لتحمل هذا العبء في مؤسسة الأرشيف الوطني، والذي بدوره قد يؤثر على استعدادها لتبني مشاريع التحول الرقمي، وفيما يلي الشكل البياني رقم (04) يمثل توزيع المستجوبين حسب قسم نشاطهم:



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

الشكل البياني رقم (04) يمثل توزيع الموارد البشرية حسب قسم نشاطهم



3-5-2- جاهزية الموارد البشرية من ناحية مستوى التكوين والتكوين الذاتي

المستمر:

يعتبر التكوين من أهم عوامل نجاح المؤسسات في ضمان الفاعلية والكفاءة في العمل ومسايرة التطورات الحاصلة في محيطها وقدرة على مواجهة المنافسة، ولعل المؤسسات الأرشيفية هي الأخرى ليست بمنأى عن هذه التطورات الحاصلة في محيطها خاصة في ظل البيئة الرقمية ومتطلباتها، لذلك فنوعية التكوين الأكاديمي وفي الوسط المهني للموارد البشرية، وكذا المجهودات الذاتية في تطوير المهارات والقدرات والتكيف مع المستجدات، سيكون لها تأثير كبير على قدرة المؤسسات الأرشيفية في مواجهة مختلف التحديات، وهذا ما دفع الباحث إلى محاولة معرفة مستوى التكوين لدى موارد مؤسسة الأرشيف الوطني البشرية خاصة في مجال المهارات المتعلقة بتكنولوجيا المعلومات والاتصال من خلال إجابات المستجوبين على عبارات الاستبيان، وفي ما يلي نتائج الإجابات حسب العناصر التالية:



مستوى تكوين الموارد البشرية دوره ————— ط. فارس بوخويبد ود. جليلة معمر

3-2-5-1- مستوى التكوين الأكاديمي والمهني:

يعد التكوين الأكاديمي أو التأهيل المهني المحطة الرئيسية التي من خلالها يستطيع المورد البشري التحصيل المعرفي النظري والتطبيقي في مجال تخصصه، وقد يعتبر معيار حقيقي لنجاح الإطار البشري في تأدية مهامه بكفاءة، في حال ما كان تكوينه الأكاديمي أو المهني في مستوى المتطلبات، أما في حال كان تكوينه لم يزوده بالمهارات الالزمة فسيصعب عليه مواجهة التحديات المهنية، خاصة في ظل البيئة الرقمية وتحدياتها، ما لم يعتمد على تكوين ذاتي تكميلي ومستمر، لذلك حاول الباحث التعرف على مدى مسيرة التكوين الأكاديمي أو المهني للموارد البشرية بمؤسسة الأرشيف الوطني لمتطلبات البيئة الرقمية وهذا من خلال اجابتهم على العبارات (01)، (02)، (03)، حيث كانت

النتائج هو مبين في جدول التالي:

جدول (06): مستوى التكوين الأكاديمي والمهني في ظل البيئة الرقمية.

العام	الاتجاه	المتوسط الحسابي	موافق بشدة	موافق	محايد	لا أوفق	لا بشدة	- فقرات عنصر التكوين الأكاديمي و المهني.
			التكرار	التكرار	التكرار	التكرار	التكرار	
			%	%	%	%	%	
موافق	3.54	07	32	00	03	08	- تلقيت تكويناً أكاديمياً يحتوي على مصادر متكاملة.	
		14%	64%	00%	06%	16%		



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

موافقة متوسطة	2.44	06 12%	07 14%	02 04%	23 46%	12 24%	02- يسمح لي التكوين الأكاديمي بالعمل في البيئة ال الرقمية بكفاءة .
موافقة متوسطة	2.62	05 10%	15 30%	01 02%	14 28%	15 30%	-03 تلقيت أثناء تكويني الأكاديمي أو المهني دروسا تطبيقية في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال والبيئة الرقمية.

بناء على بيانات الجدول رقم (50) أعلاه، المتعلقة بإجابات المبحوثين على فقرات مستوى التكوين الأكاديمي أو المهني، يلاحظ أن المتوسط الحسابي لإجابات المبحوثين على الفقرات (01)، (02)، (03) محصور ما بين [4.2_1.8] أي ما بين الموافقة وعدم الموافقة على مضمون الفقرات سالفة الذكر، حيث كانت اجابتهم على الفقرة رقم (01)، المتعلقة باحتواء التكوين الأكاديمي أو المهني للموارد البشرية على مضمون تكنولوجية بمتوسط حسابي قدره 3.54 أي أنها تقع في نطاق الموافقة، وذلك من خلال



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر إجابة 64% منهم بعبارة أوفق و 14% بعبارة أوفق بشدة وهذه الإجابة في الحقيقة لا تختلف كثيراً عن الواقع، لأن الملاحظ للبرامج التعليمية لقسم علم المكتبات والارشيف يجدها تتضمن مقاييس تكنولوجية كثيرة وتمس جوانب عديدة خاصة البيئة الرقمية، ناهيك عن برامج مختصي الإعلام الآلي التي هي بالأساس موجهة لتقنيات الحاسوب والتكنولوجيا الحديثة، يعكس هذا الواقع الختيمية التي فرضتها التحولات الكبرى في جميع الحالات بفعل تكنولوجيا المعلومات والاتصال ولكن هذه المقاييس التكنولوجية لن يكون لها أثر ما لم تكن مدروسة بتكوين تطبيقي، وهذا ما سيحاول الباحث معرفته في النقطة الموالية.

أما في ما يخص إجاباتهم على الفقرة رقم (02)، المتعلقة برأي المبحوثين حول مدى سماح التكوين الأكاديمي أو المهني وتحصيلهم العلمي لهم للعمل في البيئة الرقمية بكفاءة، فقد كانت متوسط حساسي قدره 42.4، أي بمعارضة مضمون الفقرة، حيث أجاب 64% منهم بعبارة لا أوفق، و 14% منهم بعبارة لا أوفق بشدة، وهو ما يعني أن الموارد البشرية لا ترى أن التحصيل العلمي الأكاديمي أو المهني كافي للعمل في البيئة الرقمية بكفاءة، ويرجع السبب ربما إلى ضعف التكوين من الجانب التطبيقي وضعف الاحتكاك باليدان بالرغم من النظام التعليمي خاصة نظام LMD للتعليم الجامعي في جوهره يعتمد على العلاقة المباشرة بالوسط المهني والتطبيقي، حيث أن أغلب المقاييس التكوينية افتقرت إلى مثل هذه البرامج التطبيقية أو أن التطبيقات كانت بحجم ساعي ضعيف وهذا ما سنحاول معرفته من خلال الفقرة الموالية وأيضاً لا يمكن تناسي حالة ضعف التكوين في الجامعات والمعاهد الجزائرية نظراً لظروف متعددة لا يسع هذا المقام لذكرها بالكامل، والتي من أسبابها رؤية الطالب للنقطة في الامتحان كهدف رئيسي بدل التحصيل العلمي وهذا تعرّضت إليه كثير من البحوث والدراسات في مجال علوم التربية

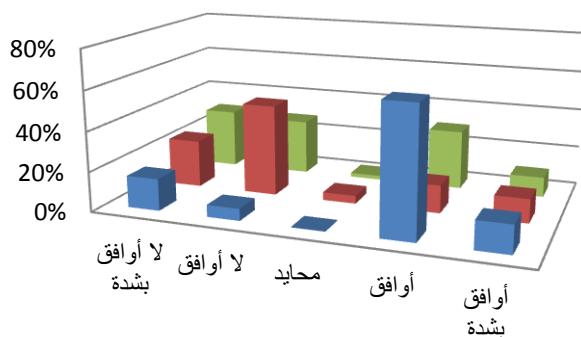


مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر والتكونين، بينما كانت إجابات المبحوثين على الفقرة رقم(03)، المتعلقة بمدى تلقي دورات تكوينية تطبيقية في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال. متوسط حسابي قدره 3.62 أي أنها تقع في نطاق التحفظ ولكنها تميل إلى عدم الموافقة، بالنظر إلى أن 30% أجاب بعبارة لا أوافق بشدة و 28% بعبارة لا أوافق، أي أن جزء كبير من المبحوثين يقررون ان المقاييس الخاصة بتكنولوجيا المعلومات والاتصال كانت في الحقيقة نظرية ولم تكتسي الطابع التطبيقي وهذه الإجابة تؤكّد نتائج الفقرة السابقة ، ويعود السبب أيضاً بالإضافة إلى ما تم ذكره في تحليل الإجابات على الفقرة (02)، هو أن المتكون في مؤسسات التعليم الجزائري في كثير من الأحيان يكتفي بتلقي الجانب النظري، دون تقديم حرص في تطبيقية توضح وتقرب المعايير النظرية، حتى في المقاييس التي هي بالأساس تطبيقية كالمتعلقة بتكنولوجيا المعلومات والاتصال، وهذا لمسه الباحث من خلال تجربته الدراسية وملحوظته لمختلف أقسام علوم المعلومات والمكتبات والأرشيف، وربما قد يتعدى الأمر حتى لبعض أقسام تخصص الإعلام الآلي، وعلى العموم فالبرامج التطبيقية تعتبر أكثر فعالية في نقل الخبرات والمعارف وفي تقديم إطار بشرى كفاء خاصة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وفي ما يلي الشكل البياني رقم (05) يمثل توزيع إجابات المستجوبين على الفقرات السابقة:



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جميلة معمر

الشكل البياني رقم (05): يمثل توزيع إجابات المستجوبين على الفقرات المتعلقة بمستوى التكوين الأكاديمي والمهني في ظل البيئة الرقمية.



— تلقيت تكويناً أكاديمياً يحتوي على مضمون تكنولوجيا.

— يسمح لي تكويني الأكاديمي بالعمل في البيئة الرقمية بكفاءة .

■ — تلقيت أثناء تكويني الأكاديمي أو المهني دروساً تطبيقية في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال والبيئة الرقمية.

3-2-5-2- مستوى التكوين داخل المحيط المهني:

يلعب التكوين في الوسط المهني دور فعال في تنمية قدرات الموارد البشرية وتحسين أدائها، بهدف مسيرة التطورات الحاصلة في مجال العمل وهذا يتوقف على نوعية التكوين واستمراريته، لذلك أراد الباحث التعرف على مستوى التكوين في مؤسسة الأرشيف الوطني خاصة في ظل التحولات الرقمية، من خلال آراء المبحوثين حول الفقرات (04)، (05)، (06) حيث كانت النتائج كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول (07): مستوى التكوين الأكاديمي والمهني في ظل البيئة الرقمية.

العام	الاتجاه العام	المتوسط الحسابي	موافق بشدة	موافق	محاب	لا أوافق	لا أوافق بشدة	الخيارات	الفقرات
			التكرار	التكرار	التكرار	التكرار	التكرار		
			%	%	%	%	%		



مستوى تكوين الموارد البشرية دوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

لا أوافق	2.2	03	08	01	22	16	-حضرت لدورات تدريبية خلال مساري المهني داخل وخارج الوطن.
		06%	16%	02%	44%	32%	
لا أوافق	2.24	02	09	00	27	12	-تضمن التكوين الذي حضرت له مواضيع تدعم توجه الأرشيف الوطني نحو التحول الرقمي.
		04%	18%	00%	54%	24%	
لا أوافق	2.2	01	03	01	35	10	-تلقيت في فترة تربصي تكويننا لدى قسم تكنولوجيا المعلومات والاتصال.
		02%	06%	02%	70%	20%	

من خلال بيانات الجدول (07)، يلاحظ أن إجابات المستجوبين على الفقرات (04)، (05)، (06) المذكورة أعلاه المتعلقة بمستوى التكوين في الوسط المهني أو بعد التوظيف، جاءت بمتوسط حسابي محصور ما بين [2.6_1.8] أي أنها تقع في نطاق



مستوى تكوين الموارد البشرية دوره ————— ط. فارس بوخويديم ود. جليلة معمر

المعارضة لمضمون هذه الفقرات، حيث كانت إجاباتهم على الفقرة (04) المتعلقة بمدى خضوع الموارد البشرية لدورات تكوينية داخل أو خارج الوطن. متوسط حسابي قدره 2.2 أي بعدم الموافقة، حيث أجاب 44% بعبارة لا أوافق و 44% بعبارة لا أوافق بشدة، وهو ما يعني نفي غالبية الموارد البشرية لقيامهم بدورات تكوينية مولدة من طرف المؤسسة داخل أو خارج الوطن وهذا ربما يعود إلى أن أكبر عدد من الموارد البشرية من حديثي التوظيف خاصة المختصين في الأرشيف والمكتبات، وأيضاً يعود السبب حسب رئيس قسم الإدارة إلى ضعف المخصصات المالية، وهذه النتيجة تعكس ضعف مستوى التكوين في الوسط المهني والذي من شأنه التأثير على جاهزية الموارد البشرية لمواجهة التحولات الكبرى في ظل البيئة الرقمية، لأن الدورات التكوينية المهنية تهدف دوماً إلى تطوير مهارات الموارد البشرية بما يتماشى واحتياجات الطرق والأساليب الجديدة في العمل، لذل يرى الباحث أن المعلومات والمهارات هي الأخرى في حاجة مستمرة إلى التجديد والتطوير خاصة في عالم المعرفة.

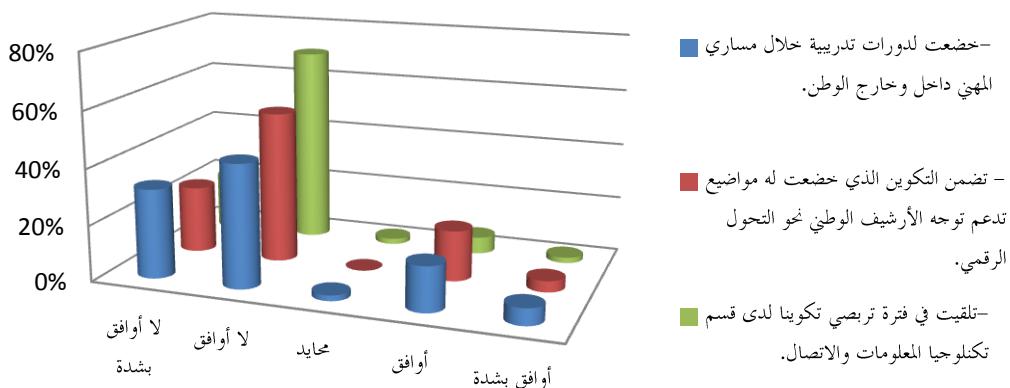
أما في ما يخص إجابات المستجوبين على الفقرة رقم (05) المتعلقة بنوعية التكوين الذي خضعت له الموارد البشرية ومدى احتواه على مضمون تكنولوجية تدعم التحول الرقمي. بمؤسسة الأرشيف الوطني، فقد كانت متوسط حسابي قدره 2.44 أي بعدم الموافقة أيضاً، أجاب 54% منهم بعبارة لا أوافق و 24% بعبارة لا أوافق بشدة، وهذه النتيجة هي تكملة لإجابات المبحوثين على الفقر السابقة حيث أن أغلبية المستجوبين لم يتلقوا أي دورات تكوينية وبالتالي، فغياب التكوين سيغيب حتماً الموضع التكنولوجية، وعلى العموم فقد لا حظ الباحث هذا النقص الفادح في التكوين والذي يعتبر مؤشر سلي على مستوى الموارد البشرية ومدى جاهزيتها لمواكبة التحديات الحاصلة، وأيضاً كانت إجاباتهم على الفقرة (06) المتعلقة بالتكوين في فترة التربص بعد التوظيف، كانت



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

بمتوسط حسابي قدره 2.2 أي بعدم الموافقة على محتوى الفقرة، فقد أجاب 70% منهم بعبارة لا أوافق 20% منهم بعبارة لا أوافق بشدة وهو ما قد يعني أن أغلبية الموارد البشرية برغم حداثة توظيفهم وتزامنه مع مشروع رقمنة الإدارة في الجزائر إلا أنهم لم يقوموا بتربص في قسم تكنولوجيا المعلومات والاتصال حيث أن المؤسسات وفي إطار التحول الرقمي الحاصل، ستوجه حتماً موظفيها الجدد للتربص في قسم التكنولوجيا الحديثة والاتصال لاكتساب مهارات في المجال الرقمي، وكذا الاحتكاك بالبيئة الرقمية والذي قد يجعلهم أكثر مرونة في التعامل مع المستجدات الرقمية، وهذا ما لم يلاحظه الباحث سواء من خلال الملاحظة المباشرة أو من خلال النتائج سالفه الذكر، مما قد يؤثر ربما سلباً على قدرة مؤسسة الأرشيف الوطني على التعامل مع التحديات القادمة، وفي ما يلي الشكل البياني رقم (06) يوضح توزيع إجابات المبحوثين على فقرات التكوين في الوسط المهني:

الشكل البياني رقم(06): توضع توزيع اجابات المستجوبين على فقرات التكوين في الوسط المهني



3-2-3-3- مستوى التكوين الذاتي المستمر:

مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ط. فارس بوخويديم ود. جميلة معمر

بالإضافة إلى التكوين الأكاديمي والتكوين في الوسط المهني، يوجد هناك ما يسمى بالتكوين الذاتي المستمر، وهذا الأخير يلعب دور مهم في تعزيز كفاءة الموارد البشرية خاصة في ظل البيئة الرقمية وبيئة الانترنت وما تقدمه من مزايا للتكوين الذاتي عبرها، لذلك حاول الباحث التعرف على مدى اعتماد المستجوبين على مبادراتهم الذاتية في تطوير قدراتهم لمواكبة المستجدات الحاصلة في محيطهم المهني، وقد استعان الباحث في ذلك على معرفة آراء المبحوثين حول الفقرات (07)، (08)، (09)، وكانت النتائج كما هو مبين في الجدول التالي رقم (08):

جدول (08) : مستوى التكوين الذاتي المستمر.

الاتجاه العام	المتوسط الحسابي	موافق بشدة	موافق	محايد	لا أوافق	لا بشدة	الخيارات
		التكرار	التكرار	التكرار	التكرار	التكرار	الفقرات
		%	%	%	%	%	
موافق بشدة	4.26	26	18	02	01	03	07- أقوم بتجديد معارفي ذاتيا من خلال المطالعة والدورات الخارجية خاصة في مجال تكنولوجيا
		52%	36%	04%	02%	06%	



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويديم ود. جليلة معمر

							المعلومات والاتصال وأقronym بتطوير مهاراتي اللغوية والتقنية بشكل دوري.
موافق بشدة	4.22	26 52%	19 38%	00 00%	00 00%	05 10%	—أحب الاطلاع على مستجدات التكنولوجيا الحديثة خاصة ما تعلق بـ مجال الأرشيف بالإضافة إلى التجارب العالمية في مجال الأرشيف.
موافق بشدة	3.96	21 42%	20 40%	02 04%	00 00%	07 14%	—أستخدم الوسائل المتعددة وشبكة الأنترنت في تجديد معارفي واكتساب



مستوى تكوين الموارد البشرية دوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

مهارات جديدة.

بناء على معطيات الجدول (08)، يظهر أن إجابات المستجوبين على العبارات (07)، (08)، (09) المتعلقة بمستوى اعتماد الموارد البشرية على التكوين الذاتي المستمر، كانت بمتوسط حسابي محصور ما بين [3.4_5] أي ما بين الموافقة والموافقة بشدة على محتوى الفقرات، حيث كانت اجاباتهم على الفقرة رقم (07) المتعلقة ب مدى قيام الموارد البشرية بتطوير قدراتهم و معارفهم التقنية بشكل دائم و ذاتي، بمتوسط حسابي قدره 4.26 أي بالموافقة بشدة على مضمون هذه الفقرة، وهو ما يعني أن الأغلبية الساحقة تؤكّد على استخدامها لجهودها الذاتية في تطوير مهاراتها في مختلف المجالات خاصة التكنولوجية واللغوية، ويعود السبب ربما إلى ضعف التكوين الأكاديمي خاصة من الناحية التطبيقية، وكذا نقص فادح للتكنولوجيا في الوسط المهني لذلك يتحتم على الموارد البشرية البحث عن مصادر معرفية أخرى عن طريق المبادرة الذاتية في تحصيل المهارات خاصة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وأيضا لاحظ الباحث تحمس من طرف عدد من المستجوبين واغلبهم حديثي التوظيف والتخرج، للتعلم الذاتي والتطوير والتجدد في مؤسسة الأرشيف الوطني وهذا يعتبر مؤشر إيجابي بحسب رأي الباحث، بإمكانه المساعدة في مواكبة التطورات السريعة واستدرك ما فقدته الموارد البشرية في التكوين الأكاديمي وفي الوسط المهني ويدل هذا أيضا على اهتمام المستجوبين بتطوير قدراتهم للحاجة بالوتيرة المتسارعة للتغيير في المحيط الرقمي، أما في ما يخص اجاباتهم على الفقرة رقم (08) المتعلقة بمستوى حب واهتمام الموارد البشرية بالمستحدثات الرقمية خاصة في مجال الأرشيف الذي ينشطون فيه، فقد كانت بمتوسط حسابي قدره 4.22 أي بالموافقة بشدة كما في الفقرة السابقة، حيث أجاب 52% بعبارة أوافق بشدة و 38% منهم بعبارة أتفق وهو ما يعني تأكيد المستجوبين على حبهم واهتمامهم بالتطورات الحاصلة في



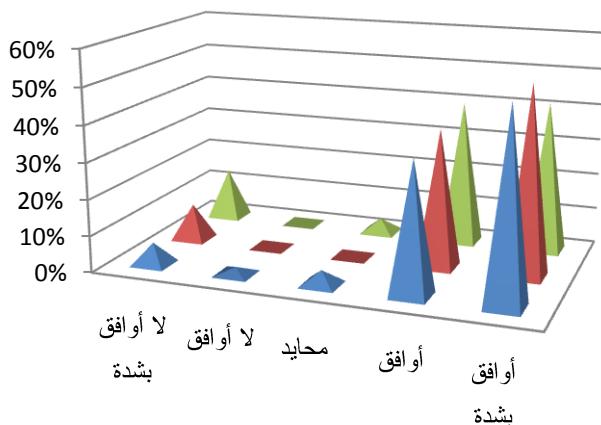
مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويديم ود. جليلة معمر

تكنولوجيا المعلومات والاتصال والتجارب الرائدة في العالم خاصة في مجال الأرشيف، لذلك فقد يدفعها هذا الحب والاهتمام الى مزيد من الابتكار والتطوير في مؤسسة الأرشيف الوطني لمساعدتها على التحول الرقمي واللحاق بنظيراتها في الدول المتقدمة، ويرجع هذا الميل والاهتمام بالเทคโนโลยيا إلى أن أغلب المستجوبين شباب ومن جيل الانترنت والتكنولوجيا وبالتالي فهي تستهويهم، وفي اجابتهم على الفقرة (09) المتعلقة بمدى استخدام الموارد البشرية للوسائل المتعددة وخدمات الانترنت في تنمية مهاراتهم في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال وتحديد معارفهم في مجال المعايير والأدوات، فقد كانت متوسط حسابي قدره 3.96 أي موافقة أغلبهم على مضمون الفقرة، وذلك من خلال إجابة 42% منهم بعبارة أوفق بشدة و40% منهم بعبارة أوفق، وتعكس هذه النتيجة احتكاك أغلب الموارد البشرية بوسائل التعلم الحديثة واستفادتهم منها وهذا قد يدل على مساراتكم للتطورات الحاصلة، وقدرتكم على قيادته مؤسسة الأرشيف الوطني إلى المحيط الرقمي بنجاح، بالرغم من ضعف أساليب التكوين الأكاديمية والمهنية، ويرى الباحث أن نتائج التكوين الذاتي جيدة لكنها، دائما ما تصطدم بعرقلتين ومشكلتين هما الظروف الاجتماعية والمهنية الصعبة، ومقاومة التغيير لدى البعض، لذلك تجد أغلب الطاقات تختفي مع الوقت وهذه ملاحظة شخصية للوضع العام في عديد القطاعات لحد كتابة هذه الأسطر، وفي ما يلي الشكل البياني رقم (07) يوضح توزيع إجابات المبحوثين على فقرات مستوى التكوين الذاتي المستمرة:



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

الشكل البياني رقم (07): يوضح توزيع إجابات المستجوبين على الفقرات المتعلقة بمستوى التكوين الذاتي المستمر



— أقوم بتجديد معارفي ذاتيا من خلال المطالعة والدورات الخارجية خاصة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال وأقوم بتطوير مهاراتي اللغوية والتكنولوجية بشكل دوري.

4- نتائج الدراسة:

يمكن تلخيص نتائج إجابات المستجوبين على الفقرات السابقة كما يلي:

جدول (08): ملخص نتائج إجابات الدراسة.

التعليق على متوسط الموافقة	المتوسط الحسابي	الفقرات
كبيرة	.543	01- تلقيت تكويناً أكاديمياً يحتوي على مضامين تكنولوجية.
		02- يسمح لي تكويني الأكاديمي بالعمل في البيئة الرقمية بكفاءة .



مستوى تكوين الموارد البشرية دوره ————— ط. فارس بوخويبد ود. جليلة معمر

ضعيفة	.442	
متوسطة	.622	- تلقيت أثناء تكويني الأكاديمي أو المهني دروساً تطبيقية في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال والبيئة الرقمية.
ضعيفة	2.2	- حضرت دورات تدريبية خلال مساري المهني داخل وخارج الوطن.
ضعيفة	2.24	5- تضمن التكوين الذي حضرت له مواضيع تدعم توجه الأرشيف الوطني نحو التحول الرقمي.
ضعيفة	2.2	6- تلقيت في فترة تربصي تكويناً لدى قسم تكنولوجيا المعلومات والاتصال.
كبيرة جد	4.26	7- أقوم بتجديف معارفي ذاتياً من خلال المطالعة والدورات الخارجية خاصة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال وأقوم بتطوير مهاراتي اللغوية والتقنية بشكل دوري.
كبيرة جداً	4.22	8- أحب الاطلاع على مستجدات التكنولوجيا الحديثة خاصة ما تعلق بـ مجال الأرشيف بالإضافة إلى التجارب العالمية في مجال الأرشيف.
كبيرة	3.96	9- أستخدم الوسائل المتعددة وشبكة الأنترنت في تجديد معارفي وأكتساب مهارات جديدة.

ومنه ومن خلال نتائج الجدول رقم (08) يمكننا استنتاج ما يلي:

- الموارد البشرية. مؤسسة الأرشيف الوطني غير راضية على مستوى تكوينها الأكاديمي، خاصة في الشق المتعلق بالتكوين التطبيقي والميداني في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال.



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

- الموارد البشرية بمؤسسة الأرشيف تفتقر إلى التكوين في الوسط الوظيفي أو المهني بسب ضعف المخصصات المالية للتكنولوجيا ، وهو ما ينعكس سلبا على مستوى جاهزية المؤسسة للتحولات الرقمية.

- تتمدد الموارد البشرية بشكل أساسى في تطوير قدراتها على مجدها الذاتية في التكوين، باستخدام وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصال.

- تكوين المواد البشرية بمؤسسة الأرشيف الوطني بشكل عام غير قادر على الإيفاء بمتطلبات البيئة الرقمية.

5- مقترنات الدراسة:

- ضرورة تطوير المناهج التكوينية الأكاديمية أو المهنية المتخصصة للموارد البشرية، حتى تكون مؤهلة للعمل بالمؤسسات الأرشيفية ومرتبطة أكثر بتكنولوجيا المعلومات والاتصال والبيئة رقمية.

- تعزيز التكوين الميداني والتطبيقي، وربط المؤسسات التعليمية أكثر بالحيط المهني خاصة في المجال التكنولوجي.

- تكثيف الدورات التكوينية للموارد البشرية بالمؤسسات الأرشيفية، والتركيز على المواضيع ذات الصلة بالتحول الرقمي.

- تطوير التكوين في الوسط المهني، وتحديد معارف الموارد البشرية بشكل دوري ليتماشى مع المستجدات الرقمية وتحدياتها.

- تشجيع التعلم الذاتي للموارد البشرية من خلال تحرير المبادرة، وتوفير وسائل التكوين الرقمية كالأنترنت والحواسيب.



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

الخاتمة:

لقد أثبت الواقع أن المورد البشري هو الثروة الأساسية لنهضة الدول ومؤسساتها، لذلك فالنجاح في تعزيز وترقية كفاءته سيؤدي حتما إلى تحقيق اهداف المؤسسات والحكومات، ومنه فلا مفر من الاستثمار أكثر في تحسين مستوى الموارد البشرية، عن طريق التكوين بمختلف أساليبه وأدواته، خاصة ما تعلق بتطوير قدراتها وتجديد معارفها وتنمية مهاراتها لمواجهة تحديات البيئة الرقمية بالإضافة إلى الاهتمام بالجوانب الاجتماعية والنفسية، وهذا الأمر ينطبق على الموارد البشرية بمؤسسة الأرشيف الوطني الجزائري، حيث أنها بحاجة ماسة إلى ثورة في مجال التكوين، لتكون أداة فعالة في مواجهة التحولات الكبرى كمشروع الجزائر الإلكترونية ورقمنة الإدارة.

قائمة الموروث:

- 1- شواو، عبد الباسط. تكوين الأرشيفيين بالجامعة الجزائرية بين النظري والواقع: تجربة تخصص تقنيات أرشيفية في نظام ل م د بجامعة قسنطينة 2. دكتوراه ل م د: جامعة قسنطينة 2، 2014 ..
- 2-Sikiou, Lakhder. Gestion des ressources humaines. Paris: éd D'organisation ,1986.
- 3- حمداوي، وسيلة. تنمية الموارد البشرية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2004.
- 4- مدحت محمد أبو النصر. إدارة وتنمية الموارد البشرية: الاتجاهات المعاصرة، القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2007.
- 5- شواو، عبد الباسط. المرجع السابق.



مستوى تكوين الموارد البشرية ودوره ————— ط. فارس بوخويdem ود. جليلة معمر

6- الشريف، أشرف عبد المحسن. الأرشيف الإلكتروني في الشركات
و المؤسسات العامة: التأصيل النظري والتطبيق العملي. القاهرة: دار الحوزة، 2014.

7- Soyez, Sébastien. Défis et mutations : nouvelles compétence indispensables dans la formation archivistique belge. La formation en sciences de l'information, 2015, vol 61, N.1-2.

8- National Archives of Australia. Digital archiving in the 21st century. Canberra: National Archives of Australia, 2006.

9- المرسوم رقم 11/87 الصادر في 06 جانفي 1987. المتعلق بإنشاء مركز
للمحفوظات الوطنية.

10- أنجرس، موريس. منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات
عملية. الجزائر: دار القصبة للنشر، 2004.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040، ر ت م د إ : 2588-X204

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1102-1074 تاريخ النشر: 25-03-2021

جمعيات يهود Algeria ودورها في إحياء التراث والشعائر الدينية اليهودية (1908-1935)

**Association of Jews of Algeria and its role in the
revival of Jewish religious heritage and rituals
(1908-1935)**

ط. آمان معوشي

amelmaouchi@yahoo.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

أ. د. أحمد صاري

جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي

تاريخ القبول: 2021/01/24

تاريخ الإرسال: 2019/05/26

الملخص:

أصدرت فرنسا مطلع القرن العشرين القانون الخاص بحرية إنشاء وتسخير الجمعيات، وامتد العمل به إلى الجزائر عام 1904م، فبادرت شرائح المجتمع الجزائري إلى تأسيس الجمعيات والتоварي، ومنهم يهود الجزائر ظهرت لهم العديد من الجمعيات ذات الطابع الثقافي والديني، إن مداخلتنا تهدف إلى توضيح دور بعضها في الحفاظ على الحياة الثقافية والدينية ليهود الجزائر من 1908 إلى 1935م، من خلال عرض أهم الجمعيات الثقافية خلال هذه الفترة، والحال الذي دعمته، واستنتاجنا أن اليهود عملوا من خلالها على الحفاظة على هويتهم وانتسابهم الثقافي وخصوصياتهم الدينية، كما استخدموها لتقديم يد المساعدة



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ——— ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

للعائلات اليهودية المحتاجة لإقامة الاحتفالات الدينية، فكانت وجهها من أووجه التكافل الاجتماعي، وتعزيز أواصر الترابط والمحبة بينهم

الكلمات المفتاحية: يهود الجزائر؛ الجمعيات؛ الموروث التاريخي؛ المجتمع والعادات؛ الروحانيات؛ الوجدان الديني.

abstract:

At the beginning of the twentieth century, France promulgated the Law on the Freedom of Establishment of Associations, which was extended to Algeria in 1904. The Algerian society led to the establishment of associations and clubs, including the Jews of Algeria. Our intervention aims to clarify the role of some of them in preserving the cultural and religious life of the Jews of Algeria from 1908 to 1935, by presenting the most important cultural associations during this period, and the field that supported it. We have concluded that they have worked to preserve their identity, their cultural affiliation and their religious characteristics, and used them to provide assistance to Jewish families in need of religious ceremonies

Keywords: the Jews of Algeria; associations; Historical legacy; Society and customs; Spirituality; Religious sentiment.

المقدمة:

كان يهود الجزائر مطلع القرن العشرين قد قطعوا شوطاً من مسيرة الاندماج في المجتمع الفرنسي، وفتحت لهم الكثير من الأبواب بواسطة الجنسية الفرنسية التي كانوا يتمتعون بها منذ عام 1870م، واستطاعوا تحاوز أحداث العنف



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د.أحمد صاري

التي شنها ضدهم الفرنسيون المتعصبون الذين لم يقبلوا تحنسهم والوقوف معهم على قدم المساواة في الحقوق والواجبات، أواخر القرن التاسع عشر. لكن ورغم المكانة الاجتماعية الجديدة ليهود الجزائر، ومظاهر "التفرنس" التي انتشرت بينهم، إلا أنهم لم ينسوا أنهم يهود، وطائفة لها خصوصياتها وعاداتها وتقاليدتها، ونظمها التقليدي، وتراثها الذي يجب أن يظل قائماً وحياً في النفوس، فكانت الجمعيات من بين الوسائل الحديثة والهامنة التي توجهوا إليها واستغلوها للحفاظ على هويتهم ومصالحهم، ولتحقيق أهدافهم لمزيد من التقدم والرقي. وكان من السهل بالنسبة لهم تأسيسها والانضمام إليها، بحكم أنهم فرنسيون من الناحية القانونية. لذا تجمعت النخبة اليهودية في هذا الإطار الحديث والعصري، مستفيدة من قانون الجمعيات الفرنسي لعام 1901، الذي نص على حرية تأسيس الجمعيات، فأأسست العديد من الجمعيات المختلفة التوجه والأهداف، ومن بينها الجمعيات ذات الطابع الثقافي والديني. فيا ترى ما هو الدور الذي لعبته هذه الجمعيات لإحياء التراث والدين اليهودي؟ وما هي أهم الشعائر والطقوس التي سعت للحفاظ عليها؟ ولماذا؟ ونجد من خلال هذه المداخلة إلى الاجابة عن هذه التساؤلات، حيث استعرضنا أهم الجمعيات اليهودية ذات الطابع الديني ودورها في الحفاظ على التراث اليهودي مروراً بالعناصر التالية:

- تعريف الجمعيات وحرية إنشائها خلال الفترة الاستعمارية.
- جمعيات يهودية لدعم إقامة الشعائر والاحتفالات الدينية (الختان، البلوغ الشرعي، الأعياد).
- جمعيات يهودية لإقامة شعائر الدفن والعزاء
- جمعيات يهودية لدعم التعليم الديني والثقافة العبرية.



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

1. تعريف الجمعيات وحرية إنشائها في الجزائر خلال الفترة

الاستعمارية:

تعتبر الجمعيات تنظيمات مستقلة تنشأ لأجل خدمة الأفراد وتقوم على جهودهم وتطوعهم، وتهدف إلى خدمة قضية، أو جماعة، أو مصلحة، أو هدف مشروع، بوسائل سلمية ووفق طرق واضحة المعالم. والجمعية كتعبير عن التجمع السلمي والاختياري من أجل تحقيق الأهداف والمصالح المشتركة، وجدت مع الإنسان ولها امتداد عميق في تاريخه، فهي جزء من طبيعته وداخلة في احتياجاته الضرورية¹. وهي "شكل معنون من أشكال التنظيم الذاتي للأفراد..."² لنسنثني هنا تلك الجمعيات والتنظيمات السرية وغير المعلنة على غرار الجمعيات الماسونية.

والجمعية كتعبير سياسي واجتماعي هي "تجمع عدة أشخاص للدفاع عن مصالحهم المشتركة، أو تحقيق فكرة مشتركة ضمن حدود معينة وواضحة".³

وتحرص المجتمعات المتقدمة الآن على مراعاة حق الأشخاص في حرية الاجتماع والتجمع، بل يعد هذا الأمر من بين الحقوق والحرفيات الأساسية للأفراد والمكتفولة بقوانين دولية، على غرار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 10 ديسمبر (كانون الأول) 1948م. والتي نصت

¹ - خالد بوصفات، حرية إنشاء الجمعيات في القانون الجزائري، ماجستير في القانون، قسم العلوم القانونية والإدارية، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، 2009-2010، ص.2.

² - خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات السياسية والدبلوماسية (عربي - فرنسي - إنجليزي)، ط.1، سلسلة المعاجم العالمية، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1999، ص.67.

³ - عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ج.2، ط.1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981، ص.81.



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

المادة العشرون منه صراحة على حرية الاجتماعات والتجمع، وكذلك اتفاقيات دولية أخرى كاتفاقية الحقوق المدنية والسياسية، الصادرة عن الجمعية العامة المتحدة عام 1966م، والتي دخلت حيز التنفيذ بتاريخ 23/03/1976م، وكذا اتفاقيات دولية أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها، كرست مبدأ حرية الأشخاص في إنشاء الجمعيات -دون إرغامهم عليها- للمنافع الكثيرة التي تقدمها، والأدوار التي تلعبها في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. إضافة إلى دورها التقليدي في دعم الأعمال الخيرية وأعمال المنفعة العامة.¹

للجمعيات تعريفات عديدة ومختلفة، وهذا راجع لكونها حرية بالإضافة إلى كونها هيئة يمتزج فيها العقد مع التنظيم، ومن بين تعريفاتها التي صاغها الفقهاء: "الجمعيات هي كل جماعة ذات تنظيم مستمر لمدة معينة أو غير معينة تتألف من أشخاص طبيعية أو اعتبارية بغض النظر الحصول على ربح مادي."² وعرفها حسن ملحم بأنها "الاتفاق الذي يقتضاه وضع أكثر من اثنين من الأفراد بصفة دائمة معرفتهم أو نشاطاتهم في خدمة هدف غير تحقيق الفائدة أو الربح المادي".³ كما تعرف على أنها "منظمات اجتماعية لا تهدف إلى الربح والعمل فيها يقوم على أساس تطوعي، وهدف إلى تقديم خدمات عديدة ومتعددة يحتاج

¹ صالح شراك، نظام الجمعيات في القانون الجزائري، رسالة ماجستير في الإدارة والمالية العامة، كلية الحقوق بن عكشنون، جامعة الجزائر، 2002، ص.2.

² سيد علي فاضلي، نظام عمل الجمعيات في التشريع الجزائري، رسالة ماجستير في الحقوق، قسم الحقوق، جامعة محمد خيضر، جامعة بسكرة، 2008-2009، ص.1.

³ نقلاً عن المرجع نفسه، ص.1.



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

إليها المجتمع. ويتاح لأعضاء الجمعيات وللناس الاشتراك في جميع مراحل العمل في هذه الجمعيات. يطلق عليها في الولايات المتحدة اسم القطاع الثالث، على أساس أن الدولة هي القطاع الأول، والقطاع الخاص المادف إلى الربح هو القطاع الثاني.¹

وأصر قانون الجمعيات الفرنسي الشهير الصادر بتاريخ 01 جويلية 1901م، على استبعاد مبدأ الربح، وإشراكه في تعريفه للجمعية، واستعمل مصطلح شركات للدلالة على كل تجمع يكون هدفه تقاسم الأرباح بين الشركاء. وأعطي للجمعية معناها الخاص والقانوني والذي يدل على ذلك "الاتفاق الذي يتم بين شخص أو عدة أشخاص يضعون بموجبه، وبصورة مستمرة معارفهم ونشاطاتهم في خدمة هدف غير تقاسم الأرباح".² والمقصود بالربح هنا هو "كل كسب نقدى أو مادى يزيد من ثروة الشركاء" أي لا يجوز لأعضاء الجمعية تقاسم الأرباح، لكن الجمعية بصفة عامة لا تمنع من تحقيق الأرباح، شرط أن تستخدم في الإطار الذى من أجله تأسست. وعليه فمسألة الربح المقصودة تلك التي تكون على مستوى الأشخاص المكونين للجمعية، لا على مستوى الجمعية كشخص معنوى.³ وفي هذا تأكيد على الطابع التطوعي لعمل الأعضاء في الجمعية.

وارتبطت حرية إنشاء الجمعيات في الجزائر أثناء المرحلة الاستعمارية

¹- سيد علي فاضل، المرجع السابق، ص.2.

²- عبد الوهاب الكيالي وآخرون، المرجع السابق، ص.81.

³- نور الدين توات، الجمعيات وقانون المنافسة في الجزائر، مذكرة ماجستير في قانون الأعمال، كلية الحقوق، بن عكoun، جامعة الجزائر، 2002، ص-10-11



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

بالتشريع الفرنسي ذاته، الذي أقرها في البداية في فرنسا مطلع القرن العشرين عام 1901م، من خلال قانون الجمعيات الصادر بتاريخ 01 جويلية 1901م، الذي كرس حق المواطنين في تنظيم أنفسهم في جمعيات دون إذن مسبق من الإدارة، ولم يصدر هذا القانون إلا بعد مجهودات كبيرة هناك، واعتبر من أكبر الانتصارات في مجال الحريات العامة، وكانت هذه الحرية من آخر الحريات التي تم الاعتراف بها، لكنه لم يدخل حيز التنفيذ في الجزائر إلا بموجب المرسوم الصادر في 18 سبتمبر 1904م.¹

وبعد صدوره أقبل الجزائريون المسلمين على الانضمام إلى الجمعيات والتواتي المختلفة ذات الطابع الثقافي والاجتماعي والاصلاحي... والتي انتشرت في المدن الكبرى، وامتدت لتشمل بعض المراكز الصغيرة والقرى، وكانت في البداية جمعيات فرنسية أهلية غالباً ما أسست بمبادرة الفرنسيين الليبيرين، لكن ومع مرور الوقت أخذ الجزائريون المسلمين زمام المبادرة² لإنشاء جمعياتهم الخاصة، ولعل أشهرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعملت هذه التشكيلات لاحقاً على دعم الحركة الوطنية ودعم قضايا الجزائريين والوقف في وجه الاحتلال الفرنسي.

لكن لا يجب أن نتصور أن الأمر كان سهلاً بالنسبة للمسلمين فالرغبة من أن تأسיס الجمعيات كان في إطار القانوني، إلا أن الاستعمار الفرنسي نفسه

¹ - خالد بوصفصاف، المرجع السابق، ص. 27.

² - شارل روبيرو، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ترجمة م. حاج مسعود وع. بلعربي، ج. 2، طبعة خاصة وزارة الماهدين، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص-709-711.



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

كان عقبة في وجههم فكما أشار محفوظ قداش "كانت حرية التجمع في 1919 تخضع لنظامين مختلفين: أحدهما خاص بالمواطنين الفرنسيين، والآخر بال المسلمين الجزائريين، في الواقع كانت حرية التجمع معترفا بها للمواطنين الفرنسيين ولأولئك الذين استثنواهم قانون 05 جوبلية من قانون نظام الأهالي، أما بالنسبة للمسلمين الآخرين فكان لا بد من تصريح لكل تجمع وكل مخالفته لهذه القاعدة كانت تواجه بأشد العقوبات، إقامة الربردة... أو أي تجمع بمناسبة الحج مثلا لم يكن لها أن تتم أو تنظم إلا بتصریح، لقد كان تطبيق التشريعات القمعية جد قاس"¹ والحقيقة أن قسوة الفرنسيين وظلمهم للمسلمين ذهب بهم في كل الاتجاهات فلم يكن الأمر على الجمعيات فقط بل على حرية العبادة، وحرية الصحافة، والتعليم، ودور العبادة والعلماء، والتنقل... لقد كان هناك غياب كبير للحرريات الأساسية.²

2- جمعيات يهودية لدعم إقامة الشعائر والاحتفالات الدينية (الختان،

البلوغ الشرعي، الأعياد)

لقد استفاد من قانون حرية إنشاء الجمعيات الفرنسيون أنفسهم ومعهم يهود الجزائر الذين تم تجنيسهم عام 1870م بموجب مرسوم كريميو (décret Crémieux) بصورة جماعية وإجبارية عدا يهود ميزاب أو الصحراء³ وكان

¹- محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، ترجمة أحمد بن البار، طبعة خاصة، ج.1، دار الأمة، الجزائر، 2011، ص-ص. 40-39.

²- المرجع نفسه، ص. 39.

³- آمال معوشي، يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي 1830-1870، ط.1، دار الإرشاد، الجزائر، 2013، ص. 215.



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

كريبيو يهوديا وزيرا للداخلية في حكومة بوردو، وطالما طالب سابقا قبل أن يصل إلى منصبه ذلك، بتجنيس اليهود، ولم يتمكن لكن وب مجرد وصوله إلى السلطة بادر إلى رفع أهل ذمه إلى مصاف الفرنسيين بمنحهم المواطنة الفرنسية، التي مكتنهم من كل الحقوق السياسية والمدنية، وأصبحوا فئة محظوظة فالتفتوا لأنفسهم ومصالحهم الخاصة، ودعموا حياتهم الثقافية بتأسيس الجمعيات وبناء المعابد التي نشطت حولها الجمعيات الرياضية والثقافية وكذلك التعااضديات والكشافة.¹

ومن المعروف عن اليهود عامة أنهم يتميزون بالترابط والتضامن، ومحاولة التمسك بالدين وإحياء العادات والتقاليد اليهودية، مدفوعين بقواعد سطرا هم حاخاما لهم وكبار الدينية بأهم شعب الله المختار، وأعطتهم الجمعيات الفرصة المناسبة للتعبير عن أنفسهم والنشاط من خلالها، واستنبات جو من التكافل بين أفراد الطائفة بصورة عصرية، لذا أقبلوا عليها وأسسوا عددا منها حسب ما يقتضي قانون الجمعيات الفرنسي لعام 1901م، وكان منها جمعيات ذات الطابع الاجتماعي، والسياسي، والثقافي، والديني وسعوا من خلال هذه الأخيرة للحفاظ على هويتهم وتراثهم العربي، وشعائرهم الأساسية وخصوصياتهم وطقوسهم الدينية، التي تعد مكونا هاما من مكونات الشخصية اليهودية في كل مكان وزمان، واندثارها يشكل خطرا كبيرا عليهم، وازدادت مخاوفهم لهذا الشأن وهم يعيشون وسط المجتمع الأوروبي المختلف عنهم تماما، والذي انبهر به شبابهم

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، طبعة خاصة، ج.6، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص. 398-402.



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ——— ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

وأقبلوا على تقليده والاندماج به شيئاً فشيئاً هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم يؤمن جانب هذا المجتمع تماماً فمعاداة اليهود لم تقطع فيه فقد "ظلت كالنار في الرماد بين الفرنسيين"¹، وسياسة حكومته قد تدخلت في عدة جوانب خاصة بهم كالتعليم دور العبادة².

لكل هذه الأسباب، وفي إطار الحفاظ على الهوية والورث الثقافي أسس اليهود في الجزائر الكثير من الجمعيات التي أولت اهتماماً لهذه الأمور على وجه الخصوص، ومن بينها العناية بإقامة طقوس واحتفالات الختان والبلوغ الشرعي والأعياد، وتعتبر هذه الاحتفالات المناسبات من أساسيات الحياة اليهودية فقد حافظ عليها الأجداد والآباء في كل العهود وحتى وقتنا المعاصر، وهي بالأساس احتفالات ذات طابع ديني وتاريخي³ وتحتاج من الناحية المادية إلى إمكانيات معينة قد لا تتوفر عند كل العائلات، وحرصاً على إتمامها والاحتفال بها قررت النخبة اليهودية في الجزائر تأسيس جمعيات لمساعدة العائلات اليهودية المحتاجة، ومع أننا لا نستطيع ذكرها كلها إلا أنها ستعطي أمثلة عنها:

1.2 الختان والبلوغ الشرعي: تأسست عام 1920م بمدينة الجزائر جمعية "إلياهو هنابي" (EliaouHanabi) أو النبي إليا (إلياس)، التي سعت إلى تقديم يد المساعدة لإنقاص ختان الأطفال اليهود الفقراء، والاحتفالات بسن البلوغ الشرعي.

¹ - المرجع نفسه، ص. 401.

² - آمال معوشي، المرجع السابق، ص. 132، 164، 168.

³ - حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ترجمة أحمد شحlan، ج. 2، مطبعة النجاح الجديدة، مرسم الرباط، المغرب، 2000، ص. 418.



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

وترأس هذه الجمعية السيد "إيزاك سنانس" (isaacsenanes)¹. وحفل الختان مناسبة دينية كبرى، وحفل عائلي ترافقه مظاهر السعادة والبهجة والسرور، وهو مناسبة للتعبير عند الغني والمُفقر، بقدوم المولود الذكر الجديد²، واللاحظ على هذه الجمعية أنها اختارت اسمها تيمناً بالنبي إلياس عليه السلام (إليا)، وإحياء لأعمال الخير والبر التي كان يقوم بها، وسي الكرسي الذي يختن عليه اليهود أطفالهم بكرسي "إلياهو" وفي الذاكرة الشعبية اليهودية خاصة شرق أوروبا، النبي إليا كان يتتحول في البراري والبوادي والمدن متذمراً، حتى لا يعرف شخصيته أحد، ويقدم المساعدات للمحتاجين والفقراط في لحظات الخطر والحرج، وبظهر للمتصوفة والعلماء ليعلمهم الحقائق الخفية، وهناك حتى من لا يؤمن بوفاته من اليهود.³ إذن فاسم الجمعية اختيار بعناية ليكون له دلالة دينية بين اليهود.

ويعتبر الختان من أهم الشعائر الدينية عند اليهود وينسبونه إلى إبراهيم عليه السلام باعتباره الأمر الذي تلقاه من رب⁴، وتمسكوا بهذه الشعيرة عبر تاريخهم الطويل، وتأخذ معنيين الأول جسدي، والثاني روحي فهي تطهير للنفوس والأرواح، وتتم عادة في اليوم الثامن من عمر الصغير، تطبيقاً ل تعاليم التوراة

¹ - (J) Hanoune, Aperçu sur les israélites Algériens et sur la communauté d'Alger, ancienne maison Bastéde, Alger, 1922 , p.67

² - حايم الرعفراني، المرجع السابق، ص.426.

³ - عبد الوهاب الميسري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد 5، الرابط .2007/04/13 www.elmessiri.com

⁴ - فاطمة بو عمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق لـ 13-15م، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص.109.



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

والتلמוד¹ وتسمى بالعبرية: "بريت هميلاه"²، أو "مهيله" وقد تلفظ حسب اللهجة المحلية لليهود كـ: "الختان" عند يهود المغرب³ وهي نفس اللفظة عند المسلمين.

ويقترن الختان عند اليهود بشعرة أخرى وهي تسمية المولود الذكر⁴ التي لا تقل أهمية عن الختان⁵ ولا يمكن تأخير هذه الشعائر مهما كانت الظروف حتى ولو كان السبت أو يوم الغفران أكثر الأيام قداسة، ومن لم يختن من اليهود لا يعتبر عضواً في "الشعب" اليهودي المقدس⁶، وإذا توفي المولود قبل اليوم الثامن من من ولادته يختن قبل دفنه، ويطلق عليه اسم إبراهيم⁷ حتى يكتسب الهوية اليهودية ويدخل في الملة كما يعتقدون.

وتكون عملية الختان ثماراً ويخضرها على الأقل عشرة ذكور دون النساء

¹- عطا أبو رية، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، ط.1، اتيراك للنشر والتوزيع، مصر، 2004، ص-ص. 242-241

²- سنا عبد اللطيف، الهوية اليهودية وأسماء الأعلام العربية، دراسة في الأصول والدلائل والبعد الإيديولوجي والصهيوني، ط.1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2008، ص. 17.

³- حايم الزعفراني، المرجع السابق، ص. 426.

⁴- للمولود الذكر على وجه الخصوص عند يهود المغرب واليهود عامة على كل حال مكانة مميزة وينتظر بلهفة وقلق، وكأنه واجب ويشكل جوهرًا أساسياً للمحافظة على النوع وتخليد اسم العائلة على مدى الأجيال. ينظر: المرجع نفسه، ص. 418.

⁵- سنا عبد اللطيف، المرجع السابق، ص. 17.

⁶- عطا أبو رية، المرجع السابق، ص. 242.

⁷- فاطمة بوعمامه، المرجع السابق، ص. 110.



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

حتى ولو كانت الأم¹، داخل المعبد، ويوضع الطفل على ركبتي السندك- التي تعني الخطيب أو البليغ ويترك الكرسي حاليا، وهو كرسي الختان أو كرسي "إلياهو" كما سبقت الإشارة، والمعتقد اليهودي في هذا الأمر أن النبي "إليا" يأتي لحماية الطفل عند الختان²، وبعد إتمام الطقوس وعملية الختان حسب أصول الشريعة اليهودية، تقرأ الأدعية والبركات والأشعار الدينية الخاصة بهذه المناسبة، وتقام طقوس احتفالية عادة في بيت الوالدين وفي حجرة الأم.³

وإلى جانب الختان حاولت هذه الجمعية مساعدة العائلات على إقامة شعيرة أخرى وهي الاحتفال بسن البلوغ الشرعي، ويسمى بالعبرية (بار مصواه) والتي تعني حرفيًا "ابن الوصايا التوراتية أو القادر على القيام بها" وتصادف عادة نهاية التعليم الأولى أو (الابتدائي) للطفل اليهودي الذي ينتقل إلى مرحلة الشباب، حيث يصبح يافعا مكلفا ملزما باحترام تعاليم اليهودية، مثله مثل الكبار، ويجب عليه الالتزام بأوامر ونواهي الكتاب المقدس، ويحدد سن الرشد الديني عادة في سن الثالثة عشر، وقد يتقدم إلى الثامنة أو السابعة عند البعض حسب المواقف الجسمية لهم، ويحمل البالغ أو القادر ما يسمى بـ (التفلين)⁴، وهما رسغان

¹- عطا أبو رية، المرجع السابق، ص. 242.

²- فاطمة بوعمامه، المرجع السابق، ص. 110.

³- حايم الرعفرانى، المرجع السابق، ص-ص. 427-426.

⁴- هذا المسمى يقصد به ثيمة الصلاة وهي صيغة جمع مفرد "تفيلاه" وربما تكون اشتقت من الكلمة آرامية. وهي حسب الميسري عبارة عن صندوقين صغيرين من الجلد يحتويان على فقرات من التوراة، يثبت الصندوقان بسسور من الجلد ويلبسان. ولليهود في تعليقهما طقوس تختلف حسب فرقهم ومذاهبهم. ينظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د.أحمد صاري

جلديان يلف اليهودي أحدهما على الرأس والآخر على الذراع اليسرى، أشاء بعض الصلوات¹ ولأجل قيمة الصلاة هذه والاحتفال الديني لأول مرة للبالغ في المعبد، تأسست في قسنطينة جمعية "الربi شلومو عمار" (Chlomo Amar rabbi)، من أجل إكرام الأطفال اليهود الذين بلغوا مرحلة حمل التميمة والمشاركة لأول مرة في الاحتفال الديني.²

2.2 الأعياد: تحتل الأعياد بدورها مكانة هامة في فكر اليهود، فهي جزء

من هويتهم وعقيدتهم وحتى تاريخهم، ويختلفون بها بأداء طقوس وصلوات خاصة حسب نوع العيد ودلالته، ويشارك يهود العالم عامة في الاحتفال بمجموعة من الأعياد صنفتها المصادر العربية في قسم الأعياد الشرعية، أما القسم الثاني فهو قسم الأعياد الحديثة، والأعياد الشرعية هي الأعياد التي أشارت إليها التوراة وعددتها خمس أعياد: عيد رأس السنة، عيد الغفران، عيد الظل، عيد الفصح، وعيد الأساطيع، والأعياد الأخرى الحديثة هي التي لم ترد في التوراة، ولكنها تمت إضافتها إلى الأعياد الشرعية وهي ذكرى لحوادث تاريخية معينة مبنية في مخيال وذكريات اليهود، أشهرها عيد الحظ أو البوريم أو ما يسمى "عيد أستير"، وسماء العرب عيد المصخرة، أو المصاخر لأن اليهود يسرفون فيه في شرب الخمر،

والصهيونية، المجلد 5، المرجع السابق، ص-ص. 361-362.

¹- حايم الرعفراني، المرجع السابق، ص-ص. 434-435.

²- Maurice Eisenbeth, Le judaïsme Nord-Africain, études démographiques sur les israélites du département de Constantine, édition P.Brahan, Constantine, 1931, p.108



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

بالإضافة إلى عيد السبت.¹

وليهود المغرب على وجه الخصوص أعياد خاصة بهم فقط دون غيرهم من
يهود العالم وهما: عيد الهيلولة وهي المناسبة التي يحتفل فيها بالأولياء، وأصحاب
الكرامات وفق طقوس خاصة، وعيد الميمونة التسمية المشتقة من اللفظ العربي-
العربي ومعناها الحظ، ويحتفل بهذا العيد من باب التفاؤل وإبعاد اليأس في انتظار
المسيح المخلص، ويكون بعد عيد الفصح مباشرة.²

وتمكن يهود الجزائر خلال العهد العثماني من الاحتفال بأعيادهم
ومواسمهم الدينية والتي اعترفت لهم بها السلطة العثمانية بوصفهم أهل كتاب،
وحافظوا عليها في وجه التمدن الأوروبي بعد الاحتلال، وظلوا على عهدهم
بالتمسك بها إلى جانب بعض عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية الأساسية،³ وقد
أسست جمعيات خاصة في الجزائر للعناية بها وإتمام الاحتفالات بين اليهود الفقراء،
ومن بين هذه الجمعيات جمعية "أغودايسا" (Agoudath Péchah) وهما كلمتان
عبريتان يصب معناهما في عيد الفصح المسمى بالفرنسية (le pâque juive)
والجمعية مرتبطة بعملها بهذا العيد على وجه الخصوص (association pâque)
وتأسست بالجزائر العاصمة وأعلن عنها رسميا بتاريخ 27 جوان 1927م، ونشر خبر
تأسيسها في الجريدة الرسمية بتاريخ 10 جويلية 1927م وكان هدف هذه الجمعية
حسب ما أشارت إليه المادة الثانية من قانونها الأساسي هو تصنيع، وتمويل،

¹- عطا أبو رية، المرجع السابق، ص. 278، 279، 288

²- فاطمة بوعمامه، المرجع السابق، ص-ص. 146-147

³- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 394، 401



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

وتوفير الخبز لليهود خاصة في عيد الفصح.¹

وعيد الفصح الذي أظهرت له هذه الجمعية عناية خاصة هو العيد الرابع من الأعياد الشرعية اليهودية، وله عدة مسميات بالعبرية: (البيصח) أو البصח أو الفسح بيساح أي المرور، والمقصود مرور الشتاء لفسح الحال للربيع، وأيضا حج بالعبرية (هابيت) أي عيد الربيع، "همصوت" عيد الفطير، (وزمن حيروتينو) أو موسم الحرية لخلاصهم من ظلم فرعون، ويختلف به يهود المغرب في أول الربيع في الخامس عشر من شهر نيسان (أبريل) ويدوم ثمانية أيام² عند فرقه الربانيين³ اليهود، وسبعة أيام عند القرائين⁴، وستة أيام لدى السامرة⁵، ويعد هذا الاحتفال

¹ – Archives Wilaya d'Alger (associations déclarées) Agoudathpéchah.

1Z.34N.1387

² – عطا أبو رية، المرجع السابق، ص-ص 283-284.

³ – الربانيون من أقدم الفرق اليهودية اسمها مشتق من الكلمة العبرية رب أي الكبير أو الرئيس. وتؤمن بالتوراة والتلمود، وشديدة العداء لبقية الأمم. وازداد عددهم فيالجزائر بعد هجرة يهود الأندرس خلال القرن الخامس عشر ميلادي، كما استقر قسم منهم في فاس بالمغرب. ينظر: فاطمة بو عمامة، المرجع السابق، ص 94.

⁴ – القراؤون: وهم لا يؤمنون بالشريعة الشفوية، ويعتمدون بالتوراة اسمهم مشتق من الكلمة العبرية مقرأ، ويتحمل أن أصولهم ترجع إلى القرن الثامن ميلادي، وهي الطائفة الوحيدة التي تؤمن بالسيد المسيح كولي وليس نبيا، وحلوا بالجزائر هروبا من المسيحيين ومن الربانيين. ينظر: المرجع نفسه، ص 95.

⁵ – السامريون: عددهم قليل في المغرب بصفة عامة، وهم لا يؤمنون إلا بالأسفار الخمسة من العهد القديم إلى جانب سفر يوشع وسفر القضاة، وينكرون بقيةأسفار العهد القديم وأسفار التلمود، ويختلفون اليهود في القبلة أي يتوجهون إلى جبل الجرريم بنابلس وليس إلى أورشليم.



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

بمثابة إحياء لذكرى نجاةبني إسرائيل من فرعون، وخلاصهم من العبودية في مصر، لذا يحتفل به بأكل الخبز دون إضافة الملح والخميرة تذكاراً بأئمهم عند فرارهم مع موسى عليه السلام، لم يكن لهم الوقت الكافي لانتظار العجين حتى يخمر، ويعتبر من يأكل خبزاً فيه خميرة في هذا اليوم كمن فصل نفسه عن الدين اليهودي.¹

وترأس جمعية "أقواد بيساح" المدعو مواز سبات (موسى شبات) (Moise Scbat) وهو نفس الاسم الذي سيظهر مجدداً في جمعية ثقافية أخرى خاصة بالتعليم الدينى وكذا بعض المرافقين له هنا، وكان نائبه كل من: دوب رافائيل (Douib Raphael)، وكوعا حوزف (Kaoua Joseph) أما منصب الأمين العام فقد شغله المدعو ليفي-برام ليسيان (Levy-Bram Lucien)، وساعدته في مهامه كل من: مدیوني وليام (Medioni William)، أزوالي إيلی (Azoulay Kanoui Joseph)، وبين سيمون دافيد (Ben Simon David)، وأيضاً كانوي جوزف (Elie Lellouche David)، سعدون أرون (Saadoun Aaron)، صباح موسى (Tubiana Stora Léon)، سبورا ليون (Sebbah Moise) (Salomon²) وكل فرد منهم سعى لخدمة طائفته وأداء مهامه على أكمل وجه.

3. جمعيات يهودية لإقامة شعائر الدفن والعزاء:

أما اسمهم فهو تعريف للكلمة العربية شوميرونيم أي سكان السامرية، ويشار إليهم في التلمود باسم الغرباء، ويسمون أنفسهم ببني إسرائيل أو بني يوسف. ينظر: المرجع نفسه، ص. 96.

¹ - المرجع نفسه، ص. 144.

² - A. W. Alger 1Z.34 N.1387, op.cit



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

يعتبر الموت في الفكر اليهودي مسألة ذات أهمية كبيرة، فهو يشكل خلاصة الحياة، وهو يوم الدين وتقدس الحساب "يوم هادين" "يوم دين وحشبون"، والمقبرة مكان مقدس وتسمي عندهم ضداً للحدث "بيت ها حاييم" أي بيت الأحياء، ويحرص اليهود على طقوس الدفن ويعتبرونها واجباً عظيماً، ومن أكبر الاتهانات عندهم أن يدفن الميت بطريقة غير شرعية، ولو كان مجرماً أعدم أو عذروا قتل في ساحة المعركة، والدفن فريضة على العائلة والجامعة وحتى على الشخص الذي يصادف ميتاً في مكان حال، أو في أرض أجنبية فعلية بدننه وستره في التراب، ويدخل أهل الميت في فترة حداد تدوم في المرحلة الأولى سبعة أيام، والثانية ثلاثة أيام فرضاً، والثالثة سبعة أو تسع أو أحد عشر شهراً حسب العادات والاتنماء الاجتماعي والمهام التي كان يشغلها المتوفى.¹

وامتلك اليهود في الجزائر في العهد العثماني مقابرهم الخاصة التي دفنت فيها موتاهم، فقدوا بعضها بعد الاحتلال الفرنسي، وبقيت بعض قبور موتاهم إلى يومنا هذا خاصة تلك التي تعود إلى رجال الدين أو قادة الجماعة، المعروفين باسم "المقدم" أو "شيخ اليهود"، واعتنى اليهود بزخرفة القبور، أما شكلها عموماً فهو كتلة حجرية واحدة وتسمى بالمعاتي (le Mghati)، وهي بلاطات إما من الحجر الرملي أو الرخام.²

ونظراً لأهمية طقوس الدفن والعزاء وحالة الحزن التي تصيب أهل الفقيد،

¹ - حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص. 473، 486، 496.

² - زهية بن كردرة، «الشواهد العبرية بالمتاحف الوطنية للآثار»، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد 5، 1996، ص-ص. 33-34.



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

تأسست عدة جمعيات للاهتمام بهذا الجانب من بينها جمعية "جميلو ثحاصدم للأفعال الحسنة والواجب الأخير" GuemilouthHassadim les bonnes "Action le dernier devoir" وهي جمعية خيرية تأسست بتاريخ 30 جانفي 1934، وجمعت في اسمها بين العربية والفرنسية وكانت تحت رعاية الجمع الديني اليهودي لمدينة الجزائر وتحت سلطته، وهدفها كما دل اسمها أداء الواجب الأخير تجاه الأموات اليهود وهو الدفن أو المثوى الأخير، والدفن هنا وفق ما تقتضيه الأعراف والتقاليد اليهودية العريقة، وإلى جانب هذا فهي حاولت القيام بكل ما يمكن وحسب ما تسمح به إمكانياتها المادية، بكل أفعال الخير خاصة مساعدة الأرامل والأيتام، ومنعت الجمعية حسب قوانينها الداخلية مناقشة القضايا والمسائل السياسية بين الأعضاء، وقام برئاستها "يعقوب نربوني" (Jacob Aaron sadoune) ، أما نائبه فهما: أoron (هارون) سعدون (Narboni) وإسحاق دهان (Isaac Dahane) على التوالي¹.

والملاحظ على هذه الجمعية أنها تعد في مضمونها امتداد لجمعية "الهيبرا" العتيقة التي اهتمت بالغسل الجنائزي والصلوة على الميت، وبناء القبر وكل ما يحيط بمراسيم الدفن² من سهر على تحضير الجنائز وقيادة الموكب الجنائزي، والتکفل بوجبة التعزية، متبعاً أوامر الشريعة اليهودية والأعراف، ولم تخلي على أي حال أي طائفة يهودية في المغرب من هذا النوع من الجمعيات والتي تسمى

¹-Archives Wilaya d'Alger (associations déclarées) GuemilouthHassadim (les Bonnes action le dernier devoir), 1Z. 120, N2141 ..

²- فاطمة بوعمامه، المرجع السابق، ص.138.



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

عادة "حبرا قديشت" أو جمعية دفن الموتى، ويمكن أن تسمى أيضاً "حبرا دا الرب شعون"¹ أو "حْبُرْت حِسْدِ وِإِمْت" أو إخوان الرحمة والحقيقة، وقام عملها على التطوع ودعم الخير.²

وعرفت عدة مدن جزائرية جمعيات يهودية من هذا القبيل التي سعت إلى مساعدة العائلات على إقامة طقوس الدفن، والعزاء على غرار جمعية "حسدي دافيد الواحِب الأَخِير (Hassadi David dernier devoir)" التي ظهرت في الثلاثينيات من القرن العشرين في قسنطينة، وسعت إلى الوقوف مع العائلات في مرحلة الحداد والمأتم،³ كما كانت جمعية الأخوة البجاوية الإسرائيلية (la Fraternelle israélite Bougie) التي تأسست بتاريخ 02 جوان 1908 قد سعيت إلى تقديم المساعدات لإتمام الجنازات والمأتم،⁴ وكذلك كان مسعى الأخوة

¹ - أشارت فاطمة بو عمامة أن أصل جمعية "الهيبر" يرجع إلى الري شمعون بار يحيى الذي عاش خلال القرن الثاني ميلادي، ويذكر بعض المؤرخين أنه اختباً مع بعض تلامذته وابنه بمغاربة هروباً من اضطهاد السلطة، وبقوا فيها حوالي ثلاثة عشر سنة يقتاتون من ثمار شجرة خروب عند مدخل المغاربة وينبوع ماء فجره الله لهم - حسبهم - وعند خروجهم من المغاربة كان أول شيء وقعت عليه أنظارهم، جثة مرمية على الأرض، فقاموا بدهنها. وبعد عودتهم قصوا على سكان المدينة ما حل بهم، ومنذ ذلك الحين قرر سكان المدينة تأسيس جمعية تتکفل بمراسم الجنازة. ينظر: المرجع نفسه، ص-ص. 138-139.

² - حايم الزعفراني، المرجع السابق، ص. 480.

³ - Maurice Eisenbeth, op.cit., p.108

⁴ - Karima Ben Hassine, la vie associative dans le département de Constantine 1901-1945, thèse de doctorat d'état, département d'histoire et d'archéologie université Mentouri, Constantine, 2006, p.155



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

البوسعادية (Fraternelle Bousaadienne) التي تأسست بتاريخ 16 سبتمبر 1928، وصدر قرار اعتمادها بالجريدة الرسمية بتاريخ 11 مارس 1929م حيث اهتمت بمساعدة العائلات لدفن الموتى اليهود، كما ساعدت أيضا العائلات لإقامة الاحتفالات الدينية كالاحتفال بسن البلوغ الشرعي، وإقامة حفل الحناء، واهتمت بمساعدة ودعم المحتاجين من يهود بوسعادة أو المارين بها، ومساعدة الشابات المقبلات على الزواج...¹

4. جمعيات يهودية لدعم التعليم الديني والثقافة العبرية:

اهتم يهود الجزائر بالتعليم الديني على وجه الخصوص في كل الأطوار التعليمية، وكانت الكتب المقدسة هي الأساس فيما يقدم للمتعلم في أي مرحلة كان، ففي مرحلة الأولى كان يعذ الطفل للمشاركة في إقامة الواجبات الدينية كقراءة نصوص الكتاب المقدس، وتلاوة الأدعية الدينية، واحتوت المرحلة الأولى منها على دراسة منتظمة لمقاطع من الكتاب المقدس، والقوانين الشرعية التي دونها رجال الدين اليهود المستمدة من كتبهم الفقهية، وجعلت دراسة التلمود أعلى مرحلة وتوجه أساسا إلى المتلقين ثقافة عالية.²

وكان على الأطفال اليهود حفظ التوراة ثم التلمود، كما يحفظ المسلمون القرآن الكريم³، ومثل احتفال "بار مصواه" نهاية التعليم الأولى أو الابتدائي، الذي يكون في سن الثالثة عشر المقترنة بسن البلوغ الشرعي، ويمكن تلخيص هذه

¹ – l'écho d'Alger le 05/10/1928 N. 6935 et le 23/05/1929.

² – مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، ط.2، دار هومة، الجزائر، 2009، ص-ص. 147-148

³ – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 402.



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ——— ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

المرحلة التعليمية في أن جوهرها يتجسد في "البيعة وعن طريق البيعة ومن أجل البيعة" أي إمام الطفل الذي سيثبت في آخر هذه المرحلة بأمور الدين والعبادة اليهودية أكثر من استعداده لمواجهة الحياة.¹

وخلال الفترة العثمانية لم يتدخل الحكام العثمانيون أبداً في شؤون اليهود التعليمية، بل ترك لهم الحال لاختياراتهم الشخصية في اختيار العلوم والأماكن والمناهج المناسبة، ورغم أنها كانت بسيطة وتقلدية، إلا أنها كانت من اختيارهم، وركزوا فيها على التعليم الديني، وتمتعوا بحرية تلقينه لأبنائهم² هذه الحرية التي فقدوها مع الاحتلال الفرنسي الذي نظم لهم طريقة إنشاء وتسير المدارس، وشيئاً فشيئاً حاصر التعليم التقليدي الديني لصالح المدارس الفرنسية³ والتعليم اللايكي الذي فرضه منذ الثمانينيات من القرن التاسع عشر، ورغم بعض المقاومة التي أبدتها اليهود ضد التعليم الفرنسي، لكن مع الوقت ثبت لهم أن أطفالهم لا يرغبون في المدارس الدينية، التي كانت تنافسها عدة مدارس منها المدارس الحكومية، ولم يعد التلاميذ المراهقون يرغبون في تعلم التوراة والتلمود.⁴

أمام هذه الانشغالات أسس اليهود لأنفسهم عدة مدارس وجمعيات ذات طابع ثقافي لنشر التعليم الديني والحدث على اكتسابه بين الناشئة، ولتكوين

¹ - حايم الزعفراني، المرجع السابق، ص.434.

² - محمد داده، اليهود في الجزائر خلال العهد العثماني منذ مطلع القرن 18 م حتى 1830، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1985م، ص.69، 71، 73.

³ - آمال معوشي، المرجع السابق، ص-ص.175-176.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص.397، 402، 403.



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

الشباب الم قبل على الوظائف الدينية¹ وشهدت مدينة الجزائر على وجه الخصوص تأسيس جمعية "آتر حيم"² (ETZ. Haim) وهو كلمتان عبريتان تعنيان "شجرة الحياة" (l'arbre de la vie) عام 1920م حسب "حنون"³ لغرض دعم التعليم الديني، بينما أشارت وثائق الجمعية أنها تأسست بتاريخ 29 أوت 1921م، ومقرها الاجتماعي بمدينة الجزائر شارع باب الواد، وضمت تشكيلتها نخبة من اليهود خاصة رجال الدين والحاخامات، لطبيعة وظيفتها الأساسية المتعلقة بالتكوين في المجال الديني، وترأسها السيد مواز (موسى) سبات (Moise Scebat) وكان له نائبان هما: الحاخام إراك (إسحاق) مورالي (Isaac Morali) نائب أول، إراك سنانس (Isaac Senanes) نائب رئيس ثاني وتولى منصب الأمين العام للجمعية مواز سفار (Moise Saffar)، أما وليام مديوني (William Moatti) فشغل منصب أمين المال، وساعدته دافيد المعطي (David Moatti)

¹ - يؤكّد الرغرافي أن الم قبل من اليهود على الوظائف الدينية والذي يزيد مواصلة تعليمه العالي، عليه أن يكرس سنوات طويلة من زهرة شبابه، بل كل حياته لاكتساب العلوم والمعارف الضرورية حتى يتّصف بصفة تلميذ حاخام أو "حاخام". كما يجب أن يستظهر النصوص المقدسة عن ظهر قلب بالإضافة إلى شروحها وفهمها، وهذا هو المفتاح والشرط الأساس لتقلّد اليهودي منصب حاخام أو رجل دين. ينظر: حايم الرغرافي، المرجع السابق، ص-ص. 434-435.

² - أشارت سناء عبد اللطيف إن اسم حيم اسم عتيق يعني الحياة أما حايم فهو من الأسماء المستحدثة ويعني حياة، وجود، معيشة، رحمة، نشوة ويركب منه اسم حايمقا هو حايمون. ينظر: سناء عبد اللطيف، المرجع السابق، ص. 16، 80

³ - (j). Hanoune, op, cit. p.67



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

واشتملت قائمة الأعضاء على: حوزف كوعا (Joseph Kaoua)، مردوشي أرندنان (Mardochée Arendanan)، إسرائيل حاجاج (Israël Hadjadjé)، الياهو حيون (Eliaou Hayoune)، ابراهام بوكبزة (Abraham Boukabza) وموريس كوعا (Maurice Kaoua) وانضم مع الوقت عدد آخر من الوجوه اليهودية الجزائرية المعروفة.¹

وعملت هذه الجمعية على دعم التعليم الدينى واللغة العبرية، وواصلت النخبة اليهودية مساعيها لخدمة الثقافة والترااث اليهودي فانتشرت بفضل جهودهم العديد من المدارس والجمعيات المسماة "أتر حيم" و"تلמוד توراة"² على غرار تلك التي ظهرت في قسنطينة في الثلاثينيات من القرن العشرين، حيث اشتملت قسنطينة على جمعية "أتر حيم" التي كانت عبارة عن مؤسسة خيرية للتعليم الدينى العالى، وتكوين الإطارات الدينية، كما اشتملت على "تلמוד توراة" الجمعية (talmud torah consistorial) الخاصة بالتعليم الدينى التي أسسها المدعو سلمون أديدا مطلع القرن العشرين، ومؤسسة "أصدقاء تلמוד توراة" (la société des Amis talmudthorah) والتي ارتبطت بمحال العبادة والشعائر الدينية أيضاً من خلال محاولة مساهمتها توفير متطلبات الرهبنة اليهودية،

¹ – Archives Wilaya d'Alger, associations déclarées (Etz- Haim).1Z.16 N.859

² – مؤسسات "تلמוד توراه" هي عبارة عن المدرسة الأولية الخيرية عند اليهود وتقوم على المنهج الدينى بتدریس الكتاب المقدس التوراة والشعائر الدينية اليهودية، وأجزاء محدودة من التلמוד. ينظر: عبد الوهاب الميسري، موسوعة اليهود واليهودية، المجلد 3، المرجع السابق، ص-ص. 692-697.



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

وإقامة حفلة القدس الخاصة باليهود، كما ظهرت بهذه المدينة جمعية من نوع خاص كانت تعمل على تشجيع قراءة الزابور والمشنا أحد أقسام التلمود الكتاب المقدس عند اليهود، بدفع أجراً لمن يقضي وقته من المساكين متعلماً للكتب الدينية، وهذه الجمعية هي: "أسارا باتلنيم" (¹Assara Batlanim).

5- الخاتمة:

لقد أسس يهود الجزائر العديد من الجمعيات ذات الطابع الثقافي والديني، ورغم أنها قدمنا عينة منها فقط إلا أنها سمحتنا بأن نستنتج أن اليهود سعوا من خلالها إلى الحافظة على هويتهم وإحياء تراثهم العربي، وشعائرهم الدينية الأكثر أهمية، والتي تعد عنصراً هاماً من شخصيتهم اليهودية، كشعييرة الحناء، والاحتفال بسن البلوغ الشرعي، والاحتفال بالأعياد، وإقامة شعائر الجنائز والحداد، وكذا إحياء اللغة العربية والتعليم الديني، وكانت أسماء الكثير من هذه الجمعيات باللغة العبرية وتحمل دلالات دينية ورموز مهمة في الحياة اليهودية، ومنها ما هو امتداد لجمعيات عتيقة أعيد بعثها بصورة عصرية، للتأكد على الانتماء الثقافي للطائفة خاصة وسط المجتمع الأوروبي المختلف عنهم تماماً في الطابع والعادات والتقاليد، وكانت أغلب المناسبات التي حاولت الجمعيات اليهودية المحلية الحفاظ عليها، تشكل فرصة لمزيد من الالتقاء والاجتماع بين أفراد الطائفة ومحل اهتمام الفقير والغني لإحيائها، لذا أوجدت هذه الجمعيات حوا من الترابط والتكافل الاجتماعي والتضامن سواء من خلال تلك المساعدات التي قدمتها للعائلات المحتاجة، حتى لا يحرم الفقير من متعة الاحتفال والسعادة أو من خلال إحياء

¹ – Maurice Eisenbeth, op.cit., p.107-109



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر

ر ت م د: 4040-1112، ر ت م د إ: 2588-X204

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1102-1074 تاريخ النشر: 25-03-2021

جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

المناسبة لكي لا تندثر بين اليهود.

- قائمة المصادر والمراجع:

6- الوثائق الأرشيفية:

أ- أرشيف ولاية الجزائر:

- 1- Archives Wilaya d'Alger (associations déclarées) Agoudathpéah. 1Z.34N.1387
- 2- Archives Wilaya d'Alger, associations déclarées (Etz-Haim).1Z.16 N.859
- 3- Archives Wilaya d'Alger (associations déclarées) GuemilouthHassadim (les Bonnes action le dernier devoir), 1Z. 120, N2141 ..

6- المصادر المنشورة باللغة الفرنسية:

أ- الصحف:

l'écho d'Alger le 05/10/1928 N. 6935 et le 23/05/1929.1-

ب- الكتب:

1- Hanoune (J), Aperçu sur les israélites Algériens et sur la communauté d' Alger, ancienne maison Bastéde, Alger, 1922.

2 -Eisenbeth Maurice, Le judaïsme Nord-African, études démographiques sur les israélites du département de Constantine, édition P. Brahan, Constantine, 1931.

6- المراجع باللغة العربية:

أ- الكتب:

- 1- أبو رية عطا، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، ط.1، اتيراك للنشر والتوزيع، مصر، 2004.



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

- 2- أجيرون شارل روبير، الجزائريون المسلمين وفرنسا 1871-1919،
ترجمة م. حاج مسعود وع. بلعربي، ج.2، طبعة خاصة وزارة المحتلين، دار
الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
- 3- بوعمامه فاطمة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع
والثامن هجري الموافق لـ 13-15م، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع،
الجزائر، 2011.
- 4- الزعفراني حايم، يهود الأندلس والمغرب، ترجمة أحمد شحلان، ج.2،
مطبعة النجاح الجديدة، مرسم الرباط، المغرب، 2000.
- 5- خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات السياسية والدبلوماسية (عربي-
فرنسي - إنجليزي)، ط.1، سلسلة المعاجم العالمية، دار الفكر اللبناني، لبنان،
1999.
- 6- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، طبعة
خاصة، ج.6، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
- 7- عبد اللطيف سناء، الهوية اليهودية وأسماء الأعلام العبرية، دراسة في
الأصول والدلائل وبعد الإيديولوجي والصهيوني، ط.1، مكتبة مدبولي،
القاهرة، 2008.
- 8- قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، ترجمة
أحمد بن البار، طبعة خاصة، ج.1، دار الأمة، الجزائر، 2011.
- 9- كواتي مسعود، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة
الموحدين، ط.2، دار هومة، الجزائر، 2009.
- 10- معوشي آمال، يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي 1830-1870،



جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د. أحمد صاري

ط.1، دار الإرشاد، الجزائر، 2013.

ب- الدوريات:

- 1- بن كدرة زهية، «الشواهد العبرية بالمتاحف الوطنية للآثار»، حوليات المتاحف الوطنية للآثار، العدد 5، 1996.

ج- الرسائل الجامعية:

- 1- بوصفاصف خالد، حرية إنشاء الجمعيات في القانون الجزائري، ماجستير في القانون، قسم العلوم القانونية والإدارية، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، 2009-2010.

- 2- توات نور الدين، الجمعيات وقانون المنافسة في الجزائر، مذكرة ماجستير في قانون الأعمال، كلية الحقوق، بن عكّون، جامعة الجزائر، 2002.

- 3- داده محمد، اليهود في الجزائر خلال العهد العثماني منذ مطلع القرن 18 حتى 1830، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1985.

- 4- شراك صالح، نظام الجمعيات في القانون الجزائري، رسالة ماجستير في الإدارة والمالية العامة، كلية الحقوق بن عكّون، جامعة الجزائر، 2002.

- 5- فاضلي سيد علي، نظام عمل الجمعيات في التشريع الجزائري، رسالة ماجستير في الحقوق، قسم الحقوق، جامعة محمد خيضر، جامعة بسكرة، 2008-2009.

د- الموسوعات والقواميس:

- 1- الكيالي عبد الوهاب وآخرون، موسوعة السياسة، ج.2، ط.1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر

ر ت م د: 4040-1112، ر ت م د إ: X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1102-1074 تاريخ النشر: 25-03-2021

جمعيات يهود الجزائر ودورها في إحياء التراث ----- ط. آمال معوشي وأ.د.أحمد صاري

2- الميسري عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد 5

و 3، الرابط www.elmessiri.com بتاريخ 13/04/2007

4- المراجع باللغة الفرنسية:

1- Ben Hassine Karima, la vie associative dans le département de Constantine 1901-1945, thèse de doctorat d'état, département d'histoire et d'archéologie université Mentouri, Constantine, 2006.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسّطنطينية الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1131-1103 تاريخ النشر: 25-03-2021

هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العماني للمدينة (الجزائر الرومانية)

Donations from Roman women and their contribution to the urban development of the city (Roman Algeria)

الطالب صادق عرباوي

saddek.arbaoui@univ-emir.dz

أ.د سليم دريسي

جامعة الجزائر²

تاريخ القبول: 2021/01/24

تاريخ الإرسال: 2020/06/15

I. الملخص:

تفحصنا للوثائق الإيغراافية التي تشير للهبات المالية بالمدن الرومانية بالجزائر وفرت بعض المؤشرات المباشرة التي تكشف لنا وجود المرأة الرومانية إلى جانب الرجل في المجتمع الحضاري العماني، وبذلك فهي تنقض الصورة التقليدية التي تناقلتها عنها غالبا المصادر الكتابية كون أن مكانتها في الحياة اقتصر على الزوجة أو الأم فقط.

يندرج هذا المقال من حيث المبدأ ضمن البحوث المتخصصة في مجال علم الإيغراافية أي دراسة نصوص النقيشات الأثرية اللاتينية، وبالتحديد تلك المتعلقة بميدان دراسة الهبات المعمارية الرومانية بالجزائر، وهذا محاولة منا لمعرفة مدى مساعدة المرأة الرومانية من خلال هباتها المالية في تحقيق التنمية الحضارية بالمدن التي استفادت منها، وما الدافع وراء ذلك؟



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمرياني ——— ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي

الكلمات المفتاحية: الهبات المالية؛ النقشات اللاتينية؛ المرأة؛ الجزائر الرومانية؛

العمان.

I. Abstract :

Our examination of the epigraphic documents that refer to financial donations in the Roman cities of Algeria have provided some direct indications that reveal to us the presence of Roman women alongside men in the civilized urban society, thus invalidating the traditional image that was often conveyed by written sources, given that the women's place in Roman life was limited to the role of wives and mothers.

This article falls in principle within the specialized research in the field of epigraphy, that is, the study of the texts of archaeological Latin inscriptions, specifically those related to the field of studying Roman architectural gifts in Algeria, and this is an attempt by us to know the extent of the contribution of Roman women through their financial statues in achieving civilized development in cities that they benefited from, and what was the motive behind this ?

Keywords: Evergetism; Latin inscriptions; women; Roman Algeria; town planning.

1. المقدمة:

امتاز العالم الروماني القديم بخاصية تميز بأهميتها لصالح العام، مثلت هذه الخاصية فيما يعرف بالهبة المالية أو العطاء الذي كان يقدم من طرف الخواص لأجل صالح العام. اعتبرت هذه الخاصية أحد ركائز الحياة السياسية في المدن الرومانية وبمثابة المحرك الاقتصادي لها وازدهارها.



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمري ----- ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي

على الرغم من عديد الدراسات التي أجريت حول المرأة ودورها في المجتمع ، والجوانب المختلفة لحياتها الخاصة أو الأسرية، ولكن بعض الحالات لا تزال تفتقر للدراسة ، ولا سيما دور المرأة في المجال الحضاري، بسبب الافتقار إلى الوثائق التي تتطرق لهذا النوع من المعلومات. تفحصنا للشواهد الإيقافية اللاتينية التي عثر عليها بمدن الجزائر وفر لنا مجموعة من النصوص التي تثبت لنا مساهمة المرأة الرومانية بالجزائر في التنمية المعمارية للمدينة، كونها قدمت هبات مالية لصالح المدينة، ليتم تحسينها في شكل مباني معمارية كالمعابد، الأسواق والمدارح ... إلخ.

وعليه يهدف هذا البحث لدراسة نظام الهبة المالية الرومانية من ناحية المفهوم ومشروعاتها، وكذا التعريج على اسهامات المرأة الرومانية في التنمية المعمارية للمدن بالجزائر، وما الدافع من ورائها؟ هل قدمت هذه الهبات من طرفها أو مجتمعية أفراد عائلتها بشكل عفوياً وحر، وذلك حباً منها لوطنه؟ أم أن أعمالها يملئها عليها التقوى الشخصي (الجانب الديني)؟ أم بدافع سياسي اقتصر على شرف التعيين في منصب ما، أملا منها للارتقاء في المراتب المختلفة للسلم الشريفي بالمدينة الرومانية، وبالتالي تعزيز مكانتها الاجتماعية بما؟

2. لحة تاريخية عن مصطلح الهبة المالية:

ظهر التفاعل الإيجابي مع ظاهرة العطاءات المالية منذ الحضارات القديمة على اختلاف أدیانها وعتقداتها: البابلية، قدماء المصريين وعند الإغريق والرومان وحتى المسلمين، فرغم اختلاف التسميات التي أطلقها، غير أن تطبيقها لم يخرج عن



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمري ----- ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي

معناها الجوهرى لما يطلق عليه بالهبات أو العطاءات أو بالوقف عند المسلمين.¹ اشتقت مصطلح ظاهرة الهبة المالية "évergétisme" من الكلمات اليونانية evergétès (المتبوع) و evergésia (الإحسان)، التي اشارت لها المراسيم التنفيذية الشرفية الهنستية للمتبرعين وهبائهم،² اين كرمت المدن أولئك الأشخاص الذين فعلوا الخير للمدينة من خلال أمواهم أو من خلال خدمائهم العمومية.³ اليوم أصبح استخدام هذا المصطلح شائعاً بين المؤرخين، بسبب دراستين مستقلتين، والثانى أوضحتها بالنسبة لحياة المدينة الهنستية والرومانية في ممارسة المديرة لصالح العامة من طرف الأفراد. الدراسة الأولى هي كتاب "فين بول Veyne P." الذي ظهر في سنة 1976، والذي اهتم باللاحظات الاجتماعية التي يمثلها ممارسة المديرة للمجتمع خلال الفترات القديمة الاغريقية والرومانية، كما شرح دوافعها الاجتماعية والأخلاقية والعقلانية. أما الدراسة الثانية فكانت من طرف "غوت Gauthier Ph." في كتاب ظهر في سنة 1985، والذي تحدث فيه عن المكانة المخصصة للمتبرعين في المؤسسات والحياة المدنية للمدن الهنستية، وكذلك التشريفات التي تحت لهم.⁴

¹- مقارنطة (مختلة)، العطاء ببلاد المغرب القديم: موريطانيا القصيرة أنوذجا، الملتقى الدولي حول الوقف ومصطلحاته بين الواقع الاجتماعي المحلي والمعايير الفقهية، مجلة الناصرية، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد 7، معسكر، دون سنة، ص.224.

²- Gygax (M. D.), Contradictions et asymétrie dans l'évergétisme grec : bienfaiteurs étrangers et citoyens entre image et réalité, In: Dialogues d'histoire ancienne, Vol. 32, N°1, 2006. p. 11.

³- Veyne (P.), Le pain et le cirque, Sociologie historique pluralisme politique, 27 rue Jacob, Paris Paris Vle, 1976, p. 20.

⁴- Cédric (B.), Les bienfaiteurs, «sauveur» et «fossyeurs» de la cité hellénistique? une approche historiographique de l'évergétisme, Dans:



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمري ----- ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي

تعتبر الهبة المالية بالمدن الرومانية بمثابة ظاهرة ذات معنيين، ظاهرة العطاء والخدمة، ولكن أيضا الشرف المنوح في المقابل، والذي يكفيه به المجتمع المتبرع، فبدون اعتراف رسمي من طرف المدينة لن يملك صفة المتبرع، ومن دون متبرع لا يمكن التحدث عن التبرع.¹ تعد كذلك بمثابة احدى الركائز السياسية في المدن الرومانية ومتتابعة الحرك الاقتصادي والعمري لتطور المدن وازدهارها لأنها تتعلق بإهداءات يقوم بها أعيانها، تكون في شكل بنايات، تساهم في ترقيتها.² هذه الهبة يمكن أن تقدم بشكل حر دون أي شرط من طرف بعض الأفراد وذلك حبا منهم لأوطانهم، أو تكون إجبارية قانونية ob Honorem لأي شخص يأمل في الارتقاء إلى المناصب العليا وفق السلم الاداري المحلي للمدن الرومانية.³

1.2 الهبات العفووية:

هي التبرعات المقدمة من طرف النبلاء عن طيب خاطر أو بشكل عفوبي، من دون أي إلزام قانوني، جاءت من خلال حب المتبرعين لأوطانهم⁴ ذلك الحب تجاه

L'huile et l'argent, Actes du colloque tenu à Fribourg du 13 au 15 octobre 2005, Paris, 2009, P. 39.

¹- Gygax (M. D.), Op-cit, P. 11.

²- مهنتل جهيدة، الهبات المالية-Évergétisme- في النظام المحلي لمدن المغرب القديم من خلال النقاش، في مجلة آثار، أعمال الملتقى الخامس حول: دور البحث العلمي في الحفاظة على التراث الاثري، العدد 12، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، سنة 2015، ص. 95.

³- Le Glay (M.), Evergétisme et vie religieuse dans l'Afrique romaine, In: L'Afrique dans l'Occident romain (Ier siècle av. J.-C. - IVe siècle ap. J.-C.) Actes du colloque de Rome (3-5 décembre 1987) Rome : École Française de Rome, 1990.P. 78-79.

⁴- Le glay (M.),Op-cit, P. 79.



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمري ----- ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي

الوطن أمر محسوس في العطاءات التي يقدمها النبلاء لصالح مجتمعات مدنهم.¹ وكذلك رغبة منهم في اظهار نجاحاتهم الاجتماعية، والتي يعتبرها "لوغلي مرسال" بمنابة إشارة واضحة على الحماية الإلهية، وتظهر بشكل جلي تلك الرغبة في التباهي والترجسية في اعلان تكلفة المعالم المشيدة وبالتالي أهمية التبرعات.²

2.2 الهبات الشرفية:

هي تبرعات مقدمة بمناسبة التعيين لشرف عمومي (منصب الماجسترا، الكهنة أو لمنصب بلدي)، هذا النوع من التبرع قدم ثلاثة أنواع من النعم، وهي مقترنة مع بعضها البعض:

كان النبلاء والماجسترا عند اعتلاّتهم للرتب التشريفية في المجلس البلدي يدفعون قيمة مالية شرفية، تعتبر هذه الاختير من أهم شروط تقلد المناصب والترقية³، وهي قيمة مالية إيجارية، كانت تدفع إلى الخزينة العمومية، مالم يتم توجيهها للبناء.⁴ تعرف بالمصطلح اللاتيني *legitima Summa honoraria* أو *summa Summa* بحسبها في القوانين المحلية للمدن الرومانية والتي تأخذ صبغة هبة مخصصة للمنفعة العامة للمدينة ويقوم الفرد بدفعها في بداية مهامه الادارية (مرتبطة بالوظائف السياسية كمسيرين سياسيين) وتحتفل هذه القيمة من مدينة إلى أخرى ومن رتبة إلى أخرى. يعتبرها "بور غال موسوا

¹ يتجلى ذلك من خلال الصيغ المشار لها: حبا للوطن *Ob amorem civitatis* أو لأجل الوطن *Patria sua*

² Ibid, P. 83-84

³ François (J.), *Le privilège de liberté, Politique impériale et autonomie municipale dans les cités de l'Occident romain (161-244)* Rome, Dans : E.F.R., 1984, p. 689.

⁴ Ibid, P-P. 690-691.



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمري ——— ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي

"كونها العنصر الأكثر أهمية في غنى المدن، وكذلك أحد المصادر الأساسية للخزينة البلدية، فهي بمثابة ضريبة غنى الاغنياء الذين يرغبون في الوصول أو الارقاء لمختلف المناصب العليا".¹

كثيراً ما وعد الماجسترا بدفع مبلغ إضافي عن القيمة الشرفية، وذلك في حالة اعتنائهم لرتبة عليا أخرى أو عند امتهانهم لمناصب تشريفية في سياق إدارة شؤون المدينة، حيث تكون القيمة المالية المضافة حسب إرادة الشخص، والتي يحرص المتبرع بها على الإشارة لها في النقاشة بمصطلح *Pollicitus*.² في البداية كان هذا الوعود هو تصرف عفوياً يضاف للقيمة الشرفية المقدمة من طرف المرشح لامتهان المنصب، بعدها أصبح تصرف حقيقي مؤلوف،³ وذلك لسبب الضغوطات الممارسة من طرف المواطنين على

¹-Bourgarel-Musso (A.), *Recherche économique sur l'Afrique romaine*, dans : *Revue Africaine*, V 75, 1934, P. 404.

²- مهنتل (جهيدة)، المرجع السابق، ص. 102.

³ - حسب مرسوم للإمبراطور تراجانوس، فإن تنفيذ الوعود من طرف البلاط أمر حتمي، سواء كان ذلك أثناء حياهم أو من خلال تكليف ورثتهم لتنفيذ ذلك. نص المرسوم "إذا وعد شخص ما المدينة يإنجاز معلم ما، على شرفه أو على شرف شخص ثالث، فإن هذا الشخص في غيابه وغياب وريثه، ملزم بتنفيذ الوعود حتى النهاية، بموجب دستور تراجان المؤله" اشير اليه من طرف: Francois (J.), Op-cit, P.771. (Dig., L, 1, 38 § 2, Papirius Iustus, Livre II des constitutions).



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمرياني ——— ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي
النبلاء المشاركون في الماجسترا.¹ هذا إلى جانب دفع الفائدة في حالة التأخير في التنفيذ
وهذا ما يثبته مرسوم لامبراطور سفيروس وابنه كركلا.²
إلى جانب ما سبق ذكره، اشارت الوثائق الایغراهية لنوع اخر من النعم وهي
الهبات التي قدمت بصيغة الوصية، والتي يعين فيها اشخاص للتصرف فيها بحكم تعينهم
كورثة، لتنفيذ إرادة المتوفى بعد موته. كانت هذه الوصايا عبارة عن مبالغ مالية أورثت
للغرض انشاء المباني، لذلك يعرفها الأستاذ "عدنان الحميدي"³ في أطروحته دكتوراه،
على "أنما الفعل القانوني لآخر إرادة أو رغبة، وذلك بصفة رسمية (قانونية)، تصبح سارية
المفعول بعدة وفاة الوصي مباشرة".

3. هبات المرأة الرومانية المعمارية بالجزائر:

عامة الهبات المعمارية المشار لها في النقاشات اللاتينية، لا يتم فيها تعين هوية
المستفيددين، فهي تكون دائماً موجهة نحو المدينة وتطورها العمرياني، على عكس هوية
المتبرعين التي هي جد معروفة، أين قدمت دائماً الالقاب التي تقلدها المتبرعين لغرض
الاشعار والتفاخر، وعدم ظهور هوية المتبرع في الهبة لا يمكن تفسيره إلا بتشهو في حقل

¹- Lahmedi (A.), *Testament facere: legs et évergétisme testamentaire dans les provinces romaines d'Afrique*, Thèse en vue de l'obtention du doctorat en Histoire ancienne, Faculté sciences humaines et sociales, Tunisie, 2015/2016, P. 173.

²- نقل المرسوم من طرف يولبيانوس Vopianvs، نص المرسوم: "إذا وعدنا شخص ما احدى المدن
يأخذ معلم ما أو إعطاء المال، فلن تتوجب عليه أي فائدة، ولكن اذا بدأ في التأخير، فيتوجب عليه
إضافة الفوائد، وذلك كما أشار له امبراطورنا ووالده في النقاشة" أشير له من طرف: Francois
(J.), *Ampliatio et mora : Evergètes récalcitrants d'Afrique romaine*, Dans:
Ant. Afr., N° 9,1975, p. 162.

³- Lahmedi (A.), Op-cit, P. 157.



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العماني ——— ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي

الكتابة، وعلى عكس ذلك قد يبدو من غير الضروري الاشارة لموضوع المبة عندما تكون الكتابة منقوشة على المعلم نفسه.¹

تشير الدراسات الاثرية أن التنمية العمانيّة في الجزائر الرومانية كانت إلى حد كبير عمل المجتمعات المحليّة نفسها، لكن تدخل المترعين من المواطنين الآثرياء ساهم كذلك في هذه التنمية، فعمليات البناء والترميم والتزيين للمباني ذات الاستخدام العام هي أحد الحالات التي حظيت بهذا النوع من التبرع، فعلى غرار التبرعات التي قدمها الإباطرة والحكام بحكم مناصبهم السياسيّة التي تتطلب ذلك، اعتبر هؤلاء النبلاء والماجسترا التبرع المادي (العماري) للمدينة كواجب رئيسي، وذلك لاعتقادهم أن المباني لها صبغة المتنانة والدوام يذكر فيها التبرع.

تفحصنا للوثائق الإيغرافيّة وفرت بعض المؤشرات المباشرة التي تكشف لنا وجود المرأة الرومانية إلى جانب الرجل في المجتمع الحضاري العماني، وبذلك فهي تنقض الصورة التقليدية التي تناقلتها عنها غالبا المصادر الكتابية كون أن مكانتها في الحياة اقتصر على الزوجة أو الأم فقط.² لمعالجة هذا الموضوع تعد نصوص النقشات اللاتينية أهم المصادر الأساسية والموثوقة، فهي بمنابع مرآة عاكسة للمجتمع الذي كان يقطن بها، والتي نشرت في مجمع الكتابات اللاتينية (*Corpus Inscriptionum Latinarorum, VIII*)... إلخ، إلى جانب تلك التي تم ذكرها في السنة الإيغرافيّة (*Année Epigraphique*)... إلخ، وبالرغم من أن محمل ما وصل إلينا من هذه المصادر الكتابية والمتعلقة بالمباني المقدمة من طرف المرأة تتصرف بقلة العدد والدقة أحيانا، وأحيانا أخرى غير كاملة، غير أنها لا تخلو

¹— Frezouls E., *Évergétisme et construction publique en Italie du Nord (Xe et XIe Régions augustéennes)*, École Française de Rome, 1990, p. 185.

²— Benseddik (N.), *Manuslanis occupate... Femmes et métier en Afrique*, dans : *Antiquités Africaines*, 45, 2009, P. 103.



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العماني ——— ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي

من أهمية كبيرة، فهي تعطينا ولو فكرة نسبية عن مساهمات المرأة الرومانية في تطور مديتها من الناحية العمرانية.

سمحت لنا هذه الدراسة بإحصاء اثنا عشر (12) نقيشة تشير لهبات معمارية قدمت من طرف المرأة بالمدن الرومانية بالجزائر، مخصصة لبناء معالم عمومية ذات أهمية كبيرة في النسيج العماني للمدن الرومانية كالأسواق، المعابد والمسارح... إلخ. لعل من بين المباني التي نعرف تكلفتها هو مسرح ¹Calama، والذي أشير لتكلفته في قاعدة مفقودة حاليا، نصبت من طرف مجموعة من المواطنين على شرف كاهنة المدينة "أنيا أيليا" "Annia Aelia" شكرًا لها على تبرعها بـ 400 ألف سيسترس لبناء مسرح بالمدينة (جدول رقم 01)، وهو ما يعادل تعداد فارس،² كما تعد أيضًا واحدة من أكبر الهبات بالمقاطعات الرومانية الأفريقية بعد معبد الكابitol بلمباز.³ تذكر النقيشة أن هذه المرأة

¹ - نص الكتابة:

Anniae Aeliae Restitutae / flam(inicae) perp(etuae) ob in/signem liberalita/tem pollicitatio/nis eius HS CCCC(milium) n(ummum) / at theatrum faci/endum cui cum or/do ob eam causam sta/tuas quinque de pu/blico pon[i] censuis/set etiam ob merita / L(uci) Anni Aeli Clemen/tis flam(inis) Aug(usti) p(er)p(etui) patris / eius cui aere conla/to universi cives sta/tuam posuissent / [3] unive[rsus(?)] 3] / [3] d(ecreto) d(ecurionum)

² - Briand-Ponsart (C.), Les dames et la terre dans l'Afrique romaine, Histoire & Sociétés Rurales 2003/1 (Vol. 19), p. 87.

³ - بـ 600 ألف سيسترس، من طرف مدينة تيمقاد، وذلك تنفيذا لاثمان fidecommis ماركوس سيدوس روفوس M. Sedus Rufus، أنظر: CIL 08, 18227



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمرياني ط. عرباوي صادق وأ.د سليم دريسي

"أنيا أيليا" كانت برتبة كاهنة بالمدينة، وبالتالي فهي تنتمي إلى مجموعة صغيرة من العائلات التي تتقلد بشكل منتظم المناصب الماجستير، والتي تعتبر من أغنىاء المدينة.¹ تكلفة بناء هذا المسرح تطرح تساؤلا حول ما إذا كان هذا المبلغ هو التكلفة الإجمالية لهذا المبنى؟ فالنقاشة لم تسمح لنا بامتلاك فكرة دقيقة على أهمية التكلفة التي خصصتها "أنيا أيليا" لبناء هذا المسرح خاصة وأن المعلم لم يتبقى له أي أثر مادي، حتى في حالة أن المعلم تكلفته معروفة (مشار إليها في النقاشة) لا تكشف أهميته الحقيقية، خاصة إذا كان المبنى قد هيأ على أرضية غير مسطحة، الأمر الذي يتطلب الحفر، وفي حالة أن مواد البناء غير متوفرة في المكان، أوفي حالة أن اليد العاملة مجانية² أو مدفوعة، كذا اللجوء إلى يد عاملة مؤهلة من مدينة المجاورة أو بعيدة.³ رغم ذلك تقترح الأستاذة "بريون بونسار كلود Briand-ponsart C." أن تكون "أنيا أيليا" قد مولت فقط الاعمال الكبيرة لهذا المسرح، والذي زين فيما بعد، مثلما هو الحال مع العديد من المسارح في مدن المقاطعات الرومانية الأفريقية.⁴

¹-Briand-Ponsart (C.), Les donations chiffrées en Afrique du Nord romaine, d'Auguste à Dioclétien (27 av. J-C -305 ap. J-C), Thèse de doctorat, Inédit, Paris IV- Sorbonne, 1996, P. 443.

²- في هذا الشأن يكشف لنا أن الشعب هو الذي كان يوفر العمل اليدوي المخابي ، فالعديد من النقياشات التي أشارت لمباين عمومية مبنية أو مرئية من طرف الشعب مثل: خزان مياه بتديس-ILAAlg-02-01، الحمامات الجنوبية الكبيرة بتيمقاد

³- Mansouri (Kh.), Le coût des monuments publics en Numidie, dans : Africa romana XIX, Roma 2012, P-P. 719-720.

⁴- Briand-Ponsart (C.), Les donations chiffrées ..., Op-cit, P. 444.



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العماني ----- ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي

ييدوا ان تكلفة البناء كانت أكثر في بناء مسرح مدينة مادور بسوق أهراس (بلغت تكلفته 370 ألف سیسترس)¹ مقارنة مع تكلفة بناء مسرح قالمة، بالرغم أن الاشارة الرقمية تقول العكس، وذلك كون أن مسرح قالمة نصب في مكان تقربه الحرارة الرخامية والجيرية، عكس موقع مادور الذي يتطلب البحث عن مواد البناء بشكل بعيد من جهة، ومن جهة أخرى قد يكون ذلك لكونها موجودة في منطقة زراعية وصناعية. عدم تواجد مختصين بالهندسة المعمارية بمدينة مادور، من دون شك يمكن ذلك قد دفع بمسؤوليها جلبهم من مناطق بعيدة وهو ما يتطلب تكاليف زائدة.²

تشير نقيشة عشر عليها أيضاً بمنطقة قالمة (جدول، رقم 02)،³ تؤرخ بالحكم المشترك للإمبراطوريين دو كليسيانوس ومكسيميانيوس 286-293 للميلاد، لبناء معبد للاله أبولون بقيمة 350 ألف سیسترس، تم دفع هذا المبلغ على شطرين. التكلفة الأولية قدمت من طرف "أرمينيا فاديلا" Arminia Fadilla، وذلك بمبلغ 150 ألف سیسترس، أما الشطر الثاني بقيمة 200 ألف سیسترس قدم من طرف متبرع ثانٍ، لم تتمكن النقيشة من التعرف عليه بسبب تعرضها لتهشم في ذلك الجزء. اقترحت الأستاذة "بريون بونسار كلود" ان يكون هذا المتبرع وريثها أو منفذ وصيتها أو مكمل للقيمة الأولية،

¹ – ILAlg-01, 02121.

² – Bourgarel-Musso A., Op-cit., P. 388.

³ – نص الكتابة:

Saeculo b{a}eatissimo dd(ominorum) nn(ostrorum) C(ai) Aureli [Valeri Diocletiani Pi]i Felicis Invicti Aug(usti) [et M(arci) Aureli Valeri Maximiani Pi] Felicis Invict]i Aug(usti) templum Ap[ollinis 3] / [3] ab Arminia Fadilla HS CL milib(us) n(ummum) et [3] HS CC mil(ibus) n(ummum) per[fectum(?)] 3 de]dicatum C[//]O resultantem VE[3] / [3]S a fundamen[tis restituit(?)] 3 // [3]LATEREPAR moeni[a(?)] 3 / [restitu]it perfecit exco[luit]



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمري ----- ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي

بسبب تدهور القيمة النقدية في هذه الفترة.¹ ربما أضيفت القيمة المالية الثانية بعد أن تبين عدم اكتفاء المبلغ الأولي لإنجاز الأعمال المقصودة، لذلك كان من الضروري إضافة قيمة مالية ثانية مهمة للمبلغ الأولي، ليصبح المبلغ الإجمالي لإنشاء ذلك المعبد هو 350 ألف سبيسترس، الشيء الملفت للانتباه هو أن هذا المبلغ الذي يبدو جد مهم، يعود للفترة المتأخرة (فترة التدهور النكدي)، وبالتالي لا يمكن مقارنته بالمبلغ الذي قدمته الكاهنة "أنيا أيليا".²

في ثموقادي Thamugadi³ (جدول رقم 03) نجد كل من "أنيا كارا Annia Cara" واحتها "أنيا ترانكيلا Annia Tranquillina" بناة ماركوس أنيوس إيلاروس M. Annus Hilarus فرتونا الأغسطسية Fortuna Augusta، والتي هي في الأصل وصية ترکها "بروتوس Protus" لأبيهما. الوصية نفذت بتأخير والسبب الذي سمح لنا التأكد من ذلك هي الصيغة: بمال بورتوس وابيهما أنيوس إيلاريوس Anni Hilari Sui Pecunia Proti، النص يسجل بوضوح أن المال جاء من الثروة الشخصية لـ: "إيلاريوس"، ومشاركته المالية في الإهداء لا تظهره كوريث أو منفذ وصية "بروتوس"، فهذا الاخير أودع بدون شك لـ: "إيلاريوس" عناء تنفيذ رغباته وقد ترك المبلغ الضروري لذلك Pecunia Proti.

¹ – Briand-Ponsart (C.), Les donations chiffrées ..., Op-cit, P. 446.

² – Ibid, P. 447.

³ – نص الكتابة:

Fortunae Aug(ustae) / Anniae M(arci) fil(iae) Cara flaminica et Tranquilla statuam quam / testamento suo Annus Protus ex HS XXII(milibus) legave/rat pecunia Proti et Anni Hilari patris sui / comparatam posuerunt et adiecta de suo ae/de ex HS IIII(milibus) CCCC dedicaver(unt) epulo curiar(um) d(ecreto) d(eurionum)



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمري --- ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي

و الذي يقدر بـ: 20 ألف سيسترس. "أنيا كارا" وأختها "أنيا ترانكيللا" ورثتا حتمية تنفيذ الوصية بعد موت أبويهن "إيلاروس" الذي أهل تنفيذ الوصية. هاتين الاخيرتين عندما توجب عليهن رفع هذا التمثال لم يدفعن فقط المبلغ المتزوك من طرف "بروتوس" ولكن دفعنا الفوائد المناسبة لتأخر أبيهما، والذي أخذ من الثروة الابوية Pecunia patris sui مقدس بـ 4400 سيسترس، وحسب الباحث "فرنسوا جاك. J. Francois" يتناسب ذلك المبلغ مع تأخيرهما في تنفيذ وصية أبيهما² والذي يقدر بثلاث سنوات وستة أشهر (بنسبة 6% سنويا) وأربع سنوات (بنسبة 5% سنويا)، عملا بمرسوم الامبراطور أنطونيوس التقى.³

في نفس المدينة عشر على نقشة⁴ تشير لبناء سوق، من طرف ماركوس بلوتينوس فوستوس M. Plotius Faustus وزوجته فالونتينا Valentina (جدول، رقم 04)،

¹ – Francois (J.), Ampliation et mora ..., Op-cit, p. 177.

² – Ibid.

³ – Digeste, L, 10, 5 § pr, Ulpian, Livre unique des fonctions du curateur de la cité (trad. Francois (J.), Le privilège, 306, LAHMEDI (A.), P. 141. Trad., H Hulot et J-F Bertgelson, Les cinquante livres, T. 7, 575.)

⁴ – نص الكتابة:

M(arcus) Plotius Faus/tus eq(ues) R(omanus) a mili/tiis III fl(amen)
p(er)p(etuus) / sacerdos ur/bis ad exor/nationem ope/ris macelli / quod
cum Va/lentina con/iuge patri/ae suae fecit / sibi posuit

⁵ – تشير النقشة أن "ماركوس بلوتينوس فوستوس" زوج "فالونتينا" كان فارس روماني وكاهن دائم وكهنوت المدينة.



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمرياني ط. عرباوي صادق وأ.د سليم دريسي

وذلك من أجل وطنهم، ويتجلى ذلك من خلال الاشارة لصيغة *patriae suae*. إلى جانب ذلك قاما بإنشاء متزل على أرضية تقدر بـ: 75 متر على 36 متر وهو أفخر متزل في تيمقاد، تدعم هذا المتزل محلات تجارية، هاته الأخيرة كرائها ساهم في رفع دخلهما، وهي حالة نادرة، تمكنا من تصور مصدر دخل آخر غير الأرض لزيادة ¹الثروة.

عثر بمدينة لمباز Lambèse وبالضبط في منطقة عين النمور على نقشة² تخلد بناء معبد للإله ساتورن مع رواقه ومذبحه (جدول، رقم 05)، ارخت من خلال إشارتها لـ: "كركلا" Caracalla وأمه "جوليا دومنا Iulia Domna" بفترة 211-217 للميلاد، وهي الفترة التي تقلد فيها كركلا للحكم الامبراطوري.³ أهديا هذا المعبد من طرف لوكيوس فيتوريوس فيليكس L. Veturius Felix ولوكيما كيتا Lucia Quieta، التي قد تكون زوجته.

في مدينة كويكول تم فيها العثور أيضا على نقشة تعود للفترة السيفيرية،⁴ تشير لبناء بروناوس معبد الإله ساتورن وتزيينه بالأعمدة من طرف كايكليليا ماكسيميينا

¹ – Briand-Ponsart (Cl.), Les dames et la terre dans l'Afrique..., Op-cit, P. 87.= CIL 2394, 2399, 17904, 17905.

² – نص الكتابة:

Pro salute Antonini Imp(eratoris) et Iuli(a)e Domn(a)e po(suerunt)
sa(cerdotes) eor(um) / Saturno Domino et Opi / Reginae sac(rum) templum
et / aram et porticum fecerunt / L(ucius) Veturius Felix et Lucia Quieta /
feliciter

³ – Legly (M.), Saturne Africain, Monuments, T. 02, Centre national de la recherche scientifique, 15 Quai Anatole France, Paris VII, 1966, P. 82.

⁴ – نص الكتابة:



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمرياني ط. عرباوي صادق وأ.د سليم دريسي

Caecilia Maximina و كايكليليا ... Caecilia ... كايكليليا (جدول، رقم 06)، واللتان قد تكونا اختنان أو الام وابنتها، وذلك لحملهن لنفس الاسم "كايكليليا". قدمت هذه الهمة بعدهما الخاص ¹.curan[te ... F]elice viro eius ومساعدة زوج أحدهن Pecunia sua Diana Cirta وزانا Veteranorum

في منطقة سيرتا وبالضبط في عين مشيرة بين سيرتا و زانا Cirta نقيشة ² تعود للنصف الاول من القرن الثاني للميلاد، ³ تذكر أن "انطونيا ساتورنينا Antonian Saturnina" أَسْسَت قرية Vicus وبنت سوق Nundina ريفي، ⁴ على ملكيتها العقارية (جدول، رقم 07)، كانت متزوجة بـ: "كايوس أريوس باكتوس C. Arrius Pactus" الذي مول هو كذلك بناء الحمامات. ⁵ وهو ما يثبت غنى هذه العائلة ومكانتها بالمدينة.

مدينة تبوسوكتو Tubusuctu بالقصر حالياً على نصب، يؤرخ بالنصف الأول من القرن الثاني للميلاد، ⁶ يشير لبناء معبد للاله ساتورن (جدول، رقم

Frugifero [Aug(usto) sac]r(um) / Caecilia Maximina et Caecilia Ve[3 pr]onaum cum / columnis sua pec(unia) fecerunt curan[te 3 F]elice viro eius / dedic(averunt) q(ue)

¹ – Legly (M.), Saturne Africain, op-cit, P. 208.

² – نص الكتابة:

Antonia L(uci) f(ilia) Saturnina vicu(m) / et nundina V Kal(endas) et V Idus sui/cuiusque mensi[s] constituit

³ – Chaouali (M.), Les nundinae dans les grands domaines en Afrique du Nord à l'époque romaine, Dans: Antiquités africaines, 38-39, 2002, p. 376.

⁴ – Benseddik N., Op-cit, P.112.= CIL, VIII, 8280= ILS, 6869= CIL, VIII, 20072+ 7037= Gsell St., A.A.A., 1911, F 17, n° 237= CIL, VIII, 7032= ILAlg, 616.

⁵ – Claude Briand-Ponsart, Les dames et la terre dans l'Afrique..., Op-cit, P. 82.

⁶ – Legly (M.), Saturne Africain, op-cit, P. 300.



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمرياني ط. عرباوي صادق وأ.د. سليم دريسي

(08)، من طرف ماركوس اوليوس رومولوس M. Ulpius Romulus وبيترونيا اونوراتا Petronia Honorata.

نقيشة اهدائية عشر عليها ببلدية موفت² Mopht، تشير لبناء بروناوس المعبد من الأساس مع تزينه، من طرف كايليا مايور Caelia Maior وزوجها الكاهن³ (جدول، رقم 09)، الذي لم تسمح النقيشة بالتعرف على اسمه بسبب تحشيمها، وذلك بمبلغ مالي لم يعد معروف بسبب تدهور حالة النقيشة.

العثور على كتابة بمدينة أوزيا بسور الغزلان⁴ سمح التأكيد على وجود معبد بهذه المدينة (جدول، رقم 10)، إلى جانب ذلك معرفة أيضا طبيعة المادة الرابطة المستخدمة في بناء هذا المعبد وهي الملاط الممزوج بالجير والقرميد المسحوق، وذلك من خلال الاشارة

¹- MANSOURI (KH.), Edifices publics et évergétisme en Maurétanie Césarienne sous le Haut-Empire: Témoignages épigraphiques, dans : Africa romana XV, Roma, 2004, P. 1412.

²- موقع صغير يتوسط مدینیتی ستفسیس في موریطانيا القيصرية ومدینة کویکول في نومیدیا على الطريق الرابط بينهما، انظر: عرباوي (صادق)، مدینة موفت -دراسة أثرية وعممارية-، رسالة لنیل شهادة ماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2015، ص. 16.

³- نص الكتابة:

A]ug(usto) sacrum / [3 sace]rdos et Caelia Maior uxor eius et / [3 pron]aum a solo cum suis ornamenti / [3 ex HS 3] n(ummum) fecerunt et dedicaverunt

⁴- نص الكتابة:

Saturno [Aug(usto)] / templum opere signin[o 3] / Marcellus a milit(iis) coloniae [patronus 3 nomine et 3] / Sossiae coniugis libero[rumq(ue) suorum fa]/miliaeque suaे voto destin[atum 3 fecit]



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمري ——— ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي
لصيغة *opere signino*.¹ وضع النقشة للإله ساتورن من طرف مارسيلوس Marcellus حاكم المستعمرة، وزوجته وأبنائهما.
بنفس المدينة (جدول، رقم 11)، تشير كتابة تورخ بـ: 235 للميلاد (الموافق لـ: 196 من التاريخ الاقطاعي المشار له في النقشة) لبناء وتزيين معبد لالمة بونة Bona، من طرف لوكيوس كاسيوس ريسستيتوس L. Cassius Restutus وكلاوديا Claudio Luciosa لوكيزا ². *pecunia sua* وذلك بمالهم الخاص *aquagium novo opere a solo extractum* بعين ثوشنت، تشير كتابة³ لتجديد بناء ناقلة مياه Terentius Cutteus وزوجته وأولادهما (جدول، رقم 12).

4. الغرض من وراء تقديم الهبات:

قدمت المرأة الرومانية على غرار الرجل هبات معمارية جد مهمة، فمثلا مسرح قاما يعد ثاني أكبر تكلفة تشير لها النقشات بعد معبد الكابitol بلمباز، ليس فقط لكونها تملك الإمكانيات، وإنما لكون شخصيتها (كاهرة مثلا) التي يتوجب عليها أن تكون

¹— Legly (M.), *Saturne Africain*, Op-cit, P. 308.

²— نص الكتابة:

Deae [Bonae Va]letudini Sanc(tissimae) / L(uci)us Cass[ius Restu]tus ex dec(urione) vet(eranus) / fl(amen) p(er)p(etuus) co[l(oniae) et Clo]dia Luciosa eius / templ[um cum orna]mentis sua pecu/nia fece[runt dedica]veruntque et / rei p(ublicae) do[no deder]unt pr(ovinciae) CLXXXVI

³— نص الكتابة:

[Te]rent(ius) Cutteus et Ma[3] / Monnula eius una cum / Terentiis Cutteo Ianuario Considio / Augustino et Feliciano [fi]li(i)s / aquagium novo opere a so/lo extractum suis possessionibus / constituerunt et dedicaverunt



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمرياني ط. عرباوي صادق وأ.د. سليم دريسي

حساسة وقدوة بتجاه العامة ولغرض اظهار ثروتها وكرمها¹ وكذلك رغبة منها في الفخر وحبا في وطنها *Patria sua* أو إرادة منها لتنزيء مدتها حتى يتجاوز غنى مدتها غنى المدن المجاورة، ويظهر ذلك بشكل جلي في النقيشات التي اشارت لهذه الهبات، اين تظهر رغبة المرأة المتبرعة في استقرار ثروتها وعظمتها، وذلك من خلال بحثها لتقدم مدتها التبرعات الأكثر روعة² من خلال منح مديتها مباني رائعة، وحصلوها في المقابل على تشريفات والتقديرات، تقدم من طرف المواطنين، الذين يلقبونها باسم مزينة المدينة *ornator civitatis* أو مزينة الوطن *ornator patriae*³.

قدمت المرأة الرومانية هبات معمارية في مختلف اصنافها: ترفيهية، تجارية ودينية... غير أن هذه الاخيرة تطغى بشكل كبير على طبيعة الهبات التي قدمتها والتي اقتصرت على المعابد⁴ قد يرجع ذلك اما لسبب ارتباط المرأة المتبرعة بالآلهة تلك المعابد التي اسسواها (يعملون بمعابدها مثلا) أو أن أعمالها يميله عليها التقوى الشخصي. صحيح أن هذه التبرعات لها صبغة دينية أي ان المعنى الديني موجود، غير أنه ثانوي، يمكن أن يقدم الاهداء للإله، ولكن محتوى النقيشة يندرج ضمن حقل سياسي اجتماعي، فالإشارة للآلهة في الكتابات الشرفية يؤكّد فقط الارتباط الذي يوحد المجال الديني والعالم

¹ – Veyne (P.), Op-cit, P. 17.

² – Bourgarel-Musso (A.), Op-cit., P. 406.

³ – Malissard (A.), *Les romains et l'eau, Fontaines, salles de bains, thermes, égouts, acqueducs...*, Les belles lettres, 2002, P. 301.

⁴ – اوزيا: معبد للإلهة بونة CIL 08, 20747، معبد ساتورن CIL 08, 09023، موفت: واجهة CIL 20428، تبوسكتو: معبد لساتورن CIL 08, T. 02, P. 299، ساتورن، ثوقادي: معبد CIL 08, 17831، كويكول: بروناوس المعبد 07648، ILAlg-02-03، لماز: معبد للاله ساتورن CIL 08, 17487، كلاما: معبد للاله أبولون CIL 08, 02670



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمري ----- ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي

الاجتماعي السياسي. الهدف من التبرعات الدينية هو الحفاظ على الاحتفالات التقليدية داخل المدينة من خلال انشاء المباني، إقامة المهرجانات الدينية... صحيح أن العطاءات تخدم الترعة الدينية، ولكن الدافع الأساسي يكمن في الرغبة في تأكيد الهوية الاجتماعية من خلال الدين.¹

تقديم نفقات باهظة من طرف المرأة الرومانية، لا يمكن تفسيرها فقط بالرغبة في التباكي والترجسية وكذا حب الوطن، فقد يفسر أيضاً بالضغوطات التي كانت على عائلاتهم لتقديم تلك الهبات،² تجلت هذه الضغوط في الجانب الاجتماعي،³ لكون أن شرف عائلتها استوجب عليها تقديم تبرعات مهمة حتى تظهر استحقاقها للمكانة التي ورثتها عن أسلافها، فطبيعة الهبة التي ستقدمها يجعل شرف عائلتها في خطر، لذلك تحاول دائماً التنافس والتباكي في الهبات التي تقدمها حتى تؤكّد أحقيتها بالمكانة في نظر أسرتها وفي نظر مدینتها ومواطنيها⁴، فالعائلة المعروفة بتبرعاتها تعطى لها الأفضلية في تقلد الوظائف البلدية، كما سيكون لها مكانة مرموقة بالمدينة ولدى مواطنيها، ولعل هذا ما يمكن أن نلمسه في نقشة مدينة قالما⁵، التي تشير ان التبرع الاستثنائي ob insinem

¹- Ibid.

²- إذا اخذنا برأي "فين بول" الذي اعتبر أن القيمة المالية المضافة *ampliata pecunia* هي المبلغ الذي يدفع من طرف الورثة لتصييمهم من المكانة التي ورثها أباءهم لهم بالمدينة، عندها نفهم حرص النساء على سمعتهم ومكانتهم الاجتماعية بالمدينة.

³- في الوقت الذي يرى فيه "لوغلي مارسال" أن التبرعات المقدمة من طرف النساء، هي رغبة منهم في اظهار نجاحاتهم الاجتماعية وبالتالي إشارة واضحة على الحماية الإلهية.

⁴- سلوك المtribعين يملئ القانون العام والبلدي، وكذلك الرأي العام. أنظر: Francois (J.), Le *privilège de liberté...*, Op-cit, P. 692.

⁵- CIL 08, 05365 = CIL 08, 17495 = ILAlg-01, 00286 = AE 2012, 01902.



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمري ----- ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي

liberalitatem المقدم من طرف "أنيا أيليا" جعل مسؤولي المدينة يقررون تكرييمها على ما قدمته، من خلال تنصب لها خمسة تماثيل بأموال الخزينة العمومية.

إلى جانب الاعمال التي منحتها المرأة الرومانية بشكل فردي، توجد أعمال معمارية شاركت أفراد عائلتها فيها (الزوج والأولاد)، وذلك إن دل على شيء وإنما يدل على مشاركة المرأة لعائلتها خاصة زوجها في التنمية الحضارية للمدينة، وحرص افراد العائلة على تخليص اسم العائلة، والرغبة في اظهار نجاحاتهم الاجتماعية، وبالتالي فهي علامة واضحة على الحماية الالهية¹. كانت المرأة الرومانية في الأصل من ملاك الأراضي، ولديها أحيانا محلات تجارية ...، يكون مستوى ثرائها متباًع، وبالتالي فهي لديها قاعدة مالية قوية حاولت من خلالها تعزيز الوضع الاجتماعي لعائلتها. حصول المرأة على منصب كاهنة المدينة دليل على الثروة الكبيرة لها من خلال المبلغ الشرفي الكبير الذي كانت تدفعه لغرض تقلد ذلك المنصب، مع العلم انه كان يجب أن لا يتجاوز المبلغ الشرفي دخل السنة لما ستجمعه الارض إما 5 % أو 6 % من رأس المال، لذلك كان الحد الأدنى للثروة هو 400 ألف سيسترس، وهو مؤشر على الانتماء للنخبة المحلية.²

5. الخاتمة:

في الأخير ما يمكن أن نخلص إليه هو أن حب المرأة الرومانية لمدينتها ورغبتها في تقليل مناصب شرفية لغرض تعزيز مكانتها الاجتماعية عند سكان مدinetها دفع بها لتقديم هبات معمارية جد مهمة فاقت في بعض الأحيان التبرعات التي كان يمنحكها الرجل، لذلك كان ينظر لها في بعض المدن بنظرة المثير المثالى، نظير عطاءاتها المعمارية المتميزة

¹– Legly (M.), Evergétisme ..., Op-cit, P. 79-84.

²– Briand-Ponsart (C.), Les dames et la terre ..., Op-cit, P-P. 84-85.



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العماني ————— ط. عرباوي صادق وأ.د سليم دريسى

التي كانت تمنحها للمدينة، وهو ما يفسر حجم الثروة التي كانت تحوز عليها المرأة، وكذا تواجدها في المراتب العليا والشرفية بالمدينة.

رغم قلة الشواهد الإيغراهية المشيرة للهبات المعمارية المقدمة للمدينة من طرف المرأة الرومانية سواء بشكل فردي أو بمعية أفراد عائلتها، وكذا اختلاف دوافعها، إلا انه يجب الاعتراف ان هبائاً المعمارية لا يمكن اعتبارها بمثابة تبرعات بسيطة قدمت من طرف الخواص لصالح المجتمعات البلدية، وإنما هي تبرعات جد مهمة جنباً إلى جنب خزائن المدن استثمار كبير في بناء أو ترميم المباني ودليل ذلك التشريعات التي قدمها الأباطرة في هذا المجال، كما عملت كبدائل على التقصير الذي عرفته المدن في بعض فتراتها خاصة في فترة الأزمات، فيما يتعلق بالجانب العمراني للمدينة.

الرقم	المبني	المتبرع	التاريخ	المدينة	المصدر
01	مسرح	وعد بتبرع من طرف	نظراً لكون		CIL 08, 05365 =
	ألف 400	أنيا أيليا ريسستيتورا	أن أنيا أيليا		CIL 08, 17495 =
	سيسترس	Annia Aelia Restituta	ريستيتورا		ILAIG-01, 00286 =
			كاهنة	كاما	AE 2012, +01902
			أغطسرين،		
			لهذا قد يعود		
			النص لفترة		
			الحكم		
			المشتراك		
			لامبراطورين		
			مار كوس		



مجلة جامعةالأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسطنطينية الجزائر

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1131-1103 تاريخ النشر: 25-03-2021

هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمري ----- ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي

		أوريليوس ولوكيوس فيروس 169-161 للميلاد أو الامبراطورين سبتيميوس سيفيريوس وابنه كركلا 211-198 للميلاد، غير أن " بريون بونسار كلود" ترجعها للفترة الثانية بحكم الخصائص المعمارية لهذا المبنى		
--	--	---	--	--



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسطنطينية الجزائر

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1131-1103 تاريخ النشر: 25-03-2021

هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمري ط. عرباوي صادق وأ.د. سليم دريسي

CIL 08, 17487 = ILAlg-01, 00250 = ILAlg-01, 00297 = AE 2012, 01902	تحت الحكم المشتركة لإمبراطوري ين دو كليسيانو س ومكسيميانيو -286 س 293 للميلاد	أرمينيا فاديلا Fadilla	معبد للاله ابولون 350 بمبلغ ألف سيسترس	02
CIL 08, 17831 = AE 2013, +02143	متتصف القرن الثاني للميلاد، ربما في عهد الإمبراطور أنطونيوس التقي	Annia Cara وأننيا ترانكيلا Tranquilla	معبد chapell e بمبلغ 4400 سيسترس	03
CIL 08, 02399 (p 1693) = D 02753 = AE 2013, +02143	؟	من طرف ماركوس بلوتينوس فوستوس M. Plotius Faustus فالونتينا وزوجته لأجل فالنتينا، Valentina	بناء السوق	04



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمري --- ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي

				وطنيهم	
CIL 08, 02670 = Saturne- 02, p 82 = AE 1908, +00260	لباز	217-211 للميلاد من خلال الإشارة للإمبراطور كركلا ووالدته	فيتوريوس L. Veturius فيليكس ولوكيا كيتا Felix Lucia Quieta	لوكيوس Filix ولوكيا Lucia Quieta فيتوريوس L. Veturius فيليكس ولوكيا كيتا Felix Lucia Quieta	بناء معبد ومذبح ورواق للاله ساتورن
ILAig-02- 03, 07648 = Saturne- 02, p 208 AE 1946, 00106 = AE 2013, +02143	كويكول	الفترة السيفيرية	تبرع خاص من طرف كايكيليا ماكسيميينا Caecilia Maximina وكايكيليا ... Caecilia (احتان أو الام وابنتها) وبمساعدة زوج أخدهنا	بناء بروناوس المعبد مزين بأعمدة	05
CIL 08, 08280 = ILAig-02- 03, 07482 = AntAfr- 2002/03- 376 = AE 2002, +01650	عين مشيرة	القرن الثاني والثالث للميلاد (حسب) إشارة موح الدين شوالي	انطونيا ساتورنينا Antonia Saturnina	قرية سوق	06



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمري --- ط. عرباوي صادق و أ.د سليم دريسي

			في مقاله: Les nundina dans les grands domaines en Afrique du nord à l'époque romaine ()			
Saturne 02, P. 299	تبوسوك تو القصر	النصف الأول من القرن الثاني للميلاد	تبرع خاص من طرف ماركوس اولبيوس M. Ulpius رومولوس Romulus او نوراتا Petronia Honorata	معبد ساتورن	08	
CIL 08, 20428	موفت	؟	تبرع خاص من طرف سكيردوس sacerdos و كايليا مايور Caelia Maior	واجهة معبد	9	
CIL 08, 09023 (p 1960) = Saturne-02, p 308	أوزيا سور الغزلان	القرن الثالث للميلاد، من حلال الإشارة إلى مستعمرة	تبرع خاص من طرف Marcellus مارسيلوس وزوجته وأبنائهما	معبد ساتورن	10	



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسطنطينية الجزائر

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1131-1103 تاريخ النشر: 25-03-2021

هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمري ط. عرباوي صادق وأ.د سليم دريسي

CIL 08, 20747		للميلاد 235 الموافق لـ: من 196 التاريخ الاقطاعي	كاسيوس L. Cassius وكلاوديا Claudia لوكيوس Luciosa	لوكيوس Restutus لوكيوزا Bona	بناء وتزيين معبد للامهة بونة Bona	11
CIL 08, 21671 = D 05769 = AE 1890, 00037	أبولاي عين قوشنت	؟	تبرع خاص من طرف تيرنتيوس Terentius كوتيس Cutteus وزوجته وأولادهما	ناقلة مياه		12

جدول: الهبات المعمارية للمرأة الرومانية بالجزائر

6. البيبليوغرافيا:

1.6 المؤلفات:

- 1- Année Epigraphique, 1900-1980.
- 2- Corpus d'inscriptionum latinarum, T. VIII, Vol. 7, Berlin, 1879-1942.
- 3- François (J.), Le privilège de liberté, Politique impériale et autonomie municipale dans les cités de l'Occident romain (161-244) Rome, Dans : Ecole Française de Rome, 1984.
- 4- HULOT (H.) et BERTHELOT (J-F.), Les cinquante livres du Digeste ou Des Pandectes de l'empereur Justinien, metz, T. 7, 1804.
- 5- Gsell (St.), Inscriptions latines de l'Algérie, I, 1922 ; II 1 1957 et II 2, 1976 par Pflaum (H.G) ; Vol. III, 2003.



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمرياني ط. عرباوي صادق وأ.د سليم دريسي

6- Legaly (M.), *Saturne Africain, Monuments*, T. 02, Centre national de la recherche scientifique, 15 Quai Anatole France, Paris VII, 1966.

7- Veyne (P.), *Le pain et le cirque, Sociologie historique pluralisme politique*, 27 rue Jacob, Paris VI^e, 1976.

2. المذكرات:

1- عرباوي (صادق)، مدينة موفت —دراسة أثرية ومعمارية—، رسالة لنيل شهادة ماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2015.

2- Briand-Ponsart (C.), *Les donations chiffrées en Afrique du Nord romaine, d'Auguste à Dioclétien (27 av. J-C -305 ap. J-C)*, Thèse de doctorat, Inédit, Paris IV- Sorbonne, 1996.

3- Lahmedi (A.), *Testament facere: legs et évergétisme testamentaire dans les provinces romaines d'Afrique*, Thèse en vue de l'obtention du doctorat en Histoire ancienne, Faculté sciences humaines et sociales, Tunisie, 2015/2016.

3.6 المقالات:

1- Benseddik N., *Manuslanis occupate... . Femmes et métier en Afrique*, dans: *Antiquités Africaines*, 45, 2009.

2- Briand-Ponsart (C.), *Les dames et la terre dans l'Afrique romaine*, *Histoire & Sociétés Rurales* 2003/1 (Vol. 19).

3- Bourgarel-Musso (A.), *Recherche économique sur l'Afrique romaine*, dans: *Revue Africaine*, V 75, 1934.

4- Chaouali (M.), *Les Nundinae dans les grands domaines en Afrique du Nord à l'époque romaine*, Dans: *Antiquités africaines*, 38-39, 2002.

5- François (J.), *Ampliatio et mora : Evergètes récalcitrants d'Afrique romaine*, Dans: *Antiquité Africaine*, N° 9, 1975.

6- Frezouls (E.), *Évergétisme et construction publique en Italie du Nord (Xe et XIe Régions augustéennes)*, *École Française de Rome*, 1990.



هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمرياني ط. عرباوي صادق وأ.د سليم دريسي

7- Gsell (St.), *Atlas archéologie de l'Algérie*, 1911, F 17, n° 237.

8- Gygax (M. D.), *Contradictions et asymétrie dans l'évergétisme grec : bienfaiteurs étrangers et citoyens entre image et réalité*, Dans: *Dialogues d'histoire ancienne*, Vol. 32, N°1, 2006.

9- Malissard (A.), *Les romains et l'eau, Fontaines, salles de bains, thermes, égouts, aqueducs...*, Les belles lettres, 2002.

10- Mansouri (Kh.), *Le coût des monuments publics en Numidie*, dans : *Africa romana XIX*, Roma, 2012.

11- Mansouri (KH.), *Edifices publics et évergétisme en Maurétanie Césarienne sous le Haut-Empire: Témoignages épigraphiques*, dans : *Africa romana XV*, Roma, 2004.

4.6 المنشآت:

1- مقرانطة (بختة)، العطاء ببلاد المغرب القديم: موريطانيا القصيرية أنموذجا، الملتقى الدولي حول الوقف ومصطلحاته بين الواقع الاجتماعي المحلي والمعايير الفقهية، مجلة الناصرية، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد 7، معسكر، دون سنة.

2- مهنتل جهيدة، الهبات المالية-Évergétisme- في النظام المحلي لمدن المغرب القديم من خلال النقائش، في مجلة آثار، اعمال الملتقى الخامس حول: دور البحث العلمي في الحافظة على التراث الاثري، العدد 12، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، سنة 2015.

3- Cédric (B.), *Les bienfaiteurs, « sauveur » et « fossoyeurs » de la cité hellénistique ? une approche historiographique de l'évergétisme*, Dans: *L'huile et l'argent, Actes du colloque tenu à Fribourg du 13 au 15 octobre 2005*, Paris, 2009.

4- Leglay (M.), *Evergétisme et vie religieuse dans l'Afrique romaine*, In: *L'Afrique dans l'Occident romain (Ier siècle av. J.-C. - IVe siècle ap. J.-C.) Actes du colloque de Rome (3-5 décembre 1987)* Rome : École Française de Rome, 1990.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1169-1132 تاريخ النشر: 25-03-2021

الشهر القانوني كاداة للإعلام في عالم الأعمال (نطاقه وطريقه)

Legal advertising as a tool for the media in the business world (its field and methods)

د. حكيم وشتاتي

Kimo.ouchtati@gmail.com

جامعة محمد طين دباغين - سطيف 2

تاريخ القبول: 2020/11/16

تاريخ الإرسال: 2020/06/12

الملخص:

يعتبر الحق في الإعلام أمرًا ضروريًا ومفيدًا في عالم الأعمال، لكونه يدعم الثقة والشفافية والائتمان باعتبارها ركائز أساسية لا يمكن الاستغناء عنها في مجال المعاملات التجارية. ولتجسيد هذا الحق على أرض الواقع رتب المشرع على عاتق التجار التزامًا قانونيًّا مفاده وجوب وضع معلومات معينة في متناول الجمهور حسب شكل معين وبأداة معينة وهو ما يعرف بـ: الشهر القانوني.

هذا الأخير (أي الشهر القانوني) الذي ينصب على جملة من المعلومات المفيدة للغير (منها ما يتعلق بحالة الأشخاص، ومنها ما يخص وضعياتهم المالية والمحاسبية، ومنها ما يتعلق بالتصيرات القانونية الصادرة عنهم)، تستخدم لتحقيقه وسائل وتقنيات مختلفة؛ كأسلوب الاطلاع المباشر، وطريقة الإعلانات القانونية لاسيما على مستوى النشرة الرسمية للإعلانات القانونية، وكذا أسلوب السجلات أو الملفات الشخصية.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - فلسطينية المختبر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : 2588-X204

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1169-1132 تاريخ النشر: 25-03-2021

الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

الكلمات المفتاحية: الشهر القانوني - النشر - الإعلام - الإعلانات القانونية
- الاطلاع المباشر.

Abstract :

The right to media is essential and beneficial in the business world, as it promotes trust, transparency and credit as essential and irreplaceable pillars in commercial transactions. To embody this right on the ground, the legislator has placed a legal obligation on the merchants to the effect that certain information must be made available to the public according to a specific form and a specific instrument, which is known as: the legal advertising.

The latter (i.e. the legal advertising), which focuses on a set of useful information for others (some of which relate to the situation of persons, including those regarding their financial and accounting status, and some that relate to legal acts issued by them), used to achieve it by various means and techniques, such as direct access method, and the method of Legal announcements, especially at the level of the official bulletin of legal announcements, as well as the style of records or personal files.

Keywords: Legal advertising- Publishing- Media- Legal announcements- Direct viewing

المقدمة:

لقد خضعت بيئه الأعمال - باعتبارها جانباً من جوانب الحياة الخاصة - لمبدأ السرية حقيقة من الزمن، ساد خلالها الاعتقاد لدى التجار ورجال الأعمال بأن كيفية إدارتهم وتسخيرهم لمؤسساتهم وشركائهم تعد شأنًا داخلياً بحثًا، لذا فهم يعتبرون



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ————— د. حكيم وشاتي

أنفسهم غير ملزمين بتقدیم معلومات أو إعطاء توضیحات لأي كان، طالما أنهم كانوا قادرين على الوفاء بتعهداتهم والتزاماتهم المهنية.

لكن إن وجدت هناك شكوك بشأن ملاءة التاجر أو رجل الأعمال (كمعامل اقتصادي) ومدى قدرته على تسديد ديونه، فإنه من حق الأشخاص الذين يتعاملون معه أو يودون التعامل معه مستقبلاً (كالموردين الذين يزودونه بالسلع والبضائع وغيرها أو البنك الذي تموّل مشاريعه) أن يطلبوا منه المعلومات الضرورية وفي مقدمتها تلك المتعلقة بميزانيته.

وعلى ذلك فمبداً سرية الأعمال (*Secret des affaires*) لا يمكن إعماله بشكل مطلق، سواء على مستوى المؤسسة الفردية (*L'entreprise individuelle*) أو الشركات التجارية (*Les sociétés commerciales*)، فالشركة كأداة مثلاً من حقوقها الحصول على المعلومات المتعلقة بالشركة التي يتبعون إليها لاسمها المالية منها، وإذا كانت هذه الأخيرة (الشركة) قد جأت عليها لادخار فإنه يتبع حينها توسيع دائرة الإعلام لتشمل الغير بصفة عامة (الجمهور الواسع). كما أن إعلام العمال بوضعية المؤسسة، التي يستغلون فيها والتي يتعلق مصيرهم المهني بها، ضروري ولا يمكن تجاهله هو الآخر أو استبعاده. ناهيك عن أهمية تلك المعلومات بالنسبة للدولة سواء لضبط الإحصائيات الرسمية أو لتقدير مختلف الضرائب والرسوم المستحقة لفائدة الخزينة العامة.

ورغم أن الإعلام بهذا الشكل - والذي عادة ما يتم من خلال الشهر القانوني¹ - ضروري ومفيد، إلا أنه ليس مطلقاً بل ترد عليه جملة من القيود¹؛ فمن

¹ - والمقصود بالشهر هنا هو العلانية، بمعنى الإعلام بأمر معين أو مسألة معينة، ومع ذلك يجب عدم الخلط بين الشهر القانوني الذي يعد التزاماً يفرضه القانون على التجار، وبين الإشهار



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

جهة يجب أن لا يتحول الشهر القانوني إلى أداة للإضرار بمصالح المؤسسات والشركات التجارية، كما لو تم اطلاع منافسيها على معلومات سرية للغاية (تستعمل في تقليد منتجاتها أو تستغل بقصد الاستحواذ على جزء من عملائها وزبائنها)²، أو تم نشر معطيات عن وضعها المالي الصعب الذي كان من الممكن أن يظل مجرد أزمة عابرة لو بقيت تلك المعلومات طي الكتمان.

كما يجب من جهة أخرى أن لا يطغى على الشهر القانوني طابع الشكليات الإدارية المعقدة التي تنقل كاهل التاجر ورجل الأعمال، والتي تتنافى في جوهرها مع

التجاري (*La publicité commerciale*) أو الإعلان (*Réclame*) الذي يقصد من وراءه مجرد الدعاية أو الترويج للبضائع والخدمات قصد احتذاب الزبائن والعملاء، فهذا الأخير يتسم بالطابع الاختياري وتكون لصاحبـه - كقاعدة عامة - الحرية في اختيار الوسيلة المناسبة لإجرائه أو القيام به.

وعليه وكما سبق القول فالشهر - الذي هو موضوع بحثنا - يعد التزاماً قانونياً رتبه المشرع على بعض الأشخاص قصد وضع معلومة ما في متناول الجمهور حسب شكل معين وبأدلة معينة، ومن ثم فغايته محددة و مختلفة تمام الاختلاف عن مجرد الترويج أو الدعاية الرامية إلى احتذاب الغير أو التأثير عليهم.

¹- « ...Tout ne doit pas être divulgué n'importe quand et n'importe comment».

Voir: **Yves Guyon**: Droit des affaires, tome1 (Droit commercial général et sociétés), 6^{ème} édition, Paris : Economica, 1990. , p. 928.

²- « ... Certains chefs d'entreprise sont toujours très attachés au secret des affaires, redoutant que les informations qu'on les oblige à diffuser soient utilisées contre eux ou contre la société, tout à la fois par le fisc, les concurrents, les syndicats de salariés et ... leurs actionnaires ».

Voir : **Philippe Merle** : droit commercial (sociétés commerciales), 14^{ème} édition, Paris : Dalloz, 2010, p. 577.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

أهم خصائص النشاط التجاري (البساطة وتشجيع حرية المبادرة الفردية في المجال الاقتصادي).

وعلى ذلك فمسألة الشهر القانوني تستدعي بالدرجة الأولى التوفيق بين الحق في الإعلام (*Le droit à l'information*) من ناحية، والحق في التحكم (*à la discrédition*) من ناحية أخرى، وهو الشيء الذي ليس من السهل دائمًا تحقيقه. لذا فإننا - ومن خلال هذا البحث - سنتساءل أولاً عن حجم ونوعية المعلومات التي من الواجب شهرها أو نشرها، والتي من شأنها دعم الثقة والإثمان باعتبارهما ركيزتين أساسيتين لا يمكن الاستغناء عنهما في مجال المعاملات التجارية وعالم الأعمال. ثم نتساءل في مرحلة لاحقة عن مختلف تقنيات (آليات) الشهر المعتمدة في نظامنا القانوني، وعن مدى فعاليتها في تحقيق الإعلام الأكثر إلاماً وشمولية والأكثر سرعة ودقة.

ويكتسي موضوع البحث بهذا الشكل أهمية كبيرة؛ وذلك بالنظر خصوصاً للفائدة المرجوة من وراء تسليط الضوء على مختلف الأحكام القانونية المتعلقة بالشهر القانوني في عالم الأعمال، ومحاولة اقتراح البديل بشأن النقائص والثغرات التي ينطوي عليها التنظيم القانوني الساري المعمول. ناهيك عن الأهمية الكبيرة التي يكتسيها الشهر القانوني في استقرار المعاملات التجارية من خلال بناء علاقات بين مختلف المتعاملين الاقتصاديين أساسها الشفافية والوضوح.

وسوف تقتصر دراستنا هنا لموضوع الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال على الحديث فقط عن نطاق الشهر القانوني وإجراءاته (على أن نتناول مستقبلاً آثاره القانونية)، معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي وكذا المنهج التحليلي بالإضافة إلى المنهج المقارن (إذا اقتضت الضرورة ذلك).



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

وسنقوم بتقسيم هذا الموضوع إلى مبحثين (2) يضم كل منهما ثلاثة (3)

مطالب وذلك على النحو التالي:

* المبحث الأول: نطاق أو مجال تطبيق الشهر القانوني.

- المطلب 1: الشهر القانوني المتعلق بحالة الأشخاص.

- المطلب 2: الشهر القانوني المتعلق بالوضعية المالية والمحاسبية.

- المطلب 3: الشهر القانوني الخاص بالتصرفات القانونية.

* المبحث الثاني: طرق وأساليب الشهر القانوني.

- المطلب 1: الشهر القانوني من خلال الاطلاع مباشرة على الوثائق أو أحد

صور منها أو إرسالها.

- المطلب 2: الشهر القانوني عن طريق الإعلانات القانونية.

- المطلب 3: الشهر القانوني بواسطة السجلات أو الملفات الشخصية.

المبحث الأول: نطاق أو مجال تطبيق الشهر القانوني

يقوم عالم التجارة والأعمال أساساً على دعم الثقة والائتمان بين المعاملين فيه

سواء كانوا تجاراً أفراداً، مؤسسات أو شركات تجارية، فكل واحد منهم غالباً ما

يلجأ للاقراض (Crédit) لتمويل مشروعه الاستثماري أو لتوسيع دائرة نشاطه، وهو

ما يستدعي بالضرورة قدرًا معيناً من الثقة، ولا يتأت ذلك إلا من خلال الإحاطة

ال الكاملة والدقيقة بالمعلومات المتعلقة بالواقع والتصرفات القانونية التي من شأنها

المساس بوضعية هذا المفترض، لذلك أصبح الشهر القانوني يكتسي – يوماً بعد يوم –

أهمية بالغة سواء المنصب منه على المعلومات المتعلقة بالأشخاص في حد ذاتكم أو تلك

الخاصة بوضعيتهم المالية، ناهيك عن المعلومات المتعلقة بالتصرفات القانونية الصادرة

عنهم.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

وعلى ذلك سنقسم هذا البحث إلى ثلاث مطالب تتناول في الأول الشهر القانوني المتعلق بحالة الأشخاص، ونخصص الثاني للكلام عن الشهر القانوني المتعلق بالوضعية المالية، أما المطلب الثالث فمعالج من خلاله الشهر القانوني الخاص بالتصفات القانونية:

المطلب 1: الشهر القانوني المنصب على حالة الأشخاص

كما سبق القول فالهدف المرجو من الشهر القانوني هو تحقيق العلم الكافي والدقيق - قدر الإمكان - بمختلف المعلومات الخاصة بالجانب الميكيلي أو القانوني (Structure juridique) للتاجر، سواء كان هذا الأخير شخصاً طبيعياً أو شخصاً اعتبارياً (معنوياً). لذلك فقد ألزم المشرع بوجوب القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتمم¹، كل تاجر - سواء كان شخصاً طبيعياً أو معنوياً - بأن يقوم بإجراءات الشهر القانوني وذلك تحت طائلة المتابعة الجزائية².

¹ - القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية، الجريدة الرسمية لسنة 2004 العدد 52 الصادر بتاريخ: 18/8/2004، المعدل والمتمم مرتين: بوجوب القانون رقم 13/06 المؤرخ في 23 يوليو 2013، الجريدة الرسمية لسنة 2013 العدد 39 الصادر بتاريخ: 31/7/2013، ثم يقتضى القانون رقم 18/08 المؤرخ في 10 جوان 2018، الجريدة الرسمية لسنة 2018 العدد 35 الصادر بتاريخ: 13/6/2018.

² - أنظر المادتين: 35 و 36 من القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتمم آنف الذكر.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

فبالنسبة للتاجر شخص طبيعي نصت المادة 15 من القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتمم آنف الذكر على أنه:

"يجب على كل شخص طبيعي تاجر أن يقوم بالإجراءات المتعلقة بالإشهارات القانونية.

هدف الإشهارات القانونية الإلزامية، بالنسبة للأشخاص الطبيعيين التجار، إلى إعلام الغير بحالة وأهلية التاجر وبعنوان المؤسسة الرئيسية للاستغلال الفعلي لتجارته وملكية محل التجاري، وكذا بتأجير التسيير وبيع المحل التجاري.

تحدد كيفيات إجراء الإشهارات القانونية ومصاريف إدراجه عن طريق التنظيم¹.

وعلى ذلك يتحقق هذا النوع من الشهر القانوني أساساً من خلال نشر البيانات الواردة في مستخرج القيد في السجل التجاري²، لاسيما الاسم التجاري الذي يطلقه التاجر على محله التجاري والذي يعد عنصراً هاماً من عناصره المعنوية، وأهليته القانونية خاصة بالنسبة للقاصر المرشد وفقاً لأحكام المادتين 5 و 6 من القانون التجاري، إضافة إلى الموطن وهو العنوان الرئيسي للاستغلال الفعلي للتجارة في حالة

¹ - وبالفعل فقد صدر المرسوم التنفيذي رقم 16/136 المؤرخ في 25 أفريل 2016 الذي يحدد كيفية ومصاريف إدراج الإشهارات القانونية في النشرة الرسمية للإعلانات القانونية، الجريدة الرسمية لسنة 2016 العدد 27 الصادر بتاريخ: 4/5/2016 (أنظر على الخصوص المادة 2 منه).

² - Yves Guyon, op. cit., t.1, p. 930, n° 924.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

النشاط التجاري القار، أو الموطن المختار في محل الإقامة المعتمد بالنسبة للنشاط التجاري غير القار¹.

أما بالنسبة للأشخاص المعنية وفي مقدمتها الشركات التجارية فقد نصت المادة 11 من القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتمم آنف الذكر على ما يلي:

"يجب على كل شركة تجارية أو أية مؤسسة خاضعة للتسجيل في السجل التجاري القيام بالإشهارات القانونية المنصوص عليها في التشريع والتنظيم المعهود بما.

غير أنه، لا تخضع الشركات حديثة التسجيل في السجل التجاري لإجراءات الإيداع القانوني لحسابها بالنسبة للسنة الأولى من تسجيلها في السجل التجاري.

لا تخضع الشركات المنشأة في إطار أجهزة دعم تشغيل الشباب إلى دفع الحقوق المتعلقة بإجراءات الإيداع القانوني لحسابات الشركات خلال السنوات الثلاث (3) المولالية لقيدها في السجل التجاري".

وتضيف المادة 12 من نفس القانون محددة موضوع تلك الإشهارات القانونية بقولها:

"يقصد بالإشهار القانوني بالنسبة للأشخاص الاعتباريين، اطلاع الغير بمحتوى الأعمال التأسيسية للشركات والتحويلات والتعديلات وكذا العمليات التي تمس

¹ - زايدى خالد: الترامات التجارية القانونية، الجزائر: دار الخلدونية، 2016، ص 24. وأنظر في نفس المعنى كذلك أحكام المواد: 18، 19 و 20 من القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتمم آنف الذكر.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

رأس المال الشركة ورهون الحيازة وإيجار التسيير وبيع القاعدة التجارية وكذا الحسابات والإشارات المالية.

كما تكون موضوع إشهار قانوني صلاحيات هيئات الإدارة أو التسيير وحدودها ومدىها وكذا كل الاعتراضات المتعلقة بهذه العمليات.

وعلاوة على ذلك، تكون كل أحكام وقرارات العدالة التي تتضمن تصفيات ودية أو إفلاس، وكذا كل إجراء يتضمن منع أو إسقاط الحق في ممارسة التجارة، أو شطب أو سحب السجل التجاري موضوع إشهار قانوني على نفقه المعنى¹.

بل إن المادة 548 من القانون التجاري جعلت الشهر ركناً من أركان عقد الشركة التجارية وترتبت على تخلفه البطلان، حيث جاء فيها ما يلي: "يجب أن تودع العقود التأسيسية والعقود المعدلة للشركات التجارية لدى المركز الوطني للسجل التجاري، وتنشر حسب الأوضاع الخاصة بكل شكل من أشكال الشركات وإن كانت باطلة".

¹ - انظر في نفس السياق نص المادة 32 من القانون رقم 90/22 المؤرخ في 18/8/1990 المتعلق بالسجل التجاري المعدل والمتمم، الجريدة الرسمية لسنة 1990 العدد 36 الصادر بتاريخ 22/8/1990 (التي مازالت سارية المفعول) والتي جاء فيها: "يتلقى المركز الوطني للسجل التجاري من المحاكم والسلطات الإدارية المعنية جميع القرارات أو المعلومات التي يمكن أن تنشر عنها تعديلات أو يتربّ عليها منع من صفة التاجر، لاسيما حالات التصریح بانعدام الأهلية والمنع من الممارسة وفقدان الحقوق الوطنية والمدنية أو أي عمل إرادي يوقف النشاط التجاري. وتحدد الكيفيات العملية لتبلغ هذه المعلومات عن طريق التنظيم".

وأنظر كذلك المادة 2 من المرسوم التنفيذي رقم 136/16 المؤرخ في 25 أفريل 2016 الذي يحدد كيفيات ومصاريف إدراج الإشهارات القانونية في النشرة الرسمية للإعلانات القانونية آنف الذكر.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

والملاحظ أنه لم تفلت من إجراءات الشهر سوى شركة المعاشرة (La société en participation) التي لا تتمتع بالشخصية المعنوية، بحيث تظل مستترة عن الغير وتتحضر العلاقات فيها بين الشركاء فقط¹، وكذا المؤسسات العمومية ذات الطابع الصناعي والتجاري (EPIC Entreprises publiques à caractère industriel et commercial²).

وعلى ذلك يجب إشهار العقد التأسيسي للشركة التجارية وكذا العقود المعدلة له التي تتضمن مثلاً تغييراً بشأن شخص الشركاء أو ممثلي الشركة أو تحويل مقر الشركة أو تغيير يمسُّ شكل الشركة، لاسيما على مستوى النشرة الرسمية للإعلانات القانونية (BOAL) التي يقوم بإعدادها المركز الوطني للسجل التجاري. وذلك لكي يتسرى للغير الإحاطة بكافة المعلومات المتعلقة بالنظام القانوني للشركة، خاصة

¹ حيث نصت المادة 795 مكرر 2 الفقرة الأولى من القانون التجاري على أنه: " لا تكون شركة المعاشرة إلا في العلاقات الموجودة بين الشركاء ولا تكشف للغير. فهي لا تتمتع بالشخصية المعنوية ولا تخضع للإشهار، ويمكن إثباتها بكل الوسائل ". وأنظر في نفس المعنى كذلك:

-Georges Ripert + René Roblot : *Traité de droit commercial*, Tome1, Volume 2 (Les sociétés commerciales), 19^{ème} édition par : Michel Germain avec le concours de Véronique Magnier , Paris : L.G.D.J, Lextenso éditions, 2009, p. 59, 60, n° 1065.

- Paul Le Cannu + Bruno Dondero : *Droit des sociétés*, 4^{ème} édition, Paris : Montchrestien – Lextenso éditions, 2012, p. 220, n° 359.

² التي قامت المادة 17 من القانون رقم 04/08 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والتمم آنف الذكر بإعفائها (EPIC) من واجب القيام بإجراءات الشهر القانوني، حيث جاء فيها ما يلي:

"لا تخضع المؤسسات العمومية ذات الطابع الصناعي والتجاري للإشهارات القانونية المنصوص عليها في أحکام هذا القانون".



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

البيانات الأساسية التي يجب أن يتضمنها العقد التأسيسي والمنصوص عليها في المادة 546 من القانون التجاري (شكل الشركة *La forme*، مدقعا، عنوانها، اسمها ومركزها وموضوعها *L'objet social*، وبلغ رأسها ...).

كما أن عمليات إعادة الهيكلة التي قد تشهدها الشركة التجارية أثناء حياتها تستلزم هي الأخرى إقامة شكليات الإشهار لكونها تمس بصالح الغير؛ فبالنسبة لعمليات الإدماج أو الانفصال مثلاً (*Les opérations de fusion ou de scission*) فقد اشترط المشرع بوجوب المادة 748 من القانون التجاري – من أجل حماية الغير وفي مقدمتهم دائني الشركات المعنية بهذه العمليات – أن يوضع مشروع الإدماج أو الانفصال، المتضمن البيانات الواردة في المادة 747 من القانون التجاري، بأحد مكاتب التوثيق التي يوجد بها مقر الشركات المدمجة والممتدعة (*Les sociétés absorbantes et absorbées*)، وأن يكون موضوع إشهار مسبق (Une publicité a priori) من خلال نشره في إحدى الصحف المعتمدة لتلقى الإعلانات القانونية.

والغاية من هذا الإشهار المسبق المتعلق بمشروع الإدماج أو الانفصال هي إعلام دائني الشركات المعنية بالعملية ليتمكنوا من تقديم معارضتهم بشأنه (المشروع خلال مهلة 30 يوماً من تاريخ النشر¹).

كما استلزم المشرع كذلك بشأن عمليات الإدماج أو الانفصال إشهاراً لاحقاً (Une publicité a postériori) أي بعد الموافقة على العملية من قبل الجمعية العامة المختصة. وذلك بحسب ما إذا كنا بقصد عملية إدماج بواسطة

¹ - انظر المادتين : 756² و 761² من القانون التجاري.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

الاستيعاب (**Fusion par absorption**)، أو كنا أمام إدماج عن طريق إنشاء أو تأسيس شركة جديدة (**Fusion par création d'une société nouvelle**). حيث تراعي إجراءات الشهر الخاصة بقرار حل الشركة المدمجة أو المستوعبة (**La dissolution de la société absorbée**)، وقرار زيادة رأس المال الشركة المدمجة أو المستوعبة (**L'augmentation du capital de la société**) (**absorbante**) في الحالة الأولى، وإجراءات الشهر الخاصة بتأسيس الشركات التجارية في الحالة الثانية¹.

كما يشترط كذلك إتمام إجراءات الشهر القانوني عند انقضاء الشركة التجارية وزواهاهما مهما كان سببه، فبخصوص قرار حل الشركة مثلاً قضت المحكمة العليا في قرارها رقم 309479 الصادر بتاريخ: 15/4/2003 والمشور في المجلة القضائية لسنة 2004، العدد 1، ص 182، بأنه يتبع طبقاً لأحكام المادة 589 من القانون التجاري شهر قرار حل الشركة ذات المسئولية المحدودة (SARL) سواء قمت المداولة عليه على الوجه الصحيح أو لم تتم².

المطلب 2: الشهر القانوني المتعلق بالوضعية المالية والمحاسبية

وهو الشهر الذي يهدف إلى إعلام الغير بالعناصر الأساسية المتعلقة بالوضعية المالية (**Situation financière**) والمحاسبية للتاجر³، وقد ظل هذا النوع من الشهر

¹ - أنظر المادة 755 من القانون التجاري (في حالة الإدماج)، والمادتين 759² و 763 من القانون التجاري (في حالة الانفصال).

² - مبروك حسين: القانون التجاري الجزائري (النصوص التطبيقية والاجتهد القضائي والنصوص المتممة)، الطبعة 6، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2008، ص 314.

³ - Yves Guyon, op. cit., t.1, p. 930, n° 924.



الشهر القانوني كأدلة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

القانوني يطبق - لفترة من الزمن - في نطاق ضيق وذلك خشية إفشال أسرار المؤسسات، حيث لم يكن يستلزم إلا عندما تواجه المؤسسة صعوبات مالية، لاسيما في حالة توقيتها عن الدفع الذي يؤدي إلى شهر إفلاس صاحبها.

غير أن مصلحة الغير - وعلى عكس مصلحة التاجر - تقتضي إفادتكم من حين لآخر بكل المعلومات الضرورية المتعلقة بالوضعية المالية والمحاسبية للتاجر، لأن هذا النوع من الشهر القانوني لا يكون مفيداً لهم (الغير) ما لم يزورُهم معلومات صحيحة ودقيقة ومُحَمِّنة في نفس الوقت (Des renseignements exacts et à ¹. jour).

وقد كرس المشرع صراحة الشهر القانوني للوضعية المالية والمحاسبية للتاجر (لاسيما الشركات التجارية) في مواضع عديدة أهمها:

• فبالنسبة لرأس مال الشركة التجارية الذي يعد الضمان الأساسي، بل الوحيد كما هو الحال بالنسبة لشركات الأموال وفي مقدمتها شركة المساهمة، فإن مصلحة الغير (لاسيما دائن هذه الشركات) تقتضي إعلامهم بكل التعديلات التي تطرأ عليه زيادة أو نقصاناً.

فيزيادة رأس مال شركة المساهمة مثلاً يستلزم من الأشخاص القائمين على إدارتها القيام بشهر العقد التعديلي المحرر بناء على قرار الجمعية العامة غير العادية القاضي بزيادة رأس المال (الإيداع لدى المركـر الوطـني للسجل التجارـي وكذا الشـرـفـةـ فيـ النـشـرةـ الرـسـميـةـ لـلـإـعـلـانـاتـ القـانـونـيـةـ،ـ وـفـيـ الجـرـائـدـ الـيـوـمـيـةـ الـوطـنـيـةـ الـذـيـ كانـ مـسـتـلـزـمـاـ بمـوجـبـ المـادـةـ 14ـ مـنـ القـانـونـ رقمـ 08/04ـ المـؤـرـخـ فيـ 14ـ آـوـتـ 2004ـ وـالـمـتـعـلـقـ بـشـروـطـ

¹ - Op. cit., t.1, p. 932, no 925.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتمم آنف الذكر قبل إلغاءها¹. وإذا ما تم تحقيق زيادة رأس المال عن طريق اللجوء العلني للادخار، فإنه يتبع على شركة المساهمة أولاً، وقبل الشروع في عمليات الاكتتاب وقبل أي إجراء يتعلق بالإشهار، إعلام الجمهور وفي مقدمته المدخرين وذلك عن طريق نشر مذكرة تتضمن تنظيم الشركة ووضعيتها المالية وتطور نشاطها، مؤشراً عليها (المذكورة) من قبل لجنة تنظيم عمليات البورصة ومراقبتها².

كما أن تخفيض رأس مال شركة المساهمة الذي عادة ما يتم في حالة تكبد هذه الأخيرة خسائر كبيرة، فقد استلزم المشرع كذلك - بموجب المادة 712 من القانون التجاري - شهر العقد التعديلي الحرر بناء على قرار الجمعية العامة غير

¹ المادة 691/2 من القانون التجاري. وأنظر كذلك المادة 12 من القانون رقم القانون رقم 04/08 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتمم آنف الذكر.

² أنظر المادة 41/3⁺¹ من المرسوم التشريعي رقم 10/93 المؤرخ في 23 ماي 1993 يتعلق ببورصة القيم المنقولة (الجريدة الرسمية لسنة 1993 العدد 34 الصادر بتاريخ: 1993/5/23)، المعدل والمتمم بموجب: الأمر رقم 10/96 المؤرخ في 10 جانفي 1996 (الجريدة الرسمية لسنة 1996 العدد 3 الصادر بتاريخ: 1996/1/14)، والقانون رقم 04/03 المؤرخ في 17 فيفري 2003 (الجريدة الرسمية لسنة 2003 العدد 11 الصادر بتاريخ: 2003/2/19 + استدراك الجريدة الرسمية لسنة 2003 العدد 32 الصادر بتاريخ: 5/5/2003) التي جاء فيها:

"يجب على كل شركة أو مؤسسة عمومية تصدر أوراقاً مالية أو أي منتوج مالي آخر مذكور في المادة 30 أعلاه، باللحظه العلني للادخار، أن تنشر مسبقاً مذكرة موجهة إلى إعلام الجمهور، تتضمن تنظيم الشركة ووضعيتها المالية وتطور نشاطها ... يجب أن تؤشر لجنة تنظيم عمليات البورصة ومراقبتها على هذه المذكرة قبل نشرها".



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

العادية القاضي بتحفيض رأس المال (الإيداع لدى المركز الوطني للسجل التجاري وكذا النشر في الشارة الرسمية للإعلانات القانونية، وفي الجرائد اليومية الوطنية الذي كان مستلزمًا بموجب المادة 14 من القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت 2004 والمتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتم آنف الذكر قبل إلغاءها).¹

• وفي نفس السياق وبغية تمكين الغير من الإحاطة بالمعلومات المالية والمحاسبية الخاصة بالشركات التجارية عموماً، اشترط المشرع بموجب المادة 716 من القانون التجاري على القائمين بالإدارة إجراء عملية الجرد في نهاية السنة المالية لتحديد الأصول والخصوم (الديون) وكذا وضع حساب الاستغلال العام (Le compte d'exploitation générale) وحساب النتائج (الأرباح والخسائر) وكذا الميزانية (Bilan)، بالإضافة إلى تقرير مكتوب عن حالة الشركة ونشاطها أثناء السنة المالية المنصرمة.

مع إلزامية عرض كل هذه المستندات على مندوب الحسابات من أجل فحصها ومراجعتها للتأكد من مدى صحة البيانات الواردة فيها ومن مدى مطابقتها للواقع.

واستلزمت الفقرة الأخيرة من المادة 717 من القانون التجاري إيداع حسابات الشركة لدى المركز الوطني للسجل التجاري خلال شهر من تاريخ المصادقة عليها، حيث جاء فيها ما يلي:

¹ - المادة 12 من القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتم آنف الذكر.
وأنظر في نفس المعنى كذلك:

- Philippe Merle, op.cit., p.710.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

"تودع حسابات الشركة المذكورة في المقطع الأول في المركز الوطني للسجل التجاري خلال الشهر الذي يلي مصادقة الجمعية العامة عليها.
ويعد الإيداع بمثابة إشهار".

وعلى ذلك فالقانون ألزم الشركات التجارية¹ بشهر وضعيتها المالية وذلك من خلال إيداع مختلف وثائقها المحاسبية (Publier leur états financiers) لدى المركز الوطني للسجل التجاري خلال مهلة شهر من تاريخ المصادقة عليها من قبل الجمعية العامة².

المطلب 3: الشهر القانوني الخاص بالتصروفات القانونية

وهو ذلك النوع من الشهر الذي يستلزم القانون من أجل حواز الاحتجاج بتصريف قانوني ما في مواجهة الغير، حيث يعلق المشرع إمكانية التمسك بهذا

¹ - باستثناء الشركات حديثة التسجيل في السجل التجاري بشأن حساباتها المالية المتعلقة بالسنة الأولى فقط، حيث جاء في المادة 11/2 من القانون رقم 04/08 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتعم آنف الذكر ما يلي:

"غير أنه، لا تخضع الشركات حديثة التسجيل في السجل التجاري لإجراءات الإيداع القانوني لحساباتها بالنسبة للسنة الأولى من تسجيلها في السجل التجاري".

² - ويقول الأستاذ : Jean-Marc Moulin بهذا الشأن ما يلي :

« ... Les tiers à la société peuvent avoir accès aux comptes annuels, aux comptes consolidés, ..., le cas échéant, aux rapports des commissaires aux comptes ainsi qu'à la proposition d'affectation du bénéfice distribuable puisque l'ensemble de ces documents devant être impérativement publiés au RCS dans le mois, ou les deux mois si c'est par voie électronique, de la tenus de l'assemblée ».

Voir : Jean-Marc Moulin : Droit des sociétés et des groupes, Paris : Gualino éditeur- Lextenso éditions, 2013, p.147, 148.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

التصرف القانوني تجاه الغير على ضرورة استيفاء شكليات شهر معينة. ولعل أبرز مثال على هذا النوع من الشهر القانوني هو ذلك الشهر المتطلب بشأن التصرفات الواردة على المحل التجاري (*Le fonds de commerce*) من بيع ورهن وإيجار وكذا تقديمها كحصة في شركة.

• فشهر بيع المحل التجاري مثلًا الذي نصت عليه المادة 83 من القانون التجاري، والذي يتم من خلال الإشهار في جريدة مختصة بالإعلانات القانونية وكذا الإشهار في النشرة الرسمية للإعلانات القانونية (BOAL)، الغاية منه حberman البائع مؤقتًا من الثمن وإخطار دائنيه حتى يتمكنوا من الحفاظ على حقوقهم لاسيما من خلال المعارضة على الوفاء بالثمن (*L'opposition au paiement du prix*) التي من شأنها حبس الثمن بين يدي المشتري ومنعه من القيام بعملية التسديد، فإن قام بتسديد الثمن للبائع فإن هذا التسديد لا يحتاج به في مواجهة الدائنين المعارضين (*Les opposants*) الذين يأمکنهم مطالبته (المشتري أو مكتسب المحل التجاري) بتسديد ثانٍ للثمن¹.

• وفي نفس السياق فإن تقديم المحل التجاري كحصة في شركة (على سبيل التمليل) هو الآخر يستلزم المشرع بشأنه شكليات الإشهار عملاً بأحكام المادة 117 من القانون التجاري. والمهدى من هذا الشهر القانوني هو إعلام دائني مقدم المحل التجاري ليتمكنوا من التصریح عن حقوقهم (*Déclaration des créances*)

¹- وشناوي حكيم : حماية دائني باع المحل التجاري (دراسة مقارنة بين القانون الجزائري والقانون الفرنسي)، مجلة التواصل في الاقتصاد والإدارة والقانون، جامعة باجي مختار عنابة، العدد 35 الصادر في سبتمبر 2013، ص 157-165.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

هذه الحقوق التي من الممكن الاحتياج بها مستقبلاً في مواجهة الشركة، بحيث تصبح هذه الأخيرة (الشركة) مسؤولة بالتضامن مع المدين الأصلي عن الوفاء بالديون المصرح بها، إن لم يطلب الشركاء فيها (الشركة) إبطال عقد الحصة أو عقد الشركة حسب الأحوال¹.

المبحث الثاني: طرق وأساليب الشهر القانوني

كما سبق القول فإن الهدف من الشهر القانوني هو تحقيق الإعلام الأكثر إماماً وشموليةً، الأكثر سرعة والأكثر دقة قدر الإمكان، وذلك بشأن مختلف المعلومات سواء المتعلقة منها بحالة الأشخاص أو وضعيتهم المالية أو التصرفات القانونية الصادرة عنهم. وقد تبني المشرع - في سبيل تحقيق هذه الغاية - العديد من الطرق (الوسائل أو الأدوات) الخاصة بالشهر القانوني²، لكن قبل الخوض في مختلف هذه الوسائل المعتمدة قانوًناً تحدى بنا الإشارة إلى نقطتين مهمتين:

1/ أن أدوات الشهر القانوني وأساليبه متعددة ومتنوعة، وقد تطورت مع تطور تقنيات الإعلام والاتصال، ناهيك عن أن استخدام نظام المعلوماتية (L'informatique) في العصر الحديث من شأنه أن يحقق نقلة نوعيةً بخصوص كمية المعلومات وسرعة انتشارها.

2/ أن فعالية هذه الوسائل والأدوات تبقى محدودة؛ من جهة لأن هوية الأشخاص المستهدفين والمعنيين بهذا الشهر القانوني غير معروفة مسبقاً (كما هو

¹ - وشناوي حكيم : المثل التجاري كحصة في الشركة (حصة على سبيل التمليل)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في القانون الخاص (فرع قانون الأعمال)، جامعة باجي مختار عنابة، 1999 - 2000، ص 75 - 88 وص 92 - 105.

² - Paul Le Cannu + Bruno Dondero, op. cit., p. 220, n° 360.



الشهر القانوني كأدلة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

الشأن بالنسبة لشهر التصرف القانوني الذي يكون موجهاً إلى أشخاص غير محددين كدائني الناجر مثلًا)، الأمر الذي يجعل المسألة أكثر صعوبة.

ومن جهة ثانية، لأن الشهر الذي يتم بواسطة الصحف والجرائد التي لا يقرأها أحد، أو من خلال النشرة الرسمية للإعلانات القانونية التي يعدها المركز الوطني للسجل التجاري، والتي كانت تعاني من الناحية العملية من بعض المشاكل كونها لا تصدر بصفة مستمرة ومنتظمة¹، أو عن طريق طلب المعلومات المتوافرة لدى إدارة السجل التجاري والذي يكون متوقفاً على مبادرة الغير وسعيهم للحصول على تلك المعلومات، يكون في كثير من الأحيان شهراً غير مُجدي، وحتى على فرض تحقق العلم فليس هناك ما يضمن وصول المعلومة للغير في الوقت المناسب².

ورغم كل ذلك ستحاول تسلیط الضوء على أهم الطرق والأساليب الخاصة بالشهر القانوني، بدءاً بأسلوب الاطلاع المباشر على الوثائق والمستندات أوأخذ صور منها (المطلب1)، ثم مروراً بطريقة الإعلانات القانونية (المطلب2)، وانتهاءً بالشهر الذي يتم بواسطة الملفات الشخصية (المطلب3):

المطلب1: الشهر القانوني من خلال الاطلاع مباشرة على الوثائق أوأخذ

صور منها أو إرسالها

ويتم هذا الأسلوب من الشهر القانوني من خلال اطلاع الشخص - المراد إعلامه - مباشرة على الوثائق والمستندات الموضوعة تحت تصرفه بمقر الشركة أو المؤسسة المعنية، أو عن طريق تمكنه من أخذ صور (نسخ) منها. ففي فرنسا مثلًا

¹ - د/ فرحة زراوي صالح : الكامل في القانون التجاري الجزائري، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص 255.

² - Yves Guyon, op. cit., t.1, p. 934.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

يجوز لكل شخص أن يحصل في مقر شركة المساهمة - حتى ولو لم تلتجمئ عليه للايدار - على نسخة مُحَمَّة من قانونها الأساسي مُرفقة بقائمة المديرين ومحافظي الحسابات الذين يزاولون عملهم على مستوىها¹.

لكن الحصول على نسخ من هذه المستندات والوثائق يتم في الغالب - كما سنرى لاحقاً - على مستوى المركز الوطني للسجل التجاري، لأن مؤسسي الشركات التجارية ومسيريها ملزمون قانوناً² بأن يودعوا لديه (المركز) نسخ من العقود التأسيسية للشركات وكذا العقود المعدلة لها، إضافة إلى مقررات تعين المسيرين وأعضاء مجلس الإدارة. وبذلك يمكن لأي شخص طلب نسخة أو ملخص لتلك العقود والوثائق ليصبح على دراية كافية بالمعلومات الأساسية المتعلقة بكيفية تنظيم الشخص الاعتباري (أي الشركة التجارية)³.

وعلى العموم فهذا النوع من الشهر القانوني الذي يتم من خلال ميكانيزم "الإيداع" يستخدم عادة بشأن المعلومات ذات الطابع المالي، فقد ذكرنا فيما سبق بأن الشركات التجارية عموماً ملزمة - بموجب الفقرة الأخيرة من المادة 717 من القانون التجاري - بأن تودع حساباتها (حساب الاستغلال العام + حساب التأمين

¹- Georges Ripert + René Roblot, op.cit., t.1, vol2, p. 323, no 1481. - Yves Guyon, op. cit., t.1, p. 934, 935, no 927.

²- المادة 584 من القانون التجاري، وكذا المادتين 11 و12⁺¹ من القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتمم آنف الذكر.

³- وهذا ما كرسه صراحةً المادة 16 من القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتمم آنف الذكر، حيث جاء فيها ما يلي: "يجوز لكل شخص يهمه الأمر، وعلى نفقته، الحصول من المركز الوطني للسجل التجاري على كل معلومة تتعلق بشخص طبيعي أو اعتباري مسجل في السجل التجاري".



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

+ الميزانية) لدى المركز الوطني للسجل التجاري خلال مهلة شهر من تاريخ المصادقة عليها، وأن الإيداع بهذا الشكل يعتبر قانوناً بمثابة إشهار.

وبالموازاة مع هذا الشهر القانوني الموجه للجمهور الواسع (الغير بصفة عامة) والمقتصر فقط على وثائق ومستندات محددة على سبيل الحصر، هناك نوع مختلف من الشهر القانوني يهدف هو الآخر إلى تحسين الحق في الإعلام لكن في نطاق ضيق، حيث يُسمح بموجبه لأشخاص معينين على سبيل الحصر بالاطلاع على مختلف وثائق الشركة ومستنداتها، أو تمكينهم منأخذ صور (نسخ) منها، بل وحتى إرسال المعلومات والمستندات إلى محل إقامتهم إذا اقتضى الأمر ذلك، وهذا بالنظر إلى مركزهم القانوني الحد خاص وعلاقتهم الوثيقة بالشركة.

فقد منح المشرع مثلاً لكل شخص يحمل صفة الشركاء في الشركات التجارية عموماً الحق في الاطلاع على المعلومات ذات الطابع المالي، أوأخذ نسخ من مختلف الوثائق والمستندات المحاسبية الخاصة بالشركة (دفاتر الشركة، التقرير الخاص بعملية الجرد، حساب الاستغلال العام، حساب النتائج والميزانية، الفواتير وتقارير مندوبي الحسابات). بل وحتى الاستعانة بخبراء إن لزم الأمر ذلك¹.

وعندما يتعلق الأمر بشركة المساعدة (SPA) خصوصاً، فإن المشرع أعطى للحق في الإعلام المنصب على تلك المعلومات ذات الطابع المالي - والذي يتحقق من خلال آلية الشهر القانوني المباشر - أهمية خاصة سواء بالنسبة للشركاء المساهمين أو بالنسبة للغير بصفة عامة الذين تعاملوا أو يودون التعامل مستقبلاً مع تلك الشركة

¹ - انظر على سبيل المثال : المادتين 557 و 558 من القانون التجاري عندما يتعلق الأمر بشركة التضامن (SNC)، والمادتين 584 و 585² من القانون التجاري عندما يتعلق الأمر بالشركة ذات المسؤولية المحدودة (SARL).



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

وعلى رأسهم المدخرين (Les épargnants) وأصحاب السندات (Les obligataires¹) وغيرهم.

حيث كرس (المشرع) من جهة الحق في الإعلام المؤقت الذي يسبق انعقاد الجمعية العامة، ومنح لكل شريك الحق في الاطلاع على المستندات الموضوعة تحت تصرفه بمقر الشركة، أو من خلال إرسال بعض المعلومات والمستندات إلى المساهمين بناءً على طلبهم أو بصفة تلقائية². وهذا كله بعرض تمكين الشريك المساهم من استخدام حقه في التصويت في الجمعية العامة (العادية أو غير العادية) عن معرفة ودراسة كافيين بشأن المسائل المعروضة عليه³.

وفي حالة رفض الشركة تبليغ تلك الوثائق خلافاً لأحكام المادة 680 من القانون التجاري، فإنه يجوز للمساهم أن يستصدر أمراً استعجاليًّا يلزمها بتبليغ تلك

¹ - أنظر مثلًا بخصوص أصحاب السندات (Les obligataires) سواء كانت سندات المساهمة أو سندات الاستحقاق المادتين: 715 مكرر 80 و 715 الفقرة 91 من القانون التجاري على الترتيب، وللتذكرة تجيزان لهم الاطلاع على وثائق الشركة حسب نفس الشروط المستلزمة بالنسبة للمساهمين.

² - المادتين 677 و 680 من القانون التجاري. وأنظر في نفس المعنى كذلك : المادة 585³ من القانون التجاري عندما يتعلق الأمر بالشركة ذات المسؤولية المحدودة (SARL).

³ - ويقول الأستاذ : Jean-Marc Moulin بهذا الشأن ما يلي : «Ce droit à l'information est essentiel pour, d'une part, permettre aux associés de contrôler la direction sociale et, d'autre part, éclairer leur vote lorsqu'ils sont consultés ». Voir : Jean-Marc Moulin, op.cit., p.147, no 156.

Voir aussi dans le même sens : Philippe Merle, op.cit., p.578, 579, no 474.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

المستندات تحت طائلة الإكراه المالي¹، حيث جاء في المادة 683 من القانون التجاري ما يلي: "إذا رفضت الشركة تبليغ الوثائق كلّاً أو جزئياً خلافاً لأحكام المواد 677 و 678 و 680 و 682 أعلاه، فيجوز للجهة القضائية المختصة التي تفصل في هذا الشأن بنفس طريقة الاستعجال أن تأمر بناءً على طلب المساهم الذي رفض طلبه، الشركة بتبليغ هذه الوثائق تحت طائلة الإكراه المالي".

كما كرس المشرع من جهة أخرى الحق في الإعلام الدائم طوال السنة²، حتى يتمكن الشريك المساهم في أي وقت من التعرف على أحوال الشركة ولكي يطمئن بالنتيجة على حسن سيرها وإدارتها. ورغم أن المستندات التي يجوز للمساهمين الاطلاع عليها بصفة دائمة هي نفسها تقريراً تلك التي يحق لهم تفحصها قبل انعقاد الجمعية العامة (والمذكورة كما سبق القول في المادة 680 من القانون التجاري)، إلا أن المشرع قيدَ هذا الحق بالمستندات الخاصة بالسنوات الخمس (5) الأخيرة السابقة على السنة التي يتم فيها الاطلاع، ذلك أن مرور 5 سنوات من شأنه أن يضعف سرية هذه الوثائق، وهو ما يجعل الاطلاع عليها لا يرتباً أية أضرار بمصالح الشركة.

¹ – Georges Ripert + René Roblot, op.cit., t.1, vol2, p. 384, no 1574. - Philippe Merle, op.cit., p. 581, no 478.

² – المادة 678 من القانون التجاري. وأنظر في نفس المعنى كذلك: - Georges Ripert + René Roblot, op.cit., t.1, vol2, p. 383, no 1572. - Philippe Merle, op.cit., p.580, 581, no 477. - Jean-Marc Moulin, op.cit., p.349, no 548. - Paul Le Cannu + Bruno Dondero, op. cit., p. 607, no 931.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

كما أن حق الاطلاع الدائم لا يمتد ليشمل السنوات السابقة على مدة الـ 5 سنوات، كما لا يشمل كذلك سنة الاطلاع حفاظاً على أسرار الشركة بالرغم من أن مصلحة المساهم في ذلك تكون جد مبررة¹.

وكم هو الشأن بالنسبة لحق الإعلام المؤقت، فإن رفض الشركة تبليغ كل أو بعض المستندات في إطار الإعلام الدائم (خلافاً لمقتضى المادة 678 من القانون التجاري) من شأنه أن يجيز للمساهم الذي رفض طلبه الالتجاء للقضاء لاستصدار أمر استعجالي من أجل إلزام الشركة بتمكينه من تلك المستندات والوثائق تحت طائلة الإكراه المالي².

المطلب 2: الشهر القانوني عن طريق الإعلانات القانونية

يمكن أن يتحقق الشهر القانوني كذلك من خلال إعلانات أو ملخصات تدرج إما على مستوى الصحف والجرائد (الفرع 1)، وإما على مستوى النشرة الرسمية للإعلانات القانونية (الفرع 2):

الفرع 1: الشهر القانوني من خلال إعلانات على مستوى الصحف والجرائد

تبين المشرع هذا الأسلوب من الشهر القانوني في مواضع كثيرة، وذلك من خلال اشتراط نشر إعلان (Avis) يتضمن ذكرًا لمجموعة من البيانات القانونية (Un ملخص للعقود والوثائق – موضوع énoncé des mentions légales – الشهر – Résumé ou reproduction partielle de l'acte) وذلك على

¹ - د/ حماد مصطفى عزب: حق المساهمين في الإعلام تجاه الشركة، مجلة الدراسات القانونية لكلية الحقوق جامعة أسيوط، العدد 19 لسنة 1996، ص 489.

² - المادة 683 من القانون التجاري المذكورة أعلاه.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

مستوى الصحف والجرائد الوطنية. وقد يتم هذا الإجراء بشكل منفرد كما قد يقترن
بأسلوب الإيداع¹.

حيث جاء مثلاً في المادة 14 من القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت
2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتمم آنف الذكر (قيل

التعديل)² والمتعلقة بالإشهار القانوني الخاص بالشخص المعنوي ما يلي:
"تكون الإشهارات القانونية أيضاً موضوع إدراج في الصحافة الوطنية المكتوبة
أو أية وسيلة ملائمة، وعلى عاتق ونفقة الشخص الاعتباري".

كما نصت كذلك المادة 83³⁺¹ من القانون التجاري المتعلقة بشكليات

شهر بيع المحل التجاري على أن:

"كل تنازل عن محل تجاري على الوجه المحدد في المادة 79 أعلاه، يجب إعلانه
خلال خمسة عشر يوماً من تاريخه بسعى المشتري تحت شكل ملخص أو إعلان في
النشرة الرسمية للإعلانات القانونية، وفضلاً عن ذلك في جريدة متخصصة بالإعلانات
القانونية في الدائرة أو الولاية التي يستغل فيها المحل التجاري، وبالنسبة للمحلات
التجارية المتنقلة فإن مكان الاستغلال هو المكان الذي يكون البائع مسجلاً فيه
بالسجل التجاري.

... يجدد الإعلان من اليوم الثامن إلى الخامس عشر من تاريخ أول نشر".

¹ - Yves Guyon, op. cit., t.1, p. 936, n° 928.

² - ألغيت هذه المادة (أي المادة 14) بموجب المادة 13 من القانون رقم 06/13 المؤرخ في 23
يوليو 2013 آنف الذكر المعدل والمتمم للقانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق
بشروط ممارسة الأنشطة التجارية.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

غير أن فعالية هذا الشهر القانوني الذي يتم من خلال النشر على مستوى الجرائد والصحف تعد جد محدودة؛ وذلك بسبب قلة الناس الذين يهتمون بقراءة الإعلانات القانونية، ناهيك عن أن هناك صحفاً لا يقرأها أحد، هذا من جهة. ومن جهة أخرى لأن النشر في الصحف والجرائد لا يكون مُجدياً إلا في لحظة القراءة فقط، لأن هذه الوسيلة لا تترك أثراً يسهل عملية تعقب المعلومات المشهرة.¹

ولعل كل هذه النقائص هي التي دفعت بالمشروع إلى الاستغناء عن هذه الطريقة (الأداة) بمناسبة الإشهارات القانونية الخاصة بالأشخاص الاعتبارية (إلغاء المادة 14 من القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتمم آنف الذكر على النحو المبين أعلاه)، والالتجاء من جديد إلى أساليب حديثة أكثر نجاعة لاسيما من خلال النشر باستخدام الوسائل الإلكترونية، حيث جاء في المادة 5 من المرسوم التنفيذي رقم 136/16 المؤرخ في 25 أفريل 2016 الذي يحدد كيفية ومصاريف إدراج الإشهارات القانونية في النشرة الرسمية للإعلانات القانونية آنف الذكر ما يلي: " يمكن إدراج الإشهارات القانونية بالطريقة الإلكترونية ".

وعلى ذلك نقترح من جانبنا إنشاء وسائل جديدة للإعلام بدلاً عن الجرائد العادية، ولتكن مثلاً جرائد متخصصة (*Des journaux spécialisés*) في الإشهار القانوني في عالم الأعمال²، أو إلزام بعض التجار (لاسيما الشركات التجارية)

¹ – Yves Guyon, op. cit., t.1, p. 936. - Georges Ripert + René Roblot, op.cit., t.1, vol2, p. 60, n° 1066.

² – مثالاً في فرنسا: Les Petites Affiches, la Gazette du Palais, le Journal des sociétés - Paul Le Cannu + Bruno Dondero, op. cit., p. 226, no 370.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

إطلاق موقع على شبكة الأنترنت (Sites d'internet) تتضمن كافة المعلومات الخاصة بهم.

الفرع 2: الشهر القانوني على مستوى النشرة الرسمية للإعلانات القانونية

(BOAL)

تدرج في النشرة الرسمية للإعلانات القانونية (Bulletin officiel des annonces légales¹) كقاعدة عامة كل الإشهارات القانونية التي يقررها التشريع والتنظيم المعمول بهما، والمنصبة على مختلف المعلومات أو الوثائق والمستندات المودعة لدى المركز الوطني للسجل التجاري، سواء المتعلقة منها بالقيد لأول مرة في السجل التجاري أو التعديلات اللاحقة له أو الشطب من السجل التجاري (وذلك بالنسبة للأشخاص الطبيعية أو المعنوية على حد سواء).

وتنظم النشرة الرسمية للإعلانات القانونية (BOAL) من خلال ثلات (3) فقرات تدرج في كل واحدة منها المستندات والوثائق الرسمية المثبتة للعمليات الخاصة بها وذلك على النحو التالي:

- الفقرة "أ" تتناول القانون الأساسي للتجار والمحال التجارية.

¹ - التي يتم إعدادها ونشرها من قبل المركز الوطني للسجل التجاري.
أنظر سابقاً المادة الأولى من المرسوم التنفيذي رقم 70/92 (اللغى) المؤرخ في 18/2/1992 المتصل بالنشرة الرسمية للإعلانات القانونية، الجريدة الرسمية لسنة 1992 العدد 14 الصادر بتاريخ: 1992/2/23.

وأنظر حالياً المادة 3 من المرسوم التنفيذي رقم 136/16 المؤرخ في 25 أفريل 2016 الذي يحدد كيفية ومصاريف إدراج الإشهارات القانونية في النشرة الرسمية للإعلانات القانونية آنف الذكر.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

- الفقرة "ب" تتناول صلاحيات أجهزة الإدارة والتسيير وحدودها ومدتها وكذا جميع الاعتراضات المرتبطة بها.
- الفقرة "ج" تتناول الإعلانات المالية¹.

ويكتسي هذا الأسلوب من الشهر القانوني (الشهر على مستوى BOAL) أهمية كبيرة؛ ذلك أن الآثار القانونية التي يود المشرع ترتيبها من وراء شكليات الشهر عموماً لا تبدأ في السريان إلا من تاريخ إدراج المعلومة (أو الوثيقة التي تتضمنها) في النشرة الرسمية للإعلانات القانونية، فقد نصت مثلاً المادة 13 من القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتمم آنف الذكر على أنه:

"يبدأ سريان الإشهارات القانونية التي يقوم بها الشخص الاعتباري تحت مسؤوليته ونفقته بعد يوم كامل ابتداءً من تاريخ نشرها في النشرة الرسمية للإعلانات القانونية".

كما أن سريان مهلة تقديم المعارضات على دفع الثمن أو التصريح عن الحقوق من قبل دائن يابع المحل التجاري أو مقدمه كحصة في شركة (على الترتيب)

¹ المادة 2 المرسوم التنفيذي رقم 136/16 المؤرخ في 25 أفريل 2016 الذي يحدد كيفية وصاريف إدراج الإشهارات القانونية في النشرة الرسمية للإعلانات القانونية آنف الذكر. والتي أجازت في فقرتها الأخيرة إضافة أية معلومة مفيدة حيث جاء فيها: "وزيادة على ذلك، يمكن أن تنشر في النشرة كل معلومة أخرى جديرة بالاهتمام ويمكن أن تكون ذات فائدة بالنسبة للمتعاملين الاقتصاديين".



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

- والمقدرة بـ 15 يوماً - يكون ابتداءً من تاريخ الإشهار في النشرة الرسمية للإعلانات القانونية¹.

المطلب 3: الشهر القانوني بواسطة السجلات أو الملفات الشخصية

في إطار هذا الأسلوب من الشهر القانوني يتم تجميع كافة المعلومات المتعلقة بالأشخاص (الطبيعية والمعنوية) والأموال والمؤسسات في سجل (Un registre) أو ملف (Un dossier) خاص تسهر على إعداده ومراقبته سلطة أو هيئة إدارية مختصة، حتى يسهل فيما بعد إعلام الجمهور بكل المعلومات المقيدة فيه والمحينة من وقت آخر. وقد اعتمد هذا الأسلوب في مواضع متعددة لاسيما من أجل شهر الحقوق العينية الأصلية والتبعية (مناسبة البيوع العقارية مثلًا أو الرهون الرسمية وغيرها)، وذلك من خلال البطاقات العقارية المعدة على مستوى المحافظات العقارية.

كما اعتمدت هذه التقنية أو الوسيلة كذلك على مستوى المركز الوطني للسجل التجاري؛ هذا الأخير الذي ينشأ لكل تاجر (شخص طبيعي أو معنوي) ملفاً خاصاً به ثُدرج فيه أهم المعلومات المتعلقة بشخصه ومؤسساته وبالتصفات القانونية الصادرة عنه، مُرفقة بالوثائق والمستندات المدعمة لها (المعلومات)، والتي يمكن للجمهور الواسع الاطلاع عليها². حيث نصت المادة 16 من القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتم آنف الذكر على أنه:

¹ - انظر المادتين 1/84 و 3/117 من القانون التجاري على الترتيب.

² - Yves Guyon, op. cit., t.1, p. 938, n° 931. - Georges Ripert + René Roblot, op.cit., t.1, vol2, p. 323, n° 1481.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشناوي

"يجوز لكل شخص يهمه الأمر، وعلى نفقة، الحصول من المركز الوطني للسجل التجاري على كل معلومة تتعلق بشخص طبيعي أو اعتباري مسجل في السجل التجاري".

ومن أجل تسهيل عملية البحث والحصول عن هذه المعلومات على مستوى إدارة السجل التجاري، ألزم المشرع الأشخاص المقيدين فيه بأن يُدرجوا في مختلف الأوراق التجارية الصادرة عنهم (Leurs papiers d'affaires) مجموعة من الإشارات والبيانات الوجيزة الخاصة بهم وفي مقدمتها رقم القيد في السجل التجاري، حيث جاء في المادة 27¹ من القانون التجاري ما يلي:

"يجب على كل شخص طبيعي أو معنوي مسجل في السجل التجاري أن يذكر في عنوان فواتيره أو طلباته أو تعريفاته أو نشرات الدعاية أو على كل المراسلات الخاصة بمؤسساته والموقعة منه أو باسمه، مقر المحكمة التي وقع فيها التسجيل بصفة أصلية ورقم التسجيل الذي حصل عليه".¹

¹ - وعندما يتعلق الأمر خصوصاً بتحرير الفاتورة (باعتبارها التزاماً قانونياً على عاتق التجار)، أو سند التحويل (الذي يبرر حركة المنتجات عندما يقوم عون اقتصادي بنقل سلعة ليست محل معاملات تجارية، وذلك باتجاه وحداته الخاصة بالتخزين، التحويل، التعبئة أو التسويق)، فقد عدلت المادتين 1/3 و13/2 من المرسوم التنفيذي رقم 468/05 المؤرخ في 10/12/2005 الذي يحدد شروط تحرير الفاتورة وسند التحويل ووصل التسلیم والفاتورة الإجمالية وكيفيات ذلك (الجريدة الرسمية لسنة 2005 العدد 80 الصادر بتاريخ: 11/12/2005)، البيانات المتعلقة بالعون الاقتصادي والتي يجب أن تتضمنها وثيقة الفاتورة أو سند التحويل على الترتيب كالتالي: هوية الشخص الطبيعي أو تسمية الشخص المعنوي أو عنوانه التجاري، العنوان ورقم الهاتف والفاكس وكذا العنوان الإلكتروني عند الاقتضاء، الشكل القانوني للعون الاقتصادي وطبيعة النشاط، رئيس مال الشركة عند الاقتضاء، رقم السجل التجاري، رقم التعريف الإحصائي.



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

الخاتمة:

بناءً على ما تقدم فإننا نخلص إلى أن الإعلام من خلال الشهر القانوني ليس هدفًا في حد ذاته، وإنما هو وسيلة التصد منها ضمان الثقة (Confiance) والشفافية (Transparence) في المعاملات القائمة في مجال الأعمال، سواء فيما بين التجار أنفسهم أو بينهم وبين الغير بصفة عامة، وذلك من خلال الإحاطة بمختلف المعلومات الضرورية التي من شأنها المساس بحقوقهم. وبالرغم من ضرورة وتحمية الشهر القانوني في عالم الأعمال إلا أن هذا الموضوع جد معقد وتكثيفه العديد من الصعوبات، لذلك فإن القانون يسعى من خلال هذه الأداة (الشهر القانوني) إلى تحقيق حماية مسبقة لجموع المصالح التي يراها جديرة بتلك الحماية، وذلك عن طريق التوفيق قدر الإمكان بين مصلحة التاجر أو رجل الأعمال التي تقتضي الحافظة على أسراره وشؤونه الداخلية، وبين مصلحة كل من يتعامل معه والتي تستدعي إطلاعه على قدر معين من المعلومات بجعله على دراية كافية بحالة ذلك التاجر لاسيما وضعيته المالية.

وقد منح المشرع عندنا للشهر القانوني عناية كبيرة في التنظيم سواء على مستوى القانون التجاري أو النصوص الخاصة (لاسيما القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية الذي عُدّل وتمّ لأكثر من مرة ليواكب مستجدات البيئة التي يُطبق فيها، وكذا المرسوم التنفيذي رقم 136/16 المؤرخ في 25 أفريل 2016 الذي يحدد كيفيات ومصاريف إدراج الإشارات القانونية في النشرة الرسمية للإعلانات القانونية آنف الذكر). حيث حاول من خلال مختلف تلك الأحكام القانونية ضبط مجال تطبيق الشهر القانوني عن طريق تحديد



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

وحصر مختلف المعلومات التي من الواجب نشرها، سواء المتعلقة منها بحالة الأشخاص ووضعيتهم المالية والمحاسبية أو تلك المنصبة على التصرفات القانونية الصادرة عنهم، حتى لا يكون الحق في الإعلام في مواجهة التجار ورجال الأعمال حقاً مطلقاً ومن غير قيود.

كما قام المشرع كذلك بتكريس تقنيات ووسائل مختلفة للشهر القانوني تماشياً مع تطور تقنيات الإعلام والاتصال في العصر الحديث، لاسيما من خلال استخدام نظام المعلوماتية (L'informatique) أو الرقمنة، ونظام الاتصال عبر الشبكة العنكبوتية (الأنترنت)، وذلك سعياً منه لتحقيق أكبر قدر ممكن من الإعلام الواسع والدقيق والسريع.

ومع ذلك يظل هذا التنظيم القانوني غير مثالي ويكتنفه شيء من النقص والقصور، لذلك ارتأينا أن نقدم بعض الاقتراحات كحلول مناسبة للتغيرات والنقائص التي انطوى عليها وذلك على النحو التالي:

1- بالنسبة للإشهار على مستوى الجرائد اليومية الوطنية الذي كان مستلزمًا في الشركات التجارية بمناسبة عقودها التأسيسية أو التعديلية، والذي تم الاستغناء عليه بعد إلغاء المادة 14 من القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية آنف الذكر (بموجب المادة 13 من القانون رقم 13/06 المؤرخ في 23 يوليو 2013 المعدل والمتمم للقانون رقم 08/04)، فإننا نقترح إنشاء وسائل جديدة للإعلام بدلاً عن الجرائد العادية تكون أكثر فعالية، ولتكن مثلاً جرائد متخصصة (Des journaux spécialisés) في الإشهار القانوني في عالم الأعمال، أو من خلال إلزام بعض التجار (خاصة الشركات التجارية) بإطلاق موقع على شبكة الأنترنت (Sites d'internet) تتضمن كافة المعلومات المهمة الخاصة



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

بكم. لاسيما وأن المشرع أجاز مؤخرًا إمكانية النشر باستخدام الوسائل الالكترونية، وذلك بموجب المادة 5 من المرسوم التنفيذي رقم 136/16 المؤرخ في 25 أفريل 2016 الذي يحدد كيفية ومصاريف إدراج الإشارات القانونية في النشرة الرسمية للإعلانات القانونية.

- وبالنسبة للنشرة الرسمية للإعلانات القانونية التي يعدها المركز الوطني للسجل التجاري، والتي كانت تعاني من الناحية العملية من بعض المشاكل كونها لا تصدر بصفة مستمرة ومنتظمة، فإننا نقترح اتخاذ الإجراءات الإدارية المناسبة التي تكفل صدورها بانتظام وفي فترات وجيزة، لكي نضمن بالنتيجة وصول المعلومة للغير في الوقت المناسب.

- أخيرًا واقتداءً بما هو معمول به في فرنسا، نقترح إدراج نص قانوني جديد على مستوى القانون التجاري يُجيز لكل شخص أن يحصل في مقر شركة المساهمة - حتى ولو لم تلتتج عنية للاهتمام - على نسخة مُحيَّنة من قانونها الأساسي مرفقة بقائمة المديرين ومحفظي الحسابات الذين يزاولون عملهم على مستوىها، وهذا من أجل تسهيل عملية الحصول على مختلف المعلومات الخاصة بمثل هذه الشركات من قبل كل شخص معني بها.

وفي الختام أقول عساي أن أكون بهذا قد أسلحت بجهد متواضع في بيان مختلف الأحكام القانونية المتعلقة بموضوع الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال من حيث نطاقه وطريقه.

قائمة المراجع:

أولاً: النصوص التشريعية والتنظيمية



الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

- الأمر رقم 59/75 المؤرخ في 26/9/1975 المتضمن القانون التجاري المعدل والتمم أكثر من مرة آخرها تم بمحض القانون رقم 15/20 الصادر بتاريخ: 30/12/2015، الجريدة الرسمية لسنة 2015 العدد 71 الصادر بتاريخ: 30/12/2015.

- القانون رقم 22/90 المؤرخ في 18/8/1990 المتعلق بالسجل التجاري، الجريدة الرسمية لسنة 1990 العدد 36 الصادر بتاريخ: 22/8/1990، (المعدل والتمم بـ: القانون رقم 94/91 المؤرخ في 14/9/1991 الجريدة الرسمية لسنة 1991 العدد 43 الصادر بتاريخ: 18/9/1991)، والأمر رقم 96/07 المؤرخ في 10/1/1996 الجريدة الرسمية لسنة 1996 العدد 3 الصادر بتاريخ: 14/1/1996)، والملغى جزئياً بمحض المادة 43 من القانون رقم 08/04 المؤرخ في 14/8/2004 والمتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المذكور أدناه.

- المرسوم التشريعي رقم 10/93 المؤرخ في 23 ماي 1993 يتعلق ببورصة القيم المنقولة (الجريدة الرسمية لسنة 1993 العدد 34 الصادر بتاريخ: 23/5/1993)، المعدل والتمم بمحض: الأمر رقم 96/10 المؤرخ في 10 جانفي 1996 (الجريدة الرسمية لسنة 1996 العدد 3 الصادر بتاريخ: 14/1/1996)، والقانون رقم 03/04 المؤرخ في 17 فيفري 2003 (الجريدة الرسمية لسنة 2003 العدد 11 الصادر بتاريخ: 19/2/2003 + استدراك الجريدة الرسمية لسنة 2003 العدد 32 الصادر بتاريخ: 7/5/2003).

- القانون رقم 04/08 المؤرخ في 14 أوت 2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية، الجريدة الرسمية لسنة 2004 العدد 52 الصادر بتاريخ: 18/8/2004، المعدل والتمم مرتين: بمحض القانون رقم 13/06 المؤرخ في 23 يوليوليو 2013، الجريدة الرسمية لسنة 2013 العدد 39 الصادر بتاريخ: 31/7/2013، ثم



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - فلسطينية الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1169-1132 تاريخ النشر: 25-03-2021

الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

بمقتضى القانون رقم 18/08 المؤرخ في 10 جوان 2018، الجريدة الرسمية لسنة 2018

العدد 35 الصادر بتاريخ: 2018/6/13.

- المرسوم التنفيذي رقم 70/92 (الملغى) المؤرخ في 18/2/1992 المتعلق

بالنشرة الرسمية للإعلانات القانونية، الجريدة الرسمية لسنة 1992 العدد 14 الصادر

بتاريخ: 1992/2/23.

- المرسوم التنفيذي رقم 468/05 المؤرخ في 10/12/2005 الذي يحدد

شروط تحويل الفاتورة وسداد التحويل ووصول التسلیم والفاتورة الإجمالية وكيفيات

ذلك، الجريدة الرسمية لسنة 2005 العدد 80 الصادر بتاريخ: 2005/12/11.

- المرسوم التنفيذي رقم 136/16 المؤرخ في 25 أفريل 2016 الذي يحدد

كيفيات ومصاريف إدراج الإشهارات القانونية في النشرة الرسمية للإعلانات

القانونية، الجريدة الرسمية لسنة 2016 العدد 27 الصادر بتاريخ: 2016/5/4.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - فلسطينية الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : 2588-X204

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1132-1169 تاريخ النشر: 25-03-2021

الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

ثانيا: الكتب والمؤلفات العامة

- زايدى خالد: التزامات التاجر القانونية، الجزائر: دار الخلدونية، 2016.
- د/ فرحة زراوي صالح : الكامل في القانون التجاري الجزائري، الجزائر:
ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
- مبروك حسين: القانون التجاري الجزائري (النصوص التطبيقية والاجتهاد
القضائي والنصوص المتممة)، الطبعة 6، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،
2008.
- Jean-Marc Moulin : Droit des sociétés et des groupes,
Paris : Gualino éditeur- Lextenso éditions, 2013.
- Paul Le Cannu + Bruno Dondero : Droit des sociétés, 4^{ème}
édition, Paris : Montchrestien – Lextenso éditions, 2012.
- Philippe Merle : droit commercial (sociétés commerciales),
14^{ème} édition, Paris : Dalloz, 2010.
- Georges Ripert + René Roblot : Traité de droit commercial,
Tome1, Volume 2 (Les sociétés commerciales), 19^{ème} édition par :
Michel Germain avec le concours de Véronique Magnier , Paris :
L.G.D.J, Lextenso éditions, 2009.
- Yves Guyon : Droit des affaires, tome1 (Droit commercial
général et sociétés), 6^{ème} édition, Paris : Economica, 1990.

ثالثا: الأبحاث والمقالات

- د/ حماد مصطفى عزب: حق المساهمين في الإعلام تجاه الشركة، مجلة
الدراسات القانونية لكلية الحقوق جامعة أسيوط، العدد 19 لسنة 1996.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قيادة فلسطينية الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1169-1132 تاريخ النشر: 25-03-2021

الشهر القانوني كأداة للإعلام في عالم الأعمال ----- د. حكيم وشاتي

- **وشاتي حكيم** : الحل التجاري كحصة في الشركة (حصة على سبيل التمليل)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في القانون الخاص (فرع قانون الأعمال)، جامعة باجي مختار عنابة، 1999-2000.

- **وشاتي حكيم** : حماية دائن بائع الحل التجاري (دراسة مقارنة بين القانون الجزائري والقانون الفرنسي)، مجلة التواصل في الاقتصاد والإدارة والقانون، جامعة باجي مختار عنابة، العدد 35 الصادر في سبتمبر 2013.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : 2588-1188

الجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 25-1170 تاريخ النشر: 2021-03-25

نظريّة عيوب الرضا وأثرها في حماية المستهلك

The theory of defects of satisfaction and its impact on consumer protection

الطالب شعيب بوعروج

Chouaib.bouarroudj@umc.edu.dz

مخبر العقود وقانون الأعمال

أ. د. سليم بودليو

Salimprof69@yahoo.fr

جامعة الإخوة منتوري - فلسطين 01

تاریخ الارسال: 2019/04/24 تاریخ القبول: 2020/11/08

I. الملخص بالعربية :

يقوم الأشخاص في معاملاتهم مع الغير بإبرام عقود، ومن بين أهم هذه العقود عقود الاستهلاك والتي تتم كأصل عام برضاء الطرفين، غير أنه في كثير من الأحيان يصاب رضا أحد الطرفين بعيوب مما يؤدي إلى احتلال العلاقة التعاقدية، ولهذا تدخل المشرع الجزائري في محاولة منه لإعادة التوازن العقدي المفقود وذلك بإقراره لنظرية عيوب الرضا.

وعليه جاءت هذه الدراسة للبحث في مدى مساهمة هذه النظرية في إعادة التوازن العقدي بين طرف في عقد الاستهلاك.

الكلمات المفتاحية: الحرية التعاقدية، عيوب الرضا، التوازن العقدي، عقد الاستهلاك.



نظريّة عيوب الرضا وأثّرها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

abstract :

People make contracts to deal with others, and the contract of consumption is the most important, which is a public depend on satisfaction of the contractors. but sometimes the satisfaction is flawed with faults and this due to contractual imbalance, as a result the legislator or approved the theory of faults of satisfaction.

This study comes to search in the extent of contribution of this theory in contract rebalancing between the contractors in the contract of consumption.

Keywords: the contractual freedom, Faults of satisfaction, Contractual balance, The contract of consumption.

المقدمة:

يحتاج الأشخاص في كثير من الحالات إلى القيام بمعاملات تسهل لهم حياتهم وذلك عن طريق إبرام ما يشاؤون من عقود، هذه الأخيرة منها ما يتم برضائية ومنها ما يتم بعكس ذلك .

فكثير من الأشخاص يجدون أنفسهم ملزمين على إبرام عقود ما لتلبية حاجاتهم الشخصية أو العائلية، بل إن هناك متعاملين اقتصاديين في السوق يلجؤون إلى طرق احتيالية وغير قانونية لبيع منتجاتهم، وهو ما يجعل العلاقة التعاقدية تختل وتفقد توازنها خاصة إذا تعلق الأمر بعقود الاستهلاك.

فالمتعامل الاقتصادي في العلاقة الاستهلاكية يتمتع بقدرة مالية ومعرفية قوية، بخلاف الطرف الآخر الذي يجد نفسه غير قادر على المواجهة في مثل هذا النوع من العقود أي في عقد الاستهلاك.



نظريّة عيوب الرضا وأثّرها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

وقد تدخل المشرع الجزائري لمعالجة ما يصيب رضا الطرف الضعيف من عيوب وأقر نظرية عيوب الرضا، وهذا للحد من الاختلال الحاصل بين طرف العلاقة الاستهلاكية، وهو الأمر الذي يدعو إلى التساؤل حول:
ما مدى مساقية نظرية عيوب الرضا في إعادة التوازن العقدي بين طرف في عقد الاستهلاك؟

وللإجابة على هذه الإشكالية ستبع المنهج الوصفي والمنهج التحليلي من خلال تقسيم الدراسة إلى مبحثين في كل مبحث مطلبين.
المبحث الأول: أطراف العلاقة التعاقدية .
المبحث الثاني: نظرية عيوب الرضا وحماية المستهلك.

المبحث الأول : أطراف العلاقة التعاقدية

إن عقد الاستهلاك من العقود التي تستلزم وجود طرفين أحدهما يسمى بالمستهلك والآخر يسمى بالمتتدخل، وللإحاطة بمدلول هذين الطرفين ستنطرق في هذا المبحث إلى كل واحد منهما على حدى ، بداية بالمستهلك (المطلب الأول) ثم المتتدخل (المطلب الثاني).

المطلب الأول: المستهلك

للإحاطة بمدلول المستهلك من جوانب عدّة كان من اللازم دراسة مختلف التعريفات التي حضي بها، سواء من قبل الفقه أو القانون الجزائري مع بيان الفروق التي تتضمنها هاته التعريفات.

وستنطرق في هذا الفرع إلى التعريف الفقهي (الفرع الأول) ثم إلى التعريف القانوني (الفرع الثاني).



نظريّة عيوب الرضا وأثّرها ——— ط. شعيب بو عرورج وأ.د. سليم بودليو

الفرع الأول: التعريف الفقهي للمستهلك

أثار مصطلح المستهلك جدلاً فقهياً واسعاً في نطاق حول تحديد تعريف له، حيث انقسم الفقه إلى اتجاهين أحدهما يضيق من تعريفه والآخر يوسع فيه¹.

أولاً: التعريف الضيق للمستهلك :

يعرف بعض الفقه المستهلك بأنه كل شخص يتعاقد بقصد إشباع حاجاته الشخصية أو العائلية، كمن يشتري سيارة لاستخدامه الشخصي دون المهني². كما يرى البعض الآخر أن المستهلك هو الفرد الذي يقوم بالعمليات الاستهلاكية التي تهدف إلى إشباع حاجاته اليومية والوقتية دون أن تخللها نية تحقيق الربح، سواء كان شخصاً طبيعياً أو معنوياً³.

إذن فالمعيار الذي اعتمدته هذا الاتجاه هو معيار الغرض من التصرف، وبناء على ذلك لا يعتبر مستهلكاً وفق هذا الاتجاه الشخص الذي يقتني مالاً أو خدمة لغرض مزدوج أي مهني وآخر غير مهني، كما لا يعتبر مستهلكاً ولا يستفيد من قواعد الحماية الشخص الذي يتصرف لغرض مهني حتى ولو كان خارج مجال اختصاصه⁴. ومن بين الحجج التي استند إليها أنصار هذا الاتجاه، أن الشخص حينما يتعاقد فهو

¹ - من أبو بكر الصديق، الالتزام بإعلام المستهلك عن المنتجات، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2013، ص 15.

² - فاتن حسين حوى، الوجيز في قانون حماية المستهلك، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 2012، ص 31 و 32.

³ - مصطفى أحمد أبو عمرو، موجز أحكام قانون حماية المستهلك، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 2011، ص 31.

⁴ - محمد بودلي، الالتزام بالنصيحة في نطاق عقود الخدمات، دراسة مقارنة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2005، ص 61 و 60.



نظريّة عيوب الرضا وأثّرها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

يهدف إلى تحقيق غاية استهلاكية محضة تمثل في الحصول على سلعة أو خدمة هو في أمس الحاجة إليها ، فإنه يوجد في موقف اقتصادي ضعيف نتيجة افتقاره إلى الأدوات الخاصة بالإنتاج والتسويق مما يجعل من المتعذر بالنسبة له الاستفادة من عمليات التصنيع أو الشراء من أجل إعادة البيع، فالنصوص الحماية انطلقت من منطلق أساسى هو ضرورة حماية الطرف الضعيف في التعاقد والذي يحسده المستهلك بمفهومه الضيق¹.

أما فيما يتعلق بالمهني الذي يتصرف خارج مجال اختصاصه فلن يكون أعلاً من كل سلاح مثل المستهلك، وأن المهني الذي يتصرف من أجل حاجات مهنية سيكون أكثر تحفزاً من الشخص الذي يتصرف لغرض خاص، وبالتالي سيحسن الدفاع عن نفسه، هذا ويعيل إلى الأخذ بهذا التعريف الضيق للمستهلك غالبية الفقه².

ورغم سلامة الاعتبارات التي يقوم عليها هذا الاتجاه إلا أنه لم يسلم من النقد، فمن ناحية يرى البعض أن هذا الاتجاه يضيق كثيراً من نطاق تطبيق النصوص الحماية، حيث يحرم عدداً كبيراً من الأشخاص من الاستفادة منها³.

ثانياً: التعريف الواسع للمستهلك

ذهب هذا الاتجاه إلى التوسيع في مفهوم المستهلك ليشمل كل شخص يتعاقد بهدف الاستهلاك، وقد وسع هذا المفهوم ليشمل التصرفات ذات الهدف المهني⁴، فعرف

¹ - من أبو بكر الصديق، المرجع السابق، ص 17.

² - محمد بودالي، المرجع نفسه ص 61 و 62.

³ - من أبو بكر الصديق، المرجع نفسه، ص 18.

⁴ - أسامة خيري، الرقابة وحماية المستهلك، دار الرأي للنشر والتوزيع، الأردن، 2015، ص 17.



نظريّة عيوب الرضا وأثّرها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

المستهلك بأنه كل من يتعاقد بهدف استعمال أو استخدام مال أو خدمة سواء لاستعماله الشخصي أو المهني¹.

وعلى هذا يعد مستهلكا من يشتري سيارة لاستعماله الشخصي أو لاستعماله المهني لأن السيارة تستهلك عن طريق استعمالها، ولكن يستبعد من هذا التصور الشراء من أجل إعادة البيع لاتفاق الاستهلاك في هذه الحالة، وبهذا يكون هذا الرأي أعطى تصورا واسعا لتعريف المستهلك بحيث يشمل بعض الأشخاص الذين يتصرفون لغرضمهني ولكن خارج مجال عملهم².

فلا يعتبر مستهلكا في مفهوم هذا الاتجاه البيع الحاصل لأحد التجار متى كان الشيء محل التعاقد من الأشياء التي تتعلق بالتجارة، أو البيع الحاصل للمزارعين متى كان محل التعاقد عبارة عن منتوج يستخدم في الاستغلال الزراعي، مثل البنور والأسمدة³. ويستند أنصار هذا الاتجاه إلى أن القضاء الفرنسي اتجه إلى تمديد قانون الاستهلاك ليشمل بالحماية الأشخاص الذين يتصرفون بغرض مهني ولكن خارج اختصاصهم ، إلا أن البعض ذهب إلى حد المصادقة بتوسيع دائرة الاستفادة من قواعد الحماية لتشمل جميع

¹ - محمد جريفيلي، نطاق تطبيق قانون حماية المستهلك من حيث الأشخاص، مجلة القانون والمجتمع العدد 06 جامعة أحمد دراية أدرار، 2016، ص 213.

² - سه نكه ر علي رسول، حماية المستهلك وأحكامه، دراسة مقارنة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية 2016 ص 32.

³ - سه نkeh ر علي رسول، المرجع نفسه، ص 35.



نظريّة عيوب الرضا وأثّرها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

المذكورين الأضعف اقتصادياً، على أساس أن قرينة الضعف هي التي يتحدد عليها مفهوم المستهلك¹.

في المقابل رفض جانب من الفقه توسيع مفهوم المستهلك مبررين توجّههم بأن المهني الذي يتعاقد خارج نطاق اختصاصه لا يكون بالضرورة في موقف ضعف كالمستهلك، ذلك أنّ الذي يتعاقد لحاجات مهنته يكون بوجه عام أكثر خبرة وحرصاً من ذلك الذي يتعاقد لحاجاته الشخصية وبالتالي له قدرة الدفاع عن مصالحه بشكل أفضل².

كما أن توسيع مفهوم المستهلك على هذا النحو سيجعل نطاق قانون الاستهلاك غير محدد، إلا أنّ اعتماد عنصر الاختصاص كمعيار لتطبيق قواعد الحماية يستلزم البحث في كلّ حالة على حدّى لمعرفة ما إذا كان المهني أو داك يتصرف ضمن تخصصه أم لا، والنتيجة ضئيلة احتمالية في الغالب في حين أنّ المتعاقدين في حاجة ماسة لمعرفة القانون الذي ينطبق على علاقتهم مسبقاً³.

الفرع الثاني: التعريف القانوني للمستهلك

¹ محمد بودالي، حماية المستهلك في القانون المقارن دراسة مقارنة مع القانون الفرنسي، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2006، ص 23.

² محمد عماد الدين عياض، نطاق تطبيق قانون حماية المستهلك وقمع الغش، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد التاسع، جوان، 2013، ص 65 .

³ محمد عماد الدين عياض، المرجع السابق، ص 65.



نظريّة عيوب الرضا وأثّرها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

نص المشرع الجزائري في الفقرة الثانية من المادة الثالثة من القانون 04-02 المحدد للقواعد المطبقة على الممارسات التجارية¹، على أن المستهلك هو كل شخص طبيعي أو معنوي يقتني سلعا تقدم للبيع أو يستفيد من خدمات عرضت ومحردة من كل طابع مهني، كما نص في الفقرة الأولى من المادة الثالثة من القانون 09-03 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش²، على أن:

"المستهلك كل شخص طبيعي أو معنوي يقتني مقابلا أو مجانا سلعة أو خدمة موجهة للاستعمال النهائي من أجل تلبية حاجاته الشخصية أو تلبية حاجات شخص آخر أو حيوان متکفل به"

ويستنتج من التعريف السابقة أن المشرع اخذ بالمفهوم الضيق للمستهلك، كما يتضح كذلك أن المستهلك قد يكون شخصا طبيعيا كما قد يكون شخصا معنويا كما أن التعريف الوارد في ظل القانون 04-02 اعتمد على معيار المهني لتحديد مفهوم المستهلك وما يلاحظ كذلك أن القانون 09-03 وسع من نطاق الحماية في العلاقات التي يحصل فيها المستهلك على سلع أو خدمات دون مقابل³.

¹ القانون رقم 04-02 المؤرخ في 23 جوان 2004، يحدد القواعد المطبقة على الممارسات التجارية، ج رعد 41 الصادرة في 27 جوان 2004.

² القانون رقم 09-03، المؤرخ في 25 فيفري لسنة 2009، يتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش، ج رعد 15 مؤرخة في 08/مارس/2009.

³ سامي بن حملة، إعادة التوازن العقدي بين المستهلك والمتدخل في عقود الاستهلاك، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد الخامس، مارس 2015 ص 95.



نظريّة عيوب الرضا وأثّرها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

والجدير بالذكر في هذا المقام أن إيراد المشرع الجزائري لمصطلح "يقتني مجاناً" غير صحيح ذلك أن الاقتناء يكون دائماً بمقابل أما كلمة "مجاناً" فلا ترتبط أصلاً بالاقتناء¹.

المطلب الثاني: المتتدخل

وللإحاطة بمدلول المتتدخل من عدة جوانب ستتطرق إلى التعريف الفقهي للمتدخل (الفرع الأول) والقانوني (الفرع الثاني).

الفرع الأول: التعريف الفقهي للمتدخل

المتدخل هو نفسه المخترف وهو نفسه المهني، ويعرف على أنه الشخص الذي يتصرف من أجل تلبية حاجات مهنته كشراطه للسلع من أجل إعادة بيعها². ويعرفه جانب آخر من الفقه بأنه كل شخص طبيعي أو معنوي خاص أو عام والذي يظهر في العقد كمهني محترف فهو الشخص الذي يشتري البضائع بقصد إعادة بيعها³.

وبتعبير آخر هو كل شخص طبيعي أو معنوي متاح أو مورد للمتطلبات أو يقوم بأداء الخدمات والذي يقوم بإبرام عقود تتعلق بعمارة نشاطه الصناعي أو التجاري أو الحرفي أو اتصلت تلك العقود بعمارة إحدى المهن الحرة⁴.

¹ - زاهية حورية سي يوسف، دراسة قانون رقم 09_03 المؤرخ في 25 فيفري 2009 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش، دار هومه، الجزائر، 2017، ص 10.

² - هدى تريكي، الحماية المدنية الإجرائية للمستهلك، دراسة مقارنة، المركز القومي للإصدارات القانونية، الطبعة الأولى، القاهرة، 2017، ص 29.

³ - مصطفى أحمد أبو عمرو، المرجع السابق، ص 41.

⁴ - أكرم محمد حسين التميمي، التنظيم القانوني للمهني، دراسة مقارنة في نطاق الأعمال التجارية، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 2010، ص 32.



نظريّة عيوب الرضا وأثّرها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

فالمُحترف أو المتدخل إذا من الرغب من شراءه للمُحتاجات فإنه يستعملها في إنتاج سلع أخرى في إطار مشروع تجاري أو صناعي أو تسويقها بقصد الربح¹.

الفرع الثاني: التعريف القانوني للمتدخل

عرف المشرع الجزائري المتدخل بأنه "كل شخص طبيعي أو معنوي يتدخل في عملية عرض المنتوجات للاستهلاك"².

ويبدو من هذا التعريف أن المتدخل هو الطرف الذي يصدر منه الإيجاب في عقد الاستهلاك³.

ويقصد بعملية وضع المنتوجات للاستهلاك مجموع مراحل الإنتاج والاستيراد والتخزين والتقل والتوزيع بالجملة وبالتجزئة⁴.

وبناء على ذلك فالمتدخل هو المنتج، المستورد، المخزن، الناقل والموزع ويكمّن المهدى الذي يتواخاه المشرع من توسيع طائفة المتدخلين الأكثر ملائمة⁵.

المبحث الثاني : نظرية عيوب الرضا وحماية المستهلك

¹ - علي بولحية بن بوحبيس، القواعد العامة لحماية المستهلك والمسؤولية المترتبة عنها في التشريع الجزائري، دار المهدى، عين مليلة، الجزائر 2000، ص 16.

² - انظر الفقرة 07 من المادة 03 من القانون 09-03 السابق.

³ - عواطف زرار، الحماية القانونية للمستهلك في التشريع الجزائري، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، العدد الأول، جامعة الحاج لخضر، باتنة، فيفري، 2014، ص 85.

⁴ - انظر الفقرة 08 من المادة 03 من القانون 09-03 السابق.

⁵ - زاهية حورية سي يوسف، المرجع السابق، ص 11.



نظريّة عيوب الرضا وأثُرُها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

يمثل الرضا الحجر الأساس في العلاقة التعاقدية وجوده ضروري وغيابه يؤدي إلى اختلال التوازن العقدي بين طرف العقد، وخاصة عقد الاستهلاك لما فيه من استغلال للطرف الضعيف.

وحماية لهذا الأخير فقد اقر المشرع الجزائري بنظرية عيوب الرضا والمتمثلة في الإكراه والغلط (المطلب الأول) والغبن والتلليس (المطلب الثاني).

المطلب الأول : الإكراه والغلط وحماية المستهلك

وللإحاطة بمدلول هذين العيدين ومدى ارتباطهما بحماية المستهلك سنتطرق إلى كل واحد منهما على حدٍ بدأية بالإكراه (الفرع الأول) ثم الغلط (الفرع الثاني).

الفرع الأول: الإكراه وحماية المستهلك

يعرف الإكراه على أنه ضغط غير مشروع على إرادة الشخص يولد في نفسه رهبة تحمله على التعاقد لكي يتفادى نتائج التهديد الذي يقع عليه¹.

وقد نصت المادة 88 من القانون المدني² على أنه:

"يجوز إبطال العقد للإكراه إذا تعاقد شخص تحت سلطان رهبة بينة بعثها المتعاقد الآخر في نفسه دون حق، وتعتبر الرهبة قائمة على بينة إذا كانت ظروف الحال تصور للطرف الذي يدعىها أن خطرا جسيما مهددا هو أو أحد أقاربه، في نفس، أو جسم أو الشرف، أو المال.

¹ - إبراهيم بن داود، قانون حماية المستهلك، وفق أحكام القانون 09-03 المؤرخ في 25 فبراير 2009 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2013، ص 24.

² - الأمر رقم 58-75 المؤرخ في 20 رمضان 1395 الموافق 26 سبتمبر 1975، المتضمن القانون المدني المعديل والتمم.



نظريّة عيوب الرضا وأثُرُها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

ويراعى في تقدير الإكراه جنس من وقع عليه هذا الإكراه وسنه، وحالته الاجتماعية، والصحية، وجميع الظروف الأخرى التي من شأنها أن تؤثر في جسامته الإكراه¹.

ويستنتج من هذه المادة حكم صدور الإكراه من أحد المتعاقدين ويتمثل هذا الحكم في جواز إبطال العقد خاصة إذا تم التعاقد في ظل سيطرة الرهبة في نفس المتعاقد المكره

وقد بيّنت المادة الشروط الواجب توفرها لقيام الرهبة، وأما الفقرة الثالثة فقد حددت ما يراعى في تقدير الإكراه هذا في حالة صدور الإكراه من أحد المتعاقدين، أما إذا صدر الإكراه من غير المتعاقدين فليس للمتعاقد المكره أن يطلب إبطال العقد إلا إذا ثبت أن المتعاقد الآخر كان يعلم أو كان من المفترض حتماً أن يعلم بهذا الإكراه¹. أما فيما يخص دور عيب الإكراه في مجال حماية المستهلك فقد اختلفت الآراء الفقهية بصدره، فهناك من يرى أن تلك الضغوط التي يتعرض لها المستهلك كانت قبل الإكراه لأن عدمه إكراها قد يؤدي إلى اضطراب السوق، ولكن رأي آخر يرى باضطرار المستهلك لقبول التعاقد فهذا إكراه، ويدركه رأي آخر إلى أنه يراعي في تقدير وجود الإكراه من عدمه جنس من وقع عليه الإكراه وسنه وحالته الاجتماعية والصحية وأي طرف آخر من شأنه أن يؤثر في جسامته الإكراه، وهناك اتجاه قضائي مؤيد لهذا الرأي ولكن لا يجد في القواعد المنظمة لعيوب الإكراه في القانون المدني ما يوفر حماية للمستهلك².

¹ - انظر المادة 29 من الأمر 58-75 السابق.

² - سه نكه ر علي رسول، المرجع السابق، ص 35.



نظريّة عيوب الرضا وأثرها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

بالرغم من وجود توافق بين الرأي الأخير ونص المادة 88 من القانون المدني الجزائري.

الفرع الثاني: الغلط وحماية المستهلك

يمكن تعريف الغلط بأنه "الحالة التي تقوم بالنفس تحمل على توهّم غير الواقع" وغير الواقع إما أن يكون واقعة غير صحيحة يتوهّم الإنسان صحتها أو واقعة صحيحة يتوهّم عدم صحتها¹.

وقد أجاز المشرع الجزائري للمتعاقد الذي وقع في غلط وقت إبرام العقد أن يطالب بالإبطال شرط أن يكون هذا الغلط جوهرياً أي بلغ من الجسامّة حداً كبيراً إلى درجة عدم التعاقد لو لم يقع فيه².

أما إذا أظهر البائع منتجاته واستعداده لتقديم المبيع طبقاً للمواصفات الأساسية من شروط العقد ومبادئ حسن النية فلا يجوز في هذه الحالة التمسك ببطلان العقد³. ويستنتج أن الغلط لا يعد وسيلة فعالة لتحقيق الحماية الالزامية للمستهلك نظراً لشدة الشروط أو القيود التي يحتويها، فضلاً عن ذلك فإن هذا العيب لا يهدف إلى حماية الطرف الضعيف بقدر حماية أحد طرفي العقد أصلاً أي أنه للمتدخل أن يتمسك بذات الغلط أيضاً لإبطال العقد⁴.

المطلب الثاني : الغبن والاستغلال والتسليس وحماية المستهلك

¹ - عبد الرزاق أحمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، نظرية الالتزام بوجه عام، مصادر الالتزام، المجلد 01، نهضة مصر، الطبعة الثالثة، 2011، ص 289.

² - انظر المادتين 81 و82 من الأمر نفسه.

³ - سليم سعداوي، حماية المستهلك الجزائر نموذجاً، ط 1، دار الخلدونية، الجزائر 2009، ص 128.

⁴ - سه نكه ر علي رسول، المرجع السابق، ص 77 و 78.



نظريّة عيوب الرضا وأثّرها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

لبيان مدلول هذين العيدين ومدى مساهمتهم في حماية المستهلك نتناول الغبن الاستغالي (الفرع الأول) والتسليس (الفرع الثاني).

الفرع الأول : الغبن وحماية المستهلك

قد عرفه الفقه على أنه الخسارة التي تصيب أحد المتعاقدين من إبرام العقد بسبب عدم التوازن الفادح بين الأداءات والذي يرجع إلى استغلال الطيش البين أو الهوى الجامح لدى المتعاقد¹.

يتوافق هذا التعريف مع ما نص عليه المشرع الجزائري في المادة 90 من القانون المدني بقوله:

"إذا كانت التزامات أحد المتعاقدين متفاوتة كثيرا في نسبة مع ما حصل عليه هذا المتعاقد من فائدة بمحض العقد أو مع التزامات المتعاقد من فائدة بمحض العقد أو التزامات المتعاقد الآخر، وتبين أن المتعاقد المغبون لم يبرم العقد للقاضي بناء على طلب المتعاقد المغبون أن يبطل العقد أو أن ينقص التزامات هذا المتعاقد..."

ويراعى في تطبيق هذه المادة عدم الإخلال بالأحكام الخاصة بالغبن في بعض العقود².

ويستنتج من هذه المادة أن المشرع الجزائري أكتفى بالنظرية المادية من جهة عدم التوازن بين الأداءات المقابلة في العقد، والنظرية الشخصية من جهة استغلال أحد

¹ - عمر محمد عبد الباقي، الحماية العقدية للمستهلك، دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون، منشأة المعارف، 2004، ص 500.

² - أنظر المادة 91 من الأمر السابق.



نظريّة عيوب الرضا وأثّرها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

الطرفين لعوز أو طيش أو عدم خبرة الطرف الآخر، وجزاء ذلك إبطال العقد أو إنقاذه التزامات الطرف المغبون بحسب ما يراه القاضي ملائماً¹.

يمكن القول إن هذه النظرية بحدودها الضيقه عاجزة عن تحقيق حماية المستهلك ولا تصلح أن تقوم بدور المبدأ العام الكفيل بحماية المتعاقد الأقل خبرة وكفاءة، خاصة أن تطور المجتمع أدى إلى تزايد التفاوت بين مقومات تفوق المهني وبين ضعف المستهلك إلى حد يجب معه هجر النظرية الضيقه للاستغلال حماية للطرف الضعيف من الطرف الأقوى².

الفرع الثاني: التدليس وحماية المستهلك

نصت المادة 86 من القانون المدني الجزائري على أنه "يجوز إبطال العقد للتسلّس إذا كانت الحيل التي لجأ إليها المتعاقدين أو النائب عنه، من الجسم بحيث لولاها لما إبرام الطرف الثاني العقد"³ فالتدليس إذا هو عبارة عن استغلال حيلة توقع المتعاقد في غلط يدفعه إلى التعاقد³.

و تحدّر الإشارة إلى أنه في حالة صدور التدليس من غير المتعاقدين فليس للمتعاقد المدلس عليه أن يطالب بإبطال العقد، إلا إذا ثبت علم المتعاقد الآخر أو أن هذا الأخير كان من المفترض حتماً أن يعلم بالتدليس الحاصل⁴.

¹ - محمد بودلي، حماية المستهلك في القانون المقارن دراسة مقارنة مع القانون الفرنسي، المرجع السابق، ص 252 و 253.

² - عمر محمد عبد الباقى، المرجع نفسه ص 508 و 509.

³ - السيد محمد السيد عمران، حماية المستهلك أثناء تكوين العقد، دراسة مقارنة مع دراسة تحليلية وتطبيقية لنصوص الخاصة بحماية المستهلك، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 2003، ص 60.

⁴ - انظر المادة 87 من الأمر السابق.



نظيرية عيوب الرضا وأثرها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

وـما أن التدليس لا يقوم إلا إذا كان ثمة عقد فإنه بهذا الشرط لا يوفر حماية حقيقة

للمستهلك، خاصة في مواجهة الرسائل الإعلانية الكاذبة والمضللة¹.

الخاتمة:

بناء على ما تم تحليله ودراسته وعلى نصوص المواد ما ارتبط منها بقانون حماية

المستهلك وقمع الغش والقانون المدني يظهر جليا النتائج التالية:

1- إن نظيرية عيوب الرضا لم يكن لها الدور الفعال في إعادة التوازن العقدي بين

طرف في عقد الاستهلاك.

2- إن طرفا عقد الاستهلاك هما المستهلك المتمثل في الطرف الضعيف والمتدخل

الطرف القوي وقد تدخل المشرع الجزائري في تعريفها وذلك لأهميتها.

3- إن المشرع الجزائري قد وفق في تبنيه للمفهوم الضيق للمستهلك، غير أنه

ووفقا لما استنتاجه من الدراسة لم يكن موقفا في إيراده لمصطلح 'يقتني' كما تم تبيينه سابقا.

4- إن المشرع الجزائري قد وفق في توسيعه لطائفة المتدخلين ما يساهم في توفير

حماية أفضل للطرف الضعيف.

5- إن عيوب الرضا المتمثلة في الإكراه والغلط والغبن الناتج عن الاستغلال

والتدليس لم تستطع أن توفر للمستهلك حماية فعلية بالقدر الذي يعيد التوازن العقدي

المفقود.

وتماشيا مع النتائج المقدمة نقترح ما يلي:

¹ - عبد المنعم موسى إبراهيم، حماية المستهلك، دراسة مقارنة، منشورات الخليج الحقوقية، لبنان، 62، ص 2007.



نظريّة عيوب الرضا وأثّرها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

- 1- ضرورة تعديل نص الفقرة 01 من المادة 03 من قانون حماية المستهلك وقمع الغش وذلك باستبدال مصطلح "يقتني" بمصطلح "يحصل".
- 2- ضرورة تبني المشرع الجزائري الرأي الفقهي الذي يعتبر الضغوط التي يتعرض لها المستهلك من قبل الإكراه.
- 3- ضرورة توسيع نطاق كل من الغلط والإكراه والغبن الناتج عن الاستغلال والتسلّسلي ليشمل حماية فعالة للمستهلك.

قائمة المراجع:

1 - النصوص القانونية

- (1) الأمر رقم 58-75 المؤرخ في 20 رمضان 1395 الموافق 26 سبتمبر 1975 المتضمن القانون المدني المعدل والمتمم.
- (2) القانون 04-02 المؤرخ في 23 جوان 2004 يحدد القواعد المطبقة على الممارسات التجارية، ج ر، عدد 41 الصادرة في 27 جوان، 2004.
- (3) القانون رقم 09-03، المؤرخ في 25 فيفري لسنة 2009، يتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش، ج ر، عدد 15 مؤرخة في 08/مارس/2009.

2 - الكتب

- (1) السيد محمد السيد عمران، حماية المستهلك أثناء تكوين العقد، دراسة مقارنة مع دراسة تحليلية وتطبيقية لنصوص الخاصة بحماية المستهلك، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 2003.
- (2) أكرم محمد حسين التميمي، التنظيم القانوني للمهني، دراسة مقارنة في نطاق الأعمال التجارية، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 2010.



نظريّة عيوب الرضا وأثّرها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

(3) أسماء خيري، الرقابة وحماية المستهلك، دار الرأي للنشر والتوزيع، الأردن،

.2015

(4) إبراهيم بن داود، قانون حماية المستهلك، وفق أحكام القانون 09-03 المؤرخ

في 25 فبراير 2009 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش، دار الكتاب الحديث، الجزائر،

.2013

(5) زاهية حورية سي يوسف، دراسة قانون رقم 09_03 المؤرخ في 25

فيفري 2009 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش، دار هومه، الجزائر، 2017.

(6) سليم سعداوي، حماية المستهلك الجزائر نموذجا، ط 1، دار الخلدونية،

الجزائر، 2009.

(7) سه نكه ر علي رسول، حماية المستهلك وأحكامه، دراسة مقارنة، دار الفكر

الجامعي، الإسكندرية 2016.

(8) علي بولحية بن بوخيس، القواعد العامة لحماية المستهلك والمسؤولية المترتبة

عنها في التشريع الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2000.

(9) عمر محمد عبد الباقي، الحماية العقدية للمستهلك، دراسة مقارنة بين

الشريعة والقانون، منشأة المعارف، 2004.

(10) عبد المنعم موسى إبراهيم، حماية المستهلك، دراسة مقارنة، منشورات

الخلبي الحقوقية، لبنان 2007.

(11) عبد الرزاق أحمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد،

نظريّة الالتزام بوجه عام، مصادر الالتزام، المجلد 01 نكبة مصر الطبعة الثالثة 2011.

(12) فاتن حسين حوى، الوجيز في قانون حماية المستهلك، منشورات الخلبي

الحقوقية، لبنان 2012.



نظريّة عيوب الرضا وأثّرها ----- ط. شعيب بوعروج وأ.د. سليم بودليو

(13) محمد بودليو، الالتزام بالنصيحة في نطاق عقود الخدمات، دراسة مقارنة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2005.

(14) محمد بودليو، حماية المستهلك في القانون المقارن دراسة مقارنة مع القانون الفرنسي، دار الكتاب الحديث، الجزائر 2006.

(15) مصطفى أحمد أبو عمرو، موجز أحكام قانون حماية المستهلك، منشورات الخليجي الحقوقية، لبنان، 2011.

(16) مني أبو بكر الصديق، الالتزام بإعلام المستهلك عن المنتجات، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2013.

(17) هدى تريكي، الحماية المدنية الإجرائية للمستهلك، دراسة مقارنة، المركز القومي للإصدارات القانونية، الطبعة الأولى القاهرة، 2017.

3 - المقالات

(1) سامي بن حملة، إعادة التوازن العقدي بين المستهلك والمتتدخل في عقود الاستهلاك، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد الخامس، مارس، 2015.

(2) محمد جريفيلي، نطاق تطبيق قانون حماية المستهلك من حيث الأشخاص، مجلة القانون والمجتمع العدد 06 جامعة أحمد دراية، أدرار، 2016.

(3) محمد عماد الدين عياض، نطاق تطبيق قانون حماية المستهلك وقمع الغش، مجلة دفاتر السياسة والقانون العدد التاسع، جوان، 2013.

(4) عواطف زرارة، الحماية القانونية للمستهلك في التشريع الجزائري، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، العدد الأول، جامعة الحاج لخضر، باتنة، فيفري، 2014.



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر The evolution of e-commerce law in Algeria

الطالب أيوب بن النبي

b.ayoub1986@gmail.com

أ. د . يمنى بليمان

yambelimane@gmail.com

جامعة الإخوة متوري - قسنطينة 1

تاريخ القبول: 2020/12/09

تاريخ الإرسال: 2020/06/12

I. الملخص:

تهدف دراستنا لموضوع التجارة الإلكترونية ومراحل تطور القانون الذي ينظمها في الجزائر إلى تبيان أهمية هذا النوع الجديد من التجارة وحجم تداولاتها، وما مدى مساعدة قانون 18-05 في ضبط وتنظيم المعاملات التجارية الإلكترونية في الجزائر. حيث قمنا بإتباع المنهج الوصفي لإعطاء مفهوم شامل للتجارة الإلكترونية وتبيان المراحل المختلفة لتطور القانون الذي ينظمها في الجزائر، ثم اعتمدنا على المنهج التحليلي من أجل تحليل محتوى النصوص القانونية الواردة فيه، ومقارنتها بغيرها من النصوص لدى أنظمة الدول المجاورة بإتباع المنهج المقارن، وأهم ما استخلصته هذه الدراسة هو تemin اعتماد قانون ينظم التجارة الإلكترونية في الجزائر، بالرغم من النقائص والثغرات التي تشهده عند مقارنته مع القوانين الأجنبية الأخرى، إلا أنه جاء ملء الفراغ الذي كان سائدا بضبط وتنظيم المعاملات التجارية الإلكترونية بما يكفل حماية المستهلك الإلكتروني الجزائري .



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيۃ وأ.د. یینیہ بیلیمان

الكلمات المفتاحية: التجارة الإلكترونية؛ تعریفها؛ مراحل تطورها؛ قانون 18-05؛ المعاملات التجارية .

I. ABSTRACT:

This study deals with electronic commerce, its importance scope of use, its regulating law in Algeria, and the contribution of Act 05/18 in regulating and controlling commercial transactions in Algeria. The descriptive approach is adopted to define electronic commerce and describe its legal stages of development, the analytic approach to analyse the content of the legal texts, and the comparative approach to compare this content with the legal texts of neighbouring countries. The results obtained showed mainly the importance of adopting a law liable to regulate electronic commerce in Algeria despite the gaps and imperfections revealed in its comparison to foreign laws.

Keywords: Electronic commerce – definition –stages of development –Act05/18–Commercial transactions.

1. المقدمة:

ظهرت التجارة الإلكترونية بعد ظهور شبكة الانترنت، فاكتسحت معظم دول العالم، وأحدثت تغييرات عديدة في القوانين السائدة، فضلاً عن ذلك قامت العديد من الدول بسن تشريعات لهذه التجارة، كونها تمثل أهمية كبيرة في العلاقات الاقتصادية والمالية، سواء كان ذلك على المستوى القومي أم على المستوى الدولي، لدرجة قيل معها أن التجارة الإلكترونية ستكون أهم حدث اقتصادي مع بداية القرن الحادى والعشرين¹.

¹ إلياس بن ساس، التعاقد الإلكتروني والمسائل المتعلقة به، مقال منشور في مجلة الباحث الصادرة عن كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية، جامعة ورقلة، الجزائر، ع 2، 2003، ص.60.



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینیہ بیلیمان

و كانت بدايتها سنة 1996 حين وضع القانون النموذجي بشأن التجارة الإلكترونية من قبل لجنة الأمم المتحدة لقانون التجارة الإلكترونية UNCITRAL، لاستعماله الدول الصياغة قوانينها الوطنية حسب طبيعة هذه التجارة، ثم تلاه المجلس العام للمنظمة العالمية للتجارة بوضع برنامج عمل متكمال للتجارة الإلكترونية وكان ذلك سنة 1998 وانعقد بعده المؤتمر الوزاري لمنظمة التجارة العالمية سنة 1999 في دورته الثالثة في ولاية واشنطن الأمريكية وكان موضوع التجارة الإلكترونية من ضمن جدول أعماله¹.

فسارعت العديد من الدول إلى تبني هذه الفكرة ومسايرة التطورات الاقتصادية الحديثة وذلك بسن قوانين وطنية تنظم التجارة الإلكترونية، ومن بين هذه الدول بحد المشرع الجزائري الذي أصبح هو كذلك يهتم بكل التطورات الحاصلة في المجال التشريعي خاصة ما تعلق منها بالجانب الإلكتروني، فقام بداية بوضع قانون خاص يتعلق بالوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها وهو القانون رقم 09-04 المؤرخ في 05 أوت 2009، فجرائم القرصنة والنصب والاحتيال عبر شبكة الإنترنت كلها عوائق تحد من انتشار التجارة الإلكترونية، ثم أصدر القانون رقم 15-04 المؤرخ في 01 فبراير 2015 الذي يحدد القواعد العامة المتعلقة بالتوقيع والتصديق الإلكترونيين .

وفي سنة 2018 وبعدأخذ رأي مجلس الدولة ومصادقة البرلمان الجزائري، جاء القانون رقم 18-05 المؤرخ في 10 ماي 2018 الذي ينظم التجارة الإلكترونية في الجزائر، حيث مع تزايد عدد الواقع الإلكترونية المتخصصة في البيع عبر الانترنت خلال

¹ - هبة تامر محمود عبد الله: عقود التجارة الإلكترونية - دراسة مقارنة - رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الحقوق، جامعة النهرين، بغداد 2006، ص 09.



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيہ وأ.د. یمنہ بیلمان

السنوات الأخيرة، والتطور المستمر للتكنولوجيات الرقمية في الجزائر في العديد من القطاعات لاسيما قطاع التجارة الذي شهد منذ سنة 2010 تزايد عدد المؤسسات التي تمارس التجارة الإلكترونية عبر شبكة الإنترنت فحسب¹، فجاء هذا القانون يضع ضوابط من أجل تنظيم هذا النشاط من خلال العديد من الإجراءات التي تسمح بضمان أمن التجارة الإلكترونية مع تحديد التزامات الموردين الإلكترونيين والمستهلكين.

ومن ضمن هذه الإجراءات التي جاء بها هذا القانون نجد على سبيل المثال: إلزامية التسجيل في السجل الإلكتروني أو سجل الصناعات التقليدية والحرف، حيث لا يمكن ممارسة نشاط التجارة الإلكترونية إلا بعد إيداع اسم النطاق لدى مصالح المركز الوطني للسجل التجاري²، كما يستوجب أن يرافق العرض التجاري الإلكتروني للموردين الإلكترونيين شروط تتعلق بالضمان التجاري، وخدمة ما بعد البيع، وكل ما يتعلق بالدفع والتسلیم وفسخ العقد عند الاقتضاء. حيث يمر طلب المنتوج أو الخدمة عبر الانترنت على ثلاث مراحل وهي: وضع الشروط التعاقدية في متناول المستهلك الإلكتروني، بحيث يتم ت McKine من التعاقد بعلم ودرایة تامة، ثم كمرحلة ثانية التحقق من تفاصيل الطلبيہ من قبل هذا الأخير لاسيما فيما يخص ماهية المنتوج أو الخدمات المطلوبة، ثم في الأخير التأكيد على الطلبيہ الذي يؤدي إلى تكوين العقد³.

¹ - الموقع الإلكتروني: www.epay-dz.com مقال عنوان "انتشار موقع البيع الإلكتروني في الجزائر"، تاريخ النشر 06/07/2017.

² - انظر نص المادة 08، 09 من قانون رقم 18-05 المؤرخ في 24 شعبان 1439 الموافق لـ 10 ماي 2018 المتعلق بالتجارة الإلكترونية في الجزائر .

³ - انظر نص المادة 11 والمادة 12 من قانون رقم 18-05 المؤرخ في 10 ماي 2018 المتعلق بالتجارة الإلكترونية .



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيہ وأ.د. یمنہ بیلمان

ومن هنا جاءت فكرة كتابتنا لهذا المقال، وذلك من خلال تسليط الضوء على هذا النوع الجديد من التجارة وكيف اعتمده المنظمات الدولية كلجنة الأمم المتحدة لقانون التجارة الدولية وكذا منظمة التجارة العالمية والمنظمة العالمية للملكية الفكرية وغيرها، وانعكاسات ذلك على التشريعات الوطنية ونخص بالذكر التشريع الجزائري من خلال قانون التجارة الإلكترونية الجديد ومن ثم نطرح الإشكالية التالية:

- هل وفق المشروع الجزائري عندما سن قانونا ينظم التجارة الإلكترونية في الجزائر؟

- وهل جاء هذا القانون لضبط وتنقيد ما كان سائدا من ممارسات تجارية عشوائية عبر الانترنت؟ أو جاء لإعطائها أكثر مصداقية وتنظيمها تماشيا مع متطلبات المستهلك الجزائري؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، قمنا بتقسيم هذه الدراسة إلى محورين رئисيين كال التالي:

- 1- المحور الأول: مفهوم التجارة الإلكترونية .
- 2- المحور الثاني: مراحل تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر.

واتبعنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي من خلال سرد مختلف التعريفات والأراء الفقهية لمفهوم التجارة الإلكترونية وكذا القوانين التي تنظمها، ثم اعتمدنا على المنهج التحليلي وذلك من أجل تحليل مضمون النصوص القانونية خاصة قانون 18-05 المتعلق



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینینہ بیلیمان
بالتجارة الإلكترونية في الجزائر، ومقارنته مع بعض القوانين الأجنبية المماثلة له والسباقية في هذا المجال، وذلك ياتينا منهج المقارن كأسلوب قياس وليس كمنهج مستقل بذاته. حيث تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على محتوى قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر، منذ مراحل نشأته إلى غاية دخوله حيز التنفيذ، وانعكاسات ذلك مع ما كان موجود من ممارسات تجارية عبر الإنترنت بطريقة عشوائية منذ عدة سنوات، وما صار عليه الوضع بعد سن هذا القانون خاصة على المعاملين في مجال التجارة الإلكترونية الذين كانوا يمارسون نشاطاتهم دون الخضوع لأية ضوابط قانونية تقيدهم وتلزمهم على سبيل الحصر للقيام بعض الإجراءات الضرورية للسماح لهم بمزاولة هذا النشاط بطريقة منتظمة وقانونية، هذا من جهة، وكذلك الأمر بالنسبة للمستهلكين الإلكترونيين من جهة أخرى .

2. مفهوم التجارة الإلكترونية:

إن التجارة الإلكترونية مفهوم حديث ويثير العديد من التساؤلات خاصة إذا أردنا تعريف هذا النوع الجديد من التجارة وأخذنا بطبيعة التقنية المستخدمة في تداولها، فلقد تباينت تعاريف التجارة الإلكترونية، وكذا الاتجاهات المختلفة للمؤسسات الدولية في تنظيمها، وستقوم بعرض أهمها على الشكل التالي:

1.2 تعريف التجارة الإلكترونية:

ستتناول مفهوم التجارة الإلكترونية بالرجوع إلى تعريفات بعض المنظمات الدولية، وكذا جانب من الفقه والقانون ونخص بذلك التعريف الذي اعتمدته المشرع الجزائري في القانون الجديد للتجارة الإلكترونية، على النحو التالي:



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینیہ بیلیمان

أ- منظمة التجارة العالمية: عرفت منظمة التجارة العالمية التجارة الإلكترونية بأنها: "مجموعة متكاملة من عمليات إنتاج وتوزيع وتسويق وبيع المنتجات بوسائل الكترونية¹".

يلاحظ على هذا التعريف أنه تضمن عمليات الإنتاج في حين أن التجارة الإلكترونية ليست مهمتها الإنتاج، إنما يقتصر دورها على عرض هذه المنتجات، كما يعاب على هذا التعريف أنه قصر الأنشطة على المنتجات فقط دون الخدمات، ومن ثم لا يدخل في نطاق التعريف الخدمات الاستشارية مثلاً أو منح التراخيص أو الخدمات المصرفية .

ب- منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية:

عرفت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية التجارة الإلكترونية بأنها: "مجموعة الصفقات التجارية تتم من خلال شبكات الاتصال العالمية المفتوحة²". حيث يلاحظ من خلال هذا التعريف أنه اشترط أن يتم وتحجز الصفقة التجارية عن طريق وسائل الاتصال، في حين أنه يمكن أن تم الصفقة عن طريق وسائل الاتصال لكن التنفيذ يكون بالوسائل التقليدية، مثال: إبرام العقد لشراء السلع يكون عبر الانترنت، لكن التسليم يكون فعلياً ومادياً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد لا ينفذ العقد أو لا ينجز نتيجة الاختلاف فيما بين المتعاقدين حول الأسعار مثلاً.

ج- الاتحاد الأوروبي:

¹- سلطان عبد الله محمود الجواري، عقود التجارة الإلكترونية والقانون الواجب التطبيق (دراسة مقارنة)، ط 1، منشورات الحلي الحقوقية، 2010، ص 25.

²- قاسم الطائي، التجارة الإلكترونية والقانون واجب التطبيق (دراسة قانونية مقارنة) رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية الحقوق، الجامعة الأمريكية، لندن، 2009، ص 13.



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینینہ بیلیمان

تنبه الاتحاد الأوروبي إلى أهمية التجارة الإلكترونية من بداية انتشارها في أوروبا والولايات المتحدة، وكان له دور فاعل في تنظيمها وقد عرفها بأنها: "كل الأنشطة التي تتم بوسائل إلكترونية سواء تمت بين المشروعات التجارية والمستهلكين، أو بين كل منهما على حدة وبين الإدارات الحكومية"¹. ونرى أن التعريف جاء واسعًا وشاملاً لجميع الأنشطة ويعاب عليه أنه قد يشمل الأنشطة التجارية وغير التجارية التي تتم بوسائل إلكترونية .

د- البنك الدولي:

فقد عرف التجارة الإلكترونية بأنها: "استخدام الشبكة الحاسبة في تسهيل المعاملات، ويتضمن ذلك الإنتاج، التوزيع، البيع، الإعلان عن السلع والخدمات في السوق"² ويلاحظ على هذا التعريف أنه يفتقر إلى الدقة، فقد تطرق إلى الإنتاج والتوزيع، في حين أن التجارة الإلكترونية ليست إنتاجاً ولا توزيعاً .

ولقد عرف جانب من الفقه التجارة الإلكترونية بأنها: "الأعمال والنشاطات التجارية التي تتم ممارستها من خلال الشبكة المعلوماتية الدولية الإنترنت"³. جاء هذا التعريف شاملاً وغير مضبط، فليس كل نشاط عبر شبكة الانترنت يعتبر تجارة

¹ - فادي محمد عماد الدين توكل، عقد التجارة الإلكترونية، ط1، منشورات الخليج المحققة، بيروت 2010 ص 25.

² - محمد نايف محمود، أثر التجارة الإلكترونية وبعض المتغيرات الاقتصادية في تدفق رأس المال الأجنبي، دراسة مقارنة، رسالة ماجيسير مقدمة إلى كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، 2003 ص 24 .

³ - محمد ابراهيم أبو الهيجاء، عقود التجارة الإلكترونية والمنازعات العقدية وغير العقدية، والقانون واجب التطبيق، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2005 ص 25 .



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینینہ بیلیمان

الإلكترونية. وتم تعريفها أيضاً بأنها: "المعاملات عبر الحدود من خلال شبكات المحاسبة، ويشمل بصورة عامة البيع والشراء عبر الإنترنت" ونرى أنَّ هذا التعريف جاء واسعاً جدًا بحيث يشمل جميع المعاملات عبر الحدود سواء كانت تجارية أم غير تجارية .

ومن التعاريف أيضاً للتجارة الإلكترونية نجد: "هي العملية التي تتم بين طرفين باائع ومشتري أو أكثر عن طريق استخدام الكمبيوتر عبر شبكة المعلومات¹". ونرى أنَّ هذا التعريف مناسب إلَّا أنه لم يحدد نوع العملية التي تتم بين البائع والمشتري هل هي تجارية أم ماذا؟ .

ومن التعاريف أيضاً نجد بأنها: "كل ما تعلق ببيع السلع والخدمات المتنوعة، محصورة أساساً في شبكة الإنترنت²".

وعرفت كذلك بأنها: "عبارة عن إبرام الصفقات التجارية كالشراء والبيع للسلع والخدمات وتبادل البيانات والمعلومات عن طريق الإنترنت³", فيمكننا القول أنه تعددت التعاريف فيما يتعلق بمفهوم التجارة الإلكترونية، وكلها تقريباً تصب في قالب واحد، لكن دون اعطاء وصف شامل يتفق عليه الجميع، وهذا ما يثري جوهر هذا النوع الجديد من التجارة .

¹ - هدى حامد قشقوش، الحماية الجنائية للتجارة الإلكترونية عبر الإنترنت، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة 2005، ص 5.

² - یینینہ حوحو، عقد البيع الإلكتروني في القانون الجزائري، الطبعة الأولى، دار بلقيس للطباعة، الجزائر، 2016، ص 17 .

³ - عبد الباسط علي جاسم الزبيدي، تحديد الدخل الخاضع للضريبة الناشئ عن التجارة الإلكترونية في التشريع الضريبي العراقي -دراسة مقارنة-بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي الثالث: التشريعات القانونية والنظم المعلوماتية (الواقع والأفاق)، المقام في كلية الحقوق، جامعة الموصل، ج1، 2010، ص 85.



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيہ وأ.د. یمنہ بیلمان

وبالرجوع إلى قانون 18-05 المؤرخ في 10 ماي 2018 المتعلق بالتجارة الإلكترونية في الجزائر نجد المشرع الجزائري عرف التجارة الإلكترونية في المادة 6 فقرة 01 بأنها: "النشاط الذي يقوم بموجبه مورد إلكتروني باقتراح أو ضمان توفير سلع وخدمات عن بعد لمستهلك إلكتروني، عن طريق الاتصالات الإلكترونية".¹ ومن خلال هذا التعريف نرى بأن المشرع الجزائري جعل أي نشاط يكون عبر وسيلة اتصال إلكترونية سواء بتوفير سلع أو خدمات لمستهلك إلكتروني يعتبر تجارة إلكترونية، ولو كان الغرض منه ليس تحقيق الربح، والمورد لا يمارس هذا النشاط بصفة دائمة ومستمرة كمفهوم التاجر في القانون التجاري الجزائري²، بالرغم من أنه اشترط على هذا المورد الإلكتروني أن يكون مسجلا في السجل التجاري أو في سجل الصناعات التقليدية والحرفية، أي أن المشرع الجزائري خرج عن المفهوم القديم للتجارة الذي يحدد طبيعة النشاط بالرجوع إلى صفة التاجر، وجعل طابعا خاصا لمفهوم التجارة الإلكترونية.

ومما تقدم من تعاريف للتجارة الإلكترونية، نود أن نبين أن هذه التجارة ترتكز على الوسيلة المستخدمة في التعاقد بين الطرفين وهي وسيلة إلكترونية ومن بينها شبكة الإنترنت التي يتم عن طريقها هذا النوع من التجارة .

¹ - جاءت المادة 06 من قانون 18-05 المتعلق بالتجارة الإلكترونية لإعطاء تعاريف لبعض المصطلحات الجديدة تدخل في نطاق ممارسة التجارة الإلكترونية، كتعريف التجارة الإلكترونية، العقد الإلكتروني، المستهلك الإلكتروني، المورد الإلكتروني، وسيلة الدفع الإلكترونية، الإشهار الإلكتروني، الطلبية المسقعة، اسم النطاق .

² - تنص المادة 01 من القانون التجاري الجزائري: "يعد تاجرا كل شخص طبيعي أو معنوي يباشر عملا تجاريا ويتحذه مهنة معتمدة له ..." .



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یمنیہ بیلیمان

وبعد أن عرضنا أهم التعريفات للتجارة الإلكترونية، يتضح لنا أنه ليس من السهل تحديد مفهوم وتعريف محدد للتجارة الإلكترونية، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار نوع التقنية المستخدمة فيها، فقد تبين لنا من خلال ما تقدم عناصر أساسية للتجارة الإلكترونية وهي:

1— فكرة النشاط التجاري باعتبارها مشروع تجاري بحث .

2— تحول البيانات الورقية المستخدمة في المعاملات التجارية العادي إلى بيانات ومعلومات الكترونية دون أن يغير هذا التحول الطبيعة القانونية للعمليات التجارية .

3— أن هذه التجارة لا تقييد ممارستها بمكان معين أو بلد محدد، فقد تمت أثارها لأكثر من دولة .

2.2 الاتجاهات المختلفة للمؤسسات الدولية لتنظيم التجارة الإلكترونية:

ستتناول في هذا الجزء أهم الجهود المبذولة من قبل المنظمات الدولية من أجل تعزيز العمل في مجال التجارة الإلكترونية، والدور الذي لعبته في تبني هذه الفكرة من طرف أغلبية التشريعات الوطنية السائدة والتي من ضمنها نجد المشرع الجزائري.

أ— لجنة الأمم المتحدة لقانون التجارة الدولية UNCITRAL :

نشأت هذه اللجنة بموجب قرار 2205 الصادر عن الأمم المتحدة بتاريخ 1996/06/17 وصادقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 28/12/1996، وأسندت لها مهمة تشجيع التنسيق والتوحيد التدريجي لقانون التجارة الدولي، آخذة في الاعتبار مصالح جميع الشعوب .



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینینہ بیلیمان

وتعود هذه اللجنة من أوائل المنظمات الدولية التي عملت في مجال التجارة الإلكترونية¹.

ولقد انبثق عن هذه اللجنة قانوناً نموذجياً يتعلق بالتجارة الإلكترونية، وجاء مضمونه يتكون من جزأين من الأحكام القانونية موزعة على 17 مادة كالتالي:

الجزء الأول: وبدوره يتكون من ثلاث فصول:

الفصل الأول: ويحتوي هذا الفصل على الأحكام العامة من حيث نطاق التطبيق والتعريف بالمصطلحات، فقد نصت المادة 01 على أنه: "ينطبق هذا القانون على أي نوع من المعلومات يكون في شكل رسالة بيانات مستخدمة في سياق أنشطة تجارية"، حيث مصطلح أنشطة تجارية يفسر تفسيراً واسعاً ليشمل جميع العلاقات ذات الطابع التجاري سواء كانت تعاقدية أم لا.

الفصل الثاني: ويتضمن تطبيق الاشتراطات القانونية على رسائل البيانات، فقد أكد هذا الفصل على صحة المعلومات وعدم قابليتها للنفاذ ب مجرد أنها مقدمة في شكل رسالة بيانات، إذ نصت المادة 05 على أنه: "لا تفقد المعلومات مفعولها القانوني أو صحتها أو قابليتها للتنفيذ ب مجرد أنها في شكل رسالة بيانات"².

أما المادتين التاسعة والعشرة فقد تناولت جواز قبول رسائل البيانات في الإثبات باعتبارها دليل في الإجراءات والدعوى القانونية، وعدم إنكار حجيتها في الإثبات لكونها في شكل الكتروني، أي قبول رسائل البيانات بما فيها من معلومات كدليل لإثبات

¹ - فواز سالم كبار، قانون التجارة الدولية نشأته مضمونه، ج 01، مجلد 01، المنشورات الحقوقية، لبنان 2009.

² - نافع بحر سليمان الباني، تنازع القوانين في منازعات التجارة الإلكترونية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون، جامعة بغداد، 2004، ص 23.



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینینہ بیلیمان

التصروفات والواقع القانونية في حل التزاعات القضائية كأدلة الإثبات الأخرى في البيئة الورقية¹.

الفصل الثالث: فقد نظم قضايا إنشاء العقود وصحتها واعتراف الأطراف برسائل البيانات فأشارت المادة 11 إلى جواز استخدام رسائل البيانات للتعبير عن العرض والقبول ما لم يتفق الطرفان على غير ذلك، وتأكد على أن العقد لا يفقد صحته وقابليته للتنفيذ مجرد استخدام رسالة بيانات لتكوينه، كما أنها تعتبر كافية دون الحاجة لتعزيزها بوسائل بريدية مكتوبة.

الجزء الثاني: فقد جاء بعنوان: "التجارة الإلكترونية في مجالات محددة"، وتضمن هذا الجزء فصلا واحداً بعنوان: "نقل البضائع"، حيث جاء يتضمن مادتين، نصت المادة 01 على أنه:

"يطبق على أي نوع من المعلومات يكون في شكل رسالة بيانات مستخدمة في سياق أنشطة تجارية" وجاء في تفسير هذه المادة:

أولاً: أن هذا القانون يطبق على كلا الاستعملين الدولي والمحلي .

ثانياً: لا يوجد ما يمنع تطبيق قواعد قانونية لحماية المستهلك مع ترك أمر حماية المستهلك للتشريعات الوطنية ككل دولة .

ثالثاً: إمكانية تطبيق هذا القانون خارج نطاق المجال التجاري .

رابعاً: تؤكد على تفسير مصطلح (الأنشطة التجارية) تفسيراً واسعاً ليشمل جميع المسائل ذات الطابع التجاري .

¹ - عمر حسن المومي، التوقيع الإلكتروني وقانون التجارة الإلكترونية، دراسة قانونية تحليلية مقارنة، ط 1، دار وائل للنشر، عمان، 2003، ص 77.



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یمنیہ بیلیمان

أمّا المادة الثانية من هذا الجزء فقد جاءت تحت عنوان "مستندات النقل".

ب - منظمة التجارة العالمية:

إنَّ موضوع التجارة الإلكترونية كان من المواضيع التي تناولتها منظمة التجارة العالمية في مؤتمرها الوزاري التي عقدتُها في العديد من الدول، ففي عام 1998 عقد المؤتمر الوزاري الثاني للمنظمة وكان ذلك في مدينة جنيف السويسرية، وقد تم تداول موضوع التجارة الإلكترونية وتم الاتفاق على وضع برنامج عمل يراعي عدم فرض رسوم جمركية على الوسائل الإلكترونية كالمكالمات الهاتفية، أو رسائل الفاكس أو البريد الإلكتروني، وفي عام 1999 عقد المؤتمر الوزاري الثالث في مدينة سياتل الأمريكية، إلَّا أنَّ هذا المؤتمر فشل نتيجة الخلافات الحادة بين الدول المتقدمة، فتقرر في ذلك المؤتمر تمديد العمل بالبرنامج الوزاري الثاني بعدم فرض رسوم على الرسائل الإلكترونية¹، وفي عام 2001 عقد المؤتمر الوزاري الرابع في مدينة الدوحة وتم التأكيد على ضرورة تناول موضوع التجارة الإلكترونية تناولاً أكثر شمول وزيادة الاعتماد عليها في المعاملات التجارية، وتم التأكيد على عدم فرض رسوم جمركية على النقل الإلكتروني². في عام 2003 عقد المؤتمر الوزاري الخامس للمنظمة في المكسيك بمشاركة 146 دولة، وفي هذا المؤتمر علقت جميع القضايا التي تناولها مؤتمر الدوحة³.

¹ - عبد الفتاح مراد - منظمة التجارة العالمية والدولية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط 1، 2009، ص 525.

² - يونس عرب، التعاقد والدفع الإلكتروني تحديات النظمين الضريبي والجماركي، محاضرة قدمت في معهد التدريب والإصلاح القانوني، الخرطوم، السودان، 2002، ص 40.

³ - فشل هذا المؤتمر الذي عقد في المكسيك، وقد حذر الرئيس المكسيكي في كلمة أمام المؤتمر أن الفجوة بين فقراء العالم وأغنياؤه مستمرة في الاتساع ويجبأخذ هذا الخطر بعين الاعتبار .



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینینہ بیلیمان

حيث نرى أن منظمة التجارة العالمية لم تعطي للتجارة الإلكترونية أهمية بالغة بحيث تتناسب مع إزدياد التعامل بهذه التجارة في مجال التجارة الدولية مع أنَّ المُدِفَعَ الرئيسي لنشأتها هو التغلب على العوائق التي تواجهه قيام التجارة الدولية وتحريرها وتكون نظام تجاري حر ما بين الدول، وهذا ما تساهُم به التجارة الإلكترونية والتي أصبحت تشكل نسبة كبيرة من حجم التجارة في العديد من الدول المتقدمة تقنياً.

ج - المنظمة العالمية للملكية الفكرية:

لقد كان للمنظمة إسهامات كبيرة في توفير الحماية الخاصة بالمسائل المتعلقة بالتجارة الإلكترونية، وإيجاد ضمانات لحماية حقوق الملكية الفكرية التي تناح على شبكة الإنترنت خاصة العلاقات التجارية وحقوق النشر والتأليف والبراءات والتكنولوجيا والمواضيع التي أفرزتها شبكة الإنترنت.

فقد دعت هذه المنظمة إلى المحافظة على أمن وسرية الجلسات التي تتم عبر الإنترنت من الاختراق والتطفل، فاهتمت بقوانين حماية الخصوصية وسرية البيانات المنقولة بوسائل إلكترونية¹، وهناك العديد من المسائل المتعلقة بالملكية الفكرية ذات الصلة بالتجارة الإلكترونية، فإذا كانت هناك قواعد منظمة داخلية ودولية لحقوق الملكية الفكرية كبراءات الاختراع وحقوق الطبع والعلامات التجارية، فإنَّ التجارة الإلكترونية عبر الإنترنت جاءت بتحديات جديدة تهدىء مستقبل هذه الحقوق، ومع ازدياد أهمية التجارة الإلكترونية، تزداد أهمية الحفاظ على حقوق الملكية الفكرية التي أصبحت من

¹ - مصطفى ناطق صالح مطلوب، التحكيم التجاري الإلكتروني، بحث منشور، في مجلة الرافدين للحقوق الصادرة عن كلية الحقوق، جامعة الموصل، مجلد 11، ع 14، 2009، ص 158.



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینینہ بیلیمان

الموضوعات الرئيسية في السياسات الاقتصادية الحديثة، فحصمية حقوق المؤلف تسرى على النتائج وليس على مجرد الأفكار أو الإجراءات أو أساليب العمل.¹

وقد تبنت المنظمة عام 1996 اتفاقيتين: (اتفاقية تتعلق بحقوق المؤلف، واتفاقية تتعلق بالأداء والتسجيل الصوتي، وكلتا الاتفاقيتين تناولت جوانب من التجارة الإلكترونية)، فغالباً ما تكون محمية بموحّب الملكية الفكرية، كبرامج الحاسوب والشبكات والرقاقات الحاسوبية، وتعد العلاقات التجارية جزءاً أساسياً في مشروعات التجارة الإلكترونية.²

فلقد كانت هذه الاتفاقيات والقوانين الدولية هي المرجع والمصدر لدى العديد من الدول لسن قوانين تنظم التجارة الإلكترونية داخل ترابها ونجد منها المشرع الجزائري عندما أصدر قانون 18/05.

3 . مراحل تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر :

لقد طغت وسائل الاتصال الحديثة على الحياة الخاصة للأفراد في الجزائر وكافة طوائف المجتمع المدني والاقتصادي، فصارت حتمية لابد منها وعلى الجميع مسايرة التطورات الحاصلة بما فيها وسائل التواصل الاجتماعي والتجارة الإلكترونية وغيرها، مما جعل المشرع الجزائري يتدخل من أجل ضبط وحماية المعاملين بالوسائل التكنولوجية الحديثة، بعدما أثبتت القوانين القديمة التي وضعت من أجل حماية المستهلك محدوديتها أمام التطورات الحاصلة في مجال التجارة الإلكترونية والوصف الجديد للمستهلك

¹ - محمد حسام محمود لطفي، آثار اتفاقية الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية على تشريعات البلدان العربية، ط 3، القاهرة، 2002، ص 115.

² - راجع الموقع التالي: www.cba.edu.kw/mouneer/electronic.htm



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینینہ بیلیمان

الإلكتروني¹، فكانت بداية سن قانون يتعلق بالوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها وهو قانون رقم 09-04 المؤرخ في 5 أوت 2009، حيث كما جاء في نص مادته الأولى أنه يهدف إلى وضع قواعد خاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها، فكل جريمة يسهل ارتكابها عن طريق منظومة معلوماتية أو نظام اتصال إلكتروني تخضع لأحكام هذا التنظيم.

¹ - كان القاضي الجزائري قبل صدور قانون 18-05 الذي ينظم التجارة الإلكترونية في الجزائر، يلتتجئ إلى العديد من القوانين على سبيل القياس من أجل فض المنازعات التي تعنى بحماية المستهلك في المجال الإلكتروني والمارسات التجارية الإلكترونية، ونذكر بعضها على سبيل المثال:

- القانون رقم 09-03 المؤرخ في 25 فبراير 2009، يتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش، المعدل والمتم بالقانون رقم 18-09 المؤرخ في 10 يونيو 2018، الجريدة الرسمية رقم 35 المؤرخة في 13 يونيو 2018.

- القانون رقم 04-08 المؤرخ في 14 غشت 2004، يتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية، المعدل والمتم بالقانون رقم 18-08 المؤرخ في 10 يونيو 2018، الجريدة الرسمية رقم 35 المؤرخة في 13 يونيو 2018.

- القانون رقم 04-02 المؤرخ في 23 يونيو 2004، يحدد القواعد المطبقة على الممارسات التجارية، المعدل والمتم بالقانون 10-06 المؤرخ في 15 غشت 2010، الجريدة الرسمية رقم 46 المؤرخة في 18 غشت 2010.

- المرسوم التنفيذي رقم 13-378 المؤرخ في 9 نوفمبر 2013، يحدد الشروط والكيفيات المتعلقة بإعلام المستهلك، الجريدة الرسمية رقم 58 المؤرخة في 18 نوفمبر 2013.

- المرسوم التنفيذي رقم 17-140 المؤرخ في 11 أبريل 2017، يحدد شروط النظافة والنظافة الصحية أثناء عملية وضع المواد الغذائية للاستهلاك البشري، الجريدة الرسمية رقم 24 المؤرخة في 16 أبريل . 2017



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینینہ بیلیمان

ثم بعد ذلك قام المشرع الجزائري بسن قانون يهدف إلى تحديد القواعد العامة المتعلقة بالتوقيع والتصديق الإلكترونيين وهو القانون رقم 04-15 المؤرخ في 01 فيفري 2015، حيث جاء هذا القانون ليحدد مفهوم التوقيع الإلكتروني الذي هو عبارة عن بيانات في شكل الكتروني مرفرفة أو مرتبطة منطقاً ببيانات إلكترونية أخرى، تستعمل كوسيلة توثيق، وحدّد كذلك صفة الموقع وآلية إنشاء هذا التوقيع وشهادة التصديق الإلكتروني، حيث تحفظ الوثيقة الموقعة إلكترونياً في شكلها الأصلي ويتم تحديد الكيفيات المتعلقة بحفظ الوثيقة الموقعة إلكترونياً عن طريق التنظيم¹، حيث يستعمل التوقيع الإلكتروني لتوثيق هوية الموقع وإثبات قبوله في الشكل الإلكتروني .

ومن خلال هذه القوانين نرى أنَّ المشرع الجزائري في كل مرة يتدخل من أجل وضع تنظيم يساير تطورات الحياة اليومية، وذلك من أجل سد الفراغ القانوني ووضع حدَ للنزاعات التي قد تثور أمام القضاء دون وجود نصوص قانونية تضبطها وتطبق عليها، فيليجاً القاضي لاستعمال أسلوب القياس من أجل فض تلك المنازعات وتطبيق نصوص قانونية مشابهة لها لسد الفراغ القانوني خاصة فيما تعلق بالمعاملات الإلكترونية وكذلك الجرائم الإلكترونية .

ومع زيادةوعي الفرد الجزائري واستعماله لوسائل الاتصال الحديثة بشكل يومي تقريرياً فأصبح كل فرد بالغ يمتلك على الأقل هاتف ذكي ويلج إلى عالم الإنترنت بكل

¹ - جاءت المادة 02 من قانون رقم 04-15 المؤرخ في 11 ربيع الثاني 1436 الموافق لـ 01 فبراير 2015 الذي يحدد القواعد العامة المتعلقة بالتوقيع والتصديق الإلكترونيين، لكي تعطي تعريف لبعض المصطلحات الجديدة الخاصة بهذا التنظيم ومن ضمنها: التوقيع الإلكتروني، الموقع، بيانات إنشاء التوقيع الإلكتروني، آلية إنشاء التوقيع الإلكتروني، شهادة التصديق الإلكتروني، مفتاح التشفير العمومي، الترخيص، مؤدي خدمات التصديق الإلكتروني، المتتدخلون في الفرع الحكومي ...



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینیہ بیلیمان

سهولة وأريحية، وبدأ يهتم تدريجياً بنمط جديد من المعاملات وهو الشراء والبيع عبر شبكة الإنترنت وطلب الخدمات والتسوق ودفع الفواتير، فقد بدأ يدخل تدريجياً في العادات اليومية للجزائريين .

فأصبحنا نجد أشخاصاً ومؤسسات يمارسون نوعاً من التجارة عبر الخط في وسائل التواصل الاجتماعي على غرار Instagram، Twitter، Face book وغيرها، وأصبحنا نجد العديد من الواقع وكذا بعض المحترفين يمارسون نشاطهم عبر الإنترنت مفترحين متوجات وسلح تنافسية دون رقابة أو خضوع لنصوص قانونية، ونذكر في هذا الصدد وجود العديد من موقع جزائرية لبيع مختلف المتوجات عبر الإنترنت كالأغذية والألبسة والديكور والأدوات الكهرومتزالية والخدمات على غرار: Jumia dz، Batolis.com، Vendita-dz، Chrily.com، Zawwali.com، Eshop.dz، Guidini.dz فإن موقع البيع على الخط هي متاجر افتراضية، يمكن أن تكون عامة (أي تبيع عدة متوجات) أو خاصة (أي تبيع متوج محدد بالذات مثلً) وتجري فيه المعاملات بين المواطنين أو بين المواطن والمتجر عن طريق الهاتف من أجل بيع وشراء متوجات أو سيارات أو حتى عقارات¹، ونجد من أمثلة ذلك موقع: Dlala، Oued kniss، Vitamine.dz، online نشاطهم بطرق غير شريفة، ويعقدون بعض الصفقات أقل ما يقال عنها أنها نوع من التجارة الموازية ...

¹ - موقع www-epay-dz.com، انتشار موقع البيع الإلكتروني في الجزائر، مقال منشور يوم 2018/07/06



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینیہ بیلیمان

وعلى الرغم من كون بعض المواطنين اللذين قاموا بعمليات شراء إلكترونية أبدوا ارتياحهم للخدمة المقدمة، فقد تأسفوا لغياب بعض الضمانات مثل الفواتير وتأخر التسلیم أو غياب خدمة ما بعد البيع وغيرها .

هذا ما يستدعي تدخل المشرع من أجل وضع آليات تكسر حماية المستهلك الإلكتروني، وضمان مجموعة من الحقوق والشروط الواجب توافرها في التعاملات الإلكترونية نذكر منها: حق المستهلك في الإعلام، وحقه في العدول إذا توافرت الشروط الالزامية لذلك، وكذلك حقه في مواجهة الشروط التعسفية لتحقيق التوازن بين طرف العقد، وحقه في حماية البيانات الشخصية .¹

وعلاوة على الحماية الوقائية التي تستوجب على المشرع تكريسها للمستهلك الإلكتروني، عليه كذلك توفير حماية بعدية تتجلى في تدخل القضاء المدني وكذلك الجزائري من أجل فض المنازعات التي قد تثور بقصد إبرام العقد الإلكتروني، فسلطة القاضي المدني تكمن في إمكانية القضاء ببطلان العقد والتعويض عنه، أو إبطال الشروط التعسفية فيه، مع مراعاة ضوابط الاختصاص النوعي والإقليمي لكونها منازعات تتعلق بالحال الإلكتروني . وكذلك الأمر بالنسبة للقاضي الجزائري فلا بد من استحداث هيئات ضبط قضائية خاصة تعنى بمحاربة الجرائم المتعلقة بالتجارة الإلكترونية.²

¹ - بربوشة مریم، الحودة الإلكترونية كمدخل لحماية المستهلك الإلكتروني، مقال منشور في مجلة مينا للدراسات الاقتصادية، العدد 5 لسنة 2020، جامعة باجي مختار عنابة، ص 120.

² - هبة حمزة، الآليات القانونية لحماية المستهلك الإلكتروني وفق قانون 18-05 المتعلق بالتجارة الإلكترونية، مقال منشور في مجلة القانون الدولي والتنمية، العدد 01 لسنة 2020، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم، ص 203.



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینیہ بیلیمان

كلَّ هذا وغيره كان الداعي لتدخل المشرع الجزائري من أجل تنظيم التجارة الإلكترونية في الجزائر، وكان ذلك بالفعل عندما سن المشرع نص القانون رقم 18-05 المؤرخ في 10 ماي 2018 يتعلق بالتجارة الإلكترونية .

3. 1. محتوى قانون التجارة الإلكترونية الجزائري:

حيث كما جاء في نص هذا القانون، فإنَّ المشرع تناول في بابه الأول أحكام عامة تتعلق بتعريف بعض المصطلحات الجديدة كالتجارة الإلكترونية والعقد الإلكتروني، المستهلك الإلكتروني، والمورد الإلكتروني، وسيلة الدفع الإلكتروني، الإشهار الإلكتروني، الطلبية المسبيقة، واسم النطاق، ويقصد به هذا الأخير كما جاء في التعريف: "هو عبارة عن سلسلة أحرف و، أو أرقام مقيسة أو مسجلة لدى السجل الوطني لأسماء النطاق، وتسمح بالتعرف والولوج إلى الموقع الإلكتروني¹".

ثم جاء الباب الثاني لهذا القانون من أجل تنظيم ممارسات التجارة الإلكترونية، وجاء في محتواه: تنظيم المعاملات التجارية العابرة للحدود وكذلك شروط ممارسة التجارة الإلكترونية، حيث يخضع هذا النشاط للتسجيل في السجل التجاري، أو في سجل الصناعات التقليدية والحرفية حسب الحالة ونشر موقع إلكتروني أو صفحة إلكترونية على الإنترنت مستضاف في الجزائر بامتداد ".com.dz".

وجاء في الفصل الثالث من هذا الباب المتطلبات المتعلقة بالمعاملات التجارية عن طريق الاتصال الإلكتروني، حيث يجب أن تكون كل معاملة تجارية إلكترونية مسبوقة بعرض تجاري إلكتروني وأن توثق بمحض عقد إلكتروني يصادق عليه المستهلك الإلكتروني، ويجب كذلك على المورد الإلكتروني أن يقدم العرض التجاري الإلكتروني

¹ - انظر المادة 06 من قانون التجارة الإلكترونية الجزائري رقم 18-05 المؤرخ في 10 ماي 2018 .



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینینہ بیلیمان

بطريقة مرئية ومقروءة ومفهومها، ويجب أن يتضمن على الأقل بيانات ذكر من أهمها: ذكر رقم التعريف الجبائي والعنوانين الإلكترونية ورقم هاتف المورد الإلكتروني، رقم السجل التجاري، ورقم البطاقة المهنية للحرفي، طبيعة وخصائص وأسعار السلع أو الخدمات المقترحة، حالة توفر السلعة أو الخدمة، كيفية ومصاريف وأجال التسليم¹ ...

أما الفصل الرابع والخامس من هذا الباب جاء لينظم كل من التزامات وواجبات المستهلك الإلكتروني وكذا المورد الإلكتروني، فكما جاء في نص المادة 16 من هذا القانون: "على المستهلك الإلكتروني أن يلتزم بدفع الشمن المتفق عليه في العقد بمجرد إبرامه، وعليه كذلك أن لا يرفض توقيع وصل استلام وتقديمه للمورد الإلكتروني".

أما المورد الإلكتروني فعليه أن يسهر على حسن تنفيذ التزاماته المترتبة على هذا العقد، ويجب عليه أن يرسل نسخة من هذا العقد للمستهلك الإلكتروني مع إعداد فاتورة تكون طبقاً للتشريع والتنظيم المعمول بهما².

وكذلك عليه احترام أجال التسليم حيث يمكن للمستهلك الإلكتروني إعادة إرسال المنتوج دون المساس بحقه في المطالبة بالتعويض عن الضرر.

- يجب عليه كذلك استعادة سلعته في حالة تسليم غير مطابق للطلبية أو كان المنتوج معيباً، فعليه تصحيح ذلك وإلا يلغى الطلبية مع إرجاع المبالغ المدفوعة وتعويض المستهلك في حالة الضرر .

- يجب عليه عدم الموافقة على منتوج غير متوفّر في مخزونه .

¹ - انظر نص المادة 10 و 11 وما يليهما من قانون التجارة الإلكترونية الجزائري .

² - المادة 18 وما يليها من قانون التجارة الإلكترونية تبين واجبات المورد الإلكتروني ومسؤولياته .



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینینہ بیلیمان

- يجب عليه حفظ سجلات المعاملات التجارية المنجزة وتواريخها وإرسالها إلى المركز الوطني للسجل التجاري .

فهذه بعض التزامات المورد الإلكتروني كما نص عليها قانون التجارة الإلكترونية الحديث، والذي جاء كذلك لينظم وسائل الدفع في المعاملات الإلكترونية، بحيث ينص على أنه يتم الدفع في المعاملات التجارية الإلكترونية إما عن بعد أو عند تسليم المنتوج عن طريق وسائل الدفع المرخص لها وفقاً للتشريع المعمول به، وعندما يكون الدفع إلكترونياً فإنه يتم من خلال منصات دفع مخصصة لهذا الغرض، منشأة ومستغلة حصرياً من طرف البنوك المعتمدة من قبل بنك الجزائر وبريد الجزائر، وموصولة بأي نوع من أنواع محطات الدفع الإلكتروني عبر شبكة المتعامل العمومي للمواصلات السلكية واللاسلكية¹ .

وجاء كذلك في هذا القانون، تنظيم الإشهار الإلكتروني، فكل ترويج لسلع أو خدمات يتم عن طريق وسائل الاتصال الإلكترونية لابد أن يلي المقتضيات الآتية:

- أن يكون محدد بوضوح كرسالة تجارية وإشهارية .

- أن تسمح بتحديد الشخص الذي تم تصميم الرسالة لحسابه .

- أن لا تمس بالآداب العامة والنظام العام .

- أن تحدد بوضوح ما إذا كان هذا العرض التجاري يشمل تخفيض أو مكافآت أو هدايا في حالة ما إذا كان هذا العرض تجاريًا أو تنافسيًا أو ترويجيًا .

- التأكد من أن جميع الشروط الواجب استيفاؤها للاستفادة من العرض التجاري ليست مضللة ولا غامضة .

¹ - انظر نص المادة 27 وما يليها من قانون التجارة الإلكترونية الجزائري، الخاصة بالدفع الإلكتروني.



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینیہ بیلیمان

- يمنع نشر أي إشهار أو ترويج عن طريق الاتصالات الإلكترونية لكل منتوج أو خدمة ممنوعة من التسويق بموجب التشريع أو التنظيم المعول ¹ .
وكخاتمة لهذا القانون جاء الباب الثالث ليحدد الجرائم والعقوبات التي قد يتعرض لها المورد الإلكتروني الذي يخالف أحكام هذا التنظيم، حيث لا بد عليه أن يخضع للتنظيم والتشريع المعول ² بما والمطبقان على الأنشطة التجارية وحماية المستهلك ². فهذا حل ماجاء به نص القانون 18-05 المتعلّق بالتجارة الإلكترونية في الجزائر .

3. 2 التعليق على محتوى نص القانون:

لقد اعترف مشرعو قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر، أنَّ الجزائر تعرف تخلفاً ملحوظاً في هذا المجال مقارنة مع الدول الأخرى، وبالأحرى دول الجوار كتونس والمغرب، فيبدو أنهم لم يستلهموا من التطورات الكبيرة والحقيقة في المنظومات التشريعية المقارنة، فلقد جاءت جوانب النص التشريعي الجزائري شحيحة من حيث التفاصيل والدقة مقارنة مع النصوص التشريعية الأخرى .

ومن بين جوانب نقص الدقة في النص نجد ما ورد في نص المادة 05 من قانون التجارة الإلكترونية الجزائري أنه: " تمنع كل معاملة عن طريق الاتصالات الإلكترونية في العتاد والتجهيزات والمنتوجات الحساسة المحددة عن طريق التنظيم المعول به وكذا كل المنتجات أو الخدمات الأخرى التي من شأنها المساس بمصالح الدفاع الوطني والنظام العام والأمن العمومي " .

¹ - انظر نص المادة 30 وما يليها من قانون التجارة الإلكترونية الجزائري الخاصة بالإشهار الإلكتروني.

² - راجع نص المواد من 35 إلى 48 من قانون التجارة الإلكترونية الجزائري، المتعلقة بالجرائم والعقوبات الإلكترونية .



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینینہ بیلیمان

إضافة إلى الممنوعات التي تتضمنها المادة 03 من هذا القانون المتعلقة بـ لعب القمار والرهان واليابس، وكذا المشروبات الكحولية والتبغ والمتروجات الصيدلانية والتي تمس بحقوق الملكية الفكرية أو الصناعية، فإن المادة 05 لم تحدد أي شيء على سبيل الحصر يدخل ضمن الممنوعات في التداول، فما هي السلع المعروضة للبيع على الإنترنت والتي ترغب الجزائر في منعها لاعتبارها حساسة وذات طبيعة خاصة، هل هي مبيعات السلاح والمخدرات وما شابه ذلك على سبيل المثال؟ فلم يقدم النص أي شروحات دقيقة بخصوص هذه النقطة المهمة .

ومن جهة أخرى جاء هذا القانون أقل مستوى مما تم الإعداد له في مشروعه منذ عدة سنوات، خاصة في الجوانب المتعلقة منها بالأجال القانونية، فمن حيث احتساب أجال الانسحاب وإتمام العقد ومراحل طلبية المتوج أو حتى العدول عن الصفقة وكيفية إلغاء الطلبية المسبقة عند الاقتضاء، فترك كل ذلك للفاعلين في مجال التجارة الإلكترونية (الموردين)، فلهم كل الحرية في تحديد القواعد الخاصة بهم خاصة ما تعلق منها بالأجال القانونية .

فالمادة 11 من قانون التجارة الإلكترونية الجزائري جاءت لتحديد الشروط الالزمة التي يخضع لها المورد الإلكتروني والخاصة بالعرض التجاري ليس على سبيل الحصر، فتقديم المعلومات الخاصة بالشروط وكيفيات التعاقد دون أي ترميز أو تدقيق خاص بالأجال القانونية يعتبر نقصا في الضوابط التي تقلل من شأن وضع هذا التنظيم .
وفي المغرب، حددت مدة الانسحاب من إتمام التعاقد على الخط بين 07 و10 أيام حتى يتسمى للمستهلك التفكير أطول عقب إجراء الطلبية لأن القانون وضع في الأساس



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيۃ وأ.د. یینینہ بیلیمان

من أجل حمايته (المادة 13 من القانون المغربي المتعلق بالتبادل الإلكتروني¹)، وينص التنظيم الساري المفعول في المغرب على أن المستهلك يتتوفر على مهلة مقدرة بـ 7 أيام لممارسة حقه في الانسحاب أو التراجع دون تقديم أي مبرر أو دفع أي غرامات سوى ما تعلق بدفع تكاليف إعادة المنتج، وعندما يصادف اليوم الأخير للأجل المحدد يوم سبت أو أحد أو يوم عطلة، فإن المدة يتم تمديدها إلى غایة اليوم العادي الموالي .

وبالإضافة إلى ذلك فإن على المورد أن يرد المبالغ المدفوعة مسبقاً من لدن المستهلك وما يستحق من فائدة بقوة القانون على السعر القانوني الجاري العمل به، دون دفع أي غرامات ماعدا ما تعلق منها بتكليف إعادة المنتج لصاحبها، ودون المساس بحق هذا الأخير في المطالبة بالتعويض عن الضرر الذي لحق به المادة 14 .

أما في تونس فالتنظيم ينص على أن المستهلك يمكن أن يتراجع في أجل قدره 10 أيام عادية (أيام العطل غير محتسبة) اعتبارا من تاريخ استلام المستهلك للسلع التي طلبها أو من تاريخ إنتهاء الاتفاق بالنسبة للخدمات² .

أما فيما يتعلق بالتعويض في حال التراجع يجب أن يتم في أجل قدره 10 أيام اعتبارا من تاريخ إعادة السلعة أو التراجع عن الخدمة، ويتحمل المستهلك بالمقابل تكاليف إرجاع السلعة.

أما عن خيار العدول عن إتمام العقد المكرس لمصلحة المستهلك الإلكتروني في قانون التجارة الإلكترونية الجزائري، جاءت المادتين 22 و 23 تتكلّم عن هذا الخيار المقرر

¹ - ظهیر شریف رقم 1.07.129 صادر في 19 ذی القعده 1428 الموافق لـ 30 نوڤمبر 2007 بتنفیذ القانون رقم 53.05.05 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية المغربي.

² - المادة 30 من قانون عدد 83 لسنة 2000 المؤرخ في 09 أوت 2000، المتعلق بالمبادلات والتجارة الإلكترونية التونسي .



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيہ وأ.د. یمنہ بیلمان

في حالات معينة فقط، فيكون للمستهلك العدول إذا لم يحترم المورد الإلكتروني آجال التسليم، أو شاب السلعة عيب أو كانت غير مطابقة للطلبية، فهذا لا يمثل حقاً للعدول بالمعنى القانوني، وإنما نص عليه المشرع تطبيقاً للقواعد العامة في إحلال البائع بضمان عيوب المبيع وما شابه ذلك¹، فلا ندرى السبب الحقيقي لعدم تكريس المشرع الجزائري لهذه الآلية المهمة والفعالة لحماية المستهلك الإلكتروني في قانون التجارة الإلكترونية الجديد، في حين قام في المقابل بإدراج هذا الخيار في قانون 18-09 المعدل والمتمم لقانون رقم 09-03 المتعلّق بحماية المستهلك وقمع الغش².

وبالرجوع إلى قانون التجارة الإلكترونية الجزائري نجد في شق منه تعلق بوسائل الدفع الإلكترونية يستند إلى وسائل الدفع التقليدية المتداولة في التشريع الجزائري المعهوم به وبالرغم من أن أصل المعاملات التجارية الإلكترونية تتم في جملها عبر وسائل إلكترونية وخاصة فيما يتعلق بالدفع فتكون المعاملات باستخدام وسائل الدفع الحديثة باستخدام e-card أو البطاقات الائتمانية visa card أو master card.

فلم يشجع قانون التجارة الإلكترونية على اعتماد عمليات الدفع الحديثة، وإلزام التجار والمستهلكين الإلكترونيين على مسك بطاقات ائتمانية واستخدامها من أجل إتمام المعاملات التجارية الإلكترونية ووضع تنظيم خاص بذلك يبين كيفية التعامل بها وحتى المنازعات القانونية التي قد تثور من جراء ذلك.

¹ - بو خروبة حمزة، حق المستهلك في العدول عن تنفيذ العقد الإلكتروني، مقال منشور بمجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، المجلد 4، العدد 2 لسنة 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، ص 1393.

² - تنص المادة 19 الفقرة 2 من قانون 18-09، المتعلّق بحماية المستهلك وقمع الغش، تعريف العدول بقولها: "العدول هو حق المستهلك في التراجع عن اقتناء منتوج ما دون وجه سبب".



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيہ وأ.د. یمنہ بیلمان

حيث نص المشرع أنه في حالة ما إذا كان الدفع إلكترونياً في الجزائر فإنه يتم من خلال منصات دفع مخصصة لهذا الغرض، منشأة ومستغلة حسرياً من طرف البنوك المعتمدة من قبل بنك الجزائر وبريد الجزائر وموصولية بأي نوع من أنواع محطات الدفع الإلكترونية عبر شبكة المتعامل العمومي للمواصلات السلكية واللاسلكية¹، فكل هذه الإجراءات تقف عائقاً أمام أهم مبدأ من مبادئ التجارة آلا وهو السرعة في التداول والمعاملات، من أجل تحقيق أكبر قدر من الأرباح ما يصعب المهمة أمام الموردين الإلكترونيين في الجزائر ولا يشجع موردين آخرين إلى اللوگ إلى هذا النوع الجديد من التجارة.

4 . الخاتمة:

بعدما اعتمدت العديد من الأنظمة الدولية لقوانين تنظم التجارة الإلكترونية في بلدانهم بالرجوع للقوانين النموذجية للجنة الأمم المتحدة وكذلك منظمة التجارة العالمية وغيرها، سار المشرع الجزائري على نفس الخطى وأصدر قانون ينظم التجارة الإلكترونية في الجزائر وهو قانون 05-18 المؤرخ بتاريخ 10 ماي 2018، حيث جاء هذا القانون كضرورة ملحة وحتمية لابد منها أمام التطور المهول في هذا المجال، وانفتاح الجزائر على العالم الخارجي خاصة بعد اعتماد خدمي الجيل الثالث سنة 2014 والجيل الرابع سنة 2016 للمتعاملين بالهواتف النقال في الجزائر .

ولقد جاء هذا القانون ليس لخلق التجارة الإلكترونية في الجزائر وإنما جاء لكي ينظمها كونها عرفت رواجاً كبيراً منذ بداية هذا العقد خاصة بعد تطور خدمة الانترنت في الجزائر فصارت كل البيوت الجزائرية تقريباً لا تخلي من هذه الخدمة، ولا يقتصر المجال

¹ - المادة 27 من قانون 05-18 المتعلق بالتجارة الإلكترونية في الجزائر .



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيۃ وأ.د. یینینہ بیلیمان

فقط بالاعتماد على أجهزة الحاسوب الثابت والمقول من أجل استغلال هذه الخدمة، بل صارت الهواتف الذكية بشكلها السابق وكذا المعروف حالياً أصبح وسيلة وأسهلها، تجعل من خدمة الإنترنت خاصية يمكن استغلالها في كل مكان وفي أي زمان، ومن طرف أي شخص حامل لهاتف ذكي به شريحة مدعاة بخدمة الإنترنت، فبحجر تحميل أي تطبيق خاص بمحال التسوق الإلكتروني أو الولوج إلى صفحات البيع والشراء الإلكتروني، يمكن بكبسة زر فقط أن يقتني أي متوج أو خدمة مع خاصية الدفع الإلكتروني أو خدمة الإيصال إلى المترد، والدفع عند الاستلام وغيرها من الوسائل التنافسية التي تستقطب كل يوم مهتمين جدد، ومستهلكين إلكترونيين منهم الفضوليين ومنهم الدائمين .

وعلى هذا الأساس بعدما استلهم المشرع الجزائري من التجارب السابقة في مجال التجارة الإلكترونية ووضع قانوناً ينظمها في الجزائر، فهو بذلك جاء لكي يضبط هذه التجارة ويضع لها أسس وقواعد تنظم العمل بها، وتغلق مجال الفوضى والنصب والاحتيال وكذا الإشعارات المضللة، فهذا القانون جاء لتكريس حماية خاصة للمستهلكين الإلكترونيين، وينظم عمل التجار الإلكترونيين أو كما سماهم المشرع: الموردين الإلكترونيين، من خلال ضبط السلع والمعاملات وكذا وسائل الدفع والإشهار الإلكترونيين إلى غير ذلك .

وما تم استنتاجه كذلك من خلال هذه الدراسة أنَّ هذا القانون بالرغم من كونه جاء بعدة إيجابيات تتعلق بمسايرة التطور التكنولوجي الحاصل في العالم وخلق مجال تنافسي جديد تستفيد منه كل شرائح المجتمع سواء كانوا أفراد أو مؤسسات وتسهيل الحياة اليومية للمواطنين باعتماد أسلوب تجاري جديد، إلا أنَّ هذا القانون يعاب عليه أنه جاء شاملاً ينقصه بعض التفصيل والتدقير في العديد من الجوانب، وهذا مقارنة مع ما هو منصوص عليه في الأنظمة المقارنة الأخرى، ونذكر على سبيل المثال أن المشرع لم



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینیہ بیلیمان

يحدد بالتفصيل في المادة 05 من هذا القانون ماهية السلع الحساسة الممنوعة من التداول عبر الإنترنت والماسة بمصالح الدفاع الوطني وكذا النظام العام للأمن الوطني . بالرغم من أنه فصل في المادة 03 بعض السلع والخدمات الممنوعة من التداول، وكذلك الأمر فيما تعلق بالأحوال القانونية - كما سبق ذكره في متن هذا المقال - لم تحدد بدقة، ما ترك حرية تحديد القواعد الخاصة بها للمتعاملين الإلكترونيين، وهذا ما يفتح المجال لممارسة نوع من الإذعان يتحمله المستهلك الإلكتروني البسيط. وكذلك الأمر بالرجوع إلى نص المادة 07 المتعلقة بالمعاملات التجارية العابرة للحدود والتي تعتبر أصل التجارة، والتي تلغى معها الحدود الجغرافية للدول وإجراءات مراقبة التجارة الخارجية والصرف، فهذه المادة المتعلقة بالإعفاء الرقابي للتجارة لم تحدد قيمة السلع والخدمات التي قد تعفى من الضرائب ...

وفي الأخير نقول أن قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر بالرغم من أنه تكتنفه بعض النقائص كما سبق ذكره، إلا أنه جاء لسد الفراغ القانوني الذي كان سائدا من قبل، وينظم المعاملات التجارية الإلكترونية بما تكفل حماية أكثر للمستهلك الإلكتروني، وعلى المشرع الجزائري الاستلهام بالتجارب السابقة في هذا المجال، واستدرك النقائص من أجل تعديليها في المستقبل، ومسايرة التطورات التكنولوجية السريعة، خاصة فيما يتعلق بوسائل الدفع الحديثة وذلك بإلزام التجار والمستهلكين بمسك بطاقات ائتمانية واستعمالها من أجل إتمام المعاملات التجارية الإلكترونية ووضع نظام خاص بذلك بين كيفية التعامل بها وحتى المنازعات القانونية التي قد تثور عنها.

وتجدر الإشارة أن سرعة تدفق الانترنت تلعب دورا رئيسا في رواج هذه التجارة، وخاصة عندنا في الجزائر، وبالرغم من تعميم هذه الخدمة تقريريا في كافة مناطق الوطن، يبقى يعييها مشكلة التدفق الضئيل والانقطاع المستمر في الشبكة، فعلى المعينين التدخل



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینیہ بیلیمان

من أجل وضع حد لأحد أهم العوائق التي تقف في طريق رواج التجارة الإلكترونية في الجزائر .

5. المراجع :

5.1 القوانين والأوامر والمراسيم:

- قانون رقم 01 المؤرخ في 14 شعبان عام 1430 الموافق ل 5 غشت 2009 والمتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الاعلام والاتصال ومكافحتها .

- قانون رقم 02 المؤرخ في 24 شعبان 1439 الموافق لـ 10 ماي 2018 المتعلق بالتجارة الإلكترونية في الجزائر .

- قانون رقم 03 المؤرخ في 11 ربيع الثاني 1436 الموافق لـ 01 فبراير 2015 الذي يحدد القواعد العامة المتعلقة بالتوقيع والتصديق الإلكتروني .

- الأمر رقم 04 المؤرخ في 20 رمضان 1395 الموافق ل 26 سبتمبر سنة 1975 الذي يتضمن القانون التجاري الجزائري، المعدل والمتمم .

- ظهير شريف رقم 1.07.129 صادر في 19 ذي القعدة 1428 الموافق لـ 30 نوفمبر 2007 بتنفيذ القانون رقم 05. 53 المتعلق بالتبادل الإلكتروني للمعطيات القانونية المغربية .

- قانون عدد 83 لسنة 2000 المؤرخ في 09 أوت 2000، المتعلق بالمبادلات والتجارة الإلكترونية التونسية.

- قانون رقم 07 المؤرخ في 25 فبراير 2009، يتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش، المعدل والمتمم بالقانون رقم 18-09 المؤرخ في 10 يونيو 2018، الجريدة الرسمية رقم 35 المؤرخة في 13 يونيو 2018.



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینینہ بیلیمان

- قانون رقم 08-04 المؤرخ في 14 غشت 2004، يتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية، المعدل والمتمم بالقانون رقم 08-18 المؤرخ في 10 يونيو 2018، الجريدة الرسمية رقم 35 المؤرخة في 13 يونيو 2018.

- قانون رقم 02-04 المؤرخ في 23 يونيو 2004، يحدد القواعد المطبقة على الممارسات التجارية، المعدل والمتمم بالقانون 10-06 المؤرخ في 15 غشت 2010، الجريدة الرسمية رقم 46 المؤرخة في 18 غشت 2010.

- المرسوم التنفيذي رقم 13-378 المؤرخ في 9 نوفمبر 2013، يحدد الشروط والكيفيات المتعلقة بإعلام المستهلك، الجريدة الرسمية رقم 58 المؤرخة في 18 نوفمبر 2013.

- المرسوم التنفيذي رقم 17-140 المؤرخ في 11 أبريل 2017، يحدد شروط النظافة والنظافة الصحية أثناء عملية وضع المواد الغذائية للاستهلاك البشري، الجريدة الرسمية رقم 24 المؤرخة في 16 أبريل 2017 .

5.2 الكتب:

- سلطان عبد الله محمود الجواري، عقود التجارة الإلكترونية والقانون الواجب التطبيق (دراسة مقارنة)، ط 1، منشورات الحلي الحقوقية، 2010.

- عبد الفتاح بيومي الحجازي، التجارة الإلكترونية في القانون العربي النموذجي لمكافحة جرائم الكمبيوتر والإنترنت، ط 1، دار الفكر الجامعي الإسكندرية، 2006 .

- عبد الفتاح مراد - منظمة التجارة العالمية والعملة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط 1، 2009



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یمنیة بیلیمان

04- عمر حسن المومنی، التوقيع الإلكتروني وقانون التجارة الإلكترونية، دراسة قانونية تحلیلية مقارنة، ط1، دار وائل للنشر، عمان، 2003.

05- فادي محمد عماد الدين توکل، عقد التجارة الإلكترونية، ط1، منشورات الخلیج الحقوقیة، بیروت 2010 .

06- فواز سالم کبارہ، قانون التجارة الدولية نشائہ مضمونہ، ج01، مجلد 01، المنشورات الحقوقیة، لبنان 2009.

07- محمد حسام محمود لطفی، آثار اتفاقیة الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكیة الفکریة علی تشريعات البلدان العربية، ط 3، القاهرة، 2002.

08- محمد ابراهیم أبو الهیجاء، عقود التجارة الإلكترونية والمنازعات العقدیة وغیر العقدیة، والقانون واجب التطبيق، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزیع، عمان، 2005.

09- هدى حامد قشقوش، الحماية الجنائیة للتجارة الإلكترونية عبر الإنترنٹ، ط1، دار النھضة العربية، القاهرة 2005.

10- یمنیة حوحو، عقد البيع الإلكتروني في القانون الجزائري، الطبعة الأولى، دار بلقیس للطباعة، الجزائر، 2016.

5. المقالات والمحلاط:

01- إلياس بن ساس، التعاقد الإلكتروني والمسائل المتعلقة به، مقال منشور في مجلة الباحث الصادرة عن كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية جامعة ورقلة - الجزائر، ع 2، 2003.

02- بربوشه مریم، الجودة الإلكترونية كمدخل لحماية المستهلك الإلكتروني، مقال منشور في مجلة مینا للدراسات الاقتصادية، جامعة باجي مختار عنابة، العدد 5 لسنة 2020 .



تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینینہ بیلیمان

-03 بو خروبة حمزة، حق المستهلك في العدول عن تنفيذ العقد الإلكتروني،
مقال منشور بمجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، جامعة محمد
بوضياف المسيلة، المجلد 4، العدد 2 لسنة 2019.

-04 هبة حمزة، الآليات القانونية لحماية المستهلك الإلكتروني وفق قانون 18-05
المتعلق بالتجارة الإلكترونية، مقال منشور في مجلة القانون الدولي والتنمية، جامعة عبد
الحميد ابن باديس مستغانم العدد 01 لسنة 2020 .

5. 4 البحوث والرسائل:

-01 عبد الباسط علي جاسم الزبيدي، تحديد الدخل الخاضع للضريبة الناشئ عن
التجارة الإلكترونية في التشريع الضريبي العراقي -دراسة مقارنة-، بحث مقدم إلى المؤتمر
السنوي الثالث: التشريعات القانونية والنظم المعلوماتية (الواقع والأفاق)، المقام في كلية
الحقوق، جامعة الموصل، ج1، 2010 .

-02 قاسم الطائي، التجارة الإلكترونية والقانون واجب التطبيق (دراسة قانونية
مقارنة) رسالة ماجister، مقدمة إلى كلية الحقوق، الجامعة الأمريكية، لندن، 2009 .

-03 مصطفى ناطق صالح مطلوب، التحكيم التجاري الإلكتروني، بحث منشور،
في مجلة الرافدين للحقوق الصادرة عن كلية الحقوق، جامعة الموصل، مجلد 11، ع 14،
2009 .

-04 محمد نايف محمود، أثر التجارة الإلكترونية وبعض المتغيرات الاقتصادية في
تدفق رأس المال الأجنبي، دراسة مقارنة، رسالة ماجister مقدمة إلى كلية الإدارة
والاقتصاد، جامعة الموصل، 2003.

-05 نافع بحر سليمان الباني، تنازع القوانين في منازعات التجارة الإلكترونية،
رسالة ماجister مقدمة إلى كلية القانون، جامعة بغداد، 2004.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1223-1189 تاريخ النشر: 25-03-2021

تطور قانون التجارة الإلكترونية في الجزائر ————— ط. أیوب بن النيه وأ.د. یینیہ بیلیمان

- 06- هبة تامر محمود عبد الله: عقود التجارة الإلكترونية - دراسة مقارنة -
رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الحقوق، جامعة النهرين، بغداد 2006.
- 07- يونس عرب، التعاقد والدفع الإلكتروني تحديات النظمين الضريبي والجمعي، محاضرة قدمت في معهد التدريب والإصلاح القانوني، الخرطوم، السودان، 2002.

5.5 الواقع الإلكتروني:

-01 راجع الموقع التالي: www.cba.edu.kw/mouneer/electronic

-02 الموقع الإلكتروني: www.epay-dz.com



المقر القانوني للشريك المؤسس في شركة امساهمت قيد التأسيس

The legal status of the founding partner of a joint stock company is under incorporation

د. عبد القادر همر العين

hameur.aek@hotmail.fr

جامعة ابن خلدون - تيارت

تاريخ القبول: 2021/01/05

تاريخ الإرسال: 2020/06/11

I. الملخص:

تؤسس شركات المساهمة باعتبارها محرك الاقتصاد الوطني وأداة تنميته وتطوره من قبل أشخاص يطلق عليهم المؤسسين، وينطبق هذا المصطلح على الفتنة التي تباشر الإجراءات والأعمال القانونية لإيجاد هذا الكائن القانوني، فيهدف البحث إلى تحديد المقر القانوني للشريك المؤسس من خلال تحديد المقصود به، ومدى انصراف التصرفات التي قام بها فترة التأسيس إلى شخصه أو إلى الشركة، أما أهم النتائج المتوصل إليها فتتمثل في:

1— ضرورة التجسيد القانوني للمقصود بالمؤسس، مع الأخذ بالمفهوم الواسع، إذ المؤسس يعدّ محور وأساس تكوين شركات المساهمة.

2— المنح الصريح للشركة قيد التأسيس شخصية معنوية بقدر الأعمال الالزامية للتأسيس.

الكلمات المفتاحية: شركة المساهمة؛ الشريك المؤسس؛ قيد التأسيس؛ الشخصية

المعنوية



المركز القانوني للشريك المؤسس في شركة المساهمة قيد التأسيس ----- د. عبد القادر حمر العين

Abstract: Joint-stock companies are established as the engine of the national economy and a tool for its development and development by people called the founders. This term applies to the category that undertakes legal procedures and actions to find this legal object. He undertook the founding period for himself or for the company. As for the most important results, he is represented in:

1- The necessity of the legal embodiment of what is meant by the founder, while adopting the broad concept, as the founder is the axis and basis of forming joint stock companies.

2-The explicit granting of the company under incorporation is a legal entity as much as the business necessary for incorporation.

Keywords: joint stock company ; founding partner; under incorporation ; corporate identity

1. المقدمة:

تعتبر شركة المساهمة النموذج الأمثل لشركات الأموال فهي تهدف لتجميع الأموال قصد القيام بمشروعات صناعية، أو تجارية، وإشباع حاجيات يتطلبه المجتمع، فهي بذلك أداة للتطور الاقتصادي، والروح الحركية للاقتصاد الوطني. ونظراً لخطورة هذا النوع من الشركات على اقتصاد الدولة¹، فإن التشريع الجزائري سمح أول الأمر للقطاع العام تأسيس شركات تتخذ شكل شركات المساهمة،

¹- تطور هذا النوع من الشركات بسرعة بفضل تجميع رؤوس الأموال وتركيزها في قبضة بعض الأشخاص حتى كادت تحكر المجال الصناعي والتجاري للدولة، هذا ما أدى ببعض الأنظمة ومنها الدول الرأسمالية التحالف من هذه الشركات، ولذلك لم يتقرر حرية تأسيس شركة المساهمة إلا في وقت متأخر، فقد تأسست أول شركة مساهمة في فرنسا، وفي سنة 1807، وأثناء تدوين القانون



المركز القانوني للشريك المؤسس في شركة المساعدة قيد التأسيس ----- د. عبد القادر جوالين
تساهم فيها بغيرها من أشخاص القانون العام، وبعد التوجه الاقتصادي الجديد، ومواكبة لتطورات تحولات السوق كان لزاما على المشرع مسايرة ذلك، ومنه صدر المرسوم التشريعي 08/93 المؤرخ في 03 ذي القعده الموافق لـ 1993/04/25 المعديل والمتضمن القانون التجاري، والذي يسمح بتأسيس هذا النوع من الشركات للقطاع الخاص.

وتعرف شركة المساعدة طبقاً لمضمون المادة 592 من ق.ت ج بأنما الشركة التي ينقسم رأس مالها إلى أسهم، وتكون من شركاء لا يتحملون الخسائر إلا بقدر حصتهم، فتقتصر مسؤولية المساهم على أداء قيمة الأسهم التي اكتتب فيها، ولا يسأل عن ديون الشركة إلا في حدود ما اكتتب فيه من أسهم.

ويقصد بتأسيس شركة المساعدة سواء كان التأسيس بخلق كيان قانوني لم يكن له أصلاً وجود في الواقع، أو كان التأسيس بطريق التحول إلى شركة مساهمة، بمجموع الأعمال القانونية والمادية التي تتالف فيما بينها لإيجاد هذا الهيكل القانوني في الواقع المحسوس، طبقاً لما رسمه المشرع من قواعد وإجراءات في هذا الصدد.

ويختلف تأسيس شركة المساعدة باختلاف الوسيلة التي يرتادها المؤسسين، فإذاً أن يكون تأسيسهم عن طريق اللجوء إلى الجمهور للاكتتاب في رأس المال وهو ما يسمى

التجاري أُشترط لتأسيسها تصريح مسبق حماية للادخار العام الذي قد يلجأ إليه الأفراد، ولم يسمح بتأسيسها بحرية تامة إلا أثناء الثورة الصناعية، وهناك من التشريعات من تبني مبدأ الرقابة السابقة والمستمرة على تأسيس شركات المساعدة ومنها التشريع الألماني والمصري، أنظر، محمد الحموري، أصول النظام القانوني لشركة المساعدة في الشريعة الأنجلوسكسونية، مجلة الحقوق، القسم الأول، السنة التاسعة، العدد الرابع، ص 31 وما بعدها.



المراكز القانوني للشريك المؤسس في شركة المساهمة قيد التأسيس ----- د. عبد القادر حمو العين بالتأسيس المتتابع أو المتعاقب، أو أن يكون التأسيس عن طريق اقتصار الاكتتاب في رأس المال على المؤسسين فقط، وهو ما يطلق عليه اسم التأسيس الفوري أو المغلق. وفي كل الأحوال فإن الذي يقوم بهذه الأعمال والإجراءاتأشخاص يطلق عليهم مؤسسي الشركة، وعلى ذلك لنا أن نتساءل عن المركز القانوني لمؤسس شركة المساهمة قيد تأسيسها؟

ومنه فالإجابة على هذه الإشكالية تعد أحد أهم أهداف هذا الموضوع، فيهدف البحث إلى تبيان المركز القانوني للشريك المؤسس في شركة المساهمة من خلال حكم التصرفات التي يجريها المؤسس في فترة التأسيس، وما إذا كانت تصرفاته إليه أو إلى الشركة.

ومن ثم فقد اعتمدنا على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك باستقراء وتحليل القواعد القانونية المتعلقة بتحديد فئة المؤسسين، وهذا تماشيا مع الآراء الفقهية والتطبيقات القضائية الواردة في هذا الشأن، فضلا عن المنهج المقارن وذلك بمقارنة ومقاربة التشريع الجزائري والأنظمة القانونية الأخرى سيما التشريع الفرنسي والمصري، وعليه فقد تم تقسيم هذه الورقة البحثية إلى النقاط التالية:

1 — مفهوم المؤسس

2 — تصرفات المؤسس في الشركة قيد التأسيس

2. مفهوم المؤسس

تبدأ شركة المساهمة كفكرة تحول بخاطر بعض رجال الأعمال فيدرسونها ويحددون معالمها، حتى إذا ما اقتنعوا بجدواها سعوا إلى تحويلها إلى حقيقة ملموسة عن طريق إتباع إجراءات محددة قانونا لا يجوز الاتفاق على مخالفتها، ومحرك هذه الإجراءات



المراكز القانوني للشريك المؤسس في شركة المساهمة قيد التأسيس ----- د. عبد القادر حمو العين

أشخاص يطلق عليهم اسم المؤسسين هم ملزمون باتباع إجراءات لإنشاء هذا الكيان القانوني.

وعليه فمن هو المؤسس؟ وما الحد الأدنى لعدد المؤسسين اللازم لتأسيس شركة المساهمة، وما الشروط الواجب توافرها فيهم؟

1.2 المقصود بالمؤسس

اختللت الآراء الفقهية واتجاهات القضاء في هذا الشأن، فجانب تقليدي يرى ضرورة الأخذ بالمفهوم الضيق لمعنى المؤسس، في حين يؤسس اتجاه حديث إلى القول بالتوسيع في المقصود بالمؤسسين.

1.1.2 الاتجاه التقليدي الضيق لمعنى المؤسس

يرى أنصار هذا الاتجاه أنه لا بد من التضييق من مفهوم المؤسس، بحيث تقتصر صفة المؤسس على الأشخاص الذين قاموا بالتوقيع على عقد الشركة فقط، ولا بد أن يكون مساهمًا في الشركة، كما لا يكفي كونه قد أخذ على عاتقه تجميع المساهمين والأموال الالزامية لمشروع الشركة بُعدة موافقة اجراءات تكوينها¹.

2.1.2 الاتجاه الحديث الواسع لمعنى المؤسس

يذهب جانب من الفقه الحديث إلى القول أن المؤسس هو كل شخص يأخذ على عاتقه تجميع المساهمين والأموال الالزامية للمشروع، والسعى لإتمام الإجراءات القانونية الواجبة لتأسيس الشركة، سواء وقع على العقد التأسيسي أو لم يوقع².

¹ - فرياد شكر حسين، المركز القانوني للمؤسسين، مجلة القانون، كلية العلوم القانونية والسياسية، جامعة كركوك، العدد 18، مج 05، 2017، ص 175.

² - مصطفى كمال طه، الشركات التجارية، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 1998، ص



المؤسس القانوني للشريك المؤسس في شركة المساهمة قيد التأسيس ----- د. عبد القادر حمو العين

وفي ذات السياق يعتبر رأي آخر أن صفة المؤسس لا تقتصر على الشخص الشريك، إنما يجب أن تمتد إلى كل شخص يشترك بصورة إيجابية في إنشاء الشركة، حتى ولو لم يكن من الذين وقعوا على النظام الأساسي للشركة، إذا كان في أفعاله ما يبني عن قصده في تحمل المسؤولية الناجمة عن التأسيس، كالتوقيع على نشرات الافتتاح التي توجه إلى الجمهور، والأشخاص الذين يقدمون خبرتهم وجهودهم للنهوض بالمشروع، كشراء الآلات والمعدات الازمة للشركة وتحرير وثائق التأمين، والتعاقد مع العاملين والفنين اللازمين لإدارة الشركة¹، ويأخذ القضاء الفرنسي بهذا المعنى الموسع للمؤسس، فكل من أتى أعمالاً تعتبر في الواقع هي الحرك الحقيقي لنشأة الشركة تلتحمه صفة المؤسس².

ويُعرف المشرع المصري المؤسس بأنه من يشترك اشتراكاً فعلياً في تأسيس الشركة، ولديه النية في تحمل المسؤولية الناجمة عن عملية التأسيس، وأعتبر بالخصوص مؤسساً من وقع على العقد الابتدائي، أو طلب الترخيص لتأسيس الشركة، أو قدم حصة عينية³.

¹ - أبو زيد رضوان، الشركات التجارية، الجزء الأول، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987، ص 37.

² - حماد مصطفى عزب، النظام القانوني لتصورات شركة المساهمة تحت التأسيس، مجلة الدراسات القانونية، أسيوط، سنة 2000، العدد 23، ص 351.

³ - المادة 7 من القانون المصري رقم 159 لسنة 1981 تنص على أنه "المؤسس هو كل من يشترك اشتراكاً فعلياً في تأسيس الشركة بنية تحمل المسؤولية عن ذلك، ويعتبر مؤسساً على الخصوص كل من وقع على العقد الابتدائي للشركة، أو طلب الترخيص في تأسيس الشركة، أو قدم حصة عينية عند تأسيسها".

المركز القانوني للشريك المؤسس في شركة المساهمة قيد التأسيس ————— د. عبد القادر حمر العين

أما المشرع الجزائري فلم يُعرف المؤسس؟ ولكن باستقراء نصوص القانون التجاري، لاسيما الأحكام الخاصة بالتأسيس¹، نقول أن مشرعننا قد اعتير الشخص الذي يُشرف على تنظيم إجراءات التأسيس مؤسسا من خلال التوقيع على العقد التأسيسي، والقيام بإجراءات التوثيق، والقيد، والإيداع، والنشر، وكذا استدعاء المكتتبين إلى جمعية تأسيسية، غير أنه وما دام المشرع لم يعرف المؤسس تعريفا جاماً مانعاً لا يجوز التوسيع فيه، فإن تحديد صفة المؤسس أمر متروك للقضاء، ويتبع فيه الأخذ بالمفهوم الواسع للمؤسس، وهذا حماية للادخار العام، وتحقيقاً لطمأنينة وثقة المدخرين، وحماية للاقتصاد الوطني الذي يمثله هذا النوع من الشركات، وبذلك ينسحب وصف المؤسس على كل من قام بمبادرة أو بعمل إيجابي ومؤثر في سبيل تأسيس هذه الشركة ولو لم يوقع على العقد التأسيسي، شرط أن تكون هذه الأعمال من قبيل الدعاية والترويج للمشروع، كأن يكون أحد البنوك هو المحرك الحقيقي الذي كان وراء تأسيس الشركة وهذا بصفته وكيل لأحد المؤسسين، وهنا يمكن اعتبار البنك المؤسس الفعلي للمشروع إلى جانب المؤسسين القانونيين، أو ما يمكن أن نسميهم المؤسسين الظاهرين².

وعليه فالقاضي بتحديد لصفة المؤسس يستطيع مساءلته مدنيا وجزائيا حالة مخالفة إجراءات التأسيس المنصوص عنها قانونا، وتوسيع نطاق هذه الصفة أمر محمود يوفر الحماية الكافية لصغار المدخرين الذين يُقبلون على توظيف مدخراهم في هذه الشركات، وفيه قطع للسبيل أمام كل من تسول له نفسه التحايل على أحكام القانون الخاصة بتأسيس هذا النوع من الشركات وما يمكن أن يتربّع عنه من مسؤوليات، غير

¹ - لاسيما تحرير النظام القانوني للشركة والكتاب في أسهامها، وانعقاد الجمعية التأسيسية، إضافة إلى إجراءات الشهر الخاضعة له مختلف الشركات التجارية، أنظر، المواد من 595 إلى 609 من ق ت ج.

²- أبو زيد رضوان، المرجع السابق، ص 38.



المؤسس في شركة المساعدة قيد التأسيس ----- د. عبد القادر حمو العين

أن الأخذ بالمفهوم الواسع للمؤسس يجب تحديده تشريعياً، ذلك أن مؤسسي الشركة قد يسألون جزائياً حالة ارتكابهم لسلوكيات مجرمة أثناء قيامهم بإجراءات التأسيس¹، وعدم بيان المقصود بفئة المؤسسين أمر من شأنه أن ينافي الأخذ بالمفهوم الواسع للمؤسس مع مبدأ التفسير الضيق للنصوص في الجانب الجزائري.

2.2 الحد الأدنى لعدد المؤسسين:

اشترط المشرع لتأسيس شركة المساعدة حداً أدنى لعدد الشركاء بأن لا يقل عن سبعة شركاء²، وتطلب هذا العدد يؤكد على جدية تأسيس هذا المشروع الكبير، وتقاسم المسؤولية التي تتحرّر عن عيب في الإنشاء، وتفوية الضمان العام لكل من يتعامل مع الشركة قيد التأسيس، إذ الشركاء المؤسسين متضامنين ومن غير تحديد في أموالهم الخاصة وبقوة القانون قبل إتمام إجراءات التأسيس³.

كما أن الشريك المؤسس قد يكون شخصاً طبيعياً، وقد يكون شخصاً معنوياً، ولكن هذا الأخير يجب أن يملك الأهلية الالزامية بأن يكون قد جرى تأسيسه بصورة

¹ - نصت المادة 806 من القانون التجاري على أنه "يعاقب بغرامة مالية من 20.000 دج إلى 200.000 دج، مؤسسو الشركات المساعدة ورؤيسها والقائمون بإدارتها، أو الذين أصدروا الأسهم قبل قيد الشركة بالسجل التجاري، أو في أي وقت كان إذا حصل على القيد بطريق الغش، أو دون إتمام إجراءات تأسيس تلك الشركة بوجه قانوني".

² - كان المشرع الجزائري يشترط 9 شركاء كحد أدنى لتأسيس في ظل الأمر 59/75 المتضمن القانون التجاري وعدل الأمر بموجب المرسوم التشريعي 03/93 المعدل والمتمم، واشترط في المادة 592 منه 7 شركاء كحد أدنى لتأسيس، ويختلف الحد المطلوب لتأسيس باختلاف التشريعات، فهناك من يستوجب ثلاثة مؤسسين كحد أدنى كالتشريع المصري واللبناني، وهناك من يتشرط خمسة كالتشريع السوري.

³ - المادة 549 من القانون التجاري الجزائري.



المـــركـــزـــ الـــقـــانـــوـــيـــ لـــلـــشـــرـــيـــكـــ الـــمـــؤـــســـســـ فـــيـــ شـــرـــكـــةـــ الـــمـــســـاـــهـــمـــ قـــيـــدـــ التـــأـــســـيـــســـ ----- دـــ عـــبـــدـــ الـــقـــادـــرـــ حـــرـــالـــعـــيـــ

قـــانـــوـــيـــ، وـــقـــدـــ أـــخـــذـــ فـــيـــ مـــوـــضـــوـــعـــهـــ إـــدـــخـــالـــ نـــشـــاطـــ تـــأـــســـيـــســـ مـــثـــلـــ هـــذـــاـــ النـــوـــعـــ مـــنـــ الـــشـــرـــكـــاتـــ، كـــمـــاـــ أـــنـــ يـــشـــتـــرـــطـــ وـــجـــودـــ اـــرـــتـــبـــاطـــ بـــيـــنـــ نـــشـــاطـــ وـــأـــغـــرـــاضـــ الـــشـــخـــصـــ الـــمـــعـــنـــيـــ الـــمـــؤـــســـســـ وـــنـــشـــاطـــ وـــأـــغـــرـــاضـــ الـــشـــرـــكـــةـــ الـــمـــرـــادـــ تـــأـــســـيـــســـهاـــ¹.

3.2 الشروط الواجب توافرها في شخص المؤسس

كـــمـــاـــ ســـبـــقـــ الـــقـــوـــلـــ لـــمـــ يـــعـــرـــفـــ الـــمـــشـــرـــعـــ الـــجـــزـــائـــريـــ الـــمـــؤـــســـســـ، وـــبـــالـــتـــالـــيـــ لـــمـــ يـــتـــعـــرـــضـــ لـــلـــشـــرـــوـــطـــ الـــلـــوـــاجـــبـــ تـــوـــافـــرـــهـــاـــ فـــيـــ شـــخـــصـــهـــ، وـــمـــنـــ ثـــمـــ وـــجـــبـــ الرـــجـــوعـــ إـــلـــىـــ الـــقـــوـــاعـــدـــ الـــعـــامـــ، فـــيـــشـــتـــرـــطـــ بـــذـــلـــكـــ تـــوـــافـــرـــ الـــأـــهـــلـــيـــةـــ الـــتـــجـــارـــيـــ الـــكـــامـــلـــ، فـــضـــلاـــ عـــنـ~ــ صـــفـــاتـ~ــ الـــثـــقـــةـ~ــ وـ~ــالـــتـــرـــاهـ~ــةـ~ــ.

1.3.2 الأهلية التجارية الكاملة

بـــالـــرـــجـــوعـ~ــ إـــلـ~ــىـ~ــ أـــحـــكـ~ــامـ~ــ الـ~ــقـ~ــانـ~ــونـ~ــ التـ~ــجـ~ــارـ~ــيـ~ــ بـ~ــنـ~ــدـ~ــ أـ~ــنـ~ــ قـ~ــوـ~ــاعـ~ــدـ~ــهـ~ــ لـ~ــاـ~ــ تـ~ــتـ~ــكـ~ــلـ~ــمـ~ــ عـ~ــنـ~ــ الـ~ــأـ~ــهـ~ــلـ~ــيـ~ــةـ~ــ التـ~ــجـ~ــارـ~ــيـ~ــ، غـــيرـ~ــ أـ~ــنـ~ــ وـ~ــإـ~ــعـ~ــمـ~ــاـ~ــ لـ~ــنـ~ــصـ~ــ الـ~ــمـ~ــادـ~ــةـ~ــ 1ـ~ــ مـ~ــكـ~ــرـ~ــ مـ~ــنـ~ــ قـ~ــتـ~ــ جـ~ــ 2ـ~ــ إـــنـ~ــاـ~ــ تـ~ــحـ~ــيـ~ــلـ~ــاـ~ــ إـ~ــلـ~ــىـ~ــ قـ~ــوـ~ــاعـ~ــدـ~ــ الـ~ــأـ~ــهـ~ــلـ~ــيـ~ــةـ~ــ الـ~ــوـ~ــارـ~ــدـ~ــ فـ~ــيـ~ــ الـ~ــقـ~ــانـ~ــونـ~ــ الـ~ــمـ~ــدـ~ــنـ~ــ، وـ~ــمـ~ــنـ~ــ فـ~ــيـ~ــشـ~ــتـ~ــرـ~ــطـ~ــ فـ~ــيـ~ــ شـ~ــخـ~ــصـ~ــ الـ~ــمـ~ــؤـ~ــسـ~ــسـ~ــ أـ~ــنـ~ــ يـ~ــتـ~ــمـ~ــعـ~ــ بـ~ــأـ~ــهـ~ــلـ~ــيـ~ــةـ~ــ التـ~ــصـ~ــرـ~ــفـ~ــ كـ~ــاـ~ــمـ~ــلـ~ــةـ~ــ، أـ~ــيـ~ــ بـ~ــلـ~ــوـ~ــغـ~ــ سـ~ــنـ~ــ الرـ~ــشـ~ــدـ~ــ الـ~ــمـ~ــدـ~ــدـ~ــ بـ~~ــ 19ـ~ــ سـ~ــنـ~ــ كـ~ــاـ~ــمـ~ــلـ~ــةـ~ــ³ـ~ــ وـ~ــلـ~ــمـ~ــ يـ~ــعـ~ــتـ~ــرـ~ــ عـ~ــارـ~ــضـ~ــ يـ~ــفـ~ــقـ~ــدـ~ــهـ~ــ أـ~ــهـ~ــلـ~ــيـ~ــتـ~ــهـ~ــ أـ~ــوـ~ــ يـ~ــخـ~ــلـ~ــ بـ~ــتـ~ــدـ~ــبـ~ــرـ~ــهـ~ــ وـ~ــتـ~ــقـ~ــدـ~ــرـ~ــهـ~ــ لـ~ــلـ~ــأـ~ــمـ~ــوـ~ــرـ~ــ، وـ~ــاشـ~ــتـ~ــرـ~ــاطـ~ــ الـ~ــأـ~ــهـ~ــلـ~ــيـ~ــةـ~ــ الـ~ــكـ~ــامـ~ــلـ~ــ، لـ~ــمـ~ــؤـ~ــسـ~ــسـ~ــ شـ~ــرـ~ــكـ~ــ الـ~ــمـ~ــسـ~ــاـ~ــهـ~ــمـ~ــ

يـ~ــرـ~ــجـ~ــعـ~ــ إـ~ــلـ~ــىـ~ــ مـ~ــسـ~ــؤـ~ــلـ~ــيـ~ــتـ~ــهـ~ــ التـ~ــضـ~ــامـ~ــنـ~ــيـ~ــ وـ~ــالـ~ــمـ~ــلـ~ــطـ~ــلـ~ــقـ~ــةـ~ــ فـ~ــيـ~ــ أـ~ــمـ~ــوـ~ــلـ~ــمـ~ــ الـ~ــخـ~ــاصـ~ــ، فـ~ــضـ~ــلاـ~ــ عـ~ــنـ~ــ اـ~ــمـ~ــكـ~ــانـ~ــيـ~ــ مـ~ــسـ~ــأـ~ــلـ~ــتـ~ــهـ~ــمـ~ــ جـ~ــزـ~ــائـ~ــيـ~ــ حـ~ــالـ~ــةـ~ــ اـ~ــرـ~ــتـ~ــكـ~ــاـ~ــبـ~ــهـ~ــمـ~ــ سـ~ــلـ~ــوـ~ــكـ~ــاـ~ــ جـ~ــمـ~ــرـ~ــمـ~ــ جـ~ــرـ~ــاءـ~ــ قـ~ــيـ~ــمـ~ــهـ~ــمـ~ــ بـ~~ــأـ~ــعـ~ــمـ~ــ الـ~ــتـ~ــأـ~ــسـ~ــيـ~ــسـ~ــ.

كـــمـــ أـــنـ~ــ الـ~ــقـ~ــاـ~ــسـ~ــ لـ~~ــ يـ~~ــكـ~~ــنـ~~ــ أـ~~ــنـ~~ــ يـ~~ــكـ~~ــ شـ~~ــرـ~~ــيـ~~ــكـ~~ــ مـ~~ــؤـ~~ــسـ~~ــسـ~~ــ فـ~~ــيـ~~ــ شـ~~ــرـ~~ــكـ~~ــ الـ~~ــمـ~~ــسـ~~ــاـ~~ــهـ~~ــمـ~~ــ

شـ~~ــرـ~~ــطـ~~ــ كـ~~ــمـ~~ــ الـ~~ــأـ~~ــهـ~~ــلـ~~ــيـ~~ــ، غـــيرـ~ــ أـ~ــنـ~ــ يـ~ــجـ~ــوزـ~ــ لـ~~ــلـ~~ــوـ~~ــلـ~~ــيـ~~ــ أـ~~ــوـ~~ــ الـ~~ــوـ~~ــصـ~~ــيـ~~ــ أـ~~ــنـ~~ــ يـ~~ــسـ~~ــتـ~~ــمـ~~ــ أـ~~ــمـ~~ــالـ~~ــقـ~~ــاـ~~ــنـ~~ــ الـ~~ــمـ~~ــدـ~~ــنـ~~ــ الـ~~ــجـ~~ــزـ~~ــائـ~~ــيـ~~ــ.

¹ سمية القيلوبي، الشركات التجارية، الجزء الثاني، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993، ص 85.

² تنص المادة 1 مكرر ق ت ج على أنه " يسري القانون التجاري على العلاقات بين التجار، وفي حالة عدم وجود نص يطبق القانون المدني وأعراف المهنة عند الاقضاء "

³ المادة 40 من القانون المدني الجزائري.

د. عبد القادر حمر العين المركز القانوني للشريك المؤسس في شركة المساهمة قيد التأسيس

اكتتاب أسهم شركة مساهمة، لأن المساهم لا يكتسب صفة الناجر، ولا يكون مسؤولاً عن ديون الشركة إلّا في حدود الأسهوم المكتتب بها، ومنه فللقاصر اتخاذ صفة الشريك المنضم دون الشريك المؤسس.¹

هذا وغني عن البيان أن المرأة المتزوجة الشريكة لا تشير إشكالا في ظل التشريع الجزائري²، إذ عقد الزواج في الإسلام يقوم على مبدأ انفصال الذميين الماليين للزوجين، ومنه فالمرأة المتزوجة لا تحتاج إلى ترخيص زوجها للمشاركة في تأسيس الشركة واتخاذ صفة المؤسس.

2.3.2 صفات الثقة والتراث

يشرط المشرع المصري بالإضافة إلى الأهلية التجارية الكاملة، توافر للمؤسس صفات التزاهة من حيث ضرورة عدم سبق ارتكابه وعقابه عن جنائية، أو أية جريمة مخلفة بشرف الرجلة، كالسرقة، أو النصب، أو خيانة الأمانة، أو التزوير، أو اليمين الكاذبة، أو جريمة التفليس بالتقدير، أو التدليس³، وكذلك يشترط أن لا يكون المؤسس قد

^١ - يعد تعدد الشركاء ركن موضوعي خاص لتأسيس شركة المساهمة، وهو شرط ابتداء وبقاء، والمكتتبون في الشركة يطلق عليهم الشركاء المنضمون، أما الشركاء المبادرون بتأسيس فيطلق عليهم المؤسسين.

² - يمكن لزوجين أن يشتراكا في تأسيس شركة مساهمة، إذ مسؤوليتهم محدودة بقدر الأسهم المكتتب بها، ولا يكتسبون صفة الناج، وبالتالي إفلاس الشركة لا يستتبعه إفلاس الزوجين، وهذا بخلاف شركة التضامن، إذ لا يمكن لزوجين الاشتراك في التأسيس، ذلك أن إفلاس الشركة ينبع عنه إفلاس الشركة المطلقة، وبالتالي يكون إفلاس للأسرة وأهاليها والتي تعد أحد أعمدة النظام العام، والقانون لا يسمح بإبرام عقود تنازل عن حقوق الأسرة، أنظر، صبحي عرب، محاضرات في عقود الشركة، أقيمت على طلبة الماجستير في كلية الحقوق، بين عكّون، 2002، غير منشورة.

³ المادة 1/7 من القانون المصري رقم 159 لسنة 1981.

المركز القانوني للشريك المؤسس في شركة المساهمة قيد التأسيس ————— د. عبد القادر جموع العيني

ارتکب أية جريمة متعلقة بالتأسيس، كالأفعال العمدية التي يرتكبها مؤسسو الشركات
سواء في نشرات الاكتتاب أو إصدار الأسهم، أو تقويم زائف للحصص العينية.

أما التشريع الجزائري فلم يشترط صراحة في مؤسسي شركة المساهمة توافر
صفات الثقة والتراهنة، غير أنه وباستقراء قواعد شروط القيد في السجل التجاري، فإن
المشرع يشترط في كل مؤسس تقديم نسخة عقد الميلاد، وشهادة السوابق العدلية عند
القيد في السجل التجاري¹، وفي ذات السياق يُوجب مضمون المادة 08 من القانون
المؤرخ في 14/08/2004 المتعلق بشروط ممارسة الأنشطة التجارية المعدل والمتمم
ضرورة عدم ارتکاب جرم يمس بقوام التجارة لكل من يريد الانضمام الى فئة التجار،
وعليه فمؤسسي شركات المساهمة يكتسبون صفة التاجر ولا يكون لهم ذلك ما لم تتوافر
لهم الاستقامة التجارية وهذا ضمانا لتراهنة وائتمان عملية التأسيس، وتقوية للادخار،
وزيادة للاستثمار الذي قوامه الاستقامة والتراهنة العملية في ذلك، وفضلا عن ذلك فإن
أحكام قانون 11/03 المتعلق بالنقد والقرض المعدل والمتمم، تشترط في المصادر
باعتبارها شركات مساهمة أن لا يكون مؤسسيها قد حكم عليهم في جنائية، أو سرقة أو
خيابةأمانة أو إفلاس، أو غيرها من الأفعال المشينة الماسة بمبادئ الثقة والتراهنة².

3. تصرفات المؤسس في الشركة قيد التأسيس

^١ المادة 13 من المرسوم التنفيذي 41/97 المؤرخ في 18/01/1997 والمتصل بشروط القيد في السجل التجاري المعدل والمتم.

²- المادة 80 من الأمر 03/11 المؤرخ في 26/08/2003المتعلق بالنقد والقرض المعدل والمتمم، ج ر، العدد52 الصادرة بتاريخ 27/08/2003.



المـــركـــزـــ الـــقاـــنـــوـــيـــ لـــلـــشـــرـــيكـــ الـــمـــؤـــســـســـ فـــيـــ شـــرـــكـــةـــ الـــمـــاســـاـــهـــةـــ قـــيـــدـــ التـــأـــســـيـــســـ ----- دـــ عـــبـــدـــ الـــقـــادـــرـــ حـــرـــالـــعـــيـــ

تمتد فترة تكوين الشركة من تاريخ مباشرة اجراءات تأسيسها وإنراجها إلى حيز الوجود والى غاية قيدها في السجل التجاري¹، وقد سمح القانون للمؤسسين القيام بالتصرفات القانونية، وإبرام العقود الالازمة لإنشاء مشروع الشركة، فهم بذلك يتعاقبون مع المكاتب المتخصصة لإجراء الدراسات الالازمة، وقد يرتبطون مع الغير من الفنيين والعمال، وكذا يتعاقدون لشراء الآلات والمعدات وغيرها من العقود التي تهم مشروع الشركة، وكل هذا يقع باسم الشركة تحت التأسيس، مما يتثير التساؤل عن

¹- ثار خلاف فقهي حول اللحظة التي تبدأ فيها فترة التأسيس وال فترة التي تنتهي فيها، فيرى جانب من الفقه الفرنسي و يؤيد هذه القضايا في ذلك أن المعيار أو الضابط في تحديد بداية فترة التأسيس، هو بعدى توافر الالتزام بإنشاء الشركة من عدمه، وحسب هذا الاتجاه فإن فترة التأسيس تبدأ من الوقت الذي يتعهد فيه الشركاء المؤسسوون باتجاه الغير بإبرام عقد الشركة في صورته النهائية، وأن مرحلة التأسيس تنتهي بانتهاء آخر إجراء تأسيسي بتوقيع القانون الأساسي للشركة، أو انعقاد الجمعية العامة التأسيسية في شركات المساهمة، ولو لم يتم بعد قيد الشركة في السجل التجاري واكتسابها الشخصية المعنوي، أنظر،

HAMMEL TERRE ET MABILAT: sociétés commerciale. T1.Dalloz .PARIS. 1979.
P108

غير أن الرأي الراجح من ذلك أن فترة التأسيس تنتهي بقيد الشركة في السجل التجاري، ومن ثم اكتسابها الشخصية المعنوية وهو ما تضمنته المادة 549 ق ت ج، أما بدأ فترة التأسيس وفي غياب تحديد شريعي لها وتعلقها بمسألة واقعية يقوم القضاء بتحديدها تبعاً لظروف كل حالة على حدة، فإنما لا تكون هذه التصرفات مقصورة على الأعمال الضرورية للتأسيس، وإنما تشمل أيضاً التصرفات الضرورية لإعداد الشركة لمواولة نشاطها فور اكتسابها الشخصية المعنوية، كما أن التزام الشركة لا يشمل إلا الالتزامات التعاقدية الناشئة عن هذه التصرفات دون الالتزامات التقصيرية التي تقع على عاتق من قام بها، إلا في حالة استفادة الشركة منها، حيث يقتصر التزامها في هذه الحالة على دفع التعويض الناشئ عنها فحسب، أنظر، حماد مصطفى عزب، المرجع السابق، ص 432.



المركز القانوني للشريك المؤسس في شركة المساهمة قيد التأسيس ————— د. عبد القادر حمر العين

المركز القانوني الذي يتمتع به المؤسسون أثناء فترة التأسيس من خلال حكم التصرفات التي يتخذها خلال هذه المرحلة أهي للشركة وهي ما زالت في طور التأسيس؟ أم للمؤسسين بصفتهم الشخصية؟

والحقيقة أنه لا صعوبة في الجواب عن هذا التساؤل حالة فشل مشروع الشركة، إذ تظل العقود والتصرفات التي قام بها المؤسسون ملزمة لهم بصفتهم الشخصية، وهم الذين ترتب عليهم الالتزامات ويكتسبون الحقوق الناشئة عنها¹، ولكن الصعوبة تثور عندما تكمل إجراءات تأسيس الشركة بالنجاح وتكتسب الشخصية المعنوية، وتنتقل هذه التصرفات إليها، فكيف تنتقل هذه التصرفات إلى الشركة، وما مركز الشريك المؤسس فيها؟

في هذا الشأن اختلفت الآراء الفقهية فهناك اتجاه فقهي تقليدي وهناك اتجاه حديث.

1.3 الاتجاه التقليدي

يرى أنصار هذا الاتجاه أن الشركة لها وجود قانوني خلال فترة التأسيس، والمؤسسون عندما يبرمون العقود، فهم يقومون بذلك باسمهم الخاص ولحسابهم، ويصبحون كدائنين ومدنيين إلى أن يتم تأسيس الشركة عندها تنتقل إليها جميع الالتزامات والحقوق.

¹ - كامل عبد المحسن البلداوي، الشركات التجارية، مطبعة جامعة بغداد، بدون تاريخ، ص 128.

د. عبد القادر حمر العين المركز القانوني للشريك المؤسس في شركة المساهمة قيد التأسيس

لكن أستبعد هذا الرأي، لأنه يعرض الشركة لخطر الحجر على أحد المؤسسين أو إفلاسه، كما أنه يجعل دفع الرسوم مرتين كرسوم الشهر العقاري، المرة الأولى عندما تنتقل الملكية إلى المؤسس، والمرة الثانية عند انتقالها للشركة.^١

ويذهب رأي آخر بالقول إلى أن العلاقة بين المؤسس والشركة تخضع لقواعد الفضالة، فالمؤسس كالفوضولي يعمل لحساب رب العمل المتمثل هنا في الشركة²، وبالتالي يجب عليه طبقاً لنص المادة 153 من القانون المدني أن يمضي ويستمر في العمل إلى أن يتتمكن رب العمل (الشركة المستقبلية) من مباشرته بنفسه، ولكن هذا الرأي متنقד هو الآخر لوجود اختلاف بين الفضالة ونوع العلاقة بين المؤسس والشركة، فالفوضولي يعمل لمصلحة شخص موجود، في حين أن المؤسس يعمل لمصلحة شخص غير موجود، إنما هو في طور التكوين، والفضولي يعمل لمصلحة رب العمل في الأمور الضرورية والمستعجلة، حين عمل المؤسس لا يكون في المسائل المستعجلة.

وهناك من يرى أن العلاقة بين المؤسس والشركة تخضع لقواعد الوكالة بوصف المؤسس وكيلًا عن الشركة³، غير أن الرأي هذا يعاب عليه كون الوكالة لا تتم إلا بوجود الموكل وبتخويف منه، والشركة في هذه المرحلة غير موجودة، أي لا تتمتع بالشخصية المعنوية.

ورأى آخر يُسند العلاقة بين المؤسس والشركة إلى أحكام الاشتراط لمصلحة الغير، لكون الاشتراط لمصلحة الغير يجوز أن يتم لمصلحة شخص غير موجود ولكنه

¹ نادية فضيل، شركات الأموال في القانون الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص 160.

² - محمد فريد العربي، الشركات التجارية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2004، ص 33.

³ - كامل عبد الحسن البلاذري، المراجع السابق، ص 129.

المركز القانوني للشريك المؤسس في شركة المساهمة قيد التأسيس ————— د. عبد القادر حمرو العين
سيوحده في المستقبل، ويكون المؤسس هو المشترط، وغيره هو المعهد، والشركة المستقبلية هي المستفيدة، بيد أن هذا الرأي وإن كان من شأنه تفسير تمعن الشركة بالحقوق الناشئة عن العقود التي يبرمها المؤسس مع الغير، إلا أنه لا يفسر تحمل وانتقال
الالتزامات الناشئة عن هذه العقود¹.

الاتجاه الحديث 2.3

يذهب هذا الاتجاه الى القول بوجود شخصية معنوية للشركة قيد التأسيس بقدر تكوينها فقط، وعليه سنين أحكام هذا الرأي، و موقف المشرع الجزائري في ذلك.

١.٢.٣ تتمتع الشركة بالشخصية المعنوية قيد تأسيسها

ويرى الفقه الحدیث فی هذا الصدد أنه من غير الجدي رد هذه الأحكام إلى قواعد الشرع العام من وكالة، وفضاله، واشتراط مصلحة الغیر، واعتبر أن الشركة تتمتع بالشخصية المعنوية في فترة التأسيس، ولكن فقط من أجل الأعمال الازمة لتأسيسها، وذلك قياسا على قدر الشركة بالشخصية المعنوية في فترة التصفية بالنسبة للأعمال الازمة للتصفية، وبالتالي فشخصيتها ليست كاملة، بل هي في طور التكوين كشخصية الجنين قبل ولادته، وهو الاتجاه الراوح والسلك الذي انتهجه بعض التشريعات، فعالجت الأمر بشكل صريح، واعترفت للشركة بالشخصية المعنوية بالقدر الازم لتحمل الالتزامات الناجمة عن تصرفات المؤسسين خلال فترة التأسيس وبالمصاريف التي أنفقت بسبب التأسيس².

¹- مصطفى كمال طه، المرجع السابق، ص 150.

² - ومنها التشريع الإيطالي الذي يقضي بمسؤولية المؤسسين بالتضامن في مواجهة الغير عن التعهادات التي يرمونها بمناسبة تأسيس الشركة، فإذا تكونت الشركة، وجب عليها أن تبرئ المؤسسين من هذه التصرفات وأن تأخذها على عاتقها، وأن تدفع لهم مصاريف التأسيس، شريطة أن تكون ضرورية وأن



المـــركـــزـــ القـــانـــوـــيـــ لـــلـــشـــرـــيكـــ الـــمـــؤـــســـســـ فـــيـــ شـــرـــكـــةـــ الـــمـــاســـاـــهـــةـــ قـــيـــدـــ التـــأـــســـيـــســـ ----- دـــ عـــبـــ الدـــقـــادـــرـــ حـــرـــالـــعـــيـــنـــ

والتشريع المصري في قانونه الجديد رقم 159 لسنة 1981، وفي المادة 13 منه، اعترف بالشخصية المعنوية للشركة قيد التأسيس، ولكنه فرق بين التصرفات الضرورية وغير الضرورية، فمثـــىـــ كـــانـــتـــ العـــقـــوـــدـــ وـــالتـــصـــرـــفـــاتـــ الـــيـ~ــ أـــجـــراـــهـ~ــ الـــمـــؤـــســـسـ~ــونـ~ــ ضـــرـــورـــيـ~ــةـ~ــ لـــلـــتـــأـــســـيـ~ــسـ~ــ،ـــ فـــإـــنـ~ــاـ~ــ تـ~ــبـ~ــقـ~ــ مـ~ــرـ~ــهـ~ــنـ~ــةـ~ــ بـ~ــمـ~ــوـ~ــافـ~ــقـ~ــةـ~ــ الـ~ــجـ~ــمـ~ــعـ~ــيـ~ــةـ~ــ التـ~ــأـ~ــسـ~ــيـ~ــسـ~ــةـ~ــ لـــلـــشـ~ــرـ~ــكـ~ــةـ~ــ،ـ~ــ فـ~ــإـ~ــذـ~ــاـ~ــ لـ~ــمـ~ــ تـ~ــوـ~ــافـ~ــقـ~ــ هـ~ــذـ~ــهـ~ــ الـ~ــجـ~ــمـ~ــعـ~ــيـ~ــةـ~ــ تـ~ــحـ~ــمـ~ــلـ~ــ الـ~ــمـ~ــؤـ~ــسـ~ــسـ~ــوـ~ــنـ~ــ شـ~ــخـ~ــصـ~ــيـ~ــاـ~ــ نـ~ــتـ~ــيـ~ــجـ~ــةـ~ــ تـ~ــصـ~ــرـ~ــفـ~ــاـ~ــهـ~ــمـ~ــ،ـ~ــ وـ~ــعـ~ــمـ~ــلـ~ــيـ~ــةـ~ــ تـ~ــحـ~ــدـ~ــيـ~ــضـ~ــرـ~ــورـ~ــيـ~ــةـ~ــ التـ~ــصـ~ــرـ~ــفـ~ــ مـ~ــنـ~ــ عـ~ــدـ~ــمـ~ــ اـ~ــمـ~ــ مـ~ــتـ~ــرـ~ــوـ~ــكـ~ــ لـ~ــلـ~ــقـ~ــضـ~ــاءـ~ــ يـ~ــسـ~ــتـ~ــشـ~ــفـ~ــهـ~ــ مـ~ــنـ~ــ خـ~ــالـ~ــلـ~ــ طـ~ــبـ~ــيـ~ــعـ~ــةـ~ــ التـ~ــصـ~ــرـ~ــفـ~ــ وـ~ــمـ~ــصـ~ــلـ~ــحـ~ــةـ~ــ الـ~ــشـ~ــرـ~ــكـ~ــةـ~ــ 1.

2.2.3 موقف المـــشـــرـــعـ~ــ الـ~ــجـ~ــزـ~ــائـ~ــريـ~ــ

التشريع الجزائري لم يميز بين التصرفات التي يجريها المؤسسون أو كانت ضرورية أم لا قبل التأسيس، واعتبر كل التصرفات التي تصدر عنهم وتكون متعلقة بالشركة يسألون عنها فيما بينهم مسؤولية تضامنية، إلا إذا وافقت الشركة بعد تمعتها بالشخصية المعنوية أن تتحمل تعهداتهم²، وعليه ففي حالة فشل المشروع أو رفض الشركة المصادقة، فإن

تصادق عليها أول جمعية عمومية، لأكثر تفصيل، أنظر جلال وفاء محمددين، المبادئ العامة في القانون التجاري، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 1995، ص 207.

¹ - معرض عبد التواب، موسوعة الشركات التجارية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000، ص 88.

² - مسؤولية المؤسسين التضامنية التي جاء بها القانون التجاري في المادة 549 منه هي في حقيقة الأمر مسؤولية عن التصرفات التي تمت لحساب الشركة تحت التأسيس تقع على عاتق من أبرمها (المؤسسين) حالة عدم أخذ الشركة هذه التصرفات بعد تأسيسها، إذ الشركة قائمة ولها قبول أو رفض هذه التعهدات، كما أن التصرفات التي تمت لحساب الشركة تحت التأسيس تقع على عاتق من أبرمها، أي المؤسسين في حالة عدم إتمام إجراءات التأسيس، الشيء الذي يفترض فيه أن عدم الإتمام يرجع إلى مخالفة هذه الإجراءات، وبشكل جزء لهذه المحالفة، فقد تترتب المسؤولية التضامنية ومن غير التحديد

المركز القانوني للشريك المؤسس في شركة المساهمة قيد التأسيس ————— د. عبد القادر حماد العين المؤسسين مسؤولون مسؤولية تضامنية ومن غير تحديد في أموالهم الخاصة، مع إمكانية الرجوع على الشركة في حالة عدم الإحراز بمقتضى قواعد الفضالة أو الإثراء بلا سبب. وما يمكن قوله في هذا الصدد أن منح الشركة فترة التأسيس شخصية معنوية بقدر أعمال تأسيسها أمر من شأنه اضفاء أكثر حماية للغير المتعامل مع الشركة، فضلاً عن الشركاء المؤسسين والمساهمين المضمدين إلى الشركة، فمن ناحية الغير المتعامل مع الشركة، فإن الوجود القانوني للشركة وما يرتبه من ذمة مالية مستقلة للشركة، يجعله يطمئن ويثق في تصرفاته القانونية المبرمة فترة التأسيس أما من جهة المساهمين فإن مرحلة اكتتابهم تُعد أهم اجراء يُتخذ في سبيل تحصيل رأس مال الشركة، ولعل اضفاء الطبيعة التعاقدية للأكتتاب بين المساهمين أو المكتتبين والشركة قيد التأسيس — باعتبارها تملك الشخصية المعنوية — أمر يضفي الحماية الالزامية لفئة المساهمين وذلك لما يوفره العقد من مبادئ، لاسيما مبدأ القوة الملزمة للعقد، إذ العقد قانون المتعاقدين وفقاً لنص المادة 106 من ق.م.ج، وبخصوص المؤسسين فإن اقرار الشخصية المعنوية للشركة في حدود تكوينها سهل إلى تشجيع الأفراد الذين يريدون استثمار أموالهم عن طريق مشاركة غيرهم من خلال فكرة الشركة، ولعل هذه النية في الاستثمار وما يترتب عنها من خلق فرص العمل، فضلاً عن تنمية الاقتصاد الوطني تحتاج إلى مكافحة وتسهيلات قانونية، ومن ثم إعطاء الشركة الشخصية المعنوية قيد تأسيسها أمر من شأنه أن يخفف المسؤولية عن الشركاء المؤسسين في أشخاصهم، وفي ذات الوقت يرتب مسؤوليتهم باعتبارهم ممثلين عن هذا الشخص المعنوي.

الخاتمة

للأشخاص الذين تصرفوا باسم الشركة تحت التأسيس، أنظر، حماد مصطفى عزب، المراجع السابق،

.102 ص



المـــركـــزـــ القـــانـــوـــيـــ لـــلـــشـــرـــيـــكـــ الـــمـــؤـــســـســـ فـــيـــ شـــرـــكـــةـــ الـــمـــســـاـــهـــمـــ قـــيـــدـــ التـــأـــســـيـــســـ ----- دـــ عـــبـــدـــ الـــقـــادـــرـــ حـــرـــالـــعـــيـــ

وـــ كـــ خـــاتـــمـــ لـــاـــ تـــمـــ ذـــكـــرـــهـــ،ـــ نـــقـــوـــلـــ أـــنـــ شـــرـــكـــاتـــ الـــمـــســـاـــهـــمـــ تـــكـــدـــفـــ لـــتـــجـــمـــيـــعـــ الـــأـــمـــوـــاـــلـــ قـــصـــدـــ الـــقـــيـــاـــمـــ بـــمـــشـــرـــوـــعـــاتـــ صـــنـــاعـــيـــ،ـــ أـــوـــ تـــجـــارـــيـــ،ـــ وـــإـــشـــبـــاعـــ حـــاجـــيـــاتـــ يـــتـــطـــلـــبـــهـــاـــ الـــجـــتـــحـــمـــ،ـــ لـــاســـيـــمـــاـــ تـــشـــغـــلـــ أـــكـــبـــرـــ عـــدـــدـــ مـــمـــكـــنـــ مـــنـ~ــ الـــعـــمـــاـــلـ~ــ،ـــ فـــضـــلـ~ــاـــ عـ~ــنـ~ــ التـ~ــنـ~ــافـ~ــسـ~ــيـ~ــ فـ~ــيـ~ــ تـ~ــقـ~ــدـ~ــمـ~ــ أـــفـ~ــضـ~ــلـ~ــ السـ~ــلـ~ــعـ~ــ وـ~ــأـ~ــرـ~ــقـ~ــيـ~ــ الـ~ــخـ~ــدـ~ــمـ~ــاتـ~ــ،ـ~ــ فـ~ــهـ~ــيـ~ــ بـ~ــذـ~ــلـ~ــكـ~ــ أـ~ــدـ~ــأـ~ــةـ~ــ لـ~ــلـ~ــتـ~ــطـ~ــوـ~ــرـ~ــ الـ~ــاـ~ــقـ~ــصـ~ــادـ~ــيـ~ــ،ـ~ــ وـ~ــالـ~ــرـ~ــوـ~ــخـ~ــ الـ~ــمـ~ــرـ~ــكـ~ــةـ~ــ لـ~ــلـ~ــاـ~ــقـ~ــصـ~ــادـ~ــ الـ~ــوـ~ــطـ~ــنـ~ــ،ـ~ــ وـ~ــمـ~ــحـ~ــورـ~ــ وـ~ــأـ~ــسـ~ــاسـ~ــ تـ~ــكـ~ــوـ~ــنـ~ــ الـ~ــشـ~ــرـ~ــكـ~ــةـ~ــ هـ~ــمـ~ــ مـ~ــؤـ~ــسـ~ــوـ~ــهـ~ــاـ~ــ،ـ~ــ ذـ~ــلـ~ــكـ~ــ أـ~ــنـ~ــ النـ~ــطـ~ــاـ~ــقـ~ــ الـ~ــشـ~ــخـ~ــصـ~ــيـ~ــ لـ~ــلـ~ــقـ~ــائـ~ــمـ~ــيـ~ــنـ~ــ عـ~ــلـ~ــىـ~ــ تـ~ــكـ~ــوـ~ــنـ~ــ هـ~ــذـ~ــهـ~ــ الـ~ــكـ~ــائـ~ــنـ~ــ الـ~ــقـ~ــانـ~ــوـ~ــيـ~ــ يـ~ــنـ~ــحـ~ــصـ~ــرـ~ــ فـ~ــيـ~ــ فـ~ــتـ~ــةـ~ــ الـ~ــمـ~ــؤـ~ــسـ~ــسـ~ــ،ـ~ــ فـ~ــيـ~ــ قـ~ــوـ~ــمـ~ــ هـ~ــؤـ~ــلـ~ــاءـ~ــ عـ~ــلـ~ــىـ~ــ اـ~ــمـ~ــتـ~ــادـ~ــ فـ~ــرـ~ــةـ~ــ التـ~ــأـ~ــسـ~ــيـ~ــ وـ~ــبـ~ــدـ~ــءـ~ــاـ~ــ منـ~ــ اـ~ــنـ~ــطـ~ــلـ~ــاـ~ــقـ~ــ أـ~ــعـ~ــمـ~ــالـ~ــ اـ~ــنـ~ــشـ~ــاءـ~ــ الـ~ــشـ~ــرـ~ــكـ~ــ،ـ~ــ لـ~ــاسـ~ــيـ~ــمـ~ــ تـ~ــحـ~ــرـ~ــرـ~ــ الـ~ــقـ~ــاـ~ــنـ~ــوـ~ــ فـ~ــيـ~ــ الـ~ــأـ~ــسـ~ــاسـ~ــيـ~ــ،ـ~ــ وـ~ــعـ~ــمـ~ــوـ~ــاـ~ــ جـ~ــمـ~ــيـ~ــ الـ~ــأـ~ــعـ~ــمـ~ــ الـ~ــمـ~ــادـ~ــيـ~ــ وـ~ــالـ~ــقـ~ــانـ~ــوـ~ــيـ~ــ الـ~ــيـ~ــ تـ~ــتـ~ــأـ~ــلـ~ــفـ~ــ فـ~ــيـ~ــ مـ~ــاـ~ــ بـ~ــيـ~ــنـ~ــهـ~ــاـ~ــ وـ~ــتـ~ــسـ~ــمـ~ــرـ~ــاـ~ــ إـ~ــنـ~ــخـ~ــاـ~ــجـ~ــ الـ~ــشـ~ــرـ~ــكـ~ــ إـ~ــلـ~ــىـ~ــ حـ~ــيـ~ــزـ~ــ الـ~ــوـ~ــجـ~ــوـ~ــدـ~ــ وـ~ــذـ~ــلـ~ــكـ~ــ بـ~ــقـ~ــيـ~ــدـ~ــهـ~ــاـ~ــ فـ~ــيـ~ــ السـ~ــجـ~ــلـ~ــ التـ~ــجـ~ــارـ~ــيـ~ــ.

وـــ عـــلـــىـ~ــ الرـ~ــغـ~ــمـ~ــ مـ~ــنـ~ــ كـ~ــوـ~ــنـ~ــ مـ~ــؤـ~ــسـ~ــسـ~ــ شـ~ــرـ~ــكـ~ــاتـ~ــ الـ~ــمـ~ــسـ~ــاـ~ــهـ~ــمـ~ــ قـ~ــيـ~ــدـ~ــ الـ~ــأـ~ــهـ~ــمـ~ــ وـ~ــالـ~ــأـ~ــسـ~ــاسـ~ــيـ~ــ فـ~ــيـ~ــ عـ~ــمـ~ــلـ~ــيـ~ــةـ~ــ التـ~ــأـ~ــسـ~ــيـ~ــ بـ~ــأـ~ــعـ~ــتـ~ــبـ~ــاـ~ــهـ~ــمـ~ــ الـ~ــمـ~ــبـ~ــادـ~ــرـ~ــيـ~ــنـ~ــ إـ~ــلـ~ــكـ~ــ،ـ~ــ إـ~ــلـ~ــأـ~ــنـ~ــ الـ~ــمـ~ــشـ~ــرـ~ــعـ~ــ الـ~ــجـ~ــزـ~ــائـ~ــيـ~ــ لـ~ــمـ~ــ يـ~ــبـ~ــيـ~ــنـ~ــ الـ~ــمـ~ــرـ~ــكـ~ــ الـ~ــقـ~ــانـ~ــوـ~ــيـ~ــ لـ~ــهـ~ــذـ~ــهـ~ــ الشـ~ــرـ~ــيـ~ــكـ~ــ الـ~ــمـ~ــؤـ~ــسـ~ــسـ~ــ،ـ~ــ لـ~ــاسـ~ــيـ~ــمـ~ــ الـ~ــمـ~ــقـ~ــصـ~ــودـ~ــ مـ~ــنـ~ــهـ~ــ،ـ~ــ وـ~ــلـ~ــاـ~ــشـ~ــرـ~ــوـ~ــتـ~ــ الـ~ــوـ~ــاجـ~ــةـ~ــ التـ~ــوـ~ــافـ~ــرـ~ــ فـ~ــيـ~ــهـ~ــ،ـ~ــ فـ~ــضـ~ــلـ~ــاـ~ــعـ~ــنـ~ــ دـ~ــعـ~ــمـ~ــ أـ~ــحـ~ــكـ~ــامـ~ــ التـ~ــصـ~ــرـ~ــفـ~ــاتـ~ــ الـ~ــتـ~ــيـ~ــ تـ~ــبـ~ــرـ~ــمـ~ــ أـ~ــثـ~ــنـ~ــاءـ~ــ فـ~ــرـ~ــةـ~ــ التـ~ــأـ~ــسـ~ــيـ~ــ باـ~ــعـ~ــتـ~ــبـ~ــاـ~ــهـ~ــمـ~ــ الـ~ــقـ~ــانـ~ــوـ~ــيـ~ــةـ~ــ لـ~ــمـ~ــ تـ~ــتـ~ــبـ~ــنـ~ــ فـ~ــكـ~ــرـ~ــةـ~ــ تـ~ــمـ~ــعـ~ــتـ~ــ الـ~ــشـ~ــرـ~ــكـ~ــ قـ~ــيـ~ــدـ~ــ تـ~ــأـ~ــسـ~ــيـ~ــهـ~ــاـ~ــ باـ~ــشـ~ــخـ~ــصـ~ــيـ~ــ الـ~ــمـ~ــعـ~ــنـ~ــوـ~ــيـ~ــ بـ~ــقـ~ــدـ~ــرـ~ــ عـ~ــمـ~ــلـ~ــيـ~ــةـ~ــ التـ~ــأـ~ــسـ~ــيـ~ــ،ـ~ــ وـ~ــعـ~ــلـ~ــىـ~ــ ذـ~ــلـ~ــكـ~ــ فـ~ــإـ~ــنـ~ــ النـ~ــتـ~ــائـ~ــجـ~ــ الـ~ــمـ~ــتـ~ــوـ~ــصـ~ــلـ~ــ عـ~ــلـ~ــيـ~ــهـ~ــاـ~ــ وـ~ــتـ~ــوـ~ــصـ~ــيـ~ــاتـ~ــ الـ~ــمـ~ــقـ~ــتـ~ــرـ~ــةـ~ــ فـ~ــيـ~ــ هـ~ــذـ~ــهـ~ــ الشـ~ــأـ~ــ.

تـ~ــمـ~ــثـ~ــلـ~ــ فـ~ــيـ~ــ مـ~ــاـ~ــ يـ~ــلـ~ــيـ~ــ:

1— باـــعـ~ــتـ~ــبـ~ــاـ~ــهـ~ــمـ~ــ الـ~ــشـ~ــرـ~ــكـ~ــ هوـ~ــ مـ~ــحـ~ــورـ~ــ وـ~ــأـ~ــسـ~ــاسـ~ــ أـ~ــعـ~ــمـ~ــالـ~ــ،ـ~ــ إـ~ــنـ~ــ فـ~ــإـ~ــنـ~ــ بـ~ــعـ~ــدـ~ــ تـ~ــحـ~ــدـ~ــيـ~ــهـ~ــ لـ~ــصـ~ــفـ~ــةـ~ــ الـ~ــمـ~ــؤـ~ــسـ~ــسـ~ــ،ـ~ــ فـ~ــالـ~ــقـ~ــاضـ~ــيـ~ــ بـ~ــتـ~ــحـ~ــدـ~ــيـ~ــهـ~ــ لـ~ــصـ~ــفـ~ــةـ~ــ الـ~ــمـ~ــؤـ~ــسـ~ــسـ~ــ،ـ~ــ فـ~ــيـ~ــ قـ~ــسـ~ــمـ~ــ يـ~ــسـ~ــتـ~ــطـ~ــيـ~ــعـ~ــ مـ~ــسـ~ــأـ~ــلـ~ــتـ~ــهـ~ــ مـ~ــدـ~ــنـ~ــيـ~ــةـ~ــ الـ~ــمـ~ــدـ~ــنـ~ــيـ~ــ،ـ~ــ وـ~ــجزـ~ــئـ~ــاـ~ــ حـ~ــالـ~ــةـ~ــ مـ~ــخـ~ــالـ~ــفـ~ــةـ~ــ إـ~ــجـ~ــرـ~ــاءـ~ــاتـ~ــ الـ~ــتـ~ــأـ~ــسـ~ــيـ~ــ الـ~ــمـ~ــنـ~ــصـ~ــوـ~ــصـ~ــ عـ~ــنـ~ــهـ~ــاـ~ــ قـ~ــانـ~ــوـ~ــ،ـ~ــ وـ~ــتـ~ــوـ~ــسـ~ــعـ~ــ نـ~ــطـ~ــاـ~ــقـ~ــ هـ~ــذـ~ــهـ~ــ الصـ~ــفـ~ــةـ~ــ،ـ~ــ أـ~ــمـ~ــ حـ~ــمـ~ــودـ~ــ يـ~ــوـ~ــفـ~ــرـ~ــ الـ~ــحـ~ــمـ~ــيـ~ــةـ~ــ الـ~ــكـ~ــافـ~ــيـ~ــ لـ~ــصـ~ــغـ~ــارـ~ــ الـ~ــمـ~ــدـ~ــخـ~ــرـ~ــيـ~ــنـ~ــ الـ~ــذـ~ــينـ~ــ يـ~ــقـ~ــبـ~ــلـ~ــوـ~ــنـ~ــ عـ~ــلـ~ــىـ~ــ تـ~ــوـ~ــظـ~ــيفـ~ــ مـ~ــدـ~ــخـ~ــرـ~ــاـ~ــمـ~ــ فـ~ــيـ~ــ



المؤسس في شركة المساهمة قيد التأسيس ----- د. عبد القادر حمو العين

هذه الشركات، وفيه قطع للسبيل أمام كل من تسول له نفسه التحايل على أحكام القانون الخاصة بتأسيس هذا النوع من الشركات، وما يمكن أن يترتب عنه من مسؤوليات، كما أن الأخذ بالمفهوم الواسع للمؤسس يجب تحديده تشريعيا، ذلك أن مؤسسي الشركة قد يسألون جزائيا حالة ارتباكهم لسلوكيات محمرة أثناء قيامهم بإجراءات التأسيس، وعدم تبيان المقصود بفئة المؤسسين أمر من شأنه أن ينافق الأخذ بالمفهوم الواسع للمؤسس مع مبدأ التفسير الضيق للنصوص في الجانب الجزائري.

2 — التشريع الجزائري لم يُبين الشروط الواجب توافرها في شخص المؤسس، ونعتقد ضرورة ذلك لاسيما اشتراط في مؤسسي شركة المساهمة توافر صفات الثقة والتزاهة، وهذا ضمانا لتزاهة وائتمان عملية التأسيس وتقوية للادخار، وزيادة للاستثمار الذي قوامه الاستقامة التجارية والتزاهة العملية في ذلك.

3 — ضرورة منح الشركة الشخصية المعنوية في فترة التأسيس، ولكن فقط من أجل الأعمال الالزامية لتأسيسها، وذلك قياسا على متع الشركة بالشخصية المعنوية في فترة التصفية بالنسبة للأعمال الالزامية للتصفية، فيجب أن يكون الاعتراف بشكل صريح في نص قانوني وهذا بالقدر الالزام لتحمل الالتزامات الناجمة عن تصرفات المؤسسين خلال فترة التأسيس، وبالمصاريف التي أنفقت بسبب التأسيس.

أخيرا نقول أن عدم تحديد المركز القانوني للشريك المؤسس في شركة المساهمة، لاسيما من حيث المقصود به، والشروط الواجبة توافر فيه، فضلا عن الشخصية المعنوية للشركة في فترة التأسيس، أمر من شأنه أن يحدث اللبس في مجال تحديد فئة المؤسسين، يجعل التطبيقات القضائية لا تتسم بالسداد، سيما في مجال المسؤولية الجزائية ومبدأ الشرعية، وعليه فنعتقد أن تحديد المقصود بالمؤسس والشروط الواجبة توافر فيه، وكذا منح الشركة فترة التأسيس الشخصية المعنوية بقدر هذا التأسيس، بالإضافة إلى تحديد



المراكز القانوني للشريك المؤسس في شركة المساهمة قيد التأسيس ----- د. عبد القادر حمر العين السلوكيات التي تُحرّم في القوانين الخاصة، لا سيما القانون التجاري تحديداً من شأنه أن لا يدع مجالاً للسلطة التقديرية للقاضي الجزائري، بينما وبدأ الشريعة لا يحير ذلك، إذ لا جرم ولا عقوبة، أو تدابير أمن، إلا بنص قانوني.

5. المراجع

1.5 الكتب

- 1 — أبو زيد رضوان، الشركات التجارية، الجزء الأول، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987.
- 2 — جلال وفاء محمددين، المبادئ العامة في القانون التجاري، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 1995.
- 3 — كامل عبد المحسن البلداوي، الشركات التجارية، مطبعة جامعة بغداد، بدون تاريخ.
- 4 — محمد فريد العربي، الشركات التجارية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2004.
- 5 — مصطفى كمال طه، الشركات التجارية، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 1998.
- 6 — معوض عبد التواب، موسوعة الشركات التجارية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000.
- 7 — نادية فضيل، شركات الأموال في القانون الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004.
- 8 — سبيحة القيلوبي، الشركات التجارية، الجزء الثاني، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993.



المؤسس في شركة المساعدة قيد التأسيس ----- د. عبد القادر جعفر العين

9 - HAMMEL TERRE ET MABILAT: sociétés commerciale.
T1.Dalloz .PARIS.1979.

2.5 المجالات والمحاضرات

- 1 — حماد مصطفى عزب، النظام القانوني لتصرفات شركة المساعدة تحت التأسيس، مجلة الدراسات القانونية، أسيوط، سنة 2000، العدد 23.
- 2 — محمد الحموري، أصول النظام القانوني لشركة المساعدة في الشريعة الأنجلو ساكسونية، مجلة الحقوق، القسم الأول، السنة التاسعة، العدد الرابع.
- 3 — فرياد شكر حسين، المذكر القانوني للمؤسس، مجلة القانون، كلية العلوم القانونية والسياسية، جامعة كركوك، العدد 18، مج 05، 2017.
- 4 — صبحي عرب، محاضرات في عقود الشركة، أقيمت على طلبة الماجستير في كلية الحقوق، بن عكرون، 2002، غير منشورة.

3.5 النصوص القانونية

- 1 — الأمر رقم 58/75 المؤرخ في 26 سبتمبر سنة 1975، المتضمن القانون المدني الجزائري، المعديل والمتمم بالقانون 07/05 المؤرخ في 13 ماي 2007، ج.ر. العدد 13 الصادرة في 13 ماي 2007، الجزائر .
- 2 — الأمر رقم 59/75 المؤرخ في 26 سبتمبر 1975 المتضمن القانون التجاري الجزائري، المعديل والمتمم بالقانون 05/02 المؤرخ في 06 فبراير 2005، ج.ر. العدد 11 الصادرة في 09 فبراير 2005، المعديل والمتمم، الجزائر .
- 3 — الأمر 03/11 المؤرخ في 26 / 08 / 2003 المتعلق بالنقد والقرض المعديل والمتمم، ج.ر، العدد 52 الصادرة بتاريخ 27 / 08 / 2003.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص

Restrictive conditions in the license contract

الطالب . عبد النور بوناح
abdenour125@gmail.com
أ.د. رشيد ساسان
sassanerachid21@gmail.com
جامعة باجي مختار عنابة

تاریخ الإرسال: 2020/04/30 تاریخ القبول: 2021/12/22

I. الملخص:

عقد الترخيص كعقد من العقود المتعلقة بالملكية الصناعية، يهدف من خلاله المُرخص إلى استغلال حق ملكيته الصناعية، في حين يهدف منه المُرخص له إلى استغلال هذا الحق بغية تحقيق أهدافه الاقتصادية، إلا أنه قد يعمد أحد أطراف عقد الترخيص والذي غالباً ما يكون المُرخص، إلى إدراج شروط توصف بأنها تقييدية في عقد الترخيص، باعتباره الطرف الأقوى في العقد لامتلاكه حق أو أكثر من حقوق الملكية الصناعية، مما يؤدي إلى احتلال التوازن في عقد الترخيص، والإضرار بالمرخص له، إضافة إلى الإخلال بقواعد المنافسة وتكريس التبعية الدائمة للمرخص.

لذلك جاءت هذه الدراسة لسلط الضوء على الشروط الواردة في عقد الترخيص والموصوفة بأنها تقييدية، وتبيان حدود حظرها وإباحتها في عقد الترخيص.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

الكلمات المفتاحية: عقد الترخيص؛ الشروط التقييدية؛ الملكية الصناعية؛ التوازن

في عقد الترخيص.

I. ABSTRACT:

The license contract pertains to industrial property; It allows the licensor to reap benefit of his right of industrial property, and the licensee to exploit this right in order to achieve his/ her business objectives. However, one of the parties to the license agreement - often the licensor - may include restrictive conditions in the license contract, being the strongest party because he owns one or many rights to property rights. This situation leads to imbalance in the license contract, which may harm the interests of the licensee, infringe the rules of fair competition, and perpetuate a dependence of the licensee to the licensor

This study aims to highlight the need to put some order with regard to the inclusion or not of restrictive conditions.

Keywords: license contract; restrictive conditions; industrial property; Balance of license contract.

المقدمة:

لأصحاب حقوق الملكية الصناعية الاستئثار باستغلالها، كما يمكنهم التصرف فيها تصرفات ناقلة للملكية كالتنازل عنها، أو غير ناقلة لها كالترخيص باستعمالها أو استغلالها، حيث يعد هذا الأخير من أهم العقود الواردة على حقوق الملكية الصناعية، لما يقدمه من مزايا لأطرافه، إذ يعتبر بالنسبة للمرخص أداة تمكنه من الحصول الأموال و/أو الاستفادة من حق استغلال حقوق الملكية الصناعية المملوكة من قبل المرخص له، كمقابل عن الترخيص لهذا الأخير باستعمال أو استغلال حقوق ملكيته الصناعية، من



الشروط التقليدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

دون أن يفقد ملكيتها باعتباره تصرف غير ناقل للملكية من جهة، وتجنبه مخاطر الولوج لأأسواق لا يعرفها من جهة أخرى، باعتبار أن المรخص له هو من يتولى النشاط فيها ويتحمل تلك المخاطر، في حين يعد عقد الترخيص بالنسبة للمرخص له الوسيلة المثلثة التي تمكنه من استعمال أو استغلال حقوق الملكية الصناعية محل عقد الترخيص، لتحقيق أهدافه الاقتصادية من جهة، وتجنبه ضياع وقته وجهده في محاولة الحصول عليها بنفسه عن طريق تملكها من جهة أخرى.

إلا أنه وعلى الرغم من المزايا التي يقدمها عقد الترخيص لأطرافه، فقد تعطل هذه الأخيرة عندما يعمد أحد أطرافه، والذي غالباً ما يكون المرخص إلى إدراج بعض الشروط التقليدية في العقد، التي قد تحد أو تؤدي إلى عدم تحقيق الغاية المنشودة من إبرامه، إذ يقبل بما المرخص له دون مناقشة، على الرغم من مرور عقد الترخيص خلال إنشائه عبر مرحلة التفاوض، والذي يفترض فيه أنه تم مناقشة جميع شروطه خالماً بين أطرافه، إلا أن التفاوت الاقتصادي بينهم، نتيجة لامتلاك المرخص لحق أو أكثر من حقوق الملكية الصناعية، والمعرفة الفنية... إلخ، يجعل هذا الأخير في مركز قوة يخوله الانفراد بصياغة شروط عقد الترخيص، ليكون بذلك قبول المرخص لهذه الشروط مجرد تسليم بما أكثر منه قبول لها، نتيجة لحاجته الملحة لحقوق الملكية الصناعية محل عقد الترخيص، مما يؤدي وبشكل مباشر إلى الإضرار بمصالحه، وكذلك الإخلال بقواعد المنافسة التزيمية، بالإضافة إلى الإضرار بمصالح المستهلك، وفي المقابل نجد المرخص دائماً ما يعتبر إيراد مثل هكذا شروط في عقد الترخيص، ضروري لحماية حقوق ملكيته الصناعية محل عقد الترخيص، وكذلك للحفاظ على سمعته التجارية.



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

وعليه مما سبق تبرز لنا مصلحتين متعارضتين عند صياغة عقد الترخيص الوارد على حق من حقوق الملكية الصناعية، فمن جهة مصلحة المرخص في تضمين عقد الترخيص شروطا يرى أنها ضرورية لحماية حقوق ملكيته الصناعية ومصالح المستهلك، ومن جهة أخرى مصلحة المرخص له، وهو غالبا ما يكون الطرف الضعيف في العقد، الذي قد تتأثر مصالحه بهذه الشروط التقيدية، إضافة إلى الإضرار بمصالح المستهلك، والإخلال بقواعد المنافسة في السوق الوطنية، ووفقا لهذا المسوّق فقد جاءت دراستنا لسلط الضوء على الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص، طبقا لما جاء في التشريع الجزائري وبعض التشريعات المقارنة، والاتفاقيات الدولية انتلاقا من الإشكالية التالية:

حدود الحظر والإباحة للشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص، بما يضمن الموازنة بين مصالح المرخص ومصالح المرخص له، وضمان حرية المنافسة ومصالح المستهلك؟.

هذه الإشكالية الرئيسية يتفرع عنها مجموعة من الإشكاليات الفرعية تمثل أساسا

في:

ما المقصود بالشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص؟ ما هي صورها؟ وكيف عالج المشرع الجزائري والتشريعات المقارنة مسألة ورودها في عقد الترخيص؟ وفي محاولة منا للإجابة على هذه الإشكالية، قسمنا دراستنا إلى مبحثين:

المبحث الأول : ماهية الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص

المبحث الثاني: الموقف التشريعي من الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص.



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

لقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي فيما يتعلق بالإطار المفاهيمي للدراسة، والمنهج التحليلي عند تحليل النصوص القانونية المعالجة لمسألة إبراد شروط تقيدية في عقد الترخيص، بالإضافة إلى المنهج المقارن لبيان موقف التشريعات الوطنية المقارنة والاتفاقيات الدولية من هذه المسألة.

المبحث الأول: ماهية الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص

إن التطرق لماهية الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص يتضمن هنا التعريف بما (**المطلب الأول**)، ثم عرض مختلف صورها والتي يمكن أن ترد في عقد الترخيص (**المطلب الثاني**).

المطلب الأول: مفهوم الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص

تجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد تعريف موحد للشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص¹، فالفقهاء لم يتفقوا أو يجتمعوا على تعريف واحد، وهذا ربما يرجع إلى اختلاف الزاوية التي ينظر منها كل فقيه لهذه الشروط، كما أن تعدد صورها والاختلاف القائم حول مدى اعتبار هذه الشروط تقيدية أم لا، أو على الأقل فيما يتعلق ببعضها، كل هذا جعل وضع تعريف جامع لها أمر غاية في الصعوبة.

¹ - يعرف عقد الترخيص المتعلق براءة الاختراع على أنه: "عقد يمنح بموجبه صاحب براءة اختراع

للغير استغلال اختراعه مقابل"، Joanna Schmidt- szalewski, Droit de la propriété industrielle, Editions Dalloz, 7 édition-2009, p37

ويعرف عقد الترخيص المتعلق بالعلامة على أنه: "عقد يمنح بموجبه صاحب العلامة للغير الحق في وضع علامته على منتجاته واستعمالها تجاريًا، Albert Chavanne- Jean jacques burst, Droit de la propriété industrielle, Edition Dalloz; 5 édition, 1998, p 664.



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان
وعليه فقبل التطرق إلى التعريف بالشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص،
لابد علينا أولاً التعريف بـ "الشرط التقيدي" (الفرع الأول)، ثم نعرض إليها
بالتعريف (الفرع الثاني).

الفرع الأول: مفهوم الشرط التقيدي

يقصد بالشرط التقيدي: "كل قيد تعاقدي يحقق منفعة أو ميزة لمصلحة
المشترط على حساب المتعاقد الضعيف¹"

حيث يفهم من هذا التعريف أن مصدر هذا الشرط هو العقد أي إرادة الأطراف،
إلا أنه يغلب مصلحة أحد المتعاقدين، والذي غالباً ما يكون المتعاقد القوي، مما ينتج عنه
اختلال التوازن العقدي، أو على الأقل الإضرار بمصالح الطرف الضعيف في العقد، وهو
الوصف الذي نجده ينطبق إلى حد بعيد على الشرط التقيدي الوارد في عقد الترخيص،
والذي غالباً ما يورده صاحبه لتحقيق مصلحته على حساب مصلحة الطرف الآخر في
العقد.

الفرع الثاني: مفهوم الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص

لقد تولى الفقه مهمة التعريف بالشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص، حيث
عرفتها سمحة القليوي على أنها: "عبارة عن شروط تعسفية يفرضها المرخص على
المرخص له نتيجة لمركزه التفاوضي القوي، بامتلاكه حق أو أكثر من حقوق الملكية

¹ - ميثاق طالب عبد حمادي الجبورى، النظام القانوني لعقد الترخيص باستعمال العلامة التجارية، دار
الجامعة الجديد للنشر، الإسكندرية، 2016، ص 237.



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

الصناعية، مما يجعله الطرف المسيطر في العقد، مما ينبع عن هذه الشروط تقيد حرية
التنافسية، بالإضافة إلى التأثير على الاقتصاد الوطني"¹

وعرفت كذلك الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص على أنها: "تلك
الشروط التي يفرضها الطرف المرخص على المرخص له، عند التعاقد"² في حين عرفت
هذه الشروط من قبل مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية: "C.N.U.C.E.D" يقصد
بالشروط التقيدية أنها الممارسات المقيدة، الأفعال والتصرفات التي تمارسها الشركات
والمشروعات عن طريق التعسف وإساءة استغلال مركزها القوي والاحتكار في
السوق، والتي يكون من شأنها الحد من النفاذ إلى الأسواق وتقيد المنافسة، فضلاً لما
ترتباً من آثار سلبية وضارة بحركة التجارة الدولية.³

من خلال التعريف السابقة نجد أن الشروط التقيدية في عقد الترخيص، هي
شروط يوردها المرخص في عقد الترخيص في مواجهة المرخص له، نتيجة لمركزه القوي
الناتج عن امتلاكه لحق أو أكثر من حقوق الملكية الصناعية، والتي يقبل بها المرخص له
على الرغم من تعسفها لحاجته الملحة لها، مما ينبع عنه تقيد قدرة المرخص له على

¹ - كريم مريم، النظام القانوني لعقد الترخيص الصناعي، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القانون الخاص، جامعة قسنطينة 01، 2012-2013، ص 20.

² - حسن على كاظم المجمع، الشروط المقيدة في عقد الترخيص، دراسة مقارنة، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية، 2016، ص 155.

³ - كريم مريم، مرجع سابق، ص 21.



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

المنافسة والحد من نفاذها إلى السوق¹، مع استمرارية تبعية المرخص للمرخص له، فالمراقب يهدف من خلال إبراد هذه الشروط ضمان استمرار تفوقه على منافسيه بما فيهم المرخص له، والسيطرة على مشروع هذا الأخير، وعدم تمكينه من دخول الأسواق المحلية وحتى الدولية، بالإضافة إلى عدم نقل المعرفة الفنية بصفة حقيقة له، ليظل بذلك مجرد مستهلك لها، وتتابع للمرخص لا غير.²

بحدر الإشارة إلى أن الشروط التقيدية ليست دائمًا مفروضة من المرخص فقد تكون مفروضة من قبل المرخص له في الحالة التي يكون فيها هذا الأخير متعملاً بمراكز قوي مقاومة بالمرخص، لذلك يمكننا القول أن الشروط التقيدية في عقد الترخيص هي شروط يوردها الطرف القوي في العقد، سواء كان مرخصاً أو مرخص له، وهي ما يعرف بالشروط المقترنة بالعقد، والتي يحدد من خلالها المتعاقدان علاقتهما التعاقدية، عن طريق تحديد التزامات وحقوق كل طرف.³

¹- عرف المشرع الجزائري السوق بموجب المادة 03 فقرة "ب" من الأمر 03-03، المؤرخ في 19 يوليو 2003، المتعلق بالمنافسة، ج ر، عدد 43، الصادرة في 20 يوليو 2003، على أنه: "كل سوق للسلع أو الخدمات المعنية بممارسة مقيدة للمنافسة وكذا تلك التي يعتبرها المستهلك مماثلة أو تعويضية، لاسيما بسبب ميزاتها وأسعارها والاستعمال الذي حصلت له، والمنطقة الجغرافية التي تعرض المؤسسات فيها السلع أو الخدمات المعنية"

²- وليد علي ماهر، عقد الترخيص التجاري، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 2018، ص 231.

³- ميثاق طالب عبد حمادي الجبوري، مرجع سابق، ص 238.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

المطلب الثاني: صور الشروط التقييدية الواردة في عقد الترخيص

يتكون عقد الترخيص من طرفين الأول "مرخص" والثاني "مرخص له"، فال الأول عادة ما يكون الطرف القوي في العقد، لما يتمتع به من شهرة لعلامته التجارية و/أو لامتلاكه براءة اختراع و/أو رسوم ونماذج صناعية متطرورة، ومعرفة فنية، وخبرة واسعة في مجال محل عقد الترخيص، ودرايته بخبايا السوق¹، هذا المركز القوي قد ينوله فرض شروط تقييدية في عقد الترخيص تؤدي إلى اختلال توازن هذا الأخير، كما قد تمس بحرية المنافسة في السوق الوطنية، من خلال عرقلتها أو الحد منها أو الإخلال بها، والتي تمثل ممارسات مقيدة للمنافسة محظورة بموجب قوانين المنافسة .

وعليه فإن الشروط التقييدية الواردة في عقد الترخيص، يمكن تصنيفها من خلال الغاية التي ترمي إليها، إلى شروط تهدف إلى فرض الرقابة على المرخص له(الفرع الأول)، وأخرى إلى منعه وحرمانه من تطوير محل عقد الترخيص وفق احتياجاته(الفرع الثاني)، في حين نجد الصنف الثالث يهدف إلى منعه من بحث صلاحية حقوق الملكية الصناعية محل عقد الترخيص(الفرع الثالث)، ومهما كان صنفها فعند التمعن فيها، نجد منها ما هو مبرر، ومنها ما دون ذلك، كما نجد البعض منها يكون مبررا في بعض الحالات، وغير مبررا في حالات أخرى كشرط الشراء الجبري، مما يحتم علينا عرض كل صورة من صورها على حدا، وبيان مدى حظرها وإباحتها.

¹ - وافية بوعش، عن اختلال التوازن العقدي في عقد ترخيص استغلال العلامة التجارية، مجلة أبحاث قانونية وسياسية، العدد السادس، الجزائر، 2018، ص 391.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

الفرع الأول: الشروط التقييدية الرامية إلى فرض الرقابة على المرخص له
باعتبار المرخص دائم السعي في الحفاظ على مصالحه الاقتصادية، خاصة منها تلك المتعلقة بحماية حقوق ملكيته الصناعية المرخص بها، فهو غالباً ما يعتمد إلى تضمين عقد الترخيص شروطاً تقييدية، تضمن له فرض الرقابة على المرخص له طيلة مدة عقد الترخيص وحتى بعدها، ومن بين هذه الشروط نجد:

أولاً: اشتراط المرخص تعين واستخدام العمالة المقدمة منه

إن غاية المرخص له من عقد الترخيص لا تنتهي عند إنتاج سلعة ما أو بيعها في الأسواق، أو تقديم خدمة إذا كان محل عقد الترخيص عقد ترخيص باستعمال علامة الخدمة، بل يتعداه إلى تدريب عماله ومهندسيه وفنييه على التعامل مع حقوق الملكية الصناعية المرخص بها، ما يمكنه في الأخير من الاستغناء عن عمال ومهندسي وفنيي المرخص، لهذا فإن اشتراط المرخص على المرخص له استخدام عماله وفنييه دون عمال وفنيي المرخص له في تنفيذ عقد الترخيص، يعد قياداً على حرية المرخص له، ويكرس التبعية الدائمة لهذا الأخير¹، ومع ذلك نجد المرخص له يقبل بهذا الشرط نتيجة لحاجته الملحة محل عقد الترخيص.²

قد يلجأ المرخص له بدلاً من فرض عماله وفنييه إلى اشتراط موافقته على عمال وفنيي المرخص الذي يرغب هذا الأخير في استخدامهم، فهذا الشرط وعلى الرغم من أنه

¹ - حسن علي كاظم الجموع، مرجع سابق، ص 157.

² - وافية بوعش، مرجع سابق، ص 392.



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ————— ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

يبدو غير مقيدا، إلا أنه وعند التمعن في آثاره نجد من جهة يحرم المرخص له من حرية تعين عماله وفنييه، كما أنه قد يؤدي إلى تعسف المرخص نظرا لما يتمتع من حرية قبول أو رفض قائمة العمال المقترحة من قبل المرخص له من جهة أخرى، مما يجعل هذا الأخير تحت رحمة المرخص، وغالبا ما يؤدي إلى ضياع جهده ووقته.

وبالرجوع للمشرع الجزائري نجد أنه قد حظر مثل هذا الشرط، واعتبره تعسف ناتج عن وضعية التبعية الاقتصادية¹، بموجب المادة 11 من الأمر 03-03 المتعلق بالمنافسة: "يجدر على كل مؤسسة التعسف في استغلال وضعية التبعية لمؤسسة أخرى بصفتها زبونة أو مونا إذا كان ذلك يخل بقواعد المنافسة: ..."

- قطع العلاقة التجارية بحد رفض المعامل الخصوص لشروط تجارية غير مبررة.

- كل عمل آخر من شأنه أن يقلل أو يلغى منافع المنافسة داخل السوق"

عند التمعن في الشروط السالفة الذكر، نجد أنها من قبيل الشروط التجارية التعسفية والغير مبررة، والتي من شأنها عرقلة مشروع المرخص له، وضياع وقته، خاصة تلك التي تخول المرخص فرض فنييه وعماله على المرخص له، الذين غالبا ما يكون أجرهم مرتفعا جدا، خاصة إذا كان عقد الترخيص دوليا، مما يؤدي إلى إرهاق الذمة المالية للمرخص له، وإضعاف قدراته التنافسية، وقد اعتبر المشرع الجزائري مثل هكذا

¹ - عرف المشرع الجزائري وضعية التبعية الاقتصادية بموجب المادة 03 فقرة "د" من الأمر 03-03 المتعلق بالمنافسة على أنها: "العلاقة التجارية التي لا يكون فيها لمؤسسة ما حل بديل مقارن إذا أرادت رفض التعاقد بالشروط التي تفرضها عليها مؤسسة أخرى سواء كان زبونة أو مونا"



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

شروط، شروطا تعسفية بموجب المادة 37 من الأمر 03-07 المتعلق ببراءة الاختراع¹، التي جاء فحواها: "تعد باطلة البنود الواردة في العقود المتصلة بالرخصة إذا فرضت على مشتري الرخصة، في المجال الصناعي أو التجاري، تحديدا تمثل استعمالا تعسفيا للحقوق التي تخوّلها براءة الاختراع...."، في حين نجد المشرع المصري قد جعل الشرط الذي يقضي بتدخل المرخص في اختيار العاملين الدائمين للمرخص له قابلا لإبطاله، إذا لم يكن قد تم إيراده بمدف حماية المستهلك، أو حماية مصالحه الجدية والمشروعة.²

وعليه فعوضا عن تدخل المرخص في تعيين عمال المرخص له، أو فرض عماله وفنييه، فإن عقد الترخيص يلقي على عاتقه مسؤولية تدريب العمالة التابعة للمرخص له، لأساهم مجموعة من الخبرات والمهارات الفنية الالازمة لسير ونجاح المشروع،³ خاصة في الحالة التي يكون فيها المقابل في عقد الترخيص في شكل نسبة معينة من حجم الإنتاج أو المبيعات المحقق من قبل المرخص له، إذ تكون من مصلحة المرخص في هذه الحالة مساعدة هذا الأخير في نجاح مشروعه، باعتبار أن المقابل الدوري الذي سيتلقاه مرتبط بذلك.

ثانيا: الشروط المقيدة لحجم الإنتاج و/أو إقليميه

¹ - الأمر 03-07، المؤرخ في 23 يوليو 2003، المتعلق ببراءات الاختراع، ج ر، عدد 44، الصادرة في 25 يوليو 2003.

² - المادة 75 فقرة "ه" من القانون رقم 17/99، المتضمن قانون التجارة المصري، ج ر، عدد 19.

³ - بن أحمد الحاج، التزامات الأطراف وجزاء الإخلال بها في عقود نقل التكنولوجيا على ضوء الأعراف السائدة، المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسية، الجزائر، المجلد 01، العدد 03، 2018، ص.36.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ————— ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

يحرص المرخص غالبا على إبراد شروط مقيدة لحجم الإنتاج و/أو إقليله في عقد الترخيص، هادفا من خلالها إلى تحديد حجم إنتاج المرخص له¹، أو إلى تقييد حرريته في اختيار الأقاليم الجغرافية لبيع منتجاته، سواء كان محليا أو إقليميا أو حتى دوليا²، والذي من شأنه تقييد حرية المرخص له، وحرمانه من الزيادة في الإنتاج حتى ولو كان السوق يتطلب ذلك، مما يحد بشكل مباشر من أرباحه وتوسيعه داخل سوق الإقليم المرخص له بتصريف منتجاته خلاله، وهو ما نجده خاصة في عقد الترخيص غير الاستشاري³ ، إذ يتوجب المرخص من خلال فرض هذا الشرط سيطرة أو منافسة منتجات المرخص له لمنتجاته في ذات السوق.

وغالبا ما يكون الشرط المقيد لحجم الإنتاج مقتربا بشرط الإقليمية، الذي يعتبر هو الآخر قيدا يفرض على المرخص له الالتزام بتسويق منتجاته داخل الإقليم المرخص به دون غيره⁴ ، مما يفرض عليه بطريقة غير مباشرة حجم الإنتاج، باعتبار أن المرخص له ملزما بتكييف وملاءمة حجم إنتاجه مع احتياجات الإقليم المعنى المرخص له بتسويق منتجاته فيه، حرصا منه للمحافظة على السعر، باعتبار أن هذا الأخير يتأثر بقاعدة العرض والطلب.

¹ - حسن علي كاظم المحمود، مرجع سابق، ص 158، انظر كذلك: Giovanna Modiano, le contrat de licence de brevet, librairie Droz, Genève, 1979.p 33.

² - كريم مريم، مرجع سابق، ص 26.

³ - الترخيص غير الاستشاري أو العادي يتم عوجه منح المرخص له حق استغلال محل عقد الترخيص، مع احتفاظ المرخص بحقه في منح تراخيص أخرى للغير. Giovanna Modiano op, cit, p. 35.

⁴ - Joanna schmidt- szalewski, op, cit, p. 38, 40.



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

وعليه فإن الشروط المقيدة لحجم الإنتاج و/أو إقليميه تؤدي بالمرخص له إلى فقدان فرصة الحصول على أسواق جديدة لمنتجاته، وحرمانه من الأرباح التي كان سيحصل عليها، والتي كانت ستدعى قدرته التنافسية، مما يعيقه دائماً في تبعية للمرخص، ويجب هذا الأخير ظهور منافسين له في المستقبل، كما قد يكون الشرط المحدد لحجم الإنتاج مخفياً لإرادة المرخص في الحفاظ على مستوى معين من الأسعار، والذي يتعارض بشكل واضح مع حرية المنافسة ومصالح المستهلك.¹

وقد حظر المشرع الجزائري الشرط المقيد لحجم الإنتاج وفقاً للمادتين 06 و07 من الأمر 03-03 المتعلق بالمنافسة، سواءً كان ناتج عن اتفاقية بين المرخص والمرخص له²، أو كان نتيجة لتعسف المرخص في استغلال وضعية المهيمنة التي يتمتع بها³، في حين

¹ - حميد سلطاني، العقد الدولي لنقل التكنولوجيا دراسة في الآليات القانونية لحماية ونقل المعرفة الفنية الصناعية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون الخاص، جامعة الجزائر 01 بن يوسف بن خدة، 2016-2017، ص 228.

² - يقصد بالاتفاقات الضارة بالمنافسة الحرفة: "كل اتفاق صريح أو ضمني بين شخصين يكون محله أو الآثار المترتبة عليه من شأنها منع أو تقييد أو الإضرار بالمنافسة الحرفة في السوق"، أنظر: محمد سعد العرمان، الاتفاques والعقود الضارة بالمنافسة الحرفة ومنع الممارسات الاحتكارية وفقاً للتشريع الإماراتي، دفاتر السياسة والقانون، القانون، الجزائر، العدد 15، 2016، ص 575.

³ - عرف المشرع الجزائري وضعية المهيمنة بموجب المادة 03 فقرة "ج" من الأمر 03-03 المتعلق بالمنافسة بأنها: "الوضعية التي تمكن مؤسسة ما من الحصول على مركز قوة اقتصادية في السوق المعنى من شأنها عرقلة قيام منافسة فعلية فيه وتعطيبها إمكانية القيام بتصرفات منفردة إلى حد معابر إزاء منافسيها، أو زبائنها أو موئتها"، والجدير بالتنويه إلى أنه ليست وضعية المهيمنة هي المحظورة، بل التعسف في استغلال وضعية المهيمنة من قبل المؤسسة المهيمنة هو المحظور.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

بحد المشرع المصري قد أجاز إبطاله بموجب المادة 75 فقرة د من قانون التجارة المصري، إذا لم يكن قد تم إبراده بغية حماية مستهلكي المنتج، أو حفاظا على مصلحة جدية ومشروعة للمرخص، أما بالنسبة لشرط الإقليمية وعلى الرغم من أنه مقيد لحرية المرخص له في منافسة المرخص خارج الإقليم المرخص له بذلك، إلا أنه يبقى من الشروط المباحة قانونا، باعتبار أنه يستمد شرعيته من مبدأ سلطان الإرادة، وقاعدة العقد شريعة المتعاقدين من جهة¹، ونصوص قوانين الملكية الصناعية من جهة أخرى.²

بالإضافة إلى الشروط السالفة الذكر، فغالبا ما يتشرط المرخص ممارسة رقابة الجودة على المنتجات والخدمات الناتجة عن استغلال محل عقد الترخيص، بغية الحفاظ على سمعة حقوق ملكيته الصناعية المرخص بها، إذ يخول هذا الشرط المرخص حق ممارسة الرقابة بصفة دورية على عملية استغلال المرخص له محل عقد الترخيص، وإناء العقد إذا لم يلتزم هذا الأخير بمعايير الجودة المطلوبة³، وكمثال عن ذلك نذكر "عقد الترخيص المبرم بين شركة Sonelec وشركة Standard Electrica، الذي نص على أنه في حالة

¹ - أنظر المادة 106 من الأمر رقم 58/75، المؤرخ في 26 سبتمبر 1975، المتضمن القانون المدني الجزائري، المعديل والتمم بالقانون رقم 05-07 المؤرخ في 13 مايو 2007، ج ر، عدد 31، الصادرة بتاريخ 31 مايو 2007..

² - لقد نصت المادة 17 من الأمر 03-06، المؤرخ في 19 يوليو 2003، المتعلق بالعلامات، ج ر، عدد 44، الصادرة في 23 يوليو 2003، على شرط الإقليمية واعتبرته أحد معالم عقد الترخيص المتعلق بالعلامة، والذي يترتب على تحالفه بطلان عقد الترخيص حيث جاء نصها: "يجب تحت طائلة البطلان أن يتضمن عقد الترخيص...الإقليم الذي يمكن استعمال العلامة في مجاله..."

³ - كريم مريم، مرجع سابق، ص 24.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ————— ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

عدم مطابقة مواصفات المنتج لمعايير ومقاييس الجودة المحددة من قبل المرخص الخاصة بمنتجاته، فإن المرخص يحتفظ بحقه في إمكانية إلغاء حق الاستغلال المنوح للمرخص له¹، ولقد اعترف للمرخص في الحكم الصادر عن قضية *Pronuptia* الشهير، بحقه في ممارسة رقابة الجودة على منتجات المرخص له، بهدف ضمان حصول المستهلك على منتجات تتسم بالجودة المطلوبة²، ذلك أنه بغير ممارسة هذه الرقابة من قبل المرخص، فإن المنتجات أو الخدمات التي تحمل العلامة المرخص بها لا تكون أصلية بالفعل، وإنما تكون أقرب لتلك المقلدة، فالفرق بينهما يكمن فقط في أن المرخص له ينتاج و يقدم خدمات بإذن من المرخص، أما المقلد فيتتجها ويقدمها بدون إذن هذا الأخير، ويحتملان في أن كليهما لم يخضعا لمعايير الجودة المفروضة من قبل المرخص مالك العلامة.³.

ثالثا: شرط الشراء الجبri

يقصد بشرط الشراء الجبri إرثام المرخص له من قبل المرخص، شراء المواد الأولية والسلع الضرورية للإنتاج من مصادر معين يحدده هو، أو شرائها من عند المرخص ذاته⁴،

¹- هشام عوض سالم الطراونة، الشروط المقيدة للمنافسة في تراخيص العلامات التجارية المتعلقة بنقل التكنولوجيا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في القانون، جامعة آل البيت، الأردن، 2010، ص 29.

²- عادل صفتون عبد الرحمن، الآثار القانونية لعقود الفرانشيز على حقوق الملكية الصناعية والمنافسة الحرة، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2018، ص 331.

³- عدنان غسان برانبو، التنظيم القانوني للعلامة التجارية، منشورات الخليجي الحقوقية، بيروت، الطبعة الأولى، 2012، ص 504.

⁴-Quoc chien Ngo, le contrat de franchise étude comparative droit français et droit vietnamien, thèse pour obtenir le doctorat en droit, université



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

كمستلزم أساسى لإبرام عقد الترخيص معه¹، وهو التزام يقابلها عادة التزام المرخص بالخصوصية الإقليمية لقائدة المرخص له²، حيث يثير هذا الشرط التساؤل حول مدى مشروعيته، خاصة وأنه يتعارض مع قواعد المنافسة³، لما يرتبه من تكريس التبعية الاقتصادية للمرخص، نتيجة لالتزام المرخص له بشراء المواد الأولية من عنده بصورة مباشرة أو غير مباشرة⁴، لذلك اشترط المشرع الفرنسي في المادة 1-330 من القانون التجارى الفرنسي ألا تتعدي فترة الشراء الجبى مدة 10 سنوات⁵، حتى لا يكون شرط

Francois- Reblais, école doctorale science de l'homme et de la société, 2012, p 192, voir aussi, Joanna schmidt-szalewski .op, cit, p. 38, 40, voir aussi Jean- jacques burst et Robert kover, Droit de la concurrence, economica, paris, 1981, p. 99, voir aussi, Jean-marie leloup, la franchise Droit et pratique, 4 édition, delmas, 2004, p.104.

¹ - سوزان غازي مصطفى، فض منازعات عقود توريد نقل التكنولوجيا عن طريق التحكيم، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في القانون، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، 2009، ص111.

² - زكرياء غطروف، القواعد الناظمة لعقود التوزيع، عقد الامتياز التجارى نموذجا، مجلة الفقه والقانون، المغرب، العدد الثامن، 2013، ص17، أنظر كذلك: رشيد ساسان، عقد التوزيع بترخيص استعمال العالمة، عقد الفرانشيز محاولة للتأصيل، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2013، ص 196.

³ - ياسر سيد الحديدي، عقد الفرانشيز التجارى في ضوء تشريعات المنافسة ومنع الممارسات الاحتكارية، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 2012، ص 308.

⁴ - علاء عزيز الجبوري، عقد الترخيص دراسة مقارنة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص 164.

⁵ - Article L330-1 "Est limitée à un maximum de dix ans la durée de validité de toute clause d'exclusivité par laquelle l'acheteur, cessionnaire ou



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ————— ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

حصرية الشراء دائماً، من خلال منح الحرية للمرخص له للخروج من هذا الشرط مرة كل عشر سنوات على الأقل.¹

وتجدر الإشارة إلى أن شرط الشراء الجبri قد يكون شاملًا لكافه المواد الأولية والسلع الضرورية للإنتاج، كما قد يكون جزئياً يتعلق بفئة معينة من المواد الأولية، أما فيما يتعلق بباقي المواد ف تكون الحرية التامة للمرخص له في شرائها من أي مصدر يشاء²، ونحن نرى أنه في حالة شرط الشراء الجبri للمواد الأولية المستعملة في الإنتاج من طرف المرخص له، تكون غالباً هذه المواد هي المواد الأساسية في الإنتاج، أما المواد المتراكمة للمرخص له الحرية في اقتناصها من مصادر أخرى تكون أقل أهمية أو ثانوية، مع إمكانية خضوع هذه المواد لرقابة المرخص.

يعتمد المرخص غالباً عند فرضه لشرط الشراء الجبri على المرخص له، فيما يتعلق بالمواد الأولية الضرورية في إنتاج السلع محل الترخيص، على مبرر ضرورة الحفاظة على جودة الإنتاج، والاستخدام الأمثل لحقوق الملكية الصناعية محل عقد الترخيص³،

locataire de biens meubles s'engage vis à vis de son vendeur, cédant ou bailleur, à ne pas faire usage d'objets semblables ou complémentaires en provenance d'un autre fournisseur."

¹—Quoc chien Ngo, op, cit, p. 202, Voir aussi Jean- Bernard Blaise, Droit des affaires commerçants concurrence distribution, édition Delta, Beyrouth Liban, 1999, p. 529-530.

²— ميثاق طالب عبد حمادي الجبوري، مرجع سابق، ص252.

³— علاء عزيز الجبوري، مرجع سابق، ص165.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

بالإضافة إلى حماية علامته التجارية وسمعتها¹، ذلك أن مركزه التنافسي متعلق بمدى حسن سمعته التجارية، التي تتجاوز قيمتها ما يحصل عليه من عقد الترخيص²، بالإضافة إلى حماية المستهلك، باعتبار أن هذا الأخير يقتني هذه المنتجات وهو يعتقد أنها مطابقة تماماً للمنتجات التي ينتحها المرخص، وهو ما أدى بالمشروع المصري إلى إجازة شرط الشراء الجبri في الفقرة الأخيرة من المادة 75 من قانون التجارة المصري، إذا كانت الغاية منه حماية مستهلكي المنتج، أو رعاية مصلحة جدية ومشروعة للمرخص له، وفي ذات السياق اعتبرت محكمة استئناف باريس في القرار الصادر عنها سنة 1989 (Mourat-Natatty) ، أن الشرط الذي يقضى بالالتزام المتلقى بشراء السلع التي تعادل على الأقل سبعون بالمائة من إجمالي مبيعات السنة السابقة لمدة 03 سنوات متوفقاً مع قواعد الحماية الأوروبية، كما أنه ضروري للحفاظ على السمات الجوهرية للمنتج والوصول بمنتج المرخص له إلى مستوى منتجات المرخص³

وعلى الرغم من المزايا السالفة بيانها لشرط الشراء الجبri، إلا أنه قد يكون مرهقاً للمرخص له من خلال زيادة نفقاته، نتيجة لارتفاع أسعار المواد الأولية والسلع الضرورية المفروضة عليه من قبل المرخص، مما يضعف قدرته التنافسية في السوق، لارتفاع تكلفة الإنتاج من جهة⁴، وزيادة أرباح المرخص من جهة أخرى باعتباره غالباً

¹-Quoc chien Ngo, op, cit, p.192.

²- سوزان غازي مصطفى، مرجع سابق، ص 127.

³- ياسر سيد الحديدي، مرجع سابق، ص 308، أنظر كذلك: عادل صفوت عبد الرحمن، مرجع سابق، 2018، ص 333.

⁴- ميثاق طالب عبد حمادي الجبورى، مرجع سابق، ص 253.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ————— ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

المستفيد الوحيدة من هذا الشرط¹ بالإضافة إلى ذلك فقد يكون هذا الشرط عائقاً يمنع المرخص له من الحصول على المواد الأولية الضرورية للإنتاج بوسائله الخاصة، والتي يمكن أن تكون أسعارها مناسبة أكثر من تلك التي يفرضها المرخص، ما يكرس وبشكل واضح تبعيته الاقتصادية للمرخص.²

وعليه فإن تقييم مدى إيجابية وسلبية شرط الشراء الإجباري، مختلف من قضية إلى أخرى، ذلك أنه في الحالة التي يكون فيها المرخص محتكراً للمادة الأولية الضرورية لعملية الإنتاج، فإن هذا الشرط جائزًا بل ضروريًا لعدم وجود الخيار لدى المرخص له، أما إذا لم يكن محتكراً لهذه المادة، فيمكن لهذا الأخير مفاوضة المرخص على هذا الشرط³، الذي يبقى مسموح به بالقدر الذي يكون فيه ضروري لحماية حقوق الملكية الصناعية المرخص بها، وضمان جودة المنتجات وخدمات المرخص له، إذ يبقى دائماً من صلاحيات القضاء التأكيد من تلك الضرورة.⁴⁵

ووهذا يمكننا القول أن الفائدة العملية من إدراج شرط الشراء الإجباري في عقد الترخيص، تكمن في ضمان إنتاج المرخص له للبضائع أو تقديم خدمات بنفس الجودة والكفاءة التي تتمتع بها بضائع وخدمات المرخص، حفاظاً على سمعة علامته التجارية،

¹ - وليد علي ماهر، مرجع سابق، ص 238، أنظر كذلك: علاء عزيز الجبوري، مرجع سابق، ص 165.

² - ميثاق طالب عبد حمادي الجبوري، المرجع السابق، ص 253.

³ - علاء عزيز الجبوري، المرجع السابق، ص 165

⁴ - ياسر سيد الحديدي، المرجع السابق، ص 309

⁵ - رشيد ساسان، مرجع سابق، ص 197.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

كما يعد هذا الشرط ضمانة مهمة لمستهلكي منتجات وخدمات المرخص له، باعتبارهم يقبلون عليها وهم يعتقدون أنها بنفس الجودة المعتادة.¹

رابعا: الشرط التقييدي المتعلق بالأسعار

يعد شرط تحديد المرخص لسعر المنتجات المصنعة والخدمات المقدمة من قبل المرخص له، أحد أخطر الشروط التقييدية الواردة في عقد الترخيص، والتي غالباً ما تكون أسعار مرتفعة الشمن، بغية حماية منتجاته وخدماته من منافسة منتجات وخدمات المرخص له²، وهو ما نجده في حالة الترخيص غير الاستثماري، والذي ينبع عنه تواجد كل من منتجات وخدمات المرخص والمرخص له في نفس السوق.

لقد اعتبرت القوانين الوطنية للمنافسة الشرط المقيد لأسعار منتجات وخدمات المرخص له مقيداً للمنافسة وباطلاً³، لأنه يشكل اتفاقات تسعير رئيسية من شأنها الإخلال بقواعد المنافسة، أو تعسفاً في استغلال وضعية التبعية الاقتصادية للمرخص له، والتي تعد محظورة بموجب قانون المنافسة الجزائري الصادر بموجب الأمر 03-03 المتعلق بالمنافسة في المادة⁴ 06: "تحظر الممارسات والأعمال المدببة والاتفاقيات الصربيحة أو الضمنية

¹ ميثاق طاب عبد حمادي الجبوري، مرجع سابق، ص 254.

² حسن علي كاظم الجمع، مرجع سابق، ص 160.

³ مروك بلعزام، عقد الترخيص التجاري الدولي، مجلة الاجتهد القضائي، الجزائر، العدد 17، 2018، ص 109.

⁴ تقابل المادة 06 من الأمر 03-03 المتعلق بالمنافسة الجزائري المادة 1-L420 من القانون التجاري الفرنسي، وكذلك المادة 06 من القانون رقم 03 لسنة 2005 المتعلق بقانون حماية المنافسة ومنع الممارسات الاحتكارية المصري، ج.ر، عدد 06 مكرر، الصادرة في 15 فيفري 2005.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان
عندما تهدف أو يمكن أن تهدف إلى عرقلة حرية المنافسة أو الحد منها أو الإخلال بها
في نفس السوق أو في جزء جوهري فيه، لاسيما عندما ترمي إلى :
- عرقلة تحديد الأسعار حسب قواعد السوق بالتشجيع المصطنع لارتفاع
الأسعار أو انخفاضها.."

يعد الشرط التقييدي المتعلق بالأسعار محظوراً لأنه يحرم المرخص له من المنافسة،
خاصة إذا كان هذا الأخير يحصل على المواد الأولية والسلع الضرورية للإنتاج من
مصادره الخاصة، وكانت هذه الأسعار جد منخفضة مقارنة بتلك التي يستعملها
المرخص، مما يجعل المرخص له في وضعية تنافسية جد مريحة نتيجة لانخفاض تكلفة
الإنتاج، كما يعد هذا الشرط محظوراً لأنه لا يصب في مصلحة المستهلك، مادام هذا
الشرط يساوي في الأسعار أو حتى يحدها، بين أسعار المنتجات وخدمات المرخص
وأسعار المنتجات وخدمات المرخص له، ذلك أن قانون المنافسة وإن كان يحمي الأطراف
المتعاقدة في عقد الترخيص من الممارسات المقيدة للمنافسة، فهو يهدف من خلالها إلى
حماية السوق الوطني في المقام الأول.¹

وعليه فحتى يخرج هذا الشرط من دائرة الحظر، يجب أن يقتصر وفقاً للائحة
اللجنة الأوروبية 2790 لسنة 1999 على فرض حد أقصى للسعر، الذي لا يجوز تجاوزه
من قبل المرخص له²، أو أن يقدم له المؤشرات الخاصة لتحديد السعر، على شرط أن

¹-Quoc chien Ngo, op, cit, p.201.

²-L article 4/ a du Réglement n: 2790/1999 CEE de la commission du 22 Décembre 1999, concernant l application de l article 81, paragraphe 3, du traité à des catégories d accords verticaux et de pratiques concertées .



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ————— ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

تبقى الحرية للمرخص له لتحديده وفقا لما يراه مناسبا،¹ وهو نفس الاتجاه الذي أخذت به أحكام محكمة العدل وقرارات اللجنـة الأوروبية، بأن اعتبرت السعر الموصي به كحد أدنـى، وحد أقصـى مقبولا في عقد الترخيص، مادام أنه لا يتعدى حدود النصـح²، وفي ذات السياق طلبت اللجنـة الأوروبية سنة 1986 من مؤسـسة Yves rocher الحذف من عقودها بنود الأسـعار المفروضة، وكذلك قام الجهاز التنفيذي الأوروبي سنة 1978 بـنـذـكـيرـ شـرـكـة Compulterland بـوجـوبـ تركـ الحرـيـةـ لـلـمـرـخـصـ لـهـمـ فيـ تحـديـدـ أـسـعـارـ البيـعـ³، وـعـلـىـ صـعـيـدـ التـشـريـعـاتـ الـوطـنـيـةـ بـنـدـ المـاـدـةـ 75ـ مـنـ قـانـونـ التـجـارـةـ المـصـرـيـ قدـ أـجـازـتـ فـقـرـهـاـ الـأـخـيـرـةـ عـدـمـ إـبـطـالـ الشـرـطـ المـقـيـدـ لـأـسـعـارـ بـيـعـ الـمـنـتـجـاتـ مـحـلـ عـقـدـ التـرـخيـصـ،ـ إـذـ أـثـبـتـ الـمـرـخـصـ أـنـ إـبـرـادـ هـذـاـ الشـرـطـ كـانـ بـدـافـ حـمـاـيـةـ مـسـتـهـلـكـيـ الـمـنـتـجـ،ـ أوـ رـعـاـيـةـ مـصـلـحةـ جـدـيـةـ وـمـشـرـوـعـةـ لـهـ.

خامسا: شـرـطـ اـشـتـراكـ الـمـرـخـصـ فـيـ إـدـارـةـ مـؤـسـسـةـ الـمـرـخـصـ:ـ لـهـ يـعـتـبرـ اـشـتـراتـاطـ الـمـرـخـصـ اـشـتـراكـهـ فـيـ إـدـارـةـ مـؤـسـسـهـ الـمـرـخـصـ لـهـ مـنـ الشـرـوـطـ التـقـيـدـيـةـ المـحـظـوـرـةـ⁴ـ،ـ وـالـيـ

¹ زويـنةـ بـنـ زـيـدانـ،ـ عـقـودـ التـوزـيعـ فـيـ إـطـارـ قـانـونـ الـمـنـافـسـةـ،ـ رسـالـةـ مـقـدـمـةـ لـنـيلـ شـهـادـةـ الدـكـتـورـاهـ عـلـومـ فـيـ الـقـانـونـ الـخـاصـ،ـ جـامـعـةـ الـجـزاـئـرـ 1ـ بـنـ يـوسـفـ بـنـ خـدـةـ،ـ 2016-2017ـ،ـ صـ 71ـ.

² يـاسـرـ سـيـدـ حـدـيـديـ،ـ مـرـجـعـ سـابـقـ،ـ صـ 300ـ،ـ أـنـظـرـ كـذـلـكـ:ـ عـادـلـ صـفـوتـ عـبـدـ الرـحـمـنـ،ـ مـرـجـعـ سـابـقـ،ـ صـ 334ـ،ـ أـنـظـرـ كـذـلـكـ:ـ Daniel Mainguy Jean- Louis Depincé, Droit de la concurrence, Lexis Nexis, Paris, 2010, p. 164.

³ مـبـرـوكـ بـلـعـامـ،ـ عـقـدـ التـرـخيـصـ التـجـارـيـ،ـ درـاسـةـ مـقـارـنـةـ،ـ رسـالـةـ مـقـدـمـةـ لـنـيلـ شـهـادـةـ الدـكـتـورـاهـ فـيـ الـقـانـونـ،ـ جـامـعـةـ الـجـزاـئـرـ 1ـ بـنـ يـوسـفـ بـنـ خـدـةـ،ـ 2015-2016ـ،ـ صـ 391ـ.

⁴ سـائـدـ أـحمدـ الـخـوليـ،ـ الـمـلـكـيـةـ الصـنـاعـيـةـ فـيـ الـفـقـهـ وـالـقـانـونـ الـمـعاـصـرـ،ـ دـارـ الـفـجرـ لـلـنـشـرـ وـالتـوزـيعـ،ـ 2012ـ،ـ صـ 111ـ.



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

يلجأ إليها عادة كي يضمن سيطرته ورقابته المستمرة على مشروع المرخص له، ما ينبع عنه بداعية تبعية المرخص له للمرخص، واستحواذ هذا الأخير على سلطة إصدار القرارات المهمة، والتي قد تتنافى ومصلحة المرخص له، مما أدى إلى حد وصف هذا الشرط بأنه نوع من الاستعمار الاقتصادي¹، والذي يمكن اعتباره شرطا تعسفيا ينبغي إبطاله عملا بأحكام المادة 37 من الأمر 03-07 المتعلق ببراءة الاختراع السالفة الذكر، أما على صعيد التشريعات الوطنية المقارنة فقد أجاز المشرع المصري إبطاله بموجب المادة 75 من قانون التجارة المصري، ما لم يكن قد ورد بهدف حماية مستهلكي المنتج، أو رعاية مصلحة جدية ومشروعية للمرخص له.

الفرع الثاني- الشروط الرامية إلى الحد من تطوير محل عقد الترخيص وفق احتياجات المرخص له

يعمل المرخص في عقد الترخيص على تضمين هذا الأخير شروطا تحد من تطوير محل عقد الترخيص وفقا لاحتياجات المرخص له، كأن يمنع المرخص له من إجراء أبحاث وتحسينات عليه²، مما يكفل للمرخص بقاء المرخص له في تبعية دائمة له³، كما قد يورد

¹- ميثاق طالب عبد حمادي الجبورى، مرجع سابق، ص 263.

²- يقصد بالتحسينات: "كل اختراع جديد قابل للحماية عن طريق شهادة الإضافة"، أنظر: سامي معمر شامة، الترخيص باستغلال براءة الاختراع، دراسة تحليلية في ظل التشريع الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 69، ولقد أجازت المادة 15 من الأمر 03-07 المتعلق ببراءة الاختراع، طوال صلاحية البراءة لمالكها، أو لذوي حقوقه إدخال التغييرات أو التحسينات أو إحداث إضافة على اختراعه.

³- كريم مريم، مرجع سابق، ص 34.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

شرط آخر يلزم من خالله بإعلامه بكافة التحسينات ومنحه إياها بدون عوض، مما يوقيه ضحية للاستغلال، باعتبار أن من حقه الحصول على مقابل لما أجراه من تحسينات وأبحاث على محل عقد الترخيص¹.

ونتيجة للأضرار التي قد تلحق بالمرخص له، وحفظاً على مصالح هذا الأخير، باعتباره غالباً الطرف الضعيف في العقد، فإنه يجب أن يخلو هذا الأخير من كل الشروط التي قد تحد من نشاط المرخص له فيما يتعلق بتحسين وتطوير محل عقد الترخيص، وكذلك تلك التي تمنعه من استعمال حقوق ملكية صناعية تعد مكملة، أو منافسة، أو مماثلة من مصادر أخرى من غير المرخص²، وهو ما نص عليه المشرع المصري في المادة 75 فقرة "ب" عندما أجاز إبطال الشروط السالفة الذكر، ما لم يكن إبرادها بمدف حماية مستهلكي المنتج، أو رعاية مصلحة جدية ومشروعة للمرخص.

فضلاً عما سبق فقد يتضمن عقد الترخيص شرطاً آخر، يلزم المرخص له الاستفادة من حقوق ملكية صناعية أو خدمات إضافية أخرى، رغم أنها غير ضرورية من وجهة نظره، حيث يكون المدف منها غالباً تصريف حقوق ملكية صناعية أو خدمات كاسدة متلازمة مع حقوق الملكية الصناعية المنشودة في عقد الترخيص، ما ينتج عن هذا الشرط تحقيق أرباح كبيرة للمرخص، وفي المقابل يلحق بالمرخص له خسائر فادحة، ما ينتج عنه استزاف الجانب الإيجابي للذمة المالية لهذا الأخير في حقوق ملكية صناعية وخدمات لا جدوى منها³، ولقد اعتبر المشرع الأردني هذا الشرط باطلًا بمحض الماد

¹ - حسن علي كاظم الجمع، مرجع سابق، ص 161.

² - سائد أحمد خولي، مرجع سابق، ص 110.

³ - حسن علي كاظم الجمع، مرجع سابق، ص 163.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

من قانون المنافسة غير المشروعة والأسرار التجارية¹، في حين نجد أن المادة 75 من قانون التجار المصري لم تشر إلى هذا الشرط، إلا أن هذا لا يعني عدم إمكانية إبطاله بالاستناد إليها، باعتبار أن حالات الإبطال التي نصت عليها كانت على سبيل المثال لا الحصر، وهو ما يفهم من عبارة "يجوز إبطال كل شرط... وينطبق ذلك بوجه الخصوص على الشروط التي يكون موضوعها إلزام المستورد بأمر مما يأتي...", أما على الصعيد الدولي فنجد اتفاقية الرئيس قد أجازت للدول الأعضاء منع هذا الشرط بموجب المادة 40 فقرة 02².

عند التمعن في الشرط الذي يقضي بإلزام المرخص له بقبول مجموعة من حقوق الملكية الصناعية بدلاً من حق واحد نجد أنه يشبه إلى حد بعيد البيع المتلازم³، على الرغم

¹- قانون المنافسة غير المشروعة والأسرار التجارية الأردني رقم (15) لسنة 2000.

²- اتفاقية الجوانب المتعلقة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية المعروفة بـ اتفاقية "TRIPS" .1994

³- لقد حظر المشرع الجزائري البيع المتلازم في المادة 11 من الأمر 03-03 المتعلق بالمنافسة، بأن اعتبره تعسفاً في استغلال وضعية التبعية الاقتصادية حيث نص على أنه: "يجوز على كل مؤسسة التعسف في استغلال وضعية التبعية المؤسسة أخرى بصفتها زبوناً أو موناً، إذا كان ذلك يخل بقواعد المنافسة، يتمثل هذا التعسف على الخصوص في: "... - البيع المتلازم..." .

و يعرف البيع المتلازم بأنه: " ذلك الأسلوب التجاري الذي تلجأ إليه المؤسسة الممونة والتي تكون في مركز قوة من أجل إلزام المؤسسات التابعة لها اقتصادياً على قبول شروطها التعسفية، والمتمثلة في بيع منتجات، والذي في الغالب يكون من نوع مخالف، وتكون هذه الأخيرة في غير حاجة



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ————— ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

من كونه لا ينقل ملكية محل عقد الترخيص باعتباره ليس بيعا، إلا أنه يشترك مع البيع المتلازم في عنصر إلزام المشتري أو المرخص له على قبول سلع أو خدمات ...إلخ لا يرغبون فيها، تكون متلازمة مع تلك المنشودة من إبرام هذه العقود، كما يشتركون كذلك في المدف والنتيجة، باعتبار أن كلاهما يهدفان إلى تصريف ما هو كاسد، مما ينتج عنه في الأخير إرهاق الطرف الآخر في العقد، غير أن هذا الحكم لا ينطبق على الحالة التي يتم فيها إلزام المرخص له بقبول التحسينات الواردة على محل عقد الترخيص رغم رفضه لها، إذا كان المدف منه المحافظة على جودة المنتجات أو الخدمات الناتجة عن استغلال حقوق الملكية الصناعية محل عقد الترخيص.¹

الفرع الثالث- الشرط الذي يمنع المرخص له من بحث صلاحية حقوق الملكية

الصناعية المرخص بها

قد يورد المرخص في عقد الترخيص شرطا يقضي بمنع المرخص له من المنازعة في صحة محل عقد الترخيص²، الذي من شأنه حرمان المرخص له من حقه القانوني في معرفة مدى صلاحية هذا الأخير³، كأن يكون قد انقضى أو سقط في الدومن العام،

¹ إليها، للمزيد من الاطلاع أنظر حسام سبسي، إبراهيم ملاوي، شروط حضور العقود الاستشارية المقيدة للمنافسة، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البوابي، الجزائر، العدد التاسع، 2018، ص121.

² - سوزان غازي مصطفى، مرجع سابق، ص120

³ -Joanna schmidt- szalewski op, cit, p. 40.

- كريم مریم، مرجع سابق، ص 35.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

باعتبار أن هذه الحقوق غير مؤبدة¹، مما يجعله يتلزم بدفع الإتاوة الباهظة كمقابل لاستعمال أو استغلال حق الملكية الصناعية محل الترخيص الذي صار مباحاً للجمهور، أو أن يكون معرضاً للبطidan أو المنازعه في ملكيته، الأمر الذي جعل منه شرطاً تعسفياً باطلأ عند وروده في عقد الترخيص²، لما فيه من إففاء للمرخص من أهم التراماته وهو الالتزام بالضمان(ضمان الاستحقاق، ضمان العيوب الخفية) اتجاه المرخص له، إذا ما عيب أو استحق حق الملكية الصناعية محل عقد الترخيص³ حيث يمكن الاستناد لنص المادة 490 من القانون المدني الجزائري المتعلقة بالضمان في عقد الإيجار لإبطال هذا

¹ - حماية حقوق الملكية الصناعية ليست دائمة، فهي محددة بمدة معينة من قبل المشرع الجزائري، وبالنسبة لبراءة الاختراع فقد حددت المادة 09 من الأمر 03-07 المتعلق ببراءة الاختراع مدتها بعشرين سنة، بينما سريانها من تاريخ إيداع طلب حمايتها، بينما التصاميم الشكلية للدوائر المتكاملة فقد حددت المادة 07 من الأمر 03-08 المتعلق بالتصاميم الشكلية للدوائر المتكاملة، مدة حمايتها بـ عشر سنوات يبدأ سريان مفعولها من تاريخ إيداع طلب تسجيلها أو من تاريخ أول استغلال تجاري لها، وهي المدة نفسها بالنسبة للرسوم والنماذج، والتي نصت عليها المادة 13 من الأمر 86-86 المتعلق بالرسوم والنماذج، في حين يحد مدة حماية العلامات طبقاً للمادة 05 من الأمر 03-06 المتعلق بالعلامات، مقدرة بعشرون سنة تسري بأثر رجعي من تاريخ إيداع طلب تسجيلها، مع إمكانية إعادة تسجيلها لفترات متالية تقدر بعشرون سنة، يبدأ سريان تحديد تسجيلها من اليوم الذي يلي تاريخ انقضاء التسجيل.

² - حسن علي كاظم المجمع، مرجع سابق، ص 166.

³ - هشام عوض سالم الطراونة، مرجع سابق، ص 32، أنظر كذلك: مسلم الطاهر، محاربة الاحتكار في الفرانشيز بين الشريعة والقانون، المجلة الأكاديمية للبحث القانوني، المجلد 11، العدد 01، 2020، ص 210



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

الشرط، باعتبار أن أحكام هذا الأخير تسري على عقد الترخيص بما يتواافق مع طبيعته، والتي نصت على إبطال كل اتفاق يتضمن الإعفاء أو التحديد من الضمان بسبب التعرض القانوني، وكذلك كل اتفاق يتضمن الإعفاء أو التخفيف من ضمان العيوب إذا أخفاها المؤجر غشاً، في حين نجد أن المشرع الأردني كان سباقاً لحظر الشرط الذي يمنع المرخص له من المنازعة إدارياً أو قضائياً في حق الملكية الفكرية محل عقد الترخيص بموجب المادة 09 فقرة 03 من قانون المنافسة الغير مشروعة والأسرار التجارية الأردني.

بالإضافة إلى ما سبق، قد يشترط المرخص في عقد الترخيص أن تكون مدة العقد طويلة، والتي قد تتجاوز مدة الحماية المقررة لحق الملكية الصناعية محل عقد الترخيص، مما يجعل المرخص له في هذه الحالة يدفع إتاوة لحق صاحبه السابق¹، مما يوجب دائماً منه، دون أن يعتبر هذا الاستغلال اعتداء على حقوق صاحبه السابق²، مما يوجب دائماً أن تكون مدة عقد الترخيص أقل أو متساوية للمدة المتبقية لحماية حق الملكية الصناعية محل الترخيص، فإذا تجاوزت مدة هذه الأخيرة، اعتبرت مدة متساوية للمدة المتبقية لحماية الحق المرخص به³، كما يعد طول مدة العقد من جهة أخرى سبباً قد يفوت على المرخص له مواكبة التكنولوجيا، مما يستلزم معه التزام المرخص بتزويد هذا الأخير بالتحسينات التي يجريها على محل عقد الترخيص، والتي تعد من مستلزمات العقد، طبقاً لمبدأ حسن النية في تنفيذ العقود³، إذا لم يتضمن العقد بند صريح يقضي بنقل هذه

¹ - نسرين شريقي، حقوق الملكية الفكرية، دار بلقيس، الجزائر، 2014، ص 99.

² -Giovanna Modiano, op, cit, p. 33.

³ - انظر المادة 107 فقرة 01 من القانون المدني الجزائري.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

التحسينات،¹ فإذا تضمن ذلك صار التزاما واقعا على عاتق المرخص، يترتب عن إخلاله به جواز طلب المرخص له التنفيذ العيني أو فسخ العقد.²

المبحث الثاني: الموقف التشريعي من الشروط التقييدية الواردة في عقد الترخيص

إن اشتتمال عقد الترخيص على شروط تقييدية تمس بحرية المنافسة في السوق الوطنية، وعاصل المرخص له والمستهلك، يجعلنا نتساءل عن : مصير هذه الشروط المقيدة إذا وردت في عقد الترخيص؟ كما أنه إذا كان مصير الشرط المقيد البطلان، ما مصير عقد الترخيص المشتمل على شرط تقييدي باطل؟.

وفي محاولة منا للإجابة عن هذه التساؤلات ارتأينا تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين، حيث ستتناول في المطلب الأول مصير الشرط المقيد الوارد في عقد الترخيص، ثم في مطلب ثان مصير عقد الترخيص المشتمل على شرط تقييدي .

المطلب الأول: مصير الشرط المقيد الوارد في عقد الترخيص

عند ورود شروط مقيدة في عقد الترخيص، والتي من شأنها عرقلة نقل المعرفة الفنية للمرخص له و/أو الحد أو عرقلة حرية المنافسة في السوق الوطنية، يجعلنا نتساءل عن مصير هذه الشروط؟ هل هي باطلة أم قابلة لإبطال؟ وهل يمكن الترخيص بها؟ في محاولة منا للإجابة على هذه التساؤلات، ارتأينا عرض موقف كل من المشرع الجزائري فيما يتعلق بالتشريعات الوطنية (الفرع الأول)، وموقف اللجنة الأوروبية على

¹- سليمان فنقارة، لعيرج بورويس، دراسة تحليلية لآثار عقد الترخيص باستغلال براءة الاختراع، الجزائر، مجلة الفكر القانوني والسياسي، العدد 03، 2018، ص 280.

²- سامي معمر شامة، مرجع سابق، ص 70.



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

المستوى الإقليمي (الفرع الثاني)، بالإضافة إلى موقف اتفاقية الرئيس كنموج عن الاتفاقيات الدولية (الفرع الثالث).

الفرع الأول: مصير الشرط المقيد الوارد في عقد الترخيص وفقاً للتشريع الجزائري

تناول المشرع الجزائري الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص في المادة 37 من الأمر 03-07 المتعلق ببراءة الاختراع، والمادة 30 من الأمر 03-08 المتعلق بحماية التصاميم الشكلية للدوائر المتكاملة¹، حيث اعتبرها باطلة إذا ما كانت تعسفية ومؤدية إلى الإضرار بالمنافسة في السوق الوطنية (أولاً)، مما يفهم أنه إذا لم تكن كذلك يمكن للمرخص تجنب بطidan هذه الشروط، إذا ما أثبت أنها ضرورية لحماية حقوق ملكيته الصناعية محل عقد الترخيص، وترتبط آثار ايجابية على الأطراف والمستهلك والاقتصادي الوطني ككل (ثانياً).

أولاً: شروط حظر الشروط التقيدية في عقد الترخيص

اشترط المشرع الجزائري بوجب المادتين 37 و30 السالفتين الذكر حتى يتم إبطال الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص، أن تكون هذه الأخيرة تعسفية(1)، ومضررة بالمنافسة في السوق الوطنية (2).

1- التقيد التعسفي لحرية المرخص له في استغلال محل الترخيص

¹ - الأمر 03-08 المؤرخ في 19 يوليو 2003، المتعلق بحماية التصاميم الشكلية للدوائر المتكاملة، ج ر، عدد 44، الصادرة في 23 يوليو 2003.



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

نصت المادة 37 من الأمر 03-07 المتعلق ببراءة الاختراع¹، والمادة 30 من الأمر 03-08 المتعلق بالتصاميم الشكلية للدوائر المتكاملة على أنه تعد باطلة البنود الواردة في العقود المتصلة بالشخصة، إذا فرضت على مشتري الشخصة في المجال الصناعي أو التجاري، تحديداً يمثل استعمالاً تعسفيّاً للحقوق التي تخوّلها براءة الاختراع أو التصميم الشكلي.

من خلال نص المادتين السالفتين الذكر نجد أنّ المشرع الجزائري قد جعل الشروط التعسفية الواردة في عقد الترخيص باطلة، إذا كانت تحدّ من حرية المرخص له في استغلال محل عقد الترخيص في المجالين الصناعي و/أو التجاري، ولقد اعتمد على معيار التعسف في استعمال الحقوق التي تخوّلها براءة الاختراع، أو التصميم الشكلي لاعتبار شرط من الشروط التقيدية تعسفي وبالتالي يجب إبطاله، وهو ما نجده متتحققاً في غالبيتها، إلا أنه عند حظره لها لم يورد قائمة بها، ونحن نتفق معه في ذلك، بأن ترك أمر تقديرها للجهات المختصة المتمثلة في قضاة الموضوع لتقدير مدى خلو هذه الشروط من التعسف، وضورها لحماية حقوق الملكية الصناعية المرخص بها²، إلا أنه يعاب عليه عدم

¹ - لقد تطرق المرسوم التشريعي 17-93، المؤرخ في 07 ديسمبر 1993، المتعلق بحماية الاختراعات، ج ر، عدد 81، الصادرة في 08 ديسمبر 1993، الملغى بموجب الأمر 03-07 المتعلق ببراءات الاختراع، لمسألة الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص. بموجب المادة 24 فقرة 02، التي جاء نصها: "لا يعتد بالبنود الواردة في العقود المتصلة بالشخصة إذا فرضت على مشتري الشخصة في المجال الصناعي أو التجاري حدوداً ناجمة عن الحقوق التي تخوّلها براءة الاختراع، أو التي لا تكون ضرورية لحماية هذه الحقوق".

² - عدنان غسان برانبو، مرجع سابق، ص 496.



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

بيان أنواع الشروط التي تعتبر باطلة إذا ما وردت في عقد الترخيص على سبيل المثال لا الحصر، ليست شرداً بما القاضي عند تقديره لمدى تعسفها، كما أنه قد افترض أن هذه الشروط تكون مفروضة من قبل أصحاب حقوق الملكية الصناعية، مما يبرز لنا حرص المشرع الجزائري على حماية المرخص له، الذي غالباً ما يكون جزائرياً، والمرخص أجنبياً من إحدى الدول المتقدمة.

إلا أنها تعيب على المشرع الجزائري الصياغة الغير واضحة للمادتين 37 و 30 السالفتين الذكر عند استعماله لعبارة "تعد باطلة البنود الواردة في العقود المتصلة بالشخصية إذا فرضت على مشتري الرخصة" حيث كان على هذه العبارة أن تكون صياغتها "تعد باطلة البنود الواردة في عقد الترخيص إذا فرضت على المرخص له" حتى يزول اللبس والغموض الذي قد يؤدي إلى الفهم الخاطئ لفحوى المادتين.

2- الإضرار بالمنافسة في السوق الوطنية

لا يكفي تقييد الشروط التقيدية لحرمة المرخص له في استغلال أو استعمال محل عقد الترخيص في المجال الصناعي أو التجاري حتى يتم حظرها، بل يجب أن تكون هذه الأخيرة ذات أثر سلبي على المنافسة في السوق الوطنية، وهو ما نصت عليه المادتين 37 و 30 السالفتين الذكر: "... بحيث يكون لاستخدامها أثر مضرة على المنافسة في السوق الوطنية"، فالسؤال الذي يمكن إثارته في هذا المقام: كيف يمكن أن يكون للشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص أثراً مضراً بالمنافسة؟.

في محاولة منا للإجابة على السؤال السالف الذكر نعود لنصوص قانون المنافسة الجزائري، لنجد أن الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص تكون مضرة بالمنافسة إذا شكلت ممارسة من الممارسات المقيدة للمنافسة، المنصوص عليها في الأمر 03-03 المتعلق



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

بالمنافسة، كأن تشكل اتفاقات محظورة¹ أو تعسف في وضعية المهيمنة² أو تعسف في وضعية التبعية الاقتصادية، أو عقودا استشارية³ ... إلخ، والتي من شأنها المساس بحرية المنافسة في السوق من خلال عرقلتها وتقييدها.⁴

وعليه فبتوافق الشروط السابقة البيان، يقع باطلاق الشرط التقيدي التعسفي الوارد في عقد الترخيص المضى بالمنافسة في السوق الوطنية، وفقا للحكم الذي تضمنته المادتين 37 و 30 السالفتين الذكر، وهو ذات الحكم الذي رتبته المادة 13 من الأمر 03-03

¹ - أنظر المادة 06 من الأمر 03-03 المتعلق بالمنافسة.

² - أنظر المادة 07 من الأمر 03-03 المتعلق بالمنافسة

³ - نص المشرع الجزائري على العقود الاستشارية في المادة 10 من الأمر 03-03 المتعلق بالمنافسة، المعدل والتمم بالقانون 12-08، المؤرخ في 25 يونيو 2008، ج ر، عدد 36، الصادرة في 02 جويلية 2008، على أنه: "يعتبر عرقلة حرية المنافسة أو الحد منها أو الإخلال بها ومحظر كل عمل و/أو عقد مهما كانت طبيعته وموضوعه يسمح لمؤسسة بالاستشار في ممارسة نشاط يدخل في مجال تطبيق هذا الأمر"، حيث تعدد من النشاطات الخاضعة لقانون المنافسة حسب المادة 02 من نفس الأمر، نشاطات الإنتاج والتوزيع والخدمات والاستيراد، وعليه فإن مجال العقود الاستشارية المحظورة بموجب قانون المنافسة يكون إحدى النشاطات السالفة الذكر، والتي يمكن تعريفها بأنما: "تلك الاتفاقيات التي بوجها يضع المنتج أو الصانع أو المستورد قيدا على الموزع أو من هذا الأخير على الناجر، مضمون هذا القيد هو الاقتصار في التعامل مع بعضهم بعض في سلع معينة وفي منطقة جغرافية محدودة، خلال فترة زمنية محددة، وعملاً معينين، دون أن يكون أحدهم تابعاً أو نائباً عن الآخر"،

أنظر: حسان سبسي، إبراهيم ملاوي، مرجع سابق، ص 120.

⁴ - عبر مزغيش، التعسف في وضعية التبعية الاقتصادية كممارسة مقيدة للمنافسة، مجلة المفكر، الجزائر، المجلد 09، العدد 11، 2014، ص 515.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

المتعلق بالمنافسة، والتي نصت على إبطال كل التزام أو اتفاقية أو شرط تعاقدي يتعلق بإحدى الممارسات المقيدة للمنافسة، والتي تعد غالبية الشروط الموصوفة بأنها تقييدية في عقد الترخيص مقيدة لحرية المنافسة، خاصة بالنسبة للمرخص له، باعتباره غالباً ما يكون الطرف الضعيف في العقد، غير أن الحكم ببطلان هذه الشروط قد يثير عملياً إشكالات عديدة أهمها امتناع المرخص المستفيد من هذا الشرط، من الاستمرار في تنفيذ العقد، مما يدفع بالمرخص له للجوء إلى وسائل التنفيذ الجبri لحمل المرخص على تنفيذ التزاماته، والتي قد تكون محدودة النجاعة في مثل هكذا عقود.

تبث الإشارة كذلك إلى أن الأمر 03-06 المتعلق بالعلامات، والأمر 66-86 المتعلق بالرسوم والنماذج الصناعية، لم يتضمنا أي نص حول البنود الواردة في عقد الترخيص المتعلق بهما، والتي يمكن أن تكون تقييدية خاصة فيما يتعلق بعلامات الإنتاج، والرسوم والنماذج الصناعية، فيما يخص أساساً الشروط المقيدة لحجم الإنتاج، سعر البيع، الشراء الجبri للمواد الأولية التي تدخل في عملية التصنيع.. إلخ، مما يجعلنا نتساءل هل عدم إيراد نص خاص يقضي ببطلان الشروط التقييدية الواردة في عقد الترخيص باستعمال العلامة أو الرسوم والنماذج الصناعية يعد سهواً من المشرع، أو لأنه يعتبر الشروط الواردة في عقد الترخيص المتعلق بهما لا تكتسي أي طابع تقييدي؟

بالنسبة للرسوم والنماذج الصناعية نرجح أن السبب في ذلك يعود إلى أن الأمر 66-86 قانون قديم باعتبار أنه صادر سنة¹ 1966، فلو أن المشرع الجزائري عدل من نصوصه أو غيره بأمر آخر لكان ربما قد حظر الشروط التقييدية الواردة في عقد

¹ - الأمر 66-86، المؤرخ في 28 أبريل 1966، المتعلق بالرسوم والنماذج، ج ر، عدد 35، الصادرة في 03 مايو 1966.



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

الترخيص المتعلق به مثلما فعل مع الأمر 03-07 المتعلق ببراءة الاختراع، والأمر 03-08 المتعلق بالتصاميم الشكلية للدوائر المتكاملة، مواكبا بذلك ما جاء في اتفاقية الرئيس وغيرها من التشريعات المقارنة، أما بالنسبة للعلامة فعتقد أنه كان على المشرع الجزائري إبراد نص في قانون العلامات يقضى ببطلان الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص، فإذا كانت هذه الشروط مضرة أو مقيدة للمنافسة مثل ما قضى بذلك في قانوني براءة الاختراع والتصاميم الشكلية للدوائر المتكاملة، حفاظا على مصالح المرخص له وعلى توازن عقد الترخيص من جهة، ومصالح المستهلك والاقتصاد الوطني من جهة أخرى.

إلا أن السؤال الذي يمكن إبراده في هذا الخصوص: من هي الجهة المختصة بإبطال الشروط المقيدة الواردة في عقد الترخيص والموصوفة بأنها ممارسات مقيدة للمنافسة؟

يعتبر مجلس المنافسة هو المخول بالتحقيق في الاتفاques والعقود والشروط التي من شأنها المساس بحرية المنافسة، وتوقيع العقوبات في الأخير على مرتكبيها وفقا لما جاء في الأمر 03-03 المتعلق بالمنافسة¹، إلا أن البث في مدى بطلان الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص يبقى من اختصاص القضاء العادي لدى الأقطاب المتخصصة المنعقدة في بعض المحاكم بالنظر في المنازعات المتعلقة بالملكية الفكرية.²

ثانياً: إباحة الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص

¹ - نبيل ناصري، المركز القانوني لمجلس المنافسة بين الأمر رقم 95-06 والأمر 03-03، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون الخاص فرع قانون الأعمال، جامعة مولود معمري تizi وزو، 2003-2004، ص 48.

² - المادة 32 من القانون 08-09، المؤرخ في 25 فبراير 2008، المتضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية، ج ر، عدد 21، الصادرة في 23 أبريل 2008.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

باعتبار أن حظر الشروط التقييدية الواردة في عقد الترخيص غير مطلق، فقد تكون ملحاً للترخيص والإجازة من طرف مجلس المنافسة، إذا كانت من شأنها أن تؤدي إلى تطور اقتصادي أو تحسين التشغيل، أو من شأنها السماح لأطراف عقد الترخيص المتمثلة في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة بتعزيز وضعيتها التنافسية في السوق، مما جعل هذا الإعفاء يعتبر حلاً وسطاً بين حماية المنافسة من جهة وتحقيق الفعالية الاقتصادية من جهة أخرى¹، وهو ما نصت عليه المادة 08 من الأمر 03-03 المتعلق بالمنافسة: "يمكن أن يلاحظ مجلس المنافسة بناء على طلب المؤسسات المعنية، واستناداً إلى المعلومات المقدمة له أن اتفاقاً ما أو عملاً مدبراً أو اتفاقية أو ممارسة كما هي محددة في المادتين 06 و 07 أعلاه لا تستدعي تدخله".

ومن بين الشروط التقييدية الواردة في عقد الترخيص المشمولة بنص المادة 08 أعلاه، نجد تلك المتعلقة بتحديد أسعار السلع والخدمات المرخص بإنتاجها أو تقديمها بموجب عقد الترخيص، وتلك التي تفرض قيود على منافذ التسويق من خلال تحديد النطاق الإقليمي لتسويق المنتجات وخدمات المرخص له، في حين نجد أن الشرط التقييدي التعسفي الذي يقضي بمنع المنازعة في صحة محل عقد الترخيص يقع باطلًا، ولا يمكن الترخيص به لمخالفته أحكام المادة 490 من القانون المدني الجزائري.

¹ –Rachid Zouaimia, Lé L'exemption des pratiques restrictives de concurrence en droit algérien, Revue Académique de la Recherche Juridique, Numéro 01, 2019, p. 347.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

وعليه يمكن لأطراف عقد الترخيص بناء على طلب منهم مجلس المنافسة، الحصول على تصريح بعدم التدخل من هذا الأخير فيما يتعلق بالاتفاقات¹ والممارسات المقيدة للمنافسة في عقد الترخيص، وهو ما أجازه المشرع الجزائري في المادة 09 من الأمر 03-03 المتعلق بالمنافسة²: "... يرخص بالاتفاقات والممارسات التي يمكن أن يثبت أصحابها أنها تؤدي إلى تطور اقتصادي أو تقني أو تساهم في تحسين التشغيل، أو من شأنها للسماح للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة³ بتعزيز وضعيتها التنافسية في السوق، لا تستفيد من هذا الحكم سوى الاتفاقيات والممارسات التي كانت محل ترخيص من مجلس المنافسة"، حيث نجد عند التمعن في شروط تطبيق المادة السالفة

¹ - الحصول على ترخيص من مجلس المنافسة فيما يتعلق بالاتفاقات المحظورة فكرة جاء بها القضاء الأمريكي، والسمة "قاعدة العقل" والتي مفادها أن تقوم الجهات المختصة بتقييم وتحليل السوق، ثم تقوم بالترخيص بالاتفاقات المحظورة إذا كانت تؤدي إلى تطور اقتصادي، انظر: الزهرة رزاقية، تأثير قانون المنافسة على حقوق الملكية الفكرية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في قانون الأعمال، جامعة 08 ماي 1945 قملة، 2015-2016، ص119.

² - تقابل المادة 09 من الأمر 03-03 المتعلق بالمنافسة، المادة 09 من قانون حماية المنافسة المصري، والمادة 4-420 من القانون التجاري الفرنسي.

³ - لقد عرف المشرع الجزائري المؤسسة الصغيرة والمتوسطة بموجب المادة 05 من القانون رقم 17-02، المؤرخ في 10 يناير 2017، المتضمن القانون التوجيهي لتطوير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، ج.ر، عدد 02، الصادرة في 11 يناير 2017، بأنها: "تعرف المؤسسة الصغيرة والمتوسطة، مهما كانت طبيعتها القانونية، بأنها مؤسسة إنتاج السلع و/أو الخدمات: تشغل من واحد(1) إلى مائتين وخمسين (250) شخصا، لا يتجاوز رقم أعمالها السنوي أربعة (4) ملايين دينار جزائري، أو لا يتجاوز مجموع حصيلتها السنوية مليار(1) دينار جزائري..".



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

الذكر أن بعض الشروط المقيدة للمنافسة الواردة في عقد الترخيص قد تخرج من دائرة الحظر، إذا كان من شأنها إحداث تطور اقتصادي أو تقني أو تحسين التشغيل، أو من شأنها السماح للمرخص له من تعزيز وضعيته التنافسية في السوق، إذ يقع على عاتق أطراف عقد الترخيص أصحاب الممارسة المقيدة للمنافسة عبئ إثبات أن هذه الشروط الواردة في عقدتهم من شأنها أن تؤدي إلى تطور اقتصادي أو تقني أو تحسين التشغيل على المدى الطويل وليس بشكل مؤقت، بالإضافة إلى استفادة المستهلك من آثار هذا العقد كانخفاض سعر المنتج وزيادة جودته.. إلخ، كما يشرط كذلك ألا تؤدي هذه الشروط الواردة في عقد الترخيص إلى القضاء على المنافسة بشكل كلي في السوق الوطنية.¹

ولقد اشترط المشرع الجزائري بوجوب الفقرة الأخيرة من المادة 9 من الأمر 03-03 المتعلقة بالمنافسة السالفة الذكر، حتى يتم الاستفادة من أحکامها، أن يقوم أطراف عقد الترخيص المشتمل على شروط تقييدية تقديم طلب الحصول على التصريح بعدم التدخل من قبل مجلس المنافسة،² ليتولى بذلك هذا الأخير دراسة طلب الإعفاء المقدم إليه من خلال تقييم شامل للاتفاق أو الممارسة، وبيان ايجابيتها وسلبياتها على السوق

¹ - زوينة بن زيدان، مرجع سابق، ص 142، أنظر كذلك في هذا الصدد المادة 4-L420 من القانون التجاري الفرنسي.

² - للمزيد من الاطلاع حول كيفية تقديم طلب الحصول على التصريح بعدم التدخل من قبل مجلس المنافسة بخصوص الاتفاques ووضعية الهيمنة على السوق، ارجع للمرسوم التنفيذي رقم 175-05، المؤرخ في 12 مايو 2005، المحدد لكيفيات الحصول على التصريح بعدم التدخل بخصوص الاتفاques ووضعية الهيمنة على السوق، ج.ر، عدد 35، الصادرة في 18 مايو 2005.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

المعنية¹، باعتباره صاحب الاختصاص الحصري لمنح التراخيص بالشروط المقيدة للمنافسة في عقد الترخيص².

تجب الملاحظة أن الطلب المقدم من قبل أطراف عقد الترخيص لإعفاء الشروط المقيدة للمنافسة الواردة في عقد الترخيص من الحظر، يتعلق فقط بالشروط التي تشكل اتفاقات محظورة أو تعسف في وضعية اليمينة، في حين تبقى الشروط الأخرى التي يمكن أن تشكل تعسفاً في وضعية التبعية الاقتصادية خارج نطاق تطبيق المادتين 08 و 09 من الأمر 03-03، مما يتعمّن على أطراف عقد الترخيص، خاصة منهم المستفيد من هذه الشروط، والذي غالباً ما يكون المرخص، إثبات أن هذه الشروط ليست تعسفية، وغير مضرّة بالمنافسة في السوق الوطنية، وتخدم مصالح المستهلك، بالإضافة إلى كونها ضرورية لحماية حقوق ملكيّة الصناعيّة محل عقد الترخيص³، ولقد كان المرسوم التشريعي 93-

¹-Rachid Zouaimia, op, cit, p. 352.

²- محمد دمانة، مريم الحاسي، تبرير الاتفاقيات المقيدة للمنافسة وفقاً للأمر 03-03 المتعلق بالمنافسة، مجلة الدراسات القانونية والسياسية، الجزائر، العدد 02، 2015، ص. 63.

³- نصت الفقرة الأخيرة من المادة 75 من قانون التجارة المصري على إمكانية عدم إبطال الشروط المقيدة لحرية المستورد في عقد نقل التكنولوجيا فيما يتعلق باستخدام هذه الأخيرة أو تطويرها أو تعريف الإنتاج أو الإعلان عنه، إذا كانت قد وردت بقصد حماية مستهلكي المنتج، أو رعاية مصلحة جدية ومشروعية لمورد التكنولوجيا، الذي يعتبر حسب اعتقادنا استثناء خطير، باعتبار أنه يكفي أن يثبت المورد أن هذه الشروط قد وردت قصد حماية المستهلك أو حماية مصالحه المشروعة، ليفلت بذلك من إبطال شروطه، مما أدى إلى اعتبار المشرع المصري قد كان متساهلاً مع هذه الشروط على عكس باقي المشرعين الذين تعاملوا معها بحزم، من خلال اعتبارها باطلة إذا ما وردت في عقد



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ————— ط. عبد التور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

17 المتعلق بحماية الاختراعات، الملغي بموجب الأمر 03-07 المتعلق ببراءات الاختراع، يبيح في المادة 24 فقرة 02 منه الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص إذا كانت ضرورية لحماية محل عقد الترخيص.

وعليه يمكن للمرخص تبرير بعض الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص كشرط الشراء الجري ورقابة الجودة، بالاستناد إلى مبرر ضرورة الارتفاع بجودة المنتجات ونوعية خدمات المرخص له إلى مستوى جودة منتجات ونوعية خدمات المرخص، حماية لحقوق الملكية الصناعية المرخص بها، وكذلك حماية للمستهلك،¹ فإذا أثبتت المرخص ما سبق ذكره أنه بذلك تجنب البطلان المقرر للشروط التقيدية التي أوردها في عقد الترخيص، والتي نصت عليه كل من المادة 37 من الأمر 03-07 المتعلق ببراءة الاختراع، والمادة 30 من الأمر 03-08 المتعلق بحماية التصاميم الشكلية للدوائر المتكاملة.

الفرع الثاني: مصير الشرط المقيد الوارد في عقد الترخيص وفقاً للوائح اللجنة الأوروبية: لقد صدرت عن اللجنة الأوروبية لائحة في 31 جانفي 1996 تضمنت

الترخيص مثل ما فعل المشرع الجزائري والأردني حماية للمصالح الوطنية، باعتبار أنه غالباً ما يكون المرخص له وطنياً والمرخص أجنبياً.

¹ - ميثاق طالب عبد حمادي الجبوري، مرجع سابق، ص 254، أنظر كذلك: Quoc chien Ngo, op, cit, p.192.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

الشروط المباحة والمسماة بالشروط البيضاء، وأخرى محظورة سميت بالشروط السوداء، ومن قبيل الشروط المباحة في عقود الترخيص نجد¹:

- التزام المرخص له بتقديم ما توصل إليه من تحسينات على محل عقد الترخيص للمرخص على أساس شرط غير حصرى.
- التزام المرخص له بعدم إفشاء سرية المعرفة الفنية المفصح له عنها من قبل المرخص.
- إنهاء العقد إذا قام المرخص له بمنافسة المرخص، أو قيامه بإنتاج سلع أو بضائع في مجالات غير تلك المرخص بها.
- الحق في إنهاء عقد الترخيص إذا تم المعارضة في صحة براعة الاختراع.²

أما بالنسبة للشروط السوداء فهي عند ورودها في عقد الترخيص تقع باطلة دون الحاجة إلى طلب إبطالها باعتبار أنها مجحفة وغير مبررة، ومن قبيل هذه الشروط نجد³:

- الشرط الذي يحدد أسعار السلع والخدمات الناتجة عن استعمال واستغلال محل عقد الترخيص.
- الشرط الذي يحدد حجم إنتاج المرخص له.
- منع المتلقى من التصدير إلى إحدى الدول الأعضاء
- التزام المتلقى بنقل التحسينات إلى المورد.

¹ زينة غانم الصفار، السيد مهند حمد أحمد، الشروط المقيدة لحرية المتلقى في عقود نقل التكنولوجيا، مجلة الرافدين للحقوق، العراق، المجلد 13، العدد 48، 2011، ص 83.

² حميد سلطاني، مرجع سابق، ص 237.

³ زينة غانم الصفار، السيد مهند حمد أحمد، المراجع السابق، ص 84.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

بالإضافة إلى الشروط البيضاء والشروط السوداء تضمنت اللائحة شروطاً اصطلاح على تسميتها بالشروط الرمادية، وسيت كذلك لأنما تقع بين الشروط البيضاء والشروط السوداء، حيث تخضع هذه الأخيرة للتقدير والتقييم للفصل في صحتها أو بطلانها، ويكون هذا التقدير غير قابل للتعميم على جميع عقود الترخيص، بل يجب تقييمها حسب ظروف كل عقد ترخيص، ومن قبل هذه الشروط:

- إلزام المرخص له بشراء المواد الأولية والسلع الضرورية للإنتاج من عند المرخص أو من مصدر معين يحدده هو¹.

الفرع الثالث: مصير الشرط المقيد الوارد في عقد الترخيص وفقاً لاتفاقية

الترخيص

نصت اتفاقية الترخيص في المادة 40 على أنه "توافق البلدان الأعضاء على أنه يكون بعض ممارسات أو شروط منح التراخيص للغير فيما يتعلق بحقوق الملكية الفكرية المقيدة للمنافسة آثار سلبية على التجارة، وقد تعرقل نقل التكنولوجيا ونشرها.." .

فمن خلال نص المادة السالف ذكرها، نجد أن اتفاقية الترخيص قد أجازت للدول الأعضاء حظر بعض الشروط التقييدية، التي درج المرخصون أصحاب حقوق الملكية الفكرية على تضمينها في عقد الترخيص، إلا أن هذه الإجازة ليست مطلقة، فهي تتعلق ببعض الشروط التقييدية فقط، دون أن يتعدى ذلك إلى جميعها، وذلك عند تحقق إحدى الحالتين التاليتين:

¹ - مختار حزام، مرجع سابق، ص 182-183.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

- إذا كان من شأن الشرط الوارد في عقد الترخيص تقييد المنافسة، مما يرتب آثار سلبية على التجارة.
- إذا كان من شأن الشرط الوارد في عقد الترخيص عرقلة نقل التكنولوجيا ونشرها.

فمن خلال الشرطين السالفين، فحتى يتم حظر الشرط الوارد في عقد الترخيص أو بطلانه حسب اتفاقية الرئيس، لا بد أن يكون هذا الشرط مقيداً للمنافسة، مما يتبع عنه آثار سلبية على التجارة أو يؤدي إلى عرقلة نقل التكنولوجيا، فإذا لم يكن كذلك فلا مجال لحظر هذه الشروط تطبيقاً لمبدأ سلطان الإرادة وحرية التعاقد.

وقد أجازت اتفاقية الرئيس في الفقرة 02 من المادة 40 للدول الأعضاء أن تمنع في تشريعاتها الوطنية بعض الممارسات أو الشروط الواردة في عقد الترخيص للغير، والتي يمكن أن تشكل في حالات معينة إساءة لاستخدام حقوق الملكية الفكرية، أو التي لها أثر سلبي على المنافسة في السوق، بالإضافة إلى اتخاذ التدابير الملائمة لمنع هذه الممارسات أو مراقبتها، كمنع الطعن في قانونية الترخيص، أو منع اشتراط الترخيص القسري بمجموعة من الحقوق بدلاً من حق واحد.

المطلب الثاني: مصير عقد الترخيص المشتمل على شرط تقييدي

الأصل أن اقتران العقد بما لا يصح من الشروط أياً كان نوعه كأن يكون مخالف للنظام العام والآداب، أو أن يكون مستحيلاً أو مخالفًا للقانون، فإن العقد لا يفقد صحته، إذ يبطل الشرط لوحدة ويفقى العقد صحيحًا، ما لم يكن الشرط هو الباعث أو الدافع إلى التعاقد، فعندئذ يبطل العقد أيضًا، وهو ما نص عليه المشرع الجزائري صراحة في المادة 104 من القانون المدني، والتي جاءت متطابقة مع نص المادة 143 من القانون



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

المدن المصري، التي جاء فحواها: "إذا كان العقد في شق منه باطلأ أو قابلا للإبطال، فهذا الشق وحده هو الذي يبطل، إلا إذا ثبت أن العقد ما كان ليتم بغير الشق الذي وقع باطلأ، أو قابلا للإبطال فيبطل العقد كله"

من خلال نص المادة السالفه الذكر، نجد أن ورود شرط تقيدي باطلأ أو قابلا للإبطال في عقد الترخيص، لا يؤدي بالضرورة إلى بطلان عقد الترخيص، إلا إذا كان هذا الشرط هو الباعث إلى إبرام هذا العقد، وتبقى السلطة التقديرية للجهة القضائية المختصة بالنظر في التزاع للبث في مدى اعتبار الشرط المقيد باطل الوارد في عقد الترخيص هو الدافع إلى التعاقد أو أنه مجرد شرط فقط، وبالتالي يبطل الشرط ويصبح العقد.

الخاتمة:

حظيت الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص باهتمام كبير من قبل الفقه والقضاء، وكذلك التشريع سواء كان التشريع الجزائري أو المقارن، إذ تبانت مواقف الفقه والتشريع وأحكام القضاء بشأنها، فقد حظرتها أحيانا وأباحتها أحيانا أخرى، والحقيقة أن ذلك الحظر وتلك الإباحة كان المهدف منها في المقام الأول صيانة حقوق طرف في عقد الترخيص والحفاظ على توازن هذا الأخير من جهة، وحماية حرية المنافسة ومصالح المستهلك من جهة أخرى.

وعليه بعد دراستنا للشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص خلصنا إلى النتائج

التالية:

أولاً- إن الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص خاصة تلك الموصوفة بأنها سوداء تؤدي إلى اختلال التوازن في عقد الترخيص، وتكرس تبعية المرخص له بصفة



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

دائمة للمرخص، وتحول دون نقل المعرفة الفنية له، بالإضافة إلى عرقلتها لحرية المنافسة، وتضر بمصالح المستهلك، مما يستوجب إبطالها إذا ما وردت في عقد الترخيص.

ثانياً- إن الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص ليست كلها تستوجب الحظر وتأخذ صفة التقيد للمنافسة، فبعضها ضروري للمحافظة على حقوق الملكية الصناعية المرخص بها، وحماية المستهلك، كشرط الالتزام بالإقليم الحصري، شرط الشراء الجبriي، رقابة جودة المنتجات والخدمات المستعمل في إنتاجها حقوق الملكية الصناعية المرخص بها... إلخ.

ثالثاً- الشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص المضرة بالمنافسة تقع باطلة، إلا أنه يمكن أن تكون مacula للترخيص بها، إذا استحاطت لشروط المادة 09 من الأمر 03-03 المتعلقة بالمنافسة.

رابعاً- بطلان الشرط المقيد في عقد الترخيص دون بطلان هذا الأخير يضمن استمراره، وتحقيق الغاية المنشودة من إبرامه.

خامساً- الحكم ببطلان الشرط التقيدي الوارد في عقد الترخيص، يثير عملياً إشكالات عديدة أهمها امتياز المرخص المستفيد من الشرط الباطل من الاستمرار في تنفيذ العقد، مما يدفع بالمرخص له للجوء إلى وسائل التنفيذ الجبriي التي قد تكون محدودة النجاعة في مثل هكذا عقود .

بعد استعراضنا للنتائج المتوصّل إليها في دراستنا للشروط التقيدية الواردة في عقد الترخيص نقترح:

أولاً- إيراد قائمة بالشروط الموصوفة بأنها تقيدية الواردة في عقد الترخيص على سبيل المثال لا الحصر، يسترشد بها قضاة الموضوع عند النظر في الزاع، ذلك أن اكتفاء



الشروط التقيدية في عقد الترخيص ————— ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

المشرع الجزائري بالنص على بطلانها عند ورودها في عقد الترخيص في قوانين الملكية الصناعية، لا يعد كافيا على الرغم من منحه للقاضي السلطة التقديرية للنظر في مدى تقييدها.

ثانياً- إعادة صياغة نص المادة 37 من الأمر 03-07 المتعلق ببراءة الاختراع، ونص المادة 30 من الأمر 03-08 المتعلق بحماية التصاميم الشكلية للدوائر المتكاملة، حتى تؤديا الغرض التي صيغتا من أجله، وتحول دون الفهم الخاطئ لما جاء فيهما.

ثالثاً- ضرورة إصدار أمر جديد خاص بالرسوم والنماذج الصناعية يستجيب للتطورات الحاصلة لدى التشريعات المقارنة واتفاقية الرئيس، مع تضمينه مادة تحظر الشروط التقيدية التي قد ترد في عقد الترخيص المتعلق بالرسوم والنماذج الصناعية.

رابعاً - يجب على المشرع الجزائري وضع تنظيم قانوني خاص لعقد الترخيص، يتضمن معالجة كل جوانب هذا العقد بما فيها الشروط التقيدية التي قد ترد فيه، عن طريق تحديد صورها على سبيل المثال لا الحصر، مع إمكانية التمييز بين الشروط الباطلة بطلاناً مطلقاً، وتلك التي تكون قابلة للإجازة.

قائمة المراجع

أولاً: باللغة العربية

أ- الكتب

- 1- حسن على كاظم المجمع، الشروط المقيدة في عقد الترخيص، دراسة مقارنة، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2016.
- 2- رشيد ساسان، عقد التوزيع بترخيص استعمال العالمة، عقد الفرانشيز محاولة للتأصيل، دار النهضة العربية، القاهرة، 2013.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد التور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

3- سائد أحمد الخولي، الملكية الصناعية في الفقه والقانون المعاصر، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2012.

4- سامي معمر شامة، الترخيص باستغلال براءة الاختراع، دراسة تحليلية في ظل التشريع الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.

5- عادل صفت عبد الرحمن، الآثار القانونية لعقود الفرنسيز على حقوق الملكية الصناعية والمنافسة الحرة، المركز القومي للإصدارات القانونية، الطبعة الأولى، القاهرة، 2018.

6- عدنان غسان برانبو، التنظيم القانوني للعلامة التجارية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، الطبعة الأولى، 2012.

7- علاء عزيز الجبوري، عقد الترخيص دراسة مقارنة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2011.

8- ميثاق طالب عبد حمادي الجبوري، النظام القانوني لعقد الترخيص باستعمال العلامة التجارية، دار الجامعة الجديد للنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى 2016.

9- نسرين شريقي، حقوق الملكية الفكرية، دار بلقيس، الجزائر، 2014.

10- وليد علي ماهر، عقد الترخيص التجاري، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 2018.

11- ياسر سيد الحديدي، عقد الفرانشائز التجاري في ضوء تشريعات المنافسة ومنع الممارسات الاحتكارية، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، 2012.

ب- المقالات العلمية



- الشروط التقيدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان
- 12- بن أحمد الحاج، التزامات الأطراف وجزاء الإخلال بها في عقود نقل التكنولوجيا على ضوء الأعراف السائدة، المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسية، الجزائر، المجلد 01، العدد 03، 2018.
- 13- حسام سبسي، إبراهيم ملاوي، شروط حظر العقود الاستشارية المقيدة للمنافسة، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البوابي، الجزائر، العدد التاسع، 2018.
- 14- زكرياء غطروف، القواعد الناظمة لعقود التوزيع "عقد الامتياز التجاري نموذجاً"، مجلة الفقه والقانون، المغرب، العدد 08، 2013.
- 15- زينة غانم الصفار، السيد مهند حمد أحمد، الشروط المقيدة لحرية المتنقي في عقود نقل التكنولوجيا، مجلة الرافدين للحقوق، العراق، المجلد 13، العدد 48، 2011.
- 16- سليمان فنقارة، لعيرج بورويس، دراسة تحليلية لآثار عقد الترخيص باستغلال براعة الاتخراج، مجلة الفكر القانوني والسياسي، الجزائر، العدد 03، 2018.
- 17- عبير مزغيش، التعسف في وضعية التبعية الاقتصادية كممارسة مقيدة للمنافسة، مجلة المفكر، الجزائر، المجلد 09، العدد 11، 2014.
- 18- مبروك بلعزام، عقد الترخيص التجاري الدولي، مجلة الاجتهد القضائي، الجزائر، العدد 17، 2018.
- 19- محمد دمانة، مريم الحاسي، تبرير الاتفاقيات المقيدة للمنافسة وفقا للأمر 03-03 المتعلق بالمنافسة، مجلة الدراسات القانونية والسياسية، الجزائر، العدد 02، 2015.
- 20- محمد سعد العرمان، الاتفاقيات والعقود الضارة بالمنافسة الحرة ومنع الممارسات الاحتكارية وفقا للتشريع الإماراتي، دفاتر السياسة والقانون، الجزائر، العدد 15، 2016.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

- 21- مسلم الطاهر، محاربة الاحتكار في الفرانشيز بين الشريعة والقانون، المجلة الأكاديمية للبحث القانوني، الجزائر، المجلد 11، العدد 01، 2020.
- 22- وافية بوعش، عن اختلال التوازن العقدي في عقد ترخيص استغلال العالمة التجارية، مجلة أبحاث قانونية وسياسية، الجزائر، العدد 06، 2018.

ج- الرسائل العلمية

- 23- الزهرة رزاقية، تأثير قانون المنافسة على حقوق الملكية الفكرية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في قانون الأعمال، جامعة 08 ماي 1945 قالمة، 2015-2016.
- 24- حميد سلطاني، العقد الدولي لنقل التكنولوجيا دراسة في الآليات القانونية لحماية ونقل المعرفة الفنية الصناعية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون الخاص، جامعة الجزائر 01 بن يوسف بن خدة، 2016-2017.
- 25- زوينة بن زيدان، عقود التوزيع في إطار قانون المنافسة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في القانون الخاص، جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، 2016-2017.
- 26- سوزان غاري مصطفى، فض منازعات عقود توريد نقل التكنولوجيا عن طريق التحكيم، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في القانون، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، 2009.
- 27- كريم مريم، النظام القانوني لعقد الترخيص الصناعي، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القانون الخاص، جامعة قسنطينة 01، 2012-2013.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

-28- مبروك بلعزم، عقد الترخيص التجاري، دراسة مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون، جامعة الجزائر 01 بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2015-2016.

-29- نبيل ناصري، المركز القانوني ب مجلس المنافسة بين الأمر رقم 95-06 والأمر 03-03، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون الخاص فرع قانون الأعمال، جامعة مولود معمر تizi وزو، 2003-2004.

-30- هشام عوض سالم الطراونة، الشروط المقيدة للمنافسة في تراخيص العلامات التجارية المتعلقة بنقل التكنولوجيا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في القانون، جامعة آل البيت، الأردن، 2010.

د- النصوص القانونية

-31- الأمر 86-66، المؤرخ في 28 أبريل 1966، المتعلق بالرسوم والنماذج، ج ر، عدد 35، الصادرة في 03 مايو 1966.

-32- الأمر رقم 58/75، المؤرخ في 26 سبتمبر 1975، المتضمن القانون المدني الجزائري المعدل والمتمم بالقانون رقم 05-07، المؤرخ في 13 مايو 2007، ج ر، عدد 31، الصادرة في 13 مايو 2007.

-33- المرسوم التشريعي 93-17، المؤرخ في 07 ديسمبر 1993، المتعلق بحماية الاختيارات، ج ر، عدد 81، الصادرة في 08 ديسمبر 1993.

-34- القانون رقم 17/99، المتضمن قانون التجارة المصري، ج ر، عدد 19، الصادرة في 17 مايو 1999.



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ————— ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

35- القانون رقم 15 المتعلق بقانون المنافسة غير المشروعة والأسرار التجارية
الأردن، 2000.

36- الأمر 03-03، المؤرخ في 19 يوليو 2003، المتعلق بالمنافسة، ج ر، عدد 43،
الصادرة في 20 يوليو 2003.

37- الأمر 03-06، المؤرخ في 19 يوليو 2003، المتعلق بالعلامات، ج ر، عدد 44،
الصادرة في 23 يوليو 2003.

38- الأمر 03-07، المؤرخ في 23 يوليو 2003، المتعلق ببراءات الاختراع، ج ر،
عدد 44، الصادرة في 25 يوليو 2003.

39- الأمر 03-08 المؤرخ في 19 يوليو 2003، المتعلق بحماية التصاميم الشكلية
للدوائر المتكاملة، ج ر، عدد 44، الصادرة في 23 يوليو 2003.

40- القانون 03-05، المتعلق بقانون حماية المنافسة ومنع الممارسات الاحتكارية
المصري، ج ر، عدد 06 مكرر، الصادرة في 15 فبراير 2005.

41- المرسوم التنفيذي 05-175، المؤرخ في 12 مايو 2005، المحدد لكيفيات
الحصول على التصريح بعدم التدخل بخصوص الاتفاques ووضعية الهيمنة على السوق،
ج.ر، عدد 35، الصادرة في 18 مايو 2005.

42- القانون 02-17، المؤرخ في 10 يناير 2017، المتضمن القانون التوجيهي
لتطوير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، ج.ر، عدد 02، الصادرة في 11 يناير 2017.

٥- الاتفاقيات الدولية

43- اتفاقية الجوانب المتصلة بحقوق الملكية الفكرية "الرئيس" 1994.

ثانياً- باللغة الفرنسية



الشروط التقييدية في عقد الترخيص ----- ط. عبد النور بوناح وأ.د. رشيد ساسان

I- ouvrages

44- Albert Chavanne-Jean jacques burst, Droit de la propriété industrielle, Edition Dalloz, 5 édition, 1998.

45- Daniel Mainguy Jean- Louis Depincé, Droit de la concurrence, Lexis Nexis, Paris, 2010

46- Jean- Bernard Bblaise, Droit des affaires commercans concurrence distribution, édition Delta, Beyrouth, 1999.

47- Jean- jacques burst et Robert kover, Droit de la concurrence , economica , paris , 1981.

48- Jean-marie leloup , la franchise Droit et pratique , 4 édition , delmas , 2004.

49- Joanna Schmidt- szalewski, Droit de la propriété industrielle, Editions Dalloz,7 édition, paris, 2009.

50- Giovanna Modiano, le contrat de licence de brevet, librairie Droz, Genève, 1979.

II- Thèses

51- Quoc chien Ngo ,le contrat de franchise étude comparative droit français et droit vietnamien ,thèse pour obtenir le doctorat en droit ,université Francois- Reblais ,école doctorale science de l'homme et de la société, 2012.

III- Articles

52- Rachid Zouaimia, Lé L'exemption des pratiques restrictives de concurrence en droit algérien, Revue Académique de la Recherche Juridique , Numéro 01, 2019.

IV- Lois

53- Code francais de commerce.

54- Réglement n: 2790/1999 CEE de la commission du 22 Décembre 1999, concernant l application de l article 81, paragraphe 3, du traité à des catégories d'accords verticaux et de pratiques concertées.



الأمن البشري في القانون الدولي العام Human security in public international law

د. حدة بوحالفث

boukhalfahadda@yahoo.fr

جامعة العربي بن مهيدى أم البوادي

تاريخ القبول: 2020/12/22

تاريخ الإرسال: 2020/01/07

الملخص:

من الأولويات الأساسية لاستقرار البشرية هو تحقيق الأمن والطمأنينة للفرد، وهو حق مشروع تعمل الدول على النص عليه في أغلب المواقيع المتعلقة بحقوق الإنسان. ولأنّ الأمن القومي يعمل على تحقيق سيادة الدولة على أراضيها، فقد ظهر إلى جانبه الأمن البشري كمفهوم جديد يهتم بالفرد ، وما قد يتعرض له من مخاطر، كالفقر والتلوث البيئي والتدحرج الصحي وغيرها، وذلك نتيجة للتهديدات التي أفرزها واقع العلاقات الدولية بين الدول وتشابك مصالحهم. من أجل ذلك سنطرق لأهم جوانب الأمن البشري كشرط أساسى للتنمية البشرية وضمان لاستمراريتها واستدامتها، وكآلية جديدة نفعية لتحقيق حقوق الإنسان .

الكلمات المفتاحية: الأمن البشري (الإنساني)، القانون الدولي العام، الأمن القومي، الاستقرار الاجتماعي، حقوق الإنسان.

Abstract:

One of the basic priorities for the stability of humankind is the achievement of security and tranquility for the individual, and it is a legitimate right that states work to provide for in



الأمن البشري في القانون الدولي العام ----- د. حدة بوخالفة

most topics related to human rights. And because national security works to achieve the sovereignty of the state on its lands, human security has appeared alongside it as a new concept concerned with the individual, and what risks he might be exposed to, such as poverty, environmental pollution, health deterioration, and others, as a result of the threats that the reality of international relations between countries and the intertwining of their interests have brought about. For that we will address the most important aspects of human security as an essential condition for human development and a guarantee of its continuity and sustainability, and as a new mechanism expediency to achieve human rights.

Keywords: human security, international public law, national security, social stability, human rights.

المقدمة:

أدت التحولات التي شهدتها البيئة الأمنية الدولية غير الملائمة إلى اهتمام المجتمع الدولي بفكرة واحدة وهي حماية الفرد، خاصة بعد تحول مفهوم الصراعات، من الصراعات خارج الدول إلى صراعات داخل الدولة الواحدة، بالإضافة إلى العولمة وما فرضته على البشرية من تطورات وافتتاح بين الدول وإلغاء للحدود وانعدام الرقابة، الذي وسع من دائرة الأخطار التي تحدد حقوق الأفراد .

كل هذه العوامل والمخاطر التي تحدد الأفراد داخل الدول، أدت إلى الكشف عن عدم ملائمة مفهوم الأمن التقليدي للتصدى لها بفعالية، وظهور مفهوم جديد للأمن وهو الأمن البشري، الذي يعني بتحقيق أمن الأفراد وذلك بتوفير جميع الظروف الملائمة لعيشها من صحة وغذاء وبيئة سليمة وغيرها، والأهم شعوره بالأمن .



الأمن البشري في القانون الدولي العام

إن أهمية هذا الطرح الجديد للمفهوم الأمني للأفراد هو جعل الأمن البشري ليس وظيفة داخلية للدول فقط وإنما جعله ضمن الجهود التي يحاول التنظيم الدولي تأثيرها بشكل قانوني، وضبط أبعاد مفهومه، وتحقيق مستلزمات وضرورات حياة الفرد وبقائه . من أجل ذلك تكون إشكالية هذه الدراسة بالشكل التالي: فيما يتمثل مفهوم الأمن البشري كفكرة جديدة ومتطرفة لأساليب حماية حقوق الفرد التي يعمل التنظيم الدولي على تكريسها ونشرها؟.

لإجابة على هذا التساؤل، قسمنا هذه الدراسة إلى مباحثين بالشكل التالي:

المبحث الأول: التأصيل المفاهيمي للأمن البشري

المطلب الأول: مفهوم الأمن البشري

المطلب الثاني: ظروف ظهور مفهوم الأمن البشري

المبحث الثاني: الهيئات الدولية الناشطة في الأمن البشري

المطلب الأول: لجنة الأمن البشري

المطلب الثاني: الهيئات التابعة لجامعة الأمم المتحدة في مجال الأمن البشري

المبحث الأول: التأصيل المفاهيمي للأمن البشري

لقد ظهرت على الساحة الدولية الكثير من المفاهيم الجديدة والتي تترجم التحولات المختلفة في العلاقات الدولية بين الدول، والمتغيرات القانونية التي تبين مركز الفرد ليس في دولته فحسب وإنما في المجتمع الدولي أيضاً، ومن بين المصطلحات الجديدة، التنمية المستدامة، التدخل الدولي البشري، العولمة، والأمن البشري ، وهذا الأخير يعد أحد المفاهيم المؤثرة في بنية النظام الدولي، وعلى هذا الأساس ستطرق لمفهوم الأمن



الأمن البشري في القانون الدولي العام

البشري في مطلبين، المطلب الأول: مفهوم الأمن البشري، المطلب الثاني: ظروف ظهور مفهوم الأمن البشري .

المطلب الأول: مفهوم الأمن البشري

لقد ظهرت في الآونة الأخيرة أنماط كثيرة لمفهوم الأمن، وذلك نظرا للتداعيات الأمنية خاصة على المستوى الداخلي للدول، ويعتبر الأمن البشري أحد هذه المفاهيم التي أريد بها تحقيق الأهداف البشرية بعيدا عن الاعتبارات السياسية والأمنية التي تحمي الدول دون الفرد، من أجل ذلك قسمنا هذا المطلب إلى، الفرع الأول: تعريف الأمن البشري، الفرع الثاني: الأمن البشري وبعض مفاهيم القانون الدولي الأخرى .

الفرع الأول: تعريف الأمن البشري

ظهر مفهوم الأمن البشري من خلال تقرير التنمية البشرية لعام 1994 م الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي "UNDP" ، من طرف "محبوب الحق" وزير المالية الباكستاني السابق والخبير الاقتصادي، والذي أكد أن محور الأمن يجب أن يتنتقل إلى ضمان أمن الأفراد من مخاطر متنوعة على رأسها الأمراض والإرهاب والفقر والمخدرات ووجود نظام عالمي غير عادل، وذلك عن طريق تحقيق التنمية وإصلاح المؤسسات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة والمنظمات الاقتصادية العالمية، كصناديق النقد الدولي والبنك الدولي للتعهيد والتعمير والتنمية، وذلك عبر شراكة حقيقة بين دول العالم¹ .

في محاولة منه لتعريف الأمن البشري جاء في هذا التقرير: "الأمن البشري يعني أولا: السلامة من التهديدات المزمنة مثل الجوع والمرض والقمع، ثانيا: يعني الحماية من

¹ - خولة محى الدين يوسف، أمل يازحي، "الأمن الإنساني وأبعاده في القانون الدولي العام" ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 28، العدد 2، دمشق، 2012، ص 526 .



الأمن البشري في القانون الدولي العام

الاضطرابات المفاجئة والمؤلمة في أنماط الحياة اليومية، في المنازل أو في الوظائف أو المجتمعات¹.

يستشف من هذا المفهوم، تركيز التقرير على حماية الأفراد وليس تأمين الدول، من التهديدات التي تحول دون تمعنهم بأمن اقتصادي وصحي وغذائي وبيئي جيد، يؤمّن لهم الاستقرار الاجتماعي.

في تعريف آخر للأمن البشري بأنه حالة شاملة يكون الأفراد فيها يعيشون في سلم وتحرر من الأخطار، ويشاركون بشكل فعال في تسيير شؤونهم العامة، كما يتمتعون بحقوقهم ويستفيدون من مواردهم الأساسية ويعيشون في بيئة صحية تحقق لهم الرفاهية، فأمن الأفراد وأمن الدولة، يمد الواحد فيهما الآخر بشكل مترابط².

تعرف لجنة الأمن البشري بأنه: "حماية الجوهر الحيوي لحياة جميع البشر بطرق تعزز حريات الإنسان وتحقيق الإنسان لذاته".³

أما اللجنة الدولية المعنية بالتدخل وسيادة الدول فتعرف الأمن البشري بأنه: "أمن الناس، أي سلامتهم البدنية ورفاهيتهم الاقتصادية والاجتماعية،�احترام كرامتهم وقدرهم كبشر، وحماية حقوق الإنسان المملوكة لهم وحرياتهم الأساسية".¹

¹ - تقرير التنمية البشرية لعام 1994 م، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي "UNDP" ، متوفّر على الموقع: <https://www.un.org/ar/esa/hdr>

²- Karim Hussein, Donata Gnisci , Julia Wanjiru, SÉCURITÉ ET SÉCURITÉ HUMAINE :PRÉSENTATION DES CONCEPTS ET DES INITIATIVESQUELLES CONSÉQUENCES POUR L'AFRIQUE DE L'OUEST ?,2004,p 17.

³ - تقرير صادر عن لجنة الأمن الإنساني، بعنوان: أمن الإنسان لأن - حماية الناس وعักفهم - "، نيويورك، 2003، ص 4.



الأمن البشري في القانون الدولي العام ----- د. حدة بوخالفة

← ويركز هذا المفهوم على²:

- صون كرامة البشرية وكرامة الإنسان، وتلبية احتياجاته المادية والمعنوية. ويتحقق الأمن البشري من خلال التنمية الاقتصادية المستدامة، والحكم الرشيد، والمساواة الاجتماعية، وسيادة القانون، وانعدام التهديد والخوف بأشكاله .
- تلبية حاجيات الإنسان المادية والوجدانية، ضمن إطار التنمية بمفهومها الشامل الذي تتدخل فيه الأبعاد البشرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .
- ينطلق مفهوم الأمن البشري من فكرة أن توفير الاحتياجات الأساسية للأفراد هو شرط أساسى للمجتمعات، ودون تحقيقه لن يتحقق الأمن القومى، لأنه يعني التحرر من المعاناة البشرية النابعة من الكوارث الطبيعية التي هي من صنع الإنسان على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية، كما يشمل أيضاً المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية .
- إن الكشف عن انتهاكات حقوق الإنسان عن وجود تهديدات للأمن البشري ولذلك فإنها تستخدم كمؤشرات في أدوات الإنذار المبكر إلى منع التزاعات. بيد أن حقوق الإنسان لها دور أيضاً في معالجة التزاعات، وتحويلها وبناء السلام في مرحلة ما

¹ - تقرير صادر عن اللجنة الدولية المعنية بالتدخل وسيادة الدول، بعنوان: مسؤولية الحماية، 2001، متوفّر على الموقع: <https://tolerance.tavaana.org/ar/content>.

² - محمود شاكر سعيد، خالد بن عبد العزيز الحرفش، مفاهيم أمنية، الطبعة الأولى، الرياض، 2010، ص 11.



الأمن البشري في القانون الدولي العام

بعد انتهائهما . ويشكل تعليم حقوق الإنسان، عن طريق المعارف وبناء المهارات وتشكيل المواقف والاتجاهات، الأساس الذي يرتكز عليه ثقافة حقيقة لمنع التزاعات¹.

ما سبق يمكن القول: إن تحليل مفهوم الأمن البشري يظهر أنه ينطوي على عاملين، أوهما العامل الأمني، إذ يسعى لتوفير الأمن الذي يطال أبعاداً متعددة، متداخلة ومتكاملة فيما بينها، أما ثانيهما فهو العامل البشري الذي يجعل من الإنسان كفرد وحدة التحليل الأساسية في أي دراسة للسياسات الأمنية، لذلك فإن التعبير عن هذا المفهوم بصطلاح أمن الإنسان أو الأمن الإنساني أو البشري ليسقصد منه مجرد إضفاء طابع إنساني على مفهوم الأمن، بل تتمحور عملية تحقيق الأمن حول الفرد، وإن مفهوم الأمن البشري يذكر من هذه الناحية بأفكار المذهب الفردي، الذي يقوم على تمجيد الفرد وعده محور النظام السياسي، وهو ما قامت عليه الثورة الفرنسية وإعلان حقوق الإنسان والمواطن الصادر عام 1789 .

كما أن الأمن البشري مختلف مضمونه عن الأفكار التي حملها هذا المذهب خاصة فيما يتعلق بدور الدولة، فالمذهب الفردي يحدد هذا الدور في أضيق الحدود لصالح الحريات والحقوق الفردية، ولا يتتيح للدول التدخل لتعديل النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي يجعل منه حكراً على الأفراد، أما مفهوم الأمن البشري فيلقي أعباء مختلفة على كاهل الدولة، على الصعيدين الوطني والدولي، سواء من أجل تحقيق أبعاد هذا المفهوم أم من حيث إعمال الأليات الازمة لتحقيقه² .

← مجالات الأمن البشري:

¹ - شفيق عبد الرزاق السامرائي، حقوق الإنسان في الواثيق والاتفاقيات الدولية، دار المعتر للنشر والتوزيع، الأردن، 2015، ص 28.

² - خولة محى الدين يوسف، أمال يازجي، المرجع السابق، ص - ص 531-532 .



الأمن البشري في القانون الدولي العام ----- د. حدة بوخالفة

عرض تقرير الأمم المتحدة لعام 1994، سبعة أبعاد للأمن البشري وهي:

- **الأمن الاقتصادي:** يتحقق من خلال تأمين فرص عمل للأفراد تؤمن لهم دخلاً أساسياً، وهو عبارة عن التدابير والحماية والضمان التي تؤهل الإنسان للحصول على احتياجاته الأساسية من المأكل والمسكن والملبس، والعلاج خاصة في الظروف التي يواجها كارثة طبيعية، أو ضائقة اقتصادية وضمان الحد الأدنى لمستوى المعيشة، ولهذه التدابير الاقتصادية هي التي تصب في النهاية في خلق الأمان الاقتصادي للناس، الذي ينطوي على بعد نفسي للإنسان فضلاً عن البعد المادي الذي يوفره الأمن الاقتصادي.¹

- **الأمن البيئي:** يتضمن حماية البيئة والتصدي للمخاطر البيئية بجميع أشكالها، والتي يعاني منها الإنسان، وذلك باتخاذ الإجراءات والتدابير الالزامية لحفظ الموارد البيئية وتفعيل الاستفادة منها.

- **الأمن الاجتماعي:** يتمثل في تأمين الحماية من الأمراض وضمان نظام رعاية صحية فعال، كما يهدف إلى مواجهة التهديدات التي تهدد الحياة الاجتماعية والثقافية والغذائية للمجتمع.

- **الأمن السياسي:** الذي يضمن للبشر العيش في كنف مجتمع يضمن ويرقي حقوق الإنسان.

- **الأمن الشخصي:** والذي يعني حماية الإنسان من العنف المادي من طرف الدولة، الدول والфowاعل الدولية.

- **الأمن الغذائي:** أي ضمان الحد الأدنى من الإيذاء للفرد.

¹ - مصنوعة أحمد، بركتو نصيرة، "الأمن الاقتصادي العربي الواقع والتحديات"، مجلة الريادة لاقتصاديات الأعمال، المجلد 02، العدد 03، الشلف، 2016، ص 71 .



الأمن البشري في القانون الدولي العام

- **الأمن الصحي:** أي ضمان الحد الأدنى من الحماية والرعاية الصحية من الأمراض والوقاية منها¹، وتوفير الأدوية والمراجعات الطبية الازمة.

◀ لقد حدد التقرير السابق ذكره أربع خصائص أساسية للأمن البشري تمثل في:

أولاً: أن الأمن البشري عالمي وشامل، فهو حق للإنسان في كل مكان .

ثانياً: أن مكونات الأمن البشري متكاملة يتوقف كل منها على الآخر .

ثالثاً: الأمن البشري يمكن التتحقق من خلال الوقاية المبكرة، وهي أسهل من التدخل اللاحق .

رابعاً: أن الإنسان هو محور الأمن البشري الذي يتعلق بنوعية حياة البشر في كل مكان² .

◀ ما جاء نخالص إلى أن الأمن البشري يتمثل في توفير سبل الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والصحية والبيئية للفرد، حتى يتمتع بحقوقه في الحياة وصون كرامته وعدم تعرضه للأذية، وضمان إبعاده عن كل ما يعيق ذلك .

نعرفه أيضاً بأنه توفير الحماية الضرورية للأفراد بوضع الأساليب والسبل الازمة لذلك، وتدعيم الحالات السياسية والاجتماعية والبيئية والاقتصادية والثقافية والعسكرية التي تشكل اللبنة الأساسية لبقاء الفرد وعيشة بكرامة .

كما يمكن تعريفه بأنه تعزيز مركز الفرد في القانون الدولي وذلك بالتركيز على أنه داخل الدول وعبر الحدود، بدلاً من التركيز على أنه الحدود وحدها .

¹ - سالم حميد، الأمن القومي الإماراتي والخلجي والجزر الإماراتية المحتلة، الطبعة الأولى، مركز المزماة للدراسات والبحوث، الإمارات العربية المتحدة، 2014، ص 14 .

² - تقرير التنمية البشرية لعام 1994 م .

د. حدة بو خالفة ----- الأمن البشري في القانون الدولي العام

الفرع الثاني: الأمن البشري وبعض مفاهيم القانون الدولي الأخرى

لقد ارتأينا التطرق لهذه الجزئية وذلك لتحديد نوع التقارب المفاهيمي بين مصطلح الأمن البشري وبعض مصطلحات القانون الدولي الأخرى، وتحديد التداخل والتقارب بينها إن وجد، وذلك على النحو التالي .

أولاً: الأمن البشري وحقوق الإنسان

يشكل الإنسان الركيزة الأساسية التي تجمع بين مصطلحي الأمن البشري وحقوق الإنسان، خاصة في الأبحاث السياسية والأمنية والاستراتيجية، كما يشكل حقوق الإنسان في الأمن أحد الحقوق التي تعنى بها منظمات حقوق الإنسان والباحثين في هذا المجال. وفي الآونة الأخيرة ظهر مفهوم أمن الفرد بعد الانتهاكات المتنوعة لحقوق الإنسان تتمثل خاصة في إهانة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية نتيجة لممارسات الدول ضد الأفراد في إهمال شؤونهم وعدم تلبية حاجياتهم، وهو ما يثير قضايا خاصة بأمن الفرد داخل الدول.

معنى أمن الإنسان هو إيجاد الحلول للمشكلات الدول البيئية والصحية والسياسية والاقتصادية، والتي تشكل قضايا تجمع بين جميع دول العالم، تحدد استقرارها وبقاء البشرية.

توجد عدّة روابط بين حقوق الإنسان والأمن البشري، فالآمن الذي يتخذ صورة الأمان الشخصي (مثل الحماية من الحبس التعسفي)، والأمن الاجتماعي (توفير الاحتياجات الأساسية من تأمين الغذاء)، والأمن الدولي (الحق في العيش في ظل نظام دولي أمن) تتفق جميعها مع حقوق الإنسان الراهنة، فالسياسات الأمنية يجب دمجها على نحو أوّيق في الاستراتيجيات الرامية إلى تعزيز حقوق الإنسان والديموقراطية والتنمية،



الأمن البشري في القانون الدولي العام ----- د. حدة بوخالفة

وحقوق الإنسان والقانون البشري وقانون اللاجئين، توفر الإطار المعياري الذي يرتكز عليه النهج الخص بالأمن البشري¹.

بذلك يمكن القول أن تكريس حقوق الإنسان لا يتم إلا بإدخال الأمن البشري إلى جانب أمن الدول أو كما يسمى الأمن القومي، عن طريق إنشاء مؤسسات أمنية توفر الأبعاد الأمنية للفرد داخل الدول، وتحقق رفاهيته وحياته من خلال الاعتناء بجميع الحقوق التي يتطلبهـا .

ثانياً: الأمن البشري ومفاهيم الأمن

يحتل مفهوم الأمن أهمية خاصة في عالم السياسة نظراً لتطبيقاته وإسقاطاته في أكثر من مستوى باعتباره هدفاً بحد ذاته تسعى إليه الدول والجماعات والأفراد كل وفق تحديده للقيم المهددة الداخلية في تعريفه للأمن الخاص به، والتي تتراوح بين وحدة وسلامة الأرض الوطنية على مستوى الدول وصولاً إلى الحريات والرفاه على المستوى الفردي مروراً بالهوية المجتمعية على مستوى الجماعات، فعندما تكون الدول الأخرى هي مصدر التهديد الذي ينال من الاستقلال ووحدة الأرض الوطنية تكون السلطة والمجتمع والجماعات الأخرى هي من تناول من الرفاه والسلم الأهلي والهوية المجموعاتية².

عرف الأمن بأنه مفهوم مزدوج، لا يعني فقط وسيلة للتحرر من الخطر، ولكن يعني أيضاً وسيلة للحد من نطاق انتشاره، وبما أن الأمن أو جده الخوف، فالأمن مفهوم

¹ - شفيق السامرائي، المرجع السابق، ص 28 .

² - سالم حميد، المرجع السابق، ص 12 .



الأمن البشري في القانون الدولي العام

غامض يتضمن في الوقت ذاته الأمان واللأمن، وهو ما عبر عنه الفقيه ديلون بـ:

¹. insecurity

لا يقف مفهوم الأمن بالمعنى الحديث على الأمان الكلاسيكي للدول والحدود، بل بدأت المقاربـات الحديثـة تدرج الإنسان في قلب معادلات الأمان، وقد بـرـز مفهـوم الأمـن البـشـري في النـصف الثـانـي من التـسـعينـات من القرـن العـشـرين كـتـاج لـجـمـوعـة التـحـولـات التي شـهدـها فـترة ما بـعـد الحـرب الـبارـدة فيما يـتعلـق بـطـبـيعـة مـفـهـوم الأمـن، وـنـطـاق درـاسـات الأمـن، إذ أثـبـتـت خـبرـة الحـرب الـبارـدة أنـ المنـظـور السـائـد لـلـأـمـن، لمـ يـعدـ كـافـيا لـلـتـعـاملـ مع طـبـيعـة القـضاـيا الأمـنـية ومـصـادـر التـهـيدـ فـترة ما بـعـد الحـرب الـبارـدة، وـالـحـاجـة المـاسـة لـتوـسيـع منـظـورـ الأمـن ليـعـكـسـ طـبـيعـة مـصـادـر التـهـيدـ فـترة ما بـعـد الحـرب الـبارـدة.².

أما الأمـنـ القـومـيـ، فالـأـمـنـ البـشـريـ يـعدـ أحـدـ الأـبعـادـ الأـسـاسـيـ لهـ، حيثـ يـرـكـرـ مـفـهـومـ الأمـنـ البـشـريـ عـلـىـ الإـنـسـانـ (ـالـفـردـ)، وـلـيـسـ عـلـىـ الدـوـلـةـ كـوـحـدـةـ لـتـحـلـيلـ ذـلـكـ أنـ أيـ سـيـاسـةـ أـمـنـيةـ يـجـبـ أنـ تـهـدـيـ اـسـاسـاـ إـلـىـ تـحـقـيقـ أـمـنـ الفـردـ بـجـانـبـ أـمـنـ الدـوـلـةـ وـالـمـجـتمـعـ، إذـ قـدـ تـكـوـنـ الدـوـلـةـ أـمـنـةـ فـيـ وـقـتـ يـتـنـاقـصـ فـيـهـ أـمـنـ مـوـاطـنـيـهـاـ. بلـ إـنـهـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ تكونـ الدـوـلـةـ مـصـدـراـ مـنـ مـصـادـرـ تـهـيـيدـ أـمـنـ مـوـاطـنـيـهـاـ، وـلـذـلـكـ يـجـبـ عـدـمـ الفـصـلـ بـيـنـ أـمـنـ الفـردـ وـأـمـنـ الدـوـلـةـ.³.

ثالثاً: الأمـنـ البـشـريـ وـالـتـدـخـلـ البـشـريـ

¹- عبد النور بن عتـرـ، الـبـعـدـ الـمـتوـسـطـيـ لـلـأـمـنـ الـجـزاـئـيـ، الـكـتـبـةـ الـعـصـرـيـةـ لـلـطـبـاعـةـ وـالـنـشـرـ وـالـتـوزـيعـ، الـجـزاـئـرـ، 2005، صـ 14.

²- سـالمـ حـمـيدـ، الـمـرـجـعـ السـابـقـ، صـ 13.

³- عليـ لـيـلةـ، الـأـمـنـ الـقـومـيـ الـعـرـبـيـ فـيـ عـصـرـ الـعـولـةـ -ـ اـخـتـرـاقـ الـنـفـاـقـةـ وـتـبـيـدـ الـهـوـيـةـ -ـ، مـكـتـبـةـ الـأـنـجـلوـمـيـرـيـةـ، مصرـ، 2012ـ، صـ 97ـ.



الأمن البشري في القانون الدولي العام

إن التدخل البشري ليس بالظاهرة الحديثة في العلاقات الدولية، حيث ترجع نشأته إلى زمن نشأة القانون الدولي، ويرى باكستر "Baxter" أن المقصود بالتدخل البشري، هو كل استخدام للقوة من طرف دولة ضد دولة أخرى، بغرض حماية رعايا هذه الأخيرة مما يتعرضون له من موت أو أحاطار جسيمة، وقد يستهدف التدخل حماية رعايا الدولة المتدخلة، عن طريق ترحيلهم من الدولة التي يهددهم بها خطر الموت¹، ويرى بعض الفقهاء أن ربط الحفاظ على السلم والأمن الدوليين، باحترام حقوق الإنسان، وأن أي تدخل إنساني يرمي إلى استعادة حقوق الإنسان المنتهكة والمسلوبة فهو مباح².

فالتدخل البشري يتمثل في الحالة التي لا تستطيع فيها الدولة توفير الحماية الالزمة لأفرادها، فقد تفقد الدولة إمكاناتها في القيام بوظائفها الأساسية توفير الأمن البشري وتتحول أعمالها ضد مواطنها، وبذلك يستلزم حماية حقوق الأفراد المنتهكة عن طريق ما يسمى بالتدخل البشري .

إلا أن علاقة مفهوم التدخل البشري بالأمن البشري تثير إشكالية مفادها، أن التدخل الدولي البشري وإن كان محکوم باعتبارات إنسانية بالأساس تسعى لوقف الانتهاكات الشديدة لحقوق الأفراد الأساسية وهو ما يصب في تحقيق الأمان البشري، إلا أن الممارسة الفعلية للمفهوم في فترة ما بعد الحرب الباردة أثبتت أن التدخل الدولي البشري أصبح الان محکوم باعتبارات سياسية واقتصادية واستراتيجية، وبذلك فقد

¹ - حسام أحمد محمد هنداوي، التدخل الإنساني – دراسة فقهية وتطبيقية في ضوء قواعد القانون الدولي –، دار النهضة العربية، القاهرة، 1997، ص 43.

² - نفس المرجع، ص 61.



الأمن البشري في القانون الدولي العام

أضحى مفهوم الأمن البشري يمثل عنصراً مهماً في سياق الجدل حول فكرة التدخل البشري¹.

إلا أن الباحثة ترى وجود اختلاف بين التدخل البشري، الذي تلجأ له الدول والمنظمات الدولية في حالة وقوع انتهاكات خطيرة لحقوق البشرية تتعلق باستخدام العنف وغياب الاستقرار الأمني داخل الدولة، أما الأمن البشري فهو أوسع في الاستخدام، حيث يجب أن تعمل على تحقيقه الدول والنظام الدولي لضمان توفير كل احتياجات الأفراد.

المطلب الثاني: ظروف ظهور مفهوم الأمن البشري

على المدى الطويل ربط الدارسين والباحثين ظهور مفهوم الأمن بمتطلبات الأمنية التي تحتاجها الدولة لحماية حدودها، إلا أن ذلك تغير في الآونة الأخيرة بظهور مفهوم جديد يراعي الاعتبارات الاجتماعية الوطنية والدولية لحماية الفرد، ووضع جوانب التفرقة بين أمن الفرد وأمن الدولة، وسنحاول في هذا المطلب التطرق لأهم ظروف ظهور مفهوم الأمن البشري وذلك بتقسيمه إلى فرعين، الفرع الأول: أسباب ظهور مفهوم الأمن البشري، الفرع الثاني: الآراء حول ظهور مفهوم الأمن البشري.

الفرع الأول: أسباب ظهور مفهوم الأمن البشري

◀ يرجع انعدام الأمن إلى الاستقطاب الاقتصادي المتزايد والزائد عن الحد، بين الشمال والجنوب وضمن كل منهما، وظهور أمراض جديدة وانبعاث أمراض قديمة، وتتحول طبيعة الصراعات من صراعات بين الدول إلى صراعات داخل الدولة، وتحول الأسلحة الأساسية المستخدمة في هذه الصراعات، من أسلحة للدمار الشامل إلى أسلحة

¹ - عماد جاد، التدخل الدولي – بين الاعتبارات الإنسانية والأبعاد السياسية –، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2000، ص 106.



الأمن البشري في القانون الدولي العام

صغيرة، وسقوط المدنيين بدل من العسكريين، إضافة إلى التحولات البيئية الجديدة كارتفاع درجة الحرارة في العالم، مما مكن أن تكون له أثار صحية وسياسية جغرافية . فالآثار المستمرة لهذه العوامل (حقائق ما بعد الحرب الباردة، والعولمة، وتغير مفهوم الأمن، إضافة إلى ظهور أمراض جديدة وأشكال جديدة من العنف) على الاستقرار والتنمية البشرية في جميع أنحاء العالم، لا سيما في البلدان الأقل تقدماً من الناحية الاقتصادية، قد استلزمت الاهتمام الجاد بمفهوم الأمن البشري¹ .

← تعتبر العولمة بأبعادها المتعددة وثورة تكنولوجيا الاتصالات، وأثارها على البشرية من أهم العوامل في ظهور مفهوم الأمن البشري وتطوره، فالعولمة تمثل في مجموعة من الحركات المتشابكة والمترابطة الداخلية في تشكيل حقوق الإنسان والأنظمة السياسية للدول، فهي تمس كل المفاهيم المتعلقة بحماية الحدود والوحدة الترابية وسيادة الدولة ومصالحها الوطنية والحيوية، وتفعيل وظائفها المرتبطة بحماية حقوق الإنسان وحربياً لهم وترقيتهم بشكل يضمن صون كرامتهم ورفاهية مستقبلهم .

فالتسهيلات التي تتحققها العولمة في الجانب الاقتصادي والاستهلاكي والتجاري، وكذا سرعة تنقل الخدمات وتبادل السلع، وما يصاحبه من تجاوزات ومخالفات قد تحرض الأفراد لمختلف الأخطار، مما قد يقابلها تلاشي معنى السيادة وتحديد الحدود، وإمكانية تحقيق الأمن للأفراد الذي تعمل الدول على تكريسه بمؤسساتها، كما أن اختلاف مستوى المعيشة بين دول العالم وما تصدره العولمة من تطور قد يؤدي إلى خلق مستوى غير متكافئ بين دول العالم خاصة المقيرة منها، وهو ما يهدد تحقيق الأمن

¹ - تقرير صادر عن اللجنة الإقليمية لشرق المتوسط، الصحة والأمن الإنساني، الدورة 49، أوت 2002، ص 1.



الأمن البشري في القانون الدولي العام

الاقتصادي والاجتماعي للأفراد، وهما عنصران يدخلان في تشكيل مفهوم الأمن البشري.

تتمثل التهديدات الناجمة عن العولمة وفقا للتقرير المذكور بما يأتي:

- **عدم الاستقرار المالي:** مثال ذلك الأزمة المالية في جنوب شرق آسيا عام 1997، إذ أكد التقرير على أنه في عصر العولمة والتدفق السريع للسلع والخدمات ورأس المال فإن أزمات مالية عديدة يتوقع حدوثها.

- **غياب الأمن الوظيفي وعدم استقرار الدخل:** إذ دفعت سياسة المنافسة العالمية بالحكومات وأصحاب العمل إلى إتباع سياسات تتسم بغياب الضمانات الوظيفية.

- **غياب الأمن الصحي:** فسهولة الحركة والانتقال حمل معه انتقال الأمراض .

- **غياب الامن الشخصي:** وتمثل بانتشار الجريمة المنظمة التي دخلت التكنولوجيا في تنفيذها.

- **غياب الأمن السياسي والاجتماعي:** فسهولة انتقال السلاح عبر الحدود أضفى تعقيدا وخطورة شديدين وانتشرت شركات الأسلحة واتسع نطاق عملها¹.

الفرع الثاني: الآراء حول ظهور مفهوم الأمن البشري

لقد عملت اليابان وكندا على بذل مجهودات في دعم مفهوم الأمن البشري على الصعيد الدولي: فقد وسعت اليابان نطاق تركيز أعمالها على الأمن البشري، استنادا إلى تفسيري يشبه بعض الشيء تفسير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وقد وصف الموقف

¹ - عبد الحكيم الشرجي، "أوراق مختارة"، المؤتمر الدولي للأمن الإنساني في الدول العربية، عمان - الأردن، 2005، ص 43 .



الأمن البشري في القانون الدولي العام ----- د. حدة بوخالفة

الياباني على النحو التالي: فقد أكدت اليابان على "الأمن البشري" من منظور تقوية الجهود الرامية إلى مواجهة الانهيار التي تهدد أرواح البشر، وأرزاقهم وكرامتهم كالفقر وتدهور البيئة، والمخدرات المحظورة، والجرائم العالمية المنظمة، والأمراض المعدية مثل مرض الأيدز والعدوى بغيرها، وتدفق الأعداد الكبيرة من اللاجئين، والإلام الأرضية المضادة للأشخاص، وقد قامت بعدد من المبادرات في هذا السياق¹.

أما الرؤية الكندية فركزت على فكرة التحرر من الخوف والحد من استخدام القوة والعنف، عن طريق عدد من السبل، كمكافحة انتشار الإلام الأرضية والكف عن تجنيد الأطفال وتشجيع دور القانون الدولي البشري ومكافحة انتشار الأسلحة الصغيرة والخفيفة وإصلاح القطاعات الأمنية².

يعكس اختلاف الآراء حول مفهوم الأمن البشري، اختلاف الآراء حول ما يتصل به من قضايا السياسة الدولية، فالجانب الشخصي من الأمن البشري مثلاً يرتبط بالقضية التي قد تكون مثيرة للجدل، المتعلقة بالتدخل في شؤون الدول لأسباب إنسانية، ومع ذلك فإن الاختلاف في إدراك مقدار نفع الأمن البشري أو قيمته المضافة يكون له أيضاً دور قوي في التأثير في قرار الأطراف الفاعلة، كالحكومة مثلاً، بالتركيز على جانب معينه من جوانب الأمن البشري³.

فمفهوم الأمن البشري يربطه الكثير من الفقهاء بوظيفة الدولة اتجاه مواطنيها، وهو تحسين الظروف المعيشية لهم وتحقيق الأمن والاستقرار، ومعالجة الانهيار البيئية والتصدي للكوارث بجميع أشكالها، أما البعض الآخر من الفقهاء فينظر للأمن البشري

¹ - تقرير الصحة والأمن الإنساني، ص 3 .

² - خولة محي الدين يوسف، يازجي أمال، المرجع السابق، ص 529.

³ - تقرير الصحة والأمن الإنساني، ص - ص 6 - 7 .



الأمن البشري في القانون الدولي العام ----- د. حدة بوخالفة

بأنه حماية الفرد من كل ما يهدد سلامته جسده وأمنه واستقراره سواء من طرف دولتهم أو ضمن المهمومات المبنولة من طرف المجتمع الدولي الممثلة في المنظمات الدولية في مجالات كثيرة .

المبحث الثاني: الأمن البشري والقانون الدولي

لقد ظهر مفهوم الأمن البشري كأسلوب جديد للتصدي للتهديدات التي فرضها التداخل والتتشابك في العلاقات الدولية، والذي يعيد للفرد شعوره بالأمن والطمأنينة، وهو الرؤى الجديدة التي يحاول القانون الدولي ترسيختها وتطويرها في قوانينه او عن طريق هيئاته، وستنطرق في المبحث لهذه النقاط على النحو التالي، المطلب الأول: أنماط الأمن البشري في المواثيق والمنظمات الدولية، المطلب الثاني: الهيئات الدولية الناشطة في مجال الأمن البشري .

المطلب الأول: أنماط الأمن البشري في المواثيق والمنظمات الدولية

رغم أن مفهوم الأمن البشري حديث النشأة إلا أنه يجد ذوره الراسخة في القانون الدولي الذي تداول حماية الفرد عن طريق تضمين حقوقه وحرياته في المواثيق الدولية، أما بالنسبة للمنظمات الدولية فقط حاولت تحديد مفهوم الأمن البشري في مؤتمراها، وننطرق لكل هذا بتقسيم هذا المطلب إلى، الفرع الأول: الأمن البشري في المواثيق الدولية، الفرع الثاني: اهتمام المنظمات الإقليمية بالأمن البشري.

الفرع الأول: الأمن البشري في المواثيق الدولية

لقد اخترنا كل من: اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949 البروتوكولان الإضافيان لعام 1977 الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمعاهدان الدوليان، باعتبارها أهم المواثيق التي تطرق لحقوق الإنسان واهتمت بحماية الفرد داخل دولته كوجه من أوجه مفهوم الأمن البشري .



الأمن البشري في القانون الدولي العام ----- د. حدة بوخالفة

أولاً: اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949 والبروتوكول الإضافي لعام 1977

من خلال استقراء مواد هذه الاتفاقية نجد أن المادة الثالثة تعالج حماية المدنيين، وهي تشمل أهم الأحكام التي تحافظ على حياة وكرامة السكان المدنيين خلال الصراعات المسلحة، فهي تتفاعل مباشرة مع الأمن البشري بكل صوره وأشكاله، كذلك حظرت هذه المادة أي أعمال مثل اعتداء على حياة الإنسان وسلامته البدنية ومنع التعذيب والتشويه والمعاملة القاسية ومنعت الاعتداء على كرامة الشخص المدني، كذلك اشتملت هذه المادة على حظر أخذ الرهائن من المدنيين أو احتجازهم وهذا يعد من صميم اهتمامات الأمن البشري، بل يعد من محاوره الأساسية وحضرت كذلك إصدار الأحكام الجنائية أو العسكرية بدون محاكمة سابقة وعادلة مشكلة بوجب القانون، وينبغي أن تتوافر فيها الضمانات القضائية الالازمة المعروفة في العالم المتحضر¹.

أما البروتوكول الإضافي لعام 1977، فنجد أن البروتوكول الإضافي الأول الخاص بالصراعات المسلحة الدولية، قد بين في الباب الرابع منه قواعد خاصة بحماية المدنيين، فضلا عن حماية الأعيان المدنية من مخلفات العمليات العسكرية، التي تمثل لعمليات القصف، ومن ثمّة حدد أهم التدابير الوقائية التي يضعها في سبيل حماية الأهداف المدنية من آثار هذه العمليات خاصة القواعد التي تتطلب التمييز بين الأهداف العسكرية والأهداف المدنية، وحماية الأعيان ومناطق ومواقع معينة، كالأعيان الثقافية والأعيان والموراد التي لا غنى عنها لبقاء السكان المدنيين على قيد الحياة، والمواقع المؤونة والمزروعة من السلاح، والقواعد المتعلقة بغوث السكان المدنيين خاصة الأطفال والنساء، والمواقع المحردة من وسائل الدفاع، فضلا عن العديد من القواعد المتعلقة بالقضايا البشرية.

¹- فاطمة حسين شبيب، خالد عكاب حسون، الأمن الإنساني في إطار المواثيق والمنظمات الدولية،

مجلة العلوم القانونية، المجلد 31، العدد 2، العراق، 2016، ص 147 .



الأمن البشري في القانون الدولي العام ----- د. حدة بوخالفة

أما بشأن البروتوكول الإضافي الثاني فنجد قواعده تعالج الصراعات المسلحة الداخلية، حيث جاء الباب الرابع منه بقواعد محددة وخاصة لحماية المدنيين فضلاً عن الأعيان المدنية، ولقد جاء هذا البروتوكول ليكمل المادة الثالثة من اتفاقيات جنيف الأربع بسبب أن قواعده كانت أكثر تفصيلاً وتطبق في حالات لم يعالجها البروتوكول الأول وهي، الصراعات المسلحة الداخلية، أما بشأن الضمانات الأساسية للسكان المدنيين فنجدتها في البروتوكول الثاني أكثر تطوراً مما هو عليه في البروتوكول الأول وهي ترتبط بالقواعد البشرية التي جاءت بها المادة الثالثة¹.

ثانياً: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعقود الدوليان

تحمي المادة (3) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمادة (9) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الحق في الحرية وفي الأمان الشخصي، مما ينطوي بوجه خاص على الإشارة إلى التحرر من الخوف، وبالإضافة إلى ذلك فإن المادة (22) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمادة (9) من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تعترفان بالحق في الضمان الاجتماعي، الذي يناظر مع سائر الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، الحرية من الحاجة والعوز².

نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على مجموعة من الحقوق مثل: الحق في الحرية والسلامة الشخصية التي تمنع إخضاع الأفراد لأي نوع من الاعتقال أو الإيقاف إلا بمحض إجراءات القانونية المنصوص عليها في دولته، كما يتمتع الفرد بالحقوق والحرفيات دون تمييز من أي نوع، سواء كان بسبب العرق أو اللون أو اللغة أو الجنس أو الاتجاه السياسي أو غير ذلك، أي حضر الإعلان من أي معاملة قاسية أو مهينة لكرامة

¹ - نفس المرجع، ص 148 .

² - شفيق عبد الرزاق السامرائي، المرجع السابق، ص 30 .



الأمن البشري في القانون الدولي العام

الإنسان، وغيرها من الحقوق التي تضمن المشاركة السياسية السليمة للفرد والحياة الاجتماعية في العمل والسكن التي تضمن حياة كريمة له .

هي الحقوق التي فصل فيها العهدين الدوليين، فمثلا جاء في العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية في المادة السادسة النص على الحق في الحياة، وعدم تنفيذ عقوبة الإعدام على الأحداث دون سن الثامنة عشر سنة والحوامل، أيضا عدم تعريض أي شخص للتعديب والمعاملة القاسية كالاسترقاق وإنضاعه للعبودية .

أما العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فقد نص بدوره على الحقوق التي تحفظ كرامة الإنسان من خلال حقه في العمل والمساوات في ذلك، وتحسين ظروفه المعيشية، والعناية بفئة الأطفال والأسرة كعنصر أساسي في المجتمع، وتطوير وسائل التعليم والاهتمام بالجانب الثقافي وتعزيزه على جميع شرائح المجتمع، وغيرها من الحقوق التي تنص عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والuhed الدوليين التي تكمل مفهوم الأمن البشري على الصعيد الدولي .

الفرع الثاني: اهتمام المنظمات الإقليمية بالأمن البشري

ظهر مفهوم الأمن البشري في أجنداء جامعة الدول العربية عام 2001، وعملت الجامعة عام 2004 على استضافة فعاليات إطلاق النسخة العربية لتقرير الأمن البشري الصادر عن لجنة الأمن البشري، كما عقدت العديد من المؤتمرات حول الأمن البشري كمؤتمر الأمن البشري في المنطقة العربية في إطار الحرص العربي على مواجهة التحديات العالمية في ظل وجود تحفقات عربية من استخدام هذا المفهوم لترويج بعض القضايا التي تتعارض والمصالح العربية .

← يرى عدد من الباحثين أن أبرز التحديات التي تواجه الأمن البشري في الوطن العربي تتمثل بما يأتي:



الأمن البشري في القانون الدولي العام

- وضع حد للاحتلال الذي لا تزال العديد من الأراضي العربية ترزح في ظله، بما يتركه ذلك من آثار على نواحي الحياة كلها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المنطقة ككل .

- إرساء آليات تضمن مشاركة ديمقراطية للأفراد كافة وضمان حقوق الإنسان.

- تحقيق التنمية المستدامة في ظل تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الدول العربية .

أما الاتحاد الأوروبي فقد أدرج الأمن البشري بوصفه أحد العناصر الجوهرية للسياسة المشتركة الخارجية المتعلقة بقضايا الأمن common foreign and security policy (cfsp)، كونه لا يهدف إلى تحقيق الاستقرار السياسي فقط بل يهدف إلى الدمج بين العديد من المفاهيم كحقوق الإنسان والتنمية البشرية، وإعطاء دوراً في مجالات إدارة الأزمات ومنع التراumas والمساعدات العسكرية المدنية التي يقدمها الاتحاد، فهو وسيلة لإغلاق الفجوة بين المفاهيم الأمنية التقليدية والحديثة بما ينسجم ومبادئ الاتحاد الأوروبي، كما وضع تحقيق الأمن البشري في صلب السياسات الاجتماعية والاقتصادية للاتحاد، بما يؤدي إلى ضمان احترام حقوق الإنسان والتشاور بين فئات المجتمع كافة وخلق نوع من التعددية في صناعة القرار على المستويات كلها وتأكيد أهمية المشاورات الإقليمية لاحتواء الأزمات التي تندلع على هذا المستوى¹.

المطلب الثاني: الهيئات الدولية الناشطة في مجال الأمن البشري

¹ - خولة محى الدين يوسف، يازجي أمال، المرجع السابق، ص - ص 530- 531 .



الأمن البشري في القانون الدولي العام

لقد تم إنشاء العديد من الم هيئات وذلك لتكون مهمتها إعمال الأهداف التي تقرر بما مفهوم الأمن البشري، ولتواكب التطورات والتغيرات الأمنية والاجتماعية التي يعيشها المجتمع الدولي والتي تؤثر بشكل مباشر على استقرار الفرد، وستنطرق لهذه الم هيئات في فرعين، الفرع الأول: لجنة الأمن، البشري الفرع الثاني: الم هيئات التابعة لجنة الأمم المتحدة في مجال الأمن البشري.

الفرع الأول: لجنة الأمن البشري

تعتبر لجنة الأمن البشري أهم الم هيئات الناشطة في القانون الدولي لتحقيق أبعاد مفهوم الأمن البشري، وستنطرق لها على النحو التالي .

أولاً: نشأة لجنة الأمن البشري

أنشئت هذه اللجنة في عام 2001 وت تكون من 12 عضواً، تحت الرئاسة المشتركة لكل من ساداكو أوغاتا "مفهوم الأمم المتحدة السامي السابق لشؤون اللاجئين" وأمارتيا سن "الحاائز على جائزة نوبل في الاقتصاد"، بمبادرة يابانية كاستجابة لتقرير الأمين العام للأمم المتحدة الصادر عام 2000 بعنوان "التحرر من الخوف، والتحرر من الحاجة"، بالاشتراك مع المعهد الأمريكي لحقوق الإنسان وجامعة السلام، بعقد حلقة عمل عن العلاقة بين حقوق الإنسان والأمن البشري في سان خوسيه في كوستاريكا، في ديسمبر 2001، وقامت حلقة العمل بإعداد "إعلان حقوق الإنسان بوصفها عنصراً أساسياً لتحقيق الأمن البشري" ، وطبقاً لرأي برتانداج رامشاران مساعد الأمين العام للأمم المتحدة ونائب المفوض السامي لشؤون حقوق الإنسان فإن المعايير الدولية حقوق الإنسان تحديد معنى الأمن البشري .

ثانياً: أهداف لجنة الأمن البشري



الأمن البشري في القانون الدولي العام ----- د. حدة بوخالفة

تعمل هذه اللجنة بطريقة مستقلة بدعم من حكومة اليابان بشكل رئيسي إلى جانب بعض المؤسسات الدولية، ومنها هيأت تابعة لمنظمة الأمم المتحدة، كبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي "UNDP" أو المفوضية السامية لشؤون اللاجئين "UNHCR".

← تسعى هذه اللجنة لتحقيق المساعي التالية¹:

- النهوض بالتفهم والالتزام والدعم الجماعي للأمن البشري والمستلزمات التي تركز عليها .

- تطوير مفهوم الأمن البشري كوسيلة فعالة لصياغة السياسات وتنفيذها .

- اقتراح برنامج عمل ملموس لمعالجة المخاطر الحرجة والواسعة الانتشار التي تهدد الأمن البشري.

تمارس اللجنة عملها من خلال مجالين واسعين هما: حالات انعدام الأمن البشري الناجمة عن الصراع والعنف، والروابط بين الأمن البشري والتنمية².

الفرع الثاني: الهيئات التابعة لـ هيئة الأمم المتحدة في مجال الأمن البشري

لقد استحدثت هيئة الأمم المتحدة وحدات عاملة في مجال الأمن البشري، تقوم بعض الأعمال المختلفة لتحقيق الهدف الأول في حماية الفرد من المخاطر الكثيرة التي تهدد معيشته، وهي كالتالي .

أولاً: وحدة الأمن البشري التابعة للأمم المتحدة

أنشئت وحدة الأمن البشري في مايو 2004، ويتمثل الهدف العام للوحدة في إدماج نهج الأمن البشري في عمل منظومة الأمم المتحدة وفي تعزيز تصدي المنظمة

¹ - موقع لجنة الأمن الإنساني، متوفر على الموقع: <http://ww1.humansecurity-chs.org/>

² - تقرير الصحة والأمن الإنساني، ص 4.



الأمن البشري في القانون الدولي العام

للتهدىات المتعددة والمعقدة. وتضطلع الوحدة، التي تجمع بين إدارة صندوق الأمم المتحدة الاستثماري للأمن البشري وأنشطة الدعوة والتوعية، بدور محوري في ترجمة نهج الأمن البشري إلى نتائج ملموسة. واليوم أصبحت مبادئ الأمن البشري معتمدة في جداول الأعمال العالمية الرئيسية.

← تعمل هذه الوحدة على تحقيق الأعمال التالية:

- تقوم وحدة الأمن البشري بتطوير أطر وأدوات من أجل تطبيق نهج الأمن البشري في أنشطة الأمم المتحدة. وتضم هذه الأدوات العملية العديد من الشركاء من جميع فروع منظومة الأمم المتحدة بالتعاون مع الحكومات والمجتمع المدني والقطاع الخاص من أجل تلبية احتياجات المجتمعات المحلية ومعالجة أوجه ضعفها.
- تعمل الوحدة على تعزيز الأمن البشري في عمل الأمم المتحدة في المقر وعلى الصعيد القطري. ويتقدم الدعم إلى المستشار الخاص المعنى بالأمن البشري، تقام شراكات مع الدول الأعضاء مثل شراكة "أصدقاء من أجل الأمن البشري" و"شبكة الأمن البشري"، ومع منظومة الأمم المتحدة عن طريق الفريق العامل المشترك بين الوكالات المعنى بالأمن البشري.
- بواسطة صندوق الأمم المتحدة الاستثماري للأمن البشري، تساعد الوحدة على ترجمة نهج الأمن البشري إلى أنشطة ملموسة لتحسين حياة وسبل عيش الأشخاص الذين يواجهون حالات انعدام أمن تكون معقدة ومتحدة الأبعاد، وتتبع برامج الصندوق استراتيجيات متكاملة تهدف إلى تفادي وقوع الأزمات وإلى تعزيز السلام والتنمية المستدامة على المدى البعيد.¹

¹ موقع وحدة الأمن البشري التابعة للأمم المتحدة، متوفّر على الموقع:



الأمن البشري في القانون الدولي العام ----- د. حدة بوخالفة

ثانياً: المجلس الاستشاري المعنى بالأمن البشري (ABHS)

المجلس الاستشاري حول الأمن البشري: هو هيئة مستقلة مؤلفة من خبراء دوليين مرموقين معروفين بتعدد معارفهم والتزامهم العميق بالأمن البشري. تم تأسيس ABHS لمتابعة توصيات لجنة الأمن البشري وإسداء المشورة للأمين العام للأمم المتحدة بشأن:

- التوجّه الاستراتيجي لصندوق الأمم المتحدة الاستئماني للأمن البشري (UNTFHS).
- طرق لزيادة تأثير البرامج والأنشطة الممولة من قبل UNTFHS.
- طرق لتعزيز ونشر نجاح الأمن البشري وتعزيز فهمه وقبوله في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك تطبيق الأمن البشري على الأولويات العالمية الرئيسية.
- توفر ABHS أيضاً رؤية وتوجيهها استراتيجيين لوحدة الأمن البشري التابعة للأمم المتحدة في إدارتها للـ UNTFHS.
- في هذا الصدد، فإن ABHS يقدم المشورة بشأن المبادئ التوجيهية للـ UNTFHS والراجعات الدورية.
- يوصي بطرق لتعزيز التأثير، وضمان الشفافية، وزيادة بروز برامج UNTFHS وغيرها من الأنشطة.
- يستعرض أداء وإدارة UNTFHS، بما في ذلك الإبلاغ وتقييم النتائج الحقيقة.¹.

[https://www.un.org/humansecurity/ar/human-security-unit. /](https://www.un.org/humansecurity/ar/human-security-unit/)

¹ - موقع المجلس الاستشاري المعنى بالأمن البشري التابع للأمم المتحدة، متوفّر على الموقع:
<https://www.un.org/humansecurity/ar/human-security-unit. />



الأمن البشري في القانون الدولي العام ----- د. حدة بوخالفة

ثالثا: الصندوق الاستئماني للأمن البشري

تم تأسيسه عام 1999 بمبادرة مشتركة من الحكومة اليابانية والأمين العام للأمم المتحدة، بمدف توسيع المشاريع التي تنفذها المبادرات التابعة للأمم المتحدة، وفي بعض الأحيان المبادرات خارج نطاق منظمة الأمم المتحدة، فيما يتعلق بتحقيق التمكين والحماية للأفراد¹.

الخاتمة:

إن الحديث عن الأمن البشري كرؤيا جديدة لمفهوم الأمن يبين مدى التكامل بين أمن الفرد وأمن الدولة الذي يسمى الأمن القومي، فتحقيق الدولة لأمنها يتتحقق معه أمن الفرد الذي هي مسؤولة عنه.

كما يدل الاهتمام بالأمن البشري على تطور ضمانات حقوق الإنسان وحرياته، وترسيخ قيم الفرد والجماعة ضمن سياسات التنمية المستدامة التي تنتهجها الدول والمجتمع الدولي . ومن أجل تحقيق ذلك، تعمل الدول في تشريعاتها على تضمين الأمن البشري وكيفية تفعيل مفهومه في جميع الحالات الحيوية المختلفة وتنوع الأنشطة التي تمارس من خلالها، كالتعليم والصحة وحماية البيئة، وتصليح النظم السياسية، وبناء أرضية ملائمة للتنمية البشرية، وتطوير معايير الرعاية الاجتماعية، وكل هذا لحماية الفرد وتمكينه وضمان سلامته .

¹-موقع الصندوق الاستئماني للأمن البشري، متوفّر على الموقع:

<https://www.un.org/humansecurity/ar/human-security-unit/>



الأمن البشري في القانون الدولي العام ----- د. حدة بوخالفة

النتائج:

- يعتبر مفهوم الأمن البشري من أهم إفرازات ما بعد نهاية الحرب الباردة ب مختلف أبعادها، والتحولات السياسية العالمية التي مست مفاهيم حقوق الإنسان وتحقيق الأمن والسلم الدوليين السائدة في حقل العلاقات الدولية، والنقاشات الفكرية والنظرية التي اهتمت بالفرد ومصالحه.
- يعمل اتساع مفهوم الأمن البشري وتتنوع أبعاده وتميز خصائصه، على زيادة فرص تفعيله وفقاً لمتغيرات تحديات الواقع الدولي، وما يتعرض له الفرد من انتهاكات داخل دولته، وعدم احترام حقوقه .
- إن تعدد معانٍ الأمن ي العمل على توسيع دائرة حماية الفرد من الأخطار والتهديدات التي تواجهه بقاءه، كما تفتح للدول الخيارات الأمنية الكثيرة والمختلفة التي تعكس معها تطور مفهوم الرعاية الاجتماعية للفرد .
- أصبح المجتمع البشري العالمي عبارة عن شبكات عالمية متعددة ، ترتبط فيما بينها لتنسيق توفير الاحتياجات البشرية والمستلزمات والضروريات التي يحتاجها الفرد لتحقيق الاستقرار والحرمة وعدم الشعور بالخوف وللبقاء والعيش برفاهية، من خلال توفير الحماية اللازمة والكافية من الأخطار التي تهدد أنفسهم وسلامتهم الشخصية .

الوصيات:

- لتحقيق الأمن البشري يتطلب التفرقة بين حقوق الدول وحقوق الإنسان، فضمان أمن الفرد يتحقق معه أمن الدولة والنظام الدولي، وذلك بتعزيز إنشاء مجتمع إنساني يتوقف على مجتمع الدول، وهذا المجتمع البشري يكون فيه الإنسان متحرر من الخوف وال الحاجة، يسود في القانون ومفهوم الحكم الرشيد، ويعمل على تأمين الأفراد .



الأمن البشري في القانون الدولي العام

- يجب العمل على رفع الوعي بأهمية مفهوم الأمن البشري وتوحيده على الصعيد الدولي، واقتراح برامج لإدخاله حيز التنفيذ وتطوير أفقه داخل الدولة، وتحفيزها على تطوير تشريعاتها ومؤسساتها للعمل على تحقيق أهداف الأمن البشري .

- لتحقيق الأمن البشري يجب التركيز على التهديدات المختلفة بعيداً عن العنف وما تخلفه المخاطر الأمنية، وذلك بالتركيز على القيمة المضافة للفرد وتوفير رفاهيته والحفاظ على كرامته، بشكل عالمي، ذلك أن هذه التهديدات والфواعل التي تمثل بالأمن البشري تعدد الحدود الوطنية، وبذلك لا يمكن التصدي لها بمفهوم الأمن التقليدي باستخدام الحلول العسكرية، وإنما يجب العمل وفقاً لترتيبيات عالمية لتحقيق تنمية وترقية حقوق الإنسان، وتدعم السياسات العامة داخل الدول .

- يجب على الأمم المتحدة أن تقوم بإصلاحات شاملة في نظامها تتضمن كيفية التصدي للتهديدات الأمنية، وتعزيز مركز الفرد في المجتمع الدولي، وتحقيق التوافق بين الأمن الدولي وحماية حقوق الإنسان استجابة لتحقيق متطلبات الأمن البشري، وأيضاً تقديم مقترنات للدول لضمان إعطاء أولوية للأمن البشري وإدماجه ضمن مشاريع الأمن القومي .

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

- تقرير التنمية البشرية لعام 1994 م، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي "UNDP" ، متوفّر على الموقع:

. / <https://www.un.org/ar/esa/hdr> -

- تقرير صادر عن لجنة الأمن البشري، بعنوان: أمن الإنسان لأن - حماية الناس وتمكينهم - " ، نيويورك، 2003.



الأمن البشري في القانون الدولي العام

- تقرير صادر عن اللجنة الدولية المعنية بالتدخل وسيادة الدول، بعنوان: مسؤولية الحماية، 2001، متوفّر على الموقع: <https://tolerance.tavaana.org/ar/content>.
- تقرير صادر عن اللجنة الإقليمية لشرق المتوسط، الصحة والأمن البشري، الدورة 49، أوت 2002.

ثانياً: المراجع

1- الكتب:

- حسام أَحمد محمد هنداوي، التدخل البشري – دراسة فقهية وتطبيقية في ضوء قواعد القانون الدولي –، دار النهضة العربية، القاهرة، 1997.
- سالم حميد، الأمن القومي الإماراتي والخليجي والجزر الإماراتية المحتلة، الطبعة الأولى، مركز المزمام للدراسات والبحوث، الإمارات العربية المتحدة، 2014.
- شفيق عبد الرزاق السامرائي، حقوق الإنسان في المواثيق والاتفاقيات الدولية، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، 2015.
- فاطمة حسين شبيب، خالد عكاب حسون، "الأمن البشري في إطار المواثيق والمنظمات الدولية"، مجلة العلوم القانونية ، المجلد 31، العدد 2، العراق، 2016.
- محمود شاكر سعيد، خالد بن عبد العزيز الحرفش، مفاهيم أمنية، الطبعة الأولى، الرياض، 2010.
- عبد الحكيم الشرجي، "أوراق مختارة"، المؤتمر الدولي للأمن البشري في الدول العربية، عمان – الأردن، 2005.



الأمن البشري في القانون الدولي العام

- عبد النور بن عتبر، البعد المتوسطي للأمن الجزائري، الكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
- علي ليلة، الأمن القومي العربي في عصر العولمة - اختراق الثقافة وتبييد الهوية ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2012.
- عماد جاد، التدخل الدولي - بين الاعتبارات البشرية والأبعاد السياسية -، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2000.

2- المقالات

- خولة محى الدين يوسف، أمل يازجي، "الأمن البشري وأبعاده في القانون الدولي العام" ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 28، العدد 2، دمشق، 2012.
- مصنوعة أحمد، بركنو نصيرة، "الأمن الاقتصادي العربي الواقع والتحديات" ، مجلة الريادة لاقتصاديات الأعمال، المجلد 02، العدد 03، الشلف، 2016.
- Karim Hussein, Donata Gnisci , Julia Wanjiru, SÉCURITÉ ET SÉCURITÉ HUMAINE: PRÉSENTATION DES CONCEPTS ET DES INITIATIVESQUELLES CONSÉQUENCES POUR L'AFRIQUE DE L'OUEST ?, 2004.

3- موقع الانترنت

- موقع لجنة الأمن البشري، متوفر على الموقع:
<http://www.humansecurity-chs.org/>.
- موقع وحدة الأمن البشري التابعة للأمم المتحدة، الموقع:
<https://www.un.org/humansecurity>.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

الجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1329-1298 تاريخ النشر: 25-03-2021

الأمن البشري في القانون الدولي العام ----- د. حدة بوخالفة

- موقع المجلس الاستشاري المعنى بالأمن البشري التابع للأمم المتحدة، متوفّر على الموقع:

[https://www.un.org/humansecurity/ar/human-security-unit. /](https://www.un.org/humansecurity/ar/human-security-unit/)

- موقع الصندوق الإستثماري للأمن البشري ، متوفّر على الموقع:

<https://www.un.org/humansecurity/ar/human-security-unit. />



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسطنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المحلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1330-1362 تاريخ النشر: 25-03-2021

إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية كأساس لتحقيق التنمية المستدامة

Inclusion of the Environmental Dimension in the Public Transactions as a Basis to achieve Sustainable Development

د. سمير شوقي

samir.chougui@gmail.com

د. سهام بن دعايس

bendaas.siham@gmail.com

جامعة سطيف 02

تاريخ القبول: 2020/11/16

تاريخ الإرسال: 2020/04/12

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى توضيع العلاقة بين الصفقات العمومية وحماية البيئة، وأيضاً البحث في الآليات والوسائل القانونية التي تسمح بإدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية لتحقيق التنمية المستدامة.

وقد توصلت الدراسة إلى أنّ إدماج البيئة في مجال الصفقات العمومية يمكن تكريسه في جميع المراحل التي تمر بها الصفقة، مع ذلك فالملاحظ هو أنّ قانون الصفقات العمومية في الجزائر تضمن فقط إشارات بسيطة لموضوع إدماج الاعتبارات البيئية في مجال الصفقات العمومية، كما أنّ هذه العملية واجهت جملة من المعوقات والصعوبات.

الكلمات المفتاحية: البعد البيئي، الصفقات العمومية، التنمية المستدامة.



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعاس

ABSTRACT:

This paper aims to highlight the relationship between the public transactions and environmental protection, and to look into the legal mechanisms and means that allow to include the environmental dimension in the public transactions in order to achieve sustainable development.

The study reached that the inclusion of the environmental dimension in the field of the public transactions can be fulfilled in all stages of the transaction. However, it is noted that the Public Transactions' Code in Algeria contains only simple references about this. In addition, this process faced some obstacles and difficulties.

Keywords: environmental dimension, public transactions, sustainable development.

1. المقدمة:

تعد الصفقات العمومية من الآليات الفعالة لتنفيذ المشاريع التنموية ودعم النمو الاقتصادي للدولة وتساهم في عملية تطورها وازدهارها، مع ذلك فإن الاستثمار العمومي واقتناء اللوازم والتوريدات وتقديم الخدمات والدراسات المطلوبة، وغيرها من مجالات الصفقات العمومية، لا يجب أن يقتصر على الجانب الاقتصادي والمادي فقط، بل يتعداه إلى الجانب الاجتماعي والبيئي، لذا يتquin على جموع الإدارات والمصالح المعنية بإبرام الصفقات العمومية، اتخاذ التدابير الالزمه لإدماج البعد البيئي في الصفقات العمومية بهدف تحقيق أبعاد التنمية المستدامة وهو ما أدى لظهور نموذج جديد للصفقات العمومية يسمى بالصفقات العمومية البيئية.

وعليه يمكن تسليط الضوء على الأحكام القانونية المتعلقة بإدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية بعدما ثبت أن عملية التنمية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالبيئة، خاصة أن



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعاس

المؤسسات والهيئات الدولية تنبه لخطورة تنفيذ المشاريع التنموية على حساب الجانب البيئي. والتنمية المستدامة تتقتضي نظاماً منسقاً يشمل السياسة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية ضمن خطة شاملة للتنمية، هدفها الارتقاء بحياة المواطن مع الحفاظ على مصادر البيئة للأجيال القادمة. وهو الأمر الذي أدركه المشرع الجزائري في مجال الصفقات العمومية تحديداً، أين نص في المادة 95 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 المتضمن تنظيم الصفقات العمومية وتفويضات المرفق العام، على وجوب أن تتضمنصفقة العمومية البنود المتعلقة بحماية البيئة والتنمية المستدامة، والتي تعد من بياناتها الإلزامية.

والبحث يستمد أهميته مما يلي :

— ظهور مفهوم الصفقات البيئية العمومية.

— دراسة المراحل والآليات القانونية التي تسمح بإدراج حماية البيئة في الصفقات العمومية.

— تشجيع الإدارات العمومية على إدماج الاعتبارات البيئية في مجال الصفقات العمومية.

— معرفة العوائق والصعوبات التي قد تحول بين حماية البيئة وتحسيد الصفقات العمومية وتنفيذها.

وبالنظر لأهمية موضوع إدراج عناصر حماية البيئة في الصفقات العمومية، يجدر بنا الإجابة عن الإشكالية التالية:

ما مدى إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية لتحقيق التنمية المستدامة؟

على أن تتم دراسته من خلال التعرض للعناصر التالية:

أولاً- الأساس القانوني لإدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية.

ثانياً - مجالات إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية.



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ————— د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

ثالثا - الآليات المساهمة في تحسين البعد البيئي في مجال الصفقات العمومية.

وقد اتبعنا في دراسة هذا الموضوع المنهج التحليلي من خلال تحليل العلاقة القانونية بين الصفقات العمومية والبيئة والتأثير المتبادل بينهما بما يخدم أهداف التنمية المستدامة.

2. الأساس القانوني لإدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية

أقر المشرع الجزائري بعض التدابير المتعلقة بحماية البيئة والاحفاظة عليها في مجال الصفقات العمومية، ومنها وجوب إدراج البعد البيئي فيها، لذا نتناول تحديد أساسه القانوني من خلال التعرض للعناصر التالية:

1.2 مضمون إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية

أوجب التنظيم القانوني الخاص بالصفقات العمومية على أن تشير كل صفقة عمومية إلى التشريع والتنظيم المعمول بهما، وألزم أن تتضمن على الخصوص جملة من البيانات الأساسية، وأخرى تكميلية واجبة ضمانا لحسن تنفيذها، منها البنود المتعلقة بحماية البيئة والتنمية المستدامة التي أصبحت واجبة الإدراج¹، والمتمثلة في مختلف التدابير

¹ المادة 95 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 المؤرخ في 16 سبتمبر 2015 يتضمن تنظيم الصفقات العمومية وتفويضات المرفق العام، ج ر 50 .

* ذلك أن وضع الاعتبارات البيئية في مختلف مشاريع الصفقات العمومية، وجعلها ضمن مخططاتها وأهدافها، يعطي أهمية للاستخدام الأمثل للموارد المتاحة ويعمل على الحافظة عليها بواسطة هذه الأداة الهامة في عملية التنمية، وهو ما سمح بظهور مفاهيم جديدة مثل العمران الأخضر، المدن الخضراء، التنمية الخضراء، المنتجات الخضراء، المنتجات الصحية، الصفة الخضراء، الخدمات الفعالة، الصفة البيئية، علامة بيئية ... إلخ .



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

المقررة للحفاظ على سلامة البيئة، تفاديا لأي ضرر قد يلحق بها جراء تنفيذ المشاريع التنموية، والمدرجة وجوبا في دفاتر شروط الصفقة المزمع إبرامها.

وهذا إدراكا من المشرع الجزائري بأن المصلحة العامة مناط كل الصفقات العمومية المبرمة، لن تتجسد إلا باحترام مجموع المصالح المتعاقدة للمقاييس البيئية، واعتماد نظام تسيير بيئي في صفقاتها، يكفل أداء الخدمات المتعاقد عليها بكل جودة وسلامة وتحقيق النتائج والغايات المرجوة من إبرامها فعلا، خاصة وأن الواقع أثبت آثارا بيئية سلبية ناتجة عن تنفيذ الصفقات العمومية. ومن ثم تحول الصفقات العمومية من أداة مدمرة ومضرة بالبيئة، إلى وسيلة فعالة لحمايتها وضمان تنمية مستدامة.*

فإدماج البيئة في مجال الصفقات العمومية يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار في جميع المراحل التي تمر بها الصفقة، بداية من تحديد هدفها، مرورا باختيار المتعامل المتعاقد، وصولا إلى تنفيذ الصفقة. ونظرا لخطورة الأضرار البيئية وعدم قابليتها للإصلاح في اغلب الحالات، لذلك كرس المشرع بعض الآليات لحماية البيئة في إطار الصفقات العمومية، وأيضا وضع بعض الأحكام المرتبطة بهذا المدف بصفة غير مباشرة في قانون حماية البيئة.¹

علما أن التنظيم القانوني للصفقات العمومية تأثر تدريجيا بمفهوم التنمية المستدامة عموما، من خلال إدراج الاعتبارات الاجتماعية والبيئية في أحکامه. حيث كان المبادر الأول فيها هو القضاء الأوروبي، ليتم تكريسها فيما بعد في القوانين الأوروبية والقانون

¹ - زرقاق ملياء، طباش ليلة، "إدراج البعد البيئي في مجال الصفقات العمومية"، مذكرة ماستر تخصص القانون العام للأعمال، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة بجاية، السنة الجامعية 2014-2015،

ص. 73.



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ————— د. سعير شوقي ود. سهام بن دعاس

الفرنسي ثم قانون الصفقات العمومية الجزائري، على أن هذا الإدماج لابد أن يكون في ظل احترام المبادئ الأساسية للصفقات العمومية، مع ضرورة مكافحة الفساد الذي بإمكانه أن يؤثر في التدهور البيئي، على أنه في الواقع، لتحقيق هدف الحافظة على البيئة، لابد من تحسين الجائعة البيئية للإدارات العمومية من خلال الصفقات العمومية.¹.

2.2 تطور إدراج البعد البيئي في قوانين الصفقات العمومية

بالرغم من التطورات الكبيرة الحاصلة في المنظومة القانونية المتعلقة بحماية البيئة، وإدماجها في مختلف القوانين، إلا أن دمج الاعتبارات البيئية في قانون الصفقات العمومية جاء متأخرا. حيث عمدت الجزائر إلى استبعاد البعد البيئي من منظومة الصفقات العمومية منذ صدور أول تنظيم قانوني لها²، إلى غاية صدور المرسوم الرئاسي رقم 02-

¹ - بوشارب ياسين، الصفقات العمومية والبيئة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في القانون العام، تخصص قانون البيئة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، السنة الجامعية 2017-2018، ص 91 .

² - الأمر رقم 67-90 المؤرخ في 17 جوان 1967 المتضمن تنظيم الصفقات العمومية، ج 57، المعدل والمتمم. بموجب الأمر رقم 69-32 المؤرخ في 22 ماي 1969، وكذا الأمر رقم 72-12 المؤرخ في 18 أفريل 1974، والأمر رقم 74-09 المؤرخ في 30 جانفي 1974. وبينهما يوجد المرسوم التنفيذي رقم 91-434 المؤرخ في 9 نوفمبر 1991 المتضمن تنظيم الصفقات العمومية، ج 57، المعدل والمتمم. بموجب المرسوم التنفيذي رقم 94-178 المؤرخ في 26 جوان 1994، ج 42. والمرسوم التنفيذي رقم 96-54 المؤرخ في 22 جانفي 1996، ج 6 . وكذا المرسوم التنفيذي رقم 98-87 المؤرخ في 7 مارس 1998، ج 13.



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

¹ 250. أين انصب اهتمام المشرع الجزائري بعد الاستقلال على تشييد البنية التحتية للبلاد، وتحقيق التنمية من خلال برامج ومشاريع اقتصادية وتنموية مختلفة، دون الأخذ بعين الاعتبار البعد البيئي الذي كان يعد آنذاك عائقاً نحو تحقيق التنمية المطلوبة .

و على ذلك ظهر جلياً عدم التوازن ما بين متطلبات تحقيق التنمية المستدامة وحماية البيئة ضمن منظومة الصفقات العمومية، مما أدى إلى استغلال الموارد البيئية تحت غطاء تحقيق التنمية المستدامة، الذي أوصل الوضع البيئي في الجزائر إلى مستويات متدهورة لم يراعى عواقبها خلال تلك الفترة، نظراً للفوائد والمكاسب القصيرة المدى التي كانت تتحقق خلال تلك الفترة.²

غير أن هذا الوضع غير المتوازن في منظومة الصفقات العمومية أدى إلى عوائق وحيمة ظهرت ملامحها جلياً مع مرور الزمن، فالمشاريع المسطرة من أجل تحقيق النفع

¹ - المرسوم الرئاسي رقم 02-250 المؤرخ في 24 جويلية 2002 والمتضمن تنظيم الصفقات العمومية، ج 52، المعدل والتمم بموجب المرسوم الرئاسي رقم 03-301 المؤرخ في 11 سبتمبر 2003، ج 55، وكذلك المرسوم الرئاسي رقم 08-338 المؤرخ في 26 أكتوبر 2008، ج 62.

² - د/ بوزيدي خالد، "إدماج البعد البيئي في مجال الصفقات العمومية بين متطلبات تحقيق التنمية المستدامة وحماية البيئة"، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، المجلد 4، العدد 2 / 2019، ص 421.

* والجدير بالإشارة في هذا الصدد أن إدراج البعد البيئي في مجال الصفقات يعود بصفة فعلية إلى صدور المرسوم الرئاسي رقم 02-250 الذي نص ضمنياً على ذلك، حيث ألمَّ هذا الأخير المصلحة المتعاقدة بإدراج وضبط معايير اختيار المتعامل المتعاقد ضمن دفتر شروط الصفقة، والحددة والمعددة. بموجب المادة 47 منه، والتي أفادت في فقرتها الأخيرة بالسماح للمصلحة المتعاقدة بإدراج معايير واعتبارات أخرى في الحسابان بشرط ضبطها وتحديدها في دفتر شروط الصفقة مسبقاً، ومنها مثلاً الاعتبارات البيئية .



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعاس

العام دونما اعتبار للبعد البيئي أدت لاحقاً إلى الإضرار بالبيئة ومقومات سلامتها وقد تطلب هذا الأمر تكثيف الجهود لمكافحة التدهور البيئي الناتج عن تنفيذ مشاريع الصفقات . وهو الأمر الذي حتم على المشرع الجزائري استدراك الوضع بالتأكيد على إدراج البعد البيئي في مختلف مجالات الصفقات العمومية .

حيث أن دمج الاعتبارات البيئية في مجال الصفقات العمومية تعود بدايته الرسمية إلى صدور المرسوم الرئاسي رقم 08-338 المعدل والتمم للمرسوم الرئاسي رقم 02-250 المتضمن قانون الصفقات العمومية، حيث نصت المادة 14 منه على البيانات التكميلية للصفقة العمومية ومنها البنود المتعلقة بحماية البيئة، * وهو الحكم الذي تم الاحتفاظ به في التنظيم القانوني للصفقات العمومية اللاحق¹.

وتم تأكيد الحكم السابق في التنظيم القانوني الحالي للصفقات العمومية (المرسوم الرئاسي رقم 15-247) بموجب المادة 95 منه التي تعتبر البنود المتعلقة بحماية البيئة والتنمية المستدامة ضمن البنود التكميلية للصفقة العمومية، كما أضاف أحکام جديدة مهمة في هذا الصدد من خلال القسم الخامس المتعلق باختيار المتعامل المتعاقد بالمادة 78 منه، حيث اعتبر النجاعة المتعلقة بالجانب الاجتماعي لترقية الإدماج المهني للأشخاص المحرمون من سوق الشغل، والمعوقين والنجاعة المتعلقة بالتنمية المستدامة، والتي تعتبر حماية البيئة أحد ركائزها، أحد معايير اختيار المتعامل شرط أن لا تكون ذات أثر

¹ - فقد تم بموجب المادة 62 من المرسوم الرئاسي رقم 10-236 المعدل والتمم النص على إدراج البنود المتعلقة بحماية البيئة ضمن البيانات التكميلية للصفقة العمومية.



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

تميزي، ومن هنا يمكن اعتبار هذه الخطوة ذات بعد مهم في مجال دمج الاعتبارات البيئية في مجال الصفقات العمومية¹.

3.2 حدود إدراج البعد البيئي في مجال الصفقات العمومية

إن تبني الاعتبارات البيئية في مجال الصفقات العمومية والتركيز عليها لا يعني إهمال الاعتبارات الأخرى، فهناك حدود ذات طابع قانوني تواجه الطلب العمومي لدمج الاعتبارات البيئية، تتجلى في الاعتبارات التالية:

1.3.2 وجوب احترام المبادئ الأساسية التي تقوم عليها الصفقات العمومية

حرص المشرع الجزائري على وجوب مراعاة المبادئ التي تقوم عليها الصفقات العمومية²، أسوة بمعظم الأنظمة القانونية المقارنة للصفقات التي ضبطت أسس ومبادئ عملية اختيار المتعاقد مع الإدارة، وأجمعـت على أن عملية إبرام الصفقات العمومية تقوم على أساس المنافسة الحرة، والمساواة بين المتنافسين، ولتحقيق الغايتين السالفتين تقرر كقاعدة عامة مبدأ الإعلان عن الصفقات، وعدم التمييز بين المتنافسين ضماناً لشفافية إجراءاتها³.

¹ - بخبار عبد الله، "إشكالية دمج الاعتبارات البيئية في الصفقات العمومية - دراسة مقارنة -" ، مجلة البحوث العلمية في التشريعات البيئية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة ابن خلدون تيارت، العدد 8، جانفي 2017، ص 10.

² - المادة 5 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247.

³ - Christophe Lajoye, Droit des marchés publics, Alger, Berti éditions, 2007, p 89.



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

حيث تكرس مبدأ العلانية في إجراء الإعلان المنصوص عليه صراحة في قانون الصفقات العمومية، الذي أوضح كيفياته وبياناته الإلزامية بدقة¹، وتكرس أيضاً بموجب قانون الوقاية من الفساد ومكافحته الذي أرسى جملة من القواعد أو جب مراعاتها في عملية إبرام الصفقات توشيا من الفساد ووقاية منه². كما يشكل مبدأ الشفافية سياجا واقياً للحد من شبهه التلاعب بالمنافسة فيستفيد البعض من الصفقة على حساب الآخرين، وتلعب شفافية الإجراءات دوراً في ممارسة الرقابة سواء الإدارية منها أو المالية بفعالية عبر كامل مراحل إبرام الصفقة العمومية.³

وتجسيداً لمبدأ المنافسة الذي تقوم عليه الصفقات العمومية⁴. يجب أن تستفيد كل المؤسسات من نفس المعلومات ومن نفس قواعد المنافسة، كما أنّ عروضها وجب أن يتم تحليلها في شروط ماثلة ومن خلال معايير محددة مسبقاً. وعليه فإن المظاهر البيئية في

¹ - المواد : 61، 62 و 65 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 .

² - تنص المادة 9 من القانون رقم 06-01 المؤرخ في 20 فيفري 2006 المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته، ج 14، المعدل والمتمم بموجب الأمر رقم 10-05 المؤرخ في 26 أوت 2010 المعدل والمتمم للقانون رقم 01-06، ج 50، وكذلك القانون رقم 11-15 المؤرخ في 2 أوت 2011 المعدل والمتمم للقانون رقم 01-06، ج 44. على أنه: "يجب أن تؤسس الإجراءات المعمول بها في مجال الصفقات العمومية على قواعد الشفافية والتزاهة والمنافسة الشرفية وعلى معايير موضوعية. يجب أن تكرس هذه القواعد على وجه الخصوص: - علانية المعلومات المتعلقة بإجراءات إبرام الصفقات العمومية ..." .

³ - زرقاق ملياء، طباش ليلة، المرجع السابق، ص 39.

⁴ - د/ مهند مختار نوح، الإيجاب والقبول في العقد الإداري - دراسة مقارنة -، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، طبعة 2005، ص 496 .



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

الصفقات العمومية يجب ألا تؤدي إلى خرق مبدأ عدم التمييز من خلال إعطاء أفضلية مؤسسة على حساب أخرى، فمن الضروري أن لا يضع دفتر الأعباء شروط تميز بيئية بين المتعاملين¹. وهو ما يؤدي إلى تطبيق مبدأ المساواة بين المتنافسين، وليس للإدارة أن تقيم أي تميز غير مشروع بين المتنافسين².

وبناء عليه فإن الاعتبارات البيئية وجب أن تدمج في الصفقات في ظل احترام هذه المبادئ التي تحكم الطلب العام، ووجب على كل من المصلحة المتعاقدة والمرشحين من المتعاملين الاقتصاديين احترامها ومراعاتها. ومن ثم فإن القانون الذي سمح بإدراج الاعتبارات البيئية في الصفقة العمومية، يحذر هو نفسه من استخدام هذا البعد كأدلة أو وسيلة لتفضيل أحد العروض، بحججة أنه الأحسن بيئياً واجتماعياً، وفي حالة حدوث العكس فإن الاعتبارات البيئية قد تشكل خطراً على مبادئ الصفقات العمومية، والتي يعتبر المساس بها فعلاً جزائياً معاقب عليه بمقتضى جرم إبرام صفقة مخالفة للتشرع مساساً بمبادئ الصفقات، بهدف منح امتيازات غير مبررة³.

2.3.2 إلزامية وجود رابطة مباشرة للمعيار البيئي مع موضوع الصفقة

إن إلزامية وجود علاقة مباشرة للمعيار البيئي مع موضوع الصفقة، هو شرط قانوني صارم لمعايير المنح ذو الطبيعة البيئية، فإذا كان بالإمكان للمصلحة المتعاقدة تحديد المعايير البيئية لاختيار أحسن عرض فهذا العرض وجب أن يكون فيه رابطة مع موضوع

¹ - بوشارب ياسين، المرجع السابق، ص 153.

² -Christophe Lajoye, op .cit, p 61.

³ - بخبار عبد الله، المرجع السابق، ص 15 وما بعدها .



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

الصفقة، وعند فتح الصفقة وحجب عليها أن تنجح في إقامة العلاقة بين الشروط البيئية وتنفيذ الخدمة.

فالأمر يتعلق بشرط موضوعي واجب النظر إليه حالة بحالة تبعاً لموضوع الصفقة محل التعاقد. غير أن التوجه الجديد في هذا الموضوع يذهب لتلبيس هذا الشرط من خلال توسيع موضوع الصفقة، فالمشتري العمومي يمكنه إدخال معايير بيئية لها رابطة مع موضوع الصفقة.¹

3.3.2 الطابع الحيادي الذي يميز قانون الصفقات العمومية

إن الشراء العام الذي تتضمنه الصفقة العمومية قبل أن يكون مستداماً هو عمل اقتصادي، هدفه تلبية خدمة عامة و حاجات عامة وهو وسيلة لتلبية حاجات الإدارة من خلال انجاز أشغال عامة، اقتناط لوازم، إجراء الدراسات وتمويل الخدمات لمائدة الجماعات العمومية في أحسن شروط النوعية والفنية وبأقل تكلفة ممكنة.

فالصفقات العمومية هي محل تنظيم دقيق، وحرية التعاقد فيها مؤطرة بصفة خاصة بشكل اقتصادي، وعليه فإن إدراج الاعتبارات البيئية في الشراء العمومي يظهر متناقضاً، فالمشترين العموميين ملزمون بإنجاز تعاقد اقتصادي يهدف إلى أحسن نوعية وسعر ممكنين، وهو لا يعني بالضرورة احترام معايير التنمية المستدامة. وعليه فالمعيار المعتمد يسمح بقياس الأفضلية الاقتصادية لفائدة المصلحة المتعاقدة، والمعيار دائماً يبقى هو السعر فالإدارة تمنح الصفقة للأفضل عرض من الناحية الاقتصادية، وكل منح آخر وجوب تبريره وإلا شابه سوء تسيير أو فساد².

¹ - بوشارب ياسين، المرجع السابق، ص 154-156.

² - نفس المرجع، ص 156-158.



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

3. مجالات إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية

يتطلب إدراج الاعتبارات البيئية في مجال الصفقات العمومية وضع تدابير لتكريس ذلك، وهو ما تبناه المشرع الجزائري في قانون الصفقات العمومية من خلال آليات وقائية قبل وقوع الضرر، وأخرى تعمل على حماية البيئة أثناء تنفيذ الصفقات المرمرة وتتجلى هذه التدابير عبر مختلف مراحلها . وهي الآليات التي سيتم التعرض لها على النحو التالي :

1.3 مراعاة الاعتبارات البيئية في المرحلة الإعدادية للصفقة العمومية

يراد بالمرحلة الإعدادية لعملية إبرام الصفقات العمومية مجموع التدابير المتخذة تمهيداً وتحضيراً لإبرام صفقة طبقاً للمواصفات القانونية، من أجل إشباع الحاجات العامة على الوجه الحسن، عن طريق الاستخدام الرشيد والعقلاوي للموارد المتاحة. حيث أصبح من الضروري الاتجاه إلى عملية التخطيط والتدبیر السليم، لتحقيق النجاعة والفعالية في تقديم الخدمة العمومية، دون الإضرار بأي جهة أو مصلحة كانت.

وعلى ذلك أوجب المشرع الجزائري على مجموع المصالح المتعاقدة المعنية بعملية إبرام الصفقات العمومية، اتخاذ الإجراءات المناسبة والضرورية قصد تكريس البعد البيئي في مختلف أنواع الصفقات المراد إبرامها، سواء كانت صفقات إنجاز أشغال أو اقتناء لوازم، أو تقديم خدمات أو إجراء دراسات، وهذا انطلاقاً من تحديد حاجياتها في هذا الإطار، وكذا إعداد دفاتر الشروط الخاصة بها .

أ- مراعاة البعد البيئي عند تحديد حاجيات المصلحة المتعاقدة: يفيد قانون الصفقات العمومية بوجوب المادة 27 بأنه تحدد حاجات المصالح المتعاقدة الواجب تلبيتها، مسبقاً، قبل الشروع في أي إجراء لإبرام صفقة عمومية، على أن يحدد مبلغ حاجات المصالح المتعاقدة استناداً إلى تقدير إداري صادق وعقلاوي. بحيث يجب إعداد الحاجات



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

من حيث طبيعتها ومداها بدقة، استنادا إلى مواصفات تقنية مفصلة تعد على أساس مقاييس و/أو بخاعة يتعين بلوغها، أو متطلبات وظيفية. و يجب ألا تكون هذه المواصفات التقنية موجهة نحو متتوج أو متعامل اقتصادي محدد . كما يجب النص على كيفية تقييم وتقديم بدائل المواصفات التقنية في دفتر الشروط¹ .

وبالرغم من أن هذه المرحلة تعد من أهم مراحل الصفة العمومية إذ على أساسها يحدد الطلب العام ومتطلبات المواطنين ، والتي يجب أن تضبط ليتم تحقيقها بكل دقة وعقلانية وحتى سلامة، إلا أن المشرع لم ينص صراحة على وجوب إدراج البعد البيئي في حصر حاجيات المصلحة المتعاقدة، وهذا ما يعاب عليه مما يستلزم تداركه حماية للبيئة في هذا المجال وضماناً لتنمية مستدامة .

غير أن المتمعن في أحكام المادة 27 يستتبط أن المشرع ضَمَن إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية أثناء تحديد حاجياتها بصفة ضمنية، عندما نص على وجوب إعداد الحاجات من حيث طبيعتها ومداها بدقة، استنادا إلى مواصفات تقنية مفصلة تعد على أساس مقاييس و/أو بخاعة يتعين بلوغها، أو متطلبات وظيفية، والتي يفترض أن تكون حماية البيئة والإنسان أحد أسس النجاعة المبتغاة، وهي متطلب هام وجب تحقيقه .

فيجب على المصلحة المتعاقدة قبل أن تشرع في عملية إبرام الصفقات، أن تقوم بتحديد حاجياتها وابتداء من هذه المرحلة يمكن لها أن تؤثر على حماية البيئة، من خلال

¹ - حسب الفقرات الأولى من المادة 27 من المرسوم الرئاسي رقم 247-15 .



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعاس

إدماج الشروط البيئية في حاجاتها عند وضع الشروط التقنية كتضمين صفقة أشغال بناء
مجمع سكني وضع الألواح الشمسية¹

ب- مراعاة البعد البيئي عند إعداد دفاتر الشروط: دفاتر الشروط هي مجموع
الوثائق التي تضعها المصلحة المتعاقدة بمفردها سلفاً. فقد أوضحت المادة 26 من المرسوم
الرئاسي رقم 15-247 أن دفاتر الشروط المخينة دورياً، توضح الشروط التي تبرم وتنفذ
وفقها الصفقات العمومية.²

ومنه يحتوي دفتر شروط الصفقة العمومية على عدة بنود تضعها المصلحة
المتعاقدة، مثل تحديد حاجياتها المرجوة من الصفقة، وعناصر الصفقة وموضوعها، ومدتها،
وحقوق وواجبات كل من المصلحة المتعاقدة والمتعاقد معها، وكذلك بنود أخرى تراها
مناسبة مع طبيعة الصفقة، مثل إدراج البعد البيئي في الصفقة، خصوصاً في مجال صفقة
الأشغال العمومية بما لها من تأثيرات سلبية على البيئة يصعب جيرها³.

وعلى ذلك وجوب على مجموع المصالح المتعاقدة المعنية بإبرام صفقات عمومية،
ضبط دفاتر شروط صفقاتها بدقة، وأن تحرص عند إعداد دفاتر التعليمات الخاصة
بالصفقة على تضمين مجموعة من الأحكام التي تكرس إدماج الاعتبارات البيئية خاصة

¹ - سامية لقرف، "إدماج الاعتبارات البيئية في الصفقات العمومية" نشر بتاريخ 27/09/2015
www.juristes.com/article_detail.php?id=2457 (تاریخ آخر اطلاع 01/02/2020) منشور في:-

² - للتفصيل حول أنواع دفاتر الشروط راجع د/ عمار بوضياف، شرح تنظيم الصفقات العمومية،
الجزائر، جسور للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 2011، ص 143 وما بعدها.

³ - بلمياني يوسف، "دفتر الشروط كوسيلة لتكييف البعد البيئي في مجال الصفقات العمومية"، مجلة
دفاتر السياسة والقانون، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، المجلد 12، العدد 1/2020، ص 437 .



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

بتلك الصفقة، فيما يتعلق بشروط تنفيذ الصفقة كاشتراطها في دفتر التعليمات الخاصة بأن يكون المعهد لإنجاز أشغال عامة الخبرة في إنجاز صفقات عمومية سابقة قدم فيها حماية جيدة للبيئة .

هذا بالإضافة إلى دفتر الشروط التقنية الخاصة بالصفقة والذي زيادة على احتواه على شروط تقنية خاصة ترتبط برقابة المواد وصلاحيتها للاستعمال، وشروط ترتبط بتنفيذ الصفقة، وأعمال البناء وسماته وعمق الأرضية، إضافة إلى الأساسات والبناءات الفوقيّة، فإنه يرتبط بحماية البيئة ارتباطاً وطيداً، بحيث أن البيئة ترتبط بأمور تقنية كثيرة لها علاقة بالเทคโนโลยية المستعملة، وبالتالي للبيئة خصوصية تقنية معقدة، يعود لدفتر الشروط التقنية تحديدها، كاشتراط عدم الضحى الذي يفوق ما هو مسموح به، واستعمال طاقات متعددة، مواد لا تستهلك الطاقة بشكل كبير، مواد بالإمكان استرجاعها أو حتى مواد غير مضررة بطبقية الأوزون أو المواد المائية أو الهواء والترية¹.

كما لها أن تشترط شروط بيئية إصلاحية، وأحسن صورة لذلك هو الاشتراط على المعهدين إصلاح وإرجاع الأمكنة إلى ما كانت عليه قبل إنجاز الأشغال العمومية حفاظاً على البيئة، رغم أن ذلك يبقى من الصعب تحقيقه، فالإصلاح لا يرجع الأمكنة لما كانت عليه البيئة إلا بعد سنوات من الأشغال العمومية الضارة بالبيئة².

2.3 مراعاة الاعتبارات البيئية في مرحلة إبرام الصفقة العمومية

بعد تحديد حاجيات المصلحة المتعاقدة بدقة، وضبط دفاتر شروط الصفقة المزمع إبرامها بتضمينها مختلف الشروط الازمة والضرورية لإشباع الحاجيات العامة المحددة،

¹ - بل ملياني يوسف، المرجع السابق، ص 444.

² - المرجع نفسه، ص 445.



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

تشريع في عملية إبرام الصفقة العمومية بإتباع طريقة الإبرام المناسبة، والتقييد بمعايير انتقاء المتعامل المتعاقد المحددة مسبقا.

أ/ اختيار الأسلوب المناسب لعملية إبرام الصفقة العمومية: حدد قانون الصفقات العمومية أساليب إبرام الصفقات العمومية للمصلحة المتعاقدة، في المادة 39 منه والتي تقضي بأن الصفقات العمومية تبرم وفقاً لإجراء طلب العروض الذي يشكل القاعدة العامة، أو وفق إجراء التراضي. كما ضبط أشكال وإجراءات لكل أسلوب، وحدد حالات إعماله. كما ألزمها بحسن اختيار الأسلوب المناسب، والذي تتواافق إجراءاته مع الإشباع الحسن للحاجات العامة موضوع الصفقة المزمع إبرامها، خاصة وأنها مجبرة بأن تعلل اختيارها عند كل رقابة تمارسها أي سلطة مختصة¹.

وعليه فإن المصلحة المتعاقدة ليست حرّة في اختيار المتعامل المتعاقد بالطريقة التي تروق لها، بل ألزمها قانون الصفقات العمومية بالتقييد بالأحكام القانونية المقررة، وذلك باختيار الأسلوب المناسب والتقييد بإجراءاته وتراتيه بكل شفافية ونزاهة توخياً للمصلحة العامة، ومن ثم وجب عليها اختيار أسلوب الإبرام غير المضر بالبيئة ومقوماتها، والذي تراعي إجراءاته قواعد حمايتها وسلامتها من الضرر.

وعلى سبيل المثال يسمح للمصلحة المتعاقدة بإبرام الصفقات بطريق التراضي البسيط،* في حالة الاستعجال الملحق بوجود خطر يهدد استثماراً أو ملكاً للمصلحة المتعاقدة، أو الأمان العمومي، أو بخطر داهم يتعرض له ملك أو استثمار تجسّد في

¹ - المادة 60 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247.



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

الميدان¹، وقد يلحق بالبيئة أضرار قد يصعب تداركها لاحقاً²، لأنه الأسلوب المناسب لاحتواء الوضع وتجنب الأضرار الفادحة وإصلاحها في مدة وجية، خاصة وأن إتباع أسلوب طلب العروض وآجاله لا يسمح بتعطية حالة الاستعجال لتعقد إجراءاته واستغراقها وقتاً، وقد يؤدي ذلك لتدحرج الوضع البيئي .

وكذا الحال في حالة التموين المستعجل والمخصص لضمان توفير حاجات السكان الأساسية، وهذا إما بتزويد السوق بمادة ضرورية للسكان أصبحت نادرة، ونقصها يؤثر على أسعارها ويحتم الوضع الاقتصادي والمعيشي توافرها، وإما بتوفير الحاجات الأساسية للسكان، ولقد اشترط قانون الصفقات العمومية عدم توقع المصلحة المتعاقدة لهذه الظروف التي استوجبت الاستعجال، كما أنها لم تكن نتيجة مناورات للمماطلة من طرفها³. ومن ثم فإن التراضي البسيط هو الأسلوب الأمثل لإبرام صفقاتها لإشباع الحاجات العامة، ومن ثم الحفاظ على البيئة وتوازنها وحماية المستهلكين.

ب/ التقييد بمعايير انتقاء المعامل المتعاقد المحددة : المصلحة المتعاقدة ليست لها حرية مطلقة في عملية اختيار المعامل المتعاقد إذ يجب عليها التقييد بجملة من الضوابط

* التراضي البسيط هو أسلوب تلجأ إليه الإدارة للتعاقد مع المعامل المتعاقد الذي تختره بكل حرية، وهذا دون استعمال إجراءات وشكليات المنافسة، ولا حتى إجراء الاستشارة المسابقة، وإنما يتم الاتفاق بين طرفين الصفقة بشكل مباشر، وبذلك فهي محرمة من القيود الشكلية.

¹ هي حالة تبرر للمصلحة المتعاقدة إبرام الصفقات بطريق التراضي البسيط الذي حدّدت حالات إعماله حصراً بموجب المادة 49 من المرسوم الرئاسي رقم 247-15.

² –Brahim Boulifa , Marchés publics , Alger , Berti éditions , 2013 , P 53.

³ – المادة 3/49 من المرسوم الرئاسي رقم 247-15 .



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعاس

المحددة مسبقا في دفاتر الشروط، وتعلن عنها من أجل اختيار أفضلها، فالشخص العام ملزم بالاعتماد على عدة معايير تختلف حسب موضوع وغرض الصفقة¹.
وعليه فقد أوجب المشرع أن تكون معايير اختيار المتعامل المتعاقد وزن كل منها مرتبطة بموضوع الصفقة وغير تمييزية، ومذكورة إجباريا في دفتر الشروط الخاص بالدعوة للمنافسة ويجب أن تستند المصلحة المتعاقدة لاختيار أحسن عرض من حيث المزايا الاقتصادية، إما إلى عدة معايير كالنوعية، آجال التنفيذ أو التسلیم، السعر والكلفة الإجمالية للانتقاء والاستعمال، الطابع الحمالي والوظيفي، النجاعة المتعلقة بالجانب الاجتماعي لترقية الإدماج المهني للأشخاص المحروم من سوق الشغل والمعوقين والنجاعة المتعلقة بالتنمية المستدامة، القيمة التقنية، الخدمة بعد البيع والمساعدة التقنية، شروط التمويل عند الاقتضاء وتقليص الحصة القابلة للتحويل التي تمنحها المؤسسات الأجنبية. وإما إلى معيار السعر وحده إذا سمح موضوع الصفقة بذلك².

كما قد يكون معيار الخبرة البيئية معيارا حاسما كذلك لاختيار المتعامل الاقتصادي، إذا اعتبرنا الخبرة البيئية ضرورية في بعض الصفقات، كما هو الحال عند بناء محطة معالجة النفايات أو المباني ذات الاستعمال السكني، فتزويدها بجهاز لصرف المياه يحول دون تدفقها على سطح الأرض يتطلب خبرة بيئية، إضافة إلى تصميم منشآت وبنيات ذات الاستعمال المهني الصناعي بكيفية تمكن من تفادي رمي النفايات الملوثة وكل العناصر الضارة³.

¹-Alfonsi Jean," la notion de marché public ", revue du conseil d' Etat , L'Algérie ,conseil d'Etat , Numéro 3-2003, p 61 .

²- حسب المادة 78 من المرسوم الرئاسي رقم 247-15 .

³- د/ بوزيدي خالد، المرجع السابق، ص 425 .



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

والملحوظ مما سبق عرضه أن إدراج الاعتبارات البيئية في معايير انتقاء و اختيار المتعامل المتعاقد الكفاء في مرحلة إبرام الصفقة، قد ورد بشكل صريح لا لبس فيه، وهو ما يحسب لهذا القانون في مجال حماية البيئة والحفاظ عليها .

وعلى ذلك وجب على المصلحة المتعاقدة أن تحدد بدقة خصائص المنتوج، أو الخدمة المرغوب فيها. فهذه المرحلة أساسية ويجب أن تتم بوضوح، لأنها تشكل أساس المعلومة التي تسمح للمؤسسات بتقييم قدراتها للاستجابة لهذا العرض، لأن العروض لكي تكون مقبولة وجب أن تحترم الخصائص التقنية المحددة في دفتر الشروط. فالمصالح المتعاقدة التي ترغب في تعين الحاجات البيئية في الخصائص البيئية لصفقة ما، يمكنها ذكر الخصائص البيئية مثل طريقة إنتاج محددة أو التأثيرات البيئية الخصوصية لمجموعات الإنتاج أو الخدمات، فالخصائص التقنية يمكنها أن تشكل قواعد تقنية¹.

كما يمكن أن يدرج ضمن موضوع الصفقة زيادة عن الإشارة إلى معايير معينة، مواصفات أخرى القصد منها حماية البيئة من المنتوج المراد اقتناه، أو تقليل آثاره على البيئة من حيث استعماله أو ما له بعد الاستعمال، فتعطى بذلك الأولوية والأفضلية للمعامل الاقتصادي الذي يعمل على توفير الطاقة البديلة والمتتجدة، أو على استخدام منتجات أقل خطورة على البيئة، منع تلوث المياه والتربة عن طريق منع استخدام المواد التي تولد نفايات أو منتجات سامة².

3.3 موااعنة الاعتبارات البيئية في مرحلة تنفيذ الصفقة العمومية

¹ - بوشارب ياسين، المرجع السابق، ص 126 .

² - د/ بوزيدي خالد، المرجع السابق، ص 425 .



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

إن شروط تنفيذ صفقة عمومية تهدف إلى تحديد التقني الدقيق لموضوع الصفقة ومضمونها، وعلى هذا المستوى يمكن للمصلحة المتعاقدة إدراج الاعتبارات البيئية وأخذ مقومات حماية البيئة في الحسبان. فتحديد شروط التنفيذ يتم في دفاتر الشروط، وهي بنود إلزامية لكلا طرف الصفقة المرمية، وبالأخص المتعامل المتعاقد الذي ارتضى الالتزام بها وتتوفر لديه مختلف القدرات لتنفيذها ومراعاة شروط التنفيذ البيئية.

ويجب على المصلحة المتعاقدة في هذا الإطار أن تسهر على مراقبة التنفيذ الجيد لهذه الشروط، والحرص على انجازها، كما لها في هذا الإطار أن تقوم بتعديل شروط تنفيذ الصفقة سواء بالزيادة أو النقصان إذا كان ذلك ضرورياً لحماية البيئة وفرض احترامها، وهذا من حيث كم ونوع الأشياء محل التعاقد، ومدة التنفيذ، وطريق التنفيذ، ويشترط في سلطة التعديل ألا تؤدي إلى تعديل موضوع العقد النهائي، أو إلى إغراق جميع إمكانيات التعاقد الفنية أو الاقتصادية، وبالتالي فهي لا تمثل شروط العقد إلا ما تعلق منها بسير المرفق العام¹.

إذ أن الشروط البيئية تفرض بعض كيفيات التنفيذ لصفقات الأشغال والخدمات وكذا صفقات اقتناص اللوازم أو التموين، وهي تختلف باختلاف نوع الصفقة المراد تنفيذها. فعلى سبيل المثال في صفقات الأشغال المتعلقة ببناء العمارت والمهندسة المدنية يتم اختيار المواد وشروط معالجة نفايات الورشات، ويجب أن تأخذ بعين الاعتبار الأحكام القانونية المتعلقة بترقية التسيير المستدام للغابات واقتصاديات الطاقة، وكذا

¹ - للتفصيل حول سلطة التعديل راجع كلا من : د/ سليمان محمد الطماوي، الأسس العامة للعقود الإدارية (دراسة مقارنة)، مطبعة عين شمس، الطبعة الخامسة، 1991، ص 458 وما بعدها.

- د/ عمار بوضياف، المرجع السابق، ص 203-205.



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعاس

ضمان ورشة ذات ضوضاء ضعيفة، أو الوقاية من الملوثات للأتربة والمياه من خلال استعمال مواد ينتج عنها قليل من النفايات أو منتجات غير سامة أو قابلة للاسترجاج، وكذا النوعية البيئية لوسائل النقل التي تنقل المقتنيات أو المستعملة في حال مرحلة تخصيص الصفقة. وهو ما يجب أن يأخذ به في الحسبان في وضع دفاتر الشروط¹.

4. الآليات المساهمة في تحسيد البعد البيئي في مجال الصفقات العمومية

إنّ النص على إدراج الاعتبارات البيئية وجعلها من بيانات الصفقة الإلزامية غير كاف، ولا يحقق النتائج المرجوة منه ما لم تكن هناك آليات لضمان فعاليته. وباستقراء النظام القانوني للصفقات العمومية يمكن استخلاص جملة من الضمانات القانونية، تساهم في التكريس الفعلي لحماية البيئة في مجال الصفقات العمومية، تصنف على النحو التالي:

1.4 آليات تحسيد الاعتبارات البيئية في مرحلة إبرامصفقة العمومية

وتتمثل هذه الآليات أساساً في مختلف وسائل الرقابة على عملية إبرام الصفقات العمومية تحديداً، والتي تسهر على تحسيد التسيير الجيد لهذه العملية والإدارة التربية للمال العام المرصود لتحقيقها، وكذا التصدي لمختلف أشكال الإخلال التي تصيب هذه التدابير، ومنها الإجراءات المتخذة لحماية البيئة في شروط الصفقة المبرمة ضماناً لاحترامها. والتي يمكن إرجاعها أساساً لآليتين أساسيتين هما:

أ / التأشير على دفتر شروط الصفقة: تخضع دفاتر الشروط المتعلقة بالصفقة المرمع إبرامها لدراسة وفحص من طرف لجنة الصفقات العمومية المختصة قبل الإعلان عن الصفقة، وتتوج الموافقة عليه بالتأشيرة². لأن الغرض من إخضاع دفتر الشروط لهذه

¹ - بوشارب ياسين، المرجع السابق، ص 125.

² - طبقاً لنص المادة 169 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247.



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

التأشيرة في إطار الرقابة الخارجية هو التأكيد من مطابقتها للقوانين والتنظيمات، من خلال سماع رأي اللجنة في هذه الدفاتر باعتبارها مساعها في إعداد تنظيم الصفقة العمومية، ومن ثم يعتبر دفتر الشروط أساس تكوين الصفقة، مما يتوجب على المصلحة المتعاقدة إعداده بالدقة الالزمه وتحديد كل متطلبات الصفقة قبل الإعلان عن المنافسة¹.

وعلى ذلك فإن عدم إدراج الاعتبارات البيئية الضرورية لحماية البيئة ومقوماتها في بند دفاتر شروط الصفقة المراد إبرامها، أو إدراجها بشكل معيب أو ناقص أو غير كافي، أو أن هذه الدفاتر تضمنت إجراءات أو ترتيبات تخل بالبيئة وتلحق بها ضررا، فإنلجنة الصفقات المختصة لا تؤشر عليها، وتأمر المصلحة المتعاقدة بإدراج الاعتبارات البيئية بالشكل المناسب وبتصحيح الوضع، وهذا يعد من أهم ضمانات تكريسها في مجال الصفقات العمومية .

ب / رقابة لجان الصفقات العمومية: لقد حدد قانون الصفقات العمومية بالتفصيل أنواع لجان الصفقات العمومية المكلفة بعملية إعدادها والإشراف على تدابير إبرامها حتى دخولها حيز التنفيذ. فأدرج لجان مختلف المصالح المتعاقدة، بالإضافة إلى اللجان القطاعية².

حيث أوضح قانون الصفقات في المادة 169 منه بأن لجان الصفقات للمصالح المتعاقدة تختص بالرقابة الخارجية القبلية للصفقات التي تبرمها بعض المصالح المتعاقدة، وذلك بهدف تقديم مساعدتها في مجال تحضير الصفقات العمومية وإقام ترايبيها، ودراسة دفاتر الشروط والصفقات واللاحق ومعالجة الطعون التي يقدمها المتعهدون حسب

¹ - بلملياني يوسف، المرجع السابق، ص 445 .

² - فقد تم ضبط هذه اللجان من المادة 165 إلى المادة 202 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 .



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

الشروط المقررة قانونا. بحيث تتوج رقابتها بمقرر منح التأشيرة أو رفضها خلال أجل أقصاه 20 يوما، وهذا باعتبارها مركز اتخاذ القرار فيما يخص الرقابة الخارجية القبلية على الصفقات الداخلة ضمن اختصاصها¹.

أما رقابة اللجان القطاعية للصفقات التي لها صلاحيات رقابية وتنظيمية محددة في عملية إبرام الصفقات العمومية، وبخاصة مراقبة صحة إجراءات إبرام الصفقات العمومية²، فتتوج بمقرر منح التأشيرة أو رفضها خلال أجل أقصاه 45 يوما كما أفادت به المادة 189 من قانون الصفقات العمومية .

وعليه إذا ثبت للجنة الصفقات أعلاه حسب نوعها واحتياصها أن هناك أي مساس بقواعد عملية إبرام الصفقة المقررة قانونا وكذلك إجراءاتها، ومنها عدم احترام الاعتبارات البيئية الضرورية لتنفيذها. كأن يكون الأسلوب المتبعة في إبرامها يؤدي إلى الإضرار بالبيئة ومقوماتها، أو لا يتاسب والتدابير المتخذة لحمايتها في مجال معين، أو تبين أن المصلحة المتعاقدة منحت الصفقة مؤقتا لعارض لم يحترم الاعتبارات البيئية المقررة في دفاتر الشروط في عرضه المقدم، أو أنه لا يجوز على القدرات الفنية والمهنية الالزمة لحماية البيئة في نشاطصفقة المبرمة، أو ثبت إخلاله بهذا الالتزام في صفقات أخرى سابقة عن تلك التي منحت له، أو أنه الحق بمحاجتها أضرارا جسيمة بالبيئة، ترفض اللجنة التأشير الذي يعد إجراء وجوبا لحصول الصفقة المبرمة على تأشيرات الأجهزة المالية لاحقا، ومن ثم حصولها على الإذن اللازم لدخولها حيز النفاذ .

2.4 آليات تحديد الاعتبارات البيئية في مرحلة تنفيذ الصفقة العمومية

¹ - طبقا للمادتين 178 و 195 من المرسوم الرئاسي رقم 247-15 .

² - حسب المواد 180 إلى المادة 184 من المرسوم الرئاسي رقم 247-15 .



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعاس

من أجل تنفيذ حسن للصفقات المبرمة تقرر للمصلحة المتعاقدة سلطات واسعة في هذا المجال، تضمن من خلالها التطبيق الفعلي لبند وشروط الصفقة المبرمة، ومنها البند المتعلقة بحماية البيئة التي يجب على المصلحة المتعاقدة في هذا الإطار أن تسهر على مراقبة التنفيذ الجيد لهذه الشروط الواجبة التنفيذ، وتعمل على فرض احترامها وانجازها، وتوقع العجزاء المناسب على كل تقصير أو إخلال في تكريسها ميدانيا.

أ/ سلطة الإشراف والتوجيه والرقابة على تنفيذ الصفقة العمومية: يقصد بسلطة الإشراف تحقق الإدارة من أن المتعاقد معها يقوم بتنفيذ التزاماته العقدية على النحو المتفق عليه، أما سلطة الرقابة فتمثل في حق الإدارة في التدخل في عملية تنفيذ العقد، وتوجيه الأعمال و اختيار الطرق المناسبة لتجسيده في حدود الشروط المحددة سلفا في العقد¹. ومنها الشروط المتعلقة بسلامة البيئة وحمايتها .

وتتجسد سلطة الإشراف والرقابة أكثر في عقود الأشغال العامة بالنظر لطبيعتها الخاصة، واستغراق تنفيذها مدة زمنية معينة، الأمر الذي يؤثر على البيئة سلبا بسبب الأنشطة المرتبطة بها كالالتلوث بمختلف أنواعه والضوضاء والضجيج، وتغيير ملامح الأرض وقطع الأشجار وإقامة الدعائم العشوائية من أجل تنفيذ الأشغال، والفضلات الضارة الناتجة عن المواد المستعملة ... إلخ .

وعلى ذلك تمثل هذه السلطة ضمانا هاما لتكريس الشروط البيئية المتعاقد عليها، تتجلى في صورة أعمال قانونية تتخذها المصلحة المتعاقدة، كتوجيه التعليمات والأوامر المصلحية في تطبيقها، أو الإنذارات للمتعامل المتعاقد في حال إغفالها، أو في صورة أعمال

¹ - لأكثر تفصيل حول هذه السلطة راجع: د/ سليمان محمد الطماوي، المرجع السابق، ص 454 وما بعدها.



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

مادية كإيفاد المصلحة المتعاقدة عادة بعض مهندسيها لزيارة موقع العمل، والتأكد من سير وتنيرة الإنماز وفقاً للمواعيدين المحددة ووفق التدابير البيئية المفروضة، وكذا فحص المواد المستعملة ومراقبة مدى جودتها ونوعها والكميات المستعملة في الإنماز بدقة، ومدى تأثيرها على عناصر البيئة .

وأما في صفقات اللوازم والتوريدات فطبيعتها تفرض أن تتحذذ سلطة الإشراف مظهراً آخر، يتمثل غالباً في فحص المواد والسلع الموردة من قبل مندوب أو مسؤول المصلحة المتعاقدة، من حيث كمياتها وجودتها، ومدى مطابقتها للمواصفات السابقة تحديدها في دفاتر شروط الصفقة، وحتى تشغيلها وكيفية استعمالها إن كانت التوريدات آلات ومعدات، والتأكد من صلاحيتها للغرض المطلوب وعدم إضرارها بمقومات البيئة. وللمصلحة المتعاقدة في هذا الصدد الاستعانة بنووي الخبرة والكفاءة في مجال اللوازم المقتناة، ولها أيضاً رفض استلامها وقبولها في حال التأكد من عدم استيفائها للمواصفات والشروط المتفق عليها في العقد، خاصة إذا كانت مصدر إضرار بالبيئة¹.

ب/ سلطة توقيع جزاءات على المتعامل المتعاقد : إذا أخل المتعامل المتعاقد مع المصلحة المتعاقدة بالتزاماته التعاقدية التي أرضاها الالتزام بها بموجب عقد الصفقة المبرمة بينهما، بأن أهمل أو قصر في التنفيذ، أو لم ينفذ إطلاقاً، أو نفذ على الوجه المعيب والسيء، أو لم يحترم المدد المحددة للتنفيذ أو أخل غيره في عملية التنفيذ وغيرها من أوجه التقصير، يكون للمصلحة المتعاقدة أن تلجأ لتوقيع الجزاءات المقررة قانوناً عليه، بموجب

¹- بن دعا سهام، "ضمانات حماية المتعامل المتعاقد في الصفقات العمومية"، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في القانون العام، كلية الحقوق، جامعة الجزائر 1، 2014/2015، ص 180 وما بعدها .



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعاس

قرار تصدره في هذا الشأن دون اللجوء إلى القضاء، لأن الغرض والمراد من توقيعها ليس التعويض فحسب، بل هو التنفيذ الفعلي للعقد وفقاً لمقتضيات الصالح العام.¹ وعلى ذلك يحق للمصلحة المتعاقدة إذا ما قصر المتعامل المتعاقد في التزاماته التعاقدية المتعلقة بحماية البيئة، كأن لم يتلزم بالشروط والمعطيات المحددة في دفتر شروط الصفقة المرمة، أو لم يقم باتخاذ التدابير الالزمة لحماية البيئة كما هو مقرر عليه، أو كانت التدابير المتخذة غير كافية، أو غير فعالة للغرض، أو حدثت أضرار بيئية جراء تنفيذه للصفقة يحق لها أن توقع عليه الجزاء المناسب مع هذا التقصير، وهي بذلك تشكل ضماناً فعالاً لحمله على التقيد بالاعتبارات البيئية المدرجة .

حيث ترد الجزاءات المخولة للمصلحة المتعاقدة توقيعها على المتعامل المتعاقد المقصر في التزاماته وبخاصة تلك المتعلقة بحماية البيئة لعدة أشكال، أهمها الجزاءات المالية، وهي عبارة عن مبالغ المال التي يحق للإدارة أن تطالب بها المتعاقد إذا أخل بالتزاماته التعاقدية². وأهمها غرامات التأخير ومصادرها كفالة حسن التنفيذ، والتي أفاد قانون الصفقات العمومية بأن تحدد الأحكام التعاقدية للصفقة نسبة العقوبات المالية، وكيفيات فرضها أو الإعفاء منها طبقاً لدفتر الشروط باعتبارها عناصر مكونة للصفقة . كما يمكن إدراجها كbind تكميلي من البيانات التكميلية للصفقة.³.

كما خولت المصلحة المتعاقدة ولذات الغرض سلطة توقيع جزاءات ضاغطة، تستهدف إجبار المتعاقد معها على الوفاء بالتزاماته التعاقدية، على نحو يضمن مراعاة

¹ - د/ سليمان محمد الطماوي، المرجع السابق، ص 497 وما بعدها.

² -Brahim Boulifa , op.cit , pp 199-200.

³ - حسب المادتين 95 و 147 من المرسوم الرئاسي رقم 15-247 .



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

البعد البيئي المقرر في تنفيذ الصفقة، تمثل هذه الجزاءات أساسا في سحب العمل من المقاول في عقد الأشغال العامة، فتحل الإدارة محل المقاول المقصر في تنفيذ أعماله وعلى حسابه، أن تعهد إلى الغير بتنفيذ هذه الأعمال على مسؤوليته وحسابه . وكذا جزاء الشراء على حساب المورد في عقد التوريد فأي تأخير أو إخلال جسيم في توريد الكميات أو العينات المتفق عليها يؤدي إلى تطبيق هذا الجزاء¹.

علاوة على ما سبق تقرر للمصلحة المتعاقدة ما يسمى بجزاء فسخ الصفقة مع المتعامل المتعاقد المخل بالتزاماته المتصلة بالبيئة وحمايتها، أو التي قام بتنفيذها على نحو مضر بها، مع مراعاة إجراءات الفسخ المقررة بموجب المادة 149 من قانون الصفقات العمومية . هذا بالإضافة لسلطة فسخ الصفقة التي تتمتع بها المصلحة المتعاقدة عندما يكون ذلك مبررا بالمصلحة العامة، كما لو أن تنفيذ الصفقة يشكل ضررا بيئيا يصعب تداركه، أو يلحق مضرارا بأسس النظام العام كالصحة العامة والسكنية العامة.

وفي هذه الحالة فإن للمصلحة المتعاقدة صلاحية تسجيل المتعامل المتعاقد معها من أصحاب المشاريع الذين أخلوا بالتزاماتهم التعاقدية ذات البعد البيئي، ضمن قائمة المؤسسات المخلة بالتزاماتها، وهو في حد ذاته جزاء إداري كونه يقتضي المتعامل المتعاقد محل مقرر الفسخ بشكل نهائي أو مؤقت من المشاركة في الصفقات العمومية².

1.5 الخاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية كأساس لتحقيق التنمية المستدامة يمكن التوصل إلى النتائج التالية :

¹- بن دعا سهام، المرجع السابق، ص 96 وما بعدها .

²- د/ بوزيدي خالد، المرجع السابق، ص 428 .



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ————— د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

- إن علاقـة الصـفـقـاتـ العـمـومـيـةـ بـالـبـيـئـةـ هيـ عـلـاقـةـ تـعـاـيشـ حـتـمـيـ،ـ إـذـ لـاـ يـمـكـنـ لـلـدـوـلـةـ وـإـدـارـاهـ الـاستـغـنـاءـ عـنـ الصـفـقـاتـ العـمـومـيـةـ،ـ كـمـاـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـتـمـ تـجـسـيدـهـ بـشـكـلـ يـضـرـ بـالـبـيـئـةـ.

- أصبح الاهتمام الأكبر للمصلحة المتعاقدة هو إدراج الاعتبارات البيئية في دفاتر الشروط التي تعدّها بغرض مراعاة الجانب البيئي للصفقات العمومية المزمع إبرامها.

- يلاحظ اكتفاء المشرع الجزائري بإشارة بسيطة إلى البيئة في قانون الصفقات العمومية الحالي بموجب المادة 95 منه، مما يعني إن إدراج البعد البيئي في قانون الصفقات العمومية الجزائري لا يزال في مرحلته التجريبية

- رغم عدم كفاية الإجراءات المنصوص عليها في قانون الصفقات العمومية نظراً لحجم الصفقات التي تبرمها الدولة إلا أن التنظيم يتيح الكثير من الإمكانيات لإدماج الاعتبارات البيئية في مختلف مراحل إبرامصفقة

- هناك العديد من الحدود والعوائق التي تواجهه دمج الاعتبارات في الصفقة العمومية البيئية كإلزامية وجود رابطة مباشرة للمعيار البيئي مع موضوع الصفقة، والطابع الاقتصادي الذي يميزها.

وعليه يمكن تقديم التوصيات التالية:

- الإسراع في إصدار النصوص القانونية التنفيذية المتضمنة إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية مع تضمينها بند الالتزام بالاعتبارات البيئية في الصفقات المرمرة، وكذا جزاء الإخلال بها، تجنباً لأي احتجاج لاحق من طرف المتعاملين الاقتصاديين.

- تعزيز أطر التعاون والشراكة بين القطاع العام والخاص وكذا مع هيئات المجتمع المدني لحماية البيئة في مجال الصفقات العمومية، وذلك من خلال خلق شبكة اتصال وتبادل المعلومات والخبرات والأراء مع جمّوع المصالح المتعاقدة.



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ————— د. سعير شوقي ود. سهام بن دعاس

- تفعيل نظام الأفضلية المقرر للمتنوّج الوطني في منح الصفقات العمومية، لأنّه يسمح بجمع المصالح المتعاقدة بالتدخل في مراقبة مختلف مراحل الإنتاج، مما يسمح بمراعاة مختلف اعتبارات التنمية المستدامة وعلى رأسها الاعتبارات البيئية .

- ضبط بطاقة وطنية تتضمن جموع المعاملين الاقتصاديين المعروفيين، والمتزمنين بتطبيق مختلف المتطلبات البيئية في تنفيذ الصفقات المسندة إليهم، وهذا من أجل منحهم الأفضلية لاحقا.

- إدخال الاعتبارات البيئية للتأكد من إمكانيات المعامل المتعاقد وهذا يعني أنه يمكن للمصلحة المتعاقدة أن تشرط إمكانيات مهنية متعلقة بحماية البيئة، وأن تضمنها في شروط التأهيل والتصنيف المهنية

- تكوين الموظفين على جميع المستويات لتجسيد الصفقات العمومية البيئية وأيضاً تكوين القضاة لمراقبة العملية.

- وضع عقوبات صارمة ضد المعاملين الاقتصاديين المتعاقدين المخلين بالتزام التقيد بالاعتبارات البيئية في إشباع الحاجات العامة.

6 . المراجع والمصادر

1.6 القوانين والمراسيم

أ/القوانين

1- القانون رقم 01-06 المؤرخ في 20 فيفري 2006 المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته، ج 14، المعدل والتمم بموجب الأمر رقم 10-05 المؤرخ في 26 أوت 2010 المعدل والتمم للقانون رقم 01-06، ج 50.

2- القانون رقم 11-15 المؤرخ في 2 أوت 2011 المعدل والتمم للقانون رقم 01-06، ج 44.



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

- 3 الأمر رقم 90-67 المؤرخ في 17 جوان 1967 المتضمن تنظيم الصفقات العمومية، ج ر 57، المعدل والتمم بموجب الأمر رقم 69-32 المؤرخ في 22 ماي 1969.
- 4 الأمر رقم 72-12 المؤرخ في 18 أفريل 1974، والأمر رقم 74-09 المؤرخ في 30 جانفي 1974 .

ب/المراسيم الرئاسية

- 1- المرسوم الرئاسي رقم 02-250 المؤرخ في 24 جويلية 2002 المتضمن تنظيم الصفقات العمومية، ج ر 52، المعدل والتمم بموجب المرسوم الرئاسي رقم 301-03 المؤرخ في 11 سبتمبر 2003، ج ر 55،
- 2- المرسوم الرئاسي رقم 10-236 المعدل والتمم النص على إدراج البنود المتعلقة بحماية البيئة ضمن البيانات التكميلية للصفقة العمومية .
- 3- المرسوم الرئاسي رقم 15-247 المؤرخ في 16 سبتمبر 2015 يتضمن تنظيم الصفقات العمومية وتفويضات المرفق العام، ج ر 50 .

ج/المراسيم التنفيذية

- 1- المرسوم التنفيذي رقم 91-434 المؤرخ في 9 نوفمبر 1991 المتضمن تنظيم الصفقات العمومية، ج ر 57، المعدل والتمم بموجب المرسوم التنفيذي رقم 94-178 المؤرخ في 26 جوان 1994، ج ر 42.
- 2- المرسوم التنفيذي رقم 96-54 المؤرخ في 22 جانفي 1996، ج ر 6 . وكذا المرسوم التنفيذي رقم 98-87 المؤرخ في 7 مارس 1998، ج ر 13.

2.6 الكتب

- (1) د/ سليمان محمد الطماوي، الأسس العامة للعقود الإدارية (دراسة مقارنة)، مطبعة عين شمس، الطبعة الخامسة، 1991، ص 458 وما بعدها.



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعا

(2) د/ عمار بو ضياف، شرح تنظيم الصفقات العمومية، الجزائر، جسور للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 2011، ص 143 وما بعدها.

(3) د/ مهند مختار نوح، الإيجاب والقبول في العقد الإداري – دراسة مقارنة –، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، 2005، ص 496 .

3.6 الأطروحات والمذكرات:

أ/ الأطروحات

(1) بن دعا سهام، ضمانات حماية المتعامل المتعاقد في الصفقات العمومية، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في القانون العام، كلية الحقوق، جامعة الجزائر 1، السنة الجامعية 2014-2015.

ب/ المذكرات

(1) بوشارب ياسين، الصفقات العمومية والبيئة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في القانون العام، تخصص قانون البيئة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد لين دباغين، سطيف 02، السنة الجامعية 2017-2018.

(2) زرقاق ملياء، طباش ليلة، "إدراج البعد البيئي في مجال الصفقات العمومية"، مذكرة ماستر تخصص القانون العام للأعمال، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة بجاية، السنة الجامعية 2014-2015.

4.6 المجلات

(1) بخاز عبد الله، "إشكالية دمج الاعتبارات البيئية في الصفقات العمومية – دراسة مقارنة –" ، مجلة البحوث العلمية في التشريعات البيئية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة ابن خلدون تيارت، العدد 8، جانفي 2017.



إدراج البعد البيئي في الصفقات العمومية ----- د. سعير شوقي ود. سهام بن دعاس

(2) بلمليلياني يوسف، "دفتر الشروط كوسيلة لتكريس البعد البيئي في مجال الصفقات العمومية"، مجلة دفاتر السياسة والقانون، جامعة قاصدي مرداح ورقلة، المجلد 12، العدد 1/2020.

(3) د بوزيدى خالد، "إدماج البعد البيئي في مجال الصفقات العمومية بين متطلبات تحقيق التنمية المستدامة وحماية البيئة"، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، المجلد 4، العدد 2 / 2019.

5.6 الواقع الإلكتروني

- سامية لقرف، "إدماج الاعتبارات البيئية في الصفقات العمومية" نشر بتاريخ 09/2015 20:3727 / تاريخ آخر اطلاع (2020/02/01) منشور في:- www.juristes-environnement.com/article_detail.php?id=2457

6.6 المراجع باللغة الفرنسية

(1) Brahim Boulifa , Marchés publics , Alger , Berti éditions , 2013 , P 53.

(2) Christophe Lajoye , Droit des marchés publics , Alger , Berti éditions , 2007 , p 89.

(3) Alfonsi Jean," la notion de marché public ", revue du conseil d' Etat L'Algérie ,conseil d'Etat , Numéro 3-2003.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1384-1363 تاريخ النشر: 25-03-2021

الاستثمار في الطاقات المتجددة كبدائل استراتيجية للتوجه نحو الاقتصاد الأخضر دراسة حالة المغرب

Investing in Renewable Energies as a Strategic Alternative to the Green Economy Case Study: Morocco

د. إلهام بوعليطة

ilhemboug@yahoo.fr

جامعة 20 أוקت 55 - سكيكدة

أ. د فريد كورتل

f.kourtel@yahoo.fr

جامعة سطيف 1

تاریخ القبول: 2020/11/23

تاریخ الإرسال: 2019/07/04

I. الملخص:

أصبح الانتقال نحو اقتصاد أخضر يرتكز على الطاقة المتجددة يمثل هدفا رئيسيا لبعض الدول العربية، ومنها المغرب بشكل خاص، حيث يعتبر المغرب أن الاستثمار في الطاقات المتجددة رهانات يساهم من خلالها في الحفاظ على البيئة للأجيال القادمة وهو مسعى الدراسة الحالية، والتي اعتمد فيها على المنهج الوصفي التحليلي، كما تم الاطلاع على مختلف الدراسات والبحوث المتوفرة.

وتم التوصل إلى أن دولة المغرب أنجزت مجموعة من الإصلاحات لتحسين إدماج البعد البيئي، إلا أنه على الرغم من اهتمامها بالطاقات المتجددة كطاقة نظيفة وبديلة



الاستثمار في الطاقات المتجددة كبدائل استراتيجي ————— د. إلهام بوجليطة وأ. د فريد كورتل

للتقطة الأحفورية، فإن جميع الدلائل توضح بأن الطاقة المتجددة لن تستطيع أن تلعب هذا الدور في وقتنا الحالي نظراً للصعوبات التي تواجهه تكنولوجيا الطاقة المتجددة وبالتالي الكلفة العالية للاستثمار، وعلى الرغم من ذلك فال المغرب تبذل مجهودات في إطار الطاقة المتجددة للتحول نحو الاقتصاد الأخضر.

الكلمات المفتاحية: الطاقات المتجددة؛ الاقتصاد الأخضر؛ الاستثمار؛ الطاقة الأحفورية، دراسة حالة المغرب؛

I. ABSTRACT:

The transition to a green economy based on renewable energy has become a major goal for some Arab countries, including Morocco in a particular way. Where investment in renewable energies is baccalaureate that contributes to preserve the environment and this is what the study seeks to. In this study, the analytical descriptive approach was adopted, and many available studies were examined.

It was concluded that the state of Morocco has completed a series of reforms in order to improve the integration of the environmental dimension, but despite its interest in renewable energies as clean and alternative fossil energy, all the evidences show that renewable energy will not be able to play this role at this time because of the difficulties facing the technology of renewable energy. Therefore, the high cost of investment, despite this, Morocco is spending great efforts within the framework of renewable energy to move towards the green economy.

Keywords : Renewable energy; investment; Green economy; fossil energy; case study Morocco

المقدمة:



الاستثمار في الطاقات المتتجدة كبدائل استراتيجية ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

تسبب النشاط الاقتصادي الناتج عن الثورة الصناعية والتكنولوجية في تلوث البيئة على كافة الأصعدة، كما اتسمت السنوات الماضية بتلاحم مجموعة من الأزمات العالمية التي أدت إلى بروز وعي دولي بحتمية ارتفاع أسعار الطاقة والمحروقات ذات الأصل الأحفوري المستورد والذي أصبح مخزونه مهددة بالضوب، هذه الظروف دفعت مجموعة من الدول إلى التفكير في إيجاد حلول تحمي البيئة، وذلك عن طريق وضع تصور لانطلاق اقتصادي مبني على استراتيجية الانتقال إلى اقتصاد أخضر أي العودة إلى الطبيعة.

والاقتصاد الأخضر هو نموذج من نماذج التنمية الاقتصادية الذي يهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة مع مراعاة الحد من المخاطر البيئية وندرة الموارد البيئية، وهو ينافق نموذج ما يعرف بالاقتصاد الأسود، والذي أساسه يقوم على الوقود الأحفوري مثل الفحم والبترول والغاز الطبيعي، فالاقتصاد الأخضر يحتوي على الطاقة الخضراء والتي توليدها يتم على أساس الطاقة المتتجدة بدلاً من الوقود الأحفوري والمحافظة على مصادر الطاقة واستخدامها كمصدر طاقة فعالة.

إن الأكراهات البيئية من إجهاد مائي، تدهور التربة والتبغية الطاقية الشديدة، والهشاشة وتعدد أشكال التلوث بالإضافة إلى النتائج المحدودة للنمو الاقتصادي والاجتماعي، تفرض إعادة توجيه النموذج الاقتصادي نحو اقتصاد أخضر تلك هي الرهانات الرئيسية التي تواجهها الدول العربية والمغرب إحدى هذه الدول التي أصرت على أن يجعل الاقتصاد الأخضر محوراً استراتيجياً في سياساتها الخاصة بالتنمية المستدامة من خلال الاستثمار في الطاقات المتتجدة التي تعتمد على الطاقة الشمسية وطاقة الرياح... الخ

على ضوء ما سبق يمكن صياغة الإشكالية التالية:



الاستثمار في الطاقات المتجددة كبدائل استراتيجية ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

هل يمكن للمغرب التوجه نحو الاقتصاد الأخضر بالاعتماد على الاستثمارات في
الطاقة المتجددة؟

وتحت هذه الإشكالية ندرج مجموعة من الأسئلة الفرعية:

1. ما المقصود بالطاقة المتجددة؟

2. ما المقصود بالاقتصاد الأخضر؟

3. ما واقع الاستثمار في الطاقة المتجددة وتجاوز رهانات الانتقال نحو الاقتصاد

الأخضر في المغرب؟

بناء على إشكالية الدراسة، قمنا بصياغة الفرضية التالية:

حققت المغرب مجموعة من الإصلاحات والبرامج لتحسين إدماج البعد البيئي
وتشجيع الاستثمار في القطاعات الاستراتيجية المتعلقة بالطاقة المتجددة متوجهة بذلك نحو
اقتصاد أخضر.

أهمية الدراسة:

وتكتسب الدراسة أهميتها من خلال سعيها إلى تحقيق مجموعة من الأهداف
أهمها:

1. تأصيل المفاهيم النظرية المتعلقة بالطاقة المتجددة والاقتصاد الأخضر.

2. الاستفادة من التجربة المغربية في مجال استغلال الطاقة المتجددة والانتقال نحو
الاقتصاد الأخضر.

3. الخروج بجموعة من التوصيات التي تساعد المغرب والبلدان العربية في مجال

تطوير استخدام الطاقة المتجددة لانتقال نحو اقتصاد أخضر.

منهج الدراسة:



الاستثمار في الطاقات المتجددة كبدائل استراتيجية ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لوصف الظاهره محل الدراسة وجمع البيانات المتعلقة بالموضوع وتحليلها للتوصيل إلى النتائج.

1. ماهية الطاقة المتجددة

1.1 مفهوم الطاقة المتجددة

الطاقة المتجددة هي: "الطاقة المستمدّة من الموارد الطبيعية التي تتجدد أو التي لا يمكن أن تنفذ (طاقة مستدامة)"¹.

كما تعرف الطاقة المتجددة على أنها: "الطاقة المستمدّة من الطبيعة من مورد لا ينفد متتجدد باستمرار وتعتبر نظيفة نسبياً وغير ملوثة للبيئة"².

إن مصادر الطاقة المتجددة تختلف جوهرياً عن الوقود الأحفوري من بترول وفحم وغاز الطبيعي، والوقود النووي الذي يستخدم في المفاعلات النووية، ولا تنشأ عن الطاقة المتجددة عادة مخلفات كثنائي أكسيد الكربون، أو غازات ضارة، أو زيادة الاحتباس الحراري، كما يحدث عند احتراق الوقود الأحفوري أو المخلفات الذرية الضارة الناتجة على مفاعلات القوى النووية، وبهذا تعتبر الطاقات البديلة أو المتجددة طاقة بديلة أو صديقة للبيئة، وهي بذلك على خلاف الطاقات غير المتجددة القابلة

¹ - خبابة عبد الله خبابة صهيب، كعرار أحمد: تطوير الطاقات المتجددة بين الأهداف الطموحة وكيفيات التنفيذ- دراسة حالة برنامج التحويل الطاقوي لألمانيا مجلة العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، العدد 10، 2013، ص 43.

² - موساوي رفيقة، موساوي زهية، دور الطاقة المتجددة في تحقيق التنمية المستدامة، مجلة المالية والأسواق، ص 393.



الاستثمار في الطاقات المتجددة كبدائل استراتيجية ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

للنضوب وال موجودة غالبا في مخزون جامد في الأرض لا يمكن الاستفادة منها إلا بعد تدخل الإنسان لإخراجها¹.

2.1 مصادر الطاقة المتجددة:

1.2.1 الطاقة الشمسية:

تعتبر الطاقة الشمسية من الطاقات المتجددة النظيفة التي لا تنضب ما دامت الشمس موجودة، كما أن جميع مصادر الطاقة الموجودة على الأرض نشأت أولاً من الطاقة الشمسية²، والطاقة الشمسية هي طاقة يتم الحصول عليها من ضوء الشمس، وتستعمل لتوليد الطاقة الكهربائية وتزويد البيانات بالتدفئة، وتستعمل لشحن الماء منذآلاف السنين، وتعد الطاقة الشمسية من الطاقات المتجددة، حيث يمكن الاستفادة منها دون مقابل مادي، كما أنها غير محدودة، وتنتمي بانتشارها الواسع ووصولها إلى المناطق النائية دون تجهيز³.

أشعة الشمس أشعة كهرومغناطيسية وطيفها المرئي يشكل 49%， وغير المرئي كالأشعة فوق البنفسجية يشكل 2% والأشعة دون الحمراء تشكل 49%، وتقدر كمية الإشعاع الشمسي الواردة إلى أرض الوطن بـ 1.36 كيلو واط/م² وأن حوالي 50%

¹ نفس المرجع السابق ص 393.

² فرات حدة، الطاقات المتجددة كتدخل لتحقيق التنمية المستدامة في الجزائر، مجلة الباحث، جامعة ورقلة، عدد 11، 2012، ص 150.

³ سليمان كعوان، تجربة الجزائر في استغلال الطاقة الشمسية وطاقة الرياح، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، العدد 10، ص 129-130.

⁴ فرات حدة، مرجع سابق، ص 150.



الاستثمار في الطاقات المتتجدة كبدائل استراتيجية ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

تعكس في الفضاء و15% منها تعكس على سطح الأرض و35% تختص في الهواء والماء والأتربة.

وللطاقة الشمسية أهمية كبرى ومكانة لائقة بين مصادر الطاقة البديلة الأخرى لما لها من مميزات تؤهلها لاحتلال مكانة البترول والغاز الطبيعي على المدى الطويل، وتحصر هذه المميزات في النقاط التالية¹:

- توفر الطاقة الشمسية طاقة متتجدة، مستدامة ونظيفة.
- الطاقة الشمسية ذات تقنيات معروفة وغير معقدة ويمكن تطويرها، بالإضافة إلى استغلالها في عملية تطوير تقنيات طاقات أخرى.
- الطاقة الشمسية هي طاقة آمنة كما أن استخدامها يعمل على توفير مناصب وفرص عمل على نطاق واسع.
- الطاقة الشمسية جد مكلفة في الوقت الراهن إلا أنها لا تحتاج إلى صيانة المستلزمات المعقدة مثل التجهيزات الأخرى.

2.2.1 الطاقة المائية:

الطاقة المائية هي طاقة مستمدّة من قوة الماء وحركته، ومصادر الطاقة التي تستعمل الماء متواجدة وللآلاف السنين على شكل ساعات مائية ونواعير ماء، وأن الإبداع الأكثر حداًثة هو الكهرباء المائية والذي ينبع عن طريق جريان الماء من السدود،

¹ - بن رمضان أنيسة، دراسة إشكالية استغلال الموارد الطبيعية الناضبة وأثرها على النمو الاقتصادي، دار هومة، 2014، ص 318.



الاستثمار في الطاقات المتتجدة كبدائل استراتيجية ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

كما أن علماء هذا القرن طوروا تطبيقات مبنية على الماء تتراوح من طاقة المد والجزر إلى الطاقة الحرارية¹.

إن الطاقة الكهرومائية مصدر رئيسي لإنتاج الطاقة على المستوى العالمي، وتوجد في العالم مصادر واسعة جداً لزيادة استغلال الطاقة المائية إلا أن تكلفتها وبعدها عن مصادر الاستغلال يحول بينها وبين الاستثمار فيها، كذلك فإن الطاقة المائية تعاني من مشاكل بيئية كبيرة ناتجة عن غمرها لمناطق واسعة مما يتطلب تحريك وإعادة إسكان أعداد كبيرة من الناس بعد بناء السدود².

3.2.1 الطاقة الهوائية:

أدى تزايد دور الطاقات المتتجدة في التنمية الاقتصادية وارتفاع أسعارها خلال القرن العشرين وببداية الواحد والعشرين إلى إعادة الاهتمام بالرياح كمصدر للطاقة، وتعتبر الرياح صورة غير مباشرة من صور الطاقة الشمسية حيث أن حركة الهواء هي نتيجة لفرق الضغط في الغلاف الجوي، وبسبب فرق الضغط تحول الهواء من منطقة ذات ضغط مرتفع إلى منطقة أخرى ذات ضغط منخفض، وينشأ فرق الضغط نتيجة اختلاف التأثيرات الحرارية للشمس التي تتحكم في درجة الحرارة في الأرض والتي تكون السبب في حدوث الرياح³.

4.2.1 الطاقة الحرارية لباطن الأرض:

¹ سعير سعدون مصطفى، بلال عبد الله ناصر: الطاقة البديلة، ط1، دار اليازوري، المكتبة الوطنية، 2011، ص 195.

² فرات حدة، مرجع سابق، ص 150.

³ موساوي رفique، مرجع سابق، ص 398.



الاستثمار في الطاقات المتتجددة كبدائل استراتيجي ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

الطاقة الناجمة من حرارة الأرض الجوفية هي طاقة تولد من الحرارة الموجودة تحت القشرة الأرضية، وهي طبقة سميكة من الصخور الحارة مع جيوب عرضية للماء، يتسرّب منها الماء أحياناً إلى السطح ويظهر على شكل ينابيع حارة، وحتى إذا لم يظهر طبيعيًا على سطح الأرض فإنه يمكن الوصول إليه أحياناً عن طريق الحفر، هذا الماء الحار يمكن أن يستعمل كمصدر مجاني للطاقة، إما مباشرةً كماء حار أو كوسائل لإنتاج الطاقة الكهرومائية، وإن الطاقة الحرارية لباطن الأرض لا تسبب تلوثاً للجو كما أنها رخيصة أو في معظم الحالات فإنها قابلة للتتجدد مما يجعلها مصدراً واعداً للطاقة في المستقبل¹.

2. الاقتصاد الأخضر

1.2 مفهوم الاقتصاد الأخضر

وصف الاقتصاد الأخضر بأنه أخضر ويعني أنه اقتصاد يراعي البيئة ويحدد من استدراك مواردها، وهو مناقض للاقتصاد البني أو الاقتصاد الأسود كما يطلق عليه أحياناً، والذي يقوم على استخدام الوقود الأحفوري مثل الفحم الحجري والبتروlier والغاز الطبيعي.

وتحتَّم تعريف المصطلح الاقتصاد الأخضر، حيث عرف كارل بوركات ذلك النوع من الاقتصاد بأنه: "اقتصاد يستند إلى ستة قطاعات رئيسية هي: الطاقة المتتجدة، والبناء الأخضر، ووسائل النقل النظيفة، وإدارة المياه، وإعادة تدوير المياه الثقيلة وإدارة الأرضي"²

¹ - سمير سعدون مصطفى وآخرون، مرجع سابق ص 53.

² - محمد عبد القادر الفقي، الاقتصاد الأخضر، المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية، 2014، ص:



الاستثمار في الطاقات المتتجدة كبديل استراتيجي ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

وعبر برنامج الأمم المتحدة للبيئة الاقتصاد الأخضر بأنه: "اقتصاد يوجه فيه النمو في الدخل والعملة بواسطة استثمارات في القطاعين العام والخاص من شأنها أن تفضي إلى تعزيز كفاءة استخدام الموارد، وتخفيض انبعاثات الكربون والنفايات والتلوث ومنع خسارة التنوع الأحيائي وتدهور النظام الإيكولوجي".¹

ما سبق فإن مصطلح ومفهوم الاقتصاد الأخضر لا يحل أو يعوض مصطلح ومفهوم التنمية المستدامة، بل يزيد من القناعة بأن تحقيق التنمية المستدامة لن يتحقق إلا باعتماد وتطبيق فكرة الاقتصاد الأخضر في ظل الدمار الذي لحق بالبيئة نتيجة عقود التنمية السابقة المبنية على إهمال البيئة، ومنه فالاقتصاد الأخضر هو نشاط من الأنشطة الاقتصادية التي تهدف إلى تحقيق الترابط بين الاقتصاد من جهة والبيئة والتنمية المستدامة من جهة أخرى، من خلال الحفاظ على البيئة والحد من تدهورها، وتحسين نوعية حياة الإنسان على المدى الطويل دون تعريض الأجيال القادمة إلى مخاطر بيئية أو ندرة إيكولوجية واستخدام مصادر الطاقة البديلة.

يهدف الاقتصاد الأخضر إلى الربط بين متطلبات تحقيق التنمية بشتى أنواعها بما في ذلك التنمية البشرية وبين حماية البيئة، كما أنه يهدف إلى تغيير المسار الذي تنتهجه الدول والشركات العملاقة العابرة للقارات في التعامل مع الموارد الطبيعية من جهة ومع الموارد البشرية من جهة أخرى.

وقد أكد مؤتمر ريو + 20 على أن الاقتصاد الأخضر هو من الأدوات المهمة لتحقيق التنمية المستدامة وتعزيز القدرة على إدارة الموارد البشرية على نحو مستدام،

¹ - عايد راضي خنفر، الاقتصاد البيئي "الاقتصاد الأخضر" مجلة أسيوط للدراسات البيئية العدد التاسع والثلاثون، 2014، ص: 55.



الاستثمار في الطاقات المتتجدة كبدائل استراتيجية ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

وزيادة كفاءة استخدام الموارد والتقليل من الهدر والحد من الآثار السلبية للتنمية على البيئة¹.

2.2 حتمية الانتقال إلى الاقتصاد الأخضر

الاقتصاد الأخضر في نظر الكثرين ضرورة حتمية تفرضها حالة التدهور البيئي التي آل إليها كوكبنا، والتي عجزت عشرات الاتفاقيات والمعاهدات الدولية عن وقفها وأخفقت هيئات ووكالات ومؤسسات حماية البيئة في الحد من الأنشطة المسيبة لها، مما حدث بعد استوكهولم (في مؤتمر البيئة والإنسان عام 1972) هو أنه تم نقل مراكز الصناعات السوداء من الدول الغنية إلى الدول الفقيرة، ودفنت النفايات النووية والخطرة التي أنتجتها دول الشمال في صحاري ومياه دول الجنوب².

وجاء التفكير بالتحول إلى الاقتصاد الأخضر من خيبة الأمل من النظام الاقتصادي العالمي السائد حاليا والأزمات العديدة المتزامنة (الأعيار الأسوق، الأزمات المالية والاقتصادية، ارتفاع أسعار الغذاء، ارتفاع نسبة البطالة، التقلبات المناخية التراجع السريع في الموارد الطبيعية وتسارع التغير البيئي، الندرة المتنامية في الأراضي المنتجة³. وعلى الرغم من تباين أسباب هذه الأزمات فإنها تتحد معا على المستوى الأساسي لتخفيض الموارد، وقد تم إنفاق الكثير من رؤوس الأموال في العقود اللاحرين على العقارات، والوقود الأحفوري، والأصول المالية، بينما تم استثمار القليل بالمقارنة في

¹ - محمد عبد القادر الفقي، مرجع سابق، ص: 07.

² - نفس المرجع، ص: 12.

³ - عايد راضي خنفر، مرجع سابق، ص: 56.



الاستثمار في الطاقات المتجددة كبدائل استراتيجي ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د. فريد كورتل

الطاقة المتجددة وكفاءة الطاقة، والمواصلات العامة، والزراعة المستدامة، وحماية النظام

الإيكولوجي والتنوع البيولوجي والمحافظة على الأرض والمياه¹

وللاقتصاد الأخضر منافع ومزايا عديدة على المستوى البيئي أو الاجتماعي كما

هو موضح في الجدول رقم (01)

جدول رقم (01): المنافع الرئيسية للاقتصاد الأخضر

الجوانب الرئيسية للاقتصاد الأخضر	المنافع
الاقتصاد الأخضر يخلق فرص عمل ويقرر العدالة الاجتماعية	التحول إلى اقتصاد أخضر يعني تحولاً في العمالة الذي على الأقل سوف يخلق العديد من فرص العمل.
الاقتصاد الأخضر يخلق فرص عمل ويقرر العدالة الاجتماعية	في سيناريوهات الاستثمارات الخضراء والزراعة والمباني والنقل ستشهد نمو الوظائف في المدى القصير والمتوسط والطويل.
الاقتصاد الأخضر يخلق فرص عمل ويقرر العدالة الاجتماعية	تخصيص ما لا يقل عن 01 % من الناتج المحلي الإجمالي العالمي لرفع كفاءة استخدام الطاقة وخلق فرص عمل إضافية مع توفير الطاقة التنافسية.
الاقتصاد الأخضر يخلق فرص عمل ويقرر العدالة الاجتماعية	تستخدم الطاقة المتجددة في فرص اقتصادية كبيرة. سياسة الحكومة لديها دور أساسي تلعبه في تعزيز حواجز الاستثمار في الطاقة المتجددة.

¹- أسامة محمد الحسيني: الاقتصاد الأخضر، البيئة والتنوع البيولوجي، جامعة القاهرة، 2015، ص:



الاستثمار في الطاقات المتتجدة كبدائل استراتيجية ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

الوقود الأحفوري
يواجه المصنعين فرص متعددة لتقدير كفاءة استخدام الموارد.
اقتصاد أخضر يروج للموارد وتعزيز كفاءة استخدام الطاقة
هناك أدلة كثيرة على أن الاقتصاد العالمي لا يزال لديه فرص غير مستغلة لإنتاج الثروة باستخدام أقل موارد الطاقة.
إعادة التدوير واسترجاع الطاقة من النفايات أصبحت أكثر ربحية وينبغي أن تستثمر في القيام بذلك إذ أصبحت النفايات أكثر قيمة
اقتصاد أخضر يوفر المعيشة الحضرية منخفضة الكربون والتنقل أكثر استدامة
الترويج للمدن الحضرة تشيد المباني الحضراء الجديدة. تحسين كفاءة استخدام الطاقة في قطاع النقل، واعتماد الوقود النظيف والتحول في وسائل النقل الخاص إلى وسائل النقل العام وتحقيق قواعد اقتصادية وصحية كبيرة.
أحددة السياسة الاستراتيجية الذي يدمج تخطيط مجموعة من القطاعات الاقتصادية الرئيسية يأخذ مزايا التأثير ويفرز النمو على المدى الطويل من خلال التخفيف من الندرة.

المصدر: ثابتي الحبيب، بركنو نصيرة، دور الاقتصاد الأخضر في خلق الوظائف الخضراء واحد من المساهمة في الحد من الفقر، مجمع مداخلات الملتقى الدولي حول تقييم



الاستثمار في الطاقات المتتجدة كبدائل استراتيجية ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د. فريد كورتل

سياسات الإقلال من الفقر في الدول العربية في ظل العولمة، نخير العولمة والسياسات
الاقتصادية جامعة الجزائر ، 09-08 ديسمبر 2014، ص: 95.

3. استعراض واقع التجربة المغربية في الاستثمار في الطاقة المتتجدة والتحول

لل الاقتصاد الأخضر

يتجه المغرب نحو تشجيع الاقتصاد الأخضر بالنظر لالتزامه السياسي في مجال التنمية المستدامة، وقد حقق المغرب إنجازات ملموسة في مجموعة من المجالات مثل مراقبة جودة الهواء ومكافحة الاحتباس الحراري واستغلال الغابة، وتطوير الطاقات المتتجدة والكهرباء الريفية، والحصول على الماء الصالح للشرب في المناطق الريفية، وتأهيل التربة البيئية، كما تبذل حاليا جهود لتعزيز البيانات الأساسية لتطهير النفايات السائلة (500 مليون متر مكعب من المياه المستعملة غير المعالجة سنويا) وتحميض النفايات، وتدويرها وتشميئها (4.5 مليون طن من النفايات الصلبة غير المعالجة سنويا)، وإعادة التشجير الذي يتم بوتيرة ضعيفة، والنجاعة الطاقوية، والنقل المستدام، وترشيد استهلاك المياه وتنمية الموارد المائية غير التقليدية.

1.3 أدوات مالية للاستثمار ودعم تطوير الطاقات المتتجدة في المغرب

يحتاج برنامج الاستثمار لتطوير الطاقات المتتجدة على تمويل طاقي خام يفوق 100 مليار درهم (حوالي 10 ملايين أورو)، وتمت تعبئة 1.5 مليار أورو من مختلف المانحين (مصرف التنمية الإفريقي، والبنك الدولي، أو البنك الأوروبي للاستثمار، ووكالة التنمية الفرنسية والمؤسسة الألمانية لقرض إعادة البناء والاتحاد الأوروبي) وهذا في إطار الشراكة بين القطاعين العام والخاص ومن أجل بناء أول محطة للطاقة الشمسية بورزازات (500 ميجاواط سنة 2017)، وسيتم بناء باقي المحطات على مدى الفترة 2018-2020 وتحمّل الخطة المالية بين أموال عمومية وخاصة وطنية وأجنبية، وتستخدم آليات تمويل في



الاستثمار في الطاقات المتجددة كبدائل استراتيجية ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

إطار التعاون متعدد الأطراف والتعاون الثنائي، كما تم إنشاء شركة الاستثمارات الطاقية، وإحداث صندوق التنمية الطاقية¹، وحسب مرصد أنيما مرصد للاستثمار والشراكة في البحر المتوسط، جدب المغرب في المتوسط مشروع استثمار أجنبي و مباشر واحد لكل لسنة ما بين 2003 و2009، وثلاثة مشاريع سنة 2010 و 4 مشاريع سنة 2014.

2.3 برنامج الاستثمار لتطوير الطاقات المتجددة وتشجيع الاقتصاد الأخضر في المغرب

1.2.3 مخطط الطاقة الشمسية

قدرت القدرة الإجمالية للمشروع 2000 ميغاواط في أفق 2020، وتنمية الاستثمار قدر بـ 9 مليار دولار، ويهدف المشروع إلى إنتاج 14% من احتياجات البلاد من الطاقة الكهربائية بواسطة الطاقة الشمسية في أفق 2020، وسيتمكن هذا المشروع من تلبية 14% من احتياجات الكهرباء وخفض استيراد الطاقة بما قدره 1 مليون طن من المكافئ النفطي بالإضافة إلى منع انبعاث 3.2 مليون طن من CO₂ سنوياً ويتوخى المشروع بناء 05 موقع لإنتاج إلى حدود 2020².

¹ - الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية لإفريقيا مكتب شمال إفريقيا، الاقتصاد الأخضر في المغرب، هدف استراتيجي سيدعى تحفيز الشراكات وتحسين اتساق السياسات والمبادرات ص: 14.

² - المملكة المغربية، الوزارة المتعدبة لدى وزير الطاقة والمعادن والماء والبيئة المكلفة بالبيئة، نحو اقتصاد أخضر من أجل تنمية مستدامة في المغرب، 2014، ص 16.



الاستثمار في الطاقات المتتجددة كبدائل استراتيجية ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

وتحدف المرحلة الأولى من المخطط إلى إقامة أول محطة للطاقة الكهروحرارية بورزازات بقدرة 125 ميغاواط، ويز الحدول التالي المحطات الخمس لمخطط الطاقة الشمسية الذي تشرف عليه الوكالة المغربية للطاقة الشمسية.

جدول رقم (02): المحطات الخمس لمخطط الطاقة الشمسية.

القدرة (ميغاوات)	المحطة
500	بورزازات
400	عين بني مطهر
500	سبخة الطاح
500	فم الود
100	بوجدور
2000	المجموع

المصدر: المجلس الاقتصادي والاجتماعي، الاقتصاد الأخضر فرص خلق الثروة ومناصب الشغل، تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي، ص: 46، منشور على الموقع www.ces.ma

2.2.3. الطاقة الكهرومائية

في سنة 1960 وبفضل سياسة بناء السدود الكبرى، اعتمد المغرب في البداية على الطاقة المائية لانتاج الكهرباء.

حاليا تصل القدرة المتوفرة من نوع الطاقة الكهرومائية إلى 1306 ميغاواط، وقد بلغ إنتاج الطاقة الكهرومائية عام 2010 3630.8 ميغاواط في الساعة، وفي 2004 وضع المغرب أول محطة للضخ بأفوار تصل قدرتها إلى 460 ميغاواط وقد قام المكتب الوطني للكهرباء بإنجاز الدراسات لبناء محطة ثانية للضخ قرب أكادير وثالثة في منطقة الشمال،



الاستثمار في الطاقات المتجددة كبدائل استراتيجية ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

وسيساهم إدخال محطات للضخ في تقويم أداء حظائر لإنتاج الكهرباء، ولاسيما تلك التي يتم استخراجها من الطاقات المتجددة ويتبع تسجيل عودة الاهتمام بالطاقة المائية وذلك بفضل الاستراتيجية الطاقية الجديدة، وخصوصا بالنسبة للمحطات المائية الصغيرة¹.

يهدف المشروع إلى إنتاج 14% من احتياجات البلاد من الطاقة الكهربائية بواسطة الطاقة الكهرومائية في أفق 2020 ويتخلى المشروع إنشاء وحدات صغيرة للطاقة الكهرومائية من 3 ميغاواط للوحدة أي ما يعادل 300 ميغاواط من مجموع الوحدات (ليتم الوصول إلى 100 وحدة بحلول 2030).

3.2.3 الكتلة الحيوية: الوقود الحيوي والغاز الحيوي

يجري حاليا إنجاز دراسات لتحديد الإمكانيات الحقيقية والتخطيط للتشمين الطاقوي للكتلة الحيوية انطلاقا من النفايات الصلبة العضوية، والمياه العادمة، والأخشاب والوقود الحيوي ... الخ)، وذلك أساسا من خلال التحقق من مشروعات توليد 200 ميغاواط في 2012، وقد رأت مشاريع رائدة النور في عدة جهات من المملكة من أجل التشمين الطاقوي لنفايات محطات تصفية المياه العادمة في بعض المدن كما يوضح الجدول المواري:

جدول رقم (03): التشمين الطاقوي لنفايات محطات تصفية المياه العادمة في

بعض المدن

فاس	أكادير	مراكش	استعادة الغاز الحيوي (Teq CO2/ on)
100000	73000	60000	

¹ - المجلس الاقتصادي والاجتماعي، الاقتصاد الأخضر فرص خلق الثروة ومناصب الشغل، تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي، ص: 46، منشور على الموقع www.ces.ma.



الاستثمار في الطاقات المتجددة كبدائل استراتيجية ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

4	18	71	إنتاج الكهرباء بالجيغاوات/ساعة ل حاجيات المحطة
/	7	16	إنتاج الطاقة الحرارية بالجيغاوات (ساعة لتنشيط الحمأة)

المصدر: المجلس الاقتصادي والاجتماعي، نفس المرجع، ص: 47، منشور على

الموقع www.ces.ma

3.3. مخاطر ورهانات الاستثمار في قطاع الطاقة المتجددة بالمغرب

من المخاطر الكبرى والعوائق التي تم تشخيصها نجد ما يلي:

- قام المغرب بتطوير برامج قطاعية خضراء لكن دون وضع استراتيجية شاملة مهيكلة للاقتصاد الأخضر.
- عدم تطوير برامج خضراء مدججة على الصعيد الجهوي والمحلي.
- عدم فاعلية تطبيق الإطار القانوني البيئي وغياب سياسة ضريبية مشجعة ومناسبة لتطوير المهن الخضراء.
- المواكبة الضعيفة لسياسة الاقتصاد الأخضر من طرف القطاع المالي الخاص وعدم تشجيع البحث والتطوير والابتكار.

4.3 تدابير لتطوير الاستثمار في قطاع الطاقات المتجددة بالمغرب

- انطلاقا من المعطيات المجمعة والمتعلقة بعرقلة بطيئة تطوير قطاع الطاقات المتجددة تم اقتراح تدابير عملية تتمحور حول ما يلي:
- تعزيز استراتيجية تنمية الطاقات المتجددة.
 - السهر على تحسين الاختيارات التكنولوجية بهدف رفع فرص نجاح برامج الطاقات المتجددة ولاسيما المخطط الشمسي.
 - تعزيز الاستراتيجية الوطنية لتطوير الكتلة الحيوية بالانسجام مع برامج مخطط المغرب الأخضر وتطوير الصناعات الغذائية.



الاستثمار في الطاقات المتجددة كبدائل استراتيجية ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

- تطوير مخططات الطاقات المتجددة الصغيرة والمتوسطة.

- تقييم وتطوير إمكانيات الوطنية من الطاقة المهاوية.

- وضع مخطط لتكوين والبحث العلمي في مجال الطاقات المتجددة.

- تطوير عملية توحيد معايير تجهيزات الطاقة المتجددة.

- تعزيز التدابير المالية والضرورية الموجودة والمرتبطة بالطاقات المتجددة.

الخاتمة: تكمن أهمية الطاقة المتجددة في سياق الاقتصاد الأخضر بأن تصبح المصدر الرئيسي للطاقة في البلدان العربية التي تتوفر فيها إمكانيات هائلة، إلا أنه رغم ضخامة الاستثمارات والإعانات في البنية التحتية للطاقة المتجددة خلال العقود الأخيرة فإن هناك تباينات واسعة بالنسبة للحصول على خدمات الطاقة المتجددة المعولمة بين الدول وفي كل دولة، ويعتبر المغرب الاستثمارات في الطاقات المتجددة أولوية يساهم من خلالها للتوجه نحو الاقتصاد الأخضر، ومن خلال هذه الدراسة توصلنا إلى النتائج التالية:

النتائج:

- يمتلك المغرب إمكانيات كبيرة تؤهله لأن يكون أكبر المستثمرين في مجال الطاقة المتجددة وهذا يستلزم الاستخدام الرشيد لها.

- على الرغم من اهتمام المغرب بالطاقات المتجددة كطاقة نظيفة وبديلة للطاقة الأحفورية، إلا أنها لن تستطيع أن تلعب هذا الدور نظراً للكلفة العالية للاستثمار فيها، وعلى الرغم من ذلك فالملحق يبذل جهودات في إطار الطاقة المتجددة للتحول نحو الاقتصاد الأخضر.

- إن الآليات التي تم بها تمويل الطاقة المتجددة بالمغرب قد أدى إلى تحقيق منظومة خضراء وبالتالي الوصول إلى توصيات التنمية.



الاستثمار في الطاقات المتجددة كبدائل استراتيجية ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

- تلعب الطاقات المتجددة دوراً فاعلاً في التحول إلى الاقتصاد الأخضر حيث يساهم الاستثمار فيها في الحفاظ على البيئة للأجيال القادمة، فالاستثمار في مجال الطاقة المتجددة في البلدان العربية أصبح أمراً مطلوباً لدعم مسار الانتقال نحو الاقتصاد الأخضر من أجل الاستغلال الأمثل للموارد.

الوصيات: توصي الدراسة بما يلي:

- اعتماد استراتيجية شاملة للاقتصاد الأخضر ذات أهداف ومؤشرات واضحة قابلة للقياس.

- ضرورة تعزيز الدور الذي تقوم به الوكالة الوطنية المغربية لتنمية الطاقات المتجددة كهيئة لتقويم وتتبع إنجاز البرامج الوطنية في الطاقات المتجددة.

- تشجيع خلق أقطاب للكفاءات الجهوية في البحث والتطوير والابتكار وتشجيع دور معهد البحث في الطاقة الشمسية والطاقة المتجددة.

- تطوير الآليات الاقتصادية والمالية الملائمة لدعم برامج الطاقة المتجددة.

- تكييف وتعزيز برامج التعليم والتدريب المرتبطة بتحديات الاقتصاد الأخضر بالغرب والاستثمار في الطاقة المتجددة.

- إصلاح الإطار التشريعي والتنظيم للانتقال إلى الاقتصاد الأخضر.

- إزالة العوائق الحالية التي تحول دون التحول إلى نظام طاقة حضراء بما في ذلك انعدام الاستثمار في الأبحاث والتطوير.

- تشجيع التعاون الدولي لدعم البلدان العربية لاسيما في مجال نقل التكنولوجيات والتمويل الأخضر.



الاستثمار في الطاقات المتتجدة كبدائل استراتيجية ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

- يجب على المغرب والبلدان العربية بصفة عامة العمل على نشر التوعية بين المواطنين بأهمية استخدام الطاقات المتتجدة والعمل على خفض استخدام الطاقات الأخرى لخوالة تقليل انبعاثات الكربون.

المواضيع: المراجع

المجالات:

1. برنامج التحويلي الطاقي للألمانيا، مجلة العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، العدد 10، 2013.

2. خبابة عبد الله خبابة صهيب، كعرار أحمد، "تطوير الطاقات المتتجدة بين الأهداف الطموحة وكيفيات التنفيذ - دراسة حالة.

3. سليمان كعوان، "تجربة الجزائر في استغلال الطاقة الشمسية وطاقة الرياح"، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، العدد 10.

4. عايد راضي خنفر، "الاقتصاد البيئي الاقتصاد الأخضر" مجلة أسيوط للدراسات البيئية العدد التاسع والثلاثون 2014.

5. فرات حدة، الطاقات المتتجدة كمدخل لتحقيق التنمية المستدامة في الجزائر، مجلة الباحث، جامعة ورقلة، عدد 11، 2012.

6. موساوي رفيقة، موساوي زهية، "دور الطاقة المتتجدة في تحقيق التنمية المستدامة"، مجلة المالية والأسواق.

الكتب:

1. أسامة محمد الحسيني، الاقتصاد الأخضر، البيئة والتنوع البيولوجي، جامعة القاهرة، 2015.



الاستثمار في الطاقات المتتجددة كبدائل استراتيجي ————— د. إلهام بوجليطة وأ.د فريد كورتل

2. بن رمضان أنيسة، دراسة إشكالية استغلال الموارد الطبيعية الناضبة وأثرها على النمو الاقتصادي، دار هومة 2014.
3. سمير سعدون مصطفى، بلال عبد الله ناصر، الطاقة البديلة، ط1، دار اليازوري، المكتبة الوطنية، 2011.
4. محمد عبد القادر الفقي، الاقتصاد الأخضر، المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية، 2014.

المقتنيات:

ثابي الحبيب، بركنو نصيرة، "دور الاقتصاد الأخضر في خلق الوظائف الخضراء والحد من المساهمة في الحد من الفقر" مجمع مداخلات الملتقى الدولي حول تقييم سياسات الإنقاذ من الفقر في الدول العربية في ظل العولمة، نخب العولمة والسياسات الاقتصادية جامعة الجزائر، 08-09 ديسمبر 2014.

الانترنت:

1. الاقتصاد الأخضر، جهاز الشؤون البيئية، وزارة البيئة جمهورية مصر العربية، www.eeaa.gov.eg/ar-eg
2. المجلس الاقتصادي والاجتماعي، الاقتصاد الأخضر فرص خلق الثروة ومناصب الشغل، تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي، www.ces.ma.

الแทصاري:

1. الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية لإفريقيا مكتب شمال إفريقيا، الاقتصاد الأخضر في المغرب، هدف استراتيجي سيدعي تحفيز الشراكات وتحسين اتساق السياسات والمبادرات.
2. المملكة المغربية، الوزارة المنتدبة لدى وزير الطاقة والمعادن والماء والبيئة المكلفة بالبيئة، نحو اقتصاد أخضر من أجل تنمية مستدامة في المغرب، 2014.



أكاديمية الجودة من أجل الجودة (جامعة الجزائر نموذجا) Attaining Quality through University Governance The Model of the Algerian University

الطالبة آمنة الحيوان

amina.lahiouel@univ-constantine3.dz

د. مليكة فريمش

malika.frimeche@univ-constantine3.dz

جامعة صالح بوبندير قسنطينة 3

تاریخ القبول: 12/11/2020

تاریخ الإرسال: 13/03/2020

الملخص:

يتطرق هذا البحث إلى موضوع الحكومة الجامعية وإبراز دورها من أجل تحقيق الجودة في مؤسسات التعليم العالي بصفة عامة والجامعة الجزائرية بصفة خاصة.

حيث هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مفهوم حوكمة الجامعات ومدى تطبيقها لتطوير أداء الجامعات وتجويدها، ورفع مستوى الشفافية والمحاسبة فيها باعتبارها أداء رقابية من أجل تحقيق التميز والرقي في الجامعات، لأن تطوير الأنظمة التعليمية أصبح من اهتمام جميع دول العالم، والجزائر كغيرها من الدول سعت جاهدة للرفع من مستوى قطاع التعليم العالي بما يضمن جودته، من خلال تبني الحكومة الجامعية في مختلف مؤسساتها الجامعية.

الكلمات المفتاحية: الحكومة الجامعية، الجودة، الجامعة الجزائرية.



الحكمة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريوش

ABSTRACT:

This paper purports to highlight the role of university governance for achieving quality in higher education institutions in general and in Algerian university in particular.

This study aimed to describe the concept of university governance and the degree of its application for the progress and the improvement of universities performance, and to raise transparency level and accountability at universities as being the monitoring tool for achieving excellence, because the development of educational systems has become a concern of all countries in the world.

Like other countries, Algeria has strived hard to raise the level of the higher education sector to ensure its quality via adopting university governance in its various university institutions.

Keywords: Algerian university, Quality, university Governance.

المقدمة:

تعتبر الجودة في التعليم العالي هي إحدى المسائل الحيوية في نظام التعليم المعاصر، لذا حرصت مؤسسات القطاع في معظم دول العالم المختلفة وبالذات في الدول المتقدمة، على تبني الجودة كمنحي ومنهج للعمل فيها، وذلك لأسباب عدة لعل من أبرزها تنوع أهداف مؤسسات التعليم العالي وتعددها وظهور أنماط جديدة لمؤسساته، بالإضافة إلى ظهور وسائل تعليمية جديدة، فهذه التغيرات وغيرها التي شهدتها التعليم العالي وما تضمنته من أنماط جديدة دعت القائمين على هذه المؤسسات للاهتمام بجودة هذا القطاع المهم، حتى صار السعي وراء تحقيق الجودة مطلبا ضروريا يستلزم وضع معايير ومؤشرات من أهمها تطبيق الحوكمة الجامعية Governance Universitaire، فهي من



الحكمة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريمش

المفاهيم الحديثة التي حظيت باهتمامات كبيرة في السنوات الأخيرة عبر استخدامها في تحقيق الجودة والتميز في الأداء وبالتالي فهي مفتاح الوصول إلى تعليم رفع القيمة والمستوى والمضمون.

وقد ظهرت الحاجة إليها مؤخرًا لتعبر عن الأزمة التي يعاني منها التعليم العالي، والتي تمثل في الفجوة بين الواقع والملموس وذلك بسبب التعارض بين متطلبات الإدارة العليا والإدارة التنفيذية مما يضعف تطور تلك المؤسسات.

والجزائر كغيرها من الدول، تعمل على الرفع من مستوى قطاع التعليم العالي بما يضمن جودته، وذلك بتبني مدخل الحكمية الجامعية باعتباره مفتاح نجاح تلك المؤسسات حاضراً ومستقبلاً إذ تعمل جاهدة على إيجاد مؤسسات مستقلة، مسؤولة عن تحديد اتجاهها الاستراتيجي، والتتأكد من فاعلية إدارتها.

من هنا نطرح الإشكالية الرئيسية التالية:

كيف يمكن أن يساهم تطبيق الحكمية في الرفع من كفاءة الجامعة الجزائرية وتحقيق جودتها؟

للإجابة عن هذه الإشكالية تم صياغة الفرضية التالية:

- تطبيق الحكمية الجامعية يعمل على تحسين أداء الجامعة الجزائرية.

الحكومة الجامعية من أجل الجودة ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريمش

١. مفهوم الحوكمة الجامعية

ظهر مفهوم الحكومة الجامعية في الأوساط الأكاديمية، حيث أن الافتراضات التي تقوم عليها الحكومة مستوحاة بقوة من نظريات الإدارة العامة الجديدة، وتستند إيديولوجية المصطلح إلى أعمال مستشار البنك الدولي Michael Gibbons.¹ لهذا برزت العديد من التعريفات في التعليم العالي من قبل الباحثين والأكاديميين، التي سنشعر بها ونبين أهميتها وأهدافها.

-1-1 تعريف حوكمة الجامعات

استعمل مصطلح الحوكمة في عالم الانقلوساكسون corporate governance وترجم إلى اللغة الفرنسية (gouvernement l'entreprise)، من طرف اكبر الكتاب Pesqueux2000، Gomez1996، Charreaux (Pastré) في 1996، و في وثائق رسية، تقارير vienot 1 و 2 سنوي 1995 و 1999.² حيث تعتبر حوكمة الجامعات إحدى العناصر الأساسية لإصلاحات التعليم العالي، هذا المفهوم هو حديث نسي طوره كلاراك عام 1983، حيث يتعلق بالطريقة التي تحدد بها الجامعات وأنظمة التعليم العالي بشكل عام، أهدافها وطرق تنفيدها وإدارة مؤسساتها ورصد أهم نتائجها.³

¹—Eric Martin Maxime Ouellet, **Rapport de recherche La gouvernance des universités dans l'économie du savoir**, Institut de recherche et d'informations socio-économiques, Novembre 2010, p 18-19.

²— ROLAND Pérez, *La gouvernance de l'entreprise*, Editions la découverte, Paris, France, p.5

³— Rapport sur la gouvernance des universités en Algérie, World Bank, June 2012, p3.



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريمش

فالحكومة جاءت من أجل تحسين جودة التعليم وهي بذلك موضوع إجماع واسع
لا سيما في منطقة شمال إفريقيا والشرق الأوسط.

وبالتالي فهي أداة تسمح للجامعات في جميع دول العالم تقييم ما إذا كانت
مارسات الحكومة الخاصة بها متوافقة مع أهدافها المؤسسية ومع الاتجاهات الدولية
بالإضافة إلى تتبع تقدم الجامعات بمرور الوقت.

وقد ربطها كل من Alexander Mitterle Fabrice Hénard بالاستقلالية التي
تسمح للمؤسسات بإدارة مواردها، والاستجابة بسرعة لمتطلبات السوق العالمية، كذلك
ما يميز الحكومة وجود قادة ملهمين وإستراتيجية قوية للتوجه المؤسسي، وفلسفة النجاح
¹ والتميز وثقافة التفكير المستمر، والتعلم التنظيمي والتغيير.

كما أشار (Lucier, 2007) للحكومة الجامعية باعتبار أنها، تشير إلى جميع
الآليات والمبادئ التي تحكم المنظمات نفسها من خلالها، أي اتخاذ قراراتها وتحطيط
تطورها، وإدارة مواردها، والإشراف على أنشطتها، وتقييم أداء مواردها البشرية
² ومحاسبتهم.

كما عرفها Hirsh et Weber من خلال مرجع التعليم العالي، الحكومة تشير
الممارسة الرسمية وغير الرسمية للسلطة في إطار القوانين والسياسات والقواعد التي توضح

¹-Alexander Mitterle , Fabrice Hénard, **GOVERNANCE AND QUALITY GUIDELINES IN HIGHER EDUCATION**, A review on governance arrangements and quality assurance guidelines, 2015, p19.

²-Boubacar Baidari et El Bachir Wade, **Gouvernance des Etablissements d'Enseignement Supérieur et Amélioration de l'Environnement des Affaires en Zone UEMOA**, Investment Climate and Business Environment Research Fund (ICBE-RF), Dakar, Juillet, 2011,p16.



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريمش

حقوق ومسؤوليات مختلف الجهات الفاعلة، بما في ذلك القواعد التي يتفاعلون بها وبالتالي هي الإطار الذي تسعى من خلاله مؤسسات التعليم العالي تحقيق أهدافها و سياستها بطريقة متماسكة ومنسقة.¹

كما ترتبط الحكومة بحرية الجامعة في اختيار نظامها وبرامجها ومناهجها وطرق التدريس و اختيار هيئة التدريس بها، كما تعني الحرية الأكاديمية وهي عدم وضع قيود على ما تدرسه الجامعة وما يقوله أو ينشره أساتذتها أو ما يعبرون عنه من آراء علمية أو أكاديمية داخل الجامعة.²

كما تشير الحكومة في مفهومها العام إلى آلية ترشيد العمل الإداري في كافة جوانبه، من خلال تطبيق مجموعة من المبادئ، كالشفافية، ووضوح آليات المساءلة والمحاسبة، وإتاحة الفرصة أمام جميع الأطراف وأصحاب المصلحة للمشاركة في عملية اتخاذ القرار وتقييم نتائجها.³

أما البنك العالمي فقد عرف الحكومة الجامعية على أنها:

¹— Abdou Salam Sall, **Gouvernance universitaire Une expérience africaine**, Conseil pour le développement de la recherche en sciences sociales en Afrique DAKAR, 2017, p10.

²— هالة فوزي محمد عيد، **تطوير الأداء الإداري بالجامعات السعودية**، مجلة دراسات في التعليم الجامعي، العدد 37 مكرر، 2017، ص 509

³— محمد حسن بشير، **الأسس والمبادئ النظرية للحكومة للجامعة ومتطلبات تطبيقها في التعليم العام بالسودان**، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلة العربية للعلوم ونشر الابحاث، المجلد الثالث، العدد السادس، 2019،



الحوكمة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريمش

هي الآلية التي تتمكن مؤسسات التعليم العالي من التحكم في هيئاتها وأنشطتها والإجراءات التنظيمية والتنفيذية، وتمكين العاملين من المشاركة في تحديد وتحفيز سياسات المؤسسة فهي المفتاح الرئيسي لعمليات الإصلاح.¹

وتعنى حوكمة الجامعات إجرائياً بأنها مجموعة من القوانين والأنظمة والتعليمات التي تهدف إلى تحقيق الجودة الشاملة والتميز في الأداء عن طريق اختيار الاستراتيجيات المناسبة والفعالة لتحقيق غايات الجامعة وأهدافها الاستراتيجية.

2- أهمية حوكمة المؤسسات التعليمية:

تعد الحوكمة أحد المدخلات الإصلاحية الحديثة التي تتسم بالفاعلية في أحداث تغيرات جذرية تصل إلى عمق العملية التعليمية وإحداث نقلة نوعية في المخرجات التعليمية بما يتوافق ومهارات القرن الحادي والعشرين لذلك نجد أهميتها تكمن فيما يلي:

- مساعدة المؤسسة التعليمية على تحقيق أهدافها بأفضل السبل الممكنة.

- ضمان الالتزام بالقوانين والأنظمة المعمول بها في الجامعة.
- تحقيق ضمان التراة والاستقامة لكافة العاملين في المؤسسة بدءاً بالإدارة والمدرسين التنفيذيين إلى أدنى عامل فيها، مع تحديد مهام ومسؤوليات كل فرد في المؤسسة التعليمية، بما يضمن تقليل الخطاء إلى أدنى قدر.

- إيجاد نوع من التوازن بين مسؤوليات المؤسسة الاستراتيجية بعيدة المدى والمسؤوليات التشغيلية قصيرة المدى للمؤسسة التعليمية، وتدعم الثقة والمصداقية بين العاملين في المؤسسة التعليمية.

¹ - جمال حلاوة، نداء دار طه، واقع الحوكمة في جامعة القدس، مجلة أداء المؤسسات الجزائرية، العدد .89، 2013 ص 02



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريوش

تعمل الحكومة على إيجاد بيئة عمل حافزة للعاملين، تساعدهم على تحقيق التميز المطلوب للمؤسسة التعليمية.

تحقيق الاستفادة القصوى والفعالية من نظم المحاسبة والرقابة الداخلية بالمؤسسة التعليمية¹.

إن حوكمة الجامعات تسهم في إيجاد مؤسسات مستقلة لها مجالس أو هيئات حاكمة، مسؤولة عن تحديد الاتجاه الاستراتيجي لهذه المؤسسات ومراقبة سلامتها المالية والتأكد من فعالية إدارتها.

- لا تشير الحكومة كثيرا إلى ما تفعله المؤسسات، وإنما إلى كيفية أدائها له، أي الأسلوب والوسائل التي تحدد المؤسسة من خلالها تواجهها وتنظم نفسها لتحقيق الغرض من وجودها.²

- تساهم حوكمة الجامعات في تحقيق الكفاءة والفاعلية على المستوى التنظيمي لتوفر تعليم قادرا على المنافسة، وكذلك مواجهة التحديات المعاصرة المؤثرة على المؤسسات التعليمية.

- الحكومة تشارك في أنشطة نقل المعرفة التي تمثل قضية استراتيجية كمصدر لتمويل أبحاث الجامعة، وكأداة للسياسة العامة للتطور الاقتصادي.

¹ - محمد حسن بشير، **الأسس والمبادئ النظرية للحكومة ومتطلبات تطبيقها في التعليم العام بالسودان**، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلة العربية للعلوم ونشر الابحاث، المجلد الثالث، العدد السادس، 2019، ص36.

² - أحمد محمد أحمد برعان، عبد الله علي القرشي، **حكومة الجامعات ودورها في مواجهة التحديات**، المؤتمر العلمي الدولي عولمة الادارة في عصر المعرفة، جامعة لبنان، طرابلس، لبنان، 9 ص 2012



الحكمة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريمش

- يعمل إطار الحكماء لمؤسسات الجامعات على تحقيق التوازن بين مبادئ الكفاءة الاقتصادية والاستدامة المالية من جانب وبين القيم الاجتماعية وخدمة متلقي الخدمة التعليمية من جهة أخرى.

- تساعد الحكماء في تعزيز القدرة التنافسية، وتحجب الفساد الإداري والمالي للجامعات.

- تعزيز نظام رقابة وإشراف ذاتي، والذي يؤدي إلى سلامة التطبيق القانوني للتشريعات، وبالتالي حسن الإدارة وضمان حقوق العاملين وذلك يتحقق رضا المجتمع عن الجامعات وأدائها.²

3-1- أهداف ومبادئ الحكماء الجامعية:

تعمل الحكماء عند تطبيقها كمدخل إداري جديد في مؤسسات التعليم العالي والجامعي إلى تحقيق مجموعة من الأهداف نوجزها فيما يلي:

- تحسين وتطوير أداء المؤسسة التعليمية، وذلك بتجنب حدوث أية مخاطر أو صرارات تعوق جودته.

- تحسين الممارسات الإدارية والتربوية في المؤسسة التعليمية.

- تحقيق العدالة والتراهنة والشفافية في جميع تعاملات المؤسسة، وتعزيز المحاسبة والمساءلة.

¹ - هالة فوزي محمد عيد، مرجع سابق، ص 511

² - سميرة باردة، **الحكمة الجامعية والمقاربة الحديثة في تسيير مؤسسات التعليم العالي**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 5، العدد 1، 2017، ص 187.



الحكمة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريمش

- توفير الأنظمة والقوانين التي توجه أعمال إدارة المؤسسات الجامعية بما يضمن
الديمقراطية والعدالة للأطراف المعنية كافة.

- حماية حقوق أصحاب المصالح من المستفيدين من خدمات المؤسسة التعليمية
سواء كانوا أعضاء هيئة تدريس أم طلاباً أم موظفين أم مجتمعاً محلياً.¹

وبالتالي فالحكمة تهدف للوصول إلى الإدارة الإبداعية منظومة التعليم العالي
والجامعي، من خلال القيام بالإجراءات التي تهدف إلى التغيير نحو الأفضل في مختلف
مجالات المنظمة التعليمية: الأهداف، والسياسات، والقيادة الإدارية، والمهيكل التنظيمي،
و التشريعات، وإدارة الموارد البشرية والمادية، والبيئة التنظيمية، وإدارة نظم
المعلومات، والرقابة، والشراكة مع قطاعات الإنتاج والخدمات.

2. تطبيق الحكم في الجامعات

إن تطبيق الحكم الجامعية ينطلق من وجود آليات ومراحل تسلسلية يتم من
خلالها التحقيق الفعال لها في المؤسسات الجامعية.

2-1- مراحل تطبيق الحكم الجامعية

- مرحلة التعريف بالحكم الجامعية: وهي أول وأهم مرحلة من مراحل
الحكم، حيث يتم التفرق بين الحكم كثقافة وكأسلوب إداري يتم الالتزام به، حيث
يتم توضيح طبيعة الحكم ومنهجها وأهميتها وأدواتها ووسائلها.

- مرحلة بناء البنية الأساسية للحكم: تحتاج الحكم الجامعية إلى بنية أساسية
متينة قادرة على التفاعل مع المستجدات، والمتغيرات المحيطة بها.

¹ - فادي فؤاد محمد غوانمة، واقع تطبيق الحكم في الجامعات الاردنية الحكومية والتحديات التي
تواجهها ، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، المجلد التاسع، عدد
26، 2018، ص106.



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريوش

- مرحلة عمل برنامج قياسي للحكومة: تحتاج الحكومة إلى برنامج زمني محدد للأعمال والمهام، حتى يمكن متابعة مدى التقدم في تنفيذ الحكومة في المؤسسة الجامعية، وتحديد المعوقات والصعوبات التي عرقلت مرحلة التطبيق وتقويمها.

- مرحلة التنفيذ: وهي مرحلة قياس مدى استعداد، ورغبة الأطراف المستفيدة في تطبيق الحكومة، حيث يتطلب التنفيذ عدد من الممارسات كاستقلالية السلطة، الشفافية، المسائلة، المسؤولية، المساواة، ودراستها، وتحليلها لتحديد مواطن الضعف في التنفيذ.

- مرحلة المتابعة والتطوير: تتم بهدف التأكد من حسن التنفيذ، من خلال الرقابة المراجعت الداخليّة والخارجيّة، والتّدقّيق في آلية تنفيذ الإجراءات والعمليات الإدارية.¹

2-1-العناصر الرئيسية لتطبيق حوكمة المؤسسات التعليمية للوصول إلى الجودة:

تعتبر حوكمة الجامعية بمثابة الأداة التنفيذية لتحقيق الأهداف الأساسية للتعليم الجامعي وحتى تتمكن من تحقيق أهدافها للوصول إلى الجودة لابد أن تلتزم بالعناصر الرئيسية التالية:

القيادة الإدارية الفعالة: يعتبر عنصر الكفاءة والخبرة هو المعيار الأساسي لاختيار القيادات الإدارية لأية مؤسسة ترمي إلى تحقيق الكفاءة في أداء مهامها دون تعليب بعض

¹ - العريبي، منال، واقع تطبيق الحكومة من وجهة نظر أعضاء الهيئتين الإدارية والأكاديمية العاملين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلة الدولية للتربية المتخصصة، المجلد 3، العدد 12، كانون الأول، 2014، ص122.



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريمش

الاعتبارات الأخرى كالولاء السياسي أو الاعتبارات الاجتماعية لأن ذلك يهزم الأهداف الحقيقة للمنظمة أو المؤسسة على المدى الطويل.

إصلاح الميكل الإدارية: وهو ما يطلق بterm بالإصلاح الإداري حيث يعتبر مدخل رئيسيًا من مداخل تحقيق أي سياسات عامة حقيقة في مجال التنمية الإدارية، وما يتبع ذلك من تنمية شاملة في المجتمع ككل.

إصلاح الميكل الرقابية: ذلك بإعادة هيكلة المؤسسات الرقابية التي يتمثل دورها في مكافحة الفساد (الجهاز المركزي للمحاسبات، هيئة الرقابة الإدارية).¹

الشفافية الكاملة في العمل الإداري: والمقصود بها تصميم وتطبيق النظم والآليات والسياسات والتشريعات وغير ذلك من الأدوات التي تكفل حق المواطن. وتعني الشفافية في الجامعة: الوضوح لما يجري ويدور داخل الجامعة، مع سهولة تدفق المعلومات الدقيقة والموضوعية وسهولة استخدامها وتطبيقاتها فعلاً من قبل العاملين في الجامعة .

وهذا الوضوح يعني أن طلبة الجامعة يستطيعون، وبكل سهولة، الإفصاح لقيادة الجامعة بما يدور بخلدهم وعن مشكلاتهم واحتياجاتهم، ما يولد حواراً منتجًا ما بين قيادات الجامعة وطلبتها، كما تُشكل اللقاءات المفتوحة تحدياً إيجابياً، لتفكير الطلبة وتحفيزهم على المشاركة الفعالة، وتسهم في تعزيز قيم الحوار والتواصل البناء ما بين قيادات الجامعة وطلبتها.

¹ - محمد ابراهيم عطوة، فكرى محمد السيد علي، حوكمة النظام التعليمي مدخل لتحقيق الجودة، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد 79، الجزء الثاني، ماي 2012، ص 505



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريمش

بالتالي يجب على الجامعات أن تراعي الشفافية عن طريق نشر وتوضيح ابرادها ومصروفاتها المالية للمجتمع المحلي، وتوضيح الحقوق والواجبات لجميع منتسبيها، وزرع الثقة فيهم، ومنحهم المعلومات التي يحتاجونها في أي وقت.¹

2-3- معوقات تطبيق الحكومة الجامعية

توجد عدة معوقات وتحديات تعترض تطبيق الحكومة في مؤسسات التعليم العالي منها:

- الثقافة السائدة في المجتمع: إن الثقافة السلبية المكتسبة من المجتمع، ثقافة العزوف، وعدم الثقة في إمكانية التغيير بأشكاله المختلفة، تنتقل مع الطلاب إلى الجامعة، حيث نجد الطالب ليس من حقه الاعتراض على وجهات نظر عضو هيئة التدريس سواء على مستوى النقاشات العامة إن وجدت أو على مستوى مناهج التدريس، وهو ما يقتل روح الإبداع داخل الطلاب، كذلك نجد أن رئيس الجامعة باعتباره الهيئة العليا لا يمكن مناقشته، وبذلك تنتهي مؤسسة بيرورقاطية.

المناخ السياسي العام:

يؤثر المناخ القمعي إلى عدم اهتمام الطلاب بشؤونهم الخاصة داخل أسوار الجامعة، بل يؤدي هذا الكبت السياسي إلى الخلط بين مفهوم العمل الخيري والعمل السياسي داخل الجامعة، فضلاً عن غياب الديمقراطية في المجالات المختلفة بداية من

¹ - محمود ابراهيم ملحم، هل بالإمكان إصلاح منظومة التعليم العالي في ظل مفاهيم الحكومة، ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر الدولي الخامس بعنوان: الحكومة والتنمية الإدارية والاقتصادية في المؤسسات، الواقع والطموح، الجامعة الأردنية، 2017



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريوش

انتخابات رئاسة الجمهورية وصولا إلى انتخابات الاتحادات الطلابية، وسيطرة المنطق
الأمني على كافة مناحي الحياة السياسية.

- التشريعات الجامعية

يتضمن قانون تنظيم الجامعات عادة عدد من النصوص القانونية التي تقييد حق
الطلاب في إدارة شئونهم الخاصة، والأمثلة على ذلك كثيرة في العديد من الجامعات،
منها وضع صناديق التكافل الاجتماعي الخاصة بالطلاب تحت يد إدارة الجامعة دون أن
يكون للطلاب الحق في المشاركة في إدارتها.

- طريقة إدارة الجامعة:

تكمّن المشكلة الرئيسية في الطريقة التي تتم بها إدارة الجامعة في طريقة اختيار
أعضاء هيئة التدريس والقيادات الجامعية عموما، بداية من رئيس الجامعة إلى عمداء
الكليات إلى رؤساء الأقسام، فهو لا جميعا يتم تعينهم من قبل سلطات إدارية وتنفيذية،
ولا يتخوبون لتولى مناصبهم، وهو ما يعكس على درجة استقلالية هؤلاء جميما في
مواجهة السلطة التنفيذية واستقلالية كلا منهم في مواجهة رئيسه الأعلى، أيضا هناك
غياب تام لفكرة تقييم الطلاب للأداء الأكاديمي لأعضاء هيئة التدريس، فال فكرة السائدة
أن عضو هيئة التدريس يلقن و فقط، ولا يصح خصوصه للتقييم من قبل طلابه.

- غياب أعضاء هيئة التدريس عن الحياة الجامعية:

يؤثر عدم مشاركة جمهور أعضاء هيئة التدريس في الأنشطة العامة داخل الجامعة
على إمكانية حوكمتها، فغالبا ما يفضل عضو هيئة التدريس تجنب الصدام مع إدارة
الجامعة، تفاديا لتعسّفها الذي قد يؤثر على مكتسباته المادية الضعيفة بالفعل، أيضا غياب
التنظيمات المستقلة بأعضاء هيئة التدريس، يدعم غياب تنظيمات مستقلة للطلاب داخل



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريمش

الجامعة، يعني أن ضعف الدور الذي تلعبه نوادي أعضاء هيئة التدريس، يضعف بشدة إمكانية مساندتهم للأنشطة الطلابية داخل الجامعة.¹

3. تطبيق الحكومة في الجامعة الجزائرية مقارنة بمدى الالتزام بمبادئ الحكومة

يعتبر موضوع الحكومة من أهم الموضوعات التي تستقطب اهتمام الجزائر في الوضع الراهن، حيث أصبحت أولوية واستراتيجية وطنية تطبق في مؤسسات التعليم العالي من أجل الرقي بها وقد بذلك الجماهير مجموعة من الجهد لتحقيق ذلك.

3-1-واقع تطبيق الحكومة في الجامعة الجزائرية

إن منظومة التعليم العالي الجزائرية مدعوة في كل مرحلة من مراحل تطورها إلى التكيف باستمرار مع هذه التحولات العميقية وأن تكون قادرة على استيعاب نتائج التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي ميزت البلاد من جهة، والتحولات الإقليمية والدولية الملاحظة من جهة أخرى.

من هنا عرفت الجامعة الجزائرية في بداية القرن الواحد والعشرين تغيرا جذريا في نظام التعليم العالي القائم، ومع هذا التغيير أعد القائمون على الجامعة الجزائرية حزمة من القوانين لحكومة هذا النظام بغية الرقي بالجامعة، وتحقيق مخرجات تتميز بالكفاءة الالزامية لخدمة المجتمع والاقتصاد الوطني.

حيث تم تعريف الجامعة الجزائرية، وفق المنظور القانوني حسب المرسوم رقم 03-579 المؤرخ في 23 أوت 2004، المتضمن القانون الأساسي النموذجي للجامعة، أنها مؤسسة عمومية ذات طابع إداري تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي.¹

¹- عزت، أحمد، مفهوم حوكمة الجامعات والغرض منها وسبل تطبيقها، إصدارات حقوق الإنسان 202/01/26 على الساعة 00.14 يوم http://qadaya.net/?p=5117



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريوش

بداية انتقلت من انتهاج النظام الكلاسيكي إلى نظام LMD، ففي سنة 2003 تم تقديم طلب تطبيق ليسانس نظام حديث ليشرع في تدريسه بدءاً من سبتمبر 2004، وذلك بالترخيص لـ 10 مؤسسات جامعية بتدرسيه كنموذج، وجاء المرسوم التنفيذي الذي ينظم العملية تحت رقم 1371-04 المؤرخ في 21 نوفمبر 2004، وكانت البداية أنسنة لانطلاق هذا النظام.

كما أبدت الحكومة الجزائرية من استعداد لتحسين أوضاع الجامعة الجزائرية وضمان الاستمرارية في التطور من خلال الندوات والملتقيات التي أشارت إلى ضرورة تبني مدخل إدارة الجودة الشاملة في قطاع التعليم العالي.²

وتعتبر التجربة الجزائرية في ضمان الجودة بالتعليم العالي حدثة النشأة، إذ تمحضت الفكرة عن توصيات المؤتمر الوطني للتعليم العالي والبحث العلمي بتاريخ 19 و 20 ماي 2008، الندوة الدولية حول ضمان الجودة في التعليم العالي بتاريخ 01 و 02 جوان 2008 بالجزائر، وبتصور القرار الوزاري رقم 2010 المتضمن تأسيس لجنة وطنية لتنفيذ نظام 05/167، المؤرخ في 31 الجودة في التعليم العالي والبحث العلمي، ومنه تعيين مسؤولين عن ضمان الجودة في التعليم العالي على مستوى مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي.

¹ - سعودي عبد الكريم، انماط التكوين في الجامعة الجزائرية الواقع والمأمول، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 05، العدد 01، ديسمبر 2019، ص 70-71.

² - أمال عبادو، معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي الجزائرية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس "دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة بسكرة، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 15، 2015، ص 134.



الجودة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريوش

كما تم الاعتماد أدوات ووسائل على مستوى المؤسسات سميت بخلايا ضمان الجودة، وهي هيئات تعنى بالمساهمة في تطبيق إجراءات نظام الجودة من تقييم، متابعة، مراقبة، تكوين، إعلام، ونشر التقارير... الخ وتمثل وظائف هذه الخلايا:

- وظيفة التقييم الداخلي لحالات الجودة، التكوين، البحث والحياة الجامعية.
- وظيفة الإعلام حول مهامها وأهداف نظام ضمان الجودة ونشر تقارير عملها.
- وظيفة التكوين المستمر لأعضائها في مجال ضمان الجودة.¹

تم إنشاء هيئات وطنية لضمان الجودة مثل اللجنة الوطنية لتطوير نظام ضمان الجودة في التعليم العالي

La Commission d'Implémentation d'un système d'Assurance Qualité dans les établissements d'Enseignement Supérieur
2010 CIAQES والتي أسندت لها مهمة بناء وتطوير ومراقبة نظام ضمان الجودة،

والمجلس الوطني للتقويم CNE.

كذلك تم إنشاء خلايا ضمان الجودة، التي تم تنصيبها من طرف الوزارة منذ الدخول الجامعي 2008-2009، على مستوى كل الجامعات الجزائرية.²

مشروع ضمان الجودة الداخلية للجامعات المتوسطة Tempus AQI-Umed

¹ - شريفة كلاع، الاستثمار في التعليم العالي والبحث العلمي بالجزائر كسبيل لضمان الجودة الشاملة والهوض الأكاديمي، مجلة دراسات اقتصادية، المجلد 13، العدد 03، 2019، ص 262.

² - سمير بن حسين، تقييم فعالية خلايا ضمان الجودة في المساهمة في بناء وتطوير نظام الجودة في قطاع التعليم العالي بالجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أم البوابي، العدد 18، مارس 2015 ، ص 211



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريمش

تم إنشاء مشروع دعم ضمان الجودة الداخلية للجامعات المتوسطية في إطار التعاون بين الجامعات الأعضاء في المنتدى الأكاديمي الجامعي الفرنكوفوني المغاربي الأوروبي وحظي بتمويل في إطار برنامج Tempus IV، بالنسبة للفترة المترامية بين سنة 2010 و 2012

مشروع Aqi-umed يرتكز على فكرة دعم وتطوير ضمان الجودة الداخلية في جامعات المتوسط الجزائري، المغرب، تونس.¹

وقد شمل المشروع كل من المدرسة العليا للتعليم التكنولوجي بوهران ENSET، جامعة محمد بوقرة بومرداس، جامعة متورى قسنطينة، وقد كان الهدف المركزي للمشروع هو دعم التقييم الداخلي من أجل تحسين حكامة مؤسسات التعليمية للضفة الجنوبية للمتوسط، من أجل مواكبة التطورات الدولية لأنظمة التعليم العالي خاصة تلك الموجودة في الفضاء الأوروبي عن طريق تقاسم الخبرات والمعرف المتعلقة بالتقدير الداخلي بين مؤسسات جنوب وشمال.²

كما تم إصدار الدليل تحت عنوان "ميثاق الحكم الراشد" للمؤسسة في الجزائر والذي عرف الحكومة على أنها: "تلك العملية الإدارية والتطوعية للمؤسسة من أجل إدخال المزيد من الشفافية والصرامة في تسييره وإدارتها ومراقبتها.

¹- جامعة تونس، مشروع ضمان الجودة الداخلية للجامعات المتوسطية، بتاريخ 15/01/2016
<http://www.utunis.rnu.tn/index.php?id=98&L=1>

²- L'Agence Erasmus+ France / Education Formation, Europe-Maghreb:
Une culture qualité partagée <http://www.agence-erasmus.fr/article/96>



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريمش

وحتى تتمكن الجزائر من نشر الوعي بفوائد ومزايا الحكومة الجزائرية قامت بإطلاق حوكمة الجزائر hawkama el-djazair في أكتوبر 2010، حتى يكون بمثابة منبر لمساعدة الشركات على الالتزام ببنود الدليل الخاص بها واعتماد أفضل ممارسات الحكومة الدولية.¹

ضمان الحرية الأكاديمية:

تعتبر الحرية الأكاديمية أحد الشروط الأساسية في فاعلية النظم الجامعية وزيادة كفاءة أدائها ونوعية مخرجاتها بالاعتماد على توصية اليونسكو (الوثيقة رقم 29) المتضمنة التوصية بشأن أوضاع هيئة التدريس في التعليم العالي والتي تقر على "أن الممارسة الكاملة للحق في التعليم والتدرис وإجراء البحث لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كانت مؤسسات التعليم العالي تتمتع بالحرية الأكاديمية والاستقلال الذاتي، وأن إبلاغ النتائج والفرضيات والآراء دون قيود يعد ركيزة أساسية للتعليم العالي ويوفر أقوى ضمان للدقة والموضوعية في الدراسات العلمية والبحوث".

وقد تم الإشارة إلى الحرية الأكاديمية في التعديل الدستوري سنة 2016، أين التفت المؤسسالجزائري ضمان الحرية الأكاديمية وحرية البحث العلمي.²

3- سبل تطبيق الحكومة في الجامعة الجزائرية

إن الواقع الذي تعيشه الجامعة الجزائرية، يجعل عمليات الإصلاح أصعب بكثير مما هو متوقع، ويؤكد أن أزمة الجامعة الجزائرية أزمة مبادئ بالدرجة الأولى، فلا سبل من

¹- حكيمة بوسمرة، بحوى عبد الصمد، تجارب الدول في إرساء مبادئ الحكومة للحد من الفساد المالي والإداري: قراءة تحليلية، المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية، 2018، ص 97

²- خيرة تحالبي، الحرية الأكاديمية في الجزائر ودورها في المظومة الجامعية والمجتمع، دراسة ميدانية على عينة من الأساتذة الباحثين بجامعة مستغانم.



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريوش

الخروج من هذه الأزمة إلا بتطبيق مبادئ الحكومة، هذه الأخيرة تتطلب بيئة خاصة وتغييرات جذرية، لعل أهم هذه الإجراءات التي تمهد لتطبيق مبادئ الحكومة في الجامعة الجزائرية.

- إعادة النظر في معايير النجاح في شهادة البكالوريا، باعتبارها البوابة الرئيسية للطور الجامعي، والاهتمام بالدراسات ما بعد التدرج وتوفير كل الإمكانيات المادية والمالية المناسبة من أجل تحقيق التكوين الأفضل والجودة المناسبة للوصول إلى النخبة الأفضل.

- إعادة النظر في الاعتبارات غير الموضوعية في إسناد مناصب المسؤولية، الحسوبية، الرشوة (...، التركيز على الاختيار الأمثل الموضوعي، بمعنى فتح المجال للديمقراطية في تسخير مؤسسات التعليم العالي من جامعات ومراكز بحث.

- ديمقراطية اتخاذ القرارات عن طريق إشراك المعنيين من الأسرة الجامعية في مناقشة المشاريع التمهيدية قبل إصدارها في شكل قوانين وأوامر ومراسيم تنفيذية، كما على الجامعيين أن يتحملوا مسؤولية الوضع الذي آلت إليه الجامعة بتجنب المواقف السلبية تجاه الأوضاع القائمة داخل وخارج الجامعة عن طريق كسر سياسة الصمت.

- التركيز على تطابق رغبات الطلبة مع التخصصات التي يدرسونها، والاعتناء بالطالب وتوسيعه بأهميته في دفع عجلة التنمية بيده.

- إعادة نظر في مستوى الهيئات المشرفة على تسخير قطاع التعليم العالي، وفصل مهام الإداريين عن مهامهم كأساتذة جامعيين لكي لا يؤثر على عطائهم العلمي.



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريمش

- سن ميثاق تنفيذي ينظم العلاقة بين الطلبة والأساتذة والإدارة وال المجالس العلمية والبيداغوجية ويحدد الواجبات والحقوق والصلاحيات.¹

3-3-صعوبات تطبيق الحكومة في الجامعة الجزائرية (مشاكل الجامعة

الجزائرية)

بالرغم من المحاولات المتعددة لتجديد وإصلاح مناهج وهيكلة التعليم العالي باعتماد برامج وطرق حديثة تسخير التغيرات والتحديات، وتكون أكثر تكيفاً مع المعطيات الاقتصادية والاجتماعية، إلا أن هناك العديد من المشكلات التي تعاني منها الجامعة الجزائرية هذا ما أدى إلى إعاقة تطورها وغواها والحد من كفاءتها وفعاليتها وآدائها.

- العلاقة بين وزارة التعليم العالي والجامعات الجزائرية علاقة مركزية، مع أن التشريع الذي ينظم الجامعة الجزائرية يبرز على أنها تتمتع بالشخصية المعنوية المستقلة عدم استقلالية الجامعات.

- فقدان المؤهل الجامعي بريشه كعامل أمان للحصول على وظيفة أو عمل: فكثير من الطلاب في الوقت الحاضر انحصرت دوافعهم للحصول على مؤهل جامعي في الدوافع الاجتماعية وليس الإنتاجية.

- عدم السماح للجامعة بالانطلاق لمناقشة القضايا الاجتماعية دقيقة ومحددة من خلال الميدان أو الواقع، مما

¹ - مقيديش نزيهة، أهمية اسلوب المعاينة في الدراسات الاحصائية "دراسة تطبيقية حول الحكومة في الجامعة الجزائرية من خلال سبر الآراء"، رسالة ماجستير في علوم التسويق، تخصص تقنيات كمية، جامعة فرجات عباس سطيف، 2009-2010، ص 92-93



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريمش

- جعل البحث العلمي الجامعي يأخذ الصفة الأكاديمية المطلقة، بل ويميل في معظمه للتنظير بعيداً عن مجريات الأحداث الواقعية، ويفقد هذا جانبها كبيراً من أهميته وحدواده .

- أزمة المشاركة في إدارة مؤسسات التعليم العالي تم إدارة مؤسسات التعليم العالي من قبل أفراد أسندت لهم السلطات الرسمية مسؤولية إصدار قرارات رسمية وبالتالي فهم يعملون على خدمة أولياء النعمة من المسؤولين مما يؤثر في عمل الجامعة كمنبر علمي وتعليمي.¹

الخاتمة:

في الأخير يمكن القول أن مؤسسات التعليم العالي لا يمكنها الاستجابة لمتطلبات الجودة ما لم يكن توجد أرضية مناسبة لتطبيق الحكومة الجامعية لأنها بمثابة الإطار القانوني والعادل، الذي يسمح للجماعات أصحاب المصالح بالمشاركة في وضع أهداف الجامعة ومراجعة نتائجها، كما تعتبر ضماناً للرشادة والجودة، لكن للأسف لم تتمكن مؤسسات التعليم العالي في الجزائر من تطبيق الحكومة الجامعية بمختلف آلياتها وأبعادها نتيجة لاختلاف المعوقات.

النتائج:

- تعتبر الحكومة كتلة متكاملة ومتفاعلة لخلق التوازن والتفاعل داخل مؤسسات التعليم العالي، باعتبارها الآداة التنفيذية لتحقيق وضمان الجودة وتعزيز التغيير.

¹ سمية يونس، كلثوم مسعودي، اتجاهات خريجي الجامعة نحو السياسة الوطنية للتشغيل، المتنقى الوطني الأول حول تقويم دور الجامعة الجزائرية في الاستجابة لمتطلبات سوق الشغل ومواكبة تطلعات التنمية المحلية، جامعة زيان عاشور، الحلقة، 2020، ص 196-197



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريوش

- غياب ثقافة الجودة في التعليم العالي، لأن المتبع لمسار التعليم العالي في الجزائر يدرك أن عنصر الجودة لم يكن هدفاً معلناً في سياسة الجامعة وبالتالي لم يكن مؤشر قياس بجامعة وفعالية المؤسسة التعليمية.

- الخوف من التقييم وبالخصوص جانب الأساتذة.

- قلة مستوى تكوين وتدريب القائمين على العملية وعدم توفير الإمكانيات المادية والتنظيمية التي تمكّن من التعامل بفعالية مع نظام المعلومات.

- التوصيات:

- ضرورة العمل على اختيار القادة الأكاديميين في مؤسسات التعليم العالي بالجزائر وفق أسس علمية، بحيث تتوافر فيهم الكفاءات الشخصية والمهنية التي تؤهلهم إلى قيادة تلك المؤسسات بما يتحقق لها الكفاءة.

- الاستفادة من خبرات وتجارب الدول المطبقة للحكومة.

- تحديث عمليات الاتصال والإدارة في المؤسسات التعليمية الجزائرية، واعتماد الوسائل الالكترونية والتكنولوجيا في توفير المناخ الملائم للإيفاء بمتطلبات الجودة.

- ضرورة الاهتمام بتنمية دور كل من الطلبة وأعضاء هيئة التدريس في حوكمة الجامعات، من خلال وضع قواعد ولوائح تنظم مشاركة الطلبة وأعضاء هيئة التدريس في تقرير شؤون الجامعة، وإدارتها، وصناعة القرار، على وصف أن هذا الدور أحد حقوقهم، مع التأكيد على أن الالتزام بذلك يمثل أحد معايير ضمان جودة الجامعات واعتمادها.

- تعزيز اللامركزية المؤسسات الجامعية، بالشكل الذي يسمح بقيامها بتقدير ذاتي لأدائها بالمقارنة مع المؤسسات الجامعية الأخرى.



الحكمة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريوش

- لابد أن تتوجه جهود وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر إلى مزيد دعم التفتح على مختلف المؤسسات الدولية للتعليم العالي، من تنمية مختلف مجالات التعاون مع سائر الأنظمة المتطرفة للتعليم العالي والبحث العلمي بالعالم ويكون ذلك بتكييف مشاريع التعاون الدولي وتطوير اتفاقيات الشراكة في الحالات ذات الأولوية الوطنية

- تطبيق الشفافية بمصداقية وتوفير الوسائل المساعدة على تدفق المعلومات بسرعة وخاصة بكل ما يتعلق بتقارير الأداء، ونقاط الضعف والقوة، ومعايير الترقية والحوافز من خلال نشر وإعلان كل ما يتعلق بالأداء، ومعايير ترقية العاملين فيها.

- الاستعانة بخبرات متخصصة في أساليب تطبيق الرقابة والمساءلة

- إيجاد خطة استراتيجية واضحة في مؤسسات التعليم العالي تتوافق مع سوق العمل.

قائمة المراجع

المجالات:

1. أمال عبادو، معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي الجزائرية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس "دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة بسكرة، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 15، 2015.

2. جمال حلاوة، نداء دار طه، واقع الحوكمة في جامعة القدس، مجلة أداء المؤسسات الجزائرية، العدد 02، 2013.

3. حكيمة بوسلمة، نجوى عبد الصمد، تجارب الدول في إرساء مبادئ الحوكمة للحد من الفساد المالي والإداري: قراءة تحليلية، المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية، 2018.



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريش

4. خيرة تحاليفي، الحرية الأكاديمية في الجزائر ودورها في المنظومة الجامعية والمجتمع، دراسة ميدانية على عينة من الأساتذة الباحثين بجامعة مستغانم.
5. سعودي عبد الكريم، أنماط التكوين في الجامعة الجزائرية الواقع والمأمول، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 05، العدد 01، ديسمبر 2019.
6. سمير بن حسين، تقييم فعالية خلايا ضمان الجودة في المساهمة في بناء وتطوير نظام الجودة في قطاع التعليم العالي بالجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أم البوابي، العدد 18، مارس 2015 .
7. سميرة بارة، الحكومة الجامعية والمقاربة الحديثة في تسيير مؤسسات التعليم العالي، مجلة الباحث العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 5، العدد 1، 2017.
8. شريفة كلاع، الاستثمار في التعليم العالي والبحث العلمي بالجزائر ك سبيل لضمان الجودة الشاملة والنهوض الأكاديمي، مجلة دراسات اقتصادية، المجلد 13، العدد 03، 2019.
9. العربي، منال، واقع تطبيق الحكومة من وجهة نظر أعضاء الهيئتين الإدارية والأكاديمية العاملين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، المجلد 3، العدد 12، كانون الأول، 2014.
10. فادي فؤاد محمد غوانمة، واقع تطبيق الحكومة في الجامعات الأردنية الحكومية والتحديات التي تواجهها ، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، المجلد التاسع، عدد 26، 2018.
11. محمد إبراهيم عطوة، فكرى محمد السيد علي، حوكمة النظام التعليمي مدخل لتحقيق الجودة، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد 79، الجزء الثاني، ماي 2012.



الحكمة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريوش

12. محمد حسن بشير، **الأسس والمبادئ النظرية للحكمة ومتطلبات تطبيقها في التعليم العام بالسودان**، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، المجلد الثالث، العدد السادس، 2019.

13. هالة فوزي محمد عيد، **تطوير الأداء الإداري بالجامعات السعودية**، مجلة دراسات في التعليم الجامعي، العدد 37 مكرر، 2017.

14. Alexander Mitterle , Fabrice Hénard, **GOVERNANCE AND QUALITY GUIDELINES IN HIGHER EDUCATION**, A review on governance arrangements and quality assurance guidelines, 2015.

15. Boubacar Baidari et El Bachir Wade, **Gouvernance des Etablissements d'Enseignement Supérieur et Amélioration de l'Environnement des Affaires en Zone UEMOA**, Investment Climate and Business Environment Research Fund (ICBE-RF, Dakar, Juillet, 2011.

الكتب الأجنبية:

16. ROLAND Pérez, **La gouvernance de l'entreprise**, Editions la découverte, Paris, France

17. Abdou Salam Sall, **Gouvernance universitaire Une expérience africaine**, Conseil pour le développement de la recherche en sciences sociales en Afrique DAKAR, 2017

المنشآت:

18. محمود ابراهيم ملحم، **هل بالإمكان إصلاح منظومة التعليم العالي في ظل مفاهيم الحكمة**، ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر الدولي الخامس بعنوان: الحكمة والتنمية الإدارية والاقتصادية في المؤسسات، الواقع والطموح، الجامعة الأردنية، 2017.



الحكومة الجامعية من أجل الجودة ————— ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريوش

19. سمحة يونس، كلثوم مسعودي، اتجاهات خريجي الجامعة نحو السياسة الوطنية للتشغيل، الملتقى الوطني الأول حول تقويم دور الجامعة الجزائرية في الاستجابة لمتطلبات سوق الشغل ومواكبة تطلعات التنمية المحلية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2020.

20. أحمد محمد برقان، عبد الله علي القرishi، حوكمة الجامعات ودورها في مواجهة التحديات، المؤتمر العلمي الدولي عولمة الإدارة في عصر المعرفة، جامعة الجنان، طرابلس، لبنان، 2012.

الوسائل الجامعية

21. مقيديش نزيهة، أهمية أسلوب المعاينة في الدراسات الإحصائية "دراسة تطبيقية حول حوكمة في الجامعة الجزائرية من خلال سير الآراء"، رسالة ماجستير في علوم التسيير، تخصص تقنيات كمية، جامعة فرحات عباس سطيف، 2009-2010.

الموقع الالكترونية

22. جامعة تونس، مشروع ضمان الجودة الداخلية للجامعات المتوسطية، بتاريخ 15/01/2016

23. <http://www.utunis.rnu.tn/index.php?id=98&L=1>

24. L'Agence Erasmus+ France / Education Formation, Europe-Maghreb: Une culture qualité partagée

25. <http://www.agence-erasmus.fr/article/96>

26. عزت، أحمد، مفهوم حوكمة الجامعات والغرض منها وسبل تطبيقها، إصدارات حقوق الإنسان 5117 ، <http://qadaya.net/?p=5117> ، بتاريخ 26/01/202.

التقارير باللغة الأجنبية



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -Constantine الجزائر -
ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

الجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1412-1385 تاريخ النشر: 25-03-2021

الحكمة الجامعية من أجل الجودة ----- ط. آمنة الحيوان ود. مليكة فريوش

27. Eric Martin Maxime Ouellet, **Rapport de recherche La gouvernance des universités dans l'économie du savoir**, Institut de recherche et d'informations socio-économiques, Novembre 2010.

28. Rapport sur la gouvernance des universités en Algérie, World Bank, June 2012.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د: 2588-X

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1413-1444 تاريخ الشر: 25-03-2021

المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر - دراسة تحليلية -

Environmental indicators of sustainable transport in Algeria - analytical study-

الطالب وليد شريط

Cheriet.oualid@gmail.com

جامعة محمد عيضر - بسكرة

أ/ د. عبد الله غالم

Ghalem602@yahoo.fr

جامعة محمد عيضر - بسكرة

تاريخ القبول: 2020/11/16

تاريخ الإرسال: 2020/04/16

I. الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة وتحليل المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر وهذا للدور الفعال الذي تلعبه نظم النقل المستدامة والصادقة للبيئة في تحقيق التنمية المستدامة، وقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي كأداة لإثراء البحث، حيث تبين من خلال الدراسة إن قطاع النقل يحتل أهمية بالغة في الاقتصاد الجزائري ومن أهم القطاعات المستهلكة للطاقة والمسببة للاحتباس الحراري وللتلوث البيئي جراء الانبعاثات الغازية الدفيئة الناجمة عن احتراق الوقود الأحفوري نتيجة استهلاك قطاع النقل للطاقة وبالخصوص غاز ثاني أكسيد الكربون وغاز الميثان، ورغم السياسات والإجراءات التي اتخذتها الجزائر للحفاظ على البيئة وعلى التغيرات المناخية ومصادقتها



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

على العديد من الاتفاقيات الدولية بشأن تغير المناخ إلا إن نسبة انبعاثات الغازات الدفيئة الناتجة عن قطاع النقل في تزايد مستمر، إضافة إلى الآلاف من الأرواح التي يحصدتها القطاع نتيجة لحوادث المرور وما يتربّع عنها من ضرر بالأفراد وبالصحة العامة في ظل الازدياد المضطرد لحضيرة العربات وعدم تناسبها مع شبكة الطرق الحالية.

الكلمات المفتاحية: النقل المستدام، انبعاثات الغازات الدفيئة، حوادث المرور،

الجزائر.

Abstract:

This research paper aims to study and analyze the environmental indicators of sustainable transport in Algeria, this study is inspired from the role of the clean transport system in achieving sustainable development. so that we rely on the descriptive analytical approach to enrich this research, The study concluded that the transport sector is extremely important in the Algerian economy and is one of the most important sectors consuming energy, and causing environmental pollution due to the burning of the fossil fuels, that gives carbon dioxide and methane gases, so that the proportion of greenhouse gas emissions from the transport sector is constantly increasing, despite Algeria's policies and measures, including the ratification of many international agreements to protect the environment and climate changes, More over this sector causes bad effects on either individuals or public health especially With an increasing number of cars that does not go hand in hand with the current road network.

Keywords: Sustainable transport; Greenhouse gas emissions; Traffic Accidents; Algeria.

المقدمة:



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

يعتبر قطاع النقل المجال الحيوي المتصل بالواقع والحياة اليومية فهو يمثل أحد أهم التحديات المعاصرة للحكومات لما له من دور فعال في النهوض والرقي بالمجتمعات والدفع بعجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدول المتقدمة والنامية على حد سواء، فقطاع النقل بمثابة شريان وعصب الحياة الاقتصادية والاجتماعية وركيزتها الأساسية، فهو الأداة التي تقارب بين الشعوب وترتبط مناطق الإنتاج بمناطق الاستهلاك حيث يأتي على رأس القطاعات التي تدعم مختلف الهياكل الاقتصادية، ومن هنا المنطلق يجد قطاع النقل الاهتمام المتزايد من قبل الدول والحكومات ومن كافة الجهات والأطراف والمؤسسات المشاركة في التخطيط للتنمية الشاملة كونه جزء أساسي وهام من استراتيجية أي دولة، وبهذا فقطاع النقل طرح نفسه في العديد من المحافل الدولية لأهميته من جهة ولآثاره السلبية على البيئة وعلى مستقبل الأجيال اللاحقة في حال عدم توفر وسائل نقل ملائمة جراء التلوث والضوضاء والازدحام وغيرها من الآثار السلبية التي تضر بالبيئة والصحة العامة من جهة أخرى فهو أساس وتحدى في إن واحد، هذا ما جعل الدول والحكومات والجزائر على وجه الخصوص تبحث عن السبل الملائمة لضمان نظم نقل مستدامة وصديقة بالبيئة.

بناءً على ما سبق يمكن طرح وصياغة الإشكالية الرئيسية لهذه الورقة البحثية على

النحو التالي:

ما هو واقع المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر؟

سوف يتم الإجابة على التساؤل من خلال محاور الدراسة التالية:

المحور الأول: التنمية المستدامة.

المحور الثاني: النقل المستدام.

المحور الثالث: تحليل المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر.



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

المحور الأول: التنمية المستدامة

شهد العالم خلال العقود الثلاثة الماضية إدراكا متزايداً بأن جل وغالبية المشاكل البيئية جاءت وتولدت كنتيجة حتمية لطريقة وأسلوب التنمية التقليدية الذي كان منتهجاً في جميع المجالات، واعتبر نموذج التنمية التقليدية غير مستداماً ولا يأخذ بالاعتبار متطلبات الأجيال اللاحقة وضراراً بالبيئة ومستترفاً للموارد الطبيعية المتاحة، مما تطلب الأمر التفكير في نموذج للتنمية يكون أكثر استدامة يعمل على تحقيق الأهداف التنموية من جهة ويحافظ على البيئة وعلى الموارد المتاحة من جهة أخرى، وفي هذا السياق ظهر مفهوم التنمية المستدامة كنموذج جديد يسعى إلى التوفيق بين المتطلبات التنموية وأخذ بالاعتبار الأبعاد الاجتماعية والبيئية.

1- مفهوم التنمية المستدامة

ظهر مفهوم التنمية المستدامة في أواخر القرن الماضي ليحتل مكانة هامة وبالغة في عالم اليوم، ويعود هذا الاهتمام للضغط المتزايدة على الإمكانيات المتاحة في العالم، وتعتبر الاستدامة نمط تنموي يمتاز بالعقلانية والرشد، فتعامل مع الأنشطة الاقتصادية التي ترمي إلى النمو من جهة ومع الإجراءات التي تسعى إلى حماية البيئة والموارد الطبيعية من جهة أخرى، لقد عانت التنمية المستدامة من التراحم الشديد في التعريفات والمعانٍ، وأصبح الاختلاف ليس في تحديد تعريف دقيق للتنمية المستدامة وإنما في تعدد وتنوع التعريف المقدمة لهذا المفهوم الغامض، وللوصول إلى تحديد معنى وتقديم تعريف للتنمية المستدامة يستلزم علينا الوقوف على أهم التعريفات والمخطوات التي أدت إلى بلورت مفهوم التنمية المستدامة بالمفهوم الحديث.

برز مفهوم التنمية المستدامة لأول مرة في تقرير اللجنة العالمية للبيئة والتنمية بعنوان "مستقبلنا المشترك"، والتي تعرف بلجنة برند تلالند عام 1987، حيث



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غلام

عرفت التنمية المستدامة بأنها التنمية التي تلبي احتياجات الأجيال الحالية دون الضرر بقدرة الأجيال المتعاقبة على سد احتياجاتها¹، وبعد هذا التقرير أساس عمل مؤتمر ريو جانينرو بالبرازيل الذي عقد عام 1992 أين تم المصادقة على جدول أعمال القرن 21 وتم التأسيس النظري لمفهوم التنمية المستدامة والذي يجمع بين الجانب البيئي، الإنساني والتنموي، وتم تقسيم التعريفات المقدمة للتنمية المستدامة من قبل معهد الموارد العالمية إلى أربع مجموعات رئيسية:²

- **اقتصاديا:** تعني التنمية المستدامة للدول المتقدمة التخفيف في استهلاك الطاقة والموارد، أما بالنسبة للدول النامية فهي تعني التوظيف الأمثل للموارد المتاحة من أجل رفع مستوى المعيشة والحد من الفقر.
- **اجتماعيا:** تعني السعي من أجل تحقيق الاستقرار في النمو الديمغرافي، ورفع مستوى الخدمات الصحية والتعليمية، خاصة في المناطق الريفية.
- **بيئيا:** تعني حماية الموارد الطبيعية والاستخدام الأمثل للأراضي الزراعية والموارد المائية.

- **تكنولوجيا:** تعني نقل المجتمع إلى عصر الصناعات النظيفة التي تستخدم تكنولوجيات غير ضارة بالبيئة.

كما تعرف التنمية المستدامة بأنها العملية التي تحقق النمو الاقتصادي بما يتلاءم وقدرات البيئة، من منطق إن الحفاظة على البيئة والتنمية الاقتصادية عملية متكاملتان

¹ مدحت أبو النصر، ياسين مدحت محمد، التنمية المستدامة: مفهومها-أبعادها-مؤشراتها، ط 1،

المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، 2017، ص 81

² أحمد حابر بدران، التنمية الاقتصادية والتنمية المستدامة، مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، ط 1، القاهرة، 2014، ص 92.



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

وليس متناقضتان¹، وعرفتها اللجنة العالمية للبيئة والتنمية بأنها التنمية التي تقضي بتلبية الحاجات الأساسية للجميع وتوسيع الفرصة أمام المجتمع لإرضاء طموحاتهم إلى حياة أفضل ونشر القيم التي تشجع أنماطاً استهلاكية ضمن حدود الإمكانيات البيئية التي يتطلع المجتمع لتحقيقها بشكل معقول.²

في ضوء ما سبق ونتيجة للتعاريف المتعددة المقدمة لمفهوم التنمية المستدامة يمكننا تعريفها بأنها التنمية المتواصلة والمستمرة التي تدرج بعد البيئي في كافة نشاطاتها بالتوالي مع بعد الاقتصادي وبعد الاجتماعي وهذا لتلبية احتياجات والتوزيع العادل للثروات والموارد بما يخدم الأجيال الحالية دون الضرر باحتياجات وموارد وثروات الأجيال اللاحقة والمستقبلية وهذا على أساس مشاركة كل الأطراف الفاعلة في المجتمعات.

ويمكن حصر أهم متطلبات التنمية المستدامة فيما يلي:³

- الرشادة في استهلاك الموارد والثروات الطبيعية من خلال حصر الثروات الطبيعية والموارد المتاحة في الوقت الحالي، وتقدير الموارد المستقبلية.

¹ - بوزيد سايج، دور الحكم الراشد في تحقيق التنمية المستدامة بالدول العربية حالة الجزائر، أطروحة دكتوراه، قسم العلوم الاقتصادية، جامعة تلمسان، 2013، ص 77.

² - العايب عبد الرحمن، التحكم في الأداء الشامل للمؤسسة الاقتصادية في الجزائر في ظل تحديات التنمية المستدامة، أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس سطيف، 2010.2011، ص 12.

³ - مركز الإنتاج الإعلامي، التنمية المستدامة في الوطن العربي بين الواقع والمأمول، سلسلة دراسات مركز الإنتاج الإعلامي، جامعة الملك عبد العزيز، الإصدار الحادي عشر، جدة، 1427هـ، ص ص، 40، 41.



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

- ترشيد الاستهلاك مع سد الاحتياجات البشرية من خلال التعرف وتحديد الاحتياجات البشرية الحالية والمستقبلية.
- الاهتمام بالتنمية البشرية والعمل على بناء مجتمع قائم على المعرفة وتشجيع الابتكار وتحسين سبل التعلم.
- التنمية الاقتصادية الرشيدة من تبني برامج اقتصادية قائمة على المعرفة.
- الحفاظ على البيئة.
- الشراكة في العلاقات الداخلية والخارجية من خلال توطيد التعاون والشراكة في المعلومات داخلها والتبادل المعرفي مع الخارج.

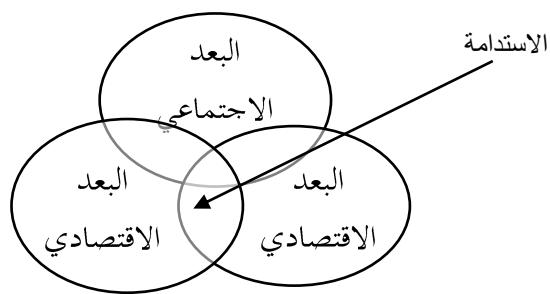
2- أبعاد التنمية المستدامة

أحد أهم أهداف التنمية المستدامة هو إنشاء نموذج للتنمية يربط ويدمج بين البيئة، الاقتصاد والمجتمع، من منطلق أنه هناك ارتباطاً وثيقاً بين هذه الأبعاد الثلاثة والتي تمثل الأبعاد الأساسية للتنمية المستدامة والتي من خلالها يتم تحقيق الرفاهية للمجتمعات وتلبية احتياجات الأجيال الحالية دون الضرر بمتطلبات الأجيال اللاحقة، والشكل أدناه رقم (01) يوضح التمثيل البياني الأكثر شيوعاً للترابط بين الأبعاد الأساسية للتنمية المستدامة.

الشكل رقم (01): أبعاد التنمية المستدامة



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم



المصدر:

Lukas Diblasio Brochard, **Le Développement Durable: Enjeux De Définition et de Mesurabilité**, Mémoire De La Maitrise En Science Politique, Université Du Québec, Montréal, Juin 2011, p 13.

على الرغم من إن جوهر التنمية المستدامة الاهتمام بالجانب والبعد البيئي إلا أنها تقتصر على بعد الاقتصادي والاجتماعي، فهي تنمية متكاملة ومتداخلة ومتراقبة ذات أبعاد ثلاثة أساسية تتسم بالتنظيم والضبط والترشيد للموارد تلبية لاحتياجات الأجيال الحالية والمستقبلية على حد سواء.

ويمكن القول بأن الأبعاد الثلاثة للتنمية المستدامة بمثابة أنظمة فرعية لمنظومة التنمية المستدامة، ونناول أبعاد التنمية المستدامة فيما يلي:

- **البعد الاقتصادي:** التنمية المستدامة اقتصاديا هي التنمية التي يستطيع من خلالها تحقيق أعلى معدلات للنمو الاقتصادي والذي يشمل كل شرائح المجتمع ويساهم في زيادة الرفاهية الاجتماعية، ويمنع حدوث احتلالات اجتماعية جراء السياسات الاقتصادية المتبعة، ودون الضرر بالبيئة مع الاستغلال الأمثل للموارد الطبيعية.



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

- البعد الاجتماعي: تقر التنمية المستدامة بأن الإنسان هو جوهر أي عملية تنمية ولهذا تحرص على سد احتياجات أفراد المجتمعات ومعالجة مشاكلهم الاجتماعية من فقر وصحة وتعليم وسوء توزيع الموارد وتحقيق الرفاهية للأفراد.

- البعد البيئي: يعتبر البعد البيئي جوهر عملية التنمية المستدامة والتي تسعى للحفاظ على البيئة والمحافظة عليها وعلى مواردها من التلوث ومن كافة الأضرار التي من شأنها التأثير على الأنظمة البيئية قصد تلبية احتياجات الأجيال الحالية دون الضرر باحتياجات الأجيال اللاحقة، ويتعلق البعد البيئي للتنمية المستدامة بالحفاظ على الموارد والنظم الطبيعية والنهوض بها وعدم تجاوز الحدود الطبيعية للأنظمة البيئية التي تؤدي إلى اندثارها وتدميرها.

المحور الثاني: الإطار المفاهيمي للنقل المستدام

يعتبر قطاع النقل أحد أهم القطاعات المكونة للبني الارتكازية في أي اقتصاد، فهو بمثابة عصب وشريان الحياة الاقتصادية والاجتماعية لما له من دور فعال في عملية التنمية الشاملة، ولقوى الدفع الأمامية والخلفية التي تربطه بباقي الأنشطة الاقتصادية، فضلاً عن دوره في التجارة الداخلية والخارجية، بالمقابل لقطاع النقل انعكاسات وآثار سلبية على البيئة والصحة العامة وعلى مستقبل الأجيال القادمة، هذا ما جعل الدول والحكومات تبحث عن سبل ملائمة لضمان نقل مستدام وصديق البيئة.

1. مفهوم النقل وأهميته

بالرغم من وضوح مسألة النقل للوهلة الأولى من حيث دلالته، إلا إن التعريفات المقدمة للنقل تتعدد وتتبادر باختلاف المختصين، يعرف النقل في اللغة على أنه "تحويل شيء من موضعه، كما يعني الطريق المختصر؛ حيث يتم عن طريق وسائل تسلك البر والبحر والجو"، أما اصلاحاً كخدمة اقتصادية فيعني حمل الأشخاص والأمتنة والحيوانات

المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ط. وليد شريط وأ.د. عبد الله غال

والسلع والثروات والمعارف من موضع لآخر؛ بوسائل متباعدة من حيث النوع والسرعة والمسافة عبر المسافات المختلفة، بسرعة ومونة وأمان، وفق ما هو متاح من مقومات وما هو موجود من معوقات¹، كما يعرف على أنه: "نشاط خدمي ينبع من فاعلية في المكان والزمان بواسطة شخص طبيعي أو معنوي، يضمن التحويل الفيزيائي للأشخاص والبضائع في مجال معين من مكان لآخر على متن مركبة معدة لهذا الغرض ولمسافة معينة"².

وعلى الرغم من التعريف المتعدد للنقل يمكن النظر إلى النقل كونه نظام لا ينفصل عن باقي النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في المجتمع يتأثر بها ويؤثر عليها، يهدف إلى تيسير انتقال الأفراد ونقل المواد وتحقيق المنفعة المكانية والزمانية ويمكن توضيح مكانة النقل في الاقتصادات الوطنية من خلال النقاط التالية:³

- التأثير على استراتيجية التنمية الاقتصادية: حيث يؤثر قطاع النقل بمختلف أنواعه على عملية التوطن الصناعي، كون تكلفة النقل من أهم العناصر التي تحدد مراكز

^١- بخوى سعودي، واقع وظيفة تسويق النقل في شركة الخطوط الجوية الجزائرية-منظور عينة من المسافرين -، المؤتمر الدولي حول: استراتيجيات وآفاق تطوير قطاع النقل في الجزائر في إطار التنمية الـ ٢٠٣٠، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية معانـة للتـجـارـة، جامعة العـاصـمة، ٧-٨ أكتـوبر ٢٠١٣، p 4.

² - سوسن زيرق، لمين تغليسية، المدن الجزائرية تختنق: نحو نظرية تخطيطية للنقل الحضري، المؤتمر الدولي حول: استراتيجيات وآفاق تطوير قطاع النقل في الجزائر في إطار التنمية الوطنية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسويق، جامعة المسيلة، 7 و8 أكتوبر 2013، ص 4.

³ - سامية خرخاش، نبيلة جعيجع، التخطيط الاستراتيجي للنقل الحضري، مؤتمر دولي حول استراتيجيات وأفاق تطوير قطاع النقل في إطار التنمية الوطنية، جامعة المسيلة، 6-8 أكتوبر 2013، ص ص: 4-3.



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

الإنتاج ومنافذ التوزيع، فخدمات النقل تؤثر على تكاليف الإنتاج وبالتالي على حجم الطلب والعرض الكلي لمنتجات كل صناعة.

- تحسين مركز ميزان المدفوعات للدول: وهذا من خلال زيادة الطاقة والقدرة التصديرية للدول وتحقيق مزيد من العملات الأجنبية، إلى جانب توفير الواردات من السلع الإنمائية التي يوجه جزءا منها لتشجيع الصناعات الموجهة للتصدير وتوفير بدائل الواردات من جهة أخرى، وبالتالي تخفيض معدلات عجز ميزان المدفوعات.

- زيادة معدلات التكوين الرأسمالي المادي والبشري: حيث يساهم قطاع النقل في تيسير عملية انتقال المعرفة التكنولوجية التي ترداد فاعليتها في رفع معدلات النمو الاقتصادي إذا ما تم تحسينها في شكل سلع ومعدات إنتاجية وتقنيات إنتاج متقدمة، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة الطاقة الإنتاجية.

- تدعيم علاقات الترابط والتكامل الاقتصادي: حيث يساعد قطاع النقل على تحقيق التكامل الاقتصادي بين مختلف الصناعات والقطاعات من خلال تحقيق المنفعة المكانية والزمانية للمنتجات الوسيطة والنهائية، فقطاع النقل له قوى دفع أمامية وخلفية لباقي القطاعات الأخرى.

- التخصص وتقسيم العمل: يعمل النقل على تدعيم طاقة الدولة على التخصص وتقسيم العمل وتنظيم منافع ظاهرة المزايا النسبية في الإنتاج، وتفسير ذلك إن كل دولة تتخصص في الإنتاج الذي تكتسب فيه مزايا نسبية مما يؤدي إلى الإنتاج بتكلفة منخفضة وزيادة المنتجات وتخفيض الأسعار وبتحقيق الفائض في الإنتاج يتم التبادل التجاري بين الدول الذي يتطلب بالدرجة الأولى شبكة نقل متطرفة.

- العولمة: حيث يساعد قطاع النقل على تخطي صعوبات المسافات بالنسبة لتنقل الأشخاص أو نقل البضائع على حد سواء.



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

وعلى الرغم من الأهمية التي يكتسبها قطاع النقل في التهوض باقتصادات الدول وتحقيق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للشعوب له حملة من الآثار السلبية على البيئة والصحة العامة، ولهذا أصبح اهتمام غالبية من الدول في تطوير نظم نقل مستدامة صديقة للبيئة.

2. النقل المستدام

جاء مصطلح النقل المستدام كأحد الأنظمة الفرعية لتحقيق التنمية المستدامة، يستخدم للدلالة على وسائل النقل الصديقة للبيئة، ويعرف على أنه النقل الذي لا يهدد الصحة العامة والنظم الإيكولوجية ويلبي احتياجات التنقل مع احترام المبادئ التي تستخدم الموارد المتعددة بمعدل أقل من معدل تجديدها، واستخدام الموارد الغير متعددة بكميات أقل من معدل تطوير البديل المتعدد¹، كما يعرف تعريف النقل المستدام بأنه منظومة تلي الاحتياجات اليومية من خلال آلية سهول الوصول والتنقل بأساليب متعددة وبكفاءة عالية لتحقيق الأهداف الاجتماعية، البيئية والاقتصادية للأجيال الحالية بشكل ينمي ويحافظ على مصادر الطاقة لتلبية احتياجات الأجيال اللاحقة²، من خلال التعريفين السابقين يتبين بأن النقل المستدام ما هو إلا امتداد للتنمية المستدامة يسعى إلى تطوير أنظمة نقل أكثر كفاءة في استخدام الموارد الاقتصادية تساعده على توفير نمط حياة صحي وتكون صديقة للبيئة تلي احتياجات النقل والتنقل للأجيال الحالية دون المساس بقدرة الأجيال اللاحقة في تلبية هذه الاحتياجات.

¹ – conférence de l'OCDE, VERS DES TRANSPORTS DURABLES, Conférence organisée par l'OCDE sous les auspices du gouvernement du Canada, Vancouver, Colombie-Britannique du 24 au 27 mars 1996, p 13.

² – سناء ساطع عباس، بخيت عمار، النقل المستدام والشكل الحضري، المجلة العراقية للهندسة المعمارية، العدد (1)، اذار، 2016، ص 189.



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

كما يتميز النقل المستدام بجملة من الموصفات والخصائص يمكن حصرها فيما

¹ يلي:

- الأقل سلامة وأمانا والأقل إيناء للأفراد والممتلكات.
- الأقل تلوينا للهواء والمياه والتربة، والأقل إصدارا للضجيج، وبالتالي الأقل ضرار للصحة العامة.
- الأقل إصدارا للانبعاثات الغازات الدفيئة، وبالتالي الأقل مساهمة في حدة التغير المناخي والاحترار العالمي.
- الأقل استهلاكا للموارد الطبيعية، ومن ضمنها الوقود الاحفوري، وبالتالي فهو الأكثر كفاءة في استخدام الطاقة، ويستفيد من مصادر الطاقة المتعددة.
- الأوسع انتشارا وصولا إلى المناطق الفقيرة والنائية، يهدف تجاهلا ظروف مواتية للحركة العمرانية فيها، وتسهيل وصول القراء على مراكز العناية الصحية والمدارس والجامعات والأسواق، وتسهيل نقل المنتجات وتسويتها.
- الأقل كلفة، بحيث يتمكن الراغبون في الانتقال إلى مراكز عملهم وتحمل مصاريف النقل عبر شبكات ممتدة بين أماكن السكن ومراكز تلبية الحاجات الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية في الحياة اليومية.
- القادر على تلبية الطلب عليه، مع فك الارتباط قدر الإمكان بين النمو الاقتصادي وتطور انبعاثات الغازات الدفيئة الصادرة عن قطاع النقل، فهو داعم للأنشطة الاقتصادية ومتكملا معها، دون أن تتزايد وتيرة استهلاكه للطاقة وإصداره للانبعاثات مع وتيرة النمو الاقتصادي الاجتماعي.

¹ - اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الاسكوا)، السياسات والتداير للترويج للاستخدام المستدام للطاقة في قطاع النقل في منطقة الاسكوا، الأمم المتحدة، 2010، ص 6، 7.



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

ما تقدم يمكن استنباط أبعاد النقل المستدام من أبعاد التنمية المستدامة والمتمثلة في
البعد الاقتصادي، البيئي والاجتماعي، وذلك بالتركيز على كل الجوانب المرتبطة بقطاع
النقل وتكيفها بما يتاسب وأبعاد التنمية المستدامة السابقة الذكر، كونه من أهم الأنظمة
الفرعية للتنمية المستدامة وكونه عصب وشريان الحياة الاقتصادية، الاجتماعية والبيئية
على حد سواء.

ويرتكز النقل المستدام بما يتوافق وأبعاد التنمية المستدامة على جملة من المبادئ

¹ نوجزها فيما يلي:

- زيادة الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للشعوب من خلال تامين وصول
الأفراد إلى أماكن السلع والخدمات بأقل تكلفة.

- تحقيق العدالة الاجتماعية والانصاف بين الأجيال والأقاليم من خلال توفير
كافحة متطلبات وحاجات السكان بكافة طبقاتهم الاجتماعية وامتداداً لكافة المناطق
الريفية والحضرية.

- التخطيط المتكامل للنقل من خلال وضع خطط شاملة تتضمن النظم والحلول
المتكاملة المستدامة فيما بينها للتمكن من تطوير وتوسيع شبكات النقل وبنية الوسائل
المناسبة.

- الاهتمام بالصحة والسلامة العامة في أنظمة النقل من خلال تصميم وتشغيل
أنظمة نقل بطريقة غير مضررة بالصحة العامة وتحسين نوعية الحياة في المجتمع.

¹ - خالد ليتيم، صفية درويش، تقييم استراتيجية تطوير النقل البري في الجزائر في إطار رؤية تنمية
مستدامة، مجلة الإدارة والتنمية للبحوث والدراسات، العدد الخامس، ص 225.

المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غام

- تحسين جودة البيئة من خلال بذل جهود نحو تطوير نظم نقل بما تتناسب وتنقيد بالاعتبارات البيئية التي تحد من التلوث البيئي، احترام معدل تجديد الموارد، الحد من النفايات والتقليل من استهلاك الوقود الأحفوري.

- الجدوى الاقتصادية، اذ يجب ان تكون نفقات نظم النقل المستدام فعالة من حيث التكلفة بحيث تعكس الحقيقة الاجتماعية، الاقتصادية والبيئية للتكليف الاجمالية من أجل تحقيق معيار المساواة والعدالة في الدفع.

المحور الثالث: تحليل المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر

على الرغم من إن قطاع الصناعة اعتبر لفترة طويلة المسؤول الأول والأساسي عن الزيادة السريعة في تلوث الغلاف الجوي، وعن التغير التدريجي في الخصائص المناخية على كوكب الأرض، إلا إن قطاع النقل أصبح يحتل الصدارة ويعتبر المصدر الرئيسي لابعاثات الغازات الدفيئة وعن المواد الملوثة للجو.

والجزائر من الدول التي أدركت أهمية قطاع النقل في التنمية الاقتصادية المستدامة وتعنى جاهدة لتطوير هذا القطاع من جهة، وللحذر من الآثار السلبية لهذا القطاع من جهة أخرى، ويظهر ذلك جلياً من خلال حجم الأغلفة المالية المخصصة في إطار البرامج التنموية التي تم اطلاقها في مطلع الألفية فمطارات شيدت وطرق عملاقة أُنجزت ووسائل نقل جديدة استوردت، ورغم هذه الجهود فالطريق نحو نظم نقل مستدامة لا يزال مطروحا إلى وقتنا الحالي وهذا لعدم مواكبة قطاع النقل للحدث.

تركز حل المؤشرات البيئية للنقل المستدام على الانبعاثات الناجمة عن عمليات تنقل الأشخاص والسلع، إضافة إلى السلامة المرورية عبر الطرق و وهذا ما سنتناوله بالدراسة، عن طريق تسليط الضوء على نمو وتطور قطاع النقل إلى جانب نمو الناتج المحلي الإجمالي للجزائر لتوضيح العلاقة ومكانة قطاع النقل في الاقتصاد الجزائري وحجم



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

الطاقة المستهلكة لقطاع النقل ونوع الوقود المستهلك في هذا القطاع، بالإضافة إلى تناول حجم انبعاثات الغازات الدفيئة المسيبة للاحتباس الحراري وأهم الانبعاثات المباشرة لقطاع النقل والمسيبة للاحتباس الحراري وبالخصوص غاز ثاني أكسيد الكربون CO_2 ، مع التطرق إلى السلامة المرورية وحجم الكوارث المرورية في الجزائر.

أولا: مؤشر نمو قطاع النقل

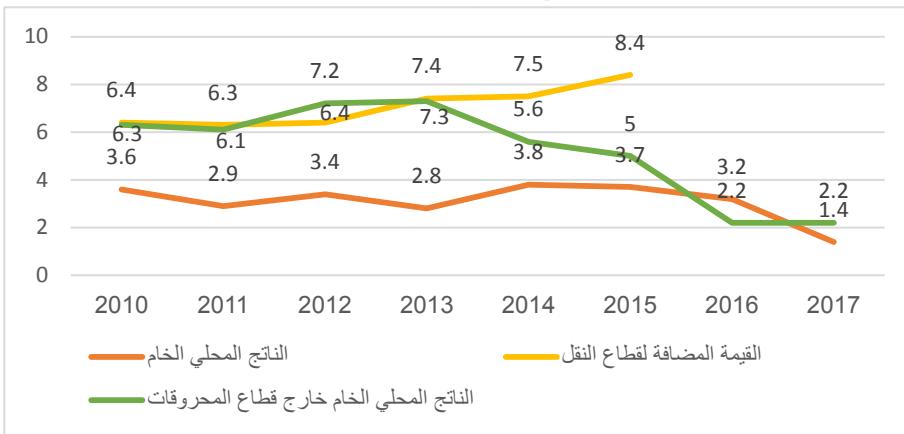
يمكنا معرفة دور ومساهمة قطاع النقل في الاقتصاد الجزائري من خلال الشكل رقم (02) والذي يوضح نمو الناتج المحلي الخام للجزائر خلال الفترة ما بين 2010-2017، والقيمة المضافة لقطاع النقل بالنسبة للاقتصاد الجزائري.

من خلال الشكل رقم (02) يتضح إن نمو الناتج المحلي الخام في الجزائر يعرف عدم استقرار وهذا لارتباط الاقتصاد الجزائري بالطلب على المحروقات وأسعار النفط حيث سجل أعلى معدل نمو له سنة 2014 أين بلغ سعر برميل البترول 96,3 دولار للبرميل¹، لينخفض لثلاث سنوات متتالية بنسبة قدرها 1,4% وهذا بالتوازي مع الانخفاض المشهود في أسعار النفط، وهذا ما يبين إن الناتج المحلي الخام والاقتصاد الجزائري يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأسعار وسوق النفط، وفي المقابل فالناتج المحلي الخام خارج قطاع المحروقات شهد ارتفاعاً ليصل لأعلى مستويات نموه سنة 2013 بنسبة 7,3% لينخفض مجدداً بنسبة 5,1% سنة 2017 وهذا ما يفسر ارتباط باقي القطاعات الاقتصادية الأخرى بأسعار المحروقات، إلا إن القيمة المضافة لقطاع النقل شهدت نمواً متواصلاً من سنة 2010 إلى غاية 2015 بنسبة نمو مقدرة بـ 2 % نتيجة للأهمية النسبية لقطاع النقل

¹- سطحي جابر، تطور أسعار النفط وانعكاساتها على الاقتصاد الجزائري خلال الفترة (2005-2017)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 33، العدد 01، الجزائر، 2019، ص

المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم
في الاقتصاد الجزائري جراء الأغلفة المالية والاستثمارات التي تم تخصيصها وتحسیدها من
قبل السلطات الجزائرية للنهوض بهذا القطاع لما له من دور فعال في الحياة الاقتصادية
والاجتماعية على حد سواء.

الشكل رقم (02): غو الناتج المحلي الخام للجزائر والقيمة المضافة لقطاع النقل



المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على الحسابات الاقتصادية للديوان

الوطني للإحصاء، والنشرات الإحصائية لسنة 2015، 2017

<http://www.ons.dz/-Les-Comptes-Nationaux-Annuels-de-.html>

ثانياً: مؤشر استهلاك الطاقة لقطاع النقل

من خلال الجدول رقم (01) يمكننا تحديد تطور استهلاك الطاقة لأهم القطاعات في الجزائر خلال الفترة الممتدة من 2013 إلى 2018، وتحديد على وجه الخصوص نصيب استهلاك قطاع النقل للطاقة مقارنة بقطاع الصناعة والقطاع الأسري، وهذا لإعطاء صورة حول حجم التلوث المترتب عن استهلاك الطاقة لقطاع النقل.

فنجد إن استهلاك قطاع النقل للطاقة زاد بنسبة 5,7% في عام 2014 مقارنة بسنة 2013 ليصل إلى 14,6 مليون طن وهذا راجع أساساً لنمو استهلاك الطاقة في قطاع النقل



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

البري وهذا بعمر 0,74 مليون طن، لتبلغ نسبة الاستهلاك لقطاع النقل 15,5 مليون طن عام 2015 بزيادة قدرها 1 مليون طن بنسبة 6,5 % مقارنة بسنة 2014 نتيجة لزيادة في استهلاك الوقود الرابع بالأساس إلى زيادة حضيرة السيارات الوطنية حيث تم استيراد ما يقارب 270000 سيارة جديدة عام 2015، في حين شهد انخفاض في مستوى استهلاك الطاقة لقطاع النقل في سنة 2016 بنسبة 2,8 % مقارنة بالسنة السابقة، وبالانخفاض آخر سنة 2017 بنسبة 1,1 % مقارنة بسنة 2016، ليصل إلى 14,9 مليون طن، وهذا راجع لانخفاض استهلاك الوقود والخصوص في قطاع النقل البري جراء الزيادة في أسعار الوقود المختلفة في تلك الفترة، ليشهد قطاع النقل البري رواجا ولو طفيفا مقارنة بالستينيات السابقتين ما أدى إلى زيادة استهلاك الطاقة لقطاع النقل بنسبة 2,6 % في سنة 2018 مقارنة بالسنة السابقة لتصل كمية استهلاك الطاقة 15,3 مليون طن.

الجدول رقم (01): الاستهلاك النهائي للطاقة لقطاع النقل في الجزائر خلال

الفترة ما بين 2018-2013

2018		2017		2016		2015		2014		2013		وحدة القياس: كيلو طن لك = 1000 طن
%	لك	%	لك	%	لك	%	لك	%	لك	%	لك	
5,1	10450	7,6	9943	4,8	9242	7	8818	2,8	8238	8010		القطاع الصناعي، البناء والأشغال العمومية
2,6	15281	-1,1	14895	-2,8	15057	6,5	15495	5,7	14551	13762		قطاع النقل، النقل البري
1,4	14342	-1,1	14138	-3,3	14293	6,3	14778	5,6	13901	13159		النقل الجوي
22,6	608	2,9	496	-1,3	482	9,4	476	7,1	435	406		



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

13,2	22414	6,6	19808	2,4	18584	9,4	18145	5,6	16579	15704	القطاع الأسري، وآخرى
------	-------	-----	-------	-----	-------	-----	-------	-----	-------	-------	-------------------------

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على

Les bilans énergétiques national, Ministère de l'énergie, Algérie, années 2014, 2015, 2016, 2017, 2018 <https://www.energy.gov.dz/>

إن تحليل الاستهلاك النهائي للطاقة حسب القطاعات خلال الفترة الممتدة من سنة 2013 إلى 2018 يوضح إن القطاع الأسري ويشمل في ذلك القطاع الزراعي يحتل المكانة الأولى والأساسية في استهلاك الطاقة في الجزائر، وهذا ما يعكس بشكل عام التحسن في مستويات معيشة الأفراد والمواطنين وهذا بما يعادل 43% من الاستهلاك النهائي في عام 2013، ليليه مباشرة قطاع النقل والقطاع الصناعي بنسبة 36 و 21% على التوالي من نفس السنة، وفي باقي السنوات لغاية 2018 يبقى القطاع الأسري يحتل المرتبة الأولى وقطاع النقل المرتبة الثانية ليليهم القطاع الصناعي، وتتجدر الإشارة إلى إن استهلاك الطاقة لقطاع النقل انخفض بعمران الأربع نقط خلال الخمس سنوات بعد الانخفاض في استهلاك الوقود لصالح القطاعين الآخرين حيث بلغت نسبة استهلاكه للطاقة 32% من حجم الاستهلاك النهائي وهذا في سنة 2018. وهذا فقطاع النقل يحتل أهمية بالغة من حيث نسبة استهلاك الطاقة.

بعد تناول حجم الطاقة المستهلكة لقطاع النقل في الجزائري، سنتناول نوع ومعدل استهلاك أنواع الوقود الأحفوري لهذا القطاع لمعرفة نسبة الوقود الغير ملوث المستهلك في الجزائر لاستدامة قطاع النقل.

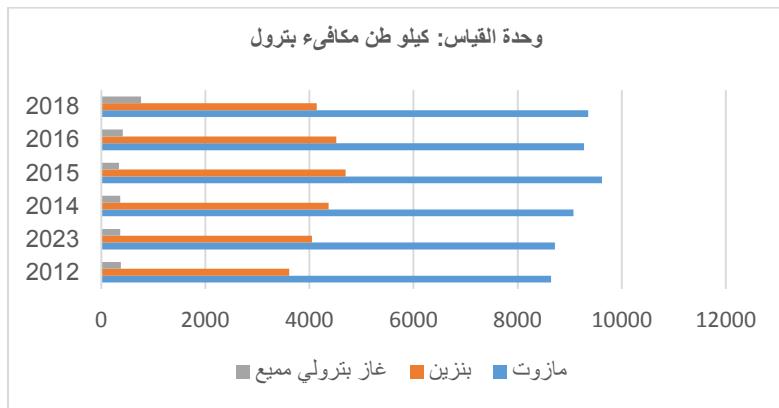
ثالثا: مؤشر استهلاك الوقود لقطاع النقل

سنسعى إلى تحديد نوع الوقود المستخدم والمستهلك لقطاع النقل في الجزائر، وتحديدا على وجه الخصوص معدل استهلاك الغاز البترولي الميغ GPL، كونه أحد أهم



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم
أنواع الوقود الغير ملوث للبيئة وأحد أهم العناصر التي تسعى الاستراتيجية الوطنية
لتوسيع نطاق استعماله لاستدامة قطاع النقل والحد من الآثار السلبية لقطاع النقل على
البيئة، وهذا ما يوضحه الشكل رقم (03).

**شكل رقم (03): أنواع الوقود المستعمل لقطاع النقل في الجزائر للفترة الممتدة
من 2012 إلى 2018**



المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على

**Les bilans énergétiques national, Ministère de l'énergie, Algérie,
années 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2018**

<https://www.energy.gov.dz/>

نلاحظ من الشكل رقم (03) إن نسبة استعمال الوقود لقطاع النقل شهد ارتفاع
خلال السنوات 2013، 2014، 2015 بنسبة 3,77%، 4,90%، 5,77% على التوالي،
ليشهد انخفاض في سنة 2016 بنسبة 3,15 % نتيجة لارتفاع في مستوى أسعار الوقود،
ليشهد ارتفاع طفيف خلال سنتي 2016، 2018 بنسبة 0,40%， حيث يشكل المازوت
الوقود الأساسي المستهلك لقطاع النقل وبالخصوص في قطاع النقل البري ليليه البترين،
في حين يحتل الغاز البترولي الممبي GPL المكانة الأخيرة في نسبة استهلاك الوقود وهذا



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

بنسبة 2,78 % سنة 2013، حيث انخفض استهلاك الغاز البترولي الممیع إلى 2,34 % سنة 2015، لترتفع نسبة استهلاك GPL إلى 5,37 % من اجمالي استهلاك الوقود لقطاع النقل سنة 2018 نتيجة للاستراتيجية الوطنية المادفة لتشجيع استهلاك هذا الوقود الأنظف ونظراً لجاذبيته المتزايدة من خلال انخفاض سعره مقارنة بباقي أنواع الوقود، إلا أنه رغم الامتيازات الممنوعة لمستعمله هذا الوقود وأسعاره المنخفضة إلا إن نسبة استهلاكه لا تزال منخفضة ولم ترق بعد إلى المستوى المطلوب والمنتظر مقارنة باستهلاك كل من المازوت والبترول الأكثرين تلويناً للبيئة.

من خلال ما تقدم نجد إن قطاع النقل من أهم القطاعات استهلاكاً للطاقة في الجزائر ما يمكننا من تصور حجم التلوث الذي تتعرض اليه البيئة جراء الانبعاثات الغازية الدفيئة المسيبة للاحتباس الحراري الناتجة عن احتراق الوقود الأحفوري نتيجة استهلاك قطاع النقل للطاقة وبالخصوص انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون وغاز الميثان كونهما أهم الغازات المسيبة للاحتباس الحراري، وهذا ما يقودنا إلى تناول حجم انبعاثات الغازات الدفيئة.

رابعاً: مؤشر انبعاث الغازات المسيبة للاحتباس الحراري لقطاع الطاقة

تتعدد الأسباب الطبيعية والبشرية التي تؤدي إلى تطور ظاهرة التغيرات المناخية وظهور ظاهرة الاحتباس الحراري، وتعتبر الأنشطة البشرية السبب الرئيسي بفعل الانبعاثات المفرطة للغازات المسيبة للاحتباس الحراري في الجو وبالخصوص غاز ثاني أكسيد الكربون وغاز الميثان، وعلى الرغم من كونهما غازان طبيعيان وضرورياً للمحافظة على درجة حرارة الجو إلا إن انبعاثهما بشكل كبير جراء الأنشطة البشرية يؤدي إلى زيادة درجة حرارة الأرض والجو واحداث احتلال في النظام البيئي وتغير في المناخ وتفاقم في ظاهرة الاحتباس الحراري؛ والجزائر كباقي الدول التي تسعى جاهدة



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

للحفاظ على البيئة وعلى التغيرات المناخية حيث صادقت على اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ في أفريل 1993، حيث توكلد على التزاماتها واعترافا لها بأهمية تغير المناخ ولاسيما تثبيت انبعاثات الغازات الدفيئة، كما صادقت على بروتوكول كيوتو سنة 2005، وعلى اتفاق باريس الذي تم اعتماده في نهاية 2015 وهذا في المؤتمر الحادي والعشرون لاتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ وهذا بموجب مرسوم رئاسي في 13 أكتوبر 2016، حيث قدمت الجزائر في سبتمبر 2015 مساهمتها المتوقعة والمحدة وطنيا إلى أمانة اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ وهذا بإجراء تخفيض تطوعي في انبعاثات الغازات الدفيئة من 7% إلى 22% بحلول عام 2030 اذا استفادت من الدعم المالي الخارجي والتكنولوجي وتعزيز بناء القدرات¹، كما أعدت الجزائر جرد شامل لأنبعاثات الغازات الدفيئة سنة 1994 تم نشر نتائجه سنة 2001، وجرد آخر سنة 2000 تم نشره سنة 2010 وهذا حسب التقرير الوطني الأول والثاني بشأن التغير المناخي في اطار اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ لستي 2001، 2010 على التوالي.

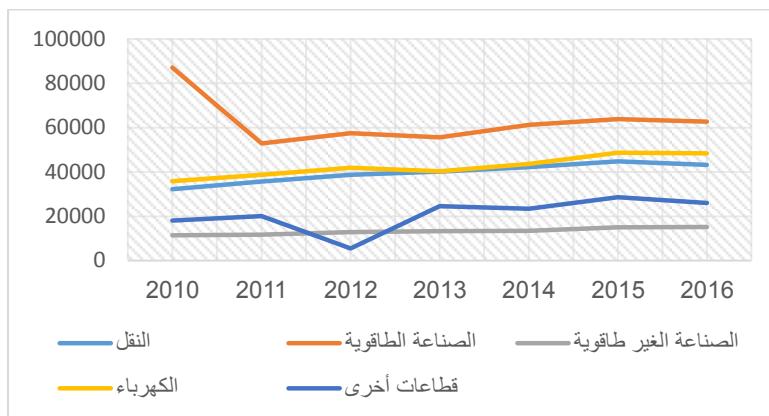
باستثناء القطاع الزراعي وقطاع الغابات يعتبر قطاع الطاقة من أكبر القطاعات المساهمة في انبعاث الغازات المسماة للاحتباس الحراري وهذا ما يوضحه الشكل رقم (4) أدناه.

شكل رقم (04): انبعاثات الغازات لقطاع الطاقة (كيلو طن مكافئ CO₂)

¹ – Miloud SALLAYE, Karima OULEBSIR, **Etablissement d'un rapport sur l'inventaire des sources d'émission et des puits d'absorption de GES**, p7.



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم



Source : Miloud SALLYE, Karima OULEBSIR, Etablissement d'un rapport sur l'inventaire des sources d'émission et des puits d'absorption de GES, Agence Nationale des Changements Climatiques, Kouba, Alger, 2016/2017, p 17.

من خلال الشكل رقم (04) نجد إن انبعاثات الغازات لقطاع النقل زاد بنسبة 28,14% في عام 2015 مقارنة بسنة 2010 ليصل إلى 44750 كيلو طن مكافئ co2 وهذا راجع أساسا لنمو استهلاك الوقود في قطاع النقل البري والراجع بالأساس إلى زيادة حضيرة السيارات الوطنية، في حين شهد انخفاض في مستوى انبعاثات الغازات لقطاع النقل في سنة 2016 نسبة 3,4 % مقارنة بالسنة السابقة، وهذا راجع لانخفاض استهلاك الوقود جراء الزيادة في أسعار الوقود المختلفة في تلك الفترة من جهة ولزيادة استخدام الغاز البترولي المميع GPL من جهة أخرى، كما يعتبر قطاع النقل من أهم القطاعات في حجم انبعاثات الغازات بعد قطاع الصناعات الطاقوية وقطاع الكهرباء.

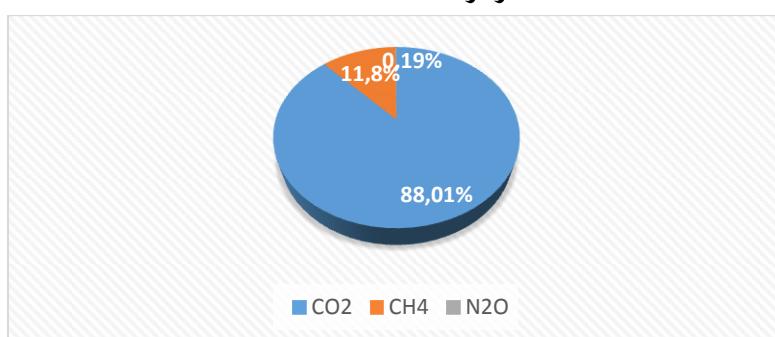
أما بالنسبة لنوع الغازات المسبيبة للاحتباس الحراري نجد إن غاز ثاني أكسيد الكربون CO2 يمثل الصدارة بنسبة 88,01%，ليليه غاز الميثان CH4 بنسبة 11,8%，وفي الأخير غاز ثاني أكسيد التتروجين N2O بنسبة 0,19%，والشكل أدناه رقم (05) يوضح انبعاث الغازات المسبيبة للاحتباس الحراري لقطاع الطاقة.



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالي

الشكل رقم (05): الغازات المسبيبة للاحتباس الحراري لقطاع الطاقة في

الجزائر لسنة 2016



Source : Miloud SALLAYE, Karima OULEBSIR, Etablissement d'un rapport sur l'inventaire des sources d'émission et des puits d'absorption de GES, Agence Nationale des Changements Climatiques, Kouba, Alger, 2016/2017, p 17.

باعتبار إن غاز ثاني أكسيد الكربون CO₂ أهم الغازات المسبيبة للاحتباس الحراري وأكثرها انبعاثا من قطاع الطاقة ستعرض إلى مؤشر انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون لقطاع النقل.

خامسا: مؤشر انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون CO₂ لقطاع النقل

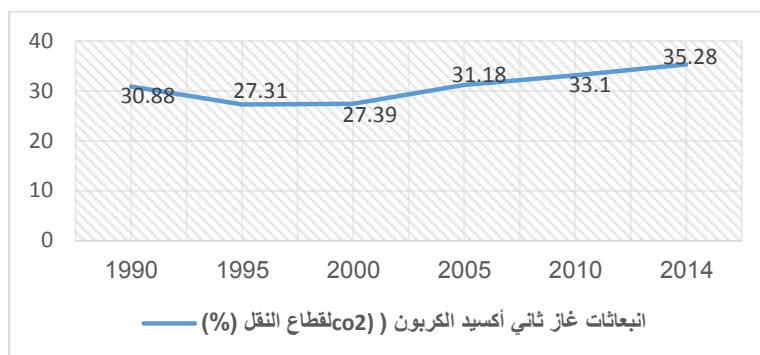
من خلال ما تقدم بجد إن قطاع النقل من أهم القطاعات استهلاكا للطاقة، وأهم القطاعات المسبيبة للانبعاثات المسبيبة للاحتباس الحراري في الجزائر الناتجة عن احتراق الوقود الأحفوري نتيجة استهلاك قطاع النقل للوقود الأحفوري وبالخصوص انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون CO₂, والشكل رقم (06) يوضح ذلك.

الشكل رقم (06): انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون CO₂ لقطاع النقل في

الجزائر



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم



من خلال الشكل رقم (06) نجد بأن نسبة انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون في

زيادة مستمرة مقدرة بـ 4,4% وهذا من سنة 1990 إلى سنة 2014 رغم الجهود المبذولة

من قبل السلطات للتقليل والحد منها وفق اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ

المصادق عليها من قبل الجزائر سنة 1993 حيث بلغت نسبة الانبعاثات 35,28% سنة

2014 وهذا من حجم الانبعاثات الاجمالي لغاز ثاني أكسيد الكربون في الجزائر، فنجد

بأن ثلث انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون تأتي من قطاع النقل، وهذا يعتبر قطاع النقل

في الجزائر من القطاعات الرئيسية المسئولة عن الغازات المسماة للاحتباس الحراري

وبالخصوص غاز ثاني أكسيد الكربون، ويرجع ذلك بالأساس للتزايد السكاني للجزائر

في تلك الفترة وما صاحبه من تزايد حضيرة عربات النقل للازدياد الطلب على هذا

الأخير.



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

جراء تزايد حضيرة عربات النقل في الجزائر والمقدرة بـ 6162542 عربة سنة 2017 بمعدل نمو 5,06 %، مقارنة بالسنوات 2015، 2016 على التوالي¹، تسعى الجزائر إلى الحد من حجم الكوارث والحوادث المرورية لقطاع النقل في إطار استدامة قطاع النقل، وستتناول مؤشر السلامة المرورية في قطاع النقل.

سادسا: مؤشر السلامة المرورية

يعتبر قطاع النقل من أهم القطاعات الحيوية وركيزة أساسية للاقتصاد الجزائري أين تسعى السلطات إلى النهوض بهذا القطاع لما له من دور في التنمية الاقتصادية من جهة وتسعى للحد من الآثار الخارجية للقطاع التي تضر بالصحة العامة والمواطنين جراء الانبعاثات الغازية الناجمة عن احتراق الوقود الأحفوري المسيبة للاحتباس الحراري وبالخصوص غاز ثاني أكسيد الكربون، والازدحام المروري والضوضاء، بالإضافة إلى حجم الحوادث المرورية نتيجة للاستعمال السيء للمركبات التي تؤدي بحياة الآلاف من الأفراد كل سنة حيث أصبحت تشكل آفة اجتماعية خطيرة، وهذا ما يوضحه الجدول رقم (03).

الجدول رقم (02): التطور السنوي لحوادث المرور في الجزائر خلال الفترة

2017-2012

2017	2016	2015	2014	2013	2012	
25038	28856	35199	40101	42846	42477	الحوادث
36287	44007	55994	65263	69582	69141	الجرحى
3639	3992	4610	4812	4540	4447	المتوفون

¹ - الجزائر بالأرقام، الديوان الوطني للإحصائيات، نشرات 2015، 2017، 2018.



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على، أرقام الجزائر، الديوان الوطني
لإحصائيات نشرات 2015، 2017، 2018.

من الجدول رقم (02) نجد بأن حوادث المرور تتصدر سنويا الآلاف من الأرواح التي بلغت 4610 متوفي كأعلى نسبة سنة 2015، إلا إن ما يمكن ملاحظته إن نسبة الحوادث تشهد انخفاضا من سنة لأخر حيث انخفضت سنة 2017 بنسبة 41,05 % مقارنة بسنة 2012، وبنسبة 28,86 % مقارنة بسنة 2015، وهذا الذي انعكس بدوره على انخفاض عدد الجرحى الذي بلغ 36287 جريح سنة 2017، حيث انخفض عدد الجرحى في الفترة 2012-2017 بنسبة 47,51 %، وكذا انخفاض عدد المتوفون بنسبة 18,16 % لنفس الفترة، وما يفسر هذا الانخفاض في مستوى حوادث المرور إلى التدابير والسياسات وقوانين المرور التي اتخذتها السلطات بهدف تحسين وتنظيم لحركة المرور والتي ساهمت بشكل كبير في التقليل من حجم الكوارث المرورية خلال هذه الفترة، إلا أنها لم ترق بعد للمستوى المطلوب في ظل الازدياد المضطرد لحضيرة العربات وعدم تناسيبها مع شبكة الطرق الحالية، وهذا ما يستدعي تظافر جهود كل الأطراف الفاعلة وتسخير كافة الإمكانيات في إطار خطة وطنية شاملة لتحقيق السلامة المرورية.

الخاتمة: تطرقنا في هذه الدراسة إلى واقع المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر من خلال تحليل نمو قطاع النقل واستهلاكه للطاقة والوقود، وإلى انبعاثات الغازات الدفيئة المسيبة للاحتباس الحراري لقطاع الطاقة، وانبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون CO_2 لقطاع النقل، بالإضافة إلى مؤشر السلامة المرورية، ويبدو مما سبق بوضوح إن قطاع النقل يحتل أهمية بالغة في الاقتصاد الجزائري ومن أهم القطاعات المستهلكة للطاقة والمسيبة للاحتباس الحراري، ورغم السياسات والإجراءات المتخذة من قبل السلطات



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم الجزائرية لاحفاظ على البيئة إلا إن نسبة الانبعاثات لقطاع النقل في تزايد مستمر، إضافة إلى الضرر بالأفراد وبالصحة العامة للقطاع نتيجة لارتفاع في حوادث المرور.

نتائج واستنتاجات

- 1- رغم عدم الاستقرار والتذبذب الذي يشهده نمو الناتج الخام الجزائري إلا إن القيمة المضافة لقطاع النقل شهدت نموا متواصلا نتيجة للأهمية النسبية لقطاع النقل في الاقتصاد الجزائري لما له من دور فعال في الحياة الاقتصادية والاجتماعية على حد سواء.
- 2- إن تحليل الاستهلاك النهائي للطاقة حسب القطاعات يوضح إن قطاع النقل يحتل مكانة أساسية ومن أهم القطاعات استهلاكاً للطاقة، حيث يحتل المرتبة الثانية بعد القطاع الأسري ويشمل في ذلك القطاع الزراعي، ليليهم القطاع الصناعي.
- 3- رغم الاستراتيجية الوطنية المحددة لتشجيع استهلاك الغاز البترولي المميع GPL كوقود أنظف ورغم الامتيازات الممنوحة لمستعملية هذا الوقود وأسعاره المنخفضة إلا إن نسبة استهلاكه لا تزال منخفضة ولم ترق بعد إلى المستوى المطلوب والمتضرر مقارنة باستهلاك كل من المازوت والبترول الأكثر تلويناً للبيئة، حيث يشكل المازوت الوقود الأساسي المستهلك لقطاع النقل وبالخصوص في قطاع النقل البري ليليه البترول وهما الأكثر تلويناً للبيئة.
- 4- يعتبر قطاع الطاقة من أكبر القطاعات المساهمة في انبعاث الغازات المسامية للاحتجاب الحراري، ويعتبر قطاع النقل من أهم القطاعات في حجم انبعاثات الغازات بعد قطاع الصناعة الطاقوية وقطاع الكهرباء.
- 5- يعتبر غاز ثاني أكسيد الكربون CO₂ من أهم الغازات المسامية للاحتجاب الحراري في الجزائر، حيث إن ثلث انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون تأتي من قطاع النقل وهذا رغم الجهد المبذولة من قبل السلطات للتقليل والحد منها وفق اتفاقية الأمم



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

المتحدة الاطارية بشأن تغير المناخ المصدق عليها من قبل الجزائر سنة 1993، ويرجع ذلك بالأساس للتزايد السكاني للجزائر في تلك الفترة وما صاحبه من تزايد حضيرة عربات النقل للازدياد الطلب على هذا الأخير.

6- رغم التدابير والسياسات وقوانين المرور التي اتخذتها السلطات بهدف تحسين وتنظيم لحركة المرور إلا إن حوادث المرور تحصد سنويا الآلاف من الأرواح، ولم ترق بعد للمستوى المطلوب في ظل الازدياد المضطرب لحضيرة العربات وعدم تناسبها مع شبكة الطرق الحالية، وهذا ما يستدعي تظافر جهود كل الأطراف الفاعلة وتسخير كافة الإمكانيات في إطار خطة وطنية شاملة لتحقيق السلامة المرورية.

الوصيات

1- رغم السياسات والإجراءات المتخذة من قبل السلطات الجزائرية للحد من الآثار السلبية لقطاع النقل على البيئة إلا أنها لم ترق للمستوى المطلوب بعد، وعليها بتكثيف الجهد لاستدامة قطاع النقل والتوجيع على استخدام وسائل نقل صديقة للبيئة، والعمل على خلق آليات أكثر فعالية لتعزيز استخدام أنواع الوقود النظيف للحد من الاحتباس الحراري الناتج عن استخدام الوقود الأحفوري في وسائل النقل.

2- لا بد من الصرامة في تطبيق القوانين وسن تشريعات واتخاذ إجراءات أكثر ملاءمة للحد من حوادث المرور لقطاع النقل والتي تحصد الآلاف من الأرواح وما يتربى عنها من ضرر بالأفراد وبالصحة العامة في ظل الازدياد المضطرب لحضيرة العربات وعدم تناسبها مع شبكة الطرق الحالية.

المراجع

- 1- مدحت أبو النصر، ياسمين مدحت محمد، التنمية المستدامة: مفهومها- أبعادها- مؤشراتها، ط 1، المجموعة العربية للتربية والنشر، القاهرة، 2017.



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

- 2- أحمد جابر بدران، التنمية الاقتصادية والتنمية المستدامة، مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، ط 1، القاهرة، 2014.
- 3- بوزيد سايج، دور الحكم الراشد في تحقيق التنمية المستدامة بالدول العربية حالة الجزائر، أطروحة دكتوراه، قسم العلوم الاقتصادية، جامعة تلمسان، 2013.
- 4- العايب عبد الرحمن، التحكم في الأداء الشامل للمؤسسة الاقتصادية في الجزائر في ظل تحديات التنمية المستدامة، أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس سطيف، 2010، 2011.
- 5- مركز الإنتاج الإعلامي، التنمية المستدامة في الوطن العربي بين الواقع والمأمول، سلسلة دراسات مركز الإنتاج الإعلامي، جامعة الملك عبد العزيز، الإصدار الحادي عشر، جدة، 1427هـ.
- 6- نجوى سعودي، واقع وظيفة تسويق النقل في شركة الخطوط الجوية الجزائرية-منظور عينة من المسافرين -، المؤتمر الدولي حول: استراتيجيات وآفاق تطوير قطاع النقل في الجزائر في إطار التنمية الوطنية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة المسيلة، 7 و 8 أكتوبر 2013.
- 7- سوسن زيرق، لمين تعليسي، المدن الجزائرية تختنق: نحو نظرية تخطيطية للنقل الحضري، المؤتمر الدولي حول: استراتيجيات وآفاق تطوير قطاع النقل في الجزائر في إطار التنمية الوطنية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة المسيلة، 7 و 8 أكتوبر 2013.
- 8- سامية خرخاش، نبيلا جعجع، التخطيط الاستراتيجي للنقل الحضري، مؤتمر دولي حول استراتيجيات وآفاق تطوير قطاع النقل في الجزائر في إطار التنمية الوطنية، جامعة المسيلة، 6-8 أكتوبر 2013.



المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

9- سناء ساطع عباس، يحيى تايه عمران، النقل المستدام والشكل الحضري، المجلة
العراقية للهندسة المعمارية، العدد (1)، آذار ، 2016.

10- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الاسكوا)، السياسات والتداير
للترويج للاستخدام المستدام للطاقة في قطاع النقل في منطقة الاسكوا، الأمم المتحدة،
.2010

11- خالد ليتيم، صفية درويش، تقييم استراتيجية تطوير النقل البري في الجزائر
في إطار رؤية تنمية مستدامة، مجلة الإدارة والتنمية للبحوث والدراسات، العدد
الخامس.

12- سطحي جابر، تطور أسعار النفط وانعكاساتها على الاقتصاد الجزائري
خلال الفترة (2005-2017)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 33،
العدد 01، الجزائر ، 2019.

13- الحسابات الاقتصادية للديوان الوطني للإحصاء، والنشرات الإحصائية لسنوي
.2015

<http://www.ons.dz/-Les-Comptes-Nationaux-Annuels-de-.html>

14- Lukas Diblasio Brochard, Le Développement Durable :
Enjeux De Définition et de Mesurabilité, Mémoire De La Maitrise En
Science Politique, Université Du Québec, Montréal, Juin 2011.

15- Conférence de l'OCDE, Vers des transports durables,
Conférence organisée par l'OCDE sous les auspices du gouvernement
du Canada, Vancouver, Colombie-Britannique du 24 au 27 mars 1996.

16- Les bilans énergétiques national, Ministère de l'énergie,
Algérie، années 2014,2015, 2016, 2017, 2018
<https://www.energy.gov.dz/>

17- Miloud sallaye, Karima oulebsir, Etablissement d'un rapport
sur l'inventaire des sources d'émission et des puits d'absorption de



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1444-1413 تاريخ الشر : 2021-03-25

المؤشرات البيئية للنقل المستدام في الجزائر ————— ط. وليد شريط وأ.د عبد الله غالم

GES, Agence Nationale des Changements Climatiques, Kouba, Alger, 2016/2017.

18- émissions de co2 attribuables aux transport (%), Algérie, Perspective Monde, Ecole de politique appliquée, Université de Sherbrooke, Québec, Canada.
<http://perspective.usherbrooke.ca/bilan/servlet/BMTendanceStatPays?codeTheme=10&codeStat=EN.CO2.TRAN.ZS&codePays=DZA&optionsPeriodes=Aucune&codeTheme2=10&codeStat2=EN.CO2.TRAN.ZS&codePays2=DZA&optionsDetPeriodes=avecNomP>



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

X ر ت م د : 1112-4040، ر ت م د إ : 2588-204

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1470-1445 تاريخ التشر : 25-03-2021

خصائص التنمية لفرضية الزكاة

The developmental characteristics of the Zakat obligation

د. محمد دمان ذبيح

mdemmenedebbih@gmail.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

تاريخ القبول: 2020/11/16

تاريخ الإرسال: 2019/11/17

الملخص:

تقوم الزكاة بدور أساسي في تعزيز سبل التنمية الاقتصادية في المجتمع، وذلك من خلال ما تميز به من خصائص عده تعمل على تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية ومتطلباتها المختلفة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهي تعمل على توعية كل المستويات الاجتماعية، أفراداً ومؤسسات ودولة بأهمية العملية التنموية في رفع المستوى الاقتصادي والقضاء على التخلف بأشكاله المتعددة، وهو ما يدعو إلى القول بأن الزكاة صلتها بالتنمية صلة وثيقة جداً، لدرجة يمكن الحجز معها بأن الزكاة أساس التنمية الاقتصادية لكونها الأداة المثلثة لتحريك رؤوس الأموال المعطلة، وتشجيع الاستغلال الأمثل للموارد الاقتصادية، وتوظيفها بالشكل الذي يؤدي إلى تنشيط الحركة الاقتصادية في المجتمع سواء على مستوى الاقتصاد الكلي أو على مستوى الاقتصاد الجزئي، وهو ما من شأنه



الخصائص التنموية لفريضة الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

أن يجعل من هذه الأداة وبامتياز مورداً مالياً ضخماً متجدداً سنّة بعد أخرى يسهم في
تمويل التنمية بكل أبعادها المختلفة .

الكلمات المفتاحية: الزكاة، خصائص، التنمية، الاقتصاد

Abstract:

EL Zakat plays an essential role in promoting economic development in society, through its distinctive characteristics that serve achieve the of economic development objectives and its various requirements. On the other hand, it raises awareness of all social levels, individuals institutions. And State of the importance of the development process in and raising the economic level and the elimination of the underdevelopment in all its various forms, thets it is said that el Zakat is very relevant to development, to the extent that it can be asserted that Zakat is the basis of economic development as it is the best tool to move deactivated capital, and encourage optimal exploitation to Economic resources, and their use in a manner that stimulates the economic mobility in society, whether at the level of macroeconomic or microeconomic level, which would make this tool excellently a huge financial resource renewable year after year contributes to the financing of development in all its Different dimensions .

Keywords: EL Zakat, characteristics, development, economy.

المقدمة:

إن الإسلام نظام متكامل وتشريع شامل لكل مجالات الحياة المختلفة، وسلوك صالح لكل زمان ومكان، فالشريعة الإسلامية تجمع بين شقيين متكاملين هما العبادات



الخصائص التنموية لفرضية الزكاة ————— د. محمد دمان ذبيح

والمعاملات، وتتضمن ما يفي بكل مطلب، قال الله تعالى "يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً" النساء 174.

ويشكل الاقتصاد جزءاً أساسياً في النظام الإسلامي، يرتبط بعقيدته وأحكامه الشرعية، ولا ينكر سنة من سنن الكون، بل يقرر كل ما يتفق مع الفطرة البشرية السليمة، بهدف تحقيق حياة مستقرة متوازنة، باستقامة الروح والجسد، وتحقيق العدل بين الحقوق والواجبات، وللموأمة بين المصالح الفردية والمصالح الجماعية، وبين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وهو ما جعل واحداً من رجال الاقتصاد في العصر الحديث "جاك أوستري" يقول في كتاب له بعنوان "الإسلام في مواجهة النمو الاقتصادي": "إن طريق الإنماء الاقتصادي ليس محصوراً في الرأسمالية والاشتراكية، بل إن هناك اقتصاداً ثالثاً راجحاً هو الاقتصاد الإسلامي الذي سيسود العالم في المستقبل، لأنه أسلوب كامل للحياة، يحقق كافة المزايا، ويتجنب كافة المساوى".

وتعتبر الزكاة من أهم أدوات النظام الاقتصادي الإسلامي، فهي حجر الزاوية في بناء هذا النظام، وترشيده لخدمة المقاصد الاجتماعية والتنمية بما يتناسب مع مصالح الأمة، ولا شك أن ذلك راجع إلى الخصائص التنموية التي تتسم بها هذه الفرضية السامية، وهو ما يعكس إيجاباً على الفرد بشكل خاص من حيث كفافاته ورفاهيته، وعلى المجتمع بشكل عام من حيث توازنه واستقراره.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه المقالة المتواضعة لبيان هذه الخصائص ودورها المتعدد المستمر في دفع عجلة التنمية الاقتصادية في المجتمع، و ذلك من خلال الإجابة عن السؤال التالي:

- ما هي أهم الخصائص التنموية التي تميز بها فرضية الزكاة؟

وللإجابة عن هذا السؤال تم تقسيم هذا المقال إلى المحاور التالية:



الخصائص التنموية لفريضة الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

المحور الأول: الإطار المفاهيمي لمصطلحات البحث.

المحور الثاني: الخصائص التنموية للزكاة من حيث وعاؤها.

المحور الثالث: الخصائص التنموية للزكاة من حيث مصارفها.

المحور الرابع: الخصائص التنموية للزكاة من حيث أحكامها.

المحور الأول: الإطار المفاهيمي لمصطلحات البحث

سنحاول في هذا المحور أن نعرف الزكاة والتنمية الاقتصادية، وذلك كما يلي:

أولاً: تعريف الزكاة

وسيتم بيان ذلك في اللغة وفي الاصطلاح وفي الاقتصاد.

1. الزكاة في اللغة:

أصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح¹، ويقال زكا الرجل يزكيه إذا صلح، وزكيته بالتشليل نسبة إلى الزكاء وهو الصلاح².

فالزكاة في اللغة تحمل معاني الزيادة والطهارة والصلاح.

2. الزكاة في الاصطلاح:

عرف الفقهاء الزكاة بتعريفات متعددة، لكنها لم تختلف في المعنى، وإن اختلفت في التعبير والأسلوب.

* فالزكاة عند الحنفية: تملك جزء من المال عينه الشارع من مسلم فقير غير هاشمي ولا مولاه، بشرط قطع المنفعة عن الملك من كل وجه³.

¹ - جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، القاهرة، مصر، تحقيق علي عبد الله وأخرون، دار المعارف، دط، دت، م3، ص1849.

² - أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المير، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان، دط، 1987، ص 97.

³ - محمد ابن علي الحنفي، الدر المختار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 202.



الخصائص التنموية لفريضة الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

* وعند المالكية: إخراج جزء مخصوص، من مال مخصوص، بلغ نصاباً لمستحقه، إن تم الملك والحول¹.

* وهي عند الشافعية: اسم صريح لأخذ شيء مخصوص، من مال مخصوص، على أوصاف مخصوصة، لطائفة مخصوصة².

* وعند الحنابلة: حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص³.

ومن هنا يمكن القول بأن الزكاة في الاصطلاح تعني: "إخراج جزء مخصوص من مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص بشرط مخصوص لله تعالى".

3. الزكاة في الاقتصاد

تعرف الزكاة في الاقتصاد بأنها: "ضريبة سنوية خاصة تفرض على مجموع القيمة الصافية للثروة، وتحجي من قبل الدولة، وتنفق بواسطتها على الأهداف المحددة المعنية في القرآن الكريم"⁴.

وبالتالي فالزكاة في الاقتصاد: اقتطاع سنوي مقدر شرعاً، يعمل على تعبئة الموارد المختلفة لإنفاقها على الفئات المستحقة في إطار أحكام الشريعة الإسلامية.

¹ - الحبيب بن الطاهر، الفقه المالكي وأداته، مؤسسة المعرف، بيروت، لبنان، ط5، 2007، ج 2، ص 5.

² - أبو الحسن الماوردي، الحاوي الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ج 3، ص 71.

³ - منصور بن يونس بن إدريس البهوي، كشف النقاب عن متن الاقناع، تحقيق عبد الحميد أحمد، الرياض، م ع س، دار عالم الكتب، دط، 2003، ج 1، ص 803.

⁴ - منذر قحف، الاقتصاد الإسلامي، الكويت، دار القلم، ط1، 1979، ص 110.



الخصائص التنموية لفريضة الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

ثانياً: مفهوم التنمية الاقتصادية

وسأعمل على تحديد ذلك في اللغة وفي الاقتصاد الإسلامي وفي الاقتصاد الوضعي.

1. التنمية في اللغة:

التنمية لغة من النماء، وهو الزيادة والكثرة، والنماء الريع، ونمى الإنسان سمن، والنامية من الإبل: السمية، ونمى الشيء إذا زاد وارتفع¹. وبهذا فإن التنمية في اللغة تحمل معاني الزيادة، والكثرة، والمضاعفة.

2. التنمية في الاقتصاد الإسلامي

لم يكن لفظ التنمية شائعاً في الكتابات الإسلامية الأولى، إلا أن المعنى قد استخدم كثيراً بألفاظ مختلفة منها العمارة، والتمكين، والنماء، والشمير، والإحياء، وهذا مما يدل على أنّ مفهوم الإسلام للتنمية أوسع من المفهوم الوضعي².

وقد ورد بعض هذه الألفاظ، ومتراوحتها في القرآن الكريم، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، وظهرت بوضوح في كتابات الأنتماء، والعلماء وخطبهم في عصور الإسلام المبكرة والوسطى.

ويعتبر مصطلح العمارة، أو التعمير من أقرب المصطلحات لمفهوم التنمية الاقتصادية في الإسلام، فلقد عرفت التنمية في الإسلام بأنها "العمارة"، وهذا انطلاقاً من قوله تعالى: "هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها". هود 61، والآية تدل على

¹ - ابن منظور، مرج سابق، ص: 4551.

² - عبد سعيد إسماعيل، أزمة المديونية الأجنبية في العالم الإسلامي، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، ط1، 1996، ص: 62.



الخصائص التنموية لفرضية الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

وجوب عمارة الأرض، كما قال الجصاص: "أن ذلك فيه دلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغرس والأبنية"¹.

وقال الشوكاني: "واستعمركم فيها" هود 61، "أي جعلكم سكانها وعمارها".²

وهذا يعني أن الآية السابقة تشير إلى عناصر ثلاثة متراقبة ومتماضكة هي:

- إنشاء الإنسان من مادة الأرض.
- الأرض مسرح حياة الإنسان.
- إعمار الإنسان لهذه الأرض.³

ولفظ العمارة عام يشمل كافة مجالات الحياة، وكل ما فيه مصلحة للفرد والأمة،

لأن العمارة تدل على مختلف جوانب التنمية، مادية كانت أو معنوية.

ومن هذا المنطلق فقد تناول بعض الاقتصاديين المعاصرین تعريف التنمية في محاولة للاقتراب من مفهوم محدد للتنمية من منظور إسلامي، وربط ذلك بالأدبيات المعاصرة، حيث عرف إبراهيم العسل التنمية في الإسلام بأنها "توفير الفائض واستخدامه في زيادة قدرات المجتمع الإنتاجية، بعيدا عن الترف والتبذير".⁴

¹ - أحمد بن علي الرازي الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق قمحاوي محمد الصادق، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، دط، 1992، ج 4، ص: 378.

² - محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، تحقيق يوسف الغوش، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ط 4، 2007، ص: 663.

³ - محمود محمد بابللي، أعمار الأرض في الاقتصاد الإسلامي واستثمار خيراها بما ينفع الناس، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي، ط 1، 1988، ص: 21.

⁴ - إبراهيم العسل، التنمية في الإسلام، مفاهيم مناهج وتطبيقات، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، 1996، ص: 67.



الخصائص التنموية لفرضية الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

وعرّفها أحمد فؤاد عبد المنعم بأنها "عملية عقدية تتسم بالشمول والتوازن، وتحدّف إلى توفير حد الكفاية لجميع أفراد المجتمع"¹.

كما عرفها عبد الكريم بكار بأنها "مجموعة الأنشطة التي تستهدف تحقيق قدر من الرخاء المادي المناسب، لفتح جوانب الشخصية الإنسانية، بما يوّهها للقيام بحق الاستخلاف في الأرض".²

ومن هنا يمكن القول بأن التنمية بالمفهوم الإسلامي تُتَمَّ بتحقيق الحياة الإنسانية نحو الأفضل، بل تتعدي الاهتمام بأمور الدنيا، وإعمار الأرض إلى الاهتمام بأمور الآخرة وتوثيق الصلة بالله عز وجل، والالتزام بالقيم الأخلاقية الفاضلة.³

فالتنمية في الاقتصاد الإسلامي بهذا المعنى ترقى بالإنسان إلى مستوى خلافة الله تعالى في الأرض، فهي ليست قضية رفاه مادي فحسب بعيداً عن المعايير والقيم الأخلاقية والضوابط والأطر الاجتماعية والروحية، إنما عملية بناء نفسي، واجتماعي واقتصادي شامل لأفراد المجتمع، على هدى نموذج متميز، يحقق سعادة الفرد في الدنيا والآخرة. ولذا يمكن أن نعرف التنمية في الاقتصاد الإسلامي بأنها "مجموع الأحكام والقواعد والوسائل الشرعية المتّبعة لعمارة الأرض، قصد إشباع حاجات المجتمع الإنساني المادية والمعنوية، وتحقيق عبودية الله تعالى على هذه البسيطة".

¹ - احمد فؤاد عبد المنعم، السياسة الشرعية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية وتطبيقاتها المعاصرة، جدة، م ع س، البنك الإسلامي للتنمية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ط1، 2001، ص: 56.

² - عبد الكريم بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة -رؤية إسلامية-، دمشق، سوريا، دار القلم، ط2، 2001، ص: 289.

³ - أحمد يوسف، القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادي، القاهرة، مصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دط، 1990، ص: 110.



الخصائص التنموية لفرضية الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

3. التنمية في الاقتصاد الوضعي

أثار مفهوم التنمية في الاقتصاد الوضعي كثيراً من الجدل على جميع المستويات (النظرية والعملية التطبيقية)، واحتوت المؤلفات الاقتصادية العديد من التعريف لهذا المصطلح، وكل منها تناوله من زاوية معينة، حسب اختلاف المدارس الفكرية، وما تؤمن به من مبادئ، وأسس خاصة بها، لذا فقد عرف الاقتصاديون التنمية بتعريفات متباينة نذكر منها ما يلي:

- تحقيق معدل سريع للتوازن الاقتصادي، يؤدي بالدولة المتختلفة من معيشة الكفاف إلى مستويات مرتفعة جداً من الرفاهية الاقتصادية¹.

وعرفت أيضاً بأنها:

- العملية المجتمعية الوعية الموجهة نحو إيجاد تحولات في البناء الاقتصادي الاجتماعي، قادرة على تنمية طاقة إنتاجية مدفعة ذاتياً، تؤدي إلى تحقيق زيادة منتظمة في متوسط الدخل الحقيقي للفرد².
كما عرّفت أيضاً بأنها:

الزيادة التراكمية السريعة، والمستمرة التي تحدث في الدخل الفردي الحقيقي خلال فترة معينة من الزمن³.

¹ - حسين عمر، موسوعة المصطلحات الاقتصادية، جدة، م ع س، دار الشروق، دط، دت، ص: 79.

² - علي بن خليفة الكواري، دور المشروعات في التنمية الاقتصادية، الكويت، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع 42، حوان 1981، ص: 10.

³ - محمد زكي شافعي، التنمية الاقتصادية، القاهرة، مصر، دط، 1983، ص: 78.



الخصائص التنموية لفرضية الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

من التعريفات السابقة يتضح أن مضمون التنمية الاقتصادية في الاقتصاد الوضعي هو تنشيط الاقتصاد الوطني، وتحويله من حالة الركود والثبات إلى حالة الحركة والдинاميكية، قصد تحقيق زيادة سنوية ملموسة في إجمالي الناتج الوطني، مع تغيير في هيكل الإنتاج ووسائله، وهو ما يعني تغيير البنية الاقتصادية في المجتمع بزيادة العناصر الإنتاجية المستخدمة في النشاط الاقتصادي، لذا اعتبرت الزيادة السنوية الملموسة في إجمالي الناتج الوطني، ومتوسط دخل الفرد من المؤشرات الأساسية للتنمية¹.

وبهذا وفي ضوء ما سبق يتبين أن مفهوم التنمية في الاقتصاد الإسلامي يختلف عنه في الاقتصاد الوضعي، ذلك لأن نظريات الاقتصاد الوضعي تشتراك في تركيزها على عنصر واحد من عناصر النشاط الاقتصادي، ويعتبره الاقتصاديون الطريق الوحيد إلى التنمية ألا هو جانب الإنتاج والتوزيع وزيادة الدخل، وهذا التحديد أثبت عدم صحته بل كان فيما بعد سبباً في عدم استقرار الاقتصاد، وتعرضه للهزات، والتقلبات الاقتصادية المختلفة، أما محور التنمية في الإسلام هو الإنسان، فهو هدفها وغايتها ووسيلتها المثلى وهو صاحب الحاجة إليها، وهو الذي يملك الإرادة على التغيير إلى الأحسن، بل هو مكلف بذلك في إطار الشريعة، قصد تحقيق مفهوم العبادة، وعمارة الأرض، والاستخلاف وفقاً للمنهج الذي يرتضيه المولى عز وجل، وبالإضافة إلى ذلك فإن الإنسان يمثل أهم عنصرين من عناصر الإنتاج الأربع، فهو العامل، وهو المنظم، فهو بمثابة الروح في النشاط الإنتاجي، أما العنصران الآخران، وهم الموارد الطبيعية، ورأس

¹ - وهو ما يعني كذلك التطورات الجذرية في العلاقات الاقتصادية، وفي اتجاه التوزيع ومعدلات الادخار والاستثمار والرقابة وفي أساليب الأداء لضمان كفاءة الأداء الاقتصادي وحسن توجيه الموارد، للمزيد انظر: صلاح الدين حسن السيسى، إدارة أموال وخدمات المصارف لخدمة أهداف التنمية الاقتصادية، الشارقة، إع م، دار الوسام للطباعة والنشر، ط1، 1998، ص: 05.



الخصائص التنموية لفرضية الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

المال فهما بمثابة الجسد في هذا النشاط، وجسد بلا روح لا قيمة له، فالموارد الطبيعية خلقها الله عز وجل جميعاً للإنسان، ووضعها في خدمته، ورأس المال عنصر من صنع الإنسان، يتحكم فيه ويستخره لمصلحته كيف يشاء¹.

كما أن الاقتصاد الوضعي في إطار هذا المفهوم يعني أيضاً التركيز المباشر على المكونات المادية، وتحجيم الاهتمام بالجانب المعنوي، مثل القيم والأخلاق، أي أن التنمية وفقاً لهذه النظم الوضعية ترتكز على رأس المال، وضرورة مضااعفته بأي وسيلة كانت أما الاقتصاد الإسلامي فمع عنائه بالجانب المادي، فهو يولي القيم والأخلاق عناية كبيرة، فلا احتكار، ولا استثمار في الحالات الحرجية، والضارة بالمجتمع، بل إن عملية التنمية في الاقتصاد الإسلامي تعتبر سبيلاً هاماً لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة وأرضاً خصبة لتوثيق الصلة بين العبد وخلقه عز وجل.

وفي الأخير، وللإشارة فقط يقابل مصطلح التنمية في الدراسات الاقتصادية المختلفة مصطلح التخلف الاقتصادي Economic Underdevelopment، والذي يعني "الانخفاض النسبي في مستوى النشاط الاقتصادي لمجتمع ما، ويرمز إليه بحالة

¹ - يقول يوسف بطرس غالى: "إن التنمية الاقتصادية الحادة والمستمرة لا تمثل في مجرد رفع معدلات النمو، أو في استقرار الأسعار أو في تصحيح الهياكل الاقتصادية، فالتنمية الحقيقة هي التي ترتكز في المقام الأول على العنصر البشري، وهي تسعى لبناء وراس ما لها الإنساني قبل أي من مدخلات انتاجها الأخرى، وهي التي تدرك أنه في غياب هذا العنصر البشري تصبح كل محاولات التنمية ذات نفس قصيرة، وبصيرة محدودة"، انظر يوسف بطرس غالى، المchor الاقتصادي، في إطار الندوة الاستراتيجية، حرب أكتوبر بعد 25 عاماً، 3-4-5 أكتوبر، 1998، الإسكندرية، مصر، مؤسسة الأهرام، ص:



الخصائص التنموية لفريضة الزكاة —————— د. محمد دمان ذبيح

"الفقر الاقتصادي Economic poverty" _ والتي يعبر عنها قياسا بالانخفاض في متوسط دخل الفرد الحقيقي، أي الدخل النقدي بعد استبعاد أثر الأسعار¹.

المحور الثاني: الخصائص التنموية للزكاة من حيث وعاؤها

تتمتع فريضة الزكاة من حيث وعاؤها أو مواردها الاقتصادية بخصائص عدة تعمل على تشجيع التنمية وتعزيز سبلها في المجتمع، ولعل أهم هذه الخصائص تمثل بشكل عام فيما يلي:

- الزكاة لها جانبان، الجانب الأول الأموال التي تفرض عليها الزكاة، وهو ما يعبر عنه بوعاء الزكاة، أما الجانب الثاني فهو مصارف الزكاة، تبين أن طبيعة التشريع في الوعاء جاءت على نحو إجمالي، بينما المصارف جاءت على نحو مفصل، ذلك لأن طبيعة الحياة الاقتصادية أنها متغيرة متعددة، وهذا التطور أو التجدد يجيء في الأنشطة الاقتصادية، وفي أنواع الثروات، وفي أشكال الدخول، فلو حدث بالتفصيل الأموال التي تجب فيها الزكاة (وعاء الزكاة) فإنما ستحدد حسب الأموال الموجودة في عصر النبوة، بينما هذه الأموال لا تمثل إلا نسبة محدودة جدا في الحياة الاقتصادية المعاصرة من حيث الأنشطة والثروات والدخل، ولكن تشريع الزكاة من حيث الوعاء جاء على نحو إجمالي، بحيث أن هذا الإجمال يسع مفردات، أو وحدات جديدة تستوعب التطور في الحياة، وكل ما استجد من أموال وثروات مهما كان نوعها².

¹ - عبد الحميد الغرالي، المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية، المنصورة، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1989، ص: 21.

² - رفعت السيد العوضي، الاعجاز التشريعي في الزكاة، بحث منشور في موقع، www.zakat.org تاريخ الاطلاع، 2019/10/20، ص: 19.



الخصائص التنموية لفريضة الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

- كذلك وبالنظر إلى طبيعة الوعاء الخاضع للزكوة، يلاحظ أنه يرتبط بالنشاط الاقتصادي، وأن معظمه يتكون من الدخل أو الناتج المتولد من استخدام عناصر الإنتاج المتوفرة في المجتمع، ومن ثم فإن حصيلة الزكوة ترتبط ارتباطاً وثيقاً وطرياً بمستوى النشاط الاقتصادي القائم في المجتمع، وبما أن النشاط الاقتصادي غالباً ما يكون في حالة نمو وتزايد – مهما ضعفت معدلات نموه – فإن ذلك يعني أن حصيلة الزكوة تنمو وتزيد مع نمو النشاط الاقتصادي، غالباً ما تقطع الركبة كجزء من ذلك الناتج السنوي للنشاط الاقتصادي، لذا فإن من خصائص الزكوة أنها لا تأكل وعاءها بل بالعكس تزيد من معدلات نمو النشاط الاقتصادي، مما يترتب عنه استمرارية نمو حصيلة الزكوة، ولا شك أن هذه الحصيلة تتجدد سنوياً مع دور النشاط الاقتصادي في كل عام، مما يجعل الآثار الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بها تتميز بالثبات والاستقرار النسبي، مما يزيد من أهميتها كأداة مالية دائمة الأثر في النشاط الاقتصادي.

- كذلك تتمتع فريضة الزكوة بخاصية الكفاءة الاقتصادية، حيث تبين من فرض الزكوة على الثروات والدخل ما يلي:

* تفرض الزكوة على الثروات المكتنزة، وهو ما يعني أن هذه الثروة تتناكل لأنها لم تكن في خدمة مالكها ولم تؤدِّ وظيفة إيجابية بحيث تسهم في تقدمه وسد حاجاته.

* الثروات التي تحولت إلى أصول رأسمالية منتجة لا تفرض الزكوة على عينها، وإنما تفرض على الدخل الذي يتولد منها، الأمر على هذا النحو فيه حفظ للثروات التي أصبحت أصولاً منتجة، وبالتالي أصبحت في خدمة صاحبها وخدمة مجتمعها، وهذا الأمر بلا شك في أعلى درجات الكفاءة الاقتصادية لأنها يحافظ على الأصول المنتجة في المجتمع فلا يجرِ صاحبها على بيعها ليؤدي الزكوة المفروضة عليها.



الخصائص التنموية لفرضية الزكاة ————— د. محمد دمان ذبيح

* دخل الفرد يتوزع على الاستهلاك وعلى الادخار وهذه هي الحالة العادية، والتصريف الصحيح هو أن تحول الادخارات إلى استثمارات، وهذا ما يرتبط به الاقتصاديون قصد تحقيق تقدم المجتمع واستقراره، ففرض الزكاة على الثروة المكتسبة يعني أنها تفرض على الادخارات (دخل تحول إلى ثروة) التي لم توجه إلى الاستثمار، فالزكاة من هذا الجانب تحقق مطالب المجتمع على الادخارات من حيث دفعها إلى الاستثمار، وما يتضمنه ذلك من كفاءة اقتصادية، ولا شك أن مصلحة الفرد صاحب الادخارات تتحقق بطريقة مباشرة له، وكذلك من حيث تحقيق مصلحة المجتمع¹.

- إن مقدار الزكاة المفروض على الأموال الزكوية يتراوح بين العشر ونصف العشر، فالعشر فيما سقت السماء والأنهار والعيون و كان عشريا، ونصف العشر فيما سقي بالسوقى وما شابه ذلك، وربع العشر في النقطتين الذهب والفضة، وفي عروض التجارة على اختلافها، ويعتبر هذا المقدار موردا هاما لا يقل عن 2,5 من كل مال نام في المجتمع، ويزيد هذا المورد بذاته مع نمو الاقتصاد، كما يتحدد سنويا، فيتجنب الاقتصاد المزارات الاقتصادية، ويجعله من مخاطر الدورات التجارية، إذ يتم تصحيح التغيرات الاقتصادية باستمرار، دون الانتظار حتى تصل إلى وضع تراكمي يصعب معها علاجه².

- تتصف الزكاة بعنصر الشمول في الأموال والأشخاص، وذلك لأن الزكاة تفرض على المال النامي، وبهذا العنصر يستوعب وعاء الزكاة كل أنواع الأموال في المجتمع التي تتواجد فيها خاصية النماء، وهذا نوع من الشمول، عنصر آخر من عناصر

¹ - المرجع السابق، ص: 25.

² - موسى كاسحي، دور الزكاة في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، مجلة الشريعة والاقتصاد، مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية الشريعة والاقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ع 11، جوان 2017، ص: 08.



الخصائص التنموية لفرضية الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

الشمول في الزكوة يتعلق بمن يجب عليه، فالزكوة عبادة مالية، وهذا يشترط فيها النية، وكان يتوقع بسبب أنها عبادة لا تفرض إلا على المكلف، ولكن الزكوة عبادة مالية أيضاً، وبسبب العنصر المالي فإن الزكوة تفرض على كل الأشخاص حتى ولو كانوا غير مكلفين، وذلك مع مراعاة الشروط التي يجب بها الزكوة، ولا شك أن ذلك له تأثيره الواضح على العملية التنموية من حيث الحصيلة والدوار¹.

- مع أن المعدلات التي تفرض بها الزكوة منخفضة، وفي حدود الطاقة، إلا أن حصيلة الزكوة تكون كبيرة، مما يسهم وبشكل فعال في كل مشروع تموي في المجتمع، والسبب في ذلك هو عنصر الشمول في الزكوة من حيث الأموال، ومن حيث الأشخاص كما ذكرنا سابقاً.

المحور الثالث: الخصائص التنموية للزكوة من حيث مصارفها

تتصف فرضية الزكوة من حيث مصارفها أو الأصناف المستحقة لها أيضاً بجملة من المميزات والخصائص التنموية، والتي يمكن أن نجملها فيما يلي:

- إن قيام الدولة بتحصيل الزكوة من المكلفين شرعاً، وإنفاقها على المستحقين يعكس حقيقة هامة في المجتمع، وهي عملية خلق الإرادة الحقيقية لدى المجتمع نحو التنمية، ذلك لأن طبيعة الزكوة أنها تؤخذ من الأغنياء وتُرد على الفقراء، وهذا لا يعكس أية مصلحة ذاتية أو أية منفعة مباشرة للجهة المسئولة، حيث لا يجوز لهذه الجهة أن تأخذ من أموال الزكوة شيئاً، وعلى ذلك فإن مدى التزام الجهة المسئولة بتنظيم إدارة الزكوة - جباية وصرفها - يعتبر مؤشراً حقيقياً على مستوى التزام هذه الجهة بتحقيق تنمية المجتمع. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن أداء الزكوة وإيصاها إلى مستحقيها يعكس أيضاً مدى التزام أفراد المجتمع وتعاونهم من أجل تحقيق مصلحة المجتمع، فدفع الزكوة

¹ - رفعت السيد العوضي، مرجع سابق، ص: 23.



الخصائص التنموية لفرضية الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

طوعية من قبل المكلفين الأغنياء في المجتمع يدل على مدى شعورهم والتزامهم بالمسؤولية تجاه بقية أفراد مجتمعهم المحتاجين، إضافة إلى ما يعكسه أداء الزكوة في نفوسهم من أخلاق وصفات حميدة تجعلهم أهلاً لتحمل مسؤولية مجتمعهم، وتبعات هذه المسؤولية من إحداث التغيرات الاجتماعية الازمة، وإزالة العقبات التي تقف حائل دون تحقيق التنمية وإخراج المجتمع من حلقة فقره.

أما بالنسبة لأفراد المجتمع مسلمي الزكوة، فإنها تؤثر فيهم تأثيراً كبيراً، فهي ترفع من مستوى دخولهم، وتشبع لهم حاجاتهم الأساسية التي لم تكن لتحقق بطريقة مشروعة لو لا الزكوة، وبعبارة أخرى إن انسداد الطرق المشروعة أمام الإنسان في إشباع حاجاته وحاجات من يعولهم الأساسية، سوف يدفع به إلى الطرق غير المشروعة لإشباعها، وعلى ذلك فإن عدم أداء الزكوة إلى مستحقاتها يتضمن خطراً يحيط بنفسية الفرد، حيث تولد لديه روح العداوة والبغضاء والحسد للأغنياء، وكل ذلك يسهل على مثل هذا الفرد ارتكاب الجرائم والاعتداءات، مما يفتح أبواباً من الخطر وعدم الأمن والاستقرار الاجتماعي، وعلى ذلك فإن لأداء الزكوة أثراً إيجابياً هاماً في تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع من خلال منع خطر الفقر وال الحاجة بين أفراد المجتمع، وبالتالي فهي بذلك تسهم مساهمة فعالة في تحقيق هذا الشرط الضروري للتنمية الاقتصادية، وهذا هو الهدف والوسيلة المفقودة في عمليات التنمية في كثير من المجتمعات المعاصرة التي تسعى للنهوض باقتصادياتها المتخلفة أو المترنحة إذ لا تنمية حقيقة بغير مشاركة جادة وحقيقة لجميع فئات وطبقات وقوى الأفراد العاملة في سعيها الحيث نحو رفع مستوى معيشتها أو سد حاجتها الأساسية الضرورية.¹

¹ - عبد الحميد محمود العلي، اقتصاديات الزكوة، القاهرة، مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1991، ص: 112.



الخصائص التنموية لفريضة الزكاة —————— د. محمد دمان ذبيح

- إن تجدد فريضة الزكاة مع بداية كل حول هجري، ومع كل حصاد، يوفر للتنمية مورداً منتظماً يتجدد، ليس سنة بعد أخرى فحسب، وإنما خلال السنة الواحدة لاختلاف بداية السنة من مزكي إلى آخر، ويجنب ذلك العملية التنموية مخاطر نقص الموارد التمويلية، وخطورة استكمالها من الخارج مما يعرقل نمو الاستثمارات القائمة ويعوق قيام استثمارات جديدة، بل إنه يضفي على الاقتصاد كله ثقة في الموارد التمويلية تتأكد سنة بعد أخرى¹.

- كذلك تميز الزكاة بتخصيص مواردها، حيث قام الشارع سبحانه وتعالى بتحديد مصارفها تحديداً شاملاماً مانعاً، ويسمم هذا التخصيص في زيادة الإيرادات العامة، لذا يطالب اقتصاديو الفكر الوضعي بتطبيقه في الدول النامية، وفي ذلك تأكيد في الحفز على إخراج الزكاة كاملة، وتأكيد وفرة حصيلتها.

- كذلك فإنه إذا كان العائد في العملية الإنتاجية يتم توزيعه على عوامل وعناصر الإنتاج التي اشتراكت في العملية الإنتاجية، فإن إعادة التوزيع التي تتضمنها فريضة الزكاة على الفئات أو الأصناف الثمانية يضمن الحد الأدنى من عدالة التوزيع، هذا فضلاً عمّا تتحققه الزكاة من تحول المستحقين لها إلى ملاك في العملية الإنتاجية، يزيد بهم الإنتاج وتعزز بهم التنمية الاقتصادية في المجتمع².

¹ - نعمت عبد الطيف مشهور، الزكاة وتغويل التنمية، القاهرة، مصر، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، دط، 1988، تاريخ الاطلاع: 2019/10/25، ص: 04، بحث منشور في موقع، www.zakat.org

² - كمال محمد يوسف، الاصلاح الاقتصادي - رؤية اسلامية - القاهرة، مصر، دار الهداية، ط1، 1992، ص.60.



الخصائص التنموية لفريضة الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

- يضيف إلى أهمية الزكاة كمورد لتمويل التنمية صبغتها الإيمانية الأصلية التي تدفع الأفراد إلى العمل على إخراج زكاهم كاملة غير منقوصة، كما يقطع الطريق على كل من تسول له نفسه اللجوء إلى التحايل للتهرّب مما عليه من واجب الزكاة ، فتأتي حصيلتها كاملة دون أي تسربات.¹

تعتبر الزكاة مصدر تمويل إثنيانى من خلال تنظيم عمليات جمع الزكاة وتوجيهها، والتأكد على مبدأ محليتها ، ذلك أن الزكاة فريضة يتم جبايتها من المكلفين في مكان، لتنفق على المستحقين من أهل ذلك المكان ، ولا يتم إرسال أي جزء منها إلى بيت مال المسلمين الرئيسي إلا بعد كفاية المصارف الثمانية التي ذكرها الشارع سبحانه وتعالى تحديدا وحصريا ، وفي ذلك علاج لظاهرة تركيز الاهتمام والعنابة بالصرف من الإيرادات العامة على العاصمة ومركز الدولة، ونسيان باقي الأقاليم، مما يعني سوء التوزيع في الإيرادات العامة، كذلك فإن إقليمية الزكاة تسهم في كونها المورد الأمثل لتوفير التمويل الذاتي للتنمية².

- إن في كفالة المسلمين في مواجهة الكوارث ، غلبة العدو والدين والجواح، ضماناً أكيداً لتوفير مناخ الاستقرار الملائم لنجاح العملية التنموية، والقضاء على ما قد يعرضها من أزمات تعطل مسيرتها ، أو تقضي على ثمارها ، ولا يخفى ما لذلك من أثر على إشاعة روح التحفظ وعدم الإقدام ، فانتشار هذه الروح في حالات الكساد يؤدي

¹ - موسى كاسحي، مرجع سابق، ص: 08.

² - حسينة حوجو، الزكاة ودورها الاقتصادي، مكة المكرمة، مع س، دار خالد اللحياني للنشر والتوزيع، ط1، 2017، ص: 178.



الخصائص التنموية لفرضية الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

إلى تعميقها وصعوبة التغلب عليها من أجل العودة إلى الارتفاع بمستوى النشاط الاقتصادي.¹

- إن الناظر بإمعان في مصارف الزكاة يجد بأنها بشكل عام تدخل في أهم مكونات الطلب الكلي، وبالتالي تحقيق عنصر من أهم المركبات التنموية في المجتمع وهي:

- الاستهلاك (توزيعها على الفقراء والمساكين والمؤلفة قلوبهم والعاملين عليها).

- الاستثمار (الغارمين وفي سبيل الله).

- الإنفاق الحكومي (في سبيل الله).²

- بما أن الزكاة تهدف إلى تحقيق حد الكفاية للمجتمع، فهذا سيؤدي حتما إلى إشباع الحاجات الأساسية للأفراد والتي منها الصحة والتعليم وهما من بين أهم مركبات ومعايير التنمية الاقتصادية الناجحة، كما سيكون لذلك أثر ايجابي على نوعية العمل المبذول في العملية الإنتاجية، حيث تتوقف إنتاجية العمل على مستوى التعليم والقدرة الجسمية للعامل، وهو ما يتحقق عن طريق الزكاة، مما يؤدي في النهاية إلى زيادة الإنتاج والدخل القومي ومنه التنمية الاقتصادية.³

- المخور الرابع: **الخصائص التنموية للزكاة من حيث أحکامها**

¹ - المرجع السابق، ص 182.

² - البشير عبد الكريم، الأبعاد النظرية والميدانية للزكاة في مكافحة البطالة والفقير، الملتقى الدولي حول مؤسسات الزكاة في الوطن العربي - دراسة تقويمية لتجارب مؤسسات الزكاة ودورها في مكافحة ظاهرة الفقر، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة ساعد دحلب، البليدة، الجزائر، المنعقد في 10-11 جويلية 2004، ص: 04.

³ - حسينة حوحو، مرجع سابق، ص 183.



الخصائص التنموية لفريضة الزكاة —————— د. محمد دمان ذبيح

هناك أحكام عامة تتعلق بالزكوة لها تأثير دائم هي الأخرى على تحقيق التوازن والاستقرار الاقتصادي والتنموي في المجتمع، ومن أهم هذه الأحكام ما يلي:

- إمكانية دفع الزكوة إلى صنف واحد من الأصناف الشمانية:

يجوز صرف الزكوة لصنف واحد من أصناف الشمانية المستحقة للزكوة، وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم رضي الله عنهم، ومن بين الأدلة الواردة في هذا الباب:

* قوله تعالى "وإن تخفوها وتؤتواها الفقراء فهو خير لكم" البقرة 271

* حديث معاذ رضي الله عنه، وفيه قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أعلمهم

أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنىائهم وترد على فقراهم"¹

وجه الدلالة: أنه لم يذكر في الدليلين السابقين إلا صنفا واحدا وهو الفقراء، فدل على جواز صرفها لصنف واحد وأن هذا هو المراد بالآية التي فيها أصناف الزكوة الشمانية، لا التعميم على جميع الأصناف، ويكتفي أن يعطي رجلا واحدا من الصنف، فيعطي زكاته فقيرا واحدا ولا يلزم مجموعة فقراء، هذا الذي نرجحه من أقوال أهل العلم خاصة إذا كانت هناك حاجة وضرورة تدعوا إلى ذلك، كإعطاء صنف الغارمين فقط دون غيرهم قصد إدماجهم من جديد في سوق العمل والإنتاج، مما يؤدي في الأخير وبالشك إلى إنعاش الحركية الاقتصادية والتنمية في المجتمع .

- إمكانية تعجيل الزكوة:

¹ - رواه البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، كتاب الزكوة، باب وجوب الزكوة برقم 1395، صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب وأخرون، القاهرة، مصر، المطبعة السلفية، ط 1، 1980، ج 1، ص: 430.



الخصائص التنموية لفريضة الزكاة ————— د. محمد دمان ذبيح

يجوز تعجيل زكاة الأموال التي يشترط لها الحول قبل حلول الحول، على الراجح من أقوال أهل العلم¹، لضرورة تقتضي ذلك سواء على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي، ويدل على ذلك أحاديث منها:

* عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، "سأل الرسول عليه السلام في تعجيل صدقته قبل أن تحل ، فرخص له في ذلك"²

* وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر: "إنا قد أخذنا زكوة العباس عام الأول للعام"³

- إمكانية تأخير الزكوة:

ذهب بعض العلماء المعاصرين إلى الجواز بتأخير الزكوة عن وقتها إذا كان هناك مصلحة شرعية تقتضي ذلك، فلو لي الأمر أو الإمام الحق في تقديم الزكوة أو تأخيرها في الوقت المناسب، وبالقدر المناسب، وخير مثال على ذلك ظاهرتا التضخم والانكماس، فللحاكم من باب المصلحة أن يعدل الزكوة جبائية وصرفها في حالة التضخم، ويؤخرها

¹ - حسام الدين بن موسى عفانة، يسألونك عن الزكوة، فلسطين، أبو ديس بيت المقدس، ط 1، 2007، ص: 27.

² - رواه الترمذى أبو عيسى محمد بن عيسى، أبواب الزكوة، باب ما جاء في تعجيل الزكوة برقم 678، ستن الترمذى، تحقيق معروف بشار عواد، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامى، 1996، ط 1، م 2، ص: 56.

³ - رواه الترمذى أبو عيسى محمد بن عيسى، أبواب الزكوة، باب ما جاء في تعجيل الزكوة برقم 679، المصدر السابق، ص: 56.



الخصائص التنموية لفريضة الزكاة ————— د. محمد دمان ذبيح

ومستلزماتها المختلفة .

- إمكانية تحصيل النكارة وتوزيعها بصورة عينية:

خاصة في أوقات الركود الاقتصادي، و هذا سيؤدي وبلا شك إلى تحفيض المخزون السمعي لدى دافعي الزكاة، وسد باب الادخار أمام آخذي الزكاة، الأمر الذي سينعكس إيجابا على كل هدف تنموي في المجتمع.²

- إمكانية التحصيل النقدي والتوزيع العيني للزكاة:

وهذا ما ذهب إليه عدد من الفقهاء باعتبار المصلحة العامة أيضاً خاصة في الظروف التضخمية ، فيجوز للدولة أن تجمع الزكاة نقداً عند جمع الأموال الزكوية، وبإمكان الحكومة في الوقت نفسه أن توزع قيمة ما تحصله سلعاً عينية على الفئات المستحقة للزكوة، وبالتالي مواجهة كل الظروف والأزمات التي تقف حائلاً دون تحقيق التنمية الاقتصادية في المجتمع.

الخاتمة:

إن الزكاة وبما تميز به من خصائص عده تمثل آلية من أعظم الآليات التي تسهم وبشكل كبير في تحريك عجلة التنمية الاقتصادية، وتعزيز سبلها في المجتمع، وذلك من خلال وعائدها الذي يرتبط بالنشاط الاقتصادي، وما يتولد عنه من دخل أو ثروة، أو من

^١- أحمد يوسف، أحكام الزكاة، وأثرها المالي والاقتصادي، القاهرة، مصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دط، 1990، ص163.

²- معزوز لقمان، دور صندوق الزكاة في تمويل المشاريع الاستثمارية المحلية- دراسة تحليلية- لتجربة الجزائر، مجلة الدراسات وأبحاث، مجلة علمية محكمة تصدر عن نخبة من الباحثين الجزائريين، جامعة الجلفة، ع 7، 2012، ص 230.



الخصائص التنموية لفرضية الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

خلال مصارفها التي تعبّر عن الطلب الكلي الفعال للفرد والمجتمع معا ، أو عن طريق ما يتعلّق بهذه الفرضية من أحكام كدوامها على مدار السنة ، مع جواز تقديمها أو تأخيرها بحسب المصلحة التي يقدّرها ولي الأمر أو الحاكم ، وهو ما يجعل من هذه الفرضية أدلة مثلية وأساسية كنموذج تنموي للدول المتقدمة والنامية على حد سواء.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم العسل، التنمية في الإسلام، مفاهيم مناهج وتطبيقات، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1996.
2. أبو الحسن الماوردي، الحاوي الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ج3.
3. أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان، دط، 1987.
4. أحمد بن علي الرazi الحصاص، أحكام القرآن، تحقيق قمحاوي محمد الصادق، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، دط، 1992، ج4.
5. أحمد فؤاد عبد المنعم، السياسة الشرعية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية وتطبيقاتها المعاصرة، جدة، م مع س، البنك الإسلامي للتنمية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ط1، 2001.
6. أحمد يوسف، أحكام الزكاة، وأثرها المالي والاقتصادي، القاهرة، مصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دط، 1990.
7. أحمد يوسف، القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادي، القاهرة، مصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دط، 1990.



الخصائص التنموية لفريضة الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

8. البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب وآخرون، القاهرة، مصر، المطبعة السلفية، ط 1، 1980، ج 1.
9. البشير عبد الكريم، الأبعاد النظرية والميدانية للزكاة في مكافحة البطالة والفقير، الملتقى الدولي حول مؤسسات الزكاة في الوطن العربي - دراسة تقويمية لتجارب مؤسسات الزكاة ودورها في مكافحة ظاهرة الفقر، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة ساعد دحلب، البليدة، الجزائر، المنعقد في 10-11 جويلية 2004.
10. الترمذى أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذى، تحقيق معروف بشار عواد، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامى، 1996، ط 1، م 2.
11. جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، القاهرة، مصر، تحقيق علي عبد الله وآخرون، دار المعارف، د ط، د ت، م 3.
12. الحبيب بن الطاهر، الفقه المالكي وأدلته، مؤسسة المعرفة، بيروت، لبنان، ط 5، 2007، ج 2.
13. حسام الدين بن موسى عفانة، يسألونك عن الزكاة، فلسطين، أبو ديس بيت المقدس، ط 1، 2007.
14. حسين عمر، موسوعة المصطلحات الاقتصادية، جدة، م ع س، دار الشروق، د ط، د ت.
15. حسينة حوحو، الزكاة ودورها الاقتصادي، مكة المكرمة، م ع س، دار خالد اللحياني للنشر والتوزيع، ط 1، 2017.
16. رفعت، السيد العوضي، الإعجاز التشريعى في الزكاة، بحث منشور في موقع، www.zakat.org، تاريخ الاطلاع، 20/10/2019.



الخصائص التنموية لفرضية الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

17. صلاح الدين حسن السيسي، إدارة أموال وخدمات المصارف لخدمة أهداف التنمية الاقتصادية، الشارقة، إع م، دار الوسام للطباعة والنشر، ط1، 1998.
18. عبد الحميد الغزالي، المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية، المنصورة، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1989.
19. عبد الكريم بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة -رؤية إسلامية-، دمشق، سوريا، دار القلم، ط2، 2001.
20. عبد سعيد إسماعيل، أزمة المديونية الأجنبية في العالم الإسلامي، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، ط1، 1996.
21. علي بن خليفة الكواري، دور المشروعات في التنمية الاقتصادية، الكويت، عالم المعرفة، سلسة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع 42، جوان 1981، ص: 10.
22. كمال محمد يوسف، الإصلاح الاقتصادي - رؤية إسلامية - القاهرة، مصر، دار الهداية، ط1، 1992.
23. محمد ابن علي الحنفي، الدر المختار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
24. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، تحقيق يوسف الغوش، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ط4، 2007.
25. محمد زكي شافعي، التنمية الاقتصادية، القاهرة، مصر، دط، 1983.
26. محمود محمد بابللي، أعمار الأرض في الاقتصاد الإسلامي واستثمار خيراتها بما ينفع الناس، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي، ط1، 1988.



الخصائص التنموية لفريضة الزكاة ----- د. محمد دمان ذبيح

27. معزوز لقمان، دور صندوق الزكاة في تمويل المشاريع الاستثمارية المحلية- دراسة تحيلية- لتجربة الجزائر، مجلة دراسات وأبحاث، مجلة علمية محكمة تصدر عن نخبة من الباحثين الجزائريين، جامعة الجلفة، ع 7، 2012.
28. منذر قحف، الاقتصاد الإسلامي، الكويت، دار القلم، ط 1، 197.
29. منصور بن يونس بن إدريس البهوي، كشف القناع عن متن الإقناع، تحقيق عبد الحميد أحمد، الرياض، م ع س، دار عالم الكتب، دط، 2003، ج 1.
30. موسى كاسحي، دور الزكاة في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، مجلة الشريعة والاقتصاد، مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية الشريعة والاقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ع 11، جوان 2017.
31. نعمت عبد الطيف مشهور، الزكاة وتمويل التنمية، القاهرة، مصر، مركز صالح كامل لل الاقتصاد الإسلامي، دط، 1988، تاريخ الاطلاع: 25/10/2019، بحث منشور في موقع ..www.zakat.org



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 25-1515-1471 تاريخ الشر : 25-03-2021

الوقف الإسلامي ودوره في التنمية المحلية المستدامة Islamic Endowment and Its Role in Sustainable Local Development

د. عادل بونقاب

adel.bounegab@univ-bba.dz

أ. هاجر سي ناصر

hadjer.sinacer@univ-bba.dz

جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج

تاریخ القبول: 2020/11/16

تاریخ الإرسال: 2020/02/13

I. الملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالوقف الإسلامي وتحديد مساحته في تحقيق التنمية المحلية المستدامة، حيث تم اتباع المنهج الوصفي لوصف متغيرات الدراسة (الوقف الإسلامي، التنمية المحلية المستدامة)، والمنهج التاريخي عند إعطاء أمثلة عن تاريخ الوقف في الحضارة الإسلامية والأنظمة المشابهة له في الغرب، والمنهج التحليلي عند تحليل العلاقة بين الوقف والتنمية المحلية المستدامة.

تم التوصل من خلال البحث إلى أن الوقف يعمل على تعزيز مقومات التنمية المحلية المستدامة، ويساهم في تحقيق مختلف أبعادها (الاقتصادي والاجتماعي والبيئي).

الكلمات المفتاحية: الوقف، التنمية المحلية المستدامة، الدور الاقتصادي، الدور الاجتماعي، الدور البيئي.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

I. ABSTRACT

The purpose of the study is to understand Islamic endowment and its contribution to achieving sustainable local development. The descriptive approach was used to describe the variables of the study (Islamic endowment, sustainable local development). Whereas, the historical approach was used when giving examples of the endowment history in Islamic civilization and similar systems in the West. Finally, the analytical approach was used to analyse the relationship between the endowment and sustainable local development.

The study confirms that the endowment works to strengthen the elements of sustainable local development and contributes to achieving its various dimensions (economic, social and environmental).

Keywords: endowment; sustainable local development; the economic role; the social role; The environmental role.

1. المقدمة:

تعد التنمية المحلية المستدامة جوهر كل تنمية، لكونها اللبنة الأساسية التي تقوم عليها التنمية الشاملة والمستدامة لأي بلد، والتنمية المستدامة لأي بلد لا تتم إلا من خلال تنمية كل أقاليمه تنمية مستدامة، وتنمية هذه الأقاليم لا تتم هي الأخرى إلا من خلال تنمية مختلف المناطق المشكّلة له تنمية مستدامة.

إن من أهم العقبات التي تعرّض التنمية المحلية المستدامة هي عقبة التمويل المحلي، من جانب آخر تزخر الحضارة الإسلامية بمجموعة من الوسائل والأدوات التي تساهِم في تنمية المجتمعات المحلية، على غرار الوقف والزكاة ومختلف صيغ التمويل الإسلامي الأخرى التي تساهِم في طرح بدائل تنموية فعالة للتنمية بمختلف مجالاتها.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

من هذا المنطلق ارتأينا في هذا البحث إلى تسليط الضوء على نظام الوقف الإسلامي ومحاولة معرفة دوره في التنمية المحلية المستدامة.

1.1 الإشكالية: من خلال ما سبق يمكننا طرح الإشكالية التالية:

هل يساهم الوقف الإسلامي في تحقيق التنمية المحلية المستدامة؟

وتبثق عن هذه الإشكالية الرئيسية التساؤلات الفرعية التالية:

- هل يساهم الوقف الإسلامي في تعزيز مقومات التنمية المحلية المستدامة؟
- هل يساهم الوقف الإسلامي في تحقيق كل من بعد الاقتصادي والاجتماعي والبيئي للتنمية المحلية المستدامة؟

2.1 الفرضيات: كإجابة مبدئية للتساؤلات السابقة نقترح الفرضيات التالية:

- يساهم الوقف الإسلامي في تعزيز مقومات التنمية المحلية المستدامة.
- يساهم الوقف الإسلامي في تحقيق كل أبعاد التنمية المحلية المستدامة.

3.1 منهج البحث

تم اتباع المنهج الوصفي عند التطرق لمختلف المفاهيم التي تضمنتها الدراسة، كما استخدم المنهج التاريخي من خلال التعريج على تاريخ الوقف إبان الحضارة الإسلامية وكذا الأنظمة المشاكهة له في الغرب، وأخيراً تم استخدام المنهج التحليلي لتحليل العلاقة بين الوقف والتنمية المحلية المستدامة.

4.1 أهمية البحث

تكمّن أهمية البحث في محاولة التعرّف على الأليات والأساليب التي ساهمت في تطور الحضارة الإسلامية وازدهارها، للعمل على الاستفادة من هذه الأليات والسعى لإحيائها من جديد والتجديف في أساليبها بما يتماشى مع واقعنا التنموي اليوم.

5.1 أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

- التعريف بالوقف الإسلامي.

- التعريف بالتنمية المحلية المستدامة.

- إبراز مساهمة الوقف في تعزيز مقومات التنمية المحلية المستدامة.

- إبراز الآثار الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للوقف على المجتمع المحلي.

6.1 أسباب اختيار الموضوع:

تم دراسة نظام الوقف الإسلامي كمحاولة للتعرف بالطرق التي ساهمت في تنمية المجتمعات الإسلامية في شتى مجالات حياتها وعملت على تطورها ورقيها، إضافة إلى السعي لتعريف مختلف الطرق والآليات التي من شأنها المساهمة في تحسين المستوى المعيشي وترقية المجتمعات المحلية، وبالأخص سبل تحفيزي عقبة التمويل المحلي بها.

7.1 خطة البحث:

بغرض الإجابة عن التساؤل الرئيسي والتساؤلات الفرعية والتأكد من صحة الفرضيات المطروحة ارتينا إلى تقسيم البحث إلى المخاور التالية:

1. مفهوم الوقف وأنواعه.

2. الوقف في الحضارة الإسلامية والأنظمة المشابهة له في الغرب.

3. مفهوم التنمية المحلية المستدامة ومقوماتها.

4. مساهمة الوقف في تعزيز مقومات التنمية المحلية المستدامة.

5. مساهمة الوقف في تحقيق أبعاد التنمية المحلية المستدامة.

2. الوقف

1.2 مفهومه



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

- لغة: معنى الوقف هو الحبس عن التصرف، ووقفت كذا أي حبسه، ثم اشتهر إطلاق كلمة وقف على اسم مفعول وهو الموقف.¹ فالحبس والوقف تتضمنان معنى الإمساك والمنع، أي إمساك عن الاستهلاك أو البيع أو سائر التصرفات، وإمساك العوائد والمنافع ومنعها عن كل أحد أو غرض باستثناء ما وفقت عليه²

- اصطلاحاً: إن أبسط تعريف للوقف هو تعريف الفقيه الحنبلي شمس الدين بن قدامة المقدسي بقوله: "هو تحبيس الأصل وتسيل المنفعة"³

عرف فقهاء المذهب الشافعي الوقف بأنه: "حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه، بقطع التصرف في رقبته، وتصرف منافعه إلى البر تقرباً إلى الله تعالى"⁴

أما أبو حنيفة فقد عرفه بأنه: "حبس العين على ملك الواقف والتصدق بمنفعتها، بلجنة من جهات الخير والبر، أو صرف منفعتها على من أحب في الحال أو المال".⁵

فالوقف هو "تحبيس العين على وجه من وجوه الخير، ومنع التصرف" فيها من قبل المالك ومن قبل الموقوف عليه معاً، وإنما تستفيد الجهة أو الجهات الموقوفة عليها من منافعها¹"

¹ - وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، الجزء الثامن، دار الفكر، 1991، ط1، ص 153.

² - منذر قحف، الوقف الإسلامي: تطوره، إدارته، تتميته، دار الفكر، دمشق، سورية، 2000، ط1، ص 63.

³ - العياشي الصادق فداد، الوقف: مفهومه - شروطه - أنواعه، كتاب أعمال مؤتمر الوقف الأول: الوقف مفهومه وفضله وأنواعه، جامعة أم القرى، السعودية، 1422 هـ 2001، ص 97.

⁴ - راغب السرجاني، روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، نخبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2010، ط1، ص 33.

⁵ - إسماعيل إبراهيم البدوي، الوقف مفهومه وفضله وشروطه وأنواعه، كتاب أعمال مؤتمر الوقف الأول: الوقف مفهومه وفضله وأنواعه، جامعة أم القرى، السعودية، 2001، ص 46.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ----- د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

وهو "حبس مؤبد ومؤقت لمال لانتفاع المتكرّر به أو بشره في وجه من وجوه البر العامة أو الخاصة".²

ويمكن تعريفه على أنه: "عملية تطوعية فردية كانت أو جماعية، تعبّر عن نقل ملكية أصل معين أو منفعته لصالح جهات خاصة أو عامة بنية التبعد الله عزّ وجلّ، من خلال إنشاء مورد خدمي مباشر، أو أصل انتاجي حالي، أو رصد استثماري مستقبلي"³ من التعريف السابقة نخلص إلى أن الوقف هو تبرع فرد أو مجموعة من الأفراد بأصل أو مجموعة من الأصول، لنيل الثواب ومرضاة الله، حيث يتم حبس هذا الأصل وإنفاق منافعه على أشخاص محددين بذاتهم أو لعامة الناس، بصفة دائمة أو لفترة محددة.

2.2 أركان الوقف

إنّ للوقف أركاناً معينة ومحدّدة لابد من توفرها، مثله مثل سائر الالتزامات والعقود، وهذه الأركان هي:⁴

أ- الواقف: وهو الحايس للعين الموقوفة واشترط الفقهاء فيه الشروط التالية: البلوغ، العقل، الحرية والملك، وألا يكون الواقف محجوراً عليه لسفهه وغفلة بحكم

¹- حسين عبد المطلب الأسرج، الوقف الإسلامي كآلية لتمويل وتنمية قطاع المشروعات الصغيرة في الدول العربية، مجلة دراسات إسلامية مركز البصيرة، العدد 06 سبتمبر 2009، ص 12.

²- منذر قحف، مرجع سابق، ص 62.

³- عبد الوهاب شلي، تحليل علاقة الوقف الإسلامي بالغايات المستدامة للتعليم وللصحة لآفاق 2030، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، المجلد 33، العدد 01، 2019، ص 865.

⁴- ثامر النويران، سبل تحقيق التنمية المستدامة في العالم الإسلامي-الوقف الأخضر نموذجا- مجلة دراسات العدد الاقتصادي، جامعة الأغواط، الجزائر، المجلد 08، العدد 02، مارس 2017، ص 11-12.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

القاضي، وأن يكون الواقف مختاراً وألا يكون الواقف مدينا، وأن يكون الواقف غير مريض مرض موت، وألا يكون الواقف مرتدًا عن الإسلام.

بـ - الموقوف: وهو العين المحبسة التي تجري عليها أحكام الوقف، واشترط الفقهاء أن يكون مالاً منقوماً، وأن يكون قد ورد أمر بجواز وقفه، وأن يكون مملوكاً للواقف حين وقفه، وأن يكون مفرزاً غير شائع.

تـ - الموقوف عليه: وهو الجهة المنتفعه من العين الموقوفة، وقد اشترط الفقهاء أن يكون أهلاً للتملك، وأن يكون معلوماً وأن يكون جهة خير وبر.

ثـ - الصيغة: ويقصد بها لفظ الوقف، وهو ما يصدر من العاقد من قول أو فعل أو كتابة أو إشارة مفهومة تعبيراً عن إرادته وبياناً لما في نفسه.

3.2 أنواع الوقف

لقد تعددت وتتنوعت تقسيمات وأنواع الوقف، سنحاول تلخيص أهم هذه التقسيمات حسب الزاوية التي تم منها التطرق للوقف، والتي نوردها في التالي:

أـ حسب طبيعة الإدارة: هناك أوقاف تدار من قبل الواقف نفسه أو أحد ذريته، وأوقاف تدار من قبل المشرف على الجهة المستفيدة من الوقف، كأن يذكر الواقف أن يدار الوقف من قبل إمام المسجد الذي تنفق عليه خيرات الوقف، مع مرور الزمن وجدت الأوقاف التي فقدت وثائق إنشائها، فلم يعرف شكل الإدارة الذي اختاره الواقف لها، فتولى القضاء عندئذ تعين إدارة الوقف، وفي العصور المتأخرة وجدت الإدارة الحكومية للأوقاف، وبالأخص بعد صدور قانون إنشاء وزارة الأوقاف في الدولة العثمانية في منتصف القرن التاسع عشر.¹

¹ - منذر قحف، مرجع سابق، ص 31-32.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

بـ-حسب طبيعة المستفيد: بالنظر إلى الجهة المستفيدة من الوقف يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أنواع، هي: الوقف الخيري أو العام، الوقف الخاص ويسمى أيضاً بالوقف النري أو الأهلي، والوقف المشترك.

• **الوقف الخيري (العام):** هو الذي يقصد به الواقف التصدق على وجوه البر، سواء كان على أشخاص معنين كالفقراء والمساكين والعجزة، أم كان على جهة من جهات البر العامة، كالمساجد والمستشفيات والمدارس...، مما يعكس نفعه على المجتمع.¹

• **الوقف الخاص (النري أو الأهلي):** هو ما اختص به الواقف شخصاً أو أشخاصاً بأعيانهم أو يعينون بالصلة التي تربطه بهم، كأن يكون الوقف على زوجة الواقف وأولاده وذریتهم من بعدهم، أو على جيران له بعدهم وأسمائهم.²

• **الوقف المشترك:** هو ما خص به الواقف جزءاً من منافع الوقف وخيراته بذريته وترك جزءاً آخر لوجوه البر العامة.³

تـ-حسب طبيعة المنفعة: بالنظر للمنفعة المقدمة للموقوف عليه نجد نوعين من الوقف، هما:⁴

• **الوقف المباشر:** هو الوقف الذي يقدم خدمات استهلاكية مباشرة للغرض الموقوف عليه، كالمدارس والمستشفيات ودور الإيتام... إلخ.

¹ - حسين عبد المطلب الأسرج، مرجع سابق، ص 12.

² - منذر قحف، مرجع سابق، ص 35

³ - ابراهيم عبد العزيز الغصن، الوقف: مفهومه وفضله، كتاب أعمال مؤتمر الوقف الأول: الوقف مفهومه وفضله وأنواعه، جامعة أم القرى، السعودية، 2001، ص 26.

⁴ - سهام ساري وزنكري ميلود، تفعيل دور مؤسسة الأوقاف في دعم التنمية المستدامة، مجلة دراسات وأبحاث التنمية، جامعة برج بوعريريج، المجلد 04، العدد 02، جوان 2018، ص 41.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

• **الوقف الاستثماري:** هو ما قصد منه الاستثمار في انتاج سلعة أو تقديم خدمة مباحة شرعا، تباع في السوق لتنفق أرباحها على الغرض الذي حددته الواقف.

ث- حسب طبيعة الأموال الموقوفة: قد يكون الوقف في شكل أصول ثابتة كالأراضي والمباني...، أو في شكل أموال منقولة كالدواب والآلات الزراعية، المصايف والسجاد للمساجد والكتب للمكتبات العامة...، كما يمكن أن يكون في شكل نقود، توقف لأحد الغرضين، إما لإيقاضها لمن يحتاج إليها، حيث تعاد بعد انقضاء الحاجة لنفرض من جديد إلى محتاج آخر، أو لغرض استثمارها.¹

ج- حسب مدة الوقف: في هذه الحالة يوجد نوعان من الوقف، هما:²

• **الوقف المؤبد:** هو الوقف الذي تستمر خيراته طيلة وجوده، ويكون التأييد طبيعياً واضحاً في وقف الأرض، أما ما سواها من مباني وأموال أخرى فلا يمكن فيها التأييد إلا بالإنفاق على الصيانة والترميم المستمر، أو احتجاز جزء من الإيرادات تحت عنوان مخصصات الاستهلاك ليشتري مدير الوقف بمجموعها التراكمي عيناً وقفية جديدة مكان العين التي هلكت بالاستعمال.

• **الوقف المؤقت:** يمكن أن يكون الوقف مؤقتاً بسبب طبيعة المال الموقوف، كما يمكن أن يكون بإرادة الواقف.

ح- حسب مصدر الوقف: بالنظر إلى مصدر المال أو الجهة الواقفة فإننا نجد أن هناك نوعان للوقف، هما:³

¹- منذر قحف، مرجع سابق، ص 40.

²- نفس المرجع السابق، ص 35.

³- أحمد محمد الجمل، الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2007، ص 26-27.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

• **أوقاف الإرصاد:** هي الأوقاف التي يقوم بها الحكام من بيت مال المسلمين على المصلحة العامة، كالمساجد والمدارس والمستشفيات، أو على من يقومون بخدمة عامة، كالعلماء وطلبة العلم، فمن خلال هذا الوقف يتم تحويل ملكية الدولة إلى ملكية عامة.

• **أوقاف الخواص:** هي الأوقاف التي يقوم بوقفها أفراد من المجتمع من ملكيتهم الخاصة.

3. الوقف في الحضارة الإسلامية والأنظمة المشابهة له في الغرب

عرفت الأنظمة الشبيهة للوقف في المجتمعات الإنسانية منذ العصور القديمة، أين ارتبطت بدور العبادة، حيث عرف البابليون نظاماً يشبه الوقف، فقد كان الملك يهب حق الانتفاع من أراضيه إلى بعض موظفيه دون أن تنتقل ملكيتها إليهم، ويجوز انتقال حق الانتفاع إلى الورثة وهذا ما يشبه نظام المستحقين في الوقف الذري¹، ثم توسع مفهوم الوقف قليلاً في العصور السابقة للإسلام ليشمل الأراضي والبساتين التي تنفق من خيراتها على دور العبادة وأنشطة الكهان، وأحياناً ما ينفقه الكهان على الفقراء والمساكين، كما عرف الرومان الأوقاف للمكتبات والأنشطة الأخرى.² نحاول في هذا العنصر التطرق للوقف ابن الحضارة الإسلامية، وما شاكله من أنظمة في الدول الغربية.

أ- الوقف في الحضارة الإسلامية

اختللت الروايات حول نشأة الوقف في الإسلام، فمن أشهرها أنَّ أول وقف في الإسلام هو مسجد قباء، حيث أنَّ الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قدم إلى المدينة أمر

¹- هاشم الحافظ، تاريخ القانون، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد 1980، ص 139.

²- منذر قحف، مرجع سابق، ص 29.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

بناء مسجد قباء، وطلب من بنى النجار (أصحاب الأرض التي بني عليها المسجد) أن يحددو سعراً لأرضهم، فرفضوا وقالوا "لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله".

أما وقف أعمال البر فهناك من قال بأنّ أول من أوقف في الإسلام هو عثمان بن عفان ومنهم من قال مخيريق، والبعض منهم قال عمر بن الخطاب، إلا أنّ الشاهد هنا هو تنافس الصحابة على الوقف لفائدة أعمال البر والخير، وفي هذا الصدد سنذكر بعض الأمثلة على سبيل الذكر لا الحصر.

ولابد هنا أن نشير إلى وقف أراضي مخيريق، الذي كان أيسر بن قينقاع وكان من أصحاب اليهود وعلمائهم بالتورات، حيث خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة أحد ينصره وهو على دينه، قال: إن أصبت فأموالي لمحمد صلى الله عليه وسلم يضعها حيث أراه الله، فلما قتل مخيريق بأحد أمسك الرسول صلى الله عليه وسلم ¹ الخوائط السبعة (البساتين) التي كان يملكتها (مخيريق) وتصدق بها (وقفها).

وعن عبد الله بن عمر أنّ عمر بن الخطاب أصاب أرضاً من أرض خير فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبت أرضاً بخير لم أصب مالاً قط أنفس عندي منه فما تأمرني؟ فقال: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها، فتصدق عمر لأنّه لا يباع أصلها، ولا يوهب ولا يورث، وإنما هي صدقة في الفقراء والقرى والرقب وفهي سبيل الله، والضيف، وابن السبيل، ولا جناح على من ولتها أن يأكل منها بالمعروف، أو يطعم صديقاً غير متمول فيه. ²

¹ - برهان الدين الطرايلي، الإسعاف في أحكام الأوقاف، تحقيق: عبد الله أحمد مزي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، 2013، ص 41.

² - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الجزء 02، مكتبة الصفا، القاهرة، مصر، 2003، ط 1، ص 12.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

وعن عثمان رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بما ماء يستعبد غير بئر رومة فقال "من يشتري بئر رومة فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين (أي أن يكون حقه فيها كحق عامة المسلمين) بخير له منها في الجنة" فاشترتها من صلب مالي¹، وجعلها عثمان صدقة جارية للمسلمين.

في عصر الخلفاء الراشدين كثرت أوقاف الصحابة وصدقائهم وظلت تتزايد باستمرار، وكانت تولية هذه الأوقاف من طرف الواقفين أنفسهم أو من يشترطون لهم التولية بعدهم، حيث أوصى عمر بن الخطاب التولية إلى ابنته حفصة ثم إلى الأكابر من آل عمر وكذا الحال في وقفى عثمان وعلي (رضي الله عنهم)².

وأهم حدث في هذه المرحلة هو عدم توزيع الخليفة عمر بن الخطاب لأراضي البلاد المفتوحة على الفاتحين، وبعد استشارات واسعة مع الصحابة رأى أنّ فيها حق للأمة أولاً وآخرها، واعتبر أنّ هذه الأراضي وقفا على الأمة بأجيالها كلها، وأصبح يأخذ أجرة من القائمين على هذه الأراضي، وهذا ما سمي بالخارج.³

وفي العصر الأموي، كثرت الوقف وتنوعت أغراضها وعلاقتها بالمنفعة العامة والأمور الدينية والمشاريع الخيرية المتعددة، كإنشاء الأوقاف في المجال الصحي الذي تم في القرن الأول للهجرة، حيث أنه أول من اتخذ البيمارستانات (المستشفيات) للمرضى هو

¹ - محمد بن أحمد بن صالح الصالح، الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، ط 1، 2001، ص 45.

² - رعد محمود البرهاوي، خدمات الأوقاف في الحضارة العربية الإسلامية، الجمع العلمي، بغداد، 2002، ص 29.

³ - منذر قحف، مرجع سابق، ص 30.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

ال الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (سنة 96هـ)، الذي قام ببناء بيمارستانان بدمشق

وسبله للمرضى.¹

لما كثرت الأوقاف في العصر الأموي كثرة عظيمة بالأخص في مصر والشام، بسبب ما أعدقه الله على المسلمين بعد الفتوحات الإسلامية، ظهر الاتجاه نحو تنظيم الوقف وضبط شؤونه في عهد الخليفة هشام ابن عبد الملك (87هـ)، وذلك نتيجة التوسع في استخدامه مما أدى إلى تكاثر ظواهره في المجتمع في ذلك الحين، وقد عمد الخليفة هشام إلى تخصيص إدارة مستقلة به عرفت بـ: "ديوان الوقف".²

في العصر العباسي توسع نظام الوقف، فلم يعد قاصراً على الصرف على الفقراء والمساكين، بل تعدى ذلك إلى الإنفاق في كثير من جوانب الحضارة الإسلامية، فيروي أنه بلغت أراضي الأوقاف ثلث مجموع الأراضي الزراعية، إضافة إلى الكثير من المباني السكنية والتجارية في مختلف المدن، فقد ساهم هذا الأمر في تطوير الفقه الواقفي وتأصيل مسائله المتنوعة، حتى أنه استقل بالبحث وأفرد في مؤلفات خاصة به اعتباراً من القرن

الثالث عندما صنف أبو بكر الخصف كتابه "أحكام الأوقاف".³

¹ راغب السرجاني، مرجع سابق، ص 90

² محمد عبيد الكبيسي: أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، مطبعة الإرشاد، بغداد 1977، ص

38/1

³ أمل شفيق محمد العاصي، مبانى الأوقاف الإسلامية وأثرها على استدامة الانسجة الحضرية للمدن التاريخية: دراسة حالة البلدة القديمة لمدينة نابلس، رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية، جامعة النجاح نابلس، فلسطين، 2010، ص 24.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

من أهم الأوقاف التي اهتمت بها الخلافة العباسية هي البيمارستانات (المستشفيات) العامة التي انتشرت في أقاليم الخلافة، ووقفت لها الكتب الطبية، كما

اهتموا أيضاً بالمدارس والمكتبات التي فتحوا أبوابها للعامة مجاناً.¹

وشهد العصر الفاطمي في مصر توسيعاً في أعمال الأوقاف، وراج في هذه الفترة الوقف المعروف بالارصاد أو الوقف الصوري، والذي يعني قيام السلاطين والأمراء

بإيقاف أراضي – تعود إلى بيت المال – على المساجد والجهات الخيرية الأخرى.²

وفي الدولة الزنكية في بلاد الشام كثرت الأوقاف وتنوعت وشلت مختلف جوانب حياة الناس، خاصة في زمن الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي الذي اشتهرت الدولة في عهده بالمسارعة في إقامة المنشآت والمرافق العامة، وتمويلها عن طريق

الأوقاف الدارّة عليها، فقد أمر نور الدين بإنشاء المدارس والخانقاهات، وأكثر منها في كل بلد، ووقف عليها الوقوف الكثيرة، وأمر ببناء الربط والخانات في الطرق، فأمن الناس، وحفظت أمواهم، كما أقام بدمشق داراً للحديث، ووقف عليها وعلى من بها من المشتغلين الوقوف الكثيرة، وهو أول من بني داراً للحديث في الإسلام، وبنى أيضاً في كثير من بلاده مكاتب للأيتام، وأجرى عليهم وعلى معلميهم الجراحيات الوافرة، وبنى أيضاً مساجد كثيرة ووقف عليها وعلى من يقرأ بها القرآن أو قافاً كثيرة، يقول العmad الأصفهاني عن ذلك: "ولو شغلت بإحصاء وقوفه وصدقاته في كل بلد لطال الكتاب ولم

أبلغ إلى أمد".³

¹ - راغب السرجاني، مرجع سابق، ص 94.

² - أمل شفيق محمد العاصي، مرجع سابق، ص 24.

³ - أمل شفيق محمد العاصي، مرجع سابق، ص 24.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

والحال نفسه بالنسبة للأئبيين الذين ركزوا على الوقف، وبالخصوص في مجال أعمال الخير، كبناء الأسبلة والسدليات سواء بالأماكن البعيدة أو القرية من العمran، كما وجدت أوقاف لفكاك أسرى المسلمين.¹

وفي عصر المماليك انتشرت الأوقاف انتشاراً عظيماً وتعزّز دورها في المجتمع، وأصبح الإشراف عليها مسؤولية قائمة يتولاها جهاز الدولة، وتعدّدت مصادر الأوقاف وأوجه الصرف منها حتى شملت جوانب كثيرة من حياة المجتمع المعاصر آنذاك، فقد اعنى المماليك بالأوقاف عنابة فائقة، وأكثروا منها في بلادهم، يصرف ريعها على جهات البر المختلفة من مؤسسات دينية وصحية، إلى جانب إقامة كثير من المنشآت التعليمية والصحية والمرافق العامة الأخرى.²

وكان "الظاهر بيبرس" على رأس قائمة السلاطين الذين اهتموا بالأوقاف وتنظيمها، والمحافظة عليها من الاغتصاب والتعدّي، فقد استعاد عدداً من الأوقاف التي قد اغتصبت قبل توليه السلطة، واستمر الاهتمام بالأوقاف وتنظيمها بعد الظاهر بيبرس وبالذات في عهود السلطان حسام الدين لاجين والسلطان الناصر محمد بن قلاوون وابنه الناصر حسن، وكان لهذه السياسة أثر إيجابي في تنظيم الوقف، وازدياد متحصلاته.³

في عهد الدول العثمانية ازدادت الموقوفات وتنوعت بشكل واسع، مما أدى إلى تطور الإدارة التنظيمية للوقف وتدخل الدولة في الإشراف عليها من خلال القضاة دون

¹ راغب السرجاني، مرجع سابق، ص 117-118.

² حمود بن محمد النجيدي، الموارد المالية لمصر في عهد الدول المملوكية الأولى، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1984، ص 111-113.

³ إبراهيم بن محمد الحمد المزيتي، الوقف وأثره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، السعودية، 1999، ص 09.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

التدخل في أصل الوقف وكيانه وشرط الواقف¹، وأصدرت الدولة العثمانية أنظمة لتنظيم شؤون الوقف، من أهمها إصدار مجلة الأحكام العدلية سنة 1875، وفي سنة 1889 تم إصدار مؤلف شامل للوقف سمي بـ "التحاف الأخلاف في أحكام الأوقاف".²

وقد كان اهتمام العثمانيين بالأوقاف شديداً وعنايتهم بها فائقة، فقد توسعوا فيها حتى تعددت أغراض الوقف في عصرهم وكثرت أهدافه حتى مثل الكثير من الأعمال التي تساعد على بناء المجتمع وتكافله وما يحتاج إليه من خدمات عامة، حيث تم إحصاء الأوقاف في إسطنبول لوحدها في الفترة ما بين سنوي 1453 و 1553 بحوالي 2515 وقف،

هذا باستثناء أوقاف السلاطين على المساجد والمدارس والمستشفيات³، وقد بلغت الأوقاف الزراعية وأوقاف المدن حداً كبيراً جداً في جميع البلدان الإسلامية التي أتيحت لها الفرصة الزمنية الطويلة للتراكم. ففي تركيا لم تكن الأراضي الزراعية الموقوفة تقل عن ثلث مجموع الأراضي الزراعية عند تحول تركيا إلى الجمهورية في أواخر الربع الأول من القرن العشرين، وبلغت الأوقاف مثل ذلك القدر الكبير من مجموع الثروة القومية في

سوريا وفلسطين والعراق والجزائر والمغرب وفي منطقة الحجاز من السعودية.⁴

وفي الأندلس أيضاً تطور الوقف وتعددت أشكاله و مجالاته حيث يذكر الباحث الإسباني أليخاندرو كارسيا سان خوان مؤسسة الوقف في كتابه المعون بـ " حتى يرث

¹ - محمد كمال الدين امام، الوصايا والأوقاف في الفقه الإسلامي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 2001، ص 162-163.

² - محمد بوجلال، الوقف والأنظمة الخيرية الأوروبية: التقنيات والمعوقات، مجلة أوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، العدد 35، نوفمبر 2018، ص 18.

³ - أمل شفيق محمد العاصي، مرجع سابق، ص 25.

⁴ - منذر قحف، مرجع سابق، ص 72.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

الله الأرض وما عليها، الأحباس في الأندلس ما بين القرنين العاشر والخامس عشر"، وذكر أغراضًا كثيرة للوقف في هذه الفترة الزمنية كالأوقاف على الفقراء والمرضى والمساجين والرباطات والزوايا والمقابر وما يتصل بالثقافة والتعليم، وركز على مدى التناسق بين النظرية القانونية وتلبية احتياجات المجتمع، فانتهى إلى أنّ الوقف الإسلامي بالأندلس كان مستجيناً إلى حد كبير لهذه الحاجيات ومسارياً للخصائص التي تعرفها

عدة مجالات في المجتمع.¹

ولقد أثرَ ازدهار وتطور الوقف بالأندلس على الحضارة الغربية بشكل ملحوظ، وهو الأمر الذي ستتطرق إليه في العنصر التالي.

بـ المؤسسات الشبيهة بنظام الوقف في الدول الغربية

يرجع الكثير من المؤرخين أنّ ظهور المؤسسات الشبيهة بنظام الوقف في الدول الغربية يعود إلى تأثيرهم بمفهوم الوقف الإسلامي، حيث ظهرت أول مؤسسة خيرية في القرون الوسطى بإنجلترا والتي عرفت بالتروست "TRUST"، حيث يقول في هذا الصدد المفكّر "Bendikt Koehler": "قد لاحظ المؤرخون للقانون أنّ مؤسسات التروست الأولى التي أنشئت بإنجلترا في القرن الثاني عشر قد استنسخت الخصائص الأساسية

للوقف الإسلامي"²

¹ مجيدة الزياني، الوقف والأنظمة الخيرية الغربية: إنسانية المقاصد وأفاق التعاون، مجلة أوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، العدد 35، نوفمبر 2018، ص 44.

² محمد بوجلال، مرجع سابق، ص 14.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

- **التروست:** يقوم التروست على أساس نقل ملكية عقار أو منقول من مالك إلى شخص يسمى الأمين ليديره لحساب المستفيدين الذين حدّدهم المالك، وهو نوعان، هما:¹

• **التروست الخاص:** هو الذي ينشأ مصلحة شخص أو مجموعة من الأشخاص، معينين من طرف المالك الحقيقي مثل ورثته (وهو بهذا يشبه الوقف الذري أو الأهلي).

• **التروست الخيري (العام):** ويكون الغرض منه تحقيق نفع عام للمجتمع أو لعدد كبير من أفراده، كالتعليم والرعاية الصحية... وهو بذلك يشبه الوقف الخيري أو العام

- **نظام الإندومنت (Endowment):** الترجمة اللغوية لهذه الكلمة هي الوقف، المبنة، المنحة. ويعني هذا النظام التبرع من الفرد أو مؤسسة بالأموال أو الممتلكات أو أي مصدر دائم للدخل الذي يستخدم لصالح جمعية خيرية أو كلية أو مستشفى أو مؤسسة أخرى، وبعبارة أخرى هو اعتماد يحتفظ به إلى الأبد، وتوجيهه الربح الناتج عنه لصالح أعمال خيرية.²

- **فاوينديشن (Foundation):** إن الترجمة اللغوية لهذه الكلمة: مؤسسة، وهي - بالمعنى العام - كيان تنظيمي لممارسة الأعمال؛ سواءً أكانت تجارية، حكومية، تعليمية أو خيرية، وهي - بالمعنى الخاص - تطلق على المؤسسة الخيرية، حيث جاء في تعريف المؤسسة بأنّها: كيان تنظيمي قائم على الوقف لدعم المؤسسات الخيرية. وفي تعريف آخر: المؤسسة صندوق دائم لجمع التبرعات للأعمال الخيرية والدينية والعلمية والبحثية

¹ مجيدة الزياني، مرجع سابق، ص 47.

² محمد عثمان شبير، الوقف الإسلامي والأنظمة الخيرية المشابهة: نحو شراكة حضارية إنسانية، مجلة أوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، العدد 35، نوفمبر 2018، ص 72.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ----- د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

وغيرها من الأغراض، أو الجمعية التي تقدم مساعدات مالية إلى الكليات والمدارس والمستشفيات والمنظمات الخيرية.¹

أما في وقتنا الحالي فقد زادت أهمية مؤسسات العمل الخيري والتطوعي واتسع نطاقها، حيث في سنة 2010 اعترفت "الاستراتيجية الأوروبية للنمو في الاتحاد الأوروبي 2020" بأنّ مؤسسات القطاع الثالث تعتبر لاعباً رئيسياً في تطوير الأهداف التنموية كالنمو المستدام والنمو الشامل، حيث لم يعد ينظر إلى منظمات العمل الخيري والتطوعي كمساعد للتدخل العام لاستكمال أوجه القصور في المجتمع بل له مكانة خاصة ودور أساسي في الحفاظ على سياسات الرعاية الاجتماعية، خلق فرص العمل وتعزيز التماสك الاجتماعي، من خلال مساهماته في مجالات مثل: الابتكار الاجتماعي، الاستثمار الاجتماعي والادماج الاجتماعي للفئات الضعيفة.²

4. التنمية المحلية المستدامة

إنّ الاهتمام بالجانب المحلي وتطوير مختلف مكوناته، واحد من الشروط الرئيسية الازمة لتجسيد التنمية المستدامة على المستوى المحلي، وذلك من خلال إرساء مبدأ المشاركة لمختلف الفاعلين المحليين، وتحقيق التكامل بينهم وبين الجهود الحكومية لتحسين المستوى الاقتصادي، الاجتماعي والبيئي للمواطنين.

1.4 ماهية التنمية المحلية المستدامة

أ. مفهوم التنمية المحلية المستدامة

تعددت تعاريف التنمية المحلية، نذكر أهمّها فيما يلي:

¹ نفس المرجع السابق ص 78.

² كمال محمد منصوري، الأنظمة الإدارية الوقفية والأنظمة الإدارية الخيرية الأوروبية: دراسة وصفية، مجلة أوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، العدد 35، نوفمبر 2018، ص 151.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

التنمية المحلية هي: "العملية التي تتضافر فيها جهود الأهالي مع جهود السلطات الحكومية لتحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية والعمل على تكامل هذه المجتمعات في حياة الأمم وتمكينها من الإسهام كاملاً في التقدّم القومي"¹.

ويعرّفها الأستاذ عبد الحميد عبد المطلب على أنها: "العملية التي بواسطتها يمكن تحقيق التعاون الفعال بين الجهد الشعبي والجهود الحكومية للارتفاع بمستويات التجمعات المحلية والوحدات المحلية اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وحضارياً من منظور تحسين نوعية الحياة لسكان تلك التجمعات المحلية، في أي مستوى من مستويات الإدارة المحلية في منظومة شاملة ومتکاملة"².

وينظر الأستاذ آرثر دانهام "ARTHUR DUNHAM" للتنمية المحلية على أنها: "نشاط منظم، الغرض منه تحسين الأحوال المعيشية في المجتمع، وتنمية قدراته على تحقيق التكامل الاجتماعي والتوجيه الذاتي لشؤونه، ويقوم أسلوب العمل في هذا الحقل على تبعية وتنسيق النشاط التعاوني والمساعدات الذاتية للمواطنين، ويصبح ذلك مساعدات فنية من المؤسسات الحكومية والأهالي".³

¹ - وسيلة السبي، تمويل التنمية المحلية في إطار صندوق الجنوب: دراسة واقع المشاريع التنموية في ولاية بسكرة، رسالة ماجister، قسم العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة بسكرة، الجزائر، 2005، ص 26.

² - عبد الحميد عبد المطلب، التمويل المحلي والتنمية المحلية، الدار الجامعية، مصر، 2000، ص 13.

³ - جمال زيدان، واقع التنمية المحلية على ضوء الإصلاحات الاقتصادية في الجزائر 1990-2000، رسالة ماجister، قسم العلوم السياسية وال العلاقات الدولية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2001، ص 5.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

ونتيجة للتطورات الحالية تم التوجه نحو تحقيق الاستدامة من خلال النموذج التنموي المتوجه، ذلك لأنّ التنمية المستدامة تعتبر المقاربة التي ترتكز على الإنسان وتحسين مستوى المعيشى دون التأثير على مكونات النظام الذى يعيش فيه، حيث يتطلب تحسينها تحقيق الاستدامة في مختلف الجوانب الاقتصادية، الاجتماعية والبيئية، أين يرتبط مفهوم التنمية المحلية في هذا السياق، بالشمول حيث تتم بالبعد الاقتصادي والاجتماعي وكذا بعد البيئي، كما يجب أن يرتبط بالاستمرارية.

في ضوء ضوابط التنمية المستدامة يمكن أن نطرح التعريف الإجرائي الخاص بالتنمية المحلية المستدامة وفقاً للتالي:

التنمية المحلية المستدامة هي عملية تضافر جهود مختلف مكونات المجتمع المحلي بالاعتماد على مجهوداتهم الذاتية، والارتقاء بمستوى التجمعات المحلية في شتى المجالات (الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية والبيئية)، مع عدم المساس بالخصوصية المحلية، والعمل على الحفاظ عليها وتشمينها، ويجب أن يستفيد من هذا الارتفاع جميع شرائح المجتمع المحلي، والأجيال الحالية والمستقبلية على حد سواء، وهذا من خلال الاستغلال الكفاءة والعقلاني للموارد وعدم المساس بالسلامة البيئية، إضافة إلى التوزيع العادل للثروات وإقامة نظام حوكمة محلية فعّال.

ب. خصائص التنمية المحلية المستدامة

تتميز التنمية المحلية المستدامة بمجموعة من الخصائص نوجزها في النقاط التالية:¹

¹ - لحضر مرغاد وكمال منصوري، التمويل بالوقف: بدائل غير تقليدية لتمويل التنمية المحلية، الملتقى الدولي حول سياسات التمويل وأثرها على الاقتصاديات والمؤسسات: دراسة حالة الجزائر والدول النامية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2006.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

— هي عملية تغيير تتم بشكل مستمر ومتناهٍ من أجل إشباع الحاجات والمطالب المتتجددة للمجتمع المحلي، مع عدم المساس بقدرة الأجيال اللاحقة في تلبية احتياجاتها.

— توجد في البلدان المتقدمة كما توجد في البلدان النامية، وهي تخص المناطق الحضرية والمناطق الريفية على حد سواء، حيث تتسم بالتكامل بين كل هذه الأطراف من جهة، وبين الجانب المادي والجانب المعنوي من جهة أخرى.

— تتميز بالشمول، حيث تشمل جميع التواهي الاقتصادية، البيئية، الاجتماعية، الثقافية والسياسية، كما تشمل أيضاً كل قطاعات المجتمع المحلي لتحقيق العدالة وتكافؤ الفرص.

— لا تقتصر على توفير الخدمات الأساسية للمواطنين وتوزيعها بعدل، بل تتعدها إلى إقامة مشروعات انتاجية لزيادة الدخول لسكان المجتمع المحلي، بالإضافة إلى توفير التدريب وكذا دعم المشروعات الاقتصادية القائمة على الجهود الذاتية، واستثمار الموارد المحلية في المشروعات المدرة للأرباح.

ت. أهمية التنمية المحلية المستدامة

إنَّ للتنمية المحلية المستدامة أهمية بالغة نظراً للدور الذي تلعبه في تحقيق التنمية الشاملة؛ فهي تتسم بالتكامل بين تنمية المناطق الريفية والمناطق الحضرية، وتشمل جميع أبعاد التنمية الاقتصادية، الاجتماعية، البيئية، الثقافية والسياسية...، وتسعى لتنمية الجيل الحالي دون إهمال الأجيال اللاحقة أو المساس بحقها في التنمية، كما تمس كل المجتمعات المحلية وتعمل على نموها بشكل متوازن لتزيد من ترابطها وتماسكها، وتعمل على تفعيل مشاركة المواطنين في وضع وتنفيذ برامج التنمية وربطها بالمشاريع التنموية.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

تكمّن أهمية التنمية المحلية المستدامة أيضًا في كونها نابعة في الأصل من تميّز المجتمع المحلي ككيان اجتماعي يمكن المراهنة عليه للعبور إلى التنمية الوطنية أو الشاملة؛ فتنمية المجتمع المحلي تساعده في التنسيق بين الجهود الأهلية في الإصلاح جغرافياً ووظيفياً، وعلى مختلف المستويات حيث يعتبر المجتمع المحلي جسراً في التنسيق بين الجهود الأهلية والحكومية.¹

2.4 مقومات تحسين التنمية المحلية المستدامة

يستند تحسين التنمية المحلية وتحقيق استدامتها على عدد من المقومات الأساسية والتي نوردها في التالي:

أ. الإدارة المحلية

يكتسي نظام الإدارة المحلية أهمية بالغة كونه يسمح بالمحافظة على القيم التقليدية الموروثة بالمجتمع، ويسهل حكم أعداد كبيرة من السكان، مع الإمام بكلام متطلباتهم واحتياجاتهم ورغباتهم وظروفهم المحلية، وإدارة جميع الأنشطة، وتقدم كل الخدمات، الأمر الذي يتعدى على السلطة المركزية القيام به لوحدها.²

حيث تعرف الإدارة المحلية على أنها: "نظام يتولى المهام التي تحوّلها له الحكومة المركزية والقانون المنظم لها؛ أي أنّ نظام الإدارة المحلية لا يزيد عن كونه جزءاً من الجهاز الإداري للدولة، بمعنى أنه جزء من السلطة التنفيذية، يعمل في حدود الضوابط التي يقرّرها قانون إنشاءه، والذي يصدر عن السلطة التشريعية للدولة، وبالتالي يكون للسلطة التشريعية حق تعديل القانون لتوسيع صلاحيات المحليات أو الحد منها، وزيادة الموارد

¹ - شوقي عبد المنعم، مشاركة المواطنين في التنمية الريفية، مكتبة النهضة، القاهرة، 1993، ص 54-

.55

² - جمال زيدان، المرجع نفسه، ص 22.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر
الخلية أو تقليلها، وتمديد الاستقلال المحلي أو تقليله بل من حقها أن تلغى النظام كله إذا
كان الدستور يسمح بذلك¹.

ب. التخطيط والتقويم لبرامج التنمية المحلية

— **التخطيط:** يعتبر التخطيط أداة رئيسية لتحقيق التنمية والرفاهية العامة لأي
كيان سياسي سواء على المستوى القومي أو على مستوى المحليات، ويتمثل المدف
الأساسي للتخطيط في الوقوف على أفضل وسيلة لتنمية المجتمعات وتحقيق مصالح
واحتياجات ورغبات المواطنين.

وتعرف عملية تخطيط التنمية على أنها: "عملية تغيير اجتماعي لتجهيزه واستثمار
 Capacities المجتمع وموارده، عن طريق مجموعة من القرارات الرشيدة التي يشترك في اتخاذها
 الخبراء وأفراد الشعب وقادتهم والسياسيون، لتحقيق وضع اجتماعي أفضل للمجتمع على
 كافة مستوياته، وفي أقل فترة زمنية ممكنة، في ضوء الإيديولوجية والحقائق العلمية والقيم
 التي يمكن استخدامها وتوظيفها في إحداث التغيير المطلوب"²

كما تعرف أيضا على أنها: "أسلوب تنظيمي يهدف إلى تحقيق التنمية الاجتماعية
والاقتصادية خلال فترات زمنية محددة، وذلك عن طريق حصر إمكانات المجتمع المادية
والبشرية وتعبيتها، وتحريكها نحو تحقيق أهداف المجتمع وغاياته، على ضوء الفلسفة
الاجتماعية التي يريد المجتمع أن ينمو في إطارها"³

¹ عبد الحميد عبد المطلب، مرجع سابق، ص 40.

² هناء حافظ بدوي، التنمية الاجتماعية رؤية واقعية من منظور الخدمة الاجتماعية، دار المعرفة
الجامعة، الإسكندرية، 2000، ص 144.

³ عبد الباسط محمد حسين، التنمية الاجتماعية، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1977، ص 152.

(بتصرف)



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

- التقويم: يعد التقويم جزء رئيسيا من عملية التخطيط، كونه يرمي إلى الكشف عن النتائج المتوصلا لها، والتأثيرات المختلفة لبرنامج معين من البرامج المحلية على كافة المستويات، وقد تم تعريفه على أنه "أداة أو منهج علمي يستهدف الكشف عن حقيقة التأثير الكلي أو الجزئي لبرنامج من برامج التنمية الاقتصادية في النطاقين القومي والم المحلي على السواء؛ ووسيلته إلى تحقيق هذا الهدف هي الكشف عن حقيقة التغيير الاجتماعي، المادي والتكنولوجي والمعنوي".¹

إن التقويم يعد جزءا من عملية التغيير المخطط، حيث يستفاد منه في اتخاذ القرارات لضمان استمرارية أو تغيير البرنامج ليحقق الأهداف التي وضع من أجلها.

ت. التمويل المحلي

إن تحقيق أهداف تنمية محلية في مختلف الحالات بأكبر كفاءة ممكنة وبشكل يزيد من معدلاتها يحتاج إلى موارد عديدة على رأسها الموارد المالية.² فالعنصر المالي يعد أساسيا لتطبيق نظام الإدارة المحلية، واتخاذ القرارات الازمة لتنمية المجتمع المحلي، حيث أن

¹ - عبد الهادي الجوهرى وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية، 2001، ص 98-99.

² - جمال لعمارة وآخرون، الزكاة وتمويل التنمية المحلية، ورقة بحثية مقدمة في الملتقى الدولى حول سياسات التمويل وأثرها على الاقتصاديات والمؤسسات: دراسة حالة الجزائر والدول النامية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2006.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

نجاح الم هيئات الم حلية في أداء الأدوار المنوطة بها يتعلّق بشكل كبير بحجم مواردها المالية، كما أنّ قوّة الم هيئات الم حلية في الدولة تقاس بنسبة ماليتها إلى المالية العامة للدولة¹. ويعرّف التمويل الم حلّي بأنّه: "كل الموارد المالية المتاحة، والتي يمكن توفيرها من مصادر مختلفة لتمويل التنمية الم حلية على مستوى الوحدات الم حلية بالصورة التي تحقّق أكبر معدلات لتلك التنمية عبر الزمن، وتعظّم استقلالية المحليات عن الحكومة المركزية في تحقيق التنمية الم حلية المنشودة"².

ث. المشاركة الشعبية

لقد كرست المواثيق الدوليّة المعاصرة مفهوم الحق في التنمية كحق من حقوق الإنسان غير قابل للتصرّف، ويعوّجه يحقّ لكل فرد ولجميع الشعوب المساهمة بشكل كامل في تحقيق التنمية، وأن تتمتع بها، وعليه فإن الأفراد والشعوب يتمتعون بحق المشاركة الوعية والمأذفة والحرّة لتحقيق رفاهيتهم، ورفع مستوى معيشتهم، وذلك من خلال مناقشة وإقرار وتنفيذ كافة خطط وبرامج التنمية الم حلية على أساس المشاركة الشعبية الجزئية والكلية، أي من قبل الأفراد والجماعات في التنمية الم حلية، الإنراح المجتمعات الم حلية من عزلتها لمشاركة إيجابياً في تقدم البلاد.³

¹ - علي بو عمامة، مفهوم التنمية الم حلية ومقومات تحسينها، ورقة بحثية مقدمة في الملتقى الوطني الأول حول تمويل التنمية الم حلية في الجزائر واقع وآفاق، معهد العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، المركز الجامعي برج بوعريريج، الجزائر، 2008.

² - عبد الحميد عبد المطلب، مرجع سابق، ص 22.

³ - جمال لعمارة وآخرون، مرجع سابق.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

وتعرف المشاركة الشعبية بأنّها: "الجهود المنظمة التي يقوم بها سكان مجتمع ما، بغرض تحديد أهداف يشعرون بأنّ مجتمعهم يحتاج إليها، وتنظيم أنفسهم بالعمل المشترك لتحقيق تلك الأهداف".¹

5. دور الوقف في تعزيز مقومات التنمية الأخلاقية المستدامة

ذكرنا سابقاً عند التطرق للتنمية المحلية بأنّها تقوم على أركان أو مقومات هي: الجماعات المحلية، التخطيط والتقويم المحلي، التمويل المحلي والمشاركة الشعبية، وفيما يلي سنحاول ذكر الدور الذي يقوم به الوقف في تعزيز هذه المقومات:

1.5 مساهمة الوقف في تعزيز دور الإدارة الأخلاقية:

إن التكفل بتغطية الاحتياجات التنموية للمجتمع المحلي يخفف العبء على الإدارة المحلية ويخلاصها من مهمة توفير خدمات قد تنقل كاهلها، كما أنّ تسيير الأوقاف من طرف الواقفين أنفسهم أو من يولونهم يقلل من عبء الجماعات المحلية في تسيير منشآت المجتمع المحلي، كما أن الوقف يتمتع باللامركزية وبالأخص في جانبه الإداري بصفة خاصة، حيث لم تتوفر لدى الأوقاف عبر مختلف مراحله التاريخية إدارة مركبة موحدة كانت مختصة بإدارتها، بل وجدت إدارات متعددة غلبت عليها الصبغة المحلية، وكان أساس عملها هو التسيير الذاتي وفقاً لشروط الواقف وتحت إشراف القاضي، وبعيداً عن الاندماج في جهاز الإدارة الحكومية²، وهذا ما يساهم في تعزيز اللامركزية في التنمية المحلية مما يزيد في نجاعتها وتحقيقها لأهدافها.

2.5 دور الوقف في تعزيز التخطيط وتقويم البرامج التنموية:

¹ - هناء حافظ، مرجع سابق، ص 179.

² - إبراهيم البيومي غانم، الأوقاف والسياسة في مصر، دار الشروق، القاهرة، 1998، ص 89.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

إنّ تخطيط مشاريع التنمية المحلية يهدف إلى إيجاد الطرق المثلث لتنمية المجتمع المحلي أو حل المشاكل التي تواجهه بناء على امكانياته وموارده، وباعتبار أنّ الواقع يسعى إلى تعظيم الأجر والثواب فإنه يعمل على جعل الوقف الذي يقدمه يمس القطاعات الأكثر حرجاً بالمجتمع المحلي أو التي تمس أكبر عدد من سكانه، وهذا ما يؤدي إلى تحقيق الأهداف ذات الأولوية للمجتمع المحلي وهو ما يسعى التخطيط إلى تحقيقه.

إضافة إلى ذلك فإنّ متابعة وتقدير الوقف يكون من طرف الواقعين أو من طرف القاضي أو مختلف الجهات القائمة على الوقف وهذا ما يعزز متابعة وتقدير المنشآت الوقفية بالمجتمع المحلي.

3.5 دور الوقف في حل عقبة التمويل المحلي:

يمثل الوقف رافداً من روافد التمويل المحلي، ويعمل على تخطي عقبة التمويل الذي تعاني منه معظم المحليات وبالأخص بالدول النامية، كما يساهم في تحفيض حجم الإنفاق الحكومي على هذه المحليات، كما يمكن أن يكون بدائل نسي لتمويل بعض المشروعات في حالة عجز الإنفاق العام، وهو من أساليب التمويل منعدمة التكلفة بالنسبة للقائمين على التنمية.

كما أن عوائد استثمار أموال الوقف وتشميرها تشكل مصدراً لتمويل دائم لشبكة واسعة من المشروعات ذات النفع العام والمرافق الخدمية في مجالات حساسة كالتعليم والصحة، وتوفير الحاجات الأساسية خاصة لفقراء المجتمع، مما يتولد عنه مجموعة من الآثار الاقتصادية والاجتماعية تتعكس الأولى على مستوى النشاط الاقتصادي ودور الدولة الرعائي وميزانيتها العامة، وهيكل توزيع الثروة والدخل في المجتمع، والأخريرة



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

تعكس على التنمية البشرية المركبة على الإنسان كعامل فاعل ومتلقى للتنمية

في نفس الوقت، إضافة إلى الحراك الاجتماعي الذي يثيره النشاط الوقف في المجتمع.¹

4.5 دور الوقف في تعزيز المشاركة الشعبية:

إنّ بروز مبادرات وقفية يشجع أفراد المجتمع وينمي فيهم الروح الإيجابية ويخضرهم على البذل والعطاء والمشاركة في تقديم الخدمات التي يرون أنّها تساهم في خدمة مجتمعهم المحلي.

إنّ انتشار الوقف على مستوى القرى والأحياء والمدن يعمل على إشراك قطاع من المجتمع في مشاريع التنمية المحلية، فهذه الوقفيات تعمل على توسيع مشاركة القاعدة الشعبية وتوعية المستفيدن بفوائد المشاريع التنموية وتحثّم على المشاركة فيها خدمة لمحيطهم المحلي، حيث نجد أن الوقفيين يتّمّون إلى فئات عديدة من السلم الاجتماعي وقد يشترك في عملية الوقف من الفقراء أنفسهم.²

6. مساهمة الوقف في تحقيق التنمية المحلية المستدامة

من أجل معرفة مدى مساهمة الوقف في تحقيق التنمية المحلية المستدامة، سنحاول التعرض للدور والمساهمة التي يقوم بها هذا الأخير على كل من بعد الاقتصادي وبعد الاجتماعي وكذا بعد البيئي للتنمية المحلية المستدامة.

1.6 مساهمة الوقف في تحقيق بعد الاقتصادي للتنمية المحلية المستدامة

¹ - لحضرمرغاد وكمال منصوري، مرجع سابق.

² - لحضرمرغاد وكمال منصوري، مرجع سابق.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

يساهم الوقف في تحقيق البعد الاقتصادي للتنمية المحلية المستدامة أو إن صح التعبير التنمية الاقتصادية للمجتمع المحلي من خلال العناصر التالية:

- التراكم التنموي للوقف واستدامته: إن طبيعة الوقف الإسلامي، بمعظم صوره، يجعل من الوقف ثروة استثمارية متزايدة، فالوقف دائم في أصله وشكله العام سواء كان مباشراً أم استثمارياً، لكونه ثروة انتاجية تستثمر على سبيل التأييد، يمنع بيعه واستهلاك قيمته ويمنع تعطيل استغلاله، و يجب صيانته والإبقاء على قدرته على إنتاج السلع أو تقديم الخدمات التي خصص لأجلها، كما يحرم الانتهاص منه والتعدي عليه، وبالتالي فهو استثمار تراكمي يتزايد يوماً بعد يوم، بحيث يستدام الوقف السابق الذي أنشأته الأجيال الماضية وتظم إليه الأوقاف الجديدة التي ينشئها الجيل الحاضر،¹ وهذا ما يشكل ثروة مستدامة للمجتمع المحلي تساهم بشكل إيجابي في تحقيق التنمية به.

- المساهمة في تقاسم الأعباء المالية للدولة: في ظل تراجع دور الدولة في قيادة وتجييه النشاط الاقتصادي والاجتماعي، وفسح المجال أمام القطاع الخاص والمجتمع المدني سعياً منها إلى إيجاد مصادر تمويلية جديدة، يأتي دور الوقف كأحد المشاركين في تحمل جزء مهم من الأعباء المالية للدولة، من خلال التكفل بإنجاز بعض المرافق العامة وتسخيرها وصيانتها والمحافظة عليها.²

- المساهمة في تخفيض حجم الإنفاق الحكومي على المخالفات: كلما نمت وتطورت المجتمعات كلما ازدادت احتياجاتها وتنوعت وصارت الحاجة للإنفاق العام

¹ - منذر قحف، مرجع سابق، ص 68-69.

² - عبد الفتاح تباني وعبد السلام حططاش، نظام الوقف الإسلامي والأنظمة المشابهة له في الاقتصاديات الغربية، المتقى الدولي الأول: الاقتصاد الإسلامي، الواقع ورهانات المستقبل، جامعة غردية، الجزائر، 2011.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

أكثـر، في المقابل كلـما كان تزاـيد الـوقـف كلـما كانت تغـطـيـته لـهـذـه الحاجـات المتـزاـيدـة أكـثـر، وبـالتـالي تـزـادـاد مـسـاـهمـتـه في تـقـليـصـ الانـفـاقـ الحـكـومـيـ.

-**المساهمة في دعم الاستثمار وتنمية الأموال:** يـسـاـهـمـ الـوـقـفـ فيـ تـنـمـيـةـ الـأـمـوـالـ بـطـرـيـقـةـ آـمـنـةـ، فـأـمـلاـكـ الـوـقـفـ تـشـجـعـ عـلـىـ الـاسـتـثـمـارـ وـإـقـامـةـ الـمـاشـرـيعـ وـالـصـنـاعـاتـ الـتيـ تـسـاـهـمـ فيـ إـحـدـاثـ النـمـوـ الـاـقـتـصـادـيـ¹، كـمـ يـمـكـنـ أنـ يـسـاـهـمـ فيـ تـوـيـلـ وـإـنـشـاءـ الـمـاشـرـيعـ بـالـجـمـعـ الـخـلـيـ منـ خـالـلـ تـقـدـيمـ قـرـوـضـ حـسـنـةـ لـحـامـلـيـ الـأـفـكـارـ الـاـسـتـثـمـارـيـةـ وـأـصـحـابـ الـمـاشـرـيعـ الـذـيـنـ يـعـانـونـ مـنـ مشـكـلـ التـموـيلـ.

-**المساهمة في زيادة الطلب الكلي:** يتمـ هـذـاـ مـنـ خـالـلـ زـيـادـةـ الـانـفـاقـ الـاستـهـلاـكـيـ وـالـاسـتـثـمـارـيـ لـلـوـقـفـ، حـيـثـ يـتـجـسـدـ الـانـفـاقـ الـاستـهـلاـكـيـ مـنـ خـالـلـ تـوـفـيرـ الـغـذـاءـ وـالـسـكـنـ وـالـلـبـاسـ وـبـقـيـةـ الـحـاجـاتـ الـاـسـتـهـلاـكـيـةـ، إـضـافـةـ إـلـىـ تـوزـيـعـ عـوـائـدـ الـوـقـفـ عـلـىـ الـحـتـاجـينـ وـالـطـلـبـةـ وـالـمـرـضـيـ، وـالـقـائـمـينـ عـلـىـ الـوـقـفـ فيـ شـكـلـ مـرـتـبـاتـ وـعـطـاءـاتـ، الـأـمـرـ الـذـيـ يـصـبـ فيـ زـيـادـةـ الـانـفـاقـ الـاستـهـلاـكـيـ، أـمـاـ الـانـفـاقـ الـاسـتـثـمـارـيـ فـيـكـوـنـ عـلـىـ بـنـاءـ الـمـدـارـسـ، الـمـسـتـشـفيـاتـ، الـطـرـقـ وـالـجـسـورـ وـغـيـرـهـ مـنـ الـمـنـشـآـتـ، إـضـافـةـ إـلـىـ إـقـامـةـ الـأـسـوـاقـ وـتـأـجـيـرـ الـمـحـلـاتـ الـتـجـارـيـةـ وـالـصـنـاعـيـةـ وـتـأـجـيـرـ الـأـرـاضـيـ الزـرـاعـيـةـ أوـ زـرـاعـتـهـاـ...ـ إـلـخـ.²

إنـ الـزـيـادـةـ فيـ الـطـلـبـ هـذـهـ مـنـ شـائـعـاـنـ أـنـ تـنـعـشـ وـلـوـ نـسـيـاـ الـإـنـتـاجـ الـخـلـيـ أـوـ تـزـيدـ مـنـ حـرـكـيـةـ النـشـاطـاتـ الـتـجـارـيـةـ بـهـ.

¹ محمد على مصطفى الصليبي، الوقف عبادة مالية ووظيفة اقتصادية واستثمار تنموي، مجلة جامعة الخليل، مجلد 02، العدد 02، 2006، ص 58.

² قارة سليمان محمد خليد، دور الوقف في تحقيق البعد الاقتصادي للتنمية المستدامة، مجلة حقوق الإنسان والحيريات العامة، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد 06، جوان 2018، ص 257-258.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

- **المساهمة في تحسين البنية التحتية للمجتمع المحلي:** إن الوقف في إطار تحقيقه لسبل الخير وتقديم ما ينفع الناس من أجل حصوله على الأجر والثواب يعمل على المساهمة في إعداد البنية التحتية لمجتمعه المحلي، حيث نجد أن معظم الأوقاف تتركز حول بناء المساجد، المدارس، شق الطرقات بالقرى والمداشر وبالأخص المناطق المعزولة، حفر الآبار وإنشاء قنوات جلب المياه الصالحة للشرب... إلخ.

- **الحد من الاقتناز والمساهمة في التداول:** يمنع الوقف الاقتناز المؤدي إلى الانكماش، حيث يجعل دورة الإنفاق مستمرة مما يعمل على إحداث التوازن في الإنفاق¹، ويساهم في التداول ودفع عجلة الاقتصاد المحلي.

- **إعادة توزيع الدخل:** يقوم أصحاب الأموال والثروات بوقف جزء من أملاكهم لصالح أفراد أو فئات من المجتمع، وبالتالي يتم توزيع الدخل من خلال تحوله من الفئة الشريعة إلى الفئة التي يليها الوقف احتياجها.²

2.6 مساهمة الوقف في تحقيق البعد الاجتماعي للتنمية المحلية المستدامة

إن للوقف العديد من المساهمات التي تصب في تحسين الجانب الاجتماعي والمعيشي للمجتمعات وهو ما يسهم في تحقيق البعد الاجتماعي للتنمية المحلية المستدامة، من أهم هذه الامثليات نذكر العناصر التالية:

- **المساهمة في تحقيق العدالة بين الأجيال:** إن صفة تأييد الوقف تعتبر من صميم تحقيق العدالة الاجتماعية بين مختلف أجيال المجتمع المحلي، وذلك من خلال استدامة الأصل لاستفادة منه أجيال متعددة.

¹ - محمد علي مصطفى، مرجع سابق، ص 59.

² - سهام ساري وزنكري ميلود، مرجع سابق، ص 53.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

- المساهمة في تنمية الإيثار والعطاء والسلوك الإيجابي للفرد: الوقف قرض حسن للحالة يعني منه الواقف الأجر والثواب، ويترفع عن الانانية والشح بتقديمه للمصلحة العامة على مصلحته الخاصة، مما ينمي فيه الإيثار والعطاء، و يجعله متوازنا في سلوكه و تعاملاته.¹

- المساهمة في بناء مراكز العبادة: كالمساجد والمعاهد الإسلامية والمدارس القرآنية، من أجل تعليم الناس أمر دينهم، ونشر الوعي والثقافة الإسلامية، والمحث على القيم والأخلاق الفاضلة والتآخي والتراحم بين أفراد المجتمع المحلي.

- المساهمة في إتاحة التعليم لكافة أفراد المجتمع المحلي: يساهم الوقف في توفير التعليم وإتاحتة لكافة أفراد المجتمع المحلي، ويتعدى الأمر الإتاحة فقط بل يعمل أيضا على المحث وتوفير كل المستلزمات الواجبة للعملية التعليمية، وذلك لما له من الأجر الوفير والفضل العظيم، وفي هذا الصدد فإن إحياء ما كان من وقف في مجال العلم والتعليم في تاريخ حضارتنا العريق كفيل بنشر العلم وتطوير مجال التعليم، ناهيك عن ابتكار أساليب جديدة في هذا المجال، فقد زخرت الحضارة الإسلامية بنماذج وأمثلة عن نشر العلم والاهتمام به، يمكن الاستفادة منها واحتياطها.

بعد الوقف من أهم المؤسسات في الحضارة الإسلامية التي كان لها الدور الفعال في نشر العلم وإتاحة التعليم، سواءً داخل المساجد أو في المدارس والمكتبات وغيرها من المؤسسات الخيرية الأخرى، إضافة إلى تشجيع طلاب العلم على التعلم من خلال التسهيلات التي وفرت لهم، والتكفل بمتطلباتهم الأساسية، وإنشاء المكتبات وتجهيزها، إضافة إلى نسخ المخطوطات،² فقد تجاوزت عدد المدارس العشرات والآلاف في القدس

¹ - محمد علي مصطفى، مرجع سابق، ص 58.

² - حسين عبد المطلب الأسرج، مرجع سابق، ص 21.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

و دمشق وبغداد والقاهرة ونيسابور، وقد شملت هذه المدارس جميع المستويات الابتدائية، المتقدمة والجامعة المتخصصة، فقادت جامعات معروفة عريقة منها جامعة القرويين في فاس وجامعة الأزهر في القاهرة والجامعات النظامية والمستنصرية في بغداد وغيرها في سائر الأمصار الإسلامية، وكانت هذه الأوقاف لا تقدم المباني وحدها، بل تقدم أيضاً أدوات الدراسة من قرطاس وحرير، وأقلام، وكتب علمية، ورواتب المعلمين والمدرسين، وكثير من هذه المدارس والجامعات كانت تقدم فيها الأوقافُ المنحَ الدراسية للطلبة بما يكفيهم لمعيشتهم إضافة إلى السكن الخاص بهم.¹

-**المساهمة في تحسين الجانب الصحي:** إن الاهتمام بالصحة ضرورة في غاية الأهمية من أجل تحقيق التنمية الاجتماعية للمجتمعات المحلية، إن الدول المتقدمة ذات الدخل المرتفع مستوى الصحة بها جيد، في حين الدول النامية مستوى الصحة بها يشهد وضعًا متدنياً، ويتبين هذا الوضع كلما ابتعدنا عن المدن الكبيرة باتجاه القرى والأرياف و مختلف المناطق النائية.

هنا يمكن للوقف كنظام اجتماعي تكافلي أن يخفف من حدة الخصاوص الذي يعانيه هذا القطاع وأن يكون رافداً للخدمات الصحية، ولاسيما في المناطق الريفية المفتقرة لهذه الخدمات، ويجدر بنا هنا أن نذكر تجربة أوقاف الرعاية الطبية في السودان، وهو مشروع أنشأته الهيئة العامة للأوقاف هناك، بهدف إقامة مراكز طبية في أطراف المدن والقرى السودانية، إلى جانب مشروع الصيدليات الشعبية الذي يرمي إلى إقامة صيدليات في الأحياء الشعبية والقرى البعيدة لتقديم الدواء للفقراء بأسعار منخفضة.²

¹ - منذر قحف، مرجع سابق، ص 38.

² - فتحة لعاشى، الوقف وتمويل التنمية البشرية على ضوء التجربتين الإسلامية والغربية، الملتقى الدولي الثاني حول المالية الإسلامية، صفاقس، تونس، 2013.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

وهناك العديد من التجارب الرائعة في هذا المجال، حيث الوقف شكل في الماضي المصدر الأول وإن لم يكن الوحيد في كثير من الأحيان في الإنفاق على المجال الصحي، سواء من خلال النهوض بعلم الطب والصيدلة ووقف الكتب المتصلة بذلك، أو من خلال بناء البيمارستانات (المستشفيات)، وتجهيز العديد من المراكز الصحية المتنقلة لخدمة المرضى في السجون والأماكن النائية، وقد وجد في بغداد لوحدها سنة 1160 م ما يربو على ستين (60) بيمارستانًا، وفي قرطبة ما يزيد على خمسين بيمارستانًا.¹

ومن صور التطور الذي وصلت إليه هذه البيمارستانات هو اختيار الموقع المناسب الذي يتمتع بالهواء النقي الذي يساعد على تعافي المرضى*، وقربها من موقع الأهوار أو منابع المياه، حيث أن معظمها كان يجري الماء في ساحاتها وبالأماكن المخصصة للراحة ولنقاهة المرضى، وكانت تحوي على قاعات مخصصة للمرضى المتعافين والذين هم في مرحلة النقاهة، تحكي لهم حكايات التسلية إلى أن يتم شفاؤهم، كما كانت تحوي قاعة محاضرات يلقى فيها رئيس الأطباء دروسه ويجتمع بها مع تلاميذه، إضافة إلى مكتبة وصيدلية لتحضير الأدوية... إلخ.²

كل هذه الأمثلة السالفة الذكر يمكن الاستفادة منها بنشرها والتعریف والتوعیة والتحفیز لإعادة إحيائها من طرف عناصر المجتمع المحلي القادرين على ذلك، سواء كانوا أفراد أو مجموعات أو جمیعات...

¹- نفس المرجع السابق.

* عندما أراد الرازى اختيار موقع للبيمارستان العصدى وضع قطع من اللحم في أماكن متعددة، واحتار الموقع الذي بقيت فيه قطعة اللحم سليمة أكثر من غيرها في الواقع الأخرى.

²- أحمد عوف عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية في المجتمع الإسلامي، سلسلة كتاب الامة، وفقية الشيخ علي بن عبد الله آل ثانى للمعلومات والدراسات، الدوحة، قطر، جوان 2007، ص 82-84.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

-**المساهمة في التخفيف من حدة البطالة:** يساهم الوقف في التقليل من البطالة من خلال ما توفره المشاريع الوقفية من فرص عمل للقائمين عليها، بالإضافة إلى تمويل المشاريع عن طريق القروض الحسنة- وما يوفره من فرص عمل لأصحاب المشاريع ولمن يوظفونهم.

-**المساهمة في محاربة الفقر وتوفير حد الكفاية:** يعمل الوقف على تحبيس رؤوس الأموال العينية والنقدية، وإنفاق عائدها في عدة مجالات والتي من أهمها إعالة اليتامي والفقراة والمساكين واعانتهم على تحقيق كفاياتهم، وسد حاجياتهم الأساسية من مأكل ومشروب وملبس وسكن... إلخ.¹

-**المساهمة في تحقيق الاستقرار والتوازن الاجتماعي:** لقد كان الوقف لقرون طويلة عاماً من عوامل توازن المجتمع واستقراره، من خلال ما يوفره هذا الأخير من مؤسسات ومرافق ومشاريع أهلية تظهر بطريقة تلقائية وتتمتع بالتمويل الذاتي والاستقلال الإداري والتنوع الوظيفي، تقدم منافع وخدمات عامة وخاصة في شتى المجالات، تمس مختلف شرائح المجتمع أو فئات محددة في الغالب تكون هشة ومتاحة،² وهذا ما يخلق توازناً بين مختلف شرائح المجتمع وطبقاته، ويزيد من تقوية الترابط والتماسك بينها، ويدحض كل أشكال الصراع الطبقى والفرقة.

3.6 مساهمة الوقف في تحقيق البعد البيئي للتنمية المحلية المستدامة

إن الله استخلف الإنسان في الأرض وكله بإعمارها، فلا يجب الإسراف والتبذير في استعمال مواردها وهدرها، كما لا يجب إلحاق الضرر بالبيئة التي نعيش بها أو إلحاقه

¹ - جودي ليلي ورحمني موسى، الطبيعة المستدامة للوقف الإسلامي، مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 20، ديسمبر 2017، ص 112.

² - سهام ساري وزنكري ميلود، مرجع سابق، ص 54.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

بأي مكون من مكوناتها، كالتلות أو أي شكل من أشكال الاتّلال بالنظام البيولوجي أو الايكولوجي الأخرى.

كما يجب العمل على التصدي لكل ما يهدد محیطنا من تصحر وفيضانات وانحراف للتربية...، من قبيل دفع الضرر على الناس واماطة الأذى عنهم. إن الذي يوقف أصلاً أو أصولاً يستعمل إيراداتها للتتصدي لهذه الأضرار ابتغاء للأجر والثواب ومرضاة الله، في نفس الوقت هو يعمل على حماية البيئة وتحقيق البعد البيئي ل مجتمعه المحلي.

إن المتتبع لتاريخ الوقف يجد العديد من المساهمات الوقفية في مجال حماية البيئة ومكوناتها، حيث أن خبرات الوقف لم تتوقف على الرعاية الاجتماعية للناس بل امتدت إلى رعاية البيئة والحيوان، فوجدت الأوقاف لصيانة الترع والأهوار، وأوقاف لطيور الحرم المكي الشريف، كما أنشئت أوقاف لإطعام الطيور والعصافير في مدن عديدة، وأوقاف للقطط والحيوانات الأهلية المهرمة أو المعتوهة.¹

كما وجدت أوقاف لرعاية المحيط الحضري والبيئة، كصيانة البرك والأهوار وتنظيم فيضانها، إضافة إلى أوقاف لتنقية المحيط الآهل بالسكان من الهواء والعقارب والكلاب الصالحة.²

7. الخاتمة

من خلال البحث الذي قمنا به توصلنا إلى أن الوقف هو تبرع فرد أو مجموعة من الأفراد بأصل أو مجموعة من الأصول، لنيل الثواب ومرضاة الله، حيث يتم حبس هذا الأصل وإنفاق منافعه على أشخاص محددين بذاته أو لعامة الناس، ويكون بصفة دائمة أو لفترة زمنية محددة.

¹ - منذر قحف، مرجع سابق، ص 39.

² - جودي ليلي ورحامي موسى، مرجع سابق، ص 114.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

أما التنمية المحلية المستدامة فتعتبر عملية تضافر جهود مختلف مكونات المجتمع المحلي بالاعتماد بالدرجة الأولى على مجهوداتهم الذاتية، من أجل الارتقاء بمستوى التجمعات المحلية في الجانب الاقتصادي، الاجتماعي والبيئي، مع عدم المساس بالخصوصية المحلية والعمل على الحفاظ عليها وتشمينها، وألا يستفيد من هذه التنمية الجيل الحالي فقط، بل يجب أن تستمر للأجيال اللاحقة، وهذا من خلال الاستغلال الكفاءة والعقلاني للموارد وعدم المساس بالسلامة البيئية، إضافة إلى التوزيع العادل للثروات وإقامة نظام حوكمة محلية فعّال.

1.7 اختبار الفرضيات:

-**الفرضية الأول:** والتي مفادها أنه: يساهم الوقف الإسلامي في تعزيز مقومات التنمية المحلية المستدامة، فلقد تبين أن للوقف دور إيجابي على مقومات التنمية المحلية المستدامة، من خلال تحمل جزء من مهام الإدارة المحلية في انشاء وتسخير بعض المرافق العامة ومساهمته في التمويل المحلي...وغيرها من النقاط التي سيتم ذكرها في نتائج البحث، ومنه الفرضية الأولى صحيحة.

-**الفرضية الثانية:** من خلال ما تم التطرق له في البحث فإن للوقف مجموعة من المساهمات في الجانب الاقتصادي والاجتماعي والبيئي للتنمية المحلية المستدامة، والتي ستدكرها في العنصر الموالي والمتعلق بنتائج البحث، وهذا ما يثبت صحة الفرضية الثانية المتمثلة في: يساهم الوقف الإسلامي في تحقيق كل أبعاد التنمية المحلية المستدامة.

2.7 نتائج البحث:

في الأخير، وكإجابة عن التساؤلات التي تم طرحها في مقدمة الموضوع، وبناء على الفرضيات التي قمنا باختبارها في بحثنا هذا، نورد النتائج التالية:



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

- يعمل الوقف على تعزيز دور الإدارة المحلية من خلال مساندتها في القيام بعض مهامها في التكفل بالاحتياجات التنموية.
- يعمل الوقف على تلبية الاحتياجات ذات الأولوية، كون الواقف يسعى إلى تعظيم الأجر والثواب فإنه يقدم وقه في القطاعات الأكثر حرجاً بالمجتمع المحلي أو التي تمس أكبر عدد من سكانه، وهذا ما يؤدي إلى تحقيق الأهداف ذات الأولوية للمجتمع المحلي وهو ما يسعى التخطيط إلى تحقيقه.
- يساهم الوقف في تحفيز عقبة التمويل المحلي من خلال القيام بتمويل إنشاء بعض المشاريع التنموية وتسيرها.
- يعمل الوقف على إحياء الروح الإيجابية لدى الأفراد ومحفظهم على البذل والعطاء والمشاركة في تقديم الخدمات التي يرون أنها تساهم في خدمة مجتمعهم المحلي، الأمر الذي يجعله يساهم في توسيع قاعدة المشاركة الشعبية.
- إن الوقف يساهم في تحقيق البعد الاقتصادي للتنمية المحلية المستدامة من خلال إسهامه في العناصر التالية: تقاسم الأعباء المالية للدولة، تحفيض حجم الإنفاق الحكومي على المحليات، دعم الاستثمار وتنمية الأموال، زيادة الطلب الكلي، تحسين البنية التحتية للمجتمع المحلي، الحد من الاكتفاء والمساهمة في التداول، إعادة توزيع الدخل والتراكم التنموي للوقف واستدامته.

- إن الوقف يساهم في تحقيق البعد الاجتماعي للتنمية المحلية المستدامة، من خلال إسهامه في العناصر التالية: تحقيق العدالة بين الأجيال، تنمية الإيثار والعطاء والسلوك الإيجابي للفرد، بناء مراكز العبادة لمارسة الأفراد لشعائرهم الدينية ونشر القيم والأخلاق الفاضلة، إتاحة التعليم لكافة أفراد المجتمع المحلي، تحسين الجانب الصحي،



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

التحفييف من حدة البطالة، محاربة الفقر وتوفير حد الكفاية وتحقيق الاستقرار والتوازن الاجتماعي.

- إن الوقف يساهم في تحقيق البعد البيئي للتنمية المحلية المستدامة، من خلال إسهامه في العناصر التالية: تنقية المحيط الحضري وصيانته، العمل على دفع كل أشكال الضرر على الناس ومكان تواجدهم، إضافة إلى التصدي لأنظطار التصحر، الفيضانات، والجراف التربة... إلخ.

8. قائمة المصادر والمراجع:

1.8 المجلات:

1. ابراهيم عبد العزيز الغصن، الوقف: مفهومه وفضله، كتاب أعمال مؤتمر الوقف الأول: الوقف مفهومه وفضله وأنواعه، جامعة أم القرى، السعودية، 2001.
2. أحمد عوف عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية في المجتمع الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة، وقية الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني للمعلومات والدراسات، الدوحة، قطر، جوان 2007.
3. إسماعيل إبراهيم البدوي، الوقف مفهومه وفضله وشروطه وأنواعه، كتاب أعمال مؤتمر الوقف الأول: الوقف مفهومه وفضله وأنواعه، جامعة أم القرى، السعودية، 2001.
4. ثامر التويران، سبل تحقيق التنمية المستدامة في العالم الإسلامي-الوقف الأخضر نموذجا- مجلة دراسات_العدد الاقتصادي، جامعة الأغواط، الجزائر، المجلد 08، العدد 02، مارس 2017.
5. جودي ليلي ورحامي موسى، الطبيعة المستدامة للوقف الإسلامي، مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 20، ديسمبر 2017.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ----- د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

6. حسين عبد المطلب الأسرج، الوقف الإسلامي كآلية لتمويل وتنمية قطاع المشروعات الصغيرة في الدول العربية، مجلة دراسات إسلامية مركز البصيرة، العدد 06 سبتمبر 2009.

7. سهام ساري وزنكري ميلود، تفعيل دور مؤسسة الأوقاف في دعم التنمية المستدامة، مجلة دراسات وأبحاث التنمية، جامعة برج بوعريريج، المجلد 04، العدد 02، جوان 2018.

8. عبد الوهاب شلي، تحليل علاقة الوقف الإسلامي بالغايات المستدامة للتعليم وللصحة لآفاق 2030، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، المجلد 33، العدد 01، 2019.

9. العياشي الصادق فداد، الوقف: مفهومه - شروطه - أنواعه، كتاب أعمال مؤتمر الوقف الأول: الوقف مفهومه وفضله وأنواعه، جامعة أم القرى، السعودية، 2001.

10. قارة سليمان محمد خليل، دور الوقف في تحقيق البعد الاقتصادي للتنمية المستدامة، مجلة حقوق الإنسان والحيريات العامة، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد 06، جوان 2018.

11. كمال محمد منصوري، الأنظمة الإدارية الوقفية والأنظمة الإدارية الخيرية الأوروبية: دراسة وصفية، مجلة أوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، العدد 35، نوفمبر 2018.

12. مجيدة الزياني، الوقف والأنظمة الخيرية الغربية: إنسانية المقاصد وأفاق التعاون، مجلة أوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، العدد 35، نوفمبر 2018.

13. محمد بوجلال، الوقف والأنظمة الخيرية الأوروبية: التقنيين والمعوقات، مجلة أوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، العدد 35، نوفمبر 2018.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ----- د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

14. محمد عثمان شبير، الوقف الإسلامي والأنظمة الخيرية المشابهة: نحو شراكة حضارية إنسانية، مجلة أوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، العدد 35، نوفمبر 2018.

15. محمد على مصطفى الصليبي، الوقف عبادة مالية ووظيفة اقتصادية واستثمار تنموي، مجلة جامعة الخليل، مجلد 02، العدد 02، 2006.

2.8 الكتب:

16. إبراهيم البيومي غانم، الأوقاف والسياسة في مصر، دار الشروق، القاهرة، 1998.

17. إبراهيم بن محمد الحمد المزيطي، الوقف وأثره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، السعودية، 1999.

18. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الجزء 02، مكتبة الصفا، القاهرة، مصر، ط 1، 2003.

19. أحمد محمد الجمل، الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2007.

20. برهان الدين الطرابلسي، الإسعاف في أحكام الأوقاف، تحقيق: عبد الله أحمد مزي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، 2013.

21. راغب السرجاني، روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط 1، 2010.

22. رعد محمود البرهاوي، خدمات الأوقاف في الحضارة العربية الإسلامية، الجمع العلمي، بغداد، 2002.



- الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر
23. شوقي عبد المنعم، مشاركة المواطنين في التنمية الريفية، مكتبة النهضة، القاهرة، 1993.
24. عبد الباسط محمد حسين، التنمية الاجتماعية، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1977.
25. عبد الحميد عبد المطلب، التمويل المحلي والتنمية المحلية، الدار الجامعية، مصر، 2000.
26. عبد الهادي الجوهرى وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2001.
27. محمد بن أحمد بن صالح الصالح، الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، ط1، 2001.
28. محمد عبيد الكبيسي: أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، مطبعة الإرشاد، بغداد 1977، ص 38/1.
29. محمد كمال الدين امام، الوصايا والأوقاف في الفقه الإسلامي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 2001.
30. منذر قحف، الوقف الإسلامي: تطوره، إدارته، تنميته، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2000.
31. هاشم الحافظ، تاريخ القانون، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد 1980.
32. هناء حافظ بدوي، التنمية الاجتماعية رؤية واقعية من منظور الخدمة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2000.
33. وهبة الرحيلي، الفقه الإسلامي وأدله، الجزء الثامن، دار الفكر، ط1، 1991.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ----- د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

3.8 الرسائل والاطروحات:

34. أمل شفيق محمد العاصي، مباني الأوقاف الإسلامية وأثرها على استدامة الانسجة الحضرية للمدن التاريخية: دراسة حالة البلدة القديمة لمدينة نابلس، رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية، جامعة النجاح بناابلس، فلسطين، 2010.

35. جمال زيدان، واقع التنمية المحلية على ضوء الإصلاحات الاقتصادية في الجزائر 1990-2000، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2001.

36. حمود بن محمد النجيدي، الموارد المالية لمصر في عهد الدول المملوکية الأولى، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1984.

37. وسيلة السبيسي، تمويل التنمية المحلية في إطار صندوق الجنوب: دراسة واقع المشاريع التنموية في ولاية بسكرة، رسالة ماجستير، قسم العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة بسكرة، الجزائر، 2005.

4. الملتقىات:

38. جمال لعمارة وآخرون، الزكاة وتمويل التنمية المحلية، ورقة بحثية مقدمة في الملتقى الدولي حول: سياسات التمويل وأثرها على الاقتصاديات والمؤسسات: دراسة حالة الجزائر والدول النامية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة محمد خبضر، بسكرة، الجزائر، 2006.

39. عبد الفتاح تباني وعبد السلام حططاش، نظام الوقف الإسلامي والأنظمة المشابهة له في الاقتصاديات الغربية، الملتقى الدولي الأول: الاقتصاد الإسلامي، الواقع ورهانات المستقبل، جامعة غرداية، الجزائر، 2011.



الوقف الإسلامي ودوره في التنمية ————— د. عادل بونقاب وأ. هاجر سي ناصر

40. علي بو عمامة، مفهوم التنمية المحلية ومقومات تحسينها، الملتقى الوطني الأول حول تمويل التنمية المحلية في الجزائر واقع وآفاق، معهد العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، المركز الجامعي برج بوعريريج، الجزائر، 2008.

41. فريحة لعاشى، الوقف وتمويل التنمية البشرية على ضوء التجربتين الإسلامية والغربية، الملتقى الدولي الثاني حول المالية الإسلامية، صفاقس، تونس، 2013.

42. لخضر مرغاد وكمال منصوري، التمويل بالوقف: بدائل غير تقليدية مقترنة لتمويل التنمية المحلية، الملتقى الدولي حول سياسات التمويل وأثرها على الاقتصاديات والمؤسسات: دراسة حالة الجزائر والدول النامية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2006.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسطنطينية الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1516-1549 تاريخ النشر: 25-03-2021

واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية The reality of microfinance institutions in Arab economics

د. فريدة موهوب

mouhoub.farida@yahoo.com

جامعة عبد الحميد مهري - قسطنطينة 2

تاريخ القبول: 2020/12/09

تاريخ الإرسال: 2020/04/29

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز وتحديد واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية، باعتباره آلية لمكافحة الفقر بالدرجة الأولى، ودعم التوظيف الذاتي وتمويل المشروعات الصغيرة. من هذا المنطلق، قمنا بعرض واقع تلك المؤسسات وأهم العقبات التي تواجهها، خلال الفترة الأخيرة. تشير نتائج الدراسة إلى أن مساهمة التمويل الأصغر في تنمية الاقتصاديات العربية لا تزال محدودة، نظراً للعديد من التحديات التي يواجهها، والمتمثلة أساساً في تعزيز الشمول المالي، البحث عن قنوات تمويلية حديثة، التحول الرقمي. أما فيما يخص الفرص المتاحة فتحصرها في تبني الإصلاحات المالية والمساهمة الدولية من قبل البنك الدولي بالإضافة إلى المبادرة العربية لصندوق النقد العربي.

الكلمات المفتاحية: مؤسسات التمويل الأصغر، الشمول المالي، الاقتصاديات

العربية.

ABSTRACT:

This study aims to determinate the reality of microfinance institutions in Arab economies, primarily as a mechanism for



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

combating poverty, supporting self-employment and financing small businesses. From this point of view, we have presented the reality of these institutions and the most important obstacles they face during the recent period. The results of the study indicate that the contribution of microfinance is still limited, given the many challenges it faces, mainly in promoting financial inclusion, the search for modern financing channels, and digital transformation. As for the opportunities available, we limit them to the adoption of financial reforms and international contribution by the World Bank as well as the Arab Monetary Fund's Arab Initiative.

Keywords: Microfinance institutions, Financial inclusion, Arab economies.

المقدمة:

تعتبر صناعة التمويل الأصغر بمختلف منتجاتها وآلياتها من أهم المجالات الحديثة للتمويل، حيث يعد التمويل الأصغر أو ما يعرف بالتمويل متناهي الصغر، بمثابة آلية تسمح لفئة الفقراء أو الأشد فقراً للاستفادة من تشكيلة من المنتجات المالية التي لا يمكن أن توفرها لها المؤسسات المالية أو البنوك التقليدية. فضلاً عن ذلك، فإن التمويل الأصغر يرتبط بشكل أساسي بمختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية، من أجل تعزيز الشمول المالي في مختلف الدول بما في ذلك الدول العربية.

وعليه ترجع أهمية هذه الدراسة إلى الاهتمام الكبير الذي توليه الهيئات والمؤسسات الدولية، بالإضافة إلى الحكومات والمؤسسات التمويلية غير البنكية المحلية لدعم وتشييط التمويل الأصغر، لما له من آثار إيجابية والتي تبدو جلياً على مستوى الطبقات الفقيرة في المجتمع خاصة فيما يخص البلدان النامية والغربية منها، من خلال مواجهة الفقر وتوفير التمويل للفئات ذوي الدخل المحدود، وتوفير الشغل والتوظيف



وأقى مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

الذاتي ودعم المشاريع المنتجة. فضلاً عن ذلك، فإن خدمات التمويل الأصغر بمختلف أشكاله، تعمل على تشجيع النشاطات المختلفة وتحسين مستوى الدخل الفردي ومنه فهي تساهم بالدرجة الأولى في التخفيف من الفقر والبطالة وتحسين مستوى المعيشة.

هذا وقد استمر عدد المقترضين والمستفيدين من التمويل الأصغر عبر العالم في الزيادة، بمعدل نمو سنوي متوسط قدره 11.5% خلال الخمس سنوات الأخيرة، حيث بلغ عدد المستفيدين في سنة 2018 حوالي 140 مليون مقترض، 65% منهم نساء و80% من الريف¹. ويعتبر التمويل الأصغر من أهم وأبرز الآليات لمكافحة الفقر، والتي تدفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية خاصة فيما يتعلق بالاقتصاديات النامية والعربية منها. من هذا المنطلق، ستقوم من خلال هذه الدراسة بإبراز تحديد واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية، حيث نفترض بعرض واقع تلك المؤسسات ومختلف نشاطاتها وعملياتها وأهم العقبات التي تواجهها، خلال الفترة الأخيرة. من خلال الاعتماد في هذه الدراسة على الإحصائيات والتقارير المقدمة من طرف بعض الهيئات المهتمة بدعم التمويل الأصغر كمجموعة البنك الدولي وصندوق النقد العربي والمجموعة الاستشارية لمساعدة الفقراء وشبكة التمويل الأصغر للبلدان العربية "سنابل". مع تحديد أهم الفرص والتحديات التي تواجهها مؤسسات التمويل الأصغر العربية وآفاقها المستقبلية.

إشكالية الدراسة: تتمحور إشكالية الدراسة حول التساؤل الرئيسي التالي:

¹ بوابة تنمية الشمول المالي العربية (التمويل الأصغر سابقاً)، 10 سنوات من التمويل الأصغر والشمول المالي، 25 سبتمبر 2019، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 01/04/2020، على الموقع:
<https://www.findevgateway.org/ar>



وأقى مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

فيما يتمثل واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية وفيما تكمن مساهمتها؟

وتندرج تحت هذا التساؤل التساؤلات الفرعية التالية:

- ما المقصود بالتمويل الأصغر، وفيما تمثل أهم مبادئه وآليات عمل مؤسساته؟
- فيما تمثل مساهمة مؤسسات التمويل الأصغر العربية، وما هي أهم العقبات التي تواجهها؟
- فيما تمثل أهم الفرص والتحديات التي تواجهها مؤسسات التمويل الأصغر العربية، وماذا عن آفاقها المستقبلية؟

فرضيات الدراسة: بغرض الإجابة على إشكالية البحث، سنستعين بالفرضيتين

التاليتين:

- تعتبر مساهمة مؤسسات التمويل الأصغر في تنمية الاقتصاديات العربية محدودة؟
- يمثل تطوير الإطار التنظيمي والرقمي بالدرجة الأولى من أبرز وأهم التحديات التي تواجه مؤسسات التمويل الأصغر العربية.

أهداف الدراسة: تتضح أهداف هذا البحث فيما يلي:

- توضيح الإطار العام لما يعرف بالتمويل الأصغر، مع إبراز مبادئه وأهم آلياته ومؤسساته.
- عرض واقع مؤسسات التمويل الأصغر العربية وأهم المشاكل التي تواجهها.
- تقييم دور وجهود مؤسسات التمويل الأصغر العربية من خلال نشاطها.
- حصر الفرص والتحديات التي تواجه عمل مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية.



وأقى مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

منهج البحث: للوصول إلى الأهداف المرجوة من الدراسة والإجابة على التساؤلات المطروحة، اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي من خلال المحور الأول الذي يضم الإطار النظري للتمويل الأصغر، وبالاعتماد على بعض الاحصائيات والتقارير، التي تفينا في التقييم وتحليل الواقع، والمقدمة من طرف بعض الهيئات المهتمة بدعم التمويل الأصغر كمجموعة البنك الدولي وصندوق النقد العربي والمجموعة الاستشارية لمساعدة الفقراء التابعة للبنك الدولي.

هيكل الدراسة: تم تقسيم العمل إلى ثلاثة محاور، المحور الأول يضم الإطار العام للتمويل الأصغر، أما المحور الثاني يتمحور حول واقع مؤسسات التمويل الأصغر العربية والمشاكل التي تواجهها، وبالنسبة للمحور الثالث فيشمل تقييم جهود مؤسسات التمويل الأصغر، من خلال تحديد أهم الفرص والتحديات التي تواجهها لتطوير التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية وآفاقها المستقبلية. وفي الأخير يتم تحليل أهم النتائج المتوصل إليها، وعرض جملة من الاقتراحات.

1. الإطار العام للتمويل الأصغر

يرجع ظهور التمويل الأصغر إلى سبعينيات القرن الماضي في بنغلادش من خلال تأسيس بنك "غرامين - Grameen bank" من طرف محمد يونس، هذا الأخير الذي تحصل على جائزة نوبل للسلام سنة¹ 2006. وقد عرف التمويل الأصغر تطوراً سريعاً خلال التسعينيات، ليتحول من مجال ضيق يقتصر على الاستفادة من القروض المصغرة لدعم المشاريع الصغيرة إلى مفهوم أوسع يضم مجموعة واسعة من الخدمات المالية (التحويلات المالية، التأمينات)، حيث انتشر في الكثير من بلدان العالم بتشجيع من

¹ – Pascal Grandain et Dhafer Saidane, La finance durable, Revue Banque édition, Paris, 2011, p126.



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

المؤسسات الدولية. هذا وتعتبر سنة 2005 السنة الدولية للتمويل متناهي الصغر لما من أهمية دور فعال في مواجهة الفقر، وذلك وفقاً للجمعية العامة للأمم المتحدة.

1.1 تعريف التمويل الأصغر ومبادئه

تعددت التعريفات المتعلقة بالتمويل الأصغر أو المصغر أو التمويل متناهي الصغر أو القرض المصغر، ذلك تبعاً للغرض منه من جهة، وتبعاً لآلية من جهة أخرى، وفيما يلي نقدم بعض تعريفاته وأهم مبادئه:

1.1.1 تعريف التمويل الأصغر

يعرف التمويل المصغر على أنه: "مجموعة الخدمات المقترحة أو المقدمة للأفراد الذين لا يمتلكون القدرة على الحصول على تلك الخدمات من المؤسسات المالية التقليدية"¹.

كما تعرف الشبكة الأوروبية للتمويل المصغر على أنه: "فتح طريق الوصول إلى الخدمات المالية للأفراد المستبعدين الذين تم اقصاؤهم، حيث تهدف القروض المصغرة إلى تمويل وإنشاء وتطوير مشاريع الاستثمار، وتعمل المؤسسات التي تقدم القروض المصغرة في الكثير من الأحيان، على توجيه ورصد المشاريع الصغيرة التي تمويلها، كما تأخذ بالاعتبار المخاطر التي تنتج عن تلك القروض المصغرة، بتطوير ممارسات متكررة للحد من تلك المخاطر المتعلقة بحالات عدم السداد".²

¹- Sébastien Boyer et autres, Le guide de la microfinance, édition d'Organisation, 2006, p17.

²- مصطفى طويطي، ليدية وزاني، "تجربة التمويل الأصغر في الجزائر-دراسة حالة الوكالة الوطنية لتسهيل القرض المصغر ANGEM-", مجلة الدراسات المالية والمحاسبة والإدارية، جامعة أم البوابي، العدد السابع، جوان 2017، ص.83.



وأفع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

وتعرف كذلك منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية التمويل الأصغر على أنه: "تمويل للمشروعات الصغيرة، ليستفيد منها الأشخاص المهمشين، الذين يتطلعون إلى خلق فرص عمل خاصة به، في ظل غياب آفاق مهنية أخرى، والوصول إلى مصادر التمويل التقليدية غير ممكن"¹.

من خلال ما سبق يمكن أن نؤكد على أن التمويل الأصغر هو نوع متخصص من أنواع التمويل، يشمل مفهومه الواسع مجموع الخدمات المالية بما فيها القروض والتحويلات المالية والإدخار وخدمات التأمين، كلها توجه لخدمة الفئات الفقيرة من أجل تمويل مشاريعها المصغرة المنتجة وضمان دخل يؤمن لها معيشتها، بحكم عدم تمكّنها من ذلك في حالة لجوئها للمؤسسات المالية التقليدية، مما يضمن دعم وتعزيز الشمول المالي. أما عن المفهوم الضيق للتمويل الأصغر فيشمل القرض المصغر، والذي يقتصر فقط على ضمان الإقراض المصغر بمبالغ صغيرة للفئات الفقيرة والمحتاجة حتى تتحطى عتبة الفقر.

2.1.1 مبادئ التمويل الأصغر

يتم إجمال أهم المبادئ الأساسية أو أسس التمويل الأصغر والتي تدعم بناحه، وفقا للمجموعة الاستشارية لمساعدة القراء التابعة لمجموعة البنك الدولي والتي أنشئت عام 1995، من خلال النقاط التالية²:

¹- راجح بوعراب، "التمويل الأصغر ودوره في التشغيل في الجزائر خلال الفترة 2005-2015"، مجلة دراسات في الاقتصاد والتجارة والمالية، مخبر الصناعات التقليدية، جامعة الجزائر 3، المجلد 06، العدد 01، 2017، ص 158.

²- سليمان ناصر، عواطف محسن، "القرض الحسن المصغر لتمويل الأسر المنتجة"، مداخلة في الملتقى الدولي الثاني حول: المالية الإسلامية، جامعة صفاقس، تونس، 2013، ص 2.



وأفع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

- حاجة الفقراء إلى مجموعة متنوعة من الخدمات المالية لا تقتصر فقط على القروض، بل تشمل كل من خدمات الادخار والتأمين وتحويلات الأموال؛
- يعتبر التمويل الأصغر كأداة قوية لمكافحة الفقر، بحيث تستخدم الأسر الفقيرة الخدمات المالية لزيادة الدخل وبناء الأصول، وللحماية من الصدمات الخارجية؛
- التمويل الأصغر يعني بناء أنظمة مالية تخدم الفقراء، ولن يتحقق المدف المتضرر منه إلا إذا أدمج النظام المالي الرسمي (أي بناء أنظمة مالية شاملة ومتاحة للجميع)؛
- يغطي التمويل الأصغر تكاليفه، وهو ما يجب أن يكون عليه حتى يتمكن من الوصول لأعداد كبيرة من الفقراء، وحتى تستطيع مؤسسات التمويل الأصغر القيام والاستمرار في مهامها ينبغي عليها فرض رسوماً كافية لتغطية تكاليفها؛
- يعتبر إنشاء مؤسسات مالية محلية مستدامة الغرض الأساسي للتمويل الأصغر، حيث يمكنها جذب الادخار المحلي وإعادة استثماره في شكل قروض أو خدمات مالية أخرى؛
- يمثل تحديد سقف لسعر الفائدة إشكالاً للفقراء مما يجعل من الصعب عليهم الحصول على الائتمان، كما يمنع ذلك مؤسسات التمويل المصغر من تغطية تكاليفها واستدامة تقديم خدماتها للفقراء؛
- تتدخل الحكومة بصورة غير مباشرة، لإيجاد بيئة مناسبة لتطوير صناعة التمويل الأصغر، من خلال التنظيم والإشراف للمساعدة وتسهيل تقديم الخدمات المالية؛
- يتم الدعم المقدم والمبادرات من طرف الجهات المترعة مكملاً لرأس المال الخاص، كما يجب أن يكون مؤقتاً، وأن يعمل على مساعدة ودفع مؤسسات التمويل الأصغر للحصول على مصادر تمويلية أخرى؛



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

- يعتبر التمويل الأصغر من الميادين المتخصصة، فبداية من المؤسسات المالية للهيئات التنظيمية وجهات الإشراف وأنظمة المعلومات، هيئات التنمية الحكومية والهيئات المانحة، يجب تركيز معظم الاستثمارات في هذا القطاع على بناء القدرات من خلال المؤسسات القوية والمدراء والمسيرين الأكفاء؛

- يعمل التمويل الأصغر بشكل أفضل عند قياس الأداء والإفصاح عنه، بحيث لا تكون التقارير المعدة لصالح الأطراف المعنية ببرنامج التمويل الأصغر للحكم على الأداء من خلال التكاليف والمنافع، بل يجب أن تعمل على تحسين الأداء وإجراء عمليات المقارنة بينها؛

- لا يتعين على مؤسسة التمويل الأصغر أن تخترار بين مهمتها الاجتماعية وأهدافها المالية، حيث تعتبر كلاً منها منكاملتان، فمن خلال الاستدامة تستطيع مؤسسات التمويل الأصغر الحصول على الأموال التي تمكنها من خدمة العديد من الفقراء، حيث يتوقف ذلك على مدى ما تجلبه لزبائن التمويل الأصغر من منافع¹.

2.1 آليات التمويل الأصغر ومؤسساته

تقدم مؤسسات التمويل الأصغر خدمات عديدة لأعداد كبيرة من العملاء وفقاً لعدة آليات، حيث تتمتع بحصة مهمة من الأصول المالية العائدة للفقراء، وحسب تقرير للمجموعة الاستشارية لمساعدة الفقراء لسنة 2000، فقد بلغ عدد المستفيدن من

¹ - ريم بونواله، "الموازنة بين الأداءين المالي والاجتماعي في إطار الحكومة الفعالة-دراسة تطبيقية على عينة من مؤسسات التمويل الأصغر العربية-", مجلة أبحاث ودراسات التنمية، العدد الثالث، مختبر الدراسات والبحوث في التنمية الريفية، جامعة برج بوعريريج، ديسمبر 2015، ص 77.



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

مؤسسات التمويل الأصغر 12.5 مليون شخص¹. ليستمر العدد في الزيادة حيث بلغ عدد المستفيدين عبر العالم في سنة 2018 حوالي 140 مليون مفترض.

1-2-1-آليات التمويل الأصغر

تعمل مؤسسات التمويل الأصغر على تقديم خدمات عديدة لأعداد كبيرة من العملاء وفقاً لعدة آليات يمكن عرض أهمها فيما يلي²:

- الإقراض، ويعتبر كأهم آلية تعتمد عليها مؤسسات التمويل الأصغر والتي تعزز نجاحها من خلال قدرتها على دمج أسس نجاح مؤسسات القطاع غير الرسمي (مقرضي الأموال) ضمن مؤسسات القطاع غير الرسمي. وتمثل أساساً في كل من المرونة، سرعة اللووج إلى الأموال، استمرارية الخدمات، الضمانات البديلة والشروط الواضحة والسهلة؛

- الادخار والتوفير، حيث هناك العديد من الأفراد الذين هم في حاجة إلى التوفير بدلاً من اقتناص الأصول الأكثر خطورة أو إبقاء أموالهم في المترهل. ويشمل الادخار والتوفير نوعين من حسابات التوفير منها الطوعي والإلزامي، فالنسبة للمدخرات الطوعية فهي تقابل خدمات التوفير المقابلة المقدمة من طرف البنوك التجارية التقليدية، بينما المدخرات الإلزامية فهي تستخدم كضمادات للقروض. وليس بالضرورة أن تقدم

¹ دانيال س. هاردي وآخرون، مؤسسات التمويل الأصغر والسياسة العامة، ورقة صندوق النقد الدولي، سبتمبر 2002، ص 4. تم الاطلاع عليه بتاريخ: 02/04/2020، على الموقع:

https://www.microfinancegateway.org/sites/default/files/mfg-ar-microfinance-institutions-and-public-policy-24586_0.pdf

² ماركو إليا، التمويل متناهي الصغر: نصوص وحالات دراسية، ترجمة فادي قطان، جامعة تورينو، إيطاليا، 2006، ص ص 33-38. تم الاطلاع عليه بتاريخ: 02/04/2020، على الموقع:
<http://www.saa.unito.it/media>



وأفع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

هذه الحسابات أية عوائد على الودائع بل يتم الاحتفاظ بها في المؤسسة حتى يتم الوفاء بالقرض؟

- التأمين، يعتبر من الخدمات المالية التي أضافتها مؤسسات التمويل الأصغر إلى محفظتها استجابة إلى حاجة أصحاب المشاريع ذوي الدخل المتدين للحماية من المخاطر الخاصة بهم، حيث يشمل التأمين الصحي وتأمين الماشي والمحاصيل والحوادث والفيضانات، مما يؤدي إلى تقليل تلك المخاطر ذات قيمة عالية بالنسبة لهم. ذلك ما يجعل من مؤسسات التمويل الأصغر مؤسسات خدمات مالية متكاملة، ويتم ذلك بطلب ترخيص خاص، وتقدم الخدمة مباشرة أو من خلال الشراكة مع شركة تأمين وهي الطريقة الأكثر شيوعاً؛

- التحويلات المالية، تعتبر من الآليات أو الخدمات المالية الحساسة، حيث أن هناك تزايد متتسارع في تحويل الأموال من المهاجرين إلى أقاربهم وعادة ما تتم إدارته بشكل غير رسمي وبتكليف ومخاطر عالية. ويمكن تقسيم هذه الخدمة مباشرة أو من خلال الشراكة مع شركات تحويل الأموال، بالاعتماد على التشريعات المحلية من جهة، والتكلفة من جهة أخرى. وعليه فإن مؤسسات التمويل الأصغر تتمتع بميزة تنافسية بسبب علاقتها مع عملائها إضافة إلى إمكانية ربط هذه الخدمة بالخدمات الأخرى المقدمة.

2-2-1 مؤسسات التمويل الأصغر

تلعب مؤسسات التمويل الأصغر دوراً ملحوظاً في تطور القطاع المالي، حيث حظيت باهتمام ودعم من المنظمات غير الحكومية الأجنبية ومن بنوك التنمية متعددة



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

الأطراف ومن الحكومات. ويمكن تصنيف هذه المؤسسات وفقاً لعدة معايير حسب النظام القانوني القائم في كل بلد كما يلي¹:

- مؤسسات التمويل الأصغر المتخصصة، تعتبر بمثابة مؤسسات مالية غير بنكية مرخصة رسمياً وهي غير حكومية، تتركز على أساليب فنية ناجحة في منح القروض الصغيرة دون ضمانات؛

- مؤسسات التمويل الأصغر التابعة للبنوك التجارية، وهي عبارة عن برامح أو إدارات متخصصة للقروض الصغيرة بالإضافة إلى عمليات البنك التجاري التقليدية؛

- التعاونيات المالية، وتشمل مؤسسات الادخار والإفراض التي يملكها أعضاؤها، حيث تكون صغيرة نسبياً وتركز على المدخرات أكثر؛

- البنوك الريفية أو ذات رأس المال المنخفض، وهي عبارة عن هيئات وساطة غير رسمية وملوكة محلياً. يمكن أن تكون ملكاً للأفراد أو لجموعات من الحكومات المحلية والإقليمية؛

- البنوك الزراعية والإئمائية التابعة للدولة، تصل إلى القطاعات التي لا تخدمها البنوك التجارية، تكون مملوكة للدولة وضخمة غالباً، تركز أكثر على القروض؛

- بنوك التوفير البريدية، حيث تستفيد العديد من الدول من البنية الأساسية البريدية لتقديم خدمات مالية، تركز أساساً على المدخرات والمدفوعات والتحويلات؛

- بنوك التوفير غير البريدية، تشمل المؤسسات العمومية والخاصة تركز أساساً على المدخرات، توجه معظم أموالها إلى قروض استثمارية كبيرة الحجم.

¹ - فتيحة بوهرين، "دراسة مقومات نجاح التمويل الأصغر (دراسة تجريب رائدة)" ، مجلة اقتصاد المال والأعمال، المجلد الثالث، العدد الثاني، جامعة الوادي، ديسمبر 2018، ص 150.



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

بالرغم من اختلاف مؤسسات التمويل الأصغر سواء كانت تابعة للقطاع الرسمي أو غير الرسمي، غير أن انتشارها قد تزايد في الفترة الأخيرة، نظراً للدور الذي يمكن أن يلعبه التمويل الأصغر وبالتحديد القروض المصغرة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، خاصة على مستوى الاقتصاديات النامية والعربية منها (اقتصاديات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا)، كما تجدر الإشارة أن مؤسسات التمويل الأصغر غير الحكومية مثل الشكل السائد في هذه الدول، حيث تجاوز عددها نسبة 70% من إجمالي مؤسسات التمويل الأصغر العربية في سنة 2010¹.

لكن يبقى العدد المطلق لمؤسسات التمويل الأصغر القابلة للاستمرارية ضئيلاً بالنسبة للعملاء المحتملين. وعليه، تسعى الحكومات ومؤسسات التمويل الدولية وبعض المنظمات الخاصة إلى توسيع نطاق خدمات التمويل الأصغر بغض النظر دعم الشمول المالي، من خلال وضع آليات مالية للمؤسسات لتوجيه الموارد المالية لمؤسسات التمويل الأصغر التي تتعامل مع الأفراد، وهذا ما يعرف بالمؤسسات الرئيسية، وبنوئك من الدرجة الثانية وصناديق محلية².

2. واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية والعقبات التي

تواجدها

¹ - التقرير السنوي لصندوق النقد العربي 2011، فرص وتحديات النفاذ إلى الخدمات المالية والمصرفية والتمويل في الدول العربية، ص 225 تم الاطلاع عليه بتاريخ: 08/04/2020، على الموقع:
<https://www.amf.org.ae/>

² - المجموعة الاستشارية لمساعدة الفقراء CGAP، برنامج التمويل الأصغر (دراسة عرضية لمؤسسات التمويل الأصغر)، جانفي 2002، ص 2. تم الاطلاع عليه بتاريخ: 10/04/2020، على الموقع:
<https://www.cgap.org/sites/default/files/CGAP-Occasional-Paper-Apex-Institutions-in-Microfinance-Jan-2002-Arabic.pdf>



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

يرجع ظهور التمويل الأصغر على مستوى البلدان العربية إلى التسعينيات من القرن الماضي، بتجربة القروض المصغرة حيث تأسس البنك الوطني لتمويل المشروعات الصغيرة في عمان (الأردن)، وبنك الأمل في اليمن كأول بنك عربي للتمويل الأصغر وبنك الإبداع في البحرين، ومؤسسة الأمل في مصر، لتنتشر بشكل أوسع وتشمل العديد من بنوك الفقراء وغيرها من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في المغرب وتونس والجزائر ولبنان والعراق وفلسطين ودول عربية مختلفة.

وبحسب تقرير صندوق النقد العربي لسنة 2009، يتضح أن الوطن العربي يعد من أقل الأقاليم اعتماداً على آلية القروض المصغرة وقصيرة الأجل في مجال مكافحة الفقر، مع عدم الشمولية للخدمات المالية الأخرى¹، حيث بلغت نسبة التمويل الأصغر 0.5% من إجمالي القروض الممنوحة سنة 2010. وبالاعتماد على التقرير الإقليمي العربي للتمويل المصغر لنفس السنة، والصادر عن "شبكة التمويل الأصغر للبلدان العربية-سنابل-", فقد وصل الانتشار الإجمالي لمؤسسات التمويل الأصغر العربية إلى 502 مؤسسة تتجاوز 3 ملايين مفترض بمحفظة إجمالية بلغت 1.59 بليون دولار أمريكي².

وببناء على ذلك، ومن خلال هذا العنصر سنقوم بتحليل واقع تلك المؤسسات في الفترة الأخيرة وتحديد أهم العقبات التي تواجهها.

¹ - اللجنة العربية للرقابة المصرفية، التمويل الأصغر ودور البنوك المركزية في الرقابة والإشراف عليه، صندوق النقد العربي، أبو ظبي، 2009، ص 25. تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2020/04/10، على الموقع: <https://www.amf.org.ae/sites/default/files/econ/amdb/%5Bvocab%5D/%5Bterm%5D/AI%20Tawmil%20Book.pdf>

² - مغني ناصر، "القرض المصغر كاستراتيجية لخلق مناصب شغل في الجزائر"، الملتقى الدولي حول: استراتيجية الحكومة في القضاء على البطالة وتحقيق التنمية المستدامة، جامعة محمد بوضياف المسيلة، يومي 15 و 16 نوفمبر 2011، ص 2.



وأقى مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

1.2 إنجازات مؤسسات التمويل الأصغر العربية فيما يخص عمليات الإقراض

ومصادر التمويل

وفقا للتقرير السنوي للاستقرار المالي في الدول العربية لسنة 2019، ومن خلال التقرير السنوي لصندوق النقد العربي، بالإضافة إلى بيانات وتقارير الجماعة الاستشارية لمساعدة الفقراء وببوابة الشمول المالي (بوابة التمويل الأصغر سابقاً على شبكة الانترنت¹)، يمكننا حصر إنجازات مؤسسات التمويل الأصغر العربية في كل من عمليات الإقراض ومصادر التمويل خلال الفترة الأخيرة وتحديداً الفترة (2016-2018):

2-1-1-2- عمليات إقراض مؤسسات التمويل الأصغر العربية

لقد قارب حجم موجودات التمويل الأصغر في الدول العربية 2 مليار دولار أمريكي، كما سجل العدد الإجمالي للمقترضين في سنة 2018 نسبة زيادة بـ 9.5% ليبلغ 2.5 مليون عميل من إجمالي 29 مؤسسة تمويل أصغر عربية قدمت بياناتها لسوق ميكس (MIX) للبيانات، منهم 60% نساء و47% من الريف².

ولقد بلغ حجم محفظة القروض المقدمة من مؤسسات التمويل الأصغر في نهاية 2018 حوالي 1.94 مليار دولار أمريكي، مقابل 1.69 مليار دولار في نهاية 2017، أي معدل نمو بلغ 14.8%. الأمر الذي يعكس التطور الواضح لهذا القطاع ويعزز من دوره في دعم الشمول المالي في المنطقة العربية. والشكليين الموالين يوضحان لنا تطور محفظة القروض ومتوسط حجم القرض / العميل لدى مؤسسات التمويل الأصغر العربية:

¹- على الموقع: <https://www.findevgateway.org/ar>

²- بوابة تنمية الشمول المالي العربية (التمويل الأصغر سابقاً)، 10 سنوات من التمويل الأصغر والشمول المالي، 25 سبتمبر 2019، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2020/04/01، على الموقع: <https://www.findevgateway.org/ar>



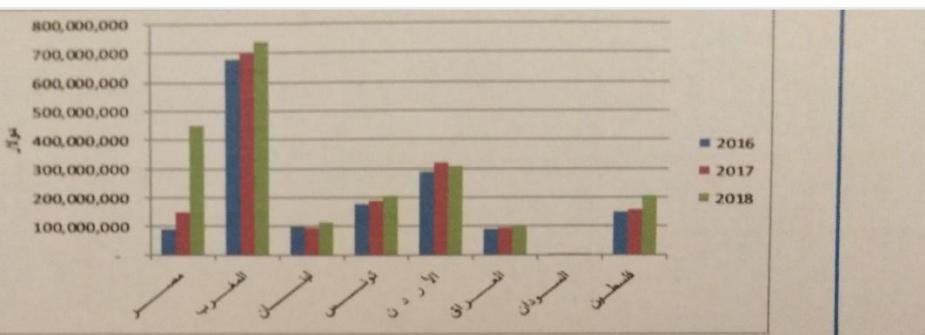
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسطنطينية الجزائر

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

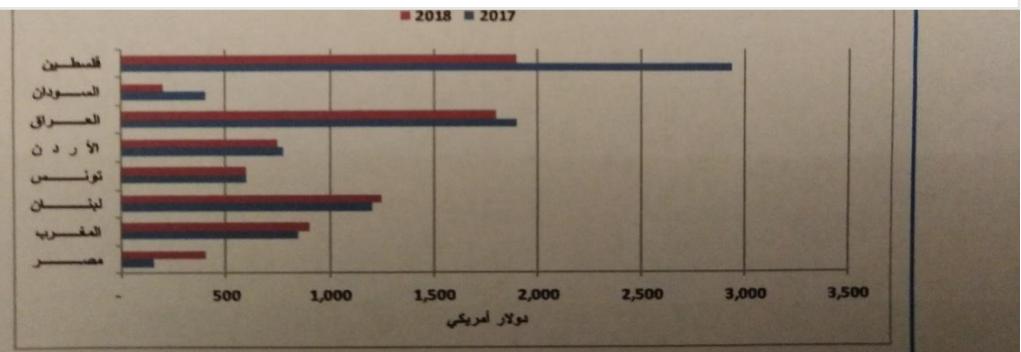
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1516-1549 تاريخ النشر: 25-03-2021

وأفع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

شكل رقم 01: تطور محفظة القروض لدى مؤسسات التمويل الأصغر في الدول العربية خلال (2016-2018)



شكل رقم 02: متوسط حجم القرض/عميل لدى مؤسسات التمويل الأصغر في الدول العربية خلال (2016-2018)



المصدر: التقرير السنوي للاستقرار المالي في الدول العربية لسنة 2019، ص76. تم

الاطلاع عليه بتاريخ: 2020/04/22، على الموقع: <https://www.amf.org.ae>

من خلال الشكل رقم 01، يتبيّن لنا احتلال مؤسسات التمويل الأصغر المغربية المرتبة الأولى بمحفظة قروض بلغت 737 مليون دولار أمريكي، تليها الأردن بمحفظة قروض بلغت 450 مليون دولار أمريكي.



وأقى مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

وقد بلغ متوسط حجم القرض كما هو مبين في الشكل رقم 02، 975 دولار/عميل، علماً أن أعلى متوسط لحجم القرض المنوح كان لمؤسسات التمويل الأصغر الفلسطينية.

تجدر الإشارة إلى أن جميع مؤسسات التمويل الأصغر العربية، كان لها معدل شطب الديون المعدومة أقل من 1%， بالإضافة إلى أن نسبة محفظة القروض الخطرة لأكثر من 30 يوم قد بلغت 3.1% في نهاية 2018. مما يبين الجودة العالمية لمحفظة القروض، وكفاءة مؤسسات التمويل الأصغر في تقييم العملاء قبل منحهم القرض. وعليه فإن مخاطر التمويل الأصغر على الاستقرار المالي منخفضة وغير مقلقة، خصوصاً أن قطاع التمويل الأصغر في الدول العربية لا زال صغير الحجم. فضلاً عن ذلك، فإن مؤسسات التمويل الأصغر العربية حققت عوائد جيدة، إذ بلغ كل من متوسط معدل العائد على الأصول ومعدل العائد على حقوق الملكية 5.9% و 13% على التوالي مع نهاية 2018، مما يشير إلى كفاءة عملية منح القروض وقدرتها على المحافظة على الأصول وتنميتها من خلال تحقيق عوائد مناسبة عليها، مع ضمان فاعليتها في استخدام رأس المال¹.

وف فيما يلي الشكل التوضيحي الذي يبين إجمالي عدد العملاء النشطين في مؤسسات التمويل الأصغر العربية:

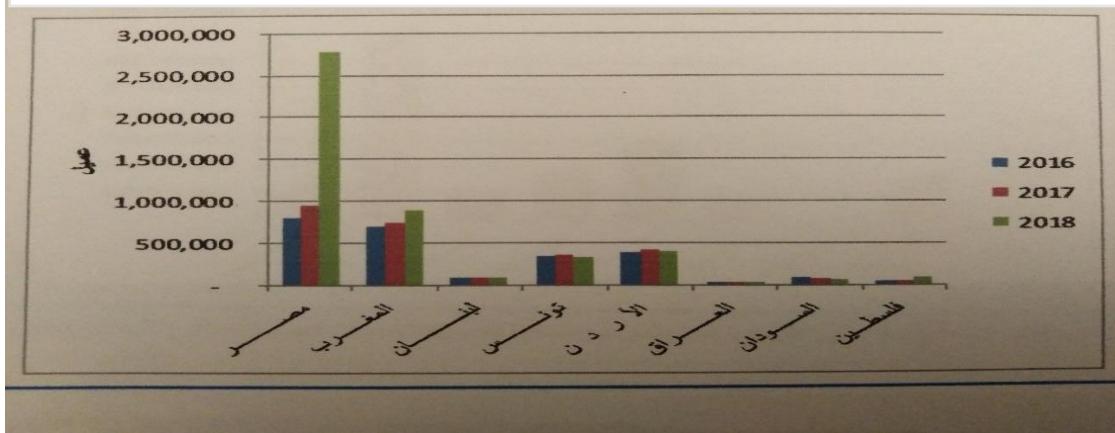
¹- التقرير السنوي للاستقرار المالي في الدول العربية لسنة 2019، ص 77. تم الاطلاع عليه بتاريخ:

2020/04/22، على الموقع: <https://www.amf.org.ae>



وافع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

شكل رقم 03: عدد العملاء النشطين في مؤسسات التمويل الأصغر في الدول العربية خلال (2016-2018)



المصدر: التقرير السنوي للاستقرار المالي في الدول العربية لسنة 2019، ص 77. تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2020/04/22، على الموقع: <https://www.amf.org.ae>

فيما يتعلق بعدد العملاء النشطين في مؤسسات التمويل الأصغر العربية، حسب الجدول المبين أعلاه، فقد بلغ 4,4441 ألف عميل خلال سنة 2018 مقابل 2,737 ألف عميل خلال سنة 2017، وقد احتلت مؤسسات التمويل الأصغر المصرية المرتبة الأولى بعدد عملاء نشطين بلغ 2,781 ألف عميل خلال سنة 2018 تليها مؤسسات التمويل الأصغر المغربية بعدد عملاء نشطين بلغ 890 ألف عميل.

مما سبق، يمكن القول أن الفجوة تبقى معتبرة بين كل من العرض والطلب على التمويل الأصغر من طرف العملاء. نظراً لحداثة تجربة التمويل الأصغر بالبلدان العربية، فلا يزال قطاع التمويل الأصغر فيها صغير الحجم، مما يجعل من مساهمة مؤسسات التمويل الأصغر محدودة في تنمية الاقتصاديات العربية. رغم تفاوت المعدلات والمؤشرات التي تخص التمويل الأصغر من بلد لآخر. كما تجدر الإشارة إلى عدم إمكانية الحصول



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

على كل البيانات المتعلقة بكل الدول العربية مجتمعة في تقرير موحد، نظراً لكون العديد من البلدان لا تلتزم بتقديم بياناتها وتقاريرها إلى منصة ميكس (MIX) للبيانات، للإفصاح عن مؤشراتها مما يؤدي إلى انقطاع في المعايير القياسية اللازمة للتحليل والمقارنة.

2-1-2- مصادر تمويل مؤسسات التمويل الأصغر العربية

بالاعتماد على التقرير السنوي لصندوق النقد العربي لسنة 2011، حول فرص وتحديات النفاذ إلى الخدمات المالية والمصرفية والتمويل في الدول العربية، يمكن التطرق بصفة عامة إلى أهم مصادر التمويل التي تعتمد عليها مؤسسات التمويل الأصغر العربية، كما يلي¹:

- حقوق الملكية، وهي غالباً من مصادر خيرية وتمثل المصدر الرئيسي للتمويل بحكم أن النسبة الأكبر من مؤسسات التمويل الأصغر العربية عبارة عن منظمات غير حكومية، تعمل بأسس غير ربحية، وتهدف إلى تحقيق أهداف اجتماعية بالدرجة الأولى. كما أن النظم المالية والتنظيمية في بعض الدول العربية لا تسمح بالاقتراض أو باستقطاب الودائع ووسائل الادخار الأخرى؛

- الاقتراض، حيث بلغت نسبته إلى حقوق الملكية 160% سنة 2010، وهي نسبة تقل بكثير عن النسب المسجلة للمجموعات الإقليمية الأخرى.

- الودائع، وتعتبر مصدراً ثانياً حيث تقل نسبة الودائع إلى القروض المصغرة بكثير عن النسب المناظرة لها في المجموعات الإقليمية الأخرى. غير أن هذه النسبة تؤول إلى الارتفاع تدريجياً خصوصاً في عدد من الدول العربية كالسودان ومصر وسوريا واليمن؛

¹ - التقرير السنوي لصندوق النقد العربي 2011، مرجع سابق، ص 226.



وأفع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

- التمويل الخارجي، خصوصا من مختلف الجهات المانحة والمستثمرة، ويعتبر ضئيلا مقارنة بالمجموعات الإقليمية الأخرى. حيث حصلت الدول العربية على تعهدات تمويل خارجية بنسبة 4% من إجمالي التعهدات لصالح التمويل الأصغر على مستوى العالم وباللغة 14.7 مليار دولار في نهاية 2010.

2.2 العقبات التي تواجه مؤسسات التمويل الأصغر العربية

يعتبر كل من تدني مستويات الشمول المالي وانخفاض أعداد المتعاملين مع البنوك في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من العوامل الأساسية التي تؤدي إلى تضييق سبل الحصول الكبير من ذوي الدخل الضعيف على أي نوع من الخدمات المالية، خاصة فيما يتعلق بفئة النساء والشباب، في إطار الاستفادة من مزايا مؤسسات التمويل الأصغر. فضلا عن ذلك، فإن مؤسسات التمويل الأصغر العربية تواجه العديد من المشاكل، والتي تشمل عدّة جوانب أهمها:

2-1- من حيث الجانب التنظيمي والرقابي

يواجه قطاع التمويل الأصغر مشاكل تنظيمية ورقابية، تتمثل في غياب سلطة مالية معينة تقوم بالرقابة والإشراف على تنظيم التمويل الأصغر كالبنك المركزي أو أي جهة مالية مستقلة عنه، أو أن تكون هذه الجهة غير مالية مثل وزارة الشؤون الاجتماعية أو التخطيط. كما أن أغلب مؤسسات التمويل الأصغر العربية غير حكومية، في غياب تصنيف مالي وقانوني محدد لها.

فضلا عن ذلك، تعاني تلك المؤسسات من ضعف البنية الأساسية الداعمة لنشاطاتها، فيما يخص النظم المعلوماتية المتطرفة، مما يقلل من الشفافية ويقيد من قدرة المؤسسات على تعبئة الموارد المالية الالزامـة من خلال جلب الودائع أو الاقتراض¹.

¹ - التقرير السنوي لصندوق النقد العربي 2011، مرجع سابق، ص 228.



وأفع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

2-2-2- من حيث الشمول المالي

حسب مؤشر الشمول المالي العالمي لسنة 2011، تضم المنطقة العربية أقل نسب مئوية من البالغين من لديهم حسابات بنكية رسمية، حيث تبلغ النسبة 18%， كما تمثل نسبة الفقراء الذين يمكنهم الحصول على الخدمات المالية الرسمية نسبة 69%. ويشير تقرير حول المساواة بين الجنسين لعام 2013 في المنطقة، أن 3/4 من النساء اللواتي بلغن سن العمل لا يشاركن في القوى العاملة ويشكلن ما بين 80% إلى 90% من سكان المنطقة النشيطين.

ويوضح التقرير الذي أصدره البنك الدولي عن القطاع المالي في المنطقة العربية لسنة 2013، أن قطاع التمويل الأصغر فيها لا يزال صغيراً، فحسابات الائتمان الأصغر لا تشكل سوى 0.2% من إجمالي الناتج المحلي للمنطقة، كما يصل الإقراض من قبل مقدمي التمويل الأصغر إلى 1.8% من السكان البالغين فقط، وهو ما يمثل نصف المعدلات السائدة في مناطق جنوب آسيا وأمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي. وحتى في المغرب، الذي حقق أعلى معدلات النجاح في تطوير هذا النشاط، قلما تجاوزت القروض المصغرة نسبة 1% من إجمالي الائتمان المقدم من طرف البنوك¹. وعليه، فالملاحظ أن مستويات الشمول المالي في الدول العربية رغم تفاوتها من دولة لأخرى فهي تعكس بالدرجة الأولى على دور مؤسسات التمويل الأصغر في تنمية الاقتصاديات العربية.

2-2-3 عقبات أخرى من حيث طبيعة عمل مؤسسات التمويل الأصغر

¹ - بيتر ماكوناغي، دعم التمويل الأصغر في العالم العربي، مدونات البنك الدولي، 29/08/2013، ص 01. تم الاطلاع عليه بتاريخ: 20/04/2020، على الموقع:
<https://blogs.worldbank.org/ar/arabvoices/boost-microfinance-arab-world>



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

- نقص اللوائح التي تدعم النمو القوي لمؤسسات التمويل الأصغر؛
- عجز مؤسسات التمويل الأصغر عن قبول الإيداعات في العديد من أسواق المنطقة؛
- تردي الهيكل الأساسي للخدمات المالية لمؤسسات التمويل الأصغر؛
- انخفاض مستويات المعرفة المالية بين المستفيدين المحتملين.

3. نتائج تقييم جهود مؤسسات التمويل الأصغر العربية من حيث الفرص والتحديات

تواجده مؤسسات التمويل الأصغر جملة من التحديات يجب عليها أخذها بعين الاعتبار لضمان استمراريتها، كما أن العديد من الفرص المتمثلة في المساهمات والمبادرات الدولية والحكومية، أصبحت متاحة من أجل تعزيز قدرة مؤسسات التمويل الأصغر العربية على تقديم خدمات فعالة لذوي الدخل المنخفض.

1.3 الفرص المتاحة لمؤسسات التمويل الأصغر العربية

يمكن التعرض إلى أهم الفرص التي تتاح لمؤسسات التمويل الأصغر، سواء من خلال الاستفادة من تجرب دول المنطقة أو غيرها والتي تعتبر رائدة في هذا المجال، أو من خلال مساهمات دولية أو عربية لدعم التمويل الأصغر، والتي نوردها كما يلي:

1.1.3 مشروع البنك الدولي من أجل دعم التمويل الأصغر في الدول العربية

يسعى البنك الدولي بمختلف مؤسساته إلى دعم التمويل الأصغر وتعزيز الشمول المالي في العالم ومكافحة الفقر، من خلال مؤسسة التنمية الدولية ومؤسسة التمويل الدولية والمجموعة الاستشارية لمساعدة الفقراء.

ولقد أطلق البنك الدولي عدة مشاريع للتصدي للعقبات التي تواجه توسيع أنشطة التمويل الأصغر في المنطقة العربية. نذكر من بينها، على سبيل المثال لا الحصر، مشروع



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

لتشجيع التمويل الأصغر ما بين النساء والشباب يتم تمويله من قبل الصندوق الاستثماري المتعدد المانحين للمنطقة، من خلال دراسة عن مدى الطلب غير المعن في كل من مصر والمغرب وتونس¹.

2.1.3 المساهمة العربية من أجل دعم التمويل الأصغر

في إطار العمل العربي المشترك لدعم وتطوير قطاع التمويل الأصغر، من خلال إتاحة الفرص لمؤسسات الضمان فعاليتها واستمراريتها، تمثلت المساهمة العربية فيما يلي:

- مساهمة القمة الاقتصادية والاجتماعية العربية، التي انعقدت في جانفي 2009، حيث أقرت إنشاء حساب خاص من أجل توفير الموارد المالية الالزامية لتمويل ودعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة في الدول العربية وفقاً لأسس تنمية استثمارية، واسناد مهام إدارة هذا الحساب إلى الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، والذي بدوره يسعى إلى تقسيم العون الفني والاستشاري المناسبين، حيث ساهم في التمويل المباشر وغير المباشر من طرف مؤسسات وسيطة بمنح قروض وخطوط ائتمان والمساهمة في رأس المال والإجارة والرائحة والضمان².

- مساهمة صندوق النقد العربي في تعزيز الشمول المالي ودعم التمويل الأصغر، حيث يقوم هذا الأخير بالعديد من الجهود في إطار مبادرة تعزيز الشمول المالي في الدول العربية، والتي يتبعها ويتولى أمانتها الفنية منذ اطلاقها في سنة 2018. في هذا السياق، قام الصندوق خلال عام 2019، بإنجاز "نموذج المسوحات الإحصائية لجانب الطلب على الخدمات المالية لقطاع المشروعات متناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة"، بالتعاون مع فريق العمل الإقليمي لتعزيز الشمول المالي في الدول العربية، والوكالة الألمانية للتنمية

¹ - بيتر ماكوناغي، مرجع سابق، ص 01.

² - التقرير السنوي لصندوق النقد العربي 2011، مرجع سابق، ص 227.



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

(جاييكا)، بالإضافة إلى إصدار كتاب "الشمول المالي في الدول العربية: الجهود والسياسات والتجارب"، والذي يهتم بالدرجة الأولى بسبل الارتفاع بمؤشرات الشمول المالي في المنطقة العربية¹.

3.1.3 الإطار القانوني والتنظيمي للتمويل الأصغر والإصلاحات المالية

لتقليل من الصعوبات والعقبات التي تواجه العديد من مؤسسات التمويل الأصغر العربية، قامت العديد من الدول العربية خلال السنوات الأخيرة بتبني وتطبيق إصلاحات مالية مختلفة. وفيما يلي بعض نماذج الإصلاح لدول عربية موضحة في الجدول المولى:

جدول رقم 01: بعض نماذج الإصلاح لدول عربية في قطاع التمويل الأصغر

الدولة	الإصلاحات
المغرب	- 1999: استحداث قانون خاص بتنظيم التمويل الأصغر؛ - 2008: تطوير خطة مواجهة المشاكل المترتبة عن القطاع؛ - 2009: اجراء استطلاع لتقييم القطاع وترقيته، وتحويل مؤسسات التمويل الأصغر ذات التقليل في السوق إلى شركات تجارية؛ - الاستحواذ على أكبر مؤسسة تمويل متناهي الصغر (زاكور) من قبل Fondation Banque Populaire Micro-crédit، وهي أول حالة استحواذ في المنطقة العربية.
مصر	-استحداث مشروع قانون لترخيص وتنظيم المؤسسات المالية غير

¹ - التقرير السنوي لصندوق النقد العربي لسنة 2019، ص26. تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2020/04/22 على الموقع:

<https://www.amf.org.ae/sites/default/files/econ/annual%20reports/2019/en/AMF%20Annual%20Report%202019%20Arabic%20%20Electronic%20.pdf>



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

<p>المصرفية يسمح لسلطة الرقابة المالية المصرية بتنظيم ورقابة مؤسسات التمويل الأصغر؛</p> <ul style="list-style-type: none">- إنشاء شركات التمويل الأصغر (MFCS)؛- وضع قوانين خاصة بالتمويل الأصغر في الإطار القانوني العام، الذي يحكم النشاطات غير المصرفية؛- 2011: إصدار مسودة مشروع قانون لشركات التمويل الأصغر.	
<p>العراق</p> <ul style="list-style-type: none">- إصدار قوانين تنظيمية تسمح لمؤسسات التمويل الأصغر بالتحول إلى مؤسسات مالية غير مصرفية في شكل شركات تمويل للمشاريع المتوسطة والصغيرة؛- يكون الحد الأدنى المطلوب لرأس المال 850 دولار للشركات المسجلة محدودة المسؤولية 1.7 مليار دولار لشركات المساهمة.	
<p>فلسطين</p> <ul style="list-style-type: none">- صدور قانون مصرفي يخول للسلطة النقدية بالترخيص للمؤسسات ممارسة نشاطها الاقراضية، وتقوم بالرقابة عليها سواء كانت غير حكومية أو حكومية؛- تتولى السلطة النقدية تطوير القوانين والأدوات التي تنظم نشاطات التمويل الأصغر؛- يطالب القانون كل المنظمات غير الحكومية في مجال التمويل الأصغر بالتحول إلى شركات ربحية.	
<p>السودان</p> <ul style="list-style-type: none">- أنشأ البنك المركزي وحدة متخصصة في التمويل الأصغر من أجل ترقية القطاع؛- قامت الوحدة بوضع قوانين لتشجيع القطاع المصرفي على تقديم	



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

التمويل الأصغر؟	
- تخصيص 12% كحد أدنى من محفظة البنوك تقسم مناصفة بين التمويل الأصغر والتمويل ذو البعد الاجتماعي.	

المصدر: من إعداد الباحثة استنادا إلى التقرير السنوي لصندوق النقد العربي 2011

2.2 التحديات التي تواجه مؤسسات التمويل الأصغر العربية

تواجه مؤسسات التمويل الأصغر العربية جملة من التحديات يجب عليها أخذها

بعين الاعتبار، نقوم بحصر أهمها فيما يلي:

تعزيز الشمول المالي، فعلى الرغم من تحسن بعض مؤشرات الشمول المالي ما بين 2011 و 2017 غير أن المنطقة العربية لا تزال من أقل الجمومعات من حيث مستويات الشمول المالي. والذي يستلزم هذا الأخير، تركيز البلدان العربية على توفير عدد من المتطلبات الأساسية، حيث يساهم توفرها في زيادة مستويات إقبال المؤسسات المصرفية والمالية على التوسع في تقديم خدماتها لأكبر عدد من العملاء. من بين أهم هذه المتطلبات وجود نظم للاستعلام الائتماني، تسمح للمؤسسات بتقييم الجدارة الائتمانية للعملاء، مع توفر قوانين للضمانات المادية والعينية لتعزيز قدرة المؤسسات على منح الائتمان، بالإضافة إلى توفر نظم الرهونات والأصول المنقولة من أجل دعم قرارات المؤسسات المالية وزيادة فرص المشروعات المصغرة من الوصول إلى التمويل بضمان حقوق الدائنين بشكل أفضل¹؛

¹ - التقرير السنوي الاقتصادي العربي الموحد لسنة 2019، الشمول المالي في الدول العربية: الواقع والآفاق، ص 213. تم الإطلاع عليه بتاريخ: 24/04/2020، على الموقع:

<https://www.amf.org.ae>



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

- تطوير وإصلاح الإطار التنظيمي والرقابي، لترقية قطاع التمويل الأصغر، وتمكينه من النفاذ إلى شرائح أوسع حيث تتضمن أولويات الإصلاح ترقية الأطر التنظيمية والرقابية الموجودة واستحداث أطر وقوانين جديدة، تنظم عمل مؤسسات التمويل الأصغر وتحدد صفتها القانونية والمالية، وترسي الأسس التجارية والربحية في نشاطات التمويل الأصغر. بالإضافة إلى تكثيف البيئة الملائمة لتسهيل الوصول للتمويل بتحفييف القيود وتحسين شفافية مؤسسات التمويل الأصغر العربية وقدرها المالية؛

- فتح قنوات تمويلية بدائلية كالتمويل الجماعي وإيجاد إطار تشريعي له، بهدف ضمان السيولة لمؤسسات التمويل الأصغر بما يعكس بشكل إيجابي على الشمول المالي. حيث تعمل شركات التمويل الجماعي من خلال منصات الكترونية عبر الانترنت لتتيح لعدد كبير من الأفراد والشركات مساهمات مالية فردية صغيرة على أساس الإقراض أو الاستثمار أو التبرعات، دون وساطة المؤسسات المالية التقليدية كالبنوك ومؤسسات التمويل الأصغر¹. ويعتبر نحو شركات التمويل الجماعي محدوداً جداً في الدول العربية، نظراً للتباين الواضح في توجهات البنوك المركزية ومؤسسات النقد العربية حول ترخيص هذه المؤسسات²؟

- مواكبة التطور الهائل والسريع لتقنيات المعلومات والاتصال والتحول الرقمي، مما يتطلب بنية تقنية ورقمية متقدمة لضمان مستويات مرتفعة من نفاذ الأفراد

¹ - التقرير السنوي للاستقرار المالي في الدول العربية لسنة 2019، مرجع سابق، ص 78.

² - قام بنك السودان المركزي بتخفيض أول شركة تمويل جماعي في سنة 2011، في حين منح مصرف البحرين المركزي أول ترخيص في سنة 2019، أما في الإمارات العربية المتحدة فتم إعداد مشروع نظام متتكامل للتمويل الجماعي، وفي المغرب تمت المصادقة على مشروع قانون التمويل التعاوني في سنة 2019.



وأفع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

والشركات إلى الأنترنت وخدمات الماينف النقال مع ضمان جودتها، وتوفير نظم للدفع الإلكتروني وفقا لتقنيات مالية حديثة، للاستفادة من مزاياها في خفض التكلفة وتوفير الوقت. كل ذلك، من أجل دعم مستويات الشمول المالي في الدول العربية.

الخاتمة

ما تقدم في هذه الدراسة بمحاورها الثلاث يمكن استخلاص جملة من النتائج، نوردها على النحو الآتي:

- يعتبر التمويل الأصغر نوعا متخصصا من أنواع التمويل، يشمل بمفهومه الواسع مجموع الخدمات المالية بما فيها القروض والتحويلات المالية والإدخار وخدمات التأمين، كلها توجه لخدمة الفئات الفقيرة من أجل تمويل مشاريعها المصغرة المنتجة، بحكم عدم تمكنها من ذلك في حالة جلوئها للمؤسسات المالية التقليدية. أما عن المفهوم الضيق للتمويل الأصغر فيشمل القرض المصغر، والذي يقتصر فقط على ضمان الإقراض المصغر ببالغ صغيرة للفئات الفقيرة والمتاجحة حتى تتحطى عتبة الفقر؟

- استمر عدد المقترضين المستفيدين من التمويل الأصغر عبر العالم في الزيادة، بمعدل نمو سنوي متوسط قدره 11.5% خلال الخمس سنوات الأخيرة، حيث بلغ عدد المستفيدين في سنة 2018 حوالي 140 مليون مقترض، 80% منهم نساء و65% من الريف، بينما قارب حجم موجودات التمويل الأصغر في الدول العربية 2 مليار دولار أمريكي، كما سجل العدد الإجمالي للمقترضين في سنة 2018 نسبة زيادة بـ 9.5%؛

- يعتبر كل من تدین مستويات الشمول المالي العربية وانخفاض أعداد المتعاملين مع البنوك، من العوامل الأساسية التي تؤدي إلى تضييق سبل حصول الكثير من ذوي الدخل الضعيف على أي نوع من الخدمات المالية. فعلى الرغم من تحسن بعض مؤشرات الشمول المالي ما بين 2011 و2017 غير أن المنطقة العربية لا تزال من أقل المجموعات من



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

حيث مستويات الشمول المالي. هذه الأخيرة، والتي رغم تفاوتها من دولة لأخرى تعكس بالدرجة الأولى على دور مؤسسات التمويل الأصغر في تنمية الاقتصاديات العربية؟

- هناك فجوة متسعة ما بين كل من طلب المحتاجين للتمويل وعرض مؤسسات التمويل الأصغر العربية، نظراً لحداثة تجربة التمويل الأصغر بالبلدان العربية، فلا يزال قطاع التمويل الأصغر فيها صغير الحجم، مما يجعل من مساهمة مؤسسات التمويل الأصغر محدودة في تنمية الاقتصاديات العربية. رغم ذلك، تبين لنا الجودة العالية لمحفظة قروض مؤسسات التمويل الأصغر العربية، وكفاءتها في تقييم العملاء من الفئات الحاجة، مما يؤكّد صحة فرضية البحث الأولى؛

- تناح مؤسسات التمويل الأصغر العربية العديد من الفرص، سواء من خلال الاستفادة من تجارب دول المنطقة أو غيرها والتي تعتبر رائدة في هذا المجال، أو من خلال مساهمات دولية أو عربية لدعم التمويل الأصغر، والمتمثلة في مساهمة القمة الاقتصادية والاجتماعية العربية بالإضافة إلى مساهمة صندوق النقد العربي في تعزيز الشمول المالي ودعم التمويل الأصغر؛

- تواجه مؤسسات التمويل الأصغر العربية جملة من التحديات تتمثل أهمها في تعزيز الشمول المالي بالمنطقة، الإصلاحات المالية وتطوير الإطار التنظيمي والرقابي، البحث عن قنوات تمويلية حديثة والتطور السريع لتكنولوجيا المعلومات؛ مما ينفي صحة فرضية البحث الثانية.

ما سبق وبناء على النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة، يمكننا تقديم بعض الاقتراحات تتمثل في:



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

- التزام وتقييد مؤسسات التمويل الأصغر العربية بمبادئ التمويل الأصغر والتي تدعم نجاحه، وفقا للمجموعة الاستشارية لمساعدة الفقراء. كما نركز على حتمية التوفيق بين مهمتها الاجتماعية وأهدافها المالية، فمن خلال الاستدامة تستطيع مؤسسات التمويل الأصغر الحصول على الأموال التي تمكّنا من خدمة العديد من الفقراء؛

- ضرورة وضع وتنفيذ استراتيجية واضحة من أجل دعم الشمول المالي وتوفير متطلباته كنظم الاستعلام الائتماني، بما يسمح للوصول للخدمات المالية لأكبر عدد من الأفراد في المنطقة العربية، من خلال التوزيع الأكثر عدالة للفروض الاقتصادية بين فئات المجتمع وتحسين مستوى معيشتهم. كل ذلك يكون بدعم التمويل الأصغر للمشاريع، والذي بدوره يساهم في النمو الاقتصادي وزيادة مستويات التنويع الاقتصادي والإنتاجية وكذلك التنافسية الدولية؛

- العمل على تعزيز الشفافية ودعم قدرة مؤسسات التمويل الأصغر العربية على جلب الموارد المالية والاقتراض، من خلال وضع إطار رقابي وإشرافي ينظم نشاط التمويل الأصغر سواء من قبل البنك المركزي أو من جهة مالية للإشراف تكون مستقلة، خاصة وأن النسبة الأكبر من تلك المؤسسات غير حكومية وهي تفتقر إلى تصنيف مالي وقانوني محمد لها؛

- البحث عن طرق تمويل أخرى لدعم التمويل الأصغر، كشركات التمويل الجماعي والتي بينت التجارب الدولية أهميتها ودورها في توفير السبولة لمؤسسات التمويل الأصغر، وعليه يجب على حكومات الدول العربية العمل من أجل وضع إطار تشريعي لها، يأخذ بعين الاعتبار المخاطر التي يمكن أن تنتجم عنها بحكم كونها منصات الكترونية؛

- العمل على توفير منصة موحدة لجهة مركبة تتم بجمع البيانات المتعلقة بالتمويل الأصغر في المنطقة العربية، من أجل قياس اتجاهات القطاع وتحليلها، بالرغم من



وأفع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

قيام الم هيئات التنظيمية على مستوى كل بلد بجمع ونشر البيانات بشكل دوري. غير أن العديد من البلدان لا تلتزم بتقديم بياناتها وتقاريرها إلى منصة ميكس (MIX) للبيانات، للإفصاح عن مؤشراتها مما يؤدي إلى انقطاع في المعايير القياسية الازمة للتحليل والمقارنة؛
- مواكبة تطورات تكنولوجيا المعلومات والتحول الرقمي فيما يخص التقنيات الحديثة، كتقنيات البيانات الضخمة، من أجل التغلب على مشكلة عدم تماثل المعلومات، والتي تفيد مؤسسات التمويل الأصغر العربية والقطاع المالي بصفة عامة في تلك الدول من توفير التمويل، وتزويذ الأفراد بالخدمات المالية ومن تقييم دقيق لمخاطر الإقراض المصغر؟

- تبني التمويل الأصغر الإسلامي وتطوره مع عرض منتجات إسلامية مبتكرة، من خلال وضع الإطار التنظيمي والقانوني بما يسمح بتمويل المشروعات المصغرة وفقا لأسس الشريعة الإسلامية، في ضوء ارتفاع مستويات الطلب على التمويل الأصغر والذي يتواافق مع الشريعة، وبحكم صدارة الدول العربية في التمويل الإسلامي. بالإضافة إلى الاستفادة من التجارب الناجحة والرائدة في المجال كبنك أمل للتمويل الأصغر باليمن.

أما عن الآفاق المستقبلية لقطاع التمويل الأصغر في المنطقة العربية، فتشمل الرؤية الاستراتيجية ل القطاع في وجود مؤسسات للتمويل الأصغر قادرة على البقاء والاستمرارية والاستدامة، من خلال ضمان تغطية الطلب على خدمات شاملة للتمويل الأصغر ومتاحة لغالبية الفئات الفقيرة ومنخفضة الدخل، بمختلف أنحاء المنطقة العربية، في إطار مؤسسي وتنظيمي مناسب.

المراجع

1. المجلات



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

- رابح بوعراب، "التمويل الأصغر ودوره في التشغيل في الجزائر خلال الفترة 2005-2015"، مجلة دراسات في الاقتصاد والتجارة والمالية، مخبر الصناعات التقليدية، جامعة الجزائر 3، المجلد 06، العدد 01، 2017.

- ريم بونواله، "الموازنة بين الأداءين المالي والاجتماعي في إطار الحكومة الفعالة- دراسة تطبيقية على عينة من مؤسسات التمويل الأصغر العربية-", مجلة أبحاث ودراسات التنمية، العدد الثالث، مخبر الدراسات والبحوث في التنمية الريفية، جامعة برج بوعريريج، ديسمبر 2015.

- فتيحة بوهرين، "دراسة مقومات نجاح التمويل الأصغر (دراسة تجارب رائدة)"، مجلة اقتصاد المال والأعمال، المجلد الثالث، العدد الثاني، جامعة الوادي، ديسمبر 2018.

- مصطفى طويطي، ليدية وزاي، "تجربة التمويل الأصغر في الجزائر-دراسة حالة الوكالة الوطنية لتسهيل القرض المصغر ANGEM-", مجلة الدراسات المالية والمحاسبية والإدارية، العدد السابع، جامعة أم البوقي، جوان 2017.

2. الكتب

- Pascal Grandain et Dhafer Saidane, La finance durable, Revue Banque édition, Paris, 2011.

- Sébastien Boyer et autres, Le guide de la microfinance, édition d'Organisation, 2006

3. الملتقيات

- سليمان ناصر، عواطف محسن، "القرض الحسن المصغر لتمويل الأسر المنتجة"، الملتقى الدولي الثاني حول: المالية الإسلامية، جامعة صفاقس، تونس، 2013.



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

- مغنى ناصر، "القرض المصغر كاستراتيجية لخلق مناصب شغل في الجزائر"، الملتقى الدولي حول: استراتيجية الحكومة في القضاء على البطالة وتحقيق التنمية المستدامة، جامعة محمد بوضياف المسيلة، يومي 15 و16 نوفمبر 2011.

4. الواقع الالكترونية

- التقرير السنوي للاستقرار المالي في الدول العربية لسنة 2019، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2020/04/22، على الموقع: <https://www.amf.org.ae>

- التقرير السنوي لصندوق النقد العربي لسنة 2019، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2020/04/22، على الموقع: <https://www.amf.org.ae>

- التقرير السنوي لصندوق النقد العربي لسنة 2011، فرص وتحديات النهاز إلى الخدمات المالية والمصرفية والتمويل في الدول العربية. تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2020/04/08، على الموقع: <https://www.amf.org.ae>

- التقرير السنوي الاقتصادي العربي الموحد لسنة 2019، الشمول المالي في الدول العربية: الواقع والآفاق، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2020/04/24، على الموقع: <https://www.amf.org.ae>

- اللجنة العربية للرقابة المصرفية، التمويل الأصغر ودور البنوك المركزية في الرقابة والإشراف عليه، صندوق النقد العربي، أبو ظبي، 2009. تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2020/04/10، على الموقع: <https://www.amf.org.ae/sites/default/files/econ/amdb/%5Bvocab%5D/%5Bterm%5D/Al%20Tamil%20Book.pdf>

- المجموعة الاستشارية لمساعدة الفقراء CGAP، برنامج التمويل الأصغر (دراسة عرضية لمؤسسات التمويل الأصغر)، جانفي 2002. تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2020/04/10، على الموقع:



واقع مؤسسات التمويل الأصغر في الاقتصاديات العربية ----- د. فريدة موهوب

<https://www.cgap.org/sites/default/files/CGAP-Occasional-Paper-Apex-Institutions-in-Microfinance-Jan-2002-Arabic.pdf>

- بوابة تنمية الشمول المالي العربية (التمويل الأصغر سابقاً)، 10 سنوات من التمويل الأصغر والشمول المالي، 25 سبتمبر 2019، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2020/04/01، على الموقع: <https://www.findevgateway.org/ar>

- بيتر ماكوناغي، دعم التمويل الأصغر في العالم العربي، مدونات البنك الدولي، 2013/08/29. تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2020/04/20، على الموقع: <https://blogs.worldbank.org/ar/arabvoices/boost-microfinance-arab-world>

- دانيال س. هاردي وآخرون، مؤسسات التمويل الأصغر والسياسة العامة، ورقة صندوق النقد الدولي، سبتمبر 2002. تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2020/04/02، على الموقع: https://www.microfinancegateway.org/sites/default/files/mfg-ar-microfinance-institutions-and-public-policy-24586_0.pdf

- شبكة التمويل الأصغر للبلدان العربية "سانابل" على الموقع: <https://www.sanabelnetwork.org/>

- ماركو إليا، التمويل متناهي الصغر: نصوص وحالات دراسية، ترجمة فادي قطان، جامعة تورينو، إيطاليا، 2006. تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2020/04/02، على الموقع: <http://www.saa.unito.it/meda>



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1550-1586 تاريخ النشر: 25-03-2021

قياس نجاعة البنوك الإسلامية أجرياً في تطبيق الأنشطة التسويقية الإسلامية من وجهة نظر الربائين - دراسة عينة من الربائين بمدينة المسيلة

**Measuring the Algerian Islamic Banks Efficiency in
implementing Islamic marketing activities from the
point of view of customers - Study sample of
customers in msila city**

د. عبد الرزاق براهمي

abderazak.brahimi@univ-msila.dz

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

د. منصف شرفي

moncef.chorfi@univ-constantine2.dz

جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2

تاريخ القبول: 2021/01/27

تاريخ الإرسال: 2020/01/13

الملخص:

تسعى البنوك العالمية جاهدة لاعتماد النظام البنكي الإسلامي لمواجهة الأزمات المالية الدولية، في حين أن الدول الإسلامية والعربية منها على الخصوص ما زالت بعيدة عن الإحساس ب مدى ضرورة تطبيق التسويق البنكي الإسلامي، مع وجود مقومات ملائمة ومساعدة لممارسته في البنوك. المهدف من هذه الدراسة هو معرفة مدى تطبيق التسويق البنكي الإسلامي في البنوك الإسلامية الجزائرية من وجهة نظر الربائين، ومن أجل تحقيق هذا المهدف تمت الدراسة الميدانية بالاعتماد على الاستبيان، وقد أثبتت نتائج



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شري

الدراسة أن البنوك الإسلامية في الجزائر لا تعتمد التسويق البنكي الإسلامي أساساً، وما طبق منه فهو ليس على سبيل القصد وإنما عرضاً، وذلك نظراً للبيئة الإسلامية المحيطة بهذه البنوك.

الكلمات المفتاحية: بنوك إسلامية؛ تسويق إسلامي؛ خدمة بنكية إسلامية؛ زبائن؛ الجزائر.

ABSTRACT:

International banks are striving to adopt the Islamic banking system to face international financial crises, while Islamic and Arab countries in particular are still far from the sense of the need to apply Islamic banking marketing, with the appropriate elements and help to practice in banks. The objective of this study is to know the extent to which the Islamic banking market is applied in Algerian Islamic banks from the point of view of customers. In order to achieve this objective, is study was conducted a field study based on the questionnaire. The results of the study showed that Islamic banks do not rely mainly on Islamic banking marketing. Because of the Islamic environment surrounding the banks.

Keywords: Islamic Banks; Islamic Marketing; Islamic Banking service; Customer; Algeria.

المقدمة:

يحتل التسويق البنكي بصفة عامة، مكانة مهمة في التشكيل الإداري للمؤسسة البنكية، نتيجة لتحمله مسؤولية مواجهة المشاكل التسويقية، التي يتمثل أهمها في افتتاح فروع جديدة للبنك، أو تقديم خدمات بنكية جديدة لربائنه، أو استثمار أمواله في مشروعات معينة، تتطلب إجراء دراسات تسويقية لها. فالبنوك تعد أحد أركان الاقتصاد



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

في كل بلد، كما تمثل ركيزة أساسية في تطوره وازدهاره، لذا أولى الاقتصاديون اهتماماً لهم في بناء قواعدها وأسسها من خلال وضع نظام متكملاً يتماشى ومتطلبات المجتمع.

ويحتل التسويق مكانة ذات أهمية داخل مختلف المؤسسات والمنظمات ذلك أنه أسمهم في نجاح العديد من المشاريع على اختلاف مجالاتها وتحصصاتها مما شغل اهتمام الباحثين. ويعتبر الربون مفتاح العمل البنكي، إذ تسعى البنوك لإشباع رغباته، مستخدمة في ذلك كل الجهود المتاحة والاستراتيجيات الالزمة، إلا أن وظيفة التسويق في البنك توجد بها قواعد حاكمة للعمل البنكي تجعل الزبائن يتنافسون في اختيار البديل الذي يحقق طموحاتهم ورغباتهم المالية وغيرها.

إشكالية الدراسة: من خلال ما تقدم يمكن حصر إشكالية البحث في السؤال التالي: ما مدى ممارسة البنوك الإسلامية الجزائرية للتسويق البنكي الإسلامي من وجهة نظر زبائنه؟

فرضيات الدراسة

في ضوء العرض السابق لإشكالية البحث، يمكن وضع فرضية البحث التالية:

- تطبق البنوك الإسلامية الجزائرية مفهوم التسويق البنكي الإسلامي لكسب رضا زبائنه.

- يدرك زبائن البنوك الإسلامية الجزائرية بأنها تطبق التسويق البنكي الإسلامي ضمن مكونات المزيج التسويقي.

أهمية الدراسة:



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

تكمّن أهمية هذه الدراسة في تناولها واحداً من أبرز الموضوعات التسويقية التي تتعلق بالبنوك، ألا وهو التعرف على مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية للتسويق من منظور إسلامي من وجهة نظر الربائن، وذلك بالنظر إلى بعض المنتجات الإسلامية المقدمة من طرفها، كما تبرز أهميتها كونها تجري في وقت تشهد فيه الأنشطة البنكية ضغوطاً وتغيرات كبيرة.

منهج الدراسة:

لغادة تحقيق أهداف الدراسة فقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، والذي يقوم على دراسة الظاهرة كما هي في الواقع، دون تدخل الباحث في بحرياتها، ويقوم بالتفاعل معها بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبر عنها تعابير كمية وكيفية من حلال جمع البيانات، ومن ثم يعمد إلى تحليل الظاهرة وتفسيرها للوصول إلى استنتاجات تسهم في تطوير وتحسين الواقع.

مصادر جمع البيانات:

اعتمدت الدراسة على البيانات الأولية، التي تم جمعها من خلال الاستبانة التي تم تطويرها وتوزيعها على أفراد عينة الدراسة، بهدف جمع المعلومات التي تخدم أهداف الدراسة. كما تم الاعتماد على مصادر ثانويةتمثلة في الكتب، والدوريات، والأبحاث العلمية المتعلقة بموضوع الدراسة، والتي تم الاعتماد عليها في بناء الإطار النظري

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من زبائن البنوك الإسلامية الجزائرية، أما عينة الدراسة شملت زبائن هذه البنوك المتواجددين بمدينة المسيلة، حيث وزعت عليهم 300 استبيان عن طريق المقابلة الشخصية، تم استرجاع منها 273 نسخة، ليتم إلغاء 16 استبياناً غير صالح



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

لغيات التحليل الإحصائي. وعليه بلغ عدد الاستبيانات الخاضعة التحليل الإحصائي 257 استبيان شكلت ما نسبته 85.66% من إجمالي الاستبيانات الموزعة.

1. ماهية التسويق البنكي الإسلامي

لا يوجد اختلاف بين مفهومي البنوك الإسلامية والبنوك التجارية، من حيث الخدمات المقدمة، إنما جوهر الاختلاف في طريقة التقديم وأسلوب ومقاصد كل منها، وفيما يلي سنحاول أن نعطي أهم المفاهيم المتعلقة بالتسويق من منظور إسلامي

1.1 تعريف التسويق البنكي الإسلامي

يمكن تعريف التسويق البنكي الإسلامي بأنه: "مجموعة من الأنشطة التخطيطية والتنفيذية المبنية على أسس وضوابط شرعية، تهدف إلى التعرف وإشباع والارتفاع بحاجات الزبائن وصولاً لتحقيق أهداف البنك الإسلامي".¹

كما يعرف بأنه "كافحة الجهود الإنسانية المبذولة والمتعلقة بتصريف وانسياب الخدمات والأفكار البنكية والتكافلية من البنك الإسلامي إلى الزبائن والمستفيدون، لإشباع حاجاتهم ومتطلباتهم المالية والاجتماعية، والمساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتحقيق المنافع المادية والمعنوية للمساهمين والعاملين والمجتمع في ضوء الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية".²

¹ - خاجي محمد بحاء الدين، المزيج التسويقي في المصارف الإسلامية، ورقة بحثية مقدمة إلى قسم المصارف الإسلامية، الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية، مركز البحث والتطوير، عمان، 2009، ص.8.

² - شريف مراد وبن يعقوب الطاهر، أهمية تطبيق التسويق الإسلامي في المصارف الإسلامية من وجهة نظر العمالء: دراسة حالة بنك البركة بالجزائر، المجلة العالمية للتسويق الإسلامي، 3، (2)، 2014، ص.26.



قياس نجاعة البنك الإسلامي الجزائري —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

فمحور اهتمام التسويق البنكي الإسلامي حفظ المال من جانبي الوجود والعدم تحقيقاً لمبدأ الاستخلاف في الأرض. قال الله تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لَّيْلَوْكُمْ فِي مَا آتَيْتُكُمْ} (الأنعام:165)، وقال الله تعالى: {آمُنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ} (الحدى:7)، بحيث تكون المنتجات البنكية متفقة مع حاجات الفرد والمجتمع، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيَّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيْمِمُوا الْخَيْثَرَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُعْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِّي حَمِيدٌ} (البقرة: 267).

2.1 خصائص التسويق البنكي الإسلامي

يمكن إيجادها في النقاط التالية:¹

- الالتزام بالقيم الأخلاقية مثل الأمانة، الصدق، العدل، الحق، الموضوعية، اليقين، الإتقان، الكفاءة، العفة، الوفاء، التواضع وتحنيب سوء الخلق وانحراف السلوك؛ الالتزام بالأصلية الإسلامية في تقديم الخدمات والمنتجات البنكية الإسلامية وفقاً لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية؛
- المقدامية في استخدام وسائل التسويق المعاصرة متى كانت تتفق مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها؛
- المحافظة على الهوية الإسلامية للخدمات والمنتجات البنكية الإسلامية؛

¹ - بوشنقة أحمد وحاجي كريمة، الضوابط والقواعد الشرعية للمعاملات المالية الإسلامية. ورقة بحثية مقدمة إلى الملتقى الدولي حول الاقتصاد الإسلامي: الواقع ورهانات المستقبل، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة غرداية، 22-23 فبراير 2011، ص.8.



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

- الأُسْوَة الحسنة في التسويق. يعني أن يكون من يقومون بالتسويق قدوة حسنة من حيث الالتزام برسالة البنوك الإسلامية.

3.1. أهمية تطبيق التسويق البنكي الإسلامي في البنوك

تأتي أهمية تطبيق التسويق البنكي الإسلامي في الاعتماد على الاستثمار في مجال توظيف الأموال أكثر من الإقراض، وهذا يعني أن البنك بحاجة إلى أن يقوم بتطوير واستحداث مزيج متكامل من الخدمات البنكية بما يسهم في تلبية احتياجات الزبائن ويحقق أهداف البنك، كما أن سوق الخدمات البنكية يمكن وصفه بأنه سوق مشترين، وهو السوق الذي يتميز بزيادة العرض عن الطلب وسيطرة الزبون على المتغيرات المتحكمة في هذا السوق، ومن ثم توحد حرية نسبية لدى الزبائن في المفاضلة بين البنوك وبين الخدمات البنكية المعروضة، وبالتالي أصبح من الضروري على البنك البحث عن أكثر الخدمات قبولاً لدى الزبائن ومحاولة إقناعهم بالتعامل فيها، وبما أن طرق التمويل الإسلامية كالمضاربة والمشاركة والمراجعة تتطلب جهوداً تسويقية كبيرة لإقناع الوبائين والمستفيدين خاصةً من ليس لهم معرفة مسبقة بهذه الطرق¹.

4.1. الضوابط الشرعية للتسويق البنكي الإسلامي

من أهم الضوابط الشرعية للتسويق البنكي الإسلامي ما يلي:²

¹ - المفلح منيرة والمطري ريم عوني، المزيج التسويقي الإسلامي كمتغير وسيط بين جودة الخدمة المصرفية الإلكترونية ورضا العملاء في المصارف الإسلامية، مجلة ريادة الأعمال الإسلامية، 3، (2)، 2018، ص ص 85-86

² - شحاته حسين حسين، خطوط رئيسية لاستراتيجيات تسويق الخدمات ومنتجات المصرفية الإسلامية، [HTTP://www.darelmashora.com]. مقتبس من (Consulted on: 15/07/2019)



قياس نجاعة البنك الإسلامي الجزائري —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

- **المشروعية:** ويقصد بها أن تكون مفاهيم ومصامين ووسائل وأساليب التسويق متفقة مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

- **تحقيق المفعة المعتبرة شرعاً:** ويقصد بذلك أن ترکر العملية التسويقية على ما يقدمه البنك من خدمات ومنتجات بنكية تحقق النفع المشروع للفرد وللمجتمع وللدولة وللأمة الإسلامية.

- **سد الذرائع مقدم على جلب المنافع:** ويقصد بذلك تجنب اختيار الوسائل والأدوات التسويقية التي فيها مفسدة شرعية مهما كانت المغريات، وتطبيق قاعدة تجنب المفاسد مقدم على جلب المنافع.

- **المعاصرة في وسائل التسويق:** ويقصد بذلك المبادرة في استخدام أساليب التقنية الحديثة في التسويق البنكي الإسلامي متى كانت لا تتعارض مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

- **التحقق والتوثيق:** ويقصد بذلك استخدام الأدلة وقرائن الإثبات للتأكد على صحة المعلومات التسويقية عن الصيغة الإسلامية لدعم الثقة.

2. الضوابط الشرعية للمزيج التسويقي الإسلامي في البنك

يتعلق المزيج التسويقي بالمنهج الذي ينتهجه البنك الإسلامي لممارسة مختلف الأنشطة التي سيقدمها لزبائنه بما يسهم في انسياحها ووصولها إلى المستفيدين منها بأفضل السبل وأيسرها، ويكون المزيج التسويقي البنكي من أربعة عناصر رئيسية تشكل في مجموعها الأنشطة التسويقية للبنك، وتشمل: المنتج (الخدمة)، التسعير، المكان (التوزيع) والترويج ويطلق تسمية على هذه العناصر PS4 حيث أن كل منها يبدأ باللغة الإنجليزية بالحرف P. يضاف إليها عناصر المزيج التسويقي المستحدثة. وهي: المكونات المادية، العنصر



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

البشري، عمليات تقديم الخدمات المصرفية. وفيما يلي سيتم الطرق إلى هذه العناصر بنوع من التفصيل:

1.2 الضوابط الشرعية للمنتج البنكي الإسلامي

إن اختيار البنك نوعية المنتجات التي يقدمها يؤثر في عناصر التسويقي، وعند تعريف المنتج نجد أن هنالك تعريفات كثيرة ومتقاربة نوعاً ما ولكن تدرج جميعها تحت ما يسمى بجوهر المنفعة التي يسعى إليها الربون من الحصول على المنتج البنكي. ومن منظور إسلامي ينظر إلى المنتج على أنها المنتجات الطيبة¹. قال الله تعالى {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} (الأعراف: 157).

يمكن القول أن الخدمة البنكية في البنوك الإسلامية تخضع لضوابط الشريعة الإسلامية هذا ما يساعد هذه البنوك في التميز عن البنوك التقليدية، وستحاول فيما يلي الإشارة لأهم الضوابط الواجب التزامها في أمر المنتجات البنكية على النحو التالي:²

– رفض التعامل بالسلع والخدمات غير الحلال: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا}. فالحلال هو ما انتفى عنه حكم التحرير، وخلص من الشبهات، وأما الطيب فهو المستطاب في نفسه، غير ضار للأبدان والعقول، وكما سبق فلا إنتاج إلا في هذه الناحية، لأنه لا استهلاك إلا فيها، وفي هذا الشأن قال الرسول الكريم: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبِلُ إِلَّا طَيِّبًا). وهذا من أبرز ما يميز البنوك الإسلامية عن غيرها.

¹ – منيرة المفلح والمطرمي، ريم عوني، مرجع سابق ذكره، ص 86

² – مراد الشريف وبن يعقوب الطاهر، مرجع سابق ذكره، ص ص 28-29



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

- اتسام المنتج بفضائل الأخلاق: إن سلوكيات المنتج المسلم ونشاطاته تنضبط بالأخلاق الإسلامية، فتحكم جميع تصرفاته ومعاملاته مع الآخرين فتحل صفة الأمانة مكان الخيانة والصدق مكان الكذب، فالمنتاج حسن الخلق يكسب محبة الآخرين وثقتهم، وهذا أساس نجاح المشاريع الإنتاجية وتطورها.
- التزام الأولوية في تحديد المنتجات: يجب أن يكون اختيار المنتجات ومواصفاتها هدفه تحقيق مقاصد الشريعة، ومراعاة ظروف المجتمع وأحواله، بما يحقق المصلحة. ومن الحذر بالذكر هنا أن هذا التصنيف والالتزام له أهمية وتأثير كبيران في الاقتصاد ككل، وعلى العملية التسويقية بصفة خاصة، مع عدم وجود ضوابط شرعية بالإضافة إلى تفاوت كبير في الدخل.
- لا ضرر ولا ضرار: على البنوك الإسلامية أن تتبع عن إلحاق الضرر بكل من زبائنه أو منافسيها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا ضرر ولا ضرار) لذا تقوم البنوك الإسلامية بتقديم أفضل المنتجات والخدمات، كما تقوم بتقديم النصح والمشورة لهم إذا تطلب الأمر.
- أن تكون المنتجات معبرة عن حاجات حقيقة لأفراد المجتمع: من خلال هذا الأمر يختفي الإنتاج العرجي والتافحي، فيكون الاعتدال وعدم التبذير في استخدام عناصر الإنتاج، وكذلك الاعتدال في الاستهلاك.

2.2. الضوابط الشرعية للتسعير البنكي الإسلامي

يعرف السعر من منظور إسلامي بأنه القيمة أو المقابل الذي يدفعه المشتري مقابل حصوله على المنتج أو المنفعة، وهو ما يطلق عليه اصطلاحاً في عملية المبادلة قيمة مقابل



قياس نجاعة البنك الإسلامي الجزائري —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

قيمة أخرى مختلفة من حيث الجنس¹. إلا أن عملية تحديد الأسعار تخضع إلى مجموعة من الضوابط والأحكام الشرعية، وتمثل هذه الضوابط فيما يلي:²

- **مبدأ التراضي:** فالبنك الإسلامي تمارس العمل التجاري من بيع وشراء طبقاً لمبدأ التراضي، لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} (النساء: 29)، هذا لا يعني الرضا المطلق بل المقيد بالربح العادل الذي تنتهي إليه استشارات الخبرة، حيث يجب مراعاة مصلحة كل من المشتري والبائع.

- **المنافسة السحرية الشرعية:** تعد المنافسة في الإطار الشرعي طريقة من بين الطرق المعتمدة في التسعير لأنها ترقى بالمنتج والزبون على السواء وذلك بطرح منتجات بالجودة الحسنة والسعر المناسب.

- **عدم رفع الأسعار من خلال الاحتكار:** إن المنهج الإسلامي يجرم الاحتكار لما يجره من كسب غير مشروع دون عمل وجهد لفترة قليلة وجعل بقية الزبائن يعيشون في الفقر.

3.2. الضوابط الشرعية للترويج البنكي الإسلامي

تنوع الضوابط الشرعية على الترويج بتنوع أساليب الترويج، إلا أنه بالإمكان

وضع بعض الضوابط التالية الواجب التقيد بها في مجال الترويج:¹

¹ - الشيخ سعيد، مدى تطبيق المصارف لمفهوم التسويق المصرفي من وجهة نظر العملاء: دراسة حالة الأردن، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، 9، (1)، 2009، ص 110.

² - محمد بناء الدين خاججي، مرجع سبق ذكره. ص 31.



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

- الابتعاد عن التدليس، الخلابة، التلبيس، الغرر؛
- عدم وضع مصاريف وأجور مخفية للخدمات التي تقدمها البنوك الإسلامية لم تكن موجودة عند الإعلان عن الخدمة. وأن تكون كافة تكاليف الخدمة ظاهرة وواضحة للزبون البنكي عند توقيع العقد أو تقديم الخدمة؛
- توخي الصدق والأمانة في التعريف بالمنتج البنكي؛
- الترويج لما هو مباح شرعاً، وهذا يتفق أساساً مع ضوابط المنتج البنكي الإسلامي؛
- تحب إلهاق الضرر بالمنافسين من البنوك الأخرى عند القيام بالحملات الترويجية، بل العمل على التكامل فيما بينها إن أمكن.

4.2. الضوابط الشرعية للتوزيع البنكي الإسلامي

تعد عملية التوزيع بمثابة الجسر الذي تعبر عليه المنتجات من مصادر إنتاجها إلى المستهلك الأخير، وتعد قرارات اختيار منفذ التوزيع من القرارات ذات الأهمية الاستراتيجية للبنك. ومن بين الضوابط التنظيمية التي تضبط وتنظم مختلف النشاطات التوزيعية للمنتجات، التي يتم التعامل بها بين المنتج الزبون ما يلي:²

¹ عبد السلام، محمد إبراهيم محمد، أثر استراتيجية تسويق الخدمات المصرفية على قرار الزبون: دراسة حالة في مصرف ماندري الإسلامي إندونيسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية، 2016، ص.56.

² بلحيمير إبراهيم، المزيج التسويقي من منظور التطبيقات التجارية الإسلامية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر. 2005، ص.213.



قياس نجاعة البنك الإسلامي الجزائري —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شري

- ألا يخالف هذا التنظيم حكماً شرعياً، بأن لا يجيز معاملة محمرة شرعاً، ولا يمنع أمراً واجباً شرعاً، وأما المباحثات فلا مانع من وضع القيود عليها عندما يظهر في التقيد وجه المصلحة؟
- أن يكون المدف من وضع التنظيم تحقيق المصلحة العامة لكل من المنتج والوسيط الزبون ولا يكتفى بالمصلحة الفردية؟
- عدم التوزيع في الأوقات المحرمة، كوقت نداء الجمعة؛
- السماحة وعدالة التوزيع؛
- أن يكون المنظم ذو خبرة وكفاءة لتقدير تلك المصالح، وتقدير العوائق المنظورة وغير المنظورة، التي تنتج عن وضع تلك التنظيمات موضع العمل.

5.2. الدليل المادي

يعرف الدليل المادي بأنه البيئة المادية للبنك المحيطة بالعاملين والزبائن أثناء إنتاج وتسليم الخدمة، مضافة إليها عناصر ملموسة تستخدم للاتصال ودعم دور الخدمة. وتؤدي عناصر الدليل المادي دوراً مهماً في راحة الزبائن أثناء تلقיהם الخدمات البنكية ولذلك تعد عاملًا مؤثراً في إدراك الزبائن للخدمة البنكية من حيث جودتها والمستوى السريع في تنفيذها¹. يتمثل الدليل المادي في المظهر الخارجي للبنك كاللوحة المكتوب عليها اسم البنك، وشعار البنك، والمظهر الداخلي كتصميم مظهر البنك من حيث المكاتب، توزيع العاملين، صالة الانتظار وتجهيزاتها، المعدات المستخدمة لخدمة الزبائن، ومظاهير أخرى كمظهر العاملين بزي موحد والذي يوحي بتصورات ايجابية عن العاملين في البنك.

¹ - محمد بناء الدين خاجي، مرجع سبق ذكره، ص 57.



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

6. سلوكيات وضوابط العاملين بالبنوك الإسلامية

فيما يتعلق بالسلوكيات الرفيعة التي يجب أن يتحلى بها المصرفي الناجح في البنوك الإسلامية فهي متعددة، ويجب أن يسعى المصرفي إلى اكتسابها والتخلص منها إذا لم تكن موجودة بالفعل لديه. ومن بين تلك السلوكيات:¹

- تحديد الأهداف التي يجب أن يصل إليها بوضوح؛
- اختيار التوقيت المناسب لكل خطوة من خطوات إتمام بيع الخدمة للزبائن؛
- الحفاظ على المظهر العام لمكان العمل والظهور بالمندام الطيب؛
- عدم الضغط على الزبائن أو إظهاره في صورة الجاحد؛
- ترك الفرصة للزبائن للتفكير والاقتناع والرد على الاقتراحات.

7. ضوابط شرعية لعملية تقديم الخدمة

أما فيما يتعلق بإدارة العمليات في البنوك الإسلامية فهي لا تختلف عما هو عليه في البنوك التقليدية، حيث أن هذه الإجراءات هي إجراءات تنظيمية تهدف إلى تيسير تقديم الخدمة البنكية للزبائن، ولا شك أن ذلك مما حث عليه الإسلام وأكده عليه، ونذكر بعضها:

- **الكلام الطيب والحسن:** قال تعالى {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} (البقرة: 83).
- **النصح للزبائن:** لقوله صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة). رواه البخاري ومسلم.

¹ - المغربي عبد الحميد عبد الفتاح، إلدارة الاستراتيجية في البنوك الإسلامية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، جدة، 2004، ص 397.



قياس نجاعة البنك الإسلامي الجزائري —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شوفي

- الأمانة في تقديم الخدمة: قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْتُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} (النساء: 85).

- الاحترافية والإتقان في التعامل: قال تعالى {صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلُّ شَيْءٍ} (النمل: 88).

وكذلك المحافظة على الوقت وحسن استغلاله، وكذلك حسن إنجاز العمل وإتقانه، وهو ما يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنـه) فمفهوم إتقان العمل يشمل جودة الخدمة المقدمة وكذلك سرعة الانجاز وعدم إضاعة الوقت وهدره.¹

3. الإطار المنهجي للدراسة

سنحاول من خلال هذا المحوـر تقديم دراسة تطبيقية حول وجهة نظر الـربائـن للتسويق البنـكي الإسلامي في البنك الإسلامي الجزائريـ، ابـداء بـدراسة صـدق وثـبات أدـاة الـدراسة، ثم تـحليل وـاختبار فـرضـيات الـدراسة ثم الخـروـج بالـنتائج.

1.3 دراسة صدق وثبات أدـاة الـدراسة

تم حساب ثبات الاستبيان بـمعامل الارتباط بيـرسون بين أبعـاد الاستـبيان، ومن ثم تصـحـيق الطـول بـواسـطة معـادـلة سـيـرـمان بـراـون. وـكانـت النـتـائـج كـما يـبيـنـها الجـدولـ التـالـي:

جدول (01): ثبات استبيان الـدراسة

الاستبيان	معامل بيـرسـون	الثـبات بعد تصـحـيق الطـول
التسويق البنـكي الإسلامي	0.839	0.90

المـصـدر: من إـعداد الـبـاحـثـين بالـاعـتمـاد عـلـى مـخـرجـات SPSS 22

¹ - خـانـجي محمد بـهـاء الدـين، مـرـجـع سـيـق ذـكرـه، صـ64.



قياس نجاعة البنك الإسلامي الجزائري —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

نلاحظ من خلال الجدول أن قيمة ثبات استبيان التسويق البنكي الإسلامي هو 0.90 وهي قيمة قوية، ومنه يمكن القول أن الاستبيان ثابت.

كما كانت نتائج معامل الارتباط بيرسون كما يبينها الجدول التالي:

جدول (02): صدق استبيان الدراسة

النتيجة	معامل الارتباط بيرسون <i>r</i>	العنصر	الرقم
يوجد ارتباط معنوي دال	0.504**	المنتاج	1
يوجد ارتباط معنوي دال	0.578**	التصدير	2
يوجد ارتباط معنوي دال	0.541**	الترويج	3
يوجد ارتباط معنوي دال	0.552**	التوزيع	4
يوجد ارتباط معنوي دال	0.484**	الأفراد	5
يوجد ارتباط معنوي دال	0.657**	العمليات	6
يوجد ارتباط معنوي دال	0.663**	الدليل المادي	7

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SPSS V22

من خلال الجدول أعلاه نجد معاملات الارتباط بين كل عنصر من عناصر الاستبيان والدرجة الكلية لعناصره وهي دالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 حيث قيمة *r* المحسوبة محصورة بين أعلى قيمة (0.663) وأدنى قيمة (0.484) وهي قيم أكبر من قيمة *r* الجدولية (0.3044) عند مستوى الدلالة 0.05 ودرجة حرية 255 ومنه تعتبر عبارات الاستبيان صادقة ومتسقة داخلياً، لما وضعت لقياسه.

2.3. تحليل واختبار فرضيات الدراسة



قياس نجاعة البنك الإسلامي الجزائري —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

قبل اختبار الفرضيات نحاول معرفة الآراء واتجاهات أفراد العينة من خلال تحليل عناصر الاستبيان، حيث ارتبطت الفقرات بمقاييس ليكارت الخماسي والذي يعبر من خلاله الأفراد عن مدى موافقتهم، أو عدم موافقتهم، ضمن خمس درجات بالأوزان التالية: أوفق بشدة (5)، أوفق (4)، أوفق إلى حد ما (3)، لا أوفق (2)، لا أوفق (1) مطلقاً

كما تم تحديد المجالات التي ينحصر فيها هذا المتوسط إلى ثلاثة مجالات، وقد تم التوصل إلى هذه المجالات بحسب درجة أهمية كل عنصر على النحو التالي:

- المستوى المنخفض: إذا بلغ الوسط الحسابي من 1 لغاية 2.59؛
- المستوى المتوسط: إذا بلغ الوسط الحسابي أكثر من 2.60 لغاية 3.39؛
- المستوى المرتفع: إذا بلغ الوسط الحسابي أكثر من 3.40 ولغاية 5.

أ. عرض وتحليل عناصر الاستبيان

كانت النتائج حول مدى تطبيق عناصر المزيج التسويقي البنكي الإسلامي كما

يلي:

1. المنتج: يمكن تلخيص النتائج في الجدول التالي:

جدول (03): مدى تطبيق البنك الإسلامي الجزائري بعد المنتج بالمفهوم الإسلامي

الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى	الترتيب
1	البنك الذي تتعامل معه يرفض التعامل بالمنتجات غير الحلال	4.828	0.954	مرتفع	1
2	يتبع البنك أسلوب المضاربة في	4.342	0.937	مرتفع	4



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

تعاملاًته					
2	مرتفع	0.916	4.571	يتبع البنك أسلوب المشاركة في تعاملاته	3
3	مرتفع	0.742	4.514	يتبع البنك أسلوب المراجحة في تعاملاته	4
5	مرتفع	0.718	3.885	يسلم البنك ملكية المنتجات فور اقتتناءها	5
6	مرتفع	0.758	3.685	يطبق البنك قاعدة لا ضرر ولا ضرار	6
المتوسط الحسابي للمجال ككل					
0.697					

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SPSS V22

نلاحظ من خلال الجدول أن مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد المنتج بصيغته الإسلامية مرتفع، وما يؤكد ذلك أن قيمة المتوسط الحسابي بعد المنتج هي 4.58. وهو ما تؤكده العبارة الأولى بمتوسط حسابي قدره 4.83، فكانت إجابات الأفراد على أن البنك يرفض التعامل بالمنتجات غير الحلال مرتفعة، ومن ثم صيغة تقديم هذه المنتجات، أي بالطرق الشرعية، وهو ما تبيّنه العبارة الثانية وما بعدها، إن تطبيق التسويق البنكي الإسلامي في البنوك الإسلامية الجزائرية مرتفع، لما يقدمه من منتجات شرعية، واستعماله للأساليب الشرعية كالمشاركة والمضاربة والمراجحة وغيرها.

2. التسعير: يمكن تلخيص النتائج في الجدول التالي:

جدول (04): مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد التسعير بالمفهوم الإسلامي



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهمي ود. منصف شريفي

الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	الآخراف المعياري	المستوى	الترتيب
1	يقدم البنك معايير تحديد عوائد المشاركات، المباحثات، ولضاربات	3.114	1.182	متوسط	2
2	يقدم البنك العمولة والأجر على حسب الضوابط الشرعية	2.857	1.141	متوسط	4
3	يستعمل البنك المنافسة الشرعية والشريفة	3.571	0.698	مرتفع	1
4	يستخدم البنك سياسة رفع الأسعار من خلال الاحتكار	2.942	1.235	متوسط	3
المتوسط الحسابي للمجال ككل		3.121	0.796	متوسط	

المصدر: من إعداد الباحثين بالأعتماد على مخرجان SPSS V22

نلاحظ من خلال الجدول أن مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد التسعير بصيغته الإسلامية متوسط، وما يؤكّد ذلك أن قيمة المتوسط الحسابي بعد التسعير هي 3.12 إذ نجد أدنى متوسط حسابي للعبارة الرابعة 2.94 وآخراف معياري قدره 1.23، بينما أن البنك لا يستخدم سياسة رفع الأسعار من خلال الاحتكار، بالإضافة إلى أنه يأخذ عمولة مرتفعة عند بيع منتجاته، مما جعل التسويق الإسلامي في البنوك الإسلامية متوسط.

3. الترويج: يمكن تلخيص النتائج في الجدول التالي:

جدول (05): مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد الترويج بالمفهوم الإسلامي

الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	الآخراف المعياري	المستوى	الترتيب
1	يستخدم البنك الإعلانات المكتوبة المسموعة والمرئية	3.028	0.746	مرتفع	3



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

بضوابط شرعية					
4	متوسط	0.731	2.771	يقدم البنك البيانات والمعلومات الصادقة في الإعلانات	2
5	متوسط	0.972	2.628	يتحرى البنك الصدق والأمانة في التعريف بالمنتج	3
1	متوسط	1.094	3.342	يلتزم البنك بالوفاء بما تم التعاقد عليه وواعده	4
2	متوسط	1.055	3.085	يتجنب البنك إلحاق الضرر بالمنافسين من البنوك الأخرى عند القيام بالحملات الترويجية	5
6	ضعيف	0.919	2.485	يساهم البنك في نشر ودعم مبادئ وأنشطة دينية (كالدعم في بناء المساجد)	6
متوسط الحسابي للمجال ككل		0.605	3.142		

المصدر: من إعداد الباحثين بالأعتماد على مخرجات SPSS V22

نلاحظ من خلال الجدول أن مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد الترويج بصيغته الإسلامية متوسط، وما يؤكّد ذلك أن قيمة المتوسط الحسابي بعد الترويج هي 3.14 إن أهم شيء لدى زبون البنك أن يجد ما وعده، فلما يحصل على خدمات أو منتجات غير مطابقة لما روج له البنك فهذا يعني قطع العلاقة بينهما، وهو ما أكدته العبارة الرابعة وما بعدها، ولهذا نجد مستوى الترويج البنكي الإسلامي في البنوك الإسلامية متوسط.

4. التوزيع: يمكن تلخيص النتائج في الجدول التالي:



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شري

جدول (06): مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد التوزيع بالمفهوم الإسلامي

الترتيب	المستوى	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العبارة	الرقم
2	مرتفع	0.742	3.914	يقدم البنك توزيع المنتجات في كل فروع البنك دون احتكار	1
4	متوسط	0.905	3.057	يهتم البنك باختيار موقع مناسبة ويسهل وصول العملاء إليه	2
1	مرتفع	0.857	4.028	يتتجنب البنك الاحتكار في توزيع المنتجات	3
5	متوسط	0.821	2.971	يقوم البنك بسرعة إنجاز المعاملات البنكية	4
3	مرتفع	0.932	3.685	يتتجنب البنك توزيع منتجات محرمة أو نقلها أو تخزينها	5
مرتفع		0.522	3.892	المتوسط الحسابي للمجال ككل	

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SPSS V₂₂

نلاحظ من خلال الجدول أن مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد التوزيع بصيغته الإسلامية مرتفع، وما يؤكد ذلك أن قيمة المتوسط الحسابي بعد التوزيع التي بلغت 3.89 وهذا ما تؤكدده العبارتين الثالثة والأولى من أن البنوك الإسلامية توزع



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شري

منتجاتها بطريقة شرعية وعلى جميع فروعها، وهو الدافع الأكبر الذي يجعل الأفراد يحبذون التعامل مع البنوك الإسلامية.

5. الأفراد: يمكن تلخيص النتائج في الجدول التالي:

جدول (07): مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد الأفراد بالمفهوم الإسلامي

الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى	الترتيب
1	لغة التخاطب لدى الموظفين مهذبة	4.200	0.584	مرتفع	2
2	الالتزام بالمبادئ الشرعية عند توظيف العاملين كالابتعاد عن الحبابة	3.514	0.853	مرتفع	4
3	أعلم أن البنك يقوم بتحفيزات دينية للموظفين كالعمرمة، مصاحف	3.371	1.139	متوسط	5
4	الصدق في التعامل دون تضليل أو مبالغة	3.000	0.727	متوسط	6
5	الحفاظ على المظهر العام لمكان العمل والظهور بالهندام الطيب	3.885	0.963	مرتفع	3
6	عدم الضغط على الزبون أو إظهاره في صورة الجاهل	4.342	0.764	مرتفع	1



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

مرتفع	0.672	3.692	المتوسط الحسابي للمجال ككل
-------	-------	-------	----------------------------

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SPSS V22

نلاحظ من خلال الجدول أن مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية لبعد الأفراد بصيغته الإسلامية مرتفع، وما يؤكد ذلك أن قيمة المتوسط الحسابي لبعد الأفراد هي 3.69 وهذا يعود إلى التوافق والتشابه الكبير بين البنوك التقليدية والإسلامية في هذا العنصر، ويرجع ذلك إلى التزام الموظفين في وظائفهم على ثقافتهم الدينية وسلوكياتهم، من الحفاظ على النظافة والهندام ولغة التخاطب وغيرها.

6. العمليات: يمكن تلخيص النتائج في الجدول التالي:

جدول (08): مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد العمليات بالمفهوم الإسلامي

الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى	الترتيب
1	يقوم البنك بإتقان المعاملات واحترام النظام في العمليات البنكية	4.200	0.632	مرتفع	1
2	يلتزم البنك بسرعة الانجاز وعدم إضاعة الوقت	4.057	0.802	مرتفع	2
3	الحفاظ على المواعيد واحترام أهمية وقت الآخرين	3.600	0.881	مرتفع	3
4	الحلم والصبر وعدم التأثر بسرعة رد الفعل وخاصة في المواقف الحرجة	3.485	1.010	مرتفع	4
	المتوسط الحسابي للمجال ككل	3.714	0.719	مرتفع	

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SPSS V22



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

نلاحظ من خلال الجدول أن مدى تطبيق البنوك الإسلامية لجزائرية بعد العمليات بصيغته الإسلامية مرتفع، وما يؤكد ذلك أن قيمة المتوسط الحسابي بعد العمليات هي 3.71 وذلك أيضاً للتشابه الكبير لعنصر العمليات في البنوك التقليدية والإسلامية من حيث احترام المواعيد والاهتمام بوقت الآخرين والدقة الإتقان في إنفاذ العمليات البنكية.

7. الدليل المادي: يمكن تلخيص النتائج في الجدول التالي:

جدول (09): مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد الدليل المادي بالمفهوم

الإسلامي

الرقم	العبارة	المتوسط	الانحراف	المستوى	الترتيب
1	مظهر البنك الخارجي والداخلي لائق	3.363	0.852	متوسط	2
2	يراعي البنك عدم اختلاط الرجال والنساء في تقديم الخدمات	2.466	0.668	منخفض	4
3	الالتزام بالظاهر الشرعية كالألبسة المحتشمة للموظفات	3.157	0.772	متوسط	3
4	يوفر البنك قاعدة للموضوع والصلة	3.385	0.963	متوسط	1
المتوسط الحسابي للمجال ككل					متوسط
0.750					3.257



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SPSS V22

نلاحظ من خلال الجدول أن مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد الدليل المادي بصيغته الإسلامية متوسط، وما يؤكد ذلك أن قيمة المتوسط الحسابي لبعد الأفراد هي 3.26 أي أن البنوك لا تكتفى بالدليل المادي من حيث إرضاء الزبائن، لنقص ثقافتهم اتجاه هذا العنصر، فهو غير محفز للتعامل مع البنوك من جهة توفير الراحة للزبائن، أو اللباس المحتشم للموظفات، أو تحجب اختلاط الرجال بالنساء في صفوف الانتظار، ومن جهة أخرى المظهر الخارجي غير الإسلامي، الذي يغلب فيه التقليد وترك الهوية الدينية والوطنية.

3.3. اختبار فرضيات الدراسة:

والتي تقوم من خلاله باختبار الفرضية الأولى والثانية

أ- اختبار الفرضية الأولى

تنص الفرضية الأولى على ما يلي:

H_0 : لا تطبق البنوك الإسلامية الجزائرية مفهوم التسويق البنكي الإسلامي لكسب رضا زبائنهما عند مستوى الدلالة 0.05

H_1 : تطبق البنوك الإسلامية الجزائرية مفهوم التسويق البنكي الإسلامي لكسب رضا زبائنهما عند مستوى الدلالة 0.05

جدول (10): مدى تطبيق البنوك الجزائرية للتسويق البنكي الإسلامي لكسب رضا زبائنهما

الاستبيان	العينة	المتوسط الحسابي	مدى تطبيق التسويق المصرفي الإسلامي
التسويق البنكي الإسلامي	257	3.36	متوسط



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية ----- د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SPSS V22

نلاحظ من خلال الجدول أن قيمة المتوسط الحسابي للدرجة الكلية المتحصل عليها من إجابات أفراد العينة هو 3.36 ومنه يمكن القول أن تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية للتسيير البنكي الإسلامي متوازن، وذلك راجع إلى النظرة الشخصية والصورة الذهنية لدى الأفراد بأن هذه البنوك لا تطبق المبادئ الإسلامية في تعاملاتها، والتي أساسها الربا المحرم بالكتاب والسنة النبوية، وتخالف عقيدة وعادات المجتمع الجزائري المسلم الذي يأبى محاربة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم جراء هذه المعاملات لقوله تعالى {أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ لَمْ تَفْعُلُوا فَأَذْكُرُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتَمِ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} (البقرة: 278-279). واعتماد الشريعة الإسلامية أساس جميع التطبيقات والمعاملات واتخاذها مرجعاً لذلك. فكل هذه المبادئ والتعليمات الإسلامية وغيرها جعلت الفرد ينبذ مثل هذه التعاملات البنكية المخالفة لمعتقداته، ومنه تحقق الفرضية الأولى للدراسة.

ب- اختبار الفرضية الثانية

تنص الفرضية الثانية على ما يلي:

H_0 : لا يدرك زبائن البنوك الإسلامية الجزائرية بأنها تطبق التسويق البنكي

الإسلامي ضمن مكونات المزيج التسويقي عند مستوى الدلالة 0.05

H_1 : يدرك زبائن البنوك الإسلامية الجزائرية بأنها تطبق التسويق البنكي الإسلامي

ضمن مكونات المزيج التسويقي عند مستوى الدلالة 0.05



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

- تطبيق عنصر المنتج في البنوك الإسلامية الجزائرية: الجدول التالي يوضح الفروق بين وجهات نظر أفراد العينة في مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد المنتج بالمفهوم الإسلامي:

جدول (11): الفروق بين وجهات نظر الأفراد في بعد المنتج

مستوى الدلالة	درجة الحرية	اختبار T	العبارة	الرقم
0.44	255	1.18	البنك الذي تتعامل معه يرفض التعامل بالمنتجات غير الحلال	1
0.07	255	1.52	يتبع البنك أسلوب المضاربة في تعاملاته	2
0.58	255	1.33	يتبع البنك أسلوب المشاركة في تعاملاته	3
0.10	255	1.28	يتبع البنك أسلوب المراجحة في تعاملاته	4
0.53	255	0.94	يسلم البنك ملكية المنتجات فور اقتناها	5
0.46	255	0.11	يطبق البنك قاعدة لا ضرر ولا ضرار	6

المصدر: من إعداد الباحثين بالأعتماد على مخرجات SPSS V22

نلاحظ من خلال الجدول أنه لا توجد فروق بين أفراد العينة في وجهات نظرهم في كون أن تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد المنتج بصيغته الإسلامية مرتفع فنجد أن مستوى المعنوية لعبارات البعد ككل أكثر من 0.05 وبالتالي وجود فروق في وجهات نظر الأفراد في تقديم البنك لمنتجات معبرة عن حاجات حقيقة للأفراد، إذ تختلف هذه الحاجات من شخص لآخر، فالحاجات التفاخرية والترفية تكون بالنسبة لأشخاص



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

آخرين ضرورية أو كمالية، وهو ما جعل اضطراب إجابات الأفراد حول هذا الضابط في المزيج التسويقي البنكي الإسلامي.

- تطبيق عنصر التسعير في البنوك الإسلامية الجزائرية: الجدول التالي يوضح الفروق بين وجهات نظر أفراد العينة في مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد التسعير بالمفهوم الإسلامي:

جدول (12): وجهات نظر الأفراد في بعد التسعير

مستوى الدلالة	درجة الحرية	اختبار T	العبارة	الرقم
0.57	255	0.50	يقدم البنك معايير تحديد عوائد المشاركات، المباحثات، المضاربات وفق الشريعة الإسلامية	1
0.24	255	1.19	يقدم البنك العمولة والأجر على حسب الضوابط الشرعية	2
0.63	255	0.72	يستعمل البنك المنافسة الشرعية والشريفة	3
0.24	255	1.67	يستخدم البنك سياسة رفع الأسعار من خلال الاحتكار	4

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SPSS V₂₂

نلاحظ من خلال الجدول أنه لا توجد فروق بين أفراد العينة في وجهات نظرهم في كون أن تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد التسعير بصيغته الإسلامية متوسط، فنجد أن مستوى المعنوية لعبارات البعد ككل أكثر من 0.05 أي أن الأفراد متتفقون على أن البنوك تتبع سياسة التسعير الشرعية، بالإضافة إلى استخدام الطرق المباحة شرعا.



قياس نجاعة البنك الإسلامي الجزائري —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شري

- تطبيق عنصر الترويج في البنك الإسلامي الجزائري: الجدول التالي يوضح الفروق بين وجهات نظر أفراد العينة في مدى تطبيق البنك الإسلامي الجزائري بعد الترويج بالمفهوم الإسلامي:

جدول (13): وجهات نظر الأفراد في بعد الترويج

الرقم	العبارة	اختبار	درجة الحرية	مستوى الدلالة
1	يستخدم البنك الإعلانات المكتوبة المسومة والمرئية بضوابط شرعية	1.38	255	0.21
2	يقدم البنك البيانات والمعلومات الصادقة في الإعلانات	2.12	255	0.11
3	يتحرى البنك الصدق والأمانة في التعريف بالمنتج	2.73	255	0.26
4	يلتزم البنك بالوفاء بما تم التعاقد عليه وواعده	1.71	255	0.34
5	يختبر البنك إلحاق الضرر بالمنافسين من البنوك الأخرى عند القيام بالحملات الترويجية	1.45	255	0.25
6	يساهم البنك في نشر ودعم مبادئ وأنشطة دينية	1.73	255	0.34

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SPSS V22



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أنه لا توجد فروق بين أفراد العينة في وجهات نظرهم في كون أن تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد الترويج بصيغته الإسلامية متوسط، فنجد أن مستوى المعنوية لهذه العبارات أكثر 0.05، إذ أن الأفراد متتفقون على أن البنوك الإسلامية تلتزم بالضوابط الشرعية في الترويج لمنتجاتها، وتتجنب إلحاد الضرر بالآخرين، بالإضافة إلى دعم مبادئ وأنشطة دينية.

- تطبيق عنصر التوزيع في البنوك الإسلامية الجزائرية: الجدول التالي يوضح الفروق بين وجهات نظر أفراد العينة في مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد التوزيع بالمفهوم الإسلامي:

جدول (14): وجهات نظر الأفراد في بعد التوزيع

الرقم	العبارة	اختبار T	درجة الحرية	مستوى الدلالة
1	يقدم البنك توزيع المنتجات في كل فروع البنك دون احتكار	1.17	255	0.71
2	يهتم البنك باختيار شبابيك شرعية له مناسبة ويسهل وصول العملاء إليها	1.05	255	0.21
3	يتتجنب البنك الاحتكار في توزيع المنتجات	1.54	255	0.13
4	يقوم البنك بسرعة بإنجاز المعاملات البنكية	1.47	255	0.25
5	يتتجنب البنك توزيع منتجات حرام أو	1.36	255	0.10



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

نقلها أو تخزينها

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SPSS V22

نلاحظ من خلال الجدول أنه لا توجد فروق بين أفراد العينة في وجهات نظرهم في كون أن تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية وبعد التوزيع بصيغته الإسلامية مرتفع فنجد أن مستوى المعنوية لعبارات البعد ككل أكثر من 0.05

- **تطبيق عنصر الأفراد في البنوك الإسلامية الجزائرية:** الجدول التالي يوضح الفروق بين وجهات نظر أفراد العينة في مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد الأفراد بالمفهوم الإسلامي:

جدول (15): وجهات نظر الأساتذة في بعد الأفراد

مستوى الدلالة	درجة الحرية	اختبار t	العبارة	الرقم
0.00	255	3.18	لغة التخاطب لدى الموظفين مهذبة	1
0.04	255	1.12	الالتزام بالمبادئ الشرعية عند توظيف العاملين كالابتعاد عن المحاباة	2
0.08	255	2.89	أعلم أن البنك يقوم بتحفيزات دينية للموظفين كالعمراء، مصاحف	3
0.07	255	2.49	الصدق في التعامل دون تضليل أو مبالغة	4
0.00	255	3.43	الحفاظ على المظهر العام لمكان العمل والظهور بالهدانم الطيب	5



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

0.00	255	4.78	عدم الضغط على العميل أو إظهاره في صورة الجاهل	6
------	-----	------	---	---

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SPSS V22

نلاحظ من خلال الجدول أن وجهات نظر الأفراد تتفق في العبارات الثالثة والرابعة فنجد أن مستوى المعنوية أكبر من 0.05، أما وجهات نظر الأفراد في العبارات 1 و 2 و 5 و 6 فمستوى المعنوية الخاص بها أقل من 0.05 وبالتالي وجود فروق في وجهات نظر الأفراد في كون لغة التخاطب لدى الموظفين مهذبة، وكذا الالتزام بالمبادئ الشرعية عند توظيف العاملين وكذا الحفاظ على المظهر العام لمكان العمل والظهور بالهندام الطيب، وكذا في عدم الضغط على العميل أو إظهاره في صورة الجاهل. كما نجد فروق في أن البنك يقوم بتحفيزات دينية للموظفين وصدق البنك في التعامل دون تضليل أو مبالغة.

- تطبيق عنصر العمليات في البنوك الإسلامية الجزائرية: الجدول التالي يوضح الفروق بين وجهات نظر أفراد العينة في مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد العمليات بالمفهوم الإسلامي:

جدول (16): وجهات نظر الأفراد في بعد العمليات

الرقم	العبارة	اختبار ت	درجة الحرية	مستوى الدلالة
1	يقوم المصرف بإتقان المعاملات واحترام النظام في العمليات المصرفية	3.32	255	0.00
2	يلتزم المصرف بسرعة الانجاز وعدم	2.85	255	0.00



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شري

إضاعة الوقت			
0.00	255	2.35	الحافظ على المواعيد واحترام أهمية وقت الآخرين
0.09	255	2.75	الحلم والصبر وعدم التأثر بسرعة رد الفعل وخاصة في المواقف الحرجة

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SPSS V22

نلاحظ من خلال الجدول أنه توجد فروق بين أفراد العينة في وجهات نظرهم في كون أن تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد العمليات بصبغته الإسلامية مرتفع فنجد أن مستوى المعنية لعبارات بعد كل أقل من 0.05 ماعدا العبارة الرابعة فإنه لا توجد فروق بين الأفراد في أن العمليات المصرفية تتسم بعدم التأثر بسرعة رد الفعل في المواقف الحرجة.

- تطبيق عنصر الدليل المادي في البنوك الإسلامية الجزائرية: الجدول التالي يوضح الفروق بين وجهات نظر أفراد العينة في مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد العمليات بالمفهوم الإسلامي:

جدول (17): وجهات نظر الأفراد في بعد الدليل المادي

مستوى الدلالة	درجة الحرية	اختبار	العبارة	الرقم
0.75	255	2.31	مظهر البنك الخارجي والداخلي لائق	1
0.08	255	1.64	يراعي البنك عدم اختلاط الرجال والنساء في تقديم الخدمات	2



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

0.18	255	1.35	الالتزام بالظاهر الشرعية كالألبسة المحشمة للموظفات	4
0.08	255	2.93	يوفِر البنك قاعدةً لل موضوع والصلة	5

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SPSS V22

نلاحظ من خلال الجداول أنه توجد فروق بين أفراد العينة في وجهات نظرهم في كون أن تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية بعد الدليل المادي بصيغته الإسلامية متوازن فنجد أن مستوى المعنوية لعبارات البعد أقل من 0.05.

حسب الجداول السابقة يمكن القول أن البنوك الإسلامية الجزائرية تطبق مفهوم التسويق البنكي الإسلامي ضمن مكونات المزيج التسويقي، إلا أن هناك بعض التباين في تطبيق أبعاد التسويق البنكي الإسلامي بين مرتفع (المنتج، التوزيع، الأفراد، العمليات) والمتوسط (الترويج، التسويق، الدليل المادي) وهذا التباين راجع لأسباب تتعلق بمدى موافقة عنصر المزيج التسويقي للضوابط والمبادئ الإسلامية أو مخالفته، فالمنتاج البنكي غير مقترب بالرّبأ مع احترام الأساليب الشرعية في ضبط المعاملات كالمشاركة والمضاربة والربحية وغيرها، وكذلك التسويق وطرقه المختلفة المحترمة للضوابط الشرعية، أما الترويج فإن البنوك الإسلامية غالباً فإنما تلتزم الصدق والأمانة في التعريف بالمنتج أو تقديمها، كما تتحرى عدم إلحاق الضرر بالمنافسين من البنوك الأخرى، كما قد توزع منتجات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، هذا بخصوص عناصر المزيج التسويقي البنكي التقليدي PS4.

أما عن باقي العناصر الأخرى والمتمثلة في الأفراد، العمليات، والدليل المادي فإننا نجد الكثير من أوجه التشابه بين التسويقين الإسلامي والتقاليدي، كاحترام الوقت، وأسلوب التعامل من لغة مهذبة والحلم والصبر، وسرعة الاستجابة، كذا المظهر العام لكان العمل من النظافة والطابع الجمالي للهيئات وغيرها، مما قلص الفجوة بين



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

التسويقين، لذا نرى هذا التباين بين أبعاد المزيج التسويقي المصرفي ومدى تطبيقها في البنوك الإسلامية الجزائرية.

الخاتمة:

لقد احتلت البنوك منذ فترة طويلة أهمية بالغة في مختلف المنظومات الاقتصادية، وتزداد أهميتها من وقت لآخر مع التطورات الهامة التي تطرأ على اقتصادات الدول، ومن بين هذه التطورات ونقصد الإسلامية منها السعي إلى التخلص عن سعر الفائدة أخذ وعطاء من خلال محاولة إعطاء صبغة إسلامية لمعاملات البنك الإسلامي. لذا سعت دراستنا لمعرفة وجهات نظر الزبائن حول المعاملات التجارية للبنك الإسلامي الجزائري. وقد خلصنا إلى النتائج والتوصيات التالية:

النتائج

— أن أفراد عينة الدراسة يرون أن البنوك الإسلامية الجزائرية تطبق التسويق البنكي الإسلامي بشكل متوسط؛

— أن أفراد العينة يرون أن البنوك الإسلامية الجزائرية تطبق أبعاد التسويق البنكي الإسلامي بشكل متفاوت، فنجد أن الأبعاد المتمثلة في المنتج والتوزيع والأفراد والعمليات تطبق بشكل مرتفع، أما بعد التسعير والترويج والدليل المادي فتطبق بشكل متوسط؛

— لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في وجهات نظر أفراد العينة حول مدى تطبيق البنوك الإسلامية الجزائرية للتسويق البنكي الإسلامي.

التوصيات



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

- العمل على وضع سياسات واستراتيجيات تسويقية خاصة بالبنوك الإسلامية تختلف عن مثيلاتها في البنوك التقليدية؛
- وضع وتطبيق الضوابط الشرعية للمزيج التسويقي البنكي الإسلامي وضرورة توحيدها على مستوى جميع البنوك الإسلامية؛
- يجب على إدارات التسويق البنكي عدم الاكتفاء بتلبية حاجات الزبائن فقط، بل تقديم خدمات تفوق ما يتوقعه الزبون؛
- التحليل بالأخلاق عند اتباع الأعمال البنكية.

قائمة المراجع

1. بلحيمير إبراهيم، "المزيج التسويقي من منظور التطبيقات التجارية الإسلامية"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، 2005.
2. بوشنافة أحمد وحاجي كريمة، "الضوابط والقواعد الشرعية للمعاملات المالية الإسلامية"، ورقة بحثية مقدمة إلى الملتقى الدولي حول الاقتصاد الإسلامي: الواقع ورهانات المستقبل، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة غرداية، 24-25 فيفري 2011.
3. خانجي محمد بهاء الدين، "المزيج التسويقي في المصارف الإسلامية"، ورقة بحثية مقدمة إلى قسم المصارف الإسلامية، الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية، مركز البحوث والتطوير، عمان، 2009.
4. شحاته حسين حسين، "خطوط رئيسية لاستراتيجيات تسويق الخدمات ومنتجات المصرفية الإسلامية"، [HTTP] مقتبس من <http://www.darelmashora.com> (Consulted on: 15/07/2019)



قياس نجاعة البنوك الإسلامية الجزائرية —————— د. عبد الرزاق براهيمي ود. منصف شريفي

5. شريف مراد وبن يعقوب الطاهر، "أهمية تطبيق التسويق الإسلامي في المصارف الإسلامية من وجهة نظر العملاء: دراسة حالة بنك البركة بالجزائر"، المجلة العالمية للتسويق الإسلامي 3، (2)، 2014، ص ص 43-23

6. الشيخ سعيد، " مدى تطبيق المصارف لمفهوم التسويق المصرفي من وجهة نظر العملاء: دراسة حالة الأردن" ، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، 9، (1).
2009.

7. عبد السلام احمد إبراهيم احمد، "أثر استراتيجية تسويق الخدمات المصرفية على قرار الزبون: دراسة حالة في مصرف ماندرى الإسلامي إندونيسيا" ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية، 2016.

8. المغربي عبد الحميد عبد الفتاح، "الإدارة الاستراتيجية في البنوك الإسلامية" ، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، جدة، 2004.

9. المقلح منيرة والمطرمي ريم عوني، "المزيج التسويقي الإسلامي كمتغير وسيط بين جودة الخدمة المصرفية الالكترونية ورضا العملاء في المصارف الإسلامية" ، مجلة ريادة الاعمال الإسلامية، 3، (2). 2018، ص ص 78-102.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1627-1587 تاريخ النشر: 25-03-2021

**Cross- perspective Evaluation of The Culture
Component of Algerian Secondary School English
Textbooks: Critical pedagogy and English
as a Lingua Franca**

Loubna Kouira

Loubnakouira.83@gmail.com

Pr. Belouahem Riad

riad.belouahem@hotmail.fr

Université Des Frére Mentouri Constantine 1

تاریخ القبول: 2020/09/23

تاریخ الإرسال: 2020/03/22

Abstract:

This study aimed at evaluating the culture component of the Algerian secondary school textbooks, from two imbricated theoretical perspectives: critical pedagogy and the modern orientation of teaching English as a lingua franca . .More specifically, it aimed at finding out whether the culture component of the Algerian secondary school textbooks, on one hand, equip learners with an adequate level of critical awareness that would enable them to develop as whole citizens capable of challenging the status quo and acting positively upon their social reality to improve it. On the other hand, it aimed at finding out whether the same component of the same textbooks foster in learners an adequate level of cross-cultural awareness that would enable them to develop as multicultural individuals capable of mediating between their mother tongue culture and other cultures. A checklist-based analysis of the three textbooks currently in use was cross-compared to a student and a teacher questionnaires . The students' questionnaire was designed and implemented to thirty six first year university students



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

of English at Mohammed Seddik Benyahia University, Jijel who received a secondary school education based on the textbooks in question. As for the teachers' questionnaire, it was designed and administered to 78 secondary school teachers in the province of Jijel, Algeria. The checklist-evaluation has shown that the culture component of these textbooks lacks the potential to foster in learners a critical awareness about their social reality and is too poor to develop a relevant cross-cultural awareness. However, a cross-comparison of these results with teachers' and students' responses found that the two aspects in question enjoyed a relatively high level of satisfaction among the respondents. This is most probably due to the influence of the discourse on the competency-based approach, especially in the case of the teachers, and the ignorance of the real scope of the critical approach to intercultural competence, especially in the case of the students.

Key words:

culture component, critical pedagogy, English as a lingua franca, Algerian secondary school textbooks.

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى تقييم المكون الثقافي للكتب المدرسية الجزائرية للمرحلة الثانوية من منظورين نظريين مختلفين التربوية التقديمة والتوجه الحديث لتدريس اللغة الإنجليزية كلغة مشتركة. قمت مقارنة تحليل قائمة مرجعية للكتب المدرسية الثلاثة المستخدمة حالياً مقارنة باستبيانات الطلاب والمعلمين. كشف التحليل أن مواضيع الكتب والنصوص والمهام لا تعزز الوعي النقدي لدى المتعلمين ولا تمكّنهم من التطور كأفراد نقدية متعددي الثقافات قادرین على رؤية الواقع من المنظور العابر ثقافي



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

الكلمات المفتاحية: مكون الثقافة، التربية النقدية، اللغة الإنجليزية كلغة مشتركة،

كتب المدرسة الثانوية الجزائرية .

Introduction

Worldwide, curriculum reform is a recurring practice in education dictated by the continuous necessity to keep pace with the national and international situation as well as with the new developments in educational theory and research. On the eve of the second decade of the twenty first century, Algeria is witnessing a decisive political and social conjuncture aiming at establishing a more democratic and egalitarian society through a thorough and radical reform. One of the domains that deserve an urgent and a well-reflected innovation is, without doubt, the educational system. More specifically, the role that English has come to play as a lingua franca in today's rapidly globalized world puts again the reform of the teaching of this language in the Algerian context on the agenda. The reinforcement and the improvement of the role and place of English as the language of modernization have been subject to a hot national debate since the beginning of this movement. In addition to the favorable political and social situation, the fact that foreign languages are reportedly the subjects where Algerian students perform the worst in official examinations renders reform even more timely.

Statement of the Problem

The current situation compels us to make an effort to evaluate the Competency-based Approach (CBA) which has served for almost two decades as the underlying theoretical framework for the design of Algerian English language teaching curricula and textbooks currently in use. The overarching goal which motivated the introduction of CBA in the Algerian English as a foreign language context has been the development of learners as whole citizens through fostering a core of values such as 'openness to the world,



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

respect for self and others...which are essential in a society which tends towards globalization¹ (Ministry of Education, 2005) .In order to achieve this goal, the proponents of this pedagogic innovation have focused on two main aspects in the design of the current Algerian textbooks of English: to develop students' intercultural competence through introducing elements of both the native and target language cultures and to establish a link between classroom teaching/learning and students' 'real lives' outside the classroom through mobilizing a pedagogy based on project work. However, the present paper argues that while the pursuit thus expressed is laudable, the outcome is far from being satisfactory.

The serious discrepancy between the authentic aims and the unsatisfactory results is due to the flaws of the methodology deployed to achieve those aims. Such a discrepancy stands as a major obstacle in the way of embarking on a thorough and effective reform of this alarming situation because the weaknesses of methodology are eclipsed by valid goals. For example, several years of experience in teaching English to Algerian secondary school students following this approach has raised the author's awareness to the fact that the project methodology is reduced by the overriding majority of the students to a mere downloading from the internet of different kinds of English-based documents related to the proposed theme. Hence, the project methodology which is supposed to link classroom activities to students' real life experience failed to yield the expected positive outcomes.

Gauging the adequacy of the level of intercultural competence as well as reconsidering the quality of the link between classroom

¹- Ministry of Education.(2005).Document d'Accompagnement du Programme d'Anglais de 1ére Année Secondaire-Mai 2005.[Translated from French]



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

activities and the real world -resulting from the students 'exposure to the textbooks currently in use- should, therefore, be the focal points of this evaluation. In this regard, the present paper argues that the textbooks currently in use are flawed and their content is too shallow to be conducive to the very goals that have been targeted by the proponents of the introduction of the competency-based approach to the Algerian context .In light of this, the present paper proposes to evaluate the effectiveness of the English textbooks currently in use from an imbrication of two theoretical perspectives: the social reconstructivist approach and the modern orientation to teach English as a lingua franca.

The reconstructionist curriculum has been adopted as the yardstick for measuring these textbooks because it shares with the competency-based approach its main advantage: both approaches emphasize the need to establish a tight link between classroom activities and students' real lives. The proponents of the social reconstructivist curriculum (Richards, 2001) maintain that educational systems are intrinsically political in the sense that those who wield power in any society tend to design curricula in such a way as to give advantage to their class at the expense of other classes of society who become, consequently, marginalized. Based on the assumption that the basic human vocation is to be free, critical pedagogy maintains that learners cannot reach their full potential to be free until they become fully conscious of the inequalities and injustices of the societies in which they live(Richards, 2001)¹.To free learners and allow them to contribute to building a more egalitarian society, Freire (1972)², the father of Critical Pedagogy (CP), devised a

¹ -Richards, J. C. (2001). Curriculum development in language teaching. Cambridge, UK: Cambridge University Press.

² - Freire, P. (1972). Cultural action for freedom. Harmondsworth: Penguin.



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

pedagogy of empowerment aimed at altering the status quo through exposing social problems and inequalities and taking action to redress the problematic situations .Empowerment consists of a sequence of measures: conscientization, codification, generative themes, problem-posing education, dialogical method, praxis, and humanization (Izadinia (2009)¹.

As far as English language teaching methodology is concerned, the literature is replete with theoretical as well as empirical studies dealing with the adoption of the principles of critical pedagogy in the design and implementation of English language teaching curricula(for example, Canagarajah(1999), Akbari (2008), Izadinia (2009), Sadeghi &Ketabi (2009), Forcelini (2016));however, most of these studies have been concerned with resisting the hegemony of the teaching methodologies emanating from the ‘inner circle’ of English speaking countries in former British colonies where English is used as a second language. These contexts, therefore, differ in many important ways from the Algerian context of teaching English as a foreign language.

In the Algerian context, English is perceived as a rather empowering alternative and an effective liberating tool from the hegemony of the colonial language, which still enjoys an influential status especially among the ruling elite, despite decades of official Arabization .Hence, embracing the principles of critical pedagogy in the Algerian context should seek a different theoretical justification. In this regard, the new orientation to teach English as a lingua franca appears to be a promising perspective, which is highly compatible with the principles of critical pedagogy .An imbrication of these two

¹ -Izadinia, M. (2009). Critical Pedagogy: An Introduction .InWachob, P.(ed.), Power in the EFL classroom: critical pedagogy in the Middle East (pp.07-16). Cambridge: Cambridge Scholars Publishing.



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

perspectives can thus provide language education policy makers and syllabus designers with a strong theoretical and methodological alternative which will be conducive to more effective goals for teaching English as a lingua franca in our context.

The advocates of the most recent developments in teaching English as a lingua franca argue that fostering intercultural competence should not consist of assimilating students to native speakers' cultural norms, but rather of enabling them to acquire a third culture that would allow them to apprehend reality and express themselves from both the perspective of their native culture and the perspective of their potential international interlocutors(Cook (1999)¹, Crystal (2003)², Pennycook (1994)³, Seidelhofer(2005)⁴, Shakouri&Shakouri (2014)⁵).

Given that only a tiny minority of learners of English have the intention and /or the means to travel and live in English speaking countries, thus, the students' 'real world' is their inner-world, their knowledge world and their future world'(Gong and Holliday (2013,

¹- Cook, V. (1999). Going beyond the native speaker in language teaching. TESOL Quarterly, 33(2), 185-209.

² -Crystal, D. (2003).English as Global Language. [2nd ed.]. Cambridge: Cambridge University Press, 2003, 212 p. ISBN 0-521-53032-6.

³ - Pennycook, A. (1994).The Cultural Politics of English as an International Language. London: Longman. Print.

⁴ - Seidelhofer, B. (2005). Understanding English as a Lingua Franca. Oxford: Oxford University Press, 2011, 244 p. ISBN 978-0-19-437500.

⁵ - Shakouri, E. and Shakouri, N. (2014). On the Death of Native Speaker: A Revisiting Stance. International Journal of Educational Investigations, Vol. 1, No, 1: 220-226.



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

p.53)¹. The role that English plays as a lingua franca in the increasingly globalized world provides a solid ground for teaching it as a school subject. In the burgeoning literature on this issue, a distinction is generally made between two categories of English language teaching goals: internal and external goals(Gong and Holliday(2013, p.52, citing Cook (2007)².External goals refer to the ability to use the language in real life situations, whereas internal goals refer to the educational benefits that learners are supposed to gain from schooling itself such as fostering citizenship values, the development of a sophisticated and rational thinking, and raising cross-cultural awareness.

A focus on the internal goals of English language teaching, that is teaching English as a schools subject, has the clear advantage of benefiting all learners, and, thus, can contribute markedly to increasing learners' motivation and investment in the learning process, which will, consequently, foster a high level of attainment of external goals as well. Teaching English as a school subject consists of a reconceptualization of the culture component of the syllabi currently in use. As Gong and Holliday (2013, p.50)³ put it, this alternative consists of '...teach[ing] socio-culture, cognitive and thinking skills through the teaching of English' rather than 'culture'. Instead of attempting to instill the norms of the target language culture, the proponents of teaching English as a lingua franca argue in favor of endowing learners with a 'hybrid' and 'cosmopolitan' culture that would enable them to become 'whole citizens' who

¹ - Gong.Y and Holliday .A.(2013). Cultures of change: appropriate cultural content in chinese school textbooks . (Ed.), Hyland, K. Wong, L. (2013). Innovation and change in English language education. London: Routledge.

² - ibid

³ - ibid



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

'think globally and act locally' to effectively improve their social reality. Moreover, the acquired cross-cultural perspective fosters in them an adequate level of tolerance and empathy towards the cultural others that would entitle them to serve as mediators between the speakers of their mother tongue culture and those of the other cultures.

To achieve this aim, these learners should be treated as adults and engaged in mature discussions of relevant problems, which are central to their lives and the life of the community in which they live. The relevant themes and problems of the mother language culture should serve as the starting point for drawing guided comparisons and contrasts with those of the target language cultures. The adoption and the implementation of such an approach is susceptible to disentangle 'culture' from its current superficial and folkloric treatment in current language curricula and textbooks to use it as a 'moving, creative force' that would equip learners with the necessary 'savoir-faires' that would enable them to live up to the challenges posed by their social reality and to live in harmony with their increasingly globalized world, Gong and Holliday (2013, p.53)¹.

In the Algerian English as a foreign language context, the school textbook plays a central role in the teaching/learning process. Thus, any serious attempt to evaluate the effectiveness of English language teaching in such a context should focus first and foremost on the evaluation of the textbooks in question. Following the two perspectives that have been adopted for analyzing the textbooks in question, the present paper seeks to answer respectively the following research questions:

- Does the culture component of the Algerian secondary school textbooks equip learners with an adequate level of critical awareness

¹- ibid



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

that would enable them to develop as whole citizens capable of challenging the status quo and acting positively upon their social reality to improve it?

- Does the culture component of the Algerian secondary school textbooks foster in learners an adequate level of cross-cultural awareness that would enable them to develop as multicultural individuals capable of mediating between their mother tongue culture and other cultures?

Review of the Literature

The Competency-based Approach

The English secondary school textbooks currently in use in the Algerian context have been designed following the principles of the Competency-based Approach. Unlike the communicative approach, this approach has been developed in the broader field of education and, therefore, it was not specifically developed to tackle the issues of language learning .It is based on a combination of two theoretical perspectives on human learning: Piaget's cognitive constructivism and Vygotsky's social constructivism. Instead of the notion of behavioral objectives which characterized the traditional approaches, learning following this approach is organized and evaluated on the basis of competencies .A competency is defined as a set of savoirs (savoir, savoir faire, savoir être) which enable an individual to become effective in solving problems. The introduction of this approach in the field of education has been justified by the aim of establishing a strong link between the classroom tasks and the roles and tasks that students are supposed to perform in their real lives .The methodological tool that has been selected to mediate between the classroom and the students' real world is 'the project work' .The project is the pedagogic tool whereby the set of learned competencies are integrated and given sense .According to the



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

accompanying official document (2005)¹, this project pedagogy aims at revolutionizing educational practices through articulating learning around a process of 'research-demonstration-creation' carried out by the student under the guidance of the teacher. This process is supposed to render the set of savoirs functional and emotional and, hence, results in higher levels of autonomy and motivation among students. The accompanying official document proposes a number of criteria for the selection of the projects' themes ;interesting and relevant to the students, capable of capturing students interests during the whole period of the project, challenging but within the zone of the development of the student , the information required to finish the project should be accessible. It should be noted, here, that the last criterion in the list, i.e., accessibility is the Achilles' hills of the implementation of this approach in the Algerian context. As has been mentioned above, for most students and in most subject matters-not just English-project work consists only in asking the cybercafé operator to download material in relation to the proposed theme.

Following the Competency-based Approach, the role of the teacher should evolve throughout the learning process .In the initial stages, the teacher monopolizes the imparting of knowledge but a gradual autonomy is granted to learners. From time to time, the teacher is supposed to act as a co-learner.

Critical Pedagogy

Although the social constructionist curriculum to education, in general, and to English language teaching, in particular, shares with the competency-based approach practically the same goals like relating classroom activities to students' real life tasks and endowing

¹- Ministry of Education.(2005).Document d'Accompagnement du Programme d'Anglais de 1ère Année Secondaire-Mai 2005.[translated from French]



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

learners with a cosmopolitan cross-cultural competence, the former is characterized by a more articulated critical attitude. This attitude makes this approach susceptive to provide a better alternative to the competency-based approach. In other words, the articulation of the curriculum around this critical orientation is more conducive to the goals in question. The goal of language teaching is not just to enable the learner to communicate with the outside world, but to assume a more active role to change it to the better. This demanding goal provides a stronger impetus for learners to invest more efforts to reach higher levels of linguistic proficiency as they undergo profound identity changes to live up to this challenge.

Definition of Critical Pedagogy

CP is a post-method alternative approach to education which is gaining increasing momentum in English language teaching literature. Based on the assumption that power relations in the classroom are mere reflections of the prevailing power relations in the larger societal context in which education takes place, Freire (1973)¹ developed the foundational principles of this pedagogy in reaction to what he called the traditional banking model of education .According to him, the banking system model is characterized by a serious power imbalance between the teacher and the learners .In this model, the teacher treats learners as empty recipients whom he fills with the knowledge that he monopolizes .This agency granted to teachers at the expense of learners, who are treated as objects, as well as the static representation of reality reflected in the teaching practices of this model betrays a hidden agenda aimed at transmission and perpetuation of the social inequalities prevailing society.To reverse

¹ - Freire, P.(1973). Education for critical consciousness. New York: Seabury Press.



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

this oppressive situation, Freire (1973)¹ proposed a critical model based on the teachings of the Frankfurt school of philosophy which advocates the establishment of a just society where all citizens enjoy control over the political, economic, and cultural aspects of their lives. To achieve this aim, the father of Critical Pedagogy introduced a series of measures susceptible to raise both the teacher and the learner to subjective positions with regard to the learning process. Instead of learning by oneself or learning exclusively from the other, learners learn from the teacher and the teacher learns from the learners.

These measures work vigorously to expose the social contradictions and inequalities that prevail in students' lives and to empower them so that they take action to improve the oppressive situation. In this section a brief presentation of the most important aspects of this pedagogy will be presented.

Goals of Critical Pedagogy

What distinguishes CP from other approaches to English language teaching is the critical attitude that it fosters equally among the teachers and students so that they assume active roles to repair social injustices and contradictions. According to Douglas (2000, P.1)², the primary goal of Critical pedagogy is to 'empower citizens and students to become sensitive to the politics of representations of race, ethnicity, gender, class, and other cultural differences in order to empower individuals and promote democratization'. Similarly, Burbules & Berk (1999, p.47)³ suggest that the primary goal of critical

¹ - ibid

² - Douglas, K. (2000). "New Technologies/New Literacies: Reconstructing Education for the New Millennium.", *Teaching Education*, 11: 245–65.

³ - Burbules, N., & Berk, R. (1999). *Critical Thinking and Critical Pedagogy: Relations, Differences and Limits*. In T. Popkewitz & L. Fendler (Eds.), *Critical*



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

pedagogy ' is with social injustice and how to transform inequitable, undemocratic, or oppressive institutions and social relations.' To achieve these goals, Critical pedagogy relies on set of radical and innovative principles.

Principles of Critical Pedagogy

Instead of the project methodology employed by CBA , CP uses dialogism as the main tool for establishing the link between the classroom activities and students 'real life problems. It is through dialogue that the teacher accomplishes his mission of 'transformative intellectual' whose main concern is to foster in the students –whom he treats as equals- the capacity to question the prevailing power status quo and to take a reflective action to establish a more egalitarian social order. This approach finds some of its most potent epistemological roots in the writings of the theoretician of the Algerian revolution and the influential figure in post-colonial studies, Franz Fanon (1925-1961), whom Paulo Freire (1973, p.44)¹quoted and got inspiration from .This theoretical influence provides yet another evidence about the universal scope of the Algerian national struggle against colonialism and, thus, further strengthens the argument of introducing the principles of this liberatory and empowering pedagogy in the Algerian context. The lives of hundreds of thousands of our heroines and heroes during the revolution provide exceptional stories and narratives that can be exploited in our educational systems to illustrate the effectiveness of this pedagogy .Indeed, a study of the lives of some outstanding examples

Theories in Education: Changing Terrains of Knowledge and Politics. New York: Routledge

¹- Freire, P.(1973). Education for critical consciousness. New York: Seabury Press.



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

who managed to develop a cross- cultural awareness through benefiting from both the traditional largely informal education and the colonial education aimed primarily at subjugating them to the oppressive colonial system .Despite the hideous attempts at manipulation, our heroines and heroes have managed to develop a high level of awareness of the self and the other that enabled them ultimately to overthrow the oppressor and to set themselves and their nation as role models for all the oppressed. Although some of these texts have already found their way to the textbooks (for example, the fourth year middle school textbook), important aspects of these texts need highlighting following the principles of CP.

The Role of the Student

CP is a student-centred pedagogy, but, as opposed to other learner-centered approaches which have become fashionable with the advent of communicative language teaching, this model does not stop at the level of giving students initiative during classes and making them assume

the responsibility of their own learning .Matter of factly, CP has a much deeper goal in that it intends “to challenge traditional notions of those who have authority in and on education” (Cook-Sather, 2002, p. 4)¹.This pedagogy puts the lives of the learners as full human beings as the focal point of the educational process .The themes upon which feed the dialogues -which constitute the main educational activity-are generated by the participants on the basis of their relevance to students ‘lives. According to Paulo Freire (1970)², students with the help of the teachers are encouraged to act as

¹- Cook-Sather, A. (2002). “Authorising Students’ Perspectives: Toward Trust, Dialogue, and Change in Education.” *Educational Researcher* 31 (4): 3–14.

² - Freire, P. (1970). *Pedagogy of the Oppressed*. New York Seabury Press.



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

active agents in their own education through developing their critical consciousness and thus enabling them to evaluate the validity, justice, and authority in their educational settings. This pedagogy uses dialogue to change students 'beliefs and values .Changing students 'beliefs leads to the adoption of a new set of behaviors that would ultimately alter students 'social realities for the better. In this regard, Forcelini (2016, p.5)¹ maintains that this pedagogy strives to create a favorable environment that would allow the' 'construction of the self within or against mainstream conceptual views'. Such self-construction, Forcelini (2016)adds, '...is secured through critical pedagogic practices to build up tolerance towards distinct cultural views, to develop social and political awareness, and to cultivate moral practices that are aligned with social and political integrity' (p.5)².

Teacher as Transformative Intellectuals

As regards the role of the teacher, the proponents of CP consider that the starting point of the aspired for change is, no doubt, addressing the manifest contradiction between the teacher and students' roles which marks the banking system model. According to Freire (1998, p.53)³, "Education must begin with the solution of the teacher-student contradiction, by reconciling the poles of the contradiction so that both are simultaneously teachers

¹ -Forcelini, J.(2016). Critical Pedagogy and Language Acquisition: Benefiting from a country's crisis to improve Second Language Instruction. Journal of Global Initiatives: Policy, Pedagogy, Perspective.

²- Forcelini, J.(2016). Critical Pedagogy and Language Acquisition: Benefiting from a country's crisis to improve Second Language Instruction. Journal of Global Initiatives: Policy, Pedagogy, Perspective.Vol. 11, No. 1, 2016, pp. 123-136.

³- Freire, P. (1998) .Pedagogy of Freedom: Ethics, Democracy, and Civic Courage. Lanham: Rowman & Littlefield Publishers.



Cross-perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

and students.' To solve this contradiction, the teacher should assume the role of a' transformative intellectual' reminiscent of the Greek philosopher Socrates .The realm of action of this transformative intellectual is the students' identities .However, to succeed in the identities and, hence, the social roles of the students, first and for most, the teacher himself should experience change.

In this vein, Sedeghi and Katab (2009, p.9)¹ advocate that educators should ' tak[e] a critical inquiry toward their own theory and practice, [and] become active in shaping the school policy and curriculum'.To achieve social change, Sedeghi and Katab (2009, p.9)² add, '...Transformation begins in the classroom or public sphere, when the teacher consciously interrogate manipulative or subjugative process, and gradually affects students' lives outside of classroom'. Engaging students' identities, on the other hand, should result in a higher level of students' motivation and investment in the learning process. The driving force that pushes learners to action is conscientization

Conscientization

Simply put, conscientization is the process whereby "... men [and women], not as recipients, but as knowing subjects, achieve a deepening awareness both of the socio-cultural reality which shapes their lives and their capacity to transform that reality" (Freire, 1972, p.51)³.

¹ - Sadeghi, S., &Ketabi, S. (2009). From Liberal Ostrichism to Transformative Intellectual: An Alternative Role for Iranian Critical Pedagogues. ELTED, 12, 52-60

² - ibid

³ - Freire, P. (1972). Cultural action for freedom. Harmondsworth: Penguin.



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

Izadinia (2009)¹ lists a set of pedagogic paraphernalia mobilized by CP to achieve conscientization: codifications, generative themes, and problem-posing education.

1.Codification

Codification is symbolic representation of aspects of reality. This representation aims at giving learners the opportunity to take a distance with a familiar situation through making it unfamiliar to them. Such a distance is crucial for fostering in them a critical attitude. Although Freire(1973)² argued in favor of a visual codification, a range of other forms like drama and music offer valid alternatives. The only criterion for deciding upon the validity of a codification tool is the extent to which this representation triggers in students a critical attitude towards a lived situation-a situation they inhabit but rarely question critically (Monchinski, 2008, p.13)³.

2.Generative Themes

The fulcrum of the teacher-students discussions is generative themes. Generative themesare “provocative themes discovered as unresolved social problems in the community that are good for generating discussion in class on the relation of personal life to larger issues” (Shor, 1992, p.47)⁴. For Freire (1973)⁵, basing education on

¹- Izadinia, M. (2009). Critical Pedagogy: An Introduction .InWachob, P.(ed.), Power in the EFL classroom: critical pedagogy in the Middle East (pp.07-16). Cambridge: Cambridge Scholars Publishing.

² - Freire, P.(1973). Education for critical consciousness. New York: Seabury Press.

³ - Monchinski, T. (2008). Critical Pedagogy and The Everyday Classroom. New York, USA: Springer.

⁴- Shor, I. (1992). Empowering Education: Critical Teaching for Social Change. Chicago: Chicago University.

⁵- Freire, P.(1973). Education for Critical Consciousness. New York: Seabury Press.



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

generative themes is the only insurance that the educational program and the ensuing political action program reflect the identity and the aspiration of learners' culture and, thus, free from any cultural invasion or oppressive agendas.

3. Problem –Posing Education

According to Freire(1973), salvation from the oppression and manipulation of those who wield power and seek to instrumentalise education discourse to ensure their continuous domination can happen only through the adoption of the problem-solving model .Instead of bringing up passive learners who can easily yield themselves to the domination and control of a fraction of those whose main aim is to maintain their privileges, CP proposes a problem-posing model whereby learners undergo the necessary change that would lead them to freedom .Connecting the word to the world can only be achieved through a model that would allow learners to analyze their experiences, feelings and knowledge of the world around them as a stepping stone towards transforming their realities (McLaren, 2000)¹.

Dialogism

To enable learners to engage in activities which are susceptible to result in a social action that would enable them to change their ways of being in the world and their social realities, instead of CBA's project methodology, CP relies on dialogic tasks. Dialogue, according to Freire (1970, p.69)², "is the encounter between men, mediated by the world in order to name the world". Through dialogue which requires critical thinking, learners generate critical thinking that would enable them to articulate the link between the classroom and

¹- McLaren, P. (2000). Che Guevara, Paulo Freire, and the Pedagogy of Revolution. Oxford: Oxford University Press.

²- Freire, P. (1970). Pedagogy of the Oppressed. New York Seabury Press



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

their social reality. The systematic exposure to the contradictions of their social reality and a thorough consideration of the measures which are necessary to change it constitute the fulcrum of the dialogic tasks. These tasks are the effective means through which learners' identities reach the level of maturation and acquire the skills that would enable them to find their potential as agents of change in their social milieu.

Praxis

In order to endow learners with an adequate level of awareness and capacity to take action, the proponents of CP reject the exclusive use of intellectual reflection .To be able to become positive agents of change, learners should learn to engage in a systematic process of action and reflection. Reflection about a problem and action to solve it in the world are inextricably related .This authentic connection between action and reflection is called praxis. Praxis, according to Aliakbari and Faraji (2011)¹, is a 'critical reflection and action the purpose of which is to implement a range of educational practices and processes with the goal of creating not only a better learning environment but also a better world'(p.6).

Humanization

The overarching goal of education is to enable human beings to live up to their basic vocation: to be free. Any pedagogic endeavor that does not contribute to reaching this noble goal cannot be but considered dehumanizing .The pursuit of humanization has been the central goal of all man throughout history .This pursuit has been continuously affirmed by '...the yearning of the oppressed for

¹ - Aliakbari, M. and Faraji, E., (2011). Basic Principles of Critical Pedagogy. 2011 2nd International Conference on Humanities, Historical and Social Sciences IPEDR, vol.17 (2011).



Cross-perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

freedom and justice, and by their struggle to recover their lost humanity.'Freire and Macedo (2000, p.45)¹.

Despite the potential of dialogism in enhancing linguistic proficiency, in general, and oral proficiency, in particular, as well as its effectiveness in fostering higher levels of motivation among students, CP remains an approach that has been designed primarily for general education .Therefore, this pedagogy needs to undergo both a theoretical and practical adaptation to address the specific needs of second/foreign language teaching .However, most of the existing English language literature promoting the use of CP in English language teaching has been developed in English as a second language contexts marked by high sensitivity to the British colonial past .Due to these cultural and historic reasons, the field of applied linguistics has witnessed since the 1980's the emergence of various critical perspectives in English-based applied linguistics theory and research by critical pedagogy and other critical approaches. This increasingly influential trend has intensified the debate over notions such as ideology, discourse, identity, subjectivity, difference, and power. The common goal of this critical trend is to develop and deploy effective tools to uncover what is assumed to be 'the hidden agenda' of the language teaching methodologies and materials that are developed in the west, supposedly, with the aim to assimilate learners to the target language life style under the pretext of teaching the target language culture.

Although resistance to imperialist hegemony and cultural invasion is also an outstanding trait of Algerian identity, English enjoys a highly positive attitude in our context, and, even more, this

¹- Freire, p., & Macedo, D. (2000) A Dialogue: Culture, Language, and Race. Harvard Educational Review 377-403. 2016



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

language is perceived as an empowering tool and an effective means for integrating universal culture in the age of globalization .Hence, the adoption of the principles of CP should be geared towards achieving goals which are more compatible with the attitude towards English in our context. In this regard, the growing trend to teach English as a lingua franca to bring up 'sophisticated and cosmopolitan' 'multicultural' citizens -who are able to mobilize their universal culture to respond more effectively to their everyday life problems-appears to be a more realistic and rewarding goal to pursue in our context.

English as a Lingua Franca

In the modern world we live in today, English is used for commerce and communication by an ever growing number of people around the world .The unprecedented growth in transnational communication brought about by the internet and social media has raised English to an unprecedented status in the history of human languages-that of an international lingua franca . In international communication, the overriding majority of English language users are non-native speakers with no common language background. However, reinforcing the role of English in our context should be conceived as a replacement of the linguistic hegemony of the former colonizer by that of a new, more powerful one. Indeed, the ever-increasing scope of globalization provides evidence that the prospect of oppression may not just emanate from the national or the local level ;any debate or communication event is fraught with the danger of a power imbalance and domination.

The increasing need for a tool for international communication and the rapid widespread of English all over the world have sharply and consistently increased the number of non-native speakers of English to the point of largely outnumbering the native speakers of this language led to the emergence of English as lingua franca (ELF).



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

Lingua franca stands for a common language used for communication between people who do not share their first language (Seidelhofer, 2005, p. 339)¹. According to Jenkins, 2006 “[...] a lingua franca is a contact language used among people who do not share a first language, and is commonly understood to mean a second (or subsequent) language of its speakers” (p.1).

In order to examine ELF from a linguistic perspective, Kachru’s (1992) (as cited by Crystal, 2003, p. 60)² proposed the three circles model of World Englishes: ‘The “Inner Circle” such as the USA, the UK or Australia; The “Outer Circle” such as India or Singapore ;and the “Expanding Circle” like China, Russia as well as the Czech Republic and many others’. Many ELF speakers are misled by the prevailing and often mixed ideologies of nativeness and standard language (Jenkins (2006, p. 143) because the notion of native and non-native speakers is notoriously problematic (Cook, 1999)³. Hence, Kachru (1985)⁴ insists that the ‘native speakers [of English] seem to have lost the exclusive prerogative to control its standardisation’ (p. 30). Thus, What makes language global is not the concept of nativity but it is

¹- Seidelhofer, B. (2005). Understanding English as a Lingua Franca. Oxford: Oxford University Press.

² - Crystal, D. (2003). English as Global Language. [2nd ed.]. Cambridge: Cambridge University Press.

³- Jenkins, J. (2006). English as a Lingua Franca: Attitude and Identity. Oxford: Oxford University Press.

³ - Cook, V. (1999). Going beyond the native speaker in language teaching. TESOL Quarterly, 33(2), 185-209.

⁴ - Kachru, B. B. (1985). Standards, codification and sociolinguistic realism: the English language in the outer circle. In R. Quirk and H.G. Widdowson (Eds), English in the world: Teaching and learning the language and literatures (pp. 11-30). Cambridge: Cambridge University Press.



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

rather the concept of internationality, (cited in shakouri and shakouri, 2014)¹. As House (2007, p.8)² puts it, in the modern multilingual world, the aim of English language teaching should not be to enable learners to become native speakers, but to train them '... to use this language as a tool for interaction among many other languages and cultures'.

Globalization and the Intercultural Speaker

The adoption of a critical approach in the design and teaching of the cultural component of the English curriculum is supposed to enhance and accelerate the learning of the cultural aspect of the target language, enhance their critical thinking, and preserve the distinctiveness of these learners identity .Most importantly, this way of doing English language material design and teaching is supposed to foster in learners an adequate level of cross-cultural awareness that would enable future generation of learners to gain a deep understanding of the similarities and differences between the native and the target culture .This cross-cultural awareness would equip them with necessary knowledge and savoir faires that would allow them to function effectively in the increasingly globalized world in which they live, where English plays the role of a lingua Franca .Mastery of English would not only allow them to communicate, but also to serve as agents of change who are capable to improve their lives and the lives of those who live with them.

¹ - Shakouri, E. and Shakouri, N. (2014). On the Death of Native Speaker: A Revisiting Stance. International Journal of Educational Investigations.Vol. 1 Association of Academic Journals .

² - House, J.(2007).What is an 'Intercultural Speaker'? In AlcónSoler, E, &Jorda, M.P.S.(Ed.), Intercultural Language Use and Language Learning.(07-22).Dordrecht: Springer.



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

As Communication is becoming more intercultural, the concept of communicative competence that has long been associated with native-speakers norms should be revised to accommodate this shift .In line with this view, Zhu (2013, p.209)¹ points out that, 'in language and culture learning pedagogy ... the goal of language learning is to become intercultural speakers, mediating between different perspectives and cultures, rather than to replace one's native language and culture with 'target' ones.' In order to give this idea a stronger theoretical articulation .Byram and Zarate (1996)² coined the term intercultural speaker in contrast with native speaker as a model for competence in culture. In the light of this orientation, Byram and Flemming (1998, p.9)³ depict the intercultural speaker 'as a person who has knowledge of one or, preferably, more cultures and social identities and has a capacity to discover and relate' to people from new contexts, for which he/she has not been prepared'. Gong and Holliday (2013)⁴went even further to suggest that since only a tiny minority of learners of English are likely to travel to English speaking countries, English should be taught as a school subject the

¹ - Zhu, Hua (2013). Exploring intercultural communication: language in action.Routledge Introductions to Applied Linguistics. London: Routledge.

² - Byram, M., & Zarate, G. (1996). Defining and assessing intercultural competence: Some principles and proposals for the European context. *Language Teaching*, 29, 239–243. |

³-Byram. M., & Fleming, M. (1998). Language learning in intercultural perspective: Approaches through drama and ethnography. Cambridge: Cambridge University Press.

⁴ - Gong.Y and Holliday .A.(2013). Cultures of Change: Appropriate Cultural Content in Chinese School Textbooks . In Hyland, K. & Wong, L. (ed), Innovation and change in English language education (pp.44-57). London: Routledge.



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

aim of which is to equip learners with a set of socio-cognitive skills like critical thinking and empathy towards other cultural perspectives-skills that will facilitate their integration in the increasingly globalized world and enable them to act positively upon their reality to improve it.

The Study

Following the theoretical framework presented above, a checklist was designed and implemented to gauge the extent to which the English textbooks currently in use are conducive to the goals of a critical approach to teaching English as alingua Franca. The results of the check-list analysis have been cross-compared to the findings of a students' and a teachers' questionnaire designed and implemented for the same aim. These research instruments aimed at determining more specifically, two major issues .First, they aim to gauge the level of adequacy of the secondary school textbooks currently in use to raise a level of critical awareness which enables students to uncover the inequalities and contradictions that exist in their social lives and act to improve it. Second, they attempt to determine the extent to which the culture component fosters a level of cross-cultural awareness which is conducive to the development of students as multicultural individuals capable of mediating between their mother tongue culture and other cultures. It should be noted that both the students' and teachers' questionnaires offer respondents choices to express degrees of agreement or disagreement with a particular statement varying on a range of five point Likert scale(strongly agree, agree, neutral, disagree, strongly disagree).

The students' questionnaire was distributed to a sample of thirty six (36) first year university students of English. The choice of this level was motivated by the fact that these students have just finished their secondary school education, and, thus, in a good



Cross-perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

position to provide a valid and reliable retrospective evaluation of the textbooks in question ;At the Crossroads (B1), Getting Through (B2) and New Prospect (B3) .As for the teachers' questionnaire, it was distributed to seventy eight (78) secondary school teachers at the wilaya of Jijel to evaluate the effectiveness of the same textbooks vis-a-vis the same issues described above. In addition to that a textbook evaluation checklist was designed by the researcher for the same purpose. Three questions that touch upon the two issues mentioned above have been selected for presentation in this paper. The following discussion was limited to three questions due to the limitations on space which characterize a research article; a more detailed analysis of the present study is provided in the author's doctorate thesis (forthcoming).

Item1: the textbook enabled me to establish a link between my individual problems and the broader social context

The checklist-based Analysis

CP intersects with the principles of CBA on being both action-oriented 'in that CBA regards learning as occurring through social interaction with other people. In other words, learning is not conceived as 'the transmission of predetermined knowledge and know-how to be reproduced in-vitro (i.e., only within the pages of the copybook or the walls of the classroom), but as a creative use of newly-constructed knowledge through the process of social interaction with other learners' Ministry of Education (2006, p.12)¹.

However, although the first year secondary school textbook, 'At the Crossroads', is supposed to be action oriented as explained above, there are few tasks that train or require students to establish a link between their individual problems and the broader social

¹ - Ministry of Education.(2006).At the Crossroads: Teacher's Book. Commision Nationale des Programmes: Algeria.



Cross-perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

context .Two of the few tasks that seem to put into practice this principle are worthy of mention. Task (6) on page 159, requires students to reflect upon a solution to an ecological problem the problem of household and industrial wastes . Another example can be found in task 3 on page160, where students are asked to imagine that they are inspectors from the department of environment, then, they are required to write a memo to inform the authorities about the dangers resulting from pollution in their area. These examples, however, are no more than the exceptions that confirm the rule.

As regards the second year secondary school textbook, 'GettingThrough', this principle is not embraced in this book either; there is no attempt to enable learners to reflect upon their individual problems so as to establish a link between these problems and the broader social context as a first step towards recognizing and challenging their social realities. .

The same also holds true for the third year secondary school textbook, 'New Prospect' ;throughout the book there is no reference to students' individual problems or any attempt to link between those problems and the broader social context.

Students' Responses

option	Secondary school Textbooks	
	N	P(%)
Strongly agree	1	2, 8
Agree	14	38, 9
Neutral	12	33, 3
Disagree	6	16, 7
Strongly disagree	2	5, 6
Missing	1	2, 8



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

Total	36	100, 0
-------	----	--------

Table 1: Students' Evaluation of the link between Individual problems and the social context

As the table above shows, a great deal of division characterized students 'responses to this item. 38.9 % of the respondents agreed that the textbook enabled them to establish a link between their individual problems and the broader social context , and 2.8% of them even strongly agreed. While 16.7 % of them disagreed, only 5.6 % of the respondents strongly disagreed. Interestingly enough 33.3% remained neutral. Although the majority of the respondents either disagreed with or remained neutral vis-à-vis the proposition in this item, the relatively high level of those of who agreed is noteworthy.

Teachers' Responses

		Strongly agree	agree	neutral	Disagree	Strongly disagree	Missing	Total
B1	Frequency	04	27	17	21	03	06	78
	Percent %	5.1	34.6	21.8	26.9	3.8	7.7	100
B2	Frequency	05	29	17	13	03	11	78
	Percent %	6.4	37.2	21.8	16.7	3.8	14.1	100
B3	Frequency	03	30	17	17	03	08	78
	Percent %	3.8	38.5	21.8	21.8	3.8	10.3	100

Table 2: Teachers' Evaluationof The Link between Individual problems and the social context

As far as (B1) is concerned, the results show that 5.1% of the respondents strongly agreed and 34.6% of them even strongly agreed with the proposition in question 1, while 26.9% and 3.8% of the respondents disagreed and strongly disagreed respectively .As far as (B2) is concerned, the data show that 6.4% of the respondents strongly agreed and 37.2% of them agreed with the above



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

statement, while 16.7 % of the respondents disagreed and 3.8 % of them strongly disagreed .Regarding (B3), the results show that 3.8% strongly agreed and 38.5% of them strongly agreed with the statement in question, while 21.8% and 3.8% of the respondents disagreed and strongly disagreed respectively .It is worth noting that the percentage of those who adopted a neutral stance remained the same (21.8%) for the three books.

Although the majority of the respondents either disagreed or remained neutral with regard to the potential of the textbooks under study to enable students to establish a link between their personal problems and their social context, the relatively high level of those who either agreed or strongly agreed is worthy of consideration. Contrary to the checklist-based analysis, these respondents satisfaction with the effectiveness of the textbooks in question concerning this matter is due most probably to the influence of the discourse on the competency-based approach which accompanied the implementation of the textbooks in our context.

Item2: The textbook did not only enable me to improve my English, but also to view my life and the world around me from both the perspective of my mother language culture and Anglo-American cultures.

The checklist-based Analysis

As far as this question is concerned, a close examination of the book, 'At the Cross Roads', reveal that the themes, texts, and tasks are too poor and superficial in their culture content to lead to the achievement of this goal. The manifested lack of tasks which train or, at least, require students to draw a comparison between aspects of their mother tongue culture with those of the target language culture(s) deprive students of all opportunity to view their lives and the world around them from both the perspective of their mother language culture and Anglo-American cultures. Obviously, this



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

situation is detrimental to the development of students' cross cultural awareness.

Concerning 'Getting Through' (B2), the analysis shows that this book also does not encourage students in any way to view their lives and the world around them from both the perspective of their mother language culture and Anglo-American cultures or to compare between the two cultures.

As regards 'New Prospect', few tasks in the textbook seem to meet the criterion advanced in item 2. For example, in the third unit 'Schools: Different and Alike' in the 'Read and Consider' section, the first reading text 'Education in Britain' on page 83 discusses the importance of education for the British, steps of education , types of education and types of curricula . On page 84 task 2, students are asked to explain the ways in which the current British educational system is similar to and different from the Algerian educational system .The second reading text is about the American educational system ; the text raises issues like: the school system, points of conflict, the government and education, types of education and the quality of education (p.98). After reading the text students are asked to illustrate the similarities and differences between the British and American systems .By the end of this unit students are required to use what they have acquired throughout the unit to carry out research about the British and the Algerian educational systems. Students are asked to choose a level (preferably secondary education or higher education) and find information about aspects such as organization, curriculum, school year/holidays, types of exams and qualifications. Then, they are asked to compare the two educational systems (web sites are provided).Later, students are asked to draw diagrams (using statistics) to illustrate the information. By the end, they are required to synthesize the information in a prospectus and give an oral presentation of about three or four minutes comparing



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

and contrasting the two systems. However, the textbook content in terms of themes, texts, and tasks remain also far from enabling students to achieve the aim advanced in item2.

Students' Responses

Option	Secondary school Textbooks	
	N	P(%)
Strongly agree	9	25, 0
Agree	13	36, 1
Neutral	6	16, 7
Disagree	3	8, 3
Strongly disagree	4	11, 1
Missing	1	2, 8
Total	36	100, 0

Table 3: Students' Evaluation of the Effectiveness of the Secondary School Textbooks in Developing Cross-cultural Awareness

Surprisingly, more than half of the respondents (61.1%) either agreed or strongly agreed that the textbook did not only enable them to improve their English, but also to view their lives and the world around them from both the perspective of their mother culture and Anglo-American cultures .while 19.4% of them either disagreed or strongly disagreed, 16.7% of the respondents remained neutral.

Teachers' Responses

		Strongly agree	agree	neutral	Disagree	Strongly disagree	Missing	Total
B1	Frequency	05	29	20	15	04	05	78
	Percent %	6.4	37.2	25.6	19.2	5.1	6.4	100
B2	Frequency	05	24	20	15	03	11	78
	Percent %	6.4	30.4	25.6	19.2	3.8	14.1	100



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

B3	Frequency	04	29	22	13	03	07	78
	Percent %	5.1	37.2	28.2	16.7	3.8	09	100

Table 4: Teachers' Evaluation of the Effectiveness of the Secondary School Textbooks in Developing Cross-cultural Awareness

As far as this item is concerned, 43.6% of the respondents either agreed or strongly agreed with the idea that B1 was effective in enabling learners to view their lives and the world around them from both the perspective of their mother language culture and Anglo-American cultures in tandem with their English language development, while only 24.3% of the respondents either disagreed or strongly disagreed with the idea .Moreover, concerning B2, the table shows that the number of the respondents who either agreed or strongly agreed with the above statement(36.8%) is slightly higher than the number the respondents who either disagreed or strongly disagreed with the proposition (23%). Similarly, the responses concerning (B3) reveal that the number of respondents who either agreed or strongly agreed with the above statement (42.3%) is slightly higher than the respondents who either disagreed or strongly disagreed (20%).As far as those who remained neutral are concerned, their percentage remained relatively stable, ranging from 25.6% for both B1 and B2 to 28.2% for B3.

Item 3.The textbook is organized around dialogic situations that use learners' knowledge of their culture and the target language culture serves as input.

The checklist-based Analysis

As far as 'At the Crossroads" is concerned, the analysis showed that the texts, tasks and dialogic situations throughout the book do not encourage link in any way between the aspects of their native culture to aspects of the target language culture. Concerning 'Getting Through', the texts, tasks and dialogic situations throughout the book



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

also do not encourage in any way students to compare and contrast between the aspects of their native culture to aspects of the target language culture. The book is clearly biased towards the target language culture when it comes to the literary texts covered in the textbook . texts in Grimms' fairy tales on page 106, and fables of Aesop on page114 as well as Grimms' fairy tales on page 116 are good illustrations of this bias. It becomes clear, then, this shallow coverage can by no means lead to the development of the sought intercultural awareness .This type of awareness cannot be developed without achieving an adequate level of equity and cross comparison between literary texts from both cultures .The same also holds true for 'New Prospect';the texts, tasks and dialogic situations throughout the book do not encourage or link in any way between the aspects of their native culture to aspects of the target language culture.

Students'Responses

option	Secondary school Textbooks	
	N	P(%)
Strongly agree	11	30, 6
Agree	7	19, 4
Neutral	11	30, 6
Disagree	2	5, 6
Strongly disagree	3	8, 3
Missing	2	5, 6
Total	36	100, 0

Table 5: Students'Evaluation of the Effectiveness of the Cross-cultural Input of Dialogic Tasks in the Textbook

The above table demonstrates that 50% of the respondents either agreed or strongly agreed to the proposition in this item, while 13.9% of them either disagreed or strongly disagreed .It is also worth noting that 30.6% of the respondents remained neutral.



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

Teachers'Responses

		Strongly agree	agree	neutral	Disagree	Strongly disagree	Missing	total
B1	Frequency	02	34	19	16	02	05	78
	Percent %	2.6	43.6	24.4	20.5	2.6	6.4	100
B2	Frequency	03	30	20	16	-	09	78
	Percent %		38.5	25.6	20.5	-	11.5	100
B3	Frequency	02	24	24	21	-	07	78
	Percent %	2.6	30.8	30.8	26.9	-	09	100

Table 6: Teachers' Evaluation of the Effectiveness of the Cross-cultural Input of Dialogic Tasks in the Textbook

As far as (B1) is concerned, 46.2% of the respondents either agreed or strongly agreed that the textbook is organized around dialogic situations that use learners' knowledge of their culture and the target language culture serves as input, while 23.1% of them either disagreed or strongly disagreed .Concerning (B2), 42.3% of the respondents either agreed or strongly agreed with the above statement, while 20.5% of them either disagreed or strongly disagreed .As for (B3), 33.4% of the respondents either agreed or strongly agreed with the above statement, while 26.9%of these respondents either disagreed or strongly disagreed. As far as those who adopted a neutral stance are concerned, their percentages remained relatively stable ranging from 24.4% for B1 to 25.6% for B2 and 30% for B3.

The analysis of the books under investigation illustrated that the nature of dialogic situations in these books do not encourage students to establish a link in any way between aspects of their native culture to aspects of the target language culture .This deprives them from any chance to compare to or contrast between their understanding of themselves, their identity and culture and the



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

identity and culture of those who belong to the target language culture.

Overall Analysis

The results of the checklist-based analysis showed clearly that the themes, texts, and tasks of the textbooks lack any potential to foster in learners either a critical awareness that would enable them to act upon their reality to improve it or a cross-cultural awareness that would enable them to view reality from both the perspective of their mother tongue culture and the target language culture. The few tasks which are dialogic clearly prioritize a linguistic outcome where answers are known in advance.

As far as the teachers' responses to the three items are concerned, If the responses of those who disagreed and those adopted a neutral stance are taken together, the results show that, at least, a slight majority of the respondents were not openly satisfied with the effectiveness of the textbooks currently in use in either fostering a critical consciousness in learners concerning their social context or developing a cross-cultural awareness. In other words, these responses corroborate the findings of the checklist-based analysis. However, the relatively high level of satisfaction registered especially among students' responses with regard to the potential of the textbooks in question to foster the two aspects in question is discrepant with the findings generated by the checklist-based analysis. This discrepancy is a strong proof that the respondents' satisfaction emanates from the influence of the discourse on CBA especially in the case of the teachers and the ignorance of the real scope of the critical approach to intercultural competence especially in the case of the students. This deceiving feeling of satisfaction poses a real obstacle to any potential effort to reform the curriculum currently in use .As far as teachers are concerned, the first step to reform the curriculum currently in use is



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

the introduction of the social reconstructionist' curriculum and the articulation of the critical vision about intercultural competence in English university curriculum .In other words, the first step in the reform should consist of raising awareness about the shortcomings revealed by the checklist analysis through the adoption of a critical attitude nurtured by the principles of CP and those of the new orientation in teaching intercultural competence .Moreover, would-be teachers should be equipped with the theoretical knowledge about the approach and, more importantly, with a practical training in the implementation of these promising innovations .Previous problems and failures in introducing teaching innovations in the Algerian context should also inform the design and implementation of the proposed innovation so as to avoid repeating the mistakes of the past .Ignorance about the critical view towards intercultural competence and its teaching stifles teachers' potential to disentangle themselves from the shrines of the official syllabus and make them incapable of departing from the flawed practices even if they are given a margin of freedom to do so.

Conclusion

Instead of the project methodology employed by the Competency-Based Approach, CP puts problem-solving dialogic tasks, dealing with themes that are relevant to students 'lives, at the center of a teaching/learning enterprise geared towards the establishment of a more just society .Moreover, because of globalization, English has become a lingua franca used by an increasing number of people whose first language is not English for different communication purposes. This new status is changing the nature of English language teaching as this language is becoming part and parcel of the core skills that education is supposed to equip learners with to succeed in modern society .A checklist-evaluation of the Algerian secondary school textbooks from an imbrication of the aforementioned



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

perspectives has shown that the culture component of these textbooks is not conducive either to fostering in learners a critical awareness about their social reality or to developing a cross-cultural awareness that would enable them to approach reality from a broader perspective .However, the relatively high level of satisfaction among the respondents with regard to the two aspects in question is due to the influence of the discourse on the competency-based approach, especially in the case of the teachers, and the ignorance of the real scope of the critical approach to intercultural competence, especially in the case of the students. Hence, the starting point for any serious move to reform the current anomalous situation should be the English university curriculum itself: would-be teachers of English should be taught following a curriculum articulated around the principles of the perspectives proposed in this paper.

References

- Akbari, R. (2008). Transforming Lives: Introducing Critical Pedagogy into ELT Classrooms, *ELT Journal*, Volume 62, Issue 3, July 2008, Pages 276-283.
- Aliakbari, M. and Faraji, E., (2011). Basic Principles of Critical Pedagogy. 2011. 2nd International Conference on Humanities, Historical and Social sciences IPEDR vol.17 (2011).
- Burbules, N., & Berk, R. (1999). Critical Thinking and Critical Pedagogy: Relations, Differences and Limits. In T. Popkewitz& L. Fendler (ed.), *Critical Theories in Education: Changing Terrains of Knowledge and Politics*(pp. 45-66). New York: Routledge.
- Byram. M., & Fleming, M. (1998). *Language learning in intercultural perspective: Approaches through drama and ethnography*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Byram, M., & Zarate, G. (1996). Defining and assessing intercultural competence: Someprinciples and proposals for the European context. *Language Teaching*, 29, 239–243. |



Cross-perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

- Canagarajah, A. S. (1999). *Resisting linguistic imperialism in English teaching*. Oxford: Oxford University Press.
- Cook, V. (1999). Going beyond the native speaker in language teaching. *TESOLQuarterly*, 33(2), 185-209.
- Cook-Sather, A. (2002). "Authorising Students' Perspectives: Toward Trust, Dialogue, and Change in Education." *Educational Researcher*, 31 (4): 3-14.
- Crystal, D. (2003). *English as Global Language*. [2nd ed.]. Cambridge: Cambridge University Press.
- Douglas, K. . (2000). "New Technologies/New Literacies: Reconstructing Education for the New Millennium.", *Teaching Education*, 11: 245-65.
- Freire, P. (1970). *Pedagogy of the Oppressed*. New York Seabury Press.
- Freire, P. (1972). *Cultural Action for Freedom*. Harmondsworth: Penguin.
- Freire, P.(1973). *Education for Critical Consciousness*. New York: Seabury Press.
- Freire, P. (1998). *Pedagogy of Freedom: Ethics, Democracy, and Civic Courage*. Lanham: Rowman & Littlefield Publishers.
- Freire, p., & Macedo, D. (2000). *A Dialogue: Culture, Language, and Race*. Harvard Educational Review 377-403. 2016
- Forcelini, J.(2016). Critical Pedagogy and Language Acquisition: Benefiting from a country's crisis to improve Second Language Instruction. *Journal of Global Initiatives: Policy, Pedagogy, Perspective*. Vol. 11, No. 1, 2016, pp. 123-136.
- Gong.Y and Holliday .A.(2013). Cultures of Change: Appropriate Cultural Content in Chinese School Textbooks .In Hyland, K. & Wong, L. (ed), *Innovation and change in English language education*(pp.44-57). London: Routledge.



Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

House, J.(2007).What is an 'Intercultural Speaker'? In AlcónSoler, E, &Jorda, M.P.S.(Ed.), *Intercultural Language Use and Language Learning.*(pp.07-22).Dordrecht: Springer.

- Izadinia, M. (2009). Critical Pedagogy: An Introduction .InWachob, P.(ed.), *Power in the EFL classroom: critical pedagogy in the Middle East*(pp.07-16). Cambridge: Cambridge Scholars Publishing.

-Jenkins, J. (2006). *English as a Lingua Franca: Attitude and Identity.* Oxford: OxfordUniversity Press.

-Kachru, B. B. (1985) Standards, codification and sociolinguistic realism: the English language in the outer circle. In R. Quirk and H.G. Widdowson (Eds), *English in the world: Teaching and learning the language and literatures* (pp. 11-30). Cambridge: Cambridge University Press.

- McLaren, P. (2000). *Che Guevara, Paulo Freire, and the Pedagogy of Revolution.*Oxford: Oxford Press.

- Ministry of Education.(2005).Document d'Accompagnement du Programme d'Anglais de 1ére Année Secondaire-Mai 2005.[translatedfrom French]

Ministry of Education.(2006).At the Crossroads: Teacher's Book. Commission Nationale des Programmes: Algeria.

- Monchinski, T. (2008). Critical Pedagogy and The Everyday Classroom. New York, USA: Springer.

-Pennycook, A. (1994).*The Cultural Politics of English as an International Language.* London, UK: Longman.

-Richards, J. C. (2001). *Curriculum Development in Language Teaching.* Cambridge, UK: Cambridge University Press.

-Sadeghi, S., &Ketabi, S. (2009). From liberal Ostrichism to Transformative Intellectual: Anlternative role for Iranian Critical Pedagogues. *ELTED*, 12, 52-60.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسطنطينية الجزائر

ر ت م د : 4040-1112، ر ت م د إ : X204-2588

المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 1627-1587 تاريخ النشر: 25-03-2021

Cross- perspective -----Loubna Kouira and Pr. Belouahem Riad

- Seidelhofer, B. (2005). *Understanding English as a Lingua Franca*. Oxford: Oxford University Press, 2011.
- Shakouri, E. and Shakouri, N. (2014). On the Death of Native Speaker: A Revisiting Stance. *International Journal of Educational Investigations*, Vol. 1, No, 1: 220-226.
- Shor, I. (1992). *Empowering Education: Critical teaching for social change*. Chicago: Chicago University Press.
- Zhu, Hua. (2013). *Exploring Intercultural Communicaiton: Language in Action*. Routledge Introductions to Applied Linguistics. London: Routledge.